الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية





الموسوعة الجزائرية

المجلّد الثاني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثاني

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثاني

الناشر: المجلس الأعلى للّغة العربية
الحجم: 22 x 30
عدد الصفحات: 695
خطوط: عمر الجمني
المطبعة: تمّ الطبع بمطابع دار بهاء الدين للنّشر والتّوزيع

دَليلُ تَشفِير بَعض ٱلرُّمُوز وَ ٱلأَصوَات ٱلمَعمُول بِهَا دُوَليًّا

الرمز	الصوت
G =گ	مثال: ورگلة (Ouargla)
V=ڤ	مثال: كوڤيد (Covide)
P =پ	مثال: پرلمان (Parlement)
J =ڃ	مثال: ڃنات (Djanet)
z =ژ	مثال: أژكا (القبر في المازيغيّة)
/	أو
ﷺ	صلّى الله عليه وسلم
و	وُلِد
ت	تُوفي

الأرقام الرّومانيّة:

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
X	IX	VIII	VII	VI	V	IV	III	II	I

تستخدم في التّواريخ والقرون (القرن VIII) وألقاب المُلوك (الملك يوبا I، الملك يوبا II)

تَنوِيهٌ

تعجز مفردات اللّسانّ، وأساليب البيان عن بلوغ سامي مقام التّنويه بمن سخروا علومهم، وطوّعوا معارفهم، من أجل إنجاز المجلّد الأوّل المخصّص لأعلام الجزائر في الموسوعة الجزائريّة منذ فجر التّاريخ، ورصدوا مسار هؤلاء الأعلام عبر تعاقب الحضارات؛ وكلّهم عزم على متابعة العمل لإنجاز المجلّدات اللاحقة، التي تتجاوز عشرة آلاف (10000) علمًا، وأخلصوا في كتابة سير هؤلاء الأعلام، وذكروا آثارهم على تنوّعها، وأشاروا إلى إسهامهم في مسار الجزائر في مختلف المجالات، يحدوهم الإيمان الصّادق، بأنّ بناء الدّول وتعزيز أركانها؛ لا يكون إلّا بالعلم والعمل، وقد قاموا بهذه المهمّة الشّريفة بجديّة وموضوعيّة وطواعيّة، فأكْرِمْ بهم من أساتذة باحثين أجلاء! وبِذي السّانحة نرفع إليهم جميعًا أساتذة ومستخدمين أسمى آيات العرفان، وأنبل عبارات الامتنان.

ونؤكّد أنّ هذا العمل ما هو إلّا مبادرة من المجلس الأعلى للغة العربيّة، وبالتّعاون مع الأساتذة الخبراء، وهذه الطّبعة قابلة للتّنقيح والتّصحيح، وننتظر من القراء الكرام التّنبيه والتّوجيه لتصويب ما فاتنا، وما توفيقنا إلّا بالله العليّ الكريم.

ٱلبروفيسور صالح بلعيد
رَئِيسُ ٱلمَجلِسِ ٱلأَعلَى لِلغَةِ ٱلعَرَبِيَّةِ

قَائِمَةُ شَفْرَةِ ٱلْقِرَاءَةِ ٱلسَّرِيعَة


حرف العين


حرف الفاء


حرف القاف


حرف الكاف


حرف اللام


حرف الميم


حرف النون


حرف الهاء


حرف الواو


حرف الياء



عبد المجيد تبون

رئيس الجمهورية

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثاني

أحرف المجلد الأول

حرف الألف	حرف الباء	حرف التاء
حرف الجيم	حرف الحاء	حرف الدال
حرف الراء	حرف الزاي	حرف السين
حرف الشين	حرف الصاد	حرف الطاء



■ عاشور الخنگي
(1270هـ - 1854م/1348هـ - 1929م)

عاشـور الخنگـي فقيـه وعالـم وأديـب جزائـري، ولـد عاشـور بـن محمّد بـن عبيد بن محمّد المسـعودي الهلالي الخنگي سنة 1854 في ولد في خنگة سيدي ناجي من قرى الزّاب، شرق مدينة بسكرة بالجنوب الشّرقي للجزائر، وقد اشـتهرت خنگة سـيدي ناجي بقـوة أهلها في الفقه والنّحـو، وكانت محطة للحجيج المغاربة، واشتهرت بشيخها وقائد ثورتهـا الإمـام عبـد الحفيظ الخنگـي الذي كان مقـدَّم الطّريقـة الرحمانيّـة فـي الخنگـة ونواحيها وعمل على نشـر التعليم والأذكار الصّوفيّة، من الذين شـاركوا رغم تقدم السّن به وتفرغه للعلم، في ثورة الزّعاطشة.

وكان الشّيخ عاشـور الخنگي يلقب بأبي الفيض، وكان ينعت نفسـه بـكليب الهامل، أي المنافـح والمدافـع عـن الشّـيخ الهاملي والزّاويّـة الرحمانيّـة هنـاك، وبأنـه خـادم الأشراف ومقبل نعالهم.

تلقى الشّـيخ عاشـور تعليمـه الأولي في مسـقط رأسـه، حيث حفـظ القـرآن الكريم، وظهـرت موهبتـه فـي الحفظ مبكـرة فحفظ القـرآن فـي سـنّ الخمسـة أعـوام ونصـف، وتعلـم القـراءة والكتابـة، كمـا تعلّـم مبادئ العلوم الدّينيّة واللغويّـة، وحفظ أهم المتون فـي كل علم مـن تلك العلـوم، كما انتسـب إلـى الطّريقـة الرحمانيّـة وتعلّم فـي زواياها ومحاضرهـا، وقـد كان لهـا فـي منطقته فرع مشـهور بالعلـم والتصـوف والجهـاد، وبعد ذلـك رحل إلى تونس وإلـى زاويّة ابن عزوز في نفطـة تحديـدا، وهـي زاويّة ذات شـهرة واسـعة في العلم والتصوف وملجأ للهاربين مـن ظلـم الاسـتعمار الفرنسـي، «وترجـع شـهرة زاويّـة نفطـة إلـى كونهـا أصبحـت مدرسـة للتعليـم، بالإضافـة إلـى الـدّور الدّيني والاجتماعـي، وكان رجالها يكملون تعليمهم بجامـع الزّيتونة، ويتولون الوظائف الدّينيّة كالقضـاء والتعليم، ومنهم المكي بن عزوز والخضر بن الحسين، وذهب إلى هذه الزّاويّة عدد من طلبة الجزائر للدراسة أيضا، مثل عاشـور الخنقي، كما هـرب إليها بعض الثّوار أمثال ناصر بن شـهرة وشريف ورقلة، ونـزل فيها محي الدّين بـن الأمير عبد القادر سـنة 1880 – 1881 حيـن دعـا إلـى الجهـاد، فأهل بسـكرة وتبسـة والوادي وتگرت كانوا يقصـدون زاويّـة نفطـة للتعلـم والسّـلوك معـا، وكان مـن شـيوخ الزّاويّـة جزائريـون وتونسيون، منهم محمّد المدني بن عزوز ابن عم مصطفى المذكور، وإبراهيم بن صمادح النّفطي". وقد أخذ الشّـيخ عاشور العلم عن هـؤلاء الشّـيوخ جميعـا، أمّا التصـوف على الطّريقـة الرحمانيّـة فقد أخذه عن: الحسـين بـن الصّديق المنصوري، والشّـيخ محمّد بن الحداد، والشّـيخ محمّد بن أبي القاسم شيخ زاويّة الهامل.

عاد الشّيخ عاشور إلى خنگة سيدي ناجي سـنة 1866، لكنّه ما لبث أن شـدّ الرحال بعد ذلك قاصدا مدينة قسـنطينة التي نزل بها سنة 1867، وعمـل هناك مدرّسـا حـرّا، يتنقّل بين مسـاجدها وزواياهـا ومعاهدها، فقـد تعهد لشـيخه مصطفى بن عزوز بأن لا يقبل وظيفا رسـميا. واشـتهر بإتقانه علوم اللغة والبيان، كما اشـتهر بكثرة معاركـه الفكريّـة والأدبيّة مع كثيـر من علمائها ومفكريها وأدبائها، ممّا جعلـه يتعرض لتضييق السّـلطات الفرنسـيّة فيهـا، وكانت تهمته زعزعـة الأمن والتخرج من المعاهـد الإسـلاميّة الأجنبيّـة، كما كان افتخـاره بثورة قومـه على الفرنسـيين وذكره لأمجادهـم سـببا في نقمـة الفرنسـيين عليه. وفـي قسـنطينة التقى بالشّـيخ الحـداد وأخذ عنـه التصوف علـى الطّريقـة الرحمانيّة. بعد ذلـك انتقل الشّـيخ إلـى مدينة بوسـعادة إلى زاويّـة الهامـل، فأصبـح مدرّسـا فيهـا لعلوم اللغة والبلاغة والعروض والمنطق، وأجري له مرتب شـهريّ من ميزانيّـة الزّاويّة، وهناك أيضا أخذ عن الشّـيخ محمّد بن أبي القاسـم التصـوف علـى الطّريقـة الرحمانيّـة، ولكن بعـد وفـاة الشّـيخ محمّـد بـن أبـي القاسـم وصراعه مع بعض شـيوخ الزّاويّة رجع قافلا إلى مدينة قسـنطينة مرّة أخرى. هناك سـجن الشّيخ عاشور، بسـبب موقفه المؤيّد للدولة العثمانيّـة، وثنائه عليها وعلى السّـلطان عبد الحميد الثّاني، فمما قال فيه:

مولى الورى (عبد الحميد) حميد ما
شملته سلطنة البرايا من سير
من آل عثمان الذي جمع الخلا
فة في الورى فيما تجاهر واستتر

وقد أغضب هـذا الثّناء والجرأة في نصرة الدّولة العثمانيّة السّـلطات الفرنسـيّة فزجت به في السّـجن، ولم يخرج منه إلا بتوسلات وتدخلات، وكانت للشـيخ عاشور خلافات شـديدة مع علماء عصره، وعلى رأس هؤلاء الشّـيخ محمّـد الصّالـح بـن مهنـة ومحمّـد بـن عبـد الرحمـن الدّيسـي والشّـيخ الطّيب

العقبي وغيرهم. وكان منطلق التخاصم بينهم هو الموقف من (عصاة الأشراف) هل هم ناجون من العقوبة الإلهيّة؟ وقد انتصر الشّيخ عاشور للأشراف ولو كانوا عصاة. وكانت الإدارة الفرنسيّة هي الرابحة من هذا الخلاف، فقد أدخلت الشّيخ عاشور السّجن ونفته سنوات طويلة، وعزلت الشّيخ ابن مهنة من وظيفته وأبعدته عن تلاميذه بعض الوقت.

وكان الشّيخ البشير الإبراهيمي يشيد بشعر الشّيخ عاشور وقوة عارضته إلا أنه كان يرى أنه استعمل قلمه في موضوع لا طائل تحته (يقصد الخلاف السّابق).

بقي الشّيخ عاشور مستقرا في قسنطينة، وكانت هذه المدينة تشهد صعود حركة إصلاحيّة كبيرة بقيادة الشّيخ ابن باديس، لم يستطع الشّيخ عاشور مجاراة هذه الحركة بل وقف خصما لها في كثير من الأحيان مما سبب له شيئا من العزلة، ومرض في آخر حياته، وقد وافاه الأجل في مدينة قسنطينة سنة 1929.

آثاره:

ترك الشّيخ مؤلفات كثيرة منها:

- منار الإشراف في فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف.
- رسالة في البوازيد.
- المنشور في رجال الشّيخ عاشور.
- ديوان مديح يشفي غلة القلب القريح.
- الدّيوان الباوي في ذم عبد القادر المجاوي.

كما ترك قصائد كثيرة جدا، منها ما كان أدبيا، ومنها ما كان نظما لعلوم مختلفة، فقد ترك ألفيّة في البيان والبديع والعروض والقوافي.

يقول أبو القاسم سعد الله عن أسلوبه الأدبي النّثري:

«لم يكتب عاشور الشّعر فقط، وإنما كتب النّثر أيضا رغم أن نثره قليل. وهو الذي يهمنا هنا. ومنذ أحمد بن عمار في آخر العهد العثماني لا نعرف أن أديبا كتب بأسلوب قوي كأسلوبه، سوى عاشور الخنگي. ورغم سلسلة الأسماء الدّينيّة والأدبيّة التي عرفتها الجزائر بين 1830 - 1880، فإننا لا نعرف اسما كتب صاحبه بنفس القوة البلاغيّة التي تميز بها عاشور. وسواء في ذلك الذين درسوا في الجزائر أو خارجها».

رابح دوب

المصادر:

- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثّقافيّة للتأليف والترجمة والنّشر، ط2، بيروت، 1980؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشّعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009؛
- محمّد عبد الحليم بيشي: الشّيخ عاشور الخنقي، آثاره ومعاركه الفكريّة، مجلة العلوم الإسلاميّة والحضارة، م 5/ ع 01، سنة 2020.

■ عاشور زيّان
(1337هـ - 1919م/1375هـ - 1956م)

ولد عاشور زيّان خلال عام 1919 (والده المبروك وأمه بركاهم اسْعيد) بإحدى الخيم بقريّة البيض التّابعة لبلديّة البسباس، وهي قريّة تسكنها فرقة من عرش أوّلاد حركات تسمى أوّلاد أرميلة تعيش على الرّعي والفلاحة، وقد ترعرع بين إخوته الخمسة (ثلاثة ذكور وثلاث بنات) بقريّة البيض وباديتها في ظروف حياتيّة جد قاسيّة، حيث كان بعضهم أحيانا يقتات بالأعشاب، وهو ما يؤرخون به لأحداثهم، كأن يقال فلان ولد عام (النّارقودة)، وهناك فيهم من مات بالجوع خاصّة الأطفال.

منذ طفولته كان مختلفا عن أقرانه ذكاء ونباهة، مما دفع والده إلى إرساله إلى زاويّة بن رميلة بالقصيعات لتعلم القرآن لدى



شيخها صغيري أحمد بن محمّد الصّغير، ثم انتقل إلى زاويّة دار سي قويدر (عين فارس حاليا)، ثم إلى زاويّة عين الرّيش حيث درس بعض علوم الدّين وأتم حفظ القرآن على يد الشّيخ محمّد العيد قويدري بن بهاء الدّين سنة 1935 وعمره 15 سنة.

ومن أجل الاستزادة في العلم كان عليه أن يختار الالتّحاق بإحدى الزّوايا المعروفة في المنطقة، وهي العثمانيّة بطولقة والقاسميّة بالهامل والمختاريّة بأوّلاد جلال، فاختار الأخيرة لقربها من قريته ولوجود العديد من أهله السّاكنين بأوّلاد جلال وسيدي خالدّ، وتكفّل به عمه بوزيد السّاكن بأوّلاد جلال، وكانت الزّاويّة المختاريّة تدرّس العلوم الشّرعيّة والأدبيّة وبعض العلوم كالحساب، وبها حاز على الإجازة من مشايخها الذين أعجبوا به وأجازوا له التّدريس بها، لكن باندلاع الحرب العالميّة الثّانيّة سنة 1939

تم تجنيده إجباريا (1939–1941) وعمره 20 سنة.

منذ الصّغر ظهرت عليه ملامح النّباهة والذكاء والتّميز، حيث كان يمحو لوحه بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات يوميا. كما كان يلاحظ تلك الفوارق بين أطفال شعبه وأطفال الفرنسيين، مما شكّل لديه وعيا متقدما ومقْتا واضحا للعدو، جعل أترابه حين يريدون إغضابه بغرض ممازحته يهتفون "Vive la France" مما يستفزه لدرجة التّعارك معهم.

أثناء التّجنيد الإجباري ثم الخدمة في الجيش الفرنسي (1941–1946)، في عدّة مدن جزائريّة وفي تونس لمدة سبعة أشهر، اكتمل نضجه السّياسي، وقد مثّلت أحداث الثّامن ماي 1945 منعرجا حاسما في توجهاته، فخلال هذه السّنة بدأ النّضال في حزب الشّعب وقد حاز مكانة محترمة بين قادته، حيث استُدعي لمؤتمر الحزب في بلكور سنة 1947، لكن لم يحضره بسبب الظروف الصّعبة التي أوجده فيها المستعمر الفرنسي.

عاد بداية 1946 إلى منطقته أوّلاد جلال، وفتح حانوتا لبيع المواد الغذائيّة اتخذه سريا كمقر ليلتقي فيه بالمناضلين، وقد كلفه الحزب وقتها بفرع الدّعايّة على مستوى قسمة أوّلاد جلال، وحين اكتشف المستعمر ذلك قام بغلق الحانوت، فقام عاشور زيّان رفقة صديقه رمضان طبش بكراء مقهى (سماه مقهى الشّباب) مكنه من الاقتراب من شرائح المجتمع، فتحوّل المقهى إلى ما يشبه الخليّة الحزبيّة، لكن السّلطات الاستعمّاريّة مرة أخرى أغلقت له المقهى واعتقلته للحد من نضاله السّياسي الذي بدأ يبرز جليا.

خلال انتخابات المجلس الجزائري في أفريل 1948 التي شارك فيها الحزب، وخلال تلك الأحداث التي صحبتها بأوّلاد جلال بتحريض من عاشور زيّان، تم اعتقاله وسجنه لعدّة أشهر، وقد تم إغراؤه ومساومته بعدّة وظائف لكنّه دوما يرفض ذلك، وقد عرفت أوّلاد جلال خلال تلك الفترة زخما سياسيا ونضاليا، جعل العديد من الشّخصيات تزورها مثل الشّيخ الإبراهيمي ورابح بيطاط ومحمّد خيذر الذين التّقاهم باعتباره زعيما سياسيا.

إن عاشور زيّان المعروف بتسميات: القائد زيّان، سي زيّان، الشّيخ زيّان التي تعد تقديرا لعلمه ونضاله وصدقه، مما بوأه صفة الأب الرّوحي للمنطقة، استطاع في هذه المرحلة التي سبقت الثّورة أن يكوّن شخصيته التي بدأت تظهر عليها ملامح الكاريزمة، مما قرّبه لدى المواطنين والمناضلين، كما ساعده نضاله الحزبي على تكوين صلات ببعض رموز النّضال الوطني منهم العربي بن مهيدي وسي الحواس وأوعمران ومصطفى بن بولعيد الذي عيّنه –قبيل اندلاع الثّورة– مسؤولا عن الصّحراء، فبادر إلى تنظيم اللجان الشّعبيّة وتكوين خلايا المسبلين وتدريب الشّباب استعدادا للثورة.

أوّل من رفع العلم الجزائري في فرنسا

بعد أن ضيّق عليه المستعمر الخناق سافر زيّان إلى فرنسا بترخيص من الحزب، أين اشتغل في مصنع للجلود في مدينة ليون، ثم أصبح مسؤولا للحزب بالمنطقة الوسطى من فرنسا، مما مكنه من لقاء عدّة شخصيات وطنيّة منها بشير بومعزة. وفي شهر أوت 1952 أشرف على تنظيم وقيادة مظاهرة ضخمة– دون ترخيص– انتهت عند مقر ولايّة ليون، وهي أوّل مظاهرة يُرفع فيها العلم الجزائري في فرنسا وكان يحمله عاشور زيّان.

وفي منتصف 1952 عاد للوطن أين تم اعتقاله بتهمة وجود علاقة له بالمنظمة الخاصّة (L'OS)، ثم اعتقل عدّة مرات بعدها، وقبل اندلاع الثّورة التّقى ببسكرة بعضو مجموعة السّتة محمّد بوضياف في ظل الخلاف بينهم وبين مصالي الحاج، وقد أخبره بوضياف بفحوى الاجتماع القاضي بانطلاق الثّورة فجر الفاتح نوفمبر، فأكد له زيّان جاهزيته لكن اشترط أمرا مكتوبا من بن مهيدي وبن بولعيد، فوعده بوضياف بذلك لكن الأمر المكتوب لم يصله. ومنتصف ليلة الفاتح نوفمبر اعتُقل من بيته بأوّلاد جلال واقتيد إلى سجن الكديّة، أين التّقى هناك مصطفى بن بولعيد وعبد الرّحمن العقون ومحمّد طالبي ومحمّد بن العابد الجلالي ومحمّد العيد آل خليفة ومحمّد طالبي، وأُطلق سراحه يوم 10 أوت 1955.

حين عاد من سجن الكديّة، وللتخلص من مراقبة أجهزة المستعمر له، طلب ترخيصا من الإدارة يزعم الذهاب إلى فرنسا، وقد أشاع ذلك في المنطقة، باستثناء زوجته التي صارحها وخيرها بين الطّلاق أو انتظار عودته، وسافر إلى العاصمة أين نزل بفندق يقع قريبا من مسجد كتشاوة، ثم زار مقهى بساحة الشّهداء (التّسميّة الحاليّة) يؤمه أهل المنطقة السّاكنين بالعاصمة، فأشاع بين من التّقاهم إنّه مسافر لفرنسا، وقد طلب من أحدهم أن يطلب من صديق له بفرنسا أن يرسل رسالة لشقيقه بوزيد يخبره فيها أن زيّان وصل فرنسا وهو بخير، وهو ضرب من التّمويه تضليلا للعدو، ثم سار نحو الميناء ومنه تسلل راجعا للمنطقة، وفي طريق العودة زار عدّة مدن منها بوسعادة أين التّقى بعض أعيانها، وفيها التّقى أوعمران وسط سوق للتمويه على المستعمر والذي طلب منه دعم الثّورة في الشّمال بالجنود، ومن بوسعادة صعد إلى جبل بوكحيل، أين شرع في تنظيم وتدريب الجيش وكان قوامه 1000 مجاهد، وقد قام بتقسيم الصّحراء إلى دوائر ومراكز (دائرة أوّلاد جلال، دائرة بوسعادة، دائرة عين الملح، دائرة الجلفة، دائرة حاسي بحبح، دائرة الأغواط، سلسلة جبال بوكحيل، سلسلة جبال قيقع، جبل القعدّة الذي اتخذ منه قاعدّة له)، وكان يعمل بتنسيق وانسجام تامين مع سي الحواس.

في شهر فيفري 1956 وصل إلى الشّيخ زيّان استدعاء من مصطفى بن بولعيد الذي فرّ من سجن الكديّة، لحضور اجتماع شهر 22مارس19565 (الشّهير)، فاختار سي زيّان وفدا يمثل عروش المنطقة وذهب هناك، وقد استقبله بن بولعيد خارج مكان الاجتماع، وهناك قال قولته الشّهيرة «جاء الرّجل المحنك الذي نعول عليه في الصّحراء». بعدها عاد سي زيّان إلى إقامة رفاقه رفقة سي الحواس وعاد بن بولعيد إلى مقره، وبعد مدة حدث الانفجار المعروف (عمليّة المذياع) فعملوا ليلا على انتشال الجثث وفي النّهار

كان سي زيّان هو من ألقى الكلمة التّأبينيّة بعد دفن المرحوم بن بولعيد، حيث كانت خطبة بليغة ومؤثّرة جعلت الكثير من الحضور يعتقد أن سي زيّان هو من سيخلف سي مصطفى.

خاض جيش عاشور زيّان حوالي 18 هجوما وكمينا و9 معارك كبرى منها معركة وادي خلفون المشهورة يوم 07 نوفمبر 1956، معركة شاركت فيها قوّات العدو البريّة والجويّة، خسر فيها العدو الكثير من الجنود وتم تدمير عديد الآليات وإسقاط طائرة عسكريّة، وفيها التّحق "الشّيخ" بالرّفيق الأعلى رفقة سبعة من رفاقه (الصّادق سعودي، محمّد قرمي، الشّيخ جهرة، الجيلالي ثامر، سي العربي أوّلاد موسى، عبد الحميد سعيدان، عبد الرّحمن شخشوخ)، سقط شهيدا وهو يرتدي بذلة عسكريّة برتبة جنرال عليها نجمتان، وقد قام العدو بالتّمثيل بجثته وعرضها بالمدن ترهيبا للمواطنين لمنعهم من الالتّحاق بالثّورة أو مساندتها.

عمر عاشور

المصادر:

- الشّيخ زيّان عاشور-العالم الزّاهد والبطل المجاهد: عبد الكريم قذيفة. وزارة المجاهدين. الجزائر.2018.
- أوراق من دفتر الأحداث: العياشي دعدوعة. دار ريم. بيروت.ط1. 2012
- عمليّة البرتقال المر-عاشور زيّان المعول عليه في الصّحراء: محمّد الطّاهر بعيجي. دار كوكب العلوم. الجزائر.2019.
- CHEIKH ZIANE ACHOUR ET LES ZIANISTES: ABDELKADER HANI. EDITIONS DU NET. PARIS . 2017

■ عائشة حدّاد
(1355هـ - 1937م/1425هـ - 2005م)

فنانة تشكيليّة ومجاهدة. كانت واحدة من النّساء الجزائريات اللواتي حفرنَّ اسمهنَّ في الذاكرة الثّقافيّة والفنّيّة للجزائر بجرأة وعمق كبيرين نتيجة ما قدمته من أعمال فنيّة في أصعب الفنّون التّشكيليّة، وتركت بصمتها كعلم من أعلام الصّورة في الجزائر إلى جانب عمالقة الفنّ التّشكيلي الجزائري كـ (محمّد إيسياخم، وبايّة، والأخوين راسم، ومحمّد خدة، ونصر الدّين ديني) وغيرهم.

وُلدت (عائشة حدّاد) في ولايّة (برج بوعريريج) سنة (1937) تنحدر أصولها من منطقة المقراني (مجانة) التّاريخيّة، من عائلة ساهمت بدرجة كبيرة في تكوين شخصيتها الفنّيّة؛ حيث لم يحرمها والدها من الدّراسة في الوقت الذي كانت البيوت موصدة على النّساء والفتيات بين تقاليد باليّة مجحفة، وممارسات المستعمر الذي لا يستطيع دخول مدارسه إلا المحظوظين من الجزائريين المتفوقين، ولذلك كان والدها مثلما تذكر، متشددا معها حيال نتائجها الدّراسيّة، التي وُفقت فيها، وأبانت أثناءها عن ميولات مبكرة تجاه الرّسم؛ في تلك المنطقة الرّيفيّة التي كانت تقطنها، حيث



صرّحت في أحد حواراتها إنّها كانت تستلهم ألوان لوحاتها البسيطة التي كانت معلمتها تعلقها في القسم كتشجيع لها على مواصلة ممارسة هوايتها من ألوان الورود المنتشرة في محيطها، فاللون الخُبازي مرتبط بأزهار اللّيلَك المنتشرة في منطقة (عين السّلطان) - بلديّة مجانة- أما اللون القرمزي المتدرج فيرتبط بالورود الباذخة في منطقة (العناصر) أما اللون الأحمر فهو المترامي على أزهار الخشخاش بسهول (مجانة).

التحقت (عائشة حدّاد) بصفوف جيش التّحرير الوطني كممرّضة، وسنّها لم يتجاوز بعد السّابعة عشر (17)؛ لتكون بذلك من النّساء الأوائل اللواتي التّحقن بالثّورة التّحريريّة المجيدة. وأُلقي القبض عليها سنة (1956) إبان أحداث (مؤتمر الصّومام) الذي كانت إحدى المشاركات فيه، وبقيت في سجون الاحتلال الفرنسي لأكثر من أربع سنوات.

تطوّرت ميولاتها الفنّيّة وهي تكتشف الوطن في كل حالاته وبمختلف أشكاله، وهي تنتقل بين (برج بوعريريج وبجاية والجزائر العاصمة) لتجد نفسها واحدة من كبار الفنّانين التّشكيليين في الجزائر والعالم العربي، فأنجزت مجموعة من المنمنمات الممثلة لمختلف مناطق الجزائر، استوحتها من أعمال رائد فن المنمنمات الفنّان التّشكيلي (محمّد راسم) لإعجابها الكبير بأعماله الفنّيّة، وكانت أوّل مشاركة لها في مسابقة للفن التّصويري بالجزائر في (1971) حيث مكّنتها من الحصول على جائزة لتنخرط في السّنة المواليّة في (الاتحاد الوطني للفنون التّشكيليّة) وتشارك في

عـدّة معـارض شـخصيّة فـي الجزائـر وفـي العديـد مـن البلـدان الأخـرى فـي العالـم.

وكانـت عائشـة حـدّاد قـد انتقلـت بعـد الاسـتقلال إلـى مدينـة الجزائـر العاصمـة، لتلتحـق بعدهـا بـ(معهـد الفنّـون الجميلـة (la classe de Camille Leroy) بيـن عامـي (1966 و1988) كفنانـة تشـكيليّة، وذلـك مع مجموعة من الرّسـامين كـ (نجار حشماوي وبوردين وبلكحلـة وبن الشّـيخ) كما كانت تقدم دروسـا في الفنّون التّشكيليّة في الوقت نفسـه وأنجـزت مجموعـة مـن اللوحـات، موضوعاتهـا حـول البحـر الذي تعيـش بين أكنافـه فـي حـي (بـاب الـواد) المـؤدي إليه والصّحـراء الجزائريّـة التـي ظلـت مخـزن كل المتخيـلات بالنّسـبة لهـا، وخاصّـة بعـد جولاتهـا المتعـددة فـي بعـض المـدن الصّحراويّة الجزائريّة.

في عـام (1973) التّحقت (عائشـة حدّاد) بالاتحـاد الوطنـي للفنـون التّشـكيليّة، بعـد مشـاركتها في أوّل معرض للفنون التّشكيليّة سـنة (1972)ـ (جائـزة مدينـة الجزائـر) وفي سـنة (1975) أصبحـت عضوا فـي (الاتحاد العـام للرسـامين العرب) لتبـدأ بعدها رحلة طويلة مـن المعارض الجماعيّة والشّـخصيّة في مختلـف الأنمـاط والأشـكال التّعبيريّة؛ من "التّصويريّة" إلـى "الانطباعيّة" وصولا إلى "المنمنمات" و"النّحت".

تميّـزت أعمـال الفنّانـة بأصالتّهـا، وباسـتلهامها لمواضيعهـا مـن الطّبيعـة الجزائريّـة الخلابـة، كسـواحل (بجايـة) وواحـات (غردايـة) ورمـال الصّحـراء، التـي طبعتهـا (لا تخلـو منها لوحاتهـا، دون نسـيانها للتراث الجزائري الذي غرفت منه؛ فرسـمت محاربي الطّوارق، ونظرات النّساء القبائليـات، وغيرها من اللوحات التي بقيت شـاهدة علـى أصالة وتمايـز هذه المـرأة، ما مكنها من الفـوز بعديد الجوائز، لعل أهمها؛ الميداليّة الذهبيّة بالكويت سـنة (1975) التي يمنحها الاتحاد العام للرسامين العرب؛ كما حازت على (الجائزة الشّرفيّة للإبداع الفنّي) في الذكرى الخامسـة والعشرين للاستقلال سـنة (1985)؛ وتلقـت سـنة (1994ـ) دعـوة شـرفيّة مـن (اليابـان)، مـع نيلهـا فـي العـام الـذي بعـده (1995ـ) ميداليّـة مـن طـرف (منظمـة اليونيسـكو)، وغيرهـا مـن الجوائز والتّكريمات.

انعكسـت ممارسـة الفنّ التّشـكيلي على شـخصيّة (عائشـة حدّاد) الهادئة المتواضعة السّـعيدة سـعادة لا تقدّر بثمن اكتسـبتها كما تقول من قدرتها على (إيقاظ الملكات الفنّيّة لـدى التّلاميـذ) كما كانـت سـعيدة بانتمائها إلـى العائلة الفنّيّة وبصداقتها لإيقونة الرّسـم التّشكيلي الجزائري الفنّانة (بايّة).

توفّيـت (عائشـة حـدّاد) يـوم 24 فيفـري (2005)ـ بمدينـة الجزائـر العاصمة عن عمر ناهز 68 سـنة بعد صراع طويـل مع المرض، تاركـة وراءها كمّا هائلا مـن اللّوحات الفنّيّة التـي أرّخـت لمسـيرتها الفنّيّة طـوال نصف قـرن من الزّمـن، ما جعـل الدّولـة الجزائريّة تكرّمهـا بإطلاق اسـمها على بعـض المراكز الثّقافيّة سواء في العاصمة مثل (رواق عائشة حدّاد)أو في عـدد من الولايات، مـوازاةً مع إطلاق جائـزة كبرى تحمل اسـمها (الجائزة الكبرى عائشـة حدّاد للفن التّشكيلي) عرفانا لما قدمته هذه المرأة المناضلة للساحة الفنّيّة الجزائريّة

شـاركت في معارض وطنيّـة ودوليّة بدءا مـن أوّل معـرض لهـا سـنة (1972) بـرواق الأعمدة الأربعة بالجزائر العاصمة، وتوالتّ مشاركاتها تباعا وطنيا ودوليا مثل:

المعـرض الدّولي حول إيتيان ديني سـنة (1973) بالمركز الثّقافي الفرنسي

– رواق فـوروم الثّقافـة، (بـون، طوكيـو، القاهرة) سنة 1974.

– معرض النّساء المغاربيات سنة 1976.

– معـارض بالكويـت، جاكرتا، اسـطمبول، الجزائر، تونس سنة 1977.

– معرض برواق تريولي بباريس سنة1988.

– معرض أسـبوع الصّداقة الجزائر موسـكو 1986.

– معرض بقصر الثّقافة طرابلس 1991.

– معـرض فـي مهرجـان النّسـاء المبدعات للبحـر الأبيـض المتوسّـط، (اليونسـكو، الجزائر) سنة 1989.

– معارض مختلفـة بقصر الرّيـاس ومتحف البـاردو، ورواق سامسـونغ، ورواق محمّـد راسم سنة 2000.

– أقامـت معـارض فرديّـة كثيـرة: بالرّبـاط، بغـداد، سـفارة السّـويد، جامعـة التّكويـن المتواصـل، باريـس، غردايـة، الصّومـال، طوكيو وغيرها

تحصلت على جوائز كثيرة منها:

– جائزة مدينة الجزائر سنة1972.

– الميداليّة الذهبيّة الكويت، سنة 1975.

– الجائزة الشّـرفيّة للإبـداع الفنّـي، الجزائر 1987.

– الجائـزة الشّـرفيّة للمؤسّسـة اليابانيّة للفن التّشكيلي سنة 1994.

– ميداليّة الاستحقاق ليوم الفنّان سنة 1999. وغيرها

توجـد مجموعاتها التّشـكيليّة فـي أروقة عرض ومتاحف وطنيّة وأجنبيّة مختلفة، مثل المتحف الوطني للفنون الجميلة، والمتحف الوطنـي لبـاردو، وفي مقـر الفاو يونيسـيف طوكيو، وأطلق اسمها على مركب ثقافي يقع وسط مدينة (برج بوعريريج) مسقط رأسها، (المركـب الثّقافي عائشـة حـدّاد) الذي يعد معلمـا ثقافيا مـن معالم الثّقافة فـي الجزائر، حيث تقام فيه النّـدوات والملتقيات الوطنيّة والدّوليّة وفيه ورشـات للرّسم والموسيقى، ومكتبة ونشـاط دائم يؤرّخ لإحدى أيقونات الفنّ التّشكيلي الجزائري الأصيل.

آمنة بلّعلى

المصادر:

– حواراتها وسيرتها في موقع الشّروق، ومجلّة أصوات الشّمال، ومنتديات خنشلة الالكترونيّة.

–

عائشة عجوري (كلثوم)
(1334هـ - 1916م/1431هـ - 2010م)

كلثوم (اسمها الحقيقي عائشة عجوري) ممثلة مسرحيّة جزائريّة وُلدت في الرّابع أفريل 1916 بولايّة البليدة.

اكتشفها المسرحي محي الدّين بشطارزي سنة 1935، وضمّها إلى فرقته التي كانت تعاني من نقص فادح في العنصر النّسوي، فمنحها فرصة إبراز ما تمتلكه من قوى إبداعيّة، مما جعلها تشارك في كل الأعمال التي أنتجتها فرقته.

كانت لكلثوم تجارب مسرحيّة عديدة مع بشطارزي وقسنطيني وحبيب رضا كذلك، ومنذ ثلاثينات القرن الماضي، أصبحت الأدوار النّسائيّة الأساسيّة تنسب لكلثوم، سواءً تعلق الأمر بالتّمثيل الكوميدي أو التّراجيدي، وأوّل دور حقيقي تقمصته كان في مسرحيّة زواج بالهاتف لمحي الدّين بشطارزي رفقة رشيد قسنطيني.

تعرضت كلثوم لنوبة عصبيّة أبعدتها عن مسيرتها الفنيّة، وهو ما جعلها تمكث في بيتها ببولوغين منذ 30 ماي 1951، لكنها عادت إلى المسرح ثانيّة سنة 1952، بدعم من بشطارزي وأعضاء فرقته، حيث قامت بدور ديدمونة في مسرحيّة عطيل التي استلهمها أحمد توفيق المدني عن المسرحيّة الشّهيرة لويليام شكسبير.

سنة 1956 توقفت كلثوم عن نشاطاتها الفنيّة، الا أنها عادت إلى المسرح الوطني الجزائري سنة 1963، وظلّت تنشط فيه إلى غايّة تقاعدها.

شاركت كلثوم صدفة في فيلم ألماني سنة 1945، لكن مشوارها السّينمائي لم يبدأ إلا بعد 21 سنة من مشاركتها في هذا الفيلم، أي عام 1966 من خلال حضورها القوي والخالدّ في فيلم ريح الأوراس للمخرج محمد لخضر حمينة، والذي جسدت فيه وبإتّقان



دور الأم التي كانت تبحث بدون كلّل أو ملّل عن ابنها الذي أخذته الجيوش العسكريّة الفرنسيّة، ومعاناتها بعد استشهاد زوجها في قصف جوي لمنزل العائلة بمنطقة "الأوراس"، لتموت لاحقا عند السّلك الشّائك الذي يحيط بمكان اعتقال ابنها عندما كانت تحاول الاقتراب منه، وهو الفيلم الذي تمكنت فيه الفنانة باحترافيّة كبيرة من رسم معاناة المرأة ولا سيما الأم الجزائريّة أثناء سنوات الاحتلال الفرنسي.

شاركت كلثوم في مسرحيات أبناء القصبة، حسان طيرو، الحياة حلم، بنادق أم كرار، وردة حمراء من أجلي، إضافة إلى: السّلطان الحائر، ديوان القراقوز، الرّيح، احمرار الفجر، البوابون، العاقرة، سكة السّلامة، المتعصبون، عفريت وهفّوه، موت التّاجر المتجول، وبيت برناردا آلبا.

شاركت كلثوم في فيلم حسان طيرو لمحمد لخضر حمينة 1968، كما شاركت في أكثر من سبعين مسرحيّة وما يزيد عن عشرين فيلما، وسجّلت خمس أسطوانات غنائيّة في الأربعينات والخمسينات، على غرار يا أولاد العربان وعهد اثنين وغيرها، لكنها توقفت عن الغناء بعد إنجابها مولوداً سنة 1954.

توقفت كلثوم سنة 1981 عن التّمثيل، إلى أن دعتها المخرجة المسرحيّة فوزيّة آيت الحاج سنة 1987 للمشاركة في عرض موت المسافر، لكن الإعلان عن تقاعدها ترسّم ثمانيّة أيام فقط قبل العرض الشّرفي لهذه المسرحيّة، وكان هذا القرار بمثابة صدمة قويّة بالنّسبة لها، وهي التي عاشت في المسرح أكثر من نصف قرن، بينما لم تعش مع عائلتها سوى 13 سنة.

وسيبقى التّاريخ يحتفظ بأنّ كلثوم كانت أوّل امرأة عربيّة تصل الى مهرجان كان، حيث مشت على بساطه الأحمر عام 1967.

وتصدرت بطولة مسرحيّة دار برناردا لبالعلال المحبّ عام 1989 وكان آخر ظهور لـ كلثوم إلى جانب رويشد في البوابون سنة 1991، لتتوفى في 12 نوفمبر 2010.

سناء رمضاني

المصادر:

- موقع المسرح الوطني الجزائري tna.dz

■ عائشة غطّاس
(1375هـ - 1955م/ 1432 هـ - 2011م)

وُلدت الأستاذةُ عائشة غطّاس في يوم 20 ديسمبر1955 بالبرواكيّة ولايّة المديّة، زاولت دراستها الأولى بمسقط رأسها، ثمَّ انتقلت إلى ثانويّة اِبن شنب بمدينة المديّة، نالت شهادة البكالوريا شعبة الآداب، التحقت بجامعة الجزائر قسم التّاريخ، أين تحصّلت على شهادة اللّيسانس سنة 1979مُتصدِّرةً الدُّفعة، ممَّا أهَّلها للتَّسجيل في الماجستير برسالة حملت عنوان: العلاقات الجزائريّة الفرنسيّة خلال القرنِ السَّابع عشر 1619 – 1694، ثمَّ طروحة للدُّكتوراه موسومة: الحرفُ والحرفيِّين في مدينةِ الجزائر 1710 – 1830، مقاربةٌ اِجتماعيّة واِقتصاديّة ناقشتها سنة 2002.

اِلتحقت عائشة غطّاس بالجامعة الجزائريّة أستاذة في قسمِ التّاريخ، تَخصّص: تاريخ الجزائر العُثماني، وفي سنة 2008 تمَّ ترقيَتُها إلى درجة أستاذة التّعليم العالي.

بالإضافة إلى التّدريس بجامعة الجزائر غطّت الأستاذة غطّاس موادّ تخصّصها في جامعات وطنيّة أخرى مثل جامعة غردايّة، وجامعة أدرار، فأصبح لها طلّاب ينيرون خارطةَ الوطن، وهي تُحسن الفرنسيّة، والتُّركيّة، والإنجليزيّة.

وبالإضافة إلى رسالتيها في الماجيستير والدُّكتوراه، فقد ترأّست العديدَ من فرقِ البحثِ بجامعة الجزائر، وكتبت بُحوثاً عميقةً، وألّفت كتباً عن المجتمع الجزائري في العهدِ العُثماني تناولت حياة السّاكنة بصفةٍ عامّة.

من مقالاتِها:

– الوضعُ الصّحي بالجزائر خلال العهد العُثماني، مجلّة الثّقافة، ع75، 1983

– أوّل حلقة في العلاقات الجزائريّة – الدّنماركيّة: معاهدة 1746، مجلّة الدّراسات التّاريخيّة .1987

– التُّجار الجزائريُّون من 1830 – 1886 من خلال وثائق القنصليّة الفرنسيّة، المجلّة التّاريخيّة المغربيّة، ع61 – 62، 1991

– إسهام المرأة في الأوقاف بمجتمع مدينة الجزائر، المجلّة التاريخيّة المغربيّة، ع 86، 1997

– سجّلات المحاكم الشّرعيّة وأهميتها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي مثال مدينة الجزائر، مجلّة إنسانيات، ع3، 1997

– القضاةُ الأحناف بمدينة الجزائر 1850 – 1560، المجلة العربيّة للدراسات العثمانيّة، ع17 18 1998

– الصّداقُ بمجتمع مدينة الجزائر 1854 – 1672 من خلال وثائق المحاكم الشرعيّة، مجلة إنسانيات، ع4، 1998

– تجّار مغاربة بمدينة الجزائر إبّان العهد العثماني من خلال وثائق القنصليّة الفرنسيّة 1930 1686–.

– دراساتٌ وشهاداتٌ مُهداة إلى الدُّكتور سعد االله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000

– المرأةُ بمدينة الجزائر إبّان العهد العثماني: مقاربة اِقتصاديّة اِجتماعيّة، المملكة المغربيّة، 1998

– نظرةُ أسير إنكليزي للجزائر إبّان النِّصف الأوّل من القرن السّابع عشر، أعمال المؤتمر الثّاني للحوارِ البريطاني المَغاربي، منشورات مؤسّسة التّميمي للبحث العلمي والمعلوماتي، تونس، 2003.

– من أجل إعادة النّظر في البنيّة الدّيموغرافيّة، مجلّة إنسانيات، ع19 – 20، 2003

– اليهودُ ودورُهم بين الضِّفتين الشّماليّة والجنوبيّة في مرآة الذّاكرة –، مرسيليا –الجزائر، باريس 2003

– الوثائقُ المحليّة وأهميّتها في كتابة التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي – مثال مدينة الجزائر إبّان العهد العثماني –، العثمانيّون في المغارب، مرّاكش، 2003

من كتبها:

– ممتلكاتُ المرأة بمجتمع مدينةِ الجزائر إبّان العهد العُثماني – مركز المطبوعات الجامعيّة، تونس

– تاريخ النِّساء في بلاد المغربِ –الثّقافة الماديّة والحياة اليوميّة، جمع وتقديم دالندة الأرقش، مركز المطبوعات الجامعيّة، تونس .

تركت المرحومة مكتبةً تضمّ 1500 كتاباً، أهدتها شقيقتُها لمكتبة جامعة الجزائر حتّى يستفيدَ منها الطّلبةُ والباحثون.

أُغتيلت بشقّتها في 11 ماي2011 بالجزائر العاصمة، من قبل سارقٍ لم يأخذْ إلّا حاسوبَها ومذكّرتها وبعضَ أوراقها المكتوبة، رحمها اللهُ.

كلمةُ المؤرّخ الجزائري أبو القاسم سعد الله يوم تَأبينها: «لقد فقدتك الأسرة الأكاديميّة وخسرتك الجامعة والبحث العلمي، فمن سيعوّضك في طلب العلم وإتقان العمل والحرص على مستوى الطّلبة، حتّى لا يتدنّى بهم المتدنّون ويعبث بهم .

كنت طالبة في أعلى طراز في الأخلاق والانضباطِ والاجتهادِ والتّفوّقِ، وكنت ابنةَ البرواقيّة الأصيلة، وحفيدة الكرام البررة، كنت ابنةَ الجزائر الّتي لم تسقط في أوهامِ الحضَارة في منابعها. كنت تشاركين في المؤتمرات واللّقاءات العلميّة، ثم تَعودين إلى وطنِك الدّافئ كعصفورة غدت تبحثُ عن غذاء، وعادت إلى عُشِّها مملوءة الوطابِ ممّا اختارته.

من لنا بعدك بمثلك ممّن يؤثرون على أنفسهم ويسهرون على تخريجِ طلبة أقوياء مؤهّلين لشقّ طريق البحث العلمي، في حين راجت بضائع الانتهازيين والوصوليين من لهؤلاء الطّلبة الأيتام، وقد غِبت عنهم وخلا منك الميدانُ قبل الأوان مكرهة، ولعلمهم سيجدون زعانف ومبتذلين، ولكنّهم لن يجدوا مثلك في تقديم النّصح وتقويم العوج والانقطاع للبحث والكتابة والمنافسِة على التفوّق البريء».

لقد غادرت ساحتَنا مبكّرة يا دكتورة غطّاس، بعد أن عرفناك طالبة وأستاذة ومُناقشة للرّسائل الجامعيّة، غادرتنا في أوجّ الرّبيع الّذي تَبكيك أزهارُه وعصافيرُه وشبابُه. غادرتنا وأنت في قمّة العطاء العلمي رغم أدوات الصّحة من الحساسيّة وغيرها.

حصلت عائشة غطاس على الليسانس في التّاريخ من جامعة الجزائر، والماجستير منها أيضا بإشراف الدكتور مولاي بلحميسي، والدكتوراه بإشراف ناصر الدين سعيدوني من جامعة الجزائر أيضا. وكان إطار تخصُّصها الزمني هو العهد العثماني، والعلمي هو الحياة الاجتماعيّة، ولاسيَّما حياة المرأة وتطوّر المجتمع، وكان موضوع رسالتها للدّكتوراه هو الحرفيّون في مجتمع الجزائر خلال العهد العثماني.

بالإضافة إلى التّدريس بجامعة الجزائر غطّت الأستاذة غطّاس مواد تخصّصها في جامعات وطنيّة أخرى مثل جامعة غردايّة وجامعة أدرار، فأصبح لها تلاميذ وطلاب ينيرون خارطة الوطن، وكانت تحتمل مشقة السفر وعدم تناسب المكافأة مع الجهد الذي تبذله. وهي تحسن العربيّة والفرنسيّة وتطالع التركيّة والإنجليزيّة، وهي تستفيد من هذه اللغات في أبحاثها فتأتي غنيّة بالمعلومات والآراء.

كتبت الأستاذة غطاس بحوثا عميقة وألفت كتبا عن المجتمع الجزائري في العهد العثماني: نقاباته وأمناؤه، وحياة البرّانيّة وإنتاجهم وحرفهم، وحياة العلماء والمتصوّفة في الجزائر العثمانيّة، وأنواع وأسباب الأمراض والأوبئة التي نهشت المجتمع، والحجر الصحي والمستشفيات، كما وجّهت بعض الطلبة إلى دراسة دور المرأة وانشغالاتها بزينتها كالألبسة والحلي والكحل والبخور والحمام. ووجّهت آخرين إلى دراسة المجلس العلمي كمجلس الفتوى، وركب الحج، ودُور الوقف، وكذلك الأحوال الشخصيّة كالزواج والطلاق والميراث والمذاهب الفقهيّة.

لقد شاركتها في مناقشة بعض الطلبة الذين تُشرف عليهم وغيرهم. فكانت صارمة وعادلة وحريصة على سمعة الجامعة وسمعتها العلميّة.

وقد أسعفني الحظ حين طلبت مني تصدير أحد كتبها وهو "مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، الذي يعالج كثيرا من القضايا التي ذكرتها، وما يزال حسب علمي لم يطبع، ولكنني طبعت التصدير في كتابي "حبر على ورق"، الذي هو الآن تحت الطبع.

رأيت للدُّكتورة غطَّاس بحوثا في مجالات جزائريّة وأجنبيّة، وقدّمت بعض بحوثها في مؤتمرات علميّة في الجزائر وتونس والمغرب وفرنسا واسطنبول، وأسهمت ببحث جيّد عن أوجاق الجزائر في الكتاب المرجع لتاريخ الأمَّة العربيّة الَّذي كنت أشرف عليه بتكليف من الأليسكو (المنظَّمة العربيّة للتَّربيّة والعلوم والثَّقافة).

رحمك الله يا عائشة، لقد فقدتُ فيك إحدى بناتي وتلميذاتي، وإحدى زميلاتي، وكنت قبل اليوم لا تطلبين منِّي سوى النَّصيحة، وها أنتِ اليوم لا تستحقين منِّي إلَّا كلمة وفاء ودمعة أسىً». أبو القاسم سعد الله 12- مايو2011

عبد النّاصر بوعلي

المصادر:

- إبراهيم سَعيود، الدُّكتوراة عائشة غطّاس كما عرفتُها،جريدة الشُّروق اليومي، ليوم الأحد 15 ماي 2011.
- *فوزيّة لزغم، عائشة غطَّاس وكتابها الحرف والحرفيون في الجزائر 1700 – 1830 مقال في مجلَّة عصور الجديدة، العدد 4 المجلد 4 ص: 245.

عباس بن حمانة
(1294هـ - 1878م/1332هـ - 1914م)

هو من مواليد مسكيانة بين تبسة وعين البيضاء شمال شرق الجزائر وذلك سنة 1878 في مرحلة تاريخيّة عصيبة من تاريخ الجزائر. اشتغل بالزراعة والتجارة، ولكنه بالموازاة مع ذلك كان من أعلام مدينة تبسة في الجانب السّياسيّ والاجتماعي ومن نخبتها المتنوّرة، ذا ثقافة مزدوجة عربيّة وفرنسيّة، لم يظهر على المسرح السّياسي قبل فرض التجنيد، وقد كان عالما بالأحوال السّياسيّة وداهيّة، ومعارضا لكل مشاريع فرنسا الاستعماريّة في الجزائر ومن بينها التجنيد الإجباري حيث طالب بإلغائه كليّة.

له علاقات وطيدة بالنخبة السّياسيّة في تبسة، من معمرين فرنسيين ومفرنسين جزائريين، وكان يسعى في صالح الأهالي بكل الوسائل الممكنة، كما له علاقات وطيدة بسليمان الباروني باشا المجاهد الليبي، حيث كان ضمن النشيطين في جمع المساعدات لليبيين في حربهم ضد الطّليان. له مراسلات مع زعماء المعارضين التونسيين خاصة عبد العزيز الثعالبي. ويذكر مالك بن نبي أن عباس بن حمانة اتجه مع محمد بن رحال إلى باريس في وفد واحد للاحتجاج ضد التجنيد.

كان يقوم بنشاطات تهدد المصالح الاستعماريّة، وبالتّالي فلا يستبعد أن يكون للاستعمار يدّ في اغتياله وذلك عند قرب اندلاع الحرب العالميّة، فاغتياله حدث قبيل وقوعها. ولعلّ الاستعمار خشي منه إذا بقي طليقا مع تفاقم الأحداث الدوليّة. يقول عنه مالك بن نبي ـ كشاهد على هذه الشّخصيّة إنّه: «من روّاد الفكرة الوطنيّة في شرق البلاد مع رائد آخر في غربها هو سي بن رحال (...) وهو أوّل جزائريّ سعى لإحياء اللغة العربيّة فأسّس من أجل ذلك بتبسة أوّل مدرسة عرفتها الجزائر». حيث يصور مالك بن نبي في مذكراته المكانة والسّمعة الكبيرة التي كان يحظى بها بن حمانة بين الأهالي في المنطقة بفضل أعماله الفذة.

كان تأسيسه لأوّل مدرسة عصريّة لتعليم اللّغة العربيّة في الجزائر سنة 1913 بدعم من بعض رفقائه وعلى رأسهم الحاج عمر العنق وأخوه الحاج بكير وهما من تجار بني مزاب في مدينة تبسة، بالإضافة إلى المدرِّس الأستاذ المكي بن علي وهو من وجهاء القوم في مدينة تبسة، وذلك في إطار الجمعيّة التي أسّسها والتي تحمل اسم (الجمعيّة الصديقيّة الخيريّة للتربيّة الإسلاميّة والتعليم العربي والإصلاح الاجتماعي).

يذكر المؤرّخ محمد علي دبوز أنّ المدرسة الصديقيّة ونقلا عن أحد مؤسّسيها الشّيخ الحاج بكير العنق، وأحد تلامذتها السّيد الصديق السّعدي، ونقلا كذلك عن صحيفة (الصديق) بأنها: "كانت تحتوي على مكتبة وصيدليّة ومطبخ، وبكونها ذات أربعة طوابق تبرع بها للجمعيّة السّيد الحاج بكير بن عمر المرموري" وهو كذلك من تجار بني مزاب في تبسة. وأما عن منهاجها التعليمي فكان يشمل مواد القرآن والتربيّة

الإسلاميّة والأخلاق والتاريخ الإسلامي بما فيه تاريخ الجزائر وكذا الجغرافيا والمواد الرياضيّة إلى جانب الرياضة البدنيّة واللّغة الفرنسيّة، ومدة الدراسة المقرّرة في المدرسة ثماني سنوات، ومن حقّ التلاميذ القادمين من خارج تبسة الاستفادة من الإقامة الداخليّة فيها مقابل مبلغ مالي بسيط. لكن إدارة الاحتلال أغلقت المدرسة بعد ستة أشهر من فتحها. وبعد غلق المدرسة، ثم نكبة اغتيال عباس بن حمانة تمّ نقل التّلاميذ إلى أحضان الزيتونة بتونس، تحت إشراف الشّيخ ابراهيم أبي اليقظان.

ممّا ساعد في تشكيل شخصيّة عباس بن حمانة السّياسيّة اطلاعه الواسع على قضايا العالم الإسلامي وقضايا مناهضة الاستعمار، والدفاع عن حقوق الإنسان، وحقوق المسلمين الجزائريين المُستَعمرين.

أُغتيل في 16 جويليّة 1914، وكان اغتياله بضربة حديد على رأسه، فزع لها الجزائريون في مختلف نواحي البلاد، وبمختلف انتماءاتهم السّياسيّة، فبالرغم من أنه كان منافسا للنخبة المفرنسة إلا أن جريدة (Islam) – إحدى جرائد هذه النخبة– تأثرت لاغتياله تأثرا كبيرا، حيث قالت عنه ما يلي: "إنه صديق العدالة ومناصرها، والمدافع الدؤوب عن الحق وعن الضعفاء والمضطهدين (...) إنها جريمة (...) لقد قتل بالحديد كالبطل في المعركة (...) سيترك مكانه شاغرا في تبسة وذلك شعور كل الناس بها. إنه ثأر سياسي فظيع (...) ولذلك نقدم تعازينا الخالصة لعائلته وأولاده البؤساء".

ولعلّ من أسباب اغتيال عباس بن حمانة هو المساعي الحثيثة التي قام بها بعد إغلاق الإدارة الفرنسيّة لمدرسة (الصديقيّة) وحلّها للجمعيّة المسيّرة لها، حيث قام رفقة زملائه برفع القضيّة إلى البرلمان الفرنسي، حيث أكدت جريدة الصديق ما يلي: "آل الأمر إلى طرح المسألة على بساط البحث والمناقشة في مجلس النواب الفرنسي، وقد استمالت (...) كثيرا من الأعضاء الفرنسيين المنصفين في البرلمان، فازداد حنق الإدارة الاستعماريّة على عباس بن حمانة الذي يفضحها ويتجرأ عليها، فكان لابد من إزالته قبل أن يستميل قلوبا أخرى في البرلمان الفرنسي".

وتبقى هذه الشّخصيّة من الشّخصيات المغمورة التي تحتاج إلى تعريف أكثر بنضالها الوطني.

ناصر بالحاج

المصادر:

- بالحاج ناصر، مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة– الجزائر، 2006.
- سعد الله، الحركة الوطنيّة الجزائريّة، الطّبعة 04، الجزء 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان،1992.
- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطّفل) ترجمة مروان القنواتي، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطّبعة 01, 1969.
- (La Direction, «L'assassinat de si Abbès ben Hammana», L'Islam, N. 201, Samedi 18 Juillet 1914.)

■ عبّاس فرحات
(1316هـ - 1899م/1405هـ - 1985م)

فرحات عبّاس سياسي ومجاهد جزائري تزعم الفكر الليبيرالي في الجزائر طوال حياته.

ولد عام 1899 بقريّة الطّاهير ولايّة جيجل، والده السّعيد بن أحمد عبّاس قائد المنطقة، كانت أسرته ثريّة قبل أن يطرد جده من أرضه إثر مشاركته في الثّورة ضد حملة سانت آرنو سنة 1852، ثم ثورة المقراني ليتحول إلى مجرد فلاح بسيط، وحتى لا يسجل اسمه الحقيقي وهو بن داودي في السّجلات الفرنسيّة سجل باسم عبّاس تيمنا بشيخ المنطقة عبّاس.

مؤسّس الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري، عضو جبهة التّحرير الوطني إبان الثّورة، تمّ انتخابه عند استقلال الجزائر



أوّل رئيسا للمجلس الوطني التّأسيسي في 25 سبتمبر 1962، تربّى فرحات عبّاس في أسرة كثيرة العدد ومحافظة تتكون من اثني عشر فردا، سبع بنات وخمسة ذكور، وقد شكلت الجدة والجد حجر الأساس في بناء هرم الأسرة، وهم من وسط فلاحي متوسّط الحال، وكان جد فرحات عبّاس الذي شارك في ثورة المقراني، رفقة قبيلة بني عمران قد تعرض هو الآخر كغيره من الجزائريين إلى مصادرة أملاكه وأراضيه الزّراعيّة.

تحوّل بعدها إلى فلاّح صغير ومعدوم، لكن مع مرور الوقت استطاع أن ينتقل من وضعه كفلاح معدوم الحال إلى تاجر محترم له مكانة اجتماعيّة محترمة بمنطقة الشّحنة، وكان له ذلك بعد تعرّفه على أحد المعمّرين الذي كان يدعى المستشار العام لمدينة جيجل، الذي اشترك معه في تجارة المواشي ممّا مكّن أب فرحات عبّاس من شراء أراض زراعيّة وتأجير أخرى في منطقة الطّاهير، كما ارتقى في السّلم الاجتماعي حتى أصبح (قايد) في دوار بني عافر.

يفتخر فرحات عبّاس بسلالاته التي يقول عنها: (إنّها، من أصول عربيّة وإنّها من بلاد الرّافدين، وأن أجدادي عبّاسين، اعتزازي بالعروبة والإسلام طبع طيلة مشواري السّياسي والنّضالي وتجسد ذلك من خلال المطالب والعرائض التي كنت أقدّمها للسلطات الاستعمّاريّة).

الحديث عن التّماسك الدّيني دفع العائلة لإدخال أبنائها إلى المدارس القرآنيّة أو الكّتاب، وكان فرحات عبّاس من هؤلاء الأبناء حيث التّحق بالمدرسة القرآنيّة وهو في الثّامنة لتلقي مبادئ القرآن، وذلك للتحصين والمحافظة على القيم الإسلاميّة خوفا من الذوبان في دين الغزاة. تردّد فرحات عبّاس على الكتاب لفترة محدودة غير أنّها كانت مفيدة تركت بصماتها الواضحة في فكر الطّفل، حيث تعلم في المدرسة القرآنيّة مبادئ اللغة العربيّة وتميز بين أترابه في تلك الفترة بسرعة الحفظ والبديهة.

زاول فرحات عبّاس تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، والثّانوي في مدينة سكيكدة، وقام بالخدمة العسكريّة بين عامي 1921 و1923، ثم انتقل للعاصمة لإكمال تعليمه الجامعي وتخرّج بشهادة عليا في الصّيدلة عام 1931، فتح صيدليّة في سطيف سنة 1932. وكان خلال فترته الطّلابيّة نشطا، حيث ترأّس جمعيّة طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر من 1927 إلى 1931، بعد أن كان نائب رئيس الجمعيّة بين عامي 1926 – 1927م، وفي عام 1930 أصدر مجموعة مقالاته الصّحفيّة في كتيب عنوانه «الشّاب الجزائري»، وفيه عبّر عن أفكاره الإصلاحيّة والتّجديديّة، كما كانت ثقافته فرنسيّة ولم يتحدث العربيّة قط.

عرف فرحات عبّاس بانفتاحه السّياسي والفكري، حيث تحوّل خلال حياته السّياسيّة التي تمتد على أكثر من 30 سنة، من فكرة الاندماج إلى الفكرة الاستقلاليّة، ومن الإصلاحيّة إلى الثّوريّة.

في عام 1936 كتب في جريدة الوفاق الفرنسيّة مقالا شهيرا تحت عنوان (فرنسا هي أنا)، أكّد فيه دعوته إلى الاندماج مع فرنسا، مستنكرا وجود الأمّة الجزائريّة، حيث قال: «لو كنت قد اكتشفت أمة جزائريّة لكنت وطنيا ولم أخجل من جريمتي، فلن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن غير موجود، لقد بحثت عنه في التّاريخ فلم أجده وسألتّ عنه الأحياء والأموات وزرت المقابر دون جدوى».

قبل ذلك انضم إلى فيدراليّة النّواب المسلمين الجزائريين التي أسسها الدّكتور بن جلول عام 1930، والتي كانت تهدف إلى جعل الجزائر مقاطعة فرنسيّة، وخلال الحرب العالميّة الثّانيّة ودخول الجيش الأمريكي الجزائر في 8 نوفمبر 1942، اتّصل فرحات عبّاس بروبرت ميرفي، المبعوث الشّخصي للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت إلى شمال أفريقيا ليطلب منه تقرير مصير المنطقة بعد الحرب.

في 20 نوفمبر 1942، أرسل فرحات عبّاس ومجموعة من الجزائريين برسالة إلى قوّات الحلفاء يرحّبون بهم ويعرضون (باسم شعب الجزائر القيام بتضحيات بشريّة وماديّة، بشروط، لدعم الحلفاء حتى يتحقق النّصر الكامل على دول المحور). بتاريخ 22 ديسمبر 1942 وجّه فرحات رسالة إلى السّلطات الفرنسيّة وإلى الحلفاء طالب فيها بإدخال إصلاحات جذريّة على الأوضاع العامّة التي يعيشها الشّعب الجزائري، وصياغة دستور جديد للجزائر، ضمن الاتحاد الفرنسي.

أصدر في فيفري 1943 بيان الشّعب الجزائري وأعلن في مارس 1944 عن تأسيس حركة أحباب البيان والحريّة، بهدف الدّعايّة لفكرة الأمّة الجزائريّة، وإثر مجازر 8 ماي 1945 حل حزبه وألقي القبض عليه ولم يطلق سراحه إلا في عام 1946 بعد صدور قانون العفو العام على المساجين السّياسيين، حيث أسّس بعد ذلك حزب الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري، وأصدر نداء أدان فيه بشدة ما اقترفته فرنسا من مجازر رهيبة في 8 ماي 1945، وعبّر فيه عن أهداف ومبادئ حزبه التي لخّصها في «تكوين دولة جزائريّة مستقلة داخل الاتحاد».

بعد أن اندلعت الثّورة الجزائريّة في 1 نوفمبر 1954، كتب فرحات عبّاس في صحيفة الجمهوريّة العدد 46 بتاريخ 12 نوفمبر 1954: «إن موقفنا واضح ومن دون أي التّباس، إنّنا سنبقى مقتنعين بأن العنف لا يساوي شيئا». ولكنّه ما لبث أن غيّر موقفه تماما، إذ قام في أفريل 1956 بحلّ حزبه وانضم إلى صفوف حزب جبهة التّحرير الوطني وكان قبل ذلك قد توجه إلى القاهرة ليلتقي بقادة الثّورة ومن بينهم أحمد بن بلة، وفي صائفة 1956 قام بجولة دعائيّة للثورة الجزائريّة، في أقطار أمريكا اللاتينيّة، كما زار عدّة عواصم عالميّة أخرى، من بينها بيكين وموسكو عام 1960.

بعد مؤتمر الصّومام عين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائريّة، وقاد وفد الجزائر في مؤتمر طنجة المنعقد بين 27 و30 أفريل 1958 الذي حضرته القيادات المغاربيّة، ثم عين رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهوريّة الجزائريّة في 19 سبتمبر 1958 واستمرّ على رأسها إلى أوت 1961 ليحل محله بن يوسف بن خدة، بعد أن اشتدّت خلافاته مع القيادة العامّة لجيش التّحرير، وبعد حصول الجزائر على الاستقلال انتظمت يوم 26 سبتمبر انتخابات المجلس الوطني، نجح فيها فرحات عبّاس، وانتخب رئيسا للمجلس، غير أنّه ما لبث أن قدم استقالتّه في 13 سبتمبر 1963 نتيجة خلافه مع بن بلة حول السّياسة المتبعة، فسجن بأدرار بالجنوب الجزائري ولم يطلق سراحه إلا في شهر ماي 1965.

انسحب من الحياة السّياسيّة، لكنّه ما لبث أن أمضى في مارس 1976 على (نداء إلى الشّعب الجزائري)، منددّا بالحكم الفردي وبالميثاق الوطني الذي صاغه الرّئيس الرّاحل هواري بومدين. وضع تحت الإقامة الجبريّة إلى 13 جوان 1978، توفّي في 24 ديسمبر 1985 بالجزائر، ودفن بمقبرة العاليّة.

باديس فوغالي

المصادر:
- الموقع الحكومي لمجاهدي الثّورة
- يوميّة الشّعب 12/ 09/ 2016

■ عباس لـغرور
(1344هـ - 1926م/1376هـ - 1957م)

ولـد عبـاس الغـرور فـي اليـوم الثالـث والعشـرين (23) مـن شـهر جـوان مـن سـنة 1926 بـدوار مسـيغة (خنشـلة)، ينتمـي إلـى أسـرة فقيـرة معدمـة، دخـل المدرسـة الفرنسـيّة واسـتطاع الحصـول علـى الشّـهادة الابتدائيـة، بعدهـا توجـه إلـى الحيـاة العمليّـة حيـث عمـل كطبـاخ لـدى حاكـم المدينـة، وكان ذلـك عـام 1948.

انضـم الشّـهيد مبكـرا إلـى الحركـة الوطنيّـة (حـزب الشّـعب الجزائـري) وكان ذلـك عـام 1946، وكان ينشـط مـع المناضـل إبراهيـم حشـاني المسـؤول الجهـوي لمنطقـة الأوراس، وقـد شـك فـي أمـره صاحـب العمـل عندمـا شـوهد مـع هـذا الأخيـر فـي أحـد الأسـواق ولـذا طـرد مـن العمـل فلجـأ عبـاس إلـى فتـح دكان للخضـر والفواكـه فـي السّـوق العامـة للمدينـة، وهـذا لتمويـه الاسـتعمار عـن نشـاطه الحقيقـي، ولقـد أصبـح هـذا الـدكان مكانـا يلتقـي فيـه مناضلـو الحـزب لعقـد اجتماعاتهـم السّـريّة ومـن أمثـال هـؤلاء نذكـر : شـيهاني بشـير، مسـؤول حركـة الانتصـار للحريـات الديموقراطيّـة علـى مسـتوى باتنـة. ونظـرا للميـزات التـي كان يتميـز بهـا الشّـهيد فقـد أوكلـت لـه مسـؤوليّة الإشـراف علـى قسـمة الحـزب بخنشـلة. وأهـم مـا قـام بـه نذكـر :

تنظيـم مظاهـرة احتجاجيّـة عـام 1951 ضمـت شـريحة مـن شـبان المدينـة، وكان هـذا تنديـدا بالوضعيّـة المأسـاويّة التـي كان يعانـي منهـا الشّـعب الجزائـري ومـن أهـم المطالـب التـي كان يسـعى إليهـا المتظاهـرون: القضـاء علـى البطالـة وتوفيـر الخبـز، وقـد سـلمت



هـذه المطالـب للسـلطات الفرنسـيّة التـي قامـت علـى إثرهـا بإلقـاء القبـض علـى عبـاس لغـرور وبعـض رفقائـه، وبقـي فـي السّـجن مـدة 3 أيـام، تعـرّض خلالهـا إلـى تعذيـب وحشـي ممـا أدى بـه إلـى الإصابـة بمـرض صـدري جعلـه ينتقـل إلـى باتنـة للعـلاج وقـد تكفـل حـزب حركـة الانتصـار بجميـع نفقـات علاجـه. وبعـد أن تماثـل للشـفاء عـاد إلـى خنشـلة ليواصـل نشـاطه السّـري داخـل الحـزب. وبرفقـة الشّـهيد مصطفـى بـن بولعيـد وعجـول عجـول وقريـن بلقاسـم سـاهم عبـاس لغـرور بالتحضيـر للثـورة فـي منطقـة الأوراس. وقـد أشـرف علـى الأفـواج التـي أوكلـت لهـا مهمـة شـن الهجومـات ليلـة أول نوفمبـر 1954.

منـذ اللحظـات الأولـى للثـورة المسـلحة برهـن عبـاس لغـرور علـى حنكتـه وشـجاعته وقدرتـه علـى القيـادة والمنـاورة وإلحـاق الهزيمـة بالعـدو.

مـن أهـم المعـارك التـي شـارك فيهـا أثنـاء الثـورة نذكـر:

- معركـة الجـرف الشّـهيرة التـي دامـت 3 أيـام يـوم 22/ 23/ 24 سـبتمبر 1955 .
- معركة الزاويّة الشّهيرة بشرشار.
- معركة تفسور (شاشار 1955).
- معركـة البياضـة (اسـتمرت 24 سـاعة كاملـة).
- كميـن كنتيـس مـراح البـارود (أكتوبـر 1956).

إن عبـاس لغـرور صنعتـه المعانـاة والظلـم الـذي عاشـه، مثـل طـرده مـن المدرسـة، ومجـازر 8 مـاي وسـجنه وتعذيبـه والكثيـر مـن الأحـداث التـي عاشـها جعلـت منـه شـخصا ينضـج ويصبـح جنديـا مكتمـلا فـي حـرب الاسـتنزاف ونموذجـا فريـدا للثـوار الذيـن حملـوا علـى عاتقهـم قضيّـة تحريـر الجزائـر بالرغـم مـن أنـه لـم يـؤدي الخدمـة العسـكريّة إلا أنـه أثبـت وبجـدارة فـي جميـع معاركـه والكمائـن التـي نصبهـا بأنـه القائـد العسـكري الوحيـد القـادر علـى مجابهـة القـوات الاسـتعماريّة مهمـا كان عددهـا وباسـتراتيجيّة ذكيّـة، كمـا اسـتطاع عبـاس لغـرور أن يلعـب دورا كبيـرا فـي حفـظ النظـام ومجابهـة الاسـتعمار الفرنسـي فـي المنطقـة الأولـى وهـذا بشـهادة الجنـرالات الفرنسـيّين ولعلـى الكتابـات الفرنسـيّة حولـه تعتبـر دليـلا واضحًـا علـى مـدى فاعليتـه وذلـك لأنـه لا توجـد شـهادة أصـدق مـن شـهادة العـدو فـي الميـدان العسـكري.

وبقـي عبـاس يشـارك فـي المعـارك تلـو المعـارك إلـى أن استشـهد يـوم 25 جويليـة 1957 .

نبيل دادوة

المصادر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

عبد الحفيظ الخنقي
(1203هـ - 1789م/1266هـ - 1850م)

هو (عبد الحفيظ بن محمّد بن أحمد بن عبد الحفيظ بن سي هجرس بن علي الشّريف الوانجلي الهجرسي الإدريسي الحسني الجزائري)؛ وُلد سنة (1203هـ/ 1789م) بمنطقة (خنقة سيدي ناجي)؛التي تعني الفج، أو المضيق بين جبلين، وتقع في أقصى شرق مدينة (بسكرة) ويكاد يقع الإجماع في جل المصادر القديمة، على أنها قد تأسست سنة: (1011هـ/ 1602 م) بفضل الشّيخ (المبارك بن قاسم بن ناجي) وقد أطلق عليها هذا الاسم تبركاً باسم جده (سيدي ناجي)؛ وهي مدينة معروفة بجمالها ومساجدها، ومدارسها، وكانت تُسمى بـ(تونس الصغيرة)؛نظراً لما تميزت به من إشعاع علمي، وثقافة إسلامية راسخة، وقد نشأ الشّيخ المجاهد (عبد الحفيظ الخنقي) بها، وترعرع في رُبوعها، وفي ربوع مدينة (بسكرة) التي كان يزورها باستمرار، ومدينة (بسكرة)؛ كما تذكر جل المصادر كان يستوطنها في العصور القديمة البربر من قبائل (زناتة) ووفقاً للباحثين المُهتمين فقد كان يُطلق عليها اسم الزّاب، ويبدو أن اسم (بسكرة) قد تبدى في العهد الإسلامي، ولم يظهر إلا عند الحديث عن إخماد الفتنة التي قام بها أهل الزّيبان سنة: (251هـ/ 851م) وقد أخذ الشّيخ المجاهد (عبد الحفيظ الخنقي) مبادئ العلوم الأولية بمنطقة (خنقة سيدي ناجي)؛ ثم اتصل بالشّيخ (محمّد بن عزوز)؛ الذي ينتمي إلى أسرة علمية ودينية مناضلة، ومعروفة بالجنوب الجزائري، والجريد التونسي، كما اتصل بالشّيخ (علي بن عمر) وتتلمذ عليه، وصار من أتباعه، وقد درّس الشّيخ المجاهد (عبد الحفيظ الخنقي) في زاوية جده (أحمد الهجرسي) في (خنقة سيدي ناجي) واجتهد من أجل نشر الطريقة الرحمانية بالخنقة، وبجبل (ششار) وأضحى من أبرز المقدمين لها في المنطقة.

والطريقة الرحمانية؛ طريقة صوفية تذكر عدة مصادر أنها قد تأسست عام: (1774م) من لدن الشّيخ (أمحمّد بوقبرين بن عبد الرحمن الجرجري) في الجزائر، وتنهض أركانها على المذهب المالكي في الفقه، والمذهب الأشعري في العقيدة، والمنهج الجنيدي في السّلوك، والانتساب إلى خط آل البيت روحياً وفكرياً ودينياً، وقد كان الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) يرى أن الطريقة الرحمانية تمتاز بأنها تقول بسبع نفوس: الأمارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة؛ في حين أن الطرائق الأخرى تقتصر على ثلاث أنواع فقط من النفوس، وهي: اللوامة، والملهمة، والمطمئنة، وقد أسس الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) زاوية في منطقة (خنقة سيدي ناجي)؛وهي تضم ضريحه، وقد أضحت منارة لطلاب العلم والمعرفة، وقد تولى الإفتاء والتدريس بها، كما عُرف بالزّهد وبساطة الحياة، وهذا ما ينسجم مع الطريقة التي تبناها، وهو مجاهد عاصر ثورة الزّعاطشة؛ التي قادها الشّيخ (بوزيان) في (واحة الزّعاطشة) بضواحي بسكرة في الجنوب الجزائري سنة: (1849م)

وقد مرت هذه الثورة بثلاث مراحل أساسية، وهي: مرحلة انتصار الثورة؛ إذ بدأت هذه المرحلة بوصول القوات الفرنسية إلى الزّعاطشة يوم:16 جويلية1846م، وذلك تحت قيادة العقيد الفرنسي (كاربوسيا)؛ الذي قام بتشديد الحصار على الواحات بغرض القضاء على الثورة، وخنق الثوار، وإخماد الانتفاضة في مهدها، وقتل زعيمها الشّيخ (بوزيان) ولكن القوات الفرنسية فشلت بشكل كبير في القضاء على الثورة، وهذا ما شجع المواطنين، ودفعهم إلى الالتفاف حول الثورة، وأدى إلى اتساع رُقعتها؛فقد تأججت نار الثورة في نفوس سكان واحة (خنقة سيدي ناجي)؛فنهض الشّيخ المُرابط (عبد الحفيظ الخنقي) برفع لواء الجهاد ضد جيش الاحتلال الفرنسي، والتفّ حوله مجموعة كبيرة من رجال القبائل، وتحركوا من أجل تحرير مدينة (بسكرة) أما المرحلة الثانية من ثورة الزّعاطشة، فقد كانت بعد تحرك الجنرال (هيربيون)؛الذي كان يرمي إلى مُحاصرة واحات الزّعاطشة، وقد انتظر نهاية فصل الصيف، وانخفاض درجة الحرارة؛ حتى لا يتعرض الجيش الفرنسي لقيظ الصحراء، وقد نزلت القوات الفرنسية بمنطقة (كدية المائدة) المُقابلة لبلدة الزّعاطشة يوم: 7أكتوبر1849م، وقد كانت المرحلة الثالثة بارتكاب فرنسا لجرائم فظيعة ضد السّكان الأبرياء، وتمّ قتل الشّيوخ والنساء والأطفال، وقامت فرنسا بعدها بجرائم شنعاء؛ حيث علقت رأس الشّيخ (بوزيان) بعد قطعها على باب المُعسكر الفرنسي، فالشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) عاصر هذه الثورة، وأيدها، وقادها بفرقته الخاصة؛ حيث أقام قاعدته في (وادي براز) وهو قريب من (سيدي عقبة) و(سريانة) وقد تشكل جيشه من حوالي (3000) مجاهد، وتذكر بعض المصادر أن هدفه كان فك الحصار عن الشّيخ (بوزيان)؛ زعيم ثورة الزّعاطشة، الذي استشهد يوم: (26 نوفمبر1849م) فقد انطلقت فرقة الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) يوم: (17 سبتمبر1848م) وتذكر بعض المصادر أنه قتل سنة: (1849م) الضابط (سان جرمان) وقد شارك معه: (أولاد معافى) و(أولاد فرح) و(أولاد زيان) وكانت المعركة الكبرى يوم: (09أكتوبر)؛ حين تكبدت قوات الاحتلال الفرنسي خسائر فادحة رغم كثرة عددهم، وارتكب الجيش الفرنسي جرائم فظيعة في منطقتي (الزّعاطشة) و(ليشانة) وقد نجا الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) من الموت في هذه المعركة، وهاجر إلى (نفطة) في الجنوب التونسي، وتوفي بها عام: (1266هـ) يوم: (13-07-1850م) وبعد وفاته استقر أحفاده في (زاوية خيران) قرب مدينة (خنشلة) وفي (تامزة)؛ولهم علاقة وثيقة بزاوية (نفطة) العزوزية جنوب تونس.

وقد ترك الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) مجموعة من الرسائل والمؤلفات، من بينها: «التعريف بالإنسان الكامل»، و«الحكم الحفيظية»؛ وهي رسالة صوفية قام بشرحها (المكي بن الصديق)؛ وهو مدرس بجامع (سيدي المبارك) بخنقة سيدي ناجي، وقد ألفها الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) سنة: (1257هـ) .وله رسالة موسومة بـ: «غنية المريد»ألفها سنة: (1256هـ)؛وهي متوفرة، وتوجد مخطوطة في المكتبة الوطنية التونسية، ورقمها: (20221) .وله رسالة أخرى عنوانها:

«سر التفكر في أهل الذكر»؛ألفها سنة: (1247هـ) وله رسالة اسمها: «رسالة امتزاج النفس بالطبائع وأسرار القلب وصفات الشّيخ والمريد»، وقد ألفها عام: (1249هـ) ولها عنوان آخر هو: «كيفية المريد في علوم سر التوحيد»، وله مجموعة من الرسائل الأخرى، ومن مؤلفاته: «غاية البداية في حكم النهاية»، و«حزب الفلاح ومصباح الأرواح»، و«شرح غنية الفقير»، و«الجواهر المكنونة في العلوم المصونة»؛ وقد تولى الباحث الدكتور (عمّار طالبي) تحقيق هذا الكتاب، وصدر عن منشورات وزارة الشّؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، سنة: (1436هـ/ 2015م) وهو في أصله رسالة تتضمن مجموعة من الرسائل هي: أحكام الروح، والكلام في حقيقة الفناء، والبحث في سر الخفاء، وذم الدنيا ومدح الخارج عنها، والكلام في العقل، والكلام في الاغترار، والكلام في سالك مقامات التدريج، والعيون، وأهل المقامات، وسكرات الموت، والتجليات، وفتح البصيرة، وفضائل السّر المصون، والمكاسب والمواهب، ومعنى المكاسب، ومعنى مقام الدرجة الرفيعة.

يقول عنه الباحث الدكتور (أبو القاسم سعد الله)؛ شيخ المؤرخين الجزائريين: «... وعبد الحفيظ الخنقي كان صوفياً ومُناضلاً سياسياً أيضاً، وقد عاصر ثورة الزّعاطشة واحتلال بسكرة، وجاهد بسيفه، وكان رغم كبر سنه من المُحاربين الأشداء، وقد قيل إنه قتل الضابط (سان جيرمان) قبل أن يستشهد هو أثناء معركة (وادي براز) قرب بلدة (سيدي عقبة) سنة:1849م، لكن المراجع المتأخرة تذكر أنه نجا من الموت، وأنه هاجر إلى (نفطة) على إثر ثورة الزّعاطشة، وأنه توفي سنة: (1266هـ) ».

ويذكر الباحث الأستاذ (سليم كرام) أن الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) كان طيلة حياته «شمعة تحترق لتضيء درب المتعلمين، فقد درّس وأقرأ ونفع بعلمه كثيراً من الطلبة، ولم يلو جهداً أو يدّخر علماً، أو يمنع نصحاً؛ فقد نشر العلوم والقيّم والأخلاق حتى أحبه الناس، وتبعوا خطاه على عمى منهم، وثقة في قيادته الرشيدة لهم...لقد حبا الله سبحانه وتعالى الشّيخ عبد الحفيظ الخنقي نفساً تميزت بجملة من أنبل الصفات وأحسن الخلال، تحمل الآمال الجسام التي وطّن الشّيخ نفسه لتحقيقها...، حياة دأبها الحركة والنشاط، ونفس تعتز بالقيّم وتستهون في طلب العلم كل المصاعب، وهمّة بذرها العلماء لتزهر الرياحين بشذى المكارم... ».

عن دوره في ثورة (الزّعاطشة) يقول المؤرخ (إبراهيم مياسي): «...أرسل الشّيخ عبد الحفيظ رسُولاً إلى شيخ سيدي عقبة (الباي بن شنوف) يطلب منه المساعدة والانضمام إلى جند المسلمين لمُحاربة العدو المشترك؛ ولكن ابن شنوف غدر وخان، وأسرع بإخبار السّلطات الفرنسية؛ فخرج قائد دائرة بسكرة (سان جرمان) في الحين على رأس قوة هائلة ليُباغت المجاهدين قبل طلوع الفجر، وحينما وصل (سان جرمان) واد براز وجد الهدوء مخيماً على المكان، وفي غياب الحراسة الكافية ضرب القائد الفرنسي الحصار على معسكر المجاهدين، ومع أذان الصبح انطلقت الرصاصات الأولى، وبدأت المعركة، وقاتل المسلمون كالأسود الضارية وقلوبهم مفعمة بالإيمان، واستطاعوا في السّاعات الأولى من المعركة أن يهزموا قوات العدو، ويقتلوا قائدهم الرائد (سان جرمان) برصاصتين في الرأس...لكن شدة المباغتة وإحكام الحصار جعلت قوة المجاهدين تتقهقر وتنهزم؛ مما أجبر سيدي عبد الحفيظ على الانسحاب من ميدان المعركة... ».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد الحفيظ الخنقي: الجواهر المكنونة في العلوم المصونة، تحقيق:د.عمار طالبي، منشورات وزارة الشّؤون الدينية والأوقاف، بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، ط:01، 1436هـ/ 2015م.
- عبد المنعم القاسمي الحسني:أعلام التصوف في الجزائر، منشورات دار الخليل القاسمي، الجزائر، 1427هـ/ 2007م.
- سليم كرام: الشّيخ عبد الحفيظ الخنقي:فارس مقاومة الكرامة في وادي ابراز، المجلة الخلدونية؛مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الخلدونية ببسكرة، الجزائر، العدد:03، ديسمبر، 2004م، ص:111 وما بعدها.
- د.أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، منشورات دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

عبد الحفيظ بوالطين
(1367هـ - 1948م/1424هـ - 2003)

هو عبدُ الحفيظ بن السّعيد بوالطين؛ وُلد سنة: (1367هـ/ 1948م) بمدينة (الحروش) بولايّة سكيكدة، ونشأ في أسرة بسيطة ومتواضعة، وترعرع في مدينة (الحروش)؛ فحفظ قسطاً من القرآن الكريم بها، وتعلم مبادئ اللُّغة العربيّة؛ استشهد والدّه (السّعيد بوالطين) أثناء الثّورة التّحريريّة الكبرى (1954-1962م) وهو ابنُ تِسْعِ سِنين؛ فعاش بعدها يتيمًا، فرعته والدّته وأحسنت تربيته، ووفّرت له ظروف الدّراسة المتوفرة يومئذ، وبعد اجتيازه لمراحل التّعليم الأولى؛ تابع دراسته بمدينة (قسنطينة) بعد الاستقلال، والتّحق بالمعهد التّكنولوجي لتكوين المعلمين، وتخرج منه بتفوق، وانضم بعدها إلى سلك التّعليم؛ فاشتغل مدرسا في

الابتدائي، والمتوسط لعدة سنوات، ثم انتُدِبَ إلى جامعة قسنطينة سنة: (1397هـ/ 1977م) للدراسة الجامعيّة، وتخرج مُجَازًا في الأدب العربي سنة: (1401هـ/ 1981م)، وفي السّنة نفسها عُيِّنَ أستاذًا للغة العربيّة وآدابها بثانويّة الشّهيد زيغود يوسف بالحروش، وظلّ يعمل فيها أستاذا بارزًا إلى أن أُحيل على التّقاعد سنة: (1419هـ/ 1999م)، وقد توفي الأديب والقاص (عبد الحفيظ بوالطين) بمدينة (الحروش) يوم: الاثنين (6شوال1424هـ) الموافق لـ: (01 كانون الأول -ديسمبر- 2003م) عن عمر يناهز خمسًا وخمسين سنة.



ومن أهم أعماله الأدبيّة: (الصّداع المزمن)، وهي أول مجموعة قصصيّة صدرت للقاص (عبد الحفيظ بوالطين) عام: (1406هـ/ 1986م) عن منشورات المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، وتشتمل المجموعة على العديد من القصص، من بينها: (ورقات مهربة من مخدع شهريار)، و(قاتلة الاثنين)، و(القضبان الباردة)، و(التّربة الحمراء)، و(الشّاب الذي فقد ظله)، و(ماء الوجه)، و(دوامة الأحزان).

وقد صدرت المجموعة القصصيّة الثّانيّة، للأديب (عبد الحفيظ بوالطين) بعنوان: (عمالقة وخفافيش)، وطُبعت في أواخر سنة: (1406هـ/ 1986م) في المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، ثم صدرت الطّبعة الثّانيّة لها عن منشورات مؤسّسة بونة للبحوث والدّراسات بعنابة، الجزائر، سنة: (1429هـ / 2008م) وقد جمع فيها مجموعة من القصّص المتناثرة التي نُشرت في الصّحافة الوطنيّة، ومن أهم القصّص التي حوتها المجموعة القصّصيّة: (عمالقة وخفافيش) : (وجوه بلا ملامح)، و(الورود تموت في عين الباي)، و(ابن الأرض)، و(ليلة القدر)، و(بقرة اليتامى)، و(طفولة على الهامش)، و(نداء الدّم)، و(التّحديق إلى الشّمس بأعين مفتوحة)، و(وجهان لعملة صدئة).

أما المجموعة القصصيّة الثّالثّة، والموسومة ب: (ما قبل الإعصار)؛ فقد صدرت أوّل مرّة في أواخر التّسعينيات من القرن المنصرم؛ عن منشورات مؤسّسة دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بعين مليلة، الجزائر، ولم يُذكر تاريخ الطّبع فيها، وقد جاء في المقدمة التي دبّجها الأديب (عبد الحفيظ بوالطين): (عندما اندلعت أحداث أكتوبر 1988م، وما أعقبها من تحولات، وتغيرات سياسيّة، واجتماعيّة متسارعة، ظننت أن هذه المجموعة قد فات أوانها، وتجاوزتها الأحداث، باعتبارها تُصور مرحلة ما قبل هذا الإعصار، وما صحبها من تجاوزات، وممارسات خاطئة، كالرّشوة، والمحاباة، واستغلال النّفوذ، ونهب الأموال العامة... ظننت هذا الإعصار سيجرف كل الممارسات السّيئة، ويقضي على كل العقليات المتخشبة، لذلك جمعت أوراق هذه المجموعة، وأودعتها عتمة الأدراج. غير أنه وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على هذه الأحداث رأيت أن شيئا لم يتغير، وأن الممارسات التي كشفت عنها مازالتّ هي نفس الممارسات وأكثر، وأنا التّجاوزات التي أدنتها في قصصي، كانت تتم في الخفاء، فأصبحت تجري في العلن، وأن الأورام السّرطانيّة الخبيثة التي حاولت فضحها واستئصالها، ما زالتّ تنتشر، وتفرخ، وتهدد مستقبل البلاد والعباد! وعليه، قررت أن أنفض الغبار عن هذه المجموعة ثانيّة وأقدمها للطبع .

وتشتمل هذه المجموعة على العديد من القصص التي كتبها خلال فترات مُتنوعة، ومن بينها: (الوسام)، و(الصّحائف السّود)، و(الآلهة المُحنطة)، و(قميص عثمان)، و(موت الضّمير)، و(النّزيف الأسود)، و(أبناء الظلام).

يقول عنه الأستاذ والباحث (الطّيب صالح طهوري): « عبد الحفيظ بو الطّين من أكثر كتّاب القصة القصيرة عندنا التّصاقاً بالواقع الرّاهن؛ الذي يتميز بعلاقاته المعقدة، ومن أكثرهم حميميّة في ذلك الالتّصاق إلى درجة أنه يجعل قارئه ينغرز بكينونته في الإحساس بألم النّاس في ذلك الواقع، وفي فُسحة الأمل القليلة التي تتيحها بعض قصصه ...ترتبط قصص (عبد الحفيظ بو الطّين) -في معظمها- بمعضلة الإنسان الكادح، والإنسان المُطارد الذي يبحث عن وجوده الذاتي بتكثيف التّصاقه بالآخرين وجوداً ومصيراً؛ رغم أن فُسحة الأمل التي نجدها في بعض قصصه أحياناً كثيراً ما تُحاصر بفرديّة أشخاصها، ولعل فعل المطاردة بمفهومها الوجودي الانعزالي الحاد والمتجذر فردياً في هموم الآخرين من خلال تلك العزلة، وما هو إلا انعكاس فني لذات القارئ؛ الذي يتميز بابتعاده عن الأضواء، وبشكل يكاد يكون مطلقاً، وبصمته الشّخصي دوماً رغم نداءات أشخاص قصصه البسطاء، وجل قصصه تمتاز بذلك الإحساس الانعزالي الذي يُعمق فعل التّأمل عند أبطالها... ».

يقول عنه الأستاذ والباحث الدّكتور (سعد بوفلاقة): «نظر عبد الحفيظ بوالطين إلى وضع زوجات الشّهداء بعد الاستقلال، فوجده متدنيا في جملته، ووجد زوجة الشّهيد تُعاني جملة من المظالم في بعض الإدارات الجزائريّة التي تسلّلَ إليها بعض الخونة. كحرمانها من منحة الشّهيد، والعمل المحترم، وإهانتها أحيانًا، كما هو الحال مع زوجة الشّهيد في قصته المتميزة: (عمالقة وخفافيش)؛ التي عالج فيها قضايا مهمة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، كزوجة الشّهيد المزيّفَة التي تأخذ حقوقها كاملة، وزوجة الشّهيد الحقيقيّة التي تُحرم من لقمة عيش نظيفة لها، ولأولادها، بسبب تسلل الخفافيش الكبيرة (الخونة) إلى الإدارة الجزائريّة...

كان ذلك عام (1974م) على ما أذكر عندما التّقيت بعبد الحفيظ بوالطين وجها لوجه، وتبادلنا التّصافح، وتجاذبنا أطراف الحديث؛ وجدته بسيطا في مظهره، وفي سلوكه، وفي علاقاته مع أصدقائه القليلين جدا، فهو رجل حييٌّ، خجول، وانطوائي، ولكن حين تستفزه بالأسئلة، وتقترب منه، تكتشف أنه إنسان لطيف، دمث الأخلاق، حلو المعشر، حديثه حلو جذّاب، يحب الحياة، رقيق لأقصى ما تحمله الرّقة، والدّماثة من معنى، ثقافته عميقة ومتنوعة، واطّلاعهُ واسع على علوم

اللغة العربيّة وآدابها، يعمل بصمت، ويبتعد عن الأضواء. أحببتُ حُبًّا جَمًّا هذه الجديّة في العمل، والأخلاق والنّزاهة وعلو النّفس. كان رحمه الله، سريع البديهة والفهم، قوي الحافظة، وبسبب هذه الصّفات اخترته ليكون ضمن هيئة تحرير مجلة (الطّالب) التي أسسناها في سبعينيات القرن المنصرم بمؤسسة زيغود يوسف بالحروش، بمبادرة مني وبمشاركة نخبة من أساتذة المؤسسة، نذكر منهم: الأستاذ رابح بوغابة، والأستاذ أحمد زتيرو، والأستاذ سعد مايز من مصر، والأستاذ عبد الحفيظ بوالطين، تحت إشراف مدير المؤسسة السّيد عبد الفتاح حماني، كنت أوزع الأعمال التي تصل إلى هيئة التّحرير بغرض النّشر في المجلة على الزّملاء الخبراء المحكّمين المذكورين أعلاه، لتقييمها وتنقيحها، وبيان مدى صلاحيتها للنشر وفق المعايير العلميّة، وإجراء التّعديلات المناسبة على الموضوع المقدم للنشر في المجلة بما يتلاءم مع أسلوبها، كما كنتُ أحثُّ الزّملاء على الإسراع في إنجاز الأعمال المسلّمة لهم، وإعادتها في أقرب فرصة ممكنة، فكان عبد الحفيظ بوالطين يعيد إلي الأعمال المسلمة له في اليوم الموالي مباشرة مصححة منقحة مع ملاحظة مقبول للنشر أو مرفوض، لقد شجعته على مواصلة الدّراسة الجامعيّة، وقلت له: أنت مكانك في الجامعة وليس في المتوسطة، وفي سنة: 1977م طلب انتدابا من وزارة التّربيّة الوطنيّة إلى جامعة قسنطينة، فوافقت على طلبه، فالتّحق بقسم اللغة العربيّة وآدابها، وبعد أربع سنوات حصل على الإجازة (الليسانس) بتفوق، واقترحت عليه مواصلة الدّراسة في مرحلة السّلك الثّالث (الدّراسات العليا) ولكنه اعتذر بسبب ظروفه الاجتماعيّة، وانضمّ إلى أسرة التّربيّة والتّعليم بثانويّة زيغود يوسف بالحروش... ».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- 1. عبد الحفيظ بو الطّين: عمالقة وخفافيش، منشورات المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1406هـ/ 1986م.
- 2. عبد الحفيظ بوالطين: الصّداع المزمن، منشورات المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1406هـ/ 1986م.
- 3. د.سعد بوفلاقة :عبد الحفيظ بو الطّين: تأملات في سيرته وأعماله، دراسة منشورة ضمن الأعمال الشّعريّة والنّثريّة الكاملة للأديب عبد الحفيظ بو الطّين، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدّراسات، عنابة، الجزائر، 1433هـ/ 2012م.

عبد الحفيظ امقران الحسني
(1344هـ - 1926م/1439هـ - 2018م)

من مواليد سنة 1926 بقريّة بني عشاش بلديّة عين لقراج دائرة بني ورثلاث ينسب إلى أسرة شريفة محافظة.

حفظ القرآن بمسقط رأسه على يدّ جده من أمه، كما تعلم مبادئ العلوم على يدّ ابن عمّه الشّيخ محمّد امقران وأساتذة أخرين كالشّيخ المولود الحافظي الازهري والشّيخ عبد الله شلحابي، ثمّ انتقل إلى سطيف سنة 1942 لمواصلة تعلمه وممن درس على يدهم الشّيخ رابح مدور والشّهيد بن البشير الرّيفي، وأمحمّد عادل الزّيتوني، والشّيخ الصّادق حماني والشّيخ محمّد وعلي والشّيخ حسونه. وحالتّ دون إكمال دراسته حوادث 8 ماي 1945، وكان على صلة بالكشافة الإسلاميّة.

كان أول عمل له كمعلم في مدرسة قريّة بني عشاش سنة 1946، وفي سنة 1948 سافر إلى باريس وسعي في جمع التّبرعات لمعهد بن باديس بقسنطينة وعلى هذا تلقّى رسائل الشّكر والثّناء من الشّيخ العربي التّبسي ومن الشّيخ البشير الإبراهيمي وحثاه على بث النّشاط لفائدة الجمعيّة وكذا تجديد شعبة الجمعيّة بباريس وعيُّن كاتبا لهذه الشّعبيّة التي كان يرأسها الشّيخ الشّهيد الرّبيع بوشامة، فانتعشت الحركة الاصلاحيّة وقوّى الرّوح الوطنيّة في الجاليّة الجزائريّة.

العودة إلى الوطن والتّعليم: عمل مدير المدرسة برباشة بحوض الصّومام لمدة سنتين وعاد ثانيّة إلى فرنسا وفيها تعرّف بالمناضل عميروش أيت حمود، وكانا يجتمعان في إطار شعبة الجمعيّة، مع خمسة آخرين من بين المناضلين الذين كانوا في سريّة تامة أو خليّة للجنة الثّوريّة للوحد، والعمل في شهر ماي 1954.

وعاد إلى أرض الوطن وإلى نفس المدرسة ببرباشة في انتظار تفجير الثّورة المسلحة.

وفور تعيين الشّهيد العقيد عميروش مسؤولا وقائد الثّورة بحوض الصّومام التّحق بمعاقل الثّورة مجاهدا فمحافظا سياسيا فضابطا لجيش التّحرير الوطني منذ مؤتمر الصّومام في 20 أوت 1956 في مستوى الولايّة الثّالثّة. أُصيب بجراح بليغة سنة 1958.

كلّفه قائد الولايّة الثّالثّة العقيد محند أوّلحاج بمهمّة في تونس وفيها عُين مديرا لدار الطّفولة في دوار الشّط.

وكان له نشاط في مكتب الحكومة المؤقتة بطرابلس إلى جانب القيام بالعديد من المهام التي كُلّف بها حين عودته إلى تونس.

وبعد استرجاع الاستقلال الوطني في 1962 تقلّد عدّة مناصب سياسيّة وإداريّة في المستوى الوطني، وساهم بصفة فعّالة في الحياة الثّقافيّة بالمحاضرات والمقالات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والإذاعة الوطنيّة كما شارك في جميع الملتقيات لكتابة تاريخ الثّورة في إطار منظمة المجاهدين، وعمل في الحقلين الثّقافي والتّاريخي فترة طويلة.

أُسند إلى إدارة المركز الثّقافي الإسلامي بالعاصمة ابتداء من سنة 1984 تحت وصايّة وزارة الشّؤون الدّينيّة.

ورشحته المنظمة الوطنيّة للمجاهدين لتمثيلها في المجلس الانتقالي كما اختاره المرحوم علي كافي حين ترؤسه للمجلس

الأعلى للدولة وزيرا للشؤون الدّينيّة في حكومة رضا مالك.

ومما يجب الإشارة إليه هو تقديمه وإعداده للأحاديث التّوعويّة التي تبثّها إذاعة صوت الجزائر في قلب الجزائر التي ترد على الدّعايّة الفرنسيّة قصد اضعاف معنويات المجاهدين والمواطنين، فكانت للمرحوم صولات وجولات إعلاميّة في منتهى القوة والتّأثير هي التي جعلته مرموق المكانة لدى الشّعب والقيادة ولدى جميع المناضلين كتب سيرته الذاتيّة في كتاب صدر عن دار الأمّة في حدود سنة 1989 أهدى لي نسخة منه ولم أجدها في متناول يدي حينما اعددت هذه النّبذة القصيرة.

وهذه جملة للمهام التي تقلّدها:

- رئيس دائرة برج بوعريريج 1962؛
- مفتش التّربيّة والتّعليم بالمديّة 1964؛
- مدير الشّؤون الاجتماعيّة بوزارة المجاهدين 1965؛
- مفتش التّربيّة والتّعليم بالجزائر1971؛
- مدير المركز الثّقافي الإسلامي بالجزائر؛
- عضو الأمانة الوطنيّة لمنظمة المجاهدين مكلف بالدّراسات التّاريخيّة سنة 1990؛
- وزير الشّؤون الدّينيّة والأوقاف 93-1994؛
- عضو المجلس الإسلامي الأعلى 1992-2017.

كما أسهم في تنشيط كثير من الملتقيات والنّدوات التي تناولت الحركة الوطنيّة والثّورة التّحريريّة.

انتقل إلى رحمة الله يوم السّبت 10 فبراير 1918 عن عمر ناهز الثّانيّة والتّسعين (92) من السّنين.

هذا ملخّص لنموذج ممّا كتب عن البعد الرّوحي الإسلامي للحركة الوطنيّة وثورة التّحرير الوطني

كان لزاما ربط هذا البعد الرّوحي الإسلامي لهذه المسيرة الطّويلة للنّضال سواء كان سياسيّا أو عسكريّا لاسيما في هذه الظروف التي كثر فيها الصّراع الفكريّ الحضاريّ وتحاول بعض التّيارات الفكريّة المناديّة بالتّحديث والعصرنة التّنكر لفترة طويلة من تاريخ هذا الوطن الذي لم يعرف امجاده وازدهاره إلا في ظل الحضارة الإسلاميّة، ورسوخ هذا الدّين الحنيف عقيدة ومعاملة في نفوس أبناء الجزائر يوم كان شعبها معتزا به وجيشها يسيطر على البحر الأبيض المتوسّط وحتى أطلق في التّاريخ على عاصمتها اسم مدينة الجزائر المحروسة.

ويتجلّى هذا البعد الرّوحي الإسلامي الذي صاحبه العمل السّياسي والثّوري في هذه العناصر الآتيّة:

- في محتوى وثائق ومواثيق النّضال بنوعيه.
- في نوعيّة المسؤولين والقادة الذين تعاقبوا على قيادة هذا النّضال.
- في ممارسة والأعمال في الميدان على الصّعيد الوطني.
- في مستوى علاقات النّضال الجزائري في الدّاخل والخارج

فعلى سبيل التّذكر نجد هذا البعد الرّوحي الإسلامي في الحركة الوطنيّة والنّضال السّياسي كمحتوى بارز ومؤثر منذ انطلاق حركة نجم شمال إفريقيا، والتّسميّة ذاتها بالنّجم كافيّة للترميز إلى المبتغى والهدف من إنشاء الهيئة السّياسيّة واتصال قادتها بإحدى الشّخصيات السّياسيّة الإسلاميّة البارزة في السّاحة النّضاليّة، وأعني به الأمير شكيب أرسلان وتأثيره في توجيه هذا الحزب نحو تحديد الأهداف أكثر حيث انتهى بإنشاء حزب الشّعب الجزائري في الثّلاثينات، وكان البعد الرّوحي الإسلامي أقوى وأوضح في الانتهاء الحضاري التّاريخي واسترجاع المقومات الوطنيّة عبر نضال طويل وكفاح مرير دفع الشّعب الجزائري أعظم التّضحيات بالنّفس والنّفيس كلما تقدم في طريق النّضال المستميت وتعددت الجمعيات والهيئات الوطنيّة وكلها تسجل في طليعة وثائقها ومواثيقها تجسيد هذا البعد الرّوحي الإسلامي معبرة بذلك عن صدق الشّعور الوطني بالثّوابت الوطنيّة ويكفي برهانا على هذا التّوجه قوافل الشّهداء والضحايا التي سقطت في مختلف المظاهرات والاحتجاجات حتى جاءت أحداث 8 ماي 1945 فحولها الاستعمّار الفرنسي إلى مجزرة دمويّة طالتّ مالا يقل عن خمسة وأربعين ألفا من أبناء الجزائر وكان رمز هذه التّضحيات شاب من شباب الكشافة الإسلاميّة بمدينة سطيف وهو بوزيد سعال ليكون برهانا ساطعا على البعد الرّوحي الإسلامي لجميع الأحزاب والجمعيات الجزائريّة الوطنيّة.

فجميع الأحزاب والجمعيات السّياسيّة والثّقافيّة التي برزت في إطار الحركة الوطنيّة بعد الحرب العالميّة الثّانيّة رفعت شعار التّمسك بالدّين الإسلامي والدّفاع المستمر عن مقوماته واسترجاع مكانته ماديا ومعنويا من سطوة وعدوان المستدمر الفرنسي الذي حاول طمس وإطفاء نوره السّاطع عن أعين وأفئدة أبناء الجزائر ليفسح المجال لشرذمة من دعاء التّبشير والتّنصير حتى يعملون ويبثون سمومهم في أوساط المواطنين لمسخ ضعفاء الإيمان واليتامى وسلخهم من مجتمع الإسلام محاولين إطفاء نور الله.

ان بعد الرّوحي الإسلامي الذي تمسكت به ثورة أوّل نوفمبر المجيدة التي نحي ذكراها كل عام تعود بجذروها في هذا البعد الوطني التي مثل هذه الصّفحات المشرقة من النّضال السّياسي الجزائري بعد الحرب العالميّة الأوّلى بعد أن اذن الله بتفجيرها واشعالها ثورة تحريريّة شعبيّة متواصلة حتى تكللت بالنّصر المبين واستوعبت الدّروس والعبر من الوثائق والمواثيق المرتبطة بهذا النّضال السّياسي الطّويل.

كما استحضر قادة الثّورة التّحريريّة مجموعة من رجال الانتفاضات المتعاقبة، والقدوة ببعض الخصال والمواصفات التي تضمن سلامة السّلوك وتحقيق الهدف الأسمى أمثال الأمير عبد القادر والشّيخ بوعمامة والشّيخ زيّان والشّيخ محمّد أمزيّان بلحدّاد ولالة فاطمة أنسومر والحاج أحمد المقراني وآخرون ممن تشبع بهذا البعد الرّوحي الإسلامي الذي دفع الجميع باسم الجهاد ومحاربته الغزاة المعتدين لتحرير الجزائر أرض الإسلام دين الرّحمة والاخوة وكان هؤلاء يتسابقون الى الشّهادة ومحاربة الأعداء وهم يعرفون بأن هذا العدو يفوقهم عدة وعددا.

فهذه النّوعيّة من الرّجال كقيادة الانتفاضات السّابقة جعلت الأحزاب والجمعيات الوطنيّة التي نشأت بعد الحرب العالميّة الثّانيّة وناضلت على الصّعيد السّياسي يتشبع الكثير من قادتها ومسؤوليها بهذه الرّوح الإسلاميّة وقوة الايمان بالله وبحق هذا الشّعب في استرجاع حريته المغتصبة وسيادته المسلوبة.

ولا أدل على تجذر البعد الرّوحي الإسلامي في كل من الحركة الوطنيّة كما سبق أو في ثورة أوّل نوفمبر كما جاء في صريح نص بيان الفاتح من نوفمبر 1954 حين حدد الهدف من إعلان الثّورة في استرجاع السّيادة الوطنيّة بإقامة جمهوريّة اجتماعيّة في إطار المبادئ الإسلاميّة.

ثم تأتي الممارسات الميدانيّة التي تتجلى فيها الحقائق الآتيّة:

- انطلاق الكفاح المسلح باسم الله أكبر.
- تسميّة المحاربين بالمجاهدين والمسلمين والفدائيين وهي كلها مستمدة من روح الإسلام وفلسفته وقيمه ومثله ومبادئه.
- تسميه المقتول في المعركة بالشّهيد وكفى بهذه الشّهادة تكريما وتعظيمًا.
- القسم على المصحف الشّريف قبل الالتّحاق بجيش التّحرير في السّنوات الأوّلى من الثّورة.
- عقد الاجتماعات الأوّلى في المساجد بالنّسبة للقرى والأرياف للتبشير بالثّورة وتنظيمها.
- إقامة الشّعائر الدّينيّة واحترام الشّعور الدّيني لدى المواطنين.
- إنشاء فرع الأوقاف وإنفاق مداخيله في نشر التّعليم والمحافظة على تحفيظ القرآن الكريم.
- إنشاء فرع القضاء والإصلاح ذات البين وفصل المشاكل بين المواطنين حسب نصوص الشّريعة الإسلاميّة.

محمّد الصّالح آيت علجت

عبد الحفيظ بدري
(1333هـ - 1915م/1395هـ - 1976م)

عبد الحفيظ بن أحمد بن سلطان بدري، المولود في قريّة تازبينت دائرة الشّريعة ولايّة تبسة، والمتوفى فيها، أمضى سنوات عمره في وطنه الجزائر وفي تونس.

تلقى تعليمه الأوّل في المدرسة القرآنيّة بمدينة تبسة، ثم التّحق بمدينة «نفطة» بالجنوب التّونسي حيث أكمل تعليمه الابتدائي، ثم دخل معهد ترشيح المعلمين بالزّيتونة ونال شهادته عام 1936، كما أنه أتقن اللّغة الفرنسيّة على الرّغم من أنَّ والدّه كان من الدّاعين إلى مقاطعتها، لكنه درسها خفيّة ودون علم أبيه.

وبعد عودته إلى وطنه اشتغل بالتّدريس في مدرسة التّحديث تحت إدارة الشّيخ الشّهيد العربي التّبسي إلى أن حان موعد أدائه الخدمة العسكريّة الإجباريّة في مدينة قسنطينة.

كما عمل في التّدريس في مدارس أهليّة عديدة تابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، منها: مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة، ثم مدرسة الرّشاد بالجزائر العاصمة والتي مكث فيها من سنة 1950 إلى 1953 وبعدها تنقل بين مدن جزائريّة كثيرة: وهران، وتلمسان البليدة. ثم رجع إلى مدينة تبسة، فألقت سلطات الاستعمار الفرنسي عليه القبض، وبعد مدّة من الاعتقال أطلقت سراحه عام 1956، لكنه قرّر السّفر إلى تونس مرّة أخرى لا من أجل الدّراسة كما هو الحال في المرّة الأولى، وإنما هروباً من مطاردة إدارة الاستعمار له والحدّ من نشاطاته الفاضحة لإدارة الاحتلال.

وفي تونس واصل نشاطه السّياسي والنّضالي في صفوف جبهة التّحرير الوطني، وكان يعمل بالموازاة في جريدة (الصّباح) من 1958 إلى 1962. ثمّ رجع إلى وطنه بعد استرجاع السّيادة. فعمل أستاذاً في ثانويات عديدة: عمارة رشيد، الثّعالبيّة، عَبَّان رمضان، الثّانويّة التّقنيّة الجديدة (فرانس فانون). وأخيراً ثانويّة «مالك بن نبي» التي بقي أستاذاً بها حتى وفاته إثر حادث مرور في طريق عودته من دائرة بئر العاتر ولايّة تبسة.

وقد كانت له نشاطات ثقافيّة وعلميّة مكثفة في إطار نشاط جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، كما كان من أبرز مؤسسي فوج الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة في مدينة تبسة وما جاورها.

نتاجه الأدبي:

ذكرت مصادر ترجمته أنَّ نتاجه الشّعري قد فُقِدَ، وذلك راجع إلى عاملين: أما أحدهما فهو عدم اهتمامه بنشره في الصّحف والمجلاَّت التي كانت تصدر في زمانه، وأمَّا الآخر هو أنَّ الاستعمار الفرنسي قد قام بحرق كل وثائقه بما في ذلك أشعاره ممَّا سبب خسارة كبيرة لفقدان هذا التّراث وهي مشكلة عَانى منها كثير من الأدباء والشّعراء الجزائريين في عهد الاستعمار الفرنسي.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره المتاح وهو قليل جداً، قصيدة من 45 بيتاً في رثاء الشّيخ الشّهيد العربي التّبسي. وهي قصيدة تظهر مقدرة فائقة على تصريف الألفاظ والمعاني، مع نفس طويل استطاع أن يغوص في أمجاد العروبة والإسلام. وقد نهج في بناء قصيدته تلك نهج القدماء في تعداد خصائل الفقيد وما قام به هذا البطل من أجل أبناء وطنه.

نماذج من شعره:

لهفي على العربي
«في رثاء الشّيخ الشّهيد العربي التّبسي»

ما لي أراكم دامعي الأجفانِ
فهل القلوب صريعة الأشجانِ؟
ما منكمُ إلاَّ حزينٌ ذاكرٌ
عهداً مضى في منتدى الشّبان

عهد تقلّص ظلُّه من بعدما
تسمو على الأحقاد والأضغان

قد شعَّ دهراً في حمى الإخوان
لا فرق بين «شريعةٍ» و«تِبسَّةٍ»

أعظِمْ بذاك العهد من تاريخنا
أو «موسطٍ» في شرعه الأوطان

نبكيك يا هذا مدى الأزمان
و«الدّير» أو «تازينت» أو «دكانكم»

ويحي على رهطٍ خبت أنوارهم
كم ذا اصطلت بصواعق النّيران

بالأمس كانوا مشعل العرفان
قِدْماً تساوت في المسرّة والأذى

يحدوهمُ رأيٌ سديدٌ نير
واليومَ مثل الأمس في الميزان

قد زانه خلقٌ من القران
لا تتركوا «الشّيطان» يقضي أمركم

هم شيّدوا للنشء في هذا الحمى
فينال ما يبغيه من شنآن

برجاً منيعاً ثابت الأركان
«أولا يحيى» أو «لمامشةٌ» همُ

عرصاته علمٌ ونورٌ في تُقًى
أبناء «يعربَ» من بني قحطان

قامت على أُسٍّ من الإيمان
الدّين والفصحى وثاقٌ بينهم

ذكراهمُ في «تِبسَّةٍ» لا تَمّحي
ما منهمُ إلا رفيع الشّان

آثارها في السّيب والولدان
يسعى لعزَّة دينه بعزيمةٍ

«عربيهم» ليث العروبة فخرها
والنّصرُ في ذا الشّطر للعُربان

ذاك اسمُه يكفيه من عنوان
ذودوا عن الإسلام كيد زعانفٍ

بيتٌ لعمري أغلبٌ دانت له
شبَّت على الإلحاد والنّكْران

صِيد الفرنجة من ذوي الطّغيان
داسوا الكرامة واستباحوا حركةً

لا يتّقي في الحق صولة غاشمٍ
واستفحلوا في الشّرّ والعصيان

أو ينحني من رهبة السّلطان
أضحى التّطهُّر والصّلاة معرَّةً

لا السّجنُ أنهكه وقلّل عزمَه
يؤتى بهَا في سالف الأحيان

رغم العذاب ووفرة الأحزان
والخمرُ عندهمُ شعار تقدُّمٍ

سبحان مبدعه عظيماً في الورى
والفسقُ للفتيات والأخدان

نعم المثال لزهرة الفتيان
يأيها الآباءُ أين شهامةٌ

لو يقتدون بعلمه وبهديه
عربيّة النّزعات والوجدان؟

حتى يكونوا من بني عدنان
أين الحميّة في دمائكمُ التي

كم ذا دعا فوق المنابر للتقى
دوماً تفور لنصرة الفرقان؟

والحب والإخلاص والإحسان
أم هل رضيتم أن يلطّخ عرضكم

كم حثَّكم أن تعملوا في وحدةٍ
بالمسخ والتّلويث والبهتان؟

هل ترتضون لنشئكم هذا الرّدى
أنتم رعاة الولد لا تستسلموا

هل تقبلون دعارة الغلمان؟
كم من أبٍ وهو المسيء الجاني

سدّوا الطّريق أمامهم وتجنَّبوا
تشجيعهم بالعطف والتّحنان

ولتقتفوا آثارهم أنى غدوا
ولتردعوا من تاه بالهجران

أكبادكم غطّت وساءت مقعداً
تعساً لهم من عصبة الشّيطان

هبّوا فديتكمُ ولبُّوا ذا النّدا
واحموا المروءة من أذى النّدمان

قالوا بأنكمُ أناسٌ نوَّمٌ
لا خير يرجى من فتى وسنان

ربَّاه إن الدّين يبكي حظَّه
وينوح هل من فتيّة شجعان؟

لهفي على «العربي» في إقدامه
لهفي عليه ما له من ثاني

أبكي الفتى العربي عزّ نظيره
في هديه أبكيه من ربَّاني

أبكيه لا أنسى مواقفه التي
كانت هدىً للتائه الحيران

ماذا أقول وهذه ذكراك قد
هدَّت من الشّجو الممضّ كياني

هي لوعةٌ قد شرَّدت لُبي وقد
عقدت عن القول البليغ لساني

حيَّاك ربّك في المقامات العُلا
متنعّما في جنَّة الرّضوانِ

رابح دوب

المصادر:

- أحمد عيساوي: مدينة تبسة وأعلامها. دار البلاغ للنشر والتّوزيع. الجزائر 2005؛
- معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين، المجلّد العاشر –الكويت 2008؛
- رابح دوب: موسوعة شعراء عصر النّهضة، دار بهاء الدّين للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2014.

عبد الحفيظ سعيد (الشّهيد الصّائم)
(1390هـ - 1971م/1415هـ - 1995م)



ولد عبد الحفيظ سعيد بن الحاج محمّد بن الحاج صالح بمدينة العطف ولايّة غردايّة، زاول تعلمه الأوّل بها، ثم تنقل بين عدّة مناطق من الوطن للتحصيل العلمي، رفقة عائلته، حيث كان والده مقدماً في الجيش الوطني الشّعبي بعد الاستقلال الوطني، ومسؤولاً في القواعد الجويّة للسلاح الجوي، وقبل ذلك كان طالباً ضمن البعثة العلميّة الزّيتونة (1954 – 1963) وعضواً في اتّحاد الطّلبة المسلمين الجزائريين بتونس، انخرط في جيش التّحرير سنة 1959 ووجهته جبهة التّحرير إلى القاهرة ومنها إلى تشيكوسلوفاكيا ليتخصّص في السّلاح الجوي.

جدّه من والده هو: سعيد الحاج صالح بن الحاج محمّد، كان تاجراً ورجلاً اجتماعياً، إذ يعد من رواد الحركة الإصلاحيّة بميزاب، ومن كبار أعضاء حلقة العزّابة للمسجد العتيق بالعطف، وكان وكيلاً على أوقاف المسجد.

أمّا جدّه من والدّته فهو الشّيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف، أحد كبار العزّابة، وعالم جزائري معروف، مؤرّخ وباحث في التّاريخ الإسلامي والتّاريخ الأمازيغي بشمال إفريقيا، وله عدّة فكريّة منشورة، وعرف خاصّة بمشاركاته الدّائمة والمتميزة في ملتقيات الفكر الإسلامي السّنويّة بالجزائر والخارج، وهو رائد من روّاد الإصلاح بالشّرق الجزائري والجنوب عموماً.

آخر محطة تعليميّة للشهيد عبد الحفيظ مع تنقّلات والده المهنيّة كانت مدينة البليدة، حيث كان والده مسؤولاً في القاعدّة العسكريّة الجويّة لمطار بوفاريك، وفيها تحصّل عبد الحفيظ على شهادة الباكالوريا سنة 1990.

وهو في السّنة الثّالثة ثانوي بدأ ينشط بالنّقابة الطّلابيّة للاتحاد العام الطّلابي الحر بالمكتب الوطني، وهو تلميذ (الهيئة المسيّرة لتلك النّقابة الطّلابيّة). ثمّ بدأ بالمطالبة بتوفّير قاعة للصّلاة في ثانويّته بالبليدة وبعد شهر نجح في مطلبه مع عدم رغبة المدير في ذلك أوّل الأمر.

سنة 1990: بعد نجاحه في شهادة الباكالوريا سجّل نفسه بالمعهد الوطني للإحصاء والتّخطيط بين عكنون كطالب مهندس (خمس سنوات).

سنة 1991: وهو منخرط بالنّقابة الطّلابيّة للاتّحاد العام الطّلابي الحر بدأ يظهر ويبرز بنشاطه وطموحه في حلّ مشاكل الطّلبة ومشاكل الجامعة عموماً، فأسّس فرع النّقابة الطّلابيّة بالمعهد الوطني للإحصاء والتّخطيط بين عكنون، وانتخبه طلبة المعهد رئيساً لذلك الفرع.

في نفس المعهد كان له نشاط توجيهي للطّلبة والطّالبات بعيداً عن جوّ التّطرف، فكان يحثّهم على مكارم الأخلاق، وكان قدوة لهم بسلوكه المتزن، وخلال سنة واحدة تغيّرت بعض مظاهر المعهد باعتراف الجميع وخاصّة الأساتذة.

سنة 1992: عند المؤتمر الثّاني للاتّحاد العام الطّلابي الحر انتخب كنائب أوّل للأمين العام للمكتب الوطني مدّة سنتين، وكان ذلك يوم 06 فبراير 1992.

خلال نفس السّنة وفي نفس المعهد شرع بطرح فكرة تعريب جميع برامج ذلك المعهد، وبدأ عمليّا في تعريبها مع بعض زملائه ونجح في أقل من سنة أن يقنع إدارة المعهد ومديريّته وحتّى زملائه الذين تعجّبوا من جرأته ومن النّتائج الإيجابيّة التي حقّقها في ظرف قصير، بفضل الله ثم بإرادته وإخلاصه رفقة زملائه.

سنة 1993: وفي المؤتمر الثّالث يوم 03 ديسمبر 1993 انتخب رئيساً للمجلس الوطني لنقابة الاتّحاد (لمدّة سنتين)، وهي أعلى هيئة في هذا التّنظيم الطّلابي (وهذا المجلس يعدّ بمثابة برلمان تشريعي لهذه النّقابة).

ومن سنة 1992 إلى 13 فبراير 1995م صار يتنقل ويتجول بين جامعات الوطن على تباعدها الجغرافي، تارة مع زميل له، وتارة لوحده مع ما كان يعانيه من بعض المشكلات المادّيّة في التّنقّل، بحيث أسهم بكل جدّ وإخلاص في حلّ بعض مشكلات الطّلبة وكذا الجامعة وذلك ببرمجة جلسات عمل، ومواعيد مع بعض عمداء الجامعات، وكذا مع الولاّة والمدراء التّنفيذيين، ومع وزارات: التّعليم العالي، والدّاخليّة، والشّبيبة والرّياضة، ومدراء الولايات...، وكان في أغلب خرجاته ناجحاً في طرح تلك المشكلات، وأحسّ الطّلبة بالتّحسينات والتّغييرات الإيجابيّة لصالحهم ولصالح المنظومة الجامعيّة ككل.

سنة 1993: كان ضمن مؤسّسي «جريدة الاتحاد» الرّاميّة لإيصال صوت الطّالب، وعرف بقلمه الصّريح والحاد أحياناً، فكان لا يخاف في الله لومة لائم، وكانت له كتابات وتحليلات ومقالات خاصّة بوضع الطّالب والجامعة وأوضاع الوطن آنذاك، وساهم الكثير من الطّلبة في تلك الأفكار.

سنة 1992: ترأس ممثلاً للاتحاد الطّلابي لجنة المصالحة الوطنيّة (بحضور ممثّلي الأحزاب السّياسيّة والجمعيّات والنّقابات) وفيها تعرّف الحاضرون على مستواه الرّفيع وعمره حينها 21 سنة، وهو يسهم بكل جرأة وحماس في حلّ مشكلة المصالحة الوطنيّة بنجاح.

سنة 1994: في يوم 24 جانفي شارك مع أحد زملائه ممثّلا لنقابة الاتحاد العام الطّلابي الحر في أشغال اللّقاءات الوطنيّة لمناقشة وصياغة الوثيقة الختاميّة لندوة المصالحة الوطنيّة وانبثقت من هذه النّدوة قرارات تاريخيّة منها:

انتخاب رئيس الدّولة السّيد اليمين زروال لمدّة انتقاليّة تقدّر بثلاث سنوات.

في ظل الفراغ السّياسي وغياب مجلس وطني تشريعي تم الاتّفاق على إنشاء مجلس وطني انتقالي (تشريعي) لمدة ثلاث سنوات يمثّل فيها جميع شرائح الشّعب الجزائري (ممثلي النّقابات الوطنيّة، والجمعيات والأحزاب).

تحديد شروط التّمثيل النّسبي لهذه النّقابات: (العمال، والفلاحين، والنّساء، والأساتذة، وأبناء الشّهداء، والنّقابات والمنظمات الطّلابيّة.)

في يوم الاثنين 13 رمضان 1415 الموافق لـ 13 فبراير 1995 والجزائر حينها في أوج أزمتها الأمنيّة، كان عبد الحفيظ رفقة شقيقه الأكبر أمحمّد (عضو في المجلس الوطني الانتقالي الذي انتخب فيه من قبل نقابة الاتحاد العام الطّلابي الحرّ)، يهمّ بالنّزول من سيارة والده التي يقودها شقيقه أمحمّد، أمام بوابة جامعة بن عكنون قرب معهد التّخطيط والإحصاء حيث سيجري آخر امتحان للموسم الدّراسي 1994/ 95، وذلك قبل سفره مع والدّيه للعمرة غداة ذلك اليوم أي يوم 14 فبراير، حيث تقدّم مسلّحان نحو السّيارة فأطلقا عليهما وابلاً من الرّصاص من كلا الجهتين، فأصيب عبد الحفيظ بثلاث رصاصات كانت سبباً في وفاته، في حين لم يصبّ شقيقه بأذى، ولاذ المسّلحان بالفرار، حاول الشّقيق أمحمّد اللّحاق بالمسلحين دون جدوى، وانطلق إلى مستشفى عين النّعجة لإسعاف أخيه غير أن الشّهيد كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة في حجر أخيه بالسّيارة.

تمّ تسخير طائرة عسكريّة انطلقت من مطار بوفاريك العسكري لنقل جثمان الشّهيد الذي رافقه أحباؤه وإخوانه في قيادة المنظمة

الطّلابيّة، وممثلين عن مؤسّسات ومنظمات وطنيّة، وقد وري جثمانه الثّرى بمسقط رأسه العطف في جوّ مهيب أبنه المشايخ ورفاقه في المنظمة الطّلابيّة.

من أقواله:

- نضالنّا من أجل التّعريب نضال من أجل قضيّة مصيريّة.
- التّعريب أمانة الشّهيد.
- لابد من التّكامل الطّبيعي بين النّضال الطّلابي والعمل السّياسي.
- ضرورة استقلاليّة الحركة الطّلابيّة عن أيّ وصايّة حزبيّة أو سلطويّة.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- عمر دادي حمو، الشّهيد الصّائم عبد الحفيظ سعيد، إصدار الاتحاد العام الطّلابي الحر.
- معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التّراث، بطاقة تعريفيّة مرقونة، 3صفحات.

عبد الحفيظ صويلح الجنّان
(1319هـ - 1901م/1383هـ - 1963م)

عبد الحفيظ الجنّان، الملقب صويلح، أديب ومصلح جزائري، من رجال الحركة الإصلاحيّة، وأحد أقدم تلاميذ العلامة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.

عبد الحفيظ الجنّان، ولد سنة 1901م بوادي سكّان، دائرة التلاغمة، ولايّة ميلة، نشأ وتعلم في مدينة قسنطينة، تعلم القرآن على والدّه الشّيخ الصّالح الجنان، في مسجد سيدي فتح الله بمدينة قسنطينة، فأتم حفظه كله، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فعينه والدّه مساعدا له في التلقين والتحفيظ.

ثم التحق بالجامع الأخضر، فدرس عل الشّيخ عبد الحميد بن باديس علوما شتى، منها: التفسير، الحديث، النّحو، والصّرف، والبلاغة، والأدب، وغيرها من الفنون، مما جعله من طلبة ابن باديس البارزين.

وبعد أخذه القدر الكافي من العلوم الدّينيّة واللغويّة على يد علماء المدينة ومنهم الشّيخ «عبد الحميد بن باديس»، تفرغ لتعليم الأطفال القرآن الكريم واللغة العربيّة، وكان يؤكد على تعليم الأطفال سلامة النّطق بها، فعينه الشّيخ ابن باديس معلما، فدرس في: مدرسة سيدي فتح الله بقسنطينة، ومدرسة التربيّة والتعليم الاسلاميّة بقسنطينة، ومدير مدرسة التربيّة والتعليم بسيدي بلعباس.

وقد قال، في قوة نشاطه وكثرة بذله واجتهاده وقيمة عمله وعظمه، الشّيخ الإبراهيمي في مجلة الشّهاب: «الشّيخ عبد الحفيظ الجنّان شاب كله شعور وقلب، فتح عينيه على بوارق النّهضة الإصلاحيّة الأولى فخطا أول خطوة في الحياة على ضوئها، ثم واصل سيره على هداها، لم ينحرف به عن صراطها إقلال ولا رقّة حال، ولا أذى راصد ولا كيد مبيت، بل ظلّ يزداد ثباتًا كلما زادته الحوادث عركًا، تلقّى العلم على الأستاذ ابن باديس سنين، ثم عاجلته الظروف وغمسته في العمل فاشتغل بتلقين القرآن للصبيان، فقدّم للنهضة عملًا لا يقدّره حق قدره إلا القليل، وإن كان لا يُحسنه من العاملين للنهضة إلا القليل، وهو تقويم ألسنة الصّبيان على النّطق بالحروف العربيّة نطقًا صحيحًا متينًا مبرّأ من الزّيغ عن المخارج الأصليّة، ومن الحيد عن الصّفات المحققة، وقيمة هذا العمل في أنه تنشئة لإلسّنة الأطفال منذ تفتقها، ولِلَهَواتِهم من يوم تشققها على سلامة النّطق ومتانة التعبير، وهنا باب من أبواب الفصاحة يعرف قيمته مَن عرف أي بلاء صبّته العجمة على العربيّة من طريق مخارج الحروف وصفاتها. والشّيخ الجنّان، قبل ذلك وبعده، حركة دائمة ويد عاملة في كل الاجتماعات والجمعيات المتصلة بالنّهضة».

وهذا يدل على أنّ الشّيخ عبد الحفيظ الجنّان كان محبّا للتعليم مؤمنا إيمانا تامّا بالدّعوة الإصلاحيّة، فقد وقف على ثغر يأبى كثيرون أن يقفوا فيه، وقام بعمل يبدو هيّنا لكنّه عظيم الأثر، ولم يستنكف عن هذا العمل أبدا، كما يدل على أن الشّيخ عبد الحفيظ لم يكن يهمّه أن يشتهر أو أن يخمد، فهو آثر عملا يجعل صاحبه مغمورا، لكنّه مع ذلك كان مقبلا عليه، متقنا له.

و كان للشيخ عبد الحفيظ مكانة كبيرة في قلب الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي -رحمه الله-، وقد أباح الشّيخ الإبراهيمي بهذه المكانة في روايّة "الثّلاثة"، وهي روايّة كتبها الشّيخ في ثلاثة أساتذة من تلامذته، وهم: الشّيْخ السّعِيد بن حَافِظٍ مُدِير مَدْرَسَة التَّرْبِيّة وَالتَّعْلِيمِ الحُرَّةِ بِقَسَنْطِينَة، والشّيخ عَبْدُ الْحَفِيظِ الْجَنَّانِ، وَالشّيخ محمّد بْنُ الْعَابِدِ الجَلَّالِي، وقد كتبها الشّيخ فيهم اشتياقا لهم، ولمجالسّهم، ومسامراتهم، ونظرا لانقطاع أخبارهم تخيل الشّيخ أسباب هذا الانقطاع وكتب هذه الروايّة، ومما جاء فيها في بيان مكانة الثّلاثة عند الشّيخ قوله:«هَذِهِ -أَكْرَمَكَ اللَّهُ- رِوَايّة الثّلَاثَةِ، وَهِيَ أُرْجُوزَةٌ أَكْثَرُهَا ((لُزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ)) تُمَثِّلُ حَالَةَ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ، لَا يُدْفَعُونَ عَنْ فَضْلٍ وَلَا أَدَبٍ وَلَا ذَكَاءٍ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا بَعِيدُ الْأَثَرِ فِي الْحَرَكَةِ الْإِصْلَاحِيّة، وَاسِعُ الخُطَى فِي مَيْدَانِ تَعْلِيمِ النّاشِئَةِ وَتَرْبِيَتِهَا. وَكَانَ لَهُمْ شَيْخٌ يُقَارِضُونَهُ بِرًّا بِبِرٍّ، وَتَكْرِمَةً بِتَكْرِمَةٍ، وَكَانَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ يَأْبُوهُمْ وَيَحْبُوهُمْ، وَكَانَتْ لَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ، يُعَامِلُهُمْ بِحَسَبِهَا حَنَانًا وَلُطْفًا وَتَثْقِيفًا...»، ومما جاء فيها في وصف الشّيخ الجنّان قول الشّيخ الإبراهيمي على لسان مدير المدرسة الشّيخ السّعيد بن حافظ:

إِلَى الْفَتَى عَبْدِ الْحَفِيظِ الْجَنَّانْ
أَدَامَهُ الْمَوْلَى الْحَفِيظُ الْمَنَّانْ
مُؤَدِّبِ الصِّبْيَانِ فِي مَدْرَسَتِي
وَحَامِلِ الْأَثْقَالِ مِنْ غَطْرَسَتِي
مَسْكَنُهُ فِي زَنْقَةٍ لَا تُعْرَفُ
إِذْ طُمِسَتْ مِنْ جَانِبَيْهَا الْأَحْرُفُ

وَوَسْمُهُ إِمْسَاكُ قَرْنِ الثَّوْرِ
فِي يَدِهِ كَنَافِخٍ فِي الصُّورِ
وَهَذِهِ عَلَامَةٌ مُنْفَصِلَهْ
تَتْبَعُهَا عَلَامَةٌ مُتَّصِلَهْ

أنشأ الشّيخ الجنّان رفقة أحمد بوشمال وإبراهيم العموشي "جمعيّة الشّباب الفني»، وذلك في أفريل من سنة 1937، وتولى الشّيخ مهمة كاتبها العام، وكانت "الشّباب الفني» قد أخلصت في أهدافها للحركة الإصلاحيّة. وقد وظفت الفن والتمثيل والموسيقى لخدمة النّهضة العربيّة الإسلاميّة في الجزائر. وكانت مدعومة من الشّيخ ابن باديس، وكان يُعرَّف بنشاطاتها في جرائد جمعيّة العلماء. ومن أنشطتها التي كانت تقدّمها ويحضرها مئات الجزائريين: المسرحيات (مثل مسرحيّة المستبد سنة 1940 في مسرح قسنطينة)، والحفلات الموسيقيّة (وقد كانت لها فرقة موسيقيّة خاصة)، والشّعر والقصائد (وقد ألقى الشّيخ ابن باديس نشيده «اشهدي يا سماء» في إحدى حفلاتها).

نتاجه الفكري:

ترك الشّيخ «صويلح عبد الحفيظ الجنان» عدة مقالات نشرت في بعض الصّحف والمجلات، منها: الشّهاب والنّجاح، والبصائر وغيرها.

وقد عاش الى ما بعد الاستقلال، فاختار أن يكون إماما بأحد مساجد قسنطينة، في شهر سبتمبر 1962م، ما دار الحول حتى توفي -رحمه الله- في: 08 أوت1963م.

رابح دوب

المصادر:

- محمّد البشير الإبراهيمي: آثَارُ الإِمَام محمّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

عبد الحقّ بن ربيع بن أحمد بن عمير (الأنصاري)
(ت: 675 هـ - 1285م)

ولد ببجايّة، الشّيخ أبو محمّد عبد الحقّ بن ربيع بن أحمد بن عمير، الأنصاري، وتوفّي في الثّامن والعشرين لربيع الأوّل، عام خمسة وسبعين وستمائة (675 ه/ 1285م) يذكر الغبريني: "ودخلت عليه، في مرضه الذي توفي فيه فألمت لألمه وذرفت عيناي لما اعتراه من سقمه، فقال لي: يا فلان، والله ما بي موتي وإنّما بي ما قالـه أفلاطون لأصحابه لما حضرته الوفاة وحضروا عنده قال: والله ما بي أن أموت، وإنما بي أن أموت ولم أرق بأصحابي إلى مراقيهم التي اقتضتها صفاتهم واستحقتها ذواتهم فشكرته على ذلك وعلقت الأمل بالحياة وطول البقاء إلى أن يوفي لأصحابه، بما جبلت عليه نفسه الكريمة من الوفاء (رضي الله عنه).

أصله من (أبدة) أو (إبلة) كما ورد في كتاب تعريف الخلف برجال السلف، محمّد الحفناوي - بالأندلس، وجده عمير هو الواصل إلى بجايّة مستوطنا، ولد ببجايّة وقرأ بها، ولقي الكثير من المشايخ الذين تتلمذ على أيديهم،

يقول عنه الغبريني، صاحب كتاب (عنوان الدّرايّة): كان رحمه الله روح بلده ومصره، وواسطة نظام أهل زمانه وعصره، كان يحمل فنونا كثيرة من العلم مثل الفقه، وأصول الدّين، وأصول الفقه، والمنطق والتّصوّف، بالإضافة إلى إتقانه الكتابة الشّرعيّة والأدبيّة، والفرائض والحساب، وكان ابن مقلة زمانه له خطوط جملة، وهو في كلّ واحد منها ابن مقلة زمانه كان يكتب الشّرقي والغربي من ريحاني وتحساني/ تحاسيني وديواني، وغير ذلك من أنواعه" وله في التّصوّف قصيدة كانت في نحو خمسمائة (500) بيت، نذكر منها قوله:

سفرت على وجه الجميل فأسفرا
وبدا هلال الحسن منها مقمرا
ودنت فكاشفت القلوب بسرّها
وسقت شراب الإنس منها كوثرا
ورأيتها في كل شيء أبصرت
عيناي حتى عددتُ كُلي مُبصرا

عرف بأخلاقه الحسنة، وكان رحمه الله أعلى النّاس همة وأرفعهم منزلة، وكان إذا أولى المعروف لا يذكره، وربما من فعل معه لا يعلم إنه هو الفاعل له، وأنما قصده وصول النّفعّ علم الموصول إليه ذلك أو لم يعلمه.

له (قصيدة صوفيّة) تقع في نحو (500) بيت لخصها له أبو الحسن علي بن أحمد التّجيبي الحرالي. كانت له أخلاق حسنة، كما كانت فيه دعابة مستحسنة مستطرفة، وكان من أملح النّاس نادرة، على طريقة أمثاله من فضلاء أهل العلم والتّخلّق، ويذكر (الغبريني) أنّه سمع عن الفقيه أبي المطرف ابن عميرة أنّه قال: "أما الكتابة الأدبيّة فنحن فيها وإياه على نسق وأما الشّرعيّة فقد انفرد بها عن النّاس، ولولا الإطالة لذكرت من كتابته الأدبيّة والشّرعيّة، ومن طرائف أخباره، وملح آثاره مما رأيت وشاهدت ما تصغي له الأذان ويسعد به الفؤاد والجنان".

كانت له صفة ونائب عن القضاء في الأحكام مطلقا، وكان هو المشاور عندهم، والمعول على ما عنده، وكان هو القاضي على القضاة بالحقيقة، لأنّ مرجع أمرهم إنما كان إليه، وكان له باطن سليم، سمعته يقول: "والله ما بات قط في نفسي شر لمسلم،

فجزاه الله بنيته وعامله بالحسنى عن طويته، وكان مُصمتًا مفوّهًا، حسن العبارة، مليح الإشارة، أربى في وثائقه على من تقدم، لو رآه أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم لاتبعه، ولقد رأيت الشّيخ أبا محمّد عبد الحقّ بن سبعين (رحمه الله)، أثنى عليه في بعض كتبه ثناء حسنا، وذكر حاله في الوثيقة، والوثيقة مع هذا إنما هي صفة من صفاته، وأخرى من حاجاته، ولما كانت معرفته باللسان بمواقع المعاني مجملة ومفصلة، وبالأحكام كليّة وجزئيّة على حال إحاطة تقدمت وثيقته الوثائق، وأماطت الشّبه والعلائق، وسمعت عن الفقيه أبي المطرف بن عميرة أنه قال: ومن طرائف أخباره ومُلح آثاره، مما رأيت وشهدت، ما تصغى له الآذان ويسعد به الفؤاد والجنان، ولقد أحببتُ فيه دعوة أبيه، سمعت أنه لما حج دعا له حيث يجابُ، فقال: يا عبد الحقّ رزقك الله لفظا وخطا، فكان كذلك.

كان رحمه الله أعلى النّاس همّة، وأرفعهم منزلة، وقد كان (كما يذكر الغبريني) أكثر النّاس إنصافا في المذاكرة، عرض عليه قضاء بجايّة فامتنع منه، ووصل إليه كتاب المستنصر، من حاضرة أفريقيّة بقضاء قسنطينة، فاعتذر وتلطّف في الاستعفاء عنه، وسمعت كثيرا من أهل العلم يثنون عليه ويقولون: "إنّه لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله".

توفي رحمه الله في الثّامن والعشرين لربيع الأوّل سنة 675 هـ، ودفن بخارج باب المرسى، قال الغبريني: وكان له مشهد لا يكون إلا لمثله، وتاريخ وفاته في رخامة وضعت لحدا على قبره، وكتب فيها بيتين هما من نظم الأديب الفاضل أبي نصر الجيني:

بكيتك عبد الحقّ حقا لأنني
بكيت بك الدنيا وما في جميعها
من الدّين والأفضل والعلم والحجا
وإن كنت زين الدّين يا ابن ربيعها

عبد الحميد هيمة

المصادر:

- الغبريني، عنوان الدّرايّة فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجايّة، دار البصائر، الجزائر ط 1، 2007.
- محمّد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، ج2، دار كردادة للنّشر والتّوزيع، بوسعادة. الجزائر.

عبد الحليم بن سمايّة
(1283هـ - 1866م/1352هـ - 1933م)

عبد الحليم بن علي بن عبد الرّحمٰن خوجة بن سمايّة، المولود في الجزائر العاصمة، والمتوفى فيها، وينحدر من عائلة تركيّة.

قضى حياته في وطنه الجزائر وفي تونس ومصر وبلاد الشّام.

حفظ القرآن الكريم في صغره، وأخذ عن والدّه علوم العربيّة والفقه والتّوحيد، وأخذ علم المنطق وعلوم البلاغة عن طاهر تيطوس، وأخذ الحساب والفرائض عن علي بن حمودة.

بالإضافة إلى هذا، فقد تتلمذ على نخبة من كبار علماء عصره، وقد انكبّ على حفظ المتون وقراءة أمهات كتب التّراث فتكونت له ملكة قويّة في علوم العربيّة والشّريعة، كما درس اللغة الفرنسيّة وأجادها.

وفي أواخر أيامه أصيب بمرض عقلي من شدّة ضغوط الاستعمار الفرنسي واضطهاده إياه.

اشتغل صحفياً في جريدة «المبشر»، وعمل بالتّجارة، وإلى جانب ذلك كان يقدّم دروساً متطوعاً في المسجد الذي كان يدرّس فيه أبوه.



وفي عام 1896 عيّن مدرّساً بالمدرسة الرّسميّة بالجزائر العاصمة.

وفي عام 1900، عيّن مدرّساً بالجامع الجديد الحنفي ولمّا افتتحت المدرسة الثّعالبيّة سنة 1905 انتقل إليها، وبقي يدرّس بها حتى أحيل على التّقاعد.

وعندما زار الإمام محمّد عبده الجزائر عام 1903 كان ابن سمايّة من ضمن مستقبليه، فتوثقت الصّلات بينهما وظلّ يراسله حتى وفاة الشّيخ محمّد عبده عام 1905. فرثاه بقصيدة عينيّة.

لقد كان ابن سمايّة من مناضلي الجامعة الإسلاميّة وكان أيضاً من معارضي تجنيد الجزائريين إجبارياً في جيش المستعمر الفرنسي.

ترك بن سمايّة آثاراً كثيرة تشهد له بالثّقافة الواسعة، بل من أوسع علماء عصره ثقافة ومعرفة مثل: «اهتزاز الأطواد والرّبى من مسألة تحليل الرّبا» رسالة طبعت عام 1911. وكذلك «الكنز المدفون والسّر المكنون» وهي رسالة صغيرة طبعت في الجزائر. وكتاب «فلسفة الإسلام» وقد قدَّم الفصل الأوَّل منه في مؤتمر المستشرقين الرّابع عشر الذي انعقد بالجزائر عام 1905. كما أنَّ له مقالات عديدة في الأخلاق والمجتمع نشرها في جريدتي «كوكب إفريقيا» و«الإقدام».

نشرت قصيدته في مدح الشّيخ محمّد عبده، أوَّل ما نشرت في مجلّة «المنار». وأعاد نشرها كاملة كتاب «نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة». وله تقريظ لكتاب بعنوان: «روح العقيدة» لصديقه محمّد لكحل،

وقصيدة أخرى في الاعتذار إلى الملك عبد العزيز الرّابع ملك المغرب بمناسبة زيارة مدينة الجزائر عام 1902، وقد دعاه لمأدبة غداء، فلم يرض أن يجتمع مع الملك والسّلطات الاستعماريّة الفرنسيّة المغتصبة لأرض الجزائر، لأنه كان صاحب مواقف وطنيّة شجاعة وصارمة لم يهادن ولم يساوم فيها، والقصيدة نشرت في رسالة «عقود الجواهر، في حلول الوفد المغربي بالجزائر»، وهي تقع في 24 بيتاً، وقد وصفها الأستاذ عبد الملك مرتاض في كتابه القيم «معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين» بأنها قصيدة جميلة. ويبدو نسجها سهلاً وعذباً، وكأنها لم تُقَلْ في الجزائر سنة اثنتين وتسع مئة وألف! فاللغة عاليّة والفكرة واضحة والاعتذار في غايّة اللطف... وأجمل ما في قصيدة ابن سمايّة أنها خاليّة من الوعظ والإرشاد اللّذين تكتظ بهما أشعار الشّعراء الجزائريين طوال النّصف الأوّل من القرن العشرين».

غير أن الأستاذ عبد الملك مرتاض يحتاط، ولم يطلق هذا الحكم دون تقييد وإنما استدرك في الأخير بقوله: «والحق أنَّ ابن سمايّة، في المُقَطَّعتين يتحدَّث عن شَخْصِيتين كبيرتين: إحداهما سياسيّة، والأخرى فكريّة، مما يجعلنا عاجزين عن إصدار حكم فني على شعره إلاَّ ما سبق من قولنا عن لغته ونسيج شعره. غير أننا كنا نودّ لو وقفنا له على قصيدة يصوّر فيها تجربة ذاتيّة عاطفيّة أو غير عاطفيّة ولكنّ ذلك لم يتح فلنجتزئ بما قلنا إلى حين».

وهذه شهادة وحكم على المتاح من شعر ابن سمايّة وقد أغنانا أستاذنا عن أيّ تعليق.

نماذج من شعره:

أنت لنا شمس «في مدح الإمام محمّد عبده»

فأنتَ لنا شمسٌ تنير على المدى
أتى نورُها من غير أن نتطلّعا
أدير بذكراكَ الذي منكَ قد مضى
فأشرب كأساً بالصّفا مشعشعا
يُذَكّرنيكَ المجدُ والعلم والتّقى
فأنظر من علياكَ عرشاً مرفّعا
وتلوي إلى تلك المجالسّ فكرتي
فتترك قلبي بالخيال ممتّعا
محافلُ كان العلم فيها مُجالسّي
أسامر بدراً بالجلال تقنّعا
فأسمع فصلاً من حكيم وحكمةٍ
إذا ما بدتْ خرَّتْ ذرى الزّورِ رُكّعا
فما بالُ أقوامٍ هدى اللَّهُ عقلَهم
يمارون فيه والسّحاب تقشّعا
ألم ينظروا الآثارَ تشهد بالعلا
وأنَّ نبيعَ الماء يُوجب منبعا
لسانٌ متى يوماً تألّقَ برقُه
يسبّح رعدُ السّامعين لِمَا دعا
أمن بعد إجماعٍ عليه وأخذه
نراه على أيدي الهوى قد تروَّعا؟
فهل مرْيّة من بعد حقّ مشاهدٍ؟
وما الحقُّ إلا أن تراه وتسمعا
يقول، يشدّ الفعل متن بيانه
وما القول لولا الفعل إلا مصدعا
يطالب بالأعمال في العلم أهلُه
وحُقَّ له من عالمٍ قد تضلّعا
لعمرك ما تُغني العلومُ وحفظها
إذا لم تكن فيها خطيباً ومِصقعا
تحسّ بها كالماء يسري بعُوده
متى رامه فكرٌ لأمرٍ تَجمَّعا
أتى بكتابٍ في الكلام بيانُه
يغادر من صُمّ الجنادل خُشَّعا
براهينُه في النّفس والكون والحِجا
وليست لرسطاليسَ أو من تصنّعا
تنزه عن دورٍ وغِلّ تسلسلٍ
وكم سَلسلت آياته مَنْ تَنطَّعا
يقودكَ للبرهان غير مقيّدٍ
يريكَ حدودَ العقل مهما تَطلَّعا

اعتذار

أمولايَ شمسَ الفضلِ والعلم والنّهى
وأجدرَ من يُجري اللبيبُ ثناءَهُ
سلامٌ عليكم عاطرٌ متضوِّعٌ
كمسكٍ ذكا بل لا يكون بواءه
وأفضلُ تكريمٍ وأزكى تحيّة
يقيمان للقدر العظيم وفاءه
ويرأب كلٌّ منهما نأيَ عبدكم
بغيته عمَّا إليه دعاءه
علمتُ بأن المشيَ عن «جفني» واجبٌ
إليكم ولكنْ لي اعتذارٌ وراءه

رعاك الله «تفريظ رسالة (روح السّعادة) لأحمد الأكحل»

رعى اللهُ امرأً يرعى المعالي
يسامر نجمَها جنحَ الليالي
له نفسٌ لها لحظٌ طموحٌ
إلى أعلى ذرى حسن الخِلال
له عقلٌ، له أنفٌ شموخٌ
أبى إلا طلوعاً كالهِلال
وخير النّاس من يهدي أناساً
إذا ركبوا أهاويجَ الضّلال
وخير الهدي هديٌ من لسانٍ
أمونٍ ناصعٍ، للزور قال
إذا ضيّعتَ عمرَكَ في محالٍ
متى تسمو إلى أفق الكمال
فوقتٌ للطعام ووقت نردٍ
وأوقاتٌ على قِيلٍ وقال
متى تترك أخي للعلم وقتاً
فنجمُ العلمِ عندكَ برجُ خال

رابح دوب

المصادر:

- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. مؤسسة نويهض الثّقافيّة للتأليف والتّرجمة والنّشر - بيروت 1980؛
- عبد الرّحمٰن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام دار الثّقافة -بيروت 1983؛
- محمّد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة -المطبعة التّعاونيّة- غرداية الجزائر 1965.

■ عبد الحقّ بن عبد الرّحمن الاشبيلي البجائي (510هـ - 1116م/581هـ - 1185م)

هوعبد الحقّ بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الاشبيلي، يكنى بأبي محمد ويعرف بابن الخراط. يعود نسبه إلى قبيلة الأزد التي استقرت بعض من بيوتاتها في الأندلس خلال العهد الاسلامي. ولد عبد الحقّ سنة 510 هـ الموافق لـ 1116 م بإشبيلية من أحواز الأندلس. كان إماما وفقيها مالكيا، عالما بالحديث، قاضيا وخطيبا، أديبا وشاعرا. تلقى تعليمه بمسقط رأسه على يدّ كبار مشايخ إشبيلية كأبي الحسن شريح بن محمد وأبي حفص عمر بن أيوب وطاهر بن عطية المرّي وأبي الحسن طارق بن يعيش وطارق بن موسى وأبي الحكم عبد السّلام بن عبد الرّحمن المعروف بابن برَّجان اللخمي وغيرهم. كما كتب إليه البعض بالإجازة والاجازة في علم الحديث كان لها رواج كبير في ذلك العصر، ويقصد بها منح الإذن للطالب من المحدِّث أن يروي عنه كتابا من كتب الحديث.

ارتحل إلى بجاية بعد سنة 550 هـ، زمن إسقاط حكم المرابطين بالأندلس من طرف الموحدين مما أدى إلى حدوث اضطرابات بها، ونتج عن ذلك فرار العديد من العلماء من الاندلس، وكان الامام عبد الحقّ من بين من تركوا إشبيلية. كان ينوي التوجه إلى الحجاز لكن الظّروف ساقته إلى بجاية فاستقر بها. فتخيرها وطنا وبث فيها علمه، فتفرغ للعلم والتدريس وبعث بها نهضة علمية كبيرة. ففي بجاية ألف كتبه وبها صنف الدّواوين ووُلي الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، كما ولي القضاء لفترة قليلة. وعاش بها حوالي ربع قرن من الزمان فنسب لها وعرف بالبجائي.

لأبي عبد الحقّ الاشبيلي مكانة مميزة بين أقرانه ولذلك وُصف بزين العلماء وعماد الرّواة ورأس المحَدّثين. وقد أثنى عليه وعلى علمه وكتبه معظم الذّين كتبوا عن سيرته، إذ يصفونه عادة بالعالم الزاهد وبالخيِّر وبصاحب الصلاح والورع. وضعه أبو العباس الغبريني في كتابه عنوان الدّراية ضمن قائمة من وصفهم بالأشياخ الثلاثة وهم أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي وأبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي وأبو محمد عبد الحقّ الاشبيلي. وقد عاش الثلاثة الإشبيلي والمسيلي وأبو مدين في نفس الفترة ببجاية، وكان ثلاثتهم على اتصال دائم ببعضهم. قال عنه الغبريني: الإمام الشّيخ الفقيه الجليل، المحدث الحافظ المتقن الجيد، العابد الزاهد والقاضي الخطيب. بينما قال عنه محمد بن عبد الله القضاعي المشهور بابن الأبار في كتابه التكملة: نزل عبد الحقّ بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس، عند انقراض الدّولة اللمتونية، فنشر بها علمه وصنف وتولى الخطبة والصلاة بجامعها وكان فقيها عالما بالحديث وعُلله عارفا بالرّجال موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السّنة مشاركا في الادب وقول الشّعر. ووصفه شمس الدّين الذّهبي في كتابه سير أعلام النبلاء بالإمام الحافظ والبارع المجود.

أولى الاشبيلي للتأليف عناية خاصة، فكانت له مؤلفات عديدة متنوعة المواضيع جمّة الفائدة تفوق العشرين عنوانا وتتضمن بعض العناوين مجلدات عديدة. فقد كتب في الحديث والفقه واللغة والأدب والزهد والوعظ والارشاد والنصح والتوجيه. وقام بدراسة أكثر الكتب تداولا في عصره

في علم الحديث ولخصها وكتب عنها. ويمكن تصنيف مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول وهو الأهم عني فيه بعلم الحديث والقسم الثاني خصه للوعظ والزهد والقسم الثالث تكلم فيه عن اللغة والأدب. وتناولت أبرز مؤلفاته علم الحديث المعروفة بالأحكام الشّرعية، وتتوزع على ثلاثة كتب هي الأحكام الكبرى وهي ست مجلدات والأحكام الوسطى والأحكام الصغرى. وله الجامع الكبير في نحو عشرين مجلدا، والجمع بين الصحيحين، والمعتل من الحديث، ومختصر صحيح البخاري، والمنير والأنيس، وغريب القرآن والحديث، والمرشد، وتلقين الولد، وكتاب في الزهد، والعاقبة في علم التذكير، وكتاب التهجد، والتوبة، ومقالة عن الفقر والغنى، والرّقائق أو الرّقاق، ومعجزات الرّسول، ومختصر الرّشاطي وهو في علم الأنساب ويقع في مجلديْن، والواعي أو الحاوي وهو معجم لغوي قال عنه الغبريني إنه يقع في ثمانية عشر مجلدا بينما ذكر غيره أنه نحو خمسة وعشرين مجلدا، ومختصر كتاب الكفاية في علم الرّواية.

اشتهرت كتب عبد الحقّ الاشبيلي بين الناس وتداولوها قراءة وشرحا ورواية. واعتمدها كبار الفقهاء كابن الحاجب والشّيخ خليل وابن عرفة التونسي، وما يزال الكثير منها معروفا، وتم تحقيقها من طرف العديد من الباحثين. كما تم طبعها ونشرها. وكان أكثرها تداولا هي كتب الأحكام الشّرعية. وقد اعتنى بعض العلماء المعاصرين بطريقة الإمام عبد الحقّ الاشبيلي في معالجة الحديث، فألف برهان عبد الله سالم الشّعيبي رسالة جامعية في مجلدين تحت عنوان "الصناعة الحديثية عند الامام عبد الحقّ الاشبيلي في تصحيح الأحاديث وتعليلها.

ما يعرف عن الامام عبد الحقّ الاشبيلي أنه بقي وفيا لدولة المرابطين التي نشأ في كنفها بالأندلس، ولذلك رفض مبدأ العصمة الذّي نادى به الموحدون للإمام المهدي بن تومرت، فغادر إشبيلية ورفض التعاون معهم عندما استقر ببجاية. ولما حاول بقايا أمراء دولة المرابطين الوقوف في وجه الموحدين فيما عرف تاريخيا بحركة بني غانية وقف الاشبيلي بجانبهم، فولّوه الخطبة والقضاء

في بجاية عندما استولوا عليها. وبعد القضاء على حركة بني غانية من قبل الموحدين تعرض الاشبيلي لمضايقات من طرفهم وهو ما لم يستسغه، فتوفي سنة 581 هـ الموافق لـ 1185 م ببجاية عن عمر يناهز السّبعين عاما ودفن بها.

وتعرف تلك الواقعة لدى بعض كتاب السّير بالمحنة. وكان ضريحه حتى المائة السّابعة أي حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ما يزال معروفا لدى العامة والخاصة، ويزوره البعض للترحم عليه كما أورد ذلك أبو العباس الغبريني في كتابه عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية.

عامر بغدادي

المصادر:

- عنوان الدّراية. أبو العباس الغبريني، تحقيق عادل نويهض.

عبد الرّحمن رابحي (القندسي)
(1335هـ - 1916م/1419هـ - 1998م)

المرحوم الشّيخ عبد الرّحمن رابحي المعروف ب سي عبد الرّحمن القندسي من مواليد سنة 1916م بالقنادسة ولاية بشار، يَنحدر من أسرة فقيرة، حفظ القرآن الكريم في المدرسة القرآنية بالزّاوية الزّيانية وعمره لايَتجاوز أحد عشر عاماً على شيوخ القنادسة، وبنفس المدرسة تَعلم مبادئ عِلم الفقه والتوحيد والنّحو وبعد تَعليمه الأول بمسقط رأسه انتقل إلى مدينة فقيق/ فجيج بالمغرب التي كانت تُعتبر أحد حواضر العلم والمَعرفة، مكث بفقيق مدة خمس سنوات من سنة 1935م إلى غاية سنة 1940م أين تعلم علوم القرآن والتفسير واللّغة وعلم الحديث على يد المرحوم الشّيخ محمد بن فرج وآخرين أمثال حمو دو الذي تخرج من جامعة القرويين بفاس.

وبعد عودته إلى أرض الوطن استقر بمدينة مشرية؛ فتح مدرسة مع بعض الرّفقاء من المدينة بها قسمين لتعليم اللّغة العربية والفقه وعلوم الدّين.

لقد كان الشّيخ رحمه الله عضواً ناشطاً في الحركة الوطنية ومُنخرطاً في فرع جمعية العُلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تنشط بالمدينة.

و بعد أحداث ماي 1945م سارعت السّلطات الفرنسية بقيادة الحاكم (ديمون/ Dumont) إلى إغلاق المدرسة ومُصادرة الكتب والدفاتر وفُرض على الشّيخ مُغادرة المدينة والاتجاه إلى مدينة القنادسة حيث وضع المرحوم تحت الإقامة الجبرية. كانت السّلطات الفرنسية ترى في المدارس الحُرة عاملاً من عوامل النّهضة بالثّقافة العربية الإسلامية ومكاناً لتوعية المُجتمع وتحسيسهم بالقضية الوطنية ودعمها.

و بعد صدور قرار العفو العام في 16 مارس من سنة 1946م الذي شمل جميع الجزائريين الموقفين ومنهم زعماء الحركة الوطنية استفاد الشّيخ من هذا العفو الشّامل وأطلق سراحه عَزم الشّيخ على العودة إلى مدينة مشرية وفتح المدرسة التي كان قد أنشأها واستئناف التدريس وأثناء عودته عبر القطار، توقف هذا الآخير بمدينة العين الصفراء حيث اغتنم الشّيخ رابحي الفرصة لتأدية صلاة المغرب في أحد مساجدها وسط المدينة أين التقى بالمدعو حمو بلقاسم وبعض أعيان المدينة الّذين اقترحوا على الشّيخ البقاء بينهم لتعِليم أبنائهم وتَسيير مدرستهم الحُرة التي شيدوها بجوار المسجد وسط المدينة؛ حاول الشّيخ الاعتذار وبإلحاح منهم مكث المرحوم بينهم ليواصل نشر الرّسالة المنوطة به ألا وهي نشر العِلم والفقه وأصول الدّين بين أفراد المُجتمع، المعروف على الشّيخ رحمه الله أنه كان اختصاصيا في علم الحديث ورائداً من رواد نشر العلم ونور الفقه.

انتقل الشّيخ بعد الاستقلال إلى مدينة وهران استمرّ في التدريس وإمامة المسلمين، كما كان واعظاً ومُرشداً إلى غاية وفاته بمدينة وهران سنة 1990م.

أُنشئ فرع جمعية العُلماء المسلمين الجزائريين بمدينة مشرية في الأربعينيات، كان يَنشط سرياً حسب ما يُذكر لم يكن ليُسمح لهم بالنّشاط كون المنطقة كانت منطقة عسكرية.

فرع جمعية العُلماء المسلمين الجزائريين بمشرية كان يضم كُلاً من المرحوم الحاج أحمد تبون، المولود سنة1901م بمدينة بوسمغون، تتلمذ رحمه الله في الكتاتيب على يدّ مشايخ مدينة بوسمغون رجل حكيم ذو رأي سديد زاهد مُلتزم ومُنضبط كان مُلازماً لمسجد أبي بكر الصديق أين كان يلقي الدروس في الفقه والسّنة، توفي في 02 نوفمبر من سنة 1998م بمدينة مشرية.

عبد الرّحمن بداوي

المصادر

- الموسوعة الحرة ويكيبيديا اخر ولوج 2021

عبد الغني نوبلي
(1343هـ - 1925م/1426هـ - 2006م)

المرحوم الشّيخ عبد الغني نوبلي من مواليد سنة 1925م بقريّة حاسي خليفة بولايّة وادي سوف.

تتلمذ في الكتاتيب بمسقط رأسه على يد مشايخ القريّة، ثمّ بعث به والده إلى الزّاويّة الرّحمانيّة بمدينة توزر التونسيّة أين حفظ وختم القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز الثالثة عشر سنة، التحق بجامعة الزّيتونة سنة 1946م وتخرج منها بالشّهادة الأهليّة سنة1951م، انضم كعضو فعال بجمعيّة العُلماء المسلمين الجزائريين أيام الدراسة بجامعة الزّيتونة رفقة بعض الأصدقاء نذكر منهم الدّكتور قسوم عبد الرّزاق، المرحوم الشّيخ عبد الرّحمن شيبان، المرحوم الشّيخ محمد العربي تمنطيط وأخرين هم كُثر أمثال المرحوم مولود بلقاسم نايت بلقاسم والمرحوم عبد الحميد مهري. تمدرس على يدّ المرحوم الشّيخ الفاضل بن عاشور وكانت تربطه علاقة جيدة ومُميزة بشيخه الفاضل بن عاشور حتى سمّى ابنه الأكبر الأستاذ فاضل تيمناً وتبركاً بهذا العلامة الكبير.

قام المرحوم عبد الغني نوبلي مع بعض الطّلبة من أبناء وادي سوف بتكوين جمعيّة للطلبة السّوافة على غرار ما قام به طلبة الجهات الأخرى وبفضل هذه الجمعيّة الطّلابيّة ربطته علاقة وطيدة بالشهدين سعيد عبد الحي وهالي عبد الكريم، وبعد اندلاع الثورة التحريريّة المجيدة وبدايّة تكوين النّظام في تونس سنة 1955م تم تَعيين الشّهيد عبد الحي سعيد مسؤولاً عسكرياً وسياسياً وبطلب منه انضم المرحوم عبد الغني نوبلي للمشاركة معه في النّظام وانخرط فعلياً في صفوف جيش التحرير الوطني تحت لواء جبهة التحرير وفي نفس الوقت كان معهما جمال قنان وعبد الرّحمن الشّريف أُسندت للمرحوم نوبلي مسؤوليّة نيابة الشّهيد عبد الحي وشرع في العمل النّضالي على جميع الأصعدة، وذلك بتكوين خلايا وتَعيين مسؤولين في كل النّواحي (مدن وبلديات وقري) على مستوى تراب الجمهوريّة التونسيّة وجمع الأموال والأسلحة التي كان يَجلبها الشّهيد هالي عبد الكريم من مصر عبر ليبيا مُروراً الجنوب التونسي، كما كان المرحوم عبد الغني قائماً على علاج المرضى، والجرحى من المجاهدين وإسعافهم ومد يد العون لهم ولأسرهم.

تَقلد المرحوم نوبلي ابتداء من سنة 1957م عدّة مسؤوليات منها مسؤول المنطقة الأولى والثانيّة ثمّ الثالثة. وسنة 1958م التحق بالحكومة المؤقتة كرئيس منطقة تونس العاصمة، ثمّ بعد ذلك رئيس منطقة غارديماو مُمثلاً الحكومة المؤقتة. كان المرحوم مُقرباً جداً من البطل الشّهيد العقيد عميروش حيث التقى به عدّة مرات في الاجتماعات التي دارت في مَقر جيش التحرير الوطني في جبال غارديماو على الحدود الجزائريّة التونسيّة. بقى في نِضاله ومسؤولياته على المنطقة الحدوديّة.

رفض الشّيخ عبد الغني رحمه الله بعد الاستقلال عدّة مناصب سياسيّة هامة ليتفرغ لتربيّة أبنائه وبالنّسبة للشيخ فإن المُهمة قد انتهت بعدما نالت الجزائر حريتها. ارتبط اسم عائلة نوبلي بمدينة مشريّة برسالة نبيلة إنها رسالة التربيّة والتّعليم واقترن اسمها بالعلم والمعرفة؛ التحق الشّيخ عبد الغني بسلك التربيّة والتعليم بمدينة عنابة، ثمّ ارتقى إلى منصب مُفتش بمدينة مشريّة. للعلم الشّيخ عبد الغني نوبلي كان أول مُفتش للتعليم في المنطقة حيث كان مسؤولاً على مدينة مشريّة ومدينة العين الصّفراء والمناطق المُجاورة. أحب مدينة مشريّة وأهلها الكرام من الوهلة الأولى حيث أبهر بكرم وطيبة النّاس فيها، وما زاد من حبّه للمشريّة أنه التقى بصديق الدّراسة الشّيخ المرحوم تمنطيط وارتبط كذلك بالمرحوم الأستاذ الحاج جلول محمد العربي وكذا المرحوم بشرى عبد القادر قاضي المدينة آنذاك والعديد من أبناء المدينة من بين هؤلاء نود أن نذكر بالخصوص السّيد محمّد بختاوي وعائلته الكريمة.

زرع الشّيخ عبد الغني نوبلي في نفوس أبنائه حبّ مدينة مشريّة وناسها الطّيبين؛ انتقل في نفس المنصب أيّ مُفتشاً لمنطقة شرشال بشمال البلاد وغادر مدينة مشريّة في شهر جوان من سنة 1972م تاركاً وراءه الأصدقاء والأحبة وكذلك ابنته الصّغرى مدفونة في مقبرتها.

توفي الشّيخ عبد الغني نوبلي رحمه الله بمدينة شرشال ودُفن بها سنة 2006م عن عمر يناهز 81 سنة.

عبد الرّحمن بداوي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

عبد الكاظم العبودي
(1366هـ - 1947م/1442هـ - 2021م)

ولد عبد الكاظم العبودي في منطقة كميت محافظة ميسان، العراق، في الأول من شهر جويليّة 1947، وهو من عائلة فلاحيّة معدمة، بسبب تكالب الإقطاع عليها، وينسب إلى قبيلة البو محمّد العربيّة، التي استوطنت مناطق الميمونة وكميت على ضفاف نهر دجلة، هذه القبيلة، التي واجهت كثيراً من التعسف والظّلم العثماني، ثم البريطاني، وعهود الحكم الوطني في العراق، وتمتد أصولها إلى العزة وزبيد في نجد.

درس في مدرسة الماجديّة الابتدائيّة ونال تعليمه فيها إلى الصّف الثالث الابتدائي

لتضطر عائلته إلى الهجرة والرّحيل إلى بغداد في العام 1955، وتابع تعليمه الابتدائي في مدرسة الخلد الابتدائيّة بمحلة الوشاش، ومنها إلى متوسطة العروبة، ثم تابع تعليمه بثانويّة الشّعب للبنين في مدينة الكاظميّة ونال شهادة البكالوريا، وتوجه إلى الحياة العمليّة إذ عمل مراقباً في وزارة الأشغال، لكنه لم يلبث طويلا في الحياة العمليّة حتى التحق بكليّة التربيّة قسم الفيزياء، بجامعة بغداد للعام الدّراسي وكان من الطّلاب النّشطاء في قيادة العمل الطّلابي والحزبي بتنظيمات القيادة المركزيّة للحزب الشّيوعي، وخاض تجربة الالتحاق بالكفاح المسلح، في نهايّة العهد العارفي، وبفشل تلك التّجربة واصل العمل الطّلابي السّري ليصل إلى قيادة التّنظيم الطّلابي والحزبي بكليّة التّربيّة، وتعرض خلال نشاطه السّياسي إلى الملاحقة والمطاردة والاعتقال، وخصوصا خلال تعيينه مدرساً في ثانويّة العزيزيّة بمحافظة واسط، مما اضطره إلى مغادرة العراق، للمرة الأولى، ضمن البعثة العراقيّة التدريسيّة إلى الجزائر في العام 1972، وعاد إلى العراق منتصف العام 1975، ولم يتمكن من التّأقلم والبقاء؛ مما اضطره للخروج من العراق والبقاء، مدّة من الزّمن، في بيروت ودمشق، حتى تمكن من الالتحاق بمنحة زمالة من الحكومة البولنديّة عن طريق اتحاد الطّلبة العالمي، فواصل دراسته في بولندا سنة 1975 في جامعة لودز، وحصل شهادة الماجستير سنة 1977 بقسم الفيزياء النّوويّة التطبيقيّة، ثم حصل شهادة دكتوراه دولة في الفيزياء الحيويّة، من جامعة لودز نفسها في عام 1983، وخلال سنوات دراسته في بولندا واصل نشاطه الطّلابي والسّياسي، فكان رئيساً لجمعيّة الطّلبة العراقيين، ورئيسا لفيدراليّة اتحادات وروابط الطّلبة العرب في بولندا، ثم رئيساً لاتحاد عموم الطّلبة الأجانب في جمهوريّة بولندا حتى مغادرته بولندا إلى دمشق بدايّة العام 1983، ولكنه قدم استقالته، من جميع المواقع الطّلابيّة والحزبيّة، وابتعد نهائياً عن النّشاط السّياسي بسبب ما لاحظه من انحراف وتبعيّة وضيق أفق، وبعدها غادر إلى سوريّة ليعمل أستاذا مدرسا في جامعة دمشق في السّنة الدّراسيّة 1983–1984م، ولم يرق له المقام، فغادر دمشق إلى الجزائر ليعمل أستاذا في جامعة وهران، وفي هذه الفترة تمكن من الحصول على منحة من منظمة التضامن الأفرو آسيوي، لمتابعة الدّراسة في جامعة لودز ببولندا فغادر وعاد حاصلا على شهادة دكتوراه علوم كيمياء حيويّة اشعاعيّة (هابيل) في عام 1987،

وتابع عمله أستاذاً للفيزياء بمعهد العلوم الدّقيقة، ونال درجة الأستاذيّة، وواصل أبحاثه العلميّة في حقل الإشعاع المؤين وتأثيراته على الخلايا والمادة الحيّة.

وقد بادر إلى تأسيس اللجنة الجزائريّة لمساندة الشّعب العراقي، واللجنة العربيّة لمساندة العراق وفلسطين، اللتين استمرتا طوال مرحلة الحصار1990–2003م، وتفرغ للنشاط السّياسي والتعبوي لمواجهة قضيّة غزو العراق واحتلال من أمريكا، ونشط حملات توجيه المساعدات الإنسانيّة إلى العراقيين، وأسهم في تنظيم وإرسال عشرات الوفود والمنظمات العربيّة والدّوليّة لدعم الشّعب العراقي، وبخاصة من خلال تنظيم (قافلة مريم) برئاسة المناضل جورج غالوي عضو مجلس العموم البريطاني، وعدد من الشّخصيات العراقيّة والعربيّة والدّوليّة، التي رافقته في رحلته إلى العراق، عبر الدّول الأوربيّة والعربيّة في الطّريق البري انطلاقا من لندن، وبعدها، رافق بعثة الإعلامي البلجيكي ميشيل كولوم، التي ضمت، وفداً جزائرياً، مع عدد من البرلمانيين الأوربيين ونشطاء حركة السّلام، ومناهضي الحرب على العراق، التي استمر أعضاؤه في الدّفاع عن العراق بعد الغزو والاحتلال، ضمن أنشطة المنظمات العربيّة والأوربيّة والعالميّة.

ولم يتوقف نشاطه العلمي والإعلامي، وكانت له متابعات بحثيّة ميدانيّة، كما نشر العديد من البحوث العلميّة، وتفرغ لأهم ملفين متعلقين بجرائم الإشعاع واستخدام اليورانيوم المنضب في الحرب على العراق، بإصدار كتابه (بشر نعم.. فئران مخبريّة لا) في العام 1993، كما تابع البحث والتقصي العلمي لملف (الجرائم النّوويّة الفرنسيّة في الصّحراء الجزائريّة)، وأنجز عشرات الأبحاث والدّراسات العليا، منها كتابه (يرابيع رقان.. جرائم فرنسا النّوويّة في الصحراء الجزائرية) في العام 1996.

وشارك في عشرات المؤتمرات وورشات البحث الوطنيّة والدّوليّة حول جرائم الإشعاع وأسلحة الدّمار الشّامل، ولشغفه بالبحث العلمي حاز شهادة دكتوراه دولة في فلسفة الأخلاق، بجامعة وهران في العام 2011، إذ تناول في بحثه الجانب الأخلاقي والعلمي والتوثيقي لجرائم أسلحة الدّمار الشّامل في الجزائر.

وشغل مناصب عديدة في مخابر البحث الجامعي وورشاته، وأصدر أكثر من 44 كتاباً أكاديمياً وعلمياً، منها عشرة كتب متخصصة حول قضايا الإشعاع والتّلويث البيئي، بالإضافة إلى إسهاماته في حقل التّرجمة العلميّة، وتدريس مواد الفلسفة وتاريخ العلوم، إلى جانب تخصصه الرّئيس في الفيزياء النّوويّة والحيويّة والكيمياء الإشعاعيّة. وقد حصل على جائزة المجلس الأعلى للغة العربيّة في الجزائر، في أوّل مسابقة حول الأعمال، التي تبحث القيّمة العلميّة واللسانيّة للّغة العربيّة في بحث حول (تأملات في مصطلح الخطاب الجامعي)، كما نال عشرات التكريمات والجوائز في الجزائر، وفي عدد من الدّول، حول دوره في نشر الثقافة العلميّة، وفضح جرائم الاستعمار في ملفات الحرب النّوويّة والكيمياويّة والجرثوميّة والإبادة والمجازر الجماعيّة المرتكبة ضد الشّعوب.

كان معظم نشاط عبد الكاظم العبودي من وهران وتلمسان بالجزائر حيث كان يعمل أستاذاً للفيزياء وباحثاً في المجالات التطبيقيّة، وكان متابعا جادا للبحث العلمي والكتابة في موضوع (التجارب النّوويّة الفرنسيّة في الجزائر)، وهو من الخبراء القلائل، الذين تابعوا هذا الملف، عن قرب، في العالم، وعلى مدى ربع قرن من المتابعة، كتب وبحث فيه ونشر عنه، مثلما تابع البحث والكتابة عن موضوع الآثار البيئيّة والصّحيّة لجريمة استخدام اليورانيوم المنضب في الحرب على العراق وحاضر

حـول الموضـوع فـي عديـد مـن العواصـم الغربيّـة والعالميّـة فـي جنيـف وبرشـلونة ودمشق وكوالامبور ووارشو.

أسّـس عبد الكاظم العبودي سـنة 2013م حركة اليسـار التّقدمي في العـراق، وانتخب أمينـاً عاماً لها، ورشـح من خلالهـا نائباً أول للأميـن العـام للجبهـة الوطنيّـة والقوميّـة والإسـلاميّة والمتحـدث الرّسـمي لهـا، وبعدهـا بعـام واحـد، فـي آذار 2014، حضر أعمـال انعقـاد المؤتمـر التّأسيسـي الأول للمجلـس السّياسـي العـام لثـوار العـراق، وترأس جلسـاته على مدى يومين، وانتخب لعضويّـة المكتـب التنفيـذي للمجلـس، مكلفـاً بمهمات عـدّة منها: لجنـة العلاقات الخارجيّة ولجنة حقوق الانسان، وفي نيسان من العام 2016، عقد المؤتمر العاشر للجبهة الوطنيّـة والقوميّة والإسـلاميّة فانتخب أميناً عامـاً للجبهة، وأعيد انتخابه، مرة أخرى، في نيسان من العام 2017 أميناً عاماً للجبهة، التي أصبح اسمها الجبهة الوطنيّة العراقيّة.

عبد الكاظم العبودي متزوج ولديه أولاد وبنـات وأحفـاد، وكانـت لـه عـدّة أنشـطة، واهتـم بالكتابـة العلميّـة والنّشـر، الترجمة، الصّحافة والإعلام، كتابة الشّـعر، والتّصوير الفوتوغرافـي، وكان مـن هـواة المسـرح وكتابـة النّقد الأدبي ونقد الفنون التّشـكيلي.

توفي عبد الكاظم العبـودي في الجزائر التي أحبها، أحبته وهو يحمل الجنسيّة الجزائريّة، وأحبه أبناء الجزائر لتواضعه، وشيمه النّبيلة، ووفائه للجزائر التـي كرمته، ووافته المنة في المستشـفى العسـكري في وهـران عن عمر ناهز 74سـنة، يوم الثلاثاء 4 ماي 2021م، بعد مـرض عضـال، قاومه بـكل شـجاعة وصبر إلـى آخر لحظة مـن حياته، ولكـن لا مهرب من قـدر الله، وقـد تأثـر لوفاته شـديد التّأثر زوجته الجزائريّة السّيدة الأديبة مونيا صاري التـي رثته بألم وحزن، وحضـر جنازته أبناؤه وزمـلاؤه فـي الجامعـة وطلابـه، وممثلـوا الهيئـات الرّسـميّة فـي الجزائـر، وأقامت له جريدة الجمهوريّـة بوهـران أربعينيّة تكريما لمواقفة الإنسـانيّة المشرفة، ودفاعة الصّادق عن حقوق الإنسـان، وحضـر التّأبينيّة ممثل رئاسـة الجمهوريّـة، والعديـد مـن ممثلـي الهيئات الرّسميّة والشّخصيات الوطنيّة، إلى جانب أسـرة الفقيـد وأصدقـاؤه، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

عـرف عـن الدّكتـور كاظـم العبـودي، إصراره على كشـف جرائم فرنسا النّوويّة في الصّحراء الجزائريّة، حيث سـخر الـ 30 سنة الأخيرة من عمره في توثيقه،

وعمـل العبـودي رفقـة أعضـاء جمعيّـة (أحباب البيئة في الجزائر) على طرح الملف أمام مجلس حقوق الإنسان بجنيف.

ويحـوز الدّكتـور العبـودي علـى 3 دكتـورات فـي الفيزيـاء النّوويّـة سـنة 1977 والفيزيـاء الحيويّة فـي 1983 وأخيرا دكتوراه الفلسـفة التـي ناقشـها بجامعة وهـران 2011 حول أخلاقيات البحث العلمي.

وأنتـج عـدة مؤلفـات حـول التفجيرات النّوويّـة منهـا: يرابيـع رقـان (2001)، جرائم فرنسـا الصّحراء الجزائريّة (2000) استعمال الأسـلحة المحرمة دوليا وهو مؤلف مشترك مع وزارة المجاهدين.

نورالدّين السّد

عبد الـمجيـد الشّافعي
(1352هـ - 1933م/1393هـ - 1973م)

عبـد المجيد بـن إبراهيـم الشّـافعي، وابن علجيّـة بولحيّة؛ وُلد في يـوم : (29ربيع الأول 1352هــ)؛ الموفـق لــ (22جويليّة1933م)، فـي قريّـة (مغالسّـة)؛ التّابعـة لدائرة (شـلغوم العيـد)؛ التّابعة حالياً إلى ولايّـة (ميلة)، حفظ القـرآن الكريم فـي طفولته بعد أن تـردد على بعـض الزّوايـا القريبة مـن قريته، ومـن بينها: (زاويّة سـيدي عبد الرّحمن بـن الحملاوي)، ب (التّلاغمـة) بولايّـة (ميلـة) حالياً، وقـد انتقـل إلـى بعـض المـدارس التّعليميّـة المتوفـرة، وتعلـم اللُّغـة العربيّـة والفرنسـيّة فـي آن واحد، وبعد انـدلاع الحـرب العالميّة الثّانيّـة سـافر إلـى (تونـس)، ودرس بجامـع (الزّيتونـة)، ونـال الشّـهادة الأهليّـة بتفـوق، عـام: (1367هــ/ 1948م)، وواصـل دراسـته بتفـوق، وحصـل علـى شـهادة التّحصيـل في العلـوم، عـام: (1370هــ/ 1951م)، وفي عام: (1371هــ/ 1952م) رجـع إلى وطنـه الجزائر، وانخـرط فـي سـلك التّربيّـة والتّعليـم تحـت لـواء جمعيّة العلمـاء المسـلمين الجزائريين، التي كثفـت مـن نشـاطها العلمـي والتّعليمي خـلال تلـك الفتـرة، وعُيّـن مديـراً لمدرسـة جمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين فـي مدينـة (شـلغوم العيـد) أثنـاء الموسـم التّعليمـي: (1370هـ/ 1371هــ)، الموافـق لــ (1951/ 1952م)، وقـد كثـف مـن نشـاطه التّعليمي خـلال تلك الفتـرة، ودرّس في عدّة جهات من الوطـن، وانتقل بعد فترة إلى مدينة (العلمـة)، ودرّس فيهـا لفتـرة، ثـم سـافر إلى قريّة (الرّواشـد) في مدينة (بـرج بوعريريج)؛ فعمـل بالإمامة، والتّدريس في الوقت نفسـه، ونـال إعجاب سـكان القريّـة، وأثّـر فيهم أيما تأثيـر، وبعد أن تمـت مُحاصرتـه ومتابعته من طرف سلطات الاسـتدمار الفرنسي بسبب بثه للوعي الوطني، وتنميته للشعور التّحرري في أوسـاط أبناء القريّة، انتقل إلى مدينة (قالمة)؛ فـدرّس فيها بمدرسـة (محمّد عبـده)، وأحبه طلابـه وأبنـاء منطقـة (قالمة)؛نظراً لتميّـزه فـي التّدريس، وإشـرافه الجيّد علـى مختلف الشّـؤون التّربويّة، والأنشطة العلميّة، وبسبب حُسن تواصله مع مختلف أطياف المجتمع تمّ إرساله إلى (فرنسا) من أجل الاتّصال بالجاليّة

الجزائريّة، وبث الوعي، والرّوح الوطنيّة في صفوفها، وبسبب تعرضه لمضايقات كثيرة بفرنسا بعد اكتشاف أنشطته التّربويّة والعلميّة، عاد إلى أرض الوطن، وبعد استقلال الجزائر عام: (1382هـ/ 1962م)، استقر بمدينة (قالمة)، وعمل في مجال التّربيّة، والتّعليم، والنّشاط الدّيني والثّقافي، كما تقلد العديد من المناصب التّربويّة؛ ومن بينها مدير مدرسة الفتح بقالمة، كما عمل في مجال الاستشارة التّربويّة، وعُيّن مستشاراً تربوياً بدائرة (قالمة)، كما عمل مفتشاً مُكلفاً بالتّعليم الابتدائي، وكان يُساهم بين الفينة والأخرى في إثراء الحركة الثّقافيّة والأدبيّة من خلال نشر بعض الأعمال الإبداعيّة، والدّراسات الأدبيّة في مجالات شتى، مثل: القصة، والمسرح، والمقالة، والشّعر، ومختلف الفنون الأدبيّة، وقد توفي يوم: (27شوال1393هـ)، الموافق لـ (23نوفمبر1973م).

من أهم مؤلفات الأديب (عبد المجيد الشّافعي) النّقديّة، كتاب: (سبيل الخلود الأديب الشّهيد أحمد رضا حوحو :نضال وإنتاج في سبيل الخلود)؛ الذي صدر عن منشورات مطبعة الشّهاب بقسنطينة، عام: (1384هـ/ 1964م)، وقد أصدر هذا الكتاب تخليداً واعتزازاً بصديقه الأديب الشّهيد (أحمد رضا حوحو)؛ الذي كانت تربطه به علاقات قويّة جداً، ومما جاء لدى حديثه عنه في الكتاب: (ذلك الأديب الذي اشتهر في ميدان الأدب، وحظي بمقام مرموق بين أدباء الجزائر، ولا أخفي على قارئي العزيز بأنني إذا ذكرت الأديب حوحو لا أتغلب على نفسي مما تملكها من أسف وحسرة، وزفرات صاعدّة بين الفينة والأخرى، لما تركه من فراغ في محيط الأدب الجزائري. أذكر حياته القصيرة المفعمة بجليل الأعمال في العلم والأدب، بين كاتب للمعهد، ومشارك بمقالاته القيمة في البصائر، ومنتج لأسفار نافعة... وكان في كل ما يكتب ثائراً مشبعاً بروح الوطنيّة والإخلاص، ومجاهداً مكافحاً بصدق وحسن)، وقد ضمّ الكتاب العديد من النّماذج الأدبيّة التي كتبها (أحمد رضا حوحو)، كما ركز فيه على وصف، وتحليل بعض خصائص الإبداع الأدبي عند حوحو، واجتهد من أجل إبراز شخصيته الأدبيّة، وشغفه بالإبداع والثّقافة عموماً، وقد تحدث بدقة في هذا الكتاب عن سيرته؛ حيث تطرق إلى ولادته، وتعليمه، ووظائفه، ومصادر ثقافته، ومواقفه، واستشهاده، وهناك الكثير من الفقرات في الكتاب التي تؤكد صلته الوثيقة به، وتُبيّن عُمق الصّداقة التي جمعتهما، حيث نلفيه وهو يصفه وصفاً دقيقاً، فيقول: (رجل طويل القامة، ليس بالطّول الفارع، وسط بين البدن والنّحيف، شعث شعر الرّأس أسوده، واسع الجبين، بعيد ما بين الحاجبين، أسمر البشرة، واسع العينين، مستقيم الأنف، مستطيل الوجه، كبير الفم، حاد الذقن، وقف الأذنين، طويل العنق، بعيد ما بين المنكبين، حاد النّظر، تبدو عليه علائم الذكاء والفطنة، حسن الهندام، يلازم المنظر (النّظارات) عينيه ليساعدهما على إطالة المطالعة ومواصلة الكتابة)

ومن جانب آخر فإن كتاب : (سبيل الخلود الأديب الشّهيد أحمد رضا حوحو :نضال وإنتاج في سبيل الخلود)، للأديب (عبد المجيد الشّافعي)، يكشف وجهاً آخر من أنشطته الثّقافيّة، والأدبيّة من خلال سعيه لتأسيس هذه السّلسلة (سبيل الخلود)، فنجده يصف هذا المشروع الثّقافي الذي لم يكتب له النّجاح للأسف، ويُبيّن مدى تشجيع صديقه الأديب الشّهيد (أحمد رضا حوحو) له، فيقول في مستهله : (سبيل الخلود : منذ بضعة أعوام كانت هذه الفكرة تختمرني، وكان الأمل يحدوني؛ وبذلت مساعي جبارة لتحقيقها.ثم طرحتها على بساط البحث بين عديد من الزّملاء، ووقع فيها الأخذ والرّد، ونالتّ استحساناً من البعض، لكنه غير جدي؛ ورفضاً من البعض الآخر، إما اعتباطاً؛ وإما عجزاً معنوياً، أو مادياً؛ وةإما خوفاً من الفشل والنّكطسة...وعرضتُ الفكرة على المرحوم الشّهيد (أحمد رضا حوحو) فلقيت عغنده قبولاً حسناً، وتأييداً صادقاً؛ ووعدني وعداً خالصّاً بالتّأييد والتّشجيع المادي والأدبي معاً... ونصحني ألا أعلنها قبل الأوان، وزودني بآراء وأفكار هي جد نافعة لي، إذا أنا عقدت العزم على القيام بهذا العبء الثّقيل الذي يتطلب مجهودات جمة، ويكلف نفقات باهظة، ويستدعي سنداً من الأصدقاء، ومعيناً لا ينضب من المادة...ثم جواً ملائماً لانتعاش الفكر الأدبي، وكسب عدد كاف من القراء... وعملاً مثمراً يضمن النّشوء والارتقاء، ويقي من الفشل والانقطاع السّريع. جالتّ في نفسي خواطر، وعزمت على تنفيذ الفكرة، ففكرت...وقدرت... وسطرت لها برنامجاً واسعاً...وقدمت وأخرت...وكتبت ومزقت...ودرست آرؤاء حوحو، وأسرعت...وأردت أن أسبق الزّمن، ثم..ثم درست نصائح حوحو من جديد، فألفيتها ناتجة من صديق صميم؛ ومنبعثة من أعماق شخص حنكته التّجارب، وغذته الحياة بجيد الغذاء ورديئه، وأدركتُ أخيراً بأنه شخص ثاقب الرّأي، واسع التّفكير، سليم الطّويّة، نافذ البصيرة .فتغلبت على ارتجالاتي، وانتظرت الوقت المناسب لتنفيذ الفكرة، وبعث المؤسّسة...).

ومن أبرز الأعمال الإبداعيّة للأديب (عبد المجيد الشّافعي) روايّة: (الطّالب المنكوب في قصة غراميّة موضوعة)، وقد نشرت عام: (1370هـ/ 1951م) في تونس، وقد وصفها بقوله: (قمت بوضع هذه القصة ضمن هذه الوريقات، خياليّة من ناحيّة، وحقيقيّة من بعض النّواحي، خياليّة من جهة تسميّة بطلها وتعيينه، وتسميّة الفتاة التي تعلق بها بطل القصة، وتعيين محل سكناها وموقعه، وواقعيّة بالنّسبة لحالة التّلميذ التي يقضيها في أطوار تلمذته، وما تتاوره من أزمات وشدائد... اخترت أن تكون هذه القصة أولى تأليفي وباكورة أعمالي، لأنني ما زلت إلى الآن بصدد التّعلم، وقد قاسيت فيه ما قاساه سائر زملائي أو أشد من الآلام والأسقام، ولكنني احتملت وصبرت).

وبالنّسبة إلى مضامينها ذكر أنها تحتوي على (أغراض ساميّة، وأخلاق فاضلة يجدر بكل شاب مسلم أن يتجمل بحلتها الفضفاضة، كالاعتماد على النّفس، والسّعي في التّعلم، وطلب المجد، والدّفاع عن كيان القوميّة الماجدة، والشّرف النّبيل، وهي المقصود الأهم من قصتنا هذه).

ويذهب الباحث والأستاذ (شريبط أحمد شريبط) إلى أن: (الشّخصيات في

روايّة (الطّالب المنكوب) لم تتنوع كثيراً، حتى إنه يمكننا القول إنها شخصيات نمطيّة نموذجيّة، تتحرك وفق الرّغبة التي رسمها لها المؤلف، وأبرز الشّخصيات التي تبقى عالقة بذاكرة المتلقي شخصيّة عبد اللطيف، وشخصيّة صديقه عبد الودود، وشخصيّة لطيفة، وتعبر دلالات الأسماء على صفات حميدة تدل على الود والمحبة، غير أن نمو هذه الشّخصيات لم يكن متقناً، حيث بدت كأنها عبارة عن دمة تخضع حركاتها لعنصر الصّدفة، الذي أخل بانسيابيّة النّص وإقناعه؛ حيث يلتقي عبد اللطيف بخطيبته صدفة، وكذلك ينقذ عبد اللطيف لطيفة من الغرق في عرض البحر صدفة، إن عامل الصّدفة – وإن أسهم في انتقال الوضعيّة الاجتماعيّة لعبد اللطيف، من وضع اجتماعي إلى وضع آخر أفضل– نظن أنه عمل على اقتراب النّص من النّصوص الحكائيّة البسيطة، حيث يقوم البطل فيها بأدوار يكون الرّاوي قد أهله للقيام بها على أكمل وجه...).

كما أن للأديب (عبد المجيد الشّافعي) العديد من الأعمال القصصيّة بعضها طبع، وبعضها ما يزال مخطوطاً، ومن بينها: (الأديب المجهول)، و(بدايّة قصة)، و(الخماس الصّبور)، و(مع ملاكم)، و(مليسة).

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1. عبد المجيد الشّافعي: سبيل الخلود الأديب الشّهيد أحمد رضا حوحو نضال وإنتاج في سبيل الخلود، منشورات مطبعة الشّهاب، قسنطينة، الجزائر، 1384هـ/ 1964م.
2. شريبط أحمد شريبط: الأديب عبد المجيد الشّافعي– مقاربة تحليليّة نقديّة لإنتاجه الأدبي–، منشورات التّبيين، مؤسّسة الجاحظيّة، الجزائر، 2000م.
3. د.محمّد صالح الجابري:الأدب الجزائري في تونس، منشورات المؤسّسة الوطنيّة للترجمة والتّحقيق والدّراسات، (بيت الحكمة)، تونس، 1991م.

عبد الحميد بن باديس
(1306هـ - 1889م/1359هـ - 1940م)

عبد الحميد بن محمّد المصطفى بن المكّي بن محمّد كحول بن الحاج علي النّوري بن محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن بركات بن عبد الرّحمن بن باديس الصّنهاجي.

ولد بمدينة قسنطينة عاصمة الشّرق الجزائري يوم الأربعاء الموافق لـ 4 ديسمبر 1889م على السّاعة الرّابعة بعد الظهر، وسجل يوم الخميس 5 ديسمبر 1889م في سجلات الحالة المدنيّة.

نشأ في أسرة عريقة ومتدينة وذات مكانة وجاه، فأبوه محمّد المصطفى بن باديس كان حافظا للقرآن ومن أعيان المدينة، واشتغل قاضيا وعضوا في المجلس الجزائري الأعلى، ومن رجال أسرته المشهورين المعز بن باديس الذي أعلن انفصال الدّولة الصّنهاجيّة عن الدّولة الفاطميّة وأعلن فيها مذهب أهل السّنة والجماعة.

تلقّى تعليمه الأوّل في علوم الدّين واللغة بداية من 1903 بمسقط رأسه في جامع «سيدي محمّد النّجار» على يدّ الشّيخ حمدان الونيسي أحد علماء الجزائر آنذاك.

حفظ القرآن الكريم في 13 من عمره، على يد الشّيخ محمّد بن المداسي أشهر



مقرئ بقسنطينة. في عام 1908م قرر ابن باديس –وهو الشّاب المتعطش للعلم– أن يبدأ رحلته العلميّة الأوّلى إلى تونس، وفي رحاب جامع الزّيتونة الذي كان مقراً كبيراً للعلم والعلماء يُشبه في ذلك الأزهر في مصر. وفي الزّيتونة تفتحت آفاقه، وعبّ من العلم عبًّا، والتّقى بالعلماء الذين كان لهم تأثير كبير في شخصيته وتوجهاته، مثل الشّيخ محمّد النّخلي القيرواني الذي غرس في عقل ابن باديس غرسة الإصلاح وعدم تقليد الشّيوخ، وأبان له عن المنهج الصّحيح في فهم القرآن. كما أثار فيه الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور حب العربيّة وتذوّق جمالها، ويرجع الفضل للشيخ البشير صفر في الاهتمام بالتّاريخ ومشكلات المسلمين المعاصرة وكيفيّة التّخلص من الاستعمّار الغربي وآثاره.

تخرّج الشّيخ من الزّيتونة عام 1912م وبقي عاماً آخر للتدريس حسب ما تقتضيه تقاليد هذه الجامعة، وعندما رجع إلى الجزائر شرع على الفور بإلقاء دروس في الجامع الكبير في قسنطينة، ولكن خصوم الإصلاح تحركوا لمنعه، فقرر القيام برحلة ثانيّة لزيارة أقطار المشرق العربي.

بعد أداء فريضة الحج مكث الشّيخ ابن باديس في المدينة المنوّرة ثلاثة أشهر، ألقى خلالها دروساً في المسجد النّبوي، والتّقى بشيخه السّابق أبو حمدان الونيسي وتعرف على رفيق دربه ونضاله فيما بعد الشّيخ البشير الإبراهيمي. وكان هذا التّعارف من أنعم اللقاءات وأبركها، فقد تحادثا طويلاً عن طرق الإصلاح في الجزائر واتفقا على خطة واضحة في ذلك. وفي المدينة اقترح عليه شيخه الونيسي الإقامة والهجرة الدّائمة، ولكن الشّيخ حسين أحمد الهندي المقيم في المدينة أشار عليه بالرّجوع للجزائر لحاجتها إليه.

أوّلى بن باديس التّربيّة والتّعليم اهتماما بالغا في نشاطه الإصلاحي، وتوج ذلك بتأسيس مكتب للتعليم الابتدائي العربي عام 1926 انبثقت عنه في عام 1930 مدرسة جمعيّة التّربيّة والتّعليم الإسلاميّة، وهي الجمعيّة التي أصبح لها نحو 170 فرعا في مختلف مناطق الجزائر.

استعمل الصّحافة لنشر فكره الإصلاحي من خلال إصدار جريدة المنتقد عام 1925، التي تولى رئاسة تحريرها، ثم جريدة الشّهاب في نفس السّنة.

أنشأ رفقة 72 عالما من شتّى الاتجاهات الدّينيّة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين (1931) وانتخب رئيسا لها، وجعل شعارها «الإسلام ديننا، العربيّة لغتنا، الجزائر وطننا».

أسهم بمواقفه وآرائه في إثراء الفكر السّياسي بالحديث عن قضايا الأمّة، ففي عام 1936 دعا لعقد مؤتمر إسلامي بالجزائر لإفشال فكرة اندماج الجزائر مع فرنسا، كما شارك ضمن وفد المؤتمر الإسلامي المنعقد بباريس في يوليو/ تموز 1936.

حاور لجنة البحث في البرلمان الفرنسي في أبريل1937م، ودعا النّواب لمقاطعة المجالسّ النّيابيّة في شهر أغسطس سنة 1937، كما دعا لمقاطعة احتفالات فرنسيّة بمناسبة مرور قرن على استعمّار الجزائر في 1937.

تخرّج على يد ابن باديس جيل من العلماء والمصلحين ورجال التّعليم، ورموز الفكر والأدب في الجزائر الحديثة، وفي مرحلة رئاسته لجمعيّة العلماء، تبلورت أفكارها، وتركزت دعائمها، وتعدّدت مناشطها، وتنامت مدارسها وتكاثر أتباعها، حتى أصبحت هذه الحركة مع حركات إصلاحيّة مماثلة، الحصن الحصين للشخصيّة العربيّة المسلمة في وجه الفَرْنَسة والتّغريب.

أصدر ابن باديس جريدة (المنتقد) سنة، 1924 ثمّ مجلّة (الشّهاب) الأسبوعيّة سنة 1925 ثمّ تحوّلت سنة 1929 إلى مجلّة (الشّهاب) الشّهريّة، واستمرّت منتظمة الصّدور حتى سنة 1939م.

وتخللت (الشّهاب) جرائد، تتفاوت عمراً، وتتنوّع أسماءً منها (الشّريعة) و(السّنّة) و(الصّراط) و(البصائر) في سلسلتها الأوّلى، وكلها صدرت في الثّلاثينات. وكان اسم ابن باديس يتصدّر ديباجة الجرائد والمجلاّت التي أصدرها، وربّما تولّى رئاسة تحريرها بعض العاملين معه في الحركة الإصلاحيّة. ولكنّه يبقى، هو نافخ الرّوح فيها، وباعث أنفاسها، وراسم وجهتها. وهو يصرح باسمه فيما يكتب، خاصّة في الكلمة الحاسمة، والموقف الصّعب، ولا يهادن المستعمر في المساس بأصالة الشّخصيّة الجزائريّة العربيّة المسلمة.

وجدير بالذكر أنّ ذكرى وفاة ابن باديس في 16 نيسان، هي (عيد العلم) السّنوي للجزائر المعاصرة، منذ استقلالها.

في حياته لم يترك أيّة مؤلّفات منشورة ويقال إنّه ألف الرّجال ولم يؤلف الكتب. غير إنّه ترك آثارا كثيرة جمعها تلامذته في أعمال منشورة أهمها: تفسير ابن باديس طبعه أحمد بوشمال عام 1948، ثم طبعته وزارة الشّؤون الدّينيّة بالجزائر تحت عنوان (مجالسّ التّذكير من كلام الحكيم الخبير) عام 1982، وطبعته مرة أخرى وزارة الشّؤون الدّينيّة بالجزائر تحت عنوان مجالسّ التّذكير من حديث البشير النّذير عام 1983.

كما ترك كتاب العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الذي طبعه تلميذه محمّد الصّالح رمضان سنة 1963، ثم على يد الشّيخ محمّد الحسن فضلاء في 1984م. كما طبع كل من توفّيق شاهين ومحمّد الصّالح رمضان كتاب رجال السّلف ونساؤه عام 1966م، ثم كتاب مبادئ الأصول الذي حققه ونشره الدّكتور عمّار طالبي سنة 1988م.

وخلف آثارا عديدة نشرت على شكل مقالات وخطب ومحاضرات وقصائد شعر في صحف بينها المنتقد، والشّهاب، والنّجاح، والشّريعة المطهرة، والسّنة المحمّديّة، والبصائر.

بعد استقلال الجزائر، جمعت آثاره، وصدر منها مؤلفان هما:

- «مجالسّ التّذكير من كلام الحكيم الخبير»، سنة 1982م.
- «مجالسّ التّذكير من حديث البشير النّذير»، سنة 1983م.

ومن آثاره أيضاً:

- (رجال السّلف ونساؤه) و(الفتاوى الفقهيّة).
- مقالاته وخطبه في التّربيّة والتّعليم والأخلاق والاجتماع والسّياسة.

وقد أصيب بمرض السّرطان في الأمعاء وفي مساء يوم الثّلاثاء 8 ربيع الأوّل سنة 1359هـ الموافق 16 أبريل 1940م أسلم ابن باديس روحه الطّاهرة لبارئها متأثّرا بمرضه بمسقط رأسه.

من آثاره العلميّة:

جُمع كثير من آثاره العلميّة بعد وفاته نذكر منها:

- تفسير ابن باديس: جمع في كتاب تحت عنوان (مجالسّ التّذكير من كلام الحكيم الخبير) 1982 .
- (مجالسّ التّذكير من حديث البشير النّذير). 1983م.
- «العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة».
- كتاب «رجال السّلف ونساؤه».
- حقق ابن باديس كتاب «العواصم من القواصم» للإمام ابن العربي.

باديس فوغالي

المصادر:

- موسوعة الجزيرة فضاء من المعرفة الرّقميّة aljazeera encyclopédie
- د.عمّار الطّالبي: ابن باديس.. حياته وآثاره 2/ 138، ط دار الغرب الإسلامي.
- د.الخطيب: جمعيّة العلماء المسلمين، ص129.

عبد الحميد بن زين
(1345هـ - 1926م/1424هـ - 2003م)

ولد عبد الحميد بن زين في 27 أفريل سنة 1926، في بني ورتلان في القبائل الصّغرى ولايّة سطيف حاليا، كانت أسرته ميسورة الحال، فقد كانت عائلة تعمل في القضاء، حيث عمل جده ووالدّه وعمه قضاة، وتمكّن جده من خلال عمله أن يشتري مزرعة من القرب من مدينة بجايّة.

بدأ تعليمه في مسقط رأسه، حيث التحق بالكتّاب، فحفظ فيها ما تيسر من القرآن الكريم، وتعلم فيها مبادئ العربيّة. وفي بدايّة عام 1932، التحق عبد الحميد بن زين في السّنة الأولى بالمدرسة الريفيّة الفرنسيّة، التي افتتحت في منطقة "حمام گرگور" الجبليّة في ولايّة سطيف، وهي "مدرسة زراعيّة" تعمل على تعليم الشّباب مبادئ الزّراعة ليتخرجوا منها لممارسة البستنة.

بعد ذلك التحق الصّبي "عبد الحميد" بعمه الذي عيّن قاضيا في مدينة بجايّة، وهناك استأنف دراسته باللغة الفرنسيّة، وتمكن من الالتحاق بالمدرسة الخلدونيّة التي أسسها الشّيخ الهادي الزّروقي، عضو جمعيّة العلماء وخريج الأزهر وحفيد الإمام أحمد زروق البرنوسي، وقد تحصل على شهادته الدّراسيّة منها سنة 1938. ومما يتذكره "عبد الحميد بن زين" في هذه الفترة، أنه ألقى، وهو بالكاد في الثّانيّة عشرة من عمره، خطابًا حماسيا في مجد الحضارة العربيّة في حضور العديد من الوجهاء ومن بينهم الشّيخ عبد الحميد بن باديس.

في أكتوبر 1939، التحق بثانويّة (ألبرتيني) بسطيف، والتي أصبحت تسمى بعد الاستقلال (محمّد قيرواني)، لكن بعد إنزال الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 في شمال إفريقيا، توقفت الدّراسة في عام 1943، لأن الكليّة احتلت من قبل القوات، ثم تم شطبه من التعليم الثّانوي بعد مشاركته في أحداث 08 ماي 1945.

في أثناء إقامته بمدينة سطيف مارس مهنا عديدة: قابض في حافلة، مساعد محاسب، عامل بناء، موظف نقابي وصحفي، وغير ذلك.

سافر بعد ذلك إلى تونس والتحق بجامع الزّيتونة خلال عام 1947 والفصل الأول من عام 1948، ولم يتمّ دراسته فيه حيث توجه إلى دراسة الفنون نظرا لميولاته الشّعريّة والموسيقيّة، وسنجد بعد ذلك أثر التعليم الإسلامي واضحا في كتابات "بن زين"، فرغم توجهاته الشّيوعيّة والماركسيّة، لكن لم تغب اقتباساته الإسلاميّة.

بدأ "عبد الحميد بن زين" نشاطه النّضالي والسّياسي في سنّ مبكر جدا، فمنذ سنة 1940 بدأ يشارك في نشاطات حزب الشّعب، وتمثلت تلك النّشاطات في توزيع صحيفة الحزب "العمل الجزائري" L'Action algérienne، ونشر شعارات الحزب من خلال الكتابات الحائطيّة، وغير ذلك، وقد تعرّض للاعتقال أول مرة بعد أحداث 08 ماي 1945، وأطلق سراحه سنة 1946 مع شطبه من التعليم الثّانوي.

انضم بعد ذلك إلى حزب الشّعب الجزائري وصار عضوا متفرغا في أوت 1948 وجوان 1950. إضافة إلى هذا فقد كان مسؤولا في الكونفدراليّة العامة للشغل (CGT) (بباريس) 1951 – 1952).

وبعد انقسام (حزب الشّعب) انضم إلى الحزب الشّيوعي الجزائري عام 1953، وأصبح من قياداته ومن أبرز كتابه، رفقة بشير حاج علي والصّادق هجرس وعمار أوگان وكاتب ياسين وغيرهم. وفي تحليل للوضع الثّقافي واللغوي في الجزائر، كان يرى أنّ "المدارس القرآنيّة والإسلام واللغة العربيّة واللغة البربريّة هي (حراس الظل) والحصون الواقيّة للثقافة الوطنيّة، فقد حافظت على الشّخصيّة الجزائريّة ضد المحتل، بل إن اللغة الفرنسيّة (العدوة) أصبحت ذراعا ضد الإمبرياليّة الفرنسيّة، وفي نظره أن تلك العناصر الثّقافيّة "حراس الظل" أصبحت عناصر بائدة أو عتيقة ومع ذلك فإن لها دورا إيجابيا عبر تاريخ الاستعمار".

التحق بجبهة التّحرير الوطني عام 1955 بعد المفاوضات بين "الحزب الشّيوعي الجزائري" بقيادة بشير حاج علي و(حزب جبهة التّحرير الوطني) بقيادة عبان رمضان، وأصبح محافظا سياسيا ناحيّة سبدو بتلمسان، وفي شهر نوفمبر 1956 وخلال اشتباك مع العدو، تم اعتقاله وحكمت عليه المحكمة العسكريّة الاستعماريّة بوهران بعشرين سنة سجنا مع الأشغال الشّاقة. وقد انتقل إلى سجون عديدة منها: تلمسان، وهران لامبيز، ثم في المعسكر الخاص ببوغاري وأخيرا في معسكر حمام بوحجر إلى غايّة إطلاق سراحه في عام 1962 بعدما افتكت الجزائر استقلالها.

كان من المعارضين الشّيوعيين بعد الاستقلال، حيث كان قد أحيا صحيفة "الجزائر الجمهوريّة" المعارضة وأصبح رئيس تحريرها، لكنها أغلقت في عهد الرئيس هواري بومدين، كما اعتقل سنة 1971، وبعد التعدديّة أعاد إصدارها من 1989 إلى 1994. لم يتخلّ عبد الحميد بن زين عن مشروعه وقناعاته حتى وفاته.

نتاجه الأدبي:

ألف هذا العلم كتبا عديدة منها:

(الجبل والسّهل). وهي عبارة عن مجموعة قصصيّة؛

(لامبيز) وهي عبارة عن ترجمة ذاتيّة لحياة كفاحه أثناء الثّورة، وكذا قسوة حياة السّريّة التي عاشها بعد الاستقلال مدة 24 سنة؛

(المعسكر) صدر سنة 1961 في باريس بعد أن تم تهريبه من معسكر بوغاري بالمديّة، عن طريق محاميته الأوروبيّة، وفيه يروي معناة المجاهدين في هذا المعسكر الخطير؛

المغامرة الكبرى لجريدة الجزائر الجمهوريّة (عمل جماعي)؛

كما يعتبر بن زين من أهم الأقلام الصّحفيّة التي أنجبتها الجزائر ويعترف له أصدقاؤه وخصومة بالذكاء الخارق وبالقدرة الكبيرة على التعبئة وبالأسلوب الشّيق في الكتابة الصّحفيّة.

توفي عبد الحميد بن زين عميد الصّحفيين الجزائريين يوم السّبت 5 محرم 1424 هـ الموافق 8 مارس 2003 عن عمر يناهز السّابعة والسّبعين عاماً، بعد مرض عضال الزّمه الفراش لأكثر من شهرين.

وقد خلد اسمه في عدة مشاريع منها:

جائزة في الصّحافة باسمه، هي (جائزة الصّحافة عبد الحميد بن زين)، وهي الآن في طبعتها التاسعة؛

جمعيّة أصدقاء عبد الحميد بن زين؛

(تالغودة) من تأليف الكاتب الجزائري عمر مختار شعلال. وهو عبارة عن سيرة في شكل روائي عن شخصيّة عبد الحميد بن زين، ويتضمن هذا الكتاب الذي جاء في حوالي 200 صفحة حوارات مطولة مع عبد الحميد بن زين.

وكانت تربط المؤلف علاقة صداقة طويلة ببن زين منذ أن كانا يدرسان بنفس المؤسسة التربويّة وتقاسما نفس القناعات والكفاح السّياسي سواء كان ذلك في العلن أو في السّريّة؛

(لم نكن أبطالا) فيلم سينيمائي، من إخراج نصر الدّين غنيفي، الذي رصد فيه المصير المؤلم الذي واجهه مجاهدون بشجاعة، وتخلصوا منه بذكاء، في معسكر بوغاري الشّهير، وهي أحداث مأخوذة من كتاب "المعسكر"، عاشها كاتبها عبد الحميد بن زين وكان أحد صناعها.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

عبد الحميد بن موسى
(1357هـ - 1938م/1420هـ - 1999م)

عرفتِ العديدُ من المدن الجزائريّة شخصيات متميّزة في شتى المجالات، ومن بين تلك المدن مدينة الأغواط التي تعد واحدة من حواضر الثقافة من شعر وفنّ. فقد أنجبت شخصياتٍ تركت بصماتها في الشّعر والفنّ والموسيقى من أمثال محمد الجودي المعروف بـ (الري مالك) رحمه الله، حيث أن السّلطان المغربي بن يوسف والد السّلطان محمد الخامس هو أوّلُ من أطلق عليه تلك التسميّة.

وقد برع هذا الفنّان المتميّز رحمه الله في الغناء الأندلسي خصوصا وفي الموشحات العربيّة عموما، إذ ترك العديد من الأغاني والقطع الموسيقيّة الرائعة، وتوفي رحمه الله عام 1983 بمدينة الأغواط وسط جو من النسيان التام.

وفي الشّعر الشّعبي عرفت تلك المدينة واحدا من أكبر شعراء الجزائر في الشّعر الشّعبي أو ما يوصف بالشّعر الملحون في بعض مناطق الوطن، وهذا الشّاعر هو عبد الله التخّي المعروف بعبد الله بن كريو، الذي كان قاضيا وشاعرا ملهما غنّى بعضَ روائعه الشّعريّة كبارُ المطربين ومن بينهم خليفي أحمد وعبد الحميد عباسة اللذين أبدعا في أداء رائعة (قمر الليل)، وهي قصيدة تتميز بطرح عاطفي راق أجاد فيها هذا الشّاعر الذي عاش ما بين 1869 و1921 كما أجاد في قصائد أخرى تتسم العديد منها بطرح فلسفي مثلما يظهره هذا البيت الشّعري الذي يتحدث فيه عن عن حبيبته وعن الفيلسوف أفلاطون بقوله:

هذي دُرَّة في خزاين محظيّة
يقدح منها نور بالحكمة لهَّاب
من عهد أفلاطون كانت مخفيّة
دبرها من شاوْ عُمرُو حتى شاب.

وسنتطرق في هذا البحث لشخصيّة متميزة كرست جل حياتها للبحث في مجال الموسيقى العربيّة والموشحات والأزجال وفي تكوين عشرات الموسيقيين في مختلف التخصصات الموسيقيّة لدى توليه لإدارة المعهد الوطني للموسيقى، وهو المرحوم عبد الحميد بن موسى الذي يعد أول جزائري ينال شهادة الدكتوراه في مجال الموسيقى وكان له حضوره.

عُرِف عن الراحل منذ طفولته المبكرة ولَعُهُ الشّديد وحبه للموسيقى وخصوصا آلة العُود التي قلما كانت تفارقه طوال حياته رغم أن بداياته مع الموسيقى كانت مع آلة البيانو إضافة إلى انبهاره منذ صغره بآلة القصبة كما أكد لي ذلك شقيقه ياسين في شهادته عن المرحوم.

وُلِدَ عبد الحميد بن موسى في مدينة الأغواط في شهر جويلية 1938، درس القرآن الكريم في مطلع طفولته عند الشّيخ الطالب محمد بن عزوز في الأغواط.

ويُعتبر هذا الشّيخ الجليل واحدًا من رجالاتِ العلم الذين درس عليهم العديد من أبناء وبنات الأغواط والجزائر العاصمة، وكان واحدا من الرجال الذين ارتبطوا بعلاقات صداقة مع كل من الشّيخ عبد الحميد بن باديس ورفيقيه مبارك الميلي والعربي التبسي وغيرهم من علماء الجزائر الأجلاء.

ويذكر شقيقه ياسين أن المرحوم عبد الحميد قد زَاوَجَ في دراسته أثناء طفولته المبكرة بين الدراسة في مدرسة التعليم الابتدائي وبين دراسةِ الموسيقى على يد إحدى السّيدات الفرنسيات بمدينة الأغواط، حيث انكب على دراسة السّولفيج والتخصص في البيانو.

وكان الطفل عبد الحميد كان مسكونا منذ صغره بآلة العود وبالقصبة الصحراويّة، حيث كانت نغمة (الآيْ يَايْ) تشد سماعه، خصوصا وهو يرافق والده بين الحين والآخر في زياراته للباديّة عندما تتم استضافته من قِبل بعض الأعيان، فيظل الطفل يتسمَّعُ تلك الآلة العجيبة، وهي تُخرج من أفواه الرجال نغماتٍ جميلة مُؤثرة، حيث أن أبسط الناس هناك في الباديّة خصوصا بما فيهم الأطفال والرعاة يعزفونها في إيقاعٍ سِحْري أخّاذ يشد الألباب، وكأنهم متخرجون من مدارس عليا في فنِّ الموسيقى.

ثم أرسله والده الحاج محمد بن موسى رحمه الله الذي كان من أعيان الأغواط إلى ثانويّة ابن شنب بالمديّة لاستكمال دراسته الثانويّة، ولكن الشّاب عبد الحميد لم يستكمل دراسته، فعاد إلى مدينته الأغواط ليُساعدَ والده في محله التجاري.

وقد تفتحتْ عينا الشّاب عبد الحميد في ظل هذه المتغيرات على حياة جديدة وعالم جديد يختلف عن عادات بلدته المحافظة، فرغم أن حب الموسيقى لم يبرحْ نفسهُ الشّفافة المفعمة بحب الجمال والموسيقى، فقد سافر وهو في مُقتبل العمر مرارا إلى فرنسا لجلب مختلف السّلع من ألبسة وأحذيّة وعطور لمحله التجاري.

ومع اشتداد ثورة أول نوفمبر كان عبد الحميد يقترب من سن العشرين، حيث كانت نفسه مثل مختلف أبناء الجزائر وخاصة الشّباب تتوق للالتحاق بالثورة، وهكذا جرى الاتصال به في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي من قبل قيادة الثورة لتزويد المجاهدين بمختلف السّلع الضروريّة من ألبسة وأقمشة وأحذيّة، ومن سلع أخرى لترسل في سريّة تامة للمجاهدين، وهذا ما قام به الشّاب عبد الحميد، غير أن اكتشاف ما كان يقوم به لصالح الثورة دفعه للهروب إلى خارج الوطن حيث التحق بمسؤولي جبهة التحرير الوطني في المغرب ثم تونس الذين نصحوه بمواصلة الدراسة، إذ تم إرساله قبيل استعادة الاستقلال بوقت قصير إلى القاهرة، كان ولعه بالموسيقى شغله الشّاغل، إذ انتسب الطالب بن موسى للمعهد العالي للموسيقى العربيّة بالقاهرة.

وبعد سبعة أعوام من الجدّ والتحصيل نال عبد الحميد شهادة الليسانس ليعود كما يذكر السّيد إبراهيم بهلول أحد المديرين السّابقين لمعهد الموسيقى للوطن مع نهايّة السّتينيات، ثم يباشر العمل كباحث في المعهد في الموسيقى العربيّة والموشحات قبل أن يعين عام 1972 مديرا لملحقة المعهد الوطني التي كان يوجد مقرها في بودواو.

ويضيف السّيد بهلول أن وزارة الثقافة كانت قد استعانت في تلك الفترة بخبرة أحد الأساتذة المشهورين من ألمانيا الديمقراطيّة آنذاك، وهو الأستاذ يورغن ألكنسر المتخصّص في الموسيقى العربيّة، والذي عكف مع الأستاذ عبد الحميد بن موسى على إنجاز العديد من البحوث والدراسات عن مختلف الطبوع الموسيقيّة، ويوضح السّيد إبراهيم بهلول بأن الأستاذ يورغن هو الذي حفَّز الأستاذ عبد الحميد بن موسى لاحقا لمواصلة دراسته الأكاديميّة في ألمانيا ونيل شهادة الدكتوراه.

كانت الدراسة في معهد الموسيقي منذ نشأته في السّتينيات تختصر على التخصصات التحضيريّة في الموسيقى، ويتم إرسال الطلبة الراغبين للدراسات العليا إلى الخارج.

وقد تحول هذا المعهد منذ عام 1992 إلى معهد وطني عال متخصص في تدريس الموسيقى، وكان من بين الذين تداولوا على إدارته المعهد جلول يلس، الأمين بشيشي، الحفناوي أمقران، موقاري بوخاري وإبراهيم بهلول وعمران عزيز وعبد الحميد بن موسى والسّيدة ستي مقران وعبد القادر بوعزارة المدير الحالي للمعهد.

عُرف عن المرحوم بن موسى حضورهُ المميز ومشاركاته العديدة في مختلف المحافل والمجامع الموسيقيّة وخصوصا المَجْمَع العربي للموسيقي، حيث كان عضوا فعَّالا في هذا المَجْمَع، إذ انتخب في العديد من المؤتمرات نائبا للرئيس، كما جرى في المؤتمر الثامن في بغداد في 1983، والمؤتمر التاسع بتونس في 1985، المؤتمر الثاني عشر بعمان 1993، والمؤتمر الاستثنائي للمَجْمع بعمان في 1998.

وقد كانت عصاميّة الراحل عبد الحميد بن موسى وتشجيعات زميله الأستاذ الألماني يورغن وراء مواصلة دراسته الأكاديميّة خارج الوطن، إذ قرر مع النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي أن يعود لمقاعد الدراسة ببحث متميز عن نغمة (الآي ياي) الصحراويّة الأصيلة التي تطلقها الحناجر الموجوعة بالحب والأفراح تارة، أو بالأحزان والأقراح تارة أخرى، حيث تكون مصحوبة عادة بآلة القصبة، وهي من الآلات النفخيّة التي تُصنع من القصب.

وتنتشر هذه الآلة في مختلف البوادي والأرياف ببلدان الشّمال الإفريقي ومن بينها الجزائر.

توجه الطالب الباحث عبد الحميد عام 1985 إلى برلين الشّرقيّة في ألمانيا الديمقراطيّة سابقا لنيل شهادة الدكتوراه التي افتكها بجدارة عام 1988، مُتَوَّجا بذلك مساره العلمي والمهني الحافل بالبحوث الجادَّة وبالأعمال المميزة لترقيّة العمل الموسيقي بالجزائر.

وشاء القدر أن يختطفه وهو ما يزال بعد في أوج العطاء في حادث مرور مروع سنة 1999، وهو في العقد السّادس من عمره أثناء ذهابه على متن سيارته الخاصّة في زيارة عائليّة للأغواط التي رأى فيها النور لأول مرة عام 1938.

كم أتمنى أن يتم طبعُ أطروحة الدكتوراه التي نالها عن بحثه في نغمة (الآي ياي) والتي جعلت منه أوّل دكتور في الجزائر في مجال الموسيقى.

محمد بوعزارة

المصادر:
- ديوان عبد الله بن كريو: تحقيق الدكتور إبراهيم شعيب الطبعة الثانيّة 2005؛
- فن الغزل في الشّعر الشّعبي الجزائري: عبد الله بن كريو أنموذجا؛
- بحث للدكتور شايب ورنيقي، جامعة الأغواط؛
- كتابنا: لصوص التاريخ، دار الأمة 2007، موضوع عن الراحل بن موسى بعنوان: « تنهيدة على خبير « الآي ياي « من صفحات من 75 82، وصدر هذا الموضوع في مقال بجريدة صوت الأحرار بتاريخ 28/ 4/ 1999؛
- كِتابنا: الرجل الذي رفض الوزارة، الصادر عن دار الأمة في 2008، من نص كلمة ألقيتها في حفل تكريمي نظمته لصالح عدد من أعلام الأغواط من بينهم الراحل بن موسى؛
- كِتابنا: عشت مع أولئك..وعرفت هؤلاء، الصادر عن الوكالة الوطنيّة للنشر والإشهار سنة 2018؛
- كِتابنا: حكايات عنهم ومعهم الصادر عن منشورات امتداد للنشر والتوزيع 2019؛
- شهادة شفهيّة من السّيد إبراهيم بهلول أحد زملاء المرحوم وأحد المديرين الذين تعاقبوا على إدارة المعهد الوطني للموسيقى؛
- شهادة شفهيّة من ياسين شقيق المرحوم عبد الحميد بن موسى.

عبد الحميد بوتمجت
(1344هـ - 1926م/1437هـ - 2016م)

ولد الشّيخ العلّامة عبد الحميد بوتمجت في 17 جانفي 1926 ببلديّة أم العظام بسوق أهراس، من أبوين هما عمّار بوتمجت والأم الفاضلة زبيدة بن بيدة التي توفّيت عنه وهو لم يتجاوز أربع (4) سنوات، فعاش يتيم الام، وعندما بلغ السّادسة من عمره أدخله أبوه زاويّة بلقبلي، ونظرا لما يتوفر عليه من ذكاء وسرعة الحفظ تمكن من حفظ كتاب الله الكريم كاملا في سن مبكرة، مما يسر له الالتّحاق بالجامع الأخضر، حيث تتلمذ على يد الشّيخ (عبد الحميد بن باديس)، ما يربو عن سنة ونصف تقريبا. وبوفاة الشّيخ العلّامة عاد المترجم له إلى مسقط رأسه، لكن رغبة والده وجده أخذت تزداد يوما بعد يوم بحثا عما يلبي حاجة ابنيهما في طلب العلم، فألحقاه بمدرسة الحياة سدراتة، وفيها تتلمذ على يد الشّيخ (بلقاسم بشيشي) حوالي ثلاث (3) سنوات، يتأسى بأخلاقه وينهل من علمه، جادا كادا في طلب العلم، وكلما ازداد تحصيلا اشتدّت رغبته في طلب العلم، وساورته فكرة الذهاب إلى جامع الزّيتونة المعمور لما كان يسمع عليه من شيخيه العلّامة الفذ الشّيخ الإمام عبد الحميد بن باديس والشّيخ العلّامة (بلقاسم بشيشي)، فاتّخذ الشّاب الطّالب وجهته نحو تونس، وهناك تتلمذ على يدّ



كوكبة من النّجوم السّاطعة اللامعة في سماء هذا الصّرح الشّامخ السّادة المشايخ الأفاضل الذين نهل من علمهم وارتوى من منابع أنهارهم الصّافيّة الزّلال، والذين بقي يذكرهم بكل خير ويشيد بعلمهم ويتأسى بأخلاقهم على الدّوام، هم الأديب المفسّر الطّاهر بن عاشور، والشّيخ الأديب الطّاهر بن عبد السّلام الخياري الجزائري، والشّيخ الأديب عبد العزيز جعيط، والشّيخ الفقيه محمّد الصّالح النّيفر، والشّيخ الأديب محمّد الشّاذلي النّيفر الذي أصبح بعد تحويل جامع الزّيتونة إلى جامعة زيتونيّة مديرا لها، والشّيخ العالم الفاضل بن عاشور، والشّيخ الأديب محمّد عمر الزّغواني، والشّيخ الأديب علي النّيفر، والشّيخ الأديب محمّد العربي الكبادي كل حسب تخصصه. وكان زملاؤه في الدّراسة كل من الشّيخ الطّاهر سعدي حراث (تبسة) الشّيخ أحمد بو رزاق المعروف ببو روح (جيجل)، الشّيخ محمّد الكامل رقاينيّة، الشّيخ لمين بشيشي، الشّيخ عبد الرّحمن هوام (سوق أهراس) وممّن التّحقوا به وزاملوه في جامع الزّيتونة صالح مشنتل، إبراهيم مشنتل، محمّد الشّريف مساعديّة/ محمّد الطّيب مساعديّة، الصّديق زويّة، مختار بوعشة، الطّاهر محافظيّة، خالدّ خلايفيّة والملكي بو الصّيود.

عاد الشّيخ بعد رحلة اليمن والبركة حاملا معه شهادتي الأهليّة والتّحصيل، رجع الشّيخ وكله أمل وحزم وعزم وتصميم على المشاركة مع إخوانه الأبرار والمجاهدين الأخيار لحمل لواء الجهاد بالقلم واللسان، وكعادة المستدمر مع كلّ ذي شأن أمثال الشّيخ، حاول العدو أن يغريه فعرض عليه وظيفة قاض بالمحكمة الشّرعيّة، فرفض وأبى ووظيفة إمام تابع للإدارة الاستعمّاريّة، وكاتب لدى الإدارة، فرفضها هي الأخرى يقينا منه وأن رئاسة جمعيّة العلماء في انتظار العائدين من جامع الزّيتونة وهي في حاجة ماسة إليهم سيّما وأنّ تشييد المدارس التّابعة لها عبر التّراب الوطني تسير بوتيرة متسارعة،

فسافر إلى قسنطينة التي سبق له وأنّ تتلمذ بها عند العلّامة الشّيخ عبد الحميد بن باديس، فكان له شرف الاستقبال من الشّيخ العربي التّبسي، وكوكبة من المشايخ الأجلاء الذين رحبوا بمقدِمه مباركين له هذا الفوز العظيم وشرفوه باختيار منصب من المناصب الشّاغرة، فاختار بكل غبطة وسرور مدينة گالمة القريبة من سكناه فعين بها السّنة الدّراسيّة 1951/ 1952 وعاد والفرحة تملأ قلبه على أن وفقه الله لهذا العمل الجليل ودقّت ساعة استئناف الدّراسة والتّحق بزملائه وأبنائه التّلاميذ، لكن بقاءه بگالمة لم يدم أكثر من سنة ليحول بعدها إلى مدينة تبسة ليواصل مهامه التّعليميّة بمدرسة تهذيب البنين والبنات، ثمّ حول إلى الجزائر العاصمة بعد سنتين دراسيتين بتبسةّ ثمّ إلى مدينة وهران التي غادرها إلى تونس فارا بنفسه من متابعة المستدمر.

وفور وصول الشّيخ إلى تونس التي عرفها منذ أيام الدّراسة اتجه نحو قيادة الثّورة المتواجدة هناك مبديا استعداده المطلق للانخراط في صفوف المناضلين المجاهدين لتحرير البلاد وعتق العباد من براثن عدو مستدمر عاث في الجزائر جورا وفسادا، ونهب خيرات البلاد وقهر وأذل العباد، ليواصل نضاله بتفان وإخلاص إلى أن حول إلى مصر في إطار مصلحة الثّورة التّحريريّة المجيدة التّقى بالشّيخ (محمّد البشير الإبراهيمي) الذي طلب منه مدّ يد المساعدّة على الانضمام إلى الأزهر الشّريف بغيّة مواصلة الدّراسة لكن الفترة لم تدم طويلا ليحول إلى الرّياض عاصمة السّعوديّة، ملحقا بممثليّة الثّورة التي كان على رأسها الشّيخ (أحمد حسين)، وتمكّن بعد محاولات السّفر إلى مكة والمدينة المنوّرة، فكان له بها شرف الاتصال بالشّيخ أبي بكر جابر الجزائري ليعود إلى الرّياض مواصلا نضاله، إلى أن من الله علينا بالاستقلال واسترجاع السّيادة، ففضل بقاءه لمواصلة الدّراسة بجامعة الرّياض التي توجت بشهادة إتمام الدّراسة العاليّة بها .

عاد الشّيخ مكرما مبجلا سنة 1965 بعد غياب طويل، وشوق كبير دام ما يربو عن تسع (9) سنوات قضاها خارج وطنه الحبيب الجزائر، خدمة لها وطلبا للعلم، فكان له ما أراد فعاد موسما بوسام العلم والشّرف شاهرا سلاحه ضد الجهل، فعين بثانويّة ابن عكنون الجزائر العاصمة، ليحوّل بعد سنة إلى ثانويّة القديس (أوگستين/ Augustin) بعنابة، ثم إلى ثانويّة مبارك الميلي عنابة التي بقي بها إلى غايّة 1969 ليتم تحويله إلى ثانويّة النّهضة للبنات سكيكدة التي مكث بها إلى غايّة 1979 ليكرم بتعيينه كمدير ثانويّة الحجار عنابة التي استمرّ بها إلى غايّة الإحالة على التّقاعد في الموسم الدّراسي 1985/ 1986 وبذلك تكون الأسرة التّربويّة قد فقدت عمودا من أعمدة التّربيّة والتّعليم وقامة شامخة من قامات العلم والأخلاق.

ويعد الشّيخ موسوعة ثقافيّة واسعة، وقامة علميّة بارزة ومكتبة أدبيّة ثريّة في شتّى العلوم الدّينيّة والأدبيّة بما حباه الله من مواهب فطريّة ورزقه سرعة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الذاكرة التي ساعدته على حفظ العديد من الشّواهد النّحويّة من ألفيّة ابن مالك والمتون الدّينيّة وجل المعلقات والكثير من قصائد فحول الشّعراء الذين كان مولعا بشعرهم، يردده في جلساته أمثال المتنبي والمعري وأبي فراس الحمداني وأمير الشّعراء أحمد شوقي ومتفرّقات للعديد من الشّعراء والأمثلة العربيّة والفراسة في علم الأنساب فالجلسة معه ممتعة مريحة وجلساؤه لا يملون ولا يكلون. وكان لوفاة الشّيخ الأستاذ أثر عميق وخطب جلل ومصاب عظيم وفاجعة أليمة في نفوس كل من عرفوه وعايشوه ودرسوا على يده إذ خرج سكان المدينة عن بكرة أبيهم يشيعون ويودعون شيخهم وأستاذهم القدير والحسرة تملأ قلوبهم بعيون دامعة وقلوب خاشعة عن فقدان أحد أعمدة الثّقافة بالوطن تلك الجموع الغفيرة التي أبت إلا أن يدفن الشّيخ بمقبرة سيدي عيسى بأعالي وادي القبة عنابة.

هذا وكانت وفاة الشّيخ في 02 فيفري 2016 عن عمر ناهز 90 سنة.

سناء رمضاني

المصادر:

- الموقع الالكتروني: https: / /binbadis.net /archives، ا
- الشّيخ عبد الحميد بوتمجت أحد رموز جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، الشّيخ عمّار جوامع.

عبد الحميد رحمون
(1338هـ - 1920م/1393هـ - 1973م)

أبو عبد الرّحمن عبد الحميد بن الشّيخ لخضر بن خليف، عالم من علماء الجزائر بمنطقة الجلفة، ورجل من رجلات التعليم فيها، وفي السّنوات الأخيرة من حياته، عمل بالإمامة في مسجد المجاهد ببلديّة فيض البطمة.

ولد سنة 1920م بفيض البطمة بولايّة الجلفة، ونشأ وترعرع في عائلة عريقة في النسب ميسورة الحال، متدينة، ومستمسكة بالأخلاق والعلم والأدب. حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الدينيّة على يد والده وخاله الشّيخ محمّد الصغير، ثم انتقل إلى الزاويّة "المختاريّة" بأولاد جلال ببسكرة، وتلقى العلم على أيدي كبار العلماء فيها، فبرز في علم الفلك حتى سمي بالسّنوسي الصّغير، وتعمّق في دراسة العلوم الدينيّة، وغيرها كالبلاغة، والتاريخ، والحساب، وعلم الفرائض، والمنطق، والأدب، وقد كان يحفظ ألفيّة ابن مالك عن ظهر قلب.

ولما عاد إلى موطنه الجلفة مزوّدا بتحصيل مختلف العلوم والمعارف طلبه لمهمة التربيّة والتعليم الشّيخ محمّد بن

عـزوز شـيخ زاويّة أقـلال (بويـرة الأحداب حاليا) بوسـاطةٍ وترشيح من الشّيخ بن عزوز القاسمي، حيث أقام بها خمس سنوات مربيا ومدرساً، وألّف كتبا عديدة.

وفـي سـنة 1950 انتقـل إلـى زاويّة الشّـيخ سـيدي عبد الرّحمـان النعـاس بدار الشّـيوخ بطلـب مـن شـيخها وجماعتـه، وبـإذنٍ مـن شـيخه الرّوحـي عبـد الحميـد مختـاري، واسـتقر بهـا فتـرة طويلـة نحو خمسـة عشـر عامـاً كان فيهـا الإمـام المرشـد والمـدرس المربـي والواعـظ الملهـم والمفتـي والمصلـح، وكانـت حلقاتـه منظمـة علـى حسـب المسـتويات بالزاويّة وبمنزلـه، وكان مـن تواضعـه أنـه يُعـرَف (بطالـب العلـم) وأبنـاؤه بأبنـاء طالـب العلـم، وهـو لقـب اختـاره لنفسـه.

وقـد اسـتقر فـي أواخـر حياتـه معلمـا وناصحـا ومصلحـا، وذلـك مـن خـلال أداء مهام الإمامة بمسـجد المجاهـد بفيض البطمة إلـى أن وافته المنيّـة وهو يؤدي واجبـه الديني عصـر الأربعـاء 18 جمـادى الثانيّـة 1393هـ الموافـق لـ 18 جويليّـة 1973، ودُفـن بجـوار والـده الشّـيخ الأخضـر بمقبرة فيـض البطمة.

من مشـايخه - بالإضافة إلى والده الشّيخ لخضر بـن خليف- كبار العلمـاء في الزاويّة المختاريّة بأولاد جلال ببسكرة، نذكر منهم:

- الشّيخ بولنوار بن حبوب،
- والشّيخ عبد الله العابد،
- ومحمّد العابد،
- وعبد الله بن مصطفى بن قويدر،
- والشّيخ نعيم النعيمي.

مؤلفاته:

ألّف الشّـيخ عبد الحميد رحمون العديد من الكتـب لا تزال في طـور المخطوطات، نذكر منها ما يلي:

- كتـاب فـي النحو بشـواهد مـن ألفيّـة ابن مالك.
- شرح منظومة «المبتهجة» للشيخ مصطفى البكري.
- ولـه مخطوطـات أخـرى تحـوي بحوثـا وفتاوى فقهيّة.

تـكاد تكون جميـع المـواد العلميّـة التي تُـدرس فـي الزاويـا مـن ضمـن مـا يقدّمـه لطلبتـه من فقه وتفسـير ونحو وصرف وعلم الفرائض وحديث وسـيرة. وقـد تخرج على يديـه العديـد مـن الطلبـة الناجحيـن الذيـن يعد كثير منهـم إطارات في ميادين الشّـؤون الدينيّـة والتربيّـة والقضاء، وغيرهـا، وكانت له صـلات كثيرة بعلماء جزائريين ومشـارقة من الأزهـر والسّـعوديّة وسـوريا إلى جانب مراسـلات لأحـد القساوسـة بالجزائـر (القديس قسطنطين جورج ترتر) الداعي إلى المقاربة بين المسيحيّة والإسلام .

وفي أواخر السّتينيات أشرف على تكوين الأئمة بمسـجد بـن معطـار حضرهـا الكثير من المشـائخ أمثال معمّر حاشـي والعسّالي حاشـي وأحمـد الصغيـر صادقـي ومحمّـد باكريّة وعامر محفوظي وأحيانا الشّيخ عطيّة مسعودي إلى جانب عدد كبير من الطلبة من مختلف نواحي الجلفة.

وبعد الاسـتقلال عُرض عليـه العمل في مجـال التفتيـش فـي التربيّـة غير أنه بإشـارة مـن أبيـه رفـض، واكتفـى بوظيفـة الإمامـة التـي نـال فيهـا درجـة الامتيـاز الأولـى في عهـد مولود قاسـم وزير الأوقاف والشّـؤون الدينيّـة آنذاك.

إلـى جانـب أعمالـه فـي مجـال التربيّـة والتعليم سـاهم الشّـيخ عبد الحميد رحمون بنضالـه فـي الثـورة التحريريّة؛ ومـن أعماله في ذلـك: الدعايّـة بنجاح الثـورة، وبانتصار المجاهديـن فـي الداخـل والسّياسـيين بالخـارج في المحافل الدوليّة، والعملُ على تثبيـط عزيمـة العـدو مـن جهة أخـرى. وقد أسـندت لـه مَهمّـة الفتـوى من قبـل الجيش لكفاءاته العلميّة وولائه لوطنه.

الطيب دبّة

المصادر:

- لمباركي بلحاج، البدايّة في أعلام وأقلام جنوب الولايّة ثقافة محليّة، كتاب في طور الطبع (منقول من: منتديات الضيافة العربيّة: https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=1318494)
- رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. منشورات الحضارة، بئر توتة- الجزائر، 2014، من حرف الدال إلى حرف الياء، ج2، ص52.

عبد الحميد كرمالي
(1349هـ - 1931م/1434هـ - 2013م)

لاعـب كـرة قـدم فـي عديـد الأنديّـة الجزائريّة والفرنسيّة، ولاعب متميز في فريق حزب جبهـة التّحرير الوطني منذ 1958م إلى الاسـتقلال، ومدرب المنتخب الوطني سنة 1990م.

نشـأ عبـد الحميد كرمالي فـي عائلة لأب عسكري، وثلاثة إخوة، بعد وفاة والده التّحق كغيره من الشّـباب المكافحيـن لركب درب



الصّعاب من أجل إعالة عائلته، ولشغفه بكرة القدم المبكر، اختاره بن عودة الشّيخ ليلعب فـي فريـق سـطيف (1948-1951) للأصاغر وسـرعان ما انتقل إلى فريـق الأكابر، لتكون بدايـة الانطلاقـة الكرويّـة للرجـل المحنك والمجاهد الفذ.

ليلعب بعد ذلك في فريق اتحاد الجزائر سنة 1951-1952م، دون أن ينهي عرضه مع سطيف

أين تعرض للعقاب والتّوقيف عن اللعب، لكن سرعان ما رُفع عنه النّهي.

لكـن عبد الحميـد كرمالي توجـه بعد ذلك إلى فرنسا بسـبب ظروفه المعيشيّة للبحث عن عمـل هنـاك سـنة 1952م، أيـن اتصل بـه مدير ميلوز الفرنسـي ليلعب معهم في السّـنة نفسها وهو ابن 19 سـنة، قبل أن يلتحـق بفريق «كان» ويلعب معه طيلة سنتين 1953 – 1955م.

بعد ذلك قضى فترة أطول أمتع فيها جمهور أوّلمبيـك ليون طيلة 65 مبـاراة، 1955–1959م، لكنّـه قبـل هـذا التّحـق بالمنتخـب الوطنـي الجزائري ضمن البطولة الفرنسيّة بتونس وكان ذلك سنة 1958م.

بعـد الاسـتقلال يعود عبد الحميـد كرمالي إلـى فريقـه الأوّل اتحاد سـطيف أيـن يتحصل معه على جائزة كأس الجمهوريّة سـنة 1976م، ويتفرغ بعدها إلى التّدريب.

وفـي سـنة 1990م تمكـن الفريـق الوطنـي الجزائري بقيادة المبـدع المحنك عبد الحميد كرمالي من الحصـول على كأس أفريقيا للأمم لأوّل مرة في تاريخ الجزائر.

كان لعبد الحميد كرمالي مدربا محنكا وهو من اختاره أوّل مرة في تاريخه الكروي ليلتحق بركـب الكـرة المسـتديرة وهـو لم يتجـاوز 17 مـن عمره، وهو المدرب الشّـيخ علي بن عودة الملقب بـ"لاياس" بمعيّة عبد القادر لخليف.

ومن تلامذته وهم في الحقيقة ليسوا تلاميذ بالمعنـى البيداغوجي، وإنما أنديّة وفرق وطنيّة أشـرف عبـد الحميـد كرمالـي علـى تدريبهـم وصقلهـم بتجربتـه الكرويّة من أمثال: شـباب قسـنطينة، اتحاد الشّـاويّة، اتحـاد عنابة، ترجي مستغانم، ومولوديّة العاصمة ثم الفريق الوطني الجزائري.

ربما لـم يكن لعبـد الحميد كرمالـي التّأثير العملي لكنّه أثر في كل الشّـعب الجزائري سنة 1990 وجعلـه يعيـش نشـوة لا تضاهيها نشـوة أخرى سـوى فرحة الاسـتقلال، حيـث رُفعت الأعـلام الوطنيّة في الشّـوارع، وخـرج النّاس فـرادى وجماعـات مـن أجـل الاحتفـال، لقد كانت فرحة لن تُنسى.

سافر عبد الحميد كرمالي إلى فرنسا ليلعب في بعض الأنديّة هناك ثم عاد بعدها إلى أرض الوطن ليكمل مع فريقه الأوّل في سـطيف، ثم مدربـا في عدّة ولايات جزائريّة مثل قسـنطينة، سطيف، العاصمة، مستغانم، عنابة وغيرهم.

إضافات:

يعدّ عبـد الحميـد كرمالـي رمزا مـن رموز الذّاكـرة الكرويّـة الجزائريّـة وصانـع أفـراح الجزائريّيـن، حيـث إنّـه المـدرب الـذي منـح الجزائـر اللقـب القـارّي الوحيـد فـي تاريخها بعد قيادته المنتخـب الجزائري للتتويج بكأس أمم إفريقيا سـنة 1990، وقبل ذلك كان كرمالي من اللاعبين المؤسّسـين لفريـق جبهة التّحرير الوطنـي، ويبـدو أن تعلّقـه بالوطـن والنّضـال ضد الاسـتعمّار الفرنسـي أبـى أن يفارقه حيث وافتـه المنيّة في اليوم المصادف للذكرى الـ 55 لتأسـيس فريق جبهـة التّحرير سـنة 1958، هذه السّنة التي أعلن فيها فجأة عن مغادرة اللاعبين الجزائريّيـن سـرا إلـى تونـس مـرورا بالـدّول المجـاورة، وكانـت ضربـة قاضيّة للفرنسـيين حيث التّحق عبد الحميد كرمالي بفريق الجبهة يوم 20 أفريل 1958 بالعاصمة التّونسيّة، مشكلا مـن نجـوم البطولـة الفرنسـيّة أبرزهـم رشـيد مخلوفـي، مصطفى زيتونـي، المرحوم مخطار لعريبـي، وقـد ترك كل مـا لديه فـي (ليون) من مال وشـهرة وبطولة، ليتفـرغ لمخطط الجبهة، وكانـت الرّحلـة شـاقة ومليئة بالمخاطـر، عبر سويسـرا وإيطاليـا ومن ثمّة الالتّحـاق بتونس، لتتواصل رحلة الكفـاح من أجل تحرير الوطن عبر القارات، على غرار الصّين، العراق، مصر، يوغسلافيا وغيرها من البلدان التي كانت واقفة بجانب القضيّـة الجزائريّة العادلة، وهي تحرير الجزائر من الاستعمّار الفرنسي..

سـجّل عبد الحميد كرمالـي مع المنتخبات التـي أشـرف على تدريبهـا ألقابا عـدّة، وخرج على يديـه الكثير من النّجوم علـى غرار ماجر، صالحـي عبـد الحميـد، وتتلمـذ في مدرسـته كبار المدربين الجزائريين وعلى رأسـهم رابح سـعدان وغيـره مـن المدربيـن الشّـباب الذين يقودون حاليا أغلب الأنديّة في جميع الأقسام.

لذلـك يبقـى كرمالي دائمـا رمزا مـن رموز الكـرة الجزائريّـة بـدون منـازع نظـرا لأجندته المليئـة بالإنجـازات التـي تبقـى شـاهدة على المحطّـات التـي مر بها منذ مداعبتـه الكرة إلى اعتزالـه الملاعب، ومنها إهـداؤه للجزائر أوّل كأس قاريّة عـام 1990، ليبقى المرحوم كرمالي رمـزا متميزا عـن بقيّـة المدربين نظرا لشـعبيته وتواضعـه. إنّه رجل التّحديات، وهذا باعتراف كل الذين عايشوه.

يبقـى اسـم عبد الحميـد كرمالـي مميّزا في الذاكـرة الجماعيّـة الجزائريّة، إذ لـم ينس أحد الفرحـة العارمة التـي عرفهـا الجزائريون يوم تتويج الجزائر بكأس إفريقيا عام 1990 بقيادته، ومسـاعدّة كل من نور الدّين سعدي والمرحوم عبد الوهاب حين تفوق المنتخب الوطني على نظيـره النّيجيري في المبـاراة النّهائيّـة بنتيجة 1 – 0 مـن توقيع اللاعب أوجانـي، وكان التّتويج الوحيد فـي تاريخ الجزائر، الذي حصلت عليه علـى أرضهـا قبل أن يُحـدث جمـال بلماضي هذه السّـنة 2019 المفاجأة ويضيف إلى سجلنا الكأس الثّانـي، حيث تحصلـت الجزائر وبعد سنوات عجاف من التّراجع الكروي على كأس أفريقيـا للأمـم عن جـدارة واسـتحقاق، بقيادة المحنك الشّـاب جمـال بلماضـي المقامة في القاهرة.

أمينـة طيبي

المصادر:

- مجموعة من المقالات المنشورة على صفحات بعض الجرائد الوطنيّة مثل:
- جريدة الشّعب، مقال بعنوان: «عبد الحميد كرمالي كتب بأحرف من ذهب فصولا منيرة في مسار الكرة الجزائريّة، بقلم فؤاد بن طالب، بتاريخ 30 أكتوبر 2018.
- جريدة النّهار، مقال بعنوان: «المجاهد عبد الحميد كرمالي...صاحب اللقب الأفريقي الوحيد للجزائر في ذمة الله»، بقلم حمزة، بتاريخ 1

عبد الحميد معيزة
(1311هـ - 1893م/1346هـ - 1927م)

عبد الحميد معيزة وبعض المصادر تكتبه (بن معيزة) وأعتقد أنَّ الأوَّل هو الصّحيح، بدليل ما جاء في جريدة النّجاح عدد 433 20 أفريل 1927: «سبحان الحي الدّائم وافانا نعي العلّامة الأكمل، صاحب الشّيم الكريمة الوطني الهمام الشّيخ معيزة عبد الحليم المدرّس بالجامع الكبير بقسنطينة».

وقد ولد الشّاعر في مدينة العلمة ولاّية سطيف بالشّرق الجزائري وتوفي في قسنطينة وعمره لا يتجاوز الرّابعة والثّلاثين.

قضى عمره القصير في وطنه الجزائر، تعلّم القرآن الكريم ومبادئ اللغة الفرنسيّة بمسقط رأسه وبعد حصوله على الشّهادة الابتدائيّة، انتقل إلى مدينة قسنطينة من أجل مواصلة الدّراسة، وهناك انضمّ إلى دروس اللغة العربيّة الليليّة بنادي صالح باي بالموازاة مع دراسته بالنّهار، وفي عام 1909 دخل المدرسة الفرنسيّة العربيّة الأهليّة فنال شهادتها عام 1913، وبعد ذلك التّحق بالمدرسة العليا بالجزائر العاصمة، فأحرز على شهادتها بعد ثلاث سنوات من الجدّ والكدّ في الدّراسة، كما تمكّن بجهوده الذاتيّة أن يحصل على شهادة الدّبلوم العربيّة بكليّة الجزائر عام 1926.

عيّن مدرساً بمدينة مستغانم بالغرب الجزائري عام 1917، ومكث هناك سنة واحدة، ليعيّن مدرساً في مدينة گالمة بالشّرق الجزائري. وفي عام 1921 عيّن مدرساً في مدينة سطيف، وفي شهر فيفري من عام 1924 عُيِّن مدرساً بالجامع الكبير بقسنطينة، وفي أثناء عمله بالجامع الكبير، كان يجتهد في تعميق معارفه في اللغة الفرنسيّة مع تعلمه اللغة اللاتينيّة، ورقي على هذا الحال حتى وفاته.

وقد شهد له معاصروه بالأخلاق الحسنة والتّفاني في عمله إذ كان يبذل قصارى جهده في تعليم تلاميذه بأساليب تربويّة راقيّة جداً، كما كان شغوفاً بالمطالعة لِلّغة العربيّة مهتماً بالأدب والتّاريخ.

وقد كتب الشّيخ عبد الحفيظ الجنان مقالاً بعد وفاته نشر في جريدة النّجاح عدد 440 بتاريخ 6 ماي 1927 أي بعد وفاته بعشرين يوماً نقتبس منه ما يأتي: «أي قلب لم ينصدع لهذا الخطب الجسيم، بل وأيّ عين لم تبك فضل وورع من اختطفته المنيّة في ريعان الشّباب وطواه الرّمس في هذه الأيام، هو ذلك العالم المرحوم الشّيخ عبد الحميد معيزة، من كان خادماً للعلم وناشراً له في أنحاء هذا العالم... كان عضواً عاملاً في الهيئة الاجتماعيّة ومعزّزاً دعائمها برسائله القيّمة التي ألفها في حياته ومات عنها ولم تتح له الأيّام بطبعها منها (فهرس الكتب) ومنها (رسالة في حياة سيدي قسومة)، تصدى فيها لكل من حاول أن يدخل أشياء مما ليس في الدّين ويتّهم الإسلام بأساطير شبيهة بالخرافات والأضاليل...».

كما نجد شهادة أخرى لأحد معاصريه من العلماء وهو الشّيخ الحسين أحمد البوزيدي الجزائري، أحد علماء الأزهر بالقاهرة، وشهادته هذه عبارة عن قصيدة رثى فيها الفقيد، مشيداً بأفعاله وخصاله:

فلتحزَن العلياء على ابن معيزة
عبد الحميد الآمر النّهاءِ
وليفرح الجهالة بعد مماته
فاليوم راق الحيّ للجهلاء
تبت يدا من قد دهانا صرفه
قفر أمته في ليله ليلاء
بحر التّفقه كنز إرشاد الورى
رب الفخار وواحد البلغاء
أروى أفانين العلوم بغيثه
وسقى الورى من روضة غنّاء
صبراً لِحُكْمِ الله آل معيزة
فالكلُّ مخلوق لأجل فناء
ولكل شيء منتهى إلاَّ الذي
برزت بمحض كماله الأشياء

المتاح لدينا من شعره ثلاث قصائد فقط، وقد نشرتها جريدة «النّجاح» على النّحو الآتي: القصيدة الأولى وهي في الإشادة بالعلّامة الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي الذي حل بمدينة سطيف من أجل تدريس العلوم الإسلاميّة. النّجاح عدد 144، في الفاتح فيفري 1924.

القصيدة الثّانيّة في تهنئة الشّيخ عبد المجيد بن جامع بوسام الاحترام النّجاح عدد 152، في 28 مارس 1924.

والقصيدة الثّالثّة والأخيرة في تهنئة الشّيخ المفتي بن الموهوب بمناسبة رجوعه من مؤتمر الرّباط بالمغرب النّجاح عدد 184، في 28 نوفمبر 1924.

فما يمكن أن نلاحظه على هذه القصائد التي أعيد نشرها في كتاب «نفح الأزهار» للكتاب المؤرّخ سليمان الصّيد. هو أنه شعر إصلاحي استوحى ألفاظه وصوره من الشّعر العربي القديم والذي كان هو النّموذج الأعلى لأغلب شعراء عصر النّهضة في الجزائر والمغرب العربي. أمَّا لغته فهي قويّة أحسن اختيارها وتوظيفها توظيفاً يتماشى ونظرته الإصلاحيّة، فجاءت مفرداته سهلة لا غموض ولا غرابة ولا تعقيد فيها، وعباراته سلسة لا صنعة وتكلُّف فيها، في حين أنَّ أسلوبه قد مال قليلاً إلى التّقريريّة والخطابة، لأنَّ الموضوع الذي تناوله يتطلب ذلك.

نماذج من شعره:

تهنئة...«بمناسبة قدوم المفتي بن الموهوب إلى المغرب»

يهنيكَ أستاذَ المعارف والعَوا
رفِ ما اقتطفتَ من الغنائم مُنْعما
جُبْتَ البلادَ فكان علمُك أينما
حلَّتْ ركابُكَ ساعداً لكَ فيما
لا غروَ أنْ قاموا إليك بمَغْرِبٍ
أو نلتَ في العلياء مجداً مُعْلَما
فالفضلُ يرف في الأنام حليفَه
ولقد رأيتُ الفضلَ فيك تجسّما
مُذْ جئتَ للفتوى وكان القومُ في
غيِّ الضّلالةِ رُتّعاً أو نُوَّما
لا زلتَ تُعلي للحنيفيّة اليدا
تسعى لهدم المحدثاتِ مُصمّما
عرّضتَ نفسَكَ للأذيّة بعدما
وجّهتَ وجهك للذي فطر السّما
ووقفتَ وقفةَ صابر ومصابر

والـجهلُ يسطو ملَ صِلٍّ أرقما
وأذَّنَ فـي الأرواح والقوم نُوّمٌ
تعطَّرتِ الأكوان من نشر نورها

سطيف لك البشر ... «فـي مدح البشيـر الإبـراهيمـي»

وقد خيّم الـجهل المميت دهورا
فأضـحى به القطر الأسيف نصيـرا

نعمْ حلَّ فـي أرجائك الفيح ناصـح
فلبّت ذوو الألباب طرّاً نداءه

رابح دوب

أمـينٌ فزيدي يا سطيفُ شعورا
فمرحى ذوي الألباب مرحى كثيـرا
وأضـحت رياض العلم تـزهو بزهرها
تتـيه دلالاً تارةً وحبورا

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافـي -عالم المعرفة- الجزائر 2011؛
- سلـيمان الصّيد: نفح الأزهار عمَّا فـي مدينة قسنطينة من الأخبار المطبعة الجزائريّة للمجلات والجرائد. بوزريعة الجزائر 1994؛
- عبد الله ركيبـي: الشّعر الدّينـي الجزائري الحديث. دار الكتاب العربـي الجزائر 2011.

عبد الحميد مهري
(1344هـ - 1926م/1433هـ - 2012م)

عبـد الحميـد مهـري مثقـف، ومجاهـد، وسياسـي محنك عـرف بحكمتـه ورزانته، من دعـاة الوحـدة الوطنيّـة والمغاربيّـة، والقوميّـة العربيّة.

ولـد فـي 3 أبريـل 1926 بالخـروب التّابعـة لمدينة قسنطينة، شرق الجزائر. ونشأ في وادي الزّناتـي حيث حفظ القرآن وتلقى أوّل دروسـه علـى يد الشّـيخ عيسـى بـن مهيدي وهـو أحد أعمام العربي بن مهيدي الذي كان قاضيا بقريّة وادي الزّناتـي آنذاك. ثم انتقل مهري إلى تونس وانتسب إلى جامعة الزّيتونة.

ناضل فـي صفوف حركة انتصـار الحريات الدّيمقراطيّـة منذ كان طالبا فـي جامعة الزّيتونة أي منذ سنة 1948.

في سن السّادسة عشر، انخرط في صفوف حـزب الشّـعب الجزائـري ثم حركـة انتصار الحريـات الدّيمقراطيّـة. اعتقـل فـي نوفمبر 1954 وبقي في السّـجن إلـى أبريل1955، بعد أشـهر عيّن ضمن وفد جبهة التّحرير الوطني بالخارج، وشـغل منصب عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائريّة، ثم في لجنة التّنسيق والتّنفيـذ، عنـد تشـكيل الحكومـة المؤقتـة شـغل منصب وزير شؤون شـمال أفريقيا في



الأوّلـى، ومنصب وزير الشّـؤون الاجتماعيّة والثّقافيّة في التّشـكيلة الثّانيّة. عرف بمشروع يسـمّى باسـمه؛ هو مشـروع مهري للرد على مشـروع ديگـول، بعد الاسـتقلال عُيـن أمينا عامـا لـوزارة التّعليـم الثّانـوي 1965-1976، ثـم وزير الإعـلام والثّقافة في مـارس 1979، انتخب فـي جانفـي 1984م عضـوا بالمكتب السّياسـي لحزب جبهة التّحريـر الوطني، ثم عين سـفيرا للجزائـر في فرنسـا 1984-1988 ثـم في المغرب حتى اسـتدعائه إلـى الجزائر وتوليه منصب الأمانة الدّائمة للجنة المركزيّة ثم منصب الأمين العام لحزب جبهة التّحرير الوطنيّ.

تولـى منصـب الأمين العـام لحـزب جبهة التّحرير الوطني من 1989 إلى 1996.

أنشـأ جريـدة باسـم حـزب جبهـة التّحريـر الوطني أطلق عليها اسـم (الحوار) تماشـيا مع مواقفه الدّاعيّة إلى الحوار الوطني العميق.

أبعـد عـن الأمانـة العامّـة لحـزب جبهـة التّحريـر بسـبب مواقفه العنيـدة اتّجاه السّـلطة السّياسيّة والعسكريّة ونتيجة دفاعه عن التّيارات الإسلاميّة.

له العديد من المقالات السّياسيّة والتّاريخية، نشـرت فـي العديـد مـن الجرائـد والمجلات الوطنيّـة منها: الأصالة، الثّقافـة، والحوار ومن مقالاته المنشورة:

نحو خطة شاملة لتطوير اللغة العربيّة؛

التّعريـب شـرط الثّـورة الاقتصاديّـة والاجتماعيّة، والثّقافيّة؛

الإعلام في خدمة قضايا التّقدم.

توفي عبـد الحميـد مهـري يـوم الاثنين 30 جانفي 2012م عن عمر يناهز 85 سنة بعد صراع مـع المـرض فـي المستشـفى العسـكري بعين النعجـة ووري الثـرى بمقبرة (سـيدس يحيي) بالعاصمة بحضور شخصيات وطنية وسياسية.

باديس فغالي

المصادر:

- عبد الحميد مهري / ؛wwx.marefa.org
- معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، الجزء الثّاني، ص341، 343؛

عبد الرّحمن الأخضري
(920هـ - 1514م / 953هـ - 1546م)

عبد الرّحمن بن سيدي محمّد الصّغير بن محمّد ابن عامر الأخضري البنطيوسي البسكري المالكي، العلّامة الشّاعر، من أبرز علماء الجزائر في عصره. ولد ببلدة (بنطيوس) بولايّة بسكرة من عائلة عالمة شريفة مشهورة بالعلم والتّقوى. تربّى على والده العالم المدرّس الفقيه الذي درس بجامع الزّيتونة، ودرس عليه المبادئ الأوّلى، ثمّ أخذه والده إلى تونس ليدرس على علمائها من مثل (أبو يحيى بن عقبة) (أبو عبد الله القلجاني) (قاسم العقباني). وفي تونس أتقن فنون الكثير من علوم العربيّة، وعاد إلى بلدته ليصبح معلّماً للصّبيان نهاراً، ويلقي الدّروس ليلاً على المصلّين، ثمّ يأوي إلى خلوته للعبادة إلى غايّة الفجر.

ما يعرف عنه إنّه يتردّد على كلّ زاويّة للاطلاع على مناهجها ودروسها وعلى أحوال الطّلبة، وكان كثير التّرداد على زاويّة (قجال/ بن حمادوش) التي عقد معها علاقة روحيّة علميّة جعلته يزورها ويلتقي طلابها، ويحثّهم على الحفظ والوعي والزّهد وحسن العشرة والملاطفة، وهذا كلّه بأسلوب يتّسم ببعد المرامي، ويزرع في نفوس الطّلاب المحبّة، لدرجة إنّه جعل طلاب الزّوايا يتمتّعون بالوفاء وعذب الكلام، ونشر الاطمئنان. بكلّ ذلك الكلام يرتقي بين طلاب الزّوايا بما له من قدوة العالم العامل التّقي العابد الورع. وهو الذي يردّد كثيراً"... فالأمم المتقدّمة لم ترتقِ إلاّ برجالها الذين جعلوا من الصّدق في العمل وزيّنوا به أنفسهم." كما يسجّل عليه أنّه كثير التّحري عن المعلومات، فهو يسجّل ما يسمعه ويقرأه، ولكن لا يوثّقها إلاّ بعد التّدقيق والتّحقيق، وأحياناً كان ينتقل إلى بلاد بعيدة وهو يحمل هموم المشكلات، ويعرضها على أنداده للتّثبّت، وهذا ما قيل إنّه ينتقل إلى (فاس/ المدينة المنوّرة/ الأزهر) لتثبيت المسائل العالقة، ويستمع لمختلف الآراء من جهابذة العلم، ويعود بالرّأي الأمثل. ويقال إنّه يستمع لتلك الآراء، ولكنّه يعرضها على منطق توافقي بين النّقل والعقل، وهو منطقه الذي بناه في نفسه مذ كان صبياً، فلا يجزم بقول فقيه، أو اجتهاد مجتهد، إلاّ إذا وافق منطق الواقع، ووافق متغيّرات الزّمان والمكان. ولهذا أوّلى الدّراسة العقليّة المقام العالي في مؤلّفاته.

في بسكرة يجعل من زاويّة الوالد مدرسة علميّة، ويضع فيها خميرة الحركة التّنويريّة، بما يقدّمه من دروس التّنوير في ميدان التّعليم والتّأليف وخدمة الشّأن العامّ، ويأتيه الطّلبة من جميع جهات الوطن، حتى أصبحت بسكرة محجّاً لمن يرغب التّحصيل في مختلف العلوم، وساعدته السّاكنة على توسيع الزّاويّة والأخذ بإيواء الطّلبة الأباعد. وبذلك تحلّق به الطّلبة، وأجاز المجتهدين الذين وزّعهم على أماكن العبادة والزّوايا لنشر فنون العربيّة. لقد نسج علاقة روحيّة ببسكرة التي ألهمته الخدمة المجانيّة في سبيل العلم، وكان يوصي بها السّاكنة على دوام هذا الفعل، فكسب ودّ البسكريين، وأحبّوه وتعاونوا معه، كما أخلص الطّلاب له لما رأوه من وصايا يقدّمها، ويرون فيها أساس التّقدّم وعنوان الحضارة. وبكلّ ذلك شهدت بسكرة تطوّرات أخلاقيّة واجتماعيّة من أثر المعاملات والدّروس التي يقدّمها الشّيخ الفتى الذي شدّ قلوبهم بصدق العمل. ويشهد له الكثير بمساهمته في إثراء الحياة الثّقافيّة في تلك الفترة، وبذلك استطاع أن يفتكّ لنفسه منزلة عظيمة في نفوس أهله ومجتمعه بسبب تواضعه الذي يظهر جلياً في أعماله التي يسبق بها غيره. كان الأخضري بمثابة رجل الظّلّ الذي عمل على سمو أخلاق المنطقة، وأضاف لها بصمات حديثة لزمانه وسمت بها إلى العُلا، كما عمل على إحداث رجّة في مجتمعه، ونهض به من الانحطاط إلى ذروة الكمال، فحرّر العقول من الجمود والجهل، وقضى على الخرافات، وحارب بدع الصّوفيّة التي ما لها أساس في القرآن. كما كان كثير الاحتكاك بالشّباب، ويرى فيهم المستقبل وكان يوصيهم بالتّزام شرع الله، والعمل بكلام الله، والطّاعة واحترام الوقت، والتّناصح وعدم التّدابر. وفي قصيدة بهذا الخصوص يقول:

أُوصيكُم معاشرَ الشّبان
عليكم بطاعة الرّحمن
اياكم ان تُهمِلوا أوقاتَكم
فتَندمُوا يومًا على ما فاتَكُم
انما غانمة الإنسان شبابه
والخسر في التّوان
وما أحسن الطّاعة للشُبان
فاسعوا بذكرِ الله يا إخوان
وعمِّروا أوقاتَكم بالطّاعة
والذِّكر كلَّ لحظةٍ وساعة
ومن تَفتُه لحظةٌ في عمرهِ
تكونُ عليه حسرةً في قبرِهِ
من يكن فرط في شبابه
حتى مضى عجبت من تبابه
ويا سعادة امرئ قضاه
في عمل يرضى به مولاه
أحب ربي طاعة الشّباب
يا فوزهم بجنة الرّضوان
فتب إلى مولاك يا إنسان
من قبل أن يفوتك الأوان
ومن يقل إنّي صغير أصبر
ثم أطيع الله حين أكبر
فإنّ ذاك غرّه إبليس
وقلبه مغلق مطموس
لا خير فيمن لم يتب صغيراً
ولم يكن بعيبه بصيراً
لما رأى خيفة الصّديق قال له
الله معنا فلا تخشى من الضّرر

ألّف الشّيخ الأخضري في شتّى المعارف العقليّة والشّرعيّة والفقهيّة واللغويّة والرّياضيّة والفلكيّة، ونذكر منها:

- مختصر الأخضري في العبادات، على مذهب الإمام مالك؛
- نظم الجواهر المكنون في ثلاثة فنون: في علم البلاغة والبيان والبديع؛
- حليّة اللبب المصون على الجواهر المكنون؛
- منظومة الدّرة البيضاء في الفرائض والحساب؛
- أرجوزة. الدّرة البيضاء في أحسن الفنّون والأشياء؛

- نظم السّلم المُرونق في المنطق؛
- شرح السّلم المرونق؛
- نظم السّراج في علم الفلك؛
- نظم منثور ابن آجروم الدّرر البهيّة على نظم الأجروميّة؛
- نظم أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب في علم الإسطرلاب؛
- قصيدة مدح النّبي خالدّ بن سنان؛
- شعر القدسيّة واللاميّة في التّصوّف.

توفّي الشّيخ عبد الرّحمن الأخضري بقريّة (قجال) وترك كرامات كثيرة في منطقته؛ نظراً لما له من صيت علميّ أهّله ليكون له مقام الوليّ الصّالح في المنطقة التي لا تزال تقيم له الوعْدات السّنويّة، إلى جانب الملتقيات العلميّة. كما نشهد بأنّ كتبه نالتّ الآفاق، وتداول المختصّون في الدّاخل وفي الخارج بالدّراسة والتّحليل، أضف إلى ذلك ما يُنجز فيها من أبحاث أكاديميّة. كما يمكن التّركيز على كتابه (السّلم المُرَوْنَق في المنطق) الذي لا تزال الأبحاث والتّعليقات تشير له بالأهميّة والأهليّة العلميّة.

صالح بلعيد

عبد الرّحمن الثّعالبي
(786هـ - 1384م/875هـ - 1471م)

أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثّعالبي، مفسّر وفقيه مالكيّ صوفيّ على طريقة أهل السّنة. ولد سنة 786هـ / 1384م بمدينة (يَسَّرْ) الواقعة حالياً بولايّة (بومرداس) والقريبة بخمس (5) كيلومترات من مدينة (برج منايل) تقع شمال شرق عاصمة الجزائر، وتبعد عنها بحوالي 70 كلم. وهذه المدينة هي موطن آبائه وأجداده الثّعالبة. هذا العالم الفذّ كان رمزاً لمدينة الجزائر (سيدي عبد الرّحمن) وفيها مسجده الذي يحوي ضريحه.

نشأ عبد الرّحمن الثّعالبي في بيئة علم وصلاح، ودرس على علماء منطقه في بدايات حياته، ثمّ انتقل به أبوه إلى المغرب، وهناك تعلّم أصول الدّين والفقه، وقرأ عن علماء زمانه من مثل (العجيسي التّلمساني) المعروف بالحفيد. ولما نضّج عقله أضحى يحبّ الرّحلات والأسفار طلباً للقاء العلماء والصّالحين، فزار بجاية وتلمسان والصّحراء، وجالسّ العلماء في رحلاته، كما انتمى إلى حلقات العلم والذّكر مثل حلقة عثمان المنكلاتي) و(أبي الرّبيع سلمان بن الحسن) و(أبي العبّاس أحمد النّكاوسي...) والقائمة كبيرة برجال العلم الذين استمع لهم، وأخذ عنهم. وفي كلّ هذه الرّحلات لم يلذّ له المقام، فقصد تونس سنة 809هـ/ 1406م، وهناك تعلّم على علماء مشهورين من مثل: (البرزلي) تلميذ ابن عرفة، كما لم يمضِ إلاّ بعض السّنوات، وارتحل إلى القاهرة سنة 819هـ / 1414م، فلقي بها البلالي، وأبا عبد الله البساطي، وولي الدّين العراقي... ثمّ ارتحل إلى الأستانة، ومنها إلى الحجاز؛ فأدّى فريضة الحجّ، واختلف إلى مجالسّ العلم في كلّ هذه البلاد التي زارها، أخذ علماً كبيراً، وعاد إلى مصر وانتمى إلى الأزهر، ومن مصر عاد إلى تونس، وانتمى إلى حلقة ابن مرزوق الحفيد التّلمساني، فلازمه وأخذ عنه الكثير. هي رحلات مضنيّة ولكنّها مفيدة وعلميّة متواصلة لم تقعده عن طلب المزيد من العلم. واشتاق إلى الجزائر، وعاد محمولاً بزاد يلقيه على طلاّبه، أو يدوّنه في كتبه. وعمل على تحقيق الجبهات التّاليّة:

- جبهة تفريغ العلم المُجمّع من الرّحلات العلميّة:

لما عاد إلى الجزائر عادَ بزادٍ علميٍّ وفيرٍ جعله يلقّب بعالم زمانه في علم التّفسير، وقد تميّز باتّباع منهج جمع فيه بين النّقل والعقل واستحسن المريدون هذا الجمع التّوفّيقي بين الأصول والفروع. وبكلّ هذا أضحى (الثّعالبي) شيخاً عالماً من علماء أهل زمانه، وانتشر اسمه في العالم العربي والغربي.

- جبهة إلقاء الدّروس في المساجد:

واستطاع أن يكوّن مريدين كباراً، ومنهم: محمّد بن يوسف السّنوسي، أحمد زروق، محمّد المغيلي التّلمساني، أحمد بن عبد الله الزّواوي، محمّد بن مرزوق الكفيف، وغيرهم.

- جبهة تولّي القضاء:

وهي جبهة الحُكم بشرع الله، وردّ المظالم، ورفع الغبن، وفي تلك الفترة التي يسود فيها الجهل المطبق، ومع ذلك حاول أن يكون في مستوى تطبيق شرع الله، وأفلح في بعض القضايا التي وجد فيها الأطراف جاهزة للتّعاون من أجل المحافظة على شرع الله.

- جبهة الزّهد والعبادة:

وفيها انقطع للعبادة والتّصوّف، كما كان يلقي خطباً على منابر مسجد العاصمة، وواضب على إلقاء دروس الجمعة دون انقطاع، واستطاع أن يستميل الكثير من النّاس لخدمة الدّين الإسلاميّ وفق المذهب المالكي وبطريقة الأشاعرة.

- جبهة التّأليف:

ألّف أكثر من تسعين (90) مؤلّفاً عن حقائق التّوحيد، وعن أصول علم الكلام، وأصول الدّين، وعن علم العقيدة، وغيرها من العلوم الدّينيّة الأخرى. ومن أهمّها:

- تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن في أربعة أجزاء، وقد انتقاه -كما يقول- من كتب التّفسير السّابقة، وأضاف إليه ما تيسّر له، فجاء تفسيره مملوءاً بنفائس الحِكَم وجواهر السّنن الصّحيحة، طبع أوّل مرّة بالجزائر 1909، ثم طبع طبعة ثانيّة، تح: عمّار طالبي.
- حقائق التّوحيد.
- روضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه.
- جامع الهِمَم في أخبار الأُمَم.
- جامع الأمّهات في أحكام العبادات.
- الأربعون حديثاً في الوعظ.
- جامع الأمّهات للمسائل المهمّات مخطوط بالمكتبة الوطنيّة بالجزائر وهو في الفقه.
- رياض الصّالحين وتحفة المتقين في التّصوّف. مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائر تحت رقم 833.
- مخطوطات: وهي كثيرة جداً، ومتناثرة بين الزّوايا في منطقة القبائل، وفي خارج الجزائر ووصل بعضها إلى (تمبكتو).

ونشير إلى بعضها: مخطوطات في التّوحيد واللغة والفقه، الدّر الفائق، والأنوار المضيئة بين الحقيقة والشّريعة، الذّهب الإبريز في غرائب القرآن والعزيز.

وما تركّز عليه الدّراسات حول كتابه المشهور (تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن) فقد نال تقريظاً حسناً من قبل الفقهاء والحافظين والمطّلعين، وبخاصّة أهل السّنة والجماعة لما يحمله من صوَر التّفسير المعاصر الذي يبرز إعجاز القرآن، وصلاحه لكلّ زمان ومكان. وفي هذا التّفسير لفتات بلاغيّة لا يصل إليها إلاّ العالم المستولي على اللغة العربيّة في أعلى بلاغاتها، وفي خصائصها التّداوليّة، وما يحيط بالآيات ممّا هو ثابت، ممّا هو متحوّل. ويقول أهل الاختصاص بأنّ فكره في هذا التّفسير مزيج بين أفكار المجتهدين في المشرق والمغرب وأهل الأندلس، وزاد عليها اجتهادات استقاها من أفكار شيوخه من مثل: تفسير ابن عطيّة وغيره من الصّالحين، وهو الذي يقول: «... وينبغي لمن ألف أن يعرّف بزمانه وبمن لقيَه من أشياخه، فيكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره، ويسلم من الجهل به، وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزّمان وكم من فاضل انتشرت عنه فضائل جُهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشّأن».

إنّه الشّيخ الفاضل الذي نال الدّنيا بما كسب من المُريدين، ونال أجر العلم بما ترك من الصّدقات الجاريات، ونالهما معاً بما ترك من لذة التّذكار من قبل أفاضل العلماء، وفيه قال (أبو زرعة العراقي «الشّيخ الصّالح الأفضل الكامل المحرّر المحصّل الرّحال أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثّعالبي». رحل الشّيخ الثّعالبي بلذّة هذا الكلام الذي يستحقّ أكثر، رحل في يوم الجمعة 23 رمضان من سنة 875 هـ/ مارس 1471م. ورثاه كثير من مُريديه ومُعاصريه، وهو الآن ينام في زاويته، وفي ضريحه بسيدي عبد الرّحمن الثّعالبي بعاصمة الجزائر.

صالح بلعيد

عبد الرّحمن الجيلالي
(1326هـ - 1908م/1431هـ - 2010م)

عبد الرّحمن بن محمّد الجيلالي الحسني، وهي أسرة يتصل نسبها بخلفية الثالث عثمان، ولد بحي بولوغين بالجزائر العاصمة سنة: (1326هـ/ 1908م)، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ودرس على عدّة شيوخ في المساجد والزّوايا بالجزائر، وتلقى فيها مبادئ اللغة العربيّة، وعلم الفقه، وعلوم الشّريعة، وعلم الكلام، وقد تتلمذ (عبد الرّحمن الجيلالي) على عدد من كبار العُلماء الجزائريين الذين يُعدون من وجوه النّهضة الجزائريّة في ذلك الزّمن، فقد كانت مدينة الجزائر العريقة "في بدايات القرن الماضي فضاءً خصباً لنشاط ثقافي وديني غني قاده أعلام من الفقهاء والأدباء والكتاب، من أمثال: الشّيخ (محمّد السّعيد بن زكري الزّواوي)، المتوفى سنة: (1332هـ/ 1914م)، والذي كان مُدرساً بالجامع الأعظم، وإماماً بجامع سيدي رمضان بالقصبة، ومفتياً شهيراً على المذهب المالكي، وكذلك الشّيخ (البشير الإبراهيمي) الذي كان يُشرف على تسيير الحركة التّعليميّة بالمدارس الحرّة التّابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، والتي كان مقرها بنادي التّرقي بساحة الشّهداء بالعاصمة، والذي كان ملتقى للنخبة المثقفة حيث كان يحتضن أمسيات ثقافيّة، كان ينشطها أعلام من أمثال: (الطّيب العقبي)، والشّيخ (العربي التّبسي)، وغيرهما من المشايخ" . ومن أبرز الأساتذة الذين درّسوه العلّامة الشّيخ (عبد الحليم بن سمايّة)؛الذي كان أحد كبار العلماء في ذلك الزّمن، وترك عدداً من الآثار النّفيسة من بينها كتاب: "فلسفة الإسلام" وكتاب: "اهتزاز الأطوار"، وكتاب: "الكنز المدفون والسّر المكنون"، والشّيخ العلّامة (أبو القاسم الحفناوي)؛ صاحب الكتاب المعروف الموسوم بـ:"تعريف الخلف برجال السّلف"، والشّيخ (المولود الزّريبي)؛المصلح، والمناضل الثّائر، والعلّامة الفذ الدّكتور (محمّد بن أبي شنب)؛شيخ المحققين الجزائريين في ذلك الزّمن، والمُترجم البارز، وعضو مجمع اللُّغة العربيّة بدمشق، ولا ريب في أن تتلمذه على عدد من العلماء الأفذاذ قد أثّر في شخصيته وتكوينه، إضافة إلى عصاميته، واعتماده على ذاته، واجتهاده الشّخصي، وبعد انتهاء تعليمه درّس الشّيخ (الجيلالي) في عدّة مدارس من

بينها: (مدرسة الشّبيبة الإسلاميّة) التي كان يُديرها أمير الشّعراء الجزائريين؛ (محمّد العيد آل خليفة)، ومارس الخطّابة، والإمامة بعدّة مساجد، مثل: "الجامع الكبير"، و"الجامع الجديد"، و"جامع سيدي رمضان"، وبعد الاستقلال عُيّن أستاذاً باحثاً بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر ابتداءً من سنة: (1375هـ/ 1956م)، وعُيّن سنة: (1390هـ/ 1970م) أستاذاً للفقه المالكي بمعهد تخريج الأئمة بولاية البليدة، كما تولى تدريس مادّة: (مصطلح الحديث) بجامعة الجزائر المركزيّة سنة: (1403هـ/ 1983م)، ونظراً لتعدّد اهتماماته، وتنوع جهوده المعرفيّة، وتميزه بثقافة موسوعيّة، وفكر عميق، فقد عُيِّن في عدد من اللجان العلميّة التّاريخيّة والدّينيّة، كما كان عضواً بالمجلس الإسلامي الأعلى، وكان من أبرز المُساهمين في لجنة الفتوى التي كان يُشرف عليها العلّامة (أحمد حماني)، إضافة إلى عضويته في الدّيوان الوطني لحقوق التّأليف، والعديد من اللجان الأخرى، أما فيما يتعلق بالكتابة الصّحفيّة، فقد كتب الشّيخ (عبد الرّحمن الجيلالي) عشرات المقالات المتنوعة منها التّاريخيّة، والأدبيّة "في عدّة جرائد ومجلات من بينها: النّجاح، والإقدام، والبصائر، والشّهاب، وهُنا الجزائر، والأصالة، والثّقافة، والشّعب... إلخ. وركّز في مقالاته وبحوثه على أعلام الجزائر أمثال: (المكّي بن عزوز)، و(محمّد البشير الإبراهيمي)، و(مبارك الميلي)، و(عبد الحليم بن سمايّة)، وحواضرها مثل: الجزائر، وبجاية، وتلمسان، وقسنطينة، والمديّة...، ليُبيّن إسهامات هذه البلاد في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة في العصور القديمة والحديثة، وقد حفر بكتاباته ومحاضراته وأحاديثه مكاناً مرموقاً بين الفقهاء والمؤرّخين).

وقد تنوعت، وتعددت نشاطاته وأعماله، فقد ترك إنتاجاً علمياً زاخراً في شتّى الميادين التّاريخيّة، والأدبيّة، والدّينيّة، والإعلاميّة، وعندما يتحدث المرء عن عبد الرّحمن الجيلالي المؤرّخ يتبادر إلى الذهن كتابه: (تاريخ الجزائر العام)الذي هو عبارة عن موسوعة ضخمة، ذلك الكتاب الذي يعد من أهم ما كُتب عن تاريخ الجزائر منذ العصور الغابرة، وصولاً إلى ما بعد العهد العثماني، وقد تولى الشّيخ توسعته، وتنقيحه في طبعات عديدة، وقد طُبع أكثر من عشر مرات، وقد صدر أوّل مرة سنة: 1372هـ/ 1953م)، في جزء واحد، ثم صدر بعدها في عدّة أجزاء.

ومن كتبه التّاريخيّة المهمّة كتاب: (ذكرى الدّكتور محمّد بن أبي شنب)، وهو كتاب ألّفه عن أستاذه العلّامة الكبير (ابن أبي شنب)، وعرض فيه جهوده وخدماته الكبيرة في ميدان تحقيق التّراث، والتّأليف، وقد لقي هذا الكتاب أصداء طيبة، وقبولاً واسعاً، ورحّبت به مجلّة الشّهاب الجزائريّة أيما ترحيب، كما دعت في حديثها عنه كل جزائري يجري في عروقه دم الشّهامة والغيرة الإسلاميّة إلى اقتناء هذا الكتاب ومطالعته. كما طُبع مرة أخرى بعنوان: محمّد بن أبي شنب: حياته وآثاره، وصدر عن المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، سنة: (1403هـ/ 1983م)، كما ألف كتاب: (تاريخ المدن الثّلاث (الجزائر، المديّة، مليانة)، وذلك بمناسبة مرور ألف سنة على تأسيس هذه المدن من قبل (بولوغين بن زيري الصّنهاجي)، وقد عرض في هذا الكتاب باستفاضة، وتوسع لتاريخها، مُركزاً على التّطورات، والتّحولات التي شهدتها هذه المدن منذ تأسيسها. كما ألف كتاب: (ابن خلدون في الجزائر)، وتحدث فيه عن العلّامة (عبد الرّحمن بن خلدون) حينما حلّ بالجزائر، وأقام فيها عبر مراحل مختلفة. إضافة إلى كتاب عن: (العملة الجزائريّة في عهد الأمير عبد القادر)، وكتاب عن: (الثّقافة والحضارة والعمران بالجزائر)، سلط فيه الضوء على أهم المعالم الإسلاميّة، والمساجد العريقة، والآثار الخالدّة بالجزائر، مُركزاً على الجوانب العمرانيّة، والحضاريّة.

ومن خلال كتابه: (المستشرقون الفرنسيون والحضارة الإسلاميّة)، أبرز رؤيّة عدد من المستشرقين الفرنسيين للثقافة والتّراث الإسلامي، وقد اعتمد في هذا الكتاب على التّحليل، والتّعمق مع كتاباتهم، ورؤاهم المقدمة عن الحضارة والفكر الإسلامي.

كما ركّز (عبد الرّحمن الجيلالي) في مقالاته، وأبحاثه على الدّين الإسلامي، وعلوم الفقه، ومن بين مؤلّفاته في هذا المجال نذكر كتاب: (عناصر الفقه المالكي)، وكتاب: (الحج إلى بيت الله الحرام)، إضافة إلى مجموعة من الدّراسات الإسلاميّة، والفتاوى، ومن أعماله التي ما تزال مخطوطة كتاب: (الاستشراق الغربي والثّقافة الإسلاميّة)، وكتاب: (تاريخ الموسيقى العربيّة)، وكتاب: (شرح على كتاب الجوهر المرتب في العمل على الرّبع المجيب) للشيخ (المكّي بن عزوز). كما كتب الشّيخ مجموعة من النّصوص الأدبيّة، منها أعمال مسرحيّة، مثل: (المولد)،

و(الفجر)، وحظيت باهتمام كبير من قبل الكتّاب، والأدباء، وأعجبوا بها أيما إعجاب، داخل الوطن وخارجه، فمسرحيّة: (المولد) مثّلت عدّة مرات، وبثتها الكثير من الإذاعات العربيّة، والدّوليّة مثل: مصر، ولندن، ونيويورك، وباكستان.

يرى الباحث الجزائري عبد الملك مرتاض أن كتاب الشّيخ (عبد الرّحمن الجيلالي) الموسوم ب: (تاريخ الجزائر العام)، أحد أهم الكتب التي أسهمت في بروز النّهضة التّاريخيّة في الجزائر، حيث يقول عن الكتاب: "تقرأ تاريخ الجيلالي، فتجدك أمام مؤرّخ غني، يريد أن يُطلعك على كل شيء، ويريد أن يجعلك تلم بما ألم، وتفيد من كل ما قرأ، أو درس من كتب تاريخيّة، وغير تاريخيّة، فالتّاريخ للأمة الجزائريّة وحدها، ولكن الجيلالي لم يقنع بهذا، فمضى يتحدث لك عن الأمّة العربيّة بوجه عام، وإنّها أعقل الأمم وأرقاها تفكيراً...

إنّ هذا التّاريخ ذو شأن أي شأن في النّهضة الثّقافيّة الجزائريّة المعاصرة. فقد أنفق الجيلالي من الوقت، وعانى من الجهد، في تأليف هذا الكتاب، ما تشهد به مادته الخصبة، ومعارفه الواسعة. فهو كتاب هام لا غنى عنه لأحد يريد أن يُلم بتاريخ الجزائر خلال أطوار التّاريخ المتباعدّة التي عالجها، ونحسب مخلصين، أن الجيلالي قد أدى بهذا الكتاب لنهضتنا الثّقافيّة المعاصرة في الجزائر صنيعاً عظيماً).

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد الرّحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، بالاشتراك مع مكتبة الشّركة الجزائريّة، الجزائر، ط:02، 1384هـ، 1965م.
- عبد الرّحمن الجيلالي: من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنويّة على وفاة العلّامة النّابغة الشّيخ مبارك الميلي (رحمه الله)، مجلّة الثّقافة، السّنة الرّابعة عشرة، العدد:80، جمادى الثّانيّة، رجب 1404هـ، مارس- أبريل1984م.
- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، 1925-1954م، منشورات الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1983م.
- محمّد سيف الإسلام بوفلاقة: عبد الرّحمن الجيلالي المؤرّخ الرّائد والعلّامة المجدد، مجلّة آفاق الثّقافة والتّراث، مجلّة فصليّة ثقافيّة تراثيّة تصدر عن قسم الدّراسات والنّشر والشّؤون الخارجيّة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتّراث، دبي، دولة الإمارات العربيّة المتحدة، العدد:76، محرّم1433هـ/ ديسمبر-كانون الأوّل 2011م.

عبد الرّحمن الحاج صالح
(1346هـ - 1927م/1438هـ - 2017م)

ولد عبد الرّحمن الحاج صالح سنة: (1346هـ/ 1927م) بمدينة وهران، التي تعرف باسم عاصمة الغرب الجزائري، وهو ينتمي إلى عائلة عريقة، ومعروفة، نزح أسلافها من قلعة بني راشد المشهورة في بداية القرن التّاسع عشر، زاول تعليمه الابتدائي في المدارس الحكوميّة، ثم انتقل للدراسة في المدارس الحرّة التي أنشأتها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك لتعلّم اللُّغة العربيّة وآدابها، وعلوم الشّريعة، وسرعان ما انضم في شبابه إلى حزب الشّعب الجزائري، وعمل مناضلاً بسيطاً في صفوفه، إيماناً منه بقضيّة الشّعب الجزائري العادلة، وفي سنة: 1366هـ/ 1947م)، انتقل إلى مصر، بسبب تضييق السّلطات الاستعمّاريّة الفرنسيّة عليه، وانتسب هناك إلى كليّة اللُّغة العربيّة بجامعة الأزهر، حيث اكتشف الأهميّة الاستثنائيّة للتراث العلمي اللُّغوي العربي، غير إنّه لم يتمكن من إكمال دراسته بمصر، فالتّحق بجامعة بوردو في فرنسا، ثم سافر إلى المغرب الأقصى، وعمل أستاذاً في التّعليم الثّانوي، كما درّس الرّياضيات في أقسام العلوم، وبعد أن حصل على شهادة التّبريز في اللغة العربيّة، درّس اللسانيات باللغة العربيّة في كليّة الآداب بالرّباط أوّل مرة سنة: (1379هـ/ 1960م)، وبعد



استقلال الجزائر سنة: (1381هـ/ 1962م)، عمل أستاذاً باحثاً في جامعة الجزائر، ورأس قسم اللغة العربيّة، واللسانيات سنة: (1383هـ/ 1964م)، ثم انتخب عميداً لكليّة الآداب، وقد انتقل إلى عدّة دول غربيّة، وعمل أستاذاً زائراً في جامعة فلوريدا، وبعد أن عاد إلى وطنه الجزائر، أسس معهداً للعلوم اللّسانيّة، والصّوتيّة، وأسس مجلّة اللّسانيات، التي حظيت بسمعة علميّة مرموقة في الوطن العربي، والعالم الغربي .

عُيِّن عُضواً في مجمع اللُّغة العربيّة بدمشق سنة: (1398هـ/ 1978م)، ومجمع بغداد عام: (1400هـ/ 1980م)، ومجمع عمّان سنة: 1404هـ/ 1984م)، وفي سنة: (1408هـ/ 1988م) عُيّن الدّكتور (عبد الرّحمن الحاج صالح) عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، ثم انتخب عضواً عاملاً به في سنة: (1424هـ/ 2003م)، في المكان الذي خلا بوفاة العلّامة الدّكتور (إبراهيم السّامرائي)، وفي سنة:2000م، عين رئيساً للمجمع الجزائري للغة العربيّة. وتوفّي يوم الأحد6جمادى الثّانيّة1438هـ، الموافق ل5آذار/ مارس2017م، وقد كان عالماً كبيراً بارعاً في علم اللّسانيات، وأحد كبار الأكاديميين الجزائريين الذين أسّسوا هذا التّخصص العلمي في الجزائر، وقد حقق الدّكتور (عبد الرّحمن الحاج صالح) في مشواره العلمي، والأكاديمي الطّويل إنجازات كبيرة، ومتميزة، قدم من خلالها بإخلاص شديد، ودقة متناهيّة إضافات علميّة ثمينة، خدم بها علوم اللسان خدمات جمة، فهو عالم جليل، وقد كان مصدر عطاء علمي فياض، وعاش حياة حافلة بالجهد، والمعاناة.

ولا يختلف اثنان في أن أهم مشروع علمي شغل اهتمام الدّكتور (عبد الرّحمن الحاج صالح)، هو مشروع الإنترنت العربي، أو الذخيرة اللغويّة للغة العربيّة منذ العصور القديمة، إلى أيامنا هذه، فقد ركز من خلال رغبته في تجسيد هذا المشروع على تكنولوجيات الاتصال الحديثة، ومدى إمكانيّة توظيفها في خدمة اللغة العربيّة من خلال حوسبتها، فهو يرى أن الذخيرة العربيّة يفترض أن تكون تمثيلاً حقيقياً لاستعمالات العربيّة عبر سلاسل زمنيّة متتاليّة من خلال حصر جميع الألفاظ التي وردت في المعاجم العربيّة، واستعملت في المصادر العربيّة

القديمة، فالمحتوى العربي الإلكتروني هو مدونة حيّة يتم الانطلاق منها في دراسة الظاهرة الدّلاليّة، حيث إن مشروع "الذخيرة العربيّة"، يعُرف بأنّه عبارة عن "بنك آلي من النّصوص العربيّة القديمة والحديثة مما أنتجه الفكر العربي، فهو ديوان العرب في عصرنا فسيكون آلياً على شبكة الأنترنت، وهو بنك آلي أي قاعدّة معطيات حسب تعبير الاختصاصيين في الحاسوبيات، وهو بنك نصوص لا بنك مفردات، أي ليس مجرد قاموس، بل مجموعة من النّصوص مندمجة حاسوبياً ليتمكن الحاسوب من المسح...

وبالنّسبة إلى محتوى الذخيرة، فهي تنقسم إلى جانبين: ثقافي (علمي تربوي)، وجانب خاص باللغة العربيّة، وذلك بحسب توظيفها، ونوعيّة الأسئلة الملقاة عليها، إلا أن محتواها من النّصوص يُهم الجانبين معاً.

فسيكون فيها في المرحلة الأوّلى والثّانيّة (وربما تكفي الأوّلى بالنّسبة للتراث):

- النّص القرآني بالقراءات السّبع وكتب الحديث السّتة.
- أهم المعاجم اللغويّة (الوحيدة اللغة والمزدوجة).
- الموسوعات الكبرى العامّة العربيّة الأصل والمنقولة عن اللغات الأخرى.
- عينة من الكتب المدرسيّة والجامعيّة القيمة (الرّائجة في الوطن العربي أو في بلد واحد).
- عينة من الكتب الخاصّة بإكساب بعض المهارات (منها تعليم اللغة العربيّة) على الطّريقة الحاسوبيّة.
- عينة من الكتب التقانيّة القيمة.
- عينة كبيرة من البحوث العلميّة، والثّقافيّة القيمة المنشورة في المجلات المتخصصة.
- عينة كبيرة من المقالات الإعلاميّة الصّحفيّة والإذاعيّة والتّلفزيونيّة والحوارات والمداخلات المنطوقة في اللقاءات العلميّة وغيرها.
- أهم ما حُقّق ونُشر من كتب التّراث الأدبيّة (والشّعريّة خاصّة)، والعلميّة، والتّقنيّة من الجاهليّة إلى عصر النّهضة.

من أهم مؤلّفاته كتاب: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة)، والذي صدر عن منشورات مؤسّسة موفم للنشر في إطار احتفاليّة الجزائر عاصمة للثقافة العربيّة، سنة: (1428هـ/ 2007م).

ومن بين دراساته العلميّة الثّمينة، والتي تكتسي أهميّة قصوى نذكر:

- أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، العدد السّابع، السّنة الثّالثّة، جمادى الثّاني1429هـ- جوان2008م.
- أنماط الصّياغة اللغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة الحديثة، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، مجلّة لغويّة علميّة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربيّة، العدد السّادس، السّنة الثّالثّة، ذو الحجة 1428هـ-ديسمبر2007م.
- أنواع المعاجم الحديثة ومنهجها ووضعها، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق مج:78، عدد خاص بندوة المعجم العربي، 2003م.
- تحديث أصول البحث في التّراث اللغوي العلمي العربي، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، مجلّة لغويّة علميّة محكمة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربيّة، العدد: 04، السّنة الثّانيّة، ذو القعدّة 1426هـ/ ديسمبر2006م.
- دور اتحاد المجامع اللغويّة العربيّة وتحديث العمل المجمعي، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، مجلّة لغويّة علميّة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربيّة، العدد:20-21السّنة الحاديّة عشرة، صفر-ربيع الأوّل1436هـ-الموافق لديسمبر2014م- شعبّا ن - ر مضا ن 1436هـ - ا لمو ا فق لجوان 2015م.
- اللغة العربيّة والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، مجلّة لغويّة علميّة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربيّة، العدد الثّاني، السّنة الأوّلى، ذو القعدّة 1426هـ - ديسمبر 2005م.
- النّحو العربي والبنويّة: اختلافهما النّظري والمنهجي، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، دوريّة محكمة تصدرها كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة بقسنطينة، الجزائر، العدد:01، محرّم 1423هـ/ أفريل2002م.
- مشروع الذخيرة اللغويّة العربيّة وأبعاده العلميّة والتّطبيقيّة، دراسة منشورة في مجلّة الآداب، مجلّة أدبيّة فكريّة تصدر عن معهد الآداب واللغة العربيّة، جامعة قسنطينة، الجزائر، العدد:03، السّنة:1417هـ/ 1996م.
- المعجم التّاريخي وشروط إنجازه، ألقي هذا البحث في ندوة اتحاد المجامع العربيّة بالشّارقة في ديسمبر2006م، ونُشر في مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، مجلّة لغويّة علميّة تصدر عن المجمع الجزائري للغة
- العربيّة، الجزائر، العدد الخامس، السّنة الثّانيّة، جمادى الأوّل1428هـ/ جوان2007م.
- المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربيّة، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، دوريّة لغويّة علميّة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربيّة بالجزائر، العدد:01، السّنة الأوّلى، ربيع الأوّل1426هـ/ ماي2005م.

يقول عنه الباحث الدّكتور (صالح بلعيد)؛ رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر: "... عاد إلى التّراث وأمعن النّظر فيه ومحصه تمحيصا، وبطريقة علميّة أثمرت دراساته نظريات عديدة ومتميزة كالنّظريّة الخليليّة الحديثة، إنّه الطّبيب اللّساني الذي ساهم في بعث التّراث اللغوي من جديد وربط الأصالة بالمعاصرة، وتحديد المفاهيم، والمعرفة الحقة بأصول البحث اللّغويّ خاصّة الدّرس النّحوي منه. إنّه العالم اللّساني الجليل الذّي كان يقدّر العلم والعلماء، ويعرف قيمة البحث العلميّ

المبني على أسس سليمة وقواعد متينة وأصول حقيقيّة لا فروع واهيّة؛ وهو الباحث المجدّ المجتهد الذّي لم يتكئ على وسادة غيره، أو جمع آراء معاصريه فقط ليُراكم الأقوال دون فحص أو استدلال؛ لقد تجلى باحثاً من الرّعيل الأوّل بل من الجيل الذهبي الحديث في الجزائر... إن جهود الحاج صالح البحثيّة والعلميّة وفيرة وغزيرة وخاصّة في خدمة اللّغة العربيّة وترقيتها وتطويرها، حيث ترك إنتاجاً علمياً بين النّظريّة والتّطبيق".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- صالح بلعيد: مقاربات منهاجيّة، منشورات دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010م.
- نعمان عبد الحميد بوقرة: عبد الرّحمن الحاج صالح: جهوده اللسانيّة ومدرسته الخليليّة الحديثة في النّحو العربي، مجلّة الفيصل الأدبيّة، مُلحق فصلي يصدر عن مجلّة الفيصل، الرّياض، المملكة السّعوديّة، المجلد السّادس، العددان:3-4، جمادى الأوّلى-رجب1431هـ/ شعبّان-شوال1431هـ .
- محمّد سيف الإسلام بوفلاقة: العلّامة عبد الرّحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان، مجلّة الحرس الوطني، مجلّة عسكريّة ثقافيّة شهريّة تصدر عن وزارة الحرس الوطني السّعودي بالرّياض في المملكة العربيّة السّعوديّة، العدد: 366، رجب -شعبّان 1438هـ - أبريل- مايو2017م. كما نُشر هذا المقال في مجلّة الرّافد مجلّة شهريّة ثقافيّة تصدر عن دائرة الثّقافة والإعلام، حكومة الشّارقة، الإمارات العربيّة المتحدة، العدد:241، الخاص بشهر سبتمبر 2017م.

عبد الرّحمن العايب
(1353هـ - 1935م/1397هـ - 1977م)

عبد الرّحمن بن بوجمعة العايب، المولود في مدينة عزابة، ولايّة سكيكدة في الشّرق الجزائري، في 12 مارس 1935، فقد بصره وهو لا يتجاوز 06 أشهر نتيجة مرض أصابه في المهد.

نشأ الشّيخ عبد الرّحمن العايب في وسط أسرة محافظة مولعة بالعلم، فمعظم أفرادها كانوا متعلمين ومثقفين.

حفظ القرآن الكريم عن طريق السّماع على يد الشّيخ بلقاسم الولفيسي من منطقة القبائل، ثمّ التّحق الشّيخ عبد الرّحمن العايب بمدرسة التّرقي التّابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين للدراسة في المرحلة الابتدائيّة، وتتلمذ على يد الشّيخ مبارك الميلي، والشّيخ مبروك عوادي (وهو أحمد أعمدة المذهب الظّاهري في الجزائر والوطن العربي)، ثم التّحق بمعهد العلامة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة حيث تحصّل على شهادة الأهليّة بامتياز سنة 1953، ورشّح للالتّحاق بجامع الزّيتونة بتونس، وقد جهّز متاعه وشدّ الرّحال لذلك، لكن تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن فقد اندلعت الثّورة التّحريريّة سنة 1954، ولم يكن هناك بد من تلبيّة نداء الوطن، فعاد إلى مسقط رأسه، وزاوج بين العلم والنّضال، ورغم كونه كفيفا فإنّه قد أدّى دوره على أحسن وجه حيث قام بجمع الاشتراكات، وتجنيد النّاس للالتّحاق بصفوف الثّورة، كما كان له دور في توعيّة المواطنين من خلال الدّروس التي كان يقدّمها في المسجد الذي اتخذه مقرا دائما لخليّته، وعند الاستقلال أسندت إليه مسؤوليات أدّاها بأمانة، وكان له الشّرف أن يدافع عن الإسلام من خلال محاورته لعدد من المسؤولين، كما كان يكلّف دائما بمرافقة العلماء الذين كانوا يأتون إلى مدينة سكيكدة، كما كان للشيخ مرزوق بن الشّيخ الحسين رحمه الله أحد مشايخ جمعيّة العلماء المسلمين فضل عليه، فقد لازمه فترة طويلة، وجعل منه خطيبا بل من أبلغ الخطباء فصاحة، وأقدرهم على التّأثير في السّامعين.

إضافة إلى هذا فقد أسّس أوّل خليّة لجبهة التّحرير الوطني بعزّابة سنة 1955 بالمسجد العتيق، كما كان للشيخ باع طويل في النّضال السّياسي بعد الاستقلال، فقد كان منسّقا لجبهة التّحرير الوطني بعزّابة، كما وهب نفسه للعلم والتّعليم وسهر على تكوين أجيال من الشّباب، ولم تمنعه كل هذه الشّواغل عن كتابة الشّعر، فقد كان شاعرا، وكتب ديوان شعر نال بفضله وسام الاستحقاق الأدبي من الرّئيس الرّاحل الحبيب بورقيبة بتونس سنة 1973، وقد أهدى المبلغ المالي الذي تحصل عليه بالدّينار التّونسي لجمعيّة المكفوفين التّونسيين.

وقد حدّثني الشّيخ عبد الرّحمن العايب شخصيا بأنّه " قدّم محاضرة قيّمة بقصر قرطاج في حضرة الرّئيس التّونسي الحبيب بورقيبة بعنوان (الرّومانسيّة عند أبي القاسم الشّابّي ومبارك جلواح)، وأثبت تفوّق الشّاعر مبارك جلواح الجزائري على أبي القاسم الشّابي التّونسي، وذلك لأنّ مبارك جلواح كان يتقن اللغة الفرنسيّة إتقانا جيّدا، فاطّلع على مصادر الرّومانسيّة بفرنسا، في حين أنّ الشّابّي كان يقرأ عن الرّومانسيّة الكتب والمقالات المترجمة إلى العربيّة."

وقد كان من بين الحضور في قصر قرطاج شاعر الثّورة الجزائريّة مفدي زكريا الذي أعجب كثيرا بشاعريته ونضج النّظرة النّقديّة للشيخ عبد الرّحمن العايب، فنصحه بالبقاء في تونس للإفادة والاستفادة، لكنّه رفض رفضا قاطعا، وأصرّ على العودة لوطنه الجزائر الذي هو في أشدّ الحاجة لأبنائه المخلصين.

بالإضافة إلى هذا فإنه ألقى قصائد رائعة أمام الرّئيس هواري بومدين الذي أصبح يحضر كل تنقلاته لشرق البلاد.

نذر الشّيخ حياته لخدمة الإسلام والجزائر رغم إعاقته البصريّة، وكان حاضرا في كلّ المحافل والمآتم بمدينة عزّابة، ويشارك النّاس أفراحهم وأحزانهم.

ومما عرف عن الشّيخ عبد الرّحمان العايب أنّ له ذاكرة قويّة جدا، فكان يحفظ النّص بمجرد سماعه لأوّل مرّة، بل إنّه كان يحفظ أسانيد الأحاديث بدقة متناهيّة؛ فقد كان طلبته يقرؤون عليه كتب السّنة بأسانيدها، فإذا أسقطوا رجلا من السّند أرجعهم وطلب منهم تصحيح خطئهم، ومن القصص الطّريفة التي تذكر في هذا الأمر أنّ أحد طلبته كان يقرأ عليه من ديوان المتنبي، وحينما وصل إلى قصيدة "واحر قلباه ممن قلبه شبم" التي يقول المتنبي في مطلعها:

واحَرَّ قَلباهُ مِمَّن قَلبُهُ شَبِمُ
وَمَن بِجِسمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ
مالي أُكَتِّمُ حُبّاً قَد بَرى جَسَدي
وَتَدَّعي حُبَّ سَيفِ الدّولَةِ الأُمَمُ
إِن كانَ يَجمَعُنا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ
فَلَيتَ أَنّا بِقَدرِ الحُبِّ نَقتَسِمُ
قَد زُرتُهُ وَسُيوفُ الهِندِ مُغمَدَةٌ
وَقَد نَظَرتُ إِلَيهِ وَالسّيوفُ دَمُ

فكان الطّالب مستعجلا فأخذ يسقط بعض الأبيات من القصيدة، فتركه الشّيخ عبد الرّحمن حتى أتمّ قراءتها ثم قال له: "لا أدري من قال هذه القصيدة، المتنبي أم أنت؟!"

وفي أواخر سنة 1997، بعد وفاة والدّته التي كانت تخدمه وترعاه، أقعده المرض عن الذهاب إلى المسجد وهو الذي كان لا يفارقه أبدا، ولم يطل مرضه حتّى وافته المنيّة يوم 12 نوفمبر 1997 بمنزله عن عمر يناهز 62 سنة.

لقد كان الشّيخ العايب أحد أعلام الولايّة الذين انطفأت شمعتهم بعد أن أضاءت طريق الكثيرين، فقد كان رجلا زاهدا لم يغترّ بالدّنيا، كما ظلّ طوال حياته يرفض الوظيفة ويرفض الهدايا التي تقدّم له، وكذا أي تكريم مادي مهما كان، فقد عرضت عليه مناصب كثيرة من قبل المجلس الإسلامي الأعلى فرفضها رفضا قاطعا، وأبى إلا أن يكون عمله تطوعيّا في سبيل الله.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه الله خيرا على ما قدّم للإسلام والجزائر، وامتنانا لهذا العلامة وإحياء لذكراه، سمّي المركز الثّقافي الإسلامي بسكيكدة باسم عبد الرّحمن العايب.

رابح دوب

المصادر:

- سيرة ذاتيّة خاصة بالشّيخ عبد الرّحمن العايب من عائلته بمدينة عزّابة، سكيكدة؛
- ترجمة لحياته من المركز الإسلامي الذي يحمل اسمه بمدينة سكيكدة.

عبد الرّحمن بن العگون
(1325هـ - 1908م/1415هـ - 1995م)

الشّيخ الكاتب الشّاعر عبد الرّحمن بن العگون، المولود ببلدة وادي الزّناتي ولايّة گالمة في الشّرق الجزائري، والتي تبعد عن مدينة قسنطينة بسبعين كيلو متراً.

توفي والده "إبراهيم"، الذي كان معلما للقرآن الكريم وعمره لم يتجاوز ست سنوات، بعد ذلك كفله جده "أحمد"، ولما توفي هذا الأخير سنة 1923 كفله عمه "الخوجة"، الذي رعاه واعتنى بتربيته مع ابن عمه "الأخضر"، وكانت الأسرة تعيش في دار واحدة الكائنة حاليا بنهج الحدائق (منزل بن أحمد)

حفظ القرآن الكريم على يد الشّيخ –الوجاني– بوادي الزّناتي. تلقى المزيد من العلوم التي كانت تدرس بالمسجد على يد الشّيخ العلامة "عمار مهري العطوري" الذي قدم من مدينة الخروب ما بين 1926 و1933، و"المولود مهري"، والشّيخ "عبد العزيز الرّاشدي"، والشّيخ "محمّد العربي بن أمعمر"، والشّيخ "ساعد الكردوسي" وغيرهم. ومن العلوم العربيّة والإسلاميّة التي تزود بها – صحيح البخاري وأصول اللغة والبلاغة والنّحو والرّياضيات.

وعلى الرّغم من ترعرعه في أسرة دينيّة محافظة فإنه لم ينضم إلى حركة الإصلاح بل انتسب إلى الحركة السّياسيّة (حزب الشّعب)؛ إذ كان من بين أعضاء لجنة المدارس الحرّة التّابعة لحزب الشّعب الجزائري.

لقد أخذ ابن العگون – منذ صغره– عهداً على نفسه ألا يقتات في حياته من وظيفة لدى الاستعمار الغاصب، فعمل في التّجارة والفلاحة إلى جانب مهنة التّعليم الحر كانت لا تفي بمتطلبات العيش، فاتخذها عملاً تطوعياً، وقد أقلق المستعمر بنشاطه وفكرته الثّوريّة في حزب الشّعب فعانى الويلات من المضايقات والاعتقالات والسّجون، وفي سنة 1956 تمكن من الإفلات من قبضة الجيش الفرنسي وشرطة الاحتلال، كما سهلت له الثّورة الجزائريّة الخروج من الوطن ليدعم صفوفها في الخارج، فعمل ضمن بعثة جبهة التّحرير الوطني في دمشق فترة من الزّمن ثمّ بعد ذلك عين ممثلا للجزائر بالأردن من 1958 إلى 1964.

ولما عاد إلى أرض الوطن – بعد الاستقلال – انتسب إلى سلك التّعليم، فشغل منصب أستاذ اللغة العربيّة والأدب بثانويّة حسيبة بن بوعلي بحي القبة بالعاصمة، إلى أن أحيل على التّقاعد سنة 1973.

بالإضافة إلى هذا فإنه عين عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى للجمهوريّة الجزائريّة منذ تأسيسه.

آثاره:

صدرت له مؤلفات هي: "من وراء القضبان" الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، ط2، الجزائر 1969، وكتاب "القول الفصل في تحديد النّسل" مطبعة البعث، قسنطينة 1981، و"تاريخ الكفاح القومي والسّياسي من خلال مذكرات معاصر" في ثلاثة أجزاء، صدرت ما بين 1984- 1986، و"مذكراتي"، منشورات دحلب، الجزائر 2000.

نتاجه الأدبي:

طبع له ديوان شعري واحد تحت عنوان "أطوار" عن الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1980، كما نشرت له قصائد عديدة في الصّحف التّونسيّة مثل جريدة الأسبوع، وتذكر مصادر دراسته أن أول ما قال من شعر هي قصيدة بعنوان "جهلنا حياة العز" وقد تضمنها كتابه "مذكراتي".

أمّا ما يمكن أن يلاحظ على شعره بصفة عامة هو أنّه ذو أهميّة تاريخيّة قصوى، فهو سجلّ لحركة الكفاح السّياسي والمسلح الذي قام به الشّعب الجزائري في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، إضافة إلى أنه يسجل - أدبياً وفنياً- واقع الشّعر الجزائري في تلك الفترة؛ إذ هو السّند الكبير للعمل الثّوري التّحرري لذلك جاء شعره تقريرياً مباشراً، جهير الصّوت، واضح الأفكار، صادق العاطفة بألفاظ قويّة مستقاة من القاموس التّحرري، مسبوكة بسلاسة ووضوح بعيداً عن الصّنعة والتّكلف، إنه شعر المبدأ والدّعوة والتّحريض، فلم تكن لديه القدرة أو الخبرة الفنيّة أو الوقت ليفكر في جماليات الفن وضرورة التّجديد.

نماذج من شعره:

سجن

بارحات من سماء تورث القلب العمى
وتضل العين أن لا تستبين الأنجما
إنني من ذا حزين
فترات من حياة بين عدّاد الدّمى
تملأ الرّأس مشيبا وتهش الأعظما
سيما إني سجين
رُبَّ سرب من ذباب ظل لي نعم الأنيس
وسنونو في اتجاه كان لي نعم الرّئيس
وإذا أنَّ القطا كان لي نعم الغنا
وحفيف الرّيح في الأشجار يستوحي الهنا
لذرى قلبي الدّفين
أستلذ الصّمت قصدا عندما تعنو الرّؤوس
وإذا فارقت صمتا أقتل العمر النّفيس
في اعتساف وفنون
في اصطخاب من ملاه واشتباك من لعب
أتحاشى مخزيات كنت منها في شغب
مبعدا لفح الظّنون
مع إني في حياتي كنت للناس ملاكا
لا أرى إلا لسامي وطني أسقى الهلاكا
ماقتا زين المجون
لا تلمني يا خليلي في اتجاهي المستريب
رب نار من جحيم أبردت قلب الأريب
بل له فيها حنين
أين أيامي على درب الكفاحي للدخيل؟
وإخاء ووئام، وصفا قلب الزّميل
ذهبت رهن الظّنون
أين معسول الأماني؟ أين أحلام الفؤاد؟
أين تسديد المبادي في نظام واتحاد؟
وتفانينا المتين؟
أفقدتنيها جميعاً نزوات الرّؤساء
وتبدَّت ذكريات في صباح ومساء
تسبل الدّمع السّخين
أيها السّجن المرائي قد تقضي فيك حال
كانت الغربة قربا والنّوى فيك وصال
ما لك اليوم ضنين؟
كنت للمسجون ميعاد الرّفاق الحلماء
وإليه كنت مهد المصطفين العلماء
فله فيك حنين
كنت للأنفس في مشقاك ترياق البطولة
ولمن تحضن في مرباك أخلاق الرّجولة
فعراك اليوم هون
قد تخذت الحقد خلقا والمراخير البحوث
وبدت فيك عقول حسبها لوك الحديث
وطغت فيك الظّنون
صرت مأوى لنفاق يهتك الخلق الغوالي
ففقدت اليوم فضلا صانه ماضي الليالي
أنت لي اليوم أتون
لا تلمني إن هجرت اليوم للغير ذراك
فهوانا فيك قبلا ليس حبا في شقاك
إنما العرض المصون

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، 2011؛
- صالح خرفي: الشّعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984؛
- محمّد ناصر: الشّعر الجزائري الحديث - اتجاهاته وخصائصه الفنيّة- دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

عبد الرّحمن بن خلدون
(732هـ - 1332م/ 808هـ - 1406م)

عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ويكنى بـ (أبو زيد)، وخلدون هذا هو الذي انتقل من اليمن إلى الأندلس. يعود نسبه إلى وائل بن حجر من منطقة حضرموت. كان خلدون من جند اليمن الذين توجهوا إلى الأندلس واستقرت أسرته بقرمونة ثم ارتحلت إلى إشبيلية في أواخر المائة الثالثة للهجرة، أواخر القرن التاسع للميلاد. وظهر

من هذه الأسرة قادة الجيش والعلماء والحُجاّب. ولما سقطت إشبيلية تحت حكم فرديناند الثالث انتقلت الأسرة إلى تونس في أواسط المائة السابعة من الهجرة الموافق للقرن الثالث عشر للميلاد. وفي تونس ولد عبد الرحمن في أول رمضان 732 هـ الموافق لـ 27 مايو 1332م. أخذ معارفه الأولى بمسقط رأسه في تونس حيث حذِق العربية على يد مجموعة من الشيوخ منهم والده محمد وأبوعبد الله الحصايري وأبوعبد الله الشواش وأبو العباس بن القصار وأبو عبد الله بن بحر. كما حفظ القرآن الكريم وعلم التفسير على يد أبي عبد الله بن نزال الأنصاري. وأخذ الحديث على يد شمس الدين أبي عبد الله بن جابر. وأخذ الفقه على يد عدد من الشيوخ منهم أبو عبد الله محمد الحياني وأبو القاسم القصير. كما التحق بمجلس أبي عبد الله بن عبد السلام وكان قاضي الجماعة في تونس. وتعمق في معارف عصره على يد عدد من العلماء رافقوا السلطان أبي الحسن المريني عند استلائه على تونس سنة 1347 م، منهم أبو محمد عبد المهيمن وكان كاتب أبي الحسن وأبو العباس الزواوي وأبو عبد الله الآبلي الذي أخذ عليه علم المنطق والفلسفة وعدة علوم عقلية، فنمت مداركه وتفتقت قريحته على معارف عصره. كانت عائلته ذات حُظوة وجاه فوفرت له تعليما راقيا على يد نخبة من العلماء.

تولى ابن خلدون سنة 1350م، كتابة العَلاّمة لدى ابن تافراكين حاكم تونس، وهي ما يعادل حافظ الأختام اليوم. وفي حدود سنة 1353 م توجه إلى بجاية، وكانت مركز إشعاع فكري وثقافي. وفي السنة الموالية، 1354 م انتقل إلى فاس حاضرة بني مرين بالمغرب. واستقر في بلاطهم، ضمن طبقة العلماء، حوالي عشر سنوات من 1354م إلى 1363 م، قضى منها سنتين في السجن (1357 ـ 1358) على عهد السلطان أبي عنان بتهمة الولاء لأمير بجاية وكان من الموحدين. ويصف ابن خلدون سجنه بالنكبة ويقول " إن السلطان أبي عنان قرّبني واستعملني في كتابته واختصني بمجلسه للمناظرة والتوقيع عنه، فكثر المنافسون وارتفعت السعايات" أي الوشايات. لقد كانت الصراعات ذات الطابع السياسي بين أركان الحكم والوشايات التي طالته والغيرة منه سببا رئيسيا في سجنه.

بعدها قرر الذهاب إلى الأندلس، وكان عمره 32 سنة، فأرسل زوجته وأبناءه لدى أخوالهم بقسنطينة. وخلال تواجده بغرناطة حظي بعناية أميرها ابن الأحمر الذي كلفه بالذهاب إلى إشبيلية لتوقيع اتفاقية السلام التي جرت بين ملك قسطيلية وأهل إشبيلية ولما رأى هذا الأخير نبوغه حاول الاحتفاظ به لكنه لم يقبل بذلك العرض. ولم يطل به المقام في الأندلس حيث عاد إلى بجاية بطلب من الأمير أبي عبد الله الحفصي الذي ولاّه منصب الحجابة. وبحكم الصراعات التي كانت قائمة بين الولاة الحفصيين، ترك بجاية وتوجه إلى بسكرة للإقامة عند بني مزني وُلاة الحضنة والزاب من قبل الحفصيين، وهناك أقام علاقة قوية مع شيوخ العرب الذواودة الذين أحاطوه بكل العناية والاهتمام

وضمنوا له الأمن والحماية من مختلف الاضطرابات السياسية التي كانت تعيشها بلاد المغرب ويقول بهذا الشأن" أقمت بأحياء يعقوب بن علي ثم ارتحلت إلى بسكرة فاقمت بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزني". وبالرغم من الحفاظ على اتصالاته مع سلاطين بني مرين بفاس وبني زيان بتلمسان وبني حفص بتونس وبني الأحمر في الأندلس إلا أنه ستمر بعيدا عن التأثير في الصراعات التي عاشتها المنطقة، وذلك قرابة عشر سنوات من 1365 إلى 1374م.

ابتداء من سنة 767 هـ/ 1376 م انسحب ابن خلدون نهائيا من الحياة السياسية، وكرس جهده للكتابة والتأليف، حيث انعزل بقلعة أولاد سلامة وذكر أنه سكن في قصر أبي بكر بن عريف كبير أولاد عريف أمراء عرب سُويْد، حيث كتب مقدمته المشهورة. وقال بهذا الشأن "أقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل وشرعت في تأليف هذا الكتاب (وأنا مقيم بقصر أبي بكر بن عريف) وأكملت المقدمة" فلم يكن مقامه في كهف بل في قصر منيف. ارتحل بعدها إلى قسنطينة تحت حماية قبيلة رياح لينتقل إلى تونس سنة 780هـ / 1380م لدى السلطان الحفصي أبي العباس الذي كلفه بـ"تأليف هذا الكتاب لتشوقه إلى المعارف والأخبار". ولم يطل به المقام في تونس حيث بدأت الوشايات ضده لدى أبي العباس، فقرر الرحيل نهائيا عن بلاد المغرب وتوجه إلى مصر سنة 784هـ/ 1384 وكانت تحت حكم المماليك. ولما استقر بها توافد عليه الكثير من طالبي العلم والمعرفة، ثم التحقت به زوجته وبناته لكن شاءت الأقدار أن يُمتن غرقا في البحر. وفي مصر، تولى قضاء المالكية، ولكن نظرا لنزاهته وصرامته والبعد عن الشبهات، تم إبعاده عن منصبه وسجن سنة 1400م. ثم أطلق سراحه وتم ابتعاثه إلى دمشق للدفاع عنها أمام الغزو المغولي فتم أسره لكن تيمورلنك أعجب به فأطلق سراحه وسعى لإبقائه معه لكنه آثر العودة إلى مصر حيث تولى منصب قاضي قضاة المالكية وعُهد له بتدريس الفقه المالكي، وبها أكمل كتابه الضخم في تاريخ الأمم والشعوب، فسماه "كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ويختصره بعض المعاصرين باسم "تاريخ البربر"، لكن يعود له الفضل في أنه كان أول من أرخ للبربر وقال: " والحق الذي لا يعوّل على غيره إنهم من ولد كنعان وإن اسم أبيهم مازيغ".

يعتبر ابن خلدون علما من أعلام الفكر، ومؤسسا لعلم الاجتماع الإنساني والعمران البشري وصاحب مفهوم

العصبية في نشوء الدول والحضارات واضمحلالها. وتميز عن غيره بوضع مصفوفة من المفاهيم ما تزال هي مفاتيح دراسة العلوم الاجتماعية كالبداوة والحضارة والعصبية والتغلب على الملك ونشوء الدول وسقوطها وطرائق المعاش والصنائع. ولم يخصّ جنسا معينا بدراسته بل قسم علم المعمران البشري إلى قسمين: عمران بدوي وعمران حضَري، وهي خاصية تتوافق فيها كل الشعوب دون تمييز عرقي. ولعل أبرز ما اشتهر به هي المقدمة التي أصّل فيها لقواعد علم الاجتماع والعمران البشري ونظّر فيها لدور العصبية القبلية المرتبطة بالفكرة الدينية في بعث الكيانات السياسية ثم رقيّها وترهّلها فسقوطها.

لقد مكنه اطلاعه الواسع على جهود من سبقوه في مختلف العلوم وعلى اختلاف مدارسهم ومشاربهم، من الحصول على ثقافة موسوعية والإلمام بمعارف مختلفة، أثمرت فكرا متميزا تجاوز به معاصريه، ولا سيما منهجه في دراسة التاريخ البشري والمجتمع الإنساني والعمران الحضَري. لذلك "يشار إليه في حقول علمية كثيرة على أنه مفكر أصيل وصاحب منهجية في النظر والتفكير والبحث والتفسير، متجاوزا بذلك النظام المعرفي القديم، فصار على نحو ما معاصرا لنا". وتوفي ابن خلدون، بعد حياة حافلة، سنة 808 هـ وبالتحديد في 17 مارس 1406 م بالقاهرة ودفن بها.

صالح بلعيد

المصادر:

- تاريخ ابن خلدون، المجلد السابع، ص 379. مؤسسة جمال للطباعة والنشر.
- الفكر الخلدوني وخطاب الإصلاح، مؤتمر ابن خلدون، جامعة البحرين، 2006.
- Ibn khaldoun Mohamed Saouli Dar El Othmania 2013

عبد الرّحمن بن رستم
(117هـ - 735م/168هـ - 784م)

عبد الرّحمن بن رستم، بن بهرام بن سام، بن كسرى من الفرس، ولد في بغداد بالعراق، وتربّى هناك تربيّة دينيّة متزمّتة، على يدّ والده الزّاهد الرّباني، وكان لا يهوى اللعب مثل أقرانه، ويميل إلى التّصوّف وطلب الحكمة، ويجالس الكبار، وظلّ يتابع آثار العلماء، حتّى تفقّه في الدّين، ونال نصيباً كبيراً من العلم في السّيرة النّبويّة، وفي سيرة الرّجال المحيطين بالرّسول. وكان في شبابه يميل إلى الزّهد، وظلّ يصوم يوماً ويفطر يوماً. سافر أبوه وأمّه للحجّ، إلاّ أنّ الأبّ وافاه الأجل، فتزوّجت أمّه في الحجاز برجل من المغرب، فأخذها وابنها إلى القيروان. ونشأ (عبد الرّحمن) في القيروان، وصادف هناك نشر الدّعوة الإباضيّة، فتعلّق بها، وسافر إلى البصرة من أجل تلقّي المزيد من العلم على يدّ الإمام المعلّم (أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة) إمام الإباضيّة، وظلّ معه خمس سنوات يدرس عليه خفيّة من عيون الأمويين والعبّاسيين حتى أخذ عنه الميثاق. عاد (عبد الرّحمن) إلى المغرب؛ يقود حملة علميّة مع رفاقه، وكان من بينهم أوّل إمام للإباضيّة بويع في المغرب (أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري اليمني) المتوفّى 144هـ. وبدأ يجهّز الأجواء لإقامة دولته تنظيراً، ولكنّه لا يملك الجيش الذي يمكن أن يعضده، ولمّا أحسّ (عبد الرّحمن) من نفسه القوّة والقدرة على بناء دولته الجديدة، وبعدما التفّ حوله الكثير من أنصاره من البربر، ومن أهل العلم والصّلاح ممن يثق بهم، اتّجه إلى مكان كثيف الأشجار والأحراش والسّباع يدعى (تيهرت) فشرع في بناء دولته الإسلاميّة الجديدة، والتي عرفت باسم (الدّولة الرّستميّة) نسبة إلى والده.

بذل (عبد الرّحمن بن رستم) جهده في بناء تيهرت، لتكون في مستوى العاصمة الإباضيّة الرّستميّة من كلّ جوانب الحياة، فبدأ في تخطيطها وبناء أسوارها ومساجدها وبيوت الأمراء، ووضع شبكة تصريف مياهها، وإنشاء المساجد والحواضر العلميّة، فازدهرت في حدود زمنيّة قليلة، وبلغت شهرتها الآفاق، وشُدَّت إليها الرّحال للتّجارة والسّكن والعيش الرّغيد الآمن، مما جعل الكُتّاب والرّحّالة يقصدونها ويشيدون بها ومن ذلك ما قاله المقْدسي في وصفها: «... هي بلخ المغرب، قد أحدقت بها الأنهار، والتفّت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبعت حولها العيون، وجلّ بها الإقليم وانتعش فيها الغريب، واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق وأخطأوا، وعلى قرطبة وما أظنّهم أصابوا، هو بلد كبير، كثير الخير رحب، رقيق طيّب، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيّد الأهل قديم الوضع، محكم الرّصف، عجيب الوصف».

وهكذا ظلّ (عبد الرّحمن) يجتهد ويعمل تحت ميثاق الشّيخ الذي قال له: «افتِ بما سمعت منّي وما لم تسمع» وبذلك تمكّن من استكمال مبايعة الرّافضين، وعمل ما وسعه الجهد على تأسيس الدّولة الإباضيّة الرّستميّة في المغرب الوسيط، بمواصفات الدّولة التي لها أركان قائمة، ولها بنيان مرصوص.

لما استقرت الأوضاع قام العلماء وساكنة المدينة بمبايعة (عبد الرّحمن) لما رأوا فكر الإباضيّة الذي أنزل السّكينة والاستقرّار والتّعمير، فقالوا جميعاً «قد علمتم إنّه لا يقيم أمرنا إلاّ إمام نرجع إليه في أحكامنا

وينصف مظلومنا من ظالمنا، ويقيم صلاتنا ونؤدّي إليه زكاتنا ويقسم فينا، فقلبوا أمرهم فيما بينهم فوجدوا كلّ قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر يدبر أمر القبيل ويستحقّ أمر الإمامة... ولكن هذا عبد الرّحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطّاب رضي لكم عبد الرّحمن قاضياً وناظراً، فقلّدوه أموركم، فإن عدل فذلك الذي أردتم، وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه».

لقد ساد (عبد الرّحمن) بالحكم الرّشيد الذي اختلف عن الحكّام السّابقين في العدل وفي اختيار المستشارين، ففي عهده ارتسم خطى الخلافة الرّاشدة بتطبيق مبدأ الشّورى، ويقول (عثمان الكعّاك) «ينتخب الإمامَ وجوهُ المدينة وزعماءُ المذهب وشيوخُ الدّين بحريّة، من غير مبالاة، ولا تقاليد، ولا ولاء في قرابة أو أصدقاء أو سلطان، يراعون فيه المعرفة والدّرايّة والتّحنّك والدهاء، والعدل والإنصاف؛ يجريهما على نفسه قبل ذوي قرابته، وعلى ذوي قرابته قبل الحاشيّة أو عموم السّكان وإن هم رأوا فيه اعوجاجاً قوّموه بالسّيف لا بالرّفق والليّن، وأنزلوه من أريكته من غير وجل أو أسف أو اعتبار». وهكذا نرى أنّ هذه الدّولة البربريّة التي قامت بعنصر العرب الحاكم؛ لأنّ لهم مواصفات غير نزعيّة إلى المذهبيّة أو إلى المحليّة، فذاب الجميع فيها بنظام الشّورى، وبعدالة أئمّتها وصلاحهم وعلمهم، وكان يعيش تحت ظلّها أتباع كل المذاهب الإسلاميّة، وكانوا يمارسون عبادتهم بكلّ حريّة وأمان، وكانت لهم مساجدهم وبيوتهم الخاصّة التي يعيشون فيها مصاني الحقوق بعدل وإنصاف من غير تفريق بين مذهب ومذهب... إلى جانب النّشاط التّجاري والصّناعي والزّراعي التي جعلت تيهرت تدبّ فيها الحركة، وبخاصّة الزّارعة التي نشطت في البساتين وزراعة الحبوب والكتّان والسّمسم والنّخيل والتّين والزّيتون ومختلف الفواكه، فكانت تدرّ على السّاكنة أرباحا طائلة وأقام الرّستميون خزانات وأحواضاً للماء، وشقّ القنوات. كما اهتمّوا بالرّعي وتربيّة الماشيّة، لكثرة المراعي الخصبة، وانت تجارة الماشيّة رائجة، وتصدر إلى الدّول المجاورة، وكانوا يستغلونها في إنتاج الصّوف، فضلاً عن بعض الصّناعات التّقليديّة والحرف كالنّجارة والحدّادة والخياطة والدّباغة والطّحن ومعاصر الزّيتون، وصناعة الزّجاج والفخار والتّحف والعطور، والخشب المنحوت والمخطوط والمموّه والمرصّع بالعاج أو الصّدف، وصناعات الذّهب والفضّة...

دامت خلافته إحدى عشرة (11) سنة، ولمّا أيقن بانقضاء العمر، تأسّى بالفاروق؛ فجعل الإمامة شورى بين سبعة رجال ممّن تفرّس فيهم الصّلاح وما أحرزوه من كمال الاقتدار، واستقرّ الأمر أن يبايعوا ابنه (عبد الوهّاب) بالإمامة. ويتوفّى (عبد الرّحمن) سنة 784م، ويترك (تيهرت) مزدهرة عامرة تعجّ بمختلف الثّقافات وتعايش الأديان.

عامر بغدادي

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

عبد الرّحمن بن عبد الله الهمذاني الوهراني
(338هـ - 949م/411هـ - 1009م)

عبد الرّحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر، وشهرته الهمذاني الوهراني، الفقيه المالكي المحدّث، المعروف بالشّيخ الثقة الجليل والرّجل الصالح، من أهل الحديث والرّوايّة حسبما ورد عنه لدى معظم من عاصروه وكتبوا عن سيرته. يعود نسبه إلى قبيلة همذان، ويكنى بأبي القاسم ويعرف بابن الخرّاز. ولد سنة 338هـ الموافق لـ 949 م بوهران وبها كانت نشأته الأولى فنسب إليها، حيث حفظ القرآن وتعلم علوم العربيّة وأخذ بعض الزّاد من الفقه والحديث مما شاع من علوم عصره. ومن وهران انتقلت أسرته إلى بَجّانة من أحواز الأندلس فاستقر بها، فيُقال عنه البجّاني، وتصحّفت في كتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض إلى التّجاني وهو خطأ شاع وسار عليه البعض من محترفي صناعة النقل دون التمحيص. كانت وهران التي نشأ بها أبو القاسم ترتبط بروابط عميقة بالأندلس لقربها منها ولأن جماعة من البحارة الأندلسيين هم الذين أسسوها وأعادوا بعثها وتمصيرها بالتعاون مع القبائل التي كانت تقيم بالجوار منها، فاستقروا بها وظلت على الدوام موطن استقبال للأندلسيين. إذ كانت بحكم موقعها الجغرافي تقابل مدينة ألمِريا بالأندلس. فكانت الاتصالات لا تنقطع بين الجانبين، واستقرت بها الجاليات الأندلسيّة على مر القرون وتوزعوا على أحوازها كمستغانم وتنس وندرومة وتلمسان.

نسبه بعض القدماء إلى المغرب لأنهم كانوا يصنفون وهران ضمن مدن المغرب في ذلك العصر ولأن المغرب كان عندهم كل ما يلي مصر غربا. كان والده يأخذه معه ليساعده في مهنة الخرازة والتجارة، كما كان ينتقل معه في رحلاته التجاريّة إلى قرطبة وألمِريا، فكان يستغل أسفاره في الاستماع إلى العلماء والفقهاء، وأحب علم الحديث فانكب عليه دراسة وسماعا وحفظا حتى غلُب عليه فأصبح يعرف بالمحدّث، ودفعه شغفه بالعلم للسفر خارج الديار.

تتلمذ أبو القاسم الوهراني على يد عدد كبير من مشايخ عصره نذكر منهم محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بجبل الحفظ وإمام الدنيا في علم الحديث، وأحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، وهو من المحدّثين، وإبراهيم بن أحمد بن إبراهيم، وإبراهيم بن علي بن محمد، وعبد الصمد بن عبد الرّحمن بن الحسين وغيرهم. ولما شبّ توجه إلى تونس حيث التحق بجامع القيروان وفيه سمع عن أبي العباس تميم بن محمد كتاب الموطّأ لعالم دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي. ثم ارتحل إلى المشرق لتوسيع معارفه، فحل بمصر، وفيها أخذ عن الحسن بن رَشيق وغيره. ثم ارتحل إلى الحجاز حيث أدى فريضة الحج. بعدها سافر إلى العراق حيث أقام ببغداد والبصرة. ففي بغداد، أخذ عن القاضي أبي بكر محمد بن صالح الأبهري شيخ المذهب المالكي في عصره وسمع من أبي بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي وعن أبي إسحاق البلخي وابن السّقّا وأبي الفضل العطار وأبي الحسن بن لؤلؤ وغيرهم. كما استمع لطائفة من علماء البصرة من شيوخ المالكيّة كأبي يعلى البصري وأبي عبد الله بن عطيّة. بعدها انتقل إلى مَروْ بخراسان حيث أخذ عن محمد بن عمر الشّبوبي، ومنها توجه إلى بلَخ حيث أخذ عن إبراهيم بن أحمد المُستَملي. وكان خلال رحلته يشتغل بتجارة القماش والجلود وهي المهنة التي حذِقها عن أبيه في بجّانة.

دامت رحلته إلى المشرق أكثر من عشرين سنة قضى الجزء الأكبر منها في طلب العلم، وعاد بعدها إلى بجّانة ليعقد المجالسّ وحلقات التدريس، واشتغل في الوقت نفسه بالتجارة. فذاع اسمه وانتشر في الأندلس وبلاد المغرب، فقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب، وتزاحموا على مجالسّه. وتتلمذ على يديه طائفة من الطلاب أصبحوا فيما بعد من كبار علماء ذلك العصر. وكان من أبرز هؤلاء الطلاب الإمام الحافظ شيخ الإسلام يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البِر الذي أشاد بشيخه في كتابه، وأبو عمر بن سُميق، وعثمان بن سعيد بن عثمان، وأبو حفص الزهراوي، وحاتم بن محمد، وأبو عمر أحمد بن الحذّاء، وأبو سعيد محمد بن حزم المعروف بالأندلسي. كما سمع منه حاتم الطرابلسي ومحمد بن غلبون الخولاني وغيرهم.

وصفه معاصروه ممن كتبوا عنه بأنه كان خيِّرًا صالحا منقبضاً إلى بيته ببجّانة، يتكسّب من معاشه من التجارة. فقد كان يمتهن التدريس والتجارة معاً، وكان يتردد على قرطبة لبيع بضاعته ويلقي بها دروسه ويقوم برحلات إلى ألمريا المجاورة ويقيم بها أياما. قال عنه أبو الطيب بن غلبون الخولاني وهو أحد تلاميذه : «إنه رجل صالح صاحب سنة لم يكن فيما أدركنا أوثق منه ولا أروع ولا أحسن». وقال عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك: «كان له مشايخ كثيرين سمع منهم بإفريقيّة (تونس) ومصر والحجاز والعراق». وقال عنه عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر: «إنه من أهل وهران، عالم بالحديث ورجاله، من كبار الفقهاء، مشارك في كثير من العلوم». ووصفه ابن بشكوال في الصلة بأنه من أهل الحديث والرّوايّة. وقال عنه شمس الدين الذهبي في سِيَر أعلام النبلاء: كان رجلا صالحا. ووصفه أبو عمر بن الحذّاء القرطبي بأنه كان رجلا صالحا منقبضا في داره بِبَجّانة ومعاشه من ثياب كان يبتاعها ويحملها إلى قرطبة فتباع.

لم يعتن أبو القاسم عبد الرّحمن الوهراني بمسألة التأليف ولكنه ترك كتيّبا يدعى (الرّسالة) يتكلم فيه عن سيرة شيخه أبي بكر الأبهري البغدادي. وتوفي سنة 411 هـ أي حوالي 1009م بألمِرْيا من أحواز الأندلس.

عامر بغدادي

المصادر

- الرّوابط الثقافيّة والعلميّة بين وهران والعدوة الاندلسيّة. مجلة إنسانيات، 2004.
- جريدة الخبر، الشّيخ أبو القاسم الوهراني، العدد الصادر في 08/ 08/ 2012.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، نسخة إلكترونيّة.

عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الرّحمن اليَعْقوبي (957 هـ - 1500م/ 1001 هـ - 1593م)

ولِد في قبيلةِ أوّلاد علي بن طلحة ونَشأ في زاويّة المِيرة بمنطقة نَدرومَة حوالي عام 1500م مُعاصراً الفراغَ السّياسي الرّهيب للدَّولة الزيّانيّة، على عَهْدِ سلاطينها المتأخّرين، ممّا أدّى إلى قيام الإسبان بغزو سواحل الجزائر، ومحاولة اِحتلال ميناء هُنَيْن والغَزوات ومدينة نَدرومَة، وهو الحال الذي جعل السّكان يستنجدون بالأتراك العثمانيّين.

حفظ القرآنَ الكريم على يدِ والده، ثم انتقلَ إلى نَدرومة، وهناك كانت له اتّصالات بعلمائها، وظهر تقواهُ وورعهُ، فرغب فيه النّاس، وبعدها انتقل إلى منطقةِ يبدرعلى بعد 20 كلم شرق تلمسان، أخذ العلوم الدّينيّة على يدِ شيخها الصّالح سيدي أحمد بن الحاج اليبدري داراً، المِنَاوِيّ أصْلاً. ثم انتقل إلى تلمسان فأخذَ علوم الفقه وأصوله، والسّيرة، عن مشاييخها بمدرسة العبّاد، ولازم مسجد سيدي أبي مدين شعيب، وكان يترحَّم عليه يوميًّا واقفاً أمام ضريحه.

غادر تلمسان عندما هاجمها الكونت الإسباني دالكوديت في فبراير 1543م رجعاً الى قريتة بجبالة، وهناك برزت كراماتُه، وأسَّس زاويّة لتعليم القرآن وممارسة الذِّكر، ما زالتّ قائمة تسمى حالياً زاويّة «اليعقوبي» تابعة إقليميّاً لمدينة ندرومة.

عقد سيدي عبد الرّحمن اليعقوبي اتِّصالات مع سكّان منطقة ندرومة، والأعراش المحيطة بها، وباقي أعراش منطقة تلمسان من أجل تجنيدهم لرفض حكم الأتراك،

ومقاومة الأسبان وتأسيس حلف لبناء الدّولة الجزائريّة.

ينتمي سيدي عبد الرّحمن اليعقوبي إلى منطقة «ترارة» وهي تلك المنطقة المُشرفة على البحر الأبيض المتوسّط في أقصى الشّمال الغربي للجزائر، تنحصر بين عدّة منخفضاتٍ منها منخفض وادي كيس، سهول زليفة، وأنقاد المغربيّة غرباً، وادي تافنة، وروافدُه شرقاً، وادي ويلح جنوباً، تتخلّلها جبال فلاوسن، وتاجرة، وسيدي سفيان، أمّا تركيبتها البشريّة فتتشكّل من مجموعة قبائل هي: بَني منير، وبني مسْهَل، وبني عابَد، وبني خلّاد، وبني وارْسُوس، وولهاصة الغرابة.

وعلى عكس ما هو متداول فإنَّ التّسميّة التي تحملها ترارة منذ القرن السّادس عشر لا تمجِّد عظيماً من عظمائها في الفكر والدّين، فظروفُ نشأتها غامضة مجهولة، وما ورد الحديث عن ترارة ورجالها لأوّل مرَّة إلاَّ في عقد ميثاق الوحدة سنة 1548م بين القبائل البربريّة، والعربيّة لشمال الغرب الوهراني، والمغرب الشّرقي تحت لواء الوليِّ الصّالح سيدي عبد الرّحمن اليعقوبي لمحاربة الإسبان.

وعرش ترارة بطنٌ من بطونِ كوميّة، وكوميّة كثيرةُ العددِ، جمَّة الشّعوب، لم يكن لها في قديم الدّهر، ولا حديثه ذكر في رياسة، ولا حظّ من نَباهة، وإنّما كانوا أصحاب فلاحة، ورعاة غنم، وأصحاب أسواقٍ يبيعون فيها اللّبن، والحطب، وهي ثلاثة بطون: ندرومة، صغارة، بني يلول، وأفخاذهم كثيرة منهم: بنوعابد قوم عبد المؤمن بن علي، مواطنهم سيف البحر من ناحيّة أرشقول، وتلمسان.

تحمل المنطقةُ أصولاً أمازيغيّة نظراً لوجود دعائم ثقافيّة، وأنتروبولوجيّة لا زالتّ تحافظ على اِسْمها الأصلي، ويتجلَّى ذلك في أسماءِ بعض النّباتات مثل: تيغيغت، أَزِير، أَمِريو وأسماء بعض الأدوات التي يستعملها الإنسان في حياتِه اليوميّة مثل أجديو -أقلال -أشباي، أرصان وكذلك أسماء بعض الأماكن مثل تيزاغن، تافسوت، تاويّة، زايلو، زاغو، أزغادة.

نشر المُرابطون الإسلامَ في نواحي المنطقة وعمَّت الثّقافة والدّراسات الدّينيّة، وقد ساهم الدّين الإسلامي في مدِّ جسور التّوحيد بين القبائل، كما استوطنت عدّة قبائل عربيّة بالمنطقة خاصّة بعد الحملة الهلاليّة، حيث اِغتنمت قبائل بني هلال الاضطرابات المزمنة التي كانت تنتاب المغرب الأوسط، فانتشرت في أرجاء التّلّ.

وقد حصل اِنصهار بين بدو زناتة والعربِ الرّحل القادمين من الشّرق بفضل تشابُه عاداتهم، فتعرَّبت المنطقة، وكانت اللُّغة العربيّة عامل وحدة بين البربر والعرب، وتدعَّم هذا التّزاوج بينهما في عهد الدّولة الإدريسيّة حيث أصبح التّقاطع الذي بنيت على دعائمه دولة الأدارسة هو عنوان الوحدة والأنصهار بين الأنساب والسّلالات.

ولما ضعف نفوذ المسلمين بالأندلس أخذ أهالي إشبيليا، قرطبة، غرناطة، وغيرها من المدن الإسبانيّة يغادرون أرضهم متّجهين نحو المغرب العربي تحت ضغوط وقساوة الإسبان المسيحيين، في سنة 1548 عقد ميثاق الوحدة لقبائل ترارة تحت لواء الوليّ الصّالح سيدي عبد الرّحمن اليعقوبي لمحاربة الإسبان المقيمين بتلمسان.

خرج سيدي عبد الرّحمن اليعقوبي ناشراً دعوته في قبائل اترارة كلّها من جبالة، وبني سنوس، وأنكاد، وبني منير، والسّواحليّة، وأُمسيردة، وبني يزناسن، وسكّان تلمسان، ومنطقة يبدر، وقبائل منطقة سبدو، لتشكيل اتّحاد فدرالي مستقلّ (شبه دولة مستقلّة)، وهي القبائل الرّافضة لحكم بني زيّان المنهار، وللتّدخُّل الإسباني في سواحل الجزائر، داعياً إلى بناء الدّولة الجزائريّة من جديد من دون تدخّل النّفوذ التّركي. وقد بايعته جموع هذه القبائل الرّافضة للوضع المُزري الذي آلتّ اليه الأوضاعُ.

دعا اليعقوبي لعقد مؤتمَر إسلاميّ، هو الأوّل من نوعه في تلك الفترة من القرن السّادس عشر الميلادي، لمناقشةِ الأوضاع.

تمَّ عقد الاتّحادَ بتافنا سنة 1548م، وخرج باتفاقيّة، سُميَّت باتفاقيّة تافنا، قام بتحرير نصِّ الاتِّفاقيّة، الشّيخ محمّد العقباني. ومن بين الَّذين أمضوا على الاتِّفاقيّة شخصيات هامَّة نذكر منها: الشّيخ عبد الرّحمن بن موسى، والشّيخ أحمد العقباني، والشّيخ محمّد بن مَرزوق، وكلّهم بالنّيابة عن سكّان تلمسان والعديد من شيوخ القبائل وممثّليهم.

كان الموقّعون يرمون إلى تشكيل سلطة محليّة تحكم نفسها بنفسها، وهو ما تمَّ فعلا.

ودخلوا في حربٍ مع الإسبان وأذاقوهم الأمرين، كما رفضُوا الوجود التّركي رفضاً تامّاً.

وأمام تسارعِ الأحداث واِنحصارِ الاتّحاد في إقليم وطني ضيِّق، واستيلاء الأتراك على تلمسان، لم يجدْ هذا الاتّحاد الوقْتَ الكافي ليُحقِّق النّتائج المطلوبة، وهو ما اضطرَّ رموز الاتّحاد للجوء إلى المغربِ الأقصى.

أوردَ صاحبُ البّستان صفحتين كاملتين في الحديثِ عن كرامات سيدي عبد الرّحمن بن عبدالله بن عبد الرّحمن اليعقوبي، ويذكر السّكان عن طريق الرّوايّة أيضاً العديد من الكرامات، من ذلك إنّه عقد صلحًا بين قبائل ترارا بالمنطقة، وأنهى جملةً من الخلافات والصّراعات التي كانت قائمة بينهم، فأقبل فارسٌ منهم ورفض هذا الصّلح، ودعا إلى إبْطاله، وتهكَّم بسيدي عبد الرّحمن، فاغتاظ الشّيخ لهذا الموقف، وتألَّم في نفسِه، وكتم حُزنَه، ولمَّا صاح فيه الرّجل، قال له الشّيخ بلهجةِ أهلِ ترارة: «الله يَعْطِيكْ

الْكَـيّ». فمـرض ذلـك الرّجـل مـن سـاعتها وأخـذ يصيـح: «بطنـي، ظهـري، جنْبـي»، ثـم مـاتَ.

يُختلـف فـي تاريـخ وفاتـه، والأرجـحُ إنّـه رجـعَ مـن المغـرب بعـد أنْ تقـدَّم بـه العمـر وتوفّـي بقريتِـه عـام 1001 هـ/ 1593م، وبُنـي ضريحُـه مـن لـدن مريديـه.

عبد النّاصر بوعلي

المصادر:

- ابن مريم، البستان في ذكر أوّلياء علماء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1986.
- ابن خلدون، المقدِّمة، الدّار التّونسيّة للنَّشرِ، تونس، ط4، 1971.
- Rénè Basset, Nedroma et les traras، Paris, Leroux, 1901.

عبد الرّحمن بن عمر بن عيسى بكلّي (البِكرِي)
(1319هـ - 1901م / 1406هـ - 1986م)

عالـم جليـل، وشـخصيّة مرموقـة، ولـد بالعطـف بميـزاب، وعُـرف بالبكـري نسـبة إلـى أبي بكـر الصّديق الـذي ينهي نسـبه إليه.

تعلَّـم القـرآن ومبـادئ التّوحيـد بمحضرة المسـجد العتيـق بالعطـف، وأخـذ مبـادئ اللغـة الفرنسـيّة بالمدرسـة الرّسـميّة بهـا. حفـظ القـرآن الكريـم واسـتظهره فـي مقتبل العمـر، ودخـل حلقـة إروان - حفظـة القرآن - فـي سـنة 1921م.

درس علـوم اللغـة والشّـريعة علـى عمِّـه الشّـيخ الحـاج عمـر بـن حمـو بكلّـي بمعهـده؛ كمـا أخـذ عـن الشّـيخ يوسـف بـن بكيـر حمو علـي فـي دار إروان بالعطـف؛ ثمَّ انتقـل إلـى عاصمـة الجزائـر للاسـتزادة مـن اللغـة الفرنسـيّة؛ وأخـذ عـن الشّـيخ المولود الزّريبـي الأزهـري شـرح لاميّـة الأفعـال وشـذور الذهـب.

وبعـد وفـاة عمِّـه الشّـيخ الحـاج عمـر انتقـل إلـى تونـس فـي أواخـر سـنة 1922م، والتّحـق بالبعثـة العلميّـة الميزابيّـة التـي كان يشـرف عليهـا الشّـيخ أبـو اليقظـان إبراهيـم، ودرس فـي جامـع الزّيتونـة علـى الشّـيخ محمّـد الطّاهر بن عاشـور التّفسـيرَ والأدب، والبلاغـة علـى الشّـيخ الطّيـب سـيالة، والأصـول علـى الشّـيخ الزّغوانـي، ودرس متـن جمـع الجوامـع علـى الشّـيخ محمّد بن القاضـي، كمـا درس كتـاب الأشـموني على الشّـيخ الصّـادق النّيفـر.

أمَّـا فـي المدرسـة الخلدونيّـة فقـد أخـذ بهـا العلـوم العصريّـة، ومـن أسـاتذته فيهـا: الأسـتاذ حسـن حسـني عبـد الوهـاب، والأسـتاذ عثمـان الكعّاك، والشّـيخ العبيدي.

كان طيلـة وجـوده بتونـس مـا بيـن سـنة 1923م و1929م مُسـاعداً للشـيخ أبي اليقظان فـي رعايّـة البعثـة العلميّـة الميزابيّـة، وبعـد انتقال الشّـيخ أبي اليقظان إلـى الجزائر ليبدأ في جهاده الصّحفي، بقي سـنداً للشيخ قاسم بـن الحاج عيسـى ابن الشّـيخ ما بيـن 1926م و1929م.

وكان في هذه المـدَّة التي قضاها بتونس، شـديد الاتصـال بطلائـع الحـزب الحـر الدّسـتوري: الشّـيخ عبـد العزيـز الثّعالبـي، والشّـيخ أبـي إسـحاق إبراهيـم اطفيـش، والشّـيخ توفّيـق المدنـي، والشّـيخ صالـح بن يحيـى؛ وفـي تلك النّـدوات التـي كانت تعقد فـي دار البعثـة تكوَّنت آراؤه السّياسـيّة والوطنيّة.

لـمّا أنهـى دراسـته بالزّيتونـة وعـاد إلى العطف مسـقط رأسـه، أجمـع أعيـان البلدة عزَّابة ورؤسـاء عشائر على ترشيحه لمنصب القضاء بها، فلم يسـعه إلاَّ أن يقبل التّرشـيح، بعد امتناعه الشّـديد، وتحرُّجه من تبعات هذا الوظيف؛ فإذا بالسّـلطة العسكريّة تقرِّر إلغاء محكمة العطـف، وبذلك تخلَّصت السّـلطة ممَّـن تشـتمُّ منـه رائحـة تونـس والدّسـتور، وتخلَّصت من مواجهة إجماع بلدة بكاملها.

عند تأسـيس جمعيّـة العلماء المسـلمين الجزائريين سنة 1931م حضر الشّـيخ الجلسة التّأسيسـيّة، وعيِّـن عضـواً في لجنـة صياغة قانونها الأساسي. وفي شهر ماي 1934م عيِّن عضوا في حلقة العزَّابة بالعطف.

عند اشـتدّاد الأزمة الاقتصاديّة الجزائريّة - بحكم تبعيتها لفرنسا - دعاه والده ليستعين به في حركتـه التّجاريّة، فلبَّـى النّداء، ودخل ميـدان التّجـارة لعدّة سـنوات، وقـام بواجبه فيهـا خيـر قيـام، ولكنّـه كان دومـا موصول السّـبب بالحياة الفكريّة والثّقافيّة والسّياسـيّة بعاصمـة الجزائر، فكان نعم المعين للشـيخ أبـي اليقظـان في نضالـه الصّحفي، سـيما ما يتعلَّـق بتعريـب المهـمِّ مـن المقـالات التي تصـدر فـي الصّحـف الفرنسـيّة بالجزائـر وبفرنسا لتضلُّعه في اللسانين؛ وقد نشرت له العديد من المقالات، وكانت ممضاة باسـم: «البكري».

كمـا كان يشـارك فـي نشـاطات جمعيّـة العلمـاء بالعاصمـة، وكان مـع ذلـك عضوا بارزا في جماعة الإباضيّة بالجزائر، ومتصلا اتصالا وثيقا بحركـة الإصلاح بالعطف، من ذلك مشـاركته ضمن الجماعة التي أسَّسـت أوّل مدرسـة نظاميّـة إصلاحيّـة فـي وادي ميزاب، وكان يديرها الشّـيخ أحمد بن الحاج يحيى بكلّي.

وفـي سـنة 1939م تـرك ميـدان التّجـارة نهائيـا وانتقـل إلـى بريـان، ليتفـرَّغ للتعليم، فأدار مدرسـتها إدارة حازمـة، ثمَّ عيِّن واعظا ومرشـدا فـي مسـجدها، فعضـوا فـي حلقة عزَّابة بريان، ثمَّ رئيسا للحلقة.

وفـي 1945م شـارك جماعـة الإصـلاح بالعطف في تأسـيس جمعيّـة النّهضة، وعيِّن رئيسا شرفيا لها.

ثـمَّ أسَّـس بمشـاركة إخوانـه فـي بريـان جمعيّة الفتح للإشراف على الحركة العلميّة بها.

من أبـرز الأحداث التي واجهها في بريان محاكمته هو وجميع أعضاء حلقة العزَّابة في المحكمـة الجنائيّـة بالبليدة، بتهمة ممارسـة

سلطة التّأديب والتّعزير في المسجد على منتهك حرمِه الشّريف.

وعند اندلاع الثّورة التّحريريّة وامتدادها للصحراء، شارك مشاركة فعّالة في العمل السّياسي والتّنظيمي، فألقي عليه القبض عام 1957م، هو ورفيقه الشّهيد باسليمان إبراهيم لمنوَّر، الذي قتل تحت سياط التّعذيب، أطلقت السّلطات الفرنسيّة سراح الشّيخ بعد عدّة شهور، واستمرّ جهاده إلى يوم الاستقلال 1962م.

وفي سنة 1966م عيِّن عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، وعضوا في لجنة الإفتاء التّابعة لهذا المجلس.

وتولّى رئاسة مجلس عمّي سعيد بعد أن عجز الشّيخ بيوض إبراهيم عن حضور جلساته في أخريات أيّامه، ومَرضِ نائبه الشّيخ يوسف ابن بكير حمو علي.

في السّبعينيات – بعد أن عجز صحيا عن إلقاء دروس الوعظ والإرشاد اليوميّة في المسجد – نظّم ندوة أسبوعيّة يوم الإربعاء، في منزله، يحضرها نخبة من الأساتذة والمرشدين، استمرّت إلى آخر يوم في حياته، ولا تزال تعقد هذه النّدوات إلى يومنا هذا، وذلك بمسجد بريان، وتعرف بـ: ندوة الإربعاء، أو ندوة الشّيخ عبد الرّحمن.

من أعماله المطبوعة:

– تحقيق «كتاب النّيل» للشيخ ضياء الدّين عبد العزيز الثّميني، معتمد المذهب الإباضي في الفقه، في ثلاثة أجزاء (مط).

– تحقيق كتاب «قواعد الإسلام» للشيخ إسماعيل الجيطالي، في جزأين (مط).

– «فتاوى البكري» في جزأين، (مط).

– «وصيّة البكري»، تصدير وتقديم الشّيخ الحاج أيوب إبراهيم القرادي، (مط).

أمّا مؤلّفاته غير المطبوعة، فنجدها في قائمة بخطِّ يده عنوانها: «ذكر تراثي الأدبي»، وقد طبعت هذه القائمة الهامّة في ملحق «فهرس مخطوطات مكتبة البكري»، ولعلّ من المناسب أن نوردها كما هي لقيمتها التّاريخيّة:

– «رسالة في قضيّة العزّابة ببريان 1947» الكراسة الأوّلى فالثّانيّة، 1–2.

– كراسة تشتمل على «الوثائق العامّة المتعلّقة بالحياة الميزابيّة» (الكراسة الزّرقاء).

– «جمهرة رسائل البكري»، من 1 إلى 7 كرّاسات.

– «تقارير المدرسة» (الكراسات) 1–2–3–4.

– «ديوان البكري» 1–2.

– «التّقارير» 1–2–3.

– «جمهرة خطب البكري»، 1–2–3 4– (خاصّة بالأعراس).

– «التّقارير الأدبيّة لجمعيّة الفتح».

– كراسة «الإخوانيات».

– «رسالة الشّيخ بيوض للشيخ اطفيش وللشيخ سليمان الباروني» وهما من الأعلاق النّفيسة.

– سجلٌّ يشتمل على «نسب الدّين مبتدئا من الأئمّة».

– «تدشين المسجد» (خطبة مسهبة قيلت بمناسبة تجديد مسجد بريان 1960.

– كراسة «مكنون العلم والفوارق اللغويّة».

– «خلاصة سير الإصلاح بميزاب في جيل» الكراسات: 1–2–3–4–5–6–7.

– «معلومات تاريخيّة»: 1–2–3–4–5–6.

– «تاريخ التّعليم المدرسي ببريان».

– «حياة ميزاب الإقتصاديّة قبل سنة 1930».

– «كشكول البكري»: سجلاَّت: 1–2–3–4–5.

– «الجواب عن أسئلة الشّيخ علي يحيى معمَّر، عن حياة الإباضيّة بالجزائر من عهد محمّد بن بكر».

– كنَّاشة «نكت لطيفة وأجوبة ظريفة».

– كراسة تشتمل على «وثائق متنوِّعة».

– كتاب «الأجوبة النّثريّة» وهو نثر كتاب «الأسئلة والأجوبة النّظميّة» للشيخ خلفان العماني 1–2.

– سجلات «فتاوي البكري» في كراسات: 1–2–3–4–5–6–7–8–9–10––11 إلخ...

– «التّقاييد الفقهيّة»: الكراسات 1–2–3–4–5–6، وهذه الأخيرة تشمل على رسالة الجن.

– «آثار أدبيّة من محرَّراتي» تشمل بالأخصّ على محاضرتي عن المولد النّبوي.

– إلى 35 (كراسات لـمَّا تتم): – مكنون العلم –لطائف التّاريخ –للعبرة والذكرى– –في رياض القرآن –المفاخر –حسن المراجعة، وصايا حكيمة –حقائق في التّاريخ –الرّأي والمشورة –كراسة الرّوايات – (كراسة) أحسن القصص – كراسة –ركن المرأة –كراسة تشتمل على تقاييد تاريخيّة –الائتلاق الميزابي –محاضرة الشّيخ الباروني بنادي المعلّمين ببغداد –كراسة «حديث الظرف» –كراسة التّقاييد متنوعة.

– «مشايخ ميزاب» ترجمة محاضرة لـ«لِلْبير» جاكوب.

– «التّمارين المفيدة على القراءة الرّشيدة»: جـ1: (1) و(2)، جـ2: (1) و(2) (غيرتامتين)

– «العلم والأدب» كراسة وشيكة التّمام.

– «الآداب الإسلاميّة والأخلاق المرْضيّة» كراسة.

– «كراسة الحج» توديعا واستقبالا.

– «شرح مقامات أبي زهر»، غير تام.

– «ميزاب قبل مجيء فرنسا إليه وبعده منذ مائة سنة».

– «مؤتمر الكرثي وتعقيبه».

– سجل يحتوي على بعض «مواقف تتعلّق بمظاهر من تاريخ الجزائر في عهد فجر استقلالها».

– كراسة تشتمل على «مقابلة أكثر من حكمة نثريّة ونظميّة بمثلها».

– كراسة تشتمل على محاضرات قيِّمة: ذكرى أبي اليقظان –الحياة المعا... [غير مقروء] في ميزاب

– معلومات حول نظام العزّابة

– مقدِّمة لتلخيص سورة النّور من تفسير الشّيخ بيوض.

– «جمهرة رسائل البكري» (8) قسم المحاضرات.

– الشّريط: بل أشرطة عديدة.

– «خطب الجمعة» سجلاَّت من 1 إلى 7.

وتبقى هذه الأعلاق النّفيسة في ذمّة ورثته، قبل أن تذهب بها يد الأيام.

تخرَّج على يده نخبة من أبناء بريان، توجَّهوا إلى معهد الحياة، وإلى البعثة العلميّة بتونس، وإلى مختلف المعاهد الجزائريّة بعد الاستقلال، وهم يعمرون

مختلف المراكز في عموم القطر الجزائري.

وترك مكتبة ثريّة بالمخطوطات والمطبوعات النّفيسة، وهي حاليا في مسقط رأسه العطف، وقد أنجزت لها جمعيّة التّراث فهرسا في إطار مشروعها: «دليل مخطوطات وادي ميزاب».

وافته المنيّة في بريان إثر مرض خفيف انتابه، وشيِّعت جنازته يوم الإربعاء 5 جمادى الأوّلى 1406هـ/ 15 جانفي 1986م، شهدها جمهور غفير من مختلف أنحاء القطر. ورثاه الخطباء والشّعراء.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- البكري: وصيّة الشّيخ عبد الرّحمن بكلي البكري؛ تقديم وتصدير الشّيخ الحاج أيوب إبراهيم القرادي، العطف، رجب 1406هـ/ مارس 1986م، مع مراجعة ابني البكري عبد الوهاب وأحمد.
- البكري: فتاوى البكري، المطبعة العربيّة.
- أبو اليقظان إبراهيم: ملحق السّير ص423.
- جمعيّة التّراث: دليل مخطوطات وادي ميزاب (رقم 3)، فهرسة مكتبة البكري، كلّه.
- مجلس عمي سعيد: اتّفاق بمجلس عمّي سعيد يتعلّق برؤيّة الهلال، 1382هـ/ 1963م، 7ص.
- معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التّراث، المطبعة العربيّة - غرداية، ط1، 1999، ج3، ص521.

عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله التّلمساني
(ت: 741 هـ - 1340م)

عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله التّلمساني، يكنى بأبي زيد ويلقب بابن الإمام، هو الابن الأكبر للإمام محمّد بن عبد الله التّلمسانيّ. كان والدهما إماما بأحد مساجد بلدة برِشْك فاشتهر بكُنْيَة الإمام ولذلك عُرف ولداه عبد الرّحمن وموسى بابْنَيْ الإمام. ولد عبد الرّحمن ببلدة برِشْك على السّاحل الواقع بين مدينتَيْ شرشال وتنس كما حددها الشّيخ الجيلالي، ولذلك يصفه البعض بالتّنسي لأنّه ولد بأحواز تلك المدينة. وكانت ولادته خلال النّصف الأخير من القرن السّابع للهجرة؛ أي النّصف الأخير من القرن الثّالث عشر للميلاد، وهو ما يعني أنّه عاش في أواخر القرن السّابع والنّصف الأوّل من القرن الثامن للهجرة، الموافق للفترة الواقعة بين أواخر القرن الثالث عشر والنّصف الأوّل من القرن الرّابع عشر للميلاد لكن دون تحديد تاريخ معين لميلاده، بينما تم ضبط تاريخ وفاته في سنة 741هـ/ 1340م. اشتهر أبو زيد في عصره بالإمامة والرّئاسة في العلم ورسوخ القدم فيه كما يقول الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي.

تذكر الرّوايات التّاريخيّة أنّه لما استولى زيري بن حماد المكلاتي المعروف بزيرم على بلدة برشْك سنة 683 هـ/ 1284م اتهَم الإمام محمّد بن عبد الله في قضية مالية ولما طالبه بذلك نفى تلك التّهمة عنه فقتله، وهو ما أثّر على نفسية ولديْه، فغادرا الجزائر إلى تونس لإحساسهما بالظلم الذي يكون قد لحق بوالدهما. وفي تونس أخذ عبد الرّحمن عن مجموعة من علمائها كابن القطان وابن جماعة والمرجاني. ومنها انتقل مع شقيقه موسى إلى فاس حيث أخذ على يد جماعة من شيوخها كالسّطحي والطّنجي واليفرني وغيرهم. ولما أكمل تعليمه، عاد مع شقيقه إلى الجزائر وحاولا الرّجوع إلى برشْك لكن وجود زيرم بها جعلهما يتوجهان إلى الجزائر حيث استقرا بها. وفي الجزائر بدأت رحلة أبي زيد عبد الرّحمن بن محمّد في التّدريس بها ولم يطل به المقام في الجزائر فارتحل مع شقيقه موسى إلى مدينة ملياناة؛ حيث كان القائم على أمرها منديل بن محمّد الكناني ضابط جباية بني مرين فاتخذه معلما لولده ثم كلفه بقضاء ملياناة.

وبعدها توجه إلى تلمسان، عقب رفع الحصار عنها من طرف المرينيين، فاتصل بسلطانها أبي حمو موسى الأوّل ولما عرف منزلته قربه إليه مع شقيقه عيسى وابتنى لهما مدرسة، كانت هي الأولى من نوعها في ذلك العهد، فانتظم مع شقيقه للتّدريس وكلفهما بالفتوى والمشورة وأصبحا من ضمن مجلسه. ولما مدّ أبو حمو موسى الأوّل نفوذ بني زيان إلى المناطق الوسطى من الجزائر، كان أبو زيد عبد الرّحمن هو سفيره إلى زيرم بن مناد المنكلاتي الذي طلب الأمان لنفسه وتنازل عن حكم برشْك، لكن أبو زيد استأذن من أبي حمو ليأخذ بثأر أبيه فأذن له، فتردد مرارا على برشْك حتى تمكن من الأخذ بثأره منه.

في سنة 720 هـ/ 1320 م غادر أبوزيد وشقيقه أبو موسى الجزائر إلى المشرق وهناك التقيا بمجموعة من العلماء والمشايخ نذكر منهم الشّيخ أحمد بن تيمية والشّيخ علاء الدّين القونوي والشّيخ جلال الدّين القزويني وقد أثنى عليهما هذا الأخير لما عرف

عنهما من علم ومعرفة وقال « بمثلهما تفتخر بلاد المغرب». ولما عاد الشّقيقان إلى تلمسان كانت شهرتهما قد طبقت الآفاق، فتوافد عليهما طالبو العلم والمعرفة من كل جهة، وضاقت مجالسّهما العلميّة بالدّارسين. وقد تخرجت على يدّهما نخبة من العلماء في ذلك العصر نذكر منهم ابن مرزوق الخطيب المشهور بالجد والامام المقري الجد كذلك فحفيده هو صاحب كتاب نفح الطّيب، وأبو عثمان العُقباني، وأبو عبد الله اليحصبي وغيرهم. ولأبي زيد شرح على فرعيْ الحاجب كما تذكر ذلك بعض الرّوايات.

وبعد وفاة أبي حمو موسى الأوّل، قربهما إليه ابنه أبو تاشفين الأوّل واستقر الشّقيقان في تلمسان حاضرة المغرب الأوسط في ذلك العهد إلى أن وافاهما الأجل. ويذكر كتّاب السّير والتّراجم أن ابنيْ الامام أبي زيد وأبي موسى كانت لهما تصانيف في شتى معارف عصرهما لكنها تكون قد ضاعت ولم يصلنا منها ما يفيد بوجودها. ومما يروى عنهما « أنّه لم يكن في زمنهما أعظم رتبة ولا أعلم منهما». ووصفهما ابن الخطيب بـ «علماَ تلمسان الشّامخان وعالماها الرّاسخان». وقد توفي أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد في شهر رمضان سنة 741 هـ الموافق لشهر مارس سنة 1340م

عامر بغدادي

المصادر:

- تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 2، دار الثّقافة بيروت.

عبد الرّحمن بوشامة
(1328هـ - 1910م/1405هـ - 1985م)

ترك عبد الرحمن بوشامة الأب الروحي للهندسة المعماريّة الحديثة في الجزائر، بصمة مميّزة في عديد المعالم الدينيّة والمنشآت الثقافيّة بمختلف ربوع الوطن، لازالت آثارها شاهدة على شغفه بالعمارة الإسلاميّة وسحر الأندلس وإصراره على المساهمة في إحياء ونشر والحفاظ على معالم الهويّة الوطنيّة التي تفنن الاحتلال الغاشم في طمسها.

ولد عبد الرحمن بوشامة وهو أول مهندس معماري جزائري يعمل بمكتب للعمارة في عهد الاستعمار، في الـ 21 من أكتوبر 1910بالجزائر العاصمة، في بيئة علميّة، فوالده كان قاضيا، يتردّد على بيته العلماء والمثقفون، فنهل أساسيات العلوم قبل الالتحاق بالمدرسة بمدينة البليدة، أين برز اهتمامه بالمواد العلميّة منذ المراحل التعليميّة الأولى، وتضاعفت رغبته في دراسة الرياضيات والكيمياء في المرحلة الثانويّة، مما حفّزه على التسجيل بكليّة العلوم بالعاصمة سنة 1927.

نبغ الطالب عبد الرحمن بوشامة في المجال التقني، ودفعه حماسه الكبير في مواصلة الدراسات العليا خارج الوطن للعمل في مختلف الوظائف بأجر زهيد لكنه كاف لتجسيد حلم ولوج الجامعات الأوروبيّة.

شغف التخصص في هندسة البناء قاد الطالب الطموح إلى دراسة الرياضيات بمعهد البوليتكنيك في مدينة نانت الفرنسيّة سنة 1932، قبل مروره على المدرسة الوطنيّة العليا للفنون الجميلة في باريس لأجل تحصيل علمي وفني متكامل في مجال العمارة، غير أن حماسه للنشاط النضالي، حمله إلى اتخاذ قرار صعب تمثل في التخلي عن الدراسة لأجل الالتحاق بأعضاء المكتب الشيوعي بتلك المدينة، ومواصلة ما بدأه بمسقط رأسه من احتجاجات ومظاهرات مناهضة للاستعمار، وككل مرة نجح في فرض نفسه كشخصيّة قياديّة، وتم انتخابه مديرا للمكتب الشيوعي بتلك المنطقة.

بدأ المهندس نشاطه النضالي وهو في الطور الثانوي، حيث كانت له مشاركة واسعة في تنظيم التظاهرات والإضرابات منها إضراب مصنع العجائن الذي منحه ثقة العمال ورفاقه، مما حفّز قادة الحزب الشيوعي آنذاك على اختياره مسؤولا عن دائرة الشباب بمكتبهم بمدينة البليدة، ثم منتدبا بمؤتمر العاصمة في مارس 1928، وبعدها بسنتين بمؤتمر العمال العرب (1930).

صقلت التجارب المختلفة في حياة بوشامة شخصيته، ولأنه اشتهر بالرصانة والجديّة، وجد فيه رفاقه الشخصيّة المثاليّة للعب دور الوسيط في الكثير من المواقف خاصة في مبادرات التعاون بين الحزب الشيوعي وجمعيّة العلماء المسلمين.

إقامة عبد الرحمن بوشامة بفرنسا لم تدم طويلا بعد أن شابتها المشاكل مع الإدارة الفرنسيّة، فكان قرار العودة إلى أرض الوطن، والانتقال للعمل بتلمسان عام 1934، وكانت عاصمة الزيانيين محطة مهمة في مشواره المهني حيث تفجرّت عبقريّة المهندس المبدع فوقّع تصميم مدرسة دار الحديث (1936–1937) التحفة المعماريّة ذات التوليفة المميّزة الجامعة بين سحر العمارة الإسلاميّة وعبق التراث المغاربي والتي شهد حفل تدشينها توافد ما يقارب ثلاثة آلاف شخص من كامل القطر الجزائري، وعلى رأسهم زعيم النهضة الإصلاحيّة ورئيس جمعيّة العلماء

المسلمين الجزائريين، الشيخ عبد الحميد بن باديس.

ذاع صيت المهندس البارع بعد إنجازه البديع، فكلّف بتصميم وبناء منشآت مهمة عديدة أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مقر الأرشيف الوطني ببير خادم، المحكمة العليا والمركز الثقافي ببن عكنون، ومسجد الأمة ببولوغين ومقر وزارة السياحة، فضلا عن المعاهد الإسلاميّة والمنشآت الثقافيّة الكثيرة في كل من قسنطينة وتلمسان والعاصمة والتي تم تجسيدها بين سنتي (1969 و1972).

ولعه بفن العمارة الإسلامي بالأندلس وإعجابه بقصر الحمراء بغرناطة بدا جليا في تصاميمه التي أثراها أيضا باللمسات المستوحاة من عمق التراث المحلي والمغاربي، والتي جسد تصاميمها بوكالته الخاصة المدشنة سنة 1963 قبل أن ينضم إليه ابنه المهندس إلياس مقتفيا أثر والده المعماري اللامع.

أول رئيس لاتحاد المعماريين الجزائريين: رغم الإنجازات المهمة لأول مهندس جزائري وأول رئيس لاتحاد المعماريين الجزائريين الذي بادر هو نفسه إلى تأسيسه، بقيت سيرته مجهولة لدى الكثيرين، لقلة المعلومات المتداولة حول هذه الشخصيّة السياسيّة والفكريّة، حتى في أوساط المهندسين المعماريين سيّما الشباب، غير أن ذكريات الطلاب وشهادات زملائه في الدراسة ورفاقه في النضال أنصفت المهندس الفذ، حيث خصّه المهندس السويسري المعروف (جون جاك دولوز/ Jean-Jacques Deleuze) في كتاباته ببضع فقرات خلّد فيها أعماله وآراءه، حيث نقل عنه رؤيته للعاصمة الجديدة: "من الآن فصاعدا، لا يمكن للجزائر التمدد والتوسع كما يحلو لها على المرتفعات...وإنما على السهل...الرخام، الزجاج والمعدن مثل الحجر والجير سوف تلمع هناك على البنايات والمعالم والعمارات والمحلات والمسارح وقاعات العرض والمقاهي والقصور والساحات والأماكن العامة بكل أضوائها ... مع كل سمفونياتها المنسقة لمالك واحد، الشعب... وبالتحديد على مستوى الذوق والأسلوب والفن والطابع الخاصّ به...فن يضاهي فن القصور من غرناطة إلى الفضاء».

وحاول المهندس البارع شرح نهجه في مجال العمارة من خلال مؤلفه الموسوم (قوس العقد المترّنم) (L'arceau qui chante) المتكوّن من 75 صفحة والصادر عام 1966 عن المؤسسة الوطنيّة للنشر والتوزيع، كما صدر له أيضا مؤلفا ثانيا بعنوان (الواحة العملاقة) عن نفس المؤسسة التي باتت تحمل اسم المؤسسة الوطنيّة الجزائريّة للكتاب.

ومن أجمل ما قيل عرفانا بإنجازات الأب الروحي للعمارة الحديثة بالجزائر، ما قاله الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته الموسومة (رعد البشائر) التي ألقاها خلال حفل تدشين منشآت ومرافق تربويّة ودينيّة جديدة بباتنة 1947 وحضره الشيخ البشير الابراهيمي إلى جانب المهندس البارع بوشامة حيث تلا أبياتا رحبّ فيها بالشيخ الابراهيمي جاء فيها:

أهلا وسهلا بالبشير متوجا
بتاج تحلى بالنهى وترصعا
إمارة عرفان يسوس أمورها
أمير على دست البيان تربعا

وتابع في مدح الابراهيمي إلى أن وصل إلى بيت أثنى فيه على جليسه بوشامة قائلا:

رفيقك معمار عرفناه ماهرا
تفنن في دار الحديث وأبدعا

وخصه زميل له في المهنة وباحث بمركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعيّة والثقافيّة بمقال نشره بمناسبة تظاهرة سنة الجزائر في فرنسا 2003 سلّط من خلاله الضوء على تصاميمه وأسلوبه وفنه المتميّز وحث على ضرورة إنصاف ذاكرة رجل أعطى الكثير لوطنه ومهنته «يقع على عاتقنا جمع المزيد من الوثائق والشهادات عن مسيرة رجل احتفظت له بصورة الباحث ومخترع مواد جديدة من الرمل والحجر الأزرق، وهي مادة لها خصائص مهمة من وجهة نظر فنيّة، جماليّة واقتصاديّة، لكن لسوء الحظ، لا يزال هذا العمل غير معروف في الوسط المهني والتعليمي في مجال الهندسة المعماريّة».

بعد مسار مهني ونضالي حافل رحل المهندس عبد الرحمن بوشامة في صمت سنة 1985 عن عمر ناهز 75 عامًا.

مريم بحشاشي

المصادر:

- تسجيل خلال الملتقى التمكيني الرابع لمؤسسة المدينة المنظم بالتعاون مع الهيئة الوطنيّة للمهندسين المعماريين الجزائريين بالعاصمة في جوان 2019.
- Le Dictionnaire Biographique Le Maitron, article 151688

عبد الرّحمن زناقي
(1353هـ - 1934م/1434هـ - 2012م)

هو (عبد الرّحمن بن العربي زناقي)؛ وُلد سنة: (1353هـ/ 1934م)، بمدينة (تلمسان) العريقة؛ يرى البعض أن كلمة تلمسان مركبة من كلمتين تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين قد يقصد بهما التل والصحراء، نشأ (عبد الرّحمن زناقي) في أسرة بسيطة ومتواضعة بتلمسان، وحفظ القرآن الكريم بها، في زاويّة (درقاوة)، وبعد أن حفظ القرآن الكريم، تتلمذ في إحدى المدارس الفرنسيّة بمدينة (تلمسان)، ونال الشّهادة الابتدائيّة الفرنسيّة بتفوق؛ ودرس بعدها في (دار الحديث بتلمسان)، ودرّس

فيها، وهي الدار؛ التي كان يُديرها الشّيخ (محمد البشير الإبراهيمي)، وتأسست سنة: (1356هـ/ 1937م) ثمّ انتقل (عبد الرّحمن زناقي) بعدها إلى معهد ابن باديس بقسنطينة؛ حيث أتمّ دراسته المتوسّطة والثانويّة في مدينة (قسنطينة)؛ ثم سافر إلى (تونس العاصمة) وحصل على الشّهادة الأهليّة من (جامع الزّيتونيّة)؛ وكان في مُختلف المراحل التعليميّة من الطلبة الأوائل والمتفوقين؛ مما جعله يحظى بالمنح التي تُقدمها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين؛ فقد كان ضمن الدفعات التي أوفدتها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين إلى المشرق العربي للدراسة بجامعاتها؛ فقد درس في (دار المعلّمين) بمدينة (حلب) السّوريّة، وكان من بين زملائه في تلك المرحلة الأستاذ والمُترجم المتميز (حنفي بن عيسى)؛ الذي عاش خلال الفترة الممتدة من: (1932–1999م)، وترك مجموعة من الترجمات النفيسة، والأعمال العلميّة القيّمة، والتي نذكر من بينها، كتاب: «محاضرات في علم النفس اللُّغوي»، ومن بين الذين درسوا معه خلال تلك الفترة الشّاعر الجزائري المعروف (أبو القاسم خمار)؛ الذي له عدة دواوين شعريّة، من بينها: «أوراق»، و«الحرف الضوء»، و«ظلال وأصداء»، و«ربيعي الجريح»، و«إرهاصات سرابيّة من زمن الاحتراق»، و«الجزائر ملحمة البطولة والحب»، و«مواويل الحب والحزن»، وبعد سنوات الدراسة في (حلب)؛ نال (عبد الرّحمن زناقي) سنة: (1376هـ/ 1957م) شهادة أهليّة التعليم، وعمل في سوريا بمدينة (جرابلس)قُرب الحدود السّوريّة التركيّة، وفي عام: (1378هـ/ 1959م)حصل على منحة؛ فتابع دراسته في جامعة (عين شمس)بالقاهرة في جمهوريّة مصر العربيّة، وقد حصل من مصر على شهادة الإجازة في الأدب، والتربيّة من جامعة (عين شمس) سنة: (1382هـ/ 1963م) وعاد بعدها إلى وطنه الجزائر؛ فعمل في ميدان الصحافة بجريدة «الجمهوريّة» بوهران، كما عمل منتجاً في الإذاعة الجزائريّة، ومُبرمجاً في وزارة التربيّة، وقد أعجب بإبداعاته العديد من النقاد العرب، وكتبوا عنها، ومن أبرز الذين كتبوا عنه الأديب (أحمد قبش)، والباحث (أبو القاسم سعد الله)، و(شلتاغ عبود شراد)، والباحث الدكتور (عبد الغني بقيروس).

إن الشّاعر (عبد الرّحمن زناقي) أحد أبرز الشّعراء الجزائريين المعاصرين، وهو سفير الجزائر في المشرق العربي إبان الثورة التحريريّة، وقد احتفت به جمعيّة:«الجاحظيّة» سنة: (1432هـ / 2011م)؛ وذلك اعترافاً بجهوده الجبارة التي بذلها، فهو صوت الثورة الجزائريّة، ورسالة النضال الجزائري في المشرق العربي، ظل طوال مسيرته يتغنى ببلاده الجزائر، ومدينة تلمسان العريقة، مسقط رأسه، وكان يُشارك في كثير من المهرجانات، والمسيرات الشّعبيّة، والتظاهرات الداعمة لنضال الشّعب الجزائري، وثورته المجيدة، أثناء ثورة التحرير المظفرة، وخلال دراسته في مصر كان كثيراً ما يتردد على منبر«نادي عباس محمود العقاد»، وقد أسمع منه صدى الثورة الجزائريّة، وتحدث عن ضراوتها ضد المستعمر الفرنسي؛ فالأديب (عبد الرّحمن زناقي) قضى أكثر من ستين عاماً في النضال الفكري، والأدبي يُبرز التراث الجزائري، ويعرّف به، ولم يتوقف عن الإنتاج، والإبداع، فقد كان المُحرك لمختلف الأنشطة الثقافيّة الجزائريّة بالمشرق العربي، وقد نشر إنتاجه الذي يُمجد فيه بلاده، ويُعرف برموزها في كبريات الصحف، والمجلات العربيّة في مصر، وسوريا، ولبنان، وقد توفي خلال شهر (صفر1434هـ)؛ المُوافق لشهر (ديسمبر2012م).

ومن أهم أعماله الأدبيّة ديوان: «نونو والمطر»، وديوان: «إلى حبيبتي تلمسان»، و«أبجديّة عبد الرّحمن زناقي»، و«أنسام وأعاصير»، و«السّفن التي أبحرت نحو الشّمال»، وكتب مجموعة من القصص التاريخيّة التي تُعرف بشهداء الجزائر، من بينها قصة عن الشّهيد البطل «العربي بن مهيدي»، وقصة للفتيان عن الشّهيدة البطلة «مليكة قايد».

إن المتأمل في عوالم (عبد الرّحمن زناقي)الشّعريّة؛ يُدرك بأن الكون الشّعري عنده يتسم بالرّحابة والاتساع؛ فالمُتتبع لإبداعه الشّعري الذي نظمه إبان الثورة التحريريّة يجد أغلبه يُمجد بطولات الشّعب الجزائري، وصانعيها، ويسخر فيه من المستعمر الفرنسي، ويؤكد على مبدأ وحدة التراب الجزائري، ويتغنى بأمجاده، ويتحاور مع المكان، وكأنه إنسان يُجسد ملاحم بطوليّة، ويُزاوج الشّاعر في لغته بين الرّقة والعذوبة التي تبلغ حد الليونة، ونجد الشّاعر في الكثير من قصائده يتوسل بصور فنيّة ساحرة، كما يُوظف الكثير من الأدوات الفنيّة التي أضفت لمسات جماليّة بديعة، وساهمت في تجليّة المعاني، وتدعيم الرّؤيّة الشّعريّة، واتحدت الصور الشّعريّة والرّمزيّة، وتكاملت في نسق دلالي واضح، وقدمت صوراً جماليّة وفنيّة بديعة، في تناغم يحمل من الجماليّة الشّعريّة ما يجذب القارئ إليه، وحينما نقرأ شعره نجد فيه شعراً عاطفياً فيه وجدان، وشوق، وحب، وشجن، وكثيراً ما يكتسي شعره بحلل رومانسيّة بديعة، ولا يقتصر شعر (عبد الرّحمن زناقي) على الدوران أو التحليق حول التجربة الذاتيّة الخالصة فحسب؛ بل إنه يتفاعل مع قضايا وطنه العربي، وأمته الإسلاميّة، ولاسيما منها قضيّة الشّعب الفلسطيني الشّقيق، فالكثير من قصائده تعبر عن مأساة فلسطين الجريحة، كما تغنى الشّاعر بمدينته (تلمسان) المعروفة بتاريخها العريق، فهو أحد أقدم شعراء عاصمة الزّيانيين، التي أهداها أحسن قصائده، ونقرأ في أغلب دواوينه الشّعريّة شعراً وطنياً فيه وفاء وإخلاص، وذوبان في وطنه الجزائر.

يقول عنه الدكتور (مسعود كواتي): «الأستاذ زناقي متعدد المواهب؛ درس الرّسم في جمعيّة الفنون الجميلة بالعاصمة، والمدرسة الوطنيّة للفنون الجميلة، ودرس المُوسيقى في دار المعلمين بحلب، والمعهد الموسيقي في دمشق، شارك في عدد كبير من الندوات والملتقيات العلميّة في داخل الوطن وخارجه، وفي معارض الرّسم والفنون التشكيليّة، وعمل كمنتج

إذاعي ومراسل لجريدة الجمهوريّة في وهران، كما شارك كممثل في فيلم حسان النيّة لبن ددوش، وفي فيلم الحب الممنوع لسيد علي فطار... ».

وقد أشار الباحث (عبد الغني بلقيروس) في مداخلة قدمها في مقر جمعيّة الجاحظيّة، سنة: (1432هـ / 2011م) أن (عبد الرّحمن زناقي) صاحب مُنجزات متعددة، ومواهب متنوعة؛ فهو فنان تشكيلي موهوب، شارك، ونشط في الكثير من المعارض الوطنيّة، وكذلك فقد تقمص أدواراً في بعض الأفلام الجزائريّة، كما أن له الكثير من الأعمال الأدبيّة، والتاريخيّة، وبعضها لا يزال مخطوطاً، ومن بين أعماله:«لالة فاطمة نسومر»، و«الإلياذة الإسلاميّة»، وقد أشار كذلك إلى أنه قد تتلمذ على يد كبار العلماء، والمفكرين الجزائريين، رواد النهضة الإصلاحيّة، والفكريّة، من بينهم العلاّمة الشّيخ (محمد البشير الإبراهيمي)، الذي درس عنده، وقد تربى في وسط عائلة محافظة اشتهرت بعراقتها، وعلمها، وثقافتها بمدينة تلمسان.

وقد قدم الناقد الدكتور (عبد الملك مرتاض) تعريفاً بجهوده الأدبيّة في: «معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين»، وأُعجب بقصيدته الموسومة ب: «انتحار الكلمات»، ووصفها بالقول: «يتناول الشّاعر في هذه القصيدة قصّة مكتبة جميلة عامرة بكتبها، ومكتظة بقرّائها؛ فلما جاءها القُرّاء ذات صباح ليطالعوا شيئاً من كُتبها وجدوا أوراق كتبها مشتتة ممزقة، وطائرة موزّعة...لقد كانت هذه المكتبة تبكي حالها، وتنادي ويلاً وثبوراً ولا من يسمع، وتدعو ولا من يستجيب...فلقد انتهى من أمرها كلّ شيء، ولقد تحوّلت بقدرة قادر من مكتبة تبثّ النور، وتنشر المعرفة، إلى مقبرة تستقبل الجثث الباردة...إنّ فكرة القصيدة جديدة، ونحن شخصيّا لم نقرأ قصيدة تتناول هذه المسألة الطّريفة؛ غير أن طريقة التناول كانت تقترب من السّرد القصصي النثريّ، أكثر مما كانت تتعلّق بالشّعر وما فيه من كثافة التصوير، وبراعة العرض، وإيجاز اللّغة، وترك المعنى وسطاً بين الفهم واللاّ فهم...».

محمد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد الرّحمن زناقي: إلى حبيبتي تلمسان، منشورات المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986م.
- د.عبد الملك مرتاض: معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين، منشورات مؤسسة دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- مسعود كواتي ومحمد الشّريف سيدي موسى: أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، منشورات دار الحضارة، الجزائر، ط:02، 2010م.

عبد الرّحمن شيبان
(1336هـ - 1918م/1432هـ - 2011م)

ولد الشّيخ عبد الرّحمن بن شيبان سنة 1918م، ببلدة الشّرفة الجزائريّة، وتعلم القرآن الكريم ومبادئ العربيّة، والتّوحيد، والفقه، بمسقط رأسه وفي العشرين من عمره شدَّ الرّحال إلى الجامعة الزّيتونيّة بتونس سنة 1938م، ونال شهادة التّحصيل في العلوم سنة 1947م، وإلى جانب ذلك كان يقوم بالنّشاط الثّقافي، وترأس جمعيّة الطّلبة الجزائريين الزّيتونيين بتونس.

في عام 1948م عيّنه رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين الإمام محمّد البشير الإبراهيمي أستاذاً للبلاغة والأدب العربي، بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.

وفي عام 1954م صُنِّف من أساتذة الطّبقة الأوّلى بالمعهد بقرار من المجلس الإداري لجمعيّة العلماء



كما أصبح عضواً عاملاً في الجمعيّة وعضواً في لجنة التّعليم العليا المكلفة بإعداد مناهج التّربيّة والتّعليم، والكتب المدرسيّة بمدارس الجمعيّة المنتشرة في أرجاء القطر الجزائري.

عمل محرِّراً في الجرائد الجزائريّة منها جريدة النّجاح، والمنار، والشّعلة وغيرها، وكان من الكُتاب الدّائمين في جريدة (البصائر) لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، بتكليف من الإمام الإبراهيمي، المدير المسؤول عن الجريدة.

التّحق بالمجاهدين في المنظمة المدنيّة لجبهة التّحرير الوطني خلال ثورة التّحرير بالجزائر، وكان عضواً في لجنة الإعلام فيها، وشارك في تحرير جريدة (المقاومة الجزائريّة، لسان حال جبهة وجيش التّحرير الوطني، وفيها كتب عدّة مقالات هامة تحت ركن «صفحات خالدّة من الإسلام» يسقط فيها الماضي على الحاضر.

بعد استقلال الجزائر ساهم مساهمة إيجابيّة مع مجموعة من النّواب من أهل العلم والجهاد في جعل الإسلام دين الدّولة والعربيّة اللغة الوطنيّة الرّسميّة، حيث كان من أعضاء اللجنة المكلّفة بإعداد دستور الجزائر، وذلك في مواجهة التّيار التّغريبي الذي طالب

بإصرار بأن يكون الإسلام دين الشّعب والعربيّة لغة الشّعب، حتى لا يكون للدولة الجزائريّة الوليدة أي التّزام بتطبيق تعاليم الإسلام، واستعمال اللغة العربيّة في أجهزة الدّولة، جمع نخبة من أعضاء جمعيّة العلماء ومعلميها، لإحباط دعوة تجعل اللائكيّة أساسا للدستور الجزائري فكان الرّد الحاسم بتوجيه نداء إلى الشّعب الجزائري للتمسك بدينه.

عُيِّنَ مفتشاً عاما للغة والأدب العربي، والتّربيّة الإسلاميّة في مؤسّسات التّعليم الثّانوي الرّسمي بمرسوم رئاسي. في مارس 1964م، وكان نائباً للمرحوم الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في رئاسة اللجنة الوزاريّة المكلفة بإدراج المعلمين والأساتذة الذين كانوا في التّعليم العربي الإسلامي الحُرّ.

تولى رئاسة اللجنة الوطنيّة المكلفة بالبحث التّربوي التّطبيقي والتّأليف المدرسي، للمرحلتين: الإعداديّة والثّانويّة بوزارة التّربيّة الوطنيّة، وأشرف على تأليف نحو (20) كتاباً في القراءة، والأدب، والنّقد، والتّراجم، والبلاغة، والعروض، والتّربيّة الإسلاميّة.

عُيِّنَ وزيراً للشؤون الدّينيّة لمدة ست سنوات (1980–1986)م حيث أشرف على تنظيم ستة ملتقيات سنويّة للفكر الإسلامي منها: ملتقى للقرآن الكريم، فالسّنة النّبويّة، فالاجتهاد، فالصّحوة الإسلاميّة، فالإسلام والغزو الثّقافي، فالإسلام والعلوم الإنسانيّة. وكان عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى وشارك في النّدوات العلميّة والدّينيّة والتّربويّة، داخل الوطن وخارجه. إضافة إلى كونه أحد الأعضاء المؤسّسين لمجمع الفقه الإسلامي الدّولي مُمَثِلاً للجزائر حتى وفاته رحمه الله. وكان له إسهامه الفاعل في تأسيس معهد أصول الدّين بالعاصمة (معهد العلوم الإسلاميّة حالياً) وبذل جهدا في افتتاح «جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة» بقسنطينة، وتعيين الدّاعيّة المصلح الإسلامي المرحوم الشّيخ محمّد الغزالي رئيساً لمجلسها العلمي، وتمكينه من إلقاء دروسه المتلفزة المشهورة المتمثلة في حديث الاثنين. ومن جهوده رحمه الله أن طبع آثار إمام النّهضة الجزائريّة المرحوم الشّيخ عبد الحميد بن باديس، وفي طليعتها: (مجالسّ التّذكير من كلام الحكيم الخبير، ومجالسّ التّذكير من حديث البشير النّذير).

شجع قراءة صحيح البخاري، روايّة ودرايّة، في مساجد العاصمة وفي أرجاء الجزائر، كما ترأس بعثات الحج الجزائريّة إلى الأراضي المقدسة (1980–1986)م.

يرجع الكثيرون الفضل الكبير للشيخ عبد الرّحمن شيبان في إعادة بعث جمعيّة العلماء، خاصّة بعد صدور القانون الخاص بالجمعيات عام 1992م فقد أعاد بمعيّة زملائه بناء هياكل الجمعيّة وفروعها بالولايات، لتغطي التّراب الوطني كاملاً. كما أسس مكاتب لها في عدد من البلدان الإسلاميّة والأوروبيّة كمكتب لندن وكان النّائب الأوّل لرئيس الجمعيّة الشّيخ أحمد حماني رحمة الله عليه، ورئيسا لتحرير البصائر لسان حالها. ظل مداوماً على إلقاء دروس دينيّة في التّفسير، والحديث، والسّيرة النّبويّة، والتّاريخ الإسلامي، في المساجد، والمراكز الثّقافيّة في العاصمة وغيرها. وتولى رحمه الله رئاسة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وإدارة جريدة البصائر الأسبوعيّة، لسان حال الجمعيّة منذ سنة 1999م وعلى صفحاتها دافع كما لم يدافع أحد قبله عن الجمعيّة ورد الشّبهات حولها في سلسلة من المقالات تحت عنوان (حقائق وأباطيل).

استرجع في 27 يناير 2002م (نادي التّرقي) التّاريخي الذي وُلدت في أحضانه جمعيّة العلماء بالعاصمة سنة 1931م فاستأنف نشاطاته بمحاضرات أسبوعيّة، كما إنّه بعث تراث جمعيّة العلماء المتمثل في جرائدها: الشّريعة، السّنة، الصّراط، الشّهاب، والبصائر كاملة (12 مجلداً) وأسس وأشرف على شُعب جمعيّة العلماء في مختلف الولايات.

كان من أبرز المتصدين إلى جانب فضيلة الشّيخ القرضاوي لفتوى الأزهر بجواز بناء الجدار الفولاذي على حدود غزة المحاصرة وقال: «أرى أن من الجرأة على الدّين أن يعتبر الأزهر كل الذين يعارضون بناء الجدار مخالفين لما أمرت به الشّريعة...»، وأعلن في المقابل عن وقوفه إلى جانب الشّيخ القرضاوي الذي أفتى «بأن بناء هذا الجدار هو عملٌ محرّم شرعاً لأنّه يسد كل المنافذ على أهلنا في القطاع ليزيد من حصارهم وتجويعهم وإذلالهم والضغط عليهم، حتى يركعوا ويستسلموا للعدو المتربص الحاقد القاتل».

بعد رحلة عمر في الدّعوة والفكر والعمل للإسلام دامت 93 عاماً انتقل الفقيد إلى جوار ربه إثر مرض عُضال الزّمه الفراش بإحدى العيادات الخاصّة بالعاصمة الجزائريّة ودفن بمقبرة سيد أعمر الشّريف بمسقط رأسه بولايّة البويرة.

إبراهيم منقلاتي

المصادر:

- أعلام الجزائر في الدّين والفكر والثّقافة، صفحة خاصّة على الفايسبوك.

عبد الرّحمن طالب (الشهيد)
(1348هـ - 1930م/1376هـ - 1958م)

وُلد (طالب عبد الرّحمن) الكيميائيّ في 5 مارس 1930م، بالقصبة، لعائلة فقيرة تنحدر من (أزفون) ولايّة تيزي-وزو. التّحقّ بمدرسة شعبيّة في حيّ (سوسطارة) الشّعبيّ، وأكمل تعليمه في متوسّطة محليّة، وواصل مساره الثّانوي في ثانويّة ببولوغين بباب الوادي بتفوّق في السّنة الأوّلى ممّا جعل الإدارة الفرنسيّة وأوّلاد الكولون يحسدونه على ذكائه وتفوّقه وسبّب له ذلك جملة من المتاعب العنصريّة والتّهميش، فلم يتحمّل ذلك، وفرض عليه الوضع التّخلّي عن الثّانويّة الفرنسيّة ومواصلة الدّروس الخصوصيّة، واجتاز البكالوريا بصفة مترشّح حرّ، وكان من الأوّلين. وفي هذه المرحلة يتحدّى أوّلاد الكولون؛ حيث يتعلّم اللغة الألمانيّة، ويحصل على شهادة حسن استعمالها بجدارة. وليبرهن على حسن استعمال الفرنسيّة يسجّل في كليّة العلوم، قسم الكيمياء، ويأخذ فنّ خلط المواد، وصناعة التّحاليل. وبعد اندلاع ثورة التّحرير الجزائريّة التّحق مناضلاً سريّاً بجبهة التّحرير الوطنيّ سنة 1955 لينشط في منطقة أزفون، في الولايّة العسكريّة الثّالثة، وكان يصنع المتفجّرات بوسائل تقليديّة؛ ولما وقع الطّلب على مزيد منها، يقوم بإنشاء مخبر سريّ في منطقة الأبيار، حيث تمدّه الثّورة بالمواد الأوّليّة، ويقوم على مزجها وخلطها بمقادير ليصنع ما يريد من وسائل تدمير آليات العدو. نشط مخبره وقوي منتوجه، وكان يعمل بمظهر نهاريّ مخبر التّحاليل الطّبيّة وخدمات شبه طبيّ، وبمظهر ليليّ مزج الأخلاط بالأنفاط، ومؤدّاها الصّاعق والفتيل والمشعل والمتفجّر... وعند اشتداد الطّلب على المواد المتفجّرة، توسّع نشاطه؛ بإضافة مخبر آخر تموّله الثّورة. وهذا المخبر يشتغل بخليّة عسكريّة وطنيّة على صناعة المتفجّرات في أشكال: أسلاك حديديّة، منبّهات، قطع خشبيّة وقارورات؛ بالإضافة إلى تجهيز متواضع للمخابر. ورغم ذلك فقد جرّب (طالب عبد الرّحمن) خليطاً جديداً، لم يكن مستعملاً من قبل ونجح



فيه، وأدّى إلى مفعول أقوى من المتفجّرات السّابقة. وفي إضراب الطّلبة في 19 ماي 1956م، يرمي الطّالب (طالب عبد الرّحمن) محفظته ويتصدّر الإضراب مع الطّلبة، وينال جزاءه من قمع فرنسا، ويوضع في السّجن، ويفرج عنه. وفي 15 أكتوبر من ذات السّنة، يقع انفجار بفيلا (الورود) بسبب المفرقعات، وتبدأ مصالح الأمن في التّقصي والتّحقيق لتكشف مهندسها هو طالب في كليّة العلوم، من خلال متابعة الخروج والدّخول اتّجهت إليه الأنظار... ولمّا أحسّ بالخطر يفرّ من الكليّة إلى جبال الشّريعة، ويصبح عسكرياً ويبدأ مساراً آخر في صناعة المتفجّرات في الجبال، ويبقى رابطاً العلاقة بين رجال العاصمة المجاهدين الذين يمدّونه بالمواد الأوّليّة والتّحضيرات الجديدة لصناعات متطوّرة، ويأخذ في الذّهاب والإياب بين المواقع والمحال بحثاً عن المستلزمات الأساسيّة. وفي يوم 13 جويليّة 1957م، وهو يتنقّل إلى البليدة تلقي عليه السّلطات العسكريّة القبض من خلال كمين يرصد تحرّكاته. وينقل مباشرة إلى أماكن التّعذيب والتّنكيل، ولم تنل منه الاستنطاقات لفظة واحدة بخصوص دوره في صناعة المتفجّرات، وتنقله إلى سجن (بربروس) الشّهير، ويُعدم بالمقصلة بتاريخ 25 أفريل 1958م ويكون الرّقم 131 من الذين نزلت عليهم المقصلة، نزلت عليه المقصلة وهو يردّد: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، من أجل وطني... من أجل مثلي الأعلى... من أجل شعبي... الموت تضحيّة رائعة.

(طالب عبد الرّحمن) نموذج طالب المجد: لقد استغلّ ذكاءه الحادّ في الانتقام الذي يعيشه الجزائريون من معاملات فرنسا، ومن الحيْف الذي ألحقته بشعب الجزائر في أرضه، ومن تلك النّفوس الجزائريّة التي تقتل يومياً، ويرى ما تقوم به منظمّة (اليدّ الحمراء) التي أزهقت أرواح من الجزائريين في القصبة على غرار حادثة 10 أوت 1956م، التي استشهد فيها ثمانون (80) من الشّعب البريء، وما يتعرّض له المسبّلون في الطّريق، وما يتلقّاه أصحاب الدّعم من متفجّرات تقضي عليهم، بلهَ الحديث عن مئات المتفجرات التي تزرع في أماكن تزهق المجاهدين... وكان عليه أن يردّ بصناعة يتقنها. وبدأ في تحضير المادة، ويكون الرّدّ سريعاً من خلال تلك القنابل التي توضع في الأكياس، وقنابل في حقائب شابات في مقاصف الأعداء، وفي أيام الاحتفالات ومتفجّرات ضدّ الأفراد لرموز فرنسا... وكلّ هذا جعل فرنسا تعلن الحرب على صانعيها والبحث عن مدبّريها. طالب عبد الرّحمن الطّالب الشّاب الذي تخلّى عن الجامعة، ليردّ الكيل، ويصنع المجد، أصبح أسطورة في حرفة المتفجّرات وقالتّ عنه (جميلة بوحيرد) «الشّهيد الذي حيّر المستعمر بعبقريته في صنع القنابل». إنّه مثال للمجد الجزائريّ الممثّل في شبابه المفدّى.

طالب عبد الرّحمن الشّاب الرّمز: فهل نعتبر من الذي قال: الموت تضحيّة رائعة؟ هو مثل للشّباب الجامعيّ المثقّف الواعي الذي ضحّى بحياته من أجل الجزائر، شاب في عمر ثمانيّة وعشرين (28) سنة يسترخص حياته، ويستشهد من أجل أن يعيش الجزائريّ حرّاً في بلده. لا يمكن أن تحويه الموسوعة الجزائريّة، فهو أكبر منها، ومهما قدّمنا من كلمات عن معاني الفداء عند هذا

الرّمز، فإنّ المقصلة التي أعدمته لا تزال الآن تتذكّر جرائمها، وأنّ الفاعلين يبقون جُناة، وأنّ الاعتبار قائم فينا، فهل نعتبر؟ وأرى الشّباب المعاصر يقول: شباب ماتوا من أجل أن تحيا الجزائر وإنّا على نهجهم سائرون، وعلى المؤرّخين أن يُبرزوا هذه الرّموز الوطنيّة لشبيبة جزائريّة متعلّقة بأرضها من خلال حرب تحرير وطنيّة، وبخاصّة تلك الأحياء الشّعبيّة التي أخفت بيوتها وجدرانها أسراراً لا نعلمها مثل (القصبة) التي أنجبت هذا البطل الرّمز. القصبة التي كانت حصن الثّوار في المقاومات الوطنيّة، وبقيت كذلك تحمل الموروث من خلال فعل ساكنيها الذين تمرّسوا على المقاومة، وأنّ الشّعلة لا تموت، لما لها من فرسان صنعوا المجد، فمنهم من قضى نحبه مثل الرّايس حميدو، وبوزلوف، وعلي لاپوانت، وحسيبة بن بوعلي، طالب عبد الرّحمن، محمود بوحاميدي، علي الصّغير، ومنهم من ينتظر أطال الله أعمّارهم. وفي كلّ هذا، فإنّ القصبة شهدت (معركة الجزائر) التي كانت شُعلة الثّوار، وقبلة ساحة الشّهداء.

صالح بلعيد

عبد الرّحمن طالب
(1356هـ - 1939م/ 1437هـ - 2016م)

تعود جذور الشيخ (عبد الرحمن طالب) لولاية (تلمسان)، فقد ولد في بلدية (جبالة) التابعة لدائرة (ندرومة)، يوم 27 أوت 1939م، وتنتمي عائلته لعرش (أولاد حساين)، كان أبوه (أحمد بن رابح) فقيهاً متصوّفاً على (الطريقة التيجانية)، له مخطوط الأرجوزة، ووالدته اسمها السيّدة (فاطمة)، تعلّم الشيخ (عبد الرحمن) على يد والده، الذي تولّى تحفيظه القرآن بمساعدة ابنه الأكبر الشيخ (زين العابدين) الّذي كان يُنبِّت له الحفظ، ثم درس عليه مختلف العلوم الشرعية، وبخاصة علم الأخلاق والأدب، ثمّ مبادئ العقيدة وموجزًا من سيرة النّبيّ صلى الله عليه وسلم.

ورغم اشتهار عائلة (الشيخ عبد الرحمن) بالفلاحة، إلاّ أنّه فضّل الاستمرار في طلب العلم، فترك (ندرومة) وهو في سن الثامنة عشرة بعد استشارة عمّه (بن عبد الله) وموافقة والده، فانتسب إلى مدرسة (دار الحديث) بـ(تلمسان) التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فدرس علوم الآلة على الشيخ (محمد سيدي يعقوب) كالنحو والصرف، كما درس عليه الفقه المالكي، كما تتلمذ في (تلمسان) على الشيخ (البودليمي)، ثمّ انتقل إلى مدينة (سيق) بـ(معسكر)، ثمّ (سيدي بلعباس)، حيث تتلمذ على يد الشّيخ المفتي (أحمد البدوي بشير



بويجرة)، والشّيخ (بخالد بن كابو)، الذي درّس في مسجد بلعباس لأكثر من نصف قرن، رحمهم الله جميعًا. كما استفاد من العارف بالله (محمد الحافظ التيجاني المصري)، والشّيخ المحدِّث العارف بالله (سيّدي إدريس العراقي الفاسي).

انتصب لتدريس اللغة العربية بمدرسة سيّدي بومدين بـ(تلمسان) سنة (1955م)، وبعد انتقاله إلى (وهران) في أفريل سنة (1959م) أصبح معلّماً للقرآن الكريم في مسجد صهره (الحاج يحيى متوكي)، الّذي تحمّل نفقات طبع العديد من كتب الشّيخ لاحقاً.

فتح الشّيخ عبد الرّحمن مدرسة بحي (مديوني) في (وهران)، سمّاها (مدرسة السّعادة) لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين مبادئ اللّغة العربية والأناشيد الوطنية حتى عام (1962م)، وهي الفترة نفسها التي كان يقدّم فيها دروسًا في الفقه بمسجد (بن كابو) بالمدينة الجديدة، مع إمام الناس في صلاة التراويح.

بعد الاستقلال، اشتغل معلّمًا في عدد ابتدائيات (وهران) في أحياء (الضاية) و(المالح) و(العنصر) و(گديّل)، من دون أن ينقطع عن طلب العلم وتحصيله، ثمّ أصبح أستاذاً للتعليم المتوسط (الإعدادي)، فأستاذاً بثانوية (العقيد لطفي) حتى عام (1979م)، ثمّ أستاذاً في الجامعة الليلية، وأخيراً أستاذا لمادة الحديث النبوي في معهد الحضارة الإسلامية التابع لجامعة وهران.

زار الشّيخ (عبد الرّحمن طالب) العديد من البلدان للقاء مشايخها وعلمائها، وناشراً للعلم وصحيح الدين فيها، مثل: المغرب، مالي، النيجر، موريتانيا، السنغال، ساحل العاج، بوركينافاسو، نيجيريا، غينيا، ودول أخرى مثل: تونس، مصر، السودان، الولايات المتحدة، أوزباكستان، والسعودية.

الشهادات:

– شهادة دبلوم الدراسات المعمّقة في الأدب العربي، ببحث عنوانه (الكتاتيب القرآنية بندرومة).

- الماجستير في العلوم الإسلامية سنة (1988م)، عنوانها (التربية من خلال القرآن الكريم).
- الدكتوراه في علوم التربية والحديث النبوي (1995م)، عنوانها (أسلوب الرّسول التّربوي).

الوظائف التي شغلها:

- أستاذ الحديث النبوي بجامعة وهران
- عضو المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر
- عضو اللجنة الوطنية الاستشارية لترقية وحماية حقوق الإنسان

المؤلفات:

- موسوعة الأحاديث النبوية الصغرى في:14 مجلدا
- العلوم الفقهية الإسلامية من خلال الأحاديث النبوية خمسة أجزاء.
- السنة عبر العصور.
- منهجية الاستفادة من الأحاديث النبوية.
- خدمات موطأ الإمام مالك
- الكتاتيب القرآنية بندرومة دبلوم الدراسات المعمقة
- التربية من خلال القرآن الكريم لنيل شهادة الماجستير
- أسلوب الرسول التربوي لنيل شهادة الدكتوراة
- كنوز القرآن السبعة
- الأحاديث القدسية الربانية
- مصابيح السنن، فيما اتفق عليه رجال الصحيح والسنن
- خلاصة شعب الإيمان
- مراحل تدوين السنة النبوية مع أهمية جمع الأحاديث في قرص الليزر
- درء الشبهات عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
- أحاديث نبوية في الشمائل المحمدية
- السيف المسلول على الطاعنين في أجداد الرسول
- دستور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع مجلسه الاستشاري
- الإعلام بسنية الذكر بعد السلام
- حسن استغلال الأحداث البشرية والكونية
- الأنباء في شرعية رفع اليدين عند الدعاء
- المؤيد في الاحتفال بالمولد
- الأثبات في وصول ثواب القرآن إلى الأموات
- جاهلية القرن الرابع عشر
- علم اليقين في شرعية الذكر والتحديد والتلقين
- القصص النبوية وأثرها في النفوس البشرية
- البرهان في شرعية الجهر بالذكر وبالقرآن
- منهجية الدعوة الإسلامية
- حقوق وواجبات المرأة في الإسلام
- نساء حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
- ما ينبغي أن تعرفه من أحكام الصلاة
- الرحلة الإفريقية التجانية
- الرحلة الأمريكية.
- أسماء وصور
- الدلائل الشافية على أن المذاهب الأربعة والصوفية من الفرقة الناجية
- موازاة فضائل الأنبياء
- الردة أو نواقض الإيمان أعاذنا الله منهما.
- التربية النبوية الخاصة بالأفراد
- نشأة الطرق الصوفية وأهدافها المثلى
- الحكم الشرعي لعمل المرأة في جهاز العدالة
- عالم الغيب
- الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والتربية
- الأوراد التيجانية اللازمة
- تعليقات على أرجوزة النصوص القرآنية لوالدي
- خدمات وتعليقات على الحذفية لوالدي
- مقدمة لكتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان

لكن أكبر عمل قام به الشيخ الدكتور (عبد الرحمن طالب) هو (موسوعة الأحاديث النبوية الكبرى)، التي تضمّ ما يفوق200 ألف حديث نبوي، مسجّلة ببرنامج رقمي على الكمبيوتر.

كان الشيخ المُحدِّث (عبد الرّحمن طالب) تيجانيّ الطريقة كأبيه، وقد ظل في خدمة الطريقة إلى غاية مرضه، فلازم (سيّدي بن عمر التيجاني) في عهد الخليفة العام (سيّدي الطيب) المتوفى سنة (1973م). ورافق الخليفة العام الجديد (سيّدي علي) المتوفى سنة (1990م)، وصحبه في أسفاره، فكان الناطق باسمه وكاتبه الخاص، ومن أشهر الرحلات التي رافقه فيها الرحلة الإفريقية والرحلة المصرية. وفي مجال خدمة (الطريقة التيجانية) نظّم في عهد الرئيس في عهد (الشاذلي بن جديد) ملتقى دوليًا حضرته وفود من 39 دولة، وكان من جملة الحضور (عبدو ضيوف) رئيس جمهورية السنغال ما بين (1981م- 2000م).

توفي صبيحة يوم الخميس 22 جمادى الثانية 1437هـ الموافق لـ: 31 مارس 2016م، بعد مرض عضال لازمه لسنوات، ليدفن بمقبرة عين البيضاء بـ(وهران)، بجوار قبر والده الشيخ (طالب أحمد التيجاني).

حبيب بوزوادة

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

عبد الرّحمن عمراني (دحمان الحرّاشي)
(1343هـ - 1925م/1400هـ - 1980م)

عبد الرّحمن عمراني المولود في 7جويليّة من سنة 1926 بأعالي الجزائر العاصمة الأبيار تحديداً، ذو أصول شاويّة ينحدر من قريّة (جلال) جنوب ولايّة خنشلة. نشأ عبد الرّحمن الملقّب بدحمان الحرّاشي في كنف عائلة محافظة فكان أبوه مؤذّن المسجد الكبير، ترعرع في حيّ بيلام سابقاً حيّ الفداء حالياً بالحراش، الضّاحيّة الشّرقيّة للعاصمة ومنه أخذ اسم شهرته.

عاش دحمان الحرّاشي طفولة قاسيّة فعمل كأقرانه كمصلح أحذيّة وبائع تذاكر قطارت وغيرها، ولإنّه كان يحلم بالأفضل قرّر الحرّاشي الاغتراب وسافر الى فرنسا ليستقرّ بمدينة ليل وهو في سنّ 22، عمل هناك في عدّة مجالات وكان يؤدّي أغاني الشّعبي أمام أصدقائه أثناء العمل فأعجبوا بصوته وغناءه كثيراً.

كان دحمان الحرّاشي يتردّد على عديد المقاهي بفرنسا لرؤيّة الفنّانين والموسيقيين الكبار الذين كانوا يقدّمون أعمالهم فيها مثل (قدور شرشالي وموح الصّغير الأعمى) الذين استحدثوا بذكاء فكرة إحياء حفلات غنائيّة في المقاهي حيث كانوا يغنّون للمغتربين الجزائريّين والعرب هناك وهكذا تكوّن هذا الكنز التّراثيّ الثّمين من هذه الأغاني.

- أصبح دحمان الحرّاشي يعزف على آلة البونجو مع مجموعة من الفنّانين الجزائريين لينصحه فيما بعد الفنّان (ميسوم) بالتّوقّف عن العزف على آلة البونجو والتي تعدّ كآلة مرافقة والعزف بدلاً عنها على آلة المندول وهي النّصيحة التي أخذ بها وطوّر من موهبته وأبدع في العزف عليها بلمسة سحريّة تجلب لها كلّ سامع ومحبّ. شاءت الصّدف أن يعود الفنّان قدور شرشالي إلى الجزائر تاركاً وراءه فراغاً في الفرقة الموسيقيّة ليُطلب من دحمان الحرّاشي ملء هذا الفراغ وتعويضه فاكتشف النّاس هذا العازف الموهوب ذا الأنامل الذهبيّة المميّزة. ليشقّ بعدها الحرّاشي طريقه في الغناء مجسّداً ولعه به بأداء راقي وصوت



متميّز وبحّة دافئة في المقاهي دائماً، إلى أن اقترح عليه صديقه (صالح السّعداوي) تسجيل أغنيّة احترافيّة واقترحه على المدعو (الحبيب حشلاف) الذي اتّصل باستديو (باتيه ماركوني) وكان ذلك سنة 1951م رفقة (محمّد سعيد بلعيد) وحقّقت الأسطوانة نجاحاً كبيراً في المهجر.

أحدث الحرّاشي ثورة في الطّابع الشّعبيّ العاصميّ وأعطاه رونقاً خاصّاً وبصم بفنّه في قلوب الملايين، إذ كان مجدّداً للقصيدة وكان يرتجل الأغاني ويعيدها على طريقته الخاصّة فكان يؤلّف موسيقى وكلمات مختلفة ويعطيها لمسة خاصّة به بعيدة عن كلّ ما اعتمده وأسّس له الحاج محمّد العنقا في أربعينيّات القرن الماضي بحيّ القصبة العتيق في مدينة الجزائر، والذي أصبح من التّراث الموسيقيّ الجزائريّ بعد أن خلّده أعمدة الفنّ وجعلوا منه صوتاً يمثّل الشّعب إذ إنّه يُحاكي ويصف الواقع المعاش ليتمكّن هذا الفنّ في الأخير من كسب قاعدّة جماهيريّة شعبيّة واسعة..

كانت أغاني الحرّاشي تتميّز بأسلوب جميل ومتفتّح، استطاع تسجيل أكثر من مئة أغنيّة وقصيدة من جميع الطّبوع الأندلسيّة والشّعبيّة والتي بقيت خالدّة وخطّت اسمه بأحرف من ذهب في سجلّ الأغنيّة الشّعبيّة الأصيلة إذ يعدّ من أهمّ روادها شأنّه شأن الحاج محمّد العنقا، الهاشمي قروابي، بوجمعة العنقيس... وغيرهم الذين كان شديد التّأثّر بهم، وكان غالباً ما يُفضّل العزلة والبقاء وحيداً عندما يؤلّف الموسيقى أو يكتب النّصوص. من بين أغانيه نذكر: (خليوني التي غنّاها سنة 1956)، (غير اللي يحب صلاحو)، (خبي سرّك يا الغافل)، (حاسبني وخود كراك)، (زوج حمامات)، (والله ما دريت بالغدرة)، (الحجلة)، وعديد الأغاني التي كتبها في ديار الغربة والتي تعبّر عن صعوبة العيش خارج الوطن فكان خير سفير لها كأغنيّة (بلاد الخير) التي كانت تصف شوقه وحنينه للعودة إلى الجزائر وأغنيّة (بهجة بيضة ما تحول) التي تصف شوارع وأحياء العاصمة. كما تناول عدّة مواضيع اجتماعيّة لا يجسّدها إلّا الكبار كالتّسامح بين الأفراد، الخيانة والصّدق وعالج موضوع الآفات الاجتماعيّة كالخمر والمخدرات. عاد الحرّاشي إلى أرض الجزائر في منتصف السّبعينات وكان الفنّان رقم واحد من حيث الطّلب في الحفلات في القاعات الكبيرة والمسارح الجزائريّة والأعراس وأصبحت أغانيه تذاع بشكل أكبر عبر الإذاعة والتّلفزيون الجزائري فالشّعب آنذاك كان متعطّشاً لكلّ ما يُدخل البهجة في نفسه بعدما عانى وتعب من ويلات الاستعمّار. كما كان محبّاً لكرة القدم ومتتبّعاً لأخبارها ومشجّعاً لفريق اتّحاد الحراش وأهداه أغنيّة من تأليفه.

صوّر الحرّاشي لظاهرة الهجرة وهو الذي ذاق مرارتها من خلال فيلم تمثيلي غنائي جزائريّ (صحّا دحمان) للمخرج الجزائري (سليم بلقاضي) أدّى فيه دور البطولة وصوّر واقعه كفنّان الأغنيّة الشّعبيّة وتوزّعت الأدوار بين رفاقه المقرّبين وجيرانّه ومثّلوا جميعاً قصّة حياة دحمان من تاريخ مغادرته وحتّى عودته إليها، ويعترض خلاله على أحد أصدقائه الذي صمّم على الهجرة بحثاً عن ظروف معيشيّة أفضل، وغنّى خلاله إحدى روائعه أغنيته المشهورة (يا رايح وين مسافر) التي جابت أرجاء العالم وحقّقت نجاحاً كبيراً وتمّت ترجمتها إلى عدّة لغات أجنبيّة وغنّاها العديد من الفنّانين العرب وغيرهم ولازالت تغنّى من جيل إلى جيل وأصبحت كلماتها وألحانها جزءاً من ثقافة وتراث المغرب العربيّ.

يارايح وين مسافر تروح تعيا وتولّيى
شحال ندموا العباد الغافلين قبلك وقبلي
شحال شفت البلدان العامرين والبرّ الخالي
شحال ضيّعت وقات وشحال تزيد مازال تخلّي

توفّي فنان الأغنيّة الشّعبيّة الظّاهرة دحمان الحرّاشي عصر يوم السّبت بتاريخ 31 أوت من سنة 1980 إثر حادث سيارة عن عمر يناهز 55 سنة بضواحي باينام بالجزائر العاصمة، الأمر الذي خلّف صدمة لعائلته ومحبيه وللأسرة الفنيّة ككلّ، يبقى المُبدع والمميّز الحرّاشي أحد القامات الخالدّة في سماء الفنّ الجزائريّ الأصيل الذين أوصلوه للعالميّة، تاركاً وراءه موروثاً فنيّاً كبيراً يبقى خالداً للأبد، كاسباً لرهان الغناء الشّعبي ومحقّقاً بذلك معادلة صعبة في التّلحين والغناء الأصيل والعزف المميّز.

أمال روابح

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

عبد الرحمن فارس
(1329هـ - 1911م/ 1412هـ - 1991م)

ولد عبد الرحمن فارس في 31 جانفي 1911 أومالو ـ آقبو ولاية بجاية حاليا، ينحدر من عائلة فارس التي تنتمي إلى الجد الأعلى سيدي احمد بن يحيي العيدلي (من الأشراف)؛ زاد من شرفها أنها تصاهرت مع عائلة بهلول التي تنتمي بدورها، إلى الجد سيدي بهلول ابن عاصم، بزواجه من ابنة سيدي يحيي العيدلي. توفي والده وهو لم يجاوز السادسة من عمره، فكفله جده الذي كان محضرا قضائيا في قصر العدالة في بجاية، فأحسن تربيته وتعليمه، ظهرت بواكير النبوغ عند التلميذ عبد الرحمن منذ مرحلة التعليم الابتدائي؛ حيث نجح في دراسته نجاحا مرموقا انتهى بحصوله على الشهادة الابتدائية. وبموجب هذه الشهادة تحصل على منحة بسيطة مكنته من متابعة الدراسة في (المدرسة المختلطة) في بجاية، (متوسطة عمور عبد القادر - حاليا)، وفي نهاية السنة الدراسية، وجد نفسه مضطرا إلى مساعدة جده، الذي أحيل على التقاعد في تلك الأثناء؛ فاشتغل في مكتب التوثيق التابع للموثق الفرنسي (پوانيون/ Poignand) بمدينة آقبو. وفي نفس الوقت تابع الدراسة بالمراسلة، في المدرسة العليا للتوثيق، بباريس.

بدايات نشاطه المهني، وفي سنة 1931، ونظرا إلى جديته وإتقانه لعمله، اقترح عليه الموثق (پوانيون/ Poignand) الذي كان قد عين، لتوّه، في الجزائر العاصمة بنفس الصفة – أن يرافقه للعمل معه في مكتبه



الجديد. وافق على الفور، نظرا لاحتياجه لذلك. يقول في مذكراته "حرصا مني على توفير بعض المال للاستمرار في مساعدة جدي،،." (المذكّرات).

سجل نفسه في كلية الحقوق بجامعة الجزائر، فحصل على شهادة الكفاءة بتفوّق؛ وهي التي سمحت له بالمشاركة في مسابقة سلك المحضرين القضائيين وكتاب محاكم الصلح. نجح في المسابقة، وعيّن محضرا قضائيا في مدينة سطيف، ولم يقض أكثر من شهرين في الوظيفة الجديدة حتى قدم استقالته لسبب إنساني؛ فقد كلف يوما بتنفيذ حكم بغرامة قيمتها 200 فرنك فرضت على مواطن يسكن في الريف، بسبب أنه جمع بعض الحطب من الغابة. وعند الوصول إلى مسكن المواطن المطلوب، شاهد الحالة المزرية التي كان يعيشها هذا المواطن مع عائلته، فأصيب بالذهول ولم يتحمل هول الموقف. قرر الرجوع إلى المدينة دون أن ينفذ الحكم. ومباشرة توجه إلى مركز البريد حيث حوّل مبلغ الغرامة إلى إدارة المياه والغابات، وأرسل وصل الدفع إلى المواطن المعني. وفي اليوم الموالي قدم استقالته، وبعد ذلك، عمل كموثق عقود في قرية سبدو – ولاية تلمسان، ثم ـ بعد أن نجح في مسابقة الموثقين ـ عين موثقا في مدينة القل. وأخيرا عيّن بنفس الصفة، في مدينة البرواگية، وفي هذا المنصب الجديد طالت إقامته نوعا ما، الأمر الذي سمح له بتأكيد كفاءته في العمل، وبروز شخصيته في الميدان المهني؛ ومن ثم تكونت له علاقات اجتماعية واسعة، جعلت منه إحدى الشخصيات الناجعة والمرموقة، في الناحية.

وبالرغم من أن مهنة الموثق لا تترك عادة الوقت الكافي لممارسة أي نشاط آخر، لكن الموثق عبد الرحمن فارس، صاحب الشخصية الفذة، قد انفلت من هذه القاعدة، وبقيَ على اتصال ومعرفة بما يجري في محيطه السياسي والاجتماعي، الذي عرف آنئذ أحداثا سيكون لها صدى كبير، ونتائج بعيدة المدى في تاريخ الجزائر. إنها سنة 1945، التي شهدت أحداثا عرفت فيما بعد بأنها الشرارات الأولى لثورة التحرير الوطني؛ ففي هذه السنة شهدت مدينة قصر الشلالة اصطدامات بين المواطنين وأعوان الإدارة الاستعمارية، وعرفت كذلك مظاهرات أول ماي في الجزائر العاصمة، ثم مجازر الثامن من نفس الشهر في سطيف وخراطة وگالمة، وغيرها من المدن الجزائرية، واستقبل في

هذه السنة، اثنين من الشخصيات الجزائرية المشهورة، وهما السيد فرحات عباس وبعده بأسبوع الشيخ الجليل البشير الإبراهيمي (كما يعبرّ هو نفسه)، اللذان نزلا عنده في استراحة نصف الطريق، ليواصلا طريقهما، بعد ذلك، إلى قصر الشلالة في زيارة لمصالي الحاج، الموضوع تحت الإقامة الجبرية في هذه المدينة.

ونزولا عند رغبة الكثيرين من أصدقائه في الناحية، بمن فيهم سعد دحلب ابن مدينة الشلالة (العضو البارز في حزب الشعب فيما بعد)، خاض عبد الرحمن فارس غمار العديد من الانتخابات، الخاصة بالمجالس التمثيلية؛ ومنها المجلس الوطني التأسيسي (انتخابات 1945) وكذلك المجلس الجزائري الذي أنشئ بموجب قانون 20 سبتمبر 1947.

عند قيام الثورة التحريرية، وجد نفسه مباشرة في الواجهة. كانت له اتصالات في الجزائر العاصمة، مع شخصيات من القادة: ومنهم عبان رمضان والعربي بن مهيدي وبن يوسف بن خدة (أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ - 56 – 57).

انتقل إلى باريس وواصل نشاطه مع هيئات اتحادية جبهة التحرير الوطني في فرنسا. وكان آخر نشاط له هو المساهمة في شبكة الدعم المالي في فرنسا (جمع الاشتراكات والمساعدات وتمريرها إلى هيئات الجبهة).

اعتقلته السلطات الفرنسية في باريس يوم 04 نوفمبر 1961 بتهمة «المساس بأمن الدولة» وأودع سجن فراين Fresnes بفرنسا؛ وأفرج عنه يوم 19 مارس 1962 مباشرة بعد إعلان وقف إطلاق النار.

عبد الرحمن فارس رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة، وتم تعيينه، باتفاق مشترك بين جبهة التحرير ودي غول، رئيسا للهيئة التنفيذية المؤقتة، وهي عبارة عن (حكومة مصغرة)، أنشئت تطبيقا لـ"اتفاقيات إيفيان". وكان مقرها في (روشينوار)، بومرداس حاليا، كانت الهيئة مكلفة بمهمتين اثنتين: ضمان سير الشؤون العامة في الجزائر بما في ذلك الأمن العمومي، خلال الفترة الانتقالية، وتهيئة الاقتراع حول تقرير المصير.

– عبد الرحمن فارس زعيم المرحلة.

سبقت الإشارة إلى إن اللجنة كان لها مهمتان اثنتان: ضمان سير الشؤون العامة والأمن العمومي في الجزائر، وتهيئة الظروف لإجراء الاقتراع. لكن الهيئة بقيادة عبد الرحمن فارس، وجدت نفسها تواجه تحديات عويصة برزت فجأة؛ وتمثلت فيما يأتي:

– منظمة الجيش السري الإرهابية.

شنت هذه المنظمة الإرهابية (مباشرة بعد توقيع الاتفاقيات) حربا ضروسا ضد الجميع: المجازر والاغتيالات التي لم ينج منها الجزائريون ولا الفرنسيون؛ كذلك تخريب المؤسسات والمرافق الحيوية في الجزائر.

وقد بادر عبد الرحمن فارس بمعية شوقي مصطفاي (رئيس فريق ج ن و)، بعملية تفاوض شكلية مع زعماء هذه الأخيرة، كطريقة لربح الوقت، بحيث وصل موعد إجراء الاقتراع، فانكسرت شوكتها.

– مشكل فلول الحركات المناوئة لجبهة التحرير الوطني.

وتمثلت في منظمتين تابعتين لـ «الحركة الوطنية الجزائرية»، وهما حركة الكولونيل سي الشريف بقوة تعدادها 850 رجلا مسلحا، متمركزين في منطقة عين بوسيف؛ وحركة المدعو عبد الله سالمي الذي كان على رأس 800 رجل متمركزين في منطقة بوسعادة. وبفضل حكمة عبد الرحمن فارس، تم استسلام جميع من ذكروا بدون إراقة قطرة دم واحدة.

– الفتنة الطارئة في قمة قيادة الثورة.

طرأت هذه الفتنة في أعقاب المؤتمر الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في طرابلس. وكان السبب المعلن لهذه الفتنة يدور حول تركيبة المكتب السياسي المقبل لجبهة التحرير الوطني. وقد نجم عن هذا الخلاف فراغ كامل في تسيير الأمور المستعجلة. الأمر الذي جعل عبد الرحمن فارس يضطر لمواجهة الوضع، في غياب السلطة الشرعية، وهي الحكومة المؤقتة.

وفعلا، فقد تمكن عبد الرحمن فارس، بمساعدة أعضاء هيئته، من إنجاز الاقتراع الذي تم يوم 01 جويلية 62 وأعلنت النتائج يوم 03 جويلية؛ لكن بقي أمر تسليم السلطات معلقا، إلى يوم 27 سبتمبر 1962، حيث تم ذلك في جلسة الجمعية الوطنية التأسيسية برئاسة المرحوم عباس فرحات.

يقول بعض المؤرخين إن عبد الرحمن فارس هو أول رئيس فعلي للجزائر، لأنه تكفل بتسيير شؤون الجزائر من تاريخ 03 جويلية إلى 27 سبتمبر 1962.

لكن الشيء الذي سجله التاريخ لعبد الرحمن فارس، هو الكفاءة والاقتدار في حسن قيادة الهيئة، وكذلك القدرة الخارقة على حل المعضلات التي اعترضت سبيل عمل الهيئة، بحيث أرسى سفينة الجزائر على شاطئ الأمان، بالضبط كما قرر لها في اتفاقيات إيفيان.

انتخب عضوا في المجلس الوطني التأسيسي المذكور. ونتيجة لخلاف له مع بن بلة تم إبعاده إلى الصحراء من 07 جوان 1964 إلى 07 جوان 1965.

توفي في 13 ماي 1991 عن زوجة وأربعة أولاد (ثلاثة ذكور وبنت)، ودفن في مقبرة العالية بالجزائر.

رحمه الله برحمته الواسعة.

عبد الله عثامنية

المصادر:
– بن يوسف بن خدة، اتفاقيات إيفيان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
– عبد الرحمن فارس، الحقيقة المرّة (مذكرات سياسية 1945–1965، دار القصبة.

عبد الرّحمن كيوان
(1344هـ - 1925م/1436هـ - 2014م)

ولد المناضل عبد الرّحمن كيوان في الجزائر سنه 1925، بشارع مارانغو سابقا (عرباجي اليوم)، حيث نشأ فيه كما نشأ أجداده، وكان يعرف في الاربعينات باسم (لدوزيام) أي الدائرة الثّانية، وعندما نزل الأمريكان بالجزائر سنة 1942 ،يدّعون في مناشير تحمل وتوقيع إيزنهاور أنهم يحملون الحرية، في تلك الأثناء سمع عبد الرّحمن كيوان بعض أصدقائه يتحدثون عن منظمة من الشّباب تعد العدة لاستقلال الجزائر بواسطة العمل المسلح، وكان آنذاك يلتقي عند الحلاق محمود بن حداد برجل هادئ وناضج وذكي هو حسين عسلة، وكان كثير الاهتمام به وكان كيوان يومئذ طالبا في الثّانوية فيناقشه، ويساعده على فهم الحالة السّياسية للجزائر، وتوعيته بخطورة المستعمر، وضرورة التوحد والمناضلة في سبيل استقلال الجزائر، وكان "عسلة" يسلمه أحيانا صحيفة سرية مطبوعة بوسائل بسيطة هي "العمل الجزائري" وأحيانا مناشير يطلع عليها، وفي نفس الوقت لاحظ هذا الشّاب أن العديد من زملاء دراسته بشارع طولون يحملون الفكر السّياسي نفسه للمناضل "عسلة"، وهكذا انخرط في صفوف حزب الشّعب الجزائري.

وكانت المهمة الاولى وهي المهمة الاساسية للمناضل في تلك الفترة أن يساهم في دعم التنظيم الحزبي بأعمال الشّرح والدعاية في وسطه، وكان هذا الوسط بالنّسبة إليه هو الثّانوية، ويومئذ كانت هناك بعض الثّانويات والمعاهد الموزعة عبر الجزائر تضم بضع مئات من الجزائريين الذّين كانوا يعرفون بالمسلمين وهم أقلية قليلة، ومع ذلك فقد تلقى كيوان تشجيعا من الحزب لتكوين جمعية التلاميذ المسلمين بثانويات ومعاهد الجزائر، فعقد الجمعية العامة التأسيسية بنادي الترقي، حيث انتخب كيوان مسؤولا عن الجمعية التي سرعان ما أصبح لها فروع بأهمّ المؤسسات الثّانوية، وكانت الجمعية سببا في انضمام الكثير من التلاميذ إلى صفوف الحزب، ولما انتقل عبد الرّحمن كيوان بعد ذلك إلى جامعة الجزائر فرع الحقوق، قرر الفرع الطّلابي للحزب بالجامعة احتواء جمعية الطّلبة المسلمين بغية التنسيق مع الطّلبة المغاربة والتونسيين والدستور الجديد، وتم انتخاب عبد الرّحمن كيوان أمينا عاما للجمعية، ونظرا لعمله النّضالي في أوساط الشّعب، ومواقفه المناصرة للاستقلال وحزب الشّعب، قامت الشّرطة الاستعمارية بصبّ جام غضبها على نادي الطّلبة، وكان النّادي وقتها يعيش حيوية نادرة بسبب المناقشات السّياسية التي كان يحتضنها، وفي الوقت ذاته شرع عبد الرّحمن كيوان في تكوين النّواة الأولى لاتحاد يجمع شمل الطّلبة، وقد أصبح فيما بعد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كما بدأ يعمل على تأسيس الاتحاد الاسلامي لطلبة المغرب سنة 1951 في مؤتمر الطّلبة المغاربة بتونس، دخل سلك المحاماة سنة 1947، وبعد سنة كان من الطّبيعي أن يكلفه الحزب بالدفاع عن العديد من المناضلين الموقوفين بتهمة المس بأمن الدولة الخارجية (المادة 80 من قانون العقوبات الفرنسي). وكان معه يومئذ فريق من المحامين الجزائريين من بينهم عمار بن تومي، وبالإضافة إلى مهمة الدفاع كلفه الحزب أيضا بضمان الاتصال مع المساجين السّياسيين، وهكذا كان عبد الرّحمن كيوان أول محامي أرسل من قبل الحزب لمساعدة المناضلين الموقوفين إثر اكتشاف المنظمة الخاصة ابتداء من أفريل 1950، وقد لاحظ يومئذ اثار التعذيب الذّي سلطته الشّرطة الاستعمارية على المعتقلين، فكان يقوم بمهمة الاتصال بمناضلين عبر أهم المعتقلات: عنابة وقسنطينة وتيزي وزو البليدة والجزائر والأصنام ووهران، وكذلك نقل تعليمات الحزب التي كانت تطبق بها، كما رشح الحزب سنة 1948 عبد الرّحمن كيوان في انتخابات (المجلس الجزائري) عن دائرة برج بوعريريج، لكن عمليات القمع والتزوير التي كانت تتم تحت إشراف الوالي العام (نيجلان)، مما اكد قناعته بأنّ الاستعمار غير قابل للتغيير في جوهره.

وبعد حوالي سنة تم تعيينه في اللجنة المركزية، مما جعله يحتك عن كثب بما يجري داخل الحزب، وفي سنة 1954 أصبح عبد الرّحمن كيوان عضوا في القيادة ومسؤولا عن اللجنة المركزية للدعاية والاعلام.

وغداة المؤتمر الثّاني لحزب الشّعب حركة انتصار حريات الديمقراطية، تم تعيين كيوان مجددا في اللجنة المركزية وفي القيادة كما عيّن في أمانة الحزب رفقه بن يوسف بن خدة وحسين لحول، وفي مارس 1954 اجتمع بعض المسؤولين منهم لحول، وعلي عبد الحميد، ودخلي، وبن بولعيد، محمّد بوضياف، وقرروا إنشاء حركه مهمتها رأب صدع القاعدة النّضالية وعقد مؤتمر يعيد للحزب وحدته، هذه الحركة هي اللجنة الثّورية للوحدة والعمل، وهي التي أسست صحيفة (الباتريوت) (الوطني)، والتي كانت تمولها اللجنة المركزية.

لكن ابتداء من ماي، بدأت اللجنة الثّورية تكتسي طابعا آخر بعد أن اتصل بوضياف من جهة بأعضاء سابقين في المنظمة الخاصة، ومن جهة أخرى بالبعثة الخارجية للحزب في القاهرة، فقد أصبحت اللجنة تدعو إلى العمل المباشر الفوري بنية استفزاز إدارة الاحتلال وجعلها تسلط قمعها على أنصار مصالي واللجنة المركزية، مما يحقق وحدة الحزب من جديد تحت طائلة القمع، فإذا لم يلتحق الشّعب بالعمل المباشر ستكون النّتيجة "عملية انتحارية" أي نهاية مشرفة للمناضلين.

وحاولت اللجنة المركزية إقناع أنصار العمل مباشرة بتأجيل العملية بضعة أشهر من أجل جمع شمل المناضلين وتوفير الوسائل الضّرورية للقيام بعمل أكثر تنظيما غير أنّ اللجنة الثّورية انفصلت في النّهاية عن مؤسسها، وهكذا ظهرت مجموعة 22 او 21 (كلو صلامبي) (المدنية)، ثم مجموعه السّتة، وفي أكتوبر 54، كان القرار النّهائي ببدء الكفاح المسلح في الفاتح نوفمبر، وجاء

نداء جبهة التحرير الوطني إيذانا بمبادرة مناضلين من حزب الشّعب - حركة الانتصار إلى تفجير الثّورة التحريرية التي عمل الحزب من أجلها سنوات طوالا وتحمل في سبيلها تضحيات جساما، وفي نهاية الأمر ها هو الاتحاد الوطني يتحقق في إطار جبهة التحرير الوطني، وقد انضم عبد الرّحمن كيوان الى جبهة التحرير في سبتمبر 1955، والتحق بالقاهرة للعمل في الحقل السّياسي والدبلوماسي للجبهة وذلك لغاية الاستقلال.

وبعد الاستقلال، شغل عبد الرّحمن كيوان عدة مسؤوليات إدارية في خدمة البلاد إلى غاية أفريل 1976.

توفي رحمه الله سنة 2014 عن عمر ناهز 89 سنة.

رابح دوب

المصادر:

- محمّد عباس: رواد الوطنية، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

عبد الرّحمن ميرة
(1340هـ - 1922م/1378هـ - 1959م)

ورد في تقرير المنظمة الوطنيّة للمجاهدين، بولايّة بجاية، في الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ ثورة التّحرير عن سنتي: (1955م1956-م) ما يلي:

((والشّهادة التي نقدّمها للتاريخ، أنّ المجاهد الشّهيد عبد الرّحمن ميرة، الضابط السّامي، المكنّى بنمر الصّومام، الّذي سقط في ميدان الشّرف سنة 1959م، في خضمّ عمليات المناظير Jumelles الّذي كان له دور أساسيّ على مسرح النّشاط العسكري، والتّنظيمي، والسّياسي، في هذه الولايّة، قد نظّم وجماعة من المجاهدين الأوائل، نشاطاً عسكريّاً مع انطلاقة الثّورة يوم 02 نوفمبر 1954م، حيث قاموا بقطع وتخريب أعمدة الهاتف بين تازمالتّ ومشد الله (مايو) وامتدّ هذا النّشاط وعمّ مختلف مناطق الصّومام)).

عبد الرّحمن ميرة، المعروف بالرّائد ميرة، أو بنمر الصّومام، أو كما سمّاه الفرنسيّون: الرّجل ذو الكلب، رُقي إلى رتبة عقيدٍ بعد وفاته اعتباراً للمهام أو المسؤوليات الممارسة خلال فترة ثورة التّحرير الوطنيّة، اعترافاً له بقيادة الولايّة عقيداً، وفقاً لقرار لجنة التّصديق رقم 3649/ ل.ت المؤرّخ في 02 ديسمبر 1997م، المطابق لقرارات مؤتمر الصّومام، الصّادر عن وزارة المجاهدين.

وُلد شتاء سنة 1922م، لأبويه: محند أمزيّان، وشريفي ججيقة، بقريّة بوندا ولايّة برج بوعريريج حالياً، حيث حلّ والدّاه بها لجني الزّيتون بأرضٍ تخصّهما لدى جزءٍ من عائلتهما المتمركزة هناك، قادمين إليها من قريّة ثاغالاط ببني مليكش بولايّة بجاية الموطن الثّاني لهما.

نشأ يتيم الأب في كنف أحد أقربائه، ثمّ بعد أعوامٍ من ذلك التّحق بأخيه اعمر الأكبر منه سنّاً، بعنّابة، ومن عنّابة إلى فرنسا مهاجراً، في سنّ الثّامنة عشر، بعد أن أدّى خدمته العسكريّة سنة 1939م بمليانة، واشتغل في فرنسا بضواحي فورباك بمنجمٍ للحديد، ثمّ لم يلبث أن انتقل إلى مدينة نانسي للعمل فيها، ومنها إلى مدينة باريس، واستطاع - بعد لأيٍ - أن يشتري فيها، بمبلغٍ مالي تحصّل عليه من بيع أخصب قطعةً أرضٍ يمتلكها في الجزائر، محلاً تجاريّاً في Bd Félix Faure رقم 42 AUBERVILLIERS الّذي جعله لاحقاً مقرّاً للاجتماعات السّريّة، رئيساً لخليّة من مناضلي حركة انتصار الحريّات الدّيمقراطيّة (MTLD) التي كان ينتمي إليها، منهم العقيد آيت حمودة عميروش ومناضلين وأصدقائه.

له بعض الإلمام باللّغة العربيّة، وله إلمام أكثر باللّغة الفرنسيّة.

عندما نزل بفرنسا مهاجراً، اختلط بأخيار المناضلين من الطّبقة الكادحة، واحتكّ بأفضلهم وطنيّة وأشدّهم حماسةً، فانخرط فوراً في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطيّة سنة 1947م فجعل يناضل وإيّاهم بصدقٍ وإخلاصٍ ونزاهةٍ، دفاعاً عن القضيّة الوطنيّة.

تنبّه ضميره من سباته، واستيقظ، إثر حوادث 08 ماي 1945م، وتأجّجت وطنيّته. وهو لفي ذلك الجهد الجهيد من النّضال المتواصل حتّى ظهرت للوجود جبهة التّحرير الوطني، المناديّة بتحرير الجزائر بالكفاح المسلّح، وحينئذٍ انسلخ سريعاً من حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطيّة لينضمّ إليها.

ظلّ مثابراً على التّحضير لثورة التّحرير الوطنيّة، ومجتهداً للإعداد لها، بكلّ جوارحه، ولم يمنعه اغترابه بفرنسا من بثّ خُلّص رجاله، ببجاية وجوارها. وطالما كان واسطة اتّصالٍ بين كبار المناضلين بفرنسا والجزائر، ذهاباً وإيّاباً، من وإلى فرنسا، حتّى إذا اكتمل الإعداد لها، عاد إلى الجزائر في الأشهر الأخيرة من سنة 1954م لمباشرة العمل المسلّح، وقد التّقى إثر عودته من فرنسا عبّان رمضان، وكريم بلقاسم، ومحمّد بوضياف، ومحمّدي السّعيد، ومراد ديدوش، وغيرهم، ومن ثمّ راح ينطلق ورجاله في إحداث عمليات تخريبٍ لمنشآت العدوّ الفرنسي، مُلْحقاً به أفدح الخسائر في الأرواح والعتاد، بمناطق مختلفة من وادي الصّومام وما جاورها، وكذلك فعل أمثاله في عموم الوطن، وكانت بحقٍّ ثورةً شعبيّة عارمةً شاملةً.

وحدث أثناء تنقّل كبار قادة الثّورة بالمنطقة، إعداداً لمؤتمر الصّومام، أن نزل عنده ضيوفاً كلٌّ من عبّان رمضان، وكريم بلقاسم، واعمر أوعمران، ومحمّدي السّعيد، ومحمّد بوقرة، والعربي بن مهيدي، وعميروش، وآخرون.

وفي الغد من ذلك وقعوا جميعاً في كمينٍ قريبٍ من مدينة تازمالت، وجُرِح فيه العقيد اعمر أوعمران، فيما فرّت البغلة بما على متنها من الوثائق والأموال إلى جهةٍ مجهولةٍ.

انعقد المؤتمر بعد بضعة أيّامٍ من ذلك، في مكانه وموعده المحدّدين له (20 أوت 1959م بإفري أوزلاقن) في ناحيّة تابعةٍ لقيادة ميرة، حيث كُلّف كلٌّ من ميرة وعميروش - كلٌّ في ناحيته - بمناوشة القوّات الاستعمّاريّة عسكريّاً ومواجهتها في كلّ مكانٍ بعيداً عن مقرّ المؤتمر، لصرف النّظر عنه.

عبد الرّحمن ميرة على رأس الولايّة السّادسة

ما إن رُقِي إلى رُتبة رائدٍ - بعد مؤتمر الصّومام - حتّى استُعْجِلَ على رأس قوّةٍ من الجندِ إلى استخلاف العقيد علي ملاّح على قيادة الولايّة السّادسة (الصّحراء) الّذي اغتيل مع اثنين من مساعديه: الرّائدان روجي الشّافعي واحسن لعروس على أيدي جماعة الخائن الشّريف بن سعيدي، المنتميّة إلى (MNA) الأمر الّذي جعل ميرة يُحارب على جبهتين: الفرنسيّين والمصاليّين في آنٍ واحدٍ، وفي أرضٍ لا يعرف عن تضاريسها ولا عن خصوصياتها شيئاً. وبعد بضعة أشهرٍ من القتال الشّرس عاد إلى الولايّة الثّالثّة، بأمرٍ من العقيد السّعيد محمّدي، وخلفه في منصبه العقيد أحمد بن عبد الرّزاق (الحواس) وهو من أبناء المنطقة. وقد تقرّر إرساله من بعد ذلك إلى تونس ليشغل منصب مفتّشٍ عامٍ لجيش التّحرير الوطني على الحدود الجزائريّة التّونسيّة، والجزائريّة الليبيّة، بصفته عضواً في مجلس الثّورة.

وقد تمكّن من الرّبط بين الولايات الثّانيّة والثّالثّة والخامسة بالقرب من بوسعادة سنة 1956م، ما جعل كبار المسؤولين يمنحونه أوّل وسام للمقاومة عن جدارةٍ واستحقاق.

ظلّ يتنقّل بين تونس وليبيا - في إطار مهمّته - إلى أن تقرّرت عودته إلى الجزائر لقيادة الولايّة الثّالثّة سنة 1959م لأشهرٍ معدودةٍ نائباً للعقيد سعيد يازوران القائد الفعلي للولايّة الّذي لم يتمكّن من الدّخول إلى الجزائر.

عبد الرّحمن ميرة يصل إلى الولايّة الثّالثّة التّحق بمنصبه في أفريل 1959م، وألفى من بقي من المجاهدين على قيد الحياة، مضعضعين، وفي حالةٍ من الهلع وفقدان الثّقة لا يُحسدون عليها. لقد ساءت الأوضاع في الولايّة جملةً وتفصيلا، نتيجةً للتصفيات الجسديّة لأعدادٍ هائلةٍ من زملائهم المتّهمين بالانتماء إلى مؤامرة الزّرق المزعومة، التي حاكت خيوطها المصالح السّريّة الفرنسيّة.

حقّاً، كان الوضع الأمني في الولايّة مأساويّاً، حاول أن يتدارك ما استطاع أن يتداركه من الأمور، فبادر إلى إبطال ما أقرّه عميروش في أمر الزّرق والزّواج وغير ذلك، فأطلق سراح زهاء 400 عنصرٍ. ممّن كانوا تحت طائلة التّعذيب في انتظار إعدامهم، لإعادة الثّقة إليهم، والغريب في الأمر أنّ المُفرج عنهم قد مات أكثرهم شهداء، فيما واصل غيرهم الكفاح المسلّح حتّى الاستقلال

وفيما هو قائم على تنفيذ إصلاحاته العسكريّة وغيرها، قوبِل بمعارضةٍ قويّة من العقيد محند ولحاج وجماعته. وأساس الخلاف بينهما أنّ العقيد محند ولحاج قد رأى نفسه هو الأجدر بقيادة الولايّة نيابةً عن العقيد عميروش، فيما رأى ميرة نفسه كذلك هو الأجدر بقيادتها لكونه معيّناً لها من تونس، ولأنّه أيضاً هو الأقدم في الرّتبة والنّضال، مع أنّ عميروش كان قد أمر محند ولحاج بالتّنازل عن قيادة الولايّة لميرة في رسالة وجّهها له في 22 مارس 1959م وكذلك فعل في رسالة مماثلة أرسلها إلى لجنة الولايّة. وبرز في خِضمّ هذا الخلاف ما يُسمّى بضبّاط الأحرار بقيادة علاوة زيوال، وصادق فرحاني، ومحمّد بن يحيى، هؤلاء الضبّاط قرّروا في اجتماعٍ لهم بأكفادو يومي 14 و16 سبتمبر 1959م عدم الاعتراف بمحند ولحاج وميرة، وفي مقابل ذلك قرّر ميرة قتالهم حتّى النّهايّة.

ففي خضمّ هذه الأحداث الخطيرة، النّاشبة بينه وبين خصومه، سقط شهيداً مساء يوم الجمعة 06 نوفمبر 1959م بشلاطة شمال أقبو، في كمينٍ منصوبٍ له بإحكامٍ بقيادة النّقيب تريگي TREGUER.

وإثر ذلك، نُقِلَ جثمانه إلى مركز تيزي نصليب العسكري، على ظهر حمارٍ، ثمّ إلى ثكنة أقبو المركزيّة، ثمّ بواسطة طائرةٍ عموديّة طيف به في ربوع الولايّة وعُرِضَ على الجماهير في عدّة مدنٍ منها، قبل أن يطيروا به إلى جهةٍ مجهولةٍ.

ألقت الطّائرات، والطّائرات المروحيّة بتلك المناسبة الأليمة أطناناً مطنّنةً من المناشير والبلاغات والصّور، يعلنون فيها وضع حدٍّ لحياة ضابط سامٍ يقود الولايّة الثّالثّة، مُعَزِّزين إعلاناتهم وبلاغاتهم تلك بصورٍ حيّة للشهيد يظهر فيها ممدوداً على محفّة عسكريّة، بوجهٍ اخترقه الرّصاص، وجسدٍ مضرّجٍ بالدّماء.

عدا ما الصّقوه من الصّور والإعلانات على واجهات المحال التّجاريّة بمدينة تازمالت، ومدنٍ أخرى مجاورةٍ، وعلى جذوع الأشجار والجدران في الطّرق العموميّة،

وفي ذلك يقول عبّاش أرزقي شاعر الصّومام:

دنا العدوّ إلى الجثمان في هلع
فأبصروا الدّم فوق الوجه قد جمد
تجمّعوا في فضول حوله ليروا
ميرة الّذي عاش في أبصارهم رمدا
وفي قلوبهم الرّعب المميت، وفي
جراحهم النّجلاء نصال مدى

طافوا بك العرش في نقّالة ليـرى
سكّانه المـارد الجبّار قد همدا
قـالوا عنيد فلا يكفيه مقتلـه
فلن يضمّ تراب أرضه الجسدا
عقابه النّفي بعد الموت علّ بـه
تنسى فرنسا دموع الثّكل والولدا

هكـذا تنتهـي أو تبتدئ حياة هذا الشّـهيد المرمـوق، عـن سـبعة وثلاثيـن سـنة مـن عمـره، تنتهـي بالنّسـبة لمـن أردوه قتيـلاً وظنّـوا إنّهـم بذلـك قـد قضـوا علـى الثّورة الجزائريّـة إلـى الأبـد، وتبتـدئ بالنّسـبة لأبنائـه وحفدتـه وإخوانه الجزائريّيـن الّذين يعرفـون كيـف يتّخـذون مـن كلّ حـادثٍ درسـاً ومـن كلّ قائـدٍ قـدوة وأسـوة.

إسمـاعيل ميرة

المصادر:
- الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ ثورة التّحرير عن سنتي 1955-1956
- المنظّمة الوطنيّة للمجاهدين، ولاية بجاية.

عبد الرّزاق بن تركيّة
(1339هـ - 1920م/1406هـ - 1986م)

ولـد الشّـيخ عبـد الـرّزاق بـن تركيّـة فـي 11 أفريـل 1920م بولايّـة المديّـة، وقـد تربى في وسـط جو عائلـي محافظ علـى العادات والتقاليـد العريقـة الرّاسـخة فـي الجـذور والضاربـة فـي أعمـاق تربـة مرويّـة بمـاء القيـم الفاضلة المسـتمدة مـن البيئـة العربيّة الإسلاميّة.

ولما بلغ سـن الدراسـة ألحقه والده بأحد كتاتيـب القـرآن، فتعلـم فيهـا مبـادئ الفقـه والعربيّة على يد الشّـيخ الرّحماني، ثم أدخله للتعليـم الابتدائي في إحـدى المدارس لكي يتعلم فيها بعض فنون اللغة العربيّة، ثم أدخله بمدرسـة سيدي عبد الرّحمن بالعاصمة حتى تخـرج منهـا فـي سـنة 1947م، وهـو يحمـل رصيدا لغويا لا بأس به كي يتمكن أن يتوظف في منصب " عدل" في إحدى محاكم المديّة ويساعد والده على ظروف الحياة القاسيّة في ذلك الوقت.

لكنه سـرعان مـا التحـق بسـلك التعليم، وكان أول تعييـن له بمدينة معسـكر، وبعدها بمدينة الشّـلف، وفي سـنة 1953م عين معلما بمدينـة البليـدة، وبعـد أن قضـى فيهـا ثلاث سـنوات حـول إلـى مدرسـة أولاد إبراهيـم بالمديّـة إلـى غايّـة 1961م، حين عين أسـتاذا بثانويّـة ابن شـنب التـي كانت خاصّـة بتعليم الذكـور وفـي سـنة 1965م عيـن أسـتاذا للغة العربيّـة بثانويّة فخار عبـد الكريم التي مكث فيهـا سـنتين ثم عين مديـرا بثانويّة ابن شـنب للبنـات إلى غايّـة 1982م التـي ودع فيها مهنة التعليم وأحيل إلى المعاش، وتفرغ للمطالعة التـي كانت مفضلة لديه في جـل أوقاته ومما سـاعده علـى المكوث سـاعات بـدون كلل ولا نصـب أنـه كان ينـوع الكتـب لأنـه كان يحسن اللغتين العربيّة والفرنسيّة جيدا وحتى الإنجليزيّـة التـي كـرس لهـا جهـده الذاتـي وتعلمها من خلال الكتب فقط.

وقـد اتسـم عملـه التعليمـي والإداري بالإخـلاص والتفانـي في حـب مهنتـه، لأنه كان يدرك أن هاته الرّسـالة شاقة في محتواها غاليّة الثمن فـي جوهرها لا بد على من تولى زمامهـا أن يضحـي بالوقـت النّفيـس لأداء فريضتهـا كاملة غير منقوصة لكـي ينال رضا اللـه تعالى وتبقى ثمـار جهـده وصبابة عرقه صدقة جاريّة إلى يوم الدين.

كان عملـه منضبطـا كالسّـاعة بدقائقهـا وثوانيهـا، يحسـب لدقائقهـا ألـف حسـاب وحتى الأشـخاصّ داخـل الثانويّة منضبطون علـى شـاكلته كل واحـد منهم حسـب عمله وجهـده وقدرته ومسـتواه العلمـي والعملي حتـى الطّالبـات داخـل الثانويّـة يخضعـن لتعليمـات صارمة في المحافظة على القانون الداخلـي مـع تطبيق نصوصـه وبنـوده كاملة بكل احترام بما يتضمن من سلوكات أخلاقيّة وتربويّة داخل المؤسسة، وكان بنفسه يراقب الطّالبـات عنـد دخولهـن وخروجهـن علـى حسن هندامهن.

لقـد كان المدير المثالي في الحرص على توجيـه الطّالبات إلى التحلـي بالقيم الفاضلة التـي تصونهن وتصـون عائلاتهن مـن القيل والقال والانتقادات الذاتيّة، وحتى الأسـاتذة كان يفاجئهـم بزيـارات ميدانيّـة فـي أثنـاء التدريس.

لقـد كان حقـا داعيّـة طموحـا يحمـل فـي أعمـاق ذاتـه مشـروعا إسـلاميا يحـب أن يراه مجسـدا على أرض الواقع، فكان المسجد هو اللبنة الأولى لهذا المشـروع فسعى مع ثلة من المخلصيـن آنـذاك في بناء مسـجد النّور الذي سـطع نـوره في آفـاق شـمال إفريقيا فـي ذلك الوقت، ومفخرة للجزائـر عامّة ولأهل المديّة خاصّـة، فأعجـب بـه كثير مـن الدعـاة كأمثال الشّـيخ الصواف مـن العـراق، والطّنطاوي من مصر وسـمع المصلون من محرابه دروسـا لا تنسـى من أساتذة المعهد الأصلي مثل الأستاذ سرور والشّيخ الزّعم وصقر....

وكان رجـلا ثائـرا ضـد الظلم والاسـتبداد مهمـا كان شـكله ونوعـه، وكان وطنيـا يحب أن يـرى وطنه ينعم في درجات السّـلم والرّقي والازدهـار ويسـوده العـدل والإحسـان علـى ضـوء مبـادئ العدالة الاجتماعيّـة، وكان أيضا يجهـر بكلمـة الحق ولا يخشـى في اللـه لومة لائـم، وكان فطنـا ذا ذكاء حاد فـي معاملته مع شرائح المجتمع ومما يدل على ذلك حادثتان:

الأولـى: أنـه كان يعمـل فـي ثانويّـة ابـن شنب أستاذ متعاقد من المشرق العربي، وفي إحدى العطل الفصليّة سافر إلى بلده ليقضي العطلـة هناك ولما قفل راجعـا تذكر أن يقدم هديّة للمديـر تتمثل في قبعة من النّوع الرّفيع ذات حودة عاليّة، ولما انتهت العطلة أحضر الأسـتاذ الهديّـة إلـى مكتب المديـر على أن يسـلمها له ظانا أنه سيتقبلها منه بسهولة فلما

سلمها له تريث قليلا والتفت إليه قائلا: "إن هديتك مقبولة عندي لأن رسول الله ﷺ كان يقبل الهديّة ويقول: تهادوا تحابوا، ولكن لدي شرط أن تحتفظ بها عندك إلى غايّة انتهاء تعاقدك؛ فتقبل الأستاذ كلامه بصدر رحب وفهم مغزى معناه البعيد، ولما انتهت مهلة التعاقد قدمها له فأخذها منه وشكره على الالتفاتة الطّيبة.

الثانيّة: أنه لما عقد اجتماع بمديريّة التربيّة وكان يترأسه مدير التربيّة ويضم مديرين ومفتشين، ففتح المدير الجلسة وانطلقت أشغاله وبدأ كل واحد يدلي برأيه حول قضايا التربيّة والتعليم وفي كيفيّة معالجة بعض المشاكل التي تعترض القطاع وكان من بين الحضور الشّيخ بن تركيّة لكنه كان ملازما الصمت والهدوؤ ولم يغب سمعه وبصره عن كل كلمة قيلت في ذلك الاجتماع ويدونها في دفتر خاصّ ولما انتهى الجميع من تدخلاتهم طلب التدخل للرد على كل من تكلم قبله موضحا له خطأه وصوابه في كلمة موجزة المبنى والمعنى فانبهر الجميع من دقة ملاحظته ونقده حول قضاياهم المطروحة، وحتى مدير التربيّة وقف مندهشا من جرأته وحجته البالغة في حل المشاكل الصعبة لدى الحاضرين.

وسمع أيضا في جلسة خاصّة أحد الأساتذة يقول: " لقد جئنا لنعلمكم"، فالتفت إليه الشّيخ رادا بسرعة: " لقد جئتم لنعلمكم حسن التنظيم والإدارة والتربيّة".

وهكذا كانت مواقفه صارمة في جل الأوقات، وكان في ترحاله وجولاته الخاصّة والعامّة يقدر أهل العلم والفكر ويتناظر معهم في عدة قضايا.

وبقي على هذا النّمط طول حياته حتى لقي ربه سنة 1986م.

رابح دوب

المصادر:

- عبد العزيز خليل الشّرفي، معجم أعلام المديّة، مؤسسة شيكو للطباعة والنّشر، الجزائر، دط، دت.

عبد الرّزاق بن حمادوش
(و: 1107هـ - 1695م)

عبد الرّزاق بن محمّد بن محمّد بن حمادوش، أو أحمادوش، بن علي الجزائري نسبة لمدينة الجزائر التي ولد فيها حوالي سنة 1107 هـ الموافق لـ 1695م. كانت أسرته تعرف بانتسابها إلى الأشراف وهم المنحدرون من سلالة السّيدة فاطمة الزّهراء رضي الله عنها، ولهذه الفئة من المجتمع في تلك الفترة مسؤول يعرف بنقيب الأشراف يحظى بالرّعايّة من حكام ذلك العهد، ولها أوقاف خاصّة بها. كانت هذه العائلة على صلة بفئة الحرفيين والتّجار، وكان يطلق عليها لقب الدّباغ لكونها تمتهن الدّباغة.

درس ابن حمادوش في صغره على يد مشايخ الجزائر كأبي العبّاس أحمد بن عمّار مفتي المالكيّة، صاحب كتاب نحلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب، ومحمّد بن ميمون صاحب كتاب التّحفة المرضيّة والمفتي محمّد بن علي وغيرهم من أقطاب العلم والمعرفة في ذلك العصر.

انتقل، بعدها، إلى تونس حيث درس على يدّ المفتي أبي عبد الله محمّد بن زيتونة ومشايخ آخرين معاصرين له. ثم بدأ يتردد على المشرق وكان من أبرز رحلاته تلك التي قام بها إلى مصر سنة 1161 هـ/ 1748م وأخذ فيها عن بعض علمائها كالشّيخ أبي العبّاس أحمد بن مصطفى الصّباغ، وهناك في مدينة رشيد ألف رسالة في الطّب سماها "تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج" تعرض فيها لطب الجهاز البولي وأمراضه وعلاجه. كما زار المغرب مرارا وله كتاب حول رحلاته سماه "لسان الحال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال"، تحدث فيه عن زيارته لتطوان سنة 1156هـ/ 1743م وهي التي التّقى فيها ببعض المشايخ ذكر منهم الشّيخ أحمد الورزازي والشّيخ أحمد السّرايري وعنه أخذ ألفيّة العراقي في مصطلح الحديث فزكاه وقال عنه حينها إنّه لم ير من يحسن قراءة هذه الألفيّة وفهمها مثله. وهو ما يثبت إجازة السّرايري له. كما أجازه الشّيخ محمّد بن عبد السّلام البنّاني في تدريس علم الفلك، حيث درّس كتاب المقنع لطلبة تطوان، وسافر من تطوان إلى مدينتيْ مكناس وفاس. وعاد إلى الجزائر في صفر 1156 هـ/ أبريل 1743م.

وفي العاصمة، كان له دكان قرب الجامع الكبير يعرض فيه بضاعته للبيع ويجلس يستقبل زواره من الطّلبة والسّائلين في الشّؤون الفقهيّة والعلميّة. وعرف عنه إنّه كان فقيها مالكيا، وساهم في حلقة "حضور البخاري" وهي قراءة صحيح البخاري بالمسجد وروايته للجمهور، وتُختم القراءة في شهر رمضان وكانت عادة شائعة في ذلك العصر. ويفهم من ذلك إنّه كان يقوم بالتّدريس دون تكليف رسمي. اشتغل بالتّجارة دون أن ينال منها النّجاح المرغوب، فقد كان همه طلب العلم ولذلك قضى حياته رقيق الحال، ويبدو أن ذلك كان له أثر سلبي على حياته العائليّة.

عاصر عبد الرّزاق بن حمادوش أحداثا هامة وشهد صراعات مختلفة، ففي عهده بدأ حكم الدّايات حيث أصبحت الجزائر تتمتع باستقلاليّة عن السّلطة العثمانيّة، وتجلى ذلك في أن تعيين الدّاي صار يتم في الجزائر وليس من إسطنبول والتي كانت تكتفي بالموافقة على ما يتخذه الدّيوان في الجزائر. وتم ترسيم اللغة العربيّة إلى جانب اللغة التّركيّة في الدّيوان وجميع المعاملات.

ولم يعرف عنه إنّه كانت له صِلات بالطّبقة الحاكمة في عصره وهو الذي عاش قرابة القرن ولم يتقلّد أي وظيفة رسميّة.

درس ابن حمادوش معارف عصره من علوم شرعيّة وتاريخ ومنطق وتصوف وطب فبرع فيها. واطلع كذلك على الكتب التي كانت متوفرة في عصره وتلك التي ألفها من سبقوه كابن سينا والقلصادي والأنطاكي وابن البيطار وغيرهم. كما كان له ولع خاص بما يعرف اليوم بالهندسة وقد ألف فيها كتابا سماه "فتح المجيب في علم التّكعيب" أو "بغيّة الأديب في علم التّكعيب". وبالرّغم من أن ثقافته العامّة كانت لا تختلف عن الثّقافة السّائدة في عصره إلا إنّه تميز عن أقرانه بميله الشّديد إلى ما نسميه اليوم بالثّقافة العلميّة كالطّب والصّيدلة والرّياضيات والفلك والمنطق. وكانت له مساهمات رائدة في جميع هذه المجالات. ولم يثنه ذلك عن تعمقه في علوم الفقه واللغة والأدب والتّاريخ. وتميز بأدب الرّحلات، مهتما بطبائع النّاس وغرائب الأشياء فسجلها وكتب عنها. واختص في الكتابة عن ولاة الجزائر في العهد التّركي وعن تقاليد وعادات المجتمع الجزائري، لكن معاصروه لم يهتموا به ولم يأت ذكره في تصانيفهم، فالاهتمام به وبكتبه جاء متأخرا. ومن أبرز من كتبوا عنه أبو القاسم سعد الله، فقد ألف كتابا عن حياته وحقق كتابه لسان المقال ونشره تحت عنوان رحلة ابن حمادوش الجزائري، كما خصه بمقال نشره في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. وتم التّنويه بمآثره في الطّب في رسالة أعدتها الطّالبة سهام بن قسميّة من جامعة المسيلة تحت عنوان "الطّب في الجزائر خلال العهد العثماني، عبد الرّزاق بن حمادوش أنموذجا".

فاقت مؤلّفات ابن حمادوش الخمسة عشر مصنّفا، كان من أهمها كتاب "كشف الرّموز" وهو معجم شرح فيه أسماء الأعشاب والعقاقير الطّبيّة مع ذكر خواصها ومنافعها، وكان يمثل خلاصة ما انتهى إليه مَن سبقوه في هذا المجال، فلخصها وأضاف إليها. ولذلك نال هذا الكتاب عنايّة خاصّة من المهتمين بالطّب والصّيدلة، وتمّ طبع النّص العربي منه لأوّل مرة بالجزائر سنة 1335 هـ / 1917م، من طرف رودوسي قدور بن مراد التّركي صاحب مطبعة الثّعالبيّة. وقام بترجمته إلى الفرنسيّة لوسيان لوكليرك وطبعه بباريس سنة 1874م. ومن المعاصرين الذين اهتموا بكشف الرّموز إبراهيم بن مراد التّونسي. ويعتبر هذا الكتاب رائدا لما يعرف اليوم بالطّب الشّعبي.

كما يعد كتابه "لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال" والمعروف كذلك بالرّحلة، والذي خصصه لرحلاته شرقا وغربا، من أهم ما كتبه. فقد ضمنه أسفاره وسيرته الذاتيّة والعديد من الأشعار والمقامات الأدبيّة والأحداث والعادات والتّقاليد. وبينما ظل الجزء الأوّل من رحلته مفقودا فإن الجزء الثّاني ألفه بمناسبة رحلته إلى المغرب سنة 1156هـ/ 1743م وانتهى منه سنة 1161 هـ وهو الذي حققه أبو القاسم سعد الله ونشره تحت عنوان "رحلة ابن حمادوش الجزائري". ومن بين المؤلّفات التي اشتهر بها ابن حمادوش كتابه "الجوهر المكنون من بحر القانون" وهو كتاب في الطّب ويضم أربعة أجزاء لم يعرف منها إلا الجزء الرّابع. وحسبما ذكره الباحثون في سيرته فإن له كتابا تم طبعه بالجزائر سنة 1303 هـ/ 1885م حول أسماء ولاة الجزائر في العهد التّركي، كما ألف في مواضيع أخرى تتناول مسائل النّحو والمقامة الأدبيّة والمنطق والفلك والأسطرلاب والرّزنامة ورصد الشّمس والبحار والمتفجرات أو القنابل والطّاعون ولكنّها ضاعت في مجملها.

عاش ابن حمادوش خلال القرن الثّاني عشر الهجري أي الثّامن عشر الميلادي، وتوفّي في أواخر ذلك القرن بعد أن تجاوز التّسعين من عمره، والرّاجح أن وفاته كانت بالمشرق.

عامر بغدادي

المصادر

- تاريخ الجزائر العام. عبد الرّحمن الجيلالي. ج 3؛
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 2.

عبدالرّزاق بوحارة
(1352هـ - 1934م/1423هـ - 2013م)

عبد الرّزاق بوحارة رجل عسكري ودبلوماسي وسياسي ومثقف بامتياز، تألق في كل من هذه المجالات الثّلاثة.

ولد في عام 1934 بمدينة القل، تابع دراسته الابتدائيّة بمسقط رأسه بالقل، حيث انخرط مبكرا في صفوف الكشافة الإسلاميّة، وتعلم في مدرستها مبادئ النّضال وحب الوطن والوعي السّياسي، وفهم مبكرا حقيقة الاستعمار الفرنسي للجزائر.



انتقل إلى ثانويّة "أومال"، (حيحي المكي حاليا) بقسنطينةحيث واصل دراسته إلى غايّة القسم النّهائي شعبة الرّياضيات، وقبل اجتيازه امتحان البكالوريا غادر مقاعد الدّراسة في الثّانويّة سنة 1955، والتّحق بصفوف جيش التّحرير الوطني، حيث شارك في عمليات كبيرة ضد الجيش الفرنسي بالولايّة التّاريخيّة الثّانيّة قبل أن يلتحق

بالولايّة الأولى أوراس النّمامشة بخنشلة، وفيها احتك بالعديد من أبطال جيش التّحرير الوطني في الأوراس الأشم وتعلم منهم دروس مقارعة المستعمر، لا سيما فنون حرب العصابات.

تنقل بعد ذلك إلى القاعدة الشّرقيّة على الحدود الجزائريّة التّونسيّة حيث تقلد مناصب ومسؤوليات عديدة أهمها محافظ سياسي وقائد للفيلق التّاسع والثّلاثين في القاعدة الشّرقيّة إلى غايّة الاستقلال.

عمل مساعدا (aide de camp) للرئيس أحمد بن بلة في 1962، وكان أول من عارض وزير الدّفاع الوطني هواري بومدين سنة 1984 خلال المؤتمر الأول لحزب جبهة التّحرير الوطني وطالب خلال أشغال المؤتمر بتطهير الجيش من "ضباط فرنسا". تقلد مسؤوليات عديدة في مختلف وحدات الجيش الوطني الشّعبي، حيث:

- عين قائد أركان النّاحيّة العسكريّة الثّالثّة ببشار في 1964.
- عمل ملحقا عسكريا في سفارة الجزائر بباريس سنة 1965 .
- قاد الجيش الجزائري المشارك في الحرب العربيّة الإسرائيليّة سنة 1967 والمكلف وقتها بحمايّة قناة السّويس وتأمينها أثناء الحرب العربيّة الإسرائيليّة.
- عمل بعد ذلك ملحقا عسكريا في سفارة الجزائر بموسكو سنة 1968.
- عين سفيرا للجمهوريّة الجزائريّة بهانوي، الفيتنام بين 1971 و1974 وشهد قنبلة الولايات المتحدة الأمريكيّة لمدينة هانوي، ولم يغادر السّفارة أثناء القنبلة، حيث ظلت سفارة الجزائر من السّفارات القليلة جدا بهانوي التي لم تغلق أبوابها أثناء القنبلة.
- عمل واليا للجزائر العاصمة من 17 جانفي 1975 إلى 31 مارس 1978
- تقاعد من صفوف الجيش الوطني الشّعبي سنة 1977 برتبة مقدم
- عين وزيرا للصحة في 1979
- وعندما غادر الوزارة، تفرغ للنشاط في صفوف حزب جبهة التّحرير الوطني بصفته عضوا في لجنته المركزيّة
- تم تعيينه مسؤولا تنظيميا للحزب في 1979.
- عين عضوا في مجلس الأمة ضمن الثّلث الرّئاسي في جانفي 2004، وكان نائبا لرئيس مجلس الأمة في فترات متعددة إلى أن توفي رحمه الله يوم 10 فبراير 2013 بالمستشفى العسكري بعين النّعجة، الجزائر، على إثر سكتة قلبيّة.
- التّحق بالمدرسة العسكريّة بحمص، سوريا وتخرج الأول في دفعته
- تحصل على ليسانس في العلوم العسكريّة من الأكاديميّة الحربيّة بالقاهرة، مصر
- عين كأول ضابط من ضباط الجيش الشّعبي الوطني للتربص في مدرسة قيادة الأركان بباريس، فرنسا، وتخرج منها بتفوق.

ولقد كان عبدالرّزاق بوحارة رجلا عسكريا ودبلوماسيا وسياسيا ومثقفا بامتياز، تألق في كل من هذه المجالات الثّلاثة، وذلك بإجماع كل من عايشوه وخبروه وعملوا معه عن قرب، سواء كعسكري وضابط في صفوف جيش التّحرير الوطني والجيش الوطني الشّعبي في ساحة الحرب، ضد الجيش الفرنسي في النّاحيّة الأولى وعلى الحدود الشّرقيّة، وضد الجيش الإسرائيلي في حرب 1967 في صحراء سينا وعلى ضفاف قناة السّويس. كما تفوق في المدارس والأكاديميات العسكريّة التي تكون فيها على جميع زملائه المتربصين في العديد من البلدان من الشّرق ومن الغرب. وحتى في المجال الدّبلوماسي حقق إنجازات معتبرة، سواء كملحق عسكري في عدد من سفارات الجزائر بالخارج أو كسفير مفوض فوق العادة. ولم يكن تألقه في الإدارة عندما تقلد فيها مسؤوليات عليا كوال للعاصمة وكوزير للصحة، أقل من تفوقه كعسكري ودبلوماسي. كما مكنه ذكاؤه وجديته وتكوينه القوي وثقافته الواسعة والخبرة التي اكتسبها طيلة حياته، من احتلال مكانة مرموقة بين رفاقه من رجال السّياسة. وقد ساهم في توضيح وبلورة التّطورات السّياسيّة التي عرفتها الجزائر خلال أربعة عقود كاملة، بصفته عضوا فعالا في اللجنة المركزيّة لحزب جبهة التّحرير الوطني، وعضوا في مجلس الأمة ونائبا لرئيسه خلال عهدات متكررة. وكذلك بفضل مساهماته الكثيرة في إثراء المشهد السّياسي بمقالات في الصّحافة الوطنيّة المختلفة حول القضايا الكبرى التي تهم البلاد، لا سيما خلال الأزمات التي مرت بها الجزائر، وكان لها الأثر الأكيد في الأوساط السّياسيّة وعلى الرّأي العام، الأمر الذي جعل عبد الرّزاق بوحارة من الشّخصيات المرجعيّة المسموعة على المستوى الوطني.

وهو متحدث لبق يمتاز بالهدوء والرّزانة والثّقافة الواسعة وبروح الدّعابة والاعتدال في المواقف، يحسن الاستماع لمحدثيه، ولا يخلو كلامه من النّكت والإشارات والتّعابير المضحكة أبدا، حتى عندما يتناول الأمور الجديّة.

شارك بفعاليّة خلال سنوات طويلة في النّقاش الدّائر حول تاريخ الثّورة والتّحولات السّياسيّة التي شهدتها البلاد خلال مراحلها المختلفة منذ الاستقلال، وذلك بنشر مساهمات مفيدة على صفحات الجرائد الوطنيّة، وبالمشاركة في النّدوات والحصص التّلفزيونيّة، وبتنشيط محاضرات في مختلف المدن لا سيما مع المنظمات الشّبانيّة وفي الجامعات الجزائريّة مع الطّلبة والأساتذة الذين كان يوليهم عنايّة خاصة. ساهم عبد الرّزاق بوحارة في إثراء المكتبة الوطنيّة بكتابين باللغة الفرنسيّة التي يتقنها أكثر من اللغة العربيّة بالرّغم من كونه يتحكم في العربيّة ويتحدث بها بكل طلاقة.

صدر الكتاب الأول في 336 صفحة عن دار القصبة في 2001 تحت عنوان Les Viviers de la Libération: وقام

بترجمته إلى العربيّة الأستاذ صالح عبد النّوري، وقدمت له الكاتبة والأديبة زهور ونيسي. نشرت النّسخة العربيّة تحت عنوان "منابع التّحرير، أجيال في مواجهة القدر" في دار القصبة سنة 2004، في 415 صفحة، مع الملاحق التي ضمنها المؤلف وهي عبارة عن وثائق أصليّة.

أما المؤلف الثّاني فقد صدر لدى المؤسسة الوطنيّة للاتصال والنّشر والإشهار، (ANEP) في 2004 في 300 صفحة، تحت عنوان:

"Du Djabelaux Rizières à Propos des Résistances".

رابح دوب

المصادر:

- محمّد عباس: رواد الوطنيّة، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

عبد الرّزاق شنتوف
(1337هـ - 1919م/1432هـ - 2011م)

ولد المناضل عبد الرّزاق شنتوف بتلمسان في 24 جولية 1919، وهو يمثل شريحة متميزة من مناضلي الحركة الوطنية، شريحة المثقفين التي كان بإمكانها أن تعرف النّضال نظرية وممارسة، فتحاول أن تستشف اعتمادا على تجربتها الخاصة آفاقا جديدة للعمل السّياسي بمختلف مظاهره. لكن هذا تطلع سرعان ما اصطدم بالآفاق المحدودة للرعيل الأول من المناضلين الذّي كان يحتل مناصب قيادية هامة بفضل الأقدمية في النّظام، وكان من الطّبيعي أن ينتهي هذا التعارض إلى طريق مسدود.

وفي أعقاب معركة المقطع بين قوات الأمير عبد القادر وجحافل الاستعمار الفرنسي الغازية في القرن الماضي، هاجرت عائلة شنتوف من سهل غريس معسكر إلى تلمسان، وبهذه المدينة نشأ الصبي عبد الرّزاق في بيئة تقليدية متمسكة بعروبتها وإسلامها، فدرس القرآن حتى ختمه، ولم يدخل المدرسة الفرنسية رغم موقف جده المعارض إلا في السّنة الثّالثّة عشر وبعد رخصة خاصة.

هذا المنبت الضّارب بعروقه في مقاومة الأمير عبد القادر، وهذه النّشأة العربية الإسلامية، كل ذلك كان يؤهل هذا الصبي لاقتحام النّضال في سبيل القضية الوطنية النّبيلة: قضية استرجاع الاستقلال الوطني، وما لبث أن وجد سبيله إلى هذه القضية من خلال الاحتكاك بأخيه الذّي يكبره بسنتين الذّي قتله الألمان أثناء الحرب العالمية الثّانية، وجاره المناضل عبد الكريم بن عصمان الذّي كان من الرّعيل الأول من مناضلي نجم شمال إفريقيا بتلمسان مع معروف بومدين ومحمّد قنانش.

وعن طريق هذا الجار المناضل، دخل الفتى عبد الرّزاق أجواء النّضال بعفوية واندفاع في بداية الأمر، ثم شارك في سنة 1936 في مظاهرة مؤيدة لحركة الجبهة الشّعبية وفي إفشال تجمع شيوعي، وعندما استقر حزب الشّعب الجزائري بالجزائر سنه 1937، انضم إلى صفوفه الشّاب عبد الرّزاق متوجا بذلك احتكاكه بمناضلي نجم شمال إفريقيا، وبعد فترة من النّضال اندلعت الحرب العالمية الثّانية فدعي إلى الخدمة الإجبارية، لكن هزيمة فرنسا السّريعة أمام الألمان أجّلت التحاقه بالجيش، وبمجرد انتعاش المقاومة الفرنسية للاحتلال الألماني بمساعدة الحلفاء، عاودت إدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر استدعائه لأداء الخدمة العسكرية، فالتحق هذه المرة بالجيش وذلك في غضون 1944.

ومع بداية الموسم الجامعي 45 46- جاء الشّاب عبد الرّزاق العاصمة ليواصل تعليمه في كلية الحقوق، وبعد فترة ملاحظة وتجربة انضم إلى التنظيم الطّلابي التابع لحزب الشّعب الجزائري بواسطة المناضل شوقي مصطفاي الطّالب بكلية الطّب، والعضو القيادي في الحزب، وكان من بين أعضاء هذا التنظيم يومئذ رشيد أوصديق، وبلحسين وحنيني.

وقد أسهم الطّالب الجديد في تنشيط هذا التّنظيم وكان واسطة بين الحزب والطّلبة التّونسيين خاصة، هذا النّشاط في صفوف الحركة الطّلابية المغربية جعل قيادة الحزب تزكي ترشيح الطّالب المناضل إلى رئاسة جمعية الطّلبة المسلمين بشمال إفريقيا وهو المنصب الذّي مكث به لغاية مطلع 1949.

عندما اندلعت أزمة حزب الشّعب -حركة الانتصار سنة 1953 / 1954 كان المحامي عبد الرّزاق شنتوف قد انقطع عن النّضال في صفوف هذه الحركة منذ أكثر من سنتين، وكانت أزمة خروجه هو وكل من شوقي مصطفاي والسّعيد العمراني والحاج محمّد شرشالي، إيذانا مبكرا بهذه الأزمة الخطيرة التي انفرجت-بفضل فئة قليلة من المناضلين الأشداء على الاستعمار-عن ثوره فاتح نوفمبر التي جاءت لتقوض أركان النّظام الكولونيالي بالجزائر.

وهذا الانقطاع جعله يفاجأ بثورة نوفمبر، كما فوجئ بها الكثيرون غيره رغم محاولة اتصال قادات الجبهة به وبزملائه الثّلاثة بواسطة المناضل القديم أحمد بودا، كما جعله في نفس الوقت ينجو من حملة الاعتقالات التي ضربت أوساط اللجنة المركزية لحزب الشّعب حركة الانتصار بصفة خاصة.

وفي غضون شهر مارس 1955 أخذ عبان رمضان يحاول انطلاقا من العاصمة مركزة الثّورة والقيام بمهمة التنسيق بين مختلف المناطق ومن الأعمال التي قام بها لتحقيق

ذلك تكوين لجنة للإعلام والتوجيه، وكان من بين أعضائها: بوعلام موساوي، وشريكه بوعلام الحلواجي، وكل من عمار أوزقان ومحمّد لبجاوي، وهما من الخارجين على "الحزب الشّيوعي الجزائري".

وبعد قيام شبهات حوله، أصدرت إدارة الاحتلال أمرا بتفتيش مكتبه، فبادر بالسّفر إلى باريس، حيث اتصل بصالح لوانشي مسؤول اتحادية الجبهة بفرنسا يومئذ، وأحاطه علما بالجديد ليطلع عبان بذلك.

وفي جويلية 1956 أذن له بالدخول إلى تونس، وساهم مع ممثلي "الداخل" في تصفية الأجواء، وفرض قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام.

كما ساهم إلى جانب ذلك في استصدار صحيفة المقاومة (الطّبعة التّونسيّة) بمساعدة الدكتور شوقي بالنّسبة للنسخة الفرنسية.

وبعد خروج لجنة التنسيق والتنفيذ وإعادة توزيع المهام بين أعضائها في أوت 1957، فاختار المناضل شنتوف العمل مع بن طبال في الشّؤون الداخلية لجبهة التحرير الوطني كأمين عام للقطاع ومدير ديوان في الوقت نفسه، وبقي في هذا المنصب لغاية وقف إطلاق النّار في 19 مارس 1962.

وأثناء الجولة الأخيرة من مفاوضات إيفيان، اتّصل المناضل سعد دحلب، وزير خارجية الحكومة المؤقتة يومئذ بالمناضل شنتوف وطلب إليه إعداد مقترحات حول نظام المرحلة الانتقالية الذّي يحكم البلاد من وقف القتال إلى إعلان الاستقلال وتشكيل الحكومة الجزائرية الجديدة.

كما عين شنتوف غداة التوقيع على اتفاقيات إفيان ضمن الأعضاء الخمسة الذّين يمثلون الجبهة مكلفا بالشّؤون الإدارية.

كما كان له شرف رفع العلم الجزائري في بومرداس أول مرة مكان العلم الفرنسي وذلك يوم 3 جويلية 1962 إثر اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال الجزائر على ضوء نتائج استفتاء تقرير المصير في 1 جويلية، وأمام كثافة اللحظة وقوة العواطف المتضاربة وتصادم الفرح العارم بالتأثر العميق، سقط المناضل شنتوف مغمى عليه بمجرد أن رأى الخفقات الأولى للعلم الوطني في سماء الحرية والاستقلال.

توفي رحمه الله في 24 أكتوبر 2011.

رابح دوب

مصادر:

- محمّد عباس: رواد الوطنية، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

عبد الرّشيد مصطفاي
(1326هـ - 1909م/1423هـ - 2003م)

هو عبد الرّشيد مصطفاي واسم شهرته موهوب، المولود في قريّة گنزات ولايّة سطيف، والمتوفى في الجزائر العاصمة، أمضى سنوات عمره في وطنه الجزائر وفي فرنسا. أخذ مبادئ العلوم في قريته وكذلك مرحلة التّعليم المتوسط، بعد ذلك توجّه إلى العاصمة فدخل المدرسة الثّعالبيّة فنال شهادة الدّراسات العليا، ثم نال شهادة التّبريز، وفي عام 1971 تحصّل على دكتوراه الدّولة من جامعة الجزائر.

اشتغل مدرساً في ثانويات العاصمة، ثم أستاذا للأدب العربي بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة الجزائر. وبقي أستاذاً حتى تقاعد عام 1980.

كان عضواً في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وكذلك في نادي التّرقي بالعاصمة وكان عضواً بارزاً في لجان مؤتمر الفكر الإسلامي المنعقد سنوياً بالجزائر، ويعدّ عبد الرّشيد من أصحاب الثّقافة المزدوجة؛ إذ يتقن العربيّة والفرنسيّة معاً.

ترجم كثيراً من دواوين شعراء الغرب، وبخاصة ترجمته الجيدة لديوان "أزهار الشّر" لبودلير، كما ترجم عن الإسبانيّة قصيدة "غرناطة" لخوسيه زوريلا، وترجم أيضاً روايّة كورناي "فوليكُونت" بالإضافة إلى ما له من دراسات نقديّة عديدة.

نتاجه الأدبي:

المتاح لدينا من شعره قصيدتان فقط: إحداهما نشرت في مجلة التّلميذ الجزائر 1936 بعنوان: "في وصف تلمسان". والأخرى نشرت في مجلّة الأصالة. وزارة الشّؤون الدّينيّة في ديسمبر 1974 بعنوان "شهداء بني يعلى".

ما يمكن أن نلاحظه على هاتين القصيدتين أنهما قد بلغتا درجة عاليّة من النّضج الفني والموضوعي، ولا أعتقد إطلاقاً بأنهما وحيدتان، بل هناك قصائد أخرى إما أن تكون قد ضاعت وإما ما زال الأهل والأصدقاء يحتفظون ببعضها، على العموم فإن لغة الشّاعر جيدة وسلسة وعباراته انسيابيّة في حين أنّ صوره جزئيّة مستمدة من الواقع ومن مخزونه التّراثي الذي بدا متأثراً به أيّما تأثر.

نماذج من شعره:

في وصف تلمسان

مالي احن لكم شوقاً تلمسان
كما يحن إلى الفردوس رهبان
وما لقلبي يهفو كلما طرقت
أذني بذكرك والأشواق نيران

كما هفا عند ذكر الرّاح شاربها
أو مثلما اهتـز للأنسام أغصان
بالـله ما ذا التّصابـي قبل رؤيتكم
وما لقلبـي لم يـرحه تحنان
مهلاً رفاقي أما كانت تلمسان
فـي سالف الدّهر كالفردوس تـزدان

***

ممالك لبنـي الإسلام زاهرة
وأين من ناصري الإسلام رومان
قد أشرقت زمناً بالعلم ثم خبت
كأنها فـي لـيالـي الدّهر شهبان
لكنها تـركت آثار مفخرة
لم تمحها غيـر موت وأزمان
تلك القصور وكم فـي ساحها خطرت
تـيهان الحسن أرام وغزلان
تلك المساجد كم فـيهن قد فتحت
روح الحياة أحاديث وقرآن
إن كانت الـيوم قفراً بعد ساكنها
فلا يـزال بها للذكر عمران

***

تشفـين تشفـين فـي لـيلاء من وهـج
ونجم هديته إسلام وإيمان
كيف أتاها من الصّـحراء يتبعه
علـى جياد من الفرسان عقبان
سيل غزاها من التّقوى فأطرها
حتـى ازدهت وهـي بالإيمان تـزدان
يا عصر ريان إذ ما كنت مقرهم
بالـلـه هل لك فـي الأزمان رجعان
أيام كانت بها الآداب مزهرة
كالرّوض يختال فـيه الآس والبان
والرّوض إذا ما كان مزدهياً
للعلم فـيه وللآداب ريحان
أمـيّة لو رآها وهـي زاهيّة
لعاف من أجلها الشّهباء مروانُ
أيام أبناء سام كان مربضهم
فرحاً بها وهوى الرّحمن فرقانُ
ويا زمان بنـي عثمان كنت لها
ثوباً له من طراز العلم ألوانُ
لا التّـرك تـرك ولا العربان عربان
لكنهم فـي حمـى الإسلام إخوان
ذوو هوان علـى إخوانهم وذوو
عز شموخ علـى الأعداء شـجعان
قضوا زماناً تمنـى الشّهب من وله
أن لو يصاغ لهم منهنَّ تـيجانُ
وكان أقصى منـى الـجوزاء عزهم
أن لو يقام بها للقوم بنـيانُ
يا لهف نفسي أين القوم أين مضوا
وأين نجم لهم فـي السّعد سهرانُ
وأين شمس بهم فـي العز مشرقة
وأي لـيل طواها وهو غيـرانُ
ما بال روضهم محلاً فلا صدح
بالعلم يشدو ولا آس ولا بانُ
ما للربوع ربوع المجد مقفرة
فقام يندب أهل المجد غربانُ
وما لخلفهم قد صار قائدهم
جهل وبعض لبعض القوم ذؤبانُ
إنا لفـي زمن عز النّفاق به
لا الدّين دين ولا الإيمان إيمانُ
كأنما تلكم الأمجاد ما ملكوا
وما هداهم إلـى العلـياء قرآنُ
خلوا بقايا من العلـياء تحسبها
شمساً علاها لدى الإمساء غيمانُ
لم تبق تحيـى سوى بالذكر يطربنا
كالصّب، تطرقه فـي النّوم طيفانُ
لقد نمر علـيها والفؤاد سـج
كالغادة ما لها فـي الدّهر معوانُ
لقد انتحلنا علـى الأجداد فـي وهن
مثل البدور فلولا الشّمس ما بانوا
كم ذا البقايا من العلـياء تقدمنا
حتـى يكون لمجد الخلف أركان
كم مضى زمن لا ذكر ينفعنا
صم عن العلم والعلـياء عمـيان
حتـى أتاح لذي الأوطان خالقنا
نشئاً تمـيس به تـيهاً تلمسان
أعاد أنديّة بالعلم مزهرة
فـيها يغنـي بمجد القوم «رضوان»
وقام يدعو إلـى حب الكتاب بها
ويستفز إلـى الآداب «مزبان»
حتـى تسارع من حولـيه فتـيتها
فـي روضة زهرها علم وإيمان
يا فتـيّة أمل الأوطان فـي يدها
لا خاب فـي أمل الفتـيان أوطان
هذي الرّفاق التي قد راح يـربطها
حب الوداديّة الغرا وعرفان
عادت إلـيكم وقد جدتم لها زمناً
ولـيس للنحل لولا الزّهر رجعان
إن تكرمونا لقد أكرمتم أدباً
فـينا وعلماً به البلدان تـزدان
علـيكم البذل والآداب يلزمنا
كي يستقيم لنا فـي العيش مـيـزان

شهداء بني يعلى

بنـي يعلـى قفوا إن الرّجاما
لعمري قد حوت هممـاً عظاما
حوت جثثاً لأبطال كرام
لقد رفعوا لنا فـي النّاس هاما
يحق لنا بمسعاهم فخار
وصيح النّصر قد دحر الظّلاما
ورايات الـجزائر خافقات
علـى الأوطان تـرتاد الغماما
فـيا لك من نفوس آبـيات
تخيّـرت الـجبال لها مقاما
فنعم جبالنّا الشّماء مأوى
لأحرار تـريد بها اعتصاما
فكم بذل الأعادي من جهود
لقهرهم فما نالوا المراما
لعمري خاب مسعاهم وطاشت
سهام كلما مطروا سهاما
فقدما كان موطننا عرينا
لآساد تحامـى أن تضاما
هم الأنجال قد كروا جدوداً
فما اعتنقوا الرّدى إلاّ كراما
هم الأبطال أن يلقوا قتالاً
يبـيدوا الخصم أو يلقوا حماما
فلم توهن عزائمهم خطوب
تجر علـى مواطننا الظّلاما
لقد سهروا وضـحوا فـي علانا
فما تعطى العلا قوماً نـياما
أباة لم يطيقوا العيش هوناً
يـرون العيش فـي ذل حراما
هنـيئاً يا بنـي يعلـى قبور
بها كنـزات قد عظمت مقاما
فـيا كنـزات طبت لهم مقراً
ونلت من العلا ما لا يسامـى

ضممت ببطنك الشّهداء حباً
كضم الأم أبناء كراما
بذلت العون في الهيجاء حتى
رأيت النّصر يبتسم ابتساما
وذقت من الشّدائد كل لون
فما خنت العهود ولا الذماما
فقدما كنت يا وطني المفدى
منار ثقافة يهدي الأناما
ألا أيها الشّهداء إنا
نكابد من فراقكم غراما

فكم إذا ناحت رياح
غدت تحكي لذكركم الحماما
وكم طفل يعلل بالتّلاقي
وليس بصابر إلا لماما
ألا يا قوم رفقا بالثّكالى
ألا يا قوم رفقا باليتامى
ألا استوصوا بهم خيرا أو أدوا
حقوقا واحفظوا لهم الذماما
فتلك أمانة الشّهداء فارعوا
ألم يعلوا لشأنكم مقاما

ألم يقضوا ليحيا الشّعب حرا
ويلقى في الشّعوب له احتراما
إذا ما سار الشّعب في سَنَاهُمْ
فلا يخشى انتفاضا واهتضاما
فقد سنوا التّعاضد والتّآخي
وقد سنوا المحبة والوئاما
ألا أعظم بها سننا لقوم
يريدون الكرامة والسّلاما

رابح دوب

المصادر:

- محمّد بن رمضان شاوش: باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر 1995؛
- الرّبعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشّعر الجزائري، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2009؛
- معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين، المجلد الحادي عشر، الكويت 2009.

عبد السّلام الجزائري
(1336هـ - 1918م/1400هـ - 1980م)

عبد السّلام بن محمّد الحبيب الجزائري، المولود في دمشق والمتوفى فيها، وهو من أسرة جزائريّة أصلاً هاجرت مع الأمير عبد القادر إلى سوريا، فقد كان جده لوالدّه (الحبيب المهر) وجده لأمّه (البشر بن يخلف)، قد خرجا مع الأمير عبد القادر من مدينة معسكر، بعد فشل ثورته – واستقرا في مدينة دمشق، أمضى سنوات عمره في دمشق، كما زار الجزائر عام 1966 مصاحبا رفات الأمير عبد القادر من دمشق إلى وطنه الأم.

دخل التّعليم النّظامي في دمشق مجتازاً كل مراحل التّعليم الابتدائي والإعدادي والثّانوي.

اشتغل مدرّساً في مدارس دمشق، ومع ذلك فإنّ عمله بالتّدريس لم يشغله عن وطنه الجزائر الذي يئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، بل ازداد ارتباطه بالجزائر أكثر فأكثر في أعقاب مجازر الثّامن ماي 1945، وبعد قيام الثّورة التّحريريّة الكبرى عام 1954، كما أسس المهاجرون الجزائريون في سوريا جمعيّة "دار الجزائر". وانتخبوا عبد السّلام مديراً مسيراً لنشاطها من أجل خدمة الثّورة الجزائريّة. لقد أسهمت هذه الجمعيّة في أنشطة عديدة لفائدة الثّورة منها: تنظيم "أسبوع الجزائر" و"مهرجان نصرة الجزائر" في سوريا.،وقد أتيح لعبد السّلام أن يصبح رئيساً لمصممي الأزياء في سوريا، فاستطاع أن ينظم معارض في دمشق وحلب والقاهرة، لفائدة يتامى الثّورة الجزائريّة، إلى جانب هذا فقد كان ينشد القصائد في المحافل متغنياً بالثّورة الجزائريّة، وبأبطالها الأشاوس.

ترك الشّاعر ثلاثة دواوين شعريّة هي: "أغاني عربيّة" و"غزل" و"اذكريني يا جزائر" الذي طبع في الجزائر بالمؤسسة الوطنيّة للكتاب عام 1986.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو أنّ معظمه يدور حول قضايا وطنه الجزائر ورموزه، وبعده وغربته عن وطنه الذي شاء له القدر أن يعيش بعيداً عنه بالجسد، وإنما روحه لم تفارقه أبداً. كما نجد له قصائد يتحدث فيها عن قضايا الأمّة العربيّة وما لفّها من استعمار وفقدانها لحريتها وسيادتها. أمّا من النّاحيّة الفنيّة فهو شعر يتنوّع بين الالتّزام بعمود الخليل، وشكل التّفعيلة، كما أنه يتميز بطول النّفس، وصياغته متينة محكمة وصورهُ كثيفة نشطة.

نماذج من شعره:

كان حلماً

كان حلماً في خاطري وجناني
وتجلى حقيقة لعياني
كم تساءلت والخيالات تَترى
والعلالات ثرة والأماني
ولياليّ السّهاد تجتر أجفاني
ووخز الأسى يهز كياني
تسأل الرّوح لهفتي والتياعي
أتجود الدّنى ويسخو زماني
طال ليل الهوان يا رب هلا
قبس يجتلي دياجي الهوان
أأرى أمتي تكبر للثأر
وتصحو على نفير الطّعان
فجر نوفمبر أنت نور تجلى
فسمت نحوه النّفوس العواني
فإذا الأفق مارح من لهيب
وإذا السّفح مهمه من دخان
نفخ الصّور أذن البعث قامت
أمتي عن ممزق الأكفان

وإذا الشّعب مارد يتحدى
عاديات الطّغاة والطّغيان
المآقي العشواء شعب شواظاً
يتلظى يمور بالأضغان
والأكف المكبلات تمطت
عن شظايا أصفادها في حران
والحياة الشّم ازورار عتي
يتترى بالكبر بالعنفوان
لم تنم أمّتي على الذل يوماً
إنما تلك هدأة البركان

***

فجر نوفمبر يا انطلاقة شعبي
من سراديب وهدة الحرمان
يا نفيراً على الذرى جلجلت أبواقه
فالصّدى كرجع الأذان
خفقات القلوب لبته نشوى
عامرات اليقين والإيمان
دمدمت كالإعصار كالسّيل تجتثّ
ثُ جذور الأوشال . كالطّوفان
تلقم الموت قهقهات الأضاحي
هازئات بالهول بالنّيران
تتخطى الدّمار عبر خضم
مائج بالهامات والأبدان
وعلى زحمة الدّروب قرابين
تندب بأدمع الأقحوان
النّدى غسلها وأكفانها من
ضوع عطر الصّفصاف والبيلسان
قد رضعنا درب البطولة أشلاء
رويناها بالنّجيع القاني
ورفعنا... على جماجم قتلانا
صروحاً منيعة البنيان
سفرنا النّاصع المجيد خططنا
آيّة الغر رائعات المعاني
وتلوناه للدنى سوراً منقوشة
باللهيب بالنّيران
بورك الرّشاش استكان له الباغي
ذليلاً مطأطيء الهام حاني
بالرّصاص الهدّار صك علانا
قد مهرناه فاشهدن يا زماني
حيث سرتم بني الجزائر رفقاً
كل هذا الثّرى قلوب حواني
كل شبر وكل ذرة ترب
فيك يا أرضنا عيون رواني
ترقب الوارثين هل أحسنوا السّير
وصانوا تراثهم من هوان
أيها الخالدّون قروا عيوناً
إن نوفمبر مثل للعيان
تستمد النّفوس من فجره النّور
وجيش التّحرير حصن الأماني
كلهم على العهد باق
قدوة مثلى في بني الإنسان
معبد هذه السّفوح ركوعاً
يا رفاق السّلاح وازجو التّهاني
للألى باستشهادهم علمونا
أنّ مجد الحياة بضع ثوان
أنا الذكريات صغت أغاني
وللذكريات تحلو الأغاني
من ذرى (قسيون) أهفو لأوراس
لدينا الأمجاد في وهران
إيه عبد القادر اليوم رفّت
رايّة المجد فوق هذي المغاني
حرة أرضنا كما رمت هذا
شعبك الحر الشّامخ العنفوان
قد جلا الغاصبون عنها أذلاّء
وعادت لأمتي أوطاني
أين ﴿الاموريسيير﴾ بل أين ﴿دومال﴾
طوتهم غياهب النّسيان
وستحيا مخلد الذكريات باق
في حنايا القلوب والأذهان
يا ابن محيي الدّين انمحت
صفحات العار والأسى والهوان
قم وشاهد أرض الجزائر ملحت
حرة الشّعب والثّرى والأماني
الأهازيج والزّغاريد عرس
رقصت فيه فرحة الأحزان
نشوة النّصر في الوجوه تبدّت
وعلى كل أمة مقلة ولسان
عيدنا.... ثورة البطولة ذكرى
شهداء استقلالنّا الشّجعان
يا مهيدي.. يا حسيبة.. يا زيغود
أنتم وحي ونجوى بياني
فلذكراكمو أزف ترانيمي
وأزجي لمجدكم ألحاني
لك يا بلعيد التّحيات يوم الْعيد
تهدى ملاحنا وأغاني
لك يا ديدوش الجوارح تشدو الشّعر
زلفى من شاعر نشوان
أسكرته العلى فأرعش الأوتارَ
يشدو في دوحك الفينان
يا وراء الخيال يا رعشة الذكر
تسامى لأوجها وجداني
أنا صناجة النّضال صدى الثّورة
آه الشّهيد في الميدان
ملء عيني في شفاهي يحيا
وطني ملء خافقي وكياني
أنا فيض من الصّبابات والشّوق
وفرط الحنين والحرمان
أنا بركان لهفة ظمأ طاغ
وسهد يئن في الأجفان
ما أنا يا جزائر غير قلب
مخلص مفعم الإيمان
النّوى.. جرحى الدّفوق مدى العمر
فهل بلسم من الشّطآن
أبدأ ظامئ لنهلة ماء
من روابي (شرشال أو تلمسان)
أنا من (قاسيون) أسيون) أسائل
(أوراس)
متى يا ترى يحين التّداني
أأظن الحياة ناء يلوب الشّـ
شوق بي هائم الرّؤى والأماني

على ضريح عبد القادر

يا ثاوياً في ثرى ﴿قَسْيونَ﴾ تُشجينا
ذكراكَ هل تسمعُ اليومَ المنادِينا؟
اللهُ أكبر.. ﴿عبدَ القادرِ﴾ انحسرتْ
راياتُ ﴿دومالَ﴾ عن آفاق وادينا
هذي سراياكَ قمْ وانظرْ الستّ ترى
في السّاحِ أبناءك الصّيدَ الميامينا
هيهات سيفك لم يُغمدْ وما وهنتْ
يُمناكَ ما زلت حياً في مآقينا
ما زلتَ في شفةِ الأيام ملحمةً
تزفُّ حاضرَنا الزّاهي لماضينا
يا رافعَ الرّايّة الخضراءِ مذ خفقتْ
على الجزائر ما هُنّا لعادينا
تناقلتْها أكفُّ الثّائرين على
مَرِّ السّنينَ فَسَلْ عنها روابينا

ولْ حُماةَ الدّيار الصّيدَ كيف علتْ
تهزُّني خشعةُ الذكرى وتلهمني
لكل حفنةِ تربٍ من جزائرنا

في فجرِ نوفمبرَ للثأر تدعونا
آلاؤكَ الغُرُّ إيحاءً وتلقينا
ضمّت إلى صدرها الحاني أضاحينا

بلغتَ ثأركَ فاهنأْ يا بنَ فاطمة الزّ
أُسلسل النّغمةَ الحرّى على وتري
كنتَ المقدّمة الكبرى لقصتنا

ـزَهراءِ إنا على عهدٍ مُقيمونا
شعراً على خفقات القلب موزونا
ولم يزالوا لدنياها عناوينا

نذرتُ أن أحمل البشرى إليك وقد
لمجد ذكراك أزجيها.. لمن سقطوا
فليقرأ النّاسُ.. كل النّاس ما سطرتْ

وفيتُ نذريَ بالإجلال مقرونا
على ثرانا قرابيناً قرابينا
على ثرانا دماءُ المستميتينا

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1985؛
- شلتاغ عبود شراد: حركة الشّعر الحر في الجزائر، المؤسسّة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1985؛
- عمر بو قدورة: الغربة والحنين في الشّعر الجزائري الحديث، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة 1987.

عبد السّلام بوشارب
(1354هـ - 1935م/ 1441هـ - 2020م)

هو المجاهد واللواء (عبد السّلام بوشارب)، ولد عام: (1354هـ/ 1935م) في منطقة (عين ولمان)، التّابعة لولايّة (سطيف)؛ نشأ وترعرع في عائلة بسيطة، والتّحق في سن مبكرة بالمدرسة القرآنيّة، ونشأ منذ صباه على حب الدين الإسلامي الحنيف، واللغة العربيّة، وقد بدأ حياته النّضاليّة منذ سنوات شبابه، وبعد اندلاع ثورة التّحرير المجيدة التّحق بصفوف جيش التّحرير الوطني في النّاحيّة الثالثة، وعمل في المنطقة الأولى، وكان من بين المؤسسين لأول صاعقة في صفوف جيش التّحرير الوطني، وشارك في عدة معارك، وعمليات فدائيّة ناجحة ضد قوات الاستدمار الفرنسي، ولاسيما عندما عمل مسؤولاً للناحيّة الرابعة بالولايّة التّاريخيّة الأولى، وبعد الاستقلال واصل كفاحه، ونضاله لبناء الجزائر المستقلة، ولم يخرج من صفوف الجيش الوطني الشعبي، وفي عام: (1393هـ/ 1973م) شارك في حرب أكتوبر في جمهوريّة مصر العربيّة، وقد تقلد عدة مسؤوليات من بينها رئيس فيلق بالنّاحيّة السّادسة في ولايّة (تمنراست)، كما شغل المنصب نفسه بالقطاع العسكري لولايّة (تبسة)، و(عنابة)، وقد تميز اللواء (عبد السّلام بوشارب) بالفصاحة، وعذوبة القول في الحديث، وحبه للغة العربيّة، والشّعر العربي القديم ؛لذلك اختير لعدة سنوات ناطقاً رسمياً باسم وزارة الدفاع الجزائريّة، كما عمل مديراً للاتصال والتّوجيه في الوزارة نفسها، ونشر عشرات المقالات والقراءات في عدد كبير من الصحف والمجلات الجزائريّة، وقد توفي يوم الخميس (21رمضان1441هـ)، الموافق لـ (14 ماي2020م) .

ومن أهم مؤلفات المجاهد واللواء (عبد السّلام بوشارب) كتاب : "مقام الشّهيد رمز وتخليد"، وقد صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عن منشورات المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، سنة: (1404هـ/ 1984م)، وقد أهدى هذا السّفر القيم إلى"هذه الأرض التي كل شبر فيها خير شاهد، وكل قطعة منها مسقط رأس بطل، وكل شجرة فيها مأوى أسود وأشاوس..."، وقد قسم كتابه هذا إلى أربعة فصول، في الفصل الأول تطرق إلى طرائق التّخليد، وأشار إلى اختلاف الوسائل التي سلكتها الأمم التي فقدت أبناءها في تخليد موتاها، فمنها من أقامت لهم التّماثيل الرمزيّة تكريماً وإجلالاً لهم على الهدف الذي سعوا من أجل تحقيقه، وهناك من وارى هؤلاء الأبطال التّراب دون اسم أو صفة أو رتبة، وهذه الدول هي التي سلكت سبيل الجندي المجهول بصفتها طريقة من طرائق التّخليد، وقد تطور تمثال الجندي المجهول تطوراً تاريخياً كبيراً، واختار المجاهد (عبد السّلام بوشارب) بريطانيا بصفتها أنموذجاً، حيث يقول في هذا الصدد: "نشأت فكرة الجندي المجهول في أعقاب الحرب العالميّة الأولى حيث ارتأت الحكومة البريطانيّة أن يحمل جثمان جندي غير معروف الاسم والشّخصيّة ممن تضمهم مقابر الحرب البريطانيّة في فرنسا إلى لندن حتى يُدفن في ديرريستمنستر، وهي مقبرة خاصة بالعظماء حتى تعتبر الحكومة البريطانيّة بفضل عملها، قد قدمت ضريبة الوفاء لهؤلاء الأبطال...".

وقد تطرق في الفصل الثاني من كتابه إلى "رياض الفتح"، وفي الفصل الثالث تحدث عن "مقام الشّهيد"، وذكر بإسهاب الأدوار الرئيسة لمقام الشّهيد، وفي مقدمتها سد الفراغ الثقافي، والنّشر الواسع للإنتاج الوطني الثقافي والفني والسّينمائي، حسب الطريقة الخاصّة بكل نشاط، وتنظيم أنشطة ثقافيّة متنوعة، وتنظيم

المحاضرات والنّدوات، والملتقيات الثقافيّة والعلميّة، وتنظيم تظاهرات ثقافيّة وتربويّة، وترويحيّة تخصص للأطفال والشّباب، وتوفير إعلام أوسع عن نشاط الهياكل الثقافيّة، إضافة إلى أن مقام الشّهيد عنصر جوهري في كتابة التّاريخ، وهو عامل من عوامل تنميّة السّياحة الشّعبيّة، وفي الفصل الرابع من الكتاب أبرز "موقف الديانات من النّصب التّذكاريّة".

وقد وصف رئيس الجمهوريّة السّيد (عبد المجيد تبون) المجاهد (عبد السّلام بوشارب) بأنه من "المجاهدين المخلصين والوطنيين الصادقين الذين خدموا الوطن حتى وافاهم الأجل ".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد السّلام بوشارب: مقام الشّهيد: رمز وتخليد، منشورات المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م.
- د.محمّد سيف الإسلام بوفلاقة: بحوث وقراءات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 1437هـ/ 2016م.

عبد السّلام سلطاني
(1314هـ - 1896م/1377هـ - 1958م)

ينحدر الشّيخ عبد السّلام السّلطاني من عرش أولاد سلطان من نواحي الأوراس، ولد بقرية (البير) بلدية أولاد عوف دائرة عين التّوتة ولاية باتنة سنة 1896م، ووالده هو عبد الرحمن بن محمد السّلطاني، وكان عالما وفقيها، وقد رفض والده قبول تلقيب السّلطة الاستعمارية لأفراد أسرته بلقب ابن علجية – ولكن بعد وفاته أجبرت العائلة بإرفاق هذا اللقب بأسماء أبنائها، ثم قبضت السّلطات الاستعمارية على والده رفقة أخيه البشير وقامت بنفيهم إلى مدينة آفلو، لأنهم كانوا يرسلون مساعدات إلى المجاهدين الليبيين سنة 1911م، كما ساهمت عائلته في ثورة 1916م، التّي يسميها بعض المؤرخين انتفاضة أولاد سلطان في وجه الاستعمار الفرنسي.

بعدما أتم حفظ كتاب الله، توجه إلى أحد مراكز العلم وهي الزاوية العثمانية علي بن عمر بطولقة، فمكث بها ثلاث سنوات، تلقى خلالها دروس العلم في اللغة والدين والأدب، ثم شد الرحال إلى مدينة قسنطينة ليلتحق بأقسام الإمام ابن باديس العلمية، الذي كانت تربطه بوالده علاقة صداقة وعلم، ومكث هناك خمس سنوات، ولما رأى الإمام ابن باديس في تلميذه النّجابة والذكاء، وجهه تلقاء تونس وانظم إلى



جامع الزيتونة، بعدما أجرى امتحان الكفاءة، وبعد سنتين توجت المرحلة بشهادة إنهاء الدراسة، وحصل على شهادة التّطويع من المرتبة الأولى، هو وزميله الشّيخ مبارك الميلي، وشهادة التّطويع أي تطويع العلم والتّحكم في ناصيته سنة 1924، وكان من زملائه في الدفعة محمد السّعيد الزاهري ومحمد بن قاسم السّكيس وعبد الكريم بن محمد السّعيد، ولما عاد إلى عائلته أقيمت الأفراح بقدومه وشارك الإمام ابن باديس الذي انتقل إلى قرية البير لتهنئة الطّالب عبد السّلام وأسرته سنة 1924م، وألقى الشّيخ ابن باديس كلمة قال فيها: (إن هذه الجبال هي معاقل المجاهدين ومنها يأتي النّصر إن شاء الله).

التّحق الشّيخ عبد السّلام بزاوية برحال ببلدة (دوفانة) قرب مدينة باتنة، ليقوم بمهمة التّعليم، ولكن السّلطات الفرنسية لم تطمئن إليه لأنه من تلاميذ ابن باديس، فأصدرت قرار طرده ومنعه من التّدريس فعاد إلى تونس، وعمل مدرسا في عدة أماكن هناك، واشتغل مدرسا بجامعة الزيتونة حتى وافاه الأجل بتونس. وخلال إقامته الثانية في تونس كان يقدم مساعدات للطلبة الجزائريين في الزيتونة، وكان على صلة ببعض قادة الثورة ومنهم المجاهد محمدي السّعيد (سي ناصر)، والدكتور التّيجاني هدام.

وفي تونس كان للشيخ عدة إجازات علمية من علماء ذوي مكانة عالية مثل الشّيخ الصادق النّيفر والشّيخ محمد الطّاهر بن عاشور وبلحسن النّجار، كما أثنى عليه علماء أجلاء من الجزائر كابن باديس والشّيخ علي المغربي والشّيخ أحمد حماني.

لقد كان الشّيخ فقيها ولغويا ومحققا مدققا وناقدا بالمعنى التّقليدي للكلمة وشاعرا مقلا، ولعل الكتاب الذي رفع شهرته هو كتاب شرح شواهد الأشموني المسمى فتح المالك في شرح شواهد المنهج السّالك، وقال عنه المؤرخ أبو القاسم سعد الله

في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي: "لقد ألف السّلطاني أشهر وأكمل عمل في النّحو بين الحربين وهو شرح شواهد الأشموني، وقد طبع كتابه في تونس وأجازه له علماء الزيتونة وأصبح من المؤلفات المعتمدة في التّدريس بالزيتونة، ورغم كثرة العارفين بقواعد النّحو منذ الحرب العالمية الأولى فإننا لا نعلم أن آخر قد أقدم على مثل هذا العمل الشّاق". وجاء في تقريظ ابن باديس الذي يقول على الكتاب: " قد استوفى المقصود من شرح الشّواهد، وجمع من اللغة والنّحو والصرف والأدب شتى الأصول وجم الفوائد، يجمع قارئه من لغة العرب بين العلم والتّطبيق، ويسلك بذلك لتحصيل الملكة اللسانية والقلمية أقوم طريق، فجزى الله تعالى هذا الأخ المؤلف أحسن الجزاء على خدمته لغة القرآن، وتسهيله هذا الطّريق السّوي، من طرق التّعلم والتّعليم بمنه وكرمه آمين ". وتحدث الشّيخ عبد السّلام عن الدوافع التّي حملته على اقتحام ميدان شواهد الأشموني فيقول: " كنت أيام دراستي لهذا الشّرح على الألفية كثير التّطلب لفهم تلك الأمثال والشّواهد ومعرفة ما لها من الأسباب والموارد فمهما عثرت على فائدة من ذلك في بطن دفتر إلا ونقلتها، وما نثر أحد مشايخ درة تحقيق في مجلسه إلا التّقطتها حتى جمعت من ذلك فرائد ونظمت منها قلائد، وكان والدي كثيرا ما يوعز إلي بتنسيقها ونشرها قائلا: (لأن ذا من الأعمال التّي لا انقطاع لأجرها، ولأن الفائدة به أشمل، فالثواب عليه أجزل فأحجم عن ذلك استصغارا لمنزلتي عن مقام التّأليف والتّقييد... إلى أن جمعني الله تعالى بحاضرة تونس ببعض أهل العلم فذكر لي أن الحاجة بالنّاس لشرح هذه الشّواهد ماسة، ولا أحد نراه أعار لذلك حاسة، فحينئذ استخرت الله في الشّروع وشمرت على ساعة الجد مطرحا الراحة والهجوع".

وقد ترك الشّيخ عبد السّلام تراثا علميا قيما، شهد بقيمته أهل العلم، ومن مؤلفاته المنشورة كتاب يسمى "تحفة الخليل في حل مشكلة من مختصر خليل"، الذي طبع في المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، وقد أشاد ابن باديس بهذا الكتاب، وأشاد بكتاب شرح الشّواهد كثير من العلماء في الشّرق والغرب، لما فيه من علم غزير وشروح دقيقة للشواهد الشّعرية مبينا الظّواهر والمسائل النّحوية الواردة فيها، وذكر الشّيخ في مقدمة كتابه هذا: "إني لم أقصد به خدمة أمير، ولا رفعة لسدة ملك أو أعتاب وزير، وما أرجو به إلا أن أكتب في زمرة خدمة لغة سيدنا رسول الله ﷺ، لغة أنادي بها ربي حين أدعوه، لغة أفهم بها القرآن حين أتلوه، اللهم إني لا أقصد به إلا وجهك الكريم، ولا أرتمي ببضاعتي إلا على أبواب فضلك العميم". ولقد طبع هذا الكتاب في المطبعة الأهلية بتونس عام 1347هـ، وأهدى الشّيخ منه نسخة إلى صديقه جدي العلامة سي علي مدور بن المبارك شيخ قريتنا، وهي محفوظة في مكتبته وكتب الشّيخ عبد السّلام عليها إهداء بخط يده يقول فيه: "الحمد لله هذه النّسخة أهديها وأنا مؤلف الكتاب لصديقي العالم الصالح الشّيخ سيدي علي بن المبارك التّوبي لتكون من مشمولات خزانته العلمية كتذكار لاجتماعنا بمنزلي بأولاد عوف يوم 05 شوال 1364هـ" وعليه توقيعه وختمه الشّخصي.

وقد أعادت دار الوعي بالجزائر نشر هذا الكتاب بعناية الدكتور عمار طالبي.

وللشيخ مشاركات أدبية وإبداعات شعرية من أهمها قصيدته في تأبين شيخه العلامة محمد النّخلي القيرواني 1924م، وقصيدته في توديع شيخه الإمام ابن باديس في زيارته إلى تونس في سنة 1923م ومما قاله فيها:

وإني قد بلوت بني زمان
فلم أرى بالفضيلة من أحاطا
عدا عبد الحميد فذاك فرد
وحيد بالفضيلة قد أحاطا
خبير قد رأى أن السّنايا
من الأسفار تلتقط التّقاطا
وأنت نطاسي تبدي لكل
دواء حسب عاهته احتياطا
أمدك ربنا بخفي لطف
لتؤمن خوفه ذاك الرباطا

وتوفي الشّيخ على إثر وعكة صحية وألم به مرض مفاجئ أقعده الفراش وقام بعلاجه الطّبيب التّيجاني هدام، وفي شهر أكتوبر 1958م، ودفن بمقبرة الدهماني ولاية الكاف بتونس.

محمد مدور

المصادر:
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله
- عبد الحميد زوزو، الأوراس
- الأنترنت: موقع djazearess لحسن بن علجية، عبد السّلام بن عبد الرحمن سلطاني.
- شرح شواهد الأشموني عبد السّلام سلطاني 3 أجزاء، مهداة للشيخ سي علي مدور من قبل المؤلف
- تقريظ ابن باديس لكتاب شرح الشّواهد مطبوع في آخر الجزء الثالث.

عبد العالي بن بعطوش
(1347هـ - 1929م/1377هـ - 1958م)

ولد عبد العالي/ علاوة بن بعطوش في سقانة ولايّة باتنة بتاريخ 16 ديسمبر سنة 1929م وتلقّى تعليمه الأوّليّ في حفظ بعض السّور من القرآن على يدّ شيخ القريّة (سي مولاي) من ولايّة أدرار، وحين بلوغه السّادسة أخذه أبوه إلى مدرسة الأهالي ببريكة، ويحصل على الشّهادة الابتدائيّة وفيها أكمل مساره في تعلّم العربيّة والفرنسيّة. ومن بريكة ينتقل إلى مدينة باتنة ويواصل دراسته ويحصل على شهادات المرحلة المتوسّطة، وينتقل إلى الثّانويّة العصريّة (دومال) بقسنطينة عند أخواله ويتحصّل على البكالوريا، ويلتحق بجامعة الجزائر سنة 1949م ليسجلّ في كليّة الطّبّ. ونظراً للعراقيل التي توضع بخصوص الطّلبة الجزائريين في هذا الاختصاص؛ فإنّه وُجّه إلى كليّة الحقوق، وينال شهادة الليسانس سنة 1956م. وفي الجامعة يتعرّف على الجوّ السّياسيّ الذي بدأ يظهر في السّاحة الوطنيّة، ويتأثّر بأفكار حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطيّة المنبثقة عن حزب الشّعب الجزائريّ، وقد عيّن سنة 1953م عضوا في اللجنة المديرة للاتّحاد العامّ للطلبة المسلمين الجزائريين، وفي ما كوّن أوّل مجموعة طلابيّة للطّلبة المسلمين الجزائريين المنضويّة تحت لواء جبهة التّحرير الوطنيّ عامّ 1956، وبعد إضراب الطّلبة في 19 ماي 1956 قرّر (بن بعطوش) ورفيقه (الأمين خان) الالتّحاق بصفوف جيش التّحرير الوطنيّ مباشرة. وهكذا يتدرّج في المسؤوليّة بعد اشتعال الثّورة التّحريريّة ويظهر بريقه الوطنيّ في إضراب 19 ماي 1956م، إلى جانب زملاء له قادوا الإضراب إلى النّجاح. وضعت فرنسا اسمه في قائمة الملاحقين؛ فقرّر مغادرة العاصمة إلى الشّمال القسنطيني، ويلتحق بمكتب جبهة التّحرير في الولايّة الثّانيّة، وهناك يُكلّف بمهام المتابعة الصّحيّة للمجاهدين، ويقدّم دروساً في الإسعافات الأوّليّة. ولكنّه لم يُطل العمل في هذه المهمّة رُغم أنّ مستواه التّخصصيّ في هذا الجانب مقبول؛ لإنّه أجرى الجذع المشترك في ميدان الطّب لسنتين (2).

المسار السّياسيّ للشّهيد:

نتحدّث عن المسار الثّوري عبر نشاطه مع الثّوار، فيسجّل لصالحه إنّه لم يكن له عهد بالانخراط الحزبي في أوّل وصوله إلى العاصمة، ولكنّه صاحبَ زملاءه في الدّراسة والمنخرطين في حزب حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة المنبثق عن (حزب الشّعب) ويجري علاقات مع المنخرطين، ومع فرع فرنسا، ويحضر تنصيب اللجنة ومن ثمّ التّحقّ بقيادة المنطقة الثّانيّة مع (الأمين خان) ويقلّده (زيغود يوسف) رتبة (رائد) في الجيش نظير حنكته وخدماته، وبدأ يستخدم علاقاته الطّيبة في فكّ الخلافات التي بدأت تظهر بين القادة العسكريين والسّياسيين. وفي تلك الفترة الصّعبة التي يكلّف بمهام عاليّة السّريّة وخطيرة في ذات الوقت فيظهر الإخلاص في العمل بكلّ حِنْكَة، وينجح في مهامه التي كُلِّف بها من القائد الأوّل على المنطقة (زيغود يوسف) ويحضر (بن بعطوش) مختلف الاجتماعات العاليّة المستوى للقادة الثّوريين من مثل اجتماع القلّ (الشّكايل) وهناك يلتقي الزّعماء: علي منجلي، علي كافي، صالح بوبنيدر. وفي ذات السّنة يُكلّف من قبل (زيغود يوسف) بوضع نصوص قانونيّة تُنظّم عمل اللجان والمجالسّ الشّعبيّة في القاعدّة التي أنشئت بديلاً عن المجالسّ والقوانين الفرنسيّة الجائرة، فكان لـ (زيغود) ما أراد، بل سجّل بدائل نوعيّة في القوانين دون إهمال معالم وأبعاد الهويّة الجزائريّة ذات العلاقة بالإسلام والعُروبة والمُزوغة، إلى جانب النّظام الدّيمقراطيّ للحكم، ومرجعيّة الشّعب. وقبل انعقاد مؤتمر الصّومام، يكلّف كذلك بإعداد تقرير يعرض على القادة السّتة في اجتماعهم، فجهّز ذلك التّقرير على السّريع، فضلاً عن تقديم نصوص عن التّقسيم الإداريّ للولايات التّاريخيّة، والتّنظيم العسكريّ لجيش التّحرير الوطنيّ، إضافة إلى مشروع الذي حدّد فيه أوّلويّة السّياسيّ على العسكريّ ولقي هذا المشروع بعض المعارضة ولكن استطاع (بن بعطوش) حلّ الإشكاليّة بعد جهد مضن دام ليلة كاملة وعمل على إقناع المعارضين. وكانت هذه النّصوص بمثابة قوانين سارّية المفعول بدءاً من مؤتمر الصّومام ويعود مهندسها غانماً من المؤتمر الذي حقّق حلّ الكثير من المضايقات التي عرقلت مسار الثّورة في العامين الأوّلين من الانطلاقة، والاتّفاق على القوانين اللاحقة لمسيرة الثّورة وما بعد الثّورة في وثيقة تاريخيّة تعرف بوثيقة (مؤتمر الصّومام) التي عُدّت وثيقة مرجعيّة آنذاك.

استشهاده:

في إطار الوساطات السّياسيّة بين القادة في الدّاخل وفي الخارج، وفي إطار مهامه السّياسيّة كان (بن بعطوش) يكتب التّقارير ويعرض المشاريع بتكليف من المسؤولين وينقلها إلى القادة في الخارج للإعلام، وينقل لهم الوثائق السّريّة التي لا يمكن أن تنقل إلاّ عن طريق رجال ثقاة أمثاله، وهو الرّائد في الجيش ومكلّف بالإعلام السّياسيّ. وفي آخر زيارته العمليّة إلى تونس ينقل التّقرير العامّ إلى الحكومة المؤقّتة عبْر مسؤولي الجزائر بتونس عن الوضع العامّ للبلاد في ظلّ اشتدّاد الحرب التّحريريّة، وينقل مجريات مؤتمر الصّومام والنّجاح الكبير في رأب الشّق في أسبقيّة السّياسيّ على العسكريّ/ أسبقيّة العسكريّ على السّياسيّ. يذهب إلى تونس ضمن فريق سياسيّ وعسكريّ، وينقل التّفاصيل عن كلّ الأحداث والأوضاع، ويعود من تونس عبر (غار ديماو/ غار الدّماء) ويخرج لاجتياز الخطّ المكهرب (موريس) وفي مساء 3 مارس 1958م، يحاول اجتياز الخطّ، ولكنّ الصّعقة الكهربائيّة أقوى، فأرْدَتْه شهيداً ساقطاً، وينقل إلى بوشقوف بولايّة گالمة؛ حيث يلفظ أنفاسه شهيداً عالياً. يسقط الرّائد الشّهيد (علاوة/ بن بعطوش) وتبقى البلاد الجزائريّة راسخة في إنّها لا تسقط ما دام فيها

رجال زعماء يتركون الأمانة للخلف. وتبقى (باتنة) عاصمة الأوراس المجاهدة محافظة على مكانتها التّاريخيّة نظير التّضحيات المقدّمة على مرّ السّنوات والعصور حيث لم تتخلّف عن الرّكب يوماً، وأنجبت رجالاً قدّموا الكثير لهذا الوطن العزيز، سواء بإسهاماتهم الفعّالة في ثورة التّحرير أو قبلها، وكذا في مرحلة البناء والتّشييد، وتنوّع أبطالها بين الجهاد بالسّلاح أو الجهاد بالعلم والقلم. ويبقى الأبطال والشّهداء لا يموتون، فهذا الشّهيد (ابن بعطوش) المثقّف وذاك الشّهيد العلّامة الشّيخ (عُمَر دردور) وغيرهم من الذين تفتخر بهم الجزائر وهم من الأسماء التي قد تنكسر ولكنّها لا تنحني ولا تركع، أسماء خالدّة ترفع باتنة ومنطقة الأوراس هامتَها بهم، وحقّ لـ (مفدي) أن يقول:

ولم يَحْنُ أوراسُ هامتَه
ولا هَدَأتْ عاصِفاتُ الرّمالِ

صالح بلعيد

عبد العزيز الثّعالبي
(1293هـ - 1876م/1363هـ - 1944م)

ولد عبد العزيز الثّعالبي في مدينة تونس في 15 شعبّان 1293 ه/ 5 سبتمبر 1876م من أسرة جزائريّة، ومن سلالة (عبد الرّحمن الثّعالبي) الجدّ المجاهد الذي هاجر من الجزائر إلى تونس عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر، رافضاً الهيمنة والذّل الذي سلّطه المُستدمِر على الشّعب الجزائري. وفي تونس يدرس (عبد العزيز) على يدّ الكُتّاب، ويحفظ القرآن الكريم، ويتلقّى علوم: النّحو والعقائد والآداب، ثمّ يلتحق بجامع الزّيتونة الذي أمضى فيه سبع (7) سنين، ويتخرّج سنة1896 حاملاً شهادة التّطويع، ثمّ يتابع دراسته العُليا في المدرسة الخلدونيّة. ولما استوى عودُه العلميّ، ينخرط في الحياة السّياسيّة مجاهداً من أجل النّهوض الوطنيّ والإسلاميّ، كما ينظمّ إلى حزب تحرير تونس، ويكتب في الصّحف مقالات تدعو إلى الاستقلال والحريّة، ويتبع ذلك بإصدار صحف: المنتظر، المبشّر، سبيل الرّشاد، كما يعمل على إنشاء الحزب الوطنيّ الإسلاميّ؛ بمقوّم تحرير العالم العربيّ كلّه، وقيام الوَحْدة الشّاملة. وأضحى داعيّة الإصلاح والتّجديد والمقاومة ما جعله عُرضة للنّفي والتّرحال في سبيل دعوته ونضاله ومبادئه. وتحطّ به الرّحلات السّياسيّة في كلّ من: طرابلس الغرب، والباب العالي، ومصر لمدّة أربع (4) سنوات، ويعود لتونس، ويُشارك في التّظاهر الشّعبي ضد فرنسا، ويزجّ. وبعد خروجه يُسافر إلى فرنسا مُفاوضاً العدوّ (فرنسا) في استقلال الشّعوب المغاربيّة، وهذا في مؤتمر الصّلح، ويُعتقل حينها ويُرسل إلى سُجون تونس. ويُطلق سراحه مرّة أخرى، ويزور الجزائر وبلاد الغرب وآسيا من أجل تنوير الرّأيّ العالميّ بخطورة المُستدمِر الفرنسيّ الجاثم على شعوب المغرب العربيّ، ويعود بكسب تأييد شعبيّ لقضايا التّحرّر المغاربيّ.

عبد العزيز الثّعالبي السّياسيّ ا لمجا هد :

يُعدّ من أوائل المجاهدين، وعلماً من أعلام الوطنيّة والإصلاح، وداعيّة من أبرز الدّعاة إلى العروبة والإسلام في عصره الذي تميّز بظهور عدد من المناضلين الذين وقفوا في وجه الطّوفان القادم مع الاحتلال الغربيّ احتلالاً للبلاد، وتشويهاً لقيم العروبة والإسلام، وتدميراً للنّفوس بتدمير أخلاقها، وغزواً ثقافيّاً عمل على تخريب المجتمعات العربيّة والإسلاميّة، وكان من جيل الرّواد الذين جمعوا بين القول والعمل، فجاهد على أكثر من جبهة وميدان، وتحمّل الكثير من الأذى في سبيل الله والأمّة العربيّة والكرامة. ولم يكن من المهادنين، بل ظلّ في الشّارع يجيّش الشّعب من أجل الثّورة، فوُضِع في قائمة أعداء فرنسا، فكانت تُحضّر له المكائد من رفاقه التّابعين للمُستدمِر، وتنقلب عليه بعض الجهلة لينادوا في الشّارع «الثّعالبي كافر» «اقتلوا الثّعالبي». ولما عرف الشّعب الحقيقة سارت مظاهرات منددّة بملاحقاته، وما يجده مِن مُضايقات. وهكذا يعلو كعب (الثّعالبي) أمام التّوانسة، ويُذاع اسمه الجهاديّ في الآفاق ويُصبح رمزاً للجهاد السّياسيّ والوطنيّ والقوميّ، ويقول عنه (محمّد الفاضل بن عاشور): «برز الثّعالبي بعد الحرب العالميّة الأوّلى، بما له من ماضٍ في السّياسة والإصلاح الدّينيّ والاجتماعيّ، فبعث معالم النّهضة التّونسيّة، وأصبح أحدَ زعماءِ نهضة البلاد التّونسيّة".

الثّعالبي ونظرته الإصلاحيّة والتّربويّة:

كان الثّعالبي يركّز على الاستثمار في الشّباب؛ فهو عماد الحاضر والمستقبل، ويقترح آراء إصلاحيّة تربويّة جديرة أن يستلهمها الشّباب العربيّ المسلم ليكون قادراً على طرْد الغُزاة، ولا يكون هذا إلاّ بتأسيس ثقافة عربيّة إسلاميّة لها مقوّمات إعادة الثّقة في الأمّة الإسلاميّة التي هي أعظم أمم الأرض، وأقدرها

على مواجهة الأحداث، فلا بدّ من تكوين الشّباب المسلم القادر على العمل في سائر الميادين الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والتّربويّة والدّينيّة، وضرورة إصلاح النّفوس لتصلح أحوال الشّباب، حتى يستبدلوا السّيء بالأحسن ولا بدّ من الجامعات العربيّة والإسلاميّة أن تقوم على أسس علميّة منهجيّة سليمة في الإحياء والتّجديد، وكان يدعو إلى التّخصّص في العلوم، وبناء المؤسّسات، واعتماد الإعلام في محاربة الإعلام المُشوّه لخصوصياتنا. كما يدعو إلى التّربيّة التي تحثّ على العمل الجماعيّ، والاعتبار من الأخطاء، ويحثّ دائماً الشّباب العربيّ على ضرورة الاعتزاز بلغته العربيّة وقوميّته وتاريخه ونراه يهتمّ بالعربيّة باعتبارها مقوّماً أساساً للذّاتيّة الوطنيّة، ويدعو لتعليم الفصحى ونشرها، فهي الحافظ لكياننا، ويرى أنّنا أمّة قويّة عزيزة الجانب، ولها تأثير فعّال في سير السّياسة العالميّة وعلينا أن نعرف هذا، ونتحرّك بحسبه، ونلتمس الأسباب لذلك، هذا من جهة أوّلى، ومن جهة ثانيّة يهاجم الطّرائق الصّوفيّة ومشايخها، متّهماً إيّاها بالدّجل والتّحايل على ضِعاف العقول عبر ادّعاء الكرامات، وخوارق العادات، وكشف الغَيب، ونادى بإلغاء كلّ الوسائط بين الإنسان وربّه، وبإغلاق الزّوايا التي كانت في رأيه تنشر الأفكار المتحجّرة المنافيّة للتّطوّر العلميّ، وتبثّ عقائد الشّرك والخرافات ضمن رؤيّة توحيديّة حاسمة.

الثّعالبي (ابن خلدون) جديد:

لا شكّ أنّ هذا اللقب لم يأتِ من فراغ؛ بل قام على أحقيّة الرّجل في تعدّد اختصاصاته وتنوّع نضاله، واستشرافه للمستقبل. فلقد تمتّع باحترام بالغ أينما حلّ، ووضع نفسه وأفكاره في خدمة القضيّة الفلسطينيّة، وأطلقت عليه الصّحافةُ الفلسطينيّة لقبَ (ابن خلدون الجديد) بعد أن ألقى محاضرات، وكتب مقالات لتوعيّة الشّباب الفلسطينيّ بخطر الاحتلال البريطانيّ لفلسطين، والخطر الصّهيوني القادم لكلّ أقطار العالم. وكان الثّعالبي يستخدم لغة سلسة مفهومة للمواطن البسيط، ويدعم أفكاره بأدلّة فلسفيّة وعقليّة مبسّطة. إنّه الرّجل المفكّر العملاق ويوزَن بميزان العمالقة المُجدّدين: جمال الدّين الأفغاني، محمّد عبده، الكواكبي، محمّد إقبال... وهم ثلّة من الذين لا تزال بصْماتهم التّنويريّة قائمة، والشّعلة لا تنطفئ؛ فهي في أيادي مُريديهم.

الثّعالبيّ كاتباً وصحافياً ومُؤلّفاً:

إنّه صاحب المرايا العاكسة للعديد من الاختصاصات، فهو الكاتب في قضايا أمّته، وهذا ما نلمسه من خلال حمل ضرورة جلاء المُستدمِر عن البلاد العربيّة وهذا بما كان يُدبّجه من مقالات صحافيّة في جرائد: التّونسي/ Le Tunisien / المنتظر/ المبشّر وكان يلاحق كلّ الصّحف بمقالاته التي يبثّها عبر قلمه السّيال، وأفكاره النّيرة، في جرأة أدهشت قراءه. وتتعدّد خصاله الفُضلى؛ بكوْنه خطيباً مُفوّهاً ومُحاضراً مُجيداً، وكاتباً بارعاً، وعالماً ومُؤلّفاً قديراً؛ فكتب وألّف، وكان لكتاباته آثارها البالغة في نفوس من تصل إليهم من التّونسيين والعرب والمسلمين والفرنسيين وسواهم، فألّف:

- تاريخ شمال أفريقيا؛
- فلسفة التّشريع الإسلاميّ؛
- تاريخ التّشريع الإسلاميّ؛
- روح التّحرّر في القرآن؛
- مذكّراته. في خمسة أجزاء.
- معجزات محمّد رسول الله -ﷺ- نُشر جزآن.
- محاضراته في جامعة آل البيت ببغداد. وقد نشرت في الصّحف البغداديّة.
- تونس الشّهيدة، طبع في باريس باللغة الفرنسيّة، وترجم إلى العربيّة بعد وفاته.
- الكلمة الحاسمة؛
- تونس الشّهيدة؛
- خلفيات المؤتمر الإسلاميّ بالقدس.

هي سيرةٌ لافتةٌ جمع فيها صاحبُها بين الهمّ الفكريّ والعمل السّياسيّ، وواءم خلالَها بين الهواجس القوميّة والدّينيّة، مع الالتّزام بقضيّة الوطن الأمّ الرّازحة تحتَ نيْر الاستعمّار. سيرة صهرَها الشّيخ المصلح وسخّرها في شخصيّة عالمة شديدة التّنوّع في خدمة الشّأن العامّ، مازجاً فيها بين الفكر الإصلاحيّ العقلانيّ الذي شيّده المصلحون السّابقون بالمبادئ التّحرريّة العالميّة، وخصوصيات الحركات الثّوريّة العربيّة التي ما فتئت تثور وتثور للخروج من الانعتاق. وتلك المسيرة النّضاليّة تنتهي في الأوّل (1) من أكتوبر 1944م، بأن يُسلّم روحَه للبارئ، ويترك أثراً حسناً لا يزال التّاريخ يحفظ له تلك السّيرة والمسيرة الكبيرتين في سجّل أصحاب القضايا العادلة الذين استلهموا أفكاره للدّفاع عن حرّياتهم، وقد تمثّلوها واستطاعوا الخروج من الوهن والفقر والجهل والفشل.

صالح بلعيد

عبد العزيز بجاجة
(1375هـ - 1955م/1335هـ - 2014م)

عرف الباحث عبد العزيز بجاجة بولعه بالتّراث المادي والمعنوي منذ كان شابا يافعا، فلم يتردّد في اختيار الهندسة المعماريّة كتخصص علميّ ومهنيّ، أملا في تحقيق حلم العيش بين الآثار والتّمتع بعبق تاريخ العمارة الإسلاميّة والمغاربيّة والأوروبيّة، والتّفنن في ترميم وإعادة تأهيل ما استطاع من المنشآت المعمارية الأثريّة التي سحرته وسكنت قلبه وعقله.

ولد عبد العزيز بجاجة في السّادس عشر من أفريل 1955 بحي السّويقة العتيق بقسنطينة وكبر في بيت مفعم بحب العلم والثّقافة والفن، وهو ما منحه حظ الانخراط في الكشافة الإسلاميّة إلى جانب تعلّمه فن الموسيقى على يدّ الشّيخ إبراهيم العموشي وحظي بالمشاركة في عدد من المهرجانات الخاصة بالموسيقى الأندلسيّة، التي لم يتوان هو وزملاء له بجمعية مقام في تأسيّس جمعيّة خاصّة لحمايتها كتراث وكان ذلك سنة 1995، كما بادر إلى تنظيم أول منتدى للموسيقى الفنيّة المغاربيّة الرّاقيّة سنة 2000.

كان عبد العزيز يتمتع بحس فني عال كان له أثر توجهه واختياره لفن العمارة في مساره المهني، حيث درس في مدارس قسنطينة كل الأطوار التّعليميّة فكان تلميذا في ثانوية رضا حوحو التي تحصل فيها على شهادة البكالوريا في شعبة الرّياضيات سنة 1974، قبل أن يلتحق بكلية الهندسة المعمارية والتّخطيط العمراني بجامعة منتوري ويتخرّج منها برتبة مهندس دولة عام 1980 ويلج بذلك الحياة المهنية بعزيمة شاب طموح يرغب في خدمة وطنه بكل ما أوتي من قوة وإرادة صلبة، غير أنه لم يكتف بتحصيله العلمي داخل الوطن فقرّر توسيع خبراته من خلال السّفر إلى إيطاليا التي تلقى فيها تكوينا مهما في تخصص ترميم المعالم الأثرية والمواقع التّاريخية بجامعة (سابيانزا) بروما وتحصل على شهادة في هذا المجال عام 1985 ولم يكتف بذلك بل راح يشارك في دورات تربص مهمة منها تربص رفيع المستوى من تنظيم (إيني ميد) ببريندیسي الإيطاليّة التي زادته خبرات ومعارف جديدة في تقنيات الترميم دعمها بتكوينات إضافية إلى جانب شهادة التّأهيل كمهندس معالم أثرية ومواقع محمية التي منحته إياه وزارة الثّقافة سنة 2006.

اشتغل عبد العزيز بجاجة في مجال التّعليم كأستاذ مساعد بمعهد الهندسة المعمارية والتّخطيط العمراني بجامعة منتوري قبل أن يشغل منصب نائب مدير مكلّف بمستوى ما بعد التّدرّج بذات الكلية بين سنتي 1993 و1995، كما تم اختياره كمنسق للفريق الجزائريّ في الاتفاقيّة المبرمة مع مدرسة الهندسة المعمارية لومیني بمارسيليا بفرنسا.

خبرته الواسعة في مجال العمارة والترميم رفعته إلى مصاف الخبراء والمستشارين، حيث تمّ الاستعانة خبرته كمستشار بمديرية التعمير بقسنطينة خلال تنفيذ برنامج المخطط الرئيسي المشترك مع الجامعة الإيطاليّة روما 3. فضلا على استعانة مكتب الدّراسات بمصلحة الهندسة المعمارية والتعمير بولاية قسنطينة كمستشار في عدة مشاريع وبرامج بين 2003 و2004 منها مسابقة تجسيد المكتبة الجهوية بقسنطينة، مشروع هدم عمارة (كادو) بحي بلوزداد، متابعة برنامج ترميم مسجد سيدي كموش، المدرسة والكتانيّة والمحكمة القديمة بقسنطينة، تحقيق شريطين حول عملية ترميم المسرح الجهوي بقسنطينة وكذا شريطين آخرين عن ترميم معهد ابن باديس، بالإضافة إلى خبراته بالعديد من المدن الجزائريّة.

أسندت له كذلك مهمة الدّراسة والمتابعة لعدد مهم من مشاريع التّرميم وإعادة التّأهيل نذكر منها: معهد ابن باديس سنة 2006 وقصر الحاج أحمّد باي بين سنة 2003 و2010 والمخطط الدّائم للحفاظ وإعادة المكانة لوادي ميزاب بغرداية سنة 2009 ومسجد سيدي الكبير بمدينة القل وكذا مسجد سيدي غانم بميلة وسور الحصن البيزنطي بسطيف وكذا متحف الفنون العصرية بالعاصمة ومسجد حسن باي بسوق الغزل بقسنطينة.

جسّد بجاجة عديد المشاريع البحثية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، (باثولوجيا العمارة)، (أطلس صخر قسنطينة بحث بتطبيق الصُّورة)، هوية العمارة والعمران بقسنطينة على ضوء أرشيفها ورصد للمدينة الجديدة بين الحقيقة والافتراضيّة.

لم يكتف بجاجة بالتّدريس بل خاض تجارب في كل المجالات التي لها علاقة بفن العمارة والآثار، كما لم يتأخر عن التّظاهرات والملتقيّات العلميّة والفكريّة التي كانت له مشاركات مهمة في العديد منها سواء داخل أو خارج الوطن. نذكر منها ملتقى (يامي بالنيجر سنة 2011 والمنتدى الجهوي الأورو-متوسطي حول العمارة التقليدية حاضرا مستقبلا عام 2007، فضلا عن ملتقى مارسيليا سنة 2001 وغيرها من الملتقيات والمؤتمرات التي كانت له مداخلات قيّمة فيها، تجدر الإشارة إلى بعضها (المحافظة والتّرميم داخل المراكز التّاريخيّة)، (إعادة إدماج مكان في المدينة)، (حماية القصور)، (مستقبل المدن القديمة).

أثرى الباحث والمعماري والمرمم الفنان المكتبة الجامعيّة الجزائريّة بعد توقيعه لعدد من المؤلفات والدّراسات التي تصنّف اليوم مرجعا للطلبة والباحثين، منها، إسهامه في قاموس الجزائر وفرنسا، لمعدته جانين فيرديس ليرو والصّادر عن دار روبير لافرون نيل جوليار سيغر بباريس عام 2009 وذلك بمقال موسوم إشعار حول إعادة تأهيل معهد ابن باديس بقسنطينة وإشعار حول قصر الحاج أحمّد باي، بالإضافة إلى مقاله الموسوم القصور الجزائرية: تراث في حاجة إلى

إعادة الاعتبار الصّادر ضمن منشورات كامبريدج سكولرز عام 2014، ناهيك عن التراث معماري تكييف، استغلال وصيانة الصّادر في نشريّة متخصصة ببرشلونة عام 2007 في إطار برنامج (إعادة تأهيل العمارة التّقليديّة بالحوض المتوسط...و غيرها من الأعمال والدّراسات التي يشهد له زملاؤه بتفانيه وجديته في إعدادها.

توفي رحمه الله في سنة 2014م، وكان حريصا على نقل معارفه في الهندسة المعمارية وفنون الترميم إلى طلبته الذين نهلوا من خبرته في هذا المجال.

سلمى بحشاشي

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

عبد العزيز بن إبراهيم الثميني (ضياء الدين)
(1130هـ - 1718م / 1223هـ - 1808م)

علم من أبرز أعلام الإباضية وأحد باعثي نهضتها الإصلاحية الحديثة، من بني يسجن بميزاب، ولد ونشأ بها، وحفظ القرآن ببلدته، ثمَّ سافر إلى وارجلان ليدير أملاك والده بها حتَّى سنِّ الثلاثين، وبقدوم الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي (ت: 1202هـ / 1787م) إلى ميزاب عاود الكرَّة في سبيل العلم، ولازمه في حلقاته إلى أن نبغ في علوم اللغة العربيَّة والشريعة والمنطق وغيرها، خاض مع شيخه معركة الإصلاح في المجتمع، فلاقى من أجل ذلك أذى كثيرًا، فكان ذلك العهد بداية للحركة الإصلاحيَّة التغييريَّة بوادي ميزاب، والتي امتدَّت إلى ما بعد عهد الشيخ بيُّوض إبراهيم، وفي سنة 1201هـ/ 1786م أسندت إليه مهمَّة مشيخة العزَّابة، فلازم العمل الاجتماعي والإصلاحي، والمهام الدينيَّة ردحًا من الزمن، ثمَّ اعتزل الناس ليشتغل بالتدريس والفتوى والتأليف، «ولزم داره خمس عشرة سنة، لا يخرج منها إلاَّ إذا حزب الأمَّة أمرٌ»، امتاز في كتبه بالعمق وقوة الأسلوب، بغزارة المادة، وسعة الاطلاع، وقلة الحشو وبالأسلوب المتين، مع حسن السبك والترتيب حتى كتبه المختصرة، عكف الشيخ عبد العزيز الثميني على التربية والتعليم وإعداد الرجال، الذين حملوا راي الإصلاح والنهضة الحديثة في ميزاب من بعده، فثقف جموعاً كثيرة من التلاميذ، ونبغ على يده جماعة من العلماء خلفوه في الإصلاح، وبثّ العلم والنهضة في ميزاب، ومن هؤلاء الأفذاذ مِمَّن تخرَّج على يديه: إبراهيم بن بيحمان، والشيخ أبو يعقوب يوسف بن حمُّو بن عدُّون، وقد مرَّت عليه سلسلة نسب الدين.

غير أنَّ التأليف استوعب معظم انشغاله فأثرى بذلك المكتبة الإسلاميَّة بكثير من أمَّهات الكتب في مختلف الفنون، ومن مؤلفاته نذكر:

- (أرجوزة في الفلك ومنازل البروج) (مخ).
- (الأسرار النورانيَّة على المنظومة الرَّائية) مختصر شرح رائيَّة أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي في الصلاة (مخ)، طبعت في مصر طبعة حجرية.
- (التاج على المنهاج)، في ستَّة وعشرين جزءًا، وهو تحت الطبع في سلطنة عمان، ضبط وإعداد الباحثين محمَّد باباعمي، ومصطفى شريفي.
- (مختصر في أمور الزواج المقتبس من كتاب المنهاج) (مخ).
- (تعاظم الموجين، شرح مرج البحرين) للشيخ أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، في المنطق(مخ).
- (التكميل لِما أخلَّ به كتاب النيل)، (مط).
- (عقد الجواهر من بحر القناطر)، في جزأين (مخ). يقع في جزأين، وهو في الفلسفة الشرعية والأخلاق والآداب الإسلامية.
- (كتاب النيل وشفاء العليل)، عمدة المذهب في الفقه، جمع مادته من 22 كتاباً، وقد اختصره ثلاث مرَّات، وتوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة، حقَّقه الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلِّي وطبع في ثلاثة مجلَّدات، وشرحه القطب الشيخ امحمَّد ابن يوسف اطفيَّش، وطبع في 17 مجلَّدًا. كما أنَّ بعض أجزائه حظيت بالترجمة إلى اللغات الأجنبية، منها: ترجمة أوشير (Aucher)، وترجمة زيس (Zeys).
- (مختصر حواشي ترتيب مسند الربيع بن حبيب)، في الحديث (مخ).
- (المصباح المقتبس من كتاب أبي مسألة والألواح)، لأبي العبَّاس أحمد بن محمَّد بن بكر (مخ).
- (معالم الدين)، في علم الكلام، طبع بعُمان، وهو بصدد الدراسة والتحقيق من قبل الباحث عمر بن إسماعيل قلاَّع الضروس، لإعداد رسالة ماجستير.
- (النور) مختصر شرح نونيَّة أبي نصر في العقيدة، (مط).
- (الورد البسَّام في رياض الأحكام)، (مط).
- مراسلات عديدة منها ما هو مع أهل عمان، وهي مخطوطة يرجع تاريخها إلى عام 1205هـ.
- (حقوق الأزواج)، (مخ)، وهو كتاب بديع في فنه، شرح فيه أحكام الشريعة التي تضمن للعائلة هناءها ورخاءها.
- فتاوى متناثرة في كثير من المصادر.

تتميز مؤلفات الشيخ عبد العزيز الثميني بالتفتح المذهبي ونبذ التعصب لمذهب دون آخر في البحث والتنقيب، فهو يدرس كتب المالكية والحنفية والمذاهب الأخرى، ويعرّف آراءها وعقائدها، ويعرف حقيقة المذهب من كتب أصحابه، ويقارن بين أقوال المذاهب فيرجع الصحيح بالأدلة والبرهان، ترى في كتبه في الفقه ككتاب النيل وغيره، وأصول الدين أقوال المذاهب الكبرى: المذهب الإباضي والمذاهب الأربعة، والمذهب المعتزلي، والشيعي، فيناقش أقوالها على ضوء الكتاب والسنة ويعززها، عاش الشيخ عبد العزيز الثميني 93 سنة، ولم يوافه أجله حتى أدرك جلّ مناه، فرأى مؤلفاته تدرّس وتلاميذه النبغاء يرفعون راية العلم والإصلاح من بعده، وقد ترك مكتبة ثريّة انتقلت إلى حفيده محمّد بن صالح الثميني، وهي الآن ببني يسجن باسم مكتبة الإستقامة.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- الثميني: كتاب النيل، مقدّمة الشيخ عبد الرحمن بكلّي.
- التكميل لما أخلّ به كتاب النيل، مقدّمة محمّد الثميني
- يوسف بن حمو بن عدون: بيان في تاريخه، نقلها الناسخ من ورقة قديمة
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي.

عبد العزيز بن السّعيد

عبد العزيز بن السّعيد العامري، ولد في أوائل القرن التّاسع عشر، بمنطقة عين السّبع التّابعة حاليا لبلديّة تامسة دائرة سيدي عامر، ينحدر من عائلة مرابطيّة عريقة، عرفت بمآثرها العلميّة وزعامتها الدّينيّة، تلقى مبادئ العلوم رفقة أشقائه بمسقط رأسه في محضرة والدّه سي السّعيد، ثم أكمل تعلمه بزاويّة سيدي خالدّ ببسكرة، وبعد تخرجه عاد إلى مسقط رأسه ليؤسس زاويّة لتعليم الطلبة، درّس فيها القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة واللغة العربيّة.

لم يلبث طويلا حتى صار أحد أبرز علماء وفقهاء منطقة بوسعادة وأولاد نايل أواسط القرن التّاسع عشر، وشاع ذكره بين الناس وأطبقت شهرته الآفاق.

إن أسرة سيدي عبد العزيز نموذجا للأسر الشّغوفة بالعلم والتعليم، فشقيقه المزاري بن السّعيد افتتح هو الآخر محضرة علميّة قرب جبل زمرة بتامسة، ودرّس بها ردحا من الزّمن علوم الشّريعة واللغة العربيّة، وكان يداني سيدي عبد العزيز علما وحفظا، وأخواه: سي محمّد وسي رافع ذكرا في وثيقة مؤرّخة في حوالي سنة 1860 ضمن أبرز فقهاء وعلماء المنطقة.

إن سنة 1837 تمثل سنة مهمة في حياة سيدي عبد العزيز وفي التّاريخ النّضالي لمنطقة بوسعادة ككل، ففي شهر ماي من سنة 1837 وقّع الأمير عبد القادر، معاهدة تافنة مع الجنرال بوجو، وتوقفت بموجب هذه المعاهدة المواجهات العسكريّة بين الأمير وبين قوات الاحتلال الفرنسي، وصار الفرنسيون محصورين في بضع مدن ساحليّة، مع مناطق مجاورة ضيقة جدا، بينما بقيت كل القلاع والمراكز الهامة في داخل البلاد في يدّ الأمير عبد القادر الذي أصبح بتلك المعاهدة يمتلك ثلثي الجزائر، فتواصل الأمير عبد القادر مع قبائل منطقة الحضنة وأولاد نايل، لمحاولة إيجاد حلفاء له بالمنطقة، وفي هذه الأثناء سمع الأمير عبد القادر بالسّيد عبد العزيز بن السّعيد، وعينه قاضيا على أولاد عامر في رسالة بعث بها الآغا أحمّد بن أبي الضياف إلى أولاد عامر مؤرخة في سنة 1253 هـ/ 1837م، ومما جاء فيها :

(الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد وآله

إلى جماعة أولاد عامر، نخص منهم: بن زيان، ومحمّد بن عبد السّلام، والسّايح بن عزوز، ولخضر بن عامر، وكافتكم سلام الله عليكم

وبعد:

نعلمكم بأن السّيد عبد العزيز قد سمع به السّلطان يقصد به الأمير عبد القادر، وعلم به أنه يصلح للقضاء، فأمرني أن نقضيه، ونجعل له طابعا لليد ... لا بد منكم أن تكونوا عند أمره ونهيه في حق الله، فإن نهاكم فانتهوا، وإن أمركم فأطيعوا ... إن مولانا نصره الله أمرنا بتوليته، ولا يجوز لنا أن نخالفه فيما أمرنا به، والسّلام ..) .

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير منح القضاة في زمنه صلاحيّات وسلطات واسعة، وجعل لهم يدا قويّة، وهذه الرّسالة تدل على الاتصّال المبكر لقبائل المنطقة بالأمير عبد القادر، ويبدو أن القاضي سيدي عبد العزيز قد كان له دور كبير في حث قبائل المنطقة على تقديم مبايعتها للأمير عبد القادر، وتجنيد أبنائها في جيش الأمير كفرسان ومشاة، ودعمه بالخيل والمؤونة والسّلاح، وفي هذا السّياق يذكر (آرنو/ Arnaud) بأنه في نهايّة جانفي 1846م جدّد أولاد نائل بما فيهم أولاد عامر مبايعتهم للأمير عبد القادر في (عقلة العكفة) بمنطقة زاغز الشّرقي، وحسب الموقع الذي حدده فرونسوا دوفيلاري فإن المبايعة تمت بالنّطاق الإقليمي لدائرة سيدي عامر حاليا، وعلى إثر هذا قدم الكولونيل (دي مونتي/ Dumontet) من ونوغة وعسكر في المنطقة المسماة حاسي الذّبان وسط

مضارب أولاد فرج، ومنها انطلق نحو أولاد عامر لمعاقبتهم على دعمهم لثورة الأمير عبد القادر.

يذكر الأستاذ حكيم شويحة أنه :

(بعد هذه المبايعة أعاد الأمير تنظيم صفوفه بلحاق المزيد من فرسان أولاد نايل للسير نحو بلاد القبائل (واد يسر وواد سيباو) في محاولة من الأمير حث قبائل تلك المنطقة على الالتحاق به، وقد تعرض إلى هجوم الطّوابير الفرنسيّة التي أعجبت بمهارة فرسان الأمير عبد القادر التي كانت تناور في بيئة ذات تضاريس وعرة جدا وشقت كل جبال جرجرة، بل وخيم جيش الأمير على مسافة صغيرة من الجزائر ليعود مرة أخرى إلى مناطقنا بعد أن ركز الجيش الفرنسي بقيادة المجرم الماريشال بوجو كل جهوده لإحباط محاولات الأمير الإبقاء على وهج المقاومة، في هذه الظّروف تلقى أولاد نايل وحلفاؤهم من القبائل الأخرى كل ترسانة الجيش الفرنسي، فأكثر من ست حملات خربت وشردت عروشا بأكملها، ولعل مقولة الجنرال دوبراي في كتابه ذكرياتي تعكس ما تكبدته المنطقة خاصة في سنة 1846 : (انجرف يوسف بمهارة على القبائل التي دعمت عبد القادر الذي أختفى، ولا سيما الاتحاد الكبير لأولاد نايل، الذي خربناه).

فقد ظل الأمير يجد دائما العون والمؤونة والرّجال، ولكن حرب الاستنزاف التي قادها الجنرال السّفاح يوسف على قبائل المنطقة والملاحقة المستميتة للأمير دفعته الى الذّهاب الى الغرب. بالإضافة إلى دور سيدي عبد العزيز في المقاومة، فقد كان رجل علم وقلم، وترك العديد من الآثار العلميّة منها :

- نسخة بخط يده لكتاب : نموذج اللبيب في خصائص الحبيب للحافظ السّيوطي؛
- نسخة بخط يده لاختصار ابن الصّباغ لشرح عبد الكريم الزّواوي للوغليسيّة؛
- نسخة لتبصرة الذّاكرين في طريقة السّالكين .

لم ينقطع حبل العلم عن أسرة القاضي سيدي عبد العزيز، فقد أنجب ثلاثة أولاد حملوا لواء العلم من بعده وهم:

الشّيخ القريشي بن عبد العزيز، ومن بين آثاره العلميّة نسخة بخط يده من كتاب: الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام.

- الشّيخ السّنوسي بن سيدي عبد العزيز؛
- الشّيخ الشّريف بن سيدي عبد العزيز.

عاش سيدي عبد العزيز مجاهدا بعلمه وقلمه، شغوفا ببث العلم ونشره، إلى أن لقي ربه، ودفن بمقبرة الهامل.

سعيد النّعمي

المصادر:

- Arnaud, Histoire des Ouled Nail, Revue Africaine, 1873.
- François de Villaret, siècles de steppe, jalons pour l'histoire de Djelfa
- سعيد النعمي، مقاومة أولاد عامر للاحتلال الفرنسي، دار الخلدونيّة، ط 1، 2019.

عبد العزيز سيدي عمر
(1342هـ - 1923م/1429هـ - 2008م)

الفقيه المحدث المؤرّخ عبد العزيز بن علي بن محمّد عبد العزيز بن امحمّد بن محمّد بن عمر –صاحبا الزّاويّة المهديّة– ابن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف المهداوي التنلاني التواتي من آل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ولد سنة 1341 هـ الموافق لـ 1923م، بقريّة (المهديّة) قريّة من قرى (توات) بولايّة أدرار الجزائريّة.

حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربيّة على يدي عمه الشّيخ محمّد الصالح، ثم نقله والده رحمه الله إلى بني تامرث لمجلس الشّيخ المفتي العلامة محمد عبد الكريم البلبالي، فافتتح له بقراءة المرشد المعين على عادة المدارس التواتيّة، ثم الرسالة لابن أبي زيد القيرواني والأخضري وغير ذلك من فنون التوحيد والفقه ثم النّحو ثم الفرائض ثم الحساب ثم التصوف ثم التفسير.

ثم قرأ عليه صحيح محمّد بن إسماعيل البخاري مرات متعددة، وقد استحسن قراءته للصحيح، وأعجب بها أيما إعجاب وشهد له بالبركة في سرد صحيح البخاري، ثم أجازه رحمه الله وأعطاه الأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونص ما أجازه به:

"الحمد لله الذي اختار لخدمة العلم طائفة من عبيده، وشرفهم على أبناء جنسهم بالتفقه في دينه، ووعدهم بترجيح مدادهم على دم الشهداء يوم القيامة على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأزواجه،أما بعد: فقد أجزنا الفقيه الأجلّ النّبيه سيدي عبد العزيز بن سيدي علي بن سيدي عبد العزيز المهداوي جميع ما قرأه علينا وسمعه منا من جميع الفنون من فقه ونحو وحديث وتفسير وأصول بشرطهم المعروف وقولهم المألوف، وعليه بتقوى الله في السّر والعلانيّة والتأني في المسائل والتأمل فيها وعدم العجلة والضجر وأن يدعو لي ولأشياخي فتح الله عليه ووفقه لمحبته آمين".

ومن مشايخه الذين درس على أيديهم أيضا :

- الشّيخ العلامة محمّد صالح بن محمّد عبد العزيز –رحمه الله–. قرأ عليه القرآن بالمهديّة.
- الشّيخ العلامة أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن الكبير– رحمه الله– قرأ عليه بأدرار المركز، فوجد فيه ضالته فقد حفظ عنده المختصر الفقهي، وسمع منه شرحه عليه كاملا مفصلا بشواهده، وحفظ عنده العاصميّة، وسمع منه شرحه عليها،

وحفظ عنده متونا منها ألفيّة ابن مالك في النّحو والصرف.

- الشّيخ الفقيه أحمد بن إدريس الطّاهري الإدريسي الحسني رحمه الله.

- الشّيخ مولاي أحمد الطّاهري - رحمه الله - الذي انتهت إليه مرجعيّة الفتوى في أرض توات في وقته، وقد أجازه إجازة هذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه، الحمد لله مجيز السّائلين، والصلاة والسّلام على سيدنا محمّد قائد المحجلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فليعلم الواقف عليه، أنني قد أجزت الفقيه الجليل العلامة النّبيل، المنال العزيز، والذهب الإبريز، المرابط السّيد عبد العزيز بن السّيد علي المهداوي التواتي الصحراوي الجزائري، بما قد أجازني به أشياخي من المعقول والمنقول روايّة وقراءة وإسنادا من العلوم المتداولة بين الأسياخ من العلماء العاملين، والفنون من التوحيد، والفقه، والحديث روايّة وإسنادا، والتفسير والتصوف، والنّحو والصرف، والبيان والبديع، والتركات فقها وعملا على عادة أشياخنا رحمهم الله ونفعنا بعلومهم -آمين- إجازة مطلقة كاملة شاملة، راجيا من الله النّفع العميم له وعلى يديه، وأن ينظمه في سلك أشياخنا العارفين بالله، راجيا منه المواظبة على التقوى في السّر والعلانيّة، والعمل بالكتاب والسّنة واتباع السّلف الصالح، وأن لا ينسانا من صالح دعائه في كل أوقاته وأن يجعله قدوة يقتدى به، ونورا يهتدى به آمين".

ترك الشّيخ عبد العزيز سيدي عمر الكثير من المؤلفات منها:

قطف الزّهرات من أخبار علماء توات، وهو كتاب تناول فيه الشّيخ طرفا من أخبار علماء منطقة توات بمدينة أدرار. (مطبوع).

- شفاء الصدور والتوسل والجاه وحياة الأنبياء في القبور(مخطوط).

- فتوحات العلي الوهاب على المنظومة المسماة بنصيحة الشّباب، وهي شرح لنظم العلامة الشّيخ سيدي الطّاهر العبيدي المالكي المذهب الخلوتي الطّريقة، السّوفي التقرتي مسكنا ودارا المتوفى سنة 1304هـ الموافق لـ 1885م، وهناك من سماه: تحفة اللبيب الحليم في أجوبة أبي مروان سيد محمّد عبد الكريم، وهو كتاب مطبوع.

- جوهرة الفرائض بدروس منظمة ماؤها فائض، وهو عبارة عن كتاب في علم المواريث بأسلوب سهل وطريقة مبسطة. (مطبوع)

- الجواهر اللآلي من فتاوى الشّيخ سيدي عبد الكريم البلبالي وهي عبارة عن مجموعة من الفتاوى لشيخه عبد الكريم البلبالي جمعها له ورتبها على حسب الأبواب الفقهيّة كما في النّوازل (مطبوع)

- نبراس الآداب المهذب لأخلاق الشّباب. (مطبوع)

- مفتاح العلوم بشرح ثلاثة من خير أنواع الفهوم (التّوحيد، والفقه، والتّصوف). (مطبوع)

- البيان والتفصيل الجامع للأحداث التاريخيّة لسيد الرسل (السّيرة) وهو عبارة عن كتاب في سيرة النّبي صلى الله عليه وسلم. (مطبوع)

توفي في يوم الاثنين 14 أفريل عام 2008م الموافق لـ 8 جمادى الآخرة عام 1429هـ، ودفن بمسقط رأسه في المهديّة في الروضة التي دفن فيها آباؤه وأجداده رحمهم الله، وقد مات رحمه الله وهو يذكر الله عز وجل.

رابح دوب

المصادر:

- محفوظ بن ساعد بوكراع، الفرقد النّائر في تراجم علماء أدرار المالكيّة الأكابر، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 2016م.
- أبو محمّد سعيد هرماس، طبقات المالكيّة الجزائريين خلال المئة الهجريّة الأخيرة، دار صبحي للطباعة والنّشر، غارداية- الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013م.
- مجموعة من الأساتذة بإشراف رابح خدوسي، موسوعة الأدباء والعلماء الجزائرين، الجزء الثاني، منشورات الحضارة، الجزائر، طبعة 2014.
- حمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة للنشر، الجزائر، ط2، 2015م.

عبد العزيز لعميد
(1387هـ - 1968م/1438هـ - 2017م)

ولد الباحث الأستاذ عبد العزيز لعميد سنة 1968م ببلديّة (الحوامد) المحاذيّة لمدينة (بوسعادة) ولايّة المسيلة، نشأ وترعرع في كنف أسرة ريفيّة بسيطة ومحافظة من أبوين فقيرين؛ والدّته الزّهرة ووالده عبد الرّحمن من حفظة القرآن الكريم ومعلما له، تلقّى على يدّ ولده عبد العزيز مبادئ القراءة والكتابة مثل أترابه من سكان الحي، فضلا على أن والده عبد الرّحمن كان مصلحا اجتماعيا وملّما ببعض قضايا الفقه ومبادئ الشّريعة الإسلاميّة، ولعل هذا ما ساعد عبد العزيز أن يكون شابا متعلما ومتدينا خلوقا، ارتحل

الوالـدّ عبـد الرّحمـن بمعيّـة أفـراد أسـرته مـن منطقـة الحوامـد سـنة 1974م إلـى مدينـة بوسـعادة، وتحديـدا إلـى حيهـا العتيـق (أول نوفمبـر) أو مـا يعـرف بـ(الدّشـرة القبليّـة) حيـث قضـى فيهـا عبـد العزيـز شـطرا مـن عمـره يُقـدّر بواحـد وثلاثيـن عامـا مـن سـنة 1974 إلـى غايّـة 2005م، وهـذه السّـنة الأخيـرة هـي التـي انتقـل فيهـا إلـى بلديّـة (المحمـل) بولايّـة خنشـلة، التّحـق عبـد العزيـز سـنة 1974م بعـد اسـتقراره فـي بوسـعادة بمدرسـة (الإخـوة بوتشيشـة) أو بمـا كانـت تعـرف فـي زمانـه بـ (مدرسـة الذكـور) بحـي أول نوفمبـر، فضـلا عـن مزاولتـه لحفـظ القـرآن الكريـم بمسـجد الحـي (عبـد اللـه بـن الزّبيـر) علـى يـد والـدّه عبـد الرّحمـن، بعـد إنهائـه للمرحلـة الابتدائيّـة انتقـل سـنة 1980م إلـى (متوسـطة ابـن خلـدون) بحـي (الهضبـة) وسـط مدينـة بوسـعادة، ثـم وُجّـه سـنة 1984م إلـى (ثانويّـة أبـي مـزراق المقرانـي) الواقعـة وسـط المدينـة كذلـك، والتـي كانـت تعـرف سـابقا بـ (المعهـد الإسـلامي) أيـن حصـل علـى شـهادة البكالوريـا سـنة 1988م.

سـجّل الباحـث عبـد العزيـز فـي قسـم التّاريـخ سـنة 1988م بجامعـة قسـنطينة، حيـث اختـار تخصـص (تاريـخ) زوال دراسـته وحصـل علـى شـهادة ليسـانس فـي التّاريـخ سـنة 1992م، وبعـد تخرجـه التّحـق فـي نفـس السـنة بصفـوف (الجيـش الشّـعبي الوطنـي) لأداء الخدمـة العسـكريّة، وأنهـى واجبـه الوطنـي سـنة 1994م، وبعـد أدائـه للخدمـة الوطنيّـة شـقّ طريقـه فـي مواصلـة مسـاره العلمـي، إذ اجتـاز مسـابقة الماجسـتير تخصـص (تاريـخ وحضـارة إسـلاميّة) بـكلّ جـدارة واسـتحقاق بجامعـة الأميـر عبـد القـادر للعلـوم الإسـلاميّة بقسـنطينة خـلال شـهر أكتوبـر مـن سـنة 1995م.

وخـلال هـذه الفتـرة تعـرّف علـى كوكبـة مـن الأصدقـاء والزّمـلاء، ولعـل أهمهـم وأقربهـم إليـه صديقـه الـذي كان معـه كالظـل الـذي لا يفارقـه الدّكتـور (محمـد السّـعيد قاصـري) حيـث دامـت معرفتـه بـه 22 عامـا، إذ بـدأت العلاقـة ابتـداء مـن مرحلـة الماجسـتير عـام1995م حتـى يـوم وفـاة عبـد العزيـز، وشـغل عبـد العزيـز منصـب أسـتاذ ثانـوي متعاقـد (مسـتخلف) ببلديّـة (تيشـي) (ولايّـة بجايّـة) خـلال عامـي 1995–1997م متنقـلا بيـن قسـنطينة وبجايّـة ومسـقط رأسـه ببوسـعادة.

تحصـل عبـد العزيـز سـنة 1996م علـى شـهادة الدّراسـات المعمّقـة فـي التّاريـخ الحديـث بجامعـة قسـنطينة، وشـارك فـي مسـابقة التّوظيـف الثّانـوي، فـكان مـن بيـن الفائزيـن ليلتحـق بمنصـب أسـتاذ مادتـي التّاريـخ والجغرافيـا بـ (ثانويّـة بومعـراف محمـد) بلخضـر بتاوزيانـت المتواجـدة فـي ولايّـة خنشـلة، اسـتمر أسـتاذنا فـي التّعليـم الثّانـوي بهـا مـن سـنة 1998 حتـى سـنة 2002م، فضـلا عـن مواصلتـه التّحضيـر لرسـالة الماجسـتير خـلال هـذه الفتـرة، حيـث حـاز شـهادة الماجسـتير يـوم الأحـد 24 رمضـان 1422هـ الموافق لـ9 ديسـمبر 2001م بتقدير مشـرّف جـدا، كمـا عمـل أسـتاذا مؤقتـا في (جامعـة باتنـة) بعـد حصولـه علـى هـذه الشّـهادة الأخيـرة، وشـارك الأسـتاذ عبـد العزيـز سـنة 2002م فـي مسـابقة التّوظيـف الجامعـي فـي (جامعـة المسـيلة)، ليلتحـق بمنصـب أسـتاذ مسـاعد فـي معهـد التّاريـخ سـنة 2003م، بعـد أن اسـتقال مـن منصبـه بوصفـه أسـتاذا للتعليـم الثّانـوي بخنشـلة، ثـم عـاد بعـد رحلتـه التّعليميّـة والوظيفيّـة إلـى بيـت والـدّه بعـد انقطـاع دام ثمانـي سـنوات قضاهـا مرتحـلا بيـن بجايّـة وخنشـلة.

سـجّل الأسـتاذ الباحـث عبـد العزيـز فـي الدّكتـوراه بقسـم التّاريـخ بجامعـة الأميـر للعلـوم الإسـلاميّة خـلال الموسـم الجامعـي 2003 – 2004م بأطروحـة عنوانهـا: (الجزائريـون والدّولـة العثمانيّـة 1830 – 1924م)، وذلـك بإشـراف الأسـتاذ الدّكتـور أحمـد صـاري، لكـن شـاء القـدر أن تحـول المنيّـة دون مناقشـتها، وشـارك الباحـث فـي عـدّة تموينـات علميّـة تحضيـرا لشـهادة الدّكتـوراه لعـل مـن أهمهـا زيارتـه إلـى جامعـات المغـرب الأقصـى، وزيـارة أرشـيف المملكـة الوطنـي وخزانتهـا العامـة الحاويّـة للمخطوطـات النّفيسـة والمصـادر التّاريخيّـة القديمـة وغيرهـا وذلـك سـنة 2005م، كمـا زار الباحـث عبـد العزيـز (مركـز الأبحـاث للدراسـات العربيّـة والإسـلاميّة (ERMEM)) بفرنسـا، وزيـارة أرشـيف مـا وراء البحـر بمدينـة أكـس، وأجـرى تربصـا علميـا كذلـك قـاده إلـى سـوريا سـنة 2008م، وتحديـدا زيارتـه البحثيّـة إلـى (مكتبة الأسـد) و(المكتبـة الظاهريّـة) و(دار الوثائق السّـوريّة) وزيـارة قادتـه كذلـك إلـى حفيـدة (الأميـر عبـد القـادر الجزائـري) (الأميـرة بديعـة).

وزيـادة علـى النّشـاط البيداغوجـي الـدّؤوب للأسـتاذ عبـد العزيـز، فقـد شـغل منصـب (رئيـس قسـم التّاريـخ) بجامعـة خنشـلة خـلال الفتـرة الممتـدة مـا بيـن (2012–2015م)، وتخـرّج علـى يديـه مئـات الطلبـة وأشـرف علـى عشـرات المذكـرات والرّسـائل الجامعيّـة (ليسـانس نظـام كلاسـيك، ليسـانس/ ماسـتر نظـام جديد)، وبمـا أن الفقيـد قـد تشـرب مـن معيـن الـرّوح الوطنيّـة وتحلـى بمبـادئ ثورتنـا المجيـدة فقـد كان (عضـوا) للمجلـس العلمـي لـ (المتحـف الوطنـي العمومـي الإخـوة بولعزيـز)، حيـث أسـهم فـي تنظيم عـدة ملتقيـات وطنيّـة بـذات المتحـف، كمـا كان (عضـوا) فـي المجلـس العلمـي لـ (المتحف الجهـوي للمجاهد) بخنشـلة.

وللراحـل الأسـتاذ عبـد العزيـز رسـالة ماجسـتير مخطـوط قيـد الطبـع –حسـب مـا وعـد بـه رفيـق دربـه محمـد السّـعيد قاصـري– والموسـومة: (الشّـيخ طاهـر الجزائـري ودوره الإصلاحـي فـي المشـرق العربـي وبـلاد الشّـام نموذجـا خـلال 1852–1920م).

تـرك الباحـث عبـد العزيـز مخطوطـا لأطروحـة الدّكتـوراه قضـى شـوطا فـي إنجازهـا بعنـوان: (الجزائريـون والدّولـة

العثمانيّة –1830 1924م) ينتظر بعض التّنظيم واللمسات الأخيرة لإنهائه؛ لكن يدّ القدر والموت المفاجئ للباحث حال دون تحقيق ذلك.

أسهم الباحث الشّغوف بحبّ الوطن ومرويات المجاهدين؛ فعكف على تسجيل العشرات من الأشرطة السّمعيّة والبصريّة مع زملائه لمجاهدي ولايّة خنشلة بالمتحف الجهوي.

وترك جملة من الأبحاث المتفرقة منها ما تعلّق بالثّورة الجزائريّة المظفرة، ومنها ما تعلّق بالتّاريخ العثماني المشرقي.

توفيّ الأستاذ الخلوق عبد العزيز لعميد بمعيّة أبنائه يوم 17 جانفي 2017م في مسكنه الكائن ببلديّة المحمل ولايّة خنشلة اختناقا بالغاز السّام (CO_2)، حيث عُثر عليهم منتصف ليلة الثّلاثاء السّابع عشر جانفي أمواتا؛ عدا زوجته التي كانت تصارع الموت رغم ما قدم لها من إسعافات حتى وافتها المنيّة ولحقت بهم صبيحة يوم 20 جانفي 2017م في تمام السّاعة الثّانيّة صباحا، ودُفن عبد العزيز وعائلته في (مقبرة بوتيغان) ببلديّة المحمل يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر في جنازة مهيبة لم تشهدها بلديّة المحمل من قبل، أما زوجته فقد دُفنت إلى جوار بعلها يوم السّبت 20 جانفي 2017م، رحمهم الله جميعا وأنزلهم منازل الشّهداء.

ومن الشّعراء الذين نعوا الفقيد عبد العزيز لعميد وعائلته يوم 19 ماي 2017م الأستاذ الشّاعر السّعيد المثردي في قصيدة عنوانها:

(درس الرّاحلين)

جاء فيها:

عين بكتك وكم بكتك طويلا
وهل البكاء يشي إليك سبيلا
بالله يا رجلا أفاق ليرتقي
رغم المنيّة كالشّهيد نزيلا
دلّ الفؤاد إلى سبيلك علنا
نرتاح من ألم الفراق قليلا
الله وحده قد دعاك وبالنّا
يحى بذكرك بكرة وأصيلا
لا الحزن بعدك يستقيم بنبضنا
والنّبض يوشك أن يفيك قتيلا
الله نسأل أن ينير قبورهم
كرياض فردوس رضى وقبولا
لبّوا بشملهم المسافر دعوة
شهداء قد ضمنوا الجوار رسولا

أبرق وزير التّعليم العالي والبحث العلمي السّيد: (الطاهر حجار) برسالة تعزيّة إلى عائلة المرحوم الأستاذ عبد العزيز لعميد يوم 19 جانفي2017م، وكذلك رسالة تعزيّة ومواساة من قبل وزير المجاهدين السّيد: (الطيب زيتوني)، وأقيمت للمرحوم عبد العزيز وعائلته أربعينيّة من قبل طلبة (جامعة عباس لغرور) و(نادي ابن خلدون الطلابي) يوم 28 فيفري 2017م.

عاشور توامة

المصادر:

- محمد السّعيد قاصري، بحوث ودراسات تاريخيّة أعمال مهداة للأستاذ لعميد عبد العزيز- مطبعة مناصري، طريق اشبيليا، المسيلة، الجزائر، ط1، 2017م.
- حوار الدّكتور عاشور توامة مع الأستاذ (عمر لعميد) الشّقيق الأصغر للمرحوم (عبد العزيز لعميد) يوم 11ديسمبر2020م ببوسعادة.

عبد القادر الخالدي
(1313هـ - 1896م/1383هـ - 1964م)

ولد الشّيخ عبد القادر الخالدي يوم 20 أفريل 1896م ببلدة فروحة، التّابعة إداريا لولايّة معسكر، وكان أوّل أوّلاد الفلاّح البسيط (محمّد الصّغير الخالدّي).

تعلّم (عبد القادر) القراءة والكتابة، وحفظ ما تيسّر له من القرآن الكريم في أحد كتاتيب حي سيدي بوسكرين (اسمٌ حرّفته العامّة عن سيدي أبو زكريا) بقلب مدينة معسكر، وهو الحيّ الذي نزح إليه أبوه، واستقرّ بأسرته للعمل في مجال الصّناعة التّقليديّة بعد عزوفه عن الفلاحة وخدمة الأرض.

وإلى جانب التّعليم القرآني زاول (الخالدي) الدّراسة في المدارس النّظاميّة تحت إشراف إدارة الاحتلال الفرنسي، إلى أن حصل على شهادة التّعليم الابتدائي، ثمّ انقطع عن الدّراسة، كما هو الشّأن بالنّسبة للكثير من الجزائريين الذين توضع دونهم العوائق قبل استكمال تعليمهم.

وفي سن مبكرة ظهرت على الفتى (عبد القادر) ميولٌ للفن، ولسماع الغناء الشّعبي، فصار يتصيّد الفرص لحضور جلسات السّمر، التي كان يحييها فنانو الملحون التّقليديون بمقاهي (معسكر) وساحاتها العامّة وأسواقها الشّعبيّة وفي أعراسها وأفراحها.

ولمّا بلغ (عبد القادر) سن الشّباب، كان لزاماً عليه بموجب قوانين الاحتلال الفرنسي أن يؤدي الخدمة العسكريّة الإجباريّة، لكنّ حسن طالعه شاء أن يعفى منها، ويتجنّب مصير الآلاف من الشّباب الجزائري الذين صاروا وقوداً رخيصاً لحروب فرنسا ومغامراتها العسكريّة في الحرب الكونيّة الأوّلى.

بعد هذه الفرصة الذهبيّة التي أتيحت لـ(عبد القادر الخالدي) اتّجه إلى البحث عن مورد رزق فجرّب تعلّم بعض الحرف

البسيطة، ريثما يصدر قرار توظيفه كاتباً ومترجماً لدى مصلحة الشّرطة البلديّة، حيث شُهِد له بالإتقان في أداء العمل الإداري والتّرجمة، غير أنّه غيّر رأيه، ورفض العمل لدى إدارة الاحتلال، لِما كان يجري فيها من جور وظلم ضدّ الجزائريين، ليقرّر السّفر إلى مدينة (فاس) المغربيّة، حيث عمل مكّاسًا منا بين عامي (1916م- 1918م)، لكنّه لم يقو على مقاومة حنينه إلى وطنه، وعاد إلى (معسكر) منخرطاً بشكلٍ رسمي في الحياة الفنيّة والثّقافيّة في المدينة.

لقد كانت مدينة (معسكر) تزخر بشعراء الملحون والطّرب البدوي الذين استهوت مجالسّهم (عبد القادر الخالدّي)، فتقرّب من (المقدّم مزيّان)، و(الطّاهر بن مولاي بن الشّريف)، و(السّي بن يخلف) و(الشّيخ أحمد ولد قبليّة)، وتعلّم منهم أسرار نظم الشّعر الملحون، وأصول الموسيقى البدويّة، وهو ما أهّله لأن يكون واحداً من أهمّ مطربي الأغنيّة البدويّة في الغرب الجزائري، فصار يؤدّي قصائد مشاهير الشّعر الشّعبي أمثال (الشّيخ مصطفى بن إبراهيم)، و(محمّد بن قيطون)، بالإضافة إلى قصائد أخرى من نظمه وإنشائه، وقد كانت معظم قصائده -خصوصاً في البدايات- تتمحور حول المرأة، فأكثر من الغزل إلى حدّ الإسراف، خصوصاً بالحسناء (بختة) ابنة جبال (قزول) بـ (تيارت) التي فتنه جمالها، فتفجّر شعراً ما يزال المطربون يرددونه إلى الآن.

بعد أن وضعت الحرب العالميّة الثّانيّة أوزارها سنة (1945م) حصل للشيخ (عبد القادر الخالدّي) ما حتّم عليه ترك مسقط رأسه (معسكر) واتّجه إلى مدينة (الحراش)، حيث كان يقطن أحد أقاربه، فبقي فيها عاماً كاملاً ثم قفل راجعاً إلى الجهة الغربيّة سنة (1946م) ليحطّ الرّحال في مدينة (وهران)، فسكن في عدّة أحياء بها، ليستقر في (حي المدينة الجديدة)، فاحتضنه أهل الحيّ وصار جزءاً من النّسيج الثّقافي لمدينة وهران.

لقد برع الشّيخ الخالدّي -والشّيخ هو اللقب الذي يطلق على مطربي الأغنيّة البدويّة- في كتابة الشّعر بشكل متميّز أسلوبياً وإيقاعياً ومضمونياً، فعبّر عن مشاعر الإنسان، أفراحه وأحزانه، وآماله وآلامه، عبّر عن المرأة والحب، وعن التّوبة، والوطن والبحر، والرّثاء والوعظ والشّوق والحنين .. وقد أدّى قصائده الكثير من مطربي الأغنيّة البدويّة والوهرانيّة أمثال (أحمد صابر) و(محمّد بن زرقة) و(الشّيخ عبد القادر ولد العيد) ثمّ (بلاوي الهواري) و(أحمد وهبي) و(محمّد وجدي) وآخرين. كما غنى (الشّيخ الخالدّي) قصائده بنفسه، وأدّاها في الأعراس والولائم والحفلات العامّة، وذاع صيته في الشّعر والغناء إلى أن بلغ مصاف كبار المطربين في النّصف الأوّل من القرن العشرين.

لقد سجّل (عبد القادر الخالدي) الكثير من الأسطوانات الغنائيّة، وفي سنة (1930م) سافر إلى باريس حيث التّقى بالشّاعر الشّعبي الشّهير (الشّيخ حمادة) واتّفقا على تسجيل قصائد يؤديان مقاطعها بالتّناوب، وأثمر تعاونهما تسجيل قصيدتي (الميلود يا الميلود)، و(خيار النّشوة). وفي سنة (1946م) تمكّن (الخالدّي) من ولوج الإذاعة في وهران والجزائر العاصمة بصفة مشارك، إلى غايّة (1953م) في حصة أسبوعيّة مدّتها نصف ساعة تذاع كلّ إثنين في السّاعة الثّانيّة عشرة زوالاً، وخلال سنة (1951م) أفردت له حصة إذاعيّة دام عمرها ستة أشهر.

توفّي (عبد القادر الخالدّي) في مدينة (وهران) التي أحبّته وأحبّها يوم 16 يناير 1964م.

خلّف (الخالدّي) تراثاً شعرياً ضخماً، كلّه باللغة العاميّة، جمعه الأستاذان محمّد الحبيب حشلاف، ومحمّد بن عمرو الزّرهوني، وطبعته الشّركة الوطنيّة للنشر والإشهار سنة (2003م)

يعتبر شعر (عبد القادر الخالدّي) مدوّنة لغويّة جيّدة للمهتمين بعلم اللهجات، فهو يقدّم صورة صافيّة عن لهجة أهل معسكر والغرب الجزائري عموماً، التي تخلو -أو تكاد- من الألفاظ الأجنبيّة، وتقترب كثيراً من العربيّة الفصحى، كما يقدّم هذا الشّعر صورة عن هموم الإنسان الجزائري في النّصف الأوّل من القرن العشرين، وعن تفكيره ونظرته إلى المرأة والوطن والدّين والآخر، مثلما يظهر في هذه القصيدة الغزليّة الطّافحة بالحب العذري، والتّعبير الصّريح عن الوله بالمحبوب:

كِيْ راني مَكْوي بْلا جْمَرْ
كِيْ رَاني مَمْحُونْ
القَلْبْ المَهْبُول ما صْبَرْ
مَنْ عَنْدَ المَضْنُونْ
مَاجَانِيْ مَرْسُولْ بَالخْبَرْ
مَا زَيْفَطْ مَضْمُونْ
مَا جَا زَايَرْ شُورْنا ظْهَرْ
مَا جا تِلِيْفُونْ
آلُو نَتْلاقَاوْ بْلا نْظَرْ
ذَاكَ الْبَعْدْ يْهُونْ
يْهُونْ على الشّيْخْ مَا سْهَرْ
رِيْحْ الْعَشْقْ جْنُونْ
يَاخُذْنِيْ نَوْبَاتْ بَالْعَبْرْ
مَتْلَذَذْ بْسْكُونْ

حبيب بوزوادة

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

عبد القادر السّنوسي (سيدي دحو بن زرفة) ق (13هـ - 18م)

محيي الدّين عبد القادر بن السّنوسي بن عبد الله بن دحُّو، الشّهير بـ (سيدي دحو بن زرفة) الإدريسي الحسني، قال الطّيّب المختاري في القول الأعم في بيان أنساب الحشم:

"هذه القبيلة من أصحّ القبائل نسباً، وأوضحها حسباً، وأشدّها بأساً، وأعظمها في القديم جاهاً، وأكثرها تعاطياً للعلوم، وأوّلاها بتحقيق المنطوق والمفهوم، ولجدّهم احترام عند ملوك الأتراك.. وقد كان فيهم أئمةٌ مشاهير، كالسّيد الحاج عبد القادر بن السّنوسي، وولده العلّامة السّيد السّنوسي.." الذي كان كأبيه عالماً أديباً.

لا نعرف شيئاً عن ميلاد الشّيخ (عبد القادر السّنوسي)، ولا عن طفولته وبداياته في طلب العلم، ولولا بعض المعلومات القيّمة التي ذكرها (أبو راس النّاصري) في سيرته الذاتيّة لما عرفنا عنه شيئاً، فقد كان معاصراً له قريباً منه، وربّما كانا تِرْبَيْنِ، يقول أبو راس (1150هـ– 1238هـ) عن صديقه عبد القادر: (شيخنا في علم المعقول، وتلميذنا في الفقه المنقول)، وهو ما يؤكّد تضلّع (عبد القادر السّنوسي) في المعقولات التي تشمل علم الكلام والمنطق وأصول الفقه وحتى علوم اللغة.

ونفترض أن يكون الشّيخ (عبد القادر السّنوسي) قد تعلّم في زاويّة عائلته بمحاذاة ضريح جدّه (سيدي دحو بن زرفة)، وربّما يكون قد تعلّم في زوايا أخرى بـ (معسكر) أو غيرها، ذلك لأنّ مستواه العلمي ومكانته بين مشايخ عصره توحي بعلو كعبه في العلوم الدّينيّة واللغويّة وفي الكتابة الأدبيّة أيضاً، فقد تمكّن من فرض نفسه في بلاد المشرق عندما غادر إلى الدّيار المقدّسة لأداء فريضة الحج، حيث مرّ بـ (القاهرة)، واستقرّ بها لبعض الوقت، ولقي هناك كبار العلماء واستفاد منهم، وعلى رأسهم العالم اللغوي (مرتضى الزّبيدي) صاحب (تاج العروس) المتوفى سنة (1205هـ/ 1790م)، وشيخ فقهاء المالكيّة (محمّد الأمير) المتوفى سنة (1232هـ/ 1817م)، وفي مصر عقد حلقات علميّة لتدريس شرح الخرشي لمختصر خليل في الفقه المالكي، وصفه أبو راس بأن درسه (في بحثٍ عجيب، وتدقيق غريب، وطار صيته بمصر حتى صار نخبة أهل العصر، ولقّبوه بالشّيخ عبد القادر)، غير إنّه لم يكمله بسبب انتقاله إلى الحجاز على ما يبدو.

كان الشّيخ (عبد القادر) فقيهاً عالماً بدقائق الفقه المالكي، متبحّراً في علوم اللغة والمنطق وسائر المعقولات، وكانت له حلقات في (معسكر) يدرّس فيها الفقه وعلم النّحو، يحضرها الخاصّة والعامّة، ويكفي أن يكون من بينهم حافظ المغرب (أبو راس النّاصري المعسكري)، الذي قال: (قرأتُ عليه الألفيّة، قراءة بيّنة بالنّقول وفيّة، من أوّلها إلى نصف الإضافة، ابتكاراً لا إلى غيره مضافة، ففتح الله عليّ فيها ببركاته فتحاً عظيماً، وخيراً عميماً، وقال لي: يكفيك هذا، وستبلغ به أعلى المراقي وأجازني بالباقي)، فإذا أجاز (أبا راس) وهو قرينه في العلم، تِربُه في السّن، فمن المؤكّد إنّه أجاز غيره من طلاب الفقه واللغة.

وقول (أبي راس) عن شرح (السّنوسي) للألفيّة بأنّه كان (ابتكاراً)، دليلٌ على إنّه لم يعتمد أيًّا من الشّروح المعروفة، كشرح ابن عقيل أو المكودي أو غيرهما، بل كان ينظر في متن الألفيّة مباشرة، ويشرحه بما فتح الله عليه.

قرّر باي (معسكر) والإيالة الغربيّة (محمّد بن عثمان الكبير) المتوفى سنة (1212هـ/ 1797م) تحرير (وهران) من الاحتلال الإسباني الذي جثم عليها زهاء ثلاثة قرون، واستنفر عسكره والمتطوعين من أهل (معسكر) وطلبتها وعلمائها، فكان من جملتهم (عبد القادر السّنوسي) الذي هجر حلقات العلم والتّدريس والتّحق بالمجاهدين الذين حاصروا وهران عاماً كاملاً إلى أن تمّ تحريرها سنة (1206هـ).

وقد كتب (عبد القادر السّنوسي) بعض التّقاييد التي تؤرّخ لهذا التّحرير، وتوثّق مشاركته فيها، منها قوله: (الحمد لله وصل الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما، بتاريخ يوم الإثنين رابع رجب الفرد من عام 1206 ست ومائتين وألف فتحت وهران صلحا بعد محاصرة طويلة ومحاربة شديدة على يد سيدنا الأمير محمّد باي أصلح الله حاله وحال رعيته، أدام سرور الجميع بصلاح سيرته وسريرته أمين.

وقد كنت قلت في تاريخ هذا الفتح أبياتا حضرني منها الآن ثلاثة أبيات وضل عني باقيها وهي هذه:

بُشْرَى لَنَا وَجَمِيْعِ العَجْمِ والعَرَبِ
بِفَتْحِ وَهْرَانَ ذَاتِ العُجْبِ وَالعَجَبِ
سُئِلْتُ تَارِيْخَهُ، فَقُلْتُ (أَرَّخْتُهُ)
فَقِيْلَ ذَا العَامُ أَيْنَ الشَّهْرُ لَمْ تُصِبِ؟
فَقُلْتُ إِمَّا تُرِدْهُمَا فَتَارِيْخُهُ:
(وَهْرَانُ طَارَ لَهَا الإِسْلامُ فِي رَجَبِ)

أرخت ذلك الفتح بتاريخين أوّلهما تاريخ العام فقط وهو عدد حروف "أرخته"؛ الألف والرّاء والخاء والتّاء والهاء، وثانيهما تاريخ العام والشّهر، وهو قولنا (وهران طار لها الإسلام في رجب)، أما الشّهر فبالتّصريح بلفظ (رجب) وأما العام فبالإشارة لعدد حروف ذلك الشّطر بجميعه وهي (و، هـ، ر، ا، ن، ط، ا، ر، ل، هـ، ا، ا، ل، إ، س، ل، ا، م، ف، ي، ر، ج، ب)، فإنك إذا جمعت عددها وجدته (1206) كعدد حروف أرخته فلا زيادة ولا نقصان وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وسلم).

إلى جانب التّبحّر في العلوم الدّينيّة والتّضلّع في العلوم اللغويّة؛ كان (عبد القادر بن السّنوسي) قويّ العارضة الشّعريّة، أديباً مطبوعاً، ذا قلمٍ سيال، وفق أسلوب عصره وموضوعاته، كالتّقريظ، ومدح المشايخ والأعيان وغيرها، مع تحكّمٍ جيّد في الجانب اللغويّ، نحوًا وعروضاً، بخلاف صديقه (أبي راس النّاصريّ) الذي كان شعره ضعيف النّسج، كثير الكسور.

وقد تضمّنت سيرة (أبي راس) المسمّاة (فتح الإله ومنته) نماذج من شعر (عبد القادر السّنوسي)، منها قولُهُ يمدحه:

إِمَامُ اجْتِهَادٍ عَالِمُ العَصْرِ عَامِلٌ
بِجَامِعِ فَضْلٍ نَاسِكٌ مُتَهَجِّدُ
وَيَحْسُدُ طَرْفُ النَّجْمِ بِالعِلْمِ طَرْفَهُ
إِذَا بَاتَ لَيْلاً فِيْهِ وَهْوَ مُسَهَّدُ

وَيْقدَحُ زَنْدَ العَزْمِ زَنْدُ ذَكَائِهِ ... فَأَزْرَى بِدُرٍّ في نُحُورِ الحَلائِلِ
فَيَصْبِحُ مِنْهُ فِكْرُهُ يَتَوَقَّدُ ... وَلَمَّا أَفَضْتُمْ سَلْسَبِيْلَ عُلُومِكُمْ
وَمِنْ مَدَدِ المَوْلَى عَيْنُ عِنَايَة ... أَجَدْتُمْ وَجُدْتُمْ دُوْنَ سُؤْلٍ لِسَائِلِ
وَتوفِيقِهِ يَحْيَا وَيَحْمَى وَيَحْمَدُ ... وَجُلْتُمْ بِمَيْدَانِ المَبَاحِثِ فَاعْتَلَتْ
وَمُجْتَهِدٍ قَدْ طَالَ في العِلْمِ مُدْرِكًا ... سُيُوفُكُمْ عَلَى طِوَالِ الحَمَائِلِ
وَبَاعاً فِفِي كُلِّ العُلُومِ لَهُ يَدُ ... أَبَا رَاسٍ فَافْخَرْ فَالفِخَارُ مُتَوَّجٌ
وقال في قصيدة أخرى يقرظ بها كتاب (شرح دلائل الخيرات) لأبي راس: ... عَلَى رَأْسِكُمْ حُزْتُمْ عَمِيْمَ الفَضَائِلِ
هَنِيْئًا لَكُمْ بِشَرْحِكُمْ لِلدَّلائِلِ ... نَشَرْتُمْ رَمِيْمَ الفِقْهِ مِنْ بَعْدِ لُبْثِهِ
فَحُزْتُمْ بِهِ عَلَى فُحُولِ الأَوَائِلِ ... دُهُورًا بِرَمْسِ الجَهْلِ رَثَّ المَسَائِلِ
لَقَدْ أَسْبَكَتْ أَنْظَارُكُمْ فِقَرًا بِهِ ... وَنِلْتُمْ صِحَاحَ الجَوْهَرِيِّ بِغَوْصِكُمْ
بِقَامُوسِ عِلْمٍ لا يُرَامُ لِنَائِلِ

ثم أعقبها بالقول: (هذه الأبيات قرظت بها شرح دلائل الخيرات للعلامة الفقيه البياني اللغوي النّحوي المؤرّخ المحدث قاضي قضاة الرّاشديّة سيدي أبي راس وبه عرف، واسمه محمّد بن النّاصر بن أحمد بن عبد القادر النّاصري، حرس الله مهجته وأدام وجوده ورفعته، وأنا الفقير إلى مولاه عبد القادر بن السّنوسي بن عبد الله بن دحو آمن الله روعته في الدّارين آمين".

حبيب بوزوادة

المصادر:

- أبو راس النّاصريّ، فتح الإله ومنته في التّحدّث بفضل ربي ونعمته، الجزائر، 1990م.

عبد القادر القاسمي
(ت: 1374هـ - 1954م)

ولد الأستاذ عبد القادر ببلدة الهامل، وتعلّم في زاويتها، وكان من أبرز شيوخه فيها الشّيخ محمد بن عزوز القاسمي، والحاج ابن السّنوسي بن عبد الرّحمن، والوانوغي بن أحمد المقراني، أخذ عنهم التفسير والفقه واللّغة والتّوحيد، ومنذ أن استوى عوده شبّ معه حبّ النّشاط الاجتماعي والثّقافي، فكوّن علاقات واسعة مع الكثير من العلماء والأدباء والمفكرين. ونشاطه الثقافي ارتبط بزاويّة الهامل، فكان يستقبل باسم شيخها الوافدين عليها، ومن أمثلة ذلك مراسلة البشير الإبراهيمي له بتاريخ 15 أوت 1929م يرغب منه ترتيب زيارة للأديب (عمر بري) للزاويّة، ومما قاله فيها: "يفد عليكم...الأديب سيدي (عمر بري) أحد أفذاذ علماء المدينة المنورة، وأبناء البيوتات الشّهيرة بها".

ثمّ تحدث الإبراهيمي عن توقِ الأستاذ (بري) لزيارة الزّاويّة، لما يُؤثر عنها من حفظ رسوم العلم والأدب والفضائل العربيّة. واستقبل في شهر أفريل من سنة 1930م رفقة الشّيخ المكي بنعزوز وحسن القاسمي الوفد المدرسي الفرنسي القادم من باريس والذي ترأسه المفتش العام السّيد (م.رودن)، ولما تمّ تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، كان من أعضائها المؤسّسين، مثّل فيها وجهة نظر الزّاويّة القاسميّة، وربطته بأعضائها علاقة وثيقة، غير أنّ اختلاف وجهات النّظر، والتنافس على الحياة الدّينيّة والعلميّة، واتهام المحافظين للإصلاحيين بالخوض في السّياسة أدى إلى الانفصام بينهما، وتأسيس جمعيّة علماء السّنة سنة 1932م برئاسة المولود بن الصديق الحافظي، ولم تعمر هذه الجمعيّة إلّا عاما أو بعض العام، فضمر نشاطها، وعَفَا أثرها بنفس سرعة نشأتها، ويبدو أنّ بعض الشّخصيات الطّرقيّة لم تتحمس لها، بسبب ما لحقها من شوائب واتهامات، فانسل منها أعضاؤها، لا يوجد ما يثبت انتماء الشّيخ عبد القادر القاسمي إلى جمعيّة علماء السّنة، غير أنّ نشاطه برز أكثر مع تأسيس (جامعة اتحاد الزّوايا والطّرق) سنة 1938م، والتي وجدت الدعم الكبير من زاويّة الهامل، فأسّس الأستاذ عبد القادر جريدة تتبنى منهجها وتدافع عن اختياراتها، لم تكن مشاركة الأستاذ عبد القادر تقتصر على نشاط الزّاويّة الثقافي والاجتماعي، بل خاض أيضا غمار التنافس السّياسي، رغم مخالفته مبدأ من مبادئ (اتّحاد الزّوايا)، والمقتضي عدم التعرّض للسياسة، فشارك مترشحا مستقلا في انتخابات المجلس الجزائري لسنة 1948م، وأسس من باب الدعايّة الانتخابيّة جمعيّة (الوحدة النّائليّة) حاول من خلالها جمع أصوات أولاد نائل، وأسفرت النّتائج بفوزه بمقعد بمجلس الجمعيّة الجزائريّة المكونة من 120 عضوا، ممثلا لمنطقة بوسعادة.

ويرجع الفضل في تأسيس جريدة الرّشاد إلى الأستاذ عبد القادر القاسمي، وتزامن ظهورها مع تأسيس (جامعة اتّحاد الزّوايا والطّرق)، فجاءت هذه الجريدة لتنطق بلسانها سنة 1938م، وعهد إدارتها لأخيه عبد الحفيظ القاسمي، ودام إصدارها من (16 ماي 1938م إلى 13 نوفمبر 1939م)، ويعتبرها الدكتور (محمد ناصر) في دراسته عن الصحف الجزائريّة امتدادا للخلاف الصارخ بين الاتجاهين المحافظ والإصلاحي، "وتصرح الجريدة بأنّ طريقتها لإصلاح المجتمع تختلف أساسا مع طريقة حزب الإصلاح، الذي سلك في ذلك مسلكا يثير عواطف الجماهير، ويستفزها بطريقة هي إلى العنف أقرب منها إلى التّسامح".

وما يلفت نَظر الدّارس لمكاتباته المنشورة، أنّه صاحب فكر حرّ، واضح في خياله، مطلع على مستجدات عصره، وأديبٌ كاتبٌ متميز الأسلوب، وقلمه طلقٌ، بلغ فيه

مبلغه من البيان والإبداع، ويملك جسارة في الخوض في مواضيع فلسفيّة وأخلاقيّة واقتصاديّة، أساسها يقوم على تمكن الكاتب من الاستقراء الجيد والإلمام الواسع والقدرة على التحليل.

عالج الأستاذ عبد القادر القاسمي في مقالاته قضايا تتعلق بالمجتمع الجزائري ومشاكله الشّائكة التي ماهي إلّا نِتاج واقع استعماري مرير، فكان يطرح بالتحليل أوجاع هذا الوطن، ويضع ما يراه مناسبا من حلول في مسائل معدودة شغلت أفكار العامة والخاصة، " بقيت الأفكار تدور حولها في أغلب الأوقات، دورانا أشبه بدوران الشّيء حول نفسه". وهي – حسب تصوره – تشير إلى ذبذبة من يقودون الإصلاح داخل الوطن، وأنّ الإصلاح عند بعضهم انحصر في مسائل جزئيّة، بل في مسائل خلافيّة، والتي كما قال: "لا تستحق ما صرف، وما زال يصرف فيها من الجهود الجبارة والأوقات الثمينة، وقد أريق في سبيل تلك المسائل أنهر من الحبر، وأذيبت لأجلها أمخاخ جمهرة من المفكرين دون ما جدوى"،

ويخلص به الحديث إلى أنّ الخلاف العقيم الواقع في السّاحة الاجتماعيّة والسّياسيّة لم يفد الأفراد والجماعات إلّا تباعدا وبقايا عداوات راسخة. وفي مقاله (الانتفاع بعمل الغير) يوجه حديثه للإصلاحيين، ويلفت نظرهم إلى ضرورة عدم خرق الإجماع، وهم أدرى بمقامه، وبمقام السّنّة والاجتهاد، وهم أولى من دافع عن الأئمة المجتهدين، واستدل بقول ابن تيميّة: " من اعتقد أنّ الإنسان لا ينتفع إلّا بعمله فقد خرق الإجماع "،

وساءه ما يحدث من شقاق وفتنة بين المؤمنين نتيجة الخوض في المسائل المجمع عليها، فينقلب ما كان يرجى من الإصلاح إلى فساد، ويؤكد بأنّهم يتفقون أنّ إصلاح المجتمع لا يتأتى إلّا بالرّجوع إلى الدّين والاستضاءة بنور الكتاب والسّنّة، لكن بقي عليهم أن يشرحوا كيفيّة العلاج، وتوضيح الطّريق المؤدّيّة لاستئصال جرثومة الفوضى المنتشرة، وينتهي به الحديث إلى أنّ جوهر التأثير في المجتمع يَكمنُ في عنصر (القدوة).

إنّ فكر الأستاذ عبد القادر المبثوث في مقالاته القليلة، يحتاج إلى عنايّة ودراسة، فهو وإن عرض ما يراه صوابا دفاعا عن الطّريقة التي ينتمي إليها، فإنّ طرحه بحق يَتسمُ بصدق الطّويّة، والحرص الشّديد على توحيد الجهد للنهوض بالأمة وإصلاح حالها.

توفي فجر يوم الأربعاء 24 من شهر رمضان المعظم سنة 1373هـ/ 1954م، والوطن الجزائري يفتتح مرحلة جديدة من الكفاح، فَنَعَتهُ جريدة النّجاح القسنطينيّة، بقولها: "نكبت بحق نوادي الأدب الجزائريّة التي كان عبد القادر تحفتها بأدبه ولطفه وذكائه ووفائه لأصدقائه، وأصبحت بعد القاسمي وأمثاله بلقعا وحقلا يابسا موبوءًا".

محمد بسكر

المصادر:

- محمد فؤاد القاسمي، وثائق تاريخيّة.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي.
- محمّد ناصر، الصحف العربيّة الجزائريّة.

عبد القادر المبارك
(1293هـ - 1876م/1364هـ - 1945م)

هو عبد القادر بن محمّد بن المبارك، تنحدر أسرته من الجزائر واستقرت في بلاد الشّام مع بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر، ضمن الهجرة التي عرفت بهجرة العلماء. ولد بدمشق سنة 1293 هـ الموافق لـ 1876م. وأطلق عليه والده اسم عبد القادر تيمنًا بالأمير عبد القادر. وهو عالم لغوي متميز، وفقيه وخبير بتراجم الأعلام وأحد رجالات الجزائر في الشّام. نشأ في أسرة معروفة بالعلم والفقه. فوالده الشّيخ محمّد المبارك كان أحد علماء اللغة العربيّة وآدابها، إذ كان ملما بالشّعر وله مساهمات في النثر. وكان لأسرة آل المبارك حضور علمي وثقافي مشهود في دمشق. تلقى عبد القادر معارفه الأولى على يد والده الشّيخ محمّد بمدرسة الحبّال بدمشق والتي كان هو مؤسسها، ثم انتقل بعدها إلى المدرسة الرّشديّة وهي مدرسة متخصصة في التعليم العسكري. وأكمل تعليمه على يد علماء الشّام كالشّيخ طاهر الجزائري أبرز علماء الجزائر بالشّام في عصره، وعطا الكسم وأمين سويد وبدر الدين الحسني. وظهر ميله المبكر للغة العربيّة وآدابها فتخصص فيها واطلع على صنوف من الكتب المتوفرة في عصره فألم بما حوته من معلومات، حتى صار علما من أعلام العربيّة، يشار إليه بالبنان، فقيل عنه إنه يحمل القاموس في صدره. وقد أجازه العديد من علماء عصره منهم والده الشّيخ محمّد المبارك وعبد الباقي الجزائري ومحمّد أبو الخير عابدين وعبد الرّحمن الطيبي ومحمّد أديب الكيلاني ومحمّد حكيم زادة.

بعدها انخرط الشّيخ عبد القادر المبارك في مجال العمل، فافتتح سنة 1893 م مكتبا مارس فيه التعليم الحر ثم حوّله إلى مدرسة أطلق عليها اسم "المدرسة العربيّة" ولعله كان يقصد بذلك تمييزها عن مختلف المدارس التي كانت شائعة في ذلك العصر وتقدم التعليم باللغة التركيّة. ومع بدايات القرن العشرين، انتدب للتدريس بالمدرسة السّلطانيّة بالتوازي مع استمراره

في التدريس بمدرسته. وفي 1909 م توجه للتدريس بمكتب عنبر. وبهذا المكتب تخرج على يده نخبة من علماء ومشايخ بلاد الشّام من أبرزهم الشّيخ علي الطنطاوي والشّيخ ظافر القاسمي.

ومع انتهاء الحرب العالميّة الأولى، وقدوم الأمير فيصل الأول إلى دمشق سنة 1919 كان الشّيخ عبد القادر المبارك من بين المرحبين به وألقى قصيدة بالمناسبة بث فيها أحاسيسه حول أحداث تلك المرحلة حيث عبر عما يحس به عامة الناس والذين كانت نقمتهم كبيرة على العثمانيين. ونظرا لمستواه المتميز باللغة العربيّة، تم اختياره ليكون من بين الأعضاء المؤسسين لمجمع اللغة العربيّة في دمشق. وبتلك الصفة حضر جلسة تأسيسه سنة 1919م، وكان من ألمع المحاضرين فيه. كما شارك في لجان التعريب التي تشكلت في تلك الفترة. ونظرا لتحكّمه في اللغتين التركيّة والانكليزيّة انتدبه الأمير فيصل الأول لعضويّة اللجنة التي شكلها لتعريب المصطلحات العسكريّة. وفي 1930، انتدب الشّيخ عبد القادر للتدريس بمدرسة الأدب العليا والتي كانت النواة لتأسيس كليّة الآداب في الجامعة السّوريّة. وختم مشواره التعليمي بانتدابه سنة 1942 لتدريس اللغة العربيّة والدين بدار المعلمين العليا في دمشق.

للشيخ عبد القادر بن محمّد المبارك قصائد شعريّة عديدة نظمها في مناسبات مختلفة وتمس قضايا عصره كالدفاع عن اللغة العربيّة والنهضة والحريّة والدستور وغيرها كما له بعض الرّسائل والشّروح، منها ما تم تحقيقه ونشره. وقال عن قلة إنتاجه الأدبي والفكري كلمته المأثورة:

"أنا كتبي هم تلاميذي، فكل واحد من تلاميذي كتاب من كتبي".

ومن بين آثاره:

- كفايّة المتحفظ ونهايّة المتلفظ لابن الأجدابي، تحقيق دار الفكر بدمشق.
- الصبر مطيّة النجاح، منظومة شعريّة لأبن الظهير الأربلي، تحقيق دار الفكر.
- شرح مقصورة ابن دريد، جزءان، تحقيق إبراهيم عبد الله. نشر المجمع اللغوي
- فرائد الأدبيات، مجموعة نصوص أدبيّة مشروحة.
- مختارات شعريّة.
- شرح بانت سعاد.
- طرائف أدبيّة.
- كراسات مدرسيّة.

وُصف الشّيخ عبد القادر بن محمّد المبارك من بعض معاصريه بأنه كان حافظا لـ "فقه اللغة" و"الألفاظ الكتابيّة" و"القاموس المحيطّ". وكان له ولع خاص بالمترادف من اللغة. قال عنه تلميذه الشّيخ ظافر القاسمي: " كان أعلم أهل زمانه بالمفردات حتى قيل عنه إنه نسخة حيّة من القاموس"

بينما قال عنه تلميذه الشّيخ علي الطنطاوي: "لم أرَ فيمن قرأت عليهم وكنت تلميذا له من كان في درسه حياة كحياة درس الشّيخ المبارك، لقد كان أصمعي زمانه وأبا عبيدة عصره".

لقد كان الشّيخ عبد القادر بن محمّد المبارك من أولئك الجزائريين الذين وصفهم عبد الملك مرتاض بأنهم كانوا كالنجوم الغر يتلألؤون على من حواليهم بثاقب علمهم ونتاقة قرائحهم. يضيئون بنور علمهم في سوريا وما حولها وكان لهم شأن وأي شأن على نهضتها الفكريّة. وقد شهد لهم السّوريون بذلك، فكانوا من كبار العلماء وأقطاب الحكماء. كما قال عنهم رابح بونار: "إن الذين هاجروا إلى المشرق، عندما خانهم البقاء الشّريف في الوطن، فتحوا هناك بدافع الشّعور بأنهم لم يتخطوا حدود الوطن، جبهات جديدة لنضالهم وكفاحهم، وإنك واجدهم في كل موقف بطولي بل هم في الصدارة من الحركات الإصلاحيّة والمؤسسات العلميّة التي رادت النهضة العربيّة الحديثة".

وتوفي الشّيخ عبد القادر بن محمّد المبارك عن عمر ناهز الثمانين سنة قضاها في خدمة اللغة العربيّة، فقد كان علما من أعلامها وفارسا من فرسان بيانها، وذلك في 22 ذي الحجة 1364 هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1945 م بدمشق وبها دفن.

عامر بغدادي

المصادر:

- في رحاب المغرب العربي، صالح خرفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، عبد الملك مرتاض، دار الحداثة بيروت.
- موقع مجمع اللغة العربيّة بدمشق.

عبد القادر المجاوي
(1264هـ - 1848م/1332هـ - 1914م)



ولد الشّيخ عبد القادر المجاوي بن عبد الله بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الرّحمن الجليلي الإدريسي الحسني سنة 1848م بتلمسان في أحضان اسرة تشتهر بالعلم والتّدين. امه عائشة بنت الحاج سنوسي، من أسرة شريفة تشتهر بالدّين والأصول. تعلم وهو طفل مبادئ القرآن واللغة العربيّة والتّعليم العام.

نظرا للأوضاع المزريّة في الجزائر هاجرت أسرة المجاوي الى المغرب واستقرت بمدينة طنجة. منها ارسل عبد القادر إلى تيطوان ليتعلّم على ايدي

الشّيخين: أحمد النّجار، والطّيب اليعقوبي، وبعد حصوله على الكفاءات اللازمة انتقل إلى فاس للالتّحاق بجامعة القرويّين المشهورة بعلمائها وشيوخها الأجلاء من بينهم على سبيل المثل أوّلئك الذين تتلمذوا على جده محمّد بن عبد الكريم المجاوي كالعلّامة جعفر الكتاني والشّيخ محمّد العلوي قاضي مدينة فاس، والفقيه محمّد قنون والشّيخ الحاج محمّد بن سودة وغيرهم المتضلعين في مختلف العلوم، وبفضل مواظبته تحصل على الإجازة فاختار العودة إلى الجزائر عام1869م حيث وجد شعبا يتخبط في دياجير ظلام الجهل والمجاعة، بالإضافة إلى عمليّة التّنصير على يد لافيجري واستقرّ بقسنطينة واضعا نصب عينيه مناهضة السّياسة التّجهيليّة التي قادها المستعمر والتي رمت الجزائريين في غياهب البؤس الفكري والاجتماعي.

شرع المجاوي في العمل بقصبة قسنطينة بمؤازرة بعض اعيان المدينة، وسرعان ما بدأت شهرته تطبق الآفاق فتمكن بمعاينة الوضعيّة الاجتماعيّة البائسة للجزائريين والتي بلغت درجة رهيبة من التّلاشي والسّوء.

سياسة المجاوي التّعلميّة:

انتهج عبد القادر المجاوي سبيلا خاصا للتعليم يهدف إلى رسم أسس متينة لمجتمع واع بإمكانه التّماس معاني الآفاق المنيرة من وراء عتمة ظلام الاستعمّار.

ولما تفطّنت الإدارة الفرنسيّة لخطة المجاوي المنسفة لسيّاستها سعت إلى احتوائه بأن دعته للعمل في إطار رسمي وفق البرامج التي وضعتها للأطفال الأهالي (الأنديجان) فنصبته مدرسا بجامع سيدي الكتاني بقسنطينة سنة 1873م. وكانت المدارس آنذاك تحت رقابة وزارة الحرب.

في عام 1877م اصدر المجاوي كتابه الموسوم (إرشاد المتعلمين) وهو عبارة عن وصف دقيق للحالة الكئيبة التي يعيش فيها الأهالي في المجال التّعليمي ضمّنه جملة من الاقتراحات لتغيير منهج التّعليم وإثراء محتوى البرامج المدرسيّة الخاصّة بالأهالي، مبرزا خلاله علاقة التّكامل بين الإسلام والعلوم المختلفة، ولكن صدوره لم يمر مرور الكرام بل جوبه بمعارضة شعواء من قبل المشعوذين الرّافضين للاجتهاد والتّنوير، لكن المجاوي لم يستسلم ويقف مكتوف الايدي بل استعان بجريدة (الانديبندانت) وبطلبة الكتّانيّة حيث واصل التّدريس بحصافة وحكمة، فكان عمله الرّسمي تحت رقابة الإدارة الفرنسيّة، وفي المساء يتفرغ لتقديم دروس تحمل أفكاره التّحرريّة المدافعة بشراسة عن الهويّة الوطنيّة الرّافضة للاستعمّار.

في سنة 1868م صدر مشروع قانون (تجنيس شامل للمسلمين) على أيدي النّائبين (ميشلان) و(قولي) اللذين تطرقا فيه إلى عدّة ظواهر من حياة الأهالي، لكن اتضح للشيخ المجاوي أن هذا المشروع الذي دبر بليل القصد منه التّجنيد الإجباري للأهالي ليدافعوا عن فرنسا، فتصدى له المجاوي مع عدد معتبر من أعيان المدينة، عن طريق الصّحف الفرنسيّة مما أدى إلى إجهاض هذا المشروع قبل أن يولد ونبّه الرّأي العام إلى الوضعيّة الحقيقيّة للجزائريين المسلمين.

في عام 1898 حوَّل الشّيخ المجاوي من قسنطينة ليرقى إلى منصب أستاذ في القسم العالي بمدرسة الجزائر، وتزامنا مع هذا الحدث أسدي اليه الوسام الذهبي للمعارف اعترافا لقيمته، كما اسدي له وسام الشّرف ثم نيشان الافتخار التّونسي.

إسهامه الإعلامي التّوعوي:

أسس الشّيخ المجاوي بمعيّة بعض العلماء جريدة باسم "المغرب" أرفقها بعدّة مقالات صحفيّة إلاّ ان الإدارة الاستعمّاريّة أوقفتها، فالتّجأ إلى نشر مقالات عديدة في صحيفة (كوكب افريقيّة) التي كانت بإدارة تلميذه الصّحفي عمر بن قدور، تناولت ثلاثة محاور أساسيّة: الإسلاميات، الأخلاقيات والاجتماعيات، يدعو فيها إلى الحفاظ على الإسلام الصّحيح ومحاربة الشّعوذة، تربيّة المجتمع حتى لا ينقاد وراء الآفات الاجتماعيّة كالخمر والبطالة وتفكك المجتمع.

في سنة 1908م عين المجاوي اماما وخطيبا للمذهب المالكي في مسجد سيدي رمضان.

فإلى جانب هذه الجهود المختلفة في المجالات التي اسلفنا ذكرها بإيجاز كان المجاوي يدرك جيدا أهميّة العمل الجمعوي، إذ أسهم في هذا الصّدد في تأسيس الجمعيّة الخيّريّة (التّوفّيقيّة)، والجمعيّة الرّياضيّة (الطّليعة l'avaut garde)– كما كانت له اتصالات قويّة مع جمعيات اخرى على غرار (جمعيّة نادي صالح باي) بقسنطينة والجمعيّة الخيريّة (الرّاشديّة) بالعاصمة.

إنتاجه الفكري (تآليفه):

ورغم انشغالاته الفكريّة المختلفة لم يخرج عن تقاليد العلماء في التّأليف والنّظم إذ قام بتأليف عدّة كتب في موضوعات اللغة العربيّة والاقتصاد وعلم الفلك والفقه...

– مختصر في المنطق، مخطوط، 1874م؛

– شرح منظومة ابن غازي في المسائل النّجوميّة، 1875م؛

– شرح منظواة الشّيخ محمّد المجراد السّلاوي، الإمام الكامل، 1876م؛

– إرشاد المتعلمين، القاهرة .1877م؛

– مختصر في النّحو، 1881م؛

– كشف اللثام على شواهد ابن هشام، طبع حجري، 1878؛

– مواهب الكبير المتعال، طبع حجري 1884؛

– شرح منظومة الامام المنزلي في آداب المريدين، تونس، 1896م؛

– كتاب الإفادة لمن يطلب الاستفادة، 1901م؛

– الدّرر النّحويّة على المنظومة الشّبراويّة، ط2، 1907م؛

– الدّرر البهيّة على اللاميّة المجراديّة في الجمل، مخطوطة، 1903م؛

– الفريدة السّنيّة في الأعمال الجيبيّة، 1903م؛

– المرصاد في مسائل الاقتصاد، 1904م؛

– تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار، 1906م؛

– نزهة الطّرف فيما يتعلق بمعاني الصّرف، 1907م؛
– القواعد الكلاميّة، 1910م؛
– اللمع في نظم البدع، 1913م.

ومنها ما يوجّه عنايّة خاصّة بالتّواجد الفرنسي بالجزائر مثل كتابه (اللمع في نظم البدع) الصّادر عام 19137م، حيث واجه حملة من التّعنيف والقذف من قبل جماعة (بني: وي–وي) أذناب الاستعمّار الذين رأوا أن هذا الكتاب دعوة صريحة لاستنهاض همم الأهالي وإيقاظهم للسعي إلى معركة التّخلي عن الموبقات وتجنب المعاصي والارتقاء بالنّفس والأسرة وبالتّالي المجتمع ككل. وقد ساند لصد هذه الحملة رجال آمنوا بأفكاره الوطنيّة والاصلاحيّة التي تتقاطع مع أفكار معاصريه أمثال الشّيوخ العلّامة ابن باديس، لونيسي، البشير الإبراهيمي، السّعيد أبهلول، المولود الحافظي، وغيرهم.

في سبتمبر عام 1914م، زار المجاوي قسنطينة لملاقاة بعض أقاربه وأحبابه فوافته المنيّة إثر سهرة أدبيّة في جامع سيدي عبد المؤمن مع صهره محي الدّين بوطالب وصديقه المولود بن الموهوب.

مات رحمه الله بعد أن كرس حياته لما يربو عن ستين (60) سنة لخدمة الإسلام الصّحيح النّقي من كل شائبة واللغة العربيّة هويّة ولسان الشّعب الجزائري، وارشاد وتعليم الآخرين. هدفه تكوين وتربيّة أجيال من العلماء والوطنيين المخلصين لوطنهم الحاملين لرسالة الإسلام والعروبة الحقّة والوطنيّة الرّافضة للهيمنة الاستعمّاريّة التي تتهيأ لاسترداد الاستقلال والحريّة المغتصبة.

ولئن مات جسدا إلا أن روحه لم تمت إذ تجسدت في طلبته الذين كونهم في المدرسة الكتانيّة بقسنطينة والمدرسة الثّعالبيّة بالعاصمة، وأصبح منهم القضاة والرّجال المصلحين يحملون أفكاره ويدافعون عنها أمثال المفتي محمّد المولود بن الموهوب والشّيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش والصّحافي عمر بن قدور وغيرهم.

بعض ما قيل في تأبينه:

– العلّامة عبد الحميد ابن باديس:

(... أنت الذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة، أنت الذي كما كنت مورد المتعطشين ومصدر الكاملين، كنت مثالا لحسن الأخلاق وكرم الطّبع ولباب الفضيلة. أنت الذي تصاعد حِلمك وعِلمك فأصعدا بالنّاس في معاريج الكمال...)

– عمر بن قدرو:

(... رضوان الله عليك يا أستاذ الجماعة، فلولاك لم تتكون جماعة الذين استيقظوا في أطراف هذا القطر. ولولاك لما انتعشت لغة العرب في هذه البلاد، ولا عرف النّاس ايمانهم وإسلامهم...)

سوميّة أولمان

المصادر:
– دور الشّيخ المجّاوي عبد القادر، سوميّة أولمان.
– ارشاد المتعلمين في الصّمود الفكري بالجزائر، سوميّة أوّلمان.

عبد القادر المشرفي
(ت: 1192هـ - 1778م)

عبد القادر المشرفي من الأدارسة الأشراف الذين ينتسبون إلى مختطّ بلدة (الكرط) ودفينها (سيدي يوسف بن عيسى)، على بعد بضعة أميال شرق (معسكر)، ويطلق عليهم –إلى الآن– لقب (المَشَارِف)، وجدّهم (يوسف بن عيسى) من أشراف (فگيگ) انتقل إلى (الوطن الرّاشديّ)، وهي التّسميّة القديمة لـ (معسكر) نسبة إلى مؤسّسها راشد بن المرشد القرشي. واسمه الكامل كما ذكره بنفسه في آخر (بهجة النّاظر) (عبد القادر بن عبد الله بن محمّد بن أحمد أبي جلال الغريسي)، ويكنّى بـ (أبي المكارم) و(أبي الطّاهر) و(أبي محمّد).

قال أبو راس في فتح الإله ص53: (أخذ عن العلّامة أبي عبد الله محمّد المنوّر التّلمساني الكثير من الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والنّحو، والبيان، وأجازه)، وربّما كان أقرب شيوخه إليه، ذلك إنّه سافر بصحبته إلى مدينة (الجزائر)، والتّقيا فيها بالمفتي محمّد بن جعدون.

ويسرد محمّد بن عبد الكريم في مقدّمة تحقيقه لكتاب (بهجة النّاظر) قائمة بأسماء شيوخ (المشرفي) فيقول: (قرأ عن شيوخ كثيرين، وأخذ عن فطاحل من علماء المشرق والمغرب وأجازوه، منهم: محمّد بن محمّد عربي البنّاني المكّي المالكي، وعلي بن محمّد الميلي، ومحمّد بن محمّد شهاب الدّين الأنصاريّ المدني، والهادي بن محمّد الحسني، ومحمّد بن حسن الميقاتي الإسكندري المالكي، ومحمّد سعيد القادري الملقّب بـ(درويش)، ومحمّد بن عبد الرّسول العطّار المكّي، وشمس الدّين محمّد بن عليّ الشّنواني، ومحمّد صالح الرّئيس الزّمزمي المكّي، ومفتاح الدّين ابن حسام الدّين البخاري وغيرهم..)

اشتغل الشّيخ (المشرفي) بالتّدرّيس في مكان يقال له (عوّاجة) في الجزء الشّمالي من (سهل غريس)، قريباً من بلدة (فروحة) حالياً، ثم انتقل الى زاويّة (الـيطنة) التي أسّسها الشّيخ (مصطفى بن المختار الرّاشدي) جدّ الأمير (عبد القادر)، وسلّم إدارته إليه، وقد كان يفد إليها طلاب العلم من مختلف الجهات. ثم استقلّ بنفسه فأسس زاويته الخاصّة بـ(الكرط)، التي تخرّج منها كبار العلماء والفقهاء والقضاة، إذ لم يكن عدد طلابها يقل عن مائتي طالب، ومع ذلك يتولّى إطعامهم وإعاشتهم.

يعتبر الشّيخ (عبد القادر المشرفي) عالم الوطن الرّاشدي في زمانه، إليه شُدَّت الرّحال، وعلى يديه تخرّج كبار أهل العلم والفتوى، حتى كان يلقّب (شيخ الجماعة)، و(إمام الرّاشديّة)،

وصفه مفتي مدينة الجزائر القاضي (محمّد بن جعدون) بأنّه (لا نظير له في تحقيق الكبرى)، يقصد عقيدة التّوحيد الكبرى للإمام السّنوسي.

وقال تلميذه أبو راس النّاصري: (أتقنَ علوماً جمّةً، وبرع فيها، وله في التّوقيع النّهايّة، وأقرّ له كلُّ من رآه بالبراعة والكفايّة، ودفّت له من الطّلبة دافّةٌ، وأذن له أهل عصره كافة.. وانتفع به خلق كثير، شرعة وحقيقة وبرهانا وطريقة، له دروس حسنة بسلس عبارة، والطّف إشارة، برفع الإيراد، ويبلغ المراد، ألحق العوام بالأفراد، والأحفاد بالأجداد).

وقال عنه الشّيخ العربي المشرفي: (كان -رضي الله عنه- في علم الأصول والفروع بحر لا يجارى، وقد شغله عن التّأليف قيامه بوظيفة العبادة، ولو جُمِعت فتاويه الفرعيّة ودونت لملأت الدّيوان)

وقال أبو القاسم سعد الله في ترجمة أبي راس: (وعاد إلى معسكر فوجد عالماً قد طبقت شهرته آفاق النّاحيّة، وهو عبد القادر المشرفي، الذي اشتهر بالإضافة إلى العلم التّقليدي، بالأخبار والتّاريخ)

كان الشّيخ (عبد القادر المشرفي) جامعاً بين العلم والعمل، عابداً زاهداً سخيّا أبيّ النّفس، وصفه تلميذه أبو راس بـ (قليل التّردّد إلى الأمراء، فضلا عمّن دونهم من القواد والوزراء، وناهيك من نزاهة ابتدعها، حتى إنّهم طرحوا عليه خلعة سنيّة نزعها، كأنّه الإمام الجُنيد، أو عمرو بن عبيد.. كان على جانب عظيم من الدّيانة والأمانة، والتّحرّي وعزة النّفس والصّيانة)، وذكر عنه بعض الكرامات والخوارق.

وقال الشّيخ العربي المشرفي: (كان رضي الله عنه يقوم الليل ويصوم النّهار مع بثه العلم للطلبة، فلا تخلو زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات يأخذون عنه العلم ويطعمهم من ماله ويسقيهم دون الوفود والضيوف)

إنّ اضطلاع (الشّيخ المشرفي) بشؤون التّعليم والتّأليف والفتوى لم يمنعه عن الجهاد في سبيل الله، ومقاومة الغزاة، فشارك بنفسه في فتح وهران الأوّل سنة (1119هـ/ 1732م)، بقيادة الباي (مصطفى بوشلاغم)، وخاض المعارك مع المقاتلين مثلما يروي ذلك تلميذه أبو راس النّاصريّ في عجائب الأسفار (1/ 179): "لقد أخبرنا شيخنا الأكملُ، وأستاذُنا الأمثلُ، خاتمةُ أهلِ التّحقيقِ، وعمدةُ أهلِ التّوفّيقِ، الشّيخُ سيدي عبدُ القادرِ بنُ عبدِ اللهِ المشرفيّ، شرّف الله في الجنان مكانه، وكان حاضراً لتلك الواقعة، أنّ الكفرة لـمَّا تكاملَ عسكرُهم في البَرِّ، وبقي جلّ مددهم في البحر، لم يعملوا صفًّا للقتال، ولم يطلبوا مجالدّة الرّجال، وإنّما زحفوا للبلد بجميع الرّجَّالةِ والفرسان" إلى أن قال: "وأوّل كورة أتت من أعداء الله نزلت مني في الأرض بقدر ذراع أو باع"، ومقولة المشرفي هي شهادة ثقة، من شاهد عيان، عاش الحرب، وخَبِرَ ويلاتها.

إنّ المكانة العلميّة والدّينيّة التي بلغها (عبد القادر المشرفي) أثمرت سلالة علميّة عظيمة، تمثّلت في أوّلاده وأحفاده، وما تفرّع عنها من الأبناء والأصهار، قال الطّيب المختاري في القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم: (ولم تتعدّ الرّئاسة فيما علمناه دار المشرفي وأوّلاده، فإنّهم الذين كانوا معتبرين عند الأتراك، وكانت لهم ولايّة في خطة الشّريعة [يعني القضاء] أيام الأتراك، وأيام ابن عمّنا الأمير)، قال أبو حامد المشرفي: (ورجال المشارف علماء أبرار، وفقهاء أخيار، وبيوت العلم فيهم مشهورة، وبالصّلاح معمورة، وأشهر بيوتهم بيت الشّيخ [عبد القادر] المشرفي).

ومن علماء عائلة (عبد القادر المشرفي) نذكر:

- ابنه العلّامة الصّوفي الحاج محمّد بن عبد القادر كان من منشغلا بالتّدريس ثمّ مال إلى رياضة النّفس والتّصوّف حتى توفّي بعد وفاة والده.

- ابنه أبو عبد الله محمّد الطّاهر بن عبد القادر، كان على منهاج والده في تدريس العلوم الشّرعيّة، وقد عيّنه الأتراك قاضيا على وهران، فأحسن السّياسة الشّرعيّة.

- حفيده زين العابدين محمّد بن عبد الله مصطفى الشّهير بـ (ساقاط)، يلقّب (مُسْنَدَ) المغرب الأوسط في القرن الثّالثّ عشر، لكثرة ما يحفظ من الحديث الشّريف.

هذا فضلاً عن عدد كبير من علماء قبيلة (المشارف) من أبناء عمومة عائلة (الشّيخ عبد القادر) وأبنائهم وأحفادهم

انشغل (عبد القادر المشرفي) بالتّعليم والتّدريس، ولم يعط أهميّة كبرى للتأليف، لذلك جاءت كتبه قليلة لا تعكس مكانته العلميّة، وتأثيره في منطقته (معسكر) وفي النّاحيّة الغربيّة بوجه عام، ومن آثاره التي أمكننا التّعرّف عليها نذكر:

- بهجة النّاظر في أخبار الدّاخلين تحت ولايّة الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، طبعه وحقّقه الدّكتور محمّد بن عبد الكريم، وهي كتاب صغير الحجم، أو تقييد بتعبير المؤلّف يتحدّث فيه المتعاونين مع الاحتلال الإسباني لمدينة وهران، ويذكرهم بأسمائهم وبقبائلهم، مقدّماً تفاصيل مهمّة عن طبيعة هذا الدّعم وأهميته بالنّسبة إلى الاحتلال.

- فتاوى مختلفة، لكنّها في حكم الضائعة أو المفقودة، قال أبو حامد العربي المشرفي: (لو جمعت لملأت ديوانا).

- عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط، وهو نظم لرسالة منسوبة إلى (محمّد بن علي الخروبي)، شرحها ولدُه (محمّد الطّاهر المشرفي) بشرحها.

- مجموعة رسائل إلى السّيّد (الحبيب الفيلالي)، رقم 2581 ك، الخزانة العامّة للكتب والوثائق، المملكة المغربيّة.

- رحلة مخطوطة، قال عبد الله الرّكيبي إنّها موجودة في زاويّة الهامل.

- تلامذته:

رغم الجهود العظيمة التي قام بها الشّيخ (عبد القادر المشرفي) في التّعليم والتّربيّة والتّوجيه، إلاّ أننا نجهل الكثير عن طلابه وتلامذته، فلا نكاد نعرف سوى العلّامة (أبي راس النّاصري) الذي كان وثيق الصّلة به، فقد ذكر إنّه كان يغسل ثياب شيخه، ويقوم بخدمته، وطالتّ صحبته له، حتى رشّحه ليكون خليفته في التّدريس.

وذكر أبو حامد المشرفي في (اليواقيت الثّمينة الوهاجة) ص88 أنّ الشّيخ (مصطفى بن المختار) جد الأمير عبد القادر من الذين تتلمذوا على الشّيخ المشرفي.

توفّي العلّامة (عبد القادر المشرفي) يوم (10 رمضان 1192هـ) الموافق (01 أكتوبر

1778م)، ودفن بمسقط رأسه في (الكرط) وقد رثاه تلميذه أبو راس النّاصريّ بقصيدة فيها الكثير من الكسور العروضيّة نقتبس منها:

لَقَدْ كَانَ للإِسْلامِ كَهْفًا وَمَلْجَأً ... تَرَاهُ في أَقَلِّ الشّؤُونِ يُبَادِرُ

لَهُ البَاعُ في كلِّ العلُومِ بِأَسْرِها ... سَرِيعُ الجَوابِ عَنْها لَيْسَ بِضائِرِ

فَيَا لَوْ رَأَيْتَهُ بِدَرْسِهِ جَالسًا ... وَحَوْلَهُ حَلْقَاتُ الأُسُودِ الهَواصِرِ

كَإنّه قَمْرُ الأُفْقِ في غَيْهَبِ الدّجى ... مِنْ بَيْنِ كَواكِبِ النّجُومِ الزّواهِرِ

حبيب بوزوادة

المصادر :

- أبو راس النّاصري، فتح الإله ومنته في التّحدّث بفضل ربي ونعمته ص53.
- أبو حامد العربي المشرفي، اليواقيت الثّمينة الوهاجة في التّعريف بسيدي محمّد بن علي مولى مجاجة ص77.
- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة (2/ 231).

عبد القادر الياجوري
(1330هـ - 1912م/1411هـ - 1991م)

العلّامة المجاهد عبد القادر الياجوري كان من بين رجال الثّقافة والفكر والدّين والفنّ الذين عايشوا حقبًا عديدة ومختلفة من تاريخ هذا الوطن، فقد عاش فترة الاستعمّار والاستقلال، ثم فترة حكم الرّئيس ابن بلة ثم الرّئيس بومدين، وكذا الرّئيس الشّاذلي بن جديد، وفترة اللاّستقرار، وبروز ظاهرة التّطرّف الدّيني التي أحزنته، وآلمته كثيرًا.

وإنْ عُرف من طرف الكثير على إنّه رجل دين فحسب، فهو في الحقيقة شاعر له ديوان شعري لم يُنشر.. يحتوي على قصائد كثيرة تحدّث فيها العلّامة الياجوري عن الوطن، عن المقاومة، عن الجمال والمرأة، عن التّفلسف والدّين، فقد قال في إحدى قصائده:

توهّمتم أن التّفلسف حكمة ... وأنّ خلود الدّين رهنُ التّفلسف

ألا إن دين الحق دين محمّد ... يشيد بأعمال الصّلاح ويكتفي

هو مفكّر أيضا، اتّسمت مواقفه بالانفتاح والحوار في جميع مسائل الدّين، كما تميّز بموهبته الخطّابيّة، فأسلوبه بسيطٌ وخالٍ من التّكلّف.

وُلد الشّيخ عبد القادر الياجوري سنة 1912م، ببلدة گمار بوادي سوف درس القرآن الكريم على يد والده الفلاح، ثم انتقل إلى مدينة توزر بالجنوب التّونسي أين أتقن حفظ القرآن، وتلاوته، وتجويده وأخذ



عن مشايخ منطقة الجريد مبادئ العلوم الشّرعيّة. في سنة 1925 التّحق بجامع الزّيتونة في تونس، وبقي حوالي تسع سنوات حيث تحصّل على شهادة التّطويع سنة 1934.

تعرف إثر عودته إلى الوطن مباشرة على الشّيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، وانخرط في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين التي كلّفه رئيسها بالإمامة، والخطّابة، في المساجد، والتّعليم في مدارس الجمعيّة. ما مكث طويلا بقسنطينة إذْ قرّر العودة إلى مسقط رأسه بلدة گمار، حيث درّس هناك مدة ثلاث سنوات من سنة 1935 إلى سنة 1937 لينتقل إلى قريّة البياضة بنفس المنطقة بطلب من المرحوم الشّيخ عبد العزيز الشّريف، فعمل بمسجدها، ومديرا للمدرسة الحرّة بها.

نزيل سجون، ومعتقلات المستعمِر

اعتُقل من طرف فرنسا سنة 1938 مع مجموعة من العلماء إثر حوادث سوف الأليمة، وأُفرج عنه في 16 جوان 1940 فنُفي بعدها إلى مدينة ملیانة ليمكث بها سنتيْن تحت الرّقابة، ونُقل من مكان إلى آخر، وما تحرّر من الإقامات الجبريّة إلا سنة 1944م ليقبض عليه من جديد يوم 07 ماي 1945م لكنّه تمكّن في اليوم الموالي وبمساعدّة الدّكتور سعدان رحمه الله، وبقي متخفّيا إلى غايّة صدور العفو سنة 1946م..

في سنة 1947م عيّنته جمعيّة العلماء أستاذا بمعهد عبد الحميد بقسنطينة، كما تولّى عدّة مهام أخرى؛ أصبح فاعلا في جمعيّة علماء الجزائريين. ألقي عليه القبض ثلاث عشرة مرة حتى قيل إنّه قضى نصف حياته في السّجون منها سجن الكديّة بقسنطينة، كما فرضت عليه الإقامة الجبريّة في ملیانة: 1940 – 1942، وفي بني عبّاس بعد العام 1943م حيث تزوج. وفي سنة 1954 استقرّ بمدينة وهران مع عائلته ليقوم بإدارة وتسيير مدرسة الفلاح. أُلقي القبض عليه في 29 مارس 1956م وما أُفرج عنه إلاّ بعد وقف إطلاق النّار في 19 مارس 1962م

بعد الاستقلال التّحق الياجوري بوزارة الأوقاف وعمل بها إلى غايّة 1964م ثم التّحق بسلك التّعليم كأستاذ للتعليم الثّانوي إلى غايّة تقاعده سنة 1977م. لكنّه واصل التّدريس، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، حيث ما توقف عن المشاركة والعطاء الفكري.

كان شديد التّردد على المكتبات، فقد كان يقضي أكثر من 12 ساعة لمطالعة كتب عديدة في ميادين مختلفة، كما وهب الكثير من وقته للنشاطات البيداغوجيّة حيث كان يدرّس لجميع النّاس، سيّما في السّجون دون الاهتمام بقناعاتهم، وتوجهاتهم السّياسيّة.

سعى الشّيخ الياجوري من خلال كل ذلك إلى إعطاء صورة أخرى عن الفقه الدّيني، وعن دور الرّجل المتديّن، أو الإمام حيث ذكر أن: ""الإمام" ليس تاجرا، ولا حاكمًا، ولا سياسيا، بل هو شخصٌ يدعو الجميع إلى أن يكونوا عباد الله إخوانًا، وأن يتعاملوا على أساس التّعاون والتّراحم، ونصرة الحقّ وإغاثة الضعيف."

علاّمة استوعب تحوّلات التّاريخ، واستوعب جيّدا مقاصد العصرنة، فلم يتزمّت أبدا في تحريم كل شيء لمجرّد إنّه جديد، كما كان أيضا مدافعًا وقريبًا جدا من الفكر الاشتراكي، فقد أبرز في إحدى محاضراته التي ألقاها بولايّة سعيدة إنّه: "لا فرْق بين الثّورتيْن، فالإسلام دينٌ وضعه الله وأوحاه، والاشتراكيّة من صُنْع الإنسان، وتنظيمه الذي توخّاه.. والاشتراكيّة ليست شيوعيّة تقاوم الدّين وتتهمه، وليست الماديّة الإلحاديّة، بل هي العمل الجاد، والالتزام بالعهد..."

كما اتبع الياجوري المذهب المالكي، لكنّه وفي نفس الوقت فهم أنّ: "..الإمام مالك الذي عاش منذ قرون لا يمكنه أن يأتينا بحلول لقضايا نعيشها اليوم، وليس من المعقول أن نتبع اليوم بالتّدقيق ما تركه أسلافنا".

كان صريحًا.. متواضعًا.. حليما.. وفيا لبلدته مسقط رأسه گمار فما انفكّ يزورها باستمرّار للقاء إخوته، وأقاربه، وأبناء جيله يجالسّهم، ويمازحهم، ويستذكر معهم الأحداث.. هي الصّفات التي تميّز بها الشّيخ الياجوري الذي توفّي يوم 12 أوت 1991 بمدينة وهران أين كان يقيم مع عائلته.. توفّي رحمه الله في مرحلة صعبة كانت الجزائر في أشدّ الحاجة إلى أمثاله ذوي الفكر المعتدل البعيد عن التّطرّف والغلوّ، والقريب من التّسامح والحوار البنّاء.

ومن شهاداتهم عنه المرحوم الأستاذ عثمان سعدي رئيس الجمعيّة الوطنيّة للدفاع عن اللغة العربيّة، الذي يعتبر أحد تلامذة الشّيخ عبد القادر الياجوري في ندوة عنه بالمركز الثّقافي الإسلامي بالجزائر حضرها مجموعة من رفاقه وتلامذته، وعلى رأسهم الشّيخ عبد الرّحمن شيبان، أشاد سعدي بنضال هذا الشّيخ الذي لم يعرف الاستقرّار طيلة حياته، وراح يدافع عن اللغة العربيّة في أعز قوة الاستعمّار الفرنسي، وهو الذي كان أحد الأعضاء البارزين داخل جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، حيث اعتُقل مرات عديدة غير إنّه كان يعود إلى مزاولة نشاطه في كل مرة إلى أن وافته المنيّة عام 1991 عن عمر يناهز 79 سنة.

وأضاف الأستاذ عثمان سعدي أن الياجوري رجل عظيم قام بتدريس اللغة العربيّة إبان الاستعمّار كي لا تتلاشى هذه الأخيرة، كون اللغة هي أحد المقومات الأساسيّة لقيام أي مجتمع، فلم يكن أستاذا في اللغة فحسب بل كان أستاذا في النّضال أيضا، حيث كان يحثّ طلبته على النّضال في سبيل تحرير هذا الوطن، وهذا الشّيء الذي ميزه عن باقي الزّملاء داخل الجمعيّة.

كما عرّج الأستاذ سعدي حول أبرز محطات هذا الرّجل خاصّة تلك المتعلقة بالسّجون، كونه عاش طيلة حياته قابعا فيها إلى أن نسي عائلته، وحتى أوّلاده حسب ما أكده نجله رشيد ياجوري؛ وقال عنه الشّهيد رضا حوحو: "الشّيخ الياجوري لا يصلح لا للتجارة، ولا للسياسة؛ فهو في التّجارة يستحي من طلب حقوقه الماديّة، وفي السّياسة غضوبٌ."

بشير خلف

عبد القادر بلعربي
(1302هـ - 1885م/1376هـ - 1957م)

وُلد عبد القادر بلعربي ولد عبد السّلام في سنة 1885 بمزاورو القريّة القريبة من تلاغ في جنوب ولايّة سيدي بلعباس. نشأ وسط عائلة محافظة في منطقة بودانس التي تحمل اسمه (منذ 11/ 3/ 1963) وهي تبعد عن عاصمة الولايّة بحوالي عشرين (20) كلم.

كان لوالده سي عبد السّلام قايد دوار تليوين، بلديّة مكرة المختلطة، الدور الحاسم في اقناعه على الانخراط في صفوف فرقة الصبايحيّة، وكان ذلك قبل الحرب العالميّة الأولى. وتدرج الشاب بلعربي عبد القادر في الرتب العسكريّة إلى أن أصبح ضابطا في فرقة الفرسان. لكنه استقال في سنة 1911، كغيره من الجزائريين إثر ازمة اغادير الثانيّة وذلك احتراسا من اندلاع حرب بين المسلمين في المغرب الأقصى.

عند عودة بلعربي عبد القادر من الخدمة العسكريّة إلى الجزائر عائدا من المغرب الأقصى، استفاد من وضعيته كمحارب قديم، وانظم إلى خدمة الادارة الاستعماريّة في منصب قايد دوار صبرة في ولايّة تلمسان، ثم دوار وادي سفيوف ومحاميد في بلديّة تلاغ المختلطة عام 1930. لقد تميّزت مسيرته في منصب القايد بالكثير من الأزمات التي كلفته في البعض من الأحيان الحصول على إنذارات بل توبيخ من قبل السّلطات الاستعماريّة نظرا لتصرفاته غير العاديّة، كاشتباكه مع ضباط الجيش الفرنسي في المنطقة دفاعا عن بعض الرعايا المغلوبين على أمرهم.

كان من الواضح، أن اندلاع الثورة التحريريّة في الجزائر سوف يكون حدثا بارزا في مسار هذا الرجل الشجاع. لأنه كان دائما يتحدث لأفراد عائلته عن الشهادة في سبيل الوطن والتضحيّة من اجل الاستقلال.

لقد وضع تحت تصرف جيش التحرير، منذ بدايّة الثورة منزله الكائن بالقرب من قريّة تنيرة كمركز لاتصالات. لقد بدأ بلعربي اتصالاته المباشرة مع جيش التحرير في سنة 1956. ومنذ ذلك التاريخ، نجح في إقناع عدد من افراد عائلته في الانضمام إلى جيش التحرير الوطني. ومن هؤلاء نذكر كل من المجاهدين ومعطوبي الحرب: الضابط، الذي يعدّ ابن أخته السّيّد نهاري الطيب صاحب كتاب تاريخ شهادات ضابط من الولايّة الخامسة بالاشتراك مع المؤرّخ المرحوم رضوان عيناد ثابت. نذكر ايضا أخو بلعربي الشيخ الذي أعدم بالرصاص دون محاكمة والمجاهد محمد بلحاج، وأبنائه بومدين ومحمد، الأوّل شهيد جرائم المنظمة العسكريّة السّريّة (O.A.S) عام 1961. والثاني يعتبر من معطوبي الحرب. وأيضا أحفاده المجاهدين بلعربي عبد الجبار ونهاري محمد. هذا الأخير يُعتبر من المساجين الأوائل في مركز فرز العبور في بودانس التابع لفرقة لاصاص (S.A.S) يمكننا إضافة افراد آخرين من عائلة الشهيد ومنها بن حراز الطيب، وهو من معطوبي الحرب، والمجاهد حلام قويدر.

لقد كثف العدو من قواته في إطار ما سمي بالمناطق المحرمة، وكانت منطقة وادي سفيون إحدى هذه المناطق. حيث تأسّست مجموعة من المكاتب الاداريّة المتخصصة في المنطقة لمراقبة السّكان وحشدهم نذكر منها: مكتب وادي سفيون الذي أسّس في سنة 1956، مكتب الضايّة ومكتب برقش في سنة 1957.

في شهر ماي 1956، شهدت المنطقة التي استقر فيها عمليات حرب حرق مزارع الكولون. وقد شهدت منطقة وادي سفيون هجومات ضاريّة لفيالق جيش التحرير الوطني بمساعدة أهالي المنطقة من المسبلين والفدائيين للإغارة على مزارع المعمرين هناك.

لقد تفطنت السّلطة الاستعماريّة لنشاطات القايد بلعربي، وازدادت شكوكها في دوره كممون للمجاهدين في المنطقة، فطلبت منه الرحيل لكنه رفض. فأصبح خصما عنيدًا ومباشرًا للمعمرين والجيش الفرنسي، خاصّة عندما ثبت ان منزله كان مأوى للمجاهدين من بينهم سي نوح قويدر وسي الأزهاري وهم من المجاهدين المعروفين في المنطقة.

في ليلة مثلجة وباردة من 13 الى 14 جانفي 1957، حاصر العدو مزرعته، ثمّ اقتحمت قوات التدخل السّريع بقيادة الكابتان النقيب (شوبان / Chuppin) السّفاح بيته على السّاعة الثامنة ونصف ليلاً وتمّ اختطافه رفقة أخيه الشيخ.

أثناء عمليّة الاكتساح، صرح له الضابط الفرنسي أنه حان الوقت ليعترف بجميع نشاطاته الثوريّة. وطلبوا منه مصاحبتهم. لكن الشهيد بلعربي عبد القادر أراب فيما قيل له، وفي نفس الوقت تذكر ما طلب منه قبل ذلك اليوم بخصوص مغادرة المكان واللجوء إلى خارج الوطن. لقد كان بإمكان الشهيد ان يغادر مزرعته والاتجاه إلى المغرب الأقصى كما طلب منه من قبل. لكنه رفض، مفضلا الاستشهاد.

لقد أدرك بأن القوات العسكريّة الاستعماريّة جاءت لتقتله. ثم حاول كعادته التملص من قبضة رجال الدرك لكنه لم يستطع. قامت قوات الاحتلال باصطحابه رفقة أخيه إلى مزرعة (لومي/ Laumet)، وهناك تم تنفيذ حكم الإعدام بالرصاص. وقد تبين فيما بعد أنه خضع لعمليّة التعذيب والضرب المجرح. بعد يوم واحد من استشهاده، عاشت المنطقة كلها حزنا كبيرا. وتحول حدث قتله حديث العام والخاص في كل منطقة سيدي بلعباس. وظلت قوات الاحتلال تراقب المنطقة حيث كانت المروحيات تحوم حول المنطقة طول اليوم إذ اشتد تساقط الثلوج طول الأسبوع. الله يرحم أبناء الجزائر المخلصين، والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

كريم ولد النبيّة

المصادر:

- كريم ولدالنبيّة: تاريخ الادارة الاستعماريّة المحليّة في الجزائر 1830-1954 - من خلال الوثائق الأرشيفيّة، دار النشر كنوز الحكمة- بن عكنون، رمد 978-9947-60-168-6، الجزائر، 2019 (240 صفحة).
- نهاري (علي): من سجل شهداء الولايّة الخامسة، دار الرشاد سيدي بلعباس، 2010.
- NAHARI (Ali) : CAID BELARBI - Le village et l'homme, Edition Rached, Sidi Bel Abbés 2016.

عبد القادر بن إبراهيم المسعدي (1305هـ - 1888م/1375هـ - 1956م)



هو عبد القادر بن إبراهيم بن الشّيخ، ولد ببلدة مسعد بنواحي الجلفة سنة 1888 م، وإليها ينسب. مدرّس وفقيه وأديب لامع، تلقى تعليمه وفق معارف عصره على مشايخ بلدته حيث ألحقه والده بالكُتّاب فحفظ القرآن الكريم في صغره، على غرار العديد من أبناء جيله. ولما شب انتقل إلى توگرت سنة 1912، وكان عمره حوالي 24 سنة، فتتلمذ على يد الشّيخ الطاهر بن العبيدي الذي أخذ عنه علوم اللغة والنحو والأدب والفقه والتوحيد، كما حذق اللغة الفرنسيّة التي تعلمها على يد المربي محمد بن علي حساني

وصار من المُجيدين لها واطلع من خلالها على بعض فنون الأدب الأوروبي الحديث.

وقد مكنته الذخيرة التي تلقاها على يد شيخه الطاهر العبيدي من الاعتماد على نفسه في التحصيل. فلما عاد إلى مسقط رأسه، انكب على التحصيل الذاتي للمعارف، فقرأ العديد من كتب الأدب والشّعر والفقه والتوحيد والسّيرة النبويّة والحديث الشّريف. ولازم المسجد الكبير بمسعد حيث كان يستمع إلى حلقات التدريس التي كان يعمر بها ذلك المسجد فتشبع بمزيد من العلم والمعرفة وتوسعت مداركه وقويت لديه مَلكة الحفظ، ولذلك عرف عن الشّيخ المسعدي أنه كان عصامي التكوين. فقد كون نفسه بنفسه وأصبح علما من أعلام الفقه واللغة. ثم توجه للتدريس بعد أن أجازه الشّيخ العبيدي وأذن له بذلك، فقد اختار مهنة التدريس كنهج في حياته لما يمثله من أهميّة في حياة الشّعوب، سواء كتعليم حر أو بتوجيه من جمعيّة العلماء وهو ما دفع الإدارة الاستعماريّة للتضييق على نشاطه، لكن ذلك لم يؤثر عليه ولم يثنه عن أداء مهمته، وبهذه الصفة شارك في المؤتمر العام للمعلمين الأحرار الذي انعقد بالجزائر العاصمة سنة 1946 م. تخرج على يدي الشّيخ المسعدي العديد من الطلاب برز منهم محمد بن عبد الرحمن الرايس والشّيخ ابن عياش بن الطيب ومحمد الصغير بن جاب الله والقاضي عطا الله بن محمد والمدني بن السّنوسي وغيرهم. وإلى جانب الطلاب الذين تخرجوا على يديه، أقام الشّيخ المسعدي علاقات مع العديد من شخصيات المجتمع في ذلك الوقت كالشّيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي والشّيخ محمد بن العبيدي شقيق الشّيخ الطاهر والشّيخ محمد شونان والباش آغا يحيي بن السّعيد بن عبد السّلام والحاج علي لَمْعَيلبي والشّيخ أبو القاسم بن جابوري الذي يبدو أنه لعب دورا كبيرا في حياته كما يفيد بذلك الحفناوي بن عامر مؤلف كتاب عن سيرة الشّيخ عبد القادر المسعدي، تكلم فيه عن حياته وآثاره.

لقد كان الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي ابن عصره، فعرف عنه مواجهته للوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر، في وقت بدأت فيه الحركة الوطنيّة بالتبلور لتواجه ذلك الوجود في سبيل تحرير الجزائر، وتعبّأت النُّخبة الوطنيّة في الحركات والأحزاب السّياسيّة، بينما انكبّ الشّعب على تلقين أبنائه علوم الدين واللغة العربيّة لأنه بهما يحافظ على شخصيته من الذوبان. ولم يكن الشّيخ المسعدي بعيدا عن ذلك التوجه العام فشارك في ذلك المجهود الوطني بنشر العلم والمعرفة بين أبناء منطقته. ضمن هذا الجو العام المناهض للاستعمار والذي طبع جزائر النصف الأول من القرن العشرين، انخرط الشّيخ عبد القادر المسعدي في صفوف جمعيّة العلماء وكان عضوا عاملا فيها يحضر اجتماعاتها الدوريّة ويشارك في نشاطاتها. وساهم رفقة الشّيخ محمد بالربيح في تأسيس شعبة تابعة للجمعيّة بمدينة الجلفة بعد سنة 1934 م، وعين الشّيخ محمد شوبان كأول رئيس للمكتب الإداري لذلك الفرع المحلي. كما كانت للمسعدي مراسلات مع قادتها كالشّيخ عبد الحميد بن باديس والشّيخ محمد البشير الابراهيمي. ولذلك عُرف عنه نهجه الإصلاحي المعادي لتصرفات بعض المنتسبين للحركة الطرقيّة، وتصدى لمختلف أشكال البدع والخرافات التي كان مريدو بعض الطرق الصوفيّة يمارسونها لإطالة ليل الاستعمار وصرف الشّعب عن قضاياه الحقيقيّة. وتسبب له ذلك النشاط الذي بدأ يقلق الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة في مسعد بنفيه سنة 1925 م إلى الجلفة.

للشيخ المسعدي العديد من المخطوطات في مجالات مختلفة نذكر منها: شرح لاميّة الأفعال لابن مالك، وطرفة البيان في تحفة الاخوان وهي شرح لمنظومة شيخه الطاهر العبيدي حول رسالة الشّيخ الدردير في علم البيان، والكلام عن الولايّة في الإسلام، وتفضيل البادية بالأدلة البادية، والبدعة في الإسلام، وشرح لاميّة العرب للشنفرى، ومختارات أدبيّة تتضمن مجموعة من المعلومات دونها من كتب مختلفة.

كما نظم الشّيخ المسعدي العديد من القصائد في أغراض مختلفة وجه البعض منها إلى العلماء الذين كان يراسلهم، وله مقالات منشورة في صحف تلك المرحلة ومن بينها صحف جمعيّة العلماء المسلمين. وله محاولات في الترجمة من الفرنسيّة إلى العربيّة. وعرف عنه أنه كان يتبادل الرسائل مع بعض علماء عصره كابن عبد الرحمن الديسي والشّيخ البشير الابراهيمي والطاهر الخنقي وغيرهم، وله باع طويل في الفتوى حيث كان يُعتد برأيه في العديد من المسائل المطروحة.

اهتم بعض الكتاب المعاصرين بحياة الشّيخ المسعدي ويأتي في مقدمة هؤلاء الكاتب الحفناوي بن عامر الذي خصه بمؤلف قيم تعرض فيه لحياة الشّيخ وآثاره، وقال عنه إن عصره كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيته وصقلها. وأنه كغيره من العلماء والمفكرين ورجال الإصلاح كان على علاقة مباشرة بتلك الأحداث ولم ينقطع عنها باعتباره أبرز المساهمين والمؤثرين فيها. كما أورد الكاتب عادل نويهض نبذة عن حياته في مؤلفه المعروف بمعجم أعلام الجزائر وصنّفه من بين الشّعراء التقليديين، وقال بأنه اشتغل بالتدريس وانضم لجمعيّة العلماء. توفي الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي في 30 أوت 1956 م ودفن بمسقط رأسه ورثاه العديد ممن عرفوه في قصائد بعضها من الشّعر العامي خلّدت حياته ومآثره.

عامر بغدادي

المصادر:
- الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي حياته وآثاره، الحفناوي بن عامر.
- معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض.

عبد القادر بن الشرّيف الدّرقاوي
عاش في النصف الثاني من ق (18م)

هو عبد القادر بن الشريف ويكنى بالدرقاوي نسبة إلى الطريقة الدرقاويّة التي أسسها المغربي مولاي العربي أبو درقة فنسبت له. عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وقاد حركة تمرد خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر. قال عنه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: "مدعي المهدويّة، أبي محمد عبد القادر بن الشريف الفليتي نسبة إلى فليتة ما بين وادي مينة ووادي جديويّة".

بينما قال عنه الآغا بن عودة المزاري: "ومنهم، يقصد درقاوة، السيد عبد القادر بن الشريف القائم بالغوغاء على أهل الملك والتصريف، وهو من أولاد سيدي أبي الليل المرابطين بكسانة حي من أحياء العرب البادية المتوطن بوادي العبد". ووصفه صالح عباد بأنه "من القبيلة المرابطيّة أولاد عبد القادر أبي الليل"، لكن البعض يخلط بين فليتة، وهي إحدى بطون قبيلة سْويد بغرب الجزائر، وبين فليسة المقيمة شرق الجزائر العاصمة، وهو خطأ شائع، كما ينسبه البعض الآخر إلى كسانة أخذًا عن اسم المنطقة.

تلقى ابن الشريف معارفه الأولى بحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه في أولاد بلليل (أبي الليل) ثم انتقل إلى زاويّة القيطنة بناحيّة معسكر لاستكمال دراسته، فأخذ مبادئ العلوم الإسلاميّة على يد علماء الزاويّة ومشايخها وفي مقدمتهم الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر. ارتحل بعدها إلى فاس فأخذ عن بعض شيوخ جامع القرويين. وفي المغرب التقى بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي بزاويّة بوبريح فأخذ عنه منهج طريقته والتزم بذلك المنهج، فعينه هذا الأخير مقدما للطريقة الدرقاويّة بالجزائر.

بعد عودته من المغرب وتلقيه التزكيّة من شيخه مولاي العربي قام بتأسيس زاويّة بأولاد بلليل لتقديم الدروس واكتساب الأتباع من بين العوام. كان يرتدي الملابس المرقّعة ويضع قلادة مما يعرف بـ"الببوش" وأحاط نفسه بمظاهر من الزهد والورع. بعدها قام بسلسلة من الزيارات لعدة مناطق بالجزائر للدعوة للطريقة الدرقاويّة، وكان خلال هذه الزيارات يقوم بجمع الأموال وحشد التأييد لتلك الطريقة وشحن العامة للثورة على الحكم القائم. وبدأ التخطيط للقيام بتمرده مدعيا أنه "صاحب الساعة" و"المهدي المنتظر". وبعد أن هيأ الظروف التي ساعدته على القيام بذلك التمرد قاد أتباعه في مواجهات متتاليّة مع بايات وهران. جرت أول مواجهة بين الطرفين في جوان 1805 م بالمكان المسمى فرطاسة، والذي عرف لاحقا بوادي الابطال، فتصدى له الباي مصطفى بن عبد الله لكن تمكن أتباع الدرقاوي من دفع القوات النظاميّة إلى التقهقر فانسحب الباي، وكان من بين القتلى كاتباه ابن هطال التلمساني وعبد الله محمد الغزلاوي.

أظهرت المواجهة الأولى هشاشة الموقف الذي كانت تعاني منه السلطة في بايلك الغرب مقابل التفاف العامة بالمنطقة حول الطريقة الدرقاويّة، وهو ما دفع بابن الشريف إلى مهاجمة وهران لاحقا، وهي المواجهة الثانيّة، وعند وصوله إلى مشارف وهران حاصرها لأنه فوجئ بقوة المدافعين عنها وتصميمهم على إلحاق الهزيمة به، وكان يعتقد أنها ستفتح له أبوابها نظرا لحجم الدعايّة التي وظفها قبل هجومه. وفي هذه الأثناء تدخل مولاي العربي شيخ الطريقة الدرقاويّة لدفعه إلى وقف تمرده لكنه استمر في تحركاته. تم عزل الباي مصطفى بن عبد الله وتعيين الباي محمد بن عثمان المقلش مكانه والذي استطاع في ظرف وجيز أن يغير الموقف لصالح السلطة المركزيّة وأن يستعيد الأمن والطمأنينة إلى مدينة تلمسان التي انقسم السكان فيها بين مؤيد للسلطة المركزيّة وبين معارض لها وموال للدرقاوي.

توجه ابن الشريف بعد خسارته في المواجهة الثانيّة، إلى القبائل المحيطة بوهران ومستغانم كبني عامر والمجاهر لإعادة تشكيل المجموعات التي تقف إلى جانبه، وتمكن من كسب هذه القبائل عبر الدعايّة التي قادها ضد الوجود العثماني في الجزائر مما جعل الباي يقود عمليات انتقاميّة ضدها وهو ما دفع بالدرقاوي إلى الانسحاب بعد الانتكاسة التي تلقاها. كانت تلك الحركة هي المواجهة الثالثة. وبعد أن قتل الباي محمد المقلش بأمر من الداي أُعيد الباي مصطفى بن عبد الله إلى وظيفته، فتحرك بقواته مجددا نحو مناطق قبائل فليتة والمجاهر ثم أزيح وعُين الباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس على رأس بايلك الغرب.

وكان تعيينه بدايّة لتحول الموقف لصالح السلطة المركزيّة خاصة بعد الأعمال الانتقاميّة التي مارستها القوات النظاميّة ضد القبائل المساندة للدرقاوي.

خلفت تلك الصدامات التي قادها الدرقاوي جوا مشحونا بالعداء ضد السلطة المركزيّة، والذي ساعد في انتشاره الإجراءات القاسيّة التي استخدمها البايات ضد القبائل المساندة له مما دفع ببعضها كقبائل بني عامر للهجرة إلى المغرب. لكن مع توالي الانتكاسات التي تلقاها ابن الشريف بالرغم من مساعدة الشريف بن الأحرش له، خفت مظاهر التمرد وتوارى هو عن الأنظار وظل مختفيا حتى وفاته بالمغرب، فحاول صهره المدعو بوترفاس بعث التمرد مجددا سنة 1813 قرب الحدود الجزائريّة مع المغرب لكن دون جدوى لأن الباي بوكابوس تصدى لتلك المحاولة وحال دون توسعها، وتزامنت تلك الحركة بتعيين الباي علي قارة باغلي على رأس بايلك الغرب والذي أكمل مهمة سلفه بالقضاء على زعماء القبائل المساندة لابن الشريف لينتهي التمرد.

ما يجب تسجيله، أنه في الوقت الذي كان فيه ابن الشريف يقود حركة تمرد في منطقة غرب الجزائر تحت رايّة الطريقة الدرقاويّة، كانت هناك حركة تمرد مماثلة تجري في شرق الجزائر قادها المدعو محمد بن عبد الله الملقب بابن الاحرش وهو درقاوي آخر تشير مختلف المصادر إلى أنه من أصول مغربيّة.

وقد تباينت الآراء حول تمرد كل من ابن الشريف الدرقاوي وابن الاحرش. فالشيخ عبد الرحمن الجيلالي يرى في ذلك "ثورة قوميّة " تزعمها مشايخ الطرق الصوفيّة ضد سلوك رجال السلطة التركيّة، ويرى محمد مكحلي أن ما قامت به الطريقة الدرقاويّة كانت "أكبر ثورة"

عرفتها الجزائر العثمانيّة ويعيد أسبابها إلى تدهور الوضع السياسي وتأزم الشأن الاقتصادي. هناك من عارض تلك التمردات، كالآغا بن عودة المزاري الذي وصفها بـ "الغوغاء على أهل الملك والتصريف"، ويراها ابن الزهار فتنة بينما وصفها أبو راس الناصر بالشقاوة.

تذكر المصادر التاريخيّة المعاصرة لتلك الأحداث أن ابن الشريف الدرقاوي يكون قد تحرك بدعم من جهات مغربيّة وأن الطريقة الدرقاويّة كانت تستمد نفوذها الروحي من المغرب وأن توتراً خيم على علاقات الجزائر بالمغرب. وقد تدخلت الجزائر لدى السلطان مولاي سليمان ليرسل الدرقاوي إلى الجزائر لتهدئة النفوس. بينما يكون ابن الاحرش قد تحرك بإيعاز من حاكم تونس حمودة باشا. ومما لاشك فيه أن الطرق الصوفيّة شكلت عامل تعبئة جماهيريّة حقيقيّة وهو من المعروف لكن هناك عدة عوامل بعضها داخلي والبعض الآخر خارجي ساهمت في ظهور حركات التمرد التي عرفتها الجزائر مع بدايات القرن التاسع عشر والتي انعكست سلبا على قدرة السلطة المركزيّة في التصدي لتحركات الجهات الأجنبيّة التي كانت تتربص بالجزائر.

عامر بغدادي

المصادر:

- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، ج 3، دار الثقافة، بيروت.
- طلوع سعد السعود، الأغا بن عودة المزاري، ج 1، تحقيق يحيى بوعزيز.
- الجزائر خلال الحكم التركي، صالح عباد. دار هومة.

عبد القادر بن محمّد الرّاشدي
(1112هـ - 1700م/1194هـ - 1780م)

هو عبد القادر بن محمّد بن أحمد بن المبارك بن عبد الله الرّاشدي القسنطيني، ولد في قسنطينة سنة 1112 هـ. يكنى بالرّاشدي نسبة إلى الرّواشد بمنطقة فرجيوة والتي تقع إلى الشّمال من قسنطينة.

وهي اليوم ضمن ولايّة ميلة. تلقى معارفه العلميّة الأولى على والده الشّيخ محمّد بن أحمد بن المبارك. وتوسع في دراسته فأخذ على عدد من شيوخ عصره كأحمد بن قاسم البوني وأحمد زروق البوني ومحمّد بن علي الجعفري. وانتقل إلى تونس

فأخذ على بعض العلماء كأبي العباس أحمد المكودي الفاسي. كما توجه الى الجزائر العاصمة وأقام بها مدة واستفاد خلال وجوده بها من توسيع معارفه من خلال اتصاله ببعض علمائها.

ولما رجع إلى قسنطينة تولى التدريس بمسجد سيدي الكتاني والمدرسة الملحقة به وهما من آثار صالح باي، أحد أشهر بايات قسنطينة. وتخرج على يديه نخبة من الطلاب منهم ابن أخيه عبد الملك الرّاشدي مفتي المالكيّة بقسنطينة، ومحمّد بن المسبح القسنطيني من رجال العلم والصلاح، ومحمّد بن علي الطلحي وهو لغوي وفقيه.

وإلى جانب التدريس تولى القضاء والافتاء مِرارا بقسنطينة. وعُرف لدى من كتبوا عنه أنه كان مفتيا على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان وأنه يكون قد ألف في هذا المذهب، لكن عبد الله حمادي محقق كتابه تحفة الاخوان في تحريم الدخان يرى أنه كان مالكي المذهب لكن يميل إلى الاجتهاد، ومما يدل في رأيه على أن عبد القادر الرّاشدي كان مالكيا هو استشهاداته الكثيرة في رسالته تحفة الاخوان بآراء أصحاب مذهب الامام مالك. فالحجج التي ساقها لتحريم تعاطي الدخان أورد فيها قوله: "وصحّ أن شم الدخان مفسدة عندنا بالوصول إلى الحلق وعند الحنفيّة لا بد من وصوله إلى الجوف".

كان عبد القادر الرّاشدي يميل إلى الاجتهاد ولذلك تعرض في بعض مراحل حياته لما عرف بالمحنة التي كان سببها دخوله في جدل، مع بعض طلاب العلم، حول مسائل التأويل والتجسيم والعقل والنقل وسواها من المسائل التي تندرج ضمن العقائد وعلم الكلام. وقد تكلم في تلك المسائل في كتابه الذي سماه "متسعة الميدان في ثبات وجه الوزن وآلة الميزان".

وبسبب موقفه من مسألة التأويل أُبعِد من القضاء ورُمي بالكفر والزندقة والتجسيم والمروق عن الدين ودعا البعض إلى استحلال دمه وسعوا به عند الباي مما تسبب له فيما عرف في حياته بـ"المحنة".

وله قول مشهور يشير إلى ذلك الجدل، جاء فيه: خبرا عني المؤول أني كافر بما قضته العقول، ما قضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقول. وللراشدي العديد من المؤلفات أبرزها كتابه في مباحث الاجتهاد وحاشيّة على شرح السّيد للمواقف العضديّة، وله رسالة في تحريم شرب الدخان ضمنها أدلة مقبولة توجب التحريم. كما له رسالة أخرى في مناقشة بعض العلماء حول مسألة التأويل. ومن أبرز مؤلفاته:

- تحفة الاخوان في تحريم الدخان، صدر منه جزء عن دار الغرب الإسلامي سنة 1997م، حققه عبد الله حمادي.
- رسالة حول حكم من جرى حلفه بحرام
- عقد اللآلئ المستضيئة لنفي ظلام ا لتلبيس
- متسعة الميدان في إثبات وجه الوزن وآلة الميزان، ناقش فيه قضايا تمس

العقيدة وعلم الكلام وتعرض فيه إلى مسألة التأويل. وفرغ من تأليفه سنة 1187هـ
- مفاد التحصيل لإعداد السّبيل، وهو منظومة شعريّة مع شرحها نظمها ردًّا على مخالفيه في مسألة التأويل
- رسالة في التوحيد
- تفسير مجموعة من الآيات
- حاشيّة على المواقف العضديّة
- رسالة خصصها للتعليق على سعد الدين التفتازاني في شرح مقاصده في أفعال العباد
- تجديد الإيمان في أواخر الزمان
- مباحث الاجتهاد، تعرض فيه لقضايا أصوليّة وكلاميّة
- منظومة شعريّة في مدح النبي، وأخرى في مدح شيخه أبي العباس المكودي، وقصيدة مطولة تصف قدوم الاسبان إلى الجزائر ومشاركة صالح باي في الدفاع عن العاصمة. كما نسب له الحفناوي كتاب عن عائلات قسنطينة ببيان قبائلها ونسب الشّريف منها.

وقد تباينت الآراء حوله حسب الأهواء والميول المذهبيّة. إذ يرى البعض أنه انتصر للعقيدة السّلفيّة، ويؤكدون على كونه كان قاضي الجماعة في قسنطينة ومفتيها في القرن 12 للهجرة. فقد وصفه الكتاني بعالم قسنطينة وشيخ الجماعة وقاضيها. وهو نفس ما ذهب إليه الشّيخ مبارك الميلي بوصفه له بشيخ قسنطينة في القرن الثاني عشر.

بينما يقول عنه أبو القاسم الحفناوي:

"إنه صنف كتابا في الاجتهاد يدل على تبحره في علمي الكلام والأصول".

ويقول عنه المؤرخ أبو القاسم سعد الله:

"من الذين تناولوا التفسير تدريسا عبد القادر الرّاشدي القسنطيني ورغم شهرته في وقته، فإن حياته ما تزال غامضة سوى نبذة متفرقة، والذي يهمنا ليس حياته وإنما مساهمته في تفسير القرآن".

ويصفه أحمد توفيق المدني بأنه كان أشهر علماء عصره وأعظم رجال مصره. وقال عنه عمر رضا كحالة:

فقيه أصولي متكلم ومؤرخ. كما وصفه شيخه أحمد زروق البوني بالفقيه والشّيخ ذي الفضائل، شيخ المشايخ وإكسير العلوم وطودها، يجلي الهموم والغموم وإذا تحدث بأي فن يقال عنه بغير ظن".

ورغم إبعاده عن القضاء فإنه واظب على التدريس والإفتاء حتى توفي. وهناك اختلاف في تاريخ الوفاة، فبعض المصادر تشير إلى وفاته في أوائل ذي الحجة من سنة 1194 للهجرة، بينما يورد المؤرّخ أحمد توفيق المدني سنة 1202هـ، أي أنه توفي في أواخر القرن الثاني عشر وبدايات القرن الثالث عشر. ويروى عنه أن الناس حزنت لوفاته.

عامر بغدادي

المصادر:
- محمّد عثمان باشا، أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنيّة للكتاب.
- عبد القادر الرّاشدي القسنطيني، جريدة الشّعب، 28 أكتوبر 2018.

عبد القادر تومي سياف
(1324هـ - 1906م/1426هـ - 2005م)

تعتبر مدينة قسنطينة عاصمة لفن المالوف، حف بها عدة شيوخ حافظوا على هذا الإرث الثّقافي بكل طبوعه من الضّياع. ولعل من أبرزهم الشّيخ التّومي سياف عبد القادر الذي أفنى حياته خدمة لهذ الفن العريق. فنان عاصر لمدة قرن تقريبا كل مشايخ المالوف. يعتبر الفنان المخضرم الذي كان بمثابة همزة وصل بين جيل قرن العشرين الذي اخذ عنه هذا الموروث ليلقنه بدوره لجيل القرن الواحد والعشرين. فهو ذاكرة المالوف القسنطيني.

في حي سيدي الجليس بمدينة قسنطينة كان مسقط رأس الفنان تومي سياف عبد القادر المدعو تومي عبد القادر في 18 نوفمبر 1906، أبوه كان يمتهن حرفة تصليح الأحذية (اسكافي). تعلم القراءة والكتابة بمدرسة علي خوجة بحي سيدي الجليس،



ثم أجبر على ترك المدرسة الفرنسيّة التي كانت تكاليفها ليست بمتناول والده واكتفى بدروس المدرسة القرآنيّة، بحيث حفظ بها القران الكريم وسنه لا يتجاوز الخمس عشرة سنة، وهو ما جعل ملكة الحفظ قوية لديه وساعده ذلك في مشواره الفني حيث كان يحفظ الكثير من الاشعار بسرعة ويوظفها لخدمة الموسيقى التي اقتحم مجالها في بداية العشرينات من القرن الماضي من باب الاغنية العيساوية، حيث انضم للطريقة الحنصالية وبقي فيها مدة خمس سنوات اكتسب خلالها رصيدا معتبرا من المدائح الدينيّة.

تومي سياف عبد القادر ذلك النّاسك الزاهد ذو ثقافة دينية واسعة، جعلته يربط علاقات كبيرة بالمساجد خاصّة مسجد سيدي لخضر بحي الجزارين أحد الاحياء القديمة بمدينة قسنطينة، حيث منحت له فرصة إمامة المصلين في صلاة التّراويح، وتشجيعا له صلى خلفه العلامة الشّيخ عبد الحميد بن باديس.

بعدها زاول حرفة تصليح الاحذيّة التي تعلمها عن أبيه قبل اهتمامه بالموسيقى والشّعر، بحيث كانت لديه مجموعة من الاسطوانات يستمع اليها للفنان التّونسي خميس ترنان مغني المألوف بالرّاشدية، ويحاول عزف ما سمعه عن طريق الة القيثارة التي اشتراها لهذا الغرض.

لقاؤه بالشّيخ علي خوجة حسونة يعتبر منعرجا هاما في حياته الفنيّة، بحيث تلقى دروسا جد أساسيّة في قواعد فن المألوف ساعدته كثيرا في ولوج عالم الفن والموسيقى الاندلسيّة. وكانت البداية بأبيات للمالوف تحت عنوان (الهوى ذل الأسود).

والسّيد حسونة علي خوجة هو من قدمه للسيد ابراهيم باسطنجي في سنة 1936، وهناك تبلورت في ذهنه فكرة عن الموسيقى وسريعا ما تفطن لكون الطّبوع الموسيقيّة دون تدوينها شيئ غير ممكن، ولهذا السّبب سجل نفسه للحصول على دروس في الموسيقى خاصّة (السّولفاج) واول استاذ لقنه ذلك الاستاذ الايطالي جيوفاني اوقنيبان لمدة سنتين، في نفس الفترة التّحق تومي عبد القادر بمدرسة التّربيّة والتّعليم، وهناك دون عن طريق الكتابة الموسيقيّة أناشيد وطنيّة مثل (قميص الحديد)، للكشافة (كشافو هيا) والنّشيد المعروف (موطني).

حبه للعزف على الة الكمان جعله يتصل ايضا بالسّيدة قبريال فورستوز أستاذة بثانوية رضا حوحو بقسنطينة، ليتمم دروسه في مجال الموسيقى لمدة ست سنوات، وتحصل بعدها على شهادة.

كذلك احتكاكه بأكبر فناني مدينة قسنطينة أمثال عمار شقلب الذي كان يعزف ضمن جوقه بآلة الكمان، عبد الكريم بسطانجي الذي كان يترأس أبرز فرق للطرق العيساوة في المغرب العربي، الطّاهر بن كرطوسة، قارة بغلي المدعو (بابا عبيد)، فرقاني زواوي، الطّاهر بن مرابط، مما جعله يبحث في تاريخ المالوف وأهله ان يكون ضمن وفد مدينة قسنطينة الذي شارك في اعمال الملتقى الدّولي للموسيقى العربية المنظم بالمملكة المغربية بمدينة فاس سنة 1934.

صقل موهبته الفنية بالعمل مع أكبر رموز الغناء الكلاسيكي الاندلسي والمألوف لمدينة قسنطينة على غرار الخوجة بن جلول، قارة بغلي المدعو (بابا عبيد)، معمر براشي، رقاني الزّواوي، بالعمري وغيرهم، كما سجل حضوره سنة 1950 ضمن جوق ألكسندر النّقاش وريمون ليريس ورقاني محمّد الطّاهر.

كما كانت للعمل الجمعوي مكانة كبيرة في مسيرة تومي سياف عبد القادر، بحيث كانت البداية مع (طلوع الفجر) التي كان يشرف عليها الفنان محمد دردور، ثم (الف ليلة وليلة)، وابان حرب التحرير في سنة 1956 كرس كل وقته في تكوين جيل شاب استطاع من خلاله تكوين جوق تحت اسم (المستقبل القسنطيني) رفقة عبد المجيد النّوي، مصطفى بلقاسم، بن غنيسة عمار، عبد الحميد بن سراج ومحمد حما. وفي سنة 1960 اسس فرقة تحت اسم (المجموعة الصوتية القسنطينية).

بعد الاستقلال في سنة 1963 اشتغل كأستاذ في الموسيقى بثانوية حيحي المكي بقسنطينة، كما أشرف على قيادة أول جوق أندلسي لمدينة قسنطينة وكذلك سجل مشاركته في جمع كل نصوص الموشحات والأزجال بمعية المعهد العالي للموسيقى.

يعتبر تومي سياف عبد القادر بمثابة موسوعة في الغناء الاندلسي، جمع الكثير من طقطوقات وقصائد الزّجول ليمنحها فيما بعد لكل من يقصده في هذا المجال، وعلى راسهم الفنان الكبير محمّد الطّاهر رقاني لمدة أربع سنوات، فهو ذلك الفنان الذي يؤمن بضرورة التّواصل بين الاجيال في سبيل الحفاظ على الموروث الثّقافي من الضّياع والاندثار.

توفي تومي سياف عبد القادر بقسنطينة يوم الاثنين 22 اوت 2005 عن عمر ناهز 99 سنة، تاركا وراءه ذاكرة فنية كبيرة، أمضى كل وقته في جمعها وتوثيق كل قصائد التراث الاندلسي.

محمد غرناوط

عبد القادر حساني
(1338هـ - 1920م/1405هـ - 1985م)



ولد عبد القادر حساني يوم 20 سبتمبر 1920، في حي القرابا الشّعبي بمدينة سيدي بلعباس الذي كانت تقطن به الأغلبيّة العربيّة آنذاك إبان الاستعمار الفرنسي، وكان والدّه تاجر مواد غذائيّة ومندوبا في بلديّة سيدي بلعباس، عرفت عائلته بلقب (بالبحري) لديه ستة (6) إخوة، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة (Turgot) المعروفة في يومنا هذا باسم الغزالي ثم التّحق بمتوسطة (La perrine / لابيرين) الاستعماريّة وتسمى حاليا ب (عزة عبد القادر) وعند بلوغه السابع عشرة (17) سنة 1937 أصبح عضوا فعالا في جمعيّة الشّبيبة الأدبيّة الإسلاميّة بحي القرابا؛ حيث كان من مؤسّسي هذه الجمعيّة تمثل دورها في نشر الوعي والتّربيّة والثّقافة الإسلاميّة والعلوم بين

أوساط الشّباب المسلمين، كما لم يتوان في إلقاء بعض الدّروس التّوعويّة للشباب حوّل الاستعمار الغاشم، رفقة البعض من زملائه، لقد تميّز بالانّضباط والتّنظيم وبروح النّضاليّة العاليّة، وهذا ما أثار انتباه السّلطات الفرنسيّة التي بدأت تراقبه مع بقيّة مؤسّسي الجمعيّة آنذاك.

يعدّ عبد القادر حساني ممّن كان لهم الحظّ في مواصلة الدّراسة الثّانويّة من الأقليّة المسلمة، فقد تحصل على شهادة البكالوريا، والتّحق بالجامعة في الجزائر العاصمة لمواصلة دراسة الطبّ، وهناك واصل نشاطه السّياسي حوّل القضيّة الوطنيّة ضد المستدمر الفرنسي، كما بدأ اهتمامه بالرّياضة المتمثلة في كرة القدم وتشجيعه لفريق مولوديّة الجزائر ثم ما لبث أن غادر الجزائر لإكمال دراساته في فرنسا في جامعتي ميلوز وستراسبورغ تحصل على شهادة الدّكتوراه في الطبّ العامّ واستغل تواجده بفرنسا بالانضمام إلى حزب شمال أفريقيا الذي تأسّس في فرنسا سنة 1926م، وبعد عودته إلى أرض الوطن سنة 1948، استقر بمدينة سيدي بلعباس مسقط رأسه وفتح عيادته الطبيّة في وسط المدينة (شارع فلسطين حاليا)، لاستقبال المرضى، وفي تلك الفترة عرف الوعي السّياسي لدى عبد القادر حساني أوُجهُ لاسيّما مع أوساط الرّجال المفكرين خاصة أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين والذين كان لهم دور بارز في تأسيس المدارس خاصّة بسكان الأهالي الأصليين على غرار مدرستي ابن خلدون وابن سينا أما في الجانب الرّياضي فقد اهتم بالنّشاط الكروي وتسلّم الإشراف على فريق كرة القدم لمدينة سيدي بلعباس (الاتّحاد الإسلامي لسيدي بلعباس) USMBA مكان السّيد بلقاسم بن ديمراد بمساعدة كلّ من السّيد أوهيبي سعيد، والسّيد بكوش مختار، والسّيد شيالي عبد الكريم. هذا الفريق الذي أصبح ينافس النّادي الرّياضي لمدينة سيدي بلعباس الخاصّ بالمعمرين الأوربيين المسمى S.C.B.A إذ تأهل الفريقان إلى المباراة النّهائيّة لكأس شمال أفريقيا سنة 1956م، إلا أنّ هذه المباراة لم تُجر بسبب اندلاع الثّورة التّحريريّة. فقد التّحق الدّكتور عبد القادر حساني بصفوف جبهة التّحرير الوطني من أجل تدعيم سلك الأطباء والممرضين بالولايّة الخامسة إذ سخر كل مجهوداته من أجل الثّورة الجزائريّة كعلاج المصابين والجرحى من أفراد جيش التّحرير الوطني مافتئ أن اكتشفت فرنسا عمله السّري ضمن صفوف المجاهدين عن طريق الوصفات الطبيّة التي كان يكتبها لهم إلى جانب جمعه للدواء، ففر إلى الحدود الجزائريّة التّونسيّة سنة 1957، وعمل طبيبا بالمصالح المدنيّة والعسكريّة بالقاعدة الشّرقيّة ثم التّحق بمصلحة الاتصالات لجيش التّحرير الوطني.

وبعد الإعلان عن وقف إطلاق النّار في شهر مارس سنة 1962 عاد إلى مسقط رأسه بسيدي بلعباس وفتح عيادته الطبيّة مجددا بشارع المقطع وزاول مهنته، إلا أن المنظمة السّريّة العسكريّة قامت بحرق بيته العائلي كليا الكائن مقره بطريق معسكر أحمد زبانة حاليا. بعد الاستقلال عاد اهتمامه بالرّياضة الجماعيّة خصوصا كرة القدم وكرة اليد والنّشاط السّياسي لأجل المهام النّبيلة، فشغل منصب رئيس بلديّة سيدي بلعباس في الفترة الممتدة بين 1967 و1971 ثم عضوا في المجلس الشّعبي الولائي لسيدي بلعباس عندما كانت تنتمي إداريا لولايّة وهران بين سنتي 1971 و1975، ودخل معترك الانتخابات التّشريعيّة وفاز بالعضويّة في المجلس الشّعبي الوطني بين سنتي 1982 و1985 وعرفت مدينة سيدي بلعباس خلال فترة توليه هذه المناصب تطورا وازدهارا في شتى الميادين فمن بين انجازاته القضاء نسبيا على البطالة وخلق مناصب شغل عن طريق تشييد مصانع، واقتناء آلة تعبيد الطرقات التي حقّقت علامة فارقة من حيث تجديد المنطقة الحضريّة، وتركيب إشارات المرور الضوئيّة لأوّل مرة على مستوى الجزائر وبناء ضعف المدارس التي بنتها فرنسا لأكثر من قرن توسيع ملعب الإخوة عميروش، بناء المركّب الرّياضي 24 فبراير 1956، وتنظيم مهرجانات ومعارض والأنشطة الثّقافيّة، وبناء دور الحضانة ورياض الأطفال وغيرها من الأعمال التي جعلت سكان سيدي بلعباس يُكنون له كل الاحترام والتّقدير، فقد كان صاحب كفاءة وتواضع ونزاهة منقطعة النّظير .

انتقل الدّكتور عبد القادر حساني إلى رحمة ربه يوم 03 ماي من سنة 1985 في مدينة باريس ليوارى الثّرى بمسقط رأسه يوم 07 ماي من السّنة نفسها، وبعدها أطلق اسمه على المستشفى الجامعي بسيدي بلعباس تكريما لإنجازاته كما تحصلت سيدي بلعباس على لقب أجمل مدينة بالجزائر بفضل مجهوداته سنة1987م.

سليمة شعيب

المصادر:

– كركب عبد الحقّ، نشاط الحركة الوطنيّة والثّورة الجزائريّة بمنطقة سيدي بلعباس أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه جامعة الجيلالي ليابس غير منشور 2015–2016 ص 175–176.

– محمد مجاود، الدّكتور حساني عبد القادر 1920–1985، الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعماريّة 1830–1962 الجزء الأوّل جامعة الجيلالي اليابس، مكتبة الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع ص 183 186–.

- Un nom ; un lieu / Dr Hassani Abdelkader. un bâtisseur. par Kadiri Mohamed. Le Quotidien D›oran.

عبد القادر دلاوي
(1351هـ - 1933م/1427هـ - 2007م)

الأستاذ عبد القادر دلاوي من مواليد بوسعادة في شهر ماي سنة 1933م، أديب وشاعر، تكوينه الثّقافي مزيج من التعليم الشّرعي والتّعليم المدني، احتك برجال العلم والسّياسة في سن مبكرة من حياته المليئة بالعطاء، واندفع في مرحلة شبابه في العمل الكشفي، وكانت الحقبة التي نضج فيها مليئة بالتراكمات السّياسيّة والاجتماعيّة النّاجمة عن أحداث الثامن ماي 1945م، إضافة إلى انتشار الوعي السّياسي الذي ميّز شباب هذه المرحلة، والذي تخمّر في ذهنه ضرورة العمل الجاد لتحويل الانسداد السّياسي الذي وصلت إليه الأحزاب الفاعلة إلى عمل ثوري منظم، فبلدته كانت تعج بنشاط الأحزاب والجمعيات، وخاصة الشّباب المنخرط في العمل السّياسي، أمثال رفيق دربه الشّهيد (حميدة عبد القادر)، النّاشط السّياسي والكاتب بجريدة (la République Algérienne)، وإذا شاع عن زميله الحماسة مع الاندفاع والجرأة، فإنّ حماسة السّيد عبد القادر دلاوي يحكمها التّعقل، وتضبطها الحيطة والحذر وحسن التصرف.

اشتملت هذه المذكرات ومضات من محطّات مختلفة من النّشاط الوطني والثوري المدني ممّا اختزنته ذاكرة المؤلف، أرخ فيها لفترة حاسمة شهدت اختراقا كبيرا في صفوف جيش التحرير، أثنى من جهده، وكبده خسائر كثيرة، وقراءة متأنيّة لما جاد به قلمه يصل بالباحث إلى ربط خيوط الأحداث المتشابكة التي أشار إليها ويرسم صورة واضحة للوقائع دون مزايدات، وقد يبدو ما كتبه مقتضبا ويعوزه التنظيم، لما فيه من تقديم وتأخير وعدم ترتيب زمني، غير أنّه مشحون بمعلومات هامّة ظلت معتمة ومجهولة في تاريخ المنطقة الثالثة من الولايّة السّادسة"التي عرفت وضعا استثنائيا بسبب سياسة الاستعمار التي عملت على إنشاء جيش موازٍ لجيش التحرير الوطني"، لقد قلّ البحث والكتابة في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الثورة، لما شهدته من أحداث جسام، وتهيّب الخُلّصُ من المجاهدين من نبش أحداثها، فتح المجال لكلّ غابش دعيّ، عاش على هامش الثورة، ليفرض وصايته عليها روايّة وكتابة.

دوّن الأستاذ عبد القادر معلوماته بجرأة معهودة فيه، وتحاشى بأدبه التشخيص، وإن غلب على أسلوبه السّرد التاريخي الخالي من التحليل للأحداث والمواقف، ووضح أن دافعه من تدوين هذه المحطات التاريخيّة: "ما لمسه من جهل الكثير لأحداث المنطقة، وما شاهده من محاولة البعض تزوير التاريخ وتكييفه بما يناسب أهواءهم والظّهور كعناصر فاعلة وخاصة مع بدايّة انطلاق الثورة".

إنّ ما كتبه (الأستاذ عبد القادر) لم يبرز فيه مواقفه الخاصة إلّا فيما تقتضيه الضّرورة، ولم يتحدث عن نفسه أكثر من المطلوب، واهتم بسرد الأحداث كما عاينها، دون التعرض للأشخاص ولا التّعليق على آرائهم، ومع هذا لم يسلم حديثه من الإغراق في وصف قائدين عظيمين من قادة الثورة (زيان عاشور وعمر إدريس)، والحقبة الزّمنيّة التي اقتصر فيها حديثه محصورة ما بين سنة 1956م إلى 1958م.

تناول في عدة صفحات جانبا من حياة ونشاط الشّهيد زيان عاشور القائد العامّ لجيش الصّحراء، بدايّة من أوائل أوت 1955م إلى سنة استشهاده بتاريخ 5 نوفمبر 1956م، وكيف جرى أول لقاء جمعهما، عندما نزل ضيفا عند الشّهيد محمد بدر الدّين ببوسعادة، فقاده الأخير إلى الكُتّاب الذي يدرس فيه السّيد عبد القادر دلاوي بالأقواس وسط البلدة، ليجد زيان عاشور نفسه أمام معلم القرآن، رجلٌ مثقفٌ، نحيل الجسم، سريع البديهة، بينما السّيد عبد القادر هاله هذا الشّخص الغريب، الملتحف بقشابيته الرّثة، وصاحب الملامح الصحراويّة، وهو يتحدث باسترسال عن الجهاد، وضرورة تحرير الوطن .كان لقاؤهما الأول يغلب عليه التوتر، وخاصة من جانب المؤلف، بينما استشف (زيان) فيه صدق الطّويّة واستعداده للمشاركة في ثورة التحرير، ثم كيف رتب له لقاء جمعه مع ما يقارب 10 شبان معظمهم من أعضاء نادي أحباب البيان، لهم استعداد للتجنيد، لقد طلب منهم تكوين لجنة مدنيّة تعمل لفائدة الثورة، وجعل السّيد عبد القادر على رأسهم. ازدادت ثقة الشّهيد (عاشور) به مع مرور الزّمن، وتعددت اللقاءات بينهما، حتى أصبح موضع سره، يعرض عليه أهم النّشاطات التي يقوم بها الجيش وطرق جمع السّلاح. وينقل السّيد عبد القادر آخر لقاء جمعه بالشّهيد بجبل أمساعد مع مجموعة من المجاهدين، حيث طرح القائد زيان سؤالا على الحاضرين، "هل تفرحون بالاستقلال والحريّة؟ فرد الجميع وكيف لا؟ فقال: أنا أقول إذا كان جهادي مقبولا عند الله، أدعوه أن لا أعيش لذلك اليوم".

لم يقتصر المؤلف حديثه عن الشّهيد عاشور زيان، وإنما تكلّم عن لقائه الأول مع عمر إدريس في شهر أبريل من سنة 1956م، فوصف بشرته ولون شعره وعينيه وقامته، وصفاته التي منها شدة الحذر، وذكر أنّ من أسباب عداء البعض له سعيه لتمكين الطّلبة والمثقفين من تولي المسؤوليات بمجرد التحاقهم بالجيش، وبفضل هذه الفئة المثقفة أصبح لجيشه مكاتب مخصصة منها مكتب لإنجاز الخرائط، وينقل قصة تدل على إيمان الشّهيد عمر إدريس وتمسكه بدينه، عندما زاره بمقر الجيش بمنطقة (أقعيقع) بولايّة الجلفة، وبات عنده في ليلة شديدة البرد، فقال: "كلما أفيق أثناء الليل اجد عمر إدريس يصلي كلّ مرّة ركعتين ويسلم، وبقي يقيم الليل إلى غايّة الفجر، بعدها ينهض الضباط والجنود"، ويختم حديثه عنه بقوله: "لقد كانت الثورة حقا خالصة لوجه الله، وجهادا ناصعا لا غبار عليه قبل أن تدخل آفة السّياسة والتّحزب في صفوفها".

تعرض المؤلف إلى الأحداث والآثار السّلبيّة التي خلفها (محمد بن لونيس)، الرّجلُ المشكوك فيه من قادة حزب الشّعب بدايّة من سنة 1947م، فهو صنيع فرنسا- كما قال الرّائد عمر صخري- دخل إلى الولايّة السّادسة مطرودا من الولايّة الثالثة ثم

الرّابعة، وعاث فيها فسادا من بدايّة 1957م إلى صيف 1958م، تحدث عنه الأستاذ عبد القادر بإسهاب وأشار إلى محاولة أتباعه الانقلاب على جيش "عمر إدريس"، واعتقالهم لأغلب قادة الجيش الذين بلغ عددهم 80 شخصا، وسرد المآسي التي عاناها هو بعد اعتقاله من جنود بلونيس، وما شاهده داخل سجنه بحوس النّعاس، المعتقل الذي أعدم فيه صديقه الشّهيد بدر الدين محمد والكثير من المجاهدين.

محمد بسكر

المصادر:

- جريدة البصائر، 30 ديسمبر 2019م،5 جانفي 2020م.
- عيسى قاسمي، ذاكرة فرد.
- ناصر لمجد، محطّات من النّشاط الثوري.

عبد القادر علولة
(1358هـ - 1939م/1414هـ - 1994م)

ولد (عبد القادر علولة) يوم 8 جويليّة 1939م في مدينة الغزوات، وما يعرف عنه إنّه صاحب النّكتة والدّعابة والوجه الطّلق، وكان يميل إلى اصطحاب بسطاء النّاس/ أصحاب الهامش؛ ليستمع إلى معاناتهم، ويأخذ منهم تجاربهم، وينقلها بصورة من الصّور إلى المستمعين/ الجمهور. وهي هوايّة تربّت فيه مُذ أن كان صبياً يتدرّج في مدينة الغزوات، فشرع في ممارسة المسرح في خمسينات القرن الماضي، وهو فتى صغير. وابتدأ بأداء دور (وردة) في مسرحيّة (توفّيق الحكيم) وكان الدّور متعباً؛ لأنّه يتعلّق بامرأة، ولكنّه حاول أن يعطي التّقليد المطلوب ما دام يؤدّي رسالة لوطنه. ويرى الباحث (محمّد داود) أنّ تدرّجه هذا، إلى جانب خصاله الإنسانيّة التي لا يمكن إنكارها، كان (عبد القادر علولة) دائما يستمع الى نبضات المجتمع، وفي خدمة الفئات المحرومة ومن خلالها وضع (علولة) فنّه المسرحيّ في "خدمة الفئات الاجتماعيّة المحرومة؛ مستلهماً من الموروث المحليّ والتّراث العالميّ". هي البداية كانت في الرّيف وفي نقل واقع العيش البسيط الموحيّ بالسّرد. وفي ذلك الجوّ البسيط يعيش واقع المخيال الثّقافيّ للمحيطين به، وينقلها بفنّ مسرحيّ قابل للتّمدّد. لم يستهوهِ التّعليم الأكاديميّ في مدينته، فَرَحَلَ إلى فرنسا ليتخصّص في فنّ الدّراما، واستمع إلى محاضرات في واقع الدّراما العالميّة، وأضحى يقلّد معالمها النّمطيّة، ومال إلى الكتابة المسرحيّة



بالعاميّة الجزائريّة ذات الصّبغة الوهرانيّة. ولم يكن له فنّ أداء هذا الاختصاص لولا تلك المحاكاة والمتابعات لزملاء له سبقوه لهذا الفنّ، ولعلّ تجربة (عبد الرّحمن كاكي وغيره) أخذ منها الجزء الذي جعله ينهض بهذا الفنّ، إضافة إلى المسرح الأرسطيّ الأوروبيّ الذي استلهم منه الرّسائل الاجتماعيّة الغربيّة؛ والتي أدّى بها الحوار المبني على محاكاة الواقع في حوار دراميّ مبنيّ على لغة الأقوال، إضافة إلى تلك الدّروس التي أخذها عن الدّراما والسّرد ومستلزمات المسرح أثناء تعلّمه في فرنسا.

وبعد الاستقلال يلمع بإسهاماته في تأسيس المسرح الوطنيّ، ويصير أحد أعمدته رفقة الرّاحلين (مصطفى كاتب) (ولد عبد الرّحمن كاكي) (عبد الحليم رايس) (رويشد) وتلك المشاركات البينيّة أكسبته ممارسات جديدة، وعن طريقها أعطته تجارب النّجاح، فيعطي بدوره للفنّ المسرحيّ نفساً من الرّموز العريقة للعروض الشّعبيّة المتمثّلة في الحلقات المغلقة، ليصنع من وراء ذلك الفُرجة أمام الجمهور. وما ركّزت عليه الدّراسات أنّ تجربته ثريّة أكسبته طريق الاحتكاك بالواقع الحيّ ومن وراء ذلك أصبح يتنقّل بفرقته في جولات فنيّة وطنيّة إلى مختلف القطاعات الحيويّة لتقديم العروض خارج صالات العرض المعروفة، وهذا التّوجّه جعل من المسرح الجزائريّ يأخذ شكل الخطّاب المباشر نحو الجماهير البسيطة/ الرّيفيّة في "تصرّفات ثقافيّة خاصّة بها تجاه العرض المسرحيّ، فكان المتفرّجون يجلسون على الأرض، ويكوّنون حلقة حول التّرتيب المسرحيّ (La disposition scénique) وفي تلك الحالات كان فضاء الأداء يتغيّر، وحتى الإخراج المسرحيّ الخاصّ بالقاعات المغلقة ومتفرّجيها الجالسّين يتغيّر. وكان يجب إعادة النّظر في كلّ العرض المسرحيّ جملة وتفصيلا". ومن هنا، فإنّ الفنّان المسرحيّ (علولة) له درايّة لتحقيق المسرح المحكي بأسلوب الحكايّة الشّعبيّة في بناء عناصر المسرحيّة، ونقْلها من الرّوتين والتّقليد وجعْلها تُسمع بأذن واعيّة وحقيقيّة، يعيشها المحيطون بالمسرحيّ من خلال العرض فقط.

أعماله الفنّيّة:

بدأ مشواره المسرحيّ سنة 1955م بنسج مسرحيات بسيطة، وكانت أوّل مسرحيّة قويّة سنة 1969م الخبزة، ثمّ تلتها مسرحيات كثيرة على غرار: العلق+ حمق سليم+ حمّام ربّي+ حوت ياكُل حوت+ المايدة+ النّحلة+ المنتوج+ الكوّال/ القوّال+ الأجواد+ اللثام+ التّفاح+ أرلوكان خادم السّيدين...

وكان يستعدّ لكتابة مسرحيّة العملاق، لولا أنّ يدّ الإرهاب باغتَتْهُ يوم 14 مارس 1994م، ويُنقل إلى مشفى Val-de-Grâce، بباريس، ويلفظ أنفاسه.

وما يمكن أن يُسجّل على مسرحياته إنّها تحمل خطّاباً شعبياً حكواتياً بسيطاً، وهو يؤدّي دوره بين المتفرّجين، حاملاً سخريّة يتناغم معها الجمهور، متنقّلا بينهم، في جوّ حداثيٍّ موشى بنظرة اجتماعيّة ناقدة، وبفكاهة لاذعة تجعل المتلقين يتجاوبون بحماس مع العروض، تبعاً لاعتمادها على الارتجال والفرجة ضمن حيّزٍ شعبويٍّ حميميٍّ؛ يغرف من تراث الشّعر الملحون والأقوال المأثورة. ويكون هنا قد خرق النّمط الكلاسيكيّ، وألغى كلّ الدّيكورات إلاّ الضّروريّة، وهذا بغرض تحطيم الجدران والبُعد عن الانعزاليّة؛ باستعمال الخطّاب المسطّح القريب من الجماهير، وهنا نُدرك عمق نظرته التي تنمُّ عن خيال مسرحيّ، وفهم متميّز للشّخوص ولمتطلّبات المشاهد وسائر عناصر البناء المسرحيّ.

عبد القادر علولة مدرسة مسرحيّة:

لا يمكن أن نخفي تأثّره بمسرحيين سابقين، لكن له السّبق في المسرح المحكيّ المستقرّ، وليس في مسرح الحوار المتنقّل، ويُعدّ أيقونة هذا المسرح الجزائريّ الذي صنعته الحياة بكلّ صُدفها ومآزقها وصعوباتها وقلقها وتحوّلاتها، مسرح العائلة والأخوة والسّياسيّ والمشرّد وصاحب المقهى، والطّالب وساكنة الأحياء الضّيقة/ الهامش... والجمع بين هذه الفئات لصناعة الفرجة. وقد عرف به وأعطى له قوّة جماليّة بين التّجربة الشّعبيّة وجمالياتها والتّجربة العالميّة، متأثّرة بقوّة بالجهود البريختيّة التي منحته فرصة المشترك الشّعبيّ والحرفيّة الفنّيّة المميّزة. ولا غرابة إذا قلنا إنّ علولة سعى إلى توظيف الحكايّة الشّعبيّة على اعتبار إنّها فن قصصيّ يمكن تشكيله مسرحياً، وكتابه بأسلوب الحكايّة؛ لأنّ الأذن هي الطّريق المدرّبة لالتّقاط الجمال، وليس العين. والعول هنا على الرّاوي؛ وهو الذي يقوم بأعباء السّرد المسرحيّ، ويشدّ انتباه المتلقي إلى واقع الحكايّة بسلوك دراميّ في تجسيد الظّاهر والخفيّ من الحكايّة الشّعبيّة لتحقيق الفُرجة المنشودة. وبهذا يكون (علولة) قد أسّس لمدرسة مسرحيّة لها موروث شعبيّ وأسطورة ونكتة ومَثَل شعبيّ، باستخدام الحلقة والرّوايّة، ويضع سمات ذلك من خلال لوحات واقعيّة يديرها في بُنى تركيبيّة تحكي الدّراما عن طريق الأقوال؛ باستخدام الاستهلال للتّأثير على المشاهد الحاضر وفتح أذنيه لاستماع ما سوف يلي من لوحات، وتبدأ دورة (الگوال) في المسرحيّة تتوالى في سلسلة من المشاهد والشّواهد من واقع الحياة اليوميّة البسيطة لتكون من بين مستلزمات الخطّاب، ولتحقّق التّفاعل البنّاء مع الجمهور، ويستمرّ هذا الفعل في تعظيم أهميّة الأقوال والأخبار، وتقسيم الأدوار في سلسلة متكاملة لتحقيق المطلوب. وتمضي الأقوال واللوحات لتحقيق تسلسل الحكايّة كما يأتي في هذه الأقوال:

– گالكْ گالُو.... گالو لَعْرَبْ... گالو ناسْ بكري... أسمعْ واشْ گالُو... گالوه النّاس لَوْلين... گالك واحدْ إنّهار... لوحة استهلال فرديّة.

– بقى يفكره ما فعل في الطّاليانْ والآلات المشريّة من أهْناك، لَمْخازن اللي فيها لَماشَنْ المديين والمقيوسين في لَمْخازنْ، الخيانة نْتاع العمّالْ، الشّعب والدّولة، الرّشوة والبيروقراطيّة... قدورْ السّواگ لامْ وعاتبْ سي النّاصرْ، أعلاهْ يوقفْ ضد الشّعبْ أُلخدامْ، ضدْ مكاسبْ العمّالْ، وكيفاهْ يعرقلْ طريقْ الاشتراكيّة... لوحة نقل واقع بصورة جماعيّة.

– گالوا ما گالو على قدورْ وما اصْرالهْ ... اللي رفدْ قشّهْ واهجرْ، وبعد ما اتركْ شَغْلَهْ... واللي گالوا شدوهْ العمّال بعدْ ما سَمْحوا لَهْ... طلْبوا مَنَّهْ يبقى يعطيك يغيّر أفعالَهْ... الشّركة ما تضيعْ سواگ جرّبْ مَثلَهْ... ادخلْ أمْعاهم في الصّفْ هنا واتْحسْنَتْ أحوالَهْ... لوحة نقل دراما بصورة جماعيّة، وتترك المشاهد الحاضر يبحث عن الحلّ.

وبكلّ تلك اللوحات، ينقل الواقع بأداء بسيط، وبلغة ملموسة، يشعر المتفرّج قريباً من العرض أو هو جزء منه؛ يعني هو طرف في الحكيّ، في الأداء أو في الصّور الكلاميّة وفي الجمل المردّدة في الأسماع، وعلى هذا النّمط خلق (علولة) مدرسة مسرحيّة حكائيّة گوالة من خلال فرقة كبيرة، ولكلّ عضو (مَقُول) يسرده حسب الدّور الذي أُنيط به. فنراه يبني من خلال فرقته مسرحاً ملتزماً في نقد الواقع بواقع شعبيّ يدري بالواقع، وهو عبارة عن برنامج متكامل الأجزاء يمتدّ من خطّاب النّص إلى المتلقي، ويجد موقعه في الواقع، وينقل النّقد حيث يجب أن يصل. ويكون بهذا قد أصّل للمسرح الجزائريّ بممارسات كتابيّة دراميّة أو بالإخراج المسرحيّ أو بفضاء العرض. وهنا يمكن أن نقول: إنّ (علولة) كان صانع الحركة المسرحيّة في الجزائر وربّما لامسَ المجتمع العربيّ الذي يفهم جزءاً من اللغة المحكيّة، ويقارب العالميّة في البناء والتّشكيل الدّراميّ. ومع ذلك ظلّ (علولة) إنساناً متجذراً في مجتمعه، وكان مسرحياً/ رجلاً ذا بنيّة كبيرة سواء من حيث الجسد والفكر والجانب الإنسانيّ، وتختصر أعمالُه في عبقريّة إبداعيّة؛ ممّا يجعل مَسيرته المَسرحيّة تجربةً رائدةً وناجحةً في مدرسة المسرح الجزائريّ الحديث؛ تحتاج من المُريدين أن يعملوا على احتذائها وتطويرها.

صالح بلعيد

المصادر:
– محمّد داود، مسرح عبد القادر علولة: النّصّ والخشبة؛
– شبكة Google بتاريخ 16 أفريل 2020م.

عبد القادر غفايريّة
(1320هـ - 1903م/1396هـ - 1976م)

عبد القادر غفايريّة عالم ومصلح ومناضل جزائري، ولد الشّيخ عبد القادر بن عبد الغفار بن محمّد غفايريّة في دائرة أولاد عنتر بالقرب من قصر البخاري ولايّة المديّة سنة 1903.

كان رحمه الله وسيما في خلقته وضيئا قوي البنيّة طويل القامة، وأما خلقه فقد كان مرضي الشّيم معروف المآثر غلب عليه الجود والسّخاء ما يأكل بمفرده أبدا وبيته يسمى بيت المساكين، كانت أوقاته عامرة بالخير؛ فهو إما في المسجد يعلم أو يتعلم، أو مع الضيوف، أو معتكف في غرفته يطالع ويكتب.

نشأ وترعرع في منطقة أولاد عنتر إلى أن استدعته الحكومة الفرنسيّة لأداء الخدمة العسكريّة، وفيها وقع له حادث أثر عليه وتسبب في إعفائه منها، وبعد سراحه من الخدمة الوطنيّة جلس عند الشّيخ المختار يحياوي لحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى زاويّة فريحة في بني ورثيلان فأتم القرآن الكريم في أحد عشر شهرا وكان أترابه يعجبون من سرعة حفظه وتمام ضبطه ودرس هناك بعض العلوم.

ومن زاويّة فريحة ارتحل إلى حاضرة قسنطينة والتحق بدروس المصلح الإمام عبد الحميد بن باديس في المسجد الأخضر، ومكث هنالك مدة فدرس جملة من العلوم في أصول الدّين والفقه وأصول الحديث ....

ودرس أيضا في قسنطينة عند جملة من الشّيوخ الشّيخ الجيلالي الفارسي الأصنامي، والشّيخ الطّيب العقبي والشّيخ العربي التبسي والشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي، والشّيخ نعيم النّعيمي.

ومن مدينة قسنطينة ارتحل إلى تونس فمكث مدة التحق خلالها بجامع الزّيتونة، ثم رجع من الزّيتونة وعاد ثانيّة إلى الشّيخ ابن باديس ليدرس عنده في المسجد الأخضر، وفي هذه المرحلة ولثقة الشّيخ ابن باديس بعلم الشّيخ عبد القادر جعله عضوا في جمعيّة العلماء.

بعد أن تخرج الشّيخ عبد القادر من عند أستاذه عبد الحميد بن باديس وعودته إلى قصر البخاري عينته السّلطات الفرنسيّة بصفة الزّاميّة قاضيا في مدينة قصر الشّلالة ولكنه عملا بوصيّة شيخه ابن بايس في التحذير من الوظائف الحكوميّة، وضع استقالته من القضاء فورا وخرج من قصر الشّلالة فارا بجلده من الحكومة الفرنسيّة التي وضعت أمرا بإيقافه فأضحى يختبئ من جهة إلى جهة، وعزم على الهجرة إلى المملكة العربيّة السّعوديّة، ولكن الحكومة الفرنسيّة تمكنت من إيقافه قبل أن يتم له ذلك وأودعته السّجن وقد تجرع فيه ألوانا من العذاب وأشكالا.

وبعد شهرين من ذلك تم إطلاق سراحه، وبدأ بعد ذلك في بث مبادئ الجهاد وحرب التّحرير ويسعى في توعيّة النّاس منتقلا مع أهله من مكان إلى آخر حتى لا يظهر أمره فسكن عدة مدن كالبليدة وبوفاريك والمديّة، في المديّة أتيحت له آلة كاتبة فكان يطبع بها مناشير تحريضيّة ضد الاستعمار الفرنسي.

وبعد اندلاع الحرب كان مسؤولا على منطقة المفاتحة وأولاد عنتر في جمع التبرعات والزّكوات لصالح المجاهدين إضافة إلى الدّعايّة والتوعيّة والإرشاد.

ثم اعتقل ثانيّة وأودع سجن كامورا وذلك سنة 1961، ودام سجنه لمدة أسبوع وتم تعذيبه بالكلاب المدربة.

بعد الاستقلال مباشرة انتدبته جبهة التّحرير الوطني لأن يكون قاضيا في مدينة قصر البخاري، ثم بعدها تم توظيفه في سلك الإمامة من وزير الأوقاف أحمد توفيق المدني شخصيا، حيث كانت علاقته معه جيدة، فعين الشّيخ عبد القادر في المسجد العتيق بقصر البخاري وبقي به موظفا مدة دامت حوالي ثلاث سنوات، ثم لما نجحت دعوته وأثمرت تحامل عليه بعض الصّوفيّة المبغضين، مما تسبب في تحوله مكرها إلى مدينة بوسماعيل بولايّة تيبازة إلى مصلى هنالك، وهنالك أسس بالتعاون مع جماعة الحي مسجد خالدّ بن الوليد ومكث موظفا فيه قريبا من خمس سنوات ونصف حتى طلب بنفسه التحويل لأمور أنكرها، فأعيد إلى المسجد العتيق بقصر البخاري ولبث به طويلا حتى طلب الاستقالة كليّة من وظيفة الإمامة.

إلا أنه بقي متطوعا في المسجد العتيق يلقي فيه دروسا بعد صلاة العصر إلى أن توفاه الله تعالى وذلك في شهر جوان 1976 ودفن بمقبرة ابن علياء بمدينة قصر البخاري.

آثاره:

خلف الشّيخ جملة من الآثار جمعها الأستاذ: محفوظ بن عامر في كتاب وسماه بـ: " الأنوار القصريّة بآثار الشّيخ عبد القادر بن عبد الغفار غفايريّة"، وكانت آثاره ما بين رسالة وخطبة وأشعار من الشّعر الملحون، أشهرها قصيدته سجل يا تاريخ – ومع الثّائر العظيم بن باديس، وقصيدة يا قرن العشرين

ومن نماذج خطبه التوجيهيّة:

عن المرأة يقول:

" ...فقد عني الإسلام بالمرأة وأحاطها بسياج من الصّيانة، وأدبها وأحسن تأديبها، لأنها في المجتمع كالقلب في الجسد إن صلحت صلح المجتمع، وإن فسدت فسد، لأنها مربيّة الأجيال

ومنشئة الأبطال، فالمرأة المسلمة هي بمثابة الأرض صالحة ذات الأرباح التي تعود على الأمة بالسّعادة والشّرف، فإذا علمنا هذا إذاً يجب علينا أن نصون هذه الأرض من عبث العابثين ومكائد الإباحيين والفاسقين".

ومن شعره الملحون قوله:

سجل يا تاريخ للجيل القادم
واذكر جيل أوراس في نشوة مغروم
عكاظ الأبطال فيه اجتمعوا ثم
علونها ثورة بشرار اليحموم
يا تاج الجبال بيك النّصر يتم
يا فخر الابطال في الماضي واليوم
جبل الكاهينة اتحرك فيه الدّم
في واحد نفامبر خْبرُ معلوم

رابح دوب

المصادر:

- محفوظ بن عامر: الأنوار القصريّة بآثار الشّيخ عبد القادر بن عبد الغفار غفايريّة، دار الفرقان للنشر والتّوزيع، الجزائر.

عبد القادر نُور
(1350هـ - 1931م/1439هـ - 2018م)

هو (عبد القادر بن عمّار نور) ؛ وُلد يوم: (12جمادى الآخر1350هـ) المُوافق لـ (23أكتوبر1931م) بقريّة (الشّرفة) ببلديّة (أولاد عدي لقبالة) التابعة لدائرة (أولاد دراج) في ولايّة (المسيلة) بمنطقة القبائل الكبرى، نشأ في أسرة بسيطة، ومتواضعة، وترعرع في كُتاب قريته؛ بدأ حفظه للقرآن الكريم على يد والده الشّيخ الإمام (عمّار) المعروف بالشّرفي، وتعلم مبادئ اللُّغة العربيّة على يد الشّيخ (محمّد الطاهر نور) وأكمل حفظ القرآن الكريم في قريّة (شلاطة) ببلاد (ازواوة) ثم انتقل إلى مدينة (قسنطينة) لإتمام تعليمه، والتحق بمعهد العلاّمة (عبد الحميد بن باديس) سنة: (1369هـ/ 1950م)، ونال شهادة المعهد بتفوق سنة: (1373هـ/ 1954م)، وفي يوم: (3ربيع الأول1374هـ) المُوافق لـ (29أكتوبر1954م) انتقل إلى (القاهرة) بجمهوريّة مصر العربيّة، وكان غرضه مواصلة التحصيل العلمي، وبسبب اندلاع الثورة الجزائريّة يوم: (4ربيع الأول1374هـ) المُوافق لـ (1نوفمبر1954م) انضم بعد وصوله إلى (مصر) إلى جبهة التحرير الوطني بتشجيع من المناضلين (محمّد خيضر) و(أحمد بن بلة) وكان دوره ونشاطه يتركز على إلحاق الطلبة بالنضال الثوري، وبجبهة التحرير الوطني، وقد بدأ في النضال الثوري مع جبهة التحرير الوطني وهو ما يزال طالباً، وذلك منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة الجزائريّة المظفرة، وقد التحق بكليّة دار العلوم بجامعة (القاهرة) في (مصر) باقتراح من المجاهد (محمّد



بوخروبة) المعروف باسم (هواري بومدين) والذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهوريّة الجزائريّة، ونال شهادة الإجازة في العلوم العربيّة والإسلاميّة، وهو من أبرز مؤسسي أول رابطة للطلاب الجزائريين بالقاهرة سنة: (1376هـ/ 1956م)، وقد تولى منصب الأمين العام لهذه الرابطة، وشارك في العديد من المؤتمرات الطلابيّة والدوليّة باسم جبهة التحرير الوطني، وأسهم بشكل فعال في الإعلام المسموع أثناء ثورة التحرير، وذلك انطلاقاً من ركن المغرب العربي في سنة: (1376هـ/ 1956م)، وانتهاء ببرنامج صوت الجمهوريّة الجزائريّة بصوت العرب في (القاهرة) وبعد توقف صوت الجزائر بالقاهرة عاد إلى الجزائر، والتحق بالإذاعة بدعوة من جبهة التحرير الوطني، وذلك بعد التحاقه بوزارة الخارجيّة يوم: (11ذو الحجة1381هـ) المُوافق لـ (15ماي1962م) وقد شارك في تحرير الإذاعة الجزائريّة من إدارة الاستعمار الفرنسي في: (30جمادى الأولى1382هـ) المُوافق لـ(28أكتوبر1962م) وقد عُيّن الأستاذ (عبد القادر نور) أول رئيس لإدارة وتحرير الإذاعة الجزائريّة، كما رأس أول لجنة لتقييم البرامج القديمة، إضافة إلى رئاسة لجنة البرامج لاتحاد إذاعات الدول العربيّة، وهو عضو مؤسس لإذاعة الدول الإسلاميّة، وكان عضواً في مجلس إدارتها بجدة في المملكة العربيّة السّعوديّة، وقد توفي في (شهر شعبان1439هـ) المُوافق لـ (شهر ماي2018م) .

من أبرز الشّيوخ الذي تتلمذ على أيديهم الأستاذ (عبد القادر نور) الشّيخ (عبد المجيد زلاقي) والشّيخ (الحاج بن عبد العزيز نور) والشّيخ (محمّد الطاهر نور) .

من أهم مؤلفاته:

كتاب:"شاهد على ميلاد صوت الجزائر-ذكريات وحقائق-"؛ فقد قدم فيه الأستاذ (عبد القادر نور) نظرة شاملة على مختلف المراكز التي استقرت بها الإذاعة الجزائريّة، وسلط الأضواء على الأركان الإذاعيّة الموزعة على خمسة عشر مركزاً من طنجة إلى بغداد، فالهدف الرئيس الذي يهدف إليه من وراء تأليف هذا الكتاب هو التذكير بما قدمه إخواننا العرب من تضحيات جسام في سبيل استقلال الجزائر، ومواقفهم البطوليّة التي وقفوها في وجه الاستدمار الفرنسي أثناء ثورة التحرير المجيدة، كما يتطرق إلى مسيرة مُعظم الشّخصيات الثوريّة التي

عملت في هذه المراكز وصولاً إلى الإذاعة السّريّة.

والحق أن من يتابع نشاطات وجهود المجاهد والمناضل الفذ الأستاذ (عبد القادر نور) يُدرك بأن الرجل لم يألُ جهداً منذ سنوات في التنويه، والإشادة بالدور الكبير الذي أداه الإعلام أثناء ثورة التحرير المظفرة، ففي هذا الكتاب :"شاهد على ميلاد صوت الجزائر- ذكريات وحقائق-"، يُقدم الكثير من الصور المعبرة، والصادقة عن بطولات وتضحيات الشّعب الجزائري، وعن الجهود الكبيرة التي بذلت من خلال الإذاعة السّريّة، وعبر الإذاعات الرسميّة للدول العربيّة، فقد كتب هذه الصفحات ليُبين الكثير من الحقائق المتصلة بالإعلام الثوري، وقد دعم كتابه بمادة تاريخيّة ثريّة بالمعلومات الدقيقة التي لم يسبق أن اطلع عليها الكثير من الباحثين والدارسين، كما نلفي مجموعة من الصور والوثائق التي تنير دروب المتابعين لتاريخ الإعلام الثوري.

ومن جانب آخر فالكتاب يُقدم نظرة وافيّة عن الدور الذي أداه أبطال الجزائر في ميدان معركة الإعلام في مواجهة افتراءات الاستدمار الفرنسي، فهو يكتسي أهميّة بالغة، ولاسيما إذا أخذنا في الاعتبار أن الاعتناء بالكتابة عن ميلاد صوت الجزائر لم يظهر إلا في السّنوات الأخيرة هذا من جانب، ومن جهة أخرى فالوثائق والمراجع التي يتم الاعتماد عليها نادرة، والإعلام الثوري الجزائري ما يزال يستحق الكثير من الأبحاث والدراسات التي تميط اللثام عن دوره، ومنجزاته الكبيرة.

يرى الدكتور (أبو القاسم سعد الله) في كلمة كتبها عن هذا الكتاب النفيس أنه حدث عظيم أن يعود المرء إلى ذكريات خمسين سنة مضت من حياته، والأعظم منه أن تكون الذكريات هي ذكريات الثورة الجزائريّة عندما كان صوتها يخترق الأثير ليصل إلى أسماع الدنيا، فقد كان (صوت الجزائر) يُزلزل الأرض من تحت أقدام المستعمرين، كما كان الرصاص يُزلزل السّماء من فوق رؤوسهم، والفضل في فتح هذه الذكريات يرجع إلى أحد شهود ذلك الزلزال وهو الأستاذ (عبد القادر نور).

يقول شيخ المؤرخين الجزائريين عن المعلومات التي قدمها الأستاذ (عبد القادر نور) من خلال هذا الكتاب:

"يقدم لنا الأستاذ (عبد القادر نور) عينة من ذلك الإعلام الثوري المسموع عبر الإذاعة الوطنيّة السّريّة، ثم عبر الإذاعات الرسميّة للبلاد العربيّة الشّقيقة، وهو إذ يفعل ذلك إنما يقدم لنا أيضاً تجربة شخصيّة عايشها بكل جوارحه، وليس بحثاً محايداً استنطق من خلاله التقارير والشّهادات، ولا نريد هنا أن نفصل القول في المنهج الذي لملم به الأستاذ نور هذه المعلومات عن إذاعة الجزائر أيام الثورة، ولكننا ننبه إلى أن العمل الذي بين أيدينا ينطلق-فيما يبدو-من نقطتين أساسيتين الأولى هي المعلومات، والأسماء، والتواريخ المتعلقة بإنشاء أول محطة إذاعة للثورة الجزائريّة، والثانيّة تسليط الأضواء على مساهمة الإذاعات العربيّة في التعريف بالثورة الجزائريّة، وإذا شئت دور الإعلام العربي في خدمة الثورة" .

ويعتقد العلاّمة (أبو القاسم سعد الله) أن الأستاذ (عبد القادر نور) أسهم بعمله هذا في تصحيح الصورة عن تطور الإذاعة الوطنيّة الثوريّة بالكشف عن معلومات إضافيّة تتعلق بإنشاء المحطات الإذاعيّة وتواريخها، وأسماء الذين شاركوا في تغذيتها عبر السّنوات الصعبة، كما أنه قام بتصحيح الحكم عن دور الإعلام العربي خلال الثورة الجزائريّة.

أما الأستاذ المجاهد والمفكر الراحل (عبد الحميد مهري) فيرى أن في الجهد الذي يبذله الأستاذ (عبد القادر نور) بهذه السّلسة الهامة من المقالات محاولة لرسم صورة المعركة التي خاضها المناضلون الجزائريون في ميدان الإعلام، وتذكير بالمساعدة الكبيرة التي وجدوها لدى إخواننا العرب على اختلاف أقطارهم.

وقد بنى الأستاذ (عبد الحميد مهري) منظوره لكتاب الأستاذ (عبد القادر نور) على أن مقالاته تحمل الكثير من معاني الوفاء لرفقاء الدرب من الذين قضوا نحبهم، وأصبحوا قدوة للأجيال بعدهم، ومن الذين ما زالوا يحتلون مواقع العمل لتحقيق طموحات الشّعب في مختلف المجالات، وفي مقالات الأستاذ (عبد القادر نور) معنى العرفان بما قدمه إخواننا العرب من عون، ومساندة لكفاح مرير خاضه الشّعب الجزائري أكثر من سبع سنوات.

ومن بين الكتب التي أعدها وجمع أعمالها الأستاذ (عبد القادر نور) كتاب: "حديث الاثنين" للشيخ محمّد الغزالي، وقد صدر هذا الكتاب عن منشورات دار الوعي بالجزائر، عام: (1432هـ/ 2011م) .

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد القادر نور:شاهد على ميلاد صوت الجزائر، ذكريات وحقائق، منشورات دار هومة، الجزائر، الطبعة الثانيّة، أكتوبر2008م.
- حوار مع أول رئيس تحرير للإذاعة والتلفزيون الجزائري عبد القادر نور، منشور في مجلة الفرسان في قسم (ضيف العدد) حاوره:زبير حجايجي، العدد الأول، 01/ 15نوفمبر2010م، ص:22.
- حديث الاثنين للشيخ محمّد الغزالي، جمع وإعداد: الأستاذ عبد القادر نور، منشورات دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن محمد التناوتي الوارجلاني (أبو عمار) (ت: 570هـ - 1174م)

عالم شهير من علماء عصر الازدهار العلميِّ بوارجلان، من علماء القرن السادس الهجري، صنَّفه الدرجيني في الطبقة الثّانية عشرة (550-600هـ)، ولد بقرية تْنَاوْتْ من قرى وارجلان وإليها يُنسب، وتتلمذ في موطنه على مشايخ أجلاَّء منهم: أبو زكرياء يحيي بن أبي زكرياء (571هـ)، وأبو سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي، ومن رفاقه في التتلمذ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت: 570هـ) صاحب الرحلة الحجازية التي نظمها شعراً، وصاحب التّآليف الغزيرة في علوم المنقول والمعقول، وكان رفيق أبي عمار في رحلته إلى الحج، وقد ذكر الدرجيني في طبقاته حواراً جرى بينهما حول المكوس وهما بجبال مكة في موسم الحج، كان ورعاً تقياً، فمع ما أوتي من سعة في الرزق إلاّ أنه كان يرعى أغنامه بنفسه في بادية بني مصعب (وادي مزاب)، لأنه كان حريصاً على العمل لا يركن إلى الكسل، ولهذا وصفه الدرجيني بالقول: "وأمّا الورع والسخاء فهما أقلّ صفات خَلاَله".

بعد أن أتمَّ دراسته بوارجلان، ارتحل إلى تونس لاستكمال معارفه في معاهدها الزّاهرة في تلك الحقبة من حكم الموحِّدين، وكان في ذلك مثالاً للجدّ والاجتهاد والسّلوك الحسن الذي أكسبه احترام الناس ومحبّتهم له، وغايته من هذه الرحلة الابتعاد عن شواغل الأهل والتفرُّغ للتّحصيل، والتّدرُّب على اللسان العربي الفصيح، والتبحُّر في علومه؛ فمكث بها سنين عدداً، وكفاه أهله تكاليف العيش، فظلَّت تأتيه جراية سنويّة بها ألْف دينار، ينفق ما زاد من حاجته منها على طلبة العلم، فعرف بأخلاق السماحة والسّخاء، وصفات الورع والجدّ والذكاء، لـمَّا عاد إلى وارجلان تصدَّى لإحياء الدين بحلقات العلم، فقصده الطلبة من مختلف مواطن الإباضية بالمغرب، وبخاصة جربة، ومن تلاميذه: أبو يحيي إسماعيل بن يحيي، وسليمان بن محمد بن إسحاق، وسليمان بن يُومَر.

قال عنه المؤرّخ علي يحيى معمر: "كان أبو عمار بالإضافة إلى غوصه في بحار علم الكلام من أكثر النّاس حرصاً على العمل وبُعداً عن المهاترة والشغب، وهروبا من المراء والجدال، واشتغالاً بالاهتداء والاقتداء واتباع السّلف"،

وأولى أبو عمار جانب التأليف اهتماماً خاصاً، فترك تراثاً فكرياً قيِّماً؛ من تآليفه:

- (كتاب الموجز)، يقع في جزأين. ويتميّز بأسلوب أدبي عال، ومنهج كلامي متماسك، ممَّا أكسب المدرسة الكلامية الإباضية ميزة في مجال المناظرة والإقناع. وكتاب الموجز يضاهي مؤلّفات الباقلاني والغزالي. وقد حقَّقه الدكتور عمَّار الطالبي في رسالة جامعية، وغيَّر عنوانه فجعله: (آراء الخوارج الكلامية). وللقطب حاشية على هذا الكتاب.
- (كتاب شرح الجهالات للملشوطي)، لا يزال مخطوطا، وقد حشاه عدد من العلماء منهم أبو يعقوب يوسف المصعبي، وأبو ستة السدويكشي. وهذا الكتاب لا يقلُّ أهمية عن كتاب الموجز، وقد حقَّقه الباحث عمر ونيس، في إطار إعداده لدكتوراه مرحلة ثالثة، بكلية الشريعة وأصول الدّين بتونس (مرقون).
- (كتاب الاستطاعة)، (مخ).
- (كتاب الفرائض)، (مخ).
- (كتاب السيرة في نظام العزَّابة)، يُعرف بـ (سير أبي عمار)، وقد قام الدكتور مسعود مزهودي بتحقيقه، وطبع ضمن منشورات الضامري بسلطنة عُمان.
- له (مراسلات) مع علماء الإباضية في ميزاب وبلاد غانا، إذ كان مقصد الناس في الفتوى، (مخ).
- وله (مراسلات في العقيدة)، وردت في كتاب السّؤالات لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي.
- كما أُثرت عنه أقوال حكيمة في شؤون الدين والحياة.

وأشهر كتاب له هو (سير أبي عمّار) أو (سير الحلقة)، كما يتّضح ذلك من موضوعه، وهو من إملاء الشيخ أبي عمار على تلاميذه، في سلسلة نسب الدّين، وذكر الشّيوخ الذين أخذ عنهم الإباضيّة في المغرب والمشرق، ابتداء من الصحابة وحتى زمن أبي عمار تلاه تعريف معنى العزَّابة عند أبي عمار وتقسيمه للعزَّابة ووظائف مجلس العزَّابة وشروط العزَّابي...

كُتبُهُ المفقودة:

(الاستطاعة) في العقيدة، أشار إليه صاحبه في نهاية كتابه الموجز بالقول: "وأما القول في الاستطاعة فقد ينبغي أن يُفرد له ولم ينحو الاستطاعة من مسائل العون والأمر والإرادة كتاب على حالٍ إن شاء الله".

كتاب في الفروع؛ وهو مفقود أيضاً، ولعله الذي قصده البرادي في كتابه (رسالة في كتب الإباضية) في معرض حديثه عن مؤلفات أبي عمار بقوله: "ويذكرون كتاباً في الفروع من تأليفه لم أقف عليه".

ومن معاصيره في حلق العمل بوارجلان: الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، وأبو عبد الرحمن الكرخي، وأبو الربيع سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني، والشيخ أبو رحمة حنين الوارجلاني، والشيخ أبو الربيع سليمان بن محمد بن إسحاق، وجميع هؤلاء استفادوا من علم أبي عمار رغم أنهم كانوا أقراناً له.

توفي ودفن في أعلى جبل بامنديل من ضواحي وارجلان، وقبره لا يزال موجوداً يزوره أهل وارجلان كلَّ عام، استذكارا للمعالم التاريخية، واستنفارا للشباب إلى العلم والدين والاقتداء بالأسلاف الصالحين.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:
- أبو عمار: كتاب السير (مخ) بمكتبة ح. الناصر مختار.
- الوسياني: سير (مخ) 1/ 42؛ 2/ 147.
- الدرجيني: طبقات، 1/ تقديم، ص، ي، 40؛ 2/ 393.

عبد الكريم العگون
(1336هـ - 1918م/1378هـ - 1959م)

عبد الكريم بن المسعود بن محمّد بن عبد الرّحمن بن علي بن محمّد بن عبد الرّحمن بن المسعود بن أحمّد بن منصور الجوزي. ولد سنة 1918م بقرية العقاقنة بالقرب من برج الغدير بولاية برج بوعريريج ومنها يستمد لقبه. تعلم مبادئ القراءة وحفظ القرآن على يدّ والدّه الشّيخ المسعود. ثم وجهه والدّه إلى الشّيخ العربي بالعَدْوي ليتم على يديه حفظ القرآن الكريم، على عادة أهل الجزائر خلال العهد الاستعماري، وراجعه وضبطه على يد الشّيخ علي بن عبد الرّحمن. وبدأ يتردد على قرية أولاد سيد ي منصور، مدة سنتين، لدراسة مبادئ اللغة والفقه على يد الشّيخ موسى الأحمّدي نويوات في زاوية ابن السّعدي. توجه بعدها إلى زاوية بن بوداود بنواحي آقبو، حيث أضاف لتحصيله المعرفي مبادئ علم التّجويد . ثم انتقل إلى قسنطينة بين سنتيْ 1933م و1934م ليتتلمذ على يدي الشّيخ عبد الحميد بن باديس. وفي سنة 1936م ارتحل إلى تونس لينتسب إلى جامع الزّيتونة وعاد منه سنة 1939م بشهادة التحصيل.

بعد عودته من تونس، بادر إلى تجميع أبناء قريته لتعليمهم مبادئ اللغة وحفظ القرآن الكريم. ولم يطل به المقام، حيث توجه إلى مدينة برج بوعريريج ليلتحق بسلك التّعليم في مدرسة التّهذيب، وفي سنة 1941م انتقل إلى الجزائر العاصمة للإقامة لدى أقاربه وفي العاصمة أصبح يقوم بمهمتين هما التّدريس والإمامة، حيث عرفه النّاس إماما أكثر منه مدرسا. فقد أم المصلين بمسجدي حي سانت أوجان، ثم بمسجد حي المدنية. كما تمكن من الحصول على رخصة من السّلطات الاستعمارية تخول له التّدريس فانضم إلى مدرسة الفلاح واستمر يعمل بها لمدة خمسة عشر عاما، بعدها التحق بالمدرسة التّابعة لمسجد حي المدنية حتى تاريخ اعتقاله من طرف السّلطات الاستعمارية الفرنسية سنة 1959م.

يعرف عن الشّيخ عبد الكريم العگون أنه كان عضوا نشطا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،

ومن دعاتها المتحمسين. برز نشاطه الثّقافي من خلال اجتماعاتها وعبر ما يكتبه في مجلة البصائر. وحين اندلعت ثورة التحرير في أول نوفمبر 1954م، انضم إلى صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، فعمل على بث الوعي وحشد الرّأي الشّعبي لدعم التّورة. وشغل وظيفة أمين صندوق المال لمنطقة المرادية. ولما أحاطت به الشّكوك من قبل الإدارة الاستعمارية، بدأ يخضع للاعتقال المتكرر لاستنطاقه والتحقيق معه. وفي ليلة 15 يناير 1959م تم اعتقاله ببيته ونقله إلى سجن الكورنيش بباب الواد. وظل رهن الاعتقال لمدة ثلاثة أشهر، بعدها تم نقله إلى سجن الدّويرة، وأعدمته السّلطات الاستعمارية بالخرايسية ليلة 13 مايو 1959م.

كان الشّيخ عبد الكريم العگون مولعا بنظم الشّعر، ولذلك يعرف بالشّاعر الشّهيد . ونشر العديد من قصائده بمجلة البصائر خلال الفترة الممتدة من 1947م إلى 1956م. ومن أبرز تلك القصائد التي نشرها (يا رفيقي) و(تباشير الصّباح) و(ذكريات وعهود) و(في مولد الرّبيع). وقد جمع محمّد الشّريف شايب كل قصائده في ديوان حققه ونشره سنة 1915م بالتّعاون مع محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي والشّريف مريبعي. حرص الأديب الشّه يد عبد الكريم العگون على مجاراة شعراء العصر المجددين من أمثال أبي القاسم الشّابي فغلبت عليه نزعة التّأمل في الوجود والذّات. وتنوعت مواضيع شعره بين الاتجاه الوطني والاتجاه القومي، وغلب على شعره الطّابع الرّومانسي، يتغنى بالطّبيعة ويحتفي بصورها مراعيا في أبنيته تدفق الإيقاع وسلاسة اللفظ مع سعة في الخيال وجمال في التّعبير.

ونورد فيما يلي نماذج من شعره:

يقول في قصيدة بعنوان

"الكون ضاق بكل حكم جائر" من وحي مجازر 8 مايو 1945

ذكرى على مر الأيام تكرّر
لمجاهدين جهادهم لا ينكر
ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم
والنّفس أنجع للفداء وأجدر
وسعوا لشعب طامح متطلع
رام الحياة طليقة تتنور
كتبوا صحائفهم بحبر من دم
نعم الدّماء بها الشّعوب تطهّر
ركْب تقدم للسباق يحثه
إيمانه وإلى الحقوق مشمر
لا ينثني عن عزمه في سيره
كي ما ينال مراده أو يعذر
ما ضرهم سجن ولا نفي ولا
موت كذاك الحر لا يتغير

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان:

"بني العرب هذا يومكم":

سينقع الغيم المخيم عن شعبي
فيغدو ضحوكا مشرق الأفق كالغرب
ويحظى بآمال عِذاب جميلة
وكم من جنْي عذبٍ لدى الأمل العذب

وقال في قصيدة عنوانها :

" من وحي البحر":

"ها أنا قد وقفت أناجيك
أيا بحر فاستمع لنشيد ي

فكلانا في موقف نتناغى
بأغان سحرية التّرديد
إنك اليوم مؤنسي وسميري
ونجِيّي في قفر هذا الوجود
سكنت نفسي الحزينة وارتاحت
إلى حسنك البديع الفريد

يقول عنه من عرفوه ولازموه، أنه كان طيبا متواضعا ليِّن الرّفقة ولكن حيويا ونشيطا. قال عنه أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثّقافي: "التّقيته عدة مرات في مركز جمعية العلماء بالقصبة سنة 1955م، كان هادئا دمث الأخلاق". وقال عنه الشّاعر محمّد الأخضر السّائحي: "عُرف الشّيخ عبد الكريم العگون عند سكان بلكور (بلوزداد اليوم) كرجل دين أكثر منه شاعرا، وقد منحته وظيفة الإمامة محبة النّاس وتقديرهم ما لم يمنح غيره من الأدباء. كان شد يد الحياء كثير التّواضع". وقال عنه الشّيخ أحمّد شقار: "عرفت الشّيخ عبد الكريم العگون ورافقته في مناسبات ثقافية واجتماعية كثيرة، كما جمعني به الحديث عن الشّعر والشّعراء عدة مرات، فوجدته رجلا يؤلف من أول لقاء لتواضعه وليِن رفقته، رجلا حيويا نشِطا، حسن الهندام، أنيقا، يكثر القراءة ويولع بأخبار الشّعر والشّعراء".

أعدم الشّيخ عبد الكريم العگون في 13 مايو 1959م بمنطقة الخرايسية بالجزائر العاصمة بعد أن تعرض للسجن والتّعذيب لأكثر من ثلاثة أشهر، وقد تم تخليد ذكراه بإطلاق اسمه على مدارس متوسطة بالمنطقة التي نشأ فيها.

عامر بغدادي

المصادر:

- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، نسخة إلكترونية
- الشّاعر الشّهيد عبد الكريم العگون، م.الهادي الحسني/ الشّروق 28/ 5/ 2018
- عبد الكريم العگون، شهيد البرج الشّاعر. مدونة.

عبد الكريم بن محمّد الفكّون القسنطيني (988هـ - 1579م/1073هـ - 1664م)

أَبُو محمّد (عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ محمّد بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ قَاسِمِ بْنُ يَحْيَى الْفَكُّون التّمِيمِي الْقُسَنْطِينِي)، الملقّب بشيخ الإسلام: أديب، نحوي، محدّث، فقيه، شاعر، جمع بين علمي الظّاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، وهو أحد كبار المدرسة الزّرّوقية الملحقة بالطّريقة الشّاذلية.

ينسب إلى "بني تميم القبيلة العربيّة المشهورة، من عائلة قسنطينية عريقة في العلم والفتوى والقضاء والسّياسة" في الجزائر، أمّا أمّه فهي من "عائلة شريفة حسنية من أسرة محمّد بن قاسم الشّريف الذي كان متولّياً وظيفة مزوار (نقيب) الأشراف بقسنطينة، كما كان مفتياً."

ولد الإمام العلاّمة أبو محمّد عبد الكريم الفكّون بقُسَنْطِينَة سنة (988هـ/ 1579م) وهي السّنة التي توفي فيها جده عبد الكريم الفكون فسمي عليه، حيث نشأ بها في كنف والدّه الذي لقّنه المبادئ الأولية للعلوم في زاوية العائلة، ثمّ التحق بالمسجد وحفظ القرآن الكريم على يدأبي القاسم بن عيسى الزّواوي المعروف بثلجون، ثمّ تولاه كبار شيوخ عصره، من أمثال (القشّي) و(عبد العزيز النّفاتي) وغيرهما، فحصل على مجموعة من الفنون كالنّحو والفقه والحديث، ودرّسها مدّة، وتخرّج عليه فحول العلماء كالشّيخ أبي مهدي عيسى التّعالبي وبركات بن باديس، وغيرهما، وكان من الشّخصيات الفذّة والمهمّة التي اضطلعت بدوركبير في ميد ان الثّقافة والأدب والتّأليف والاتّصال بالعلماء من داخل وخارج الجزائر، إذ خلف والدّه الذي توفي عام (1045هـ) في إمامة المصلّين والخطبة أيام الجمع والأعياد، كما تقلّد إمارة ركب الحجّ إلى البقاع المقدّسة، ثمّ ألقى اللّه في قلبه ترك ماكان يلقي من دروس، والعكوف على حضرته بالقلب، وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم (قرأناها للّه وتركناها للّه) وصار -رحمه اللّه- في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق، ومجانبة علوم أهل الرّسوم، ويبدو أنّ من أسباب تغيّر أحواله وميله إلى العزلة، انشغاله بالتحضير لركب الحج، وكبر سنّه، وتدهور علاقاته بكثير من المثقفين والأعيان لموقفه من مظاهر الانحراف لدى بعض المتصّوفين، ونقد سلوك المرابطين في وقته، يقول الدّكتور أبو القاسم سعد اللّه "لم نجد منهم من انتقد معاصريه انتقاداً لاذعاً ودعا إلى ما يمكن أن نسميه (بالتّصوّف السّلفي) إلا الأخضري وعبد الكريم الفكون" إذ يعدّ الشّيخ علماً من أعلام السّلفية في عصره، ومنها محاربة التّدخين الذي يراه محرّماً، وفضح الأطراف المساهمة في اضطراب المجتمع وعدم استقراره، وربّما هي التي كان يشير إليها إمامنا الفكّون باسم الظّلمة أو ممثّليها من المخزن (السّلطة الحاكمة) أو القضاة أو شيوخ الأحياء، فقد وردت نازلة من نوازل الإمام الفكون، وجاء في جوابه: "إنّ جماعة وقعت بينهم وبين شيخ حومتهم مكالمة فوشاهم إلى المخزن، فطُلِب بعضهم، وهُدِمت دورُهم، من غير أن يفعلواْ ما يستحقّون به ذلك، لا بالشّرع العزيز، ولا بالقانون السّلطاني."

وكان لا يخاف في اللّه لومة لائم، فهو يعدّ هذه المواقف من باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والجهاد في سبيل اللّه والدّين والوطن، في عصر كثرت فيه الانحرافات الاجتماعية والدّينية، وتصارعت فيه كبرى العائلات القسنطينية لأغراض سياسية، توفي شهيداً بمرض الطّاعون عام (1073هـ/ 1664م)؛ إذ أنّ " المجتمع في الجزائر -وقتئذٍ- كان معرّضا

للأمراض والأوبئة في مقابل ندرة الأدوية والعقاقير".

قام بدور بارز في مجال التّعليم، كان يستقبل الطّلبة من مختلف الجهات خصوصاً من منطقة زواوة والجزائر وما حولها، وكان يدرّس التّفسير وصحيح البخاري، وغيرهما، فقد كان بارعاً في النّحو، متبحّراً في علوم الدّين كالحديث والفقه، وله مؤلّفات كثيرة في علوم شتّى، ومنها ما يتجلّى من خلال مواقفه السّياسية وعزمه على إ صلاح المجتمع ونشر الخير فيه، ومحاربة الانحرافات الدّينية والاجتماعية، مثل: منشور الهداية، ومحدّد السّنان.

وكان ذلك في "فترة بلغ الصّراع بين القوّة الإسلامية (الأتراك) والقوّة الصّليبية (الأسبان) أوجه، وكثرت الأطراف المتنافسة، وكان كلّ طرف يبحث عن الحلفاء والأنصار، وكان الدّين عاملاً مهمّاً في انضمام السّكان إلى العثمانيين." حيث كان الشّيخ من الرّاضين بحكم الأتراك لقسنطينة رغم وجود معارضة شديد ة من عائلات أخرى مثل عائلة عبد المومن.

ومن مواقفه السّياسية، أنّه كان يكره التّقرّب من الأمراء ومجالسّة السّلاطين، كما أنّه لم يتعرّض لكثير من الأحداث السّياسيّة المهمّة التي وقعت في عصره، والتي من أبرزها ثورة ابن الصّخري عام (1627م) إلاّ أنّنا نجده متعاطفاً مع الثّورة التي قام بها يحيى الأوراسي والذي تصدّى للإفتاء بقسنطينة، ونتيجة الوشاية لدى الأمراء والقول عليه بخلع البيعة فرّ إلى الأوراس ووقعت حروب بينه وبين عساكر الجزائر، ثمّ قُتِل- رحمه اللّه – غدراً من بعض الفرق، وقال الفكون: "إنّه يموت شهيد اً."

من أبرز الأعلام الذين أخذ عنهم الشّيخ عبد الكريم الفكّون:

- محمّد بْنُ رَاشد الزّوَاوي: قرأ عليه النّحو وتأثّر به كثيراً، فقد حبّب علم النّحو إلى قلب الفكّون، بفضل حسن مناظراته لتلاميذ الشّيخ محمّد التّواتي.
- الشّيخ سُلَيْمَانُ الْقَشّي: قرأ عليه شرح الصّغرى في العقائد، والقطر والأجرومية، وجانب من الألفية وغيرها، وهو من الذين درسوا في الأزهر الشّريف.
- الشّيخ محمّد التّوَاتِي الْمَغْرِبِي: أشاد الفكّون به كثيراً ووصفه بأنّه (سِيبَوَيْه زمانه) قرأ عليه كتاب المرادي في النّحو، وابن الحاجب، وغيرذلك.
- ومن أشهر العلماء الذين درّسهم، وذاع صيتهم في الآفاق، هم:
- أبو مهدي عيسى التّعالبي، أبو سالم العيّاشي المغربي، الشّيخ يحيى الشّاوي، الشّيخ بركات بن باديس، وغيرهم.
- له عدّة تآليف، منها:
- منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية.
- ديوان الفكّون (في مدح الرّسول صلى اللّه عليه وسلم)
- محدّد السّنان في نحور إخوان الدّخان.
- فتح اللّطيف (في الصّرف).

أقوال العلماء والباحثين فيه: -وصفه أبو سالم العيّاشي في رحلته، ثمّ قال فيه: " وممن لقيته بطرابلس الخاشع، الجامع بين علمي الظّاهر والباطن، رضي اللّه عنه، ونفّعنا به، سيد ي عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم الفكّون".

ووصفه المؤرخ أحمّد المقري التّلمساني بقوله: "عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها، سلالة العلماء الأكابر ووارث المجد كابرا عن كابر".

كما عرّفه أبو راس النّاصري، بأنّه: " عالم تلك الدّرّة، وعاملها وصالحها وناصحها، زاهدها، رائدها، ذروة شرفها، وبركة سلفها، وأنجب خلقها".

رويسات محمّد

المصادر:

- تعريف الخلف برجال السّلف، الحفناوي، ص163.
- شيخ الإسلام عبد الكريم الفكّون، داعيّة السّلفية، د.أبو القاسم سعد اللّه، ص152 وغيرها.
- تاريخ بلد قسنطينة للشّيخ الحاج أحمّد بن مبارك العطّار، ص124.

عبد الكريم بوصفصاف
(1363هـ - 1944م/1438ه - - 2017م)

عبد الكريم بوصفصاف أستاذ جامعي متميز، ومؤرّخ جزائري باحث، عرف بإسهاماته في الكتابة عن الحركة الوطنيّة الجزائريّة والثّورة التّحريريّة الكبرى.

رأى نور الحياة في قريّة العبيات ببلديّة فج امزالة سابقا بلديّة فرجيوة حاليا ولايّة ميلة، من عائلةمتوسّطة الحال تمزج بين الفلاحة والتّجارة والعلم، وهي أسرة ثوريّة معروفة بالمنطقة ترجع أصولها إلى شجرة البوازيد.

لما بلغ بوصفصاف سن السّابعة أرسله والده إلى بلدة فج امزالة ليلتحق بالمدرسة الابتدائيّة التّابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، والتي كان يديرها الشّيخ محمّد شوارفة.

ولقد أختار والده مدارس جمعيّة العلماء آنذاك بدافع عربي إسلامي وطني، لأن جمعيّة العلماء في ذلك الوقت كانت رمزا لهذه المبادئ، وبحكم ان والده كان مشبعا بالقيم الإسلاميّة والوطنيّة، فقد كان مسؤولا على جمع الأموال من موظفي بلديّة فج امزالة منذ عام 1955 إلى عام 1958، وتقديمها إلى مسؤولي الثّورة في قسم جبهة التّحرير الوطني، إلى أن ألقي عليه القبض مع رفاقه المجاهدين، الذين كانوا يتولون تأطير وتسيير البلديّة

المذكورة والزّج بهم في سجن الكديّة بقسنطينة.

كان الدّكتور عبد الكريم بوصفصاف المولود في فرجيوة (ولايّة ميلة) في 19 أوت 1944 والمتوفى في مدينة قسنطينة في 26 نوفمبر 2017، نموذجا في العمل الدّؤوب والإصرار على النّجاح رغم إصابته المبكرة بالعمى، متحديا بذلك كل المعوّقات، ومنتصرا على كل المثبّطات.

حفريات في تاريخ جمعيّة العلماء الجزائريين:

لقد قضى الأستاذ بوصفصاف عمره المديد في التّحصيل العلمي، والتّدريس في جامعتي قسنطينة وأدرار، والبحث التّاريخي وتأليف الكتب ونشر المقالات والبحوث خاصّة ما له صلة بتاريخ جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ورجالها التي أنجز حولها رسالة الماجستير وأطروحة الدّكتوراه.

نعم، لم يكف الدّكتور بوصفصاف عن الكتابة، ولم يتوقف عن البحث حتى آخر يوم في حياته. درس في بداية مشواره العلمي الحركة الإصلاحيّة الجزائريّة وبخاصّة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين متتبعا مسارها التّاريخي، ومبرزا آرائها الدّينيّة والاجتماعيّة ومبيّنا مواقفها السّياسيّة. وهو يعتبر الباحث الجزائري الثّاني الذي اهتم مبكرا بتاريخ هذه الحركة الإصلاحيّة على المستوى الأكاديمي وفي رحاب الجامعة. أما الرّائد الأوّل في هذا المجال فهو الدّكتور علي مراد الذي ناقش رسالة الدّكتوراه حول جمعيّة العلماء في جامعة السّوربون في عام 1967.

لقد أصدر الدّكتور بوصفصاف مجموعة من المؤلّفات منها: جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيّة الجزائريّة 1931-1945، وجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائريّة الأخرى، والأبعاد الثّقافيّة والاجتماعيّة في حركتي محمّد عبده وعبد الحميد بن باديس: دراسة تاريخيّة وفكريّة مقارنة، وابن باديس الرّمز، والشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي العلم المفكّر والأديب الوطني المنظر، ورواد النّهضة والتّجديد في الجزائر (1889-1965).

ومن الملفت للانتباه أن الدّكتور بوصفصاف لم يكلّ عن دراسة شخصيّة الإمام عبد الحميد بن باديس من جوانبه المتعددة، ويمكن تفسير ذلك بأن الأستاذ بوصفصاف قد أشرف على المجلس العلمي للمؤسّسة الثّقافيّة التي تحمل اسم هذا المصلح الكبير، وفي كل عام يشارك بمداخلة في إطار ملتقاها السّنوي الذي تعقده في كل عام في شهر أفريل.

ولا بأس أن أذكر هنا بعض العناوين: الأصالة والمعاصرة عند الشّيخ ابن باديس، صدى وفاة ابن باديس في التّقارير الفرنسيّة والصّحافة الأهليّة عام 1940. ودور المفكّر الجزائري عبد الحميد بن باديس في مغاربيّة الفكر والثّقافة والهويّة، السّلم من منظور العلّامة المفكّر عبد الحميد بن باديس، والمنهج الإصلاحي في حركة الشّيخ عبد الحميد بن باديس"، وماهيّة السّياسة والوطنيّة في الفكر الباديسي...الخ.

ومن المفيد أن أشير هنا إلى إنّه ناقش أطروحة دكتوراه الدّولة في عام 1997 في جامعة تونس، وعالج فيها موضوع الإصلاح عند الإماميين محمّد عبده وعبد الحميد بن باديس. أنقل هنا هذه الفقرة التي اقتبستها من هذه الأطروحة الجامعيّة، وهي تلخص في نظري محتوى أجزائها الثّلاثة: وهكذا انتهت حياة الرّجلين دون أن يعمرا طويلا، ولكن حياتهما ظلت حافلة بالنّشاط الفكري والسّياسي. إذا كان محمّد عبده قد أدرك شيئا من جهوده الوطنيّة والفكريّة، فإن ابن باديس لم ير إتمام العمل الذي باشره منذ عشيّة الحرب العالميّة الأوّلى، من أجل الرّقي الأخلاقي والفكري والسّياسي لوطنه، وبالتّالي فإنّه لم ير نجاح معركته من أجل الاستقلال الوطني في محطتها الأخيرة.

وعاصر الأستاذ بوصفصاف كثيرا من رجال الإصلاح، وحاورهم في مجالسهم، واستشهد بشهاداتهم في كتاباته، واستعان بأرشيفهم في أبحاثه التي اتسمت دائما بالجديّة والرّصانة، وتميزت بالأسلوب الجميل والعرض الشّامل والتّحليل العميق والتّركيب المتين والاستنتاج الدّقيق.

تنوعّت اهتمامات الدّكتور عبد الكريم بوصفصاف، فبعدما تخصص في تاريخ الإصلاح والمصلحين المعاصرين لعقد من الزّمن، اشتغل بقضايا تاريخيّة أخرى في مجال التّاريخ المحلي ودرس موضوعات في تاريخ الثّورة الجزائريّة. وهكذا، نشر في هذين المجالين كتبا ودراسات رسمت معالم هاديّة للباحثين تساعدهم على إماطة اللثام عن الحقائق التّاريخيّة بتفاصيلها المختلفة.

كما اتّجه نحو الدّراسات الإفريقيّة، وهو تخصص لم يسبقه إليه إلا 3 أساتذة جزائريون، وهم عبد القادر زباديّة-وهو عميدهم- وعمّار هلال وعبد الحميد زوزو، فأسس مخبرا للدراسات الإفريقيّة في رحاب جامعة أدرار في عام 2010، وعضده بـ"مجلّة الدّراسات الإفريقيّة". وأشرف أيضا على تأطير عدّة رسائل جامعيّة في هذا التّخصص.

وساهم الدّكتور بوصفصاف في المجلات الجزائريّة والعربيّة، أذكر منها: الأصالة، والحوار الفكري، وسيرتا، والشّهاب الجديد، والمجلّة التّاريخيّة المغاربيّة، والمجلّة التّونسيّة للدراسات الفلسفيّة. وقد جمع مقالاته في كتاب مكوّن من جزأين بعنوان: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وصدر في عام 2012.

كما أنشأ مجلات علميّة رصينة مثل الحوار الفكري، ومجلّة الدّراسات الإفريقيّة، واستقطب إليها العديد من الباحثين المبتدئين، واستكتب الأكاديميين المعروفين وخصّهم بالتّكريم مثل المؤرّخ الدّكتور أبي القاسم سعد الله والفيلسوف الدّكتور عبد الله شريط، أو خصّهم بعرض كتبهم والتّعريف بها، أذكر منهم: المفكّر مصطفى الأشرف، والفيلسوف الزّواوي بغورة، والمؤرّخة الدّكتورة بوبة مجانة.

وبخصوص صلته بطلبته، لم يقتصر الأستاذ بوصفصاف على تدريسهم في عدّة جامعات وطنيّة والإشراف على مذكراتهم وأطروحاتهم، وإنما كان ينظّم لهم أيضا رحلات علميّة إلى جنوب الصّحراء الجزائريّة وإلى تونس ليتذوّقوا التّاريخ

ويعايّنوا المعالم التّاريخيّة ويلمسوا بأياديهم الآثار ويستحضروا الماضي إلى مكانه الأصلي فتتجلى مشاهده أمام أعينهم.

كما إنّه لا يقتصر على الاتّصال بهم في قاعة الدّرس أو في ساحة الجامعة، وإنما يفتح لهم داره، ويستقبلهم فيها، ويستمع إليهم، ويتقبل أفكارهم بصدر رحب وسعة أفق.

وفي هذا السّياق، أذكر هنا شهادة لأحد طلبته، وهو الدّكتور رمضان بورغدة:

"لقد اكتشفا أستاذا بارعا في أداء مهمته البيداغوجيّة والعلميّة، ورجلا يتميّز بالتّواضع وحسن الخلق والعفويّة وروح الفكاهة مع احتفاظه بوقاره، كان مكتبه خليّة نحل، فلم يكد يخلو من وجود أساتذة أو طلبة يأتون للأستاذ بوصفصاف وليس لبوصفصاف كمدير معهد، لقد كان رجلا محبوبا، حسن المعاشرة، خدوما وعطوفا، لا يرد أحدا طرق بابه، لقد كان -والله على ما أقول شاهدا- كالغيث أينما نزل نفع".

وكل هذه الخطوات العلميّة والبيداغوجيّة والتّواصليّة التي أشرت إليها تساهم بلا شك في تكوين المؤرّخ تكوينا علميا صحيحا يزاوّج بين التّحصيل النّظري والعمل التّجريبي.

ويعمل طلبته اليوم في العديد من الجامعات الجزائريّة: قسنطينة وأدرار والمسيلة والوادي... وكذلك خارج القطر الجزائري، ويواصلون رسالتّه العلميّة والتّربويّة. ووفاء له واعترافا بفضله وتقديرا لجهوده العلميّة أكرموه في مناسبات عديدة.

وأذكر في هذا الشّأن النّدوة التّأبينيّة التي أقامتها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في 8 ديسمبر 2017 بنادي التّرقي بالجزائر. وفي عام 2018 نشر مخبر الدّراسات والبحث في الثّورة الجزائريّة بجامعة المسيلة كتابا تضمن شهادات وبحوثا ودراسات تاريخيّة مهداة لهذا الأستاذ القدير. كما احتفت المكتبة الرّئيسيّة للمطالعة العموميّة لولايّة قسنطينة في 19 نوفمبر 2019 بالذكرى الثّانيّة لوفاته بعقد ندوة تكريميّة شارك فيها أصدقاؤه وطلبته وكذلك أفراد من عائلته.

لا شك أن هناك عددا من الدّراسات التي كان يعمل عليها الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف ولم تر النّور حيث التّحق بالرّفيق الأعلى وهو يشتغل في عدّة ورشات بحثيّة. نتمنى أن تجد طريقها إلى النّشر لينتفع بها القُراء، أو يتمّمها طلبته الباحثون إن لم تكتمل بعد، ويصدرونها بعد ذلك ليستفيد منها غيرهم.

باديس فوغالي

المصادر:

- الدّكتور عبدالكريم بوصفصاف وهاجس التّأريخ
- مقال الدّكتور مولود عويمر منقول من صفحة الجمعيّة الجزائريّة للدراسات التّاريخيّة؛
- معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، الجزء الثّاني، ص10، 11، 12.
-

عبد الكريم دالي
(1332هـ - 1914م/1398هـ - 1978م)

الشّيخ عبد الكريم دالي هو شخصيّة بارزة في الموسيقى الجزائريّة كما يعد أستاذا محنكا ومرجعا في موسيقى الحوزي، على عكس العديد من الشّيوخ فقد اجتهد الفنّان عبد الكريم دالي على تلقين الجيل الصّاعد موسيقى التّراث.

ولد الفنّان عبد الكريم دالي أحد أبرز شيوخ الحوزي في الجزائر يوم 21 نوفمبر 1914 في حارة الرّمى، في وسط عائلي يعشق الموسيقى، بدا مشواره باحتشام، حينما سلمه والده وهو في الحاديّة عشرة (11) من عمره إلى عبد السّلام بن صاري وهو مؤدي للمدح، والذي ضمه إلى جوقه كناقر على آلة الدّربوكة، ثم انتقل إلى التّتلمذ على يد الشّيخ دالي يحيي، إلا أن هذا اللقاء لم يدم طويلا، بعدها التّحق كناقر على آلة الدّربوكة، بجوق الشّيخ عمر البخشي، الذي



سيصبح بمثابة الأب الثّاني لعبد الكريم دالي والذي نهل منه الفنّان أهم وابرز معارفه الموسيقيّة والذي ساعده على إتقان الغناء والعزف على آلات عديدة: الرّباب، العود، كمنجة، النّاي ... الخ، فعلّمه مبادئ الموسيقى الأندلسيّة،

قبل أن ينتقل لكي يكون تلميذ عبد السّلام بن ساري، ثمّ الشّيخ يحيى بن دالي الذي كان يمثّل نجم الموسيقى الغرناطيّة.

تعلّم الفتى بفضل شيوخه العزف على آلة المندولين. ثمّ على الكمان والنّاي وأخيراً تلقى تعليمه على العود.

وحيث إنّه كان كثيف النّشاط في فترة الثّلاثينات، فقد انضم إلى جوق الشّيخة طيطمة، الذي سمح له بأن يتفتح في عالم الموسيقى ويستوي عوده في الفنّ ويذيع صيته. فأسس جوقه الخاص به، ونشط حفلات بالرّاديو وحفلات بالخارج، كذلك قام بجولات على مستوى الوطن والتّقى العديد من الموسيقيين البارزين نذكر منهم (محمّد الكرد) و(الصّادق البجاوي).

في سنة 1930، قام الشّاب دالي بتسجيل عدّة أغان ومواويل من بينها "مع ناري"، "كيف أملي" ألحقها بتسجيل عشرين أسطوانة عام 1938 مع شركة (/ Algériaphone الجيريافون).

أسهم دالي في تكوين مكتبة تضم مختارات من الموسيقى الأندلسيّة، وقام أيضا بتسجيل نوبات مدرسة تلمسان.

استقرّ بالجزائر العاصمة سنة 1947، أين أصبح عضوا في جوقة المحطة الذي يقوده (حمد فخارجي) وبعدها اقتحم عبد الكريم دالي تجربة بيداغوجيّة بإشرافه على تعليم النّشء في مدرسة الموسيقى في حسين داي.

التّحق كأستاذ بالمعهد الوطني للموسيقى سنة 1971، أين شارك في بحوث حول التّراث الموسيقي وسجل عندئذ جميع مقطوعات التّراث التي كان مؤتمنا عليها.

يعتبر عبد الكريم دالي، أحد أبرز شيوخ الحوزي في الجزائر والمؤثر في مدرستين موسيقيتين أساسيتين هما الصّنعة (الاسم الجزائري للموسيقى الأندلسيّة) والغرناطيّة، لا سيما وأن هذه الأخيرة نوع موسيقي احتضنته بالتّحديد تلمسان مسقط رأس دالي.

كان موحداً للمدارس الموسيقيّة الأندلسيّة التي عرفت في الجزائر العاصمة وتلمسان وقسنطينة"، مبيناً أن "تنقله المستمر خاصّة بين العاصمة وتلمسان مكنه من أن يجمع بين المدارس الموسيقيّة المنتشرة فيهما وأن يؤلف بينهما".

كما كان عبد الكريم دالي مولعًا بأغاني أم كلثوم ومحمّد عبد الوهاب

قبل وفاته زار البقاع المقدسة، وفور عودته قام بتسجيل قصيدة تاريخيّة بعنوان (رحلة حجازيّة)، (الحمد لله نلت قصدي وبلغت منايا) والتي سبقتها أغنيّة الأفراح التي لا يمكن أن تفارق ذاكرة الجزائريين (صح عيدكم) التي غناها لأوّل مرة عام 1952 وكتبها ولحنها أيضا، ولم يخطر على باله أنّ هذه الأغنيّة سيخلّدها التّاريخ أكثر مما سيخلد اسمه، ولم تتمكن أي أغنيّة أخرى من منافستها، فهذه الأغنيّة وكلماتها التي بقيت خالدّة إلى يومنا هذا، يجمع كثير من الجزائريين على إنّه لا طعم للعيد دون سماعها، وما زالتّ تبث بالأبيض والأسود مترجمة ما يعرف (بالزّمن الجميل).

وتقول كلمات الأغنيّة:

من زينو نهار اليوم صحة عيدكم من زينو
نهار اليوم مبروك عيدكم
مبروك عيدنا وفرحنا والعيد بالفرح
أجمعنا
نطلب ربي يغفرنا في نهار اليوم أتزول
الشّدة والمحنة وفرحنا يدوم
من زينو نهار اليوم صحة عيدكم من زينو
نهار اليوم مبروك عيدكم
عيدكم يا لحباب فيه يفرح شايب
وشباب
من الغربة أنتما وليدات لبلاد صحة
عيدكم
في الجزائر أيكون الميعاد في نهار اليوم
من زينو نهار اليوم صحة عيدكم من زينو
نهار اليوم مبروك عيدكم
يا سعد من افرح اليتيم يرضى عليه ربي
الكريم اطلبوا ربنا ألعلامين
لعياد كلها مجموعين
صحة عيدكم
اللّه ايكثر المسلمين في نهار اليوم.

ويعد الرّاحل عبد الكريم دالي من أشهر فناني الجزائر خاصّة في فن "الحوزي"، وعُرف عنه ولعه بالعملاقين العربيّين الرّاحلين الفنّانة أم كلثوم والفنّان محمّد عبد الوهاب، ومع ذلك أبدع في فن الحوزي الجزائري الأصيل، وترك إرثاً من مئات الأغاني الرّائعة.

توفّي الشّيخ الحاج عبد الكريم دالي في 21 فيفري 1978 بمنزله بحيدرة، ووري التّراب بمقبرة سيدي يحيي بالجزائر العاصمة

أصدر بريد الجزائر في 16 نوفمبر 2014، طابعا بريديا تذكاريا يحمل صورة المرحوم الشّيخ عبد الكريم دالي، تخليدا للذكرى المئويّة لميلاده (1914 – 2014).

كما كرمت رئاسة الجمهوريّة، خلال شهر رمضان 2017، عائلته ومنحته (وسام الاستحقاق الوطني).

سناء رمضاني

عبد اللطيف الصّوفي
(1355هـ - 1936م/1435هـ - 2014م)

هو (عبد اللطيف بن أحمد سامي الصّوفي) جزائري الجنسية؛ سُوري الأصل، ولد يوم: (3رمضان1355هـ) الموافق لـ (17نوفمبر1936م) بمدينة (تلكلخ) التابعة لمُحافظة (حمص) في (سوريا) انتقلت أسرته (الصّوفي) -وهي أسرة معروفة بالعلم، ومنها عدد كبير من العلماء في شتى الميادين المعرفية والمجالات العلمية- إلى مدينة (اللاذقية) بسبب ظروف عمل والده؛ فنشأ وترعرع فيها؛ وقضى جميع المراحل التعليمية بها (الابتدائي والإعدادي والثانوي) ومنذ طفولته كان شُعلة من الذكاء والانضباط؛ ففي المرحلة الإعدادية كان مُشتركاً في مجلة " السّندباد" المصرية، ونظم ندوة متميزة جداً للمشتركين فيها خلال مرحلة دراسته الإعدادية؛ كانت أكبر ندوة تُقام في سوريا خلال تلك الفترة؛ فأرسلت إدارة المجلة اسمه إلى رئاسة الجُمهورية المصرية؛ فوّجه له الرئيس المصري (محمّد نجيب) رسالة شكر وامتنان ما تزال محفوظة في أرشيف الأسرة عند ابنه الدكتور (فارس الصّوفي) وخلال فترة دراسته الثانوية أسس مجلة "الضاحك" في مدينة (اللاذقية)؛ بغرض تشجيع الطلاب على القراءة والكتابة، وتمّ تعيينه عضواً في مجلة "الطالب العربي" وكتب فيها عدة مقالات، كما كان يُشرف في مرحلة شبابه على صفحة "روضة الفكر" في جريدة "البلاد" السّورية؛ التي كانت تصدر

بمدينة (اللاذقية) وكان له نشاط علمي وثقافي مُكثف بالمركز الثقافي في مدينة (اللاذقية) وبفضل جهوده نشطت الحركة الثقافية بشكل كبير في المدينة، وبعد نيّله شهادة "البكالوريا" سجل في تخصص "الحقوق" ودرس السّنة الأولى فقط، ثم غيّر التخصص إلى علم المكتبات والأرشفة، وبعدها شارك في مسابقة بمدينة اللاذقية للحصول على بعثة دراسية؛ فنال المرتبة الأولى في المسابقة، وسافر إلى النمسا؛ والتحق بجامعة (فيينا) التي تابع فيها دراسته الجامعية والعليا، فحصل على الإجازة الجامعية في اللغة الألمانية والترجمة، ونال الإجازة الجامعية في التاريخ، وحصل على دبلوم الدولة الذي يُعادل (الماجستير) في تخصص (الوثائق والمكتبات والبحوث التاريخية) ونال درجة الدكتوراه من جامعة (فيينا) بأعلى تقدير سنة: (1387هـ/ 1967م) في مجال علوم المكتبات والوثائق والمعلومات، وأثناء دراسته في (النمسا) أسس: "النادي العربي" بجامعة فيينا؛ وقد كان يهدف إلى التعريف بالثقافة العربية، وتقديم صُورة مُشرقة ومشرّفة عنها؛ كما كان يُنافح فيه وبقوة عن القضية الفلسطينية، ويدحض مزاعم الحركة الصّهيونية التي كانت تنشط بكثافة في جامعة (فيينا)؛ فقد كان يُبيّن للطلاب الأجانب في النمسا مدى عدالة القضية الفلسطينية، ويُبرز الحقائق بالوثائق العلمية؛ التي تؤكد أحقية الشّعب الفلسطيني في أرضه، وتُوضح المظالم الكثيرة التي يتعرض لها باستمرار، وخلال فترة وجوده بالنمسا جمعته علاقة صداقة مع الشّاعر العربي الكبير (عُمر أبو ريشة)؛ الذي كان يعمل سفيراً للجمهورية العربية السّورية في (النمسا) ويعد من أهم شُعراء العصر الحديث في الوطن العربي، وقد كتب عدة أبيات شعرية في مدح الباحث الدكتور (عبد اللطيف الصّوفي)؛ حيث أُعجب بشخصيته الفذة، وبانضباطه، وجهوده الثقافية، وجديته في العمل، كما حضر عدة دورات تطويرية للأساتذة في ألمانيا الغربية، من بينها دورة تطويرية نال فيها شهادة تقدير خلال عام: (1391هـ/ 1971م) ودورة تربوية في ألمانيا الديمقراطية، عام: (1392هـ/ 1972م) وقد أتقن اللغة الألمانية خلال فترة وجود بالنمسا، وكتب بها عدة أبحاث تُعرّف بالحضارة العربية، وطُبعت له أربعة كتب في ألمانيا تتطرق إلى الحضارة العربية، **وبعد** عودته إلى وطنه (سوريا) اشتغل في مديرية التدريب بوزارة التربية السّورية بدمشق، وكان موجهاً بالدرجة الأولى في وزارة التربية السّورية في مجال البحوث التربوية، وعمل في معهد إعداد المدرسين، ودار المعلمين بدمشق، وكثف أنشطته العلمية والثقافية؛ **فتولى رئاسة تحرير مجلة** "المُعلم العربي" التي كانت تصدر عن وزارة التربية السّورية بدمشق، وقد أضحت هذه المجلة واحدة من أبرز المجلات التربوية والثقافية في (سوريا) وسائر أقطار الوطن العربي، وحظيت بسُمعة جيدة بفضل إدارته المتميزة، وجهوده المكثفة، كما عمل الدكتور (عبد اللطيف الصّوفي) **خلال هذه المرحلة في وزارة التربية السّورية بدمشق مسؤولاً عن المناهج**؛ فنهض بتطوير هذا القطاع، وأسهم إسهاماً فاعلاً في أرشفة المكتبات المدرسية في دمشق، وفي عدة مُحافظات سورية، وأسس جمعية المكتبات السّورية .

ويُعد الدكتور (عبد اللطيف الصّوفي) رائداً من رواد علم المكتبات ونظم المعلومات والمعلوماتية والأرشفة في الوطن العربي، ففي فترة السّتينيات من القرن المُنصرم، يكاد يكون هذا العلم مجهولاً وغير متداول في مختلف الجامعات العربية، وبعد عمله في سوريا في عدة مجالات، ولاسيما في معهد إعداد المعلمين التابع لنقابة المعلمين، سافر إلى الجزائر التي يُكن لها منذ ثورتها العظيمة محبة خاصة، واستثنائية، سنة: (1394هـ/ 1974م)؛ حيث انضم إلى جامعة قسنطينة، وأسس قسم المكتبات والمعلومات في جامعة قسنطينة، وطوّر مكتبة جامعة قسنطينة، وقام بتحديثها بطرائق منهجية مُعاصرة، وقد تطوّر قسم المكتبات والمعلومات بجامعة قسنطينة، وأصبح يمنح درجة (الليسانس والماجستير والدكتوراه) وقد بقي الدكتور (عبد اللطيف الصّوفي) **في الجزائر**؛ التي حصل فيها على الجنسية الجزائرية خلال سنوات التسعينيات من القرن المُنصرم، **إلى غاية عام**: (1425هـ/ 2004م)؛ حيث أسهم بشكل فاعل في تنشيط الحركة العلمية بالمعهد الذي ينتمي إليه، وكان مديراً لمخبر البحث: "تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية"، كما كان عضواً في معهد البحوث التاريخية في (جامعة فيينا) بالنمسا، وعُيّن عضواً في المكتب التنفيذي للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، وكان أحد أعضاء الاتحاد الأوروبي لمكتبات الشّرق الأوسط، كما كان عُضواً في لجنة الموسوعة البريطانية، وعُيّن عضواً في لجنة الموسوعة الأمريكية، كما تم تعيينه عضواً في عدة هيئات تحرير مجلات عربية أكاديمية ودولية مُحكمة في ميدان علوم المكتبات والمعلومات، وفي ميادين أخرى، من بينها: "مجلة بونة للبحوث والدراسات"؛ وهي مجلة علمية أكاديمية مُحكمة تصدر بمدينة عنابة في الجزائر، وكان يتولى رئاسة تحرير "مجلة المكتبات والمعلومات" التي قام بتأسيسها بمبادرة شخصية منه؛ وهي مجلة نصف سنوية تهتم بشؤون المكتبات والتوثيق والمعلومات وتقنياتها الحديثة، وتصدر عن قسم المكتبات والمعلومات بجامعة منتوري في (قسنطينة) وقد نشر عشرات الدراسات الأكاديمية في مختلف الدوريات الدولية المُحكمة، وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف الجامعات الجزائرية، وقد سافر الدكتور (عبد اللطيف الصّوفي) خلال سنة: (1425هـ/ 2004م) إلى الولايات المتحدة الأمريكية للالتحاق بعائلته، وبقي خلال فترة تقاعده متفرغاً للبحث العلمي، والتأليف، وكان يُشارك في عدة ملتقيات عربية ودولية، إلى أن وافته المنية يوم: (17شعبان1435هـ)؛ المُوافق لـ(15 جوان2014م) في مدينة (لوس أنجلوس) بالولايات المتحدة الأمريكية.

من أهم مؤلفاته:

"اللُّغة العربية ومعاجمها في المكتبة العربية"، و"لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات"، و"مصادر المعلومات واتجاهاتها الحديثة"، و"مصادر الأدب في المكتبة العربية"؛ وقد ألّف هذا الكتاب رغبة منه في لفت الانتباه إلى قضايا تراثية أدبية تكتسي أهمية كبرى، حيث يقول في مقدمته: "أقدمنا على تأليف هذا الكتاب، وقدمنا فيه لمحة موجزة عن حركة التأليف العربية في اللُّغة والمعاجم، والأدب والتراجم منذ

فجر الإسلام حتى عصر المماليك، وأتبعنا ذلك تعريفاً بالكتب الأمهات من مصادر الأدب الموسوعية النظرة؛ ثم بطائفة مختارة أخرى من كتب المصادر الأدبية العربية التي تعود لتلك الفترة الخصبة من تاريخنا المجيد، مشفوعة بتراجم مؤلفيها، وبيان موضوعاتها، وطرائق وضعها، ومزاياها وطباعتها، مع عرض نماذج مختارة من نصوصها، ضبطناها بالشّكل، وشرحنا غريبها، وذلك بغية تعريف هذا الجيل بما قدمه الأجداد من أعمال رائدة، وما تركوه لنا من مؤلفات خالدة..." .

وللدكتور (عبد اللطيف الصّوفي) كتاب آخر ضمن هذا المجال الذي يتصل بالمصادر، عنوانه: "مصادر اللُّغة في المكتبة العربية"؛ طُبع في الجزائر، ومما جاء في تعريفه به من خلال المقدمة: "...ولمَّا كانت الحاجة وما زالت ماسة إلى مرجع من هذا النوع، يُعرِّف طلبة العلم والباحثين العرب بأهم مصادر المكتبة العربية في اللُّغة والمعاجم، ويُرشدهم إلى طرائق استخدامها، والرجوع إليها، لذلك عكفت على تأليف هذا الكتاب، مُعرِّفاً بأهم كتب اللغة والمعجمات العربية، شارحاً طرائق تصنيفها، وأساليب الرجوع إليها، مع دراسة مراحل تطورها، وعرض نماذج مختارة منها.

يقع الكتاب في أربعة فصول؛ خصصت الفصل الأول منه للحديث عن جمع اللُّغة وتدوينها وبيَّنت فيه كيف بدأت حركة التدوين والتأليف عند العرب، وتحدثت بإيجاز عن أهم المؤلفات اللُّغوية الأولى.

أما الفصل الثاني، وهو أكبر فصول الكتاب، فقد خصصته للحديث عن المدارس المُعجمية العربية، بعد أن وجدت عرضها في هذا الإطار أقرب للدارسين واستيعابهم...وانتقلت في الفصل الثالث لدراسة المعجمات الحديثة بالطريقة نفسها التي انتهجتها في الفصل السّابق. أما الفصل الرابع والأخير؛ فقد خصصته لعرض بعض الفوائد اللُّغوية التي تُفيد الدارسين في استخراج الألفاظ من المعجمات..."

ومن بين مؤلفات الباحث الدكتور (عبد اللطيف الصّوفي) التي حظيت باهتمام واسع من لدن مختلف الباحثين والدارسين، ولقيت أصداء طيبة، كتاب: "فن القراءة: أهميتها مستوياتها مهاراتها أنواعها"؛ ومن بين ما جاء في وصف هذا الكتاب من قبل مؤلفه:

"...وضعنا هذا الكتاب لتوضيح أهمية القراءة في حياة الناس، والتعريف بأنواعها، ومستوياتها، ومهاراتها، مع شرح سُبل استخدامها في قراءة أنواع الكتب، والمراجع، وأوعية المعلومات المتنوعة، بما يُناسب العصر، وحاجاته التربوية، والعلمية والترفيهية، ويقع الكتاب في خمسة فصول؛ عالج الفصل الأول منها موضوع القراءة، وأهدافها، وأغراضها، وفيه حديث عن عادة القراءة، والترغيب بها، وطرائق التدريب عليها، وكذا التعريف بأهميتها في العلاج النفسي، الفردي والجماعي، بإشراف المكتبة، والمؤسسات الاجتماعية والتربوية الأخرى، كما يتحدث هذا الفصل عن القراءة، واستقاء المعلومات من مختلف الأوعية...أما الفصل الثاني فهو يتحدث عن المجتمع والقراءة، وعن دعائم ثقافة الطفل، وأهمية هذه الثقافة في التنمية البشرية، والاقتصادية، والاجتماعية، وتربية الأجيال لعالم أفضل...وقد تم تخصيص الفصل الثالث للحديث عن مستويات القراءة...." .

ومن بين مؤلفات الدكتور (عبد اللطيف الصّوفي) الأخرى، كتاب: "فن الكتابة: أنواعها ومهاراتها وأصول تعليمها للأطفال"، و"المكتبات المدرسية ودورها في التربية"، و"المراجع الرقمية وخدماتها في المكتبات الجامعية"، و"مروج الأيام: ملامح سيرة ذاتية"، وغيرها.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- د.عبد الطيف الصّوفي:مصادر اللُّغة في المكتبة العربية، منشورات دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د، ت) .
- د.عبد اللطيف الصّوفي:مصادر الأدب في المكتبة العربية، منشورات دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 1994م.
- د.عبد اللطيف الصّوفي:فن القراءة:أهميتها مستوياتها مهاراتها أنواعها، منشورات دار الفكر، دمشق، سوريا، 2007م.

عبد اللطيف سُلْطاني
(1320هـ - 1902م/1404هـ - 1984م)

عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمّد سُلطاني القنطري، وُلِد في 8 جوان 1902م، ببلدة القنطرة، عاش يتيماً، فربّته أمّه ودرّسته في القريّة مبادئ العربيّة، ومن ثمّ انتقل إلى سيدي-عقبة بسكرة، فحفظ جزءاً يسيراً من القرآن الكريم على يدّ الشّيخ (الهاشمي بن المبارك) ثمّ انتقل إلى بلدة طولگة وإلى الزّاويّة العثمانيّة، ويجلس إلى حلقات الشّيخ (عمر بن الشّيخ علي) ومن ثمّ إلى تونس بجامع الزّيتونة، ويقرأ على كبار العلماء: أحمد بيرم، محمّد الطّاهر بن عاشور، محمّد رضوان، صالح المالقي، وهناك تحصّل على شهادة التّطويع سنة1929م. ولمّا عاد من تونس نشط في (القنطرة) معلّماً وموجّهاً في مدرسة الهدى، وفتح قسماً للبنات، وحضر فتح القسم رئيس جمعيّة العلماء

آنـذاك (البشـير الإبراهيمـي) لكنّـه لـم يحلُ لـه المقـام، فارتحـل إلـى قسـنطينة، وإلـى ميلـة، وهنـاك يؤسّـس مدرسـة قرآنيّـة، ويفتـح أقسـاماً لتعليـم البنـات؛ بعيـداً عـن الاختـلاط بيـن الجنسـيْن.

سـلطاني وجمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين:

كان عضـواً عامـلاً فـي الجمعيّـة، وأصبـح إداريـاً ومـن ثـمّ عيّـن مدرّسـاً فـي معهـد ابـن باديـس، وثـم أميناً لخزينـة المـال (وبالمـال يمتحـن الرّجـال). ويتـدرّج حتـى يكـون مـن بيـن أعضـاء لجنـة الفتـوى المشـهود لهـم بسـعة الاطلاع وحسـن الإدراك، وهـم: أحمد سـحنون خطيـب الجامـع الكبيـر بالعاصمـة، عبـد اللطيف القنطـري خطيب جامع كتشـاوة بالعاصمـة، نعيـم النّعيمـي مفتـش الأوقـاف بمدينـة قسـنطينة وأحوازها، مصطفـى الفخّار مفتـي المديّـة، الفضيـل إسـكندر الإمـام والمـدرّس بمدينـة المديّـة. "وكلّ منهـم مشـهور بالذّكاء واسـتحضار النّوازل وبالبراعة فـي تنزيـل الأحـكام الشّـرعيّة علـى النّـوازل الفقهيّـة". إنّ مناقبـه أكثـر مـن أن تُحصـى، ومآثـره عظيمـة وبالجملـة شـخصيّة جزائريّـة إسـلاميّة قويّـة لهـا أثرهـا فـي المجتمـع.

عبد اللطيف وثورة التّحرير وما بعد التّحرير:

مـا سـجّل عليـه إنّـه عـاش المخاضـات الأوّلـى لثـورة التّحرير بخروجه فـي زيارات علميّة وسياسـيّة إلى المغرب ومصر، وكانت توجّهاته معروفة هو التّمسّك بالنّهج التّربويّ التّثقيفـيّ، وكان يدعـو إلى ضـرورة أن تلعب جمعيّة العلماء دوراً سياسـياً أكبر، إلى جانب دورهـا التّربـويّ والتّوعـويّ، ولهـذا كان جهاده جهاد تنوير وفكـر وتوجيه. ولهذا كما كانت توجّهاته التّربويّة فـي الجمعيّة، فينبغي التّعريج على الشّـيخ (عبد اللطيف سلطاني) المجاهـد والمناضـل الـذي كانـت بدايتـه التّنسـيق بين جمعيّة العلمـاء والمجاهد عبّان رمضان المسـؤول عـن العاصمة. هـذا الذي كان إمامـاً متطوّعـاً يلقـي خطباً تنير الشّـعب الجزائـريّ بضـرورة محاربـة المسـتدمر ولم يترك مسجداً إلاّ وقاوم الاحتلال بما كان يبثّه على المصلّين من أفكار التّثوير، فمن مسجد العناصر، إلى مسـجد صَلامبي، ومن مسجد بلكـور تخرج الخطّابـات النّاريّة الحماسـيّة، ومن جمْع المال للثّورة، إلى توزيع المعونات علـى المتضرّريـن، ومـن اجتمـاع القيـادات السّياسـيّة فـي بيتـه، إلـى تخزيـن المُـؤن في سـراديب المسـاجد التـي يؤمّها، ومـن كتابة وتوزيع مناشير الثّورة، إلى تحرير مقرّر مؤتمر الصّومـام في بيته، إلى لقاءات سـريّة بمسـار الثّـورة، ومـن زنزانة إلـى زنزانـة يحمل على سـيارات (الجيب) للتّحقيـق، ومن تهديدات الحركي، إلى مؤامرات اليدّ الحمراء... مسار طويـل أكمـل عليه بعد الاسـتقلال فـي تولّي الإمامـة والخطّابة في جامع كشـاوة متطوّعاً، وإلـى تقديـم دروس الوعـي والوعـظ فـي مختلف المساجد الوطنيّة، سالكاً منهج الأمر بالمعـروف والنّهي عن المنكـر دون مجاملة "فسـلكتُ فيه ذلك المسـلك المعروف منّي فـي الأمـر بالمعـروف، والنّهـي عـن المنكر بصراحتـي المعروفة عنّي، من غيـر مُجاملة ولا تملّق على حساب الدّين والأخلاق، فلم يعجب هذا السّلوك منّي رئيس الدّولة الأوّل، السّيد (أحمد بن بلّة) حيث عارضته في قضيّة خروج المرأة المسلمة الجزائريّة إلى الشّارع، مع خروجها عن الآداب الإسلاميّة التي كانت تتحلّى بهـا المـرأة الجزائريّـة المثاليّـة عندنا فـي الجزائر، فقد دعاها إلـى ذلك ورغّبها فيه وحثّها عليـه في خطّاب ألقاه من شـرفة نادي (التّرقي) فـي العاصمة يوم 23 مـارس 1965، فأحـدث بهـذا ثَلَمَـة كبيرة فـي بناء الأسـرة، فتصدّع الحصن الحصين، وانتشرت الرّذيلة، وماتت الفضيلة، وكثر فراق الزّوجات لبيوت الزّوجيّـة، وهـروب الأزواج عـن زوجاتهـم وأوّلادهم، وخربت البيوت العامرة فهل يليق السّـكوت في مثـل هـذه الحالـة!؟ فعارضته أنـا بخطبة يـوم الجمعـة 24 ذي القعـدّة 1384 - 26 مـارس 1965 وكان موضوعهـا (المـرأة ومكانتها في الإسلام)"... يقول لك الرّئيس: إن كان ما صدر منك عن هفوة أو سـبق لسان فإنّي أرجو أن لا يتكـرّر، فقلت له: أبلغه عنّي أنّـي تعمّـدتُ مـا قلتُـه عـن قصـد، وأتحمّلُ مسؤوليته ولا أسـكتُ عن كلّ أحد أراد فساد أخلاقنـا، أو محاربـة ديننا كائناً مـن كان، ولا زلـتُ أزيـدُ". إنّه الشّـيخ الـذي لا يُهـادن في قـول الحـقّ، ووقف ضـدّ المسـؤولين الذين لا ينزلون الإسـلام مقامه. ولهـذا نال الحيْف والتّهميـش، ولـم تعـد له الكلمة في التّسـيير، ولا لقي في وقته التّرحاب أو التّكريم، فعاش الحَجْر في بيته إلى أواخر أيامه.

سُلْطاني ومواقفه السّياسيّة:

سـجّلت عليه مواقـف بيـن الرّاديكاليّة في التّغييـر المطلـوب في دولـة الاسـتقلال، فثار ضدّ التّغريب، وقال للمسؤولين الذين انحرفوا عـن بيـان نوفمبـر كلمـة (لا) وتهجّـم علـى بعـض الكتّاب الذيـن وصفوا منـارات/ قباب المسـاجد بالصّواريخ التي لا تنطلق، أو الذين قالـوا (محمّد احمل حقيبتـك/ محمّد ارحلْ) كمـا انتقد النّظـام التّربويّ في سياسـة التّغريب والتّعريـب، ونظـر نظـرة تشـاؤم إلـى التّسـيير الاشـتراكي، وإلى الاشـتراكيّة التي تجسّـدت بعد ذلك في شـعار (لا رجعة فيهـا) وكانت له مواقـف جريئة منـدّدة بتلك القضايـا التي يرى مسـتقبلها غامضاً في الجزائـر، وكانت كلماته حازمـة وبإقامـة الحجّة، وذلك مـا دعاه يكتب كتابـاً وسـمه (المزدكيّة هي أصل الاشـتراكيّة) ووقع السّخط عليه من قبل السّلطة.

مؤلّفاته:

شـيخ ألّـف الرّجـال، وحاضـر أمـام الطّلبـة، وحضـر مجموعـة مـن المؤتمرات الدّوليّـة بخصـوص مـا لـه علاقـة بخطّـاب الدّين والسّـنة وما يجمع شـمل المسـلمين، وكان ينافـح فـي كلّ مؤتمـر عـن ضـرورة التّحقيـق العلمـي فـي الأحاديـث الشّـريفة، والابتعـاد عـن فهـم أجـزاء مـن القـرآن بعيـدة عـن أجـزاء أخـرى، والقـرآن يؤخـذ كلّـه، وضـرورة تحييـن التّفاسـير... كمـا ألّـف مجموعـة مـن الكتـب، ونشـير إلـى بعـض منهـا: سـهام الإسـلام، المزدكيّـة هـي أصـل الاشـتراكيّة، فـي سـبيل العقيـدة الإسـلاميّة، مذكّـرات حياتـي... والأهـمّ أنّ الشّـيخ داعيّـة يـرى فـي الجزائريين أنّ لا مسـلك لهـم إلاّ فـي التّمسّـك بـأركان هـذا الدّيـن الـذي علقـت بـه مـا ليـس منه، وهـذا مـا فعلـت بعـض الطّـرق المنحرفـة.

وكان ديدنه محاربتها وإقامة الحجّة لدى أتباعها لاتّقاء شرورها، ويقول (محمّد الحسن فضلاء) وهذه الطّائفة المختارة من الأساتذة والمعلّمين (أي في مدرسة الهدى بالقنطرة) قد قضوا على آثار الطّرقيّة وطقوسها وأذكارها المنتشرة في القنطرة، وتطلّعاتها إلى نشر ترّهاتهم الباطلة وبدعهم المنْكِرة، فأحدثوا ضجّة وطنيّة كبرى في البلاد، وحركة علميّة زاخرة، كان من نتائجها بعثات نفرت في سبيل العلم إلى الجامع الأخضر والزّيتونة والمشرق العربيّ ضمن بعثات جمعيّة العلماء".

توفّى في أفريل 1984م وكان تحت الإقامة الجبريّة، وعاش محنة الجامعة المركزيّة ودفن في مقبرة (گاريدي) القبّة. ومات العالم المصلح من أعلام الجزائر الذين أفنوا حشاشة أعمّارهم في تبليغ الدّين والذبّ عن حياضه. مات الشّيخ وقلمه نصرة للهويّة الجزائريّة الأصيلة، وللغة العربيّة الفصيحة، ولا نزال نقرأ عنهم سيرة علميّة عظيمة، بعدما كانت المساجد عامرة بخطبهم وكانوا أئمة نشر الفضيلة الحقّة، والغيرة الإسلاميّة، هم الدّعاة الأصيلون الوطنيّون، وفحول الجزائر الذين ألبسونا الوَقار والمَهابة في الماضي وفي الحاضر، فأَنْعِمْ بهم من رجال!

صالح بلعيد

المصادر:
- مذكّرات حياتي.

عبد الله أبو عنان التّلمساني
(1328هـ - 1910م/1416هـ - 1996م)

عبد الله بن أحمد أبو عنان، المولود في مدينة تلمسان بالغرب الجزائري والمتوفى بها، أخذ مبادئ اللغة العربيّة في صغره، ثمّ تتلمذ على يد الشّيخ البشير الإبراهيمي حيث لازمه منذ وصوله إلى تلمسان سنة 1932، فأخذ عنه علوم القرآن والحديث النّبوي الشّريف وعلوم اللغة العربيّة وآدابها، وقد كان لا يفارقه حتى أن الشّيخ الإبراهيمي كان يطلق عليه "ابني عبد الله" فكان الشّيخ الإبراهيمي يحثه على كتابة الشّعر لينمي موهبته الأدبيّة، كان عبد الله أبو عنان في مستهل حياته تاجراً بسيطاً، ثم أصبح عام 1943 من أوائل المعلمين بدار الحديث بتلمسان، وعندما أوقفت سلطات الاستعمار الفرنسي نشاط هذه المدرسة سنة 1956، فتح منزله لتعليم أبناء مدينته تلمسان. ولمّا نالتّ الجزائر الاستقلال عُيّن أستاذاً للغة العربيّة في ثانويّة "مليحة حميدو" بمسقط رأسه، وبقي في هذه الوظيفة حتى أحيل على التّقاعد سنة 1975.

ترك هذا العلم ديوانا شعريا يتميّز ببساطة في لغته وفي أسلوبه وفي صوره، عبّر من خلاله عن موضوعات عصره وهموم وطنه، كما أنّه كتب مجموعة من الأناشيد خلّد فيها شهداء الوطن في مناسبات مختلفة. وكان عبد الله أبو عنان غالباً ما يلقي قصائده في المناسبات الدّينيّة والوطنيّة التي كانت تحييها جمعيّة العلماء المسلمين وله أيضاً بعض القصائد منشورة في صحف ومجلات عصره. كما أنّه ترك ديواناً شعرياً مخطوطاً هو بحوزة أقاربه.

نماذج من شعره:

فتاة تلمسان

فتاة تلمسان ذا معهدي
يناديك للمجد والسّؤدد
وبالعلم يهديك كي تسعدي
بدنياك دوماً لخير غد
فكوني مثلا لأسمى فتاة "مليحة
أعادت لقومي مجد الأباة
حميدو" فخر البنات
ومن لقّنتها فدا المفتدي
وكوني شعاراً لخلق كريم
ورأي رزين وعقل حكيم
وعلم مفيد وجسم سليم
وقولن تباركت يا معهدي
فالبخلق تسمو وتعلو الهمم
وبالعلم ترقى عقول الأمم
وبالرّأي تسهل كلّ النّحم
فهذي سبيل العلا فاصعدي
فهذي الجزائر قد شيّدت
معاهد بالعلم قد أينعت
وهذه تلمسان قد جدّدت
زمان ابن مرزوقيها الأمجد

تلمسان ترحب بالممثل الكبير
يوسف وهبي بك

تلمسان قومي لوفد الهرم
وحيي الكنانة أخت الحرم
تلمسان قومي لوفد أتى
يجدّد عهداً مضى وانصرم
يجدّد مجداً تليداً قضى
عليه المحارب باسم السّلم
فأهلا بوهبي وفرقته
فمنكم روائح مصر تشمّ
حللتم "بدار الحديث" التي
بناها البشير أمير الحكم
حللتم تلمسان دار النّهى
ودار المعارف منذ القدم
حللتم جزائرنا كالمنى
فحلّ الغناء وحلّ النّغم
وحلّ الوئام بأربعتا
وعمّ السّرور بها وابتسم
حللتم بأرض العروبة لا
بأرض الدّخيل كما قد زعم
فلا تحسبوا شعبنا قد قضى
عليه الدّخيل بما قد ظلم

فلا زال يحمي حمى الضّاد في
بلاد - لعمري - بها الضّاد عمّ
ولا زال دين ابن عدنان
بلاد الجزائر يهدي الأمم
في ولا زال عقبة من قبره
يعلّم ما زيغ معنى الشّمم
ولكن رمتنا يد الأجنبي
بما قد رمتكم، شباب الهرم
ولكن تحرّرتم قبلنا
بعلم وجاه وملك أشمّ
ونحن فقدنا صفات بها
تحرّر شعبكم المحترم
لأنّ الذي قد رمانا قضى
عليها جميعاً بكيد وهمّ
فشتّان بين دخيل أتى
يميت العقول ويحي الوخم
وبين دخيل أتى يبتغي
شؤون اقتصاد وحفظ الشّمم
رمتنا العوادي بما لو رمت
مقطّم مصر وهي وانعدم
فمدّوا إلينا بأيديكم
لنبني مجداً هوى وانهدم
ولا تتركونا بأيدي العدا
شباب الكنانة حثّوا الهمم
وجودوا بعلم وجاه نفز
جميعاً، وإلا عرانا العدم
فكيف السّبيل إلى سؤدد
بدون المعين الذي يحترم
وكف الوصول إلى عزّة
بدون بني النّيل أهل الكرم
فإني أحيّكم باسمها
وباسم تلمسان واسم الذمم
فهذي تحيّة شعب أبي
لمصر العزيزة ذات العلم
لتحيي الكنانة في عزّة
وتحيي الجزائر بين الأمم

في الذكرة 29 لوفاة ابن باديس
أو تباهت بذكراكم تلمسان

قفي لذكرى عزيز يا تلمسان
فقد دعاه إلى ذكراه إخوان
إخوان صدق وعرفان ومكرمة
وكلّهم لفقيد الشّعب خلان
قفي لذكراه إجلالا وتكرمة
فهو الزّعيم الذي تهواه أوطان
أوطان يعرَب والإسلام قاطبة
الكل يعرف شيب وشبّان
لقد دعانا إلى ذكراه شاعرنا
محمّد الصّالح محبوب رمضان
كما دعانا إلى الذكرى مفتّشا
بالأمس ثمّ دعانا اليوم عثمان
كيف ينظّم أمثالي القريض وقد
حالتّ لعمرك دن الشّعر أشجان
لكن دعاني إليه ما يحتّمه
حبّ الإمام الذي يهواه وجدان
وجدّد الشّعر في قلبي وعاطفتي
ذكرى يجدّدها في النّفس نسيان
ذكرى يجدّدها فضل الرّئيس وإن
مرّت على موته حقب وأزمان
ذكرى محرّر هذا الشّعب من بدع
كم ساندتها بهذي الأرض أعوان
أعوان ظلم وقد أعماهم أبداً
حبّ المعمّر حتى أنّهم خانوا
خانوا العروبة والإسلام في وطن
رمته بالظّلم والطّغيان "ماريانو"
وكيف ينسى (ابن باديس) و(جمعيّة)
لولا مبادئها ما قام بنيان
ولا تحرّر هذا الشّعب من نظم
أتى الدّخيل بها يحدوه طغيان
وكيف للشعب ينسى مواقفه
إذ قام كالطّود لا يثنيه عدوان
فأيقظ الشّعب من موت الجهالة في
وقت تحزّب ضدّ العلم عميان
وقد تصدّى لهم كالليث معتصماً
بالله إذ خاف الاستعمار ذؤبان
لم يعرف الخوف يوماً في معاركه
وإن تبارت على الميدان أقران
كم شنّ حرباً عليه في جرائده
وكم رماهم "شهاب" فيه نيران
و"بالبصائر" أصلاهم لظى حمم
سلاحه سنّة الهادي وقرآن
وكم تسلّح بالصّبر الجميل فلم
يخذله في معمع الأقوال برهان
عذراً بربّك يا (عبد الحميد) فقد
جار المشيب فعمّت منه أحزان
وقد رثيتك أيّام الشّباب فما
قصرّت في حقّكم أو خان تبيان
لكن دعاني إلى هذا الرّثاء هوى
وواجب نحوكم يُمليه عرفان
وقد تحقّق الاستقلال في وطن
لم يبق في أرضه حرّ وعبدان
فالكلّ حرّ طليق في تصرّفه
شعاره في الحمى علم وإتقان
كما تحقّق ما تصبو البلاد له
لم يبق في أرضنا برجو وجرمان
أمّا الطّغاة فقد ماتوا بكيدهمو
فلا "دلاديتيي" ولا "بلوم"
و"شومان"
فقم لتنتظر أعلام الجزائر في
"قصر المصيف" الذي يحميه شجعان
وانظر إلى (كتشوى) تعلو أهلّته
وقد تهاوت من الأبراج صلبان
أمّا المدارس والإسلام رائدها
قد زّينتها بنشر العلم أذهان
فنم قريراً بِدَارٍ لا نضال بها
يرعاك في جنّة الرّضوان رضوان
إنّ الجزائر قد قامت تمجدّكم
وقد تباهت بذكراكم تلمسان

رابح دوب

المصادر:

- محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: الأدب العربي الجزائري عبر العصور أو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر؛
- رابح دوب: موسوعة شعراء عصر النّهضة في المغرب العربي، الجزء الرّابع، دار بهاء الدّين، قسنطينة، الجزائر، 2014.

عبد الله بن إبراهيم (أبو العُلا)
(1300هـ - 1882م/ 1379هـ - 1960م)

ولد في الگرارة بميزاب، حفظ القرآن وهو دون سنَّ البلوغ، وتتلمذ على يدّ الحاجّ علي بن حمو في المحضرة القبليّة بالبلدة، ثمَّ على يد الشّيخ الحاجّ إبراهيم الإبريكي في المسجد، ثمَّ انتقل إلى معهد الحاجّ عمر بن يحيى، وكان ضمن البعثة الأولى إلى قطب الأيمة الشّيخ امحمد بن يوسف أطفيّش ببني يزگن سنة 1328هـ/ 1910م.

وبعد أن حفظ القرآن، وبزغ في علوم اللغة والشّريعة خلَف الشّيخ الابريكي بالمعهد سنة 1329هـ/ 1911م، ثمَّ خلَف الشّيخ الحاجّ عمر بن يحيى مدرِّساً، وبوفاة الحاجّ إبراهيم بن عيسى خلفه في الإشراف على تلاميذه النّجباء البارزين منهم الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، وتولّى سنة 1339هـ/ 1921م دروسَ الوعظ والإرشاد في المسجد، وكان كذلك قيِّما على أوقافه.

لقد ساند الشّيخ بيوض في حركته الإصلاحيّة. ولـمَّا أنشئت جمعيّة الحياة الخيريّة في 1356هـ/ 1937م عيِّن عضوا إداريا فيها، أدخله الاستعمار الفرنسي سجن الأغواط عدَّة مرَّات، وعذِّب تعذيبا كاد يودي بحياته رفقة السّيد بسعيد بن الحاجّ داود.



كان شاعرا مقلاًّ ومُجيداً، وقد نظم في شتَّى فنون الشّعر من وصف، ورثاء، ومدح، وحكم، ونظم كذلك في الطبِّ، ولا يزال شعره رهن الرّسائل والمذكرات والأوراق الشّخصيّة، ويمتاز شعره بتنوع الموضوعات وتعدّد الأغراض، وهو صورة ناطقة من نفسيّة صاحبه، إذ أصبح وسيلة للتعبير عما يحسه ويشغل فكره، فكان المتنفس الذي يجد فيه الشّاعر راحة ضميره فضاء رحبا للتعبير عن أحزانه وأفراحه وموضوعات مجتمعه التي تؤرقه فجعل خطابه الشّعري تعبيرا عن الذات ومكنوناتها قبل أن يكون تعبيراً عن الغير.

وأوَّل قصيدة نظمها، ألقاها على الشّيخ بيوض فاستحسنها، ثمَّ سافر إلى تونس فصادف أن رأى السّيارة لأوَّل مرَّة فوصفها شعرا، وله قصيدة في مدح الشّيخ أطفيّش القطب لما يمتاز به هذا الأخير من أخلاق رفيعة وشيم مثاليّة فهو في رأيه مثال وقدوة للرجل المقدام قولا وفعلا محارب بقلمه وأخلاقه لإعلاء أمته وفيه يقول:

أطفيَّش تاج جميع العلماء
من صيته في العلم ذاع وطما
أطفيش هو الذي أحياها
حتى ارتقت إلى سما مناها
محمد بن يوسف بن عيسى
من بث فيها العلم ودروسا
فعلمه يبصره العميان
أبرزه "التيسير" و"الهِميان"

وقد مدح كثيرا من العظماء شعرا، منهم: عبد العزيز الثعالبي، عبد الله بن يحيى الباروني، الدكتور ابن جلول، الشّيخ أحمد التيجاني رئيس زاويّة تيماسين... وغيرهم، ومن شعره قصيدة بمناسبة زيارة الزعيم سليمان الباروني باشا لميزاب، مطلعها:

إنَّ مع العسر يسرين لمن صبرا
على الشّدائد والأهوال والمحن
ما نال مجداً ولا عزًّا ولا شرفاً
ولا بلوغ مُنى فتىً بلا فِتن

توفي في عمر يناهز 79 سنة.

يحيى بن بهون حاجّ امحمد

المصادر:

- محمد سليمان أبو العلا، عبد الله بن ابراهيم أبو العلا شاعر العزابة وفارسها ، نشر جمعيّة التراث، غرداية، ط1، 2012؛
- دبوز: نهضة، 1/ 281، 2/ 177 دبوز: أعلام الإصلاح، 2/ 136؛
- عيسى أبو العلا: إخبار الملا بأخبار أبي العلا (مخ)

عبد الله بن العباس

حكم الشّيخ عبد الله بن العباس وطن المعزولة في منتصف القرن الثامن عشر وأصل ملكيّة الوطن تعود لأولاد بلقاسم افتكه منهم بالقوة سيدي محمّد بن طراد الذي صنفه ابن الفكون فمن إدعي الولايّة من الدّجاجلة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة ووصفه بقوله: "هو من ناحيّة بلد العناب فيما بينها وبين باجة وهو على طريق تونس في مقربة من خمير والسّبعة وأصله من اللصوص وكان كبير المتلصصة، كان لص الظّاهر صار لص الباطن والظّاهر، ولهذا الرّجل حروب ووقائع مع شطر قبيلته إذا لم تدخل تحت طاعته ويشن الغارات عليهم ويأخذ أموالهم".

هذا الوطن به أراضي كثيرة منها عين خياث الدّخالة، السّعيدانيّة، الطّويرف، أم الأحواض، واد السّواني، الفدارث، القناطر،الزّوايت والذي يحرث في هذه تقع البلاد ضمن ملكية أولاد بلقاسم وولاد عطيّة.

يعتبر عبد الله بن العباس أهم شيوخ المعزولة ويعود أصله إلى بلعباس بن سيدي طراد بن ناصر الذّيابي، تلاه ابنه ومن بعده أحفاده: عبد الله بلعباس، الباهي باي بن عبد الله، علي باي بن عبد الله، محمّد بن علي باي. وأكثرهم ذكر في الوثائق هو عبد الله الذي تولى المشيخة لفترة طويلة تزامنت مع حكم الباي أحمد الشّريف القلي وصالح باي.

ويظهر الشّيخ عبد الله من خلال الوثائق أنه شخصيّة مهمة في البايليك فهو الذي يستلم اللزّمة من قبطان الشّركة الفرنسيّة ومن ذلك ما ورد في الرّسالة الآتيّة: (...الاسعد السّيد احمّد باي صاحب ولايّة قسنطينة اعزه الله تعالى بمنه امين. إلى قبطان القالة ..اعلامكـ به ساعة وصول امرنا اليكـ، سبق لنا شتويّة مرداس وادفعها إلى ابننا

الشّيخ عبدالله يرسلها لنا كما سبقت لنا صيفيتهم في عنابة ، كذلك سبق الشّتويّة بحيث لاتمسك غفلة ولاتراخي في ذلك، ما انت الاخديمنا ...).

يوصف بالشّخص القاس بلا ضمير متعطش للسّلطة وللثّروة، كان يعيش مثل الأمراء محاطا بجماعة من الفرسان والموسيقين اقتداء بالبايات والدّايات والجدير بالذّكر أنه سمي ابنه البكر علي باي وابنه الأصغر الباي فكان يريد أن يظهرهما كبايات في المنطقة هذا الطّموح تولد لديه من العظمة التي تمنحها له الثروة الكبيرة المقدرة بعشرات الألاف من القروش التي كانت تدفعها له الشّركة الفرنسيّة. ومن مهامه:

حمايّة تجارة الفرنسيين الموجدين بالباستيون:

كان لشيخ المعزولة تأثير كبير في المنطقة فهو الذي يحمي تجارة البرج من تعديات قبائل المنطقة الشّرقيّة ومن ذلك ماحدث من عرش العواوش من نهد حيث تشير رسالة صالح باي إلى قبطان القالة أنه:

"قد ورد علينا كتابك وما عرفتنا من امر نهد وانهم عملوا معكم قلة الخير وجعلوا معكم فتنة على غير موجب شرعي وسبب الفتنة الذي صارت بينكم وبينهم على اجل عرش عندهم يقول لهم العواوش اخذوا قافلة من بني مازن جابه اليكم للبرج فبعث الى نهد وقلت لهم تردون القافلة والا ما نعطي شي اللزمة، ومع ذلك سابق بينكم وبينهم ذلك وعندكم امر باي تونس والشّرط بينكم وبينهم على ذالك الى اخر ذكرتم لنا علمناه واننا كتبنا الى ابننا الشّيخ عبدالله بالعباس والشّيخ علي باي، انهم يضربوا في نهد ويجبروهم وينصروكم فيهم...."

حل المشاكل والنّزاعات بين الفرنسيين والقبائل المحليّة:

يتدخل الباي في حل النّزاعات بين الحصن والقبائل المحيطة به ومن ذلك نجد أن الباي كلف شيخ المعزولة عبد الله بن العباس للحد من تعديات قبيلة نهد على الحصن، وفي هذا السّياق يرسل شيخ المعزول علي باي إلى قبطان القالة أخبره:

" ....نخبرك خبر على ميعاد نهد تبق ولابد اذا كانوا طالبين الصلح وصحت الميعاد ياتوننا نتحدثوا معهم ومن له حق متصل به والسّلام..."

يبدو أن علاقات الشّيخ الدبلوماسيّة امتدت إلى موظفي الباي فهذا كاتب صالح باي "محمّد بن كوجك علي" كتب في سنة 1774م له بأن الباي غاضب منه ولا بد أن يكاتبه ويقدم له ما يرضيه وكانت الرّسالة كالآتي:

" .... محبنا الشّيخ عبدالله بالعباس اكرمه الله امين السّلام عليكم .....بليه محبنا قد ورد علينا كتابكم وما عرفتمونا فيه من انكم ما كتبتم لسيدنا في شأن عدو الله تعالى ابراهيم إلا مرادكم الصلاح والامر الذي يوافق وما غاضكم الا قولنا وانك صاحب ابراهيم إلى اخر ماذكرتم لنا علمناه تعلم محبنا، اما نحن فقد عرفنا قد رسنك والذي وقع منك كله حسبناه هفوة صدرت منك وسيدنا الباي غاضه الامر حيث انت عكست عليه في فعله وهو يظنك انت من خدامه المقربين...." .

وبما أن الشّيخ عبد الله بن العباس سيطر منذ عشرات السّنين على منطقة المعزولة، حيث كانت الشّركة الفرنسيّة قد أقامت مركزها التجاري فقد كانت له مصالح اقتصاديّة معها وهذا ما أدي بالقبطان لتدخل لدى الباي من أجل حل الخلاف الواقع بينهما إلا أن الباي رد بأنه أبقاه في خدمته إلا أنه أرسل رسالة أخرى يعلمه فيها أنه عين الابن بدل الأب في منصب شيخ المعزولة وكان الرّد في الرّسالة التّاليّة:

" .... اعلامكم واننا قد شيخنا ابننا علي باي.... والمراد منكم والمؤكد به عليكم بان ساعة وصول امرنا هذا اليكم تكونون مع ابننا علي باي على حد السّواء كيف ماكنتم مع السّالفين قبله، وتتوصاو به الاصاء التام، وهو ايضا اوصيناه عليكم بان يكون منكم ببال ويتوصى فيك الاصاء التام وعلى هذا العمل..."

ومع أن العزل جاء من صالح باي إلا أن الشّيخ بقي يراسل قبطان القالة من أجل التوسط عند الباي وهذا ما أثار حفيظة الباي فراسل القبطان يستعلم عن الأسباب التي أدت به إلى قبول مراسلات الشّيخ عبد الله ويذكره بأن أموره مقضيّة معه أو مع غيره، وأنه غير راضي عن أفعالهم. فقال في خطاب شديد اللهجة:

" والان لقبايحه عزلته ورددت ابنه مكانه، فالبلاد بلادنا نتصرف فيها بنظرنا ولا دخل لكم في ذلك" .

وذكره بحقوقهم على الشّيخ الجديد والمتمثلة في:

" ....يجربكم على عوايدكم ويكون نظركم عليه ونظره عليكم ولا لكم مع الشّيخ علي باي سوى اجرايكم على العادة القديمة بيعكم وشراءكم على العادة واموركم كلها على القانون، فالشّيخ الموجود هو صاحبكم وعلى هذا يكون عملكم، .... بعد هذا الكتاب لاتقبلون من يات اليكم من عند عبد الله وتطردونه وتكونون مع الشّيخ علي باي حالا واحدا ولابد " .

إلا أن صالح باي بعد تعيين علي باي اكتشف أنه (....صار يقاطع النّاس الذين يذهبون من مرداس وغيرهم، ووقع الحيار في الرّعيّة إلى جميع ما ذكرتموه لنا علمناه جملا وتفصيلا، تعلم اننا كتبنا إلى قايد عناب بان ساعة وصول امرنا اليه يكتب إلى علي باي وينهيه على هذه الفعل الذّميم ، ...والا يطرده من بلادي ويذهب اين شاء وعلى هذا العمل...) ولعل هذا هو السّبب الذي أدي بصالح باي إلى اعادة الشّيخ عبد الله بن العباس إلى حكم المعزولة ويشير في رسالة ارسلها إلى قبطان القالة أنه أعاده من أجل مصالحهم في المنطقة وأن طرد ابنه كان بسبب أنه لم يقم بأمور الشّركة .

صرهودة يوسفي

المصادر:

- وثائق مجموعة 1641 المكتبة الوطنيّة الحامة؛
- عبد الكريم الفكون، منشور الهدايّة في كشف حال من إدعى العلم والولايّة، تحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987م؛
- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة، الأسعارو المداخيل)، د ط، ج 1، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2009م.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح
(ت: 23 ق.م)

عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، صحابي مشهور، وأحد قادة الفتوحات. أخوه هو وهب بن سعد أحد شهداء معركة مؤتة التي حضرها النّبي ﷺ ولد بمكة، على الأرجح سنة 23 قبل الهجرة النّبويّة، ويعود نسبه إلى بني عامر بن لؤيْ بن غالب أحد بطون قبيلة قريش. وعرف عنه في الفترة ما قبل البعثة النّبويّة أنه كان يوصف بفارس بني عامر. أعلن إسلامه قبل صلح الحديبيّة وهاجر إلى المدينة فكلفه النّبي ﷺ، بكتابة الوحي، لكن أزلّه الشّيطان في حادثة معروفة في السّيرة، فارتد وعاد إلى مكة. فلما أسلم معاويّة بن أبي سفيان اتخذه الرّسول كاتبا للوحي خلفاً لابن أبي سرح. كان عبد الله بن سعد أخا لعثمان بن عفان من الرّضاعة ولذلك لما فتح الرّسول ﷺ، مكة استجار بعثمان فأخذ له الأمان من رسول الله ﷺ، فكان ممن عفا عنهم النّبي عليه الصّلاة والسّلام. ويعتبر من بين رواة الحديث عن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بحكم الفترة التي قضاها إلى جانب الرّسول ﷺ، كاتبا للوحي. يروى عن ابن عباس أنه قال: "كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزلّه الشّيطان فلحق بالكفار فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره النّبي ﷺ. وفيه قال حديثه المشهور: "الإسلام يجبّ ما قبله"

فقد كان عبد الله يواري وجهه حياء منه عليه الصلاة والسّلام كل ما رآه.

يعتبر عبد الله بن سعد أول قائد للفتوحات الإسلاميّة بشمال أفريقيا، وهو مؤسّس أول عمارة بحريّة في الإسلام، وساعد معاويّة بن أبي سفيان في حملته على قبرص وانتصر على الأسطول البيزنطي في موقعة ذات الصواري حيث أغرق 900 سفينة كما تروى كتب السّير. شارك في فتوح مصر تحت قيادة عمرو بن العاص وولاّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حكم منطقة الصعيد فساهم في نشر الإسلام بمنطقة النّوبة جنوب مصر وشمال السّودان. كما تولى إدارة بيت المال. ولمّا تولى عثمان بن عفان الخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولّى عبد الله بن أبي سرح ولايّة مصر وأمّره على قيادة الجيش، وذلك سنة 26 هـ الموافق لـ 646 م، وذلك خلفا لعمرو بن العاص فاتح مصر.

وفي سنة 27 للهجرة الموافق لسنة 647 م، صدر الأمر من الخليفة عثمان بن عفان لعبد الله بن سعد بوصفه واليا على مصر بالتّوجه إلى أفريقيا لنشر الإسلام بها وتحريرها من الوجود الرّومي قصد تأمين حدود مصر الغربيّة التي أصبحت جزءا من دار الخلافة. كان جيش عبد الله بن أبي سرح يضم كبار الصّحابة ومنهم عبد الله بن الزّبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عَمرو بن العاص وعبد الرّحمن بن أبي بكر وعقبة بن نافع الفهري وغيرهم. ولذلك عرفت تلك الحملة بحملة العبادلة السّبعة. التقى جيش المسلمين بجيش الرّوم البيزنطيين حكام بلاد المغرب في تلك الفترة والذي كان يفوقه عدة وعددا، وكان الحاكم غريغوار المعروف لدى المسلمين بجرجير يقيم بمنطقة سبيطلة وسط تونس الحاليّة، فهزم وقتل في المعركة. حدث صراع بين البيزنطيين فيما بعد أدى إلى هزيمة طرف فانتقل الطّرف المهزوم إلى الشّام وطلب من الخليفة نصرته على قومه وبقي الوجود الرّومي قائما في شمال أفريقيا. بعد تلك المعركة التي وقعت سنة 27 هـ أي 647 م توقفت الفتوحات الإسلاميّة مدة ثمانيّ عشر سنة نظرا للصّراعات التي عاشها المشرق بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والصّراع الذي حدث بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي خلف عثمان بن عفان من جهة ومعاويّة بن أبي سفيان والي الشّام من جهة أخرى والذي كان يطالب بالثأر لمقتل عثمان بن عفان.

ظل عبد الله بن سعد واليا على مصر حتى مقتل الخليفة عثمان بن عفان فاعتزل فراراً من الفتنة لكنه لم يكن طرفا في تلك الفتنة التي تلت مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. وانتقل إلى مدينة عسقلان بأرض فلسطين التاريخيّة، وتحول إلى العبادة والزهد. وكانت وفاته بها حوالي سنة 36 للهجرة الموافق لـ 656 م. وصفه الإمام الذّهبي بأنه (أحد النّجباء العقلاء الكرماء من قريش) وهو نفس ما ذهب إليه الامام الليث بن سعد حيث قال عنه: "كان أحد عقلاء الرّجال وأجوادهم".

عامر بغدادي

المصادر:
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عِذاري المراكشي، ج 1؛
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، ج 2، م. و. للكتاب؛
- تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 1، دار الثّقافة، بيروت.

عبد الله بن محمَّد بن عبد الله كُنطَابْلي
(1348هـ - 1930م/1407هـ - 1987م)

المفكِّر الفيلسوف الشيخ عبد الله كنطابلي من مواليد بني يزگن بميزاب، نشأ في أحضان عائلة فقيرة، ماتت أمُّه قبل أن يدرك سنَّ البلوغ، فكفلته جدَّته. قضَّى في البادية "قرية بلاندا" سنتين، وفي عمره أربع سنوات، فنسي لغته الميزابية.

وعاد إلى ميزاب، فالتحق بالمدرسة الجابرية في أوَّل عهدها، وأخذ مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم؛ ثمَّ انتقل إلى المرحلة الثانوية، وفي الوقت نفسه عيِّن معلِّما لتلاميذ السنوات الابتدائية.

انتقل بعد ذلك إلى مدينة سوق اهراس معلِّما بمدرسة الاستقامة عامين، ثمَّ يمِّم شطر تونس سنة 1953م، فانتظم في المدرسة الخلدونية، وتحصَّل منها على شهادة تحصيل المعارف التطبيقية بعد ثلاث سنوات، وفيها أخذ المعارف العصرية واللغات الأجنبية والشرقية: الفارسية واللاتينية والعبرية.

كان إلى جوار الخلدونية يرتاد جامع الزيتونة طالبا حرًّا، فأظهر اجتهادا ونبوغا فائقين، وتحصَّل على إجازات من قرَّاء الزيتونة في القراءات الأربعة عشرة، ونال شهادة العالمية في الآداب سنة 1959م.

وسافر مباشرة بعد الاستقلال إلى باريس، رجاء الالتحاق بالسربون، لكنَّ الظروف المادية والاجتماعية لم تسمح له بتحقيق أمله.

فرجع إلى الجزائر، وتابع دراسته في معهد الفلسفة إلى جوار تدريسه في ثانوية عبان رمضان، وتحصَّل على شهادة الليسانس في الفلسفة سنة 1970م.

في غضون هذه السنوات الطويلة من التحصيل، أخذ عن ثلَّة من الأساتذة والمشايخ، من أبرزهم: الشيخ إبراهيم حفار، وخالُه الشيخ إبراهيم متياز، والشيخ محمَّد بن يوسف بابانو في الجابرية ببني يسجن؛ وفي تونس تعلَّم على الشيخ الفاضل بن عاشور خصوصا؛ وأمَّا في الجزائر العاصمة فأكثر أساتذته تأثيرا في شخصيته الدكتور السوري بديع الكسم.

تفرَّغ لمهمَّة التربية والتعليم، وكان يراها رسالة مقدَّسة، ويخلص كلَّ الإخلاص في أدائها، فتقلَّب بين مختلف المدارس والثانويات لمدَّة تزيد على ثلث قرن، وهي: المدرسة الجابرية ابتدائي، ومدرسة الاستقامة بسوق اهراس، وثانوية الكاف بتونس، والمعهد الإسلامي بباتنة، وثانوية الدولة التقنية بمدينة دلَّس، وثانوية ابن شنب بالمدية، وثانوية عبان رمضان بالحراش، وأخيرا استقرَّ بثانوية مفدي زكرياء ببني يسجن إلى سنة وفاته 1987م، إلى جانب عمله بالمعهد الجابري حيث درَّس التفسير والفكر الإسلامي.

وله في هذه المدارس والمعاهد تلاميذ منبثُّون في مختلف مجالات الحياة.

وفي مجال الإنتاج الأدبي والتأليف، ترك دراسات وأبحاثا ومحاضرات وديوان شعر؛ وقد اتَّسم بالقدرة على التحليل الفلسفي والاتجاه الإسلامي في تناول القضايا.

وأهمُّ مؤلفاته:

أ- المطبوعة:

- ردٌّ "حول فِرية: مُدن جزائرية أقيمت على قصص حبٍّ"؛ إعداد محمَّد باباعمي.
- "الإسلام والتيارات الاقتصادية المعاصرة"؛ إعداد مصطفى وينتن ومحمد باباعمي.
- "الشباب المسلم تجاه الحضارة المعاصرة"؛ إعداد محمَّد باباعمي.

ب- المخطوطة:

- **أوَّلا- في الفلسفة وعلم النفس:**
- دراسة مقارنة بين أفلاطون والفارابي في الجمهورية وآراء أهل المدينة الفاضلة".
- مقرَّر في: الفلسفة، وفلسفة العلوم، وعلم النفس، والفلاسفة اليونانيين والمعاصرين.
- مقرَّر القسم النهائي الثانوي في الفلسفة.
- محاضرات في تاريخ الفلاسفة اليونانيين والمعاصرين.
- ملخَّص دروس الدكتور بديع الكسم في المنطق والفلسفة.
- محاضرات في فلسفة الأخلاق.
- مقرَّر في علم النفس.
- بحث في التربية.
- كيف يجب جعل الطرق ملائمة للتلاميذ. (محاضرة حول المنهجية).
- في علم النفس التربوي.
- الذاكرة والنسيان (بحث).
- الطفل من السادسة إلى البلوغ (محاضرة).

- **ثانياً- إسلاميات:**
- المادية والألوهية (محاضرة).
- الإسلام والعلم (محاضرة).
- الإسلام دعوة إلى العلم والعمل (محاضرة).
- الأدب والعلم (محاضرة).
- الحكم في الإسلام (محاضرة).
- العدالة (محاضرة).
- الربا (محاضرة).
- الصوم عبادة تطهُّر وعمل وجهاد.
- المرأة بين الإسلام وخصومه (مسرحية مثِّلت تمثيلا رائعا، في إطار حفلات المعهد الجابري).

- **ثالثاً- مواضيع أخرى:**
- في الثقافة التاريخية (مسامرة).
- بطاقات تعريف لقطب الأيمة ومؤلَّفاته.
- مذكِّرة الجولة في أوروبا 1970م.
- ديوان شعر في مختلف الأغراض والمواضيع والمناسبات (مخ).
- تلخيصات لعدَّة كتب في مختلف العلوم والفنون.

كما ترك مراسلات ووثائق هامَّة، تعدُّ شاهداً على حقبة تاريخية معتبرة.

خلَّف مكتبة قيِّمة تحوي ما لا يقلُّ عن خمسة آلاف عنوان، اشتراها من حرِّ ماله، وأنفق فيها جلَّ ماله، فكان شغوفاً بالمطالعة واقتناء الكتب في مختلف فنون العلم والمعرفة. وما يميِّز الشيخ كنطابلي

من أخلاق وخلال ومواهب هو: ذكاء وقّاد، وحافظة قوية، وآراء فكرية وفلسفية سديدة، وعزّة في النفس، وحدّة في الطبع، وغرام بالمطالعة ليس له حدود.

وقد أرهقته الأزمات النفسية التي مرَّ بها، كما أنَّه لم ينسجم مع الفكر التبريري، فأعيته مثاليته في تقدير المواقف والقضايا، وأتعبته الذهنيات التي لم تستوعب آراءه وفكره.

غادر الحياة في صائفة سنة 1987م، فرثاه الشاعر سليمان دواق بقصيد مطلعه:

أهدي إلى روح الفقيد قصيدي
وأصوغ من أسف عليه نشيدي

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- باباعمي محمَّد ووينتن مصطفى: المفكر الفيلسوف الشيخ عبد الله كنطابلي حياته وآثاره؛ مخ، 75ص
- باباعمي محمَّد: الفكر التجديدي عند الشيخ عبد الله كنطابلي، بطاقات مخطوطة، 36ص
- باباعمي محمَّد: الشيخ عبد الله كنطابلي أستاذ الجيل (محاضرة) مخ 14ص *كنطابلي: أرشيف الشيخ عبد الله كنطابلي
- كنطابلي: حول فرية
- كنطابلي: الإسلام والتيارات الاقتصادية المعاصرة
- كنطابلي: الشباب المسلم كنطابلي عبد الله: الشباب الثوري، مقال بمجلّة الشباب الجزائري، السنة 3، عدد 9 (فيفري 1962م)، ص3

عبد الله بن محمّد بن أحمد الشريف الحسني التّلمساني
(748هـ - 1347م/794هـ - 1390م)

هو أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد بن علي الحسني الشريف، نجل الإمام العلامة أبي عبد الله الشريف التلمساني، ولد بتلمسان سنة (748هـ/ 1347م)، عرف بعفته وجديته وأخلاقه الحميدة، ونبله وفهمه وحذقه وحرصه على طلب العلم .

وتذكر كتب السير والتراجم ومنها صاحب البستان ونيل الابتهاج على أن والده قد بشر به في المنام، حيث رأى قائلا يقول له:

"يزداد عندك ولد عالم لا تموت حتى تراه يقرئ العلم".

أما فيما يخص تكوينه العلمي، فقد تتلمذ أبو محمّد عبد الله الشريف التلمساني على كوكبة من العلماء الأجلاء الذين ساهموا في نبوغه العلمي وسعة معارفه، حيث قرأ القرآن على الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد بفاس بسبب وجود والده بها يومئذ، كما أتى على حفظ كتاب الله (القرآن الكريم) وهو لا يزال صغيرا كما ألم بجمل الزجاجي وألفية ابن مالك، وقرأ على الفقيه النحوي الأستاذ الصالح ابن حياتي الجمل والمقرب والتسهيل وقسما كبيرا من كتاب سيبويه على يد الفقيه النحوي ابن حياتي، وشرح صحيح البخاري على يد ابن مرزوق الخطيب، وشرح المدونة على يد الفقيه أبي عمران العبدوسي جملة من المدونة، كما تلقى طائفة من العلوم الأخرى تمثلت على وجه الخصوص في كل من التلقين والرسالة وقصيدة الكفيف في أصول الدين، على يد الفقيه أحمد القياب، وحضر على الشيخ الفقيه الحسن الونشريسي والشيخ الصالح إلى العباس الشماع فرعي ابن الحاجب، وعلة القاضي أبي العباس أحمد بن حسن الذي درس على يديه موطأ الإمام مالك. كما درس على يد أبوه أبو عبد الله الشريف الأصول والاقتصاد والاعتقاد للإمام أبي حامد الغزالي، ووقف مطولا عند مؤلفات ابن الحاجب ومن ذلك نذكر المختصر ومفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول، كما درس كتاب إقليدس في الهندسة وجمل الخونجي في المنطق، ودرس على يديه كذلك رواية الأحكام الصخري للشيخ عبد الحق فقها وسماعا.

ويبقى أهم ما أخذه عن والده واستفاد منه وما قوى ثقافته الدينية وأساليبه البيانية والفنية هو كثرة مواظبته على الجلوس الى دروس والده النابغة في علم التفسير، وهو ما جعل منه أذكى طلبة أبيه فهما وحفظا ودراية وتفوقا.

ومما يحسب له، حسب ما تذكره لنا المصادر التاريخية وتحديدا كتب السير والتراجم هو تفوقه في ميدان التدريس، وقد شهد له بذلك الكثير من الطلبة وكبار الفقهاء الذين حضروا مجلس علمه وهو في سن مبكر، وثمنوا معلوماته، وشهد له بصحة أجوبته وسداد رأيه الى درجة أن الكثير منهم من كان يقوم من مجلسه، ويذهب إليه وهو يلقي درسه لتقبيله بين عينيه تقديرا له واحتراما لمقامه ومنزلته العلمية.

لقد تنقل أبو محمّد عبد الله الشريف التلمساني بين المراكز الثقافية والمدارس والمساجد الكبرى للتدريس، ومنها جلوسه للإقراء بالمسجد الأعظم في فاس، حيث قام بتدريس أحكام عبد الحق وفرعي ابن الحاجب، وكان

يحضر دروسه طلبة فاس المشهورين بالحفظ للمسائل المعقدة.

أما عن أبرز طلبة أبو الفضل محمّد بن أحمد بن محمّد بن مرزوق الحفيد التلميذ النابغة في علم التفسير، والقاضي الأندلسي أبو بكر بن عاصم والشيخ الزاهد أبو العباس أحمد بن موسى البجائي، توفي غريق في البحر لما كان عائدا من مالقة إلى تلمسان سنة(794هـ/ 1390م).

عبد الكريم حمو

عبد الله بن محمد بن عمر القلعي (ت: 669هـ - 1271م)

يكون أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي (ت669هـ / 1271م): أحد فقهاء المالكيّة والشّيوخ المحدثين الذين أنجبتهم الجزائر في الحقبة الوسيطة من تاريخها. أصله من قلعة بني حماد، وبالحاضرة البجائيّةكان مسكنه. أمّا بشأن تاريخ ميلاد هذا العَلَم، فلم نعثر على أي إشارة في متون المادة التراجميّة التي بين أيدينا، وكنّا قد أشرنا إلى أنّ القاعدة الأساس التي ترجم على ضوئها المترجمون لحياته هي الروايّة الغبرينيّة، والتي لم تسعفنا بدورها بما يُحيلنا على تحديد تاريخ ميلاد هذا العلم الجزائري، حيث اكتفى الغبريني بذكر تاريخ الوفاة.

لقد تعدّدت مجالسّ العلم ومقاعد الدرس التي نهل بين أحضانها عبد الله القلعي من ينابيع العلم وأنهار المعرفة على يدي شيوخه ومُدرِّسيه، حيث كان الاشعاع العلمي والفكري الذي شهدته بجايّة في عصره بما تزخر به من بيوتات العلم الشّهيرة ومدارس العلم الكثيرة وأساطين العلماء والشّيوخ الذين يؤطرون الحياة العلميّة والدينيّة بها، تربة علميّة خصبة، أسهمت في نمو أفكار هذا الفقيه وصقل مواهبه المعرفيّة وتنميّة قدراته العلميّة. وعلى الرغم من أنّ النصوص المصدريّة لا تطلعنا على أنّ أبا محمد عبد الله القلعي ساح في البلاد الاسلاميّة في طلب العلم والمعرفة، فإنّ ما حصّله في الفضاء البجائي على يد نخبه العلميّة أهّله لاحتلال مكانة علميّة ساميّة خاصة في علمي الفقه والحديث. وهو ما تُزكّيه شهادة تلميذه الغبريني في قوله: "كانت قراءته رحمه الله ببجايّة. وأضاف بأنّ من أسباب التوفيق لأبي محمد عبد الله القلعي في ما أدركه من تحصيل علمي غزير ومكانة علميّة مشهودة، "أنّه أُخِذ أسيرا فوافق في الأسر بعض الفقهاء، فشرع في القراءة عليه، ثمّ خلّص الله كليهما، فجدّ بعد خروجه واجتهد إلى أن حصّل ما حصّل، وقاده زمام التوفيق إلى ما إليه وصل".

لقد تعدّدت المشارب العلميّة التي اغترف من نبعها الفقيه عبد الله بن محمد القلعي على أيدي شريحة عريضة من شيوخ العلم وأساطينه في بلاد المغرب الأوسط في عصره الوسيط. ومن أبرز من أطّر هذا الشّيخ في مرحلة التكوين، وكان مُعينه على تحصيل العلم ومرشده لتقويّة معارفه وتنميتها: أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني (ت:644هـ/ 1246م) الذي سكن بجايّة، وكان له علم بالعربيّة والفقه وأصول الدين وحظ في التصوف. وأبو زكريا يحيى بن أبي الحسن اللفتني (ق7هـ/ 13م) الفقيه المحدث الأندلسي الذي سكن بجايّة. وأبو زيد عبد الرحيم اليزناسي (ق7هـ/ 13م). وهو فقيه محصل لأصول الفقه ومذهب مالك.

لقد تنوعت المجالات العلميّة والمعرفيّة التي أجادها الشّيخ عبد الله بن محمد القلعي وسطع نجمه فيها، وتعدّدت فروع العلم التي كان له فيها ضلع واسع من الاهتمام والإسهام. فعلى ضوء الترجمة التي خصّها به صاحب معجم أعلام الجزائر، تجلّى لنا أنّه "باحث، مشارك في عدّة علوم". ويُفصِّل الغبريني في طبيعة التخصص العلمي لعبد الله القلعي، حيث لمسنا على كاهل ما أورده، أنّ علم الفقه كان أحد ميادين العلم التي استقطبته وأسهم بفكره في تغذيّة حقله؛ فهو أحد أبرز الفقهاء الضالعين في الفقه المالكي والمتبحّرين فيه في جزائر العصر الوسيط. وتعتبر شهادة الغبريني شهادة حيّة باعتباره تلميذه، إذ يذكر: أنّ أوّل قراءته للفقه كانت على يد شيخه عبد الله القلعي. وإلى جانب ضلوعه في علم الفقه، كان عبد الله القلعي من علماء الحديث والمجتهدين في تحصيله. ويشفع لنا ما ذكره عن نفسه على لسان تلميذه في قوله: "وأني قد اكتسبت فيها أي في هذه المدة (ست (6) سنوات) ستة آلاف حديث". كما كان لهذا الشّيخ اهتمام بالتاريخ، فلا تكاد تخلو ترجمة ترد

بشأنه، إلا وتُردف إلى صفٍّ صفه الفقيه المحدث، صفة المحصل التاريخي أو الحافظ للتاريخ.

لم يخلّ مصنّف من المصنّفات التي ترجمت لحياة هذا الشّيخ من الإشارة إلى سموّ مكانته العلميّة، ورفعة شأنه في الحقل الثّقافي بالمغرب الأوسط في عصره الوسيط وحتى بالعالم الاسلامي زمنئذ، والتنويه بعلوّ شأوه بين علماء عصره وأساطين العلم البارزين آنئذ. فهو عند الغبريني: "الشّيخ الفقيه المحصل، العدل الرضى التاريخي المحدث". وعند صاحب شجرة النور الزكيّة: "الفقيه المحصل التاريخي المحدث" كما يُطلعنا تلميذه الغبريني في ذات المضمار، بأنّ الفقيه عبد الله القلعي كان يدرّس بالجامع الأعظم في بجايّة، حيث يقول: و"أدركته يدرس بالجامع الأعظم بالغداة بمجلس القضاة منه". وهو ما يكشف عن مكانة الشّيخ العلميّة الهامة وسمعته الدينيّة الرافيّة، حيث أهّلته ليكون من المدرسين بهذا الجامع الأعظم. وإلى جانب هذا، لفت انتباهنا تلميذه إلى اجتهاد شيخه في طريقة التدريس، وذلك حتى يرفع من مستويات التحصيل العلمي في مجالسّه، فكان يجتهد في إيصال الفكرة إلى ذهن المتعلم على الصورة المثلى، وتمكينه من استيعاب مغزاها على الوجه الأفضل؛ حيث ينطلق من البسيط إلى المعقد ليفتح شهيّة طلبة العلم للدرس وقدرتهم على الاستيعاب، ولا يمل المتعلم في الحرص على طلب العلم والاجتهاد فيه. فيذكر الغبريني أنّه كان يبدأ "في مجلسه بالرقائق وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والروايّة". كما كان يجتهد غايّة الاجتهاد في تقديم النصح والتوجيه لتلامذته على الوجه الحسن. فقويت محبته في نفوسهم ونفوس أهل العلم. وهو ما يشهد به طلبة العلم عنده: بأنّه كان "حسن النظر والتوجيه. وكان محباً في العلم وأهله". ولا تفوتنا الإشارة إلى أنّ هذا الفقيه المحدث كان من أهل العلم الذين انقطعوا عن الدنيا لصالح الآخرة، وآثروا الدائم على الزائل، وتخلّوا عن الناس واشتغلوا بتزكيّة النفس.

ولعلّ من أبرز ما يستوقفنا في هذه المحطة البحثيّة، هو الإشارة إلى أنّ المادة الخبريّة التي عنيت بالترجمة لشخص الفقيه والمحدث عبد الله بن محمد القلعي، لم تسعفنا بنصٍّ يُحيلنا على أبرز مخلفات هذا الشّيخ العلميّة، وطبيعة المنتوج التصنيفي الذي جاد به في حقل الإنتاج العلمي والمعرفي الجزائري في الحقبة الوسيطة. فلا نعتقد أنّ هذا الفقيه والمحدث الذي بلغ تلك المراتب في علوم عدّة وحقول معرفيّة متنوعة؛ فهو الحافظ للخلاف العالي المحصل للفقه على المذهب المالكي والحافظ للتاريخ الضالع في علم الحديث، أن يخلو رصيده من مؤلفات وإنتاج علمي. ومع ذلك يبقى النص التاريخي والروايّة التراجميّة هو الحكم. ومن ثمّ، ومن خلال تقصينا لمختلف الروايات التي ترجمت لحياته، لم نقف على أيّ إشارة تؤكّد أو تنفي إسهام عبد الله القلعي في دعم الحقل العلمي بمؤلفات وتصانيف في المجالات العلميّة والدينيّة التي برع فيها وذاع صيته فيها، ثمّ إنّ ممّا تحسن الإشارة إليه، أنّ الفقيه عبد الله القلعي، قد يكون تولّى مناصب إداريّة في بجايّة، وإن كانت المادة التّراجميّة لحياته لا تفصح عن ذلك بشكل صريح، إلّا أنّها تلمح إلى ذلك، فبمراجعة ما أورده عنه الغبريني، نقف على أنّ القلعي "كان مشاورا شاهدا بالديوان، وانتهت الرياسة إليه". وأضاف أنّه سمعه في مجلس التدريس يقول: "إن لي منذ انتزعت من الديوان ستة أعوام، وأنّ من هو هناك في خطته يقدر أنه اكتسب في هذه المدة ستة آلاف دينار، وإني قد اكتسبت فيها ستة آلاف حديث، وحديث بدينار أشرف من دينار"،

وإنّ من بين ما يُستشف من هذا النص، أنّ هذا الفقيه كان من العلماء الذين يُستشارون من طرف أولي الأمر بالديوان البجائي والقائمين على خطته، ويُرجَع إليهم للاستفادة من توجيهاتهم ونصائحهم. ناهيك عن كونه مَثَّل لسان المجتمع الناطق بحقوقهم وتطلعاتهم ومشاكلهم ومطالبهم، حيث "كان له ببجايّة وجاهة ونباهة، وكانت جموع الأمراء في الأمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده هو، وكان لسان الناس فيها"، وأنّ هذا العَلَم، استثمر وقته حين كان في خطة الديوان؛ حيث في الوقت الذي يعتقد البعض أنّه كان يُحصِّل الفائدة الماليّة، كان عبد الله القلعي يحصّل الفوائد العلميّة والدينيّة؛ ولا أدلّ على ذلك من كونه اكتسب في مدة ست سنوات التي قضاها بالديوان ستة آلاف حديث، ومعلوم أنّ فائدة هذا التحصيل العلمي-الديني أعظم بكثير من التحصيل المالي-الدنيوي. ولو اعتقدنا أنّ صرف هذا الفقيه مساحة من وقته في خطة الديوان، ربّما شغله عن التأليف، فإنّ هذا لا ينسجم مع ما ذكره عن نفسه، بأنّه حصل ستة آلاف حديث خلال مدة السّت سنوات التي قضاها في الديوان.

من الطبيعي أنّه وفي ظل المكانة العلميّة التي حازها العلامة الفقيه والمحدث أبو محمد عبد الله بن محمد القلعي، والتخصصات العلميّة المتنوعة التي ذاع فيها صيته وأجادها وأفاد فيها، أن تكون مجالسّ العلم التي يُشرف عليها، قِبلة لطلبة العلم، ومادة مستقطبة لرواده لحضور مجالسّه العلميّة، وملازمته للتفقه على يديه والاستفادة من معارفه وخبراته، والاستنارة بنور علمه والاستضاءة بحسن توجيهه وإرشاده. لكن أصحاب التصنيف التراجمي لحياته لا يزوِّدوننا بالنص المفصح عن أبرز من تتلمذ

على يديه. فالغبريني على الرغم من كونه الشّاهد الأقوى بحكم أنّه تلميذه وصاحب الروايّة الفريدة التي ترجمت لشيخه من معاصريه، اكتفى بالإشارة إلى نفسه كأحد التلامذة الذين استفادوا من حلقات درسه ومجالسّه العلميّة حيث يقول: "قرأت عليه رحمه الله وسمعت منه وأخذت عنه"، رغم تنويهه بأنّ شيخه كان محبا بين أهل العلم وطلبته.

ومن خلال تقصينا للمادة المصدريّة التي تضمّنت الترجمة لأبي محمد عبد الله بن محمد القلعي، وقفنا على تباين في تحديد تاريخ وفاة هذا الفقيه والمحدث، إذ في الوقت الذي ذكر الغبريني أنّ وفاته كانت سنة 669هـ/ 1071م، وهو التاريخ الذي ورد عند صاحب شجرة النور الزكيّة، يرى التنبكتي صاحب نيل الابتهاج أنّ وفاته كانت سنة 699هـ/ 1101م. كما وقفنا على أنّ الحفناوي صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السّلف يورد بأنّ تاريخ وفاة القلعي كان سنة 699 للهجرة، ويذكر بأنّه استقى ترجمته من بحر الترجمة التي أوردها بشأنه الغبريني. ونعتقد أنّ الأمر التبس عليه؛ فالتاريخ الذي ذكره وارد عند التنبكتي، أمّا الغبريني فذكر أنّ وفاته كانت سنة 669 من الهجرة. ولعلّ الراجح هو ما ذهب إليه الغبريني، على اعتبار أنّه الأقرب إليه زمنيا؛ فهو تلميذه وأحد الذين ترعرعوا بين يديه علميا، واغترفوا من نبع العلم في مجالسّه.

البشير بوقاعدة

المصادر:

- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي، تح، أمحمد التوفيق، ط2، منشورات كليّة الآداب والعلوم الانسانيّة، الرباط، المغرب، 1997.
- الغبريني: عنوان الدرايّة فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجايّة، تح، عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979.
- الحفناوي محمد: تعريف الخلف برجال السّلف، ج2، مطبعة بيير فونطانة، الجزائر، 1324ه/ 1906م.

عبد الله بن محمّد بوراس (الكَامِلي)
(1323هـ - 1904م / 1405هـ - 1984م)

من مواليد بني يزگن بميزاب، نشأ في أحضان أسرة متوسّطة الحال، لمَّا بلغ الخامسة من عمره أخذه والدّه إلى الكتاتيب ليتعلَّم القرآن الكريم والكتابة، فكان معلّمه الأوَّل الشّيخ الزّغبة الحاج حمو بن الحاج محمّد، وفي سنِّ السّابعة سافر به والدّه إلى مدينة گالمة - في الشّرق الجزائري - فأدخله الكتَّاب، ومدرسة ابن خلدون الرّسمية.

وقبل نهاية الحرب العالمية الأولى 1918م رجع إلى ميزاب مع والدّه، وكان على وشك ختم القرآن؛ فلازم الشّيخ أبا إسحاق إبراهيم اطفيش، الذي رأى فيه سمات النّبوغ، فاقترح على والده أن يرسله إلى البعثة الميزابية بتونس.

التحق الشّاب الطّموح بتونس، وكان ضمن البعثة التي يرأسها الشّيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيَّش والشّيخ



محمّد بن صالح التّميني، وفور وصوله تونس دخل مدرسة السّلام الحرَّة، وكان مديرُها آنذاك الشّيخ الشّاذلي الميرادي، ومنها انتقل إلى مدرسة قرآنية أخرى تحت إشراف الأستاذ مناشو، وبعد ثلاث سنوات أحرز الشّهادة الابتدائية في اللغتين العربيّة والفرنسية.

من ثمَّ التحق بجامع الزّيتونة، فقضى فيه أربع سنوات، وحصل على شهادة التّطويع، التي تخوِّل له أن يشتغل مدرِّسا.

في أكتوبر 1929م فتحت جمعية الاستقامة بگالمة تحت إدارة الشّيخ محمّد التّميني مدرسة حرَّة، فانتدب الكاملي للتدريس بها، فاجتهد في تطوير المدرسة، ولاقى مصاعب جمَّة من قبل المستعمر الفرنسي، إلاَّ أنه صمد، فتخرَّج على يديه كوكبة من الإطارات والشّخصيات الوطنية البارزة.

تأثر الكاملي بأستاذه الشّيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، فتبنى مبادئه ومواقفه من الاستعمار الفرنسي.

كما تأثر بشيخه مسؤول البعثة إلى تونس، وعضو الحزب الدّستوري التّونسي" الشّيخ محمّد بن صالح التّميني" مؤسس جمعية الاستقامة بقالمة، تأثر به في صرامته وجديته في العمل.

كان معه ضمن البعثة نخبة من أبناء الجزائر البررة، أمثال: مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، والشّاعر الثّائر رمضان حمود، والأستاذ محمّد علي دبوز مؤلف تاريخ المغرب الكبير، والسّياسي المحنك بوجناح سليمان بن يحيى وغيرهم ممن قدموا أروع الأمثلة في الوطنية وروح التّضحية.

في عام 1923م أحرز الكاملي على شهادة استحسان من الجمعية الملية لمقاومة المسكرات، اعترافا بفوزه بالمرتبة الأولى في المناظرة التي نظمتها الجمعية، حيث قدم مقالا رائعا تحت عنوان سموم المجتمعات أو المسكرات.

كان مجيدا للغة الفرنسية مما أهله لأن يطلع على ما بلغته أساليب التّربية والتّدريس في الغرب، ليصنع لنفسه فكرة تجمع بين الأصالة والمعاصرة. كما قام بترجمة عدة أعمال وهو لا يزال في مرحلة التّعلم.

وحين هب المصلحون لإنقاذ المجتمع الجزائري من الانسلاخ والبدع والخرافات، نشأت جمعية الاستقامة بقالمة، تحت رئاسة الشّيخ "محمّد بن صالح التّميني" ومن أهدافها الأساسية: الإصلاح والتّعليم والإرشاد والحفاظ على القيم والمبادئ الدّينية والوطنية التي كان الاستعمار يسعى جاهدا للنيل منها وطمسها. فتحتم على الشّيخ التّميني أن ينتقي الرّجل الكفء، والقادر على التّدريس والتّوجيه، والوقوف أمام الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها البلاد.

كان الشّيخ عبد الله بوراس هو الذي اختير لهذه المهمة، بعد أن خضع لاختبار مع مجموعة من الطّلبة المتخرجين بتونس موضوعه: "وضع مخطط شامل ومنهج كامل يمكن تقديمه لطلاب المدارس الابتدائية". فكان أول من قدم هذا البرنامج، فاستحق بذلك ثقة شيخه ورضاه، فعينه بگالمة فقبل ذلك دون تردد، رغم أن شهادة التّطويع التي تحصل عليها كانت تمكنه بالحصول على أعلى الوظائف وأفضلها؛ لكن إيمانه بالإصلاح وسخطه على الأوضاع التي يعيشها مجتمعه من تخلف وجهل، وتدهور في الأخلاق، جعله يختار أصعب السّبل وأشرفها، مؤمنا برسالة التّعليم، ضاربا عرض الحائط المنصب والجاه.

ابتدأ مهمة التّدريس في أكتوبر من سنة 1930م، في ظروف جد صعبة: حيث كانت الأوضاع اجتماعية متدهورة، وبعض العادات المتأصلة، والجهل المتراكم، والمعارضة القوية من بعض خصوم الإصلاح...، ومع هذا كله استطاع أن يقهر هذه العقبات بفضل صرامته ونزاهته، وإخلاصه لعمله.

ونظرا للأوضاع الاستعمارية التي عاشتها الجزائر، والرّقابة المفروضة على المواطنين الأحرار، أعطى للمدرسة الطّابع الدّيني حتى يتمكن من تمرير رسالة النّضال، والتّمسك بالهوية الوطنية، وفعلا استطاع أن يبلغ الرّسالة ويؤديها على أحسن وجه، رغم كل المضايقات الكثيرة من طرف السّلطات الفرنسية التي كانت ترفض أي نوع من التّوعية الوطنية.

كان الشّيخ عبد الله بوراس يعمل بمدرسته طيلة أيام الأسبوع، ماعدا يوم الجمعة. ولما كانت العطلة الأسبوعية في المدارس الرّسمية آنذاك يوم الأحد، كانت المدرسة تفتح أبوابها على الثّامنة صباحا لتدريس حصة القرآن الكريم في السّاعة الأولى، ثم مختلف المواد إلى غاية الحادية عشرة، ليعود التّلاميذ على الثّانية بعد الظّهر ليزاولوا دراستهم إلى غاية الخامسة مساء، أما سائر الأيام فكانت الدّراسة كالتّالي:

الفترة الصّباحية:

حصة القرآن الكريم، من بعد صلاة الصّبح إلى السّابعة والنّصف وقت الذّهاب إلى المدرسة الرّسمية. ومن الثّامنة صباحا إلى الحادية عشرة: للتلاميذ الذين لم يسعفهم الحظ من دخول المدرسة الرّسمية، والذين لم يبلغوا سن الدّراسة. يأخذون في السّاعة الأولى حصتهم في القرآن الكريم، وبعدها يتدارسون مختلف العلوم الدّينية واللغوية.

الفترة المسائية:

من الخامسة إلى السّابعة مساء، خاصة بالعلوم الإسلامية: (فقه، وتوحيد، وحديث، وسيرة نبوية...) والعلوم اللغوية: (نحو، وصرف، وإملاء...) وذلك للتلاميذ الذين يأمون المدارس الرّسمية. ومن السّابعة إلى الثّامنة حصة لتلاميذ قسم الثّانوي.

لم يكتف الكاملي بهذا العمل الجبار، فقد كان يلقي محاضرات ودروسا في الوعظ والإرشاد لعامة النّاس، فكان بحق قطب إصلاح وتغيير في قالمة، محاربا في كل الجبهات، مواكبا كل الأحداث العظيمة في تاريخ الجزائر، كأحداث 8 ماي 1945، وأطوار الثورة التحريرية المجيدة، مجاهدا بلسانه وقلمه، مناضلا من أجل القضية الوطنية، رافضا الانسلاخ والاندماج والتّغريب.

وبعد الاستقلال ذاع صيت مدرسته، فالتحق بمقاعدها عشرات من الذين لم يسعفهم الحظ في التّعلم نظرا للظروف الاستعمارية، فأعطاهم كل ما لديه من طاقة، فراحوا يتسابقون مع

الزّمن فأبلوا البلاء الحسن، وأعطوا بحق صورة المتعطش إلى العلم والمعرفة.

وفي بني يزگن أنشأ مدرسة صيفية قرآنية سمَّاها مدرسة أبي الضياء، يعمل فيها خلال عطله، ولم يقتصر عمله على المجال التّربوي، بل تعدَّاه إلى البحث والتّأليف.

من مؤلَّفاته:

- (الكتاب المدرسي) للمدارس الابتدائية، (مط).
- (دليل الوصية)، (مط).
- (خلاصات حول الشّريعة الإسلامية)، (مط).
- (غاية المراد في نظم الاعتقاد، (مط). وفيه نشر قصيدة للشيخ نور الدّين السّالمي، وشرح أبياتها بأسلوب ميسَّر.
- (سبيل الخلود)، (مط). وهو عبارة عن ترجمة وافية حية لحياة أستاذه الشّيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- بوراس مصطفى بن محمّد: بطاقة تعريف للشيخ عبد الله بوراس، (مخ) 6ص
- بوراس عبد الله: دليل الوصية، كله
- بوراس عبد الله: خلاصات حول الشّريعة الإسلامية، كلُّه.
- معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربيّة - غرداية، ط1، 1999، ج3، ص576.

عبد الله بن يس الجزولي
عاش في النّصف الأوّل ق(5هـ)

هو عبد الله بن يس بن مكوك بن سير بن علي، ويكنى بأبي محمد. ينحدر من قبيلة زجولة إحدى قبائل صنهاجة فينسب إليها. فقيه مالكي ورجل مصلح وداعيّة ملتزم. عاش خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي. ووضع أسس الكيان السّياسي الذي عرف تاريخيا بدولة المرابطين والذي ساد لأكثر من قرن على الجزء الأكبر من الجانب الغربي في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط.

كان من أبرز شيوخه الفقيه وَاكاك بن زلو (وَجاج بن زلوى كما قيّده بعض القدماء). وسبق لابن يس أن انتقل إلى الأندلس فأقام بقرطبة مدة سبع سنوات خلال الفترة التي عرفت بعصر ملوك الطوائف، تلقى خلالها المعارف التي كانت تدرّس بقرطبة، بوصفها إحدى حواضر الأندلس، فتوسعت مداركه وألمّ بعلوم عصره. وعاد بعدها إلى منطقة السّوس ليدفعه القدر إلى دخول التاريخ من بابه الواسع.

فقد حدث أن يحيى بن إبراهيم الكدالي أمير قبيلة كدالة (جدالة) الصّحراويّة، وقد تكون هي قبيلة الجتول التي ذكرت بنواحي الصّحراء خلال العهد الروماني، كانت تراوده فكرة اصطحاب فقيه إلى قومه ليعلمهم أمور الدين. وعند عودته من أداء فريضة الحج توقف بالقيروان، وكانت حاضرة بلاد المغرب وقطب الفقه المالكي، وبها التقى بالفقيه أبي عمران الفاسي وأخبره بظروف قومه وانقطاعهم عن الحواضر، فأشار عليه بالتوجه إلى الشّيخ واكاك اللمطي ليرشح له من يراه أهلا لهذه المهمة، وهو فقيه مالكي كان يقيم برباط للعبادة والتدريس ونشر الدعوة في مكان عُرف لدى البعض باسم ملكوس بينما ذكره البعض الآخر باسم نفيس، لكنه يقع فيما يعرف قديما بمنطقة السّوس. فلما توجه إليه الشّيخ يحيى وقدم له طلبه وقع اختياره على الفقيه أبو محمد عبد الله بن يس الجزولي، فصحبه معه إلى قومه والذين كانوا يقيمون في مناطق صحراويّة. وتذكر المصادر أن بلادهم مما يلي أرض السّودان.

بدأ عبد الله بن يس في تعليمهم قواعد الدين ودعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساواة بين غنيهم وفقيرهم، وكان لديه ميل إلى التشدد في تبليغ كل ذلك وإقامة الحدود عليهم وغيره. فانقادوا له لكن تشدده في عدد من المسائل جلب عليه سخط بعض كبرائهم. فرفضوا طريقته في تبليغ تعاليم الدين واتهموه بمخالفة بعض أحكامه فطردوه. فانسحب، واشتكى لشيخه واكاك اللمطي بما حصل له، فتدخل لدى الشّيخ يحيى بن عمر كبير قبيلة لمتونة وبعض كبراء قبيلة كدالة مما جعله يعود إلى مواصلة مهمته، وهو ما غير مجرى الأحداث. إذ أن عبد الله بن يس لجأ إلى جزيرة وسط نهر وصفه قدماء المؤرخين وكتاب السّير بنهر النيل لكنه في الغالب هو نهر يقع ما بين موريتانيا والسّينغال اليوم، ويسميه عبد الرحمن الجيلالي بنهر النيجر. فاتخذ لنفسه مكانا منعزلا هناك، عُرف لاحقا بالرباط، وصحِبه مجموعة من أتباعه من بينهم يحيى بن عمر اللمتوني. والتحقت به فيما بعد مجموعات أخرى قارب عددها الألف شخص، فدعاهم بالمرابطين نسبة إلى ذلك الرباط. ولما اشتد أمر هذه المجموعات قادها

عبد الله بن يس ابتداء من سنة 434 هـ أي 1042 م في مواجهات مع قبائل لمتونة وكدالة ومسوفة ومصمودة وغيرهم. فخضعت تلك القبائل لسلطانه وانضمت إلى دعوته وبذلك تم بعث كيان سياسي قائم على دعوة دينيّة ويعضده تحالف قبلي يضم لمتونة وكدالة ومسوفة. وكانت قبيلة لمتونة هي التي تقود ذلك التحالف، ولذلك نُسبت هذه الدولة لها. فقد عرفت بالدولة اللمتونيّة وكذلك بدولة الملثمين. وهكذا، كان تلاقي ثلاث شخصيات ذات حضور قوي هي: عبد الله بن يس الجزولي الذي عرف عنه تفقهه في الدين وشدته وعزمه على تبليغ تعاليمه وإن لازم ذلك بعض الشّطط، والأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي وطموحه إلى دورٍ ما لقومه في المنطقة ويحيى بن عمر اللمتوني الذي عرف عنه تديّنه وحزمه، سببا في بعث كيان سياسي عرف تاريخيا بالمرابطين، وذلك في وقت كانت فيه كل الكيانات السّياسيّة التي نشأت تقوم على فكرة دينيّة يدعو لها زعيم مُلهِم وتتبناها قبيلة أو اتحاد قبلي كالرستميين والفاطميين والموحدين وغيرهم.

لقد أدّت الحركة الدينيّة التي قادها أبو محمد عبد الله بن يس الجزولي ونتج عنها بروز تحالف قبلي يجمع لمتونة وكدالة ومسوفة، بوصفها تشكل الجسم الأكبر للمرابطين، إلى تأسيس دولة دامت أكثر من قرن، وبسطت سلطتها على القسم الغربي من الجزائر لمدة فاقت ستين سنة وما تزال مآثرهم معروفة في العاصمة وتلمسان ومستغانم وهنين وندرومة وغيرها. ولما توفي الشّيخ يحيى بن إبراهيم الكدالي، دعا عبد الله بن يس إلى لقاء تشاوري وأمّر على أتباعه أبو زكرياء يحيى بن عمر اللمتوني ليتولى القيادة السّياسيّة ولقبه بأمير الحق، بينما ظل هو محافظا على القيادة الدينيّة والروحيّة. وقد بلغ المرابطون أوج قوتهم على عهد أبي يعقوب يوسف بن تاشفين الذي تسمى بأمير المسلمين لكيلا ينافس الخليفة العباسي الذي يلقب بأمير المؤمنين، وكانت تربط دولة المرابطين بالعباسيين علاقة ولاء روحي. وسقطت دولة المرابطين باستيلاء الموحدين على مراكش سنة 541 هـ الموافق لسنة 1147 م.

وصف الشّيخ مبارك الميلي عبد الله بن يس بأنه كان من حُذاق الطلبة، ديّناً، فاضلا، تقيا ورعا، فقيها، أديبا، ذا نباهة وسياسة. وقال إن الحكومة المرابطيّة مقيدة بالكتاب والسّنة ولا يمضي أمراؤها وعمالها أمرا إلا باستشارة شيوخ الدين وموافقتهم. بينما قال الشّيخ عبد الرحمن الجيلالي: "وعبد الله هذا مالكي المذهب كانت جميع أقواله وأفعاله تجري على مقتضى قواعد الفقه المالكي إلا ما شذ فيه من بعض فتاويه وتشديداته، وقلده في ذلك المرابطون".

وقال عنه عبد الفتاح مقلد الغنيمي: "كان شهما، قويا، حازما نشطا وواسع المطامح، فيه شدة على حمل الناس على إقامة شعائر الدين".

توفي عبد الله بن يس في 24 جمادي الأولى 451 هـ الموافق لـ 7 يوليو/ جويليّة 1059، في إحدى المواجهات التي كان يقودها ضد قبيلة برغواطة بموضع يقال له كريفلت أو كريفلة وذلك بعد أن وطد أسس دولة المرابطين وسادت بعد وفاته مدة قرن كامل.

عامر بغدادي

المصادر:

- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عِذاري المراكشي، ج 4.
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، ج 2. المؤسسة الوطنيّة للكتاب.
- موسوعة المغرب العربي، عبد الفتاح الغنيمي، ج 2، دار مدبولي، القاهرة.

عبد الله خليفة ركيبي
(1346هـ - 1928م/1432هـ - 2011م)



عبد الله خليفة ركيبي ؛ولد سنة: (1346هـ/ 1928م)، ببلدة:(جمورة) التي تقع بضواحي مدينة (بسكرة)، وقد تمّ تسجيله في الحالة المدنيّة بعد سنتين من تاريخ ميلاده، زاول تعليمه الابتدائي ببلدته باللُّغتين العربيّة والفرنسيّة، وفي سنة: (1365هـ/ 1946م)، انتقل إلى (تونس)، وانتسب إلى جامع الزّيتونة، وتحصل منه على شهادة التّحصيل سنة: (1374هـ/ 1954م)، وبعد عودته دخل ميدان التّعليم بمدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ؛ فدرّس بمدرسة الجمعيّة بندرومة قُرب (تلمسان)، وبسبب نشاطه النّضالي مع الثّوار، وبحكم علاقته بالشّهيد البطل (مُصطفى بن بولعيد)؛ فقد كان من أوائل المثقفين الجزائريين الذين

زجت بهم السّلطات الاستعمّاريّة في غياهب السّجون، حيث ظل أحد عشر شهراً بمعتقل: (آفلو)؛ حيث أُلقي عليه القبض سنة: (1375هـ/ 1956م) ؛ ثم أرغم على الإقامة الجبريّة بمدينة (بسكرة)، إلى أن فر منها إلى جبال (الأوراس)، وهاجر بعدها إلى (تونس)، وعمل موظفاً بالمدرسة الصّادقيّة الثّانويّة بتونس، ومنها انتقل إلى (القاهرة) ؛ليدرُس بكليّة الآداب بجامعة القاهرة، وترأس لجنة الطّلبة الجزائريين بالقاهرة، ونال شهادة الإجازة سنة: (1383هـ/ 1964م)، وفي السّنة نفسها عاد إلى الجزائر، وعمل مدرساً بالمعهد الوطني التّربوي في (الجزائر العاصمة) ؛ثم اشتغل بثانويّة حُسين داي، وفي سنة: (1387هـ/ 1967م) انضم إلى معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر ؛ بعد نيّله شهادة الماجستير من جامعة القاهرة عن دراسته الموسومة ب: (القصة الجزائريّة القصيرة)، ونال درجة الدّكتوراه من جامعة الجزائر عام: (1972م)، بعد أن أنجز رسالة متميزة بعنوان: (الشّعر الدّيني الجزائري الحديث) ؛و قد كان رئيساً للجنة الفكر والثّقافة التي كوّنها حزب جبهة التّحرير الوطني، وكان أحد أبرز المؤسّسين لاتحاد الكُتاب الجزائريين، وهو أوّل أمين عام مساعد لرئيسه الرّوائي الرّاحل مالك حدّاد إبان تأسيسه سنة: (1974م) ؛كما كانت له إسهامات كبيرة في تطوير الإعلام الجزائري، وتنشيط الحركة الأدبيّة، وأشرف على حصة بعنوان: "أقلام على الطّريق"، قدم فيها العديد من الأدباء الشّباب؛ الذين أضحوا اليوم قامات أدبيّة سامقة، كما كان من أبرز المدافعين عن اللغة العربيّة، ومن أبرز تلاميذه النّاقد الدّكتور: (إبراهيم رماني).

وقد ودعت السّاحة الثّقافيّة، والأدبيّة الأديب، والنّاقد الدّكتور (عبد الله ركيبي)، سنة: (1432هـ/ 2011م) ؛ وقد جاء رحيله قبل ساعات قليلة على تكريمه من قبل جمعيّة"الكلمة للثقافة والإعلام"، وهذا ما جعل حفل تكريمه يتحول إلى تأبينيّة تحدث فيها مجموعة من الأدباء الجزائريين، وأشادوا بخصاله، ونوّهوا بجهوده، وإسهاماته. وسيظل النّاقد والباحث الدّكتور (عبد الله ركيبي) أحد رواد النّهضة الأدبيّة بالجزائر، وأحد كبار المثقفين الجزائريين الذين عرفتهم الجزائر في تاريخها الحديث؛ فهو واحد من أعلام الثّقافة الجزائريّة المعاصرة، ورمز من رموزها المناضلين ؛ الذين أسسوا للدراسات الأدبيّة والفكريّة بالجزائر. ومن أهم مؤلّفاته النّقديّة: (القصة الجزائريّة القصيرة)، وقد اعترف في مقدمته أن الباحث "يلمس صعوبة وهو يتلمس طريقه لدراسة القصة القصيرة، صعوبة في تحديد الزّمان وفي الفترة التي يختارها في بحث كهذا، وصعوبة في تحديد المنهج الذي يختاره، ويزيد من صعوبة البحث في الموضوع-بالإضافة إلى ندرة الأبحاث والدّراسات-ندرة المراجع وتفرقها، ومعظمها مفرق في الصّحف والمجلات...".

إضافة إلى كتاب: (قضايا عربيّة في الشّعر الجزائري المُعاصر)، والذي يقول في مُستهله:

"...وعندما عزمتُ على هذا الموضوع وأخذت أجمع مراجعه المختلفة وأتصفحها وجدت إنتاج شعرائنا حافلاً بالموضوعات الكثيرة التي تتصل بالوطن العربي وقضاياه من قريب أو بعيد، بل وتتصل بقضايا الإنسان العامّة. ووجدتُ أن شعراءنا كانوا يُتابعون منذ وقت مبكر ما يجري في العالم العربي، وما يجد فيه من أحداث، وإلى جانب هذا وجدتُ في قصائدهم حنيناً جارفاً لفكرة الوحدة والعروبة...".

كما ألف الباحث والنّاقد (عبد الله ركيبي)، مجموعة من الكتب ناقش فيها قضايا متنوعة، من بينها كتاب: (عروبة الفكر والثّقافة أوّلاً) ؛الذي أثار فيه جملة من النّقاشات الفكريّة حول مصير اللغة العربيّة بالجزائر، ومن بين ما أشار إليه في مقدمته إنّه:

"من المؤسف حقاً أننا في الوطن العربي لا نُفكر عربياً، فتفكيرنا في كافة القضايا، أو معظمها يُوشك أن يكون مُستورداً جاءنا من الغير، وتبنيناه نحن بلا فهم أو تمحيص أو تدقيق، ووضعناه في رؤوسنا، وحاولنا صبغه بصبغتنا...ولعل هذا هو السّبب فيما نعانيه في بيئتنا العربيّة من اضطراب في الفكر والسّلوك معاً...".

ونبّه كذلك في مطلعه إلى أن معركة التّعريب في الجزائر "مثل معركة العروبة والثّقافة الوطنيّة ما زالت متواصلة وما زال بعض النّاس ينظرون بحذر إلى قضيّة التّعريب، وبالتّالي إلى مفهوم الثّقافة ومفهوم العروبة؛ **لأن الفكر والثّقافة لا ينفصلان كما لا تنفصل عنهما الوحدة والعروبة، فكلها قضايا مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً وثيقاً**...".

كما كرس أحد مؤلّفاته النّفيسة للحديث عن: (الأوراس في الشّعر العربي)، فنُلفيه يُنبه في مستهل هذا الكتاب إلى أن (الأوراس) كان "مُلهماً للنضال الجزائري من أجل الحريّة مثلما كان ملهما للإبداع الفنّي بالكلمة، لا على نطاق الجزائر فحسب؛ بل على نطاق الوطن العربي كله... والواقع أن هذه المجموعة من المقالات تتفق في إنّها تعبير عن نظرة صاحبها وآرائه في قضايا أدبيّة وقوميّة هامة، كما إنّها تعكس مواقفه وتجاربه تجاه الحياة والفنّ، وتحمل بين طياتها إيمانه بدور الأدب في خدمة الإنسان وغده الأفضل...".

ومن أهم دراساته النّقديّة التّأسيسيّة: (دراسات في الشّعر العربي الجزائري الحديث)، و(الشّعر الدّيني الجزائري الحديث)، و(تطور النّثر الجزائري الحديث)، و(فلسطين في النّثر الجزائري الحديث).

ومن أبرز أعماله الإبداعيّة مسرحيّة: (مصرع الطّغاة) ؛فقد بدأ حياته الأدبيّة كاتباً مسرحياً؛ فصدرت مسرحيته في (تونس)، عن منشورات دار بوسلامة، سنة: (1959م)، ووصفها الدّكتور (أبو القاسم سعد الله)، بقوله: (تدور حوادث هذه المسرحيّة في الجزائر أثناء فترة الاستعداد للثورة ثم تتابع أحداث المعركة التّحريريّة إلى نهايتها المحتومة، وهي (مصرع الطّغاة)، ويُمكن تلخيصها في الأفكار التّاليّة:

- يقظة الضمير الثّوري وفكرة الواجب الوطني (الفصل الأوّل).
- إفلاس الأحزاب السّياسيّة ويأس الجيل الجديد منها (الفصل الثّاني).
- الحب إزاء التّضحيّة والوطنيّة (الفصل الثّالث).
- وأخيراً رد الفعل الفرنسي وفشل الاستعمّار في القضاء على الثّورة (الفصل الرّابع).

ولكن المسرحيّة لم تكن مجرد أحداث سياسيّة وصراعاً بين الوطنيّة والاستعمّار. إنّها تحتوي على لقطات فنيّة رائعة وعلى لوحات إنسانيّة شيّقة. فقد رمز المؤلف إلى الجزائر القديمة التي كانت تود أن تتحرر، ولكنّها لم تستطع بشخصيّة الأب الذي هو في نفس الوقت والدّ البطل...

ومن بين الأعمال الإبداعيّة الأخرى التي كتبها الدّكتور (عبد الله ركيبي) مجموعة قصصيّة، عنوانها: "نُفوس ثائرة"، نُشرت بالقاهرة سنة: (1963م)، وكتب تقديمها النّاقد المصري الدّكتور (شكري محمّد عياد). ويقول مؤلفها في مستهلها:

" ...نريد لقصتنا أن تكون تعبيراً حياً عن عواطف الشّعب وأحاسيسه. وأن تكون فناً للحياة النّابضة، الحياة الجديدة، حياة التّطلع والأمل؛ وبالتّالي نود أن تكون رمزاً لليقظة والتّطور، لا رمزاً للتخدير، للسكون والموت؛ هذه رسالة القصة كما أفهمها، رسالة إنسانيّة صميمة (رسالة تصف الدّواء وتُقدم العلاج في نفس الوقت)؛ رسالة تفتح العيون لتُطل على عالم الخير والحق والجمال، ونبعث الأمل والحياة في نفوس عذبها الألم، وأضناها الشّقاء، وقتلها اليأس. ولعل هذه بعض الدّوافع التي دفعتني لكتابة هذه المجموعة التي عشت أحداثها وصاحبت أفرادها، وشاركتهم أحاسيسهم ومشاعرهم، إنّها صورة لحياة أفراد عاشوا في هذه المرحلة الجديدة التي يمر بها وطننا في هذه الآونة الخطيرة، وفي هذه المرحلة الجديدة التي يعيشها الإنسان الجزائري ... الإنسان الذي وجد نفسهُ يُواجه حرباً فُرضت عليه، فكان لابد أن يتخذ منها موقفاً، وكان موقفه منها أن يُناضل ويُكافح حتى يُحقق كرامته كإنسان"

د الدّكتور (عبد الملك مرتاض): (كان الرّجل نقيَّ القلب، دمث الخلق، لطيف العشرة، دائم الابتسامة، هادئ النّفس).

ويصفه المؤرّخ الدّكتور (أبو القاسم سعد الله) بأنّه: (خدم الأدب الجزائري بتدريسه في الجامعة وفي تآليفه، وفي دراساته الأدبيّة العديدة. وقد درس فنونه من قصة وروايّة ومسرحيّة ومقالة، ثم إن الفضل يرجع إليه في ريادة الكتابة عن القصة دراسة ونقداً... وخدمة للأدب الجزائري، أشرف على عدد من الرّسائل الجامعيّة، وتخرج على يديه طلاب جيدون ظلوا أوفياء له، أغلبهم من الجزائريين، وبعضهم من الوطن العربي، وقد شارك في مناقشة الرّسائل الجامعيّة).

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- د.عبد الله ركيبي: نفوس ثائرة، منشورات الدّار المصريّة للطباعة والنّشر، القاهرة،1962م.
- د.أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرّحلة، منشورات عالم المعرفة، الجزائر، ط: 03، 1430هـ/ 2009م.
- د.عبد الملك مرتاض: هؤلاء أصدقائي- ملامح من ذكرياتي مع الأدباء العرب-، منشورات دار البصائر الجديدة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2013م.

عبد الله شريّط
(1339هـ - 1431/1921هـ - 2010م)

ولد عبد الله شريّط في بلديّة مسكيانة بأمّ- البواقي سنة 1921م، يدرس في الكتّاب في قريته سنة 1927م، ويحفظ القرآن ومبادئ العربيّة، كما يتعلّم الفرنسيّة. ولمواصلة دراسته يقصد (تبسّة) وهناك يدرس في مدرسة التّهذيب للبنين لجمعيّة العلماء المسلمين، ويدرس على يدّ (العربي التّبسي) ومن (تبسّة) يتوجّه إلى (تونس) سنة 1938م، وبعد سنة يتوقّف عن الدّراسة، ويعود إلى (قسنطينة) ويلتحق بمعهد ابن باديس، ويعود ثانيّة إلى (تونس) ويُنهي دراسته في الزّيتونة؛ بنيله شهادة التّطويع سنة 1946. ومن تونس يتوجّه إلى المشرق لاستكمال دراسته في دمشق، في كليّة الآداب، قسم الفلسفة، ويتخرّج سنة 1951م. ويعود إلى بلده في ذات السّنة، ولكنّه يغادر إلى (تونس) ويلتحق بسلك التّدريس في جامع الزّيتونة الخاصّ بالعلوم الحديثة. وهناك ينشط سياسياً في البعثة الجزائريّة مناضلاً سياسياً، ويقوم بمهام التّرجمة من الفرنسيّة إلى العربيّة لصالح

التّيار الوطنيّ، إلى جانب قيامه بالكتابة في الصّحف التّونسيّة من أجل القضيّة الجزائريّة، وفي ذات الوقت يُكلّف بإصدار جريدتي: المقاومة+ المجاهد، ويقوم بكتابة الافتتاحيّة، وظلّ يمارس هذا التّكليف إلى غايّة الاستقلال. وفي بداية الاستقلال يدخل البلد، ويصبح أستاذاً بجامعة الجزائر قسم الفلسفة، ويتحصّل على الدّكتوراه في الفلسفة، ويبقى في قسم الفلسفة مُدرّساً ومُؤطّراً حتى وفاته.



عبد الله شريّط ونشاطه الهُوياتيّ:

لقد سكنته الهموم الوطنيّة، وسكنت فيه أشياء من الخطّاب الوطنيّ الثّوريّ، وظلّ يحمل خطّاب الحماس من أجل الإشعاع الهُوياتيّ، ويريد غرسه في طلابه وكان في ذلك عوداً صلباً؛ يعالج قضايا بلاده بقلمه، باحثاً عن الحلول لا عن الأعذار، ويدعو إلى التّعاون الجمعيّ لاستكمال النّقص، ولا يمكن للواحد أن يرى كلّ الحقيقة إلاّ من خلال الآخر. وينصح في أكثر من موقع بأنّ تشخيص أمراضنا المعاصرة في المرحلة الرّاهنة أن نعيشها؛ ومن ثمّ نبحث عن حلول لها. ويبقى منافحاً عن الهويّة اللغويّة لمقام العربيّة في أكثر من موقع، وهو الذي يقول: "ما نحن في حاجة إليه منذ سنوات الاستقلال إلى اليوم، وخاصّة في السّنوات الأخيرة هي ليس الدّولة؛ لأنّ الدّولة من السّهل أن تكوّنها بالقوانين وبالإجراءات الاقتصاديّة وبالسّجون وغيرها، ولكن ثقافة الدّولة التي تتطلّب أن تكون موجودة عند الحاكم وعند المحكوم... وماذا نفعل لكي تكون لدينا ثقافة الدّولة؟ نعتمد أوّلاً على الزّمن، وتطوّر الزّمن لا بدّ منه، لكن لا بدّ من مجهود فكريّ وثقافيّ وتعليميّ وسياسيّ بالخصوص وأخلاقيّ...". وفي مسألة التّعريب يرى"... التّعريب في بلادنا ظلّ سنوات طويلة موضوع نقاش بين طرفيْن لا يفهم أحدُهما الآخر، فكان شبيهاً -كما يقولون- بنقاش الصّم الذين لا يسمع بعضُهم بعضاً، ولكن كلّ واحد يردّ على الآخر بما يتوهّم من أفكاره..." ولقد دافع عن العربيّة دفاعاً علمياً في سلسلة من الخطّابات النّاريّة بينه وبين (مصطفى الأشرف) وظلّ ينافح عن العربيّة أمام التّيار الفرنكفونيّ ودُعاة البربريّة والدّارجة، ويوضّح بأنّ مقاومة الأميّة هي خطوة الثّقافة الشّعبيّة، ولا يتمّ ذلك إلاّ بالعربيّة الفصحى التي تحتوي الجميع ولذا فالحلّ في تعميم استعمال العربيّة أفقياً وعمودياً. ومن الأهميّة بمكان أن تحظى العربيّة عند هذه الشّخصيّة العالمة التي تدافع عن العربيّة بالعلميّة؛ كون العربيّة قادرة على استيعاب العلوم مبرراً ذلك بكون العلوم تعتمد بالخصوص على المفاهيم والمصطلحات والرّموز والأرقام والتي تتميّز بالقابليّة للتّرجمة إلى لغات مختلفة أخرى، وأيّ عجز من اللغة العربيّة عن ذلك مردّه عجز أهلها العلميّ، كما يرى بأنّ الازدواجيّة اللغويّة التّعليميّة مضرّة ولا تحمل أيّة فائدة، ولا أمل لها في النّهوض، بل هي استنساخ من الأجنبيات، والمقصود بها تدريس اللغة العربيّة كلغة في المدارس الابتدائيّة، وتدريس العلوم والمواد الأساسيّة باللغة الفرنسيّة، داعياً إلى عكس ذلك؛ أي تدريس المواد الأساسيّة باللغة العربيّة، وتكون فيه اللغات الأجنبيّة من الثّواني يُستفاد منها، لا أن تكون من لغات الهويّة. وهكذا نراه يعمل على إعادة النّظر في المفاهيم اللغويّة التي لا تبخس مقام العربيّة، ويرمي بها في الآداب والعلوم الإنسانيّة. ومن الضّروري بلورة بعض المفاهيم بالحَفْر في التّراث الوطنيّ الجمعيّ؛ لتحقيق موقع لغويّ في الحياة الفكريّة للقاسم المشترك الذي لا يكون إلاّ بالتّوافقات اللغويّة التي يخلقها المختصّون والبحثة وأهل الاجتماع الذين ينتجون الأفكار لمن يصنع القرار، في إطار الحسم في معركة المفاهيم اللغويّة؛ باعتماد المرجعيّة المشتركة.

عبد الله شريّط وخطّاب التّنوير:

يعدّ من مؤسّسي خطّاب التّنوير المعاصر في الجزائر، هذا الخطّاب الذي تأسّست جذوره مع جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، ويكون الإعلاميّ (شريّط) الذي تكوّن في الثّورة الجزائريّة بما له من ثقل وطنيّ وإقليميّ ودوليّ المقام الذي يخوض عبره المعارك الفكريّة التي توصله إلى النّتائج، في نقاشات: اللغة العربيّة والتّاريخ والهُويّة والثّقافة والإيديولوجيّة. ومن خلال أفكاره كانت له طروحات معقولة، ونال بها التّجريح، كما نال العديد من التّكريمات والأوسمة التي تمجّده. ويعدّ (شريّط) من كبار المفكّرين المُعاصرين الفلسفيين، ومن رُواد الفكر النّهضويّ؛ حيث تميّز بفكره الشّامل، وبنضاله المستمرّ، فنجد له الحضور في الفلسفة العربيّة المعاصرة، بمنهجيّة خلدونيّة، وبزاده المعرفيّ الجامع بين المنقول والمعقول، فبرع في التّنظير بلا لفظيات سطحيّة؛ حيث أضاف جملة مفاهيم من مثل: بنيّة المجتمع، أخلاقيات الدّولة، ازدهار الثّقافة والتّثاقف، العلاقة بين التّطوّر الاجتماعيّ والسّياسيّ، وأخلاقيات السّياسة والسّاسة. وهو المثقّف الشّامل الذي يوظّف جملة من المعارف والمقاربات المنهجيّة للتّعمّق في القضايا التي تشغل النّخبة الفكريّة والسّياسيّة. وعهدي بأفكاره التي تميّز بها في خوض المعارك الفكريّة التي شغلت النّخبة الوطنيّة، وما تزال تثير الجدل إلى اليوم: قضايا الإيديولوجيّة، واللغة العربيّة، والأصالة والحداثة، وصيرورة المجتمع الجزائريّ، ووضع الأمّة العربيّة والإسلاميّة، والأسباب الرّاهنة والتّاريخيّة للعجز والاستلاب عن طريق التّقوقع في الماضي أو الاندماج الاستهلاكيّ في حداثة الغرب. وهذا ما تجسّده سلسلة منتوجه الفكريّ:

- شخصيات أدبيّة، نُشر بتونس سنة 1958.
- الجزائر في مرآة التّاريخ 1965.
- الفكر الأخلاقيّ عند خلدون 1975.
- حوار إيديولوجيّ حول المسألة الصّحراويّة والقضيّة الفلسطينيّة 1982.

- مع الفكر السّياسيّ الحديث والمجهود الإيديولوجيّ في الجزائر 1986.
- المشكلة الإيديولوجيّة في الجزائر وقضايا التّنميّة 1981.
- تاريخ الثّقافة في المشرق والمغرب 1983.
- معركة المفاهيم 1981.
- المنابع الفلسفيّة في الفكر الاشتراكيّ 1976.
- من واقع الثّقافة الجزائريّة 1981.
- نظريّة حول سياسة التّعليم والتّعريب.
- نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون 1984.
- حوار إيديولوجيّ مع عبد الله العروي.
- أخلاقيات غربيّة في الجزائر.
- الثّورة الجزائريّة في الصّحافة الدّوليّة (18 جزءاً).

ـ توفّي (عبد الله شريّط) يوم الجمعة 9 يوليو 2010 عن عمر ناهز الـ 89 عاماً، توفّي وفي نفسه الكثير من الوطنيّة، وترك خريطة طريق تمتدّ إلى شخصيات عمالقة أنتجتهم الحركات الوطنيّة ويترك لنا ضرورة التّنادي إلى التّسابق في الطّموح والتّفتّح على العصر، والعمل بالحجّة والمنطق ويوصي علمياً على مواصلة النّهج الذي سار عليه الفطاحلة الوطنيّون الذين سبقوا من التّيار الوطنيّ؛ في الاهتمام ببناء الدّولة الوطنيّة الحديثة، والعمل على تحقيق رسالة الشّهداء في تجسيد العدالة، وعدم الخروج عن التّيار الوطنيّ الذي خطّه بيان نوفمبر.

صالح بلعيد

عبد الله بن كريو
(1288هـ - 1871م/1339هـ - 1921م)

الشّاعر عبد الله بن كريو هو عبد الله بن محمّد بن الطّاهر بن النّوي، واسمه الحقيقي عبد الله التّخي الأغواطي وأمه أم النّون بنت أحمد بن نعيمة ينتمي والده إلى عائلة عريقة بالأغواط تعرف بأوّلاد التّخي. ولد عبد الله بن كريو عام 1871 مدينة بالأغواط وتوفّي فيها عام 1921 . وكان الشّاعر معروف بمواقفه الشّجاعة ضد الاستعمّار الفرنسي، ورفض أن يكون شاعر بلاط. كما رفض أن ينظم شعرا يمجد فيه فرنسا إبان الحرب العالميّة الأوّلى، وقد أنكر على صديقه ابن بيطار لما قامت السّلطات الفرنسيّة بالجزائر يجعل مكافأة ماليّة قدرها 500 فرنك من الذهب لمن يقوم بتمجيد الجيوش الفرنسيّة في حربها ضد الألمان، وقد قام بهذا الدّور على ما يبدو صديقه بن بيطار وكان عبد الله بن كريو آنذاك مواقفه واضحة ضد الاستعمّار وجبروته، فأنكر على صديقه ذلك العمل غير المشرّف . توفّي الشّاعر في سنة 1921 عن عمر يناهز 50 سنة تاركا من وراءه إنتاجا أدبيا ثمينا يفوق 30 قصيدة رائعة في الشّعر الشّعبي أغلبها في الغزل، وتصوير معاناته طيلة هذا العمر من الزّمن إلّا إنّه لم يبق منها إلّا القليل.

ترعرع بن كريو في بيئة محافظة وقد حفظ القرآن وتتلمذ على شيوخ عدّة منهم والده محمّد بن الطّاهر ومحمّد بن العربي والشّيخ بن الدّين وسي البشير بن الحاج والطّاهر القسنطيني. ويجمع معظم المؤرّخين والدّارسين للحركة الثّقافيّة خلال الحقبة الاستعمّاريّة على أنّ معظم الشّعراء الشّعبيّين كانت لديهم ثقافة محدودة نسبيّا وأنّ بعض الرّواة كانوا يحفظون ويكتبون لهم أشعارهم خاصّة بعد وفاتهم. غير أنّ الشّاعر ابن كريو حافظا للقرآن منذ صغره، إضافة إلى تمكّنه من علوم اللغة العربيّة، وكان مولعا بالثّقافة بشكل عامّ. كما تأثّر بن كريو بالشّعراء العرب وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة كما تلقّى الشّاعر علوم الفلك على يدّ القاضي ابن الدّين بن سيدي الحاج عيسى ودروسا أخرى على يد العالم الأغواطي محمّد العربي، كما درس بن كريو اللغة الفرنسيّة أيضا وأتقنها ليشتغل قاضيا بعد نيله شهادة الكفاءة للوظيفة وهي المهنة التي مارسها والده لمدة 35 سنة بمدينة الأغواط.

عبد الله بن كريو وإنتاجه الشّعري الغزير:

يحوي ديوان عبد الله بن كريو على 24 قصيدة عموديّة ذات الشّطرين ومزدوجة القافيّة، وقصيدتين تعرف في الشّعبي بالمجاديل، بالإضافة إلى 03 قصائد لم يجزم بعد الباحثون في نسبتها إلى الشّاعر بن كريو. لقد انجز الأستاذ مصطفى حركات دراسة إحصائيّة قيمة على نتاج بعض الشّعراء ومختلف الأوزان التي استخدموها ونظموا عليها أشعارهم، ومن ضمن هؤلاء شاعرنا عبد الله بن كريو، ونسب الأوزان التي استعملها في أشعاره، هناك دراسة أكاديميّة أخرى، للباحث عبد الرّزاق بعلي عام 2018، الأثر الوزني في دلالة شعر عبد الله بن كريو،

قصيدة "قمر الليل" أنموذجا - الدّراسة منشورة في مجلّة حوليات الآداب واللغات، المجلّة علميّة أكاديميّة محكمة، جامعة محمّد بوضياف. المسيلة، الجزائر. وأيضا الدّراسة التي نشرها الباحث قيطون أحمد بعنوان: صورة الغزل في الشّعر الجزائري: عبد الله بن كريو والمختار بن صديق عينة، في مجلّة الذاكرة عام 2012، التي تصدرها جامعة قاصدي برباح، بورقلة.

عبد الله بن كريو الطّرب الجزائري:

يعتبر عبد الله بن كريو أحد فحول الشّعر الشّعبي بمنطقة الأغواط وقد ترك العديد من القصائد جلها في شعر الغزل ولحنت كلمات بعض هذه القصائد وغناها عدد من فناني الطّرب البدوي وعمالقته في الجزائر ومنهم الحاج محمّد العنقة، خليفي أحمد ورابح درياسة. ويظل الشّاعر بن كريو وجها مشرقا من التّاريخ الثّقافي للجزائر والواجب تقديمه للأجيال الصّاعدّة والتّنقيب في تراثه الذي لا ينضب.

عبد الله بن كريو والمقاومة الشّعبيّة:

عايش الشّاعر الثّورة الشّعبيّة بقيادة النّاصر بن شهرة والتي دامت حوالي ربع قرن (1852 - 1875)، وسجل بن كريو هذا التّاريخ وكان يصف مدينته صاحبة السّبعة أبواب، ويصف وحشيّة المحتل: يغدي لحمو بين الأظفار والأنياب- من يطعن هاذ الوحوش المؤذيّة.

عبد الله بن كريو شاعر الحب:

عرف أيضا أن الشّاعر بن كريو، كان شاعر الحب والمرأة وشاعر اللهو والمجون، وإنّه أيضا شاعر حكيم حتى عند حديثه عن الحب والمرأة. والكثير من القصائد التي نظمها تظهر بصورة جليّة ورمزيّة تعلقه بالفيلسوف اليوناني الكبير أفلاطون وبالتّالي فإن بن كريو راح يتحدث بإيحاء عن تلك الحكمة التي أنشدها افلاطون وعن الحكم المثالي الذي ظل افلاطون يسعى ليطبقه الحكام على المحكومين ولذلك قال بن كريو: دبرها من شاو عُمرو حتى شاب- من عهد افلاطون كانت محفيّة.

كريم ولد النّبيّة

المصادر:

- فعاليات عكاظيّة الشّاعر "التّخي عبد الله بن كريو"، المنظمة دوريا كل سنة بدار الثّقافة بمدينة الأغواط التي تحمل اسمه . الدّراسة منشورة نقلا عن وكالة الأنباء الجزائريّة (و.أ.ج) بتاريخ 28 نوفمبر 2010، والنّسخة محفوظة أيضا بموقع واي/ باك مشين منذ 13 نوفمبر 2012.

عبد الله محمّد بن الآبار القضاعي البلنسي (595هـ - 1198م/658هـ - 1260م)

عبد الله محمّد بن الآبار القضاعي البلنسي ولد سنة 595-658 هـ/ 1198-1260م بلنسية في بيت علم وأدب، كان والده من علماء بلنسية، وذوي بيوتاتها الأكارم، كما يذكر ذلك المؤرّخون. وقد نشأ ابن الأبار محبا للعلم طالبا له في مدن الأندلس ليشفي غليله من التّحصيل حتى وصل عدد مشايخه إلى المائتين، يأتي على رأسهم (أبو الرّبيع سليمان الكُلاعي)، الذي خصه بأحسن قصائد الرّثاء، والثّناء عليه لأنه كان مثاله الذي يحتذى، فهو العالم المجاهد الذي نافح عن الإسلام والمسلمين بالكلمة والسّيف إلى أن سقط شهيدا وهو يذوذ عن حياض الوطن والدّين، في معركة -أنيشة- بالقرب من بلنسية سنة 634 هـ. فرثاه تلميذه ابن الأبار بقصيدة:

كانت وفاة ابن الآبار في يوم الثّلاثاء 20 محرم 658هـ/ 1260م بتونس بعد محنة، مات قتيلا وأحرقت كتبه معه ولم يسلم منها إلا الكتب التي كتبها في بجاية.

عند استعراضنا لكتبه المطبوعة، ولمن تحدث عنه من معاصريه مثل: الغبريني صاحب عنوان الدراية وابن عميرة المخزومي وغيرهما يقول عنه الغبريني: "لا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا وله فيه رواية إما بعموم أو بخصوص".

فهو شاعر وأديب ومؤرخ وفقيه وعالم كبير، وكان ميله إلى كتابه التّراجم والتّاريخ لعلماء عصره، وكان كاتبا للعلامة عند المستنصر الحفصي، مقدما على نظرائه من الكتاب والفقهاء والأدباء. وما قاله في وصف الحنايا التي جلب المستنصر الماء فيها من جبل زغوان إلى قصر أبي فهر بالقصبة قوله: "الحمد لله حمدا لا تقلّله، هذا الزّمان الذي كنا نؤمله "بلدة طيبة ورب غفور" ودولة مباركة لمحاسنها سفور إلى أبي حفص ألوا، فهل جالت النّجوم حيث جالوا، أو نالت الملوك بعض ما نالوا.."

فهو باختصار من الأقلام التي عز مثيلها في عصره بلاغة وبيانا ودقة وصدقا فيما كتب وحقق.

عصر بن الآبار هو عصره بداية الدّولة الحفصيّة، عاش في بجاية مكرما، متفرغا للعلم والتّعليم ثم انتقل إلى تونس عاصمة الحفصيين، لأنه كان محبا للعمل السّياسي وخدمة الملوك، غير أنه جنى على نفسه لمصاحبة الحكام فكانت نهايته المأساويّة على

يـدّ المسـتنصر الـذي خدمـه الشّـاعر بصـدق ووفـاء.

ولكـن سـعي السّـاعين وحسـد الحاسـدين - لابـن الآبـار - كان أكبـر مـن وفائـه ودهائـه. فقتـل مظلومـا، وأحرقـت كتبـه معـه، بفريـة لـم يفتريهـا.... وديـوان شـعره يشـهد لـه أنـه مـا كان شـاعرا هجـاء حتـى يهجـو الخليفـة المسـتنصر؟

قـال ابـن الأبـار ردا علـى ابـن شـلبون الـذي هجـاه:

قُلْ لابن شَلبونَ فقال تنزهٍ
غَيْري يجاريك الهجاء فجار (ابن الأبار)
إنا اقتسمنا خطتينا بيننا
فحملت برة واحتملت فجار (النّابغة الذبياني)

ينقـل لنـا ابـن الآبـار أخبـاره وأخبـار والـده، الـذي أخـذ عنـه العلـم والرّوايـة وحفـظ القـرآن الكريـم، وقـد ورث عـن والـده مكتبـة عامـرة أمـا شـيوخه فهـم كثـر سـنوجز الحديـث عنهـم فـي كل فـرع مـن فـروع معـارف عصـره، وهـم:

- أبـو عبـد اللـه السّرقوسـطي 530-608هـ / 135-1212م أخـذ عـن الفقـه والحديـث؛
- أبـو الخطـاب بـن واجـب القيسـي 537-614هـ/ 1142-1217م؛
- وأخـذ عـن الشّـيخ الفقيـه العالـم الـذي ترجـم لـه ابـن الآبـار فـي كتابـه التكملـة أبـو محمّـد ابـن مطـروح القيسـي.
- أمـا اكبـر شـيوخه أثـرا فـي حياتـه، فهـو العالـم الجليـل الشّـهيد:
- أبـو الرّبيـع سـليمان الكلاعـي 565-624هـ/ 1169-1227م وهـو الـذي حضـه علـى اتمـام كتـاب التكملـة لإبـن بشـكوال. وأبـو الرّبيـع سـليمان الكلاعـي. هـو آخـر البلغـاء المترسـلين بالأندلـس مـات شـهيدا فـي معركـة أنيشـة 634 هـ. .

اهتـم ابـن الأبـار بطلبتـه المتفوقيـن وخاصـة فـي بجايـة التـي انبـرى فيهـا للتّدريـس والتّأليـف وهـم كثـر نذكـر بعضـا منهـم:

- أبـو الحسـن عيسـى ابـن ديسـم 615 686- هـ؛
- أبـو عبـد اللـه الكنانـي الشّـاطبي 614- 699 هـ؛
- أبو إسحاق ابراهيم التجاني.

يقـال إن لـه أكثـر مـن خمسـة وأربعيـن كتابـا، ضـاع أغلبهـا أمـا المطبـوع مـن كتبه فهـي:

- ديـوان ابـن الآبـار تحقيـق: عبـد السّـلام الهـراس؛
- إعتاب الكتاب تحقيق: صالح الأشتر؛
- الحلـة السّـيراء جـزآن تحقيـق: حسـين مؤنـس؛
- معجم أصحاب أبي علي الصدفي؛
- تحفة القادم؛
- التكملة لكتاب الصلة لابن شكوال.

كان تأثيـره واضحـا، يشـهد لـه بـه أقرانـه مـن المغـرب والمشـرق فـي العصر الحديـث ومـن أوائـل المهتميـن بدراسـة آثـاره المستشـرق (دوزي) وتبعـه كثيـر مـن الدارسـين المعاصريـن ولـم يحـظ كاتـب أندلسـي كبيـر بمثـل مـا حظـي بـه ابـن الآبـار.

أمـا فـي بجايـة فكانـت أيامـه الزّاهـرة التـي تفـرغ فيهـا للتّدريـس والتّأليـف، هـذه الفتـرة هـي التـي حافظـت علـى بعـض آثـار ابـن الآبـار ولـم يسـلم مـن كتبـه إلا مـا بقـي فـي بجايـة. وتأثيـر ابـن الآبـار فـي الحيـاة الثّقافيّـة والسّياسـيّة فـي عصـره لا تخفـى علـى أحـد، ويكفيـه فخـرا أنـه أعيد لـه الاعتبـار بدراسـة آثـاره القيمـة التـي حفظـت لنـا ذاكـرة الأمـة فـي الأندلـس والمغـرب العربـي فـي عهـد الحفصييـن.

يقـول عنـه حسـين مؤنـس فـي مقدمـة كتـاب (الحلـة السّـيراء): "فهـؤلاء تسـعة عشـر رجلا مـن أهـل العلـم مـن المحدثين فـي الشّـرق والغـرب، عرفـوا قـدر ابـن الأبـار وقامـوا علـى خدمـة نصوصـه وصرفـوا مـن الجهـد مـا تيسـر لهـم فـي التّعريـف بـه وبأعمالـه وخصائصـه وميزاتـه، وكلهـم أجمعـوا علـى مـا قـرره المستشـرق (دوزي) مـن أنـه يعتبـر بحـق مـن أكبـر علمـاء الأندلـس وأولاهـم بالثّقة والتّقديـر".

ولئـن كان ابـن الأبـار قـد ظلـم فـي عصـره فقـد أنصفـه الدّارسـون وأعيـدت لـه مكانتـه التـي يسـتحقها.

قـد كان ابـن الآبـار ينافـح عـن الوطـن والدّيـن والعلـم فـي كل كتاباتـه وأشـعاره مـن ذلـك يصـور أحزانـه وآلامـه عنـد سـقوط بلنسـية وحنينـه الجـارف إلـى الوطـن الأم قائـلا:

وَطِّنْ علَى الدَّائِبَيْنِ الدَّمْعِ والشّجَنِ
يَا نادِبَ الدَّاهِبَيْنِ الأَهْلِ والوَطَنِ
واسْكُنْ إِلَى الصَّبْرِ في إِلْمَامِها نُوَبا
أَوْدَتْ عَلَى عَقِبِ المَسْكُونِ بِالسّكَنِ
هَذا فُؤادِيَ كَالبَرْقِ الخَفُوقِ أَسىً
وَهذِهِ دْمعِي كَالعَارِضِ الهَتِنِ
بِرَاحَتِي رَايَةُ الأَشْجانِ أَحْمِلُها
وَإِنْ غَدَا الجِسْمُ وَهْناً لَيْسَ يَحْمِلُنِي
أَتِيحَ للرُّومِ مَا وفَّى مَرامِيَهُمْ
فِيها وَبُؤْنَا بِطُولِ الغَبْنِ والغَبَنِ

من قصائده الشّـهيرة سـينيته التـي مدح بها (أبو زكرياء الحفصي) مسـتنجدا ومستصرخا لإنقاد بلنسـية قوله:

ادرلك بخيلك خيل الله أندلسا
إن السّبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النّصر ما التمست
فلم يزل منك عز النّصر ملتمسا

وقد اسـتجاب أبو زكريـا الحفصي لإنقاد بلنسـية، بتجهيـزه أسـطولا بحريـا ولكـن الحصـار كان محكمـا عليهـا فلـم تسـتطع هـذه الحملة إنقاد بلنسـية التي سـقطت سـنة 636هـ.

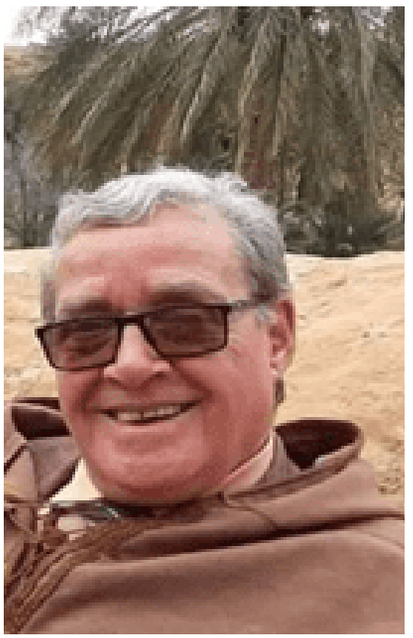
سعيد بحري

المصادر
الحلة السيراء تحقيق حسين مؤنس ج2ج1 ص 15
ديوان بن الآبار ت عبد السلام الهراس ص 9
عنوان الدراية للغبريني ص 257
أزهار الرياض المقري ج3 ص 211

عبد المالك سوهالي
(1369ه - 1950م/1442ه - 2020م)

الأستاذ عبد المالك سوهالي المربي والناشط الجمعوي والإجتماعي والباحث التاريخي ولد في الثالث من شهر نوفمبر سنة 1950 بقريّة الرحاوات، بلديّة حيدوسة، دائرة مروانة، أبوه محمد بن السعيد بن احمد بن ابراهيم بن سي علي بن القاضي من قبيلة آيث غبري من منطقة عزازقة بتيزي وزو حاليا وهم المعروفون عبر التاريخ باصحاب امارة كوكو. اما امه فهي السيدة بوطالب عائشة بنت مسعود، شب وترعرع بقلعة الصور الشامخة في مرتفعات الجبال وسط اسرة كبيرة العدد، اخوه الاكبر المجاهد والشاعر رحمه الله سي ادريس ، كان للوسط العائلي والأسري العريق في العلم ابا عن جد والمكانة الاجتماعيّة دور كبير في نبوغه ودراسته وحفظه للقرآن الكريم بالمدرسة القرآنيّة لآل معاش بقريّة الرحاوات على يد والده الشيخ سي محمد بن السعيد بن احمد بن القاضي وبعض شيوخ القريّة، ومن هنا تشكل لدى الفقيد وعي وطني مبكر منذ نعومة أظافره بعد ان رأى بأم عينيه الممارسات الدنيئة للاستعمار الفرنسي من إفقار وتهجير واستيلاء على الأراضي والخيرات واذلال وامتهان لكرامة أهله وأبناء قريته والقرى المجاورة، واختزنت ذاكرته وعمره لا يتجاوز سن التاسعة الجريمة ضد الإنسانيّة التي ارتكبتها قوات الاستعمار الفرنسي في حق العزل من أبناء قريّة الصور المجاهدة حيث استعملت الطائرات لرمي القنابل الحارقة والمدمرة سقط إثرها 128 شهيدا منهم 05 من عائلته وتدمير مساكن القريّة كليّة بقيت الى الآن حجارتها المترامية في كل مكان ماثلة للعيان.

بعد إنهاء الدراسة في المرحلة الابتدائيّة بمروانة التحق بمعهد التعليم الأصلي بباتنة سنة 1967 وتحصل على



شهادة الأهليّة للتعليم الأصلي في 10 مارس 1970. وقبل ذلك ونظرا لنشاطه وتفوقه الدراسي تم اختياره ليكون عضوا في بعثة الوزارة الى المغرب الشقيق في اطار التبادل الثقافي والعلمي بين البلدين وذلك في سنة 1969 ودامت اقامته هناك لمدة ثلاثة أشهر.

انظم لأسرة التربيّة والتعليم ابتداء من سنة 1972 وتتلمذ على يده مئات إن لم تكن الآلاف من التلاميذ في المرحلة الابتدائيّة بعدة مدارس بدءا بعين الخضراء الى واد الماء ثم مروانة ففسديس ثم بمدينة باتنة، وقد شغل بالموازاة مع مهنة التعليم بتكليف من مديريّة التربيّة عدة مهام منها: مكلف بتأطير الأيام التربويّة والتربصات الخاصة بالتربيّة الموسيقيّة سنة 1982، مكلف بالعلاقات مع النقابات والجمعيات والاتّصال والإعلام بمديريّة التربيّة

* التحق بإدارة مديريّة التربيّة ليتم تعيينه في 07 جوان 2005 بصفته رئيس مكتب التنشيط الثقافي والرياضي بمصلحة التنظيم التربوي بمديريّة التربيّة لولايّة باتنة وظل يقدم بهذه الصفة كل ما لديه من جهد عبر كل المؤسسات التربويّة بالولايّة بالتنسيق مع باقي الهيئات الى غايّة تقاعده. ومن أهم انجازاته في هذا المجال: التأسيس لتظاهرة الملتقى الوطني للنوادي التاريخيّة بالمؤسسات التربويّة، إنشاء أزيد من 300 نادي بيئي عبر كل المدارس الابتدائيّة بالولايّة، تنشيط الرياضة المدرسيّة والمساهمة في بروز ابطال في كل الاختصاصات وتتويجات في التظاهرات الولائيّة والوطنيّة، تأطير النشاطات الفنيّة والموسيقيّة عبر المؤسسات التعليميّة ولقاءات ما بين الثانويات الشهيرة آنذاك.

شب منذ نعومة أظافره على النشاط والحيويّة وكان لانتمائه لصفوف الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة دور كبير في ذلك والعمل المتواصل الذي دأب عليه طول انتمائه لقطاع التربيّة والتعليم واحتكاكه بالوسط الرياضي كلاعب موهوب في صفوف فريق امل مروانة العريق وفريق نادي المعلمين بباتنة والوسط الفني مع الفرق الموسيقيّة الذائعة الصيت في السبعينيات ونشاطه بلجنة الحفلات لمدينة باتنة، وحين تقاعده لم يثنيه اي شيء عن الاستمرار في البذل والعطاء بعزيمة اقوى منذ الأيام الأولى والاندماج الكلي في الحياة العامة ليقدم خبرته المتراكمة مع السنين للمجتمع فكان له بصمة في عدة مجالات منها: - إسهاماته في إطار جمعيّة أصدقاء الحظيرة الوطنيّة بلزمة التي يترأسها بالتنسيق مع إدارة الحظيرة والتي تتربع على مساحة 2650هكتارا وتشمل بلديات - جرمة- فسديس- سريانة- واد الماء- مروانة- قصر بلزمة- حيدوسة- وادي الشعبة- عين التوتة. وتضم 395 نوعا من الحيوانات المختلفة و510 نوع من النباتات

والأشجار أبرزها شجرة الأرز الأطلسي والتي كانت الشغل الشاغل للفقيد في حملاته للتوعيّة والتشجير والتكوين في الوسط التربوي ومع مختلف فعاليات المجتمع المدني وباقي المؤسسات . وظلت هذه الجمعيّة طرفا فاعلا بفضل شخصيته وتواصله مع جميع الفئات الى آخر أيام حياته. وساهم بقوة في حملات التوعيّة والتحسيس وعمليات الغرس والنظافة عبر البلديات التي تتربع عليها هذه الحظيرة. ونظم عدة جولات للتلاميذ والشباب للتعريف بها وكذا استقبال عدة وفود وزوار من مختلف الولايات أبرزها تنظيم تظاهرة زين ابلادي باستقبال وفد من مختلف ولايات الوطن وتنظيم جولات عبر ارجاء البلديات للتعريف بأهميتها البيئيّة وكنوزها التراثيّة والتاريخيّة. - - جهوده المعتبرة مع محافظة الغابات لولايّة باتنة من خلال تنظيم حملات للتشجير في الغابات المحيطة بمدينة باتنة وداخل أحياء المدينة وشوارعها وعبر كل الولايّة والتحسيس والتوعيّة بأهميّة الغابة في مختلف اللقاءات مع المواطنين وداخل الوسط التربوي وحمايّة الثروة الغابيّة من خلال الأعمال الوقائيّة والمشاركة في التجنيد اثناء وقوع الحرائق اضافة الى حمايّة الثروة الحيوانيّة ومحاربة الصيد العشوائي مع المحافظة والجمعيات المعتمدة الى جانب المساهمة في حمايّة المناطق الرطبة والطيور المهاجرة والمشاركة في احياء يومها العالمي مع اشراك المنظومة التربويّة في ذلك ، نشاطه في اطار حمايّة البيئة بولايّة باتنة يرجع الفضل للفقيد بمجهوده المتواصل والتفاف كل الأسرة التربويّة في انشاء نوادي بيئيّة في اغلب المدارس بالولايّة لغرس ثقافة حمايّة البيئة والحفاظ عليها وحمايّة المناطق الرطبة ومكافحة التصحر والجفاف والمساهمة بفعاليّة في حملات النظافة داخل الغابات ومختلف احياء المدينة والبلديات مع تلاميذ المؤسسات التعليميّة والجمعيات.

خصص الأستاذ عبد المالك سوهالي رحمه الله كل اوقاته لتوثيق حياة كثير من الشهداء والمجاهدين والمحطات والأحداث التاريخيّة نذكر منها على سبيل المثال: هجومات ليلة اول نوفمبر 1954 ذكرى استشهاد مفجر الثورة القائد مصطفى بن بولعيد- ذكرى استشهاد العقيدين لعموري وانواورة- ذكرى استشهاد البطل علي النمر- ذكرى استشهاد البطل حسوني رمضان- ذكرى استشهاد الابطال- عزيل عبد القادر- بن بعطوش-معجوج- حيحي المكي- قرين بلقاسم- شعبان عبد الحميد- ذكرى وفاة المجاهدين الحاج لخضر ومسعود عبيد واحمد قادة- عاجل عجول- مجزرة قريّة الصور- مجزرة سرى الحمام معركة فوغالة- ذكرى وفاة الرئيس الراحل هواري بومدين واستشهاد الرئيس الراحل محمد بوضياف.... من خلال تنشيط الندوات والأيام الدراسيّة والمعارض واللقاءات عبر كل بلديات الولايّة وخارجها والتغطيّة الصحفيّة والإذاعيّة والتلفزيونيّة لكل ما يتعلق بالثورة التحريريّة.

ساهم الفقيد في كل الأنشطة الثقافيّة وترك بصمته بكل جدارة مع مديريّة الثقافة ودار الثقافة والمكتبة الرئيسيّة للمطالعة العموميّة والمكتبات البلديّة التابعة لها والمسرح الجهوي وبلديات الولايّة والجمعيات الثقافيّة على غرار جمعيّة شروق ومكتبة الاحسان الخاصة، وضمن جمعيّة التواصل من اجل الأصالة والمعاصرة

انتقل الاستاذ عبد المالك سوهالي الى جوار ربه في 25 جوان 2020.

طارق ثابت

المصادر:

- كتاب خاص بتأبينيّة الأستاذ عبد المالك سوهالي نشر دار الهادي، اعداد كمال محجوب، باتنة2020.

عبد المالك قيطوني
(1333هـ - 1915م/1377هـ - 1957م)

عبد المالك بن علي قيطوني شهيد من شهداء الثّورة الجزائرية المظفرة، ولد في 05 ماي سنة 1915 ببلدة الگرارم التي لا تبعد عن مدينة قسنطينة إلا بحوالي (50 كلم)، التابعة اليوم إلى ولاية ميلة، وهو ابن علي وفاطمة بوجنيب.

جمع بين مبادئ علوم العربية ومبادئ العلوم التطبيقية الفرنسية، نهل من معارف ابن باديس القوية وحاز على شهادات فرنسية، كان صامتا قليل الكلام ولكنه لم يكن يكتفي بالعمل اليسير، فجمع بين قلة الكلام وكثرة العمل، كان مجندا في صفوف الجيش الفرنسي، ولكنه كان مناضلا وطنيا في حزب الشّعب الجزائري، كان خياطا عاما ولكنه تخصص بعد ذلك في خياطة ملابس جيش التحرير الوطني، وكان قد عمل لفترة قصيرة كحلاق، ثم قرر أن يتعلم التفصيل والخياطة وحصل على ديبلوم في الخياطة الرّجالية الرّفيعة من فرع معهد "Durroux" الباريسي في الجزائر يوم السّادس عشر من شهر كانون الثّاني- جانفي سنة 1949م، وأصبح يعمل خياطا بنهج كومب Compes (الجزارين)

بقسنطينة تقاسمه مع شريكه وصديقه عبد الوهاب عيساوي المدعو مصطفى، ثم فتح محلا آخر لاحقا بسكيكدة، كان مجاهدا عنيدا ولكنه كان كريم الأخلاق حميد الصفات، تعلم القرآن الكريم على يد والده، ثم تعلم العربية والفرنسية بمتابعة الدروس الليلية، وإلى جانب ذلك كان يحضر دروس العلماء التي كانت تلقى في مساجد ومدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقسنطينة عامة ودروس الإمام "عبد الحميد بن باديس" في الجامع الأخضر بصورة خاصة.

بعد زواجه بسنوات أدى الخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف الجيش الفرنسي خلال الثّلاثينات، وكان في هذا التجنيد خيرا كبيرا له، فقد كان سببا في إكسابه الوعي الوطني والنّضالي، حيث التقى في ثكنة بمنطقة الالزّاس ولورين، على الحدود بين فرنسا وألمانيا، بالرّئيس الأسبق أحمد بن بلة وعدد من مهندسي ثورة نوفمبر لاحقا، وأثمرت اجتماعات هؤلاء الشّباب ومناقاشاتهم الليلية السّرية، استنادا إلى شهادة أحد المجندين آنذاك وهو المجاهد دعاس يحيوش، عن وعي سياسي وتحليل عميق لوضعية وطنهم المستعمر وإقحامهم في حرب يخوضها عدوهم، فعاد عبد المالك وقد امتلأ قلبه حبا للوطن ونقمة على المستعمر، كما امتلأ عقله برؤية واضحة للداء الوطني وطريقة الشّفاء منه، فتغيرت نظرته إلى كثير من الأمور التي لم يكن يدركها بشكل كاف.

ثم استدعي ضمن الجيش الاحتياطي إبّان الحرب الكونية الثّانية وكان قد عاد إلى الوطن ليجند في ثكنة القصبة، وحينما اندلعت مظاهرات الثّامن من ماي 1945 خرج هو و"عمار بن العابد" 1945 من الثّكنة العسكرية بالقصبة في قسنطينة، وانضما للمظاهرات الشّعبية وذكر "عمار بن العابد" نفسه للسيد "عبد الوهاب العيساوي" أن عبد المالك قيطوني كان يرتدي البزة العسكرية ويحمل العلم الوطني أثناء تلك المظاهرات، وبعد تفريق المتظاهرين من قبل البوليس الفرنسي لجأ قيطوني وابن العابد إلى حي السّويقة وأخفيا العلم هناك في أحد المخابئ ثم عادا إلى الثّكنة محملين بنشوة مشاركة الشّعب نضاله وعازمين على خوض غمار هذا النّضال حتى آخر رمق.

بعد خروجه من الجيش الفرنسي عقب الحرب، انخرط في صفوف حزب الشّعب الجزائري، واختير عضوا بين المجندين في صفوف المنظمة العسكرية السّرية (L.O.S) التابعة لحزب الشّعب الجزائري سنة 1947، ومناضلا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، توقف عن العمل السّري بعد اكتشاف المنظمة الخاصة في شهر مارس سنة 1950.

كان من الثّلاثة الذّين أرسلوا إلى الجزائر العاصمة لإعادة الاتصال بين مسؤولي حركة الانتصار في مدينة الجزائر ومسؤوليها في الشّرق الجزائري، بعد انقطاعها عقب اكتشاف المنظمة السّرية، وهم: عبد المالك قيطوني، ورشيد كرواز، والصالح بولخراشف، وعادوا إلى قسنطينة بحقيبة من الوثائق والتعليمات، كاد أن يكتشف أمرها من قبل المخابرات الاستعمارية لولا عناية الله، وبذلك أعيدت العلاقات مرة أخرى بين فروع الحزب في الشّرق والوسط والغرب، ووزعت المنشورات في الشّرق، مما جعل السّلطات الاستعمارية تتأكد مرة أخرى من أن أعمالها القمعية لم ولن تستطيع إخماد بركان ثائر غضوب في هذه البلاد، وخلال هذه الفترة 1950 خرج عبد المالك قيطوني لأول مرة إلى جبال الأوراس، حيث بقي هناك ثلاثة أشهر بهدف الاتصال برفاقه المناضلين، وبعد اندلاع شرارة ثورة أول نوفمبر سنة 1954، قرر هذا المناضل الشّهيد الالتحاق بجيش التحرير الوطني في يوم الثّاني والعشرين من تشرين الثّاني- نوفمبر 1955، وبواسطة أخيه "عمر" اتصل بالأخ شريف قراص، الذّي اتصل هو الآخر بالأخ حناش بوجمعة، تمت عملية التهريب على يد هذا الأخير، وكذلك الشّاب عبد السّلام الدقسي (شهيد)، الذّي كان من الرّعيل الأول واستشهد هو الآخر في ساحة الشّرف.

كان عضوا في خلية الثّورة بمدينة قسنطينة، التي تكونت في أوائل سنة 1955 تحت إشراف المجاهد الشّهيد الشّاب مصطفى عواطي، تحت لواء جبهة التحرير الوطني، كانت مهمة قيطوني هي مسؤولية المال والاتصال بالأطباء والصيادلة والمحامين في الخلية، وقد قامت هذه الأخيرة بأعمال جبارة خلال هذه المرحلة من الثّورة، حيث زودت المجاهدين بكل ما يحتاجون إليه من لباس عسكري بما هو جاهز وقديم، وما هو مصنوع محليا، وكان بيت قيطوني من البيوت التي ساهمت بقسط معتبر في خياطة هذه البزات العسكرية.

لقد تميز هذا المجاهد بأخلاق كريمة وصفات حميدة وإيمان قوي بالقضية الوطنية منذ انضمامه لصفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، حتى استشهاده يوم السّابع عشرة من تشرين الأول- أكتوبر سنة 1957 بمنطقة "المنية" ضواحي مدينة قسنطينة، عن عمر يناهز الثّانية والأربعين، ترك زوجة وبنتين وولدين أكبرهم "كلثوم"، التي دعّمت مشروعنا هذا بوثائق ثمينة عن بعض الشّهداء في قسنطينة.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

عبد المجيد حبّة
(1329هـ - 1911م/1412هـ - 1992م)

الفقيه والشّاعر عبد المجيد بن محمّد بن علي بن محمّد الملقب بحبة السّلمي، نسبة إلى قبيلة بني سليم العربيّة التي هاجر بعض أفرادها من شبه الجزيرة العربيّة إلى شمال افريقيا، ولد صاحب التّرجمة بمدينة سيدي عقبة خلال سنة 1911م للإشارة فإنّ عائلته هاجرت من منطقة المغير إلى سيدي عقبة، بمسقط رأسه تربى ونشأ في أحضان عائلته المحافظة التي كانت تشتغل بمهنة الفلاحة الموسميّة وغراسة النّخيل وتتعاطى التّجارة.

أما حياته العلميّة والتّعليميّة فحسب المصادر التّاريخيّة أن تعليمه كان على الشّكل التّالي:

وكعادة أبناء البلدة في كل زمان، وكما ذكره هو في ترجمته إنّه لما بلغ عمره ثلاث سنوات التّحق بالكُتّاب حيث تعلم المبادئ الأوّليّة للعلوم العربيّة وقرأ القرآن الكريم، وبعد سنوات قضاها في الكُتّاب أكرمه الله تعالى بحفظ كتابه العزيز في سنّ مبكّرة، وأصبح من الحفظة المعروفين في البلدة ومن الذين يشار إليهم بالبنان.

بعد حفظه لكتاب الله تعالى، انتقل إلى طلب العلوم العربيّة والفقهيّة والشّرعيّة، وذلك من خلال حضوره لحلقات التّدريس التي كانت تقام في مسجد الفاتح العظيم عقبة بن نافع، حيث قبلة العلم والعلماء يأتون للتدريس فيه من كل حدب وصوب، وقد استغل الشّاب عبد المجيد هذه الفرصة والتّحق بحلقات التّدريس ومن أهم شيوخه نجد: الشّيخ الهاشمي بن مبارك (1882م 1967-م) عالم ولغوي معروف وإمام وخطيب بمسجد عقبة بن نافع درس عليه خاصّة علوم اللغة العربيّة وتفسير القرآن الكريم.

والشّيخ الطّيب العقبي درّس في سيدي عقبة ثم لما انتقل إلى مدينة بسكرة درّس في جامع بكّار، درس عليه التّفسير.

والشّيخ محمّد بن الصّالح بن منصور قرأ عليه بعض الكتب منها: تفسير الحاوي -كتاب قطر النّدى- مختصر خليل في الفقه المالكي.

والشّيخ البشير الإبراهيمي قرأ عليه شرح قطر النّدى في اللغة والألفيّة ورسالة البيان....

ومن شيوخه لخضر بن ساكر والطّاهر العبيدي.....

الشّيخ الصّادق بلهادي درس عليه في زاويّة منطقة خنقة سيدي ناجي بقي ملازما له إلى غايّة وفاته سنة 1939م، هذا عن شيوخه، وهناك شيوخ لم نذكرهم.

إلا أنّ شيخنا لم يكتف بما ذكرناه، بل واصل تعليمه من خلال الطّريقة العصاميّة، ومطالعته للكتب ومجالسته للدروس واحتكاكه بأهل العلم، حتى أصبح له زاد علميّ في مختلف العلوم والفنّون وذاع صيته في داخل منطقته وخارجها، وشهد له الكثير من العلماء والمشايخ بغزارة علمه إلى جانب أخلاقه وزهده وتقواه.

بعد مرحلة التّعليم والدّراسة جاءت مرحلة الإمامة والتّدريس، وهذه المرحلة امتدت مدة طول عمره حيث نذر حياته لخدمة القرآن الكريم تعليما وإمامة وخطّابة وتدريسا وإفتاء، وأهم المساجد التي تولى فيها التّدريس نجد: مسجد عقبة بن نافع وقد اشتهر فيه بدرس تفسير القرآن الكريم، هذه السّلسلة امتدت لسنوات من سنة 1940م إلى حدود سنة 1952م، حتى ختم فيها تفسير القرآن الكريم كاملا وعاشت البلدة عرسا واحتفالا بهذا الإنجاز التّاريخي، كما درس في العديد من مساجد المنطقة كزاويّة منطقة خنقة سيدي ناجي في حياة شيخه الصّادق بلهادي.

في حدود سنة 1952م انتقل شيخنا الفاضل إلى مدينة المغير بوادي ريغ، حيث نزل هناك رفقة عائلته وإلى جانب عمله اليومي واصل رسالته العلميّة من خلال إشرافه على الإمامة والخطّابة والتّدريس في المسجد العتيق للبلدة (مسجد بلال حاليا).

عند اندلاع الثّورة التّحريريّة المباركة، كان من الأوائل الذين انضموا إلى صفوفها وبحكم منصبه في المجتمع فقد انخرط في صفوف التّنظيم المرئيّ لجبهة التّحرير بالمنطقة حيث أبلى بلاء حسنا في هذا التّنظيم من خلال قيامه بعمليّة الدّعوة والتّحسيس وجمع الاشتراكات والتّبرعات الشّيء الذي عرضه للخطر والمتابعة وإحراق مكتبته المنزليّة سنة 1957م وفراره خارج البلدة.

بعد أن استعادت الجزائر استقلالها وعافيتها واصل رسالته التّعليميّة والدّينيّة من خلال الإمامة والخطّابة وذلك من خلال تقديمه للدروس والنّصح والإرشاد والإفتاء حتى أثنى عليه مفتي الجزائر في وقته العلّامة عبد الرّحمن الجيلاني عندما زار المغير ودشن مسجدها بدأ النّاس يسألونه، فقال قولته المشهورة: "لا يُفتى وعبد المجيد في لمغير".

قام بالعديد من الرّحلات داخل وخارج الوطن وكلها لم تخرج عن الإطار الدّينيّ كالحج والدّروس والمحاضرات، ترك العديد من الطّلبة والتّلاميذ، فهو بحق رجل موسوعيّ عالم وفقيه وأديب ومؤرّخ وشاعر ومفكّر الخ .

ترك المترجَم له العديد من المؤلّفات والمخطوطات منها المطبوع والمنشور، ونذكر بعض تلك المؤلّفات:

- عقبة بن نافع المظفر.
- قيد الأوابد من حياة خالدّ.
- تذكرة أوّلي الألباب بملخص حياة بسكرة والزّاب...
- ديوان شعريّ.

انتقل شيخنا الفاضل إلى جوار ربه بمقر سكناه بمدينة المغير يوم 21/ 09/ 1992م، وقبر بمقبرة مدينة المغير رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

التّيجاني العگون

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

عبد المجيد عبد الصّمد
(1349هـ - 1931م/1381هـ - 1962م)

ولـد الشّـهيد عبـد المجيـد عبـد الصّمـد بن علي المدعو سي علاوة يوم 31 أوت سنة 1931 بزاويّـة (عبـد الصّمد) بناحيّـة بوعريف، بلديّـة عيـون العصافيـر بلديّـة تازولـت ولايّة باتنـة، ولمـا بلـغ سـن التّلمـذ أدخلـه والـده الكتاتيـب القرآنيّـة ثم التحـق بالزاويّـة ليتعلم مـا تيسّـر من كتـاب اللـه العزيـز الحكيم على شـيوخها. علما بأن هذه الزاويّة قد لعبت دورا فعالا وايجابيا من حيث اسـتقبال الرّاغبين في العلم، كما قدمت يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجيـن وعابري السّـبيل، بالإضافة إلى الدور الايجابي الفعال في تربيّة النشء وغرس الـرّوح الوطنيّة وتعبئة الأجيـال للجهاد، وهذا ما تبيـن فعليا خلال ظهور تيار الحركة الوطنيّة بربـوع الأوراس، إذ نجد عـددًا معتبرا من أبناء هذه الزاويّة أو المنتسـبين إليها قد انخرطوا في صفـوف الحركة الوطنيّـة التي تعتبـر الأرضيّة الصّلبـة لتقبـل أفـكار التيـار الوطنـي الثـوري وتعبئة المنطقة للجهاد، وزاويّة الشّـيخ سيدي محمّـد المدعـو العايـب بـن عبداللـه تعتبـر مؤسسـة عبـادة دينيّـة وخيريّـة يعـود تاريخها الى القرن التاسـع عشـر (1832) تقع في (عين الشّـفاء) أو (عيـن الشّفاعـة) ببلديّـة عيـن العصافيـر التي تبعد بحوالي (10) كلم شـمال مدينـة باتنـة وبالتحديد فـي المكان المسـمى (جبـل بوعريـف) معقـل الثـورة التحريريّـة الجزائريّة (1954 – 1962) بدائرة تازولت.

نشـأ وترعـرع الشّـهيد عبـد المجيـد عبد الصّمـد فـي الزاويّـة فـي طفولتـه وشـبابه، ولمـا بلـغ العشـرين مـن عمـره التحـق بصفـوف الجنديّـة ضمـن القوات الفرنسـيّة كجنـدي عامل وبعـد انهزام فرنسـا في الهند الصّينيّة(فيتنـام) قـرر التخلي عـن العمل في الجنديّة والعودة إلـى وطنه، أثناء رجوعه مر بالحجـاز حيـث زار البقاع المقدسـة حاجا، ولهذا عـرف بعد عودتـه باسـم(الحاج عبد المجيـد عبـد الصّمـد)، عـاد إلـى الجزائـر سـنة 1955 والثـورة قد قطعت شـوطا معتبرا من مسـيرتها، ولـم يغـادر صفـوف الجنديّة إلا بعـد أن دعـم الثـورة ببندقيتين ومسـدس وبعـض الملابـس التي تمكن مـن الحصول عليهـا مـن الثكنـة التـي كان يقيم بهـا، وفي سـنة 1956 وبرغبة منه تخلت عنه المؤسسـة العسـكريّة الفرنسـيّة حيـث توجـه للحيـاة المدنيّـة، إلا أن الشّـهيد عبـد المجيـد عبـد الصّمد، ليس من ذلك النوع الذي ألف حياة الهـدوء والاسـتقرار وبـلاده تخـوض غمار حرب ضروس ضد الاسـتعمار، إذ سـرعان مـا التحق بجيش التحريـر الوطني وذلك في ربيـع 1956 بعد أن كلف بالقيام بعمليّة فدائيّة بقـرب المعـذر، التحق على إثرهـا بصفوف الثورة على يد المجاهد النويشـي غـمراس الطـاهـر وهـو مـن أقـدم المناضليـن فـي الأوراس، وأحد الذين سـاهموا في نشر تيار الحركـة الوطنيّة بـالأوراس في وقـت مبكر من تاريخهـا، أحد عناصـر المنظمة السّـريّة بعـد تأسيسـها سـنة 1947، مـن الذيـن كان لهـم السّـبق الأوفر فـي التحضير لثـورة أوّل نوفمبـر 1954 ومفجري بركانها، وممن قادوا صفوف رجالها، وهو أحـد القادة التاريخين بالأوراس ليلة الفاتح من نوفمبر.

أظهـر براعـة فـي شـتى فنـون القتـال والتخطيـط للمعـارك وخـوض غمارهـا، وقـد أطلقـت عليه عدة أسـماء فمـن الحاج عبد المجيـد إلى (عبد المجيد بـو لحيّة) ف (أسد الأوراس)، وهذه التسميات تدل دلالة واضحـة علـى مكانته فـي الثـورة التحريريّة الكبرى وما لعبه كجندي وكقائد، وما اتسم به من بطولة وشـجاعة ومن قدرة على التحكم في تسـيير عشـرات المعارك التـي خطط لها وخـاض غمارها، وذلك من حيـث المباغتة والهجوم والانسحاب عند الضرورة، شارك في عـدة معارك بعد التحاقـه بصفوف جيش التحريـر الوطنـي بجبـل بوعريـف كمعركـة (عيـن الخيـان) ومعركـة الزاويّـة، وهو من الأوائل الذين كانوا يجيدون استعمال سلاح (الأربيجـي 7) المعـروف باسـم (البازوكا) وذلـك لكونـه قـد تلقـى تدريبـات مكثفـة على اسـتعماله أثنـاء تواجده ضمـن القوات الفرنسيّة، وقد اسـتعمله خلال هجومه الذي قام به على قريّة المعذر سنة 1962،كما شارك فـي العديد مـن المعارك الضاريّـة ضد فلول القـوات الفرنسـيّة، فمن بوعريف إلى شـليا (هـو جبل يقع في شـرق الجزائـر في حدود ولايتي باتنـة وخنشـلة، بلديّة اشـمول بباتنة وبلديّـة بوحمامـة ويابـوس بخنشـلة ويبلـغ ارتفاعه 2328 م فوق مسـتوى سـطح البحر، وهو يمثل أعلى قمة بجبال الأوراس، وجبل شـيليا هو ثانـي أعلى قمة جبليّة فـي الجزائر بعـد جبـل تاهـت فـي الهقـار وقمتـه مغطاة بالثلـوج بانتظـام) عُيـن كمسـؤول للناحيّـة الثانيّة برتبة ملازم ثاني، ومن شليّة إلى كيمل كعضو ومسؤول للمنطقة الثانيّة برتبة نقيب

فـي ديسـمبر1960 قـاد معركـة بأعالـي جبل شـيليا (خنقـة بالوكيل) برفقـة عدد من المجاهديـن، وبعـد أن أثبـت مقدرتـه فـي قيـادة هذه المعركة وذلك بما أوقعه بالجيش الفرنسـي من ضربات قاصمة سـقط شـهيدا رفقـة عـدد من رفاقـه 61 شـهيدا مـن بينهم: إسـماعيل عريف، عبد الرّحمن حصروري، الطيب بولعزيز، وغيرهم.

استشـهد سـنة 1960 ودفن بمقبرة يابوس في ربيع 1962.

طارق ثابت

المصادر:

- الموقع الالكتروني لزاويّة آل عبد الصّمد بتاريخ نوفمبر2020.

عبد المجيد مرداسي
(1364هـ - 1945م/1442هـ - 2020م)

ولد عبد المجيد مرداسي سنة 1945 بقسنطينة ودرس بها في كل المراحل التعليميّة حتى حاز، على شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع وشهادة جامعيّة أخرى في التاريخ، وهو ما ساعده على إنجاز بحوث ودراسات ممتازة عن تاريخ مدينته قسنطينة، وعن الحركة الوطنيّة في الجزائر وتاريخ وسيسيولوجيا موسيقى (المالوف)، وهو لون من الموسيقى الأندلسيّة التي تشتهر به مدينة العلم والعلماء قسنطينة .

وتأثر عبد المجيد مرداسي في صغره بمحيطه العائلي المثقف، وكذا محيطه الخارجي بدءا بجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وعدة أسماء ثوريّة آنذاك، ساهمت في صقل شخصيته العلميّة والفكريّة والثقافيّة، فكان مجتهدا منذ صغره، ما جعله يتميز في أوساط زملائه ينهل العلم ويثابر على التألق، ما مكنه من النجاح وبلوغ أعلى المراتب، وإلى جانب العلم والثقافة كان عبد المجيد مرداسي شغوفا بالسياسة والتاريخ والموسيقى، وترعرع على حب الوطن، وكان ملما بالكثير من التفاصيل التاريخيّة، وكذا خبايا وأسرار المدينة من خلال احتكاكه الدائم بالوطنيين والمثقفين، فكتب عن الحركة الوطنيّة بطريقة علميّة، بعيدا عن العاطفة، عبر البحث والتنقيب وجمع الشهادات الحيّة، حيث التقى بالكثير من الثوريين. كما أحب الموسيقى القسنطينيّة وكانت له الكثير من المؤلفات حولها، وكانت تربطه علاقة وطيدة بالمطرب القسنطيني عبد المؤمن بن طبال واهتم بالتأريخ لهذا المجال. كما يعد المفكر الفرنسي الكبير بنيامين ستورا المولود بقسنطينة سنة 1950 وأحد أشهر الخبراء المتخصصين بتاريخ الجزائر، وخصوصا الثورة التحريريّة. وشمال إفريقيا من أصدقائه الأوفياء أيضا، ان البروفيسور والمفكر عبد المجيد مرداسي، من أنشط الباحثين في مجالي التاريخ وعلم الاجتماع وأبرزهم في البلاد، درّس لسنوات عديدة بمعهد علم الاجتماع



بجامعة منتوري قسنطينة 1، وبمعهد الإعلام والاتصال السمعي البصري بجامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3، وألقى محاضرات في عدة جامعات فرنسيّة، وعلى رأسها جامعة السوربون في باريس.

عرف مرداسي بشغفه للعلم والثقافة والبحث، وله عدّة مؤلّفات وإسهامات في تاريخ الحركة الوطنيّة وحرب التحرير، إضافة إلى مؤلّفات تراثيّة وثقافيّة حول الموسيقى الجزائريّة وتاريخ مدينة قسنطينة، من بينها "قاموس الموسيقى والموسيقيين في قسنطينة "الذي صدر عن دار سيمون سنة 2003 و"رفقاء سيدي قسومة، مساهمة في التاريخ الشعبي". الصادر عن دار الحقل الحر سنة 20017، و"قسنطينة على الركح" بالتعاون مع مسرح فقسنطينة الجهوي سنة 2008، و"الوظيفة الرئاسيّة في الجزائر" عن دار نشر سيمون 2004، و"قسنطينة فن العيش" دار النشر، باريس المتوسط 2005، وكتب أخرى ألفها جميعها باللغة الفرنسيّة، وعرف البروفيسور عبد المجيد مرداسي بتعمقه في دراسة الفنون الغنائيّة، بمختلف الوانها ولو أنه كان يميل اكثر إلى فني المالوف والشعبي.

ويرى الباحث والمؤرخ، أنه من الخطأ أن ننسب فن الغناء الشعبي إلى منطقة معينة. لأن الصحيح – حسبه – أن هذا الفن دليل نمو المجتمع الجزائري ككل، فهو ليس ظاهرة محليّة ،بل هو ظاهرة فنيّة وثقافيّة ذات بعد سياسي وطني. كما أن فن المالوف لا يحسب لقسنطينة فقط بل للجزائر قاطبة، بدليل أن هناك الكثير من المطربين تألقوا خارج قسنطينة وفي ولايات عديدة كعنابة وغيرها .

ويعد عبد المجيد مرداسي من كتاب السناريو، حيث أكد في حوار سابق أجريناه معه أن أول سيناريو له كان سنة 1978 بعنوان "خط الوصول" تعامل فيه مع التلفزيون الجزائري، السيناريو الثاني كان في الثمانينات من نوع خيالي، وله وثائقي حول علي خوجة، فضلا عن عملين حول فنانين من مدينة الجسور المعلقة قسنطينة، وكذا شريط خيالي "العشيق".كما كتب سيناريو خاص بفيلم وثائقي حول ثورة التحرير بعنوان "منذ ستين عامًا، 19 ماي 1956"، غير أن المشروع توقّف بسبب جدل أثير حوله لسنوات، قبل أن ترفع عنه وزارة الثقافة التجميد سنة 2020.

وكان عبد المجيد مرداسي حريصا على إبراز الطابع الثقافي القسنطيني المادي واللامادي، وكان على اطلاع دائم بما ينجزه كل طرف من مؤلفات ومشاريع ثقافيّة، وتبادل الآراء حول قسنطينة، كما كان يسعى لرفع المستوى الثقافي في الولايّة، ليبقى مشعل الثقافة مرتبطا بهذه العاصمة، وهو رجل مثقف ملم بالأحداث التاريخيّة والمتمكن في مجاله، حيث عاشر المناضلين والمجاهدين واستقى منهم شهادات حيّة لتطعيم بحوثه، مستوعبا لمسارات الشخصيات التاريخيّة ومواقفهم وقد أصر على وضع المعطيات في سياقها.

الأستاذ عبد المجيد مرداسي قد أحسن توظيف علم الاجتماع في الدراسات التاريخيّة التي أقبل عليها بشغف، بدء بدراسة "موسيقي قسنطينة" ثم مال نحو بدايّة الثورة في المدينة، وما دار حول المسألة من سجال، وختمها بكتاب حول (الحكومة المؤقتة)، وكرّس حياته للتوثيق والحفاظ على ذاكرة الأجيال.

عبد المجيد مرداسي، هو الشقيق الأكبر للصحفيين نورالدين وجمال، والأستاذ الجامعي سمير، ووالد مريم مرداسي أصغر وزيرة عينت على رأس وزارة الثقافة خلال

الفترة الممتدة من 1 أفريل إلى 24 أوت 2019.

توفي مساء خميس 17 سبتمبر 2020 عن عمر ناهز 75 عاما، بعد صراع طويل مع المرض، فختم مسارا أكاديميا حافلا بالإصدارات والبحوث والنشاط التدريسي والثقافي . وكان دائم الحضور في كل ملتقيات قسنطينة وتظاهراتها الثقافيّة والفنيّة على وجه الخصوص.

يزيد سلطان

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

عبد المجيد مزيان
(1344هـ - 1926م/ 1421هـ - 2001م)

ولدَ عبد المجيد مزيان في 3 رمضان 1344هـ/ 17 مارس 1926م بتلمسان من عائلةٍ عريقةٍ تنتسبُ للوليِّ الصّالح سيد ي أحمّد بلحاج.

حفظ القرآن الكريم في التّاسعة من عمره على يد والدِهِ، وتعلَّم مبادئَ اللّغة العربيّة بدار الحديث، على يد مجموعة من الأساتذة يتقدَّمهم الشّيخ البشير الإبراهيمي، والشّيْخ عمار مطاطا، والشّيخ محمّد صالح رمضان، ودرس اللُّغة الفرنسيَّة بالمدارس العموميَّة، وبعد سنة 1946م انتقل إلى مدينة الرّباط بالمغرب الشّقيق ليواصل دراستَه في جامعتها ويتخصَّص في الفلسفة، وينال منها شهادة الدّكتوراه، ومع اندلاع شرارة الثورة التحريريَّة المجيدة التحقَ عبد المجيد مزيان بصفوفِ النّضال والكفاح، فقد كان يُعرف باسمه الثّوري صلاح الدّين، وعيَّنته قيادةُ الاتِّصالات العامَّة آنذاك (النّواة الأولى للمخابرات الجزائريَّة) للعملِ في إذاعة الجزائر التي كانت تبثّ من تونس.

بعد الاستقلال كانت مسيرةُ المرحوم نشيطةً ومتنوّعةً، إلى درجة أنَّنا نحسّ بأنّه بلغ مكانة الامتياز في تقل يد المراتبِ والمناصب، وذلك بفضل العلم وسلطان الفكر ونعمة البَصيرة. فتقلَّد مناصبَ ساميّة في الدّولة الجزائريّة الفتيَّة، نذكر منها:

مديراً لديوانِ أوَّل رئيس للجمهوريَّة الجزائرية المستقلَّة مع المرحوم أحمّد بن بلّة، وهي مرحلة حَرجة وحسَّاسة يعدّها الكثيرون مرحلة ترتيب البيت وإعادة إعمارهِ من جديد.

أشرفَ في المدَّة نفسها على الأمانة العامّة لوزارة الدّاخليَّة، وهي أيضاً مهمّة صعبة خاصّة



في تلك الظّروف والأوضاع على المستوى الدّاخلي للجزائر.

التحقَ بهيئة التّدريس بجامعة وهران، وأسَّس قسم العلوم الفلسفيّة، وتخرَّج على يديه مجموعة من الطّلّاب هم اليوم من يقود تخصّصات علوم الاجتماع والاقتصاد في الجزائر،

ثم عيّن سنة 1981 عميداً على رأس جامعة الجزائر، لأنَّ رسالة العلم والتّعليم بالجامعة كانت أقوى من كلّ الاهتماماتِ الأخرى، ويشهد عليه معهد العلوم الاجتماعيَّة بالخرُّوبة بالجزائر العاصمة على قمّة المُحاضرات ورزانة التحاليل والمناقشات العلميَّة، التي كانت تدور في فضاء المدرَّجات والقاعات الخاصَّة بالتّدريس.

عيّنه رئيس الجمهوريَّة السّيد الشّاذلي بن جديد، سنة 1982، على رأس وزارة الثّقافة، ثمَّ مرَّة أخرى وزيراً للثَّقافة والسّياحة سنة 1984، وقد ساهم بكل ما يملك من عزيمةٍ على تعزيز القطاع والاهتمام بجوانب الثّقافة اعتماداً على المعرفَة العلميّة.

لم تمنع هذه المهام والنّشاطات، الدّكتور عبد المجيد مزيان من إحياء المُناسبات العلميَّة والفكريَّة وعُضويَّة المنتديات والأكاديميَّات العالميَّة، فقد شغل عضويَّة بيت الحكمة بتونس، والأكاديميَّة العربيّة للمفكرين العرب بالقاهرة، والأكاديميَّة الملكيَّة بالمغرب، وأكاديميّة اللّغة العربيّة بالجزائر، فكان يُعطي لهذه العضويّة مكانتها اللّائقة ودورها في التّغيير والتّفعيل، من خلال النّدوات الفكريَّة، لا سيَّما تلك المتعلِّقة بالحضارة الإسلاميَّة الرّاقية والتّعريف بالإسلام.

لهذا الغرض كان له شرف الرّعاية والعناية من طرف رئيس الدّولة السّيد اليمين زروال، ليتشرّف به سنة 1995 على رأس المجلس الإسلامي الأعلى كهيئة استشاريَّة في الشّؤون والقضايا ذات الصّلة بالإسلام، وبقي وفيّاً لرسالته ونشاطه. فأعطى لهذا المجلس كلَّ الوقار والاحترام بنشاطه الفكري والعلمي، رغم الظّروف الصّحية القاسيَّة التي كان يعاني منها في السّنوات الأخيرة من عمره، إلى أن رحل إلى الرّفيق الأعلى، تاركا وراءه المجلس الإسلامي الأعلى مبنياً على الفكر الإنساني وباعثاً للوعي، بفضل الخلف الصّالح الذي يقدم، باستمرار العلاج القانوني والفكري لأزماتنا الاجتماعيَّة، علاجاً روحياً وعلمياً.

شخصيَّته العلميَّة: ينطلق البعد الفكري عند الدّكتور عبد المجيد من التّجديد والاجتهاد، وهما خاصيتان أساسيتان بنى عليهما ملاحظاته ومناقشاته. فلا حضارة بعيد ا عن الفكر، ولا ثقافة بلا فكر، ولا إسلامَ دون فكر إنساني واع، بع يد عن كل الاختلالات. فالاجتهاد والتّجديد بالنّسبة إليه أمر مهمٌّ، يقتضي الالتّزام والاستمرار في الحياة

الإنسانية والشّريعة الإسلامية، بكل مبادئها ومقوماتها الحضارية والخلقية والرّوحية

يعدّ الدّكتور مزيان من بين أبرز علماء العالم العربي الذين عملوا من أجل ترقيّة حوار الحضارات، فقد كان السّبّاق لتنظيم الحوار المسيحي الإسلامي مع مفكرين مسيحيين منهم موريس بورمانس، ولوي قاري، وجورج أناواتي، وجاك بارك، وكان يدير ندواتٍ للتّعريف بالإسلام بمعهد الدّراسات العربيّة العليا التّابع للفاتيكان، إضافة إلى تقديمه حصصاً عن الإسلام على القناة الفرنسية الثّانية.

عُرف باهتمامه الكبير بالعلوم الإسلاميّة وتجديد الفكر الخلدوني، وله أطروحة ضخمة حول الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون. ممّا أهّله عن جدارة لأن يصبح عالماً منظراً في قضايا الفكر الاقتصادي الاجتماعي في العالم.

كان عبد المجيد مزيان عضواً في العديد من الهيئات العلميّة للمجلّات والمنشورات الوطنية والدّولية، منها الخاصة بوزارة الثّقافة، ومجلة الكتاب الصّادرة عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة، ومجلّة الثّورة الإفريقيّة، ومجلّة إسلامو كريستينا في سنة 1975، كما أدار العديد من الدّورات المتضمنة محاضرات بمعهد بـ"ونتيفيكال" للدراسات بروما.

من أَقْوالِهِ رحمه الله:

"لابدَّ من الحريَّة حقًّا، ولابدَّ كذلك من التّنافس الايجابي ووعي الكاتب برسالته في المجتمع. فالثّقافة عبارة عن تنافس حميد، والكاتب الحقيقي يتميَّز بإبداعه وعبقريَّته، وهو فوق المُستوى العادي، فهو شخص يدخل أفكاره إلى أدمغة النّاس بقوة الإقناع، وبتميُّز الأسلوب. فيتهافت القرَّاء على اقتناء وقراءة كتبه أو كتابه، أو كتاباته، والمجتمع الجزائريّ عموماً له مؤهّلاته وتجاربه، وتفتّق الإبداع الحقيقي يحتاج إلى حريّة واعية. فلا ثقافة بدون حريّة".

ترك الدّكتور عبد المجيد مزيان عشراتِ المقالات العلميَّة في المجلّات العلميَّة العالميَّة في قضايا الفكر، والفلسفة، والاقتصاد، وعلوم الدّين، وفقه الحوار والعلاقات بين الشّعوب والأمم.

تحدَّث عن الانبعاث الحضاري في 14 مقالاً كُتبت من 1972 إلى 1984 المنشورة في مجلَّةِ الأصَالَة التي كانت تُصدرها وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف.

كتاب بعنوان النّظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي.يتناول فيه النّظريات الاقتصاديّة عند ابن خلدون، ونبَّه فيه إلى أنَّ المنهج العمراني الشّمولي الذي وضع ابن خلدون أسسَه الأولى، يعدُّ منهلاً قابلا للتَّجديد والمراجعة. كما تتَّخذ هذه الدّراسة الفلسفة الاجتماعية والتّفكير الاقتصادي عند ابن خلدون وسيلة لمعرفة التّطور العام للمجتمعاتِ الإسلاميَّة في تفاعلها الدّاخلي وصراعها مع الحضارات المجاورة.

كتاب فلسفة الإسلام الاجتماعية باللُّغة الفرنسيَّة.

توفي يوم 22 شوال 1421 هـ/ 15 يناير 2001 رحمه الله.

عبدالنّاصر بوعلي

المصادر:

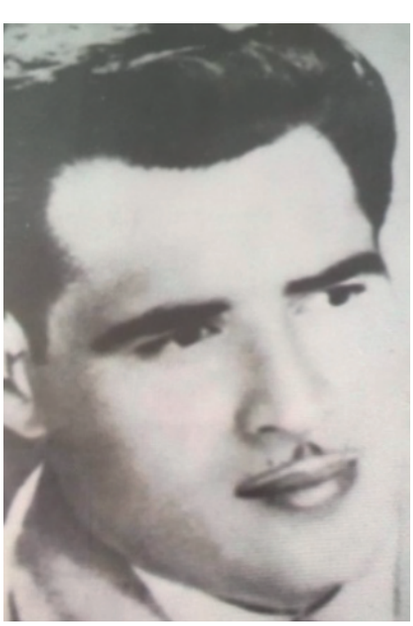
- بلقاسم بن عبد الله، عبد المج يد مزيان وبعدُنا الحضاري، الجزائر، 2006.
- إسماعيل نقّاز، عبد المج يد مزيان وتجد يد النّص الخلدوني، مركز نماء البحوث والدّراسات، الجزائر، 2011.

عبد الملك فضلاء
(1338هـ - 1920م/1376هـ - 1957م)

ثالثّ أبناء الشّيخ السّعيد أبهلول - فضلاء - ولد بقريّة تارفت ببني شبانة ببني ورثيلان في 19 أفريل 1920، حفظ القرآن الكريم على يدّ والده.

ثمّ انتقل سنة 1937 إلى الجامع الأخضر بقسنطينة، لمواصلة دراسته على يدّ الشّيخ عبد الحميد بن باديس، باشر عند عودته من قسنطينة نشاطه الإصلاحيّ - من إمامة وتدريس - بمسقط رأسه لمدّة تفوق السّنتين غادر إثرها قريته مضطرّاً.

ففي 1943م استدعي للخدمة العسكريّة لكنّه رفض رفضاً باتّاً تجنيده في الجيش الفرنسيّ ففرّ من بلدته ليختفي بالعاصمة.



ولمّا عثرت عليه الشّرطة العسكريّة نقلته الى مسرح عمليات الحرب العالميّة بألمانيا.

بعد انتهاء الحرب عاد إلى الوطن فدرّس في مدارس جمعيّة العلماء التّاليّة:

مدرسة النّصيحة (1947–1948) والمرشدة (1948 1949–) بالعاصمة

ومدرسة أهالي القصر (1949 1950–) بالبويرة،

ومدرسة إغيل اعلي (1950 1951–) وتازمالتّ (1951–1955) ببجاية

ومدرسة التّهذيب (1955–1956) بحجوط تيبازة

– ومدرسة تازمالتّ (1956–1957) ببجاية.

عبد الملك في تازمالتّ:

عُيّن من طرف جمعيّة العلماء المسلمين في سبتمبر 1951 كمدير لمدرسة تازمالتّ وكإمام لمسجدها واستمرّت نشاطاته فيها إلى غايّة جوان 1957 باستثناء السّنة الدّراسيّة 1955–1956 التي انتقل فيها إلى حجوط– تيبازة ليدير مدرستها وعاد بعدها إلى تازمالتّ بطلب ملحّ من السّكان وقادة الولايّة الثّالثّة.

فتح بمجرّد وصوله إلى تازمالتّ في 1951 ثلاث ورشات عمل ونضال وهي:

– الأوّلى: إرساء التّعليم العربي الوطني العصري على أسس صحيحة وتحقيق انتشاره؛

– الثّانيّة: انتهاج وعظ جديد يرمي الى الفهم الحقيقي للإسلام مع مواكبة العصر والتّقدّم العلمي؛

– الثّالثّة: زرع الرّوح الوطنيّة في النّفوس والعمل على وحدة وتماسك الشّعب والاستعداد للثورة.

وهذه الورشات تدلّ بصفة واضحة على قناعات الشّيخ عبد الملك الأساسيّة والمصيريّة التي من شأنها كسب رهان المستقبل، فالعلم أساس حياة الأمم وازدهارها والمدرسة هي منبع العلم بامتياز والطّريق الى الحياة الكريمة ولذا كان التّعليم بالنّسبة له بمثابة الرّسالة المقدّسة. كان يؤمن بالمدرسة الحديثة وبضرورة ربط التّعليم بالحياة والمجتمع والتّقدّم العلمي. كما كان يقول: (لا يمكن أن تكون رؤوسنا في القرون الماضيّة وأجسامنا في الحياة الحاضرة).

أمّا بالنّسبة للتّوعيّة حول وضع الوطن فإنّه استغلّ المدرسة والمسجد وكلّ المناسبات لحثّ المواطنين على رفع التّحدّي وتقبّل كل التّضحيّات حتى انهيار النّظام الاستعمّاري الغاشم. تحمّل كلّ المخاطر وحده، فكانت له أكبر مصداقيّة في السّاحة وحقّق الإجماع حوله وحول أهدافه.

محطات مشرقة في تاريخ تازمالتّ:

قام الشّيخ عبد الملك بمهمّتي الإمامة والتّدريس معا مدة سنتين ثمّ تفرّغ للتّعليم المدرسي – نظراً لنموّه المتصاعد ولقلّة المعلمين – لكنّه بقي يؤمّ المصلّين أيّام الجمعة وفي المناسبات الهامّة.

فترة الشّيخ عبد الملك بتازمالتّ التي دامت خمس (5) سنوات تعتبر أحرج فترة في تاريخ تازمالتّ حيث اندلعت أثناءها حرب التّحرير المجيدة التي شنّجت الأوضاع وتفاقمت فيها عبر القطر الجزائري كلّه المضايقات والتّهديدات ناهيك عن حملات التّصفيّة الجسديّة للوطنيين الأحرار، مع هذا كلّه تعتبر تلك الفترة عصر تازمالتّ الذهبي وفيها كتبت أنصع صفحات تاريخها.

بالنّسبة للتعليم:

سجّل التّعليم العربي في عهد أعلى مستوياته كمّا وكيفا وانتشر بصفة مذهلة كما شمل البنين والبنات وكبار السّنّ.... هذا النّجاح الذي تمّ في بضع سنين جعل مدرسة التّربيّة والتّعليم منافساً قويّاً للمدرسة الفرنسيّة حيث بلغ عدد تلاميذها 550 تلميذاً وتلميذة.

كان الشّيخ عبد الملك يعلم بأنّه في صراع وسباق مع الزّمن فقام بأعماله بجدّيّة ومثابرة لتعميم التّعليم من جهة ومن جهة أخرى لرفع مستوى تلاميذه الكبار لتأهيلهم للالتّحاق بالمعاهد المتواجدة بالوطن أو خارجه. وفي بضع سنوات جنى ثمار جهوده:

ففي سنة 1955 ترشّح بعض تلاميذه لامتحان الشّهادة الابتدائيّة التي نظمتها جمعيّة العلماء بالعاصمة فكانوا من النّاجحين الأوائل.

وفي سنة 1955 ولأوّل مرة في تاريخ تازمالتّ أُرسلت بعثة ثانيّة من 26 طالباً الى معهد ابن باديس

في سنة 1956 أُرسل بعثة ثانيّة من 13 طالباً الى تونس وطالبين إلى معهد ابن باديس بقسنطينة.

وهكذا تمكن 39 طالباً من مدرسة تازمالتّ من مواصلة تكوينهم خارج الدّيار.

الجانب الدّيني:

تشييد مسجد تازمالتّ الجديد، بتكلفة تقدّر ب 25 مليون فرنك آنذاك، الذي دشنه الشّيخ العربي التّبسي بتاريخ 20 أفريل 1954، في حفل مشهود.

الجانب الوطني: سعى بدون هوادة إلى إيقاظ روح المقاومة لدى مستمعيه والى رفع روحهم المعنويّة لمواجهة الاستعمّار والفوز عليه. وكان له دور فعّال في التّحام شعب تازمالتّ بالثّورة عند اندلاعها، وظّف لذلك المدرسة والمسجد وكلّ المناسبات المتاحة لحثّ المواطنين على دعم الثّورة.

أمدّه الثّورة بعناصر وطنيّة صالحة وكان على علاقة وطيدة مع قادة الثّورة بالولايّة الثّالثّة التّاريخيّة كما كان عمله لفائدة الثّورة يندرج في إطار متّفق عليه معهم.

قُوبلت رغبته في الالتّحاق بالمجاهدين بالرّفض مراراً بحجّة أنّ ما يقدّمه في تازمالتّ من خدمات للثّورة أهمّ من رفعه للسلاح، فلم يتقبل هذا الموقف من قادة الثّورة إلّا على مضض. لكنّه عُيّن أخيراً كقاض لجيش وجبهة التّحرير الوطني.

كان الشّيخ عبد الملك ذا كاريزما قويّة وكلّ شيء فيه يلفت النّظر إذا لقيته ملأك حيويّة ونشاطاً وإذا انصرفت عنه ظلّت كلماته ترنّ في أذنك وتتغور في أعماقك. كان دقيق الملامح وفي نظرته عزم وتصميم وكان رخيم الصّوت وله نغم أخّاذ يصل إلى القلوب وإذا تحدّث ملك الأسماع لأنّه كان صادق القول واضح العبارة وقوي البرهان.

من خصاله نظرة بعيدة المدى وحنكة في التّدبير وقدرة على تحمّل الشّدائد وروح تجديديّة وقوة إقناع وتأثير واستقامة وإخلاص ونكران للذات وطاقة وثّابة عجيبة وروح الثّبات والتّضحيّة.

صقلت هذه الشّخصيّة الوطنيّة الأصيلة أسماء لامعة مثل أبيه الشّيخ السّعيد أبهلول، وأستاذه الشّيخ عبد الحميد بن باديس، والشّيوخ البشير الإبراهيمي، الفضيل الورتلاني، والعربي التّبسي.

إن الحدث الذي يؤكّد وطنيته هو تنظيمه لمظاهرة شعبيّة في 8 ماي 1945 للمطالبة بالحريّة وهو في طليعة المتظاهرين وبيده العلم الوطني، من بني ورتيلان إلى بوقاعة... مع العلم إنّه آنذاك لا يزال جندياً أتى إلى الجزائر في إجازة إستثائيّة قصيرة إثر وفاة والده.

وهكذا بفضل قناعاته ونشاطاته وإنجازاته تألّق نجم الشّيخ عبد الملك

وتبوّأت تازمالتّ في عهده مكانة عاليّة عن جدارة واستحقاق.

كان الشّيخ عبد الملك يردّد دوماً: إنّ الحياة عقيدة وجهاد... وهكذا كانت حياته. كما كان يقول: (إنّ الله اختارنا في هذه الحقبة لأمر جلل وسينصرنا).

كما كان يقول باعتزاز: (مدرسة التّربيّة والتّعليم بتازمالتّ سارت بالحركة الإصلاحيّة الى أوجّ عزّها في ظرف أربع سنوات).

يقول المثل الرّجال معادن ومواقف وأعمال ومعدن الشّيخ عبد الملك من المعدن النّفيس كما أنّ مواقفه وأعماله جليّة وجليلة.

أدرك العدوّ أنّ الشّيخ عبد الملك يقود ملحمة متعدّدة الجوانب بتازمالتّ وإنّه أحدث هزّة في الرّأي العامّ وقفزة نوعيّة وسّعت القاعدّة النّضاليّة الشّعبيّة لصالح الثّورة وإنّه المحرّك الفعلي للهمّم والعزائم وأنّ دوره كان رياديّاً في صناعة قناعات الأمّة وتوجّهاتها النّضاليّة، بواسطة المدرسة والمسجد اللذين أصبحا قلعتين للمقاومة تحت شعار: (إنّا للّه وللشّعب والوطن)، وفي 20 جوان 1957 قرّرت السّلطات غلق مدرسة التّربيّة والتّعليم فوراً ولأجل غير مسمّى كخطوة أوّلى وفي 12 جويلية 1957 تمّ اغتيال الشّيخ عبد الملك بالعاصمة على يدّ جنود مظليين.

كان عبد الملك بقناعاته وانجازاته وتأثيره وشجاعته رجل الإصلاح والثّورة معاً. كان ينتمي إلى فئة من إطارات جمعيّة العلماء التي تجاوزت حدود الإصلاح إلى الثّورة الشّاملة التّزاماً وقولاً وفعلاً.

فكان بحقّ (شهيد الثّورتين) كما لقّبه الشّاعر المرحوم الشّيخ أحمد شقار الثّعالبي وبعد الاستقلال بعدّة سنوات تسرّب خبر بقي في الخفاء لمدّة طويلة أنار جانباً آخر من شخصيّة الشّيخ عبد الملك النّضاليّة مفاده أنّ كان -وظيفيّاً وفي العلن - مدير مدرسة تازمالتّ وإمام مسجدها وكان - سريّا وسياسياً - من دعاة حزب الشّعب لتحقيق الاستقلال مثله مثل صديقه الشّيخ محمود بوزوزو وغيرهما. وهذا ما يفسّر التّفاف كلّ التّيارات السّياسيّة بتازمالتّ حوله ومساندتهم المطلقة له.

اغتياله كان طعنة نجلاء وصاعقة نزلت بتازمالتّ واهتزّت له المنطقة كلّها. أحدث نبأ اغتياله حزناً كبيراً وأقسم قادة الثّورة على الانتقام له كما شملت الكآبة البيوت: إنّ رجلاً عظيما قد مضى...

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ﴾

عبد الحميد عبد الملك فضلاء

المصادر
ارشيف العائلة

عبد المؤمن بن علي أبو محمّد القيسي الكُومي
(487هـ - 1094م/558هـ - 1163م)

أبو محمّد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمّد القيسي الكُومي، (بضمّ الكاف وسكون الواو وبعدها ميم)، نسبة إلى كوميّة، وهي قبيلة صغيرة من قبائل البربر نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان.

وكان يقول: "إذا ذكر كوميّة فلستُ منهم؛ وإنّما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولكوميّة علينا حقّ الولادة بينهم والمنشأ فيهم وهم الأخوال". كان أبوه فخّارا يعمل النّوافيخ، وقيل كان قاضيا. ولد سنة (487هـ - 1094م) بتاجْرَه التي تبعُد عن مدينة هُنَيْن التّاريخيّة بحوالي ثلاثة كيلومترات، وهي جبل مرتفع عن سطح البحر.

كان فقيها، جدليّا أصوليّا محدّثا، وإماما في النّحو والأدب والقراءة والتّاريخ وأيّام النّاس، وكان سيّاسيّا وعسكريّا، لقّبوه أمير المؤمنين سنة 526هـ تفقّه على يدّ ابن تومرت، وصحِبه وأحبّه وأثّر فيه أيّما تأثير، وأفضى إليه بأسراره، ولمّا رأى فيه من سمات النُّبل، ووجد همّته كما في النّفس قال ابن تومرت يوما لخواصّه: (هذا غلاّب الدّول).

عاش أبو محمّد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمّد القيسي الكُومي في صراع مع الدّولة المرابطيّة التي دبّ فيها الضّعف والهوان إلى أن تمّت الغلبة له، وكانت الخلافة ببغداد لبني العبّاس وفي مصر لبني عُبيد، وفي المغرب لآل زيري، وتميّز عصره بالاضطرابات السّياسيّة والاجتماعيّة، وبقي لفترة طويلة وهو يحارب جيوش الدّول المجاورة والقبائل المناهضة لسلطته وحكْمه. لمّا نزل مراكش أقبل على البناء والغِراس وترتيب ملكه، وبسط العدلَ. خضع له المغربان (الأقصى والأوسط) واستولى على إشبيليّة وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهديّة وطرابلس الغرب وسائر بلاد أفريقية، وأنشأ الأساطيل، والأبنية والآثار والقصور. لمّا توفّي المهدي اتّفق أصحابه على خلافته، فتمّ له ذلك سنة 524هـ ثمّ بويع البيعة التّامّة بجامع تينملّل،

وهو من مؤسّسي الدّولة الموحّديّة، وأوّل ما أخذ من البلاد: وهران، ثمّ تلمسان، وفاس، وسلا، ثمّ سبتة؛ وحاصر مراكش أحد عشر شهرا، وأخذها في سنة542هـ، وامتدّ ملكه. افتتح كثيرا من الأندلس، وقصدته الشّعراء ولمّا قال فيه التّيفاشي قصيدته:

مّا هزَّ عطفيه بين البيْض والأسلِ
كثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار إليه أن يقتصر على هذا المقطع، وأمر له بألف دينار.

كان عبد المؤمن مؤثّرا لأهل العلم، محبّا لهم، ويجزل صلاتهم. ارتحل إلى بجاية طلبا للعلم، ونحو الحجّ، فالتقى، وإلى المغرب، ودخل مراكش، والأندلس سنة 548هـ. كان عبد المؤمن رزينا وقورا، عاقلا

حازما شجاعا موفّقا، كثير البذل للأموال شديد العقاب على الجُرم الصّغير، عظيم الاهتمام بشؤون الدّين كامل السّؤدد، عالي الهمّة، خليقا للإمارة.

كان ابن تومرت دائما يتفرّس فيه النّجابة وينشد إذا أبصره:

تكاملت فيك أوصافٌ خصّصْتَ بها
فكلّنا بك مسرور ومغتبطُ
السّنُّ ضاحكة والكفُّ مانحة
والنّفس واسعة والوجه منبسط.

حكم الدّولة الموحّديّة من (524هـ ـ1129م) إلى (558هـ ـ 1162م). توفّي في 27 من جمادى الآخرة (558هـ – 1163م) في رباط سلا في طريقه إلى الأندلس، ونقل إلى تينملّل التي دفن فيها إلى جانب قبر محمّد بن تومرت المعروف بالمهدي.

أحمد عزوز

المصادر:

– ابن خلكان، أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر، وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه د. إحسان عبّاس، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع؛

– الزّركلي، خير الدّين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط:15 آيار/ مايو 2002؛

– الإمام شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي، سير أعلم النّبلاء، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، ط:1، سمة 1405هـ1985–م؛

– مبارك بن محمّد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. تقديم وتصحيح محمّد الميلي، المؤسّسة الوطنيّة للكتّاب.

عبيدي محمّد الطّاهر (الحاج لخضر)
(1332هـ - 1914م/1418هـ - 1998م)

ولد (الحاج لخضر) في 13 مارس (1914م) بقريّة (أولاد شليح – باتنة)، في أسرة فقيرة ماديّا لأبوين هما (محمّد وفاطمة عبيدي) اللّذان كانا بالنّسبة إليه رمزا للعمل المتواصل والسّعي إلى إسعاده، وهو الأمر الذي ولدّ فيه روح المثابرة والعمل لضمان فضاء أوسع مع مسيرة رفع التّحدي في غمرة الظّلم والاستعمار، تتلمذ في مسقط رأسه على حفظ القرآن، وكغيره من الأطفال امتهن في صباه ومقتبل شبابه ما تيّسرّ له من الأعمال المتواضعة التي كان يوفّرها محيطه الذي يتميّز بالفقر والحرمان، وفي سنة (1936) وهو في العشرين من العمر، سافر إلى (فرنسا) طلبا للرّزق واستقرّ بمدينة كراون (100 كلم) عن العاصمة (باريس) واشتغل في صنع الأسلاك الشّائكة ثمّ في مخبزة سيّدة فرنسيّة أين سنحت له الفرصة في التّعرف على الكثير من المغتربين والاجتماع بالمناضلين منهم.

عند اندلاع الحرب العالميّة الثّانيّة عاد إلى أرض الوطن واستقرّ في مدينة (عين التّوتة)، كان من العناصر الأولى التي حضّرت للثّورة، وأوّل عمل نضالي له هو تأسيس خلايا سريّة بمدينة (باتنة) سنة (1939) واستمرّ نشاطه إلى غايّة سنة (1941)، حيث اتّصل به (مصطفى بن بولعيد) وزوّده ببرنامج عمل جديد أهمّ نقاطه هو توسيع الخلايا السّريّة وتقسيمها وتنظيمها، وكان يجمع التّبرّعات والاشتراكات ويبثّ الرّوح الوطنيّة وأفكارها بين النّاس ويحثّوا الشّباب على التّعلم، وفي سنة (1947) تمّ سجنه لمدّة شهر بسبب ضربه لدركيّ اعتدى على أحد الباعة المتجوّلين وتمّ نفيه إلى (تونس)، أين واصل نضاله السّياسي بمساعدة الطّلبة الجزائريّين.

وبعد عودته من (تونس) وفي خريف سنة (1952) ذهب إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحجّ وأصبح يعرف إثر ذلك بـ(الحاج لخضر)، وبعد عودته واصل تشكيله للخلايا السّريّة، كما قام باستقبال وإيواء النّاجين من الاعتقالات التي مسّت أعضاء المنظمة الخاصّة بشرق البلاد، وتكرّرت العمليّة بعد سنة، باستقبال الفارّين من سجن عنّابة المحاكمين في قضيّة المنظّمة الخاصّة وفي مقدّمتهم (زيغود يوسف).

أثناء انطلاق الثّورة كان العقيد (الحاج لخضر) من أوائل الثّوار الذين هاجموا ثكنة دبّابات (باتنة) وبعدها هاجم القطار الحامل للسّلع إلى (بسكرة)، وعمليّة (سريانة) التي استهدفت ضيعة المعمّر (بوزو)، والتي شهدت سقوط أوّل شهيد بالقطاع وهو (عمر أقرور)، ونتيجة لذلك وجّهت له (فرنسا) رفقة بقيّة المجاهدين تهمة تكوين جماعة أشرار والقتل العمدي، والتّخريب بواسطة متفجّرات وقام الجيش الفرنسي بحملة تمشيط وبحث عنه مصحوبة بحصار كبير سنة (1955) على مستوى مدينة (باتنة) و(سريانة) و(عين التّوتة) و(المعذر) و(مروانة) من أجل الإتيان به، لكن باءت كلّ جهودهم بالفشل.

واصل العقيد (الحاج لخضر) عمليّاته الهجوميّة، فكانت عمليّة اغتيال المعمّر (فياما) و(كمين كوندورسي) في شهر ديسمبر (1955)، وكان من الحاضرين في معركة جبل (أولاد حنّاش) شهر أفريل (1958) بجانب (عميروش)، ولمّا توفيّ (مصطفى بن بولعيد) التحق بقائد الولايّة الجماعيّة رفقة (عليّ النّمر)، وكان معروف عنه أنّه يرفض المناصب السّياسيّة ويتركها للمثقّفين من رفاق الدّرب، فقد رفض رتبة نقيب عرضها عليه (عميروش)، وبعد وفاة (عليّ النّمر) تمّ تعيينه قائدا عسكريّا للولايّة بأمر من (محمّد لعموري) الذي قال له (يا عميّ الحاج هذا أمر لا بدّ من تطبيقه)، ثمّ قائدا للولايّة بالنّيابة في أواخر (1958) حيث كانت قيّادة الولايّة

السّياسيّة في (تونس) وكان يتولاّها العقيد (أحمد نوارة) قبل استشهاده.

حضر اجتماع العقداء بالدّاخل في ديسمبر (1958) بالولايّة الثّانيّة وقام بتغييرات على مستوى قيّادة الولايّة الأولى في محاولة تحصيل الاستقرار والقضاء على مجموعة المشوّشين، وكان له دور فعّال في ذلك خاصّة بعد الاضطرابات التي شهدتها الولايّة، كما حضر مؤتمر العقداء العشرة بالخارج في (1959) أين تمّ رسميّا تعينه قائدا للولايّة الأولى برتبة عقيد بعد استشهاد (أحمد نوارة) وتمّ تعيين (عمّار راجعي) نائبا سياسيّا والعقيد (الطّاهر الزّبيري) نائبا عسكريّا.

لكن للأسف لم يتمكّن (الحاج لخضر) من عبور خطّ موريس إلى الولايّة الأولى بسبب محاولته الدّخول بجيش ثقيل العدّة والعدد وبعد أربعة أشهر من المحاولات الفاشلة تمكّن منه الإحباط والإرهاق ما استدعى تنقّله إلى سويسرا للرّاحة والعلاج، في حين أنّ نائبه العسكريّ (الطّاهر الزّبيري) تمكّن من دخول تراب الوطن والالتحاق بالولايّة الأولى ما أدّى إلى تعيينه لاحقا قائدا للولايّة برتبة عقيد خلفا (للحاج لخضر).

كان ولاء قائد الولايّة الأولى محسوبا لجماعة (كريم بلقاسم) ثمّ الحكومة المؤقّتة لاحقا وذلك لعلاقة (الحاج) الوطيدة بقيّادة الولايّة الثّالثة في عهد كلّ من (السّعيد محمّدي) و(عميروش)، وبعد احتدام الصّراع بين الكتلتين (الحكومة المؤقتّة وتحالف بن بلّة وبومدين) شكّل العقيد (الطّاهر الزّبيري) مجلس ولايّة جديد ما لبث أن انحاز إلى صفّ هيئة الأركان غير أنّ هذا لم يمنع (الحاج) من الحفاظ على ولائه (لكريم) والحكومة المؤقّتة، حتّى آخر لحظة اجتماع مجلس الثّورة بـ(طرابلس) في دورته الأخيرة مايو – يونيو (1962)، وأثناء استفتاء تقرير المصير عاد (الحاج لخضر) إلى (الجزائر) واتّصل بـ(هواري بومدين) وأعلن ولاءه لصفّ (تلمسان) ودخل الصّف رسميّا بانتخابه نائبا في المجلس التّأسيسي ابتداء من 20 سبتمبر (1962).

ومن أهمّ إنجازات (الحاج لخضر) هو وضعه حجر الأساس لمسجد أوّل نوفمبر الكبير بـ(باتنة)، بتلك الأموال التي جمعها من بيعه لحصّته في مصنع الطّماطم والذي أكمل النّاس تشييده عن طريق التّبرّعات، وفي (1980) تفرّغ (الحاج لخضر) للعمل الخيريّ الدّيني حيث أسّس جمعيّة إسلاميّة بهدف تأسيس مركز إسلامي فكان المعهد العالي للعلوم الإسلاميّة الذي ألحق آنذاك بجامعة الأمير عبد القادر بـ(قسنطينة) ثمّ أعيد إلحاقه بجامعة (باتنة) لاحقا، وقد بنيّ المعهد والمسجد على أرض مطار عسكري أيّام الاحتلال الفرنسيّ تنطلق منه الطّائرات للقصف، وعن هذا قال (الحاج لخضر) (هذا المكان الذي جعلته فرنسا جحيما تقصف منه الجزائريين، أنا سأقصفها انطلاقا منه، ولكن بالعلم).

كان (الحاج لخضر) مواطنا صالحا متديّنا إلى جانب كونه واعيّا ومناضلا وطنيّا وفيّا لوطنه وقد عرف عنه حفاظه الشّديد على أموال الثّورة فقد حدث وأن وجد مجاهديه يطالعون جرائد قديمة على ضوء الشّموع فقال لهم (أهكذا تبدّدون أموال الثّورة أيّها الخبثاء؟!)، وكان يرفض التّمييز والمحاباة حيث رفض أخذ أجرة شهريّة عرضها عليه (بومدين) بصفته عقيدا وقال إن كنت بصفتي مجاهدا وللمجاهدين غيري حقّ بها فأنا موافق، كما عرفت عنه الجرأة وعدم المجاملة حيث قال للرّئيس (الشّاذلي بن جديد) أثناء زيّارته لـ(باتنة) (سيّادة الرّئيس الجزائر ليست مثل الدّول الإفريقيّة الأخرى، إذا تخدم الجزائر فأنا وراءك، أمّا إذا انحرفت عن هذا الطّريق فسأكون أوّل من يقاومك).

وكان قويّ الشّخصيّة صعب المزاج صادق القول والفعل فقد طبّق عدّة أحكام بالإعدام للحفاظ على الاستقرار، وعاقب أحد جنوده لقتله طفلا فرنسيّا صغيرا، حيث قال (صعدنا إلى الجبل لمحاربة الذين رفعوا ضدّنا السّلاح ولم نصعد لقتل النّساء والأطفال والأبرياء)، وكان يكره الظّلم ونصيرا للمظلومين.

التحق (الحاج لخضر) بالعليّ القدير في 23 فبراير (1998) بـ(باتنة) ودفن بمقبرة (بوزوران)، ورغم زواجه أربع مرّات إلاّ أنّه لم يرزق بالذّريّة، وتمّت تسميّة جامعة باتنة باسمه تخليدا لذكراه.

سناء بوختاش

المصادر:

- بن فليس صالح وتابليت عمر، العقيد الحاج لخضر قائد الولايّة الأولى التّاريخيّة في الجهادين.
- الطّاهر حلّيس، قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر.
- محمد الطّاهر عزوي، واقع الثّورة في الولايّة الأولى بالأوراس في السّنوات بين توجيه القيّادة وتفككها (أحداث وتأمّلات).

عبد الوهاب حمودة
(1358هـ - 1939م/1439هـ - 2017م)

عبد الوهاب حمودة بن محمد أكلي أوقري ينتسب إلى عائلة شريفة بالوراثة للمجد والأصالة والتقي والصلاح والورع.

ولد مترجمنا في الجزائر العاصمة سنة 1939 في ظروف الحرب العالمية الثّانية التي جعلت والده يرحل إلى الجزائر قادما إليها من بني يعلى بلدية قنزات لضيق العيش وضيق أفاق الدّراسة والعمل وأهلها في الحياة الحضاريّة بالاستقرار في المدينة.

فحفظ القرآن الكريم على يد والده وتابع دراسته للّغة العربيّة على يد للّغة العربيّة على

يد الشّيخ محمد الدحاوي والشّيخ محمد الأخضر السّائحي.

ودرس في ثانوية بن عكنون المعروفة الآن باسم الشّهيد عمارة رشيد ونال شهادة البكالوريا سنة 1959 إلى الشّعبة الرياضية.

ودرس العلوم الدّقيقة (رياضيات فيزياء كيمياء) في جامعة الجزائر. كما انتسب إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر وتحصل على اللّسانس في اللّغة والآداب العربيّ سنة 1964.

في سنة 1965 التحق بالتّعليم الثّانوي.

في سنة 1972 تولى تدريس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، ثمّ تولى إدارة الدّراسات بمعهد العلوم الاجتماعيّة بجامعة الجزائر.

وفي سنة 1975 سجل في جامعة السّوريون لنيل الدّكتوراه في موضوع المفكر الجزائريّ مالك بن نبي إدارة الجامعة في فترة قصيرة واستمرت هذه العلاقة الرّوحية طوال حياته حيث كان يلازم حضور ندواته الأسبوعيّة في بيته. فلقد كان لا يخفي تأثره به وإشادته بفكره فكان الصّلة الجامعة بين الطلاب ومالك بن نبي في لقاءات فكرية كانت النواة المؤسّسة لملتقيات الفكر الإسلامي التي حضر لانعقادها وشارك في اعدادها وتنظيمها والإسهام في جميع فعاليّاتها قبل وأثناء وبعد انعقادها.

لقد كان قيامه بهذا النشاط قبل وبعد استلامه لمنصب مدير الثّقافة الإسلاميّة بوزارة الشّؤون الدّينيّة سنة 1980 فكان الرجل المناسب في المكان المناسب.

ثمّ اسند له منصب الأمين العامّ لوزارة الشّؤون الدّينية سنة 1990 فكان عمله مع العديد من الوزراء الذين تداولوا على الشّؤون الدّينيّة من غير أن يكون لأحدهم التّفكير ي الاستغناء عنه لما رأوا فيه من إخلاص وكفاءة وانضباط وروح المسؤولية والنزاهة.

وهو في تفكير وسطي ومعتدل إلى جانب سمو في الفكر وبعد النّظر الموروث والمكتسب من ثقافته الدّينيّة واللّغويّة ومن خلال الاطلاع الواسع على مختلف القضايا المعاصرة في الفكر الشّرقي والمغربي فأحسن استعمالها واستغلالها اكسبته قوة الحجة وشخصية متميزة فهو يحق رجل الحوار الحضاري ولسان النّقاش الأيديولوجي المستوعب للحلول التي تناسب المشاكل موضوع النّقاش والجدال.

لديه مسحة صوفية موروثة خفية غير معلنة للرّياء أوجب الظهور وهو متواضع وكريم يسعى لجمع الشّمل ويساهم بالقول والفعل في الخير والنّفع العامّ له المكانة المتميزة في المجتمع ولدى كلّ الأوساط الرّسميّة والشّعبيّة.

تشهد عليه اسهاماته الكثيرة في خدمة الدّين والجزائر ومن ذلك مشاركته مع الدّكتور سعيد شيبان ومحفوظ سماتي وعمار طالبي في برنامج القرآن والسّنة المقدّم من قناة الجزائر التّلفزيونية أسبوعيا واستمر هذا التّفسير باللّغة الفرنسيّة لمدة خمس (05) سنوات أنجزت فيها ترجمة معاني ثلث القرآن الكريم.

بالرّغم من اهتماماته الإداريّة والمسؤوليّة المادّية والمعنويّة التي أظهر النجاح في تحملها والتّوثيق في إنجازها فإنّه لم يهمل الميراث المادّي والمعنويّ الذي ورثه عن الآباء والأجداد فوجه همّم ذويه وأهله وكلّ إمكانياته في سبيل إحياء مجد هذه الزّاوية العلميّة القائمة على التّعليم المجاني والتّربية القائمة على الحفاظ على القرآن الكريم حفظا وفهما وعملا به بتوفير الشّروط المادّية والمعنويّة لأجل إنجاح التّسيير والرّعاية في جميع جوانبها فجلب لها خيرة المؤطرين واستقبل الطلاب بدون شروط غير شرط واحد وهو أن من يقبل للدّراسة في الزّاوية عليه أن يتفرغ لغايّة واحدة وهي حفظ القرآن الكريم وبالانضباط للنّظام الدّاخلي للزّاوية.

ولم يفوت جانب العصرنة ومسايرة الجانبين المادّي والمعنويّ في توفير مرافق الرّاحة وبذل في سبيل ذلك المال والجهد والمتابعة والتّوجيه المستمر للفريق المشرف على الجانبين التّعليمي والمادّي.

إلى جانب هذا كان الأستاذ عبد الوهاب حموده من أبرز نشطاء المسعى المطموع لكلّ طلاب الجامعة إلى فتح مسجد الجامعة سنة 1968.

وخصص لبني يعلى اهتماما يتمثّل في تنشيط الحياة الثّقافية والفكريّة والذّكريات التّاريخية وإحياء مأثر رجال هم قامة من قامات الوطن في العطاء كالشّهيد أرزقي كمال توفي سنة 1939 تحت التّعذيب فكان أول شهيد من شهداء الحركة الوطنيّة وقد كان هذا الشّهيد هو الذي تحمل أمانة تسيير حزب الشّعب إلى جانب استمرار صدور صحيفة الأمّة النّاطقة باسم حزب الشّعب.

لقد كان لمترجمنا جهودا مشكورة في المشّاريع الخيريّة والدّينيّة والاجتماعيّة والثّقافية ومما شهدته من أنشطته في هذا السّبيل إعادة افتتاح مستجدي الشّيخ السّعيد صالحي ومسجد القدس أين أقيم احتفال دينيّ دعي إليه نخبة من العلماء والشّخصيات الوطنيّة فبذلك كان إحياء المجد القديم لبني يعلا في بعث وإحياء شيوخها والإرث الثّقافي والحضاري الذي كانت تتمتع به هذه النّاحية عن غيرها فطمستها سنوات العشرية السّوداء وأعاد الأستاذ عبدالوهاب ذلك المجد مما بعث السّرور والنشاط في السّاكنة وبلغت إصداء هذه النشاطات القريب والبعيد وشارك فيها الإعلام المرئي والسّمعي والصّحفي. فكان كلّ ذلك بالنّسبة للأجيال المعاصرة من أبناء المتميزة في المجتمع ولدى كلّ الأوساط الرّسميّة والشّعبيّة.

تشهد عليه اسهاماته الكثيرة في خدمة الدّين والجزائر ومن ذلك مشاركته مع الدّكتور سعيد شيبان ومحفوظ سماتي وعمار طالبي في برنامج القرآن والسّنة المقدّم من قناة الجزائر التّلفزيونية أسبوعيا واستمر هذا التّفسير باللّغة الفرنسيّة لمدة خمس (05) سنوات أنجزت فيها ترجمة معاني ثلث القرآن الكريم.

بالرّغم من اهتماماته الإداريّة والمسؤوليّة المادّية والمعنويّة التي أظهر النجاح في تحملها والتّوثيق في إنجازها فإنّه لم يهمل الميراث المادّي والمعنويّ الذي ورثه عن الآباء والأجداد فوجه همّم ذويه وأهله وكلّ إمكانياته في سبيل إحياء مجد هذه الزّاوية العلميّة القرآنية القائمة على التّعليم المجاني والتّربية القائمة على الحفاظ على القرآن الكريم حفظا وفهما وعملا به بتوفير الشّروط المادّية والمعنويّة لأجل إنجاح التّسيير والرّعاية في جميع جوانبها فجلب لها خيرة المؤطرين واستقبل الطلاب بدون شروط غير شرط واحد وهو أن من يقبل للدّراسة في الزّاوية عليه أن يتفرغ لغايّة واحدة وهي حفظ القرآن الكريم

والالتزام بآداب القرآن وبالانضباط للنّظام الدّاخلي للزّاوية.

ولم يفوت جانب العصرنة ومسايرة الجانبين المادّي والمعنويّ في توفير مرافق الرّاحة وبذل في سبيل ذلك المال والجهد والمتابعة والتّوجيه المستمر للفريق المشرف على الجانبين التّعليمي والمادّي.

إلى جانب هذا كان الأستاذ عبد الوهاب حموده من أبرز نشطاء المسعى المطموع لكلّ طلاب الجامعة إلى فتح مسجد الجامعة سنة 1968.

وخصص لبني يعلى اهتماما يتمثّل في تنشيط الحياة الثّقافية والفكريّة والذّكريات التّاريخية وإحياء مأثر رجال هم قامة من قامات الوطن في العطاء كالشّهيد أرزقي كمال توفي سنة 1939 تحت التّعذيب فكان أول شهيد من شهداء الحركة الوطنيّة وقد كان هذا الشّهيد هو الذي تحمل أمانة تسيير حزب الشّعب إلى جانب استمرار صدور صحيفة الأمّة النّاطقة باسم حزب الشّعب. لقد كان لمترجمنا جهودا مشكورة في المشّاريع الخيريّة والدّينيّة والاجتماعيّة والثّقافية ومما شهدته من أنشطته في هذا السّبيل إعادة افتتاح مستجدي الشّيخ السّعيد صالحي ومسجد القدس أين أقيم احتفال دينيّ دعي إليه نخبة من العلماء والشّخصيات الوطنيّة فبذلك كان إحياء المجد القديم لبني يعلا في بعث وإحياء شيوخها والإرث الثّقافي والحضاري الذي كانت تتمتع به هذه النّاحية عن غيرها فطمستها سنوات العشرية السّوداء وأعاد الأستاذ عبدالوهاب ذلك المجد مما بعث السّرور والنشاط في السّاكنة وبلغت إصداء هذه النشاطات القريب والبعيد وشارك فيها الإعلام المرئي والسّمعي والصّحفي. فكان كلّ ذلك بالنّسبة للأجيال المعاصرة من أبناء بني يعلا كشفا غير مسبوق ومعرفة لم يكن لهم بها قبل ذلك إطلاع. للاطلاع بين المتخاصمين دور جد إيجابيّ لفقيدنا العزيز فهو لا يرتاح له خاطر حتى يتدخل بنفسه أو مع من يرى فيه المقدر على القيام بإصلاح ذات البين بن الخصوم وكثيرا ما كانت هذه الخصومات ذات صلة بالنّعرات الذّاتية والخلافات المفتعلة أومن مخلفات الحقبة الاستعماريّة والتي كانت لها فيها الدّور الأساسيّ في نشرها لأجل التّفرقة بين أفراد الأمّة فمن أمثلة ذلك توسطه رحمه الله بين جمعيّة العلماء والطّائفة أو الطريقة العلويّة. أو كالتي كانت بين الشّخصيات كالتي كان المتسبب فيها صديقه وزميله بوكروح الذي هو كذلك من مؤيدي مالك بن نبي فأراد الاجتهاد فيما لا يجدي فيه الاجتهاد ولكنه وللأسف ما زال سامحه الله في خرجاته التي هي أقرب إلاّ جدالات فارغة وغير نافعة فلا طائل منها. كان للمرحوم عبد الوهاب موقف الأسى والحزن على ما تعرض له القرآن الكريم من مساس وتعريض لا يعود إلاّ بالأذى لصاحب الطرح كما هو أمر السّيد بوكروح في هذه القضية.

محمّد الصالح آيت علجت

المصادر:

- عبد الكريم بوعمامة بنو يعلى تاريخ وأمجاد.

عتبة الجيلاني بن عبد الحكم
(1298هـ - 1881م/1385هـ - 1965م)

عتبة الجيلاني بن الجيلاني بن عبد الحكم العلّامة المؤرّخ الشّاعر والمربي من حفدة سيدي يحيي بن صفيّة ولد ببلديّة العطّاف (ولايّة عين الدّفلى) سنة 1881 بالقرب من الشّلف أيضا. وهو من أسرة شريفة من آل سيدي يحيى بن صفيّة التي تمتد فروعها في كل من تلمسان والبيِّض وعين الدّفلى، بل وحتى في الشّرق الجزائري والمملكة المغربيّة.

نشأ عتبة الجيلاني بن عبد الحكم في أسرة أبي قلي وأمه السّيدة الزّهراء بنت أحمد بن معزوزة من المعازيز. الشّيخ العلّامة عتبة العطافي ثم الأصنامي، واحدٌ من أبرز أعلام الجزائر المعاصرة الذين كان لهم فضل السّبق في بعث الحركة التّعليميّة ومزيّة المشاركة في حركة التّأليف والصّحافة إبّان فترة الاحتلال الفرنسي. انفرد عن كثير من أقرانه وعلماء عصره بجمعه بين التّدريس والتّأليف، حيث ترك لنا عشرات المقالات والقصائد المبثوثة على صفحات الجرائد الجزائريّة، بالإضافة إلى كتابه النّفيس (المرآة الجليّة) الذي طُبع لأوّل مرة سنة 1953م، ومجموعة من الرّسائل والفتاوى والمقالات التي لم تر النّور بعد.

قرأ وحفظ القرآن على عدّة شيوخ منهم الحاج محمّد العبّاسي وأحمد بن الحاج عيسى ومحمّد بن عودة والأستاذ السّيد الحاج بن شرقي وأما دراسته وتمكنه من العلوم الأخرى فقد كان على يد الأستاذ الحاج بن العربي في الفقه وعلم الكلام والنّحو والأستاذ محمّد بن أحمد السّوسي بقيّة الفنّون من النّحو وغيره وأذن له في التّدريس بتاريخ 24 من المحرّم عام 1324. فدرس في العطاف ثلاثين سنة ثم انتقل إلى الأصنام في فاتح رمضان عام 1934 ودرس في مدرسة الفلاح التي أسست بتاريخ 14 أكتوبر الموافق شعبّان عام 1935. ثم انتقل إلى غليزان ليكون اماما وتوفّي رحمه الله سنة 1965. بعد استظهاره للقرآن الكريم حطَّ رحاله بزاويّة سيدي الحاج بن شرقي بالعطّاف، حيث درس على شيوخها مختلف العلوم الشّرعيّة من أمثال الشّيخ سيدي الحاج بلعربي والشّيخ محمّد بن أحمد السّوسي المغربي، بالإضافة إلى انتسابه للطريقة الشّاذليّة على يد شيخها سيدي الحاج بن شرقي ونجله سيدي الحاج بلعربي، وبعد أخذه الإجازة قفل إلى مسقط رأسه حيث أسَّس مدرسة علميّة سنة 1906م، وتوافد عليها الطّلبة من مختلف جهات القطر الجزائري وحتى من خارجه، وعرفت تلك المدرسة بالمدرسة العطّافيّة، واستمرّ الشّيخ على رأسها إلى غايّة 1934م، استقرّ بعدها رفقة عائلته بمدينة الشّلف -الأصنام سابقا- وأسَّس

بهـا أوّل مدرسـة للتعليم العربـي الحر، حملت اسـم "مدرسـة الفـلاح" بيـن سـنتي 1935 و1954م، ثـم انتقـل لمدينـة غليـزان مواصـلا حركتـه التّعليميّة، إلـى غايّة سـنة 1958م، حيث توفّـي الشّـيخ الجيلاني بـن عبد الحكـم يوم 24 جانفـي 1965م، ودفـن بمقبـرة الشّـيخ سـيدي أحمد بن عبد اللـه ببلديّة أم الدّروع (الشّـلف).

مـن قصائـده الرّائعـة مدحه لشـيخه الغوث سيدي بن شرقي: حيث جاء فيها:

الحمد لله الذي قد خصّنا
بالهاشمي المصطفى المنَورقِ
ثم الصّلاةُ دائمًا على الذي
مِن نوره اكتسبَ كلُّ شارق
وآله وصحبه وتابعيه
والأوّلياء ممن مضى ومن بقي
وبعد فاعلم يا أخي وأصغ إلي
شمائل قد ذكرت في المشرقي
الزّهد والورع والتّورع
وعدم النّوم فقل للفلقِ
فهكذا خذ دأبه وضِعَته
والصّوم دائما في حر محرق
وإن أتى الوعظ فقلْ كأسَد
يجول في البيد لكل الطّرق
يفيض كالبحر لكل جهة
يعطي المسائل بلا تملق
يبدو على الزّوار من خلوته
كشمس أشرقت على الحدائق
قد باع دنياه بآخرته
وقال جواهرك غير لائق
بيادر الحق ولا يكتمه
يعطي الدّنانير كقشر الفستق
مولى الكرام إن تقل وجوده
أوسع من بر وبحر دافق
حدث على سره ما شئت وكن
معتصما بحبله الموثق
كم صعبة سهلها وكم وكم
كان بفضله عبور زورق
كم مرآة دعت به وكم وكم
قد استغيثا باسمه في الطّلق
وكم أسود لهجت بذكره
وأفصحت به بحسن منطق

كتاب (المـرآة الجليّة) للشـيخ الجيلاني بن عبد الحكـم من أهـمّ المؤلّفـات المعاصرة في علـم الأنسـاب والتّراجـم. يعتبـر هـذا الكتاب المصدر الأوّل للتعريف بسُـلالة الولي الصّالح سـيدي يحيـى بـن صفيّـة أصـولا وفروعـا، والمتمثلين فـي أوّلاد نهار بتلمسـان والنّواحي الشّـرقيّة من المملكة المغربيّـة كعين بني مطهر وسـيدي بوبكـر وميسـور، وكذلـك القراريـج أوّلاد سيدي يحيى بن عبد الله بالبيّض وسعيدة وسـيدي بلعبّـاس وتيـارت، بالإضافـة لـــآل عتبة أوّلاد سـيدي اعمر العتبـي في كل من عين الدّفلى والشّـلف، مسـتفيدا من تقاييـد الأوائل والظهائـر الرّسـميّة المتوارثـة بيـن أعيـان هذه الأرومـة الشّـريفة والمصادر النّسـبيّة الشّـهيرة، ومستأنسـا بالرّوايات الشّـفويّة والمتواترة، هذا عن القسـم الأوّل من الكتاب، أما القسـم الثّاني منـه والذي جعله خاتمة للكتـاب فقد ترجم فيه المؤلف لنفسـه ونشـأته العلميّة وتأسيسـه لكل من مدرسة العطاف ثم مدرسة الفلاح بالأصنام، ثم عقد فصولا ترجم فيها لشـيوخه وسـنده في الطّريقـة والتّلقي، غير إنّه اسـتطرد كثيرا في ذكر مناقب وكرامات شيخه سيدي الحاج بن شرقي صاحـب زاويّة العطّـاف. كتابه هـذا يعتبر بحق مرآة عاكسـة للواقع الذي كانت تعيشـه الجزائر قبيـل انـدلاع الثّـورة التّحريريّـة، ومرآة عاكسـة لشخصيّة الشّيخ ومستواه العلمي والثّقافي.

كمـا يمكـن أن يفيد هـذا الكتـاب في جمع معلومـات عـن الشّـخصيات التـي عـرَّف بها، خاصّة ما تعلق بمصيرهم أثنـاء ثورة التّحرير أو مسـيرتهم بعد الاستقلال، ليكون عمل المحقق أشبه بالتّتمة والتّكملة لعمل المؤلف.

كريم ولدالنّبيّة

المصدر:

- المرآة الجليّة في ضبط ما تفرق من أوّلاد سيدي يحيي بن صفيّة وفي التّعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصّوفيّة 1964.

■ عثمان بالي
(1372هـ - 1953م/1425هـ - 2004م)



إن عثمـان بالـي، أيقونـة إبداعيّـة وتراثيّـة، وواجهـة ثقافيّة بارزة في ذاكـرة الإبداع والتّفرد على الصّعيديـن الوطنـي والعالمي، هـو فنان تارگي عابـر للقارات مما يجعـل تجربته الفنيّة حافلـة بالتّميـز،وكان مسـعاه الكبيـر متمثـلا فـي إخـراج الأغنيّةالتّارگيّـة مـن محليتهـا إلى العالميّة، بعد أن تمكن من نقل أغنيّةالتّندي من واحات الصحراء إلى كبرى قاعات الموسـيقى فـي العالم،فمن بـراغ إلبيكين، ومـن لندن إلى پاريـس، ومـن كاراكاس إلى كوبنهاغـن،و من القاهرة إلـى طوكيو، وقبلها من تمنراسـت إلى قسنطينة فالجزائر العاصمة وعنابة.

إنّ الرّاحـل عثمانـي مبارك المدعـو (بالي)، وهو أحد أحفاد الشّـيخ آمـود أيقونة النّضال في التّاسيلي والهوگار الشّامخين، والدّه رجل فقيه ومنه تعلم بالي أصـول الدّين وحفظ عنه الكثير من الآيات والسّـور القرآنيّة،والأم شاعرة وفنانة معروفة لدى قبائل التّوارق في أقاصي التّاسيلي بأداء طابع (التّندي) بجانت التي ولد فيها عثمان عـام 1953م، وبعـد أن تلقـى تعليمه بالمدرسـة القرآنيّة (تين خاتمة) سنة 1963 التّحق بالمدرسة الابتدائيّة الوحيـدة آنذاك بجانات، قبل أن ينتقل

إلى تمنراست لمواصلة تعليمه الثانوي، ليكون الهگار أوّل شاهد على انكشاف مواهبه الفنيّة كمغن وراقص في فرقة الثانويّة، ومن هنا بدأت رحلة تنقل عثمان بالي نحو العاصمة ليشارك في مختلف التّظاهرات الثقافيّة الوطنيّة والدّوليّة، بعد أن كوَّن فرقته الموسيقيّة الخاصّة به سنة 1987.

ولم تكن البدايّة سهلة أمام عثمان بالي في هذا المجال، وخاصّة وأنه الرّجل الوحيد الذّي دعا إلى ضرورة الانقلاب على تقاليد عشائر (التّوارق) من أجل إسقاط العرف الذّي يُقِر أن الغناء خاصّ بالمرأة فقط في هذه العشائر، فموسيقى (التّندي) التي تقطن الفيافي والقلوب وتتربع على عرش الموسيقى في الجنوب الجزائري، هي طابع من اختصاص النّساء، حتى إن آلة الإمزاد التي ترافق المغنيات هي حكمة النّساء أيضا، فلا يحقّ للرجال مداعبة أوتارها، لكن عناده ودعم أسرته حال دون اليأس من تحقيق حلمه الذّي راوده منذ الطفولة، ولقد حقق إصراره الاستثناء والإقناع بأن الرّجل الأزرق مُغَنٍّ هو كذلك إلى جانب شقيقته المرأة، فصار يؤدي الحفلات الغنائيّة والأعراس والمناسبات الدّينيّة، كما تعلم العزف على العود، وأتقن الإيقاع التّارگي، وبدأ يشتهر سنوات السّبعينات وذاع صيته، وتعرف عليه الجمهور الجزائري عندما أصدر أوّل البوم له تحت عنوان (أسوف) يعني (الحنين) سنة 1987.

ولطالما قال بالي أنه يقدم (موسيقى تارگيّة عصريّة) دون أيّة عقدة أو انسلاخ. بعد أن غير في شكل الموسيقى الخارجي وفي نكهتها وتجسداتها الخارجيّة الظاهرة، دون أن يمس بالفلسفة التي تقف وراءها أو بالحكمة التي تكلّل تعويذاتها الخالدّة. إي نعم تمرد عثمان على الإمزاد وأدخل للتندي آلة العود، ثم تمرد مرة أخرى على المرأة وغنى مكانها ما كان ممنوعا على الرّجال. إذ لم يكن للرجل سوى حقّالرّقص على غناء المرأة. ففي ثقافة التّوارق أن الآلات الوتريّة هديّة الصحراء للنساء، ولا يحق لأي مخلوق من أي جنس آخر عدا النّساء أن يلمسها أو يتجرأ على اللعب بها، ومن يفعل ذلك تحلّ عليه اللّعنة.

لقد غنى (عثمان بالي) بلباسه التّقليدي وبلهجته التّارگيّة على أعلى منابر المحافل الدّوليّة، بمجموعة تردد وأخرى تعزف على آلات بسيطة من عود وطبل،وهو ما حقق الاستثناء في هذا الطابع، الذّي لم تخدشه خشونة التّكنولوجيا الحديثة. حيث كان يرافقه على الآلات الإيقاعيّة كل من (مختار بوعزة) و(إلياس محمد) و(مختار بن عومار) و(خاب وإسماعيل).ورافقه في الكورس كل من: (خديجة عثمان) و(فاطمة مليكة) و(الزهرة ثامر) و(يمينة زهواني). تلك عائلته وعلى رأسها خديجة أو خديج اتة كما يحلو له أن يسميها. إنها أمه التي كانت بمثابة المعلم بالنّسبة له، هي حاميّةالتّراث وهي النّبرة الأولى في سمفونيّة قوامها الرّمل والعطش وآلة الإمزاد. حين تعزف عليها تختصر الامتداد والشّساعة، تقول الذّي تعجز عنه الزوابع الرّمليّة والمساءات النّديّة والجِمال التي تهمس للريح أن الوطن جزء من أغنيّة، (لها ذاكرة موسيقيّة عجيبة) يقول عنها ذاك الذّي حمل أغنيّة التّوارق خارج الصحراء مثل قافلة تحمل الكنوز لتعبر مدن الرّمل والقمح.

وقد انفتح عثمان بالي المتمسك بتقاليده وأصالتّه على الألوان الموسيقيّة الغربيّة فألّف نصوصه باللغة التّارگيّة وباللغة العربيّة وأضفي عليها أحيانا بعض المقاطع من اللغة الفرنسيّة لإثراء الموسيقى التّقليديّة التّارگيّة وتجسد ذلك من خلال عمله مع الفرقة الموسيقيّة للجاز الإيطالي (فيستي)، بالإضافة إلى تسجيل حفل فني مباشر بكاراكاس (فنزويلا) رفقة العازف على الآلات الايقاعيّة الأمريكي (ستيف شيهان/ Steve Shehan) إلى جانب أدائه رائعة موسيقيّة رفقة عازف الجاز الفرنسي (جون مارك/ Jon Mark)كما عزّز رصيده الغنائي بتسجيل ثلاث مجموعات من الأغاني، كانت قلبا نابضا في تاريخ الموسيقى العالميّةالتي تشع بألوان الصحراء وعطر الكثبان.

وقد سمى هذه الألبومات باللغة التّارگيّة (آسوف)ومعناه الحنين (آساروف)ومعناه العفو) آسيكال (ومعناه السّفر. قام بإنجازها رفقة فنان بارع اسمه (ستيف شيهان/ Steve Shehan) المولود عام 1957 بفرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكيّة، أصله من قبيلة)الشّيروكي/ (Cherokee من (الهنود الحمر)، وهو رحالة من الطراز الأنيق، مخترع آلات الموسيقى، مؤلف موسيقي عَمِلَ مع كبار الموسيقيين العالميين أمثال (ليونارد بيرنشتين/ Leonard Bernstein) و(جون ماكلوفلين/ John McLaughlin). وقد كشف (نبيل بالي) الذّي يعزف على آلة العود في الفرقة التّقليديّة للفقيد، أن والده ترك ما يربو عن 250 قطعة موسيقيّة وشعريّة، ينوي استغلالها تدريجيا في الألبومات المقبلة التي يعتزم تسجيلها. فضلا عن وصلات غنائيّة ماتعة، هي التي أسمعها للدنيا أجمع، وردّدها معه جمهور عريض غنى فيها للإنسان والحبّ والخير والجمال.إذ طالما كانوا يسألوننا عن أغنيته (آمين آمين) أو رائعته الشّهيرة (دمعة دمعة) أو عن معاني قصيدته المغناة بلغة التّمهاق (أساروف).

المرحوم بالي رصيد متنوع يمتاز بالجوّدة والأصالة وروح طيّبة فقدها النّاس يوم 17 جوان 2005، إثر حادث أليم أودى بالفقيد في واد اديجرو عن عمر يناهز 53 عاما، لقد خطف الموت هذا الفنان الذّي لم ينس التّاريخ أن يوم 27 فيفري 2004 ،دخل عثمان بالي قاعة الملكة إليزابيث بلندن، وبدأ العزف على أوتار عوده الذّي كان يقول شساعةالنّبض وتراتيل الصحراء. مات الرّجل الذّي لم تهزمه لا تقاليد عشيرته ولا حتى قساوة الطبيعة التي كان يعيش فيها، فقد كان يحمل في صدره عزيمة الرّجل الأزرق الذّي انحنت كل الظروف الصعبة أمامه.

سناء رمضاني

المصادر:

– https: / /www.djanoub.com/ عثمان بالي.. صدى الصحراء في موسوعة الفن العالمي

عثمان بن حدو بوحجر (العقيد سي عثمان)
(1345هـ - 1927م/1397هـ - 1977م)

عثمان بن حدو بوحْجَر المعروف وطنيا بـ (العقيد سي عثمان) قائد الولايّة الخامسة التّاريخيّة، خلفا للعقيد بودغان بن علي المدعو (العقيد لطفي) هو أصغر أخويْه سِناً وأذيَعُهما صِيتا، مع ان اخاه بشير الأسَنَّ منه عمراً قد سقط شهيدا في ميدان المعركة.

ينتمي إلى عائلة وطنيّة، فقيرة، متواضعة، هادئة، مناهضة للاحتلال الفرنسي، ومعاديّة له، ابنا عن اب وابا عن جد، ذكورا وإناثا.

من عين تيموشنت موطنا، وفي وهران مولدا، وبالجزائر وفاة، في اليوم السّادس والعشرين من شهر اوت من سنة ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين. والمولود في اليوم الثّالثّ والعشرين من شهر نوفمبر من سنة ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين لأبويه: بن حدُّو أحمد، وفطُّومة موسي اللذين اضطرتهما ظروف الحياة إلى الانتقال إلى بلديّة حاسي الغَلَّة بنفس الولايّة للاستقرّار فيها .



نشأ يتيما في كفالة والدّته وأخَويْه (ذكر وأنثى) وتربَّى على عزّة النّفس، وعُلَوّ الهِمة، وحب الوطن، وعلى الصّدق، والتّواضع، والوفاء، وحفظ الاسرار، والصّبر على الشّدائد، ونكران الذات.

نما رويدا رويدا تحت رعايّة أسرته الصّبورة المجاهدة، وترعرع في أحضانها، في عصر سادَه الظلم والاستبداد، وتفشى فيه الضَّيْم وتسخير الأهالي للعمل المهين، بالمجان، أو بدريهمات معدودات. في ضِياع المستوطنين الفرنسين ومزارعهم الخصِيبة، المصادرة أراضيها المترامِيّة الأطراف من السّكان الأصلين للبلاد، ظُلْما وعدوانا.

وقد اشتهرت عين تيموشنت يومئذ بالوجود الكثيف للإقطاعيين الأجانب والمستوطنين الأوروبيين، الذين أصبحوا سادة في الفلاحة والاقتصاد في المنطقة، وبات الفرق ملحوظا بينهم وبين السّكان المحليين، في نَمَط المعيشة ونظام التّعليم، وصُنُوف الثّقافة، وأساليب الحياة، في الدّين، والأخلاق، والاجتماع، والتّقاليد والعادات، وتَمايَز النّاس ـ بناء على هذا الفرق الشّاسع ـ الى نازح الى المناطق الرّيفيّة، والى ماكث في مكانه حيث هو، عسى ان يتأقلم (وعبثا أن يتأقلم) مع الوضع الجديد الذي أتى به الفرنسيون الى بلده وفرضوه عليهم فرضا، لغرابته عنهم ومخالفته لمعتقدهم، خِلافا للوضع القديم الذي وَرِثه عن أجداده منذ أزمنة بعيدة.

في هذا المناخ السّياسي، المُمَيَّز بالعنصريّة والعرقيّة والتّهميش والقمع نشأ العقيد سي عثمان.

لكم كان يحُز في نفسه ان يرى بعيني راسه، الفرنسيين ينعمون بثرَوات البلاد الطّبيعيّة، وخيْراتها، على حساب الجزائريين وذُرِيَّاتهم.

هذا السّلوك العدائي، المنافي لأبسط قواعد الاخلاق والإنسانيّة، الذي اعتمدته سلطات الاحتلال الفرنسي في مواجهة الشّعب الجزائري ومعاملتها لهم، جعلت من العقيد عثمان شابا يُناصِبها العداء ويَضْمر لها شرا ويتربَص بها الدّوائر، بالرّغم من إنّه قد اشتغل مزارعا عند أحدهم غير إنّه ـ مع الأسف ـ لم يسعفه حظه ان يَتعلَّم في المدارس الحكوميّة، لأن التّعليم فيها يومئذ كان يقتصر على الفرنسين والمنتمين إليهم من أبناء القُياد والباشاغاوات.

وهو لفي خضم كراهيته المقيتة تلك للمحتلين الفرنسيين، حتى فتح الله عليه باب الانضمام الى صفوف الحركة الوطنيّة وهو حدثٌ دون سن العشرين من عمره.

ونظرا لما كان يتمتع به من نباهة سياسيّة مبكرة، تلقفته أيدٍ أمينة في الحركة، ووضعته على الطّريق الصّحيح، ثم دفعت به إلى خوض العمل السّياسي بحريّة مطلقة، في كل ما يخدم القضيّة الوطنيّة، من قريب او بعيد.

ناضل بداية في حزب الشّعب الجزائري، ثم في حركة أحباب البيان والحريّة، ثم في حركة انتصار للحريات الدّيمقراطيّة (MTLD) ثم لم يلبث أن تَحوَّل الى عضو ناشط في المنظمة الخاصّة، وما إن ظهرت إلى الوجود جبهة التّحرير الوطني، المناديّة لتحرير الوطن بحد السّلاح، (على عكس ما كانت تنادي به الحركات والأحزاب الوطنيّة الأخرى) حتى انتسب إليها عن قناعة وشغَف لعثوره فيها على مبتغاه، ولأنّه وجد فيها ما يُوائم طبعه الجهادي، إذ عِلم يقينا أن ما أُخِذ منك بالقوة فلا يرد إليك إلا بها، وما عتم أن أُلقِي عليه القبض وهو يمارس نشاطه السّري في المنظمة الخاصّة، وزُج به في سجني وهران والأصنام، بعد صدور حكم قضائي ضِدَّه من محكمة الاستئناف بالجزائر بثلاث سنوات سجنا نافذا من سنة)1950م الى 1953م) مُتضَمِّناً حرمانه من ممارسة حقوقه المدنيّة، وحظر إقامته في بلده لثلاث سنوات إضافيّة. وقد التّقى ـ في السّجن ـ بالسّجينين المعروفين أحمد زبانة (أوّل شهيد نُفِّذ فيه حُكم الإعدام بالمقصلة)، وحمُّو بوتليليس (قائد المنظمة الخاصّة في شمال غرب الجزائر).

وما إن أُفرِج عنه حتى التّحق بالمغرب للحصول منه على الأسلحة، والمعدَّات القتاليّة استعدادا لانطلاق ثورة التّحرير المرتقبة. وفيما هو يتنقَّل بين الحدود المغربيّة والاسبانيّة في إطار مهمَّته، تنبَّهت له المصالح السّرّيّة الاسبانيّة، وأوقفته فورا ثم أخلت سبيله بعد أيام، بوساطة مغربيّة موعز إليها من الشّهيد العربي بن مهيدي الذي أمره بالتّقهقر إلى منطقة مغنيّة، لِتَسلُّم أسلحة رست بها الباخرة دنيا في مرفأ بتلك الجهة، بتاريخ 27 مارس 1955، فارتدَّ على آثاره قصصا، حتي إذا وصل إلى وجدة أخذ معه رفيقيه (غديري حسين وسي الطّيب عبد الباقي) لمساعدته، حيث تمكَّنوا من نقل الأسلحة إلى المعنيّين بالأمر وإيصاله اليهم في مختلِف الجهات الجِباليّة، في ظروف حرجة، حينا على أكتاف الرّجال، وأحيانا على ظهور الحمير

والبغال. حتى إذا اكتملت المهمّة وبلغ السّلاح والذخيرة مأمنهما، باشر المسؤولون السّامون في الولايّة الخامسة توزيع الأسلحة التّلقائيّة على خُلَّص رجالهم، وشرعوا (دونما تباطؤ) في مباغتة العدوّ في عقر دياره، حينا بالمواجهة المسلَّحة المباشرة، وأحيانا بالكمائن المنصوبة لهم بإحكام، وقد شارك العقيد (سي عثمان) بشخصه في أشدّ المعارك ضراوة، وأحماها وطيسا، في الغوالم، وكاسان، وبوزجار، ووهران، والونشريس، وفي الشّلف، وتنس، وتلمسان، وغليزان، وقد شجَّعه ذلك على توسيع دائرة عملياته العسكريّة الى ما بعد حدود ولايته، بموافقة من قادة الجوار، بُعَيد استشهاد العقيد لطفي. وكان قد شنَّ هجوما كاسحا سنة 1956م على عدد هائل من مزارع وضياع المستوطنين والاقطاعيين الفرنسيين بعين تيموشنت، مُلحقا بها أضرارا فادحة جمّدت مسيرة الاقتصاد الفرنسي بنفس المنطقة، ونظرا لتوالي نجاحاته العسكريّة، وثبات حبه لوطنه، محبةً أنْسته نفسه وأهْلَه، وألْهته عن التّكفل بقضاياه الشّخصيّة، قلَّدَه مسؤولوه العسكريون من الرّتب أعلاها، ومن المسؤوليات أشقاها، أثناء حرب التّحرير وبعدها.

خصَّه الله بصفات حميدة قل أن تجتمع في رجل مثله، وحَبَاه من حصافة الرّأي وجودة الفكر، وقِدَةِ الذكاء، ورحابة الصّدر، ووافر الحِلم، ما حبَّبه إلى جنوده، وقرَّبه إلى قلوب المسؤولين الثّوريين من أمثال العقيد لطفي، والعربي بن مهيدي، وعبد الحفيظ بوصوف، وهواري بومدين، وعبد المالك رمضان، وقاصدي مرباح، وكذلك تعرَّف على العقيد محمّد بوقرة، وعمر اوصديق، ورابح بيطاط، ما أكسبه جِدِّيّة ومهابة، وأهَّلَه ان يشاركهم اجتماعاتهم ذات السّريّة العاليّة، من ذلك حضوره في اجتماع إطارات الولايّة الخامسة التّاريخيّة، إلى جانب الإخوة العقيد لطفي، وبومدين وقايد أحمد (سي سليمان) وفراج، وأخرين، بصفته عضو سابق في كل من المنظمة الخاصّة واللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل، والمجلس الوطني للثورة الجزائريّة.

ثم لم يلبث ان التّحق بأركان الجيش، بعد أن كان قد اتّخذ من منطِقة الرّمْكة مقرًا لقيادته العامّة، لغايّة 1959 ومن ثم تولّى قيادة الولايّة بعد استشهاد سابقه حتى الاستقلال. ثم شغل منصب عضو مجلس الثّورة 1965 فنائباً عن وهران في المجلس الوطني، فمُنسِّقاً لجبهة التّحرير الوطني، فرئيساً شرفيا للمنظمة الوطنيّة للمجهدين.

وبلغ من صحّة جهاده وصدق وطنيته الفوّارة، أن ألحق به زوجته بوعزيز ربيعة المعروفة ثوريا (بميمونة) الى الجبل، وحمّلها السّلاح مثله أوائل سنة 1957 لتخوض وإياه معارك طاحنة

إسماعيل ميرة

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

■ عثمان لوصيف
(1370هـ - 1951م/1439هـ - 2018م)

ولد الشّاعر-عثمان لوصيف-في الخامس من شهر فيفري عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف ميلادي 05/ 02/ 1951 بدائرة - طولقة- التّابعة لولايّة بسكرة بجنوب الصّحراء الجزائريّة وقد نشأ وسط عائلة متواضعة ومحيط طولگي فقير-تلقى الشّاعر تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه بطولگة انتقل إلى بسكرة حيث درس أربع سنوات بالمعهد الإسلامي هناك ليحصل على شهادة الأهليّة سنة 1970.

وفي هذه المرحلة في التّعليم المتوسط حفظ القران الكريم خلال العطل الصّيفيّة بمساجد طولگة وكتاتيبها وغير أن الظّروف الاجتماعيّة الصّعبة التي كانت تعيشها أسرته لم تسمح له بمواصلة تعلمه فاضطر إلى الانقطاع عن الدّراسة لينخرط في سلك التّعليم بعد سنة تكوين قضاها بالمعهد التّكنولوجي لتكوين المعلمين بباتنة.

وهذا لم يمنعه من مواصلة دراسته بطريقة عصاميّة حتى نال شهادة التّعليم الأصلي شعبة علوم الشّريعة واللغة العربيّة عام 1974 بمشاركة حرة. ثم التّحق بالجامعة في سنة 1980حيث درس بمعهد الأدب العربي بباتنة 1980-1984 ليتخرج بشهادة ليسانس في الأدب ويصبح أستاذا التّعليم الثّانوي بطولگة إلى غايّة 2001 . وعلاوة على البروز اللافت كشاعر نال تقدير الكثير من النّقاد، فإنه قد وفق يوم 16 أكتوبر 2016 لمناقشة أطروحة الدّكتوراه بجامعة السّانيّة بوهران حول الأدب العالمي بعنوان التّجربة الشّعريّة- ج.ن .ارتور رامبو- برئاسة النّاقد عبد الملك مرتاض والدّكتور الطّاهر بلحيا مشرفا وعضويّة عبد النّاصر اسطنبول ومحمّد بلوحي ولخضر بركة ومحمّد السّعيدي حيث منحت له شهادة الدّكتوراه بدرجة مشرف جدا .

وبالنّسبة لشاعريته، فقد برز في الوسط الأدبي في السّبعينات، وتألق في الثّمانينات بعد أن عرف إنتاجه الشّعري طريقه إلى النّشر، بحيث كانت فترة الثّمانينات بالنّسبة للشاعر فترة ظهور دواوينه الشّعريّة، وهو يعتبر من الشّعراء المعاصرين الذين يكتبون القصيدة الجديدة بأدوات وتقنيات الشّعر الصّوفي في كثير من قصائده، وبتجليات الخطاب الصّوفي في الشّعر بشكل عام، ولذلك يظهر في شعره الحس الباطني وتعلوه بعض السّمات الصّوفيّة. تتميز مجموعاته الشّعريّة بتوظيف الرّموز ذات المعاني الصّوفيّة واستخدام الصّور الشّعريّة التّجديديّة التي تطيل النّظر والتّأمل في الكون والإنسان من أجل التّعبير عن شوق النّفس العطشى والوجدان المتلهف إلى الدّاخل وإلى الباطن.

ومن مظاهر الخطاب الصّوفي في شعر "عثمان لوصيف" تصاعد الوهج الرّؤيوي عند الشّاعر، والتّطلع إلى لحظات التّجلي، وفي هذا المعنى يدور أغلب شعره.

توفي الشّاعر الجزائري – عثمان لوصيف– يوم الأربعاء 27 يونيو 2018 عن عمر ناهز 67عاما بعد معاناته مع المرض، توفي في مستشفى بن ناصر بسكرة.

وقد نال الشّاعر –عثمان لوصيف– شهادات كثيرة منها:

– شهادة الأهليّة عام 1970.
– شهادة إنهاء الدّراسة بالمعاهد التّكنولوجيا للتربيّة عام 1971.
– شهادة التّعليم الأصلي البكالوريا شعبة علوم شرعيّة واللغة العربيّة عام 1974.
– شهادة الليسانس في الأدب العربي من جامعة باتنة عام 1984.
– شهادة الدّكتوراه في الأدب العالمي عام 2016.

كما شغل وظائف عديدة منها:

– مدرس لغة عربيّة للمرحلة الابتدائيّة من 1971 إلى غايّة 1975.
– أستاذ لغة عربيّة للمرحلة الإعداديّة من 1976 إلى غايّة 1979.
– أستاذ تعليم ثانوي لمادة الأدب العربي من 1984 إلى غايّة 2001.
– أستاذ مشارك في كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة بجامعة - محمّد بوضياف بالمسيلة– ابتداء من 2002 إلى غايّة 2003.

نتاجه الأدبي:

ترك هذا الشّاعر أعمالا شعريّة مطبوعة منها:

– الكتابة بالنّار 1982.ط1 / 1986.ط2.
– شبق الياسمين1986.
– أعراس الملح 1988.
– أبجديات 1997.
– الإرهاصات 1997.
– براءة 1997.
– غردايّة1997 .
– اللؤلؤة 1997 .
– نمش وهديل 1997 .
– زنجبيل 1999 .
– قراءة في ديوان الطّبيعة 1999 .
– قصائد ظمأى 1999 .
– المتغابي 1999 .
– ولعينيك هذا الفيض 1999 .
– كتاب الإشارات 1999 .
– قالتّ الوردة 2000 .

ومن الأعمال الشّعريّة غير المطبوعة –ريشة خضراء 1999 .

ومما يمكن أن يلاحظ أن معظم قصائد هذه الدّواوين كتبت بمدينتي طولگة وباتنة، فكأنّ الشّاعر لم يكن ألفى سبيلا – على امتداد عشرة أعوام – إلى النّشر حتى أمكنته الفرصة فجأة فنشر ثلاثة دواوين جملة واحدة 1997.

ومن بين كل دواوينه نقف مع ديوان واحد نستشف منه خصائص شعره وهو ديوان "اللؤلؤة".

ويشتمل هذا الدّيوان على زهاء سبع وثلاثين قصيدة قيلت فيما بين 1984 و1996، وقد كتبت كلها بمدينة طولگة، إلا خمسا منها: إحداهن بالجلفة، وإحداهما بورجلان، وثلاثا بباتنة.

ولعلّ القضايا التي تناولها عثمان لوصيف قد يستبين بعضها من خلال عناوين قصائده، فهي متقاربة في مستواها الفني دون أن نريد الانزلاق إلى تحديد درجة هذا المستوى الفني، فهذا يتطلب قراءة متأنيّة لكل أشعاره، وإعادة تلك القراءة ما أمكنت الإعادة.

وقد يكون من المحزن حقل غياب النّقد الشّعري على نحو تقرأ فيه لشاعر من الشّعراء الجزائريين فلا تكاد تجد شيئا يفتح لك سبيلا إلى معالجة شعره على هدي من ذلك النّقد فتعمد أنت إما إلى اختيار التّأييد، وإمّا إلى اختيار الاعتراض، وإمّا إلى القيام مقاما وسطا، فقد تفتح هذا الدّيوان أو ذاك، مما ينشر الشّعراء الجزائريون (ويسري هذا السّلوك على معظم الأعمال الرّوائيّة والقصصيّة أيضا) فتضطر إلى قراءته انطلاقا من العدم النّقدي، والأسوأ من كل ذلك في غياب الثّقافة النّجوميّة فإنك قل أن تقرأ في الصّفحة الرّابعة من الغلاف تاريخ ميلاد شاعر، وكأنه معروف السّيرة فهو في مكانة جرير، أو أبي تمام، أو أبي الطّيب، أو شوقي!.

ولذلك لم نتمكن من العثور على كلمة واحدة قيلت في دواوينه، ولعل البعض سيقولون إن مثل هذا الأمر قد يكون ظهيرا للدارس على تقديم رأي خال من التّأثيرات الخارجيّة التي قد لا تكون موضوعيّة ولا رصينة فيكون ذلك أمثل لما يكتب من حولها، وربما يكون أدنى ما يمكن إلى الموضوعيّة، ولهذا سنذكر نموذجا يسيرا عن شعره لتقف على الرّمزيّة فيه.

نماذج من أدبه:

– جرس السّماوات تحت الماء
– جرس أطارده فيجرحني الرّنين
– صدى يسافر في يدّي
– غمامة تدنو وأخرى تهربُ
– وأنا أهرول في سهوب العمر
– أبحث عن جراحاتي التي انهمرت هنا
– بالأمس منّي هل رعاها الأنبياء
– فبرعت مزهوّة
– أم أنها طارت إلى آفاقها تتلهّبُ
– ويسيل لحن من فمي
– فإذا البروق تدغدغ الأرض المريضة
– تمسح الأعشاب والأهدابَ
– والشّجرُ المضرّج بالصّبابة يطربُ
– وإذا الطّبيعة كلها سرّ يكاشفني
– فأبصر في مراياها الحميمة طفلة عصماء
– تسقيني الحنان فأشربُ
– وأصير طفلا يستجيب للغوها
– ويضيع في أحداقها الخضراء
– يا ليت الطّفولة سحرها لا يذهبُ
– آهٍ ! على جرس توغّل في الضّباب
– فلا يعود سوى زفرات ناي نازف

رابح دوب

المصادر:

– معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين، عبد الملك مرتاض، دار هومة للنشر، الجزائر؛
– موسوعة الشّعر الجزائري: الرّبعي بن سلامة وآخرون، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ج2، 2009.

عدّة بن غلام الله
(1208هـ - 1794م/1282هـ - 1866م)

الشّيخ الجليل صاحب الكلمة المسموعة والمقام السّامي والمكانة العاليّة عند الأمير عبد القادر، عدّة بن محمد الموسوم بن غلام الله بن عبد الرّحمن بن أبي القاسم بن محمّد الخياطي بن عبد الله.

ولد عدّة بن غلام الله في 1208هـ/ 1794م في قريّة (مشتّى الفقرا) القريبة من جديويّة من نواحي واد رهيو، بالشّلف، ذهب به جدّه مع أبيه لشيخهما في الطّريقة الرّحمنيّة سيدي بلمهل المازوني دفين بوعلوفة بمازونة، وقال جدّه المذكور: (سيدي إنّه لم يكن لنا غير هذا الولد، وأملنا فيه أن يعمّر وكرنا، فادع الله له بالشّفاء، وأن يكون عالما عاملا وليّا، وإلا فموته صغيرا أوّلى)، فتواجد الشّيخ ضاحكا، وحضرته الدّموع. وقال: (إن لم يكن عالما وليّا فموته أوّلى) فقال الجدّ: (نعم إننا مساكين أبناء مساكين، إن لم يكن لنا نصيب من العلم والولايّة، ولا نصلح لشيء فعندئذ وضع الشّيخ يده المباركة على رأسه، وقال: (إن قرأ فهو عالم، وإن لم يقرأ فهو عالم، وإن خدم فهو ولي، وإن لم يخدم الله فهو ولي).

دخل الكتّاب لتعلّم القرآن الكريم، فجمعه في نحو السّادسة عشرة (16) من عمره، ثم صحّحه القرآن والده، وبعثه بعدئذ لتصفيّة لوحته بجامع الدّبّة في القلعة التّابعة حاليا لولايّة غليزان، فقرأ على الشّيخ (بن حمو بن لحاج بن حمو)، ثم شرع في طلب العلم وآليته، فأخذ التّوحيد والنّحو والحديث وعلم الفلك على شيخه في الطّريقة الوزانيّة السّيد (محمّد بن عبد الرّحمن)، ولما أتقن ذلك وارتحل في سبيل طلب العلم إلى بلدة مازونة، فسمع فقه الإمام مالك في خصوص مختصر الشّيخ خليل كما هو معتاد من أهل تلك البلاد. وأوّل طريقة تمسّك بها هي الطّريقة الرّحمنيّة، أخذ العهد فيها عن والده سيدي محمّد الموسوم في حال صغره، وكان يحببه في تلك الخلوات كما هو شأن أهلها، ثم استشار والده جدّه سيدي غلام الله عن أي طريقة يتمسك بها؟ فأجابه: (يا ولدي طريقي قادريّة وطريق أبيك هي عندك)، ثم ذهب لجدّ مشايخ القادريّة الشّيخ عبد القادر بن الأحوال دفين بلاد مجاهرة (ولايّة مستغانم) بصدق كبير ونيّة وافرة، وزيارة كبيرة، فتلقاه الشّيخ في الطّريق على مسافة بعيدة وقال له: (بشرت بقدومك منذ ثلاثة أيام)، فأفرده بمسكن إلى أن تمّ سبعة أيام، وعند إرادته التّسريح سأل الشّيخ عن التّربيّة فأجابه: (يا ولدي هذا الماء ليس عندنا منه شيء، وما هو عندنا أخبرناك به، وملاقاتك بالشّيخ حصلت لك ثمرته وهو رؤيته الشّيخ عبد القادر الجيلاني). ثم تمسك بالطّريقة الطّيبيّة الوزانيّة فأخذ العهد عن الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن، ثم جدّه على الشّيخ سيدي الحاج العربي بن مولاي أحمد الطّيبي عند ملاقاته. ثم كان اللقاء التّاريخي والرّوحي مع الشّيخ العربي بن عطيّة العمّاري، البوعبدلي نسبًا، الونشريسي دارًا، التّونسي ضريحًا ومقبرًا، الشّاذلي طريقة ومشربا، المالكي مذهبا، الأشعري عقيدة، السّني جماعة.

بعث له الأمير عبد القادر كتابا بخطّ يده يقول فيه: (إنّه قد بلغني عنك ما يسرّ من كفايّة العلم والعمل، وإنّك أعدل أهل زمانك، وقد بدا لي أن أوّليك خطّة القضاء). وكان لابد له من استشارة أستاذه الشّيخ مولاي العربي، فأذن له بتحملها والصّبر عليها خوفا عليه لما يلحقه منه في الهلاك لامتناعه، فقبلها منه بحزن وكآبة، إلى أن سمع هاتفا يقول: (أصبر كما صبر أوّلوا العزم من الرّسل) آيّة، فأيّده الله بالصّبر الجّميل والزّهد الجليل في ما يحب له شرعا بأخذ المرتب له عليها بعد أن دفعه له الأمير عدّة مرات ولم يقبله، ولي القضاء بوادي سلي ومينا والظّهرة ونواحيها، ونادى الأمير بمجرد توليته للقضاء في الأسواق بمنع بيع الدّخان وإحراقه، وكلّ محرّم شرعا وأنواعه وبقي معاضدا للأمير عبد القادر وهو يعظمه ويجلّه، ولما أشتهر أمره وظهر عدله صار الأمير يفتخر به ويقول: (لو شدّ الله عضدي بأربعة مثله في مملكتي آمنت عليها من الدّمار والهلاك).

أسّس الشّيخ عدّة بمحنون زاويّة سنة 1260ه/ 1844م وبني بها مسجدا، وصار صدر صدور الطّريقة الشّاذليّة، وعيّن أعيان أئمتها وأكابر الدّعاة إليها بعلمه وعمله وحاله ومقامه، وهناك تصدر لتربيّة المريدين، وحلّ مشكلات مواردهم، وكشف عن خفايا أحوالهم، وانعقد عليه اجتماع مشايخ القطر وعلمائه بالتّبجيل والاحترام والرّجوع إلى قوله والمسير تحت أمره ونهيه، وتخرّج عليه غير واحد من أكابر العلماء العاملين والأوّلياء الصّالحين، وانتمى إليه أكثر مشايخ القطر الجزائري، ونال منه جمّ غفير من ذوي الأحوال الفاخرة، وتتلمذ له خلق كثير من أرباب المقامات الرّفيعة، ونالوا بصحبته الدّرجات الجليلة، ومن جملتهم الشّيخ أحمد سيدنا محمّد المختار البوعبدلي، ومنهم أخوه تاج العارفين الحاج محمّد بن المختار، والعربي بن غريب الله، فهؤلاء السّادة الثّلاثة هم الذين شدّ الله بهم عضد الأستاذ وكان يفتخر بصحبتهم ومجاورتهم من أعيان أصحابه الذين لا زالتّ زواياهم ومراكزهم عامرة معمورة إلى الآن، منهم الشّيخ بن عبد الله بن عبد القادر المعسكري، وقدور بن سليمان المستغانمي، ومحمّد الرّعموني النّدرومي، والبوغاري محجوبي، وأحمد العصنوني الشّرقي، ومحمّد بن أحمد بثنيّة الحدّ (ولايّة تيسمسيلت)، وأحمد بن الشّرقي العطافي (ولايّة عين الدّفلى)، ومنهم الشّيخ البوعبيدي العطافي، ومنهم الشّيخ سليمان بن محمّد ساكن بسيدي بلعبّاس، وعبدالقادر الهاشمي الغريسي، ومحمّد بن إبراهيم المعسكري، والمصطفى بن زيّان الزّروالي، ومحمّد بن عيسى، والعبّاس البكري الصّديقي الفاسي، وعبد القادر بن الحميسي، ومحمّد بن حميسي، وبن عبد الله بن عزوز البوعبدلي الإفريقي ضريحًا، ومحمّد بن الشّهرة، والطّيب بن عبد الرّحمن التّواتي الفاسي ضريحًا، ومنهم البشير بن حواء، ومنهم أبي عبد الله المديوني المازوني، وعدّة بن اقناوة البوعبدلي، إلى غير هذا من أعيان أصحابه البررة الكرام رضي الله عنهم وأكرم الكريم نزولهم وكل مقام.

من جملة تآليفه

- كتابه المسمى (مفتاح القلوب في حديث النّبي المحبوب) لخصه من الصّحيحين والموطأ مع الصّلاة عليه على التّرتيب الفقهي وفصوله في مجلدين ضخمين؛
- كتاب (نتيجة المفتاح كطلوع الفجر للصباح) في الاحاديث النّبويّة ممزوجا بالصّلاة على خير البريّة في جزأين؛
- كتاب (ريحانة القلوب في الصّلاة على الحبيب المحبوب) في جزأين؛
- كتاب (دليل النّجاة المبلغ لروضات الجنات) على نسج غريب وأسلوب عجيب على أربعة أرباع في مجلد واحد؛
- كتاب (الجمعة في الصّلاة النّبويّة) في الأحاديث النّبويّة و(الصّلاة على خير البريّة) على جزأين؛
- كتاب (رمضان) يقرأ بين العشاءين في كل ليلة من ليالي رمضان؛
- كتاب (الصّبيان على متن السّنوسيّة) مفصّلا على عدد أيام رمضان يقرأ قبل صلاة الظهر؛
- كتاب (رسالة الكراس في زوال الشّك والالتّباس) في التّصوف؛
- كتاب (طليعة السّعداء العارفين بالله الشّهداء) في التّصوف أيضا؛
- كتاب (الطّائفة الشّلفيّة في المناقب البوعبدليّة) المعروف بكتاب القرون، ذكر فيه الرّجال الصّوفيّة الموجودين في كل قرن من القرون الثّلاثة عشر في جزأين؛
- كتاب (الصّدق والتّصديق المبلغ لمقام التّحقيق) في التّصوف؛
- كتاب (التّوريق في الاسم الأعظم)، وله كتاب (الأجوبة لأهل المحبة)؛
- كتاب (ياقوتة الجمال في علم الآفاق)،
- وله كتاب (التّقرير لأهل التّصدير) في الفقه، سلك فيه مسلك المقابلة بين متن المختصر ومتن ابن عاصم بادئا من النّكاح إلى التّمام في ثلاثة أجزاء، وسبب تأليفه له على هذا المنوال إنّه لما كان يقرأ بمازونة كان أستاذه سيدي محمّد بوطالب لما يقرر صورة المختصر الفقهي يستشهد عليها ببيت من نظم التّحفة لابن عاصم، وكان مولانا عدّة يتلذّذ كثيرا بتلك الصّناعة، ويتمنى أن لو تكن له مقدرة على التّدريس لنا نحو ذلك النّحو، فلما أيده الله بالتّوفيق للتأليف سلك بتأليفه تلك الطّريقة.

توفّي الشّيخ عدّة غلام الله سنة 1866م ودفن بمقبرة سيدي (محمّد سماك) بتيارت.

سناء رمضاني

المصادر:

- خاتمة كتاب الرّسائل لأهل الوسائل للشّيخ سيدي عدّة بن غلام الله، منشورات المجلس الاسلاميّ الأعلى.

■ عثمان مدور
(1339هـ - 1920م/1380هـ - 1960م)



هو الشّهيد البطل (عثمان بن أحمد مدور) و(زغله مدور)، ولد يوم: (18ربيع الآخر1339هـ)؛ الموافق لـ (30 ديسمبر 1920م)، في قريّة (عين حساينيّة)؛ والتي أصبحت تسمى لاحقاً بلديّة (هواري بومدين) بمدينة (گالمة)؛ نشأ وترعرع في عائلة معروفة في المنطقة بأصالتها، وتضحياتها من أجل الوطن، ومحافظتها على تقاليدها العربيّة والإسلاميّة؛ وقد عرف (عثمان بن أحمد مدور) مظاهر الذل والحرمان مثل أبناء جيله من قبل سلطات الاستدمار الفرنسي؛ التي كانت تُمارس أعمالاً إجراميّة فظيعة، وغير إنسانيّة ضد أبناء قريته أثناء فترة ليل الاستعمار الطّويل للجزائر، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة في مسجد (سيدي العربي) في قريّة (عين حساينيّة)، وبعد تفوقه في دراسته؛ اجتهدت أسرته منذ البدايّة في تدريبه على حب الدّين الإسلامي الحنيف، والوطن العزيز، وقد تشبع منذ صغره بالأفكار الوطنيّة، بفضل البيئة التي نشأ فيها؛ حيث نبّهه والدّه منذ بدايّة وعيه إلى مخاطر الاستعمار، وجرائمه الفظيعة؛ وشجّعه على مواصلة دراسته؛ لذلك فقد انتقل في عام: (1353هـ/ 1934م) إلى مدينة (قسنطينة)؛ حيث تابع دراسته في مدارسها الحرة، وتفوق في دراسته؛ بيد أن الظّروف الصّعبة التي مرّ بها في مدينة (قسنطينة) حيث تعذر عليه توفير المال الكافي للإقامة بها، وتحمل مصاريف الدّراسة أجبرته على التّوقف عن مواصلة تعليمه؛ فعاد عام: (1355هـ/ 1936م) إلى (عين حساينيّة)

ضِياع المستوطنين الفرنسين ومزارعهم الخصِيبة، المصادرة أراضيها المترامية الأطراف من السّكان الأصلين للبلاد، ظُلما وعدوانا.

وقد اشتهرت عين تيموشنت يومئذ بالوجود الكثيف للإقطاعيين الأجانب والمستوطنين الأوروبيين، الذين أصبحوا سادة في الفلاحة والاقتصاد في المنطقة، وبات الفرق ملحوظا بينهم وبين السّكان المحليين، في نَمَط المعيشة ونظام التّعليم، وصُنُوف الثّقافة، وأساليب الحياة، في الدّين،

والأخلاق، والاجتماع، والتّقاليد والعادات، وتَمايَز النّاس ـ بناء على هذا الفرق الشّاسع ـ الى نـازح الى المناطق الرّيفيّة، والى ماكث فـي مكانه حيث هو، عسـى ان يتأقلم (وعبثا أن يتأقلـم) مع الوضع الجديـد الذي أتى به الفرنسـيون الى بلده وفرضـوه عليهم فرضا، لغرابتـه عنهـم ومخالفته لمعتقدهـم، خِلافا للوضـع القديم الـذي وَرِثه عن أجـداده منذ أزمنة بعيدة.

فـي هـذا المنـاخ السّياسـي، المُمَيَّـز بالعنصريّـة والعرقيّة والتّهميش والقمع نشـأ العقيد سي عثمان.

لكـم كان يحُـز فـي نفسـه ان يـرى بعيني راسـه، الفرنسـيين ينعمـون بثـرَوات البـلاد الطّبيعيّة، وخيْراتها، على حساب الجزائريين وذُرِيَّاتهم.

هـذا السّـلوك العدائـي، المنافي لأبسـط قواعد الاخلاق والإنسـانيّة، الـذي اعتمدته سـلطات الاحتـلال الفرنسـي فـي مواجهـة الشّـعب الجزائـري ومعاملتها لهـم، جعلت مـن العقيـد عثمـان شـابا يُناصِبهـا العـداء ويَضْمر لها شرا ويتربَص بها الدّوائر، بالرّغم من إنّه قد اشـتغل مزارعا عند أحدهم غير إنّه ـ مع الأسـف ـ لـم يسـعفه حظـه ان يَتعلَّم في المـدارس الحكوميّة، لأن التّعليم فيها يومئذ كان يقتصـر على الفرنسـين والمنتمين إليهم من أبناء القُياد والباشاغاوات.

وهـو لفـي خضـم كراهيتـه المقيتـة تلك للمحتليـن الفرنسـيين، حتـى فتح اللـه عليه بـاب الانضمام الى صفـوف الحركة الوطنيّة وهو حدثٌ دون سن العشرين من عمره.

ونظرا لما كان يتمتع به من نباهة سياسـيّة مبكرة، تلقفته أيدٍ أمينة في الحركة، ووضعته علـى الطّريـق الصّحيـح، ثـم دفعت بـه إلى خـوض العمل السّياسـي بحريّـة مطلقة، في كل مـا يخدم القضيّـة الوطنيّة، مـن قريب او بعيد.

ناضل بداية في حزب الشّعب الجزائري، ثـم فـي حركـة أحبـاب البيـان والحريّـة، ثم فـي حركـة انتصـار للحريـات الدّيمقراطيّـة (MTLD) ثـم لـم يلبـث أن تَحـوَّل الى عضو ناشـط في المنظمة الخاصّـة، وما إن ظهرت إلى الوجود جبهة التّحريـر الوطني، المناديّة لتحريـر الوطن بحـد السّـلاح، (على عكس مـا كانـت تنـادي بـه الحـركات والأحـزاب الوطنيّـة الأخـرى) حتـى انتسـب إليهـا عن قناعة وشـغَف لعثوره فيها على مبتغاه، ولأنّه وجـد فيها ما يُوائـم طبعه الجهـادي، إذ علِم يقينـا أن مـا أُخِـذ منك بالقـوة فلا يـرد إليك إلا بهـا، وما عتـم أن أُلقِي عليـه القبض وهو يمارس نشاطه السّري في المنظمة الخاصّة، وزُج بـه في سـجني وهـران والأصنـام، بعد صـدور حكـم قضائـي ضِـدَّه مـن محكمـة الاسـتئناف بالجزائر بثلاث سـنوات سـجنا نافـذا من سـنة)1950م الـى 1953م) مُتضَمِّناً حرمانه من ممارسـة حقوقـه المدنيّة، وحظر إقامته فـي بلده لثلاث سـنوات إضافيّة. وقد التّقى ـ في السّـجن ـ بالسّـجينين المعروفين أحمد زبانة (أوّل شهيد نُفِّذ فيه حُكم الإعدام بالمقصلة)، وحمُّـو بوتليليس (قائد المنظمة الخاصّة في شمال غرب الجزائر).

ومـا إن أُفرِج عنـه حتى التّحـق بالمغرب للحصـول منـه علـى الأسـلحة، والمعدَّات القتاليّـة اسـتعدادا لانطـلاق ثـورة التّحريـر المرتقبـة. وفيمـا هـو يتنقَّـل بيـن الحـدود المغربيّة والاسـبانيّة في إطـار مهمَّته، تنبَّهت له المصالح السّـرّيّة الاسـبانيّة، وأوقفته فورا ثـم أخلت سـبيله بعد أيـام، بوسـاطة مغربيّة موعـز إليها مـن الشّـهيد العربي بـن مهيدي الذي أمره بالتّقهقر إلى منطقة مغنيّة، لِتَسـلُّم أسلحة رسـت بها الباخرة دنيا في مرفأ بتلك الجهـة، بتاريخ 27 مـارس 1955، فارتدَّ على آثاره قصصـا، حتي إذا وصل إلى وجدة أخذ معه رفيقيه (غديري حسين وسي الطّيب عبد الباقـي) لمسـاعدته، حيـث تمكّنـوا من نقل الأسـلحة إلى المعنيّين بالأمر وإيصاله اليهم فـي مختلِف الجهـات الجِباليّـة، في ظروف حرجـة، حينا على أكتـاف الرّجـال، وأحيانا على ظهور الحمير والبغال. حتى إذا اكتملت المهمّـة وبلـغ السّـلاح والذخيـرة مأمنهما، باشـر المسـؤولون السّـامون فـي الولايّـة الخامسـة توزيـع الأسـلحة التّلقائيّـة علـى خُلَّص رجالهم، وشـرعوا (دونما تباطؤ) في مباغتة العدوّ فـي عقر دياره، حينا بالمواجهة المسـلَّحة المباشـرة، وأحيانـا بالكمائـن المنصوبـة لهم بإحـكام، وقد شـارك العقيد (سـي عثمـان) بشـخصه فـي أشـدّ المعارك ضـراوة، وأحماهـا وطيسـا، فـي الغوالـم، وكاسـان، وبوزجار، ووهران، والونشريس، وفي الشّـلف، وتنس، وتلمسـان، وغليزان، وقد شـجَّعه ذلك على توسـيع دائرة عملياته العسـكريّة الى ما بعد حدود ولايته، بموافقة من قادة الجوار، بُعَيد استشهاد العقيد لطفي. وكان قد شنَّ هجوما كاسحا سنة 1956م على عدد هائـل من مـزارع وضياع المسـتوطنين والاقطاعييـن الفرنسـيين بعيـن تيموشـنت، مُلحقـا بهـا أضـرارا فادحـة جمّدت مسـيرة الاقتصـاد الفرنسـي بنفـس المنطقـة، ونظرا لتوالـي نجاحاتـه العسـكريّة، وثبـات حبـه لوطنه، محبةً أنْسـته نفسـه وأهْلَه، وألْهته عن التّكفل بقضاياه الشّخصيّة، بمدينة (گالمة)، فاشـتغل في عدّة مهن صعبة مـن أجل توفير مصاريف الحياة، وخـلال هذه الفترة عرفت أسـرته صعوبـات جمة، وذاقـت كل مظاهر القهر والاسـتغلال البشع من طرف سلطات الاحتلال الفرنسـي؛ التي كانـت تدرك مدى وطنيّـة عائلة (عثمان بن أحمـد مدور)؛ وقد ألهبـت المظالم الفظيعة التـي تعرض لها مع إخوانه وعائلته، وأبناء قريته (عين حسـاينيّة) بمدينـة (گالمـة)، روح الجهـاد والكفـاح والنّضال ضد الاسـتدمار الفرنسي في نفسه؛ فانتبه مُبكـراً إلى الفروق الشّاسـعة بين حال الجزائريـين أصحـاب الأرض المغتصبة من قبـل الاسـتدمار الفرنسـي، والمسـتعمرين الغرباء الذي نهبوا خيرات البلاد، ونسبوا كل شيء إلى أنفسهم، وهذا عجّل بانضمامه إلى صفوف (حزب الشّـعب الجزائـري)؛ الذي تأسس يوم: (06شـعبان1340هــ)؛ الموافق لــ (11مـارس1937م)، وذلـك بعـد حظـر سـلطات الاحتـلال الفرنسـي لنشـاط (نجم شـمال أفريقيـا)، وقد كانت أهـداف (حزب الشّـعب الجزائـري) تختلـف عـن أهـداف النّجـم؛ وذلك من حيث النّظرة المسـتقبليّة، وقـد تحـددت أهدافـه فـي: إنشـاء حكومـة وطنيّـة، وبرلمان، واحترام الأمـة الجزائريّة، واحترام العربيّة والإسلام .

وقد كان الشّهيد البطل (عثمان بن أحمد مدور) ينشط في (حزب الشّعب الجزائري) بمنطقة (عين حسايْنيّة)، وقد وصف الباحث

(الزّبير بوشلاغم) هذه المرحلة المهمة من نشاط الشّهيد (عثمان مدور)، بالقول: (في نهايّة العقد الثّاني من عمره، وبالتّحديد في نهايّة الثّلاثينيات، انضم الشّهيد عثمان مدور إلى صفوف حزب الشّعب الجزائري، وهيكل ضمن خليّة كان مجال نشاطها عين حساينيّة، كان يتولى أمرها الشّهيد محمود التّريكي الذي أعدم في ماي1945م؛ حيث كان هذا الأخير يُشرف على أحد النّوادي لممارسة النّشاط الكشفي ظاهرياً؛ لكنه في الواقع كان يُشرف على خليّة تابعة لحزب الشّعب الجزائري، تنشط تحت هذا العنوان لإبعاد الشّبهة عمّا كان يجري في هذا النّادي من نشاط سياسي، ومن دروس في الوطنيّة وتوجيه وكشف الحقائق المتعلقة بالأوضاع المأساويّة التي يعيشها معظم أبناء الشّعب الجزائري، ومن خلال هذا النّشاط توسعت مدارك (عثمان مدور) وتفتح ذهنه على وقائع جديدة صقلت إلى حد كبير مواهبه، وأججت نار الثّورة في نفسه على المستعمر الغاضب، وهو ما جعله يسعى إلى الوصول إليه).

وفي سنة: (1360هـ/ 1941م) استدعي (عثمان مدور) من أجل أداء الخدمة العسكريّة الالزّاميّة في صفوف القوات الفرنسيّة؛ حيث تدرّب في منطقة (أرزيو) بناحيّة (وهران)، وبعدها تمّ توجيهه إلى مراكز القوات الفرنسيّة على الحدود الفرنسيّة الألمانيّة، وظل هناك إلى غايّة انتهاء الحرب العالميّة الثّانيّة؛ حيث تمّ تسريحه من الجنديّة، وعاد إلى مسقط رأسه بمدينة (گالمة) ليُشاهد مجازر 8 ماي1945م؛ تلك المجازر الرّهيبة، والبشعة التي ارتكبتها قوات الاستدمار الفرنسي، وكانت لها جملة من الآثار، والانعكاسات العميقة الجزائري الحديث؛ إنها مجازر رهيبة لم يشهد التّاريخ لها مثيلاً من قبل، إلى درجة أن عدداً غير قليل من المؤرّخين، والدّارسين يُشبهونها بمجازر أصحاب الأخدود في التّاريخ القديم؛ وقد أصيب الشّهيد البطل (عثمان مدور) بهزة عنيفة جداً، وازداد يقيناً بحتميّة الكفاح المسلح الذي أضحى الحل الوحيد لطرد الاحتلال الفرنسي من الجزائر؛ فقد تأكد بعد أن كان شاهداً على المجازر البشعة التي وقعت في مسقط رأسه بمدينة (گالمة) بأنه من الاستحالة أن تنجح الحركات النّضاليّة السّياسيّة، وظلّ يؤكد لأصدقائه قبل اندلاع ثورة التّحرير المظفرة بأن الاستقلال يجب أن يُنتزع بالقوة؛ فالحل الوحيد هو حمل السّلاح، والنّضال إلى غايّة الشّهادة؛ ولذلك فقد كان في طليعة المُحرضين على الحراك الثّوري، وبقي في ظمإ شديد لمحاربة المُستعمر الفرنسي، وانتمى منذ البدايّة إلى صفوف: (حركة الانتصار للحُريّات الدّيمقراطيّة)، عام: (1365هـ/ 1946م)، كما انخرط في (المنظمة السّريّة الخاصة) التي تأسست سنة: (1366هـ/ 1947م)؛ والتي يصفها المؤرّخ الجزائري (محفوظ قداش) بأنها قد (نجحت في هيكلة ما بين 1000 إلى 1500 فرد، الذين تلقوا تكويناً سياسياً وعسكرياً؛ فعلى الصّعيد السّياسي تمّ التّشديد على سلوك المناضل وخصاله، ودوره، وضرورة التّضحيّة، والمواقف تجاه قوات الشّرطة، والعلاقات مع الجماهير الشّعبيّة، وفي بعض المناطق تمّ التّركيز على تقنيات الإشراف على المظاهرات؛ كما تلقى المناضلون تكويناً عسكرياً نظرياً (فن حرب العصابات، والمهمات الفرديّة، ومعرفة الأسلحة)، بالإضافة إلى تمارين تطبيقيّة (استعمال الأسلحة، والمناورات الميدانيّة، وصنع القنابل...إلخ)) .

وبعد نضال (عثمان مدور) الدّؤوب في (المنظمة السّريّة الخاصة)، وبعد أن تمكنت مصالح العدو من اكتشافها خلال شهر (آذار– مارس1950م) عقب حادثة (تبسة) المشهورة، تمّ اعتقاله خلال شهر (أفريل 1950م)، ونقل مع شقيقه (الطّاهر مدور) إلى مركز الشّرطة بمدينة: (گالمة)؛ حيث تعرضا إلى تعذيب رهيب من لدن شرطة الاحتلال الفرنسي، ولمدة طويلة، وبعدها تمّ تحويله إلى سجن (عنابة)؛ الذي وُضع فيه العديد من المناضلين في صفوف (المنظمة السّريّة الخاصة)؛ إذ قضى نحو سنة في انتظار محاكمته من قبل سلطات الاستدمار الفرنسي، وذلك خلال شهر (جوان 1951م)، وقد صدر حكم ضده يقضي بسجنه لسنتين؛ ونقل بعدها مع عدد غير قليل من المناضلين والمعتقلين إلى سجن (سركاجي) بالجزائر العاصمة.

وبعد خروجه من السّجن كانت للشهيد (عثمان مدور) اتصالات مكثفة ووثيقة وسريّة مع الشّهيد (ديدوش مراد)، وبعد قيام ثورة التّحرير المظفرة سنة: (1373هـ/ 1954م)، شارك فيها منذ البدايّة، ولم يتأخر لحظة واحدة عن تلبيّة نداء الوطن.

و كان (عثمان مدور) شُعلة في بث الرّوح الوطنيّة، وإبراز مساوئ المستدمر الفرنسي؛ وفي الأسبوع الرّابع من اندلاع ثورة التّحرير المظفرة التّقى بصديقه الحميم في (المنظمة السّريّة الخاصة)، المجاهد: (عمّار بن عودة)؛ وذهب معه يوم: (18نوفمبر1954م) إلى منطقة (سوق أهراس) من أجل معرفة ظروف استشهاد البطل (باجي مختار) بمنطقة (ضيعة دالي بن شواف) بناحيّة (حمام النّبايل)؛التّابعة إلى ولايّة (گالمة) حالياً، وبعد أن تمّ تكليف الشّهيد (عثمان مدور) من خلال رسالة وجهها له الشّهيد (ديدوش مراد) عن طريق (عبد السّلام بخوش) بالإشراف على تعميم الثّورة وتشكيل خلايا جبهة وجيش التّحرير الوطني في مختلف المناطق بگالمة؛ عمل بصدق وإخلاص خلال العام الأول من الثّورة على توسيع الخلايا السّريّة، والاهتمام بالعناصر الحيّة، والفاعلة، وجمع التّبرعات، والأموال لخدمة العمل الثّوري، وبث الرّوح الثّوريّة، ونشر مبادئها، وأفكارها لدى جمهور النّاس في مختلف مناطق ولايّة (گالمة)، وشارك في عدّة عمليات ضد العدو الفرنسي، وكُلف في عدّة مناسبات بتأمين فرق دخول المجاهدين، وقد تولى في عدّة مرات مهمة استقبال المناضلين، والمجاهدين القادمين من جهات أخرى إلى منطقة (گالمة)، واتسم عمله بالسّريّة التّامة.

وقد كان الشّهيد (عثمان مدور) أحد أبطال هجومات20أوت1955م، بمنطقة (ماونة) بمدينة (گالمة)؛ حيث تولى مع ثلة من المجاهدين التّخطيط، والتّحضير، والإشراف، وبعد النّجاحات الكبيرة التي

حقّقها؛ كُلّف الشّهيد البطل (عثمان مدور) مع مطلع عام: (1374هـ/ 1956م) بقيادة ناحيّة جبل (ايدوغ) بعنابة؛ فأشرف على عدّة عمليات ناجحة بالمنطقة، ولذلك فقد تمت ترقيته إلى ضابط أوّل -عضو بالمنطقة الرّابعة للولايّة الثّانيّة-، وذلك خلال سنة: (1375هـ/ 1957م)؛ وخلال هذه السّنة سافر إلى (تونس)، وأشرف على عدّة عمليات تنظيميّة كبيرة خدمة لثورة التّحرير المظفرة، إلى غايّة استشهاده عام: (1378هـ/ 1960م)، وقد وصف الباحث (الزّبير بوشلاغم) واقعة استشهاده وصفاً دقيقاً، حيث جاء فيها: (في صيف عام:1960م شهد جبل دباغ وكذا المناطق المحيطة به حملات تمشيط كبرى لقوات العدو ...

وضمن هذا الإطار قام العدو بدايّة شهر جويليّة: 1960م، بواحدة من هذه الحملات العسكريّة الكبرى ضد المنطقة التي يقع جبل دباغ ضمنها، وتصادف خلال قيام هذه الحملة الشّرسة ضد الجبل أن كان الشّهيد عثمان مدور رفقة الشّهيد طبوش عبد الرّحمن، ونظراً للظروف الجديدة، والتي استجدت نتيجة الحصار المضروب على الجبل أصبح من المستحيل الانسحاب، كما أنه من الصّعب مواجهة العدو في مثل هذه الظّروف ...إذ تمكن العدو من اكتشافهما ووصلت طلائع قوات العدو إلى مرمى أسلحتهما، وقد أطلقا النّيران، واستمر القتال لفترة من الوقت تمكنا خلالها من القضاء على العديد من عساكر العدو، قبل أن يستشهدا يوم:1جويليّة1960م)

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1. معجم الزّبير بوشلاغم: رجل وتاريخ الشّهيد عثمان مدور، مجلة أوّل نوفمبر؛ مجلة سياسيّة 0اريخيّة ثقافيّة اجتماعيّة تصدر عن المنظمة الوطنيّة للمجاهدين بالجزائر، العدد: 160، 1998م، ص:44 وما بعدها.
2. من أمجاد الجزائر (1830-1962م) : الشّهيد عثمان مدور، سلسلة تاريخيّة ثقافيّة تصدر عن وزارة المجاهدين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2010م.

عربيون ماسينيسا بن مصانسيس (98 ق.م - 42 ق.م)

الملك أرابيون (Arabione)، هو ابن ماسينيسا الثّاني، ولد في سيرتا، احتمالا في حوالي 98 ق.م وتوفي في سنة 42 ق.م. هو من أصل ماصيلي (Massile) حسب المؤرخ الرّوماني أبيان الذي ذكر سيرته وأمجاده . كما ذكر لنا أيضا أن عربيون يمكن ان يكون حفيد الملك قودا الملك النّوميدي (105 - 88ق.م)، حفيد مسينيسا، وهو أيضا أخ يوغرطا من الأب وجدّ يوبا الأول. عرابيون هو ابن مصانسيس الثّاني (Massinissa II-Massanisis II). لما قسم قيصر نوميديا.

كلمة (عربيون) تكتب على وزن فعليون، مثلها مثل (ابن خلدون)، الجذر اللغوي (ابن خالدّ)، أما الاضافة (ون) في آخر الكلمة فهي اضافة شائعة في اللغة الفينيقية. وهذا يؤكد أن اسم عربيون في عهد ماسينيسا أو مصانسيس كان موجودا عند البربر مادام أن اصل الكلمة ذاتها فينيقي. من الواضح ان الاستعمار الفرنسي ظل يحاول إخفاء كل آثر له علاقة بالحضارة الفينيقية. كما واصلت الكتابات التّاريخية استراتيجيتها في ربط الحضارة الرّومانية بالبربر. هناك جدل بين المؤرخين بخصوص علاقة اسم عربيون باسم ماسينيسا (مصانسيس). المتعارف عليه أن اسم ماسينيسا الذي وصلنا عبر النّقوش القديمة، أن اللغة الليبية القديمة كانت تكتب بدون حروف العلة مثلها مثل اللغة البونية (القرطاجية) بل وكل اللغات القديمة. فهناك اختلاف في دلالة اسم ماسينيسا (مصانسيس) هذا في هل هو سيد الاثنين (آلهة الأمازيغ - تنابت وآمون) أو سيد (سن) أي هم وتقرأ ماسينيسن أي سيد هم. حسب الباحث (حون مزارد) في علم العملات القديمة فإن اسم عربيون هو أيضا اسم والدّه عربيون إلا أن المؤرخين الفرنسيين الذين ترجموا النّصوص اللاتينية إلى الفرنسية كانوا دائما يهملون ذلك. وكانو قد أكدوا أن عربيون قريب للغة البونقية القديمة.

سطع نجم الملك النّوميدي الأمازيغي عربيون (Arabione)، إلى مسرح التّاريخ شمال أفريقيا بعد انهزام حلفاء يوبا الأول في إفريقية بعد معركة ثابسوس الشّهيرة سنة 46 ق.م بعد أن تغلب عليهم حلف قيصر، الذي كان يتكون من أبناء بوخوص والرّوماني سيتيوس. قام هؤلاء بتقسيم مملكة يوبا لأول، وفر بعد تلك الهزيمة أنصار بومبي (Pompée) إلى أسبانيا، وكان عربيون ابن ماسينيسا الثّاني من اللاجئين إلى إسبانيا في انتظار أن تتاح له الفرصة للهجوم على نوميديا لاسترجاع مملكة أجداده من الرّومان. كتب المؤرخ الألماني و. مولار عن شخصية عربيون: "بعد وفاة القيصر جول سيزار، أربيون ابن ماسينيسا التّجأ إلى إسبانيا عند أبناء بومبي (Pompée)، ثم عاد إلى أفريقيا. كان عربيون فارا في شبه الجزيرة الإيبرية، ثم عودته هذه كانت الى منطقة نوميديا بالتحديد لضواحي واد الصّومام".

بعد احتلال قيصر لنوميديا جعل منها مستعمرة رومانية. لكن هناك اختلافات بين المؤرخين في طبيعة هذا التّقسيم. يبدو ان مملكة مصانسيس منحت لستيوس تشمل أيضا قالمة وعنابة، وان قسم سطيفيس ألحق بموريطانيا الشّرقية. فهذا القسم (سطيف) هو المراد من نوميديا الغربية. والرّاجح ان بوخوس الثّاني أخذ موريطانيا السّطيفية.

كان قيصر يريد اسقاط الجمهورية كنظام ويؤسس لإمبراطورية. فكان الجمهوريون ضده. فبعدما غلبوا بإيطاليا ثم أفريقية ذهب من بقي منهم إلى إسبانيا ومعهم من امراء

البربر عرابيون بن مصانسيس. فذهب قيصر الى حربهم. ووقعت حروب بينه وبين الجمهوريين من شيعة بمبيوس. واخيرا انتصر عليهم. في سنة 44 ق.م، قتل قيصر في روما واندلعت حرب أهلية بين الجمهوريين والقيصريين هناك. ولا شك أن تلك الحرب شغلتهم عن شمال أفريقيا وبدرجة خاصة نوميديا. اغتنم عربيون الفرصة وتقدم بجنوده في منطقة سطيفيس (سطيف)، ورحب السّكان بهذا الحدث وانظموا إلى قواته للحرب تحت رايته. وبالفعل نجح عربيون في دحر أعدائه خاصة بخوص الثّاني.

بعد هذا النّجاح الباهر ضد الخائن بخوص، التّفت عربيون لعدوه الثّاني الرّوماني سيتيوس الذي ورث واستولى على نوميديا الوسطى بعد انتصاره الأول في عهدية ليوس قيصر. في البداية رفض سيتيوس الاصطدام مع عربيون وحاول ان يلعب ورقة الحياد في الصّراع العسكري بين عربيون وبخوص الثّاني. لكن الحرب كانت حتمية لأن قوات سيتيوس اعتبرها عربيون منذ البداية قوات احتلال. اندلعت الحرب الحاسمة بين القوات الرّومانية والقوات المحلية لتحرير الوطن. نجح عربيون في قتل سيتيوس واسترجاع نوميديا الوسطى (من سيرتا في اتجاه رووسكادا إلى غاية إيكوزيوم). بعد الانتصار الباهر، رسم عربيون هدفا آخر هو تحرير كل نوميديا الشّرقية، غير أن الظّروف الدّولية لم تساعده خاصة تلك المتعلقة بالحرب الأهلية في روما التي هدأت. لقد أقام الجمهوريون والقيصريون الصّلح وعاد اهتمامهم بشمال أفريقيا.

سيتيوس اعتبرها عربيون منذ البداية قوات احتلال. اندلعت الحرب الحاسمة بين القوات الرّومانية والقوات المحلية للتحرير الوطن. نجح عربيون في قتل سيتيوس واسترجاع نوميديا الوسطى (من سيرتا في اجاه رووسكادا إلى غاية إيكوزيوم). بعد الانتصار الباهر، رسم عربيون هدفا آخر هو تحرير كل نوميديا الشّرقية، غير ا، الظّروف الدّولية لم تساعده خاصة تلك المتعلقة بالحرب الأهلية في روما التي هدأت. لقد أقام الجمهوريون والقيصريون الصّلح وعاد اهتمامهم بشمال أفريقيا.

بعد هذا النّجاح الباهر ضد الخائن بخوص، التّفت عربيون لعدوه الثّاني الرّوماني سيتيوس الذي ورث واستولى على نوميديا الوسطى بعد انتصاره الأول في عهدية ليوس قيصر. في البداية رفض سيتيوس الاصطدام مع عربيون وحاول ان يلعب ورقة الحياد في الصّراع العسكري بين عربيون وبخوص الثّاني. لكن الحرب كانت حتمية لأن قوات سيتيوس اعتبرها عربيون منذ البداية قوات احتلال. اندلعت الحرب الحاسمة بين القوات الرّومانية والقوات المحلية للتحرير الوطن. نجح عربيون في قتل سيتيوس واسترجاع نوميديا الوسطى (من سيرتا في اجاه رووسكادا إلى غاية إيكوزيوم). بعد الانتصار الباهر، رسم عربيون هدفا آخر هو تحرير كل نوميديا الشّرقية، غير ا، الظّروف الدّولية لم تساعده خاصة تلك المتعلقة بالحرب الأهلية في روما التي هدأت. لقد أقام الجمهوريون والقيصريون الصّلح وعاد اهتمامهم بشمال أفريقيا. وأصبح خطر عربيون على أمن روما أحد أسباب اتحاد المتنازعين في شبه الجزيرة الايطالية. وكانت روما بتجربتها وحنكتها السّياسية تعرف من أين تؤكل الكتف. لجأت كعادتها في جمع كمية من الأموال لتقدم إلى من ينجح في قتل عربيون. لقد نفذ مكيدة الغدر والي إفريقا سيكسيوس (في تونس) عام 42 ق.م وقتل عربيون وانتهت بذلك والباسلة بعد سنتين فقط من اندلاعها. واسترجع الرّومان مرة أخرى مملكة نوميديا وتحالفت مرة أخرى مع حليفها التّقليد ي بخوس الثّاني وطلبت منه التّوسع نحو نوميديا الغربية. وسجل التّاريخ أن عربيون كان آخر التّوار البربر ضد روما.

كريم ولد النّبية

المصادر:

- LAW (R. C. C). The Cambridge History of Africa, Volume 2: From c. 500 BC to AD 1050. Cambridge: (2002). Cambridge University Press. PP 148208-.

عزّ الدين الحسيني الجزائري
(1324هـ - 1907م/1346هـ - 1927م)

كان الأمير عز الدين شاعرًا، له أبيات شعرية رقيقة عذبة، وكان مؤمنا متدينا متواضعا. ولد الأمير (عز الدين الحسيني) الجزائري حوالي سنة 1900، قيل سنة 1902، وقيل سنة 1907 في دمشق، والده (محيي الدين) ابن شقيق الأمير عبد القادر، وأمه (زينب) ابنة الأمير عبد القادر، وجده لأبيه (مصطفى) شقيق الأمير عبد القادر؛ وقد تولى (مصطفى) عدة مناصب لأخيه اثناء المقاومة؛ فقد ولاه الأمير على (المدية)، وعينه بعض الوقت على (الحضنة).

حفظ القرآن الكريم ودرس التفسير في سن مبكر، نشأ على حب العروبة والإسلام، وكان طالبا مجتهدا في مدرسة اللاييك في بيروت، حيث تلقى تعليمه في مدارس دمشق، ثم أوفده أبوه إلى الكلية الإسلامية (الكلية العثمانية سابقا) في بيروت، نفي إلى بورصة أيان الاتحاديين، ولما عادت الحرب أوزارها عادت مع أسرته إلى بيروت ودرس هناك في مدرسة (اللاييك)، بعد تخرجه مباشرة التحق بكلية الطّب في دمشق.

وكان عمره حوالي عشرين سنة عندما احتلت فرنسا سورية باسم الانتداب الدولي، فخط العديد من الرّسائل إلى أهله وهو على مقاعد الدراسة وهي تعد وثائق تاريخية، تلقي الضّوء على شخصيته وآفاق تفكيره وعلاقته بعائلته وتمسكه بالقيم الرّوحية والقومية. عبر عن مواقفه المعادية للاستعمار منذ أن كان طالبا إذ أكد في رسالة إلى شقيقته مشاركته في مظاهرة وطنية كان القصد منها الاحتجاج على السّلطة الفرنسية لرفضها طلب الطّلاب بشأن إقامة احتفال بعيد الشّهداء "الذّين باعوا أرواحهم في سبيل تحرير

بلادهـم فـي حيـن أنها لا تدخـر جهدا فـي إقامة الحفلات لإحياء ذكرى العظماء عندها". تحدث الدكتـور "عبـد الرّحمن الشّـهبندر" عـن الأمير "عـز الدين" فقال: "لقد تناولت يدي العديد من رسـائل الأمير "عز الدين" في بدايـة التفكير في الثّورة ملئت صفحاتها حماسة وتشجيعا وأخبارا مفيدة عن تحركات العدو وعدد جنوده في مناطق شـتى من البلاد، وفيها تفصيلات وافية عن أنواع أسـلحته، فكنا نتمنى ألا يعجل فـي الإقدام على حمل السّـلاح خوفـا من المعلومـات أن تنقطع، ولكـن الحماسـة والثّـورة التـي كانـت تتأجـج فـي صـدر الفتى جعلته فـور وصوله إلـى مزرعة "حوش بلاس" يجمع بعـض الرّجال وعددا من الجزائريـيـن الأشـداء، الّذيـن كانـوا يعملون في المزرعـة، ويهاجم قطار حوران الـذّي كان ينقل العتاد والجنود الفرنسيين، ثم أخذ يشدد الحصار على العدو ويقطع الأسلاك البرقية عنه".

كان الأميـر عزالديـن أحـد زعمـاء الثّـورة السّـورية ضد الفرنسيين، سائرا على نهج أجداده في جهاد ومقاومة المسـتعمر الفرنسـي، وكان له حماس منقطع النّظير، وشـجاعة يشهد له بها كل من عرفه، فلمـا اندلع لهيب الثّورة السّـورية كان في طليعة من لبـى النّداء. ذات مرة هاجم المطار العسكري بغاية القضاء على الطّائرات المعادية، ولكن تسرع أحد المجاهدين في إطلاق النّار فتنبه الحرس، وحدث صدام عنيف دام نصف سـاعة وعلـى إثر هـذه الحادثـة التي أصيبت فـي أثنائها بعـض خزانات الوقـود في الطّائـرات فأحرقتها، حامت الشّبهات حول الأمير "عز الدين" فقبض عليه الفرنسـيون في مزرعة (حـوش بلاس) بعد حصار دام ساعات، وبعد تهديد بحرق المزرعة، فسلم نفسه خشية على عائلته والفلاحين.

وضـع العـدو الأميـر "عـز الدين" عشـرين يومـا فـي غياهـب السّـجن ثـم أخلـى سـبيله، لكنهم شـددوا عليه المراقبة، فقرر على إثر ذلك الالتحاق بإخوانه المجاهدين جهارا.

وفي شهر حزيران-جوان عام 1925 بدمشق كان الأمير "عز الديـن" يخطط لمهاجمة مراكز العدو، حيث كانت هذه المرة الأولى التي يدخل فيها الأمير (عز الدين) دمشـق وحولـه أربعمائة مقاتل، والّذين كان جلهم من المغاربة المحبين للإسـلام والجهـاد في سـبيل الله وهنـاك جرى صـدام بينه وبين مفرزة من القوة الفرنسـية بقيادة الجنـرال (كولـه/ coll) كان النّصـر فيهـا للأمير الّذي أجبر العدو علـى التقهقر. ولم يكن الأمير يرغـب فـي الإقامة فـي منطقـة واحدة، بـل كان يتجـول ويخوض المعـارك في جهـات متعددة متنقلا ومحرضا الأهالي علـى المقاومة وحمل السّلاح في وجه العدو.

ومـن المعـارك التـي خاضهـا معركـة وادي (معربا) ومعركة (بـالا) في مارس 1927، فعندما هاجـم العـدو ووصـل إلـى متاريسـه عـددا من المـرات. وقـد واصـل معاركه وزحفـه بصحبه بعض الرّجال وعـدد من الجزائريين فاحتل قرية "جوبر" عن طريق الجبال بعد اشتباك مع العدو، وواصلـوا نحو قريـة (الدريج) وقريـة (معربا)، وعندمـا وطئ السّـهل طوقتـه القوات الفرنسـية بدبباتهـا ودارت معركـة مريرة، فاسـتطاع الأمير الإفـلات نحو التـل الأحمر، لكـن العدو عرف مكان اختفائه فأغلق عليـه المنافذ وأمطره بوابل مـن الرّصاص، فبعد أن نفذ سـلاحه نـادوا عليه أن يستسـلم فمـا كان منـه إلا أن أفـرغ آخر طلقة بجسد الجندي الّذي أمر بالاستسلام وهو ينادي ويصرخ مع جراحه الله أكبر، تحيا سـورية، تحيا الجزائر، فسـقط الأمير مـن جراحة بعد أن غطى انسـحاب من بقي معه من المجاهدين فأمسكوه حيـا، ونقلوه بسـيارة عسـكرية إلى المستشـفى بدمشـق، لكـن الأميـر استشـهد في طريقـه إلى المستشـفى. فأرسـل الجنـرال (فاليـه/ Valée) أحـد الضّباط لنقل الجثمان إلـى عائلته، وهكذا تخلصت فرنسـا من هذا المقاوم بعـد أن أصبح لديها يقين بأنه المحرك الأساسي للثورة منذ أكثر من سنتين. أشهر المعارك التي شارك فيها الأمير عزالدين؛ معركة اللجاة والصفا، ومعارك غوطة دمشـق، ومعركة جبل العرب، إلى معارك عتيبة، ومعركة القاسـمية، وأما المعركة الكبيرة بالنّسبة للأميـر عز الديـن ألا وهـي معركـة زور بالا في غوطة دمشـق التي أبلى فيها ورجاله بلاء حسـنا ضـد القـوات الفرنسـية ودحـر قوات العـدو ثم دخل دمشق بعدها لإشعال الثّورة هناك.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011.
- الأميرة بديعة الحسني الجزائري: طائر في سماء المجد: الشّهيد الأمير عزالدين الحسيني الجزائري، دار الفكر، ط1، دمشق، 2007.
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

عزّ الدّين عباسي
(1348هـ - 1930م/1435هـ - 2014م)

محمّـد عـزّ الدّيـن بـن مسـعود، الملقـب بلقـب عائلتـه عباسـي. وُلـد شـيخنا الفاضل ببلـدة الزّقـم العامـرة خـلال سـنة 1930م إحـدى مدن منطقة سـوف، وبمسـقط رأسـه تربـى ونشـأ فـي أحضـان عائلتـه المحافظة. أمـا الحيـاة التعليميـة لصاحـب الترجمـة، فحسـب المصـادر التاريخيـة التي بيـن أيدينا أن مراحـل تعليمه كانت على الشّـكل التّالي:

- التّعليم القرآني:

كعـادة أبنـاء المنطقـة فـي كل زمـان فقد التحـق الشّـاب محمّـد عـزّ الدّيـن بالكُتّاب حيـث تعلم المبـادئ الأوليّة للعلـوم العربية وقرأ القـرآن الكريم على يدّ الشّـيخ الفاضل إبراهيم كلكامي في مسجد الشّيخ العدواني، وبعد مدة زمنية قضاها في الكُتّاب أكرمه الله تعالى بحفظ كتابه العزيز حفظا تاما عن ظهر قلب، وواصل دراسة علم التجويد ومخارج

الحروف على يدّ الشّيخ احمودة العربي بن صالح.

- التّعليم الزّيتوني:

بعد المرحلة الأولى من التعليم في مسقط رأسه، شدّ الرّحال إلى قلعة العلماء بالشّمال الأفريقي - جامع الزّيتونة المعمور - وكان التحاقه بالجامع الأعظم سنة 1948م، وفيه نهل من الينبوع الصّافي للعلوم العربية والفقهية والشّرعية، وبعد سنوات قضاها في طلب العلم في البلاد التونسية، تُوّجت بحصوله على شهادة التحصيل للعلوم دورة 1954م.

وبعد حصوله على شهادة التّحصيل من جامع الزّيتونة المعمور، عاد إلى مسقط رأسه ليساهم وينخرط في العمل على محاربة الجهل وإخراج الناس من الظلم، وتنويرهم بالعلم الذي أكسبه الله إياه، ومباشرة انخرط في خدمة كتاب الله معلما وإماما وموجها ومرشدا وواعظا؛ حيث باشر هذه المهمّة مدة في مسقط رأسه بلدة الزّقم بوادي سوف، ثم انخرط في مدارس جمعية العلماء المسلمين التي قامت بتعيينه في العديد من المناطق عبر التّراب الوطني، وأهم المناطق التي عمل بها:

مدينة معسكر سنة 1955م، ثم وهران؛ حيث أشرف على إدارة مدرسة حرة في مسقط راسه، بقي بها إلى غاية الاستقلال إلى جانب قيامه بالتّدريس والنّصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. أثناء بزوغ فجر الاستقلال، شارك في المرحلة الانتقاليّة لبلدة الزّقم من خلال عضويته في لجنة تسيير شؤون البلدية وبعد إعلان الاستقلال، التحق شيخنا الفاضل بقطاع الأوقاف والشّؤون الدّينية إلى غاية تقاعده سنة 1991م.

لوظائف الرّسمية:

- الإمامة والخطابة لم ينقطع عنها إلا بعد عجزه؛
- مدير المعهد الإسلامي بمدينة بسكرة؛
- مفتش جهويّ للشؤون الدّينية بالجنوب الجزائري كاملا في ذلك الوقت؛
- عمل مديرا ولائيا للشؤون الدّينية في كل من: عنابة -ورڤلة - الوادي.

إلى جانب عمله الرّسمي فقد ساهم المترجَم له في العديد من الأنشطة المكملة لعمله وذلك بـ:

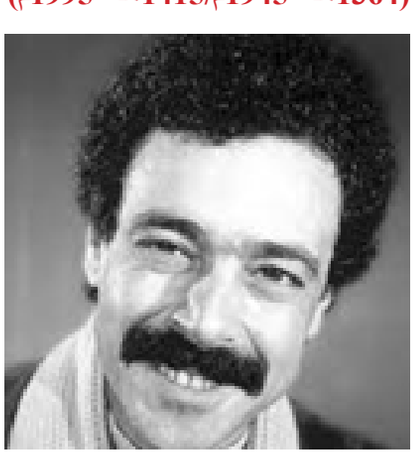
- تأطيره لعمليات بعثات الحج الجزائرية، وتشريفه بإلقاء الدّروس في الأراضي المقدسة منذ السّتينات؛
- تأطيره ومشاركته في مختلف الملتقيات والندوات الوطنية والدّوليّة التي تشرف عليها وزارة الأوقاف.
- مشاركته في الدّروس الدّينية وحصص الفتوى في مؤسّسة التّلفزة والإذاعة الوطنيّة؛
- إشرافه على برنامج الفتوى بإذاعة واد سوف الجهوية لمدة تزيد عن 20 سنة؛
- ترؤسه للمجلس العلميّ لولاية الوادي.

وإلى جانب وظيفته ونشاطه، فقد اهتم شيخنا بالكتابة والتّأليف؛ حيث ترك موسوعة فقهية سماها (تحفة السّالك إلى خير المسالك)، وكذلك نظم مجموعة من الفتاوى والدّروس والمواعظ والإرشادات تقع في (05) أجزاء تم طبعها سنة 2008م.

إضافة إلى ذلك كان يقرض وينظم الشّعر وله موهبة في ذلك، وترك ديوانا له فيه مجموعة من القصائد منها ما هو منشور في المجلات والجرائد والعديد من الرّسائل والمخطوطات تحتاج إلى الدّراسة والتحقيق والطبع. وبعد عمر حافل بالعطاء، أصيب صاحب التّرجمة بمرض عضال الزّمه الفراش مدة لينتقل إثر ذلك إلى جوار ربه يوم 01 فيفري 2014م، ويشيع إلى مثواه الأخير بمقبرة بلدة الزّقم العامرة بوادي سوف في اليوم الموالي، بحضور عدد كبير من أهل المنطقة.

إسمهان ميزاب

عزّ الدّين مجوبي
(1364هـ - 1945م/1415هـ - 1995م)



عزّ الدّين مجوبي من مواليد 30 أكتوبر 1945 بمدينة عزابة التّابعة لولايّة سكيكدة، وهو ابن محامٍ تعود أصوله إلى حمام گرگور بمدينة سطيف.

بدأ مجوبي نشاطه كممثل مع مطلع ستينات القرن الماضي بتشجيع من الفنان الرّاحل علي عبدون، التّحق في 1963 بمعهد المسرح البلدي بالعاصمة، وكانت بدايته كممثل بالإذاعة الوطنيّة بين سنتي 1965 و1968.

وخاض مجوبي تجربة مميّزة في المسرح، حيث شارك في أعمال من السّجّل الكلاسيكي، وتحتفظ خشبة محي الدّين بشتارزي بأدائه المبهر في مسرحيّة حافلة تسير (1985) رفقة دليلة حليلو، وقد لاقت المسرحيّة نجاحا كبيرا جعلها علامة مميزة في مسرح تلك الفترة، حيث تفاعل الجمهور كثيرا مع دور مجوبي في مشهد بكائه بمرارة على فقدان فلذة كبده نوّارة التي ماتت قبل أن ترى النّور، وبقيت عبارة نوّارة

بنتي التي كان يرددها من أشهر اللازمات في تاريخ المسرح الجزائري. في مسرح باتنة الجهوي، أخرج مجوبي مسرحيتي غابوا الأفكار وعالم البعوش، ونالتّ الأخيرة نجاحا كبيرا، كما افتكّت جائزة أحسن إخراج في مهرجان قرطاج للمسرح بتونس.

وخاض مجوبي مع كل من زياني شريف عياد وامحمد بن قطاف وصونيا وآخرين، تجربة المسرح المستقل في الجزائر بإنشاء مسرح القلعة في 1990، الذي أنتج العيطة وحافلة تسير 2، كما قدّم مجوبي عدّة أعمال تلفزيونيّة منها يوميات شاب عامل لمحمد إفتيسان وفيلم خريف 1988.

وأسهم مجوبي أيضا في إنتاج أعمال مع عدّة مسارح جهويّة من بينها مسرح بجايّة الذي قدّم معه مسرحيّة لحوينتة (1994) عن نص علاوة بوجادي ونال عنها جائزة أحسن إخراج، كما كان للراحل أيضا إسهام في التّكوين، حيث كان أستاذاً في الإلقاء والنّطق بالمعهد الوطني العالي للفنون الدّراميّة.



وتقلّد مجوبي عدّة مناصب إداريّة، حيث عُيّن مديرا لمسرح باتنة الجهوي ثمّ مسرح بجايّة الجهوي، قبل أن يتولى إدارة المسرح الوطني الجزائري اعتبارا من مطلع عام 1995، ويعتبره الاعلامي المتخصّص نجيب اسطنبولي أهم ممثل في جيله، اضافة إلى سيراط بومدين.

وفي زوال 13 فيفري 1995، اغتيل الفنان الكبير الذي منح حياته للمسرح أمام مبنى بشطارزي، لتنطفئ شمعة لا تزال تضيء الخشبات وتلهم الخلف.

سناء رمضاني

عطا الله كزواي
(1331هـ - 1913م/ 1401هـ - 1981م)

ولد المربي المناضل والشيخ الوقور عطا الله كزواي في مدينة الأغواط(1913-1981)، مرت في حياته أحداث هامة وتاريخية عاشتها ولاية الأغواط خاصة والجزائر عامة، تنسب عائلة كزواي إلى عرش أولاد يونس وهي إحدى عروش أولاد نايل، فلكل عرش خصائصه ومميزاته، من خصائص عرش أولاد يونس هو أحد أولاده ورجاله القرآن الكريم، وهذه صفة توارثها العرش جيلا بعد جيلا.

-ينحدر الشيخ العلامة عطا الله كزواي من عائلة أصيلة متجذرة في العلم والمعرفة، وهذه نبذة عن بعض أجداده :

- **جد جده:** محمد بن الحاج العرابي كزواي: حافظ للقرآن وله محضرة وصاحب حضوة ومال.

- **عم العلامة:** عبد الرحمان كزواي(1860 - 1934): حافظ للقرآن الكريم وله محضرة وصاحب حضوة ومال.

- **عم العلامة:** عبد القادر كزواي (1890-1972) حافظ للقرآن الكريم له محضرة درس في جامعة الزيتونة واستشهد في صفوف الحركة المصالية ضد الاستعمار الفرنسي.

والد العلامة: الحاج عرابي (1886-1958) صاحب كرم وفضيلة و جود، فبيته مفتوحا دائما أمام عابري السبيل وطلاب العلم، و إلى كل من يحتاج إلى الأكل واللباس.

التحق الشيخ عطاء الله كزواي سنة 1929 بزاوية الهامل لينهل من علوم القرآن كحفظ القرآن الكريم وتفقهه في علوم العربية.

سنة 1948: فتحت جمعية العلماء المسلمين مدرسة، ولأنه كان من نخبة العلم والمعرفة، فكان أستاذا ومربيا في مدرستها وأضاف قسما جديدا في مسجد سيدي عبد القادر الجيلالي ومكتبة ثرية زاخرة تشتمل على الكتب النادرة والمخطوطات التراثية التي توارثها أجداده .

لقد تأثر الشيخ العلامة عطا الله كزواي بروايات الذين عاشوا مجزرة القتل الوحشي ليلة سقوط الأغواط، حيث استخدم المستعمر الفرنسي في هذه المعركة سلاحا كيماويا، كما ذكرها المؤرخون فهي تعد أول حرب كيماوية في تاريخ الإنسانية، فنما شعور الانتقام والمقاومة والثأر في نفس الشيخ عطاء الله كزواي مثله مثل غيره من الجزائريين الذي ذاقوا ويلات الاستعمار الفرنسي المتوحش والأكثر دموية مقارنة بغيره من الاحتلال الذي شهدته القارة الإفريقية.

من الشخصيات التي أعجب بها الشيخ شخصية مصالي الحاج حيث ناضل في صفوف حزب الشعب ثم انسحب منه ليتفرغ إلى جهاد الكلمة والقلم وبناء الإنسان، فسلاح القلم لا يقل خطورة ولا قوة من سلاح الحرب.

فكان الشيخ والمربي يبث روح الجهاد في نفوس أبناء الولاية من جهة، ويحاول غرس الهوية العربية الإسلامية من جهة أخرى، هذه الهوية التي يسعى المستعمر جاهدا لطمسها وقطع الصلة التاريخية والإسلامية والعربية للجزائر بأمتها و دينها .

لم يصلنا من آثار الشيخ عطا الله كزواي من كتب نادرة ومخطوطات إلا القليل، وذلك بسبب حادثة جرت سنة 1981 حيث اقتحم بعض الشباب المتحمس مسجد

سيدي عبد القادر الجيلالي وقاموا بإتلاف الكتب والمخطوطات ووقتها كان الشيخ عطاء الله كزواي يعاني من شلل نصفي أقعده الفراش، غير أن أحد المخطوطات الهامة التي كتبها الشيخ استطاعت أن تفلت من التخريب حيث أخفاها ولده بعيدا عن الجميع، والذي يسمى مخطوط "القضية النحوية" ومخطوط خطه الشيخ يسمى قواعد النحو العربي، والذي لم يظهر إلا بعد وفاة الشيخ عطاء الله كزواي سنة 1981 وهو تحفة نادرة في قيمته العلمية العالية، فهي ثمرة جهود متراكمة لجمعية العلماء المسلمين في غرس وتنمية العقل التربوي والعلمي وتهذيب الأخلاق والدعوة إلى الحرية والتحرر والاستقلال ودحر الغاصب المستعمر الفرنسي.

أسس الشيخ نظرية لم يسبق إليها على حد قول ابنه الأستاذ المربي الفاضل "أستاذ فلسفة متقاعد" الحاج عرابي كزواي، نظريته تنافس بناة المدارس اللسانية المعاصرة حيث يرى الشيخ أن علم النحو هو بداية العلوم وليس نهايتها وأن اللسان سابق على علم البيان".

"لا نتعلم قواعد النحو لمنع أنفسنا عن الخطأ بل يجب أن نتعلم اللسان العربي المبين ثم نترك الذات تولد قواعدها النحوية ذاتيا، لأن هذه القواعد جبل عليها الإنسان بالفطرة، وهذا ما نجده ما يتقاطع مع النظرية التوليدية التحويلية للعالم اللساني الأمريكي المعاصر"نعوم تشومسكي".

ليس أن يعلم قواعد النحو بل يحرك كامن المتعلم فيدرك القواعد بالإثارة، والإثارة هي إثارة دافعية فعل المتكلم وهذا أيضا ما تنادي به المدارس النفسية والتربوية في الحقل التعليمي.

ترك الشيخ عطا الله كزواي عدة وصايا تعددت مواضعها من حب الله-الأخلاق-الوطن-الدين-العمل

- **الوطن:**

أبنائي: "تذكروا كل لحظة أن الوطن يعرف بالمواطن، فكونوا مثالا كاملا للمواطنين الكاملين في قوة الجسم وسلامة العقل وطهارة القلب، واعتبروا وطنكم قطرا إسلاميا يلزم أن يعزه الإسلام، وقطرا عربيا يجب أن يخدم العروبة، ووطنا إنسانيا يفرض عليه أن يعين الإنسانية على التطور المضطرد والرقي المستمر فلوطنكم صوت لابد منه أن يسمح في حضارة البشر، فقودوه بالعلم والعمل".

- **الأخلاق:**

أبنائي: "تفكروا في كل لحظة: أن الأخلاق الفاضلة، مثال للإنسانية الكاملة المهذبة فتعلموا منها الصبر أمام الكوارث وتحملوا المشاق والصعاب في كل ما تعلمون وتتعلمون إلى أن تصلوا، واجعلوا عاداتكم الطاعة لأوامر الحق والعدالة والدين ونظموا حياتكم وتعودوا النظام في كل ما يصدر منكم، فكلامكم حق وعملكم *أبنائي: "تفكروا في كل لحظة: أن الأخلاق الفاضلة، مثال للإنسانية الكاملة المهذبة فتعلموا منها الصبر أمام الكوارث وتحملوا المشاق والصعاب في كل ما تعلمون وتتعلمون إلى أن تصلوا، واجعلوا عاداتكم الطاعة لأوامر الحق والعدالة والدين ونظموا حياتكم وتعودوا النظام في كل ما يصدر منكم، فكلامكم حق وعملكم حق، فكونوا كلكم. حقيقة وأحبوا إخوانكم حتى لا يبقى في الأمة من لم يغمره حبكم ولاتنكروا الجميل مهما كان مصدره، وليكن شعاركم المحبة، النصيحة، الإخلاص".*

رقية بن سعد

المصدر:

- الشيخ عطا الله كزواي.
- كراس النحو-تحقيق وتقديم الأستاذ كزواي الحاج العرابي.

■ عطيّة مسعودي
(1319هـ - 1900م/1410هـ - 1989م)



هو عطيّة بن مصطفى بن مسعود، وإلى مسعود هذا يعود اللقب مسعودي. ولد حوالي سنة 1319 هـ الموافق لـ 1900 م ببلدة الجلاّلية قرب مدينة الجلفة في أسرة متدينة تنحدر من أولاد نايل. إمام وفقيه ورجل صوفي وشاعر مُجيد. عُرف عنه أنه كان رجلا عصاميا. تلقى تعليمه الأساسي بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة على يد شقيقه الأكبر الشيخ الهادي مسعودي الذي كان مدرسا بزاوية البلدة التي يعود تأسيسها إلى سنة 1870 م. وتلقى مبادئ عامة من العلوم الإسلامية كما حذِق اللغة العربية وآدابها. وعندما شب توجه إلى زاوية الشيخ عبد القادر الطاهري ببلدة الادريسية بنواحي الجلفة وبها تلقى على يده علم التوحيد والفقه والحديث. وحسب الروايات المتداولة عن سيرته فقد انتقل الشيخ عطية مسعودي إلى زاوية سيدي علي

موسى بمنطقة جرجرة ومنها توجه للجزائر العاصمة حيث التقى بالشيخ عبد الحليم بن سْماية مفتي العاصمة خلال العشرينات من القرن العشرين، واستقر به المقام لدى عائلة محي الدين بأعالي منطقة بلكور(بلوزداد حاليا) لعدة سنوات. كما اتصل خلال نفس الفترة ببعض مشايخ مدينة البليدة.

بعد إنهاء رحلة طلب العلم التي زار فيها العديد من مناطق الجزائر، عاد الشيخ عطية مسعودي إلى مسقط رأسه وكان من أوائل المعلمين الذين انتظموا في سلك التدريس بمدرسة الإخلاص الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الثلاثينات. وداوم بها لمدة عامين. ولما قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بزيارة تفقدية لمدينة الجلفة في بداية الثلاثينات كان الشيخ عطية مسعودي من بين حضروا

مجلسه. وفي الأربعينات من القرن العشرين عين إماما بالمسجد الكبير في الجلفة، وخلال الخمسينات كلفته قيادة جبهة التحرير الوطني، بمهمة الفتوى والقضاء بالجلفة أثناء الثورة التحريرية.

من بين الشيوخ الذين لازمهم الشيخ عطية لسنوات الشيخ نعيم النعيمي والشيخ الطاهر العبيدي. وقد تخرج على يده العديد من طلاب العلم والإطارات التي عملت في مختلف المجالات. وكانت له اتصالات مع العديد من العلماء وشيوخ الزوايا نذكر منهم الشيخ محمد بلْباي وكذلك الشيخ بلْكبير بأدرار والشيخ إبراهيم بيوض بغارداية والشيخ مصطفى القاسمي بالهامل وغيرهم ممن تواصل معهم من مُعاصريه.

كانت فتاويه محل عناية لدى كل من عبد الرحمن الديسي وعاشور الخنقي وغيرهم، فقد أورد الدكتور عمر بن قينة بعض تلك الفتاوى في كتابه عن سيرة الشيخ عبد الرحمن الديسي. كما استشهد الشيخ عاشور الخنقي في كتابه المنار ببعض فتاويه وهذا يدل على المكانة العلمية التي كان يتميز بها الشيخ عطية، ولذلك تربع على عرش الافتاء بمنطقة الجلفة دون منازع منذ ما قبل الاستقلال وحتى وفاته.

وبهذه الصفة، ظل الشيخ مسعودي لعقود من الزمن المرجع الأول في الفقه الإسلامي والعلوم الشرعية بمنطقة الجلفة فضلا عن كونه عالما بالتفسير والحديث النبوي، وله باع طويل في علوم اللغة مما جعله أحد ركائز نشر التعليم ومحاربة الجهل والأمية. كما عُرف عنه التزامه بالمواقف الوطنية المؤيدة للثورة التحريرية وإصلاح ذات البين. ويقول عنه البعض مِمّن عاصروه أنه كان يتميز بسماحته وطيبة أخلاقه وورعه. يقول عنه الدكتور مصطفى داودي وهو أستاذ جامعي "عرف عنه رجاحة عقله الذي استعمله في تبيان أمور الدين فزاوج بين النقل والعقل". بينما قال عنه كاتب السير الحفناوي بن عامر "كان له حضوره المشهود بين أقرانه من علماء ذلك الزمان"، أما نجله يحيى مسعودي فقال إن والده "كان منكبا على الدراسة منذ صغره، يحفظ أمهات كتب السيرة والأحاديث على اللوح كما يحفظ القرآن". وقد ألف عنه نجله هذا كتابا ضمنه سيرته تحت عنوان "آداب وسلوك".

من بين الآثار التي تركها الشيخ عطية مسعودي مكتبته الضخمة التي يقارب عدد الكتب التي تضمها ألف كتاب، كما ترك مجموعة من المخطوطات منها "فتاوى في الفقه المالكي" و"مجموعة أحاديث نبوية" والتي سجلها بخط يده ومجموعة من القصائد الشعرية التي قالها في أغراض مختلفة وجمعها تحت عنوان "باقات من الشعر".

ونورد هنا نموذجا من شعره. ففي قصيدة بعنوان "رجال السند" يقول:

أليس من جاءنا بالدين أخبرنا
عن ربه في كتاب غير متهمِ
بأن أكرمنا لديه منزلة أتقى
. البرية من عُربٍ ومن عجمِ
وأن أخوفنا الله هم علماء الدين
. أهل النّهى والبر والكرم
ومن أحبّ الإله ماله أرب
بغير طاعته بالفوز مغتنم

ويقول أيضا:

ولا يغرنّك علم من فتى أبدا
.ولو حوى كل ما قد خُط بالقلم
حتى تراه عريقًا في هدايته
ودينه وتُقاه راسخ القدم
ولا يهولنّك أقوال مزخرفة
فزخرف القول قد يفضي إلى الندم

وقوله في قصيدة أخرى بعنوان:

هُمُ تركوني

أمّا كان وصف المؤمنين تراحم
ووُدّبإخلاص الولا وتعطّفِ
ستعلم من منا إذا انكشف الغطا
أبرّ وأوْفى من أخيه وأرْأفِ
أحب لإخواني اعتدالا وسيرة
بها ربنا يرضى وبالفوز تهتفِ
أحب لهم جمْع القلوب على صفا.
وبعضهمُ للبعض عون ومسعفِ

توفي الشيخ عطية مسعودي، في سنة 1410 للهجرة الموافق لـ 1989 بالتقويم الميلادي وفي 27 سبتمبر من تلك السنة، وذلك بالجلفة وبها دفن. وقد تم تخليده بإطلاق اسمه على مسجد بالمدينة وعلى حي سكني كما أن هناك ثانوية تحمل اسمه.

عامر بغدادي

المصادر

- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إشراف رابح خدوسي، منشورات الحضارة
- الشيخ سي عطية مفتي أولاد نايل، جريدة الشروق، العدد الصادر في 5/ 6/ 2019
- وكالة الأنباء الجزائرية، استذكار سي عطية مسعودي، في 09 / 05/ 2019

عـطاء الله دهينة
(1348هـ - 1930م/1408هـ - 1988م)

ولد المربي المناضل والشيخ الوقور عطاء الله دهينة؛ وُلد يوم: (27شوال 1348هـ)، الموافق لـ(28 آذار-مارس1930م)، في مدينة (الأغواط) الجزائريّة؛ تعلم مبادئ اللّغة العربيّة في مسقط رأسه، ودرس المرحلة الابتدائيّة بتفوق؛ ثم سافر بعدها إلى (المغرب الأقصى)، وأحرز بتفوق شهادة معهد الدّراسات العليا بالرّباط في المملكة المغربيّة، ونال شهادة الكفاءة المهنيّة، ثم انتقل إلى (فرنسا) من أجل متابعة دراساته العليا، ونال (دكتوراه السّلك الثّالث) في التّاريخ، بعد مناقشته لدراسة موسعة عن: (المملكة العبدواديّة في عصر أبي حمو الأول وأبي تاشفين الأول)؛ وقد تولى الإشراف على دراسته هذه الباحث والمؤرّخ الفرنسي (شارل ايمانويل ديفورك)، كما حصل على شهادة (دكتوراه الدّولة) في التّاريخ من جامعة باريس العاشرة، وذلك بعد أن أنجز أطروحة موسومة ب: (دول الغرب الإسلامي خلال القرون الثّالث والرّابع والخامس عشر للميلاد نظم الدّولة والإدارة)، وذلك يوم: (02 شعبان 1400هـ)؛ الموافق لـ(16جوان1980م)، بتقدير : (مشرف جداً)، والمقصود بالغرب الإسلامي، هي تلك المناطق الممتدة غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، وهي تنقسم إلى المغرب الأدنى (تونس وليبيا)، ثم المغرب الأوسط (الجزائر)، وصولاً إلى المغرب الأقصى؛ فالبلاد الأندلسيّة المتمثلة في شبه جزيرة إيبيريا، والتي تشمل اليوم إسپانيا والبرتغال، وهي إقليم يتميز بشساعته، واتساعه.

عمل الباحث الدّكتور (عطاء الله دهينة) في سلك التّدريس والتّعليم لعدّة سنوات، واشتغل في التّعليم الثّانوي بالمغرب الأقصى، ولاسيّما في مدينتي (الرّباط)، و(طنجة)، وبعد رجوعه إلى وطنه الجزائر (المغرب الأوسط) اشتغل أستاذاً للتاريخ في العديد من المدن الجزائريّة، فعمل في مدينة (تيزي وزو)، و(باتنة)، و(الجزائر العاصمة)، و(البليدة)، وبعد سنوات من اشتغاله بالتّعليم الثّانوي، انضم إلى الأسرة الجامعيّة بجامعة الجزائر، وأصبح أستاذاً للتاريخ، وأضحى من أعضاء هيئة التّدريس بمعهد الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، كما اشتغل لعدّة أعوام بمعهد التّاريخ والآثار، وقد تقلد العديد من المناصب، من بينها: مدير معهد التّاريخ والآثار، ومدير الوكالة الوطنيّة الجزائريّة للآثار، وقد نشر الباحث الدّكتور (عطاء الله دهينة) العديد من المقالات والدّراسات والأبحاث التّاريخيّة في مختلف المجلات الأكاديميّة، والعلميّة المتخصصة، إضافة إلى الصّحف والدّوريات الثّقافيّة، ومن أهم المجلات التي نشر فيها : مجلّة : (الأصالة)، و(التّاريخ)، و(الدّراسات التّاريخيّة)، وجريدة (الشّعب)، ومن أهم مؤلفاته: (الجزائر عبر التّاريخ : العهد الإسلامي من الفتح إلى بدايّة العهد العثماني)، وهو كتاب ألفه بالاشتراك مع مجموعة من المؤرّخين الجزائريين من بينهم: المؤرّخ (رشيد بورويبة)، و(موسى لقبال)، و(عبد الحميد حاجيات)، ولعل أهم كتاب أنجزه المؤرّخ الدّكتور (عطاء الله دهينة)، هو كتاب: (دول الغرب الإسلامي خلال القرون الثّالث والرّابع والخامس عشر للميلاد نظم الدّولة والإدارة)؛ فهذا الكتاب هو بمنزلة موسوعة شاملة تحدث فيه بإسهاب عن الهيئات الإداريّة التي بقيت بعد الدّولة الموحديّة في الغرب الإسلامي، وقدم إحاطة شاملة عن تمركزها، والجدير بالذكر في هذا الشّأن أن الحيز الجغرافي الذي ركز المؤرّخ الدّكتور (عطاء الله دهينة) على دراسته يشمل بلاد المغرب؛ التي تقع في القسم الشّمالي من القارة الإفريقيّة، على ساحل البحر الأبيض المتوسط من جنوبه.وقد اختلف المؤرّخون والجغرافيون في تحديد مدلولِه؛ فقد كان يُراد باسمِ (المغرب) فيأوّل الأمر كل ما يقابل المشرق من البلاد، ولهذا أدخل فيه بعض المؤرّخين مصر، والأندلس، كالمقدسي في كتابه : (أحسن التّقاسيم)، وعلي بن سعيد المغربي صاحب كتاب: (فلك الأرب، المحيط على لغة العرب). وفي (أيام العباسيين زاد مدلول المغرب اتساعا فصارت الشّام أيضا ضمن المغرب، إذ يروي المسعودي أنّ العباسيين قسّموا مملكتهم إلى قِسمين، وهما : المغرب، ويشمل الشّام ومصر وإفريقيّة وما يليها غربا، والمشرق ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا).وأبقى آخرون على (المغرب) الحالي كابن عِذَاري في: (البيان المُغرب)، وابن أبي دينار في (المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس)؛ فأخرجوا منه الأندلس، وجعلوا حدود المغرب تمتد من بحر النّيل شرقاً حتى ساحل المحيط الأطلسي غرباً؛ بينما نجد طائفة من الكتاب ظلّت تخْلِطُ بين لفظي: (المغرب) و(إفريقيّة) كالبكري الذي يقول في كتابه : (وصف إفريقيّة): (و حد إفريقيّة طولها من برقة (بنغازي) شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً...).ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فلم يلبثْ المعنى أنْ تحدَّدَ، ولقد انتهى مصطلح (المغرب) عند المؤرّخين والجغرافيين العرب إلى أنْ يشمَلَ كُلَّ ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي، وقد قُسِّمَ المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها، أو بعدها من مركز الخلافة في المشرق، وهي:

أ. **المغرب الأدنى**: ويسمى أيضا إفريقيّة، ويبتدئ من مدينة السّلوم المصريّة شرقا إلى مدينة بجايّة الجزائريّة غربا. وكانت عاصمته القيروان أيام حكم الأغالبة، ثم المهديّة أيام الفاطميين، ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم.

ب. **المغرب الأوسط**: وهو من مدينة بجايّة شرقا، إلى وادي ملويّة غربا، وهذا الوادي يقع بين مدينتي تلمسان الجزائريّة، و(تازا) المغربيّة، وكانت عاصمته مدينة

تيهرت في عهد الدّولة الرّستميّة الخارجيّة الاباضيّة (160-299هـ)، وفي الأيام الأولى للدولة الزّيريّة الصّنهاجيّة (361-543هـ) التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب، صارت العاصمة مدينة أشير بالقرب مدينة المديّة الجزائريّة، ثم انتقلت العاصمة إلى قلعة بني حمّاد، ثم بجايّة أيام الدّولة الحمّاديّة (405-547هـ)، وفي أيام دولة بني زيان (عبد الواد) صارت العاصمة تلمسان في القرن السّابع الهجري (633-962هـ)، وأخيرا صارت جزائر بني مزغنة، وهي مدينة الجزائر الحاليّة، هي العاصمة حتى اليوم، وذلك منذ أن حكم العثمانيون هذه المدينة نحو سنة :1526م.

ج. **المغرب الأقصى**: من وادي ملويّة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وترددت عاصمة المغرب الأقصى بين مدينتي فاس (البيضاء) ومرّاكش (الحمراء)، فالأدارسة أسّسوا مدينة فاس سنة 191هـ، واتخذوها عاصمة لهم، ثم جاء المرابطون وأسّسوا مدينة مرّاكش سنة 463 هـ واتخذوها عاصمة، ثم تبعهم الموحدون في اتخاذ مرّاكش عاصمة كذلك. ثم جاء بنو مرين في القرن السّابع الهجري (647-814هـ) فاتخذوا مدينة فاس قاعدّة لحكمهم، وتبعهم في ذلك بنو وطاس في القرن التّاسع الهجري إلى أن جاء السّعديون في القرن العاشر الهجري، فنقلوا عاصمتهم إلى مدينة مرّاكش، أمّا عاصمة المغرب اليوم فهي مدينة الرّباط التي اختارها الفرنسيُّون أيام الاحتلال لتكون مركزاً إداريا لهم سنة 1912م.

وتقسيم المغرب العربي إلى الأقسام الثّلاثة السّابقة تقسيم قديم يرجع إلى عهد الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان) آخر القرن الأول الهجري، وقد ظلّ إلى القرن العاشر الهجري، ثم لمّا استولى العثمانيون على المغربين: الأدنى والأوسط قسموهما تقسيما جديدا حسب الدّول التي أنشؤوها فيهما فانقسما إلى: ليبيا وتونس والجزائر. أما المغرب الأقصى فَلأَنَّهُ سَلِمَ من الحُكم العثماني، ظلّ له اسمُه العربي القديم وهو (المغرب) مع كلمة الأقصى أو بدونها، ولو أنه كان يعرف إلى عهد قريب باسم (مَرّاكُش) عاصمة الجزء الجنوبي منه؛ أما أهل التّاريخ والسّياسة في وقتنا الحاضر، فالمغرب عندهم لا يعني سوى تلك الأقطار مجتمعة (ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا)، ويطلق على مجموعها اسم : (بلاد المغرب العربي).

وقد تساءل المؤرّخ الدّكتور (عطاء الله دهينة)، في كتابه: (دول الغرب الإسلامي خلال القرون الثّالثّ والرّابع والخامس عشر للميلاد نظم الدّولة والإدارة)، هل ترك الموحدون أنظمة حكم متينة ؟ وما مدى تأثيرها على الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة في المغرب والأندلس ما بين القرن الثّالثّ عشر والخامس عشر الميلادي؟

ومن بين مؤلفات الباحث الدّكتور (عطاء الله دهينة) التي حظيت باهتمام واسع من لدن مختلف الباحثين والدّارسين، ولقيت أصداء طيبة، كتاب: (الدّولة الموحديّة في عهد أبي حمو موسى الزّياني)؛ والذي طبع عام: (1405هـ/ 1985م).

وقد توفي الباحث والمؤرخ الدكتور (عطاء الله دهينة) ،عام: (1408هـ/ 1988م) في حادث مرور أثناء سفره من (الجزائر العاصمة) إلى مدينة (الأغواط) مسقط رأسه.

يقول عنه الباحث الدّكتور (مسعود كواتي): "كان الأستاذ الدّكتور عطا الله دهينة أحد دعائم المدرسة التّاريخيّة الجزائريّة في العصر الإسلامي الوسيط رفقة باقة مختارة من الأساتذة اللامعين والباحثين الجادين كالدّكتور عبد الحميد حاجيات، والدّكتور رشيد بورويبة رحمة الله عليه، والدّكتور موسى لقبال رحمه الله، والدّكتور محمود بوعياد أوّل مدير للمكتبة الوطنيّة **الجزائريّة** طيب الله ثراه. عُرف الأستاذ دهينة بطيبته غير المحدودة، ومعاملته الإنسانيّة تجاه طلبته، وأخلاقه الدّمثة، وابتسامته البريئة الصّبيانيّة، وجديته في العمل، وثقافته المزدوجة باللغتين العربيّة والفرنسيّة؛ مما أهله إلى ترجمة عديد الوثائق والكتابات ليستفيد منها الطّلبة

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة"

المصدر:

1 –د. عطاء الله دهينة: دول الغرب الإسلامي خلال القرون الثّالثّ والرّابع والخامس عشر للميلاد: نظم الدّولة والإدارة، منشورات المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالاشتراك مع ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1405هـ/ 1985م .

2 – د.مسعود كواتي: شخصيات جزائريّة مواقف وآثار ونصوص، منشورات دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

عفيف الدّين التّلمساني
(1319هـ - 1900م/1410هـ - 1989م)

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين الكومي، يعرف بعفيف الدّين، ويكنى بأبي الرّبيع، ويعود نسبه إلى قبيلة كوميّة.

ولد بالعبّاد في تلمسان سنة 610 هـ الموافق لـ 1213م وإليها ينسب، ويعرف عند سكانّها بسيدي حفيف. عَلم من أعلام الصّوفيّة، وشاعر مُجيد من أهل القرن السّابع الهجري، الثّالثّ عشر الميلادي. نشأ عفيف الدّين في جو كان فيه لرجال الطّرق الصّوفيّة

المقـام الأوّل فـي المجتمـع. فـكان لعوامل الزّهد والتّنسـك والعبـادة دور كبير في حياة النّـاس. تلك هـي الخلفيّة التـي انطبعت في هنـه وحملها معه حيثما حـل وارتحل. فبعد أن تلقـى معارفـه العلميّـة الأولـى بتلمسـان وتعـرف علـى مبـادئ التّصـوف، سـافر إلى الخارج طلبـا للعلم، وكان كثير التّرحال فقد زار مصر والشّـام وآسـيا الصّغرى وما يعرف تاريخيا ببلاد الرّوم ومنها تركيا اليوم.

وخـلال تلـك الرّحـلات التّقى بالصّوفي محمّـد بـن إسـحاق بـن يوسـف المعـروف بصـدر الدّيـن القونـوي، وهـو صوفـي تركي مـن أقـرب تلامـذة الصّوفـي الكبيـر الشّـيخ محـي الدّيـن بـن عربـي. وشـكل لقاؤهمـا تحـولا كبيـرا فـي حيـاة عفيـف الدّيـن حيث تعـرف مـن خـلال صـدر الدّيـن علـى عالَـم الشّـيخ محـي الدّيـن بـن عربـي. فـلازم القونـوي وأخـذ عنـه الكثيـر، ولذلـك يعتبـر هـذا الصّوفـي هو شـيخه الحقيقـي. وتوثقت العلاقـة بينهمـا فصـار يصحبـه فـي معظـم رحلاتـه ومنهـا رحلته إلـى مصر. وفـي مصر نـزل عفيـف الدّيـن مـع القونـوي بخانقـاه أوالخلـوة وهـي المـكان الـذي كان ينقطـع فيـه المتصوفـة للعبـادة. أسسـها الفاطميـون وأوقفهـا صـلاح الدّيـن الأيوبـي علـى أتبـاع الطّـرق الصّوفيّـة. وخـلال رحلتـه إلـى مصر التّقـى بصوفـي آخـر وفـد مـن الأندلـس هـو الصّوفـي محمّـد عبـد الحـق بـن سـبعين المتوفّـي سـنة 669 للهجرة. ومـن مصر انتقل إلى الشّـام حيث اسـتقرّ بدمشـق وتحـول إلى أعمـال التّجـارة. وفـي الشّـام بـدأت شـهرته تبـرز كأحـد رمـوز الصّوفيّـة واعتقـد البعض فـي فضلـه وزهـده.

وخـلال رحلاته إلى المشـرق اطلع على الفلسـفة اليونانيّـة وعلـم الـكلام إلى جانب الفقـه وهي العلوم التي برزت في تلك الفترة بعد أن توسعت دار الإسلام ودخلت ثقافات جديدة وظهرت طرق مسـتجدة في التّفكير.

وللفلسـفة وعلم الكلام دور كبيـر في الفكر الصّوفـي. فتعرف علـى كبـار المتصوّفة في عصـره والتّزم بنهج الشّـيخ محـي الدّين بن عربـي فـي التّصـوف، فـكان يعتقـد بوحـدة الوجود، على غرار الشّيخ ابن عربي، ولذلك اتهـم من طـرف بعـض الفقهـاء برقـة الدّين وبالزّندقـة والميل إلى النّصيْريّـة المعروفين بالعلويين.عفيـف الدّيـن التّلمسـاني شـاعر متميـز له طابعه الخاص في الشّـعر ويعدّ من أبرز شـعراء التّصوف، ومال إلى شعر الغزل للتعبيـر عن آرائـه ونهجه في التّديـن. وكان من أكثر شـعراء عصـره إثارة للجدل، سـواء حـول مذهبه فـي التّصوف أو حـول الأفكار التـي تضمنهـا شـعره والتـي تعبـر عـن نمط تفكيـره فـي الحيـاة. يكتسـي شـعره الطّابـع الرّمزي الذي يعرف به الشّعر الصّوفي عادة. ويـرى الصّوفيّـة أن الرّمـوز التـي تظهـر في أشـعارهم تعبـر عن محبـة اللـه والانصراف عن الحب الدّنيوي الزّائل إلى الحب الدّائم، حب الله. لكن الشّـعر الصّوفي لم ينل حظه الكافي من الدّراسـات الأدبيّة لأنّه كان يُنظر إليـه كفن صوفـي لا علاقة له بـالأدب، وفي الوقت نفسـه لا يولي المهتمون بالدّراسـات الصّوفيّة، الشّـعر الصّوفـي المكانة اللائقة به لأنّهم يرونه مجالا من مجالات الأدب.

لعفيـف الدّيـن العديـد مـن المؤلّفـات أبرزها ديوان للشـعر في الغـزل الصّوفي يقع في جزأيْن، درسـه وحققـه الكاتب المصري يوسـف زيـدان ونشـرته دار الشّـروق تحـت عنـوان "ديوان عفيـف الدّيـن التّلمسـاني". كما ترك رسالة في علم العَروض، ومجموعة مـن المؤلّفـات فـي شـكل شـروح أبرزهـا: "شرح أسـماء الله الحسنى" و"شرح مواقف النّفـزي" و"شـرح منـازل السّـائرين" لأبـي إسماعيل الهروي و"شـرح القصيدة العينيّة" لابـن سـينا و"شـرح القصيـدة التّائيّـة" لابن الفـارض و"شـرح الفصوص" لابـن عربيرع وبرع في تقديم تلك الشّـروح والكشـف عما ترمز إليه تلك النّصوص الصّوفيّة، فكان ذلك سـببا لاتهامه، من معارضي نهجه في التّدين، بالزّندقة. فقد قال عنه الذهبي إنّه "أحد زنادقة الصّوفيّـة، ولمـا قيـل لـه أأنت نصيْـري؟ قال النّصيري بعض مني. وأما شـعره ففي الذروة العليا من حيـث البلاغة والبيـان لا من حيث الإلحـاد". ولا يختلـف رأي ابن كثير فيه عما قالـه الذهبـي، فقد قـال عنه "وقد نسـب هذا الرّجـل إلى عظائم في الأقـوال والاعتقاد في الحلول والاتحـاد والزّندقة والكفر المحض وشـهرته تغنـي عن الإطنـاب فـي ترجمته". وقـال عنـه الفقيـه الحنبلي ابـن تيميّـة "وأما التّلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهيّة ووجود ولا بين مطلـق ومعين وإنمـا الكائنات أجزاء منه وأبعاض لله بمنزلة أمواج البحر في البحر وأجزاء البيت من البيت".

ومثلمـا كان لعفيـف الدّيـن معارضـون، فهنـاك مناصـرون لـه، فهذا القاضي شـهاب الدّيـن بـن فضل الله يصـف شـعره بأنّه "لم يـأت إلا بما خف علـى القلـوب، وبرئ من العيوب، رق شـعره فكاد أن يشـرب". وقال فيـه الأديب المؤرّخ ابن العماد "وأما شـعره ففي الـذروة العليا من البلاغـة". وأثنى عليه الشّيخ ابن سبعين بل فضله على شيخه صدر الدّيـن القونوي، حيث إنّه لمـا جاء القونوي إلـى مصـر اجتمـع بابن سـبعين عندمـا قدم من الأندلس وكان التّلمسـاني رفقة شـيخه، فسألوا ابن سبعين عن القونوي كيف وجدته في علـم التّوحيد؟ أجاب إنّه مـن المحققين لكـن معـه شـاب أحـذق منـه وهـو العفيف التّلمسـاني. وبعـد عمر طويل ناهـز الثّمانين عاما، قضاها في الحل والتّرحال والتّأمل في الكون والحياة والبحث في المجال الصّوفي والفلسـفي، توفّـي عفيـف الدّين في دمشـق محل إقامته، سنة 690 هـ الموافق لـ 1291م.

عامـر بغـــدادي

المصـــادر

- ديوان عفيف الدّين التّلمساني، يوسف زيدان، دار الشّروق. القاهرة؛
- ديوان عفيف الدّين التّلمساني، جريدة المساء، عدد 10/ 12/ 2008؛
- الصّوفيّة في شعر عفيف الدّين التّلمساني، مصطفى مجاهدي، مجلّة حوليات التّراث، 2005؛

عقبة بن نافع الفهري
(622م/63هـ - 683م)

ولد عقبة بن نافع الفهري بمكة المكرمة في أواخر السّنة الأولى قبل الهجرة الموافق لسنة 622 حسب التقويم الميلادي. ويعود نسبه إلى فهر بن مالك بن النضر وهو المكنى بقريش. لما شبّ عقبة كانت حركيّة نشر الإسلام، والتي عرفت تاريخيا بالفتوحات، قد توسعت إلى خارج شبه الجزيرة العربيّة. وكان كبار الصحابة هم من يتولون قيادة تلك الحركيّة أو شاركوا فيها. ولذلك اندمج فيها عقبة مبكرا، وشارك مع والده نافع في فتوح مصر تحت لواء الصحابي عمرو بن العاص بعد استقرار وضع المسلمين في الشّام.

ظلّ تأمين الوضع في مصر يعد أولويّة لدى المسلمين، فقد كانوا يخشون قوة الوجود الرومي في الحوض الشّرقي للبحر المتوسط وشمال أفريقيا. فقد كان الهدف الأساسي من الوجود الإسلامي في مصر هو نشر الإسلام والقضاء على الوجود الرومي فيها. ولا شك أن نشر الإسلام وتثبيت حكم المسلمين يستوجب تنفيذ عمليات استطلاع مستمرة بالمناطق الواقعة إلى الغرب من مصر، وذلك هو الهاجس الذي سيطر على الولاة في مصر خلال تلك الفترة المفصليّة من تاريخ الإسلام بالشّمال الأفريقي. ضمن هذا الإطار قام عمرو بن العاص والي مصر، وكان عقبة من بين جنده، بحملة استهدفت ليبيا الحاليّة، وتم على إثرها إقامة حاميّة ببرقة أسند أمر قيادتها إلى عقبة.

هذه هي المهمّة الأساسيّة التي أسندت إلى عقبة بن نافع فيما بعد طيلة إقامته في برقة والتي دامت حوالي ربع قرن. ذلك هو الجو العام الذي نشأ فيه عقبة بن نافع وشب عليه.

كان البطريك غريغوار المعروف لدى قدماء المؤرّخين العرب بجرجير هو عامل الروم على شمال أفريقيا ويقع مقر حكمه بمدينة سبيطلة أو سوفيتلة بوسط تونس، وهو ما استوجب القيام بدوريات استطلاع للأوضاع، وكان عقبة من موقعه في برقة هو من يقوم بتلك الاستطلاعات. وتتحدث المصادر التاريخيّة عن دخول مجموعات من القبائل الأمازيغيّة في ليبيا في الدين الجديد في وقت مبكر. بعد مرحلة الاستطلاع، جرت أول معركة حقيقيّة بين المسلمين والروم البيزنطيين في شمال أفريقيا سنة 27 للهجرة الموافق لـ 647 م بقيادة الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي سرح، والي مصر الجديد في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كانت تلك المعركة فاصلة في مسيرة نشر الإسلام ببلاد المغرب، حيث تم مقتل البطريك غريغوار. وشارك فيها كوكبة مميزة من الصحابة هم الوالي عبد الله بن سعد ومعه عقبة بن نافع وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن أبي بكر وغيرهم، ولذلك عرفت بمعركة العبادلة السّبعة. خفت حركة الفتوح بعد تلك المعركة إلى حدّ كبير، وتوقفت بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35 هـ الموافق لـ 656 م، وتولي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخلافة وما نتج عن ذلك من اضطرابات عرفت بالفتنة الكبرى، وما انجر عنها من أحداث انتهت بمقتل الإمام علي سنة 40 هـ الموافق لـ 661م.

في سنة 50 هـ الموافق لـ 670 م كلّف معاويّة بن أبي سفيان، الذي تولى الخلافة بعد مقتل الإمام علي كرم الله وجهه، عقبة بن نافع بأمر أفريقيا. لقد كان عقبة يمثل الرجل المناسب في المكان المناسب، حيث أنه يملك الكفاءة التي تؤهله لذلك المنصب بحكم أنه ظل حوالي ربع قرن مكلفا بحاميّة برقة. ويقول الشّيخ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام عن ذلك التكليف "لقد سبق أن عرفته أفريقيا وعرفها منذ كان مع عمرو بن العاص في فتوحاته وبعوثه الأولى. فقد قام أميرا على ما فتح منها، ومتجولا ومغيرا تارة ودارسا ونذيرا وبشيرا تارة أخرى، ولبث مقيما بتلك النواحي حتى استعمله معاويّة على ولايتها".

كان أهم عمل قام به عقبة بعد توليته هو تأسيس حاضرة القيروان سنة 51 هـ الموافق لـ 671 م، وبنى بها أوّل مسجد في بلاد المغرب ما يزال حتى اليوم يحمل اسمه. وصف الشّيخ مبارك الميلي تلك الفترة من مسيرة عقبة في كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث بقوله: "في ولايّة عقبة بن نافع الأولى التي وضع فيها أسس الفتح كان الإسلام منتشرا جدا". ويؤكد هذا الرأي ما ذهب إليه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون حيث قال: "دخل أفريقيا وانضاف إليه مسلمة البربر، فكبر جمعه ودخل البربر في الإسلام، واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين". وفي سنة 55 هـ الموافق لـ 674 م، تم عزل عقبة وتوليّة أبي المهاجر دينار مولى الأنصار أمر أفريقيا من قبل والي مصر الجديد مسلمة بن مخلد. وروت كتب التاريخ أن عقبة خرج مهانا من طرف أبي المهاجر، فذهب إلى الشّام يشكو أمره لمعاويّة. فما كان من هذا الأخير إلا أن قال له: "قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام المظلوم" يقصد مقتل عثمان" إلا أنه في عهد خلافة يزيد بن معاويّة ووفاة مسلمة، تم إعادة توليّة عقبة أمر أفريقيا سنة 62 هـ الموافق لـ 682 م وعزل أبي المهاجر.

في ولايته الثانيّة، سعى عقبة لإعادة تهيئة القيروان بعد أن تخلى عنها أبي المهاجر وقام ببناء قريّة أخرى غير بعيدة عنها اندثرت مع الزمن. وبالتوازي مع ذلك واصل مهمته الأساسيّة وهي ترسيخ أسس الدين الجديد في ربوع بلاد المغرب.

فسار على رأس جيش قوامه خمسة عشر ألف جندي من بينهم الكثير من الأمازيغ الذين اندمجوا في الحركيّة الجديدة بعد أن أسلموا. وسار إلى باغاي ومن ثم إلى لمبيز وبعده طبنة وتيهرت وتلمسان، ووصل إلى شواطئ المحيط الأطلسي، وقال كلمته الباقيّة: "يا رب لولا هذا البحر، لمضيت محاربا في سبيلك".

وقفل رجعا إلى القيروان، ولما وصل طبنة قرب بريكة، أمر الجيش بالعودة إلى القيروان، وتوجه إلى الزاب ومعه عدد محدود من الجند لا يتجاوز ثلاثمائة فرد. وعند تعرضه لأحداث تلك الفترة، قال ابن عذاري المراكشي في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: "لما انتهى إلى تهودة في بعض من معه، نظر الروم إليهم فطمعوا فيهم، فلما توسط البلاد، بعث الروم إلى كسيلة بن لمزم الأوربي". أما عبد الرحمن بن الحكم فقال عن نفس الواقعة في كتابه فتوح أفريقيا والأندلس: "فانصرف، أي عقبة، إلى أفريقيا فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقي في قلة. فأخذ على مكان يقال له تهودة، فعرض له كسيلة بن لمزم في جمع كثير من الروم والبربر، فقتل عقبة ومن معه"، وذلك

سنة 63 هـ الموافق لـ 683 م. في المكان المنسوب له بأرض الزاب قرب بسكرة.

بالرغم من تواتر الروايّة التاريخيّة التي تقول إن الروم هم من سعوا لدى كسيلة وأخبروه بمكان وجود عقبة ورفاقه، كما قال ابن عذاري، فإن بعض الروايات تركز على سعي كسيلة لقتل عقبة انتقاما منه لسوء معاملة لقيه منه وهو مع أبي المهاجر ضمن جيش عقبة الذي توجه إلى المغرب الأقصى. لكن المؤكد أن تحركات عقبة كانت محل مراقبة من بقايا الحاميات الروميّة والتي كانت تستهدفه دون شك وتؤلب عليه من بقي من الأمازيغ بتواصل مع الروم. ويكون هذا التوجه قد لقي دعما من طرف كسيلة. وذهب الشّيخ عبد الرحمن الجيلالي في هذا الاتجاه، حيث قال: "إن البربر والروم أسرعوا إليه وقد سنحت لهم الفرصة يومئذ لقتاله وفاق عدد جيشهم الخمسين ألفا واجهوا عقبة وأنصاره وهم قلة". ويذهب ابن عبد الحكم وهو من قدماء الإخباريين في هذا الاتجاه، بينما قال الشّيخ مبارك الميلي كان من "نتائج عزل عقبة استحكام العداوة بينه وبين أبي المهاجر وصاحبه كسيلة، الأمر الذي أدى إلى قتله". وقال في تقييمه للدور الذي قام به عقبة بن نافع في ترسيخ قدم الإسلام بالمغرب: "لقد وضع عقبة الأساس بتأسيسه عاصمة المغرب، وجاء حسان فرفع البنيان وأحكم بناء الأركان، وجاء موسى فوضع السّقف وحفظ هذا الصرح من عوامل الضعف".

وقد أولت الجزائر المستقلة للفاتح عقبة بن نافع الفهري المكانة التي يستحقها، فجددت المسجد الذي يضم رفاته وجعلت منه صرحا يليق بصاحبه، وأقامت له تمثالا في المدينة التي تحمل اسمه تخليدا لذكراه، وأطلقت اسمه على العديد من المؤسسات التعليميّة وفاء لروحه.

عامر بغدادي

المصادر
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة2020

علي ابن حمزة بن والي
(905هـ - 1500م/1019هـ - 1611م)

هو علي بن والي بن حمزة الملقب بالمغربي نسبة لانتمائه إلى المغرب الأوسط الجزائر حاليا، وهو جزائري الأصل. أما كنيته فكانت النسّاب، ذلك أنه كان صاحب أمانة علميّة فائقة، حيث كان ينسب كل قول أو عمل أو مقال إلى صاحبه.

مولده/ وفاته وموطنه:

لم تحدّد المصادر تاريخ ميلاده، بدقة غير أنها تجمع على تواجده في القرن السّادس عشر ميلادي أي في حدود 1500 م/ 905 هـ أما وفاته فكانت سنة 1611 م/ 1019هـ، لأب جزائري وأم تركيّة دون تحديد البلدة أو القريّة التي وُلد بها.

ابن حمزة بن والي رياضياتي بامتياز اهتم بالحساب وبرع فيه، وُلد في الجزائر، فحفظ في صباه القرآن والحديث على عادة غيره، لكنه برع في الحساب منذ نعومة أظافره وتميز فيه، لكن انعدام وجود أساتذة في هذا المجال جعل والده يرسله إلى تركيا وهو ابن العشرين سنة، بلد والدته أين تلقى دروسه ودرّس فيها بعد ذلك، وكان هذا في عصر مراد بن سليم، السّلطان العثماني.

ثم عاد إلى الجزائر بعد وفاة والده، قبل أن يغادر إلى مكة أين واصل تدريسه لعلم الحساب، لطلابه، بل وإلى الحجاج كما تذكر الروايات، وبرع في الحساب وما يتعلق بحل مشكلات الحياة اليوميّة من ميراث وغيره، حتى وصل إلى وضع اللبنة الأولى لعلم اللوغريتمات.

تتلمذ ابن حمزة بن والي على يد سنان بن الفتح، وابن يونس، والكاشي، ونصير الدين الطوسي، وألف كتابا عُرف باسم "تحفة الأعداد لذوي الرشد والسّداد"، وعلى الرغم من اهتمام الرجل بكل ما يتعلق بالحساب والأحجام وباقي المسائل التي كان يهتم بها العلماء في زمانه، غير أن المصادر تنسب له هذا الكتاب فقط، مع احتمال وجود أعمال أخرى لم تصل إلينا، إما لضياعه أو لكونه لا يزال محجوزا في مكتبات العالم.

عندما بلغ بن حمزة العشرين من عمره انتقل إلى تركيا ليدرس الحساب كما ذكرنا قبلا، واستقر هناك فترة يصول ويجول يَدرسُ ويُدرِّس الرياضيات للأتراك والوافدين على الدولة العثمانيّة، لا سيما أن إجادته اللغتين العربيّة والتركيّة ساعدته على ذلك.

وبعد أن بلغه نبأ وفاة والده في الجزائر عاد إلى هناك ليرعى والدته، ثم أمسك زمام تجارة والده، لكنه سرعان ما قرر أن يذهب مع والدته إلى مكة المكرمة لغرض الحج والعمرة والاستقرار هناك، بعد أن باع كل ما يملك من بيت ومحل.

كان منهج العرب التعليمي يعتمد على تعليم المتمدرسين اللغة والقرآن والنحو والعلوم الرياضيّة، لهذا عمد المسلمون على البحث العلمي الدقيق وبرعوا فيه، فانطلقوا إلى رفع مسيرة الفكر البشري نحو المعرفة العلميّة الصحيحة التي لا تتعارض مع مبادئ المسلم، فالخراج والغنائم والزكاة والميراث من المجالات الدينيّة التي اسلتزمت الرياضيات، وكانت سببا في بروز علماء في عالم الرياضيات ولعل ابن حمزة بن والي واحد منهم.

أظهر ابن حمزة ولعه بالحساب في سن مبكرة، دفعت والده إلى إرساله لتركيا غرض الدراسة والتحصيل في هذا العلم التجريبي، لكن بروزه الحقيقي كان بعد أن استقر في مكة، بعد أن سافر مع والدته إلى هناك لغرض الحج، فقد ذكرت المصادر أنه كان يلقن الناس الحساب والعمليات التي يحتاجونها في حياتهم اليوميّة على غرار مسائل الميراث المتعلقة بالنصف والربع والثمن، وفي ذلك تدخل روايّة الحاج الهندي الذي سأله عن مسألة في الإرث احتار الرياضيون الهنود فيها. وكانت المسألة هي أن أحد الأشخاص توفي وترك 9 أبناء و81 شجره

تمر تنتج الأولى 1 كيلو والثانيّة 2 كيلو وهكذا الي الأخيرة تنتج 81 كيلو ويراد توزيع التركة علي الأبناء بالتساوي في عدد الشّجر والثمر وهناك حلول كثيرة ولكن ليست في تسلسل كما فعل عالمنا. فرسم جدول سلمي لم يسبقه إليه أحد من قبل، أوضح فيه نصيب كل وريث، وقد عرفت هذه المسألة بالمكيّة، التي جعلت اسمه يذيع في الأمصار ويصل إلى الوالي العثماني لمكة، الذي طلب منه أن يعمل في الديوان.

وفي الديوان استقر ابن حمزة بن والي مدة وهو يعتني بالمتواليات الحسابيّة والهندسيّة والتوافقيّة عنايّة فائقة، أدت به في نهايّة المطاف إلى وضع أسس علم اللوغاريتمات عندما ربط بينها (أي المتواليّة الحسابيّة والهندسيّة والتوافقيّة).

أما المتتاليّة الحسابيّة أو المتواليّة فهي عمليّة حسابيّة تمكننا من معرفة المجاهيل عن طريق معرفة العدد الأول مع أسه، على أن يكون بدايتها العدد واحد الصحيح (1)، هذا لأنها عبارة عن تتابع عددي ثابت، لأن الفرق بين أي حدين متتاليين فيها ثابت، مثلا 5 و7 و9 متتاليّة حسابيّة أساسها يساوي 2، ذلك لأن الفرق بين كل عددين متتاليين هو 2، فنسمي 5 و7 و9 حدود المتتاليّة ونسمي الأساس العدد المضاف.

فإذا كانت ي ن مثلا متتاليّة حسابيّة وأسها يساوي مثلا 2

فإن ي 1 = ي ن + 2

وي 2 = ي1 + 2 وهكذا إلى الوصول لحد المتتاليّة، ولنفترض أنه ي 8

ي 8 = ي 7 + 2

أما مجموع الحدود مج فهو:

حيث ن هو المجهول الذي نبحث عنه من حدود المتتاليّة و2 هو أساسها، أما ي 1 فهو حدها الأول، وكتمرين تطبيقي إذا طُلب منا حساب المتتاليّة العاشرة، يعني الحد العاشر نعوض ن في القانون بعشرة، على أساس أن الأس يكون معلوما والحد الأول طبعا.

أما المتتالية الهندسيّة فتختلف قليلا عن الحسابيّة، فهي التي تكون النسبة فيها بين كل حد والحد الذي يليه نسبة ثابتة غير منعدمة وموجبة دائما، وتسمى أيضا أساس المتتاليّة الهندسيّة.

وزع ابن حمزة بن والي مؤلفه الذي كتبه باللغة التركيّة على مقدمة خصها بتعريف الحساب والأرقام، وأربع مقالات، أما الأولى فكانت للأعداد الصحيحة والعمليات الحسابيّة من جمع وضرب وقسمة وطرح، وكانت المقالة الثانيّة للكسور جمعا وطرحا وضربا وقسمة، أضف إلى ذلك الجذر التربيعي للأعداد الصحيحة واستخراج الجذور الأعداد المرفوعة إلى القوة الثالثة والرابعة، كذا العمليات الحسابيّة على الأعداد الصماء، ثم المقالة الثالثة التي أفردها للتناسب من أجل استخراج قيمة المجهول وأخيرا المقالة الرابعة التي جعلها للهندسة على غرار حساب مساحة الأشكال الهندسيّة، هذا وقد جعل خاتمته عبارة عن مشاكل حسابيّة في الجبر والهندسة استعصت على معاصريه، حلها بطريقة رياضيّة متميزة.

أمينة طيبي

المصادر:

- العلوم الرياضيّة في الحضارة الاسلاميّة، علي بن عبد الله الدفاع، دار جونوايلي، وأبناؤه، نيويورك، 1986.
- تاريخ العلوم والتكنلوجيا عند العرب، حسان حلاق، دار النهضة العربيّة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2007.
- تاريخ علم الرياضيات عند العرب، خضر عباس المنشاوي، منشورات قار يونس بن غازي، ط1، 1999.
- نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات، علي بن عبد الله الدفاع، دار الأمل للطباعة والنشر، ط2، 1978.

■ علي البوديلمي
(1317هـ - 1900م/1391هـ - 1971م)

ولد الشّيخ علي بن محمّد بن عبد الله البوديلمي المكنى بأبي الحسن بمدينة المسيلة سنة 1317 هـ الموافق لـ 1900م، وهو ابن الشّيخ سيدي محمّد بن عبد الله شيخ الطّريقة الرحمانيّة.

بدأ تعلمه للكتابة والقراءة بزاويّة أبيه محمّد بحي الكراغلة بالمسيلة بجانب مسجد سيدي بوجملين، استطاع جمع قراءة القرآن وهو في السّابعة من عمره حيث زاول الدراسة بجانب والده مدة 10 سنوات قبل أن ينتقل بإيعاز من أبيه إلى زاويّة الهامل حيث درس العلوم الشّرعيّة بالمعهد القاسمي الرحماني .

ارتحل الشّيخ علي بوديلمي سنة 1922 إلى مدينة العلم والعلماء قسنطينة واستقر بها إلى غايّة 1927 حيث زاول دروسه على يد الشّيخ عبد الحميد بن باديس، فلازمه ست سنوات وقرأ عليه الرسالة بشروحها، وشيئا من التفسير، وسمع عليه الموطأ روايّة ودرايّة، كما درس أيضا على مجموعة من الشّيوخ أمثال الفكون وابن زقوطة فأجازوه إجازة تامة.

ثم هاجر إلى تونس سنة 1927 م حيث قام باختيار أساتذته بنفسه أمثال الأستاذ الزّغونين، والأستاذ ابن القاضي، والأستاذ أبي الحسن النّجار، والأستاذ بلخوجة والأستاذ المختار بن محمّد، كما أخذ علم التفسير على يد الشّيخ الطّاهر بن عاشور.

ثم رحل في طلب العلم إلى المغرب إلى مدينة فاس ولازم العلامة المحدث عبد الحي الكتاني الذي أجازه في كتاب الضفاء للقاضي عياض وبعض فنون الحديث الأخرى. كما زار نقيب الأشراف بمدينة مكناس الشّيخ مولاي عبد الرحمن بن زيدان وأخذ عنه الحديث المسلسل بالأوليّة. واغتنم فرصة تواجده بالمغرب فزار العلامة الفقيه المؤرخ محمّد بن الحسن الحجوي وأجازه إجازة عامّة مطلقة بشروطها المعروفة في جميع

مسموعاته ومحفوظاته ومروياته عن أشياخه بالسّند المتصل مع التصحيح والضبط.

عاد إلى مدينة المسيلة في جوان 1929م ليتصدر بها عمل التعليم والتربيّة بجامع سيدي بوجملين وبزاويّة أبيه محمّد، فزاد في صيته في أرجاء إقليم الحضنة وتعداها إلى مدن الجزائر.

امتاز الشّيخ علي بوديلمي بغريزة قويّة لطلب العلم والإحاطة بجوانب الحياة، فكان شديد الاطلاع على الصحف اليوميّة، وقد صادف ذات يوم السّوق الأسبوعي بالمسيلة رجلا يبيع جريدة البلاغ الجزائري التي يقوم بنشرها مؤسس الطّريقة العليويّة لمستغانم السّيد أحمد بن مصطفى العلاوي، وكان بائع الجريدة من أتباعه، فكان اللقاء وتم التعارف وعرض الضيف على مضيفه زيارة الشّيخ بن عليوة بمستغانم فكان الاتفاق وتم ترتيب السّفر، فانتقل الشّيخ إلى مستغانم في سنة 1931م وحظي هناك باستقبال حار من طرف شيخ الطّريقة العليويّة، وبقي هناك الى أن وقع الاختلاف مع أبناء الطّريقة العليويّة، فعاد إلى الجعافرة بمنطقة البرج وعمل بالتدريس هناك مدة.

ولما كانت الحركة الإصلاحيّة التي قادتها جمعيّة العلماء المسلمين في حراك سياسي واجتماعي من خلال صراعها العلمي ضد الطّرقيين وأهل الشّعوذة والأباطيل التي لحقت بالمجتمع الجزائري،

حاولت الطّريقة العليويّة التصدي لما كانت تعتبره موجها ضدها من جهود ودعوة كان يقوم بها الشّيخ البشير الإبراهيمي وجمعيّة العلماء، فاستدعت الشّيخ علي البوديلمي من مدينة المسيلة إلى تلمسان ليناقش الشّيخ الإبراهيمي بما كان له من قدرة علميّة وبلاغيّة تستطيع ملء فراغ الطّريقة العليويّة بتلمسان.

وفي سنة 1937 م انتقل الى تلمسان تلبيّة لأهاليها من العلماء والطّلبة والإخوان الصوفيّة، وكان ذلك بدايّة عهد جديد له، فكان علي البوديلمي يلقي دروسه في التفسير والحديث بالجامع الأعظم بتلمسان، وكان أحيانا يخلط أراءه الصوفيّة في الدروس، وكانت تعقد احتفالات سنويّة يحضرها تلاميذه وأنصاره، حيث تلقى الأشعار والخطب.

لقد جمع الشّيخ علي بن محمّد البوديلمي بين خصال العلماء والأدباء، فكان منارة الصوفين، ورجال الإفتاء، وقد شهد له بغزارة العلم والدرايّة علماء أجلاء أجازوا له أخذ الطّريقة الصوفيّة وتعليمها وتعليم علوم بالذين.

جمع الشّيخ علي بين التعليم والصحافة والتأليف والدعوة، فكان أمير الفصاحة وينبوع العرفان، وذو القلم السّيال، بما جمعه من مؤلفات في التصوف، والتفسير والتوحيد وحتى في السّياسة وما ارتبط بأحداث كانت لها علاقة بفترة الاحتلال الفرنسي خلال إقامته بمركز منطقة المسيلة أو خلال انتقاله إلى مدينة تلمسان، فقد ترك عدة مؤلفات منها:

- كتاب إماطة اللثام عمّا نشأ في الحاضرة التلمسانيّة من الشّكوك والأوهام والشّقاق والخصام.

وقد صدر سنة 1939. وقيل إنه ردود على إفتاء أحد العلماء في مسائل خالفت المذهب المالكي ومذهب السّنة، وخلفت هذه الفتاوي صخبا كبيرا في مدينة تلمسان ومدن المغرب الأقصى كفاس ووجدة ومكناس.

- كتاب إرشاد الشّباب لنهج الصواب

وهو عبارة عن محاضرات كان يلقيها الشّيخ علي بوديلمي في الإرشاد الديني والوطني جمعها في كتاب لا يعرف تاريخ طبعه.

- كتاب رسالة رفع التلبيس عن نيّة من أراد مسخ المسلمين بالسّفور والتجنيس:

وقد صدر سنة 1938 بفاس بالمغرب الأقصى، وهو عبارة عن رد الشّيخ البوديلمي على الإصلاحيين الراغبين في التجنيس والسّفور، ويذكر البعض أن سبب كتابته كذلك أن أحد الإصلاحيين كتب مقالا في جريدة البصائر بعنوان "حجاب المرأة عادة لا دين" وأنكر مشروعيته.

- كتاب الرسالة الديلميّة في صيانة العائلات الإسلاميّة

وقد طبع سنة 1947 وكان سبب كتابته ردا على مقالات جريدة الزّناتي الصوت الحر في مسائل إلغاء لبس الحائك، وإلغاء الصداق، وحذف محاكم القضاء والمساواة في المواريث.

كما كان لعلي البوديلمي شأن في الدروس والمحاضرات والمواعظ التي جعلت منه أحد الرموز الروحيّة لإحدى الطّرق الجزائريّة الحديثة والتي أصبحت تعرف عند أتباعه في العالم العربي وخارجه بالطّريقة الحبيبيّة البوديلميّة، وبعد أن أخذ عنه أحد أتباعه البارزين طريقته الصوفيّة وسمي بها وهو سيدي أحمد الحبيب الوريث الروحي لعلي البوديلمي.

توفي سنة 1390هـ الموافق لـــ 1971م وقيل بعدها بسنة.

رابح دوب

المصادر:

- أبو محمّد سعيد هرماس، طبقات المالكيّة الجزائريين خلال المئة الهجريّة الأخيرة، دار صبحي للطباعة والنّشر، غارداية- الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013م.

■ علي الحمّامي
(1320هـ - 1902م/1368هـ - 1949م)

مفكّر وروائيّ ومجاهد ودبلوماسيّ، تعود أصوله إلى المنطقة التي ينتسب إليها وهي (عين الحمّام) بمنطقة القبائل بولايّة تيزي وزو، ولد سنة (1902) في (تيارت) التي نزحت إليها عائلته، ونشأ وتتلمذ فيها، ثم أرسله أبوه إلى المغرب عند أخواله ليدرس هناك.

رافق والديه إلى البقاع المقدّسة سنة (1920) وفي طريق عودتهم مكثوا في (الاسكندريّة) إلى سنة (1922) وهناك توفّي والدّاه. ويرحل في السّنة ذاتها إلى طنجة المغربية وينضم إلى الأمير (عبد المالك) حفيد الأمير عبد القادر، ويشارك في المقاومة التي شنها على الاحتلال

الفرنسي، كما شارك مع الأمير (محمّد بن عبد الكريم الخطّابي) في ثورة الرّيف المغربي ضد المستعمر الفرنسي وهي المعركة التي شكّلت خلفيّة أساسيّة لروايته الوحيدة (إدريس روايّة شمال إفريقيّة) التي أهداها للمناضل (عبد الكريم الخطّابي) تقديرا لنضالاته، وقد ضمّنها تقديمه المكتوب بالعربية الذي نوّه فيه بأهميّة العمل ودوره في فضح لعبة الاستعمّار من أجل إضعاف الوحدة القوميّة التّاريخيّة بين أقطار المغرب الكبير، فكان من الدّاعين الأوائل إلى وحدة شمال أفريقيا الهوياتيّة وجعلها وسيلة لمناهضة أساليب الهيمنة الاستدماريّة القائمة على سياسة (فرّق تسد) وتفكيك الأسباب التي مكّنت الاستعمّار من بسط الهيمنة والتي لخصها (مالك بن نبي) بعد ذلك في مفهومه: (القابليّة للاستعمّار)

دفعه هذا الهمّ الكبير إلى البحث عن الفضاءات التي تمكّنه من التّقليل من مظاهر الهيمنة، ولذلك تقلّب (عليّ الحمّاميّ) بين انتماءات سياسيّة وفكريّة متعدّدة؛ حيث التحق بالعمل السّياسي والنّقابي من خلال انخراطه في الحزب الشّيوعي الفرنسي من سنة (1924) إلى (1928) ثم انفصل عنه. بعد سوء تفاهم مع رئيس الحزب. ثم انخرط في الحركة الوطنيّة الجزائريّة بمساهمته في تأسيس نجم شمال إفريقيا سنة (1926) إلى جانب (الأمير خالدّ) و(مصالي الحاج) ليتخلّى عنه فيما بعد.

وينتقل إلى (باريس) ثم منها إلى (موسكو) حيث عرضت عليه مهمّة ترؤس الوفد الجزائريّ المرسل إليها من (الأمير خالدّ) حفيد الأمير عبد القادر، حيث يلتقي هناك بـ(هو شي مينه / (Ho Chi Minh) وهو أبرز مؤسّسي الحزب الاشتراكيّ في ڤيتنام، وبرجال سياسيّين آخرين من أصول آسيويّة.

وفي الاتّحاد السّوفييتي أقام سنتين (1928–1930) تقلّد خلالهما وظيفة هناك ليتركها في ما بعد، ويزور مدن أوروبيّة أخرى، ويناضل في أسفاره المختلفة والمتعددة، ويضاعف الاتصالات ويكتب بأكثر من لغة، من أجل التّنديد بالاحتلال ونصرة القضيّة الجزائرية خاصّة والمغاربية عامّة؛ وينتقل بعد ذلك إلى العمل في كلّ من سويسرا وألمانيا (1930–1933) وكانت له خلال هذه الفترة مواقف من عدّة شخصيات كبيرة أمثال: (مصالي الحاج، وشكيب أرسلان، وعبد السّلام بنونة) الأمر الذي دفع بالسّلطة الفرنسيّة إلى منعه من الدّخول إلى الجزائر ابتداء من (1935) لينتقل بعدها إلى السّعوديّة التي لم يطل فيها المقام، ثم إلى بغداد ليقيم فيها من سنة (1933) إلى سنة (1947) وهنالك يشتغل بتدريس مادة التّاريخ الإسلامي لمدة اثنتي عشرة سنة. ومنه استلهم موضوع روايته التّاريخيّة (إدريس، روايّة شمال إفريقيّة)/ Idris Roman nord–africain) التي صدرت سنة (1948) بالقاهرة وأعيد طبعها في الجزائر سنة (1976) وكان (علي الحمّامي) قد شرع في كتابتها في ديسمبر (1941) وأنهاها في جويلية (1942) وهي مزيج من أطروحة سياسيّة ودرس في تاريخ شمال أفريقيا، جسّد من خلالها الدّعوة إلى مناهضة الاستعمّار والارتباط بالقوميّة المغاربيّة، وبعث الهويّة الأمازيغيّة، ونبذ الخرافة التي تروّج لها بعض الطّرق الصّوفيّة والتّشبّث بالأصالة انطلاقا من عقلانيّة متنوّرة تأخذ بعين الاعتبار الواقع الاجتماعي لتمكين أفراده من وسائل التّطوّر أو النّهضة مثلما كان يدعو لها في ذلك الوقت مفكّرو النّهضة.

ويغادر بغداد ليلتحق بالقاهرة سنة (1947) بعد لجوء (محمّد بن عبد الكريم الخطّابي) السّياسي إلى القاهرة، وتأسيسه (مكتب المغرب العربي) لينخرط فيه ويصبح ممثّلا للجزائر إلى غايّة (1949) ويتّجه بعدها إلى (باكستان) في مهمّة رسميّة من مكتب المغرب العربي بالقاهرة لتمثيل الجزائر في المؤتمر الاقتصادي الإسلامي المنعقد بـ(كراتشي) ويندّد في أوّلى جلسات المؤتمر–أمام ممثلي الدّول الإسلامية–بأساليب الاستعمّار وتأثيرها على الشّعوب.

يبلوماسي أن يتوفّى (عليّ الحمّامي) في حادث الطّائرة التي كانت تقلّهم أثناء عودته من هذه المهمّة في 12 ديسمبر (1949) رفقة ثلّة من النّخبة السّياسيّة والفكريّة العربيّة من ممثلي: (تونس والمغرب ومصر وسوريا) ويتمّ نقل جثمانه بالطّائرة إلى الجزائر العاصمة لتقام له جنازة رسميّة، ويدفن بمقبرة (بلكور) بالعاصمة الجزائرية في الفاتح من جانفي (1950) في جو جنائزي مهيب بعد أن قام الاستعمّار بمنعه في حياته من دخول بلدان المغرب العربي كلّها، وذلك لنشاطه التّنويري ومناهضته للاستعمّار وانتقاد سياسة الاحتلال في الاستيطان، والقضاء على الهويات الثّقافة الأصليّة والتّفرقة العرقية؛ وسياسة الإدماج القهري، وهو الذي كان قد اعتبر الاحتلال الفرنسي، من أكثر الأنظمة الاستعمّاريّة قمعا مقارنة بالانكليز والأسبان.

حضر تأبينه كبار العلماء والشّخصيات السّياسيّة والمنظمات من أمثال: (الشّيخ البشير الإبراهيمي وفرحات عبّاس وتوفّيق المدني) وألقوا كلمات تأبينيّة ذكّرت بنضاله السّياسي المستمر ضدّ الاحتلال الفرنسيّ وفكره الدّيبلوماسي الإصلاحي المستنير في الدّفع بعجلة الوعي الاجتماعي لشعوب المغرب العربي.

ويذكر مترجموه إتقانه ستّ لغات منها: الفرنسيّة والإسبانيّة والرّوسيّة والتّركيّة والألمانيّة. وقد أشاد العديد به وبأعماله منهم (مالك بن نبي) في كتابه (وجهة العالم الإسلامي) وألحّ على نشر مؤلّفاته وبخاصّة روايته التي تلخّص توجّهه الفكري ومقالاته السّياسيّة التي يحلّل فيها البنيات الاجتماعيّة للمجتمع المغاربي، ويفكّك أسباب غفوته وتأخّر الوعي السّياسي لدى شعوبها، ويتقاطع فيها مع أفكار أعلام النّهضة العربيّة كـ(الأفغاني ومحمّد عبده وابن باديس، وشكيب أرسلان والكواكبي ومالك بن نبي) في البحث عن أسباب قيام هذه الشّعوب من غفوتها والأخذ بأساليب العلم الحديث ومسالك التّنوير للخروج من الهيمنة والتّخلّف، مناديا بإنشاء حلف قومي مغاربي لتوفّر كل أسباب الوحدة والعمل المشترك.

ولقد قدّم من خلال روايّة (إدريس) نموذجا فكريا مختلفا في الإبداع الرّوائي

حيث جعل هذه الرّوايّة على حد توصيف (أبوعمران الشّيخ) في تقديمه لها على إنّها بمثابة المرافعة التّاريخيّة ونوّه بها الأديب المصري (محمود تيمور) في مجلّة "الرّسالة" في 29 جويلية (1948) باعتبارها (نموذجا جديدا من القصص القومي بلغة المستعمر الفرنسيّة التي لعبت دورا مزدوجا في إحاطة الرّأي العام الدّولي بما كان يرتكبه المستعمر الفرنسي في المغرب الكبير من جرائم، ومن حيث إطّلاع الفرنسيين أنفسهم على مدى بعد المسافة التي كانت تفصل مبادئ ثورتهم التّاريخية، وسياستهم الاستيطانية الاحتلالية في المغرب التي لا تمتّ بصلة إلى الإنسانية) وهي بذلك تجسّد نظرته الفكريّة والفلسفيّة لماضي ومستقبل شمال إفريقيا. حيث لم يكن يرى سوى أسلوب المواجهة التي آمن بها ومارسها وناضل ومات من أجلها وسيلة لتحقيق الوحدة المغاربيّة والوطنيّة الشّاملة.

كتب مجموعة من المقالات في جريدة (الجمهوريّة الجزائريّة./ La République Algerienne) قام الأستاذ (عمّار بلخوجة) بنشرها في كتابه عنه، وهو الذي عرّف بمساره النّضالي فكان مرجعا مهما من المراجع التي اهتمت به وأشار إلى كتب أخرى مفقودة لـ (علي الحمّامي) منها مقالات له في جريدة (الإنسانيّة / L'Humanité) الفرنسيّة، وكتاب له عن سيرة جمال الدّين الأفغاني ذكره مالك بن نبي.

آمنة بلّعلى

المصادر:

– Aly El-Hammamy، Idris، Roman nord- africain، Entreprise nationale du livre, Alger, 1988.

– منشورات عمّار بلخوجة عن الحمّامي.

■ علي الكنز
(610هـ - 1213م/690هـ - 1291م)

ولد المفكر وعالم الاجتماع علي الكنز سنة 1946 في مدينة سكيكدة بالشّرق الجزائري، إبان الفترة الاستعماريّة، وعاش بدايات تشكّل وعيه الإنسانيّ والمعرفيّ، في ظلّ حركة وطنية كانت في عزّ تمهيدها لثورة التّحرير، فهو لم يختر الفرنسيّة، بل درسها في المرحلة الابتدائية زمن الاحتلال فالمتوسط ثم الثّانوي وعرف بتفوقه في أوساط زملائه.

واصل عالم الاجتماع الجزائري رحلة العلم والتّميز بعد الاستقلال قبل أن يختار الفلسفة بجامعة الجزائر، حيث كان من بين أنشط الطّلبة وعرف بحركته وميله إلى النّشاط الثقافي والفكري، ونال منها شهادة ليسانس في بداية السّبعينات، اتجه بعدها نحو التخصص في علم الاجتماع الذي كان يشهد محاولات جدّية لتأصيله عربياً، ورغم أن الكنز كان يكتب بالفرنسية أساساً، فقد أسهم في هذه الجهود من خلال المواضيع التي تناولها، وكانت تدور حول فهم تحوّلات المجتمع الجزائري، وبعد صدور قانون تعّريب العلوم الاجتماعية في ديسمبر 1979، سافر إلى القاهرة لتحسين مستواه في اللغة العربية في جامع الأزهر، عاد إلى الجزائر ليدرس علم الاجتماع في جامعتها.

شغل منصب أستاذ مساعد في الفلسفة بجامعة الجزائر (1970–1974)، ثمّ بروفيسور في عِلم الإجتماع بنفس الجامعة إلى غاية 1993، ونشر خلال هذه الفترة كُتبًا وبحوثًا في قضايا الّتنمية والتّصنيع والتّغيير الإجتماعي والأزمة الإقتصاديّة.

عمل الكنز، أيضا مديرا لمركز البحوث في الإقتصاد التّطبيقي والّتنمية التابع لجامعة الجزائر العاصمة. وشغل الرّاحل أيضا العديد من الوظائف في الجمعية العربية لعِلم الإجتماع، وكذا بمجلس التّنمية والبحث في العلوم الإجتماعيّة بأفريقيا، علاوةً على منصب مستشار علمي مُكلف بمحور (العِلم والمجتمع) لدى جامعة أمريكيّة، كما عمل كأستاذ مشارك بجامعة تونس، التي إستقر بها سنتين ونيف، تعاون خلالها مع مركز الدّراسات المغاربيّة، بعد أن غادر الجزائر في عام 1993، ثمّ سافر إلى فرنسا والتحق بجامعة نانت، ليستقر هناك منذ عام 1995، حيث كان يشتغل أستاذا في عِلم الإجتماع بذات الجامعة، إذ وجد بها كلّ شروط العمل والإبداع، فألف مجموعة من الكُتب، ونشر العديد من الدّراسات والبحوث حول التّحوّلات الإجتماعية والإقتصادية للمجتمعات العربية تُرجمت بعضها إلى اللغتين العربية والإنجليزيّة، ليشغل بكتاباته الرّأي العام العربي والغربي على السّواء ويعتبر الكنز من المتخصّصين العرب القلائل في علم الاجتماع الصّناعي، وكانت قناعة علي الكنز كبيرةً بالتّركيز على التّصنيع وجعله محور التّحديث الذي تقوم عليه الجزائر المستقلّة، فكان من الأوائل الذين تخصّصوا في علم الاجتماع الصّناعيّ وباشروا الكتابة فيه ووضع الأسس له، ونظرا لعدم وجود طلب على هذا النّوع من المعرفة، جعل عالم الاجتماع الجزائري يجوب تخصّصات أخرى مثل علم اجتماع العمل أو الفكر السّياسي.

على مستوى أبعد من الجزائر، درّس الكنز في تونس التي حل بها بداية سنة 1993 كما سبق ذكره، وكان له دور بارز في تكوين جيل من الباحثين في علم الاجتماع، كما كانت له إسهامات تأسيسية مع (الجمعية العربية لعلم الاجتماع)، واشتغل لفترة في (مجلس التّنمية والبحث في العلوم الاجتماعية بأفريقيا). ومنذ منتصف التّسعينيات قرّر الاستقرار في فرنسا مدرّساً في جامعاتها، وأختار مدينة نانت وكان أحد أبرز المتخصّصين في تطبيقات نظريّات علم الاجتماع بالعالم العربي، وفجر

هنـاك طاقتـه فـي الكتابـة والتّأليـف فألـف عديـد الكتـب حـول التّحـولات الاجتماعيـة والاقتصاديـة للمجتمعـات العربيـة علـى وجـه الخصـوص ترجـم أغلبهـا إلـى اللغتين العربيـة والإنكليزيّـة.

يقـول الكاتـب الجزائـري والرّوائـي عبـد الـرّزاق بوكبـة أنّ علـي الكنـز تجـاوز بحسّـه الثّقافيّ والوطنيّ فخّ اللّغة ومـا ترتّب عنه من تشـرذم وصراعـات بيـن النّخـب الجزائريّـة، وراح يركّـز على الجوهـر المعرفيّ القادر على رفـد اللّحظة الوطنية بمـا تحتاجه من مقولات تنسـجم مع تحوّلاتها وتحدّياتها، فبات وجيهًا لـدى الطّرفيـن، وكان إشـرافه علـى سلسـلة (الأنيـس) ذا جـدوى كبيـرةٍ في تشـكيل وعيٍ معرفيٍّ وحضاريٍّ في مشهد جزائري غارق في تجربة عنف وإرهاب طالع باسـم الهويّة، ذلك أنّ السّلسـلة اسـتدعت نصوصًـا مركزية عربية وإنسـانية مشـفوعةً بمقدّمات وضعها باحثون ومفكّـرون وجامعيّـون كان هـو واحـدًا منهم، جعل هـذا المسـعى الفكريّ المضادّ لمسـعى الجماعـات المسـلّحة، علـي الكنز فـي مهبّ التّهديـد الفعليّ، وهو التّهديـد الذي مسّ فعليًّا نخبة وازنة منها الجيلالـي اليابس وعبد القادر علّولـة وعـزّ الدّيـن مجّوبي والشّـاب حسـني وبختـي بن عودة وأبو بكر بلقايد، فوجد نفسـه مضطرًّا إلى الهجرة.

يتحدّث الكاتب والباحث قلّولي بن سـاعد عن كتاب علـي الكنز (خمس دراسـات حول الجزائـر والعالـم العربـيّ)؛ فيقـول إنّـه يتناول ظاهـرة ذيلية المثقّف وتبعيته للسّياسـيّ، رابطًا هـذه الهامشـية بأصولهـا التّاريخيـة وبالضّبط إلـى لحظـة تشـكّل الوعـي الوطنـي المقـاوم للكولونياليـة الفرنسـيّة، التّـي تخلّـف فيهـا المثقّفـون عـن الالتحـاق بصفـوف الحركـة الوطنية أو التحقوا متأخّرين جدًّا.

عرفنـا عالـم الاجتمـاع الكبيـر الكنـز مـن خلال سلسـلة كتـب الأنيس التي كان يشـرف عليهـا بيـن 1989 فـي عـز التحـولات التـي شهدتها الجزائر وسـنة 1993 في جحيم الأزمة الأمنيّـة، كانـت بمثابـة كتـب جيـب هدفهـا جعـل العلـم فـي متنـاول الجميـع، وكانـت تضـم أشـهر المؤلفـات فـي التّـراث العربـي الإسـلامي القديم كالجاحـظ، والفرابي، وابن خلـدون، وابـن طفيـل، وابـن المقفـع وابـن بطوطـة. والفكـر العربـي الحديث مـن أمثال: رفاعـة الطّهطـاوي، محمّـد عبـده الكواكبـي، شـكيب أرسـلان، والفكـر الإنسـاني: ميكيافيلـي، سـبينوزا، روسـو فرويـد وغيرهم مـن كبـار المفكريـن والفلاسـفة.

كمـا عرفنـاه مـن خـلال كتاباتـه ومقالاته المتميـزة في جريـدة الوطن المكتوبـة باللغة الفرنسيّة، وكان علي الكنز كنزا حقيقيا للثقافة والفكـر الجزائـري علـى وجـه الخصـوص والعالمي بصفة عامّة.

مـن أبـرز أعمـال الرّاحـل: (الجزائـر والحداثـة) (1989)، و(الصّدفـة والتّاريـخ) (1990)، و(خـلال الأزمـة) (1993)، وكتابـة (المهجـر) (2009). كمـا شـارك فـي وضـع كتـب جماعيـة منهـا: (الهويـة وقضاياها في الوعـي العربـي المعاصـر)، و(العلاقـات العربية الأوروبيّة)، كما ترك إسـهامات كثيرة في صحـف جزائرية وعالمية ولقيت صحيفة الوطـن النّاطقـة بالفرنسـية فـي التّسـعينات ومطلع الألفية الجديدة رواجا واسـعا بفضل مقالات علي الكنز وتحليلاته المتميزة.

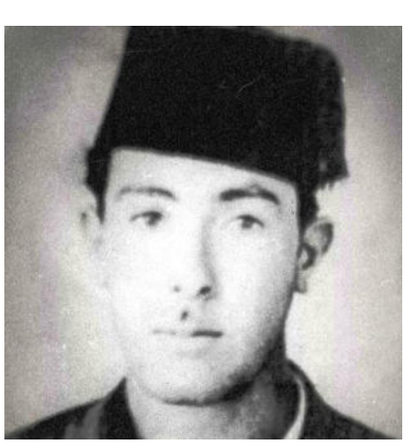
توفي المفكر وعالم الاجتمـاع الجزائري وفـي الأسـتاذ الجامعـي المختـص فـي علم الاجتماع، علي الكنز ليلـة الأحد إلى الاثنين الفاتـح نوفمبـر 2020، بمدينة نانت الفرنسـية عـن عمـر ناهـز الـ 74 سـنة على إثـر مرض عضال، حسبما أعلنه أقرباؤه.

يزيد سلطان

المصادر:

- جريدة النّصر 2 نوفمبر 2020.

■ علي النّمر
(1343هـ - 1925م/1377هـ - 1958م)



علـي النّمـر رائـد فـي جيـش التّحريـر الوطنـي وشـهيد مـن شـهداء الثّـورة التّحريريّـة، وأيقونـة مـن أيقونـات الثّـورة التّحريريّـة فـي ولايّـة باتنـة.

ولـد يـوم 16 مـارس سـنة 1925 فـي مشـتى "أم الرّخـاء" بجـوار "حيدوسـة" قـرب "مروانـة" ولايّـة "باتنة" بـالأوراس مهد الثّورة فـي الشّـرق الجزائري، من أسـرة بسـيطة، كان والـدّه "مختار بـن علي بن مـلاح "، عاملا في أحـد المناجم قـرب قريته. أما جـده فكان طبيبا شـعبيا يمـارس مهنة التّـداوي بالأعشـاب على الطّريقـة التّقليديّـة، ومـن أم تدعـى (الطّـاوس حجـام) المولـودة فـي 1892 وأصلها مـن بلديّة (افرحونـن) ولايّة تيزي وزو مـن جبال جرجرة الشّـامخة، وقـد أنجـب أبـواه عـددا كبيـرا مـن الأطفـال فتوفـوا جميعـا ولـم يعـش منهـم إلا طفليـن وهمـا ذهبيّـة وعلي.

التّحـق "علي النّمـر" بالكتّـاب في قريته لحفـظ القرآن الكريـم كعادة أطفـال القريّة، فتعلـم شـيئا لا بـأس به مـن القـرآن الكريم،

ثم انتقل مع والدّه إلى مدينة باتنة حوالي سنة 1935م ليدرس في مدرسة الأهالي فتعلم اللغتين العربيّة والفرنسيّة.

وفي نهايّة الثّلاثينات انقطع عن الدّراسة وراح يبحث عن عمل لمساعدة أسرته الفقيرة، فاشتغل في الشّركة الصّناعيّة لصناعة الخشب "بالقبائل الصّغرى" وذلك لمدة 6 سنوات، وفي تلك الورشة أحسّ بالفارق الكبير بين أبناء جلدته وأبناء المستعمر، وهنا اتجه إلى النّضال السّياسي في صفوف حزب الشّعب وذلك حوالي سنة1943م وهو لم يتجاوز الثّامنة عشرة من عمره.

انخرط في حزب انتصار الحريات الدّيمقراطيّة ضمن خليّة باتنة وخارجها، هاجر إلى فرنسا في سنة 1948 تحت غطاء البحث عن العمل واستقر في منطقتي (الالزّاس) و(اللورين)،حيث عمل كمسؤول حربي يشرف على عدد من الخلايا التّابعة للثورة.

بعد أكثر من سنتين في فرنسا عاد إلى باتنة ليواصل نشاطه السّياسي كمسؤول على عدد من الخلايا النّضاليّة، إلى جانب عمله كنجار في إحدى الشّركات الأمريكيّة، وكان مناضلا نشطا حيث قام بتنظيم إضراب عمّالي للمطالبة بحقوق إخوانه العمال.

ساهم في التّحضير لانتخابات 1948، التي ترشّح فيها أبو الثّورة التّحريريّة "مصطفى بن بولعيد"، وقد لعب دورا كبيرا في الدّعايّة له، كما لعب دورا كبيرا في التّحضير للثورة إلى جانب "ابن بولعيد".

والواقع أنّ نشاط "علي النّمر"لم يقتصر على الجانب السّياسي فقط بل كان يمارس النّشاطات الرّياضيّة لتعبئة الشّباب لخدمة الوطن عن طريق الفرق الرّياضيّة، فانخرط في صفوف الرّياضي الباتني لكرة القدم سنة 1944م وكان من أمهر لاعبيه إلى غايّة 1948 تاريخ سفره إلى فرنسا، وقد التّحق معظم لاعبي الفريق الباتني بالثّورة عند اندلاعها واستشهد منهم الكثير، وهذا نتيجة لما كان الرّائد "علي النّمر" يبثه فيهم من روح الثّورة، وقد حُلّ الفريق الباتني لكرة القدم بعد الثّورة مباشرة أي في جانفي سنة 1955 والتّحق أفراده بجيش التّحرير الوطني.

أسندت للمجاهد "علي النّمر" داخل صفوف الثّورة مهمة التّوعيّة السّياسيّة في أوساط الشّعب، لما كان يتمتع به من فصاحة وقوة الحجة فكان ذلك أكبر دعم سياسي للعمل العسكري، وكانت النّتيجة أن قبض عليه في 11 "تشرين الثّاني" نوفمبر 1954 وسجنه بباتنة لمدة ثلاثة أشهر بتهمة المشاركة في الثّورة والتّحريض عليها، وبعد تعرضه للتعذيب تم إطلاق سراحه.

بعد خروجه من السّجن قرّر الالتّحاق بجيش التّحرير الوطني وذلك في شهر آذار – مارس 1955، هنا عمل على توسيع رقعة الثّورة بتوعيّة الجماهير وتجنيد الشّباب في صفوف جيش التّحرير وتعيين مسؤولين مدنيين في القرى والمداشر والمدن لتدعيم الثّورة ماديا.

تركزّ نشاطه خاصة في الجهة الغربيّة من ولايّة الأوراس حتى "القبائل الكبرى" في الولايّة الثّالثّة، التي زارها الرّائد "علي النّمر" 3 مرات رفقة القائد الشّهيد "محمّد العموري" في سنة 1955، وذلك بهدف التّعاون والتّنسيق بين قادة الثّورة لإنجاحها والوقوف في وجه "المصاليين".

ذهب رفقة المجاهد "دعاس مسعود" و"بلقاسم خرشوف" و"مصطفى ملاح " للقائد "عميروش" سنة 1956، حيث شارك في بعض المعارك ضد "المصاليين"، وبعد مؤتمر الصّومام سافر مرة ثالثّة إلى "تيزي وزو" لحضور اجتماعات مسؤولي المنطقة.

بعد حوالي سنة قضاها "علي النّمر" في صفوف جيش التّحرير رقي إلى مسؤول ناحيّة "شليّة" بالمنطقة الثّانيّة برتبة ملازم ثاني، وبعد نجاحه في رحلته الثّالثّة ببلاد القبائل تمت ترقيته كمسؤول على رأس المنطقة الثّانيّة برتبة "نقيب" بعد استشهاد مسؤول المنطقة الشّهيد "محمّد بوعزة عرعار" في مطلع سنة 1957.

رقي علي النّمر إلى عضو قيادة أركان حرب الولايّة الأولى برتبة "صاغ أول" (رائد) في 22 ماي 1958 وفي نفس الوقت كلف بقيادة الولايّة الأولى بالنّيابة في الدّاخل.

وقد خاض "علي النّمر" عشرات المعارك ضد القوات الفرنسيّة أشهرها معركة "مستاوة" و"استيلي" و"شليّة" كما شارك في معركة "جرجرة"،ضد المصاليين، وكانت آخر المعارك، التي شارك فيها هي معركة "بوعلوان"، والتي استشهد فيها "علي النّمر" بعد 39 شهرا من الكفاح المسلح.

وممّا اشتهر به الشّهيد البطل علي النّمر زهده في الحياة وبذله الغالي والنّفيس في سبيل وطنه وقضيته وانتصار الثّورة، فمما ترويه زوجته السّيدة "علجة لوشان" رحمها الله أنه استشهد ولم يترك شيئا من متاع الحياة، فقد باع –رحمه الله– كل ما كانوا يملكونه مفضلا حياة الفقر لأجل استقلال الجزائر، حيث إنها رحمها ضاقت بها سبل بعد الاستقلال، فاضطرت إلى أن تعمل لمدة واحد وعشرين سنة (21 سنة) كعاملة نظافة بولايّة باتنة حتى تستطيع أن تعيل ولدها الوحيد الذي تركه لها الشّهيد البطل.

رابح دوب

المصادر:

– عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

علي باشا الحسيني الجزائري
(1276هـ - 1860م/1335هـ - 1917م)

علي ابن الأمير عبد القادر زعيم عسكري جزائري معروف في الدّولة العثمانيّة وبلاد الشّام، ولد في دمشق عام 1276 للهجرة 1860م، فسماه والدّه الأمير "عبد القادر"، "عليا" تيمنا وتبركا باسم جده الأكبر أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب"، رضي الله عنه.

نشأ في دار علم وثقافة، وضمن ذكريات الجهاد والوطن المحتل، وتربى تربيّة إسلاميّة قويمة، ودرس القرآن والتّفسير وسائر العلوم الدّينيّة، وبلغ شغف الأمير "علي" بعلوم الفروسيّة ما جعله في مقتبل شبابه من أقدر الفرسان بين إخوته وغيرهم من الشّباب.

أصبح نشاط الأمير "علي" ملموسا بعد تخرجه من الجامعة الملكيّة في الأستانة، فأسهم في تأسيس "الجامعة الإسلاميّة"، وعمل لها دعايّة واسعة في البلدان الإسلاميّة والعربيّة، واكتسب مكانة مرموقة في الدّولة العثمانيّة في عهد السّلطان "عبد الحميد الثّاني"، وظل محتفظا بتلك المكانة إلى ما بعد خلع السّلطان، فعين بطلب من السّلطان الجديد، ممثلا لحزب الاتحاد والتّرقي بدمشق في بدايّة سلطته. ولقد اعترف له قناصل الدّول الأجنبيّة بالنّضوج الفكري والشّجاعة والذكاء، على الرّغم مما عرف به من كره شديد للفرنسيين ووقوفه في وجه التّبعيّة لكل ما هو أجنبي. وكانت السّلطة العثمانيّة في حاجة ماسة دائما إلى جهود الأمير للقضاء على الفتن الدّاخليّة في البلاد، وذلك لما كان يتمتع به من شخصيّة قويّة ونفوذ كبير واحترام من قبل الجميع.

في غمرة الهجوم الشّرس على شخص الأمير علي في عام 1911، قررت إيطاليا بالاتفاق مع الدّول الاستعماريّة الأخرى احتلال ليبيا، فسارع الأمير "علي" فور وصوله إلى الأستانة لمقابلة الخليفة "محمّد الخامس"، أن عرض عليه فكرة الجهاد ضد المعتدين الجدد الايطاليين وانقاد الشّعب الليبي، فأبدى السّلطان ارتياحه الشّديد للفكرة ولحماسة الأمير "علي"، وفورا صادق مجلس العيان والنّواب العثماني على سفر الأمير "علي" إلى القطر الليبي. وصل الأمير "علي" على باخرة إلى درنه قبل الانزال الايطالي بأيام قليلة ومعه شحنة كبيرة من الأسلحة، وقبل بدء المعارك عقد اجتماع تاريخي في العشرين من تشرين الأول- أكتوبر 1911 بين الأمير "علي الحسيني" و"الشّريف أحمد السّنوسي" وزعماء القبائل، الذين توافدوا من كل حدب وصوب لحضور ذلك الاجتماع الذي تكلم فيه الأمير "علي" داعيا الجميع إلى الجهاد والثّبات فيه حتى النّصر.

في اليوم السّادس والعشرين من نفس الشّهر والسّنة هاجم الايطاليون على موقع السّيد "عبد الجليل" الواقع على شاطئ ضاحيّة منطقة "زنزور"، فقاتل المجاهدون ببسالة إلى أن نضبت الذخيرة وانتهت المعركة بانسحاب العدو تاركا وراءه معدات حربيّة وذخائر ومغانم كبيرة.

كان الأمير "علي"على علم ودرايّة بالظّروف التي كانت تحيط بدولة الخلافة الإسلاميّة، وكانت نظريته تقول إن قوة الإسلام قوة للعرب، والخلافة هي الحصن، الذي يحمي العروبة والإسلام.

بينما كانت أنظار العالم وصحفه متجهة إلى ساحات القتال في "طرابلس" و"برقة" و"بنغازي" و"الجبل الأخضر" تتحدث عن الانتصارات الباهرة، التي حققها الشّعب الليبي إذ بأمر جلل سيحدث يدمي القلوب، وهو اضطرار الدّولة العثمانيّة إلى الانسحاب من ليبيا وعقد الصّلح مع إيطاليا لحمايّة وجودها في البلقان، الذي كان يتهدده الأسطول الايطالي الذي كان مقررا انضمامه إلى القوات المعاديّة الرّوسيّة والنّمساويّة، وخوفها على شواطئها الآسيويّة وعلى جزرها في بحر "إيجة" اضطرت لعقد معاهدة في لوزان في 03 كانون الأول- ديسمبر 1912، تنص على انسحاب الدّولة العثمانيّة من ليبيا. وفور توقيع هذه الإتفاقيّة وزرع الأمير "علي" منشورا ذكر فيه أن الدّولة العثمانيّة تمنح الاستقلال الكامل للشعب الليبي البطل، ووجد الأمير نفسه مضطرا لترك البلاد ونفسه تفيض حزنا بسبب تراجع أحلامه وآماله. وقبل انسحاب الأمير "علي" من ليبيا سلم جميع الأسلحة، التي كانت في حوزة للسلطات العثمانيّة للشعب الليبي، وعلى الرّغم من ذلك أراد الايطاليون استمالتّه، وعرضوا عليه منصبا كبيرا فرفض، وطلب من السّفير الفرنسي الذهاب إلى تونس فورا، لأنه أدرك سبب عرض الجنرال الايطالي (Regni) وهو تهدئة القبائل الثّائرة، وقد قصد من موقفه ذلك مضاعفة نشاط المجاهدين للذود عن حياض الوطن.

اهتمت الصّحف الوطنيّة الجزائريّة وبصورة خاصة صحيفة (الحق الوهراني) فقامت بدور مهم في هذا المجال.

قبل مغادرته دمشق أراد ان يزور الجزائر إذ كانت تلك الزّيارة أمنيّة غاليّة على نفسه، وبعد عدد من المحاولات خطرت له وسيلة تمكن بها من إقناع المقيم العام الفرنسي، وهي زيارة قبور أجداده، فسمحت له السّلطات الفرنسيّة بالزّيارة ودخل الجزائر، ولكن في زيارة سريّة جدا وتحت حراسة مشددة استغرقت يومين فقط، لم يشاهد أحدا من بني قومه أو أهله من الأحياء، ولكنه تمكن من زيارة أضرحة أجداده في ضواحي وهران بمنطقة "معسكر". ثم عاد إلى "الأستانة" فاستقبله السّلطان بحفاوة وسلمه منصب الرّئيس الثّاني لمجلس الأمة، ثم انتخب نائبا لمقاطعة دمشق عام 1913 أضاء لأهل بلاد العرب والمسلمين، طريق الحق والوجود. وفي عام 1914 اندلعت الحرب العالميّة الأولى، فاجمع بعض المهاجرين الجزائريين في بلاد الشّام على تكليف الأمير "علي"، ببحث أمر ابنائهم مع السّلطات العثمانيّة، لإنقاذهم من الأسر والحرب بعد أن جندتهم فرنسا في صفوف قواتها ضد الألمان والعثمانيين والنّمساويين. فأوكلت الحكومة هذه المهمة إلى شخص الأمير "علي" وكلفته بالسّفر إلى ألمانيا بأمر من الخليفة "محمّد

الخامس" للاجتماع بالامبراطور "غليوم الثّاني" وبحث موضوع الأسرى معه.

عندما وصل الأمير إلى برلين استقبله الامبراطور "غليوم الثّاني" ودامت المقابلة الوديّة أربعين دقيقة، تمت خلالها مناقشة المهمة التي أتى من أجلها، وهي زيارة الأسرى العرب وإمكان مساعدتهم للعودة إلى بلادهم أو تحسين أوضاعهم وكان له ما أراد.

في الحادي والعشرين من جمادى الأولى 1333هـ، التّاسع من نيسان- أفريل 1915، عاد الأمير "علي" إلى الأستانة، وفور وصوله عقد مؤتمرا صحفيا، ونقلت تفاصيل زيارته للأسرى أكثر من صحيفة.

لكن بعد خلع السّلطان عبد الحميد الثّاني سنة 1909، تم ترحيل عائلة الأمير "عبد القادر" وكان بينها الأمير "علي". ولم تشفع له أعماله الجليلة والرّتبة العاليّة، التي كان يحملها والثّقة الكبيرة التي كان يحظى بها من السّلاطين وأعطيت عائلة الأمير "عبد القادر" مهلة أربع وعشرين ساعة، ولم يقبل "جمال" السّفاح أن يزيدها ساعة واحدة، فتركت بذلك الدّور وما فيها وصعدت إلى القطار الذي سار بها إلى المنفى في مدينة بروسة، المدينة التي زارها الأمير عبد القادر عام 1853، ولم يتمكن من الإقامة فيها طويلا بسبب الزّلازل التي تتعرض لها.

كان الأمير "علي" من المعارضين لدخول الدّولة العثمانيّة الحرب عام 1914، وعندما وجد نفسه وجميع أفراد العائلة في هذا المنفى محاصرين، شعر بالقلق ووهن جسمه وأصابه المرض. ولما اشتدت عليه الآلام أقنع أنجاله السّلطات العثمانيّة بضرورة نقله إلى اسطنبول، حتى وفاه الأجل سنة 1917.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

علي بن أحمد سُلطاني
(1260هـ - 1845م/1322هـ - 1905م)

هو علي بن أحمد بن محمّد السّلطاني بن محمّد بن أحمد بن سيدي أحمد بن ناصر القنطري؛ المعروف بأبي الحسن، وُلد حوالي سنة: (1260هـ/ 1845م)، ببلدة (القنطرة)، التّابعة لمدينة (بسكرة)، ونشأ في أسرة بسيطة ومتواضعة، وترعرع في كُتاب قريته؛ففي عام: (1273هـ / 1857م) أدخله والده (أحمد بن محمّد) إلى كُتّاب الشّيخ (أحمد بن إبراهيم) في بلدة (القنطرة)، فحفظ قسطاً من القرآن الكريم بها، وذلك على يد الشّيخ (سيدي أحمد بن عامر)، ثم يمم وجهه شطر زاويّة الشّيخ (علي بن عمر) ببلدة (طولقة) وذلك عام: (1274هـ / 1858م)؛ وهي واحة نخيل جميلة تقع في الشّمال الغربي لمدينة (بسكرة)، في الجنوب الشّرقي للجزائر شمال الصحراء؛وهي واحة كبيرة مُترامية الأطراف، وذات نخيل كثير، وهذه الواحة هي موطن الشّيخ (محمّد بن عزوز)؛ الذي تُنسب إليه أسرة آل عزوز الكريمة، وهي (طولقة) إحدى دوائر مدينة (بسكرة)؛ قاعدة الزيبان التي تتميز بموقعها المتميز، والذي يُشكل حلقة وصل بين الجنوب الشّرقي الصحراوي، والشّمال الشّرقي التّلي للقطر الجزائري، وفي هذه الزاويّة حظي بعنايّة فائقة من لدن الشّيخ (علي بن عثمان)؛ الذي كان شيخ الزاويّة في زمانه، وبعد أربع سنوات من مكوثه بالزاويّة المذكورة حفظ القرآن الكريم، وبعد أن سمع الشّيخ (علي بن أحمد بن محمّد السّلطاني) بأخبار زاويّة (نفطة) بتونس، وشيخها (مصطفى بن عزوز)، قصد بلاد الجريد التّونسيّة من أجل التّعلم، والتّقى بالشّيخ (مصطفى بن عزوز)؛ شيخ الطريقة الرحمانيّة، والطريقة الرحمانيّة؛ طريقة صوفيّة تذكر عدة مصادر أنها قد تأسست عام: (1774م) من لدن الشّيخ (أمحمّد بوقبرين بن عبد الرحمن الجرجري) في الجزائر، وتنهض أركانها على المذهب المالكي في الفقه، والمذهب الأشعري في العقيدة، والمنهج الجنيدي في السّلوك، والانتساب إلى خط آل البيت روحياً وفكرياً ودينياً، وقد كان الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) يرى أن الطريقة الرحمانيّة تمتاز بأنها تقول بسبع نفوس: الأمارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضيّة، والمرضيّة، والكاملة؛ في حين أن الطرائق الأخرى تقتصر على ثلاث أنواع فقط من النّفوس، وهي: اللوامة، والملهمة، والمطمئنة، وقد أمر الشّيخ (مصطفى بن عزوز) نقيب الطلبة بالتّكفل بالشّيخ (علي بن أحمد بن محمّد السّلطاني)؛بعد أن سمع قصة قدومه إلى البلاد التّونسيّة، وبزاويّة (نفطة) أفاد من علوم شتى، وتعلم عدة فنون متنوعة، ومن أبرز شيوخه في هذه الزاويّة: العلاّمة (المدني بن عزوز)، والعلاّمة (سيدي إبراهيم بن صمداح)، والشّيخ (محمّد بن الحمادي العبيدي)، والشّيخ (سيدي محمّد النّوري النّفطي)، والشّيخ (مصطفى بن عزوز)، وقد عاد الشّيخ (علي بن أحمد بن محمّد سُلطاني) إلى بلدة (القنطرة)، ودرَّس فيها، كما كان مُدرساً بزاويّة (نفطة) بالجريد التّونسي، وقد ذكر هذا الأمر في مذكراته، ورحلته، فنجده، يقول: "فأذن لي الشّيخ المدني بن عزوز في القراءة لبعض الطلبة، فأقرأتهم جزء الإجارة للقضاء، ثم أذن لي أن نُقرئهم جزء العبادات، ثم جزء الزكاة، ثم جزء البيوع، الحاصل أقرأتُ بحضرة الشّيخ وإذنه ختمة في المختصر للقضاء، وأقرأتُ ختمة

أو ختمتين في الأجروميّة لبعض الطلبة، وكذلك أقرأتُ متن الرحبيّة في الميراث، كلّ ذلك بإذن الشّيخ وعلى نظره".

وقد ذكر ابنه الشّيخ (عبد اللطيف سُلطاني) أن والده قضى ما يزيد عن أربعين سنة في تدريس العلم، وتخرج عليه مشايخ كثر، انتشروا في عدة جهات من الوطن، وانتفع بهم خلق كثيرون، فقد كان الشّيخ (علي بن أحمد بن محمّد السّلطاني) من أتباع الطريقة الرحمانيّة، وكان يرفض البدع والضلالات التي كان يُدلي بها بعض أتباع بعض الطرق الصوفيّة، وقد ألّف رسالة انتقد فيها بعض الأتباع الذين انتسبوا للطرق الصوفيّة، وقد ذكر الأستاذ (لحسن بن علجيّة) بأنه كانت له آراء جريئة جداً في بعض قضايا عصره؛ فقد انتقد إنشاء الاستعمار الفرنسي للمدارس الرسميّة الثلاث-الجزائر، وقسنطينة، وتلمسان- حيث أنكر إنشاءها من أجل التّوظيف، وتكلّم عن التّجنس بالجنسيّة الفرنسيّة، بدعوى خوف المتجنس من مصادرة الفرنسيين لأمواله، وأملاكه، وتكلم في عدة مناسبات عن الجزائريين الموالين للفرنسيين، وبجرأة وشجاعة أفتى بحرمة شراء ما اغتصبه المستعمرون الفرنسيون من أملاك الجزائريين، ولاسيما منها الأوقاف الخاصّة بالمسلمين الجزائريين.

وقد انتهى الشّيخ (علي بن أحمد بن محمّد السّلطاني) نهايّة مأساويّة، وكانت وفاته-كما يذكر الأستاذ (لحسن بن علجيّة) - "فاجعة أليمة أذهلت سُكّان القنطرة والزاب والأوراس؛ فقد أقدم أحد طلبته- كان مُصاباً بمرض عقلي-على قتله بسكين، يوم الثلاثاء2ذي الحجة1322هـ، الموافق لـ7فيفري سنة:1905م".

وقد ذكر حادثة قتله ابنه الشّيخ (عبد اللطيف السّلطاني)، حيث يقول: "مات قتيلاً قتله رجل مختل العقل، يسمى عمر بن بوصلاح، وهو قنطري الأصل والدار، ومسكنه قريب من مسكننا، قتله بعد الانتهاء من إلقاء درسه بعد صلاة العصر، في جامع المصادقة القريب من دارنا، بمديّة وهو متكئ فوق زربيّة إلى جانب باب داره على الطريق العام".

و قد ضاعت بعض مؤلفات وأعمال الشّيخ (علي بن أحمد بن محمّد السّلطاني)، ومن أهم المؤلفات التي تركها: "رحلة الشّيخ علي بن السّلطاني لقراءة القرآن، وطلب العلم بالزاب والجريد"، ويصف الأستاذ الباحث (لحسن بن علجيّة) هذه الرحلة بأنها "رسالة ماتعة، ونعتقد أن عنوانها كتبه الشّيخ عبد اللطيف رحمه الله"، كما ترك مخطوطاً، بعنوان: "نصيحة الإخوان في الرد على من خرج على الحق وأظهر الكذب والبهتان"، وضاعت من بين مؤلفاته الكثيرة رسالة موسومة بـ: "رسالة في الرد على المنتسبين للتصوف زوراً وكذباً".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- الشّيخ علي بن أحمد بن محمّد سُلطاني: حياته وآثاره، تقديم وتحقيق وتعليق: لحسن بن علجيّة، منشورات دار الهدى للطباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2015م.
- د.أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، منشورات دار البصائر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009م.
- محمّد الصالح بن عتيق:أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة بالجزائر، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة-الجزائر، 1436هـ/ 2015م.

علي بن الحاجّ موسى الجزائريّ (1244هـ - 1828م/1330هـ - 1912م)

علي بن الحاجّ موسى لنسبه هو أبو الحسن علي بن أحمد ابن موسى، واشتهر باسم جدّه، ابن عبد العزيز بن أحمد زروق ابن الحسين بن الشّيخ العارف أبي عبد الله محمّد الكبير، المعروف بشائب الذّراع، بن عبد العزيز بن محمّد بن عبد الرّحمن بن مقبل البوزكزاوي -بالقاف المعقودة-نسبة إلى جبل بني زكزوك قرب جبل عمال بضواحي مدينة الجزائر، حيث توجد زاويتهم الجزائري. ومن مواليد مدينة الجزائر وأعيانها وصلحائها. وُلد علي بن الحاجّ موسى سنة (1244هـ/ 1828م) قبل سقوط مدينة الجزائر في يدّ الاحتلال الفرنسي بسنتين أو بعدها حسب سعد الله، وينتمي إلى عائلة علميّة اشتغلت بالشّؤون الدّينيّة وعلى رأسها القضاء.

نشأ علي بن الحاجّ موسى بين حارات مدينة الجزائر وأزقّتها تحت سلطة الاحتلال التي غيّرت ملامح المدينة من خلال تهديم معالمها الدّينيّة كالمساجد والجوامع وتحويلها إلى كنائس وثكنات وإسطبلات، ونفي علمائها وأعيانها الذين كانت تخشى منهم وتشريدهم. وعرفت الجزائر مرحلة حرجة وحسّاسة جدّا في تاريخها المعاصر؛ بسبب ما تعرّضت له من هجمة شرسة من قبل الاحتلال الفرنسي ما بين (1830-1871) على الجزائريّين، الذين استعبدتهم وشرّدتهم وجعلتهم يعيشون تحت وطأة البؤس والقهر والظّلم، واستباحت خيرات البلاد لصالحها واستوطنت الأرض وفكّكت القبائل وقتلت منهم الكثير، ممّا أدّى إلى قيام العديد من المقاومات الشّعبيّة لاسترجاع الأرض وصدّ العدوان إلّا أنّها أخفقت أمام القوّة العسكريّة الاستعماريّة.

في حين تميّزت الفترة الثّانيّة من السياسة الاستعماريّة ما بين (1871-1918) بالانتقال

مـن الحكم العسـكري إلى الحكـم المدني، حيث عملت على إرسـاء ترسـانتها القانونية في كل المجالات لتحقيق الاستيطان الفعلي والإدماج الكلّـي، وتحويل الجزائر إلى جزء لا يتجزّأ من فرنسا.

لقد ترعرع علي بن الحاجّ موسى في ظلّ الاحتلال الفرنسي على سياسته الاستعماريّة التـي غيـرّت المنظومـة القانونيّـة الجزائريّة وجعلتها تصطبغ بالصّبغة الفرنسيّة من حيث التّشـريع والـرّوح، فقلّصت مـن صلاحيّات القاضـي المسـلم وحـدّدت مهـام الإمـام وقيّدت المدرّس ببرنامج تربويّ يتمشـى مع سياستها الإدماجيّة.

اشـتغل علي بن الحـاجّ موسـى بالقضاء للفرنسـيّين، مثلمـا كان والـده أحمـد بـن الحاجّ موسـى مفتي للسّـلطات الاستعماريّة فـي منتصـف القـرن التّاسـع عشـر، حيـث عُيّـن بقضـاء مدينـة مليانة ثمّ تلمسـان فتنس فـي عهـد المملكـة العربيـة قبـل تقليـص صلاحيـات القاضـي المسـلم وإخضاعـه للقاضي الفرنسي، إلّا أنّه تخلّى عن القضاء، واعتـزل الوظيف الرّسـمي واهتـمّ بالتّأليف والتّصوّف؛ حيث أشـرف على وكالة ضريح الشّيخ الثّعالبي.

اهتـمّ علـي بـن الحـاجّ موسـى كثيـرا بالتصوف دراسـة وتأليفا حيث أخذ الطّريقة الشّـاذلية والقادريـة وغيرهمـا مـن الطّرائـق الصّوفيـة مـن الجزائريّيـن والحجازيّيـن والشّاميّين.

تتلمـذ علـي بـن الحاجّ موسـى علـى يدّ والده أحمد بن الحاجّ موسـى وعلى الشّـيخ مصطفـى ابـن الحـرار، ومـن عاصرهـم من علماء مدينة الجزائـر. وتحصل على العديد من إجازات علماء المغرب والمشـرق نذكر منهـم إجازة الشّـيخ محمّد صالـح الرّضوي البخـاري، وأبـو الحسـن علـي بـن ظاهـر الوتـر المدنـي لمـا زارا الجزائـر، ومصطفى بـن الحـرار، ومحمّـد بـن هني بـن معروف المجاجـي دفيـن تونـس وأبو حامـد العربي المشـرفي المعسـكري، وحصل على إجازة بالمكاتبة مـن أبي عبد اللـه محمّد بن جعفر إجـازة من فـاس وكـذا مـن الشّـيخ المكب بن عـزوز التونسـي، وغيرهم مـن عاصرهم مـن العلماء ورجـال التصـوّف؛ حيث عرف بولوعه بالإجازات أخذا وعطاءً بينه وبين من سبق ذكرهم.

كان علـي بن الحاجّ موسـى فيّ مراسـلة دائمـة مـع كل مـن شـعيب بـن علـي قاضي تلمسـان وعبـد الحـيّ الكتّانـي بالمغـرب الأقصى؛ حيث يروي عنه كلّ ما له.

لـم يكن لعلـي بن الحـاجّ موسـى تآليف كثيـرة باسـتثناء تأليـف واحـد هـو: (ربـح التجـارة فـي آداب الزّيـارة) وهو عبـارة عن سـيرة للشّـيخ أحمـد بـن يوسـف الملياني، وهذا ينم عـن حبّه للتصوف وشـغفه بأولياء الله الصّالحين.

توفـي علـي بـن الحـاجّ موسـى سـنة 1330هـ/ 1912م عن عمر يناهز الثّمانين سنة.

لقـب الكتّاني علي بن الحاجّ موسـى بـــ العلامـة المشـارك المحـدث بركـة الجزائر ومسـندها وعالمهـا المعمّـر، وزاد فـي قوله هـذا مادحا علي بـأنّ الجزائر لـم يخلّف من يماثلـه فـي علمه وتقـواه أخلاقـه وهمّته في العلم وجمع الكتب ونسخها.

ياسمينة زمولي

المصادر:

- الكتّاني (عبد الحيّ بن عبد الكبير)، 1982، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عبّاس، ط.2، ج.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛
- سعد الله (أبو القاسم)، 1989، تاريخ الجزائر الثّقافي 1830-1954، ط.1، ج.4 وج.7، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت؛
- نويهض (عادل)، 1980، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط.2، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، بيروت.

علي بن الحفاف
(ت: 1307هـ - 1890م)

علـي بـن الحفـاف، عالـم وفقيـه مـن فقهـاء مدينـة الجزائـر، ولـد الشّـيخ علـي بن عبـد الرحمـن بـن محمّـد، المعـروف بابـن الحفـاف الجزائـري، فـي مدينـة الجزائـر، وهـو مـن عائلـة عريقـة، عرفـت بالعلـم والتدريـس والمكتبـات وكثـرة الأسـماء المبـرّزة فـي العلـم فـي مدينـة الجزائـر، كمـا كان أجـداده مـن أهـل العلـم والفتـوى فـي الجزائـر منـذ عهـود طويلـة، كانـت أسـرته تتولـى مسـجد سـيدي رمضـان لأزيـد مـن سـتين سـنة، ويسـمى جامـع سـيدي رمضـان أحيانـا جامـع القصبـة أيضـا، وقـد سـمي علـى ولـي صالـح مدفـون فيـه، وهـو مـن المسـاجد المشـهورة فـي مدينـة الجزائـر فـي ذلـك الوقـت، كمـا أنـه مـن المسـاجد العريقـة فهـو يرجـع إلـى عهـد الممالـك الإسـلاميّة السّـابقة للعهـد العثمانـي. وقـد أصبـح "الشّـيخ علـي بـن الحفـاف" وكيـلا عليـه بعـد ذلـك، حيـث كان هنـاك عـرف سـائد وهـو تـداول أفـراد الأسـرة الواحـدة علـى نفـس المنصـب الدينـي. ولا يعـرف تاريـخ مولـده، لكـنّ المصـادر تقول إنّـه كان شـابا يافعـا عنـد دخـول الاحتـلال الفرنسـي إلـى الجزائـر سـنة 1830.

تعلـمّ الشّـيخ "علـي بـن الحفـاف" فـي مدينـة الجزائـر، حيـث بـدأ تعليمـه كأطفـال جيلـه- فـي الكتّـاب والزّوايـا، حفـظ القـرآن الكريـم وأخـذ مبـادئ العلوم العربيّـة والدينيّـة، ثم بـدأ يطلـب العلم على شـيوخ عصـره ومدينتـه، مـن أمثال: الشّـيخ مصطفـى الكبابطيـو الشّـيخ محمّـد بـن الشّـاهد، والشّـيخ محمّـد واعزيز، والشّـيخ محمّـد العربـي وغيرهـم، كما أخـذ الإجازة

عن الشّيخ محمّد الصالح الرضوي البخاري، وأخذ التصوف عن الشّيخ محمّد الموسوم وهو من شيوخ الشّاذليّة. وقد كان مصاهرا لكثير من العلماء من أمثال: قدور بن رويلة، وعائلة الشّريف الزّهار، ولعله أخذ العلم عنهم أيضا. وفي رحلته إلى الحجسنة 1280هـ أخذ عن كثير من العلماء من أقطار مختلفة، فأخذ عن علماء في الحجاز وتونس وغيرها، من أشهرهم: الشّيخأحمددحلان مفتي الشّافعيّة في مكة المكرمة، والشّيخ إبراهيم الرياحي التونسي.

انضم الشّيخ "علي بن الحفاف" إلى دولة ومقاومة الأمير عبد القادر في مدينة ملياناة، حيث كان الحاج محي الدين بن مبارك وقريبه محمّد بن علال عل يرأس حكومة الأمير هناك، كما كان صهره "قدور بن رويلة" زوج أخته كاتب الأمير الخاصّ. وقد تولى "الشّيخ علي" رئاسة ديوان الإنشاء بملياناة. وكانت نتيجة التحاقه بدولة الأمير عبد القادر مصادرة أملاكه وأملاك أسرته من طرف السّلطات الاستعماريّة، كما وضعته على قوائم الملاحقة متهمة إياه بمعاداة السّلطات والانضمام إلى عدو الدولة. وقد عاد "الشّيخ علي" إلى مدينة الجزائر سنة 1843 بعد انهزام دولة الأمير في ملياناة ووقوعها في قبضة الاحتلال الفرنسي، وقد وجد نفسه في حالة بؤس شديد، لا يملك شيئا بعد مصادرة أملاكه، ومطاردا من السّلطات الفرنسيّة بعد انضمامه للأمير، فأخذ يكتب رسائل تبريريّة للسلطات الفرنسيّة، ويكتب أيضا لشخصيات حتى تتوسط له عند السّلطات الفرنسيّة، منهم ابن أخته "أحمد بن رويلة"، وقد رأى الفرنسيون أن يعفوا عنه حتى يستفيدوا من خبرته وثقافته، فقد كانوا يعلمون أنه يكنّ لهم عداء شديدا، لكنهم كانوا يعرفون أيضا أنه لا حيلة له وليس له ما يفعل، فالاستفادة منه أولى من ملاحقته، وكانذلكهورأي (ديلابورت) مسؤول الشّؤون الداخليّة عندئذ، إذ قال عنه: "إننا نعرف أنه عدو لنا، ولكن الإدارة ستستفيد من خدمته"، ذلك أن هذه الإدارة تريد من ورائه كسب المؤيدين لها والذين يثقون فيه.

عيّنته السّلطات الفرنسيّة في البدايّة "حَزَّابا" (وهو الذي يقرأ القرآن بعد الفجر أو العصر. وهو أقل درجة من الخطيب والمدرس)، وكان ذلك سنة 1845، لكن بعد إلحاح منه ومطالبة بحقه في تولي مسجد سيدي رمضان الذي كانت تتولاه أسرته، عيّنته السّلطات الفرنسيّة وكيلا لجامع سيدي رمضان سنة 1848. فكان خطيبا في هذا الجامع ومدرسا فيه حتى تعيينه من قبل السّلطات الفرنسيّة مفتيا في البليدة سنة 1859. وبعد وفاة الشّيخ حميد العمالي سنة 1873 تولى الفتوى المالكيّة والتدريس والخطابة في الجامع الكبير. وكان مجلسه العلمي في الجزائر العاصمة مشهورا يقصده طلاب العلم، وقد اشتهر بتدريس الفقه المالكي من "مختصر خليل"، كما اشتهر بتدريس للقراءات القرآنيّة، وقد كانت له مؤلفات فيها. ومن أشهر تلامذته: محمّد بن الخوجة، وعلي بن عبد الرحمان وغيرهما.

وقد اشتهر الشّيخ علي بن الحفاف في النّقاش الذي جرى بين العلماء والفقهاء في ذلك العصر حول مسألة الهجرة سنة 1844؛ حيث أفتى بعضهم بوجوب الهجرة من الجزائر لأنّ العدو الفرنسي قد تغلّب عليها، وأفتى آخرون بضرورة البقاء محافظة على الدين وتعليم العامّة مادام العدو ق دتركا لمسلمين يتعبدون ويقيمون شعائرهم الدينيّة. وكان الشّيخ علي من أنصار الرأي الأول إلى جانب صهره الشّيخ قدور بن رويلة حامل لواء هذا الرأي، بينما كان الشّيخ مصطفى الكبابطي من أنصار الرأي الثاني. وقد عزم الشّيخ علي على الهجرة خاصّة بعد اشتداد الخناق على الفقهاء وسوء المعاملة لهم، لكنّه تراجع عن ذلك بعد لقائه بالشّيخ محمّد بيرم الخامس التونسي سنة 1878، "حيث نصح الشّيخ بيرم ابن الحفاف بالبقاء لخدمة العامّة لا الخاصّة، في دروسه في الفقه والتوحيد وبعض المعارف الدينيّة المسموح بها من قبل فرنسا منجاة للعامّة ومحافظة على الدين، وقد أخبره الشّيخ بيرم، وكان صادقا، بأن أمثاله قليلون في القطر، وأن بقاءه أنفع للعامّة وله عند الله، من خروجه برأسه، تاركا الأمة خاليّة عن مثله. بالإضافة إلى أن خروجه قد يحمل الغير على تقليده أيضا، وبذلك تبقى العامّة بلا معلمين للدين، وتندثر الديانة الاسلاميّة من العامّة بالتدرج. أما بقاؤه فيؤدي، في نظر بيرم، إلى نشر للعلم والعقائد والفقه وحفظ هذه الديانة".

توفي الشّيخ علي بن الحفاف في مدينة الجزائر سنة 1307هـ الموافق لسنة 1890م.

من آثاره:

- "منة المتعال في تكميل الاستدلال" في القراءات السّبع، ألفه في آخر حياته.
- "الدقائق المفصلة في تحديد آيّة البسملة"، ألفه سنة 1286هـ. وهو في مسألة قراءة البسملة في الصلاة.

رابح دوب

المصادر:

- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثقافيّة للتأليف والترجمة والنّشر، ط2، بيروت، 1980؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011.

علي بن القيم الـگماري السّوفي
(1256هـ - 1840م/1326هـ - 1908م)

الحاجّ علي بن محمّد بن مبارك المعروف بالقيم (بكسر القاف ومدها)، لقب ذريته من بعده زركوك ولد ببلد گمار من وادي سوف سنة 1840.

خلف الشّيخ ثلاثة ذكور منهم من أخذ العلم هم: الشّيخ محمّد البرقي الذي تحتفظ ذريته اليوم ببقيّة مكتبة جدهم، وقد عده الأستاذ سعد الله من أئمة بلدة گمار. وهو أحد المصلحين النّشيطين بالمنطقة، وقد وجدناه في خمسينات القرن الماضي كاتبا عاما لشعبة جمعيّة العلماء المسلمين بـگمار التي كان على رأسها إبراهيم نوار.

الشّيخ لخضر الذي تولى الإمامة والخطّابة في مساجد بلدة گمار، اعتنق الإصلاح ثم هاجر إلى الحجاز مع الشّيخ عمّار بن لزعر وقد توفّي بالمدينة، وأنجب ولده إبراهيم سنة 1363هـ/ 1944م شيخ القراء بالمدينة في أيامنا هذه. وهو المسمى الشّيخ إبراهيم الأخضري كان إمام بالحرم المكّي أعوام، ومنذ 1409هـ/ 1989م اعتمد بالمسجد النّبوي، ابنه الثّالثّ سالم العايب كان له حظّ من العلم، ولكن لم يشتهر به. عاش في بسكرة وبها قُبر.

عاش الشّيخ في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر هذه الفترة التي عرفت فيها وادي سوف دخول الاستعمّار الفرنسي فاحتلها وأذل أهلها، خاصّة أوّلئك الذين قاموا ضدّه في مناطق أخرى من الوطن فأهل سوف عموما وأهل گمار شاركوا مع الأمير عبد القادر ضد المستعمر كما شاركوا في ثورة الزّعاطشة في الزّيبان سنة 1849 تحت رايّة الدّين والوطن مما جعل الاستعمّار يصنف تلك العائلات والمناطق المشاركة في الخانات السّوداء. كما إنّه في هذه الفترة أعتقال شيخه القاضي بالقاسم بالقبي في سجن باتنة ومات هناك مسجونا.

كل هذه الظروف جعلت الشّيخ الحاج علي يكرس وقته للعلم والتّعليم لمعرفته بالوضع المؤلم الذي يعيشه من حوله، بالفعل تعلم ونبغ في عدّة علوم وفنون فهو الفقيه والشّاعر والنّسّاخ والفلكي الطّبيب.

أخذ مبادئ العلوم في صباه ببلده گمار ثم سافر إلى النّواحي من أجل طلب العلم فقد حل بنفطة في زاويتها العزوزيّة وفي توزر كما لبث في مكة مدة عند أدائه فريضة الحج يطلب العلوم.

أخذ عن كبار العلماء من قضاة وفقهاء ففي گمار أخذ عن الشّيخ القاضي تلميذ الشّيخ خليفة بن حسن الشّيخ لخضر بن حمانة، وأخذ عن محمّد بن القاضي بلقاسم بن القبي المكفى الأبيض، وأخذ عن الشّيخ القاضي أحمد بن عبد الله دغمان، أما خارج بلده فقد أخذ عن عثمان بن المكّي التّوزري صاحب كتاب شرح العاصميّة وهو مقارب له في العمر ومن أقرانه. وقد عاش بعده وأدركه من أهل گمار في الجامع الزّيتونة الشّيخ عمّار بن لزعر. كما جالسّ الشّيخ المكّي بن عزوز والشّيخ محمّد الأخضر بن الحسين فاستفاد منهما وأفاد كما أخذ عن غيرهم.

جلس للتدريس في عدّة أماكن من الوطن فقد درس ببلده گمار وفي تبسة وفي سوق اهراس والجزائر العاصمة، وبسكرة وبالأوراس لاسيما بلدة بوزينة ومنعة التي بها زاويّة ابن عبّاس القادريّة. وكانت دروسه في بلده للصغار والكبار، فقد خصص لكل منهم مجلسا خاصا به وقد كان له مجلس لخواص طلبة العلم ممن لهم باع فيه أمثال سي الطّيب بن عبد القادر الزّا -حاصي - وسي محمّد بن الحاج صالح -سوفي- وسي علي بن سعديّة. والسّائح بن محمّد العروسي شيخ زاويّة گمار التّجانيّة. وغيرهم من حملة العلم في هذه البلدة وفي ربوع الوطن.

أما أعماله فهو على عادة أهل بلده كان فلاحا وخياطا حين يشتد فقره، وكان نسّاخا من الطّراز الأوّل يقول سعد الله (وكان الشّيخ علي بن القيم ينتقل بين جهات القطر الجزائري أيضا، وينسخ الكتب، ولعله كان يعيش من هذه الصّنعة، فكان يقصد الزّوايا الشّهيرة وبعض أعيان البلاد، وهم يهدونه الكتب، وفيهم من كان يحبسها عليه.) من خلال مكتبة الشّيخ نجده إنّه برع في عدّة علوم نذكر منها:

علوم الشّرع: حذق في مجموعة من اختصاصات العلوم الشّرعيّة مثل السّير وعلوم الحديث والتّصوف والفقه وغيرها، حيث كان يحفظ الكثير من المتون عن ظهر قلب.

وكذلك علوم اللغة إلى جانب علم الفلك الذي كان له فيه باع طويل فقد كتب فيه وما زالتّ مكتبته تحتفظ ببعض المناظير ووسائل الحساب الفلكي القديمة. كما اهتم الشّيخ بالطبّ فألّف فيه وشرح وجمع ما تيسّر له منه.

انخرط الحاج علي ضمن مدارس القضاء التي أعدتها السّلطة الفرنسيّة وتحصل منها على شهادات تأهله لتولي مناصب العدالة والقضاء، إلا إنّه تعفف عنها لما رأى من خطرها الأخروي وجور السّلطان الدّنيوي.

بينما باشر الإفتاء الحر. فقد كان مفتيا بالجزائر العاصمة يقصده عوام النّاس وخواصهم في أحوالهم والسّؤال فيما استشكل من أمور دينهم، وقد عزفوا عن أوّلئك المفتيين الذين نصبتهم الحكومة الفرنسيّة بمذهبيهم المالكي والحنفي ربما ليس اتهاما لهم ولكن عزوفا عن الأمور الرّسميّة للمستعمر، فكانوا يلجؤون إليه. وربما خالف الشّيخ علي بن القيم بعض هؤلاء الرّسميين في فتواه ورأيه في الشّرع فسبب له هؤلاء المضايقات ودبروا له المكائد.

ولعل قصة البنت اليتيمة التي أوردها الشّيخ محمّد الطّاهر تليلي رحمه الله خير دليل على ذلك.

من موروث الشّيخ الشّاهد على علمه اليوم مكتبته التي خلفها وهي من المكتبات القديمة العامرة في وادي سوف. والتي تحوي على عدد مهم من المخطوطات والتي تجاوزت مئة مخطوط قديم كما تحوي المكتبة بعض الكتب القديمة التي هي في عداد المخطوطات.

ومن أعمال الشّيخ على نفسه يوجد في مكتبته رجزا من التّوسل في عدّة أبيات. فالشّيخ علي بن القيم شاعرا ولعل له غيره من الأشعار.

تعليق على منظومة في الطّب لأحمد بن صالح (المتوفى سنة 1103هـ - 1692م) مضيفا إليه تعريفات لأسماء الأعشاب.

أما الكتب التي نسخها الحاج علي وكانت لها آثار في بقايا مكتبته، فهي:

- كتاب في الفقه نسخه سنة 1291 -1874- في گمار.
- ونسخة من منظومة الطّب المذكورة التي يبدو إنّها نسخها لمن طلبها منه.
- ونسخة من كتاب (التّرح في منظومة ابن الفرح)، سنة 1322 1904-م.
- كتاب الهيئة لعبد الرّحمن الفاسي 1302 -1885-.
- ولكن الكتب التي نسخها الشّيخ تذهب عادة إلى أصحابها، ولا يبقى له منها إلا بعض التّواريخ والآثار الدّالة عليها فقط.
- الشّيخ علي بن القيم كما رأينا كان عالما فقيها نحويا فلكيا له اهتمام بالطّب، ذاع صيته في الجزائر وربما في تونس ولكن لم نجد من ترجم له أو كتب عنه إلا النّزر اليسير الذي يعد على أصابع اليد.
- حيث أن أغلب من كتب عنه هم كتاب محليون. من أبرزهم:
- الأستاذ أبو القاسم سعد الله، خصص له جزءًا هاما في موسوعته تاريخ الجزائر الثّقافي في موضعين في الجزء الثّالث والخامس. وقد قال فيه (أطلنا عن قصد في الحديث عن الحاج علي بن القيم لإنّه من أبرز النّساخ المعروفين في عهد الاحتلال)
- الشّيخ محمّد الطّاهر تليلي: ترجم له في مواضع من كتبه المخطوطة وقد نقل لنا في بعضها إنّه (كان يحفظ مختصر خليل كما يحفظ القرآن الكريم وكان مداوما على تكرارهما وكان يختم القرآن في أسبوع ويختم مختصر خليل في أسبوع مواظبا على تكرارهما وكان يختم القرآن في أسبوع ويختم مختصر خليل في أسبوع مواظبا على ذلك)
- الأستاذ عبد الباقي مفتاح الذي قال عنه (ثم صار مدرسا بگمار وعلى يده تخرج جماعة من الفقهاء والعلماء)

كما ترجم له الأستاذ تجاني عقون، والأستاذ علي غنابزيّة. والأستاذين سعد العمّارة وأحمد منصوري

في سنة 1908م توفّي الشّيخ علي بن القيم ببلدة گمار وبها قبر. ومن جميل القدر إنّه في هذه السّنة ولد الشّيخ العارف بالله علي بن سعد خرن في هذه البلدة بلدة گمار، وكأن الزّمان يقول مات إمام وولد إمام، مات علي وولد علي.

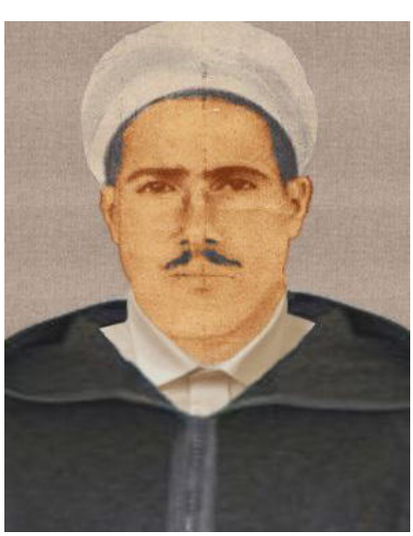
محمّد بن عمّار ماني

علي بن سعد (خيران)
(1327هـ - 1907م/1394هـ - 1974م)

وُلد في (گمار) بربوع سُوفْ سنة 1327 هـ الموافقة 1907م. ونشأ بها، وأخذ القرآن الكريم بها عن الشّيخ الأخضر بن الحبيب بوجلخة، كما أخذ المبادئ الدينيّة الفقهيّة في نفس البلدة عن الشّيوخ أحمد القّا، واللقّاني، ومحمد بن البريّة، وكذلك عن الشّيخ المصلح العالم الفقيه عمار بن الأزعر واستفاد من هذا الأخير الكثير.

ارتحل إلى تونس لطلب العلم بجامع الزيتونة سنة 1927م فبقي بجامعها المعمور إلى سنة 1933م، حيث حصل على شهادة التّطويع ليرجع إلى بلدته گمار، فدرّس بها مدّة ليست بالقصيرة، ثم غادرها إلى مدارس جمعيّة العلماء في بسكرة، ثم باتنة، ثم وهران، ثم سيدي بلعباس، ثم غليزان.

عاد بعد هذه المحطّات من جديد إلى بلدته (گمار) مكث بها مدة، منقطعًا عن



التّدريس إلى أن طلبه الشّيخ عبد العزيز الشّريف الهاشمي ليعيّنه مدرّسًا في معهد الزاويّة الهاشميّة بالوادي سنة 1938م قبيل الحرب العالميّة الثّانيّة التي خلالها أغلقت الحكومة الاستعماريّة الفرنسيّة هذا المعهد، وزجّت ببعض رجاله في السّجن بتهمة التّآمر على الحكومة والعمل ضدّها مع دول المحور، فكان علي بن ساعد من هؤلاء إلى جانب الشّيخ عبد العزيز الشّريف، والشّيخ عبد القادر الياجوري.

وبقوْا في سجن الوادي مدّة ثم نُقلوا إلى سجن الكديّة بقسنطينة حيث قبعوا به ما ينيف عن الثّلاث سنوات ونصف، ليُفرج عنهم ليعود علي بن ساعد إلى التّدريس من جديد في مدارس جمعيّة العلماء في مدينة بوفاريك قرْب العاصمة الجزائريّة، وبلدة الشّراقة ضاحيّة العاصمة.

تزوّج من أسرة محترمة من أُسَرِ مدينة البليدة، وبقي بأهله فيها حتى حصول الجزائر على استقلالها حيث انضمّ إلى سلك التّدريس من جديد كأستاذ للتعليم

الثّانوي في عدة ثانويات، وآخر ثانويّة كان يدرّس بها هي ثانويّة الأمير عبد القادر بالجزائر، قرب حي باب الوادي حيث أُصيب بالسّكتة القلبيّة.

كان رحمه الله شرسًا في مقاومته للبدع والضلالات، وصلبًا في مواجهة السّلطة الاستعماريّة الفرنسيّة وقد أصدر جريدة (الليالي) في العاصمة الجزائريّة 1936م إذْ كان قلمه سيفًا مُسلطا على رقبة السّلطة الفرنسيّة في الجزائر، وما لبثت هذه أن أوقفتها عن الصدور.

مقاطع من خطبة له:

"...إن الله عندما أبرزنا إلى الوجود خلقنا أحرارا في ذرّاتنا، أحرارًا في أفكارنا، أحرارا في عقيدتنا؛ وما ذاك إلاّ لبُعْدنا عن الوقوع في هاويّة التّقليد، لأن المقلّد لا إيمان له، وهبْ أنه له بعض الإيمان فهو ليس بقادرٍ على النّضال والدفاع عنه وقت الخصام، وكفانا على ذلك شاهدا ودليلا قول المولى جلّ وعلا: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغيِّ).

إن من الآفات التي تقعد بالأمم عن الأخذ بأسباب النّهوض هي من غير شكٍّ عدم إرسال النّظر فيما من شأنه أن يذود عن كيان الأمة، ويبعث فيها الشّعور، والإحساس اللذيْن بهما يعرف بنو الإنسان الواجب عليهم فيهبّوا مسرعين للقيام بأدائه، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، ولا مقالة عاذلٍ ولا يقوم بأداء الواجب إلاّ أحرار الفكر؛ فحريّة التّفكير تبعث في الشّخص الفهمَ، ومنْ فهم شيئا اعتقد، ودافع عنه، وصار عنده واجبًا لا بدّ من حمايته، والذبّ عنه، حريّة الفكر هي أساس النّجاح، والباعثة على الفلاح، فإذا تكوّنت في أمة من الأمم صيّرت فيها رجالاً أحرارًا، لا يخضعون لسلطانٍ إلاّ لسلطان الحقّ، ولا لقوّة إلاّ لقوة الحقّ فتمتلئ قلوبهم إيمانًا ويصبحوا إلاّ منهم أركانًا، فما على قادة الأمة وهُداتها المرشدين إلاّ أن يسعوْا سعيا جديًّا لإنقاذ أمتهم التي يعتبرون حياتها حياة لهم، وموتها موتًا لهم من هاويّة التّقليد، وأن يأخذوا بيدها إلى ميدان حريّة التّفكير، ويكون إرشادهم إلى ذلك بالغ الحدّ بتفهيمهم بالأدلّة العقليّة، والبراهين المدعّمة بالحجج القطعيّة.

فمنْ أخذ عنكَ فكرة تقليديّة، فلا تحسبْه يجود بنفسه للمدافعة عنها فيما إذا دعت الحال إلى ذلك السّبيل.

انتقل إلى جوار ربّه وهو يواصل رسالته في مرحلة (الجهاد الأكبر) أستاذا معلّمًا لأبناء الجزائر المستقلة (شهيد العلم والمعرفة) مثلما كان مجاهد العلم والمعرفة قبل الثّورة، ومجاهد الوطنيّة أثناء الثّورة.

تُوفّي يوم الجمعة 17 من محرّم الحرام سنة 1394 هـ الموافقة ليوم 08 فيفري 1974م عن سنٍّ ناهز 67 سنة إثر سكتة قلبيّة أثناء إلقائه الدرس في القسم أمام تلامذته بإحدى ثانويات الجزائر العاصمة. رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، وجازاه خير الجزاء عمّا قدّمه لهذه الأمة.

بشير خلف

■ علي خلّاصي
(1366هـ - 1947م/1442هـ - 2020م)

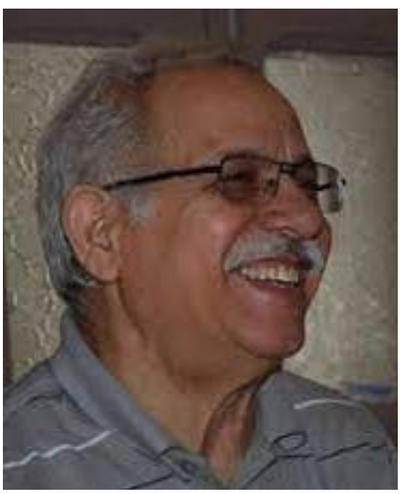
علي بن عمر بن رابح خلاّصي؛ ولد يوم: (09شوال1366هـ)،الموافق لـ(26 أغسطس-أوت1947م)،ببلدة:"ببرج الطّهر" بولاية(جيجل)، وقد ترعرع المؤرخ، والباحث في علم الآثار (علي خلاصي) في طفولته بقريته في ظلّ وجود الاستدمار الفرنسي؛ إذ تلقى تعليمه بمسقط رأسه ببلدة (ببرج الطّهر) كمعظم أبناء جيله في كتاتيب القرية؛ فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم.

وكان منذ صغره مُولعاً بالمطالعة؛ وقد نشأ نشأة وطنية وثقافية، وإسلامية؛ وقد اتسم بشخصية عصامية في جميع مراحل حياته؛ فقد اعتمد على نفسه، وعلى قدراته الذاتية حتى يُحقق أهدافه، وبعد أن حصل على الشّهادة الابتدائية انتقل إلى الجزائر العاصمة، وبدأ حياته المهنية بالتدريس في مدرسة المحافظين ببلدية(باش جراح) في الجزائر العاصمة، وقد عُرف، واشتهر بين طلابه، وتلامذته بتميزه في التدريس، وبعد أن انضم إلى الجامعة نال شهادة الدّكتوراه من جامعة الجزائر، وشهادة التأهيل في البحث من جامعة بغداد ، وأصبح من أبرز المهتمين بالتراث الثّقافي، والفني في الجزائر.

وقد نمّى شعوره الوطني في مرحلة مُبكرة من حياته، وانتمى إلى عدد غير قليل من الهيئات العلمية، والأكاديمية؛ حيث كان عضواً بارزاً في اتحاد المؤرخين الجزائريين، وكان من بين أعضاء اتحاد الكتّاب الجزائريين، كما اشتغل إطاراً في وزارة الثّقافة والإعلام لعدة سنوات؛ فقدم خدمات جليلة للتراث الثّقافي الجزائري، ولاسيما في مجال تخصصه المتصل بعلم الآثار، وقد توفي الأستاذ الدّكتور (علي خلاّصي)خلال شهر: (صفر 1442هـ)؛ المُوافق لـ(أكتوبر 2020م).

و من أهم الكتب التي صدرت للباحث، والمؤرخ الدّكتور(علي خلاّصي)؛ كتاب: "البحرية الجزائرية عبر العصور"، وقد صدر عام: (1405هـ/ 1985م)، وكتاب: "العمارة العسكرية لمدينة الجزائر" الذي طُبع بباريس،عام: (1405هـ/ 1985م)، وكتاب: "مصطفى بن دباغ: رائد الفن التطبيقي بالجزائر صدر سنة: (1413هـ/ 1993م)، وكتاب: "قصر رياس البحر" طبع عام: (1415هـ/ 1995م) وكتاب: "الجيش الجزائري في العصر الحديث" طبع سنة: (1428هـ/ 2007م)

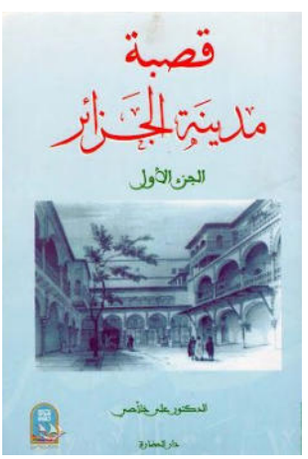
ومن بين المؤلفات الثّمينة للباحث والمؤرّخ (علي خلاّصي)؛ كتاب : "قصبة مدينة الجزائر" وهو بمنزلة موسُـوعة تاريخية شاملة عن القصبة، ويقع في جزأين، وصدر عن منشورات مؤسسة دار الحضارة للطباعة والنّشر والتوزيع بالجزائر، في طبعته الأولى، وذلك عام: (1428هـ/ 2007م).



وقد بيّن الدّوافع التي حفّزته على إنجاز هذا الكتاب، من خلال المقدمة التي دبجها في مستهله؛ حيث يقول: "...فقصبة الجزائر، أو القلعة التي اتخذت المدينة القديمة اسمها المستعار منه؛ تعتبر أكبر، وأجمل العمائر التاريخية في الجزائر على الإطلاق؛ لما حوته من أقسام متباينة، ومختلفة،سواء من ناحية البناء، والاستعمال، أو من ناحية الزّخارف، والأشكال، والتناسق في ترتيب أقسام هذه القصبة من جهة ثانية.

وتعتبر أيضاً أهم موقع تاريخي؛ لما ارتبطت به من أحداث سياسية، واقتصادية، وعسكرية كانت لها تأثيراتها على الأوضاع الدّاخلية، وعلى العلاقات السّياسية الخارجية، رغم هذه الأهمية التي انفردت بها القصبة؛ فإنها تعد من المباني غير المدروسة، والمجهولة من طرف الباحث الأثري، والمعماري؛ لأن وضعها الاستراتيجي، الاستراتيجي، وإشرافها على بروج المدينة، والميناء، حرّم على غير الحامية التي تقوم بحراستها الولوج إليها طيلة العهد العثماني بالجزائر، ثم أن أهميتها العسكرية كثكنة، ومقر لجنرالات الحملة الفرنسية زاد في عزلتها عن النّسيج العمراني للمدينة، وبهذا بقيّت من المعالم الأثرية المجهولة، وخاصّة من الجانب الأثري، حيث إن عمليات البحث، والتنقيب لم تبدأ إلا سنة:1978م، ومُحاولة للمساهمة في إبراز معالم هذه القصبة التي تعتبر رمزاً للسيادة الوطنية لفترة ما قبل الاستعمار؛ قمنا بدراسة تاريخية أثرية، ومعمارية لمختلف أقسامها، العسكرية والمدنية والدّينية والمرافق، أو الخدمات المشتركة العامة، وقد اعتمدنا الطّريقة الميدانية التي ترتكز على الوصف، والقياس، واستعنا بمختلف التحاليل المخبرية لمعرفة نوع، وقدرة تركيب المواد المستعملة في البناء، أو الزّخارف، مثل الملاط، والخشب، والزّليج، وقد أجريت هذه التحاليل بمخابر قسم صيانة الآثار التاريخية ببولونيا...".

ومن مؤلفات الدّكتور (علي خلاّصي) التي ركز فيها عل القضايا المتصلة بالتاريخ، وتاريخ الفن، وعلم الآثار، كتاب: "القلاع والحصون بالجزائر" وقد طبع عام: (1428هـ/ 2007م)، وكتاب: "النّحاس بين الفن والتاريخ"؛ الذي صدر سنة: (1430هـ/ 2009م) إضافة إلى مجموعة من الكتب الثّمينة، والتي نذكر من بينها: "قسنطينة: مدينة الجسور عبر العصور" و"منظومة الفداء بمدينة قسنطينة (مذكرات محمد كشود)" و"صناعة السّفن في الجزائر" كما أسهم في مجال الإبداع الأدبي، وكتب قصة طويلة موسومة ب: "سجينة بلا رقم" ومن مؤلفاته العلميّة المتميّزة، كتاب: "جيجل: تاريخ وحضارة"؛ الذي طُبع ضمن منشورات دار الحضارة للطباعة والنّشر والتوزيع بالجزائر، عام: (1432هـ/ 2011م)؛ وقد عرّف به في المقدمة بالقول: "يُمثل هذا الكتاب ملاحظات ميدانية، ويحكي زمن التاريخ المُتغيّر المُنتهي، المتمثل في الفعل التاريخي الذي يرتبط فيه الإنسان بإطار زمني ومكاني محدّدين، وحين يعشق الإنسان المكان يُصبح قادراً على صُنع المعجزة، وخاصة إذا ارتبط به ارتباط المصير، أو ارتباط الرّوح بالجسد؛ فالصّيرورة التاريخية تعتمد في سيرها على الجزئيات التاريخية الجهوية، والوطنية...هذه هي منطقة جيجل، بتاريخها الزّاخر، ورصيدها التراثي والثّوري المجيد، وطبيعتها الخلابة، وثرواتها المُتنوعة، وفنونها، وتقاليدها الشّعبية المُتنوعة، والأصيلة؛ التي تؤهلها لأن تلعب أكبر الأدوار في المجالات الثّقافية والاقتصادية، وخاصة السّياحية؛ المنطقة التي جعلت كل زائريها يتمنون العودة إليها قبل مغادرتهم لها؛ لأنها لم تنزع عنها عذريتها بعد، ولكونها أيضاً لم تستفق من سُبات طويل، رغم كون المادة الرّمادية في عقل الأمة الجزائرية مُشكلة بنسبة جيّدة من أبناء هذه المنطقة..." .



ومن بين ما جاء في وصف الباحث والأديب (رابح خدوسي) لهذا الكتاب لدى تقديمه له، قوله : "وعندما نطالع هذا الكتاب: (جيجل تاريخ وحضارة) للدّكتور علي خلاّصي، نقول من لم يقرأه لا يعرف جيجل الحقيقة، والتاريخ، والحضارة، ولا يكتشف كنوزها وأسرارها مهما عاش؛ إذ كلّما طالعت هذا المؤلف(جيجل تاريخ وحضارة) ازددت لها حُباً، وبها انبهاراً؛ لأن هذا البحث القيّم يُعد كما قال عنه أحد الأصدقاء: من بين الكتب التي تعرّضت للماضي التّاريخي لمنطقة جيجل، بكل حقبها، وبعُمقها الحضاري، وبمميزات شعبها، وتمركز قبائلها، وذكر فطاحل أعلامها، وانتشار زواياها، وتعدّد مشاربها، وطرقها، وخصائص بيئتها، وبالتالي فإن هذا الكتاب يعتبر مرجعاً أساسياً للبحث الأثري، والدّراسات التاريخية، وإثراء علمياً للمكتبات بداخل الوطن وخارجه...؛ فولاية جيجل المشهود لها بتاريخ عميق، وتراث ثقافي، وزخم ثوري متجذر، وبجمال طبيعي فتان، كتباين الفصول الأربعة فيها، وتعرّجات الأودية البديعة والشّريط السّاحلي الأخاذ،

والحظائر الطّبيعية المُصنّفة على قائمة التّراث الطّبيعي، فضلاً عن الهياكل القاعدية العديدة... إن هذا المؤلف الهام لبنة تضاف إلى صرح رصيد المكتبة التاريخية بالجزائر، وهو جدير بالمطالعة والدّراسة؛ لما فيه من معطيات جديدة لمنطقة قديمة، فهنيئاً لجيجل، وللمؤلف، وللقراء بهذا الإنجاز المعرفي الكبير... ".

وقد ركز الدّكتور (علي خلاّصي) جهوده في المراحل الأخيرة من حياته على جمع المعلومات المتصلة بوقائع ثورة التحرير الجزائرية في منطقة الشّمال القسنطيني؛ فأصدر كتابا ثميناً، وسمه ب: "الثّورة الجزائرية في الشّمال القسنطيني"؛ وذلك نظراً لإدراكه للدور الكبير الذي نهضت به هذه المنطقة أثناء ثورة التحرير الجزائرية؛ فقد اشتهرت منطقة (الميلية) باسم:"مملكة الفلاقة"، وهي التسمية الذي أطلقها (الجنرال شال)؛ القائد العامّ للقوات المسلحة الاستعمارية بالجزائر على المنطقة؛ بسبب كثرة العمليات العسكرية بها، وبسبب الصّعوبات الجمة التي واجهها جيش الاحتلال الفرنسي بها؛ حيث جاء في كتاب: "الوقت الضّائع" في الفصل الذي يتحدث فيه(الكولونيل ترانكي) عن مخطط شال،قوله متحدثاً لترانكي: " سأعطيك قيادة المنطقة الأكثر صعوبة في الجزائر،إنها الميلية. لقد مات بها عدّة قواد، الكولونيل ماري الذي كان يحكمها اغتيل على بعد مائة(100) متر من المدينة، إنه ثاني كولونيل يقتل في المنطقة(الميلية)، بالإضافة إلى اثنين من متصرفي المنطقة قتلا في مكتبهما. في العام الماضي قمنا بعملية استلزمت مجموعات كاملة لم نحصل خلال أيام عديدة إلا على بندقية صيد، شيء مضحك، ومؤسف في الوقت نفسه.هذا ما لا أريده أن يتكرر.الميلية... إنها مملكة الفلاقة. هنا أريد أن أنهي الحرب، عندما تتغلب على تلك المنطقة عند ذلك ستنتهي الحرب...". ومن خلال كلام(الجنرال شال) يتضح الدّور الكبير الذي لعبته منطقة (الميلية)أثناء ثورة التحرير المباركة إلى درجة أنه يربط انتهاء الثّورة الجزائرية بالقضاء على منطقة (الميلية).

يقول عنه الأستاذ الشّاعر (سُليمان جوادي): "...هو واحد من المُؤرخين المُهتّمين بعلم الآثار الذين حافظوا على ذاكرة الجزائر، واجتهدوا في تقديمها للأجيال بكل حياد".

ويصفه الأستاذ والباحث، و الإعلامي (محمد بوعزارة)، بقوله : "...جمعتني به صداقة عميقة تعود إلى بداية سبعينيات القرن الماضي؛ الدّكتور علي خلاّصي صاحب الابتسامة الدّائمة...هذا الباحث المهووس بالتاريخ، والتراث تختطفه منا الكورونا اللعينة دون أن تُمكّنه من مواصلة بحوثه الجادة، ومؤلفاته في تاريخ هذا الوطن؛ لقد ترك الرّاحل أعمالاً ثمينة، و قد كان إلى جانب أخيه الرّائع محمد خلاصي واحداً من الإطارات المُميزة في وزارة الثّقافة والإعلام، عندما كانت وزارة واحدة؛ فقد عمل مع كثير من الأسماء الثّقيلة التي تولت تلك الوزارة التي كان يتولاها رجالات فكر، وثقافة، وتاريخ، من أمثال: عبد الحميد مهري، ومحمد بن يحيى، وعبد المجيد مزيان، وبوعلام بالسّايح، ورضا مالك –رحمهم الله–...".

محمد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

– –علي خلاّصي: قصبة مدينة الجزائر، الجزء الأول والثّاني، منشورات مؤسسة دار الحضارة للطباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر، ط:01، 2007م.

– –2 علي خلاّصي: جيجل تاريخ وحضارة،منشورات مؤسسة دار الحضارة للطباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر،ط:01، 2011م.

علي بن صالح (أبو الحسن) (1324هـ - 1906م/1409هـ - 1988م)

شاعر ومربِّي، ولد بالگرارة بميزاب، وترعرع في أحضان عائلة محافظة، حفظ القرآن الكريم على يدّ الشّيخ محمّد بن إبراهيم قرقر (الطّرابلسي)، وهو لا يتجاوز سنَّ الثّانيّة عشرة.

ولـمَّا رأى فيه والده النّجابة أخذه إلى تونس، ليلتحق بالبعثة الميزابيّة الثّانيّة سنة 1917م التي يرأسها الشّيخ أبو اليقظان إبراهيم، فتابع دراسته في مدرسة السّلام، ثمَّ في المدرسة الخلدونيّة، وأخيرا بجامع الزّيتونة، ومن أترابه في تونس مجموعة من الطّلبة المزابيين الذين سيكون لهم



مقام في العلم والأدب والسّياسة في مزاب والجزائر أمثال، منهم: صالح بابكر، وسليمان بوجناح الفرقد، ومفدي زكرياء، ورمضان حمّود، وبوراس عبد الله الكاملي

في سنة 1923 عاد إلى أرض الوطن قاطعاً دراسته لظروف اجتماعيّة، فواظب على حلقات العلم في معهد الشّيخ إبراهيم حفّار، وتعمّق في الدّراسات اللغويّة والفقهيّة على المذهب الإباضي، وممّا درس على الشّيخ حفّار: النّيل في الفقه والأشموني في اللغة

انتدب بعدها للتدريس في مدينة بسكرة وفيها كوّن جمعيّة خيريّة، وفتح مدرسة حرّة، ولم يكمل مشواره التّعليمي بها، بل عاد إلى الغرارة ثانيّة، وساهم في حمل مشعل التّعليم بالمدرسة الرّسميّة عند نشأتها.

يُعتبر من رواد التّعليم الحرّ بوادي مزاب والجزائر، فقد درّس بعدّة مدارس حرّة منها:

- المدرسة الحرّة ببسكرة (1928م ـ 1931م).
- مدرسة العرفان ـ تدّارت نتنجّارت ـ بالغرارة (1931م ـ 1936م).
- المدرسة الحرّة بغليزان (1936م ـ 1937م).
- مدرسة المسجد بقصر مليكة (1938م ـ 1942م).
- مدرسة السّيد بليدي بوكامل محمّد بن عبد الله بغرداية (1942م ـ 1944م).
- مدرسة السّيد بليدي بوكامل محمّد بن عبد الله بالأغواط (1945م ـ 1947م).
- مدرسة جمعيّة الدّعوة والإرشاد ـ مدرسة تاجّيوين ـ تابعة للمسجد العتيق بغرداية (1947م ـ 1952م).
- المدرسة الإباضيّة الحرّة بسوق أهراس (1952م ـ 1956م).
- مدرسة المسجد بمليكة (1957م ـ 1961م).
- بعد الاستقلال 1962م انخرط في التّعليم الرّسميّ إلى تقاعده سنة 1971م، فدرّس بـ:
- تكميليّة ابن عومار بالقبّة.
- تكميليّة القبّة المركزيّة.

كانت له دورات تدريبيّة دوريّة للأساتذة بثانويّة حسيبة بن بوعلي بالقبة.

يعتبر ممّن طوّروا نظام التّعليم بوادي مزاب، فهو أوّل من استخدم السّبورة والمنضدة والطّبشورة في ميزاب، بمدرسة العرفان بالغرارة.

كان من أوائل من اعتنى بتعليم الخطّ المشرقي في المدارس.

عمل على تطوير النّشاط الثّقافي للتلاميذ، فقام بتأليف عدّة مسرحيات وأناشيد، وقدّمها تلاميذه في مختلِف المناسبات.

من أواخر سنة 1955م إلى سنة 1962م كانت له مشاركة فعّالة في الثّورة التّحريريّة في الغرارة ومليكة هو وزوجته المجاهدة: عبّاس ستّي بنت بكير، فلاحقه الاستعمّار بإلحاح، لِما رأى فيه من جرأة وإخلاص في خدمة الدّين واللغة العربيّة، وكان ذلك سببا لعدم استقراره، فاشتغل في كلٍّ من مدارس: بسكرة، والغرارة، وغليزان، وغرداية، والأغواط، ومليكة، وسوق اهراس.

وقد اعتقل في الأربعينيات، ولم يطلق سراحه إلاّ قبيل اندلاع الثّورة التّحريريّة في 1954م، ولـمَّا تكوَّنت الولايّة السّادسة كان من الأوائل الذين التّحقوا بجبل (بوكحيل) قرب بوسعادة، وله في العمل الثّوري مواقف مشرِّفة.

سبَّب له هذا النّشاط الاضطهادَ، فكان منزله من الأماكن التي يتردَّد عليها الثّوار، وتعرَّض لعنت شديد: فقد ألقي القبض على ولديّة بكير ومحمّد، بينما فرَّ هو وتخفَّى بالعاصمة، فتشتَّت شمل العائلة عبر التّراب الوطني، ولم يتجمَّع إلاّ بعد الاستقلال سنة 1962م.

له اتصالات ولقاءات مع رجال الفكر أمثال: الشّيخ عبد الحميد بن باديس، والشّيخ الطّيب العقبي، والشّاعر محمّد العيد آل خليفة.

وكان من المواظبين والمساهمين في نشاطات نادي التّرقّي بالعاصمة.

نشر قصائده الشّعريّة في جرائد أبي اليقظان وغيرها، وشعره مرآة لأحداث عصره، فلا تمرُّ مناسبة دينيّة أو وطنيّة إلاّ وقال فيها شعرا.

من آثاره:

- ديوان أبي الحسن علي بن صالح، (مط).
- ديوان المآسي وأين الآسي، (مط).
- ديوان شاعر ثائر، (مخ).
- مجموعة كبيرة من القصائد، (مخ).
- مجموعة أناشيد ملحّنة كان يؤدّيها تلاميذه في المناسبات المختلفة.
- مجموعة مسرحيات منها:
- هجرة الرّسول (نثراً)، (مخ).
- بلال وأميّة (شعراً)، (مخ).
- طارق ولُذريق (شعراً)، (مخ).
- ماسحو الأحذيّة (مسرحيّة تصوّر واقع الطّفل الجزائري زمن الاستعمّار).
- مجموعة من الوثائق والتّقارير والمقالات.
- مذكّرات ورسائل هامّة.

قال عنه الأستاذ مصطفى بكير حوّاش: "رجل عظيم، شاعر مُجيد، قلّما يجود الدّهر بأمثاله، رجل لا كالرّجال، قضّى حياته في رحاب العلم والتّربيّة والمعرفة، من الأفذاذ الذين عُرفوا بالتّميّز ينظِم الشّعر الرّصين بأسلوبه المتمكّن وعباراته الجزلة، لاحقه الاستعمّار بإلحاح لما رأى فيه من جُرأة وإخلاص في خدمة الدّين واللغة العربيّة، وله في العمل الثّوريّ مواقف مُشرّفة، وله اتصالات ولقاءات مع رجال الفكر والدّين، موسوعة قائمة بذاتها، لا تكاد تسأله عن معضلة إلاّ وجدت الجواب حاضرا، له شعر في أغلب الأغراض يفيض بالصّدق، ويدلّ على تمكّن صاحبه من النّظم الصّحيح مع ثراء في اللغة، وديباجة صافيّة، ودقّة في الوصف"..

انتقل الشّاعر إلى رحمة الله بغرداية يوم الثّلاثاء 25 محرّم 1409هـ/ 06 سبتمبر 1988م، ودفن بها بمقبرة الشّيخ باعيسى وعلوان.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- ناصر عمر: ترجمة أبي الحسن علي بن صالح، 3ص؛
- علي بن صالح: رسالة للشيخ إبراهيم متياز، وقصيدة في مدحه (24 بيتا)، بتاريخ 25 شوال 1344هـ / 8 ماي 1926م؛
- معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التّراث، المطبعة العربيّة - غرداية، ط1، 1999، ج3، ص591.

علي بن عبد الرّحمن بن محمّد بن والي الدزيري
(1251هـ - 1835م/1906هـ - 1896م)

هـو العلامـة المقـدم الجليـل الشّـيخ أبو الحسـن علـي بـن عبـد الرّحمن بـن محمّد بـن والي الجزائـري وجـارا، الوهراني دارا، العباسـي نجـارا (طريقـة) الشّـهير بلقـب (شويوش) تصغير شاويش، ولد في الجزائر العاصمـة بتاريـخ التاسـع محرم سـنة 1251 هجريّة الموافق للسّادس (6) ماي 1835 كما هو عندنا في سجل التشريفات - مخطوط-

أخذ الشّيخ علي بن عبد الرّحمن عن عدة شيوخ، ومن أبرزهـم:

- العلامـة أبـو الحسـن مصطفى بـن أحمد المعـروف بابن الأمين الحرار، نسـبة لخدمة الحرير، كانت وفاته سنة 1273هـ.
- العلامـة المتفنـن والفقيـه المحـدث، والكاتـب البليـغ، والمـدرس المحقـق القاضي الشّـيخ حميـدة بن محمّـد العمالي نسـبة إلى ناحيّـة مرتفعات جبـل عمال قرب الجزائـر العاصمة، له ترجمة حافلة في رحلة المشـرفي (ذخيرة الأواخـر والأوائل) توفي سنة 1290هـ الموافق لـ1873م.
- له كناش في إجازته العمليّة، توجد نسـخة منه في زاويّة البوعبدلي ببطيوة.
- ومن شـيوخه في العلـوم العقليّـة والنقليّة محدث الجزائر، ومسـندها وشـيخ الجماعة ومفتـي المالكيّـة بهـا أبـو الحسـن علـي بن عبـد الرّحمن بن حفـاف الذي تلقـى علومه عـن أبيه، وعـن الشّـيخ العربـي بـن حسـن فرصـادوا، وعلامـة القطـر الإفريقي الشّـيخ إبراهيـم الرّياحـي، وأجـازه الإمـام محمّـد صالح بن خيـر الله الرّضوي البخاري عندما حل بالجزائر سنة 1261هـ، وهي عندي بخط تلميذه القاضي شـعيب التلمسـاني أجاز هو بدوره محمّد بـن سـليمان الندرومي بتاريخ 20 صفر 1331هـ
- أبو المكارم الشّيخ محمّد العربي بن السّائح الشّـرقي العمري نسـبة، التجاني مشربا، كان مـن العلمـاء العامليـن، والأوليـاء الكامليـن والعارفيـن الواصليـن، والهاديـن المهتدين، والرّاشـدين المرشـدين، وهـو أحـد خلفـاء الشّـيخ سـي أحمد بن محمّد بـن المختار بن سالم التجاني المتوفى عـام 1230هـ.

نظـرا لتمكـن الشّـيخ مـن العلـوم والمعـارف، فقـد أخـذ عنـه صفـوة مـن الأمة منهـم

- عبـد الحليـم بـن علـي بـن عبـد الرّحمـن المعـروف بابـن سـمايّة المولـود سـنة 1866 م، وأخـذ عنـه جملـة مـن العلـوم والمعارف، وقـد أجازه الشّـيخ علي بن عبـد الرّحمن نظرا لتحصيـل، وخاصـة فـي الصحيح البخـاري .
- الشّـيخ الحـاج بلقاسـم ابـن الطيـب عبـد القـادر المدعـو أبو كابـوا، أخذ معظـم علومه ومعارفـه عـن الشّـيخ علي بـن عبـد الرّحمن، وكان يثنـي عليـه ثنـاء جميـلا لأنـه لـم يعرف حقيقـة العلـم إلا بمجالسّـته، توفـي الشّـيخ ابـن كابـوا سـنة 1953م وكانـت ولادتـه سـنة 1279هـ.
- الشّـيخ الجليـل الحـاج عبـد القـادر بـن مصطفـى ابـن عـودة محمّد بـن قارة الشّـريف الحسـني مـن جهـة جدتـه لأبيـه، المولـود بتاريـخ 1862 بمسـتغانم، وقد أخذ عن الشّـيخ علـي بن عبـد الرّحمن مـن العلـوم والمعارف خاصـة عندمـا كان يتـردد مترجما علـى مدينة مسـتغانم لوجـود كثيـر مـن أصفائـه وأحبابـه هنـاك، وقد عين الشّـيخ بـن قارة المسـتغانمي إماما ومدرسـا فـي الجامع الأعظم بمسـتغانم بعـد وفـاة الشّـيخ محمّـد بـن عمـر المـدرس الرّسـمي، وكان سـنه 25 سـنة رحمـه الله رحمـة واسـعة .
- ومـن علمـاء المغـرب الذيـن أخـذوا عـن الشّـيخ أبـو عبـد الله محمّـد سـكيرج أخ العلامـة القاضـي سـيدي أحمـد بـن الحـاج العياشـي سـكيرج صاحـب الرّحلـة الحبيبيّـة الوهرانيّـة وكان لا يذكـر شـيخه إلا بالصفـات والأخـلاق الحميـدة .
- ومـن علماء تونـس الفقيـه الأديب المسـند الرّحالـة أبو عبد الله محمّد الخليفـة المدني، أصلـه مـن تونـس والمعـروف بالمسـعودي، روى عـن الشّـيخ علي بن عبـد الرّحمـن ثبته، وكان جامعـا للكتـب والدواويـن بالشّـراء والاستنسـاخ فحصـل علـى عـدة صناديـق ضاعـت وتفرقـت بموته في مكنـاس المغرب الأقصى غريبـا عن وطنه الأصلي سـنة 1313 .
- العلامـة الصوفـي الحـاج أبـو حفـص عمر ابـن الطالـب بـن سـودة أجـازه الشّـيخ علـي إجـازة عامـة .
- الشّـيخ الفقيه المشـارك أبو القاسم محمّد الحفنـاوي صاحـب تعريف الخلـف برجال السّلف المتوفى سنة 1941 م،
- القاضـي أبـو بكـر شـعيب بـن علـي الجليلـي، أصلـه مـن قريّـة سـبع شـيوخ الواقعـة قـرب الفحول مـن ناحيّة تلمسـان، أجـازه سـيدي عبـد الرّحمـن فـي الطريقـة وخاصـة صـلاة الفاتـح، وأشـار إلـى ذلـك القاضـي شـعيب فـي إجازتـه لمحمّـد النابلسـي، ويشـير لـه فـي إجازاتـه لتلاميذه بالوهرانـي، نظـرا لاسـتقراره بهـا.

رحلته لغير العلم:

قدومـه إلـى مدينـة وهـران نظـرا لمـا اشـتهر بـه مـن شـيوخه وأقرانه مـن التضلع فـي علـوم الشّـريعة كالحديـث والفقـه، والاضطـلاع الواسـع، وتمسـكه بالطريقـة المحمّديّـة وخاصـة الفتوحـات المكيّـة وجـوار المعانـي، ومـا عـرف به مـن التبحر فـي فنـون الأدب كالعـروض والقوافـي والبلاغـة وحسـن السّـيرة مـع الاسـتقامة، وعلـو الهمـة أسـند إليـه منصـب الإفتـاء بوهـران، وذلـك بعـد وفـاة الفقيـه المفتـي الحـاج احميـدة بن قايـد عمر سـنة 1870 م، وقـد انتقـل إليهـا مـع أسـرته ووالدتـه التي توفيـت بمدينـة وهـران بالرّوضـة.

ولمـا حـل بمدينـة وهـران، سـمي مفتيا بالجامـع الكبيـر أو مسـجد الباشـا، والـذي تسـميّه العامـة عندنـا بمسـجد التـرك، وقد أسسـه البـاي محمّد بن عثمـان الكبير سـنة 1796 بأمـر مـن باشـا الجزائـر الـداي بابـا حسـن، تخليـدا لفتـح وهـران الأكبـر

أخـذ عنه كثيـرون منهـم الشّـيخ القاضي شـعيب وأجـازه وممـن أخـذوا عـن هـذا الشّـيخ أعنـي بـن سـمايّة، فقيـه الجزائـر.

للشـيخ عـدة مؤلفـات وقـد كان الشّـيخ بلقاسـم قائما عليهـا بعد وفاتـه، البعض من هـذه المؤلفـات يوجـد فـي خزائـن تلاميذه

او تلاميذ تلاميذه، ونظرا للخصوصيّة لم اذكرهم، ومن هذه المؤلفات .

- لقطة المبتدى:

وهو كتاب في علم العروض، ونظرا لقيمته الأدبيّة اتخذته جامعة القرويين من ضمن الكتب المقررة، وقد صرح بهذا الفقيه محمّد بن أحمد الحرشوي الندرومي (ت 1313هـ/ 1896م) في مؤلفه تحفة الأكياس في أجوبة عن كيفيّة التدريس بفاس

- ثبت:

وهو عبارة عن فهرس لشيوخه ومرويا ته، وأغلبها عن الشّيخ الحرار العاصمي، توجد نسخة منه عند أستاذنا الشّيخ الفقيه المحدث الدكتور طالب عبد الرّحمن - عضو المجلس الإسلامي الأعلى -، وقد أجازني بسنده - في الفقه المالكي خاصة - عن شيخه بخالد بن كابو عن شيخه الحاج بلقاسم بن كابو الوهراني عن العلامة علي بن عبد الرّحمن العاصمي ثم الوهراني بسنده .

- كناش:

فهو يشتمل على الأحداث التي شاهدها صاحب الكناشة وأشعاره ومساجلاته الأدبيّة وفوائده، ويسميها بعضهم الزمام والبطاقات. وهي أوراق كالدفتر تقيد فيها الفوائد والشّوارد للضبط. وهو أشبه أيضا بما عرف بالمشرق من تذكرات

- مراسلات:

وقعت له عدة مراسلات مع شيوخ طبقته، كمراسلة مع الآغا بن عودة المزاري صاحب سعد السّعود، ومنها مراسلات مع بعض تلاميذه كالشّيخ ابن قارة مفتي مستغانم، ومنها مراسلات مع بعض أحبابه من شيوخ الطريقة الأحمديّة كالشّيخ عبد اللاوي،

توفي الشّيخ في 24 رمضان 1324 الموافق لـ 11 نوفمبر 1906م، ودفن في الرّوضة التي تسمى اليوم مقبرة ابن داود الواقعة في الجانب الأيسر للزاويّة الطيبيّة الوزانيّة حيث يوجد ضريح سيدي الحسني، وكان ضريح سيدي عبد الرّحمن الجزايري.

بن الدين بخولة

المصادر:

- الترجمة: عند الأستاذ بليل حسني، والترجمة الموجودة في موسوعة أعلام الجزائر 1830 1954- للأستاذ بليل حسني.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، ط 1.

علي بن عتيق الخزرجي
(523هـ - 1129م/598هـ - 1202م)

أبو الحسن بن مؤمن علي بن عتيق بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن محمّد بن مؤمن الأنصاري الخزرجي القرطبي ثم الفاسي، من ولد عبادة بن الصّامت من أهل قرطبة، يكنى أبا الحسن. فاضل، من أهل قرطبة ولد عام 523هـ. أحد المكثرين، راويّة ومحدثا، موسوعي الفكر له معارف في الطّب وألف فيه وفي الأصول والفقه والحديث والقراءات وله في نظم الشّعر والادب، فلابن مومن روايّة واسعة جدا، كما أن له في ميدان التّأليف خطو واسع. أخذ القراءات عن: أبي القاسم بن الفرس، وأبي العبّاس بن زرقون، وأبي جعفر البطروجي وروى عن: أبي الحسن بن مغيث، أبي القاسم بن بقي، وأبي عبد الله بن مكي، وأبي بكر بن العربي، وأبي الحسن بن موهب، وأبي عبد الله بن معمر وأبي بكر بن الخلوف، وأبي مروان بن مسرة، وأبي الحكم بن غشليان، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وأبي الحسن بن الطّلاء وأبي أسحاق بن رشيق، وروى عن الرّشاطي وسمع بالاسكندريّة من أبي طاهر السّلفي، وعبد الله بن الحضرمي، وغيرهما .

قال ابن الأبار: "قرأت بخطه أن شيوخه ينيفون على مائة وخمسين أكثرهم أعلام مشاهير"وقد سرد أسماهم ابن عبد الملك فبلغ بهم اثنتين وخمسين ومائة شيخ؛ منهم من سمع منه وأجازه، ومنهم من أخذ عنه ولم تذكر له منه إجازة، ومنهم من أجازه فقط ثم قال بعد استتمام أساميهم "ضمنهم برنامجه" يعني: برنامج شيوخه "بغيّة الرّاغب "

روى ابن مومن عن كبار المشايخ شرقا وغربا، فممن أخذ عنه وأجازه، أو أجازه فقط أبو بكر بن العربي، وأبو طاهر السّلفي، وأبو الوليد الدّباغ، وأبو القاسم ابن بشكوال، وممن أخذ عنه ولم يذكر إنّه أجازه - فيما قاله ابن عبد الملك -: أبو الحسن الشّلطيشي وأبو الحسن هذا هو: علي بن أحمد بن محمّد بن عثمان بن يحيى الكلبي المشهور بابن القابلة، ترجمه ابن عبد الملك في الذيل والتّكملة وقال: "روى بإشبيليّة عن أبي بكر بن العربي وأبي الحسن شريح وغيرهما، وبقرطبة والمريّة عن جماعة وافرة من علمائها وبغيرها من بلاد الأندلس، ثم رحل وحج وأخذ عن أبي الطّاهر السّلفي وأبي عبد الله محمّد بن حامد القرشي، ثم قفل إلى الأندلس وجلب فوائد منها "المصابيح" لأبي محمّد بن مسعود روايته عن ابن حامد المذكور عن المصنف فنزل قرطبة سنة تسع وثلاثين وصادف الفتنة التي أثارها أخوه فخاف الحاج على نفسه واختفى أشهراً بقرطبة عند صديقه أبي بكر بن عتيق بن مؤمن لخلة كانت قد تأكدت بينهما أسبابها، فأخذ عنه حينئذ أبو الحسن بن أبي بكر بن مؤمن"ثم وصف ابن القابلة بأنّه كان "مشاركاً في فنون من العلم كالحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام والطّب، شاعراً مجيداً" قلت: واختصاص ابن مومن بابن القابلة أشهرا يأخذ عنه إبان

اختفاء الثّاني ببيت والد الأوّل يوجب أن يكون قد حمل عنه علما كثيرا .

وقد سمع من ابن مومن جماعة كبيرة، حتى احتاج إلى بعض ما عنده بعض الأكابر منهم: أبو الحسن بن المفضل ذكره ابن الأبار وقال: "سمع من الاسكندريّة الحديث المسلسل في أخذ باليد "وقد رأيت أيضا شيئا آخر من روايته عنه في ذيل تاريخ بغداد وابن المفضل إمام الكبير، وحافظ شهير، وهذا السّماع دليل فضل المسموع منه، فقد قال ابن عبد الملك: "تقدم ذكر استجارة بعض شيوخه الإسكندريين إياه، وفي ذلك من شرفه والشّهادة له بالجلالة ما لا خفاء به "وعلاوة على ما سبق فقد امتلأت كتب التّراجم، بحسن الثّناء على ابن مومن بجودة التّصرف في العلوم، ومن أدل ذلك على المقصود ما ذكره عنه إمامان جليلان عاصراه أحدهما ناقد كبصير أخذ عنه، وهو الحافظ أبو الحسن بن القطان وثانيهما: المؤرّخ أبو العبّاس بن هارون . فأما ابن القطان فقد ذكره في برنامج شيوخه فيما نقله ابن عبد الملك وقال عنه: "كان متقنا في علم الرّوايّة وذا معارف سواها من علم الكلام والتّوثيق والطّب، وكان شاعراً "أما أبو العبّاس بن هارون: فنقل عنه ابن عبد الملك قوله: "أدركته عفا الله عنه، في رحلتي إلى فاس وهو ممن كتب الكثير وأدرك شيوخاً جلة وتجول مع أبيه وكان من أهل العلم ودخل كثيراً من مدن الأندلس في أوّل فتنة اللمتونيين، واستجار له أبوه كثيراً من الشّيوخ؛ وكانت هذا معارف وإدراك وعنايّة بالعلم وله شعر صالح ومصنفات في غير ما فن من الأصول والطّب والحديث والرّجال وبرنامج روايته حفيل، وحج ولقي أبا الطّاهر السّلفي ونمطه من كبار المسندين، وكتب عنه عدّة رجال بالمشرق، وعمر طويلاً حتى ناهز السّبعين" وقال ابن عبد الملك: "كان محدثاً راويّة مكثراً، عني بهذا الشّأن طويلاً وبخت فيه، حاضَر الذكر للآداب والتّواريخ عموماً، وخصوصاً تواريخ المحدثين، ماهراً في علم الكلام والطّب موفق العلاج، بارعاً في التّعاليم أديباً شاعراً حسن التّصرف، متقدماً في صنعة التّوثيق وفي ما كان ينتحله من العلوم" قال ابن الأبار: "وكان يبصر الحديث والقراءات ويشارك في علم الطّب ونظم الشّعر":

لابن مؤمن مصنفات ومنظومات، نَصّ عليها مجملة المنتوري وذكر إنّها من جملة مروياته، ونَصّ ابن الآبار على موضوعات بعضها فقال: "له تآليف في الطّب والأصول والأدب، ومما وقفت عليه من ذلك منصوصا على عنوانه: برنامج شيوخه الكبير وعنوانه "بغيّة الرّاغب ومنيّة الطّالب" أثنى عليه ابن عبد الملك كثيرا ووصفه وصفاً بديعا، وهو من مصادره في كتابه الذيل والتّكملة وقال عنه: "هو برنامج حفيل أودعه فوائد كثيرة كاد يخرج بها عن حدِّ الفهارس إلى كتب الأمالي المفيدة، وقفت على نسخةٍ منه بخطه في ثمانيّة عشر جزءاً أكثرها من نحو أربعين ورقة، واقتضبه في ثمانيّة أجزاء من تلك النّسبة وقفت عليه أيضاً بخطه ورأيت نسخة أخرى من الأصل في سفرين كبيرين ويكون هذا البرنامج في حجم "جامع التّرمذي" أو أشف وعرف فيه أحوال رجاله الذين روى عنهم وذكر أخبارهم ومناقبهم ومراتبهم في العلم وسيرهم وأخلاقهم وأسند عن جمهورهم أحاديث وحكايات وأناشيد وأدعيّة وطرفاً مستطرفة، فجاء كثير الإمتاع منوع الفنّون والأغراض وصدره بطرف صالح من بيان فضل العلم وصناعة الحديث وطرق الرّوايّة وكيفيّة الضبط، إلى غير ذلك من آداب علميّة وفوائد حديثيّة نافعة "في كتاب ابن عبد الملك نقول عن هذا البرنامج يظهر أن منها هذا النّص: "قال أبو الحسن بن مؤمن: لما اجتمعت بالحافظ أبي الطّاهر السّلفي ودخلت إليه في منزله أكرمني وأبدى لي مبرة وإقبالاً وأثنى على أهل الأندلس خيراً ثم سألني عن حوائجي، فذكرت له مقاصدي وأن جل قصدي بتلك البلاد لقياه والأخذ عنه، فأنعم بذلك ووعدني بكل خير.

تقدم أن هذا الإمام كان واسع الرّحلة، وافر المشيخة، كثير المروي، ولما كانت الفنّون في زمن المؤلف قد دخلت إلى المصنفات ومضى عليها كذلك قرونا ذوات عدد، وصار الاعتماد في الرّوايّة على الكتب المصنفة، والدّواوين المؤلفة، كان جميع ذلك مقتضيا أن ابن مومن مكثر جدا، كما يدل عليه ما سبق تقريره كثرة الشّيوخ، وطول الطّلب، وذلك كله مستلزم بلا ريب لكثرة المروي. ومنها أيضا ما نقله التّيمي في المستفاد: "أخبرني الشّيخ الحاج أبو الحسن، علي بن عتيق رحمه الله تعالى، قال: لما وصلت إلى مكة اجتمعت بالشّيخ أبي الحسن، علي بن حمود المكناسي، وقلت له: ما الآيات البينات التي في البيت ؟ فقال لي: ذلك كثير لمن تأمله واعتبر. لا يكاد يمر به يوم من الأيام إلا رأى فيه آيّة. فوصف من ذلك أشياء . فلما وصف إنّه قال: كنت مرة أطوف في ليلة مظلمة في جوف الليل والمطاف ليس فيه إلا قليل من النّاس. فبينما أمشي، إذ رأيت هراً مقبلاً يمشي على جنبه، أكثر مما على قدميه من ريح أصابه أو علّه، ويسمع له مثل الأنين، فجاء حتى صار تحت الحجر الأسود، فرقد هنالك فتركته ومشيت، فلما عدت وجدته في موضعه، فجزته فإذا خلفي رجل، فهزه، فقام الهر يمشي، كأنما نشط من عقال، يجري سريعاً وما به شيء. فعلمنا إنّه جاء يستشفي فتعجبت من ذلك".

توفّي الفقيه أبو الحسن بن مؤمن علي بن عتيق بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن محمّد بن مؤمن الأنصاري الخزرجي القرطبي ثم الفاسي قبل سنة 600 أي عام 598هـ.

تسعديت لحول

المصادر:

- ابن السّرار، ابن القطان – المشيخة 12 13 14 المنشورة في ميثاق الرّابطة .
- ابن رشد الفهري، السّنن الأبين والمورد الأمعن، تح صالح المصراتي، ط1، مكتبة الغرباء الأثريّة.
- خير الدّين الزّركلي، ترتيب الأعلام على الأعوام، تع زهير ظاظا، المجلد الأوّل .
- ابن الأبّار، التّكملة لكتاب الصّلة، الجزء الخامس.

■ علي بن عثمان المنگلاتي الزّواوي (ت: 1344هـ - 1412م)

علي بن عثمان المنگلاتي البجائي. يُكنى بأبي الحسن ويعرف بالزّواوي نسبة لقبائل زواوة، كما ينسب إلى مدينة بجاية التي استقرّ بها ومارس بها التّدريس والافتاء، فيلقب بالبجائي. رُسم لقبه في الكتب القديمة "المنجلاتي" وهو خطأ شائع. وقد سبق للمؤرّخ وعالم الاجتماع عبد الرّحمن بن خلدون الحضرمي أن دون هذا الاسم هكذا "بنومنگلات" وهي الكتابة الأقرب للصواب حسبما هو معروف ومتداوّل في نطق هذه الكلمة. يعرف بفقيه بجاية ومفتيها وعالمها، وهو مفسر ومحدّث ولغوي. ويكنى كذلك بالحافظ لقوة مَلكته الفكريّة. هناك اختلاف حول ضبط تاريخ ميلاده. والرّاجح أن البعض من تناولوا سيرته من القدماء كانوا يتكلمون عن نجله منصور، فالشّيخ أحمد بابا التّنبكتي المتوفّي سنة 1036 للهجرة تحدث في كتابه نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج عن المنگلاتي وذكر إنّه "كان حيا في حدود الخمسين وثمانمائة" أي 850 من الهجرة، بينما قال الشّيخ شمس الدّين محمّد بن عبد الرّحمن السّخاوي في كتابه الموسوعي الضوء اللامع لأهل القرن التّاسع "ورأيت من قال إنّه الزّواوي العالم الشّهير، وإنّه مات في سنة ست وأربعين (وثمانمائة)، وإنّه مات بتونس، وكان عالما"، وهو في الأرجح يعني نجله منصور، ولذلك فالشّيخ علي بن عثمان يكون قد عاش حتّى النّصف الأوّل من القرن التّاسع الهجري أي النّصف الأوّل من القرن الخامس عشر الميلادي. وبذلك يكون قد ولد حوالي منتصف القرن الثّامن الهجري أي حوالي منتصف القرن الرّابع عشر الميلادي. وعليه نرجح ما ذهبت إليه بعض الرّوايات المعاصرة التي حددت تاريخ ميلاده بسنة 745 الموافق لـ 1344م، وحسب هذه الرّوايات فإنّه يكون قد عاش حوالي سبعين سنة.

تلقى علي بن عثمان المنگلاتي تعليمه بمدينة بجاية على الشّيخ أبي زيد عبد الرّحمن بن أحمد بن عبد الله الملقب بالوغليسي نسبة للعشيرة التي ينحدر منها، وبعد إنّهاء دراسته للغة العربيّة وعلوم القرآن والفقه استقرّ بمدينة بجاية وانتظم للتدريس بها. فأخذ عنه العديد من العلماء الذين ذاعت شهرتهم. فقد كان من أبرز تلامذته نجله أبو علي منصور المنگلاتي وأبو إسحاق إبراهيم بن فايد الزّواوي والشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي دفين مدينة الجزائر وقطب أئمتها، والملاحظ أن بعض الكتابات المتأخرة تحرف كنيّة أبي إسحاق إلى بوسحاقي والفرق واضح جلي بين الكنيتيْن. وإلى جانب التّدريس، تولى الشّيخ علي بن عثمان المنگلاتي الإفتاء بما له من تمرّس في الفقه المالكي. وقد أورد بعض فتاويه أبو العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي في كتابه "المعيار المُعْرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيّة والأندلس والمغرب". كما أشار لتلك الفتاوى أبو زكريا يحيى بن موسى المازوني في كتابه "الدّرر المكنونة في نوازل مازونة" والمعروف اختصارا بالمازونيّة.

صنّفه الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي من بين أبرز شيوخه عندما انتقل إلى بجاية طلبا للعلم، ووصفه بشيخنا أبي الحسن والامام الحافظ، عمدة علماء بجاية. كما تحدث عنه عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر وقال عنه: "إنّه من علماء بجاية في أواخر القرن الثّامن الهجري، له فتاوى نُقل بعضها في المازونيّة والمعيار المعرب".

لقد كانت بجاية في عهده، حاضرة من حواضر المغرب الأوسط في عهد بني حماد وبني حفص، تُشد إليها الرّحال من كل فج، وبرزت كقطب ثقافي وديني بعد أن استقرت بها مجموعات متلاحقة من العلماء وكان بعضهم من النّازحين من بلاد الأندلس نتيجة لما عرف بحروب "الاسترداد". ولذلك وفد عليها الكثير من طالبي العلم والمعرفة من مختلف المناطق، وصارت منارة ثقافيّة تدرّس بها العلوم وفق المناهج والمعارف السّائدة في ذلك العصر. وبرز فيها علماء كبار خصّهم أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني بكتاب قيم سماه "عنوان الدّرايّة فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية"، وهو سابق عن عصر المنگلاتي.

تذكر المصادر التّاريخيّة أن الشّيخ علي بن عثمان المنگلاتي عايش الصّراع الذي جرى حول السّلطة بين أبي عمرو عثمان بن محمّد الحفصي الملقب بالمنصور وعمه أبي الحسن علي بن أبي فارس الذي امتنع عن مبايعة ابن أخيه وقدم نفسه لتولي الحكم، فشايعه فقيه بجاية وعالمها ووقف إلى جانبه بما عرف عنه من "عصبة وقوة"، ثم ما لبث أن تراجع عن ذلك الموقف وتدخل للصلح بين الطّرفين المتنازعين. وتبرز تلك الواقعة قوة نفوذ الفقيه المنگلاتي بين أهله وسيادة سلطته الرّوحيّة في تلك الفترة التي كانت فيها مسألة العصبيّة المسنودة بالفكرة الدّينيّة تعد محركا رئيسيا لتأسيس الدّول والامارات في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وهو ما تجلى بوضوح في نشأة مختلف الكيانات السّياسيّة التي تعاقبت على الحكم في الجزائر وعموم بلاد المغرب والتي قادتها سلالات قبليّة كانت تستند إلى فكرة دينيّة، وهو ما أصّل له المؤرّخ الكبير ومؤسّس علم الاجتماع أبو زيد عبد الرّحمن ابن خلدون الحضرمي في مقدمته المشهورة.

توفّي الشّيخ علي بن عثمان المنگلاتي الزّواوي سنة 815 هـ الموافق لـ 1412م ولم تشر المصادر إلى مكان وفاته والرّاجح إنّه دفن ببجاية أو بإحدى القرى التّابعة لها والتي تنحدر منها أسرته.

عامر بغدادي

المصادر

- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة. بيروت؛
- تاريخ ابن خلدون، المجلد السّادس، مؤسّسة جمال للطباعة والنّشر، بيروت.

■ علي بن عثمان بن علي الطّولقي (1246هـ - 1898م/1316هـ - 1828م)

الشّيخ علي بن عثمان بن علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الموفق بن عمر بن أحمد وينتهي نسبه إلى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمّد الحسن المثنّى بن الحسن السّبط بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – كما جاء في كتاب (الدّر المكنوز) للشيخ عبد الرّحمن بن الحاج، إذ تزوج الشّيخ علي بن عمر الطّولقي ابنة شيخه محمّد بن أحمد بن يوسف، الذي اشتهر بابن عزوز فولدت له علي بن عثمان، وقد ولد ببلدة طولگة قاعدّة الزّاب الظهراوي، وهي إحدى دوائر ولايّة بسكرة عام (1246هـ) وبها نشأ في أسرة شريفة شهيرة عريقة في العلم والصّلاح. حفظ القرآن الكريم كاملا في صغره وأتقن أحكامه كما درس علوم الفقه والنّحو والتّفسير.

عرف عن الشّيخ علي بن عثمان ولعه باقتناء الكتب والمخطوطات وحبه الشّديد للعلم، الأمر الذي دفعه إلى المساهمة في عمليّة تأسيس مكتبة مرجعيّة، يؤمها تلاميذ وطلاب الزّاويّة التّعليميّة من مختلف النّواحي، فهو الذي أسس المكتبة العثمانيّة بهذه الزّاويّة. فبعد وفاة والده الشّيخ علي بن عمر الذي كان على رأس الزّاويّة، والذي ذهب ضحيّة عيار ناري كان غير مقصود عند محاولة قيامه بالصّلح بين طائفتين من المؤمنين، مستجيبا لواجب الأخوة الاسلاميّة، خلفه في القيام بأمر الزّاويّة صهره الشّيخ مصطفى بن عزوز لمدة سنتين ولما عزم على الهجرة إلى نفطة عاهد بالزّاويّة إلى العلّامة علي بن عثمان وهو ابن 18 سنة.و تعتبر مكتبة زاويّة الشّيخ علي بن عمر من أهم المعالم الثّقافيّة في الجزائر؛ لما تحويه من مطبوعات ومخطوطات، يقول الدّكتور عبد الكريم عوفي من معهد اللغة العربيّة وآدابها- جامعة باتنة الجزائر- في بحث حول التّعريف بمراكز المخطوطات وتحت عنوان (مخطوطات زاويّة علي بن عمر بطولگة)؛ أما ما تحتفظ به الزّاويّة من كتب ومخطوطات فهو كثير جدا، إذ تحتوي على كتب مطبوعة طباعة حجريّة نادرة ومخطوطات متنوعة في علوم القرآن حيث يوجد فيها 25 تفسيرا، والفقه والسّيرة والتّراجم والمعاجم والحديث والآداب، وعلوم الفقه والجغرافيا والعلوم الدّقيقة والثّقافة العامّة وقد أدرجت هذه الزّاويّة ضمن اهتمامات مشروع إحياء التّراث لأن مخطوطاتها تحتاج إلى فهرست علمي، ليستفيد مريدوها منها وعلى متطلبات بحوثهم بسرعة، ولأنّها ما زالت تؤدي دورها التّعليمي والتّثقيفي في المنطقة في شتّى العلوم والمعارف وأبرز ما عرف عن الزّاويّة الرّحمنيّة العثمانيّة بطولگة، منذ نشأة الزّاويّة والمكتبة أيضا هو بالإضافة إلى ورعهم وعلمهم حبهم الزّائد للكتب فجمعوها من مختلف المظان واشتروها بأثمان غاليّة كما كان يفعل مؤسّس الزّاويّة الشّيخ علي بن عمر.

وحسب ما أفاد به الاستاذ عبد القادر عثماني فالمكتبة ملك للعائلة العثمانيّة وليس من أحباس الزّاويّة فهي مستقلة عن الزّاويّة ومؤسّسها هو العلّامة علي بن عثمان، وحسب ما روي فالمكتبة تأسست على مرحلتين، اما المرحلة الأوّلى فهي على يد منشئها علي بن عثمان. والمرحلة الثّانيّة فهي على عهد ابنه الحاج الذي أكمل وبقي وفيا لدرب علم والده علي بن عثمان. تحتوي المكتبة الكثير من المراجع والتي يعد بعضها نادراكما إنّها منظمة في شكل أقسام، تعدادها سبعة: قسم القرآن الكريم، قسم السّيرة النّبويّة، قسم للتصوف ومصادره، وقسم للفقه واصوله، وقسم لعلوم اللغة والأدب، قسم الفلسفة واخيرا قسم العلوم البحتة.

إنّ المكتبة والزّاويّة مفتوحة لكل طلاب العلم والمعرفة إذ يقول شيخ الزّاويّة عبد القادر العثماني: "إن أبواب الزّوايا مفتوحة أمام كل باحث ومحقق للتجول عبر رفوف هذه المكتبة مع توفّير الاكل والإيواء وتقديم كل المساعدات المتاحة لهم وذلك بكل رحابة صدر"

درس الشّيخ علي بن عثمان في زاويّة والده وقد أخذ سلوك الطّريقة الرّحمانيّة عن أبيه الشّيخ علي بن عمر الطّولگي مؤسّس الزّاويّة الرّحمانيّة الذي وصفه الشّيخ أبو القاسم الحفناوي في كتابه (تعريف الخلف برجال السّلف) بـ(القطب سيدي علي بن عمر) صاحب زاويّة طولگة وأثنى عليه في موضع آخر وعلى ولايته في قوله: "شيخ الطّريقة وطود الحقيقة الغوث سيدي علي بن عمر، صاحب زاويّة طولگة".

كما وصفه في ذات الكتاب بأنّه "شيخ الزّهاد وفخر العُبّاد سراج الطّريقة ومعدن السّلوك والحقيقة، سيدي علي بن عمر الطّولگي الشّريف ذي الشّرف العلي والمقام المنيف". فالعلّامة علي بن عثمان بن علي الطّولگي فقيه صوفي، خلوتي الطّريقة. إذ عرف بالشّريف الحسني الخلوتي المالكي. سار على منوال أبيه وأخواله أمثال محمّد بن محمّد بن عزوز ومحمّد المكّي بن عزوز وغيرهم

من مؤلّفات الشّيخ علي بن عثمان بن علي الطّولگي، كتاب بعنوان: (منهج الحقيقة والنّبذ اللطيفة فيما يلزم السّائر في الطّريقة المنيفة). وفي هديّة العارفين ذكر اسم هذا الكتاب كالتّالي: (النّبذة المنيفة في منهج الحقيقة في الزّهد والتّزود).

توفّي الشّيخ علي بن عثمان بن علي العلوي الطّولگي ـ رحمه الله ـ عام (1316 هـ ـــ 1898م). ويعتبر الشّيخ علي بن عثمان من أكبر رجالات الطّريقة الرّحمنيّة وعلمائها المعروفين، الذين احتلوا مكانة مرموقة حيث كان على رأس ابر زاويّة ببسكرة وهي الزّاويّة العثمانية بطولگة.

تسعديت لحول

المصادر:

- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الثّاني من حرف الدّال إلى حرف الياء.
- مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنّون، تح محمّد شرف الدّين يلنقايا، دار احياء التّراث العربي.
- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطّريقة الرّحمانيّة الخلوتيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت 1971.

■ علي بن عمران بن موسى الملياني (ت: 675هـ - 1276م)

اشتهرت منطقة بجاية بعظمائها وعلمائها الذين طبقت شهرتهم الأفاق، وكان لهم الفضل في تنوير عقول الأجيال، وإصلاح عقيدة العوام فكانوا مفخرة للجزائر كلها وللإنسانية جمعاء.

لقد كانت هذه المنطقة منذ العصور الغابرة محط رحال العلماء والأدباء ومقصد طلاب العلم من مختلف الأنحاء. ولا أدل على ذلك من تلك المراكز الإشعاعية التي تزخر بها هذه المنطقة والتي مازال بعضها شاهدا إلى يومنا هذا، ويكفينا فخرا أنها أنجبت العديد من العلماء الراحلين رحمة الله عليهم أمثال: الشّيخ السّعيد الصالحي، والشّيخ المولود الحافظي، والشّيخ بلحداد، والعلامة محمد الرزقي الشّرفاوي الأزهري، والشّيخ السّعيد اليجري، والشّيخ أبا القاسم البوجليلي، الشّيخ الطّاهر الجزائري، والشّيخ الفضيل الورتلاني، والشّريف أمقران السّحنوني، وأخيرا الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، كما كانت أيضا محط رحال العديد من العلماء أمثال: الشّيخ الفقيه، الأصولي، الجليل، الفاضل، المحصل، الحكيم أبو الحسن علي بن عمران بن موسى الملياني المشهور بابن الأساطير الذي استقر بمنطقة بجاية وعاش فيها حتى وافته المنية فيها.

وها نحن نشرع في تقديم تراجم لشخصية متميزة ولعالم مرموق من علماء هذه المنطقة وذلك اعترافا بفضل هذا العالم لما بذله من جهود وما قدمه من تضحيات في سبيل إقامة الدين ونشر العلم.

ومن هنا نتساءل من هو علي بن عمران بن موسى الملياني؟

علي بن عمران بن موسى الملياني، أبو الحسن، المشهور بابن الأساطير، فقيه، أصولي، له دراية بأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة، من أهل ملیانة، استقر ببجاية وبها كانت وفاته في عشر السّبعين وستمائة.

ولد بملیانة وسمي بالملياني، لأنه من مدينة ملیانة التي تعدّ من أشهر وأقدم المدن التاريخية بالجزائر، تأسست في القرنالسّابع والعشرين قبل الميلاد من قبل الإمبراطور الروماني "أوكتافيوسزوكابار" وهو الاسم القديم لمدينة "ملیانة"، اتخذ الامبراطور الروماني من ملیانة حامية عسكرية، وكان أول من قرأ الاستراتيجية للمنطقة بعد أن انتبه لعلوها المرتفع وطرقها المتفرعة إلى مناطق عدة، ومكث الرومان فيها إلى اثنين وسبعين وتسعمائة ميلادي عندما دخلها الصنهاجيون وأعاد بناءها أشهر الأمراء الصناهجة "بولوغين بن الزيري" وجعلوا منها العاصمة السّياسية لدولتهم، وفي عام واحد وثمانون وألف ميلادي دخل المدينة المرابطون واستولوا على كامل أطرافها، وبعدها دخلها الموحدون عام تسعة وأربعون ومائة وألف ميلادي، ثم الزيانيون عام ثمانية وثلاثمائة وألف ميلادي وبقيت إمارة مستقلة إلى دخول العثمانيين الجزائر عام أربعة عشر وخمسمائة وألف ميلادي، إذ ظلت هذه المدينة في العهد العثماني تابعة لما يعرف بـ"بايلك الغرب" الذي يضم مدن تلمسان وهران، كما كانت هذه المدينة قبلة لأشهر رحالة العرب "بن بطوطة"، وبعد احتلال فرنسا للجزائر لجأ إليها الأمير عبد القادر وذلك عام خمسة وثلاثون وثمانمائة وألف ميلادي وجعلها حصنا منيعا لثورته الشّعبية الأولى ضد الاستعمار الفرنسي.

تلقى تعليمه في بجاية على يد الشّيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه وغيره، وكان من خواص أصحابه ومن فضائلهم.

سيتضح فيما يلي أبرز شيوخ علي بن عمران الملياني:

ومن أبرز شيوخه الشّيخ أبو الحسن الحرالي رضي الله عنه هو علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيني الحرالي المراكشي، فخر الدين عبد الله أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التجيني الحرالي، وهو من علماء المغرب ولد بمراكش وبها نشأ وأخذ العربية عن أبي الحسن بن خروف وأبي الحجاج، فرحل إلى المشرق وتصوف ثم استوطن بجاية وعاد إلى المشرق فأخرج من مصر وتوفي فيها.

واختلفوا في تحديد سنة وفاته فقد ذكرها بن الآبار (ت 668هـ)، وفي كتابه التكملة يحددها في سنة (ت 637هـ)، والغبريني في كتابه "عنوان الدراية" توفي في الثاني عشر من شعبان عام ثماني وثلاثين وستمائة (638هـ).

ويمكن احصاء العلوم التي كان يدرسها الحرالي ببجاية:

علم الأصليين: علم الفقه وعلم أصول الدين.

علم معقولات الحكماء.

علم الطّبيعيات والإلهيات.

علم الفقه وكان على المذهب المالكي.

علم الفرائض: له فيه كتاب "الوافي".

علم الحديث.

علم التفسير وفيه تأليف منها "مفتاح باب المقفل".

علم العربية لغة وأدبا ونحوا.

علم التصوف.

ذكره الغبريني وقال: "كان له علم الفقه وأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة، وكان له علم بالوثيقة، وكان من عدول بجاية وخيارها، وكان متخصصا متزهدا متقللا من الدنيا متعففا مقتصدا، ومضى له زمان وهو فيه غاية التخلي والانقطاع في مدة الشّيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وكان يحمل خبزه إلى الفرن بيده، وكان يرغب في أن يحمل عنه فيمتنع من ذلك، وكثيرا ما كان يشتري ما يحتاج من ضروريات منزله بيده ويحمله بنفسه ولا يترك أحد يحمله عنه، ولم يكن ذلك منه إلا قصدا للبراءة من الكبر، لأنّه كانت له رياسة وهمة وعلو منزلة، ولم يكن من هو دونه يفعل ذلك".

وكان أبو محمد عبد الحق رحمه الله يقول فيه: "العالم المطلق. وكان يعظمه كما كان يعظم مشيخته، وما رأيته يعظم أحد من أصحابه مثل تعظيمه له، وكان يقرأ عليه بعض خواص أصحابنا كتاب "الاشارات والتنبيهات" لابن سينا وكان بحيث تقرأ عليه العلوم التي ذكرت إنّه يحملها لو تبسط لها. وكان أعقل أهل وقته وأبعدهم عن الشّر".

توفي علي بن عمران بن موسى المليانـي ببجاية في عشر السّبعين وستمائة.

إن ما يمكن قوله عن علي بن عمران المليانـي أنه من الشّخصيات التي ساهمت بعقلها في تطوير مختلف العلوم الشّرعية في بجاية، كما كانت له مكانة علمية اجتماعية عالية بين النّاس في منطقة بجاية.

تسعديت لحول

المصادر:

- أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ج1.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر الجزء الثاني.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الثاني.

علي بن عيسى التّماسيني
(1180هـ - 1766م/1260هـ - 1844م)

هو علي بن عيسى التّماسيني نسبة لبلدة تماسين الواقعة قرب مدينة تقورت بالجنوب الشّرقي الجزائري. يلقب بسيدي الحاج علي ويكنى بأبي الحسن. يرفع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وترجع أصول أسرته إلى مدينة ينبع غرب المملكة العربيّة السّعوديّة التي نزح منها جده إلى المغرب واستقر بسجلماسة، ومن سجلماسة توجه أحد أحفاده وهو محمد بن موسى المعروف بمحمد بن يحيى إلى الجزائر حيث توقف بمنطقة وادي ريغ لمدة سنتين ومنها ارتحل لأداء فريضة الحج رفقة نجله محمد، فتوفي في ينبع ودفن هناك وعاد نجله إلى منطقة وادي ريغ فأقام بها حيث أنجب عيسى والد الحاج علي والذي استقر به المقام في بلدة تماسين فنسبت لها الأسرة، وبها ولد علي سنة 1180 هـ الموافق لـ 1766 م، ونشأ نشأة دينيّة. فقد ألحقه والده الشّيخ عيسى بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وأخذ العلوم الإسلاميّة من تفسير وتوحيد وفقه وحديث، وكان والده حافظا للقرآن وفقيها في الدين. اشتهر الشّاب علي بن عيسى التّماسيني منذ صغره بالصلاح والاستقامة في حياته وفي عمله. ونظرا لتدينه وتمكنه من حفظ القرآن تم تعيينه رئيسا للحزّابة وهم مجموعة من المقرئين كانوا يُختارون لقراءة القرآن في المسجد والمعروفة بـ "الحزب". تمكن عبر هذا المنصب من الحصول على ثقة النّاس، فكان ممن يفصلون في الخصومات وتسويّة المنازعات التي تنشأ بين النّاس وتوزيع المواريث والصلح بين الزوجين وتسجيل عقود الزواج وغيرها، فعرف عنه صدقه ونزاهته ومخالفته للبدع التي لا تتماشى وأحكام الدين. ويُروي عنه أنه لما بلغ 23 سنة التّقى بالشّيخ سي محمد بلمشري الذي زار المنطقة وخلال جلسة بينهما سلمه الوصيّة التي أودعها مؤسس الطّريقة التيجانيّة لديه بعد أن طلبها منه ولاحظ بأنه هو المقصود بها.

وفي سنة 1204 للهجرة أي حوالي 1789م انتقل الحاج علي إلى بلدة عين ماضي رفقة وفد من المريدين قدِم من بلدة قْمار بوادي سوف وهناك التّقى بمؤسس الطّريقة التيجانيّة سيدي أحمد التيجاني المكنّى بالقطب المكتوم، وأخذ عليه المبادئ العامة للطريقة ولازمه عدة سنوات. بعدها كلفه بالعودة إلى تماسين لينشر الطّريقة فهيّأ مسكنه ليكون مقرا لنشاطه، ولما كثر زواره أسس زاويّة بجوار تماسين في الموقع المعروف بتملاحت. توجه بعدها الحاج علي مرارا إلى فاس ليزور مؤسس الطّريقة سيدي أحمد التيجاني بعد هجرته إليها، وبعد وفاته تولى الحاج علي "الخلافة" العامة بتوصيّة من القطب المكتوم.

أخذ مجموعة من المقاديم مبادئ الطّريقة التيجانيّة عن الحاج علي نذكر منهم الطّاهر بن عبد الصادق دفين توزر بتونس، وإبراهيم الرياحي دفين تونس العاصمة، وأحمد بن سليمان التّاغزوتي من تاغزوت بوادي سوف، ومحمود بن محمد بن المطماطيّة من قسنطينة، وعبد الله بدَّة القماري من بلدة قمار، والحاج محمد العدناني التّونسي من القيروان، ومحمد بن منصور النموشي من تبسة، وأبو عزة بن سيدي علي حرازم من فاس بالمغرب.

وتنسب الطّريقة التيجانيّة إلى مؤسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني. وبرزت إلى الوجود سنة 1196 هـ أي حوالي 1781م بعين ماضي وهي بلدة تقع بالجنوب الغربي الجزائري. ويقول المؤرخ عبد الرحمن الثعالبي إن الأصل في عين ماضي هو حصن أقامه أحد سادة العرب وهو ماضي بن مقرب من بني بكر أحد بطون كرفة من الأثبج أسسه أيام مقدم الحملة الهلاليّة إلى المغرب العربي أواسط القرن الخامس الهجري، منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وأجرى به عيناً نسبت له، فسمي المكان بعين ماضي.

وحسب الروايات المتواترة، فإنه مع بدايات القرن الثامن عشر الميلادي، كان سيدي محمد بن المختار هو كبير العائلة وأنجب ولدا سمّاه أحمد تيمناً برسول الله ﷺ. وعرف عن هذا الشّاب الذكاء والنباهة والاهتمام بطلب العلم والمعرفة. فقد قام برحلات عديدة إلى فاس حيث انتسب لجامع القرويين وبقي مدة هناك، بعدها توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج وفي طريق عودته توقف بالقاهرة حيث أخذ على

بعض المشايخ المسائل المرتبطة بمجال التّصوف، ومنها عاد إلى الجزائر مرورا بتونس والتّحق بمسقط رأسه عين ماضي ومنها انتقل مرة أخرى إلى تلمسان ثم فاس وخلال هذه الرحلات التّقى بمجموعة من المشايخ ينتسبون لطرق صوفيّة مختلفة. وعاد مجددا إلى مسقط رأسه واستقر في بوسمغون حوالي سنة 1781م وبها أرسى قواعد طريقة جديدة سميت لاحقا بالطّريقة التيجانيّة. وبعد إعلانه عن تأسيس طريقة صوفيّة خاصة به، قام بجولات شملت مناطق عديدة منها منطقة توات وتونس وبلاد السّودان وهو اسم كان يطلق على البلدان الأفريقيّة الواقعة جنوب الجزائر. وكان يؤسس زاويّة في كل مكان يزوره ويعين مقاديم على رأسها. وهكذا لم تمر سنوات قليلة حتى صارت التيجانيّة معروفة في أوساط الكثير من الناس وأصبحت الطّريقة الأولى في الجزائر وأفريقيا. فبعد الجزائر البلد الأم للطريقة، تحظى التيجانيّة بحضور معتبر بين المسلمين انطلاقا من السّينغال غربا حتى السّودان شرقا مرورا بمناطق أخرى من أفريقيا وحتى في المهجر. وبذلك تكون التيجانيّة الطّريقة الأبرز التي لعبت دورا كبيرا في توطيد الإسلام ببلدان غرب أفريقيا. ولعل سرعة انتشارها وقوة حضورها جعلها تصطدم في وقت مبكر بباياات الغرب. فقد دخل سيدي أحمد التيجاني في صراع مع الباي محمد الكبير سنة 1784م والسّنة الموالية لها، وظل في صراع مع بايات الغرب حتى 1797 م. كما لا يستبعد أن هذه الضغوط المتواصلة التي مارسها البايات ضد عين ماضي هي التي دفعت بسيدي أحمد التيجاني للتوجه إلى المغرب في 17 سبتمبر 1798 واستقر بفاس رفقة نجليْه محمد الكبير ومحمد الحبيب. وتوفي الشّيخ أحمد التيجاني بفاس في 14 شوال 1230 هـ الموافق لـ 19 سبتمبر 1815م وكان قد أقام بها زاويّة كعادته، فحيثما حل كان يؤسس زاويّة. وأوصى بأن يتولى منصب الخلافة العامة للطريقة مقدم زاويّة تماسين سيدي الحاج علي. وبذلك صار مقر الزاويّة التيجانيّة بتماسين يحتل مكانا رفيعا في عرف الطّريقة التيجانيّة، وبوصيته تلك كرّس القطب المكتوم سيدي أحمد التيجاني بقاء الخلافة العامة في الأرض التي أنجبته وبها أسس طريقته ونهجه في الحياة. وظل سيدي الحاج علي بن عيسى التّماسيني خليفة عاما لسنوات طويلة قضاها في خدمة الدين والمجتمع. وتوفي بتماسين في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة 1260 هـ الموافق لسنة 1844 م.

عامر بغدادي

المصادر

- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، ج 3، دار الثقافة، بيروت؛
- الجزائر خلال الحكم التّركي، صالح عباد، دار هومة؛
- ثورات رجال الزوايا والطّرقيّة في الجزائر، محمد مكحلي، دار آفاق كوم.

■ علي بن عيسى المغربي (ت: 1208هـ - 1794م)

علي بن عيسى واحد من كبار المتصوفين والفقهاء لقد أجمعت قبيلة هذا السّيد واعني الذين أدركوا حال نشأته من أوّل أمره أن الله سبحانه قد فطره من وقت صباه على حالة حسنة مرضيّة محبوبة عند الله وعند رسوله ﷺ، تتلمذ على يد حامل لواء الطّريقة الرّحمانيّة الخلوتيّة في الجزائر الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن الزّواوي الجرجري الأزهري الذي توفّي (سنة 1208هـ) الموافق لـ (1794 م).توفّي قدس الله سره ولم يترك ولدا وإنما أوّلاده مشايخ طريقته الرّحمانيّة الأزهريّة الخلوتيّة وكلهم أبا عن جد أقطاب كبار، اكرمهم الله تعالى بما يدل على علو مراتبهم عنده. وهم كثيرون في بر تونس والجزائر والسّودان. منهم سيدي علي بن عيسى المغربي وتلاميذته وتلاميذتهم الكبار نذكر منهم: سيدي محمّد أمزيّان بن الحدّاد، ومحمّد بنو أبو القاسم البوجلبلي، والشّيخ علي، وغيرهم نحو الأربعة والعشرين وليا، ومنهم سيدي عبد الرّحمن باش تارزي شيخ سيدي محمّد بن عزوز جد الشّيخ المكّي بن الشّيخ سيدي مصطفى بن عزوز وتلاميذته القطب سيدي علي بن عمرو الشّيخ محمّد الجعدي البجاوي والشّيخ بلقاسم بن حفيظ والشّيخ الحاج البشير المغربي والشّيخ محمّد نايت عنان بن بلقاسم والشّيخ علي بن الحملاوي (ت1317هـ)وهو مؤسّس زاويّة التّلاغمة فيما بعد . مع شعور حامل لواء الطّريقة الرّحمانيّة الخلوتيّة في الجزائر الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن الجرجري الأزهري بدنو أجله، رأى أن يعين الشّيخ علي بن عيسى المغربي خليفة له على الزّاويّة الأم (الزّاويّة الرّحمانيّة الأم متواجدة بمنطقة آيت اسماعيل ولاية تيزي-وزو حيث ضريح مؤسّسها وقد جدد بناؤها ووسع مسجدها)، حيث ترك الشّيخ عبد الرّحمن الجرجري الأزهري لخليفته الشّيخ علي بن عيسى المغربي جميع كتبه -ومنها مؤلّفاته الخاصّة في التّصوف والفقه- وأرضه وأوقاف زاويته. حيث نصّب سيدي محمّد بن عبد الرّحمن خليفة له في الطّريقة، سي علي بن عيسى المغربي، مساعده الأكثر إخلاصا له وقال له: (احتفظ بكتبي، وأملاكي، وأراضي وكل ما أملك، ولك تفويضي موثّقا يشمل كل الحبوس) ثم طلب حضور كل أهل قبيلة آث إسماعيل وقدم لهم آخر توصياته قائلا: (إني أشهدكم على أنني عينت سي علي بن عيسى لخلافتي وسلمته كل معارفي، سيكون إذن خليفتي حامل أسرار الطّريقة في

صدره، وأباركه، فعليكم الطّاعة له مهما كان الأمر لأنّه هو وجهي ولساني.

لقد استطاع الشّيخ علي بن عيسى أن يدير الزّاويّة الأم بكل حكمة ونجاح مما أكسبها نفوذا روحيا واسعا وقويا في جميع أنحاء البلاد، وظل على ذلك مدة 43 عاما من 1793م إلى أن توفّي سنة (1836م) وقد توسع في عهده انتشار الطّريقة ليعم جل مناطق الشّرق الجزائري والجنوب وتونس وحس ببعض المصادر فإنّ الشّيخ علي بن عيسى المغربي كان متزوجا بالسّيدة الصّالحة لالا خديجة التي اشتهرت شهرة كبيرة حتى سميت بإسمها قمة جبال جرجرة وهي أم المجاهدة الصّالحة لالا فاطمة وقيل إنّها تولت شؤون الزّاويّة بعد وفاة زوجها بعض الوقت .و في ذلك العهد لم يدخل بعد الاستعمّار المنطقة التي توجد بها الزّاويّة الأم التي تولى علي بن عيسى المغربي خلافتها بوصيّة من شيخه بن عبد الرّحمن الجرجري الأزهري إلا سنة (1857م).

وقوفا في وجه المستعمر الغاشم تحالف شيوخ الطّريقة الرّحمانيّة مع الأمير عبد القادر على الجهاد، وعين بعض مقدميهم خلفاء له في مناطقهم. فمن أبرز رجال الطّريقة الرّحمانيّة الذين خدموا دولة الأمير عبد القادر بإخلاص الشّيخ الحاج سيدي السّعدي الذي عينه الأمير عبد القادر على منطقة شرقي الجزائر العاصمة.

من أشهر أتباع الطّريقة الرّحمانيّة الذين سارعوا لنصرة الأمير عبد القادر خليفته في منطقة القبائل الشّيخ الجليل أحمد الطّيب بن سالم وهو من مقدمي الزّاويّة الرّحمانيّة التي على رأسها علي بن عيسى المغربي. بعد وفاة الشّيخ بن عيسى المغربي خلفه على رأس الزّاويّة الشّيخ بلقاسم بن الحافظ بن محمّد المعانقي الذي جعله الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن أحد مقدميه في حياته، وإثر وفاته تولى الزّاويّة مغربي آخر وهو الحاج البشير وكان على علاقة طيبة مع الأمير عبد القادر وتعاون مستمر معه في كفاحه ضد المستعمر الفرنسي. واستمرّ على هذا الحال إلى أن وافته المنيّة سنة (1841م) ودفن بجامع تالة أوغانمي بالشّرفة، ثم تولى المشيخة بعده الشّيخ محمّد بلقاسم نايت عنان وتلاه الشّيخ الحاج عمر وكان من زعماء المقاومة في زواوة عام (1857م) وتحكي المصادر إنّه تزوج بلالة فاطمة أبنة لالة خديجة وعلي بن عيسى المغربي التي أججت نيران الثّورة ضد المستعمر الفرنسي وبسبب دعوتها إلى الجهاد، اعتقلت في تابلاط وماتت في معتقلها.

عرف عن الشّيخ الجليل علي بن عيسى المغربي حبه لتعليم الخلق وارشادهم إلى طريق الصّلاح والخير.و قد اشتهر بذلك في القطر الجزائري فأتاه رجال كثيرون أخذو اعنه الكثير، فصاروا أقطابا كبار أكرمهم الله جميعا ووسعهم برحمته.

كريمة نعلوف/ تسعديت لحول

المصادر:

- أضواء على الشّيخ أحمد التّجاني وأتباعه / عبد الباقي مفتاح؛
- موقع جزايرس / شويحة عبد الرّحمن؛
- أضواء على الطّريقة الرّحمانيّة الخلوتيّة.

■ علي بن فاتح أبي نصرالي (506هـ - 566هـ/1113م - 1170م)

عرفت الجزائر نخبة من العلماء والفقهاء في شتّى التّخصصات، والذين فجروا طاقاتهم العلميّة المعرفيّة خدمة للعلم والوطن، ودحضا للجهل والتّخلف، ومن بين هؤلاء نستعرض الفقيه؛ علي بن فاتح أبي نصرالي البجائي. والمعروف بحبه الشّديد للعلم وتمسّكه بتعاليم الدّين الاسلامي ودفاعه المستميت عنه. فقد كانت له مكانة كبيرة في الفقه المالكي جعلته إماما لهذا المذهب في زمانه وكانت الفترة التي عاشها العلّامة النّصرالي تزخر بالعلم والعلماء والفقهاء والقراء والمحدثين وكان علي بن ابي فاتح النّصرالي من المتفوقين علميا وفقهيا. وكان من الذين يؤمنون بالقاعدّة الاسلاميّة "الرّحلة في طلب العلم" لذا تنقل في مدن عدّة. وكان الفقيه علي بن فاتح أبي نصرالي من كبار الأئمة المدافعين عن الإسلام والسّنة النّبويّة من أجل اعلاء كلمة الحق.

هو علي أبو الحسن بن أبي نصر فاتح (وقيل فتح) بن عبد الله البجائي، من كبار فقهاء المذهب المالكي، حافظ فقد انكب على حفظ القرآن وعلوم الفقه والتّفسير والحديث والعربيّة، متقن، ضابط، ولد ببجاية سنة 506هـ - 1113م (حسب ما ورد في كتاب عنوان الدّرايّة)، رحل إلى الأندلس، ثم إلى المشرق، فقد كان ضمن رحلات الحج وطلب العلم إلى الحجاز والمشرق، كما كان في صحبته عدد كبير من الفقهاء. فأخذ بمكة عن أبي محمّد يونس بن يحيى الهاشمي (ت: 608-1211) الذي كان في نفس الوقت مرشدا، وأحد شيوخ الحديث البارزين، وبيت المقدس عن الأديب ابن جبير وعن أبي القاسم عبد الصّمد بن محمّد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الانصاري الدّمشقي الشّافعي ابن الحرستاني الشّيخ الامام العالم المفتي المعمر الصّالح مسند الشّام شيخ الإسلام فاضي القضاة وهو من ذريّة سعد بن عبادة -رضي الله عنه- . وعن الإمام صائن الدّين أبو محمّد عبد الواحد بن إسماعيل ابن ظافر الدّمياطي بدمشق وهو امام شافعي متكلم درس بالأمينيّة وقد كانت له اليد الباسطة في الفقه والتّفسير والأصول، وبالإسكندريّة درس على يد أبي القاسم الحسن بن عبد

السّلام وهو أديب وشاعر وفقيه وراو حديث وكان ثقة متحريا ضابطا مفتيا موفقا في فتواه قرأ القرآن والحديث والفقه والأصول واللغة العربيّة وكان قطبا في الاجتهاد وله التّوسع في الكلام والفصاحة والجدل، أقوم النّاس بالمناظرة وتحقيق الدّروس.، وقد التّقى علي بن فاتح ابي نصرالي بأعلام فقهاء مصر المالكيين الذين شاعت شهرتهم في المذهب المالكي شرقا وغربا والذين مارس أغلبهم وظيفتي القضاء والإفتاء، ثم رجع إلى بجاية فتلقى عنه عدد من الشّيوخ، فالذين انتفعوا بعلمه واستفادوا بملازمته من تلاميذته الرّواة الدّارسين كثر، فمجالسّه العلميّة كانت دائما عامرة في مختلف أرجاء بجاية يقصده الرّاغبون في المعرفة من كل جهة. فقد كان محبا للترحال والتّجوال وشغوفا جدا بمجالسّ العلم والمعرفة.

وهكذا كانت رحلات الحج والرّحلات العلميّة عاملا مهما من عوامل توطين المذهب المالكي في المغرب العربي والجزائر على وجه أخص. وكان هذا واضحا من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء الذين تزودوا بمعارف مدن الشّرق لينقلوها إلى مدنهم. فمن المعروف تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي والعمل على نشره وهو من الشّهرة بمكان بحيث لا يحتاج إلى بيان. حج علي بن فاتح أبي نصرالي 18 حجة، توفّي ببجاية آخر جمادى الآخرة سنة 566هـ – 1170م، وفي عام 652هـ حسب روايّة ابن قنفذ، وقيل غير ذلك.

نجد ممن أخذ عنهم الفقيه علي أبو الحسن بن أبي نصر بن عبد الله البجائي علمه وحنكته؛ أبي محمّد يونس بن يحيى الهاشمي وذلك في ربوع مكة المكرمة، وكذلك الأديب أبا الحسن ابن جبير الذي ولد سنة 540هـ، وهو من أشهر الرّحالة المسلمين الذين قاموا برحلات إلى المشرق العربي، حافظ للقرآن، ميال إلى الحساب وإلى العلوم الأدبيّة واللغويّة،

وتتلمذ علي بن أبي فاتح النّصرالي على يد أبي القاسم عبد الصّمد بن محمّد الحرستاني، وهو الشّيخ، الامام، العالم، المفتي، المعمر، الصّالح شيخ الاسلام، قاضي القضاة، ومن أبي محمّد عبد الواحد بن إسماعيل الدّمياطي، وفي مصر أخذ عن أبي القاسم الحسن بن عبد السّلام، فقد تعددت رحلاته ومنابع علمه التي غرف منها العديد من الشّيوخ في منطقة بجاية.

أقوال العلماء والباحثين فيه:

قال عنه ابن الآبار: "كان أبوه روميا فأسلم، وكان ذا وجاهة يكنى أبا الحسن. دخل الأندلس، وسمع بمكة يونس بن يحي الهاشمي وبالقدس أبا الحسين بن جبير وبدمشق الدّمياطي وبالإسكندريّة الأبياري. وعاد إلى بجاية فقرأ وأسمع. كان إماما مُتْقناً ضابطاً أميناً ثقة عدْلا صدْراً في الزّهد والورع والانقباض.".

توفّي بها آخر جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة هـ. كتب عنه أبو الآبار وأبو العبّاس؛ حيث كان النّاس يلتفون حوله لعلو سنده في الحديث عن البخاري، وكثير من الأندلسيين كانوا يقصدون بجاية للأخذ منه، عاش ستا وثمانين سنة.

قال أبو العبّاس: سمعت عليه بعض صحيح مسلم.

تسعديت لحول

المصادر:

- أبي عبد الله محمّد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء14، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان: 1971؛
- أحمد بابا التّنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تحرير وتقويم: ولد السّالم، دار الكتاب العلميّة، بيروت لبنان: 1971؛
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، ط2، بيروت – لبنان: 1980.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد: مج من الأساتذة، إشراف: رابح خدوسي، منشورات الحضارة، الجزائر:2014.

■ علي بن محمّد التّالوتي الأنصاري التّلمساني (ت: 895هـ - 1489م)

علي بن محمّد التّالوتي الأنصاري التّلمساني الجزائري، ويكنّى في منطقة عين تالوت الواقعة في مدينة تلمسان، بالشّريف أو الأنصاري وذلك لأصوله الشّريفة؛ إذ ينحدر من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزّهراء رضي الله عنها، كما يكنى أيضاً بأبي الحسن، ويرجع نسبه إلى والده محمّد التّالوتي الأنصاري التّلمساني الجزائري، ونشير إلى أن لقب التّالوتي نسبة لمنطقة عين تالوت السّالفة الذّكر.

حظي التّالوتي بمكانة هامة وقد ذكر تاريخ وفاته دون مولده فليس بحوزتنا ما يشير إليه، نشأة وسط أسرة مشبعة بالثّقافة الدّينيّة في منطقة عين تالوت الواقعة في ولايّة تلمسان الجزائريّة، وله أخ من والدّته هو الإمام محمّد بن يوسف السّنوسي الذي تتلمذ على يدّ أخيه التّالوتي، وكان رفيقة في رحلاته العلميّة، إذ ورد ذكر الرّحلة العلميّة لعلي التّالوتي رفقة أخيه السّنوسي نحو العاصمة بغيّة التّلمذة على يدّ الشّيخ الثّعالبي، بعدها انتقالا منها إلى مدينة وهران للتلمذة على يدّ الشّيخ التّازي، كما عرف إنّه شيخ، فقيه مالكي، حافظ متقن، محقّق، عالم، مصلح وتوفّي عام (895هـ/ 1489م)، ما ذكره أسعيد عليوان في مؤلف محمّد بن يوسف السّنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، فقال: أبو الحسن

علي بن محمّد التّالوتي الأنصاري: هو أخو محمّد السّنوسي لأمه وهو عالم صالح فقيه حافظ متقن، كان حافظاً لكتاب ابن الحاجب (ت570هـ/ 1174م) الفرعي، "الرّسالة"وكتاب (التّسهيل) في النّحو لابن مالك. وقد أخبر الملالي إنّه كان يقرأ أخاه محمّد رسالة الشّيخ ابن أبي زيد (ت: 389هـ)، في زمن صغره، وكان مشتغلاً بذكر الله، وبتعهّد ما يحفظه ممّا جعله يستثقل قراءة الغير عليه خاصّة في أواخر عمره، ويعدّ علي التّالوتي أستاذاً لأخيه محمّد وزميلاً في الدّراسة بحيث تتلمذا معاً على الشّيخ الثّعالبي.

تلقّى التّالوتي تكوينه المعرفي العلمي على يدّ ثلّة العلماء والأئمّة المشهورين في عصره، ونشير هنا لأهمهم خاصّة ما تداولته المعاجم والكتب والمؤلّفات، سيما ما جاء على لسان تلميذه الملالي مثل الشّيخ الثّعالبي، الحسن أبركان، أبي إسحاق التّازي وأبو القاسم الكنابشي.

أ/ الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي وقد تتلمذ عليه السّنوسي مع أخيه علي التّالوتي فقرأ عليه "صحيح البخاري" و"مسلم" وغيرهما من كتب الحديث، وقد رأى الملالي إجازة الشّيخ الثّعالبي، قال أجزتهما روايّة فهرستنا وجميع ما تضمنته من مروياتي وجميع ما يجوز والحقيقة أن السّنوسي انتقل مع أخيه علي التّالوتي من تلمسان إلى العاصمة وتتلمذ فيها على الشّيخ الثّعالبي، وقد بين الملالي هذا صراحة، لما قرأ عليه- أي على الثّعالبي- شيخنا في الجزائر ارتحل من الجزائر وجاء هو وأخوه سيدي علي التّالوتي.

ب/ الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الرّاشدي، أبو علي، أبركان الذي كان لأبي الحسن علي ابن محمّد التّالوتي الأنصاريّ الشّيخ والصّديق، أخذ عن الحسن أبركان وأبي إسحاق التّازي وغيرهما.

ج/ إبراهيم ابن محمّد ابن علي التّازي (توفّي 866ه)، وقد ذكرهما الشّيخ محمّد بن محمّد مخلوف في شجرة النّور الزّكيّة؛ إذ قال: أخذ عن الحسن أبركان وأبي إسحاق التّازي ويظهر أنّ السّنوسي وأخاه علي التّالوتي تتلمذا على يد التّازي في وهران بعد استكمال قراءتهما على الشّيخ الثّعالبي في العاصمة، الأمر الذي أكّده الملالي إذ قال: لما قدم الشّيخ -السّنوسي- في الجزائر دخل مدينة وهران فجلس عند الشّيخ سيدي إبراهيم التّازي نحو خمسة وعشرون يوماً على ما أخبرني به شيخنا علي التّالوتي رحمة الله عليه وعلى شيخنا أخيه.

د/ أبو القاسم الكنابشي: وهو عالم ورع صالح؛ حيث قرأ عليه السّنوسي مع أخيه كتاب (الرّشاد) في التّوحيد للجويني، وذلك في بيت الشّيخ السّنوسي؛ حيث أقام شهراً كاملاً بدأ عليه قراءة الكتاب من أوّل الشّهر وختماه في آخر يوم من الشّهر، وأجازهما في جميع مرويّاته وكتب ذلك بخطه، وهو إمام، وذكر في كتاب (نيل الابتهاج) إنّه ينتسب إلى بجاية، وليس إلى تلمسان، تفرّغ للتّدريس فأخذ عنه الإمام محمّد بن يوسف السّنوسي علم التّوحيد، وقرأ عليه أبو الحسن علي التّالوتي - من عين تالوت بتلمسان- كتاب الإرشاد لأبي المعالي الجويني.

تلاميذه:

أ/ الملالي: يظهر أنّ معظم ما نقل إلينا عن أخبار أبو الحسن علي التّالوتي، قد جاء على لسان تلميذه الملالي، جاء في كتاب أحمد بابا التّنبكتي "نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج"قول الملالي: شيخنا الفقيه الحافظ المتقن العالم المتفنن الصّالح أبو الحسن. كان محققاً متقناً حافظاً يحفظ كتاب ابن الحاجب ويستحضره بين عينيه، قل أن ترى مثله حافظاً.

ب/ الإمام محمّد بن يوسف السّنوسي: وهو أخوه من أمّه وتلميذه حسب ما جاء به الملّالي إذ قال: يعدّ علي التّالوتي أستاذاً لأخيه محمّد وزميلاً في الدّراسة بحيث تتلمذا معاً على الشّيخ الثّعالبي.

ذكره تلميذه الملالي إذ قال: شيخنا الفقيه الحافظ المتقن العالم المتفنن الصّالح أبو الحسن. كان محققاً متقناً حافظاً يحفظ كتاب ابن الحاجب ويستحضره بين عينيه، قل أن ترى مثله حافظاً، قرأ عليه أخوه محمّد السّنوسي (الرّسالة) في صغره، وكان من أكابر أصحاب الحسن أبركان. ما رأيته قط مشتغلاً بما لا يعنيه، بل إما ذاكراً أو قارئاً للقرآن، أو مشتغلاً بمطالعة أو نحوه، يحفظ (الرّسالة) وابن الحاجب، و"التّسهيل لابن مالك"وغيرها، جعل له ورداً كل يوم. قرأت عليه ابن الحاجب قراءة بحث وإفادة، وسالته عن وضع الكتاب في الأرض. فقال: حكى شيخنا الحسن أبركان فيه قولين لمتأخري أهل تونس وبجاية جوازاً ومنعاً. وسالته عن مستند النّاس في عادتهم من عدم أخذ الرّجل المقصّ من صاحبه بل يضعه على الأرض فيأخذ حينئذ، فقال: سالتّ عنه شيخنا الحسن أبركان، فقال هكذا رأينا شيوخنا يفعلون. ثم قال سيدي علي ولعله علم نسبي

وتوفّي في صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة.

زكيّة مهنة

المصادر:

- ابن مريم المليتي المديوني التّلمساني، البستان في ذكر العلماء والأوّلياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوبايّة، دار الكتب العلميّة، 2013.
- أحمد بابا التّنبكتي، كفايّة المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج، الجزء الأوّل، دراسة وتحقيق: محمّد مطيع، المغرب، 2000.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، ط2، بيروت - لبنان، 1980.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إشراف: رابح خدوسي، تقديم: محمّد الأمين بلغيث، إعداد: مج من الأساتذة، الجزء الثّاني، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014.

■ علي بن محمّد الزواوي (ق VII الهجري)

أبو الحسن الزواوي اليتورغي هو الشّيخ العابد الزاهد سيدي علي اتغالاط. وهو أبو الحسن علي بن محمّد الزواوي اليتورغي من أسرة شريفة. وله أخوين وقد ذكر ذلك أحمد ساحي في كتابه "وحسب التسلسل الوارد في النّسب العائلي يكون الثلاثة إخوة:

- أبو الحسن علي بن محمّد اليتورغي، مؤسس زاويّة سيدي علي أتغالاط.

- أبو علي الكوسيمي بن محمّد لزم القريّة وبها معمرة شهيرة.

- إدريس بن محمّد بن عبد الله، رحل إلى بجايّة، وبها عرف حسب الكثير من المصادر في مقدمتهم الغبريني.

وعليه الشّيخ أحمد إدريس ابن إدريس بن محمّد مؤسس الزاويّة التي تحمل اسمه بيلولة أومالو هو ابن أخ سيدي علي أتغالاط.

وانسحب الشّيخ سيدي علي تغالاط إلى عمق جرجرة، حيث الهدوء والسّكينة من أجل التعبد والزهد ونشر العلم بمنأى عن مغريات المدينة ومنغصاتها. وهو ما ذكره الغبريني في كتابه "ومنهم شيخنا الشّيخ العابد الزاهد، المتقي الولي لله تعالى، أبو الحسن علي بن محمّد الزواوي اليتورغي من جملة الأعلام المتقين، ومن الأكابر الذين يجب اعتقادهم في الدين، له عبادة وديانة، وصلاح وانقطاع، وزهد وولايّة، وكانت له كرامات ظاهرة متواترة، وكان على سنن السّلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين، ليس عنده من التحريف ولا من التبديل ولا من خزعبلات الملتبسين شيء.

ولقيته رحمه الله ببلد بني يتورغ بموضع سكناه منها وأنا على أول السّن، ففرح بي وسر بي واستدناني لنفسه، وأخذ يقرأ ويقول ويمسح على رأسي ويجبذ بأذني إلى أن استوفى ما أراد أن يقرأه، وما شاء الله من ذلك، وأنا يومئذ في المكتب وكان ذلك منه غير سؤال سأله وإنّما فعله من تلقاء نفسه، فوجدت بركة ذلك وتعرفت يمنه وهو أحد أشياخي المباركين رحمهم الله".

ذكر أحمد ساحي في كتابة "أعلام من زواوة" أنّه يتواتر في الروايّة الشّعبيّة بهذه الربوع أن الموقع كان مقاما لأبي الحسن علي ولأخيه أبي علي الكوسيمي، وبه تتلمذا علي يد أحمد بن عبد الله قبل 1255م.

ومن هذا المعقل الأصيل انتقل أبو الحسن علي إلى يتورغ ليؤسس زاويّة سيدي علي تغالاط قبل 1248.

ذكر أحمد ساحي في كتابه أنّه تتلمذ على يد أبي الحسن علي صاحب كتاب "عنوان الدرايّة" الفقيه القاضي أحمد الغبريني وهو الإمام القاضي أبو العباس أحمد الغبريني المعروف بسيدي بلعباس الزواوي.

تقع زاويّة سيدي علي تغالاط في عرش آث يتسورة بلديّة أمسوحال، دائرة إفرحونن ولايّة تيزي وزو، وهي من أقدم المدارس القرآنيّة، وأقدم مدرسة للقرآن في عمق جرجرة، بل هي بمثابة أم المدارس القرآنيّة في منطقة زواوة، ومن المرجح أن تكون الخصائص الجغرافيّة والاجتماعيّة للمنطقة والمتمثلة في الطابع الجبلي المتميّز بكثافة الغابات والغطاء النّباتي وقلة العمران والعنصر البشري، عوامل مشجعة للعبّاد والزهّاد والصالحين والدارسين للاستقرار في الجبال طلبا للعلم والتعبد والسّكون والهدوء.

وقد ظلّت زاويّة سيدي علي تغالاط تؤدي دورها التربوي والاجتماعي لقرون عديدة، فانتشر التعليم انتشارا واسعا حتى صار أبناء المنطقة يقرأون القرآن في حقولهم أثناء القيام بالأعمال الزراعيّة لذلك أطلق على المنطقة اسم جبل النّور، لكن وضع الزاويّة لم يلبث أن تدهور جراء الاستعمار الفرنسي الذي عطل نشاطها واستولى على مخطوطاتها، كما أنّها عانت بعد الاستقلال من الإهمال، لم يلتفت إليها أهل المنطقة إلا في عقد التسعينات حين أسسوا جمعيّة دينيّة تكفلت بالإشراف عليها، لكنها لم تلبث أن اصيبت بالوهن، وفي سنة 2000 تمّ تجديد أعضائها، وتمكنوا من ضخ النّشاط والحيويّة فيها، وكذا إعادة اعمارها، وإن كان عدد الطلبة قليلا لا يتجاوز خمسة عشر طالبا، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو التفاتة المحسنين والسّلطات المحليّة إليها، فاستفادت من إعانات ماليّة معتبرة مكنتها من بناء المرافق الضروريّة لاستقبال الطلبة، ورغم هذه الجهود المبذولة فإنّها لا تزال في حاجة إلى الدعم لاسترجاع أوقافها المغتصبة، ولفك العزلة عنها وتوسيع مرافق استقبال الطلبة وكذا من تمكينها من بناء مسجد يليق بمقامها.

ومن الكرامات التي ذكرها له أبو العباس الغبريني في كتابه وقال: "أخبرني بعض من وثقت به، أنّ رجلا ممن عرضت له ضرورة قوت أتاه يسأله أن ينظر له نظرا يستعين به، وكانت للرجل عائلة قال: فدخل منزله فأخرج لي أربعة أمداد قمحا وقال لي: "لا تتناول منها إلا وأنت على طهارة، ولا تناول منها امرأة "فحملتها ولزمت ما قال لي، وكان ذلك في آخر الشّتاء أوائل الربيع، فكفاني ذلك وعائلتي حتى وصلنا إلى الآكل من حراثتنا بعد دخول زمان الصيف، وهذه من كراماته رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به آمين".

وقد ذكر الغبريني وفاته في كتابه وقال: "أخبرني بعض من وثقت به، إنّه لما حضرته الوفاة حضر ولده وبكوا عليه لفراقه واستوحشوا، فقال: "لا عليكم، مهما أصابكم أمر أو عارض فأتو إلى قبري واذكروا شكواكم واسألوا الله يفرج عنكم". ومازال أولاده بعده مهما عرض لهم عارض يفعلون ذلك فيجدون نفعه".

"فهذه المشيخة التي لقيتها وتخيرتها للمشيخة علي وانتقيتها، نفع الله بها وعرف العارفة الحسنى بسببها".

تميز أبو الحسن علي الزواوي اليتورغي بأخلاق ساميّة جعلته يحظى بمكانة اجتماعيّة متميزة في منطقة جرجرة، اضافة إلى كونه أحد رواد التصوف.

كريمة نعلوف/ تسعديت لحول

المصادر:

- أحمد ساحي، أعلام من زواوة، إقواون، الجزائر: 1995، مطبعة الثورة الإفريقيّة.
- أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدرايّة فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجايّة، تح: رابح بونار، ج1.
- محمّد أرزقي فراد، زاويّة سيدي علي أتغالاط أم مدارس القرآن في عمق جرجرة، www.djazairess.com نشر في الشّروق اليومي يوم 01- 07- 2007 وتاريخ التصفح في الموقع يوم 22 جوان 2020.

■ علي بن محمّد الميلي الجمالي (ت: 1248هـ - 1833م)

ولد بميلة بقرب قسنطينة، استوطن مصر وتوفي بها سنة 1248هـ- 1833م، خلّف مؤلفات عديدة منها: كتابه للتفسير (تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابْ) و(الحسام السّمهري في تكذيب فريّة نُسبت إلى الإمام الأشعري) و(السّيوف المشرفيّة في الرّدّ على القائلين بالجهة والجسميّة) في التوحيد (مخطوط)، و(العجالة متممة للسيوف المشرفيّة (مخطوط)، و(الشّمس والقمر والنجوم الدّراري في إثبات القدر والكسب والاستطاعة والجزء الاختياري) (مخطوط)، و(أشراط السّاعة وخروج المهدي) (مخطوط)، وعلامات السّاعة الصغرى)، و(الصوارم والأسنّة في الاعتراض على سيدي أحمد التيجاني)، و(الصمصام الفاتك بالقادح في مذهب الإمام مالك) وغير ذلك، لم تُثبت المصادر التاريخيّة ممارسته للتفسير تدريسا، غير أنّه خدمه تأليفا حيث صنّف "تحفة الألباب في تفسير قوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب".

وقد جعل المؤلّف من أسلوب التعرض للآيّة بالأسئلة طريقا لفهمها وفهم مغاليقها وتيسير تفسيرها، إذ يقول: "فلننشر بعض ما ظهر في الآيّة الكريمة من الأسئلة التي يحتاج إليها كلّ طالب يطلب الفهم في كتاب الله تعالى وشوق إلى معاني أسرار رسول الله ﷺ.

ثمّ أورد الأسئلة متتابعة فبدأ بالسّؤال الأوّل فالثّاني فالثّالث حتّى أتمّ موفّى الواحد والعشرين سؤالا دون إجابة ثمّ يبدأ في الإجابة عنها تباعا، فقال:

السّؤال الأوّل: ماسرّ التعبير بـ: "ثمّ"ولم يكن ذلك بغيرها من حروف العطف، وقد وقع الفرق بين معانيها.

السّؤال الثاني: ما سرّ قوله تعالى: ""أورثنا"دون الإيتاء، وقد قال تعالى: ﴿ آتَيْنَاهُمُ الكِتَاب ﴾، وهل فرّق بين الإيتاء والإعطاء والوراثة والهبة والنّحلة".

السّؤال الثالث: كيف يتقرر معنة الوراثة وترتيبها بعد ذكر الآيّة قبلها وهي: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ الله ﴾ الآيّة.

السّؤال الرابع: ما سرّ التعبير بـ"الكتاب"، دون القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿ الذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ﴾.

السّؤال الخامس: ما سرّ التعبير بالموصول دون المصطفين من عبادنا كما قال تعالى في آيّة ﴿ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارْ ﴾

السّؤال السّادس: ما سرّ التعبير بـ"الكتاب"دون التعبير بكتابنا كما قال الله تعالى ﴿ الذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ﴾.

السّؤال السّابع: "ما سرّ التعبير بـ "اصطفينا" دون اخترنا أو آثرنا، وهل فرّق بين هذه الألفاظ وقد قال الله تعالى: ﴿ وربّك يخلق ما يشاء ويختار ﴾، وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ آثَرِكَ اللهُ عَلَيْنَا ﴾.

السّؤال الثامن: ما سرّ التعبير بـ "عبادنا" دون العبيد وهل فرّق بينهما.

السّؤال التاسع: ماسرّ تقديم الظّالم لنفسه والعرب يقدّمون ما هم أعنى وأهمّ، والسّابق بالخيرات معلوم العنايّة عند الله تعالى؟.

السّؤال العاشر: ما سرّ التقييد بقوله: بـ "إذن الله" في القسم الأخير، ولم يقيّد بمثل ذلك في القسمين الأوليين؟

السّؤال الحادي عشر: ما سرّ قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِير ﴾ دون التعبير بأولئك هم أهل الفضل كما قال الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِم، وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون ﴾.

السّؤال الثالث عشر: ما سرّ التعبير بـ "الفضل" دون الفوز، كما قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العظيم ﴾ وغيرها من الأسئلة.

واعتمد الشّيخ في تصنيفه هذا وفي إجابته على الأسئلة الطّويلة مصادر كثيرة نوّه إليها في مقدّمته، منها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، وحاشيّة أبي السّعود (إرشاد العقل السّليم)، وحاشيّة الشّهاب الخفاجي (عنايّة القاضي وكفايّة الراضي)، ولم يكن ناقلا فقط

بل كان معترضا في بعض الأحيان مبرزا رأيه مرجّحا بين الأقوال، فعند إيراده لكلام البيضاوي وأبي السّعود في كلامهم عن قوله تعالى: (مصدّقا) فإن قلت: هذا مخالف لما ذكره العلامة البيضاوي أنّ (مصدّقا حال مؤكّدة، قال عند قوله تعالى "هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" من سورة فاطر13، أحقّه (مصدّقا) لما تقدّمه من الكتب السّماويّة حال مؤكّدة لأنّ حقّيته تستلزم موافقته إيّاه في العقائد وأصول الأحكام، ووافقه السّعود وأقرّه الشّهاب، قلت: بحث في ذلك ابن هشام أنّ اللازم للحقّ هو صادقيته لا تصديقه لجميع الكتب السّماويّة، فالحال مؤسّسة لا مؤكّدة، على أنّ التّأسيس أبلغ في التّأكيد، لأنّ حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة.

كما تميّز أسلوب الشّيخ أحيانا بالاستطراد والتوسّع في الاستشهاد بالآيات الكثيرة مفسّرا لها، واهتم الشّيخ بإيراد أقوال ومذاهب المدارس النحويّة خاصة الكوفيّة والبصريّة، فقد اعتمدها مثلا في قوله تعالى "جَنَّتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ"، إذ يقول: "وقد اختلف أهل العربيّة في الضّمير العائد من الصّفة على الموصوف في هذه الجملة، فقال الكوفيون التقدير "مفتّحة لهم أبوابها"وأل والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العينين أي عينيه، ومعنى قوله تعالى "فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى"، أي مأواه، قال بعض البصريين: التقدير مفتّحة لهم الأبواب منها، فحذف الضمير وما اتصل به، إلا أنّه قليل الاهتمام بعلم القراءات والأحاديث النبويّة إلا في مواضع معدودة.

عبد الكريم حمو

المصادر:

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

■ علي بن مصطفى أبو طالب الإغريسي (ت: 656هـ - 1258م)

علي بن مصطفى بن محمّد بن المختار، أبو طالب الإغريسي: من كبار الفقهاء في وقته. ولد بمحلّ يقال له كاشرو قرب معسكر وتعلّم بمعسكر ووهران. قال في تعريف الخلف. كان جامعا بين المعقول والمنقول، والشّريعة والحقيقة. كان مهابا، توفّي بأرض أوّلاد ميمون قرب تلمسان، ودفن بقريّة العباد.

الشّيخ العالم الفاضل المحقّق الكامل الجامع بين الشّريعة والحقيقة المجذوب السّالك الطّريقة سيدي الحاج علي أبو طالب بن البركة الشّيخ العلّامة سيدي الحاج مصطفى بن الشّيخ سيدي محمّد بن الشّيخ سيدي المختار بن الشّيخ المشهور بسيدي قادة بن المختار المقصود بالزّيارة للخاصّ والعام، رضي الله عنه.

ولد سنتين بقيتا من القرن الثّاني عشر بعد الهجرة بمحل يقال له: كاشرو قرب معسكر وتوفّي منتصف رمضان المعظم عام ثمانيّة وخمسين ومئتين وألف (1258م) بأرض أوّلاد ميمون، بقرب تلمسان على نحو أربع ساعات . دفن داخل مقام شيخ الشّيوخ أبي مدين الغوث رضي الله عنه، بقريّة العباد خارج تلمسان بوصيّة منه بعد أن كان دفن بالرّض المتوفى بها جبرا من أهلها بقصد التّبرك به، إذ هم من جملة خدّام الدّار، ثمّ بعد أيّام سرقه أوّلاده ليلا، وأخذوه إلى حيث أوصى.

كان رضي الله جامعا بين المعقول والمنقول، والشّريعة والحقيقة مهابا ذا صورة حسنة وهيأة مستحسنة، توفّي والده وتركه في حجر أخيه الشّيخ سيدي الحاجّ محي الدّين وسنّه إذ ذلك نحو الأثنتي عشر سنة فأتم القرآن، واشتغل بطلب العلم فقرأ النّحو والفقه والحديث وغير ذلك على أخيه المذكور وعلى الشّيخ العلّامة سيدي الحاجّ أحمد بن المكّي الخروبي قاضي معسكر.

قضى حياته في الجزائر والمغرب وسوريّة.

درس وتعلّم وحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، ثمّ أكمل دراسته على علماء عصره في كلّ من مدينتي: فاس وطنجة بالمغرب الأقصى وقد هاجر إليها والده عقب هزيمة الأمير عبدالقادر.

شارك في حرب المقاومة التي خاضها الأمير عبدالقادر ضدّ الغزو الفرنسي، وبعد هزيمة الأمير هاجر إلى طنجة .

عندما استقرّ الأمير عبدالقادر في دمشق لحق به المترجم له وبقي في صحبته حتى عام 1877، ثم عاد إلى وطنه الجزائر لكن سلطات الاحتلال نفته مرّة أخرى إلى طنجة، وهناك اعتزل الحياة حتّى توفّي .

سجّل أحداث المقاومة الشّعبيّة التي قام بها الأمير عبدالقادر في القرن التّاسع عشر في شعره

كلّفه الحاكم العامّ الفرنسي سنة 1899 الوساطة مع المجاهد بوعمامة .

له قصيدة وردت ضمن كتاب (الأمير محمّد بن عبدالقادر الجزائري)

شاعر تقليدي، نظم في الأغراض المألوفة، ما توفّر من شعره قصيدتان، نظم في تهنئة الأمير بمناسبة انتصاره على أعدائه وصفهم بجيش الكفر ووصف جنوده بالبواسل، والقصيدة في لغتها ومعانيها تنسج على منوال قصائد الحرب في التّراث العربي، وتجمع في أغراضها بين المدح والفخر والحماسة، كما نظّم في وصف مدينة الجزائر، فتوقّف عند فنونها وعمّارتها داعيًا الله أن يحفظها من المزعجات والشّرور .

يتّسم شعره بسلاسة اللغة ووضوح المعنى، بلاغته متوازنة بين القديم والجديد، أمّا خياله فدارج مألوف .

تسعديت لحول

- كتاب: تعريف الخلف برجال السّلف / أبو القاسم محمّد الحفناوي.
- كتاب: معجم أعلام الجزائر / عادل نويهض.
- موقع المعجم / مؤسّسة عبد العزيز سعود البابطين الثّقافيّة

علي بن يحي السّلكسيني أگادير التّلمساني
(قبل910هـ - 1504م/929هـ - 1565م)

أبو الحسن علي بن يحيى السّلكسيني أگادير التّلمساني، عالم دين مسلم من علماء تلمسان في القرن السّادس عشر ميلادي. ولد قبل سنة 910 هـ 1504م . كان يسكن (أگادير) وهي تلمسان السّفلى ولذلك عُرف أگادير .

علي بن يحيى السّلكسيني أگادير التّلمساني، أبو الحسن نحوي، فرضي، عارف بالتّفسير والحساب، خطيب، عالم من فقهاء المالكيّة. من أهل تلمسان وبها نشأ وتعلّم. انقطع لنشر العلم وتدريسه بجامع أجادير بتلمسان حيث كان إماما وخطيبا به.

الفقيه الخطيب العالم العلّامة المحقّق المتفنّن، هكذا وصفه ابن مريم في "البستان"، وقال: "كان محققًا في العلوم وأكثر التّحقيق في الحساب والفرائض ومختصر ابن الحاجب الفرعي، والرّسالة ومختصر خليل وعقائد السّنوسي، وأحكام القرآن في الحذف والثّبت والإعراب، وكان – رضي الله عنْه – حريصًا على تدريس العلم .

وقال أي: ابن مريم – إنَّ محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن الأدغم السّويدي أخذ عنْه التّفسير.

وقال نويهض في معجمه: "نحوي فرضي عارف بالتّفسير والحساب"، أخذ العلم عن شقرون بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني، شيخ القراءات، وأخذ عنه العِلْم أستاذ القراءات والمتخصّص فيها أحمد بن الحاجّ اليدري، وأحمد أعراب بن سهلة الرّاشدي، ومحمّد بن العبّاس العبادي، وسعيد المقري، وعلي العطّافي، أحمد أبركان الزّكوطي وغيرهم .

ذكر من شيوخه ثلاثة من أعلام القرن العاشر الهجري وهم:

محمّد (توفّي سنة 929 هـ 1523م): ولد بوهران ثم ارتحل إلى فاس مع أبيه وأقام بها إلى أن توفّي. أبوه أحمد بن أبي جمعة الوهراني صاحب الفتوى الشّهيرة لمسلمي الأندلس وجدّه أبوجمعة بن الإمام محمّد بن عمر الهوّاري عالم وهران وإمامها .

– محمّد بن موسى الوجديجي (توفّي بعد 930 هـ 1524م): من علماء تلمسان. أدرك الإمام السّنوسي وابن زكري.

– أحمد بن ملوكة النّدرومي التّلمساني (توفّي حوالي 945 هـ 1538م): من علماء تلمسان في آخر العهد الزيّاني. عاصر بداية العهد العثماني ودخول عرّوج بربروس إلى تلمسان.

من تلاميذه:

– ابنه عاشور بن علي (توفّي 1014 هـ 1605م): محمّد عاشور بن علي بن يحيى السّلكسيني. من فقهاء تلمسان. كان خطيبا وشاعرا.

– ابن مريم التّلمساني (توفّي بعد 1025 هـ 1616م): أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن أحمد الشّريف المليتي المديوني التّلمساني. من أعلام تلمسان وكبار علماءها ببدايات القرن الحادي عشر الهجري السّابع عشر ميلادي، صاحب كتاب البستان.

– سعيد المقري (928 هـ 1522م – توفّي بعد 1011 هـ 1603م): أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري . مفتي تلمسان وخطيب الجامع الأعظم لأكثر من أربعين سنة. عمّ أبي العبّاس المقري صاحب نفح الطّيب.

– محمّد بن العبّاس الصّغير (توفّي 1011 هـ1603م): حفيد الإمام محمّد بن العبّاس التّلمساني أو حفيد ابنه أبي عبد الله بن العبّاس. من علماء تلمسان. الإمام العالم الفقيه، له قدم في المعقول والمنقول.

– عبد الرّحمن بن موسى (929 هـ 1523م1011–هـ 1603م): عبد الرّحمن بن محمّد بن محمّد بن موسى الوجديجي، كان من علماء تلمسان وفقهاءها مثل أبيه وجدّه من قبل . كان شاعراً مجيدا. شارك في حصار المرسى الكبير ومعارك وهران مع حسن باشا وله قصائد في ذلك.

– حدو بن الحاج محمّد بن سعيد اليدري (توفّي 998 هـ 1590م): من علماء تلمسان . كان عالما بالقراءات والعربيّة والنّحو والفقه.

– محمّد بن محمّد بن الحاج محمّد بن سعيد اليدري (توفّي 964 هـ

1557م): المدعو أمزيّان . من علماء تلمسان. توفّي شابا.
- حدّادة بن محمّد بن الحاج محمّد بن سعيد اليبدري (توفّي 1008 هـ 1600م): من علماء تلمسان . توفّي في البحر حاجا ودفن في جربة.
- محمّد بن عبد الله بن الحاج محمّد بن سعيد اليبدري (توفّي1009هـ 1601م): المدعو امقران، من علماء تلمسان . تخصص في عدّة فنون.
- محمّد بن رحمة التّلمساني (توفّي 1001 هـ 1593م): محمّد بن عبد الله بن عبد الرّحمن المطغري الجادري التّلمساني من فقهاء تلمسان وأوّلياءها.
- محمّد الأدغم السّويدي (توفّي 980 هـ 1572م): محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن السّويدي. كان فقيها صوفيا محدثا نحويا.
- أحمد أبركان الزّكوطي: أبو العبّاس أحمد بن عيسى الورنيدي الزّكوطي المدعو أبركان . من فقهاء تلمسان وأعيانّها.
- محمّد بن علي بن رحو الزّكوطي (توفّي 990 هـ 1582م): من فقهاء تلمسان. كان فقيها ونحويا.
- أحمد بن الجوهرة الوجدي.
- أحمد أعراب بن سهلة الرّاشدي.
- موسى بن أبي عمران.
- علي بن عبد الرّحمن العطّافي.

ولد الإمام السّلكسيني نهايّة العصر الذهبي لعلماء تلمسان. وكان شيوخه من تلاميذ كبار علماء تلمسان، فكان بذلك واسطة وصل بين تلاميذه وعلماء العصر الذّهبي. ووصفه ابن مريم بأنّه كان دائم الاشتغال بتدريس العلم لطلبته الذين كانوا يلازمونه دائما حتّى في طريقه إلى بستانه بحوز "الصّفصيف"أو أثناء اشتغاله بالفلاحة وخدمة الأرض أو أثناء صعوده لصومعة المسجد للآذان. ويدلّ هذا على كثرة تلاميذه وحرصه على تدريسهم. وكان من تلاميذه أعلام كثيرون من بعده، مثل ابن مريم صاحب البستان. وكان منهم أيضا من هم من أبناء العلماء وأسر العلم المعروفة بتلمسان مثل سعيد المقري ومحمّد بن العبّاس الصّغير العبادي وعبد الرّحمن بن موسى الوجديجي وأربعة من أبناء وأحفاد الشّيخ الحاج بن سعيد الورنيدي اليبدري التّلمساني ممّا يدلّ على أن السّلكسيني كان من كبار علماء تلمسان بوقته.

توفّي في الثّاني والعشرين من رجب سنة 972هـ الموافق للثالث والعشرين من فبراير سنة 1565م.

تسعديت لحول

المصادر:
- الموسوعة العلميّة ــ ويكيبيديا ــ 14 يناير 2019؛
- البستان في التّعريف بأعلام القرآن في تلمسان / معاشو بو وشمة؛
- معجم أعلام الجزائر / عادل نويهض.

■ رمضان عبان
(1339هـ - 1920م/1377هـ - 1957م)



ولد رمضان عبان في 10 جوان 1920م ببلدة عزوزة الجبليّة القريبة من الأربعاء نايث ايراثن (فور ناسيونال سابقا) بمنطقة القبائل الكبرى وهو من عائلة ثرية جدا، أبوه محند أو فرحات، أمّا أمه فتدعى مرادي فاطمة وكانت تحب ابنها رمضان كثيرا، وقد أصيبت بالشّلل الذي أودى بحياتها بعد وصول خبر استشهاد فلذة كبدها رمضان في عام 1957.

دخل الطّفل رمضان عبان المدّرسة الابتدائيّة الفرنسيّة بعزوزة عام 1926م، وبعد حصوله على الشّهادة الابتدائيّة درس مدة بثانوية تيزي - وزو ثم أرسله أبوه فيما بعد للدّراسة بثانوية (Duveyrier) بالبليدة التي تحمل اليوم اسم ابن رشد. والتّقى رمضان عبان في البليدة بطلبة جزائريّين أتوا من عدة مناطق من الوطن، فلاحظ أنّه يشترك معهم في الدّين والثّقافة والعادات والتّقاليد في الوقت الذي يتميز فيه عن الفرنسّيين في كل شيء فكان ذلك وراء ظهور بوادر الوعي الوطني لدى الشّاب رمضان عبان، ومن زملائه في ثانوية ابن رشد بالبليدة شخصيّات كان لها وزن كبير في مسيرة الحركة الوطنيّة كابن يوسف بن خدة وسعد دحلب اللذان كانا من أشد أصدقائه حتى استشهاده. كان رمضان عبان طالبا ممتازا في أغلب المواد الدّراسيّة خاصّة مادة الرّياضيات التي أكسبته قدرة فائقة على التّفكير المنطقي والتّنظيم والعمل المنهجي وتحصل رمضان عبان على بكالوريا رياضيات فيّ عام 1942م، إلا أن الحظ لم يسعفه لمواصلة دراسته في القانون ليصبح محاميا مثلما كان يحلم، ويعود سبب ذلك إلى الإفلاس الذي انتاب عائلته أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة، فانتقلت من حياة الرّخاء والغنى إلى حياة الفقر والفاقة.

استدعي الشّاب رمضان عبان عام 1943م لأداء الخدمة العسكريّة الإجباريّة.

إن انتقال والد رمضان عبان من الغنى إلى الفقر جعله في حاجة ماسة إلى مساعدة أبنائه له، فهاجر ابنه الأكبر عمار إلى فرنسا بحثا عن العمل، أما الشّاب رمضان المتعلم والحائز على البكالوريا، فقد استطاع أبوه أن يجد له وظيفة كبيرة في الإدارة الاستعماريّة بواسطة معارفه الكثيرين، فأصبح الشّاب رمضان عبان أمينا عاما للبلدية المختلطة بشلغوم العيد.

وعندما حصل عبان على هذه الوظيفة انخرط دون علم أحد في حزب الشّعب الجزائري الذي أصبح يدعى بعد الحرب العالمية الثّانيّة بحزب (حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطيّة) وكان يدعو إلى استقلال الجزائر التّام عن فرنسا. واكتشفت الإدارة الاستعماريّة سر الشّاب رمضان عبان عام 1947م، فطلبت منه الاختيار بين وظيفته والنضال السّياسي، فردّ على المسؤول الاستعماري الذي طلب منه ذلك وهو ممسك بقلم قائلا (ليس بيني وبينك إلا هذا القلم الذي يربطنا)، فوضعه فوق الطّاولة ويعني بذلك إنهاء عمله لدى الإدارة الاستعماريّة واختياره النّضال من أجل وطنه فدخل السّرية خوفا من إلقاء القبض عليه. ويعتبر تخلي رمضان عبان عن وظيفته الرّاقية من أجل الوطن أوّل تضحية يقدمها في سبيل وطنه.

إنّ الثّقافة العاليّة لرمضان عبان وأخلاقه وكرهه للظّلم والاستعمار دفعت قيادة حزب الشّعب الجزائريّ للاتصال به وضمه إلى الحزب. ففرح عبان كثيرا للثّقة التي وضعتها قيادة الحزب فيه واكتشافه أن هناك تنظيما سياسيا يعمل من أجل طرد الاستعمار من وطنه.

لعب رمضان عبان دورا كبيرا في نشر الفكرة الوطنيّة بشلغوم العيد، وساعده في ذلك كل من الحسين بلميلي وعلال طالبي المعلمين بالمدرسة الحرة في المدينة، وبعد أن اكتشف الاستعمار أمر عبان تخلى عن وظيفته ودخل السّرية متنقلا من مكان إلى آخر وهو كله حماس لنشر الفكرة الوطنيّة وتنظيم الشّعب وتحضيره للجهاد في سبيل الله والوطن.

ارتقى رمضان عبان في المسؤوليات داخل الحزب لكفاءته وقدرته ومنهجيته في التّنظيم الثّوري والسّياسي، فأصبح مسؤولا لحركة الانتصار للحريات الدّيمقراطيّة في دائرة سطيف عام 1948م، ثم مسؤولا ولائيا لها في عام 1949م.

وقع حزب حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية في أزمة خانقة عام 1949م، كادت أن تفجره، وذلك عندما أثار الاستعمار النّزعة الجهويّة والعنصريّة، عملا بسياسة (فرق تسد) أي تمزيق صفوف الشّعب الجزائريّ ودفع أفراده إلى التّقاتل والصّراع فيما بينهم. فجمع عبان مناضلي منطقته ليحذرهم من مكائد الاستعمار فقال لهم "لا يهمنا أي شيء إلا الكفاح المسلح من أجل الاستقلال، أما الباقي فلا يمكن أن يقسم صفوف الشّعب المسلم الواحد". فبكلماته تلك أطفأ نار الفتنة التي أراد الاستعمار إشعالها، فانتهت المشكلة نهائيا في منطقته وكان لها نفس المصير في المناطق الأخرى بفضل رجال آمنوا بالوطن وبالشّعب المسلم الواحد والعارفين بمكائد الاستعمار ودسائسه.

واصل رمضان عبان جهاده ضد الاستعمار الفرنسي، فكان ينتقل من منطقة إلى أخرى في سرية تامّة، فأصبح مسؤولا للحزب في الغرب الجزائريّ، كما ترقى إلى القيادة العليا في حزب حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطيّة فأصبح عضوا في لجنته المركزيّة.

وفي يوم من أيام عام 1950م، ألقى البوليس الاستعماري القبض عليه عندما كان في اجتماع مع المناضلين ليلا بمدينة عين تيموشنت، فحكمت عليه محكمة بجاية بخمس سنوات سجنا وغرامة مالية تقدر بـ 500 ألف فرنك قديم، وسجن المناضل رمضان عبان في سجون بربروس بالعاصمة وبجاية، ثم نقل إلى فرنسا، وواصل نضاله واحتجاجاته داخل مختلف السّجون، فأضرب عن الطّعام لمدّة ثلاثة وثلاثين يوما لإثارة القضية الجزائريّة لدى الرّأي العامّ العالمي.

وقرأ رمضان عبان خلال اعتقاله أكثر من ثلاثة آلاف كتاب باللغات العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة التي كان يتقنها جيدا، فاكتسب بذلك ثقافة سياسّية وتاريخيّة واجتماعيّة واقتصاديّة عالية وظفها كلها في خدمة الثّورة بعد خروجه من السّجن، فأصبح جديرا بحمل لقب (مثقف الثّورة).

خرج رمضان عبان من السّجن في عام 1955م بعدما بقي فيه خمس سنوات كاملة، وقد كانت الثّورة المسلحة التي كان يحلم بها قد اندلعت في عام 1954م وتقدمت خطوات عملاقة. والتحق المجاهد عبان ببيت عائلته بعزوزة التي لم يرها منذ ثماني سنوات، فوفد سكان البلدة إليه يهنئونه لخروجه من السّجن، وفرح والده بعودته ولم يعلم أن رمضان عبان لم يكن يفكر إلا في كيفية الالتحاق بالثّورة المسلحة من أجل تحرير وطنه.

وبعد مدة قصيرة اتصل بكريم بلقاسم قائد منطقة القبائل ليطلب منه الالتحاق بالثّورة ففرح المجاهدون كثيرا بانضمامه إلى صفوفهم لما عرفوه عن عبان من كفاءة وشجاعة وإيمان عميق بالوطن. فعينه كريم بلقاسم في البداية كمستشار سياسي لقيادة الثّورة في منطقة القبائل، ثم كلفته القيادة بتنظيم العمل الثّوري بالعاصمة. وتتطلب عملية انتقال المجاهد رمضان عبان إلى العاصمة سرية فائقة. فاتصلت قيادة الثّورة بالمجاهد رباح لخضر الذي يعمل تاجرا ويسكن في حي أوروبي وطلبت منه الكف عن أي نشاط سياسي أو تحركات مشبوهة، فتعجب رباح لخضر من هذا الطّلب الغريب وهو كله حماس لخدمة الثّورة بماله وروحه. وبعد مدة عرف السّبب وبطُل العجب لأنّه كلف بإيواء قائد عظيم في بيته مما كان يستدعي عدم إثارة الشّبهات حوله، ولم يكن هذا القائد إلاّ رمضان عبان من منطقة القبائل الكبرى.

شرع رمضان عبان في العمل انطلاقا من بيت التّاجر والمجاهد رباح لخضر دون أن يثير انتباه البوليس الاستعماري وسكان الحي الأوروبي. فقام رمضان عبان بتنظيم خلايا الثّورة في العاصمة. وكان عبان يعتقد أن الثورة لا يمكنها النّجاح والانتصار إلا إذا شارك فيها الشّعب الجزائريّ كله بمختلف أحزابه السّياسية وشرائحه الاجتماعيّة سواء أكانت غنية أم فقيرة.

اتصل رمضان عبان بقيادات الأحزاب الجزائريّة الموجودة آنذاك، لإقناعها بضرورة الانضمام إلى الثّورة وركوب قطارها قبل فوات الأوان. فانضمت أغلبها إلى الثّورة بعد اقتناعها بما قاله المجاهد رمضان عبان من أن الاستعمار لا يفهم إلا لغة السّلاح وأن العمل السّياسي السّلمي لا يجدي معه. وبعد انضمام مناضلي أغلب هذه الأحزاب إلى الثّورة وزعهم حسب قدراتهم وكفاءاتهم والأعمال التي يمكن إفادة الثّورة بها فأرسل البعض منهم إلى الجبال لحمل السّلاح وآخرين للعمل كفدائيين في المدن، والبعض الآخر

لـم ير دورهم إلا في العمل السّياسي بالخارج كدبلوماسيين وكتـاب وصحافييـن لأن الثّورة كانت تحتاج إلى الجميع. وبهذا العمل الجبار الذي قام به رمضان عبان استطاع إشراك أغلب الجزائريين في الثـورة مهما كانـت توجهاتهم السّياسية لأنهم يشتركون جميعهم في وطن واحد، فأصبح ولاؤهم جميعا للثّورة والوطن فقـط ولا ولاء لأحزابهـم التـي حلوهـا لأن مصلحة الوطن فوق مصلحة الأحزاب.

نظم رمضان عبان مختلف شرائح المجتمع فـي تنظيمات مختلفة، فظهـر للعمال (الاتحاد العـامّ للعمـال الجزائريّيـن وللتّجـار (الاتحاد العـامّ للتّجـار الجزائريّيـن) وللنّسـاء (الاتحاد الوطني للنّسـاء الجزائريّات) وللطّلبة (الاتحاد العامّ للطّلبة الـمسلمين الجزائريّين). كما كان رمضان عبـان وراء إضراب الطّلبـة والتحاقهم بالثّـورة عـامّ 1956م. وبهـذا أصبـح أغلـب الشّـعب الجزائريّ منخرطا في الثّـورة ويؤدي كل واحد من أبناء الشّعب واجبه الوطني بشكل من الأشكال. فجسد رمضان عبان بذلك فكرة أن الشّعب هو البطل الوحيد فيّ الثّورة.

فكر رمضـان عبان في ضرورة وضع نشيد رسـمي للثّـورة الجزائريّـة، فاتصـل بالشّـاعر مفـدي زكريـا ليطلـب منـه وضع كلمـات هذا النّشـيد فـكان لـه ذلـك، ثـم قـام الـموسيقار الـمصري محمّـد فـوزي بتلحينه، فتـم بذلك ميلاد النّشيد الوطني (قسما) الذي يهز النّفوس ويحرك قلب كل وطني غيور.

فكـر الـمجاهد رمضـان عبـان وبعـض الـمجاهدين بضـرورة إعطـاء الثّـورة تنظيمـا سياسـيّا وعسـكريّا لـه فعاليـة أكبـر لضمـان انتصارها، فانعقـد بذلك مؤتمر الصومام الذي حضرته قيادات الثورة يـوم 20 أوت 1956م، وانبثق عـن المؤتمر عدة قـرارات أهمها إعادة تقسيم البلاد عسـكريا إلى ست ولايات، وهي الأوراس، والشّـمال القسـنطيني، والقبائـل، والوسـط، والغـرب الجزائـريّ، والصّحـراء ومجلسـا وطنيا للثورة يشبه البرلـمان وسلطة عليا للثورة تسـمى بـ (لجنة التّنسيق والتّنفيذ). وعُيـن رمضـان عبـان فـي هـذه اللجنـة مكلفا بالتّنسـيق إلـى جانـب ابـن يوسـف بـن خـدة الـمكلف بالاتّصـال، والعربـي بـن مهيـدي الـمكلف بالعمل الفدائي في الـمدن، وكريم بلقاسم الـمكلف بالعمل الـمسلح في الجبال وسعد دحلب وكانت مهمته الإعلام والدّعاية.

رأى رمضـان عبـان ضرورة تكثيـف العمل الفدائـي في الـمدن وخاصّـة العاصمـة لأنها محط أنظـار العالـم كله. فنظم رمضـان عبان والعربي بـن مهيدي معركـة الجزائر فـي نهاية عام 1956م إلى جانب رجال ونسـاء كياسـف سـعدي وعلـي لابوانـت وحسـيبة بـن بوعلي وجميلـة بوحيرد،...وغيرهم مـن الذين أبهروا العالـم بتضحياتهـم وهـزوا أركان الجيـش الاستعماري الذي جن جنونه.

وفـي الفتـرة نفسـها قـررت لجنة التّنسـيق والتّنفيـذ تنظيـم إضـراب عـام فـي العاصمـة والمـدن الأخـرى لمـدّة ثـماني أيـام بهـدف الإظهـار للعالـم آنـذاك مـدى تعلـق الشّـعب بثورتـه. فهـاج الاسـتعمار أثنـاء الإضـراب وأصبـح يقتل ويعتقـل الناس ويعـذب ويجلد دون أي تمييـز يذكـر فأثـار الاسـتعمار عليـه بذلك حقد الشّعب كله وبما فيه أصدقاؤه، وقد استشـهد الكثيـر من أبناء الشّـعب أثنـاء معركة الجزائر وعلى رأسهم بن مهيدي فكان ذلك هو الثّمن الذي يجب دفعه من أجل الحرية.

بعد الحصار الـمفروض على العاصمة بعد إضراب الثّمانيّة أيام واعتقال البطل بن مهيدي، لـم يكن أمـام أعضاء لجنـة التّنسـيق والتّنفيذ مخرجـا آخـر إلا الخـروج مـن الجزائـر قبـل إلقاء القبض عليهم مـما يلحق الضرر بالثورة لأنهم سـلطتها العليـا، فاتفق الأربعة الـباقون على تقسـيم أنفسـهم إلـى مجموعتيـن فكريم بلقاسم وبن خدة يتجهان نحو تونس، أما عبان رمضان وسعد دحلب فيتجهان نحو الـمغرب الأقصى. فسـمح السّـفر الطّويل لرمضان عبان وسـعد دحلب بمعرفة الثّورة فـي جبال الغرب الجزائريّ عن قرب ووصلا الـمغرب الأقصى في عام 1957م.

استشـهد رمضـان عبـان يـوم 27 ديسـمبر 1957م فـي ظـروف غامضـة، ولـم يعلن عن استشـهاده إلا فـي شـهر مـاي 1958م، ممـا جعل الكثير فيما بعد يبحثون في هذه الظّروف الغامضة التي بقيت سـرا إلى حـد اليوم، ولعل المسـتقبل سيكشـف حقيقتهـا، والغريـب في الأمـر أنّ جثـة رمضـان عبـان لـم يعثـر عليها إلى حد اليـوم. ومهما كانت ظروف استشـهاد البطـل، وبغض النظر هل بقيـت جثته في رمال الصّحـراء أم كانت فـي قاع البحر، فـإن روحه الطّاهرة عند رب كريم، عظيم رحيم.

نبيل دادوة

المصـــادر

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة

■ عياض البوعبدلي
(1922، 1341م - 1443هـ، 2021م)

عيـاض بـن بوعبـد اللـه بـن عبـد القـادر البوعبدلـي، مجاهـد وأحـد علمـاء وهـران وقضاتهـا وقامـة تربوية وإصلاحيـة، ينحدر من عائلـة عـرف عنهـا التمتـع بالسـلطة الروحيـة، يعود نسـبها إلـى الولـي الصالح الشـيخ بوعبد اللـه المغوفل دفين بلدية وادي رْهيو. ولد سـنة 1922 ببطيـوة، ووالـده هو الشـيخ بوعبـد الله البوعبدلـي العالـم والشـاعر الصوفـي المتوفي سـنة 1952 م، والذي اسـتقر ببلدة بطيوة شرق وهـران وأسـس بها زاويـة صار لهـا صيت كبير في غـرب الجزائـر عرفـت بالطريقـة الدرقاوية البوعبدليـة. وقـد زاره الشـيخ عبـد الحميد بن باديس فـي مقر الزاوية وربطتـه بجمعية العلماء علاقـة طيبة. تلقى عياض تعليمه الأساسـي في زاوية والده وذلك في الفترة الواقعة بين 1928 و 1934. وفـي سـنة 1935 انتقـل إلـى مازونة لمواصلة تعليمه حيث انتسب إلى مدرسة الشيخ هني وأنهى بها دراسـته سنة 1938 م، وشكلت مازونة تاريخيا أحد الأقطاب الثقافية المشـهود لها بنشر العلم والمعرفة في ربوع الجزائر. وفي سـنة 1940 توجه إلى تلمسـان ليكمل تعليمه،

فالتحق بالمدرسة الإسلامية وتخرج منها سنة 1944م. وبعد أن أتم دراسته في تلمسان ارتحل إلى الجزائر العاصمة حيث التحق بالمدرسة الثعالبية سنة 1944 وتخرج منها في فرع القضاء سنة 1946. أشارت بعض الكتابات التي تناولت سيرته إلى أنه هاجر سنة 1946 إلى فرنسا، لمدة قصيرة، انتسب خلالها لجامعة السوربون لدراسة الحقوق.

وبعد أن أكمل تحصيله العلمي اشتغل في مجال الصحافة من 1947 إلى 1949. وفي سنة 1950 عين مدرسا للغة الفرنسية بمنطقة البيض ثم انتقل سنة 1952 للعمل كأستاذ للغة العربية بأرزيو قرب وهران. انخرط خلال تلك المرحلة في الحركة الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان والده على صلة طيبة بجمعية العلماء.

وبعد اندلاع ثورة التحرير في الأول من نوفمبر 1954 م، وضعت السلطات الاستعمارية الفرنسية، ابتداء من سنة 1955، الشاب عياض البوعبدلي تحت المراقبة للتضييق على نشاطه، فتم نقله سنة 1956 م إلى المغرب مع مجموعة من الشباب. وجرى إلحاقه بورشة تعليمية لتدريبه على فنون العمل الصحفي. وانخرط بصورة فعلية منذ تلك السنة في الثورة. فساهم في تأسيس إذاعة صوت الجزائر بمدينة طنجة في المغرب و التي كانت تبث خلال ثورة التحرير. كما كان ضمن الطاقم الصحفي لجريدة المقاومة الجزائرية، وكذا صحيفة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني. وعرف في تلك المرحلة بلقبه الثوري "سي أحمد".

بعد الاستقلال تولى عدة مسؤوليات، و يذكر بعض من كتب سيرته أنه تم تعيينه كأول مدير جهوي للأمن الوطني بوهران ولم يطل به المقام في هذا المنصب حيث عين مديرا لمصنع في وهران. كما تم انتخابه سنة 1971 رئيسا لبلدية بطيوة و كذلك عضوا بالمجلس الشعبي الولائي لوهران. وبعد إنتهاء عهدته، تفرغ للعمل بزاوية والده وتخرج على يديه الكثير من الطلبة ومن عدة ولايات في مجال القضاء. وبعد وفاة شقيقه الأكبر الشيخ المهدي البوعبدلي سنة 1992، تسلم الشيخ عياض منصب المشيخة على رأس الزاوية البوعبدلية التي أسسها والده الشيخ عبد الله البوعبدلي وهي إحدى فروع الطريقة الدرقاوية التي تنسب لمولاي العربي الدرقاوي المغربي، والتي تفرعت عن الطريقة الشاذلية المنسوبة لأبي الحسن الشاذلي. تأسست الطريقة الدرقاوية في حدود سنة 1723 م أي خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، بينما ظهرت الطريقة الشاذلية في حدود سنة 1227 أي في النصف الأول من القرن الثالث عشر. وبعد وفاة مؤسس الطريقة الشيخ بوعبد الله البوعبدلي سنة 1952 م، تولى ابنه الشيخ عبد البر مشيخة الزاوية حتى وفاته سنة 1974م بالمدينة المنورة، فخلفه شقيقه الشيخ المهدي البوعبدلي الباحث والمؤرخ المعروف بمؤلفاته في التراث والتاريخ والإفتاء، والذي أسهم بقدر وافر في إثراء المكتبة الجزائرية بدراسات وبحوث قيمة، مشيخة الطريقية البوعبدلية. تتوفر الزاوية على عدد كبير من المخطوطات والكتب في التاريخ ومختلف العلوم، وانتشر نفوذها في غرب الجزائر عموما وبمنطقة غليزان على وجه الخصوص حيث صار لها تلاميذ ومريدون خاصة ببلدة يلّل. وكانت الزاوية البوعبدلية ملجأ للمجاهدين أثناء الثورة التحريرية.

وُصف الشيخ عياض البوعبدلي في حفل تأبينه بأنه "كان واحدا من أولئك الرجال الكبار، والشيوخ الأجلاء، ووطنيا خالصا، مجاهدا و إماما مؤتمنا وناصحا صدوقا". كما قيل عنه في نفس المناسبة بأنه "" الفقيه المجاهد، صاحب السيرة العطرة والقدوة الطيبة الذي أفنى حياته في تنشئة الأجيال على أقوم ما تكون التنشئة الصالحة، تربية وطنية ودينية وتعليمية. التحق بالثورة في رعيان شبابه فكان حافظ الأسرار والصحفي المتمكن الذي ساهم في تسفيه الدعاية التضليلية للقوات الاستعمارية". كما وصفته جريدة الشعب بأنه كان قامة شامخة من قامات الجزائر الدينية والنضالية.

توفي الشيخ عياض البوعبدلي في 27 صفر 1443 للهجرة الموافق لـ 5 أكتوبر 2021 حسب التقويم الميلادي عن عمر ناهز التاسعة والتسعين عاما ودفن في المقبرة العائلية ببطيوة مقر الزاوية البوعبدلية

.

عامر بغـــدادي

المصادر:

- – من تاريخ الطريقة الشاذلية في منطقة غليزان، محمد مفلاح، دار القدس العربي، وهران، 2016
- – ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر، محمد مكحلي، دار آفاق كوم للنشر والتوزيع.
- – الموقع الإلكتروني "بوابه التاريخ"، خوجة زين الدين.

■ عـــــلاوة بوغـــريـــرة (1337ه-1919م/1376ه-1957م)

هو (عـلاوة بـن بلقاسـم بوغريـرة) و(دلولـة فنـور)، ولـد يـوم: (10ذو القعدة1337هـــــــ)؛ الموافـق لـ (07 أوت1919م) في قريّـة (تغرغـرت)؛ قـرب منطقة (وادي النّيـل)؛ التّابعة إلى بلديّة (برج الطّهر)، والقريبة من منطقة (الشّقفة)، ودائرة (الطّاهيـر) بولايّة (جيجل)؛ نشـأ في ظروف قاسـيّة وصعبـة جداً؛ وهـو ينحدر من أسـرة معروفـة بمحافظتهـا وتمسـكها بدينها، وقد اجتهـدت أسـرته المحافظـة علـى تقاليدهـا العربيّـة والإسـلاميّة فـي تدريبـه علـى حبّ الدّين الإسـلامي الحنيـف، والوطن العزيز، وقـد تشـبع منـذ صغـره بالأفـكار الوطنيّـة، بفضل البيئة التي نشـأ فيهـا؛ فقد ألحقه والدّه (بلقاسـم بوغريـرة) وهو مـا يزال فـي مقتل العمر بكتاب قريّة (أولاد مسـعودة)؛ فحفظ ما تيسـر من القرآن الكريـم، وقد كان يرغب في متابعة دراسـته؛ غير أن الظّروف القاسـيّة

التي عاشها لم تسمح له بإتمام المراحل اللاحقة؛ فقد عرف شظف العيش، وعاش الحرمان والفقر أثناء فترة جثوم الاستدمار الفرنسي على الجزائر، وقد أجبرته الظّروف الصّعبة التي عاشها على التّوجه إلى العمل وهو ما يزال شاباً يافعاً؛ وفي عام: (1355هـ/ 1937م) انتقل إلى مدينة (عنابة)، وعمل بها في صناعة الخبز، وفي مدينة (عنابة) احتك بعدد غير قليل من كبار المناضلين في صفوف:« حزب الشّعب الجزائري»؛ الذي سرعان ما انضم إلى صفوفه عام: (1356هـ/ 1938م)، ومنذ ذلك الحين لم ينقطع عن النّضال الثّوري، وشارك في جلّ النّشاطات المنظمة من قبل الحزب، وعن بدايّة نشاطه السّياسي يقول الأستاذ والباحث (الزّبير بوشلاغم): « تفيد المعلومات المتوفرة والتي تم جمعها من بعض الأفراد الذين عايشوا الشّهيد عن قرب سواء بمدينة عنابة، أو في غيرها بأن بدايّة النّشاط السّياسي للشهيد، وقد بدأ وبشكل واضح عام:1938م بمدينة عنابة؛ حيث هيكل ضمن خليّة لحزب الشّعب كانت تنشط بالمدينة؛ معظم عناصرها من أبناء بلدته كما أن نشاط هذه الخليّة قد ارتكز في البدايّة وعلى وجه التّحديد في ميادين التّنظيم والتّوعيّة؛ بهدف تنوير المناضلين وتحسيسهم بالخصوص بالظّروف والأوضاع المزريّة التي كانت عليها البلاد في ظل الاستعمار الاستيطاني البغيض... في هذه السّنة ولأسباب غير محددة أقدم الشّهيد علاوة بوغريرة على تغيير حرفته الأولى (صناعة الخبز)، وامتهن مهنة الحلاقة؛ هذه الحرفة التي سهلت له فرص الاحتكاك وبصورة واسعة بشرائح مختلفة من أبناء الشّعب، ومكنته من التّعرف وبشكل جيد على أحوال النّاس ومعاناتهم اليوميّة؛ من ظلم وقهر واستغلال وتعسف من لدن السّلطات الاستعماريّة؛ هذا الوضع سمح له بطبيعة الحال ببلورة أفكاره، وتطوير معارفه، والتّمكن من الوقوف على الكثير من المعطيات التي كانت تزخر بها السّاحة الوطنيّة آنذاك، وقد عُرف خلال تلك الفترة بجده ونشاطه واستقامة خلقه؛ مما دفع بالعديد من الشّباب إلى الاقتداء به والالتّحاق بصفوف الحركة الوطنيّة حزب الشّعب، ومرة أخرى ولأسباب ما تزال مجهولة أقدم الشّهيد سي علاوة في عام:1944م على النّضال تحت لواء أحباب البيان والحريّة، وقد أظهر قدرته وبراعته في مجال التّنظيم والتّوعيّة، وتعبئة المناضلين».

شارك الشّهيد البطل (علاوة بوغريرة) في مظاهرات8 ماي1945م في مدينة (عنابة)، والتي تحولت إلى مجازر رهيبة في ذلك اليوم الفظيع؛ الذي يصفه العلاّمة الشّيخ (محمّد البشير الإبراهيمي) بأنه« يوم مظلم الجوانب بالظّلم، مطرز الحواشي بالدّماء المطولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السّماء بأرواح الشّهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة، ولا نور، وخرج شهره من طاعة الرّبيع فلا ثمر نور، وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير، ولا تدوين...ولو كان هذا اليوم من أوائل الحرب لوجدنا من يقول: إنه تجربة، كما يجرب الجبان القويّ سيفه في الضّعيف الأعزل ..يا يوم...لله دماء بريئة أريقت فيك، ولله أعراض طاهرة انتهكت فيك، ولله أموال محترمة استبيحت فيك، ولله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، ولله أيامى فقدن بعولتهن فيك، ثم كان من لئيم المكر بهن أن مُنعن من الإرث والتّزوج، ولله صبابة أموال أبقتها يد العائثين، وحُبست فلم تُقسم على الوارثين، يا يوم... لك في نفوسنا السّمة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تُنسى، فكن من أيّة سنة شئت فأنت يوم 8 ماي وكفى، وكل مالك علينا من دين أن نُحيي ذكراك؛ وكل ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطّروس لئلا يمسحه النّسيان من النّفوس ».

وقد كان الشّهيد البطل (علاوة بوغريرة) على رأس المتظاهرين في حي (لاكولون) العريق بعنابة، وكان يحمل العلم الوطني، وقد كان شاهداً على تلك المجازر الوحشيّة والبشعة؛ التي ارتكبتها قوات الاستدمار الفرنسي، وكانت لها جملة من الآثار، والانعكاسات العميقة على مسار التّاريخ الجزائري الحديث؛ إنها مجازر رهيبة لم يشهد التّاريخ لها مثيلاً من قبل، إلى درجة أن عدداً غير قليل من المؤرخين، والدّارسين يُشبهونها بمجازر أصحاب الأخدود في التّاريخ القديم؛ حيث يقول الباحث (عبد الملك مرتاض) في هذا الصّدد: « فتلك المذابح الفظيعة لم تعرف الإنسانيّة لها نظيراً قطّ، فيما شهدته من مذابح، وهمجيّات ارتكبها الجيش الفرنسي بوحشيّة خلال يوم واحد هو ثامن ماي من سنة 1945

؛ إنه يوم ويالله من يوم حالك السّواد، ودامي الدّمع؛ حيث إنه لا يُمكن أن نتصوّر شعباً تعرّض للإبادة الجماعيّة، ودون مبّررات يقتنع بها عاقل، ومتحضّر، وإنسان، أمام أنظار العالم المتعامي، والمتواطئ على الضّعفاء، وعلى مرأى من التّاريخ الخامل، كما تعرّض الشّعب الجزائريّ للتّقتيل منذ اليوم الأوّل الذي وطئت فيه أقدام الاستدمار الفرنسي أرض الجزائر، وعبر فترات مُتلاحقة من التّقتيل، تخفّ، وتقلّ حيناً، لتعود فتشرس وتتكاثر أحياناً أخرى؛ فقد بلغت الإبادة الجماعيّة، المتهمّجة، العنصريّة أوجها في ثامن مايو1945م» .

وقد وصفها المناضل الكبير (فرحات عبّاس) بأنها؛ قد عادت بالجزائر إلى القرون الوسطى، والحروب الصّليبيّة، بل وإلى أخطر من ذلك فيما يخص فرنسيي الجزائر، حيث رأينا أن فئة من نخبتهم تُعذّب، ويُنكل بها، وكيف أن الأبرياء قتلوا على مدار أسابيع عدّة ببرودة، ووحشيّة، والاستدمار الفرنسي ارتكب هذه الجرائم الفظيعة، لأنه ينظر إلى الجزائري على أنه شخص حقير، وعدو لدود، وإنسان منحط –.

وفي عام: (1365هـ/ 1946م) بدأ الشّهيد (علاوة بوغريرة) في اقتناء الأسلحة والذخيرة، وكان يُسافر إلى الحدود التّونسيّة من أجل شراء الأسلحة استعداداً لانطلاق الكفاح المسلح، وقد انخرط في «المنظمة السّريّة الخاصة» التي تأسست سنة: (1366هـ/ 1947م)؛ والتي يصفها المؤرخ الجزائري (محفوظ قداش) بأنها قد «نجحت في هيكلة ما بين 1000 إلى 1500 فرد، الذين تلقوا تكويناً سياسياً وعسكرياً؛ فعلى الصّعيد السّياسي تمّ التّشديد على

سلوك المناضل وخصاله، ودوره، وضرورة التّضحيّة، والمواقف تجاه قوات الشّرطة، والعلاقات مع الجماهير الشّعبيّة، وفي بعض المناطق تمّ التّركيز على تقنيات الإشراف على المظاهرات؛ كما تلقى المناضلون تكويناً عسكرياً نظرياً (فن حرب العصابات، والمهمات الفرديّة، ومعرفة الأسلحة)، بالإضافة إلى تمارين تطبيقيّة (استعمال الأسلحة، والمناورات الميدانيّة، وصنع القنابل...إلخ) ».

وقد كانت له أنشطة مكثفة بمدينة (عنابة) خلال السّنوات التي سبقت انطلاق ثورة التّحرير الجزائريّة المباركة، وبعد قيام ثورة التّحرير المظفرة سنة: (1373هـ/ 1954م)، شارك فيها منذ البدايّة، ولم يتأخر لحظة واحدة عن تلبيّة نداء الوطن، وغادر مدينة (عنابة)، ورجع إلى مسقط رأسه في قريّة (تغرغرت)؛ قرب منطقة (وادي النّيل)؛ التّابعة إلى بلديّة (برج الطّهر)، والقريبة من منطقة (الشّقفة)، ودائرة (الطّاهير) بولايّة (جيجل)، وقد كان الشّهيد البطل (علاوة بوغريرة) أحد أبطال هجومات20أوت1955م، بمنطقة (الشّقفة) بولايّة (جيجل)؛ حيث كان أحد الأبطال الذين هاجموا المركز العسكري بالشّقفة؛ وقد كان منزله من بين المراكز الرّئيسة لجيش التّحرير الوطني في منطقة (الشّقفة)، وقد شارك في العديد من المعارك البطوليّة ضد قوات الاحتلال الفرنسي، وقد استشهد في الأسبوع الثّالث من شهر مارس عام: (1957م)، ويروي صديقه وكاتبه الخاص المجاهد (عمار لطرش) واقعة استشهاده؛ حيث يقول: « في بدايّة الأسبوع الثّالث من شهر مارس، عام:1957م، كان الشّهيد علاوة بوغريرة؛ باعتباره المسؤول الأول للثورة بالنّاحيّة الأولى قد قطع أشواطاً معتبرة في تنظيم النّاحيّة على المستوى القاعدي حتى حدود الولايّة الثّالثّة بناحيّة خراطة، وخلال جولته العمليّة التّفقديّة هذه استقر به المقام بدوار بني جبرون الواقع عند سفح جبل تابابورت من النّاحيّة الشّماليّة الغربيّة، وكنا قدمنا إليه من مركز جمعان عبر لرباع باتجاه دوار بني جبرون، وفي ليلة 17 مارس تجمعت قوة بالمركز، وكانت مشكلة من: الفوج المرافق للقائد سي علاوة بوغريرة، وفرقة تابعة إلى القسم، وهي بقيادة الشّهيد علي كيحل المدعو مولاي، وهو من ناحيّة الشّقفة، وفوج من طلبة اللاسلكي كان قادماً من تونس، وغرضه التّوجه إلى الولايّة الثّالثّة، وفي ذات الليلة غادر فوج طلبة اللاسلكي المركز باتجاه الولايّة الثّالثّة، أما الفوج المرافق للشهيد سي علاوة، وأعضاء الفرقة فقد بقينا بمواقعنا بدوار بني جبرون المطل على وادي بوعفرة في انتظار اليوم التّالي لاستئناف نشاطنا العادي، وفي الصّباح الباكر من يوم:17مارس1957م وصل إلى أسماع القيادة معلومات- وإن كانت غير مدققة تفيد بوجود تحركات مريبة لقوات العدو في المراكز المتواجدة عبر المنطقة، وبالخصوص على محور الطّريق الرّابط بين سوق الاثنين / خراطة، ولم نتأكد من صحة المعلومات المتداولة إلا بعد أن شاهدنا في الصّباح الباكر طائرة استكشافيّة في سماء المنطقة كانت تُحلق على ارتفاعات متباينة؛ وبهدف استطلاع الوضع وتحديد محاور تقدم العدو ومواقع انتشاره خرجت القوة (الفرقة ثم الفوج) من المركز صباحاً للتمركز في المرتفعات المطلة على الدّوار؛ لكن بسبب خلل بسيط تسبب في تغيير وجهة تحرك الفوج أدى في الأخير إلى وقوع الشّهيد سي علاوة بوغريرة، ومعه أعضاء الفوج في حصار شديد اشتبك خلالها ولعدة أيام مع قوات العدو التي حاصرت المنطقة، وقد استشهد أثناءها سي علاوة بوغريرة بعد نفاذ ذخيرته يوم:20مارس1957م ».

.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- الزّبير بوشلاغم: رجال وتاريخ الشّهيد سي علاوة بوغريرة، مجلة أوّل نوفمبر؛ مجلة سياسيّة تاريخيّة ثقافيّة اجتماعيّة تصدر عن المنظمة الوطنيّة للمجاهدين بالجزائر، العدد: 162، 1999م، ص:21 وما بعدها.
- من معارك ثورة التّحرير، منشورات قسم الإعلام والثّقافة بالمنظمة الوطنيّة للمجاهدين، الجزائر، د، ت.
- عائشة ليتيم:زمن الأبطال والبطولات:صور خالدّة من بطولات نمور الشّمال القسنطيني، منشورات دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015م

■ عبد الحميد الإبراهيمي
(1355ه-1936م/1443ه-2021م)

عبد الحميد بن مبارك بن محمد الهلالي الميلي، سياسي جزائري وباحث في الاقتصاد. والده هو العلامة المؤرخ الشيخ مبارك الهلالي الميلي أبرز الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ولد عبد الحميد في 9 محرم 1355 ه الموافق لـ 2 أبريل 1936 بمدينة ميلة قرب قسنطينة. تلقى تعليمه الأساسي على يد والده الشيخ مبارك الميلي بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم العربية والإسلامية. وبعد وفاة والده، وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، انتقل إلى مدينة قسنطينة ليكمل تعليمه، و كانت وقتها حاضرة للعلم والثقافة ومركزا رئيسيا لجمعية العلماء ولمناصري الحركة الوطنية. بعد الاستقلال واصل عبد الحميد الإبراهيمي دراسته، حيث كان شغوفا بطلب العلم، وتحصل سنة 1967 على ليسانس في الاقتصاد من جامعة الجزائر. بعدها تحصل على دكتوراه في نفس التخصص من جامعة أوهايو الأمريكية سنة 1970.

بعد اندلاع ثورة التحرير في الأول من نوفمبر 1954 كان عبد الحميد من بين الطلبة الذين التحقوا بها سنة 1956 وهو في سن العشرين من عمره، وترقى في صفوف جيش التحرير الوطني إلى أن تحصل على رتبة ضابط في وحدات العمليات، وظل ضمن صفوف جيش التحرير الوطني حتى الاستقلال. وبعد الاستقلال تقلد العديد من المناصب الهامة حيث عين سنة 1963 مسؤولا على منطقة عنابة ثم مديرا لمكتب منظمة التعاون الصناعي بباريس من سنة 1968 إلى 1970، بعدها عين أستاذا للاقتصاد بجامعة الجزائر من سنة 1970 إلى 1973، ثم استدعي للعمل كمستشار بالشركة الوطنية للنفط سوناطراك. و ابتداء من سنة 1976 عين رئيسا لمكتب الشركة في واشنطن. في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد تم تعيينه سنة 1979 وزيرا للتخطيط والتهيئة العمرانية في حكومة محمد بن أحمد عبد الغني، وظل في منصبه حتى كلف بمنصب وزيرا أول/ رئيس حكومة ابتداء من 22 يناير 1984 خلفا لمحمد بن أحمد عبد الغني. وظل في منصبه حتى 11 نوفمبر 1988، حيث كان من أبرز ضحايا أحداث 5 أكتوبر 1988. لقد مكنته خبرته في التسيير الإداري وفي الاقتصاد والتخطيط من الترقية السريعة في سلم المسؤوليات، وفي نفس الوقت تم تعيينه عضوا في كل من اللجنة المركزية والمكتب السياسي لحزب جبهة التحرير الوطني وكان الحزب الحاكم في تلك الفترة.

بعد أحداث 5 أكتوبر 1988، والتي كان الدكتور عبد الحميد الابراهيمي من أبرز ضحاياها، استقال سنة 1990 من عضوية المكتب السياسي لحزب جبهة التحرير الوطني، وعاد لحقل التدريس بالجامعة. وبعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد في 11 يناير 1992 واستلام الجيش مقاليد السلطة وتعيين مجلس أعلى للدولة لتسيير تلك المرحلة، كان عبد الحميد الإبراهيمي من بين الشخصيات الوطنية التي عارضت تلك التوجهات، وهو ما جعله يدخل في خلافات مع القيادة التي استلمت السلطة في تلك الفترة، وأصبح بهذه الصفة من ضمن المعارضة. و تسببت له تلك المواقف في تصنيفه ضمن التيار الإسلامي المعارض بينما يصنف هو نفسه ضمن رموز التيار الوطني ذي الاتجاه العربي الإسلامي. انتقل بعدها إلى فرنسا ومنها غادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعاش في المنفى ببريطانيا مدة ربع قرن. وكان قبل انتقاله إلى الخارج قد استقال من عضوية حزب جبهة التحرير الوطني.

مكنته شهادته العلمية في الاقتصاد باللغة لإنكليزية من العمل كأستاذ لتلك المادة بعدة جامعات غربية، بريطانية وأمريكية وفرنسية، نذكر من بينها جامعة جورج تاون وجامعة واشنطن.

ألف الدكتور عبد الحميد الإبراهيمي مجموعة من الكتب تعنى في الغالب بالشأن الاقتصادي، كما نشر العديد من الدراسات والبحوث في مجال اختصاصه، من أهمها "استراتيجيات التنمية في الجزائر"، و"القضاء على الفقر والتنمية من وجهة نظر إسلامية"، و "نمو الشركات المتعددة الجنسيات". وترأس خلال إقامته في بريطانيا "مركز دراسات المغرب العربي".

ونورد فيما يلي أبرز مؤلفاته:

- أبعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل (1991)،
- المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية (1996)،
- العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي (1997)،
- في أصل الأزمة الجزائرية: 1958 ـ 2000.

يعتبر كشهادة عن التطورات التي عاشتها الجزائر من 1958 إلى سنة 2000، (2001). صدر الكتاب بالفرنسية وترجم لاحقا إلى العربية، والعنوان الأصلي للكتاب بالفرنسية هو " في جذور المأساة الجزائرية".

صدرت النسخ العربية من هذه الكتب عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بلبنان.

عاد الدكتور عبد الحميد الابراهيمي من منفاه، الذي دام 26 سنة قضى معظمها في بريطانيا، إلى الجزائر في شهر يناير 2016. وتوفي بعد خمس سنوات من عودته في 6 محرم سنة 1443 الموافق لـ 15 أغسطس/ أوت 2021 بالجزائر العاصمة عن عمر ناهز 85 عاما

عامر بغدادي

المصادر

- ـ وكالة الأنباء الجزائرية، 15 أغسطس/ أوت 2021،
- ـ قصة عبد الحميد الابراهيمي، نور الدين ختال، جريدة الحوار، 1 فبراير 2016
- موقع المكتبة الجزائرية الشاملة، المشرف عمار رقبة الشرفي، ترجمة سيرة الدكتور عبد الحميد الإبراهيمي، مسعود فلوسي..

■ عبد القادر بن صالح (1360هـ1941م/1443هـ2021م)

عبد القادر بن صالح، هو الرئيس التاسع للدولة الجزائرية. ولد في 24 نوفمبر 1941 م بفلاّوسن في ولاية تلمسان. تلقى تعليمه الأساسي ببلدة عين يوسف الواقعة ضمن دائرة مدينة الرمشي. ولما شب التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، وذلك سنة 1959 م وهو لم يبلغ الثامنة عشر من عمره. ألحق في بدايات نضاله بمركز تدريب المجاهدين على زرع الألغام والمتفجرات، ونظرا لمستواه التعليمي الجيد تم تكوينه كمحافظ سياسي، أي مكلف بالتثقيف السياسي والعقائدي للمقاتلين والقيام بالتعبئة الشعبية حول مهام الثورة وأهدافها. وبهذه الصفة تم إلحاقه بالمنطقة الثامنة للولاية الخامسة التاريخية. وبقي في منصبه حتى الاستقلال. وبعد أن استرجعت الجزائر سيادتها فضل بن صالح مواصلة دراسته، فتم إرساله ضمن بعثة تعليمية إلى سوريا حيث تخرج من جامعة دمشق مجازا في الحقوق. عرف عن عبد القادر بن صالح، وهو سياسي ودبلوماسي، أنه رجل نزيه وهادئ وكتوم وهي صفات مكنته من كسب ود الجميع وجعلته يتولى العديد من المناصب الهامة والحساسة.



وبالرغم من تكوينه القانوني، فإنه فضل العمل كصحفي بيوميتيْ الشعب والجمهورية وكذا المجاهد الأسبوعي التي كانت تصدر عن جبهة التحرير الوطني. وفي الفترة الواقعة بين 1970 و 1974 تم انتدابه للعمل كمدير للمركز الثقافي والإعلامي الجزائري في بيروت. وعمل خلال تلك المرحلة على إصدار مجلة "الجزائر أحداث ووثائق". ثم عاد إلى الجزائر حيث عين مديرا لصحيفة الشعب من 1974 حتى 1977 وهي سنة انتخابه نائبا عن ولاية تلمسان في أول مجلس شعبي وطني، الغرفة السفلى للبرلمان فيما بعد. وأعيد انتخابه لثلاث عهدات متتالية، تولى خلالها رئاسة لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس الشعبي الوطني لمدة عشر سنوات.

وفي سنة 1989م تم تعيينه سفيرا للجزائر في المملكة العربية السعودية، وكان في الوقت نفسه ممثلا للجزائر في منظمة المؤتمر الإسلامي(منظمة التعاون الإسلامي اليوم) ومقرها جدة. وبعد عودته من الرياض سنة 1993م، تم إلحاقه بوزارة الشؤون الخارجية كمدير للإعلام والناطق الرسمي باسم الوزارة. وفي 13 نوفمبر 1993 أصبح عضوا في لجنة الحوار الوطني والناطق الرسمي باسمها، وهي اللجنة التي أسند لها قيادة الحوار الوطني بين مختلف الأطياف السياسية، وتوجت أشغالها بانعقاد ندوة الوفاق الوطني يومَيْ 25/ 26 يناير 1994م، التي انبثقت عنها أرضية الوفاق الوطني. وتشكلت بموجبها هيئات المرحلة الانتقالية، وتعيين وزير الدفاع اليمين زروال رئيسا للدولة في 30 يناير 1994 بعد اعتذار عبد العزيز بوتفليقة. وفي الفترة الواقعة بين 1994 و 1997 م انتخب بن صالح رئيسا للمجلس الوطني الانتقالي، وهو هيئة ذات طابع تشريعي انبثقت عن ندوة الوفاق أسند لها التشريع بعد تجميد أعمال المجلس الشعبي الوطني في أواخر سنة 1991م.

في شهر فبراير من سنة 1997، كان عبد القادر بن صالح من بين المؤسسين لحركة سياسية جديدة هي التجمع الوطني الديمقراطي. وفي نفس السنة، تم انتخابه نائبا عن ولاية وهران بعد إعادة إجراء انتخابات المجلس الشعبي الوطني في 5 يونيو/ جوان 1997. وتم انتخابه كذلك رئيسا للمجلس ابتداء من 14 يونيو/ جوان 1997م نظرا لفوز حزب التجمع بأغلبية مقاعد المجلس في تلك الانتخابات. وهي المهمة التي ظل يشغلها حتى 10 يونيو/ جوان 2002 م. ولما أعيد انتخابه عن ولاية وهران، عين من طرف الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في 25 يونيو/ جوان 2002 ضمن الثلث الرئاسي بمجلس الأمة، الغرفة العليا في البرلمان. وفي 2 يوليو/ جويلية 2002، جرى انتخابه رئيسا لمجلس الأمة خلفا لمحمد الشريف مساعدية بعد وفاته. وجددت عضويته في المجلس عدة مرات وظل رئيسا له حتى 8 أبريل 2019.

بعد الاحتجاجات التي جرت أحداثها في بدايات سنة 2011 وعرفت بـ "احتجاجات الزيت والسكر"، كلف بن صالح من طرف الرئيس بوتفليقة بإدارة المشاورات الوطنية مع مختلف الأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية وجمعيات المجتمع المدني. ورفعت حوصلتها إلى رئاسة الجمهورية وتضمنت مجموعة من الإصلاحات السياسية. وبعد الصراعات التي عرفها حزب التجمع الوطني الديمقراطي في عهد رئاسة أحمد أويحيى تولى بن صالح مجددا رئاسة الحزب لتجاوز الأزمة.

في 9 أبريل 2019 عين عبد القادر بن صالح بموجب المادة 102 من الدستور رئيسا للدولة بعد استقالة عبد العزيز بوتفليقة في 2 أبريل 2019 تحت ضغط الحراك الشعبي وبدعم من مؤسسة الجيش الوطني الشعبي. ووفقاً لمنطوق المادة 102 من الدستور فإن رئيس مجلس الأمة، باعتباره الشخصية الثانية في هرم السلطة، يتولى الرئاسة بصفة مؤقتة لمدة 90 يوما يتم خلالها تنظيم انتخابات رئاسية لا يترشح فيها. وبهذه الصفة ظل رئيسا للدولة لمدة ثمانية أشهر، بعد أن مددت رئاسته، في ظروف صعبة كانت تجتازها الجزائر. وفي 19 ديسمبر 2019 سلم بن صالح مهامه للرئيس المنتخب عبد المجيد تبون، وبعدها انسحب من الحياة السياسية حتى وفاته.

وصفته قناة العين الاخبارية بأنه قاد الجزائر إلى بر الأمان في أصعب مراحلها

السياسية، ونجح في واحدة من أكثر محطات البلاد اضطرابا قبل أن يهزمه المرض. وقالت عنه :"عرف بن صالح بقلة كلامه وهدوئه ورزانته".

تسلم عبد القادر بن صالح مجموعة من الأوسمة نذكر منها : مصف الاستحقاق الوطني الذي أُسدي له بعد انتهاء فترة رئاسته للدولة، كما أسدي له وسام جيش التحرير الوطني، ومنحته جامعة شونغ نام الكورية الجنوبية دكتوراه فخرية.

تحمل عبد القادر بن صالح مسؤولية قيادة الجزائر في ظرف دقيق من تاريخها المعاصر، وبعد مرض عضال عانى منه في أواخر حياته، توفي في 15 صفر 1443 ه الموافق لـ 22 سبتمبر 2021 عن عمر ناهز الثمانين عاما، ودفن بمقبرة العالية في مربع قادة الدولة.

.

عامر بغدادي

المصادر:

- ــ النهار، رئيس الدولة السابق عبد القادر بن صالح في أسطر، أسماء. ع، عدد يوم 22. 09. 2021
- ــ قناة العين الإخبارية، "عبد القادر بن صالح، رحيل منقذ الجزائر"، مقال صادر بتاريخ 22. 09. 2021

■ عبد الحميد عبابسة
(1337هـ 1918م – 1419هـ 1998م)

مؤلف، ملحن ومغني جزائري وليد في بريكة (ولاية بسكرة) يوم 15 ديسمبر 1918، حيث فقد والدته وهو ذو العشرة أشهر، نشأ وترعرع في بسكرة، حيث تعلم الفرنسية في المدارس الابتدائية بقسنطينة، وفي سن الثامنة، بدأ العمل كمتدرب في المطبعة في مجلة الشهاب لصاحبها الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية الجزائرية، حيث كان والده صحفياً.

كما أنه كان متفوقا في تجويد القرآن الكريم، و كان مولعا بالاستماع إلى أغاني أم كلثوم، محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش. وعندما انتقلت عائلته إلى الجزائر في سنة 1930 تابع تعليمه في مدارس العرب في مدرسة الشبيبة التي كانت تديرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. كان من بين زملائه في الدراسة المغني عبد الرحمن عزيز. وفي عام 1931 منحه الشاعر محمد العيد آل خليفة نشيد : عليكِ مني سلام، يا أرض أجدادي ليقوم بتلحينه.

خارج أوقات دراسته، كان عبد الحميد عبابسة يشتغل كمنضد حروف في "المطبعة العربية". وفي سنة 1931 أطلق والده في الجزائر مجلة "المرصاد" التي تم حضرها واستبدالها بمجلة "الثبات".



تعلم عبد الحميد عبابسة الموسيقى عن طريق ترديده على ملهى كان يملكه شخص إيطالي بالقرب من الأميرالية بالعاصمة، حيث كان يعزف على آله البيانو. ثم تعلم العزف على العود وآلة المنفخ. ولكنه أبقى على سرية تعلمه للموسيقى، بتعلمه الذاتي خطى خطواته الأولى في الأغنية الوطنية، حيث قام بتلحين قصيدة لوالده. كما أنه لحن أغنية وطنية عنوانها "فداء الجزائر" لصديقه مفدي زكريا.

ترعرع عبابسة في تربة خصبة للقومية والشعر الشعبي وكسب الشهرة الكبيرة في الجزائر بأدائه الأغاني الوطنية، والقصائد (القصيدة الشعبية خاصة)، ففي عام 1936 بتلمسان، وفي ساحة الخدام بالتحديد، غنى أمام اثني عشر ألف شخص، نشيد "فداء الجزائر"، وكانت هذه الأغنية سببا لنفي السلطات الاستعمارية له من المدينة.

ثم قام بتأليف قصائد وأغاني أخرى كثيرة. ففي عام 1942 سجل أغنية "طالت عليا" وأغنية "يا الرحالة" في عام 1944، ولكن أغنية "حيزية" هي التي عرفت أكبر نجاح من بين كل أغانيه، والتي أداها الأغنية للمرة الأولى في عام 1938 في راديو الجزائر، ولم يسجلها على القرص حتى عام 1947. بعد هذا الإنجاز وبتشجيع من الجمهور، أنشأ شركته الخاصة "جوالة عبابسة" (1937 ▯ 1976)، وألف بنفسه قصائد لأغانيه. وفي عام 1945 ندد واستنكر مجازر 8 ماي، حيث زج به في السجن سنتين برفقة الشيخ الحسناوي.

نظم في فرنسا خاصة، مهرجانات للمهاجرين المغاربة، وعشية الاستقلال، كرس نفسه للنشيد والأغاني الوطنية. حتى عام 1984، وألف موسيقى سيناريو الفيلم السينمائي "حيزية"، وقد عُرف عن أسرته تشبعها بفنه، فبناته نعيمة وفلة وابنه صلاح الدين، هم من الموسيقية والفنانين اللامعين في الجزائر وخارجها.

توفي في مدينة الجزائر في 15 ماي 1998.

مدينة كرميش

المصادر:
- عاشور شرفي: قاموس موسوعي الجزائراً المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار 2006 «المطرب عبد الحميد عبابسة...شمعة لا تنطفئ»: فؤاد بن طالب جريدة الشعب 17 سبتمبر 2019.

■ عبد الرّحمن بن محمّد الصّغَيَّر بن محمّد بن عامر الأخضري البنطيوسي البسكري الجزائري (920هـ-1514م/982هـ-1574م)

عبد الرّحمن بن محمّد الصّغَيَّر بن محمّد بن عامر الأخضري البنطيوسي البسكري الجزائري المكنّى بأبي زيد. ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الصّحابي الجليل العبّاس بن مرداس بن أبي عامر السّلمي الذي كان بالبصرة ثم انتقل إلى المغرب حيث استقرّ بها، وهناك من نسبه إلى بني هلال وفيه نظر والمعول على الأوّل. أما نسبه من جهة أمّه فيظهر أنّ اسمها حَدَّة، وهي من تفلفال بغسيرة، تلك القريّة المحفوفة بالنّخيل والأشجار، والممتدة بامتداد الوادي الأبيض؛ بمياهه العذبة الرّقراقة، والمتكئة على سفوح جبل الأوراس الأشم.

ولد أبو زيد الأخضري عام (920ه/ 1514م- وتوفّي في 982ه/ م1574)، وقد تضاربت الأقوال أيضا حول مولده، ونسبه من قبل والحاصل: أن أبا زيد ولد بقريّة بنطيوس بالجانب الغربي بِسْكِرة بكسر الباء والكاف أو فتحها بَسْكَرة إحدى ولايات الجزائر العاصمة حاليا التي وصفها أبو عبيد البكري بكثرة بساتينها ونخيلها، ولقد نشأ أبو زيد منذ صباه نشأة علميّة فحفظ االقرآن وأتقن رسمه وتلاوته ثم واصل دراسته فحصل اللغة وعلم المواريث والفرائض والمنطق والحساب والفلك وتفقه على طريقة المالكيين حيث كان ميّالا إلى العلم نزّاعا إلى النّظم جامعا بين (العلوم العقليّة والنّقليّة). ويظهر إنّه تزوج قبل وفاته لوجود أحفاده من بعده.

وأمّا عصر أبي زيد فقد كان في عصر ضعف في عهد العثمانيين حيث أبان حاله بقوله:

لا سيّما في عاشر القرون
ذي الجهل والفساد والفتون

فقد انتشر الجهل والفساد اجتماعيا بسبب ازدراء العلماء أيّما ازدراء وسوء أوضاعهم وأحوالهم؛ بل توقّف تدفق رُفّاد المعرفة وانطفاء أنوار الاجتهاد والابتكار وجفاف منابع العلوم والفنّون إذ ابتليت موارد المعرفة بالغور والانحسار فنكبت البلدان المغربيّة بالعموم، وكثرت الفتن والأحزاب سياسيا وتفرقت النّاس شيعا وأهواء فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا!.

لقد أوقف أبو زيد نفسه للتربيّة والتّعليم والإصلاح حيث كان ينظم الأنظام لطلابه تيسيرا عليهم، وتقريبا للمواد إليهم وفي أحايين كثيرة ينبري لشرح أنظامه بنفسه حتى يأخذ بأيديهم لتحصيل العلم ولا يدعهم يزورون عن الطّريق، أو يضلون السّبيل وهو بين ظهرانيهم. كما كان يلبي رغبة من دعاه إلى نظم شيء في أيّ علم كان من طلبته بخاصّة؛ وفي ذلك يقول:

وقد دعا بعض من الطّلاّب
لرجز يهدي إلى الصّـــواب
فجئته برجـــز مفيـد
مهذب منقح سديـــد

وقد كان مصلحا محاربا للأوهام والخرافات، نابذا للعنف والشّقاق، جامعا بين الحنكة السّياسيّة والحكمة الصّوفيّة، ناصحا للسلاطين برفق ولين، متصوفا تقيا زاهدا في الدّنيا غير منقطع عنها بالكليّة حيث كان يمنح المنح، ويجزل العطايا لطلبته ومن حوله بما توافر له. كما كان ناقدا لاذعا ينقد أحيانا ما وصل إليه العلم والعلماء في وقته بل استعان بالنّثر أيضا وذلك أثناء شرح منظومته السّلم المرونق: (وإذا كان العذر من حق المبتدي في الزّمان المتقدّم، فكيف بهذا الزّمان الصّعب الذي انقرض فيه أكابر العلماء، ولم يبق فيه إلا حثالة الحثالة)، وقد حُببت الخلوة إلى الشّيخ أبي زيد، فكان عاكفا على العبادة يصول ويجول من حين لآخر إلى الجبال المشرفة على بلدته. حيث راحته، وموطن صفاء روحه وتأمله في قدرة بارئه، هذا كان مدعاة له إلى التّأليف والتّصنيف والتّحرير والتّنوير. فقد صنّف نظمه المصون الجوهر المكنون وشرح جزءا منه لمّا آوى إلى جبل "أحمد حدّو" الذي هو من سلسلة جبال الأوراس حيث الخلوة والرّاحة .

أعاد الأخضري للأذهان سنة أسلافه من العلماء الأفذاذ كعبد الرّحمن بن خلدون وعبد الرّحمن الثّعالبي وأحمد زروق الفاسي وغيرهم كثير، فانكبّ على التّدريس والتّأليف ووجه طلاب العلم الملتحقين بحلقته إلى تلقي العلوم النّقليّة والعقليّة على السّواء، فقد كان يعلمهم من العلوم: الفلك، والمنطق، والحساب، والبلاغة، واللغة، والنّحو؛ إلى جانب ماكان يقدمه لهم من علوم: التّوحيد، والفقه، والفرائض، والتّصوّف.

من أبرز شيوخه الذين تتلمذ عليهم والده الشّيخ محمّد الصّغير حيث أخذ عنه مبادئ علم الحساب والفرائض مشافهة مصداقا لقول القائل:

ومن لم يأخذ العلم عن شيخ مشافهةً
فعلمه عند أهل العلم كالعدم.

ليتمكّن فيما بعد من فهمها واستيعابها ونظمها؛ والشّيخ عمر بن محمّد المكاد أحد أكابر علماء قسنطينة في الفقه وصناعة الفتوى.

وأمّا عن رحلاته التي أكسبته مُكنة وضبطا، سفره إلى تونس حيث جامع الزّيتونة ليكتمل مراده، فقد احتك بالعلماء وجالسهم هناك حتى توسعت مداركه ورسخت قدمه، وما لبث أن عاد إلى بنطيوس حيث مسقطُ رأسه ليشد رحاله إلى قسنطينة مرة أخرى.

تتلمذ على أبي زيد خلق كثير، ولكن لم نجد إلا تلميذا واحدا مصرّحا به وهو: الشّيخ عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي، وأمّا

الباقون من تلامذته فهم من أهل المنطقة والمغرب الأقصى وتونس.

مؤلّفات الأخضري تربو عن العشرين مؤلفا ما بين نظم وشرح منها:

الجوهر المكنون في صدف الثّلاثة فنون

السّلم المرونق في علم المنطق

الدّرّة البهيّة في نظم الأجروميّة وغيرها كثير..

أقوال العلماء فيه: يقول عنه حسن الورثلاني: (وقد زرت قبر الشّيخ سيدي عبد الرّحمن، وله تآليف كثيرة ومفيدة، وهو من العارفين بالله تعالى شرقا وغربا)، وقد ذكر المستشرق الفرنسي لوسياني في كتاب السّلم المرونق الذي ترجمه إلى الفرنسيّة بعنوان la soullam–traite de logique، أنّ ثمة وثائق صادرة عن الباي التّركي بقسنطينة تقضي بالتّقدير والتّبجيل والاحترام لثلاثة من أحفاد أبي زيد عبد الرّحمن الأخضري وهذا ليدل على قيمة الرّجل ومنزلته.

لقد عاش الأخضري بين سنتي:920و953ه. وبذلك يكون قد توفّي في مقتبل عمره، لتتضح بذلك عبقريّة الرّجل الذي قدم لعصره خلال سنوات، ما عجز عليه الآخرون– ممن طالتّ بهم الأيّام والسّنون– في ذلك العصر المتردي في أحواله وأيّامه، كما أنّ مصنفاته تبيّن مدى القيمة والمنزلة الرّفيعة التي حققها داخل وخارج هذا الوطن الْمُفَدَّى، ومن أراد أن يستقصيَ ما كتب وآثاره فليرجع إلى مصنفاته ويراجع كتاب عبد الرّحمن الأخضري العالم الصّوفي الذي تفوق في عصره لكاتبه بوزيّان الدّراجي، الذي يعدّ بمثابة سيرة ذاتيّة علميّة للرحّالة، تُبيْنُ عن الشّخصيّة المرموقة والموسوعة الفكريّة. فسيُحصّل من الفوائد ما يساوي رحلة، وهؤلاء الأعلام هم في الحقيقة فخر الجزائر وعوامل عزّ ومُكنة لها في مشارق الأرض ومغاربها.

.

أحمد أمين بوعلام الله ة

المصادر:

- *عبد الرّحمن الأخضري العالم الصّوفي الذي تفوّق على عصره، بوزيّاني الدّراجي، الطّبعة الثّانيّة2009م؛
- *مدونة برج بن عزوز ترجمة العلّامة سيدي عبد الرّحمن الأخضري.

■ علي يحيى عبد النور
(1340هـ 1921م – 1443هـ 2021)

سياسي وحقوقي جزائري، ولد في 18 يناير 1921 بآيت يحي بولاية تيزي وزو.

ناضل في إطار الحركة الوطنية الجزائرية في حزب الشعب الجزائري قبل أن ينسحب منه بسبب الأزمة البربرية سنة 1947.

أُعتقل خِلال الثورة الجزائرية أثناء إضراب دعت إليه جبهة التحيري الوطني، بصفته عضوا بنقابة المعلمين. وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 عُيِن عضواً في الجمعية التأسيسية ووزيراً للأشغال العمومية (من يونيو 1965 إلى يوليو 1965) ثم وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي في حكومة الرئيس بومدين الثانية، بتاريخ 24 سبتمبر 1966 في محل أحمد محساس قبل أن يستقيل من منصبه الوزاري في 7 مارس 1968، ليكون أول وزير يستقيل بعد الاستقلال، لينشغل بعدها بمهنة المحاماة والدفاع عن حقوق الإنسان، مما قاده إلى الاعتقال ثم النفي.

في سنة 1985 قام علي يحيى عبد النور بتأسيس الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان والتي عترفت بها السُلطات الجزائرية رسميا سنة 1989 ، بعد فتح المجال للتعددية الحزبي، ثم أصبح رئيسا شرفيا لرابطة الدفاع عن حقوق الإنسان.

في 11 ديسمبر 2009تحصل الأستاذ علي يحى عبد النور من منظمة الكرامة للدفاع عن حقوق الإنسان تحصل على جائزة الكرامة وذلك بمناسبة احتفال المنظمة الواقع مقرها بجنيف باليوم العالمي لحقوق الإنسان.

ويُعتبر الأستاذ علي يحيى عبد النور عميداً للمدافعين عن حقوق الإنسان بالعالم العربي حيث رافع على عدة قضايا متعلقة بمساجين الرأي في الجزائر من بينهم السعيد سعدي، الهاشمي شريف، مقران آيت العربي، بالإضافة إلى عباسي مدني وعلي بلحاج.

ألف علي يحى عبد النور كتابين هما :

– "الجزائر أسباب وحماقة حرب" الذي صدر سنة 1996،

–وكتاب "كرامة إنسان" الذي صدر سنة 2007.

توفي علي يحيى عبد النور، يوم الأحد 25 أبريل 2021 ، عن عمر تجاوز 100 سنة ودفن بمقبرة بن عنكون بالعاصمة.

مدينة كرميش



المصادر:

علي يحي عبد النور في ذمة الله: الشروق أون لاين مؤرشف في 25 أفريل 2021

■ علي بومنجل
(1337هـ - 1919م/1376هـ - 1957م)

علي بومنجل من مواليد 24 ماي سنة 1919 بغيليزان، في عائلة فلاحيّة ترجع أصولها إلى بني يني بولايّة تيزي وزو، فهو حفيد فلاح جزائري، كان والدّ علي بومنجل مدرسًا في قلب منطقة القبايل في مجموعة قريّة بني يني التي كانت تخرّج عددًا كبيرًا من المهاجرين والمثقفين من خلال تأثير التدريس في المدرسة الفرنسيّة. فوالدّه أيضا هاجر إلى مدينة غيليزان.

بدأ دراسته في مدينة الأربعاء، فتمكن من متابعة دراسته الثّانويّة خلال الثّلاثينيات، بعد حصوله على منحة لإتمام دراسته في مدينة البليدة، وذلك نظرا لتفوقه الدّراسي وتمكنه العلمي، فالتحق بمعهد (ديفيريي/ collège Duveyrier) وهناك وجد حاضنة وطنيّة، ومجموعة نضاليّة، حيث التقى بشخصيات صارت فيما بعد من قادة الثّورة الجزائريّة مثل: عبان رمضان، بن يوسف بن خدة، وسعد دحلب، ومحمّد يزيد. وكان هذا المعهد يشهد حركة نشطة للحركة الوطنيّة، يبث فيها الوعي بالقضيّة الجزائريّة، وتطرح فيه الأفكار النّضاليّة والسّياسيّة.

بعد المدرسة الثّانويّة، سار على خطى شقيقه أحمد بومنجل والتحق بالجامعة لدراسة القانون، تحصل على شهادة الليسانس سنة 1943 وعمل بعد ذلك محاميا مثل أخيه، استيقظت صحوته السّياسيّة أيام حزب الشّعب، وتتمثل في الدّعوة إلى تحرير الأمة الجزائريّة التي أطلقها مصالي الحاج، وكان من أول قراراته النّضاليّة رفضه الخدمة العسكريّة في الجيش الفرنسي، مما أدى إلى إدراجه في قائمة الأنشطة المناهضة لفرنسا واعتباره قوميًا خطيرًا.

تزوج البطل الشّهيد من مليكة بومنجل وعاشا معا في الدّار التي بناها علي في حي العناصر.

كما أنه سار على نهج أخيه أحمد في المجال السّياسي، حيث إن شقيقه كان



مقربا من فرحات عباس وعضوا في حزبه الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) وأمينا عاما له بعد ذلك، وكان هذا الحزب يطالب باستقلال ذاتي للجزائر دون قطع الصّلة مع فرنسا،وأسس بعض الجرائد منها: (الجمهوريّة الجزائريّة/ La République algérienne)، و(المساواة/ L'Egalité). وقد جرى تحول في هذا الحرب بعد خيبة الانتخابات البلديّة سنة 1948 التي زورتها الإدارة الفرنسيّة، ثم طرد فرحات عباس من الجمعيّة العامة، وكان مما قاله أحمد بومنجل في ذلك الوقت: "لقد خدعتنا الجمهوريّة الفرنسيّة، واستغفلتنا، وسيستفيق الإنسان ذات يوم، ليجد أن الجزائر قد انتقلت إلى صف الكتلة الشّرقيّة، وسينتهز البعض آنذاك الفرصة للحديث عن التنكر للجميل، والبكاء على الآمال الضائعة، دون أن يكلف نفسه عناء التفكير في الأسباب والعوامل التي أدت إلى مثل هذا السّلوك. وقد يحاولون آنذاك إيجاد الأعذار لتخفيف الذنوب والنّدامة، ولكن بعد فوات الأوان. ولا ريب في أن الخيار الذي يمليه اليأس، لا يمكن إلا أن يكون خيارا ضد فرنسا".

فأصبح علي أيضا عضوا في حزب الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري في سنة 1946 تأثرا بأخيه، وتأثرا بحوادث الثّامن ماي 1945. كما أصبح صحفيًا في جريدة (المساواة) التي أسسها الحزب.

شارك في تأسيس الحركة الجزائريّة للسلم والحركة العالميّة للسلم، بعد دعوة الحركة الوطنيّة للمشاركة في "المؤتمر العالمي للسلم"، وهو مؤتمر عالمي عقده مجموعة من المثقفين من أجل السّلام في فروتسواف، بولندا في الفترة من 25 إلى 28 أغسطس من عام 1948 في أعقاب الحرب العالميّة الثّانيّة. وقد حضره مجموعة من السّياسيين والأكاديميين والفنانين البارزين، من بينهم بابلو بيكاسو، وفردريك جوليو-كوري، وإيرين جوليو-كوري، وبرتولت بريشت، وبول إيلوار، والدّوس هكسلي، وجوليان هكسلي، وغيرهم، وقد تميز المؤتمر بتوجهه المعادي لأمريكا والموالي للشيوعيّة. وكانت مشاركة "علي بومنجل" قويّة أدان فيها جرائم الاستعمار الفرنسي وأفعاله القمعيّة.

انضم علي بومنجل إلى جبهة التّحرير الوطني في الجزائر في وقت مبكر جدًا وكان تحت تصرف رمضان عبان الذي كان مسؤولا عن مجموعة المحامين، فانخرط في جبهة التّحرير الوطني وساهم في الدّفاع عن المناضلين الوطنيين وقدم مساعدات لابن مهيدي في العاصمة، عين مستشارا في لجنة التنسيق والتنفيذ حيث قدم خدمات جليلة لعبان رمضان. دعا غداة اندلاع الثّورة التّحريريّة الحكومة الفرنسيّة إلى إجراء مفاوضات. وكان وسيطا ومقربا بين جبهة التّحرير الوطني وحزب الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري.

ألقي عليه القبض في بلكور في الثّامن من شهر شباط- فيفري 1957 وخضع للتعذيب والاستنطاق من قبل وحدة

المظليين التابعة للجيش، بأمر من القائد أوساريس (الذي اعترف بذلك بنفسه في مذكراته عام 2012). نادت كثير من المنظمات والشّخصيات بإطلاق سراحه، وبعد ثلاث وأربعين يوما اغتيل مترجمنا ورمي من الطّابق الخامس لإحدى العمارات بالأبيار في الثّالثّ والعشرين من مارس 1957، وأعلن أنه انتحر باختياره، وجاء في تقرير ضابط الشّرطة العَدليّة: "هذا اليوم وقع إخراجه من سجن الفوج التاسع عشَرَ للهندسة لكي يُعرض على النّيابة العامة بعد الظهر.عندما وقع اقتياده تحت الحراسة إلى مكتب الاستعلامة لإجراءِ الاستجواب الاخير، هرب فجأةً وألقى بنفسه نحو الفراغ من ارتفاعِ 15 ميترا. سقط في أرض السّاحة المبلط وتوفي فورا على اثر رضوض شديدة في الجُمجُمة".

اعترف بول أوساريس مؤخرا ولأول مرة أنه المسؤول عن اغتيال علي بومنجل، فأسدل السّتار بذلك على خرافة انتحاره التي كاد يصدقها الكثيرون، دفن جثمانه في ربع ساعة تحت سيطرة المظليين في مقبرة سيدي محمّد في بلكورت في 26 مارس 1957. ولقد لقي اغتياله صدى واسعا في أوساط الجزائريين والمثقفين الفرنسيين، ومنهم أستاذه "كابتون"الذي علق دروسه بكليّة الحقوق بالسّربون احتجاجا على مقتله .

وبتاريخ 3 مارس 2021، أعلنت الرئاسة الفرنسية في بيان أن الرئيس (إمانويل ماكرون/ Emmanuel Macron) اعترف يوم الثلاثاء 2 مارس 2021 بأن علي بومنجل تعرض للتعذيب والقتل في 23 مارس 1957 على أيدي الجيش الفرنسي وانه لم ينتحر كما حاولت باريس التغطية على الجريمة في حينه.

رابح دوب

مصادر الدّراسة:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011.
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.
- Rahal Malika. "La terrasse. Retour sur une histoire du temps présent" blog Textures du 16 le /temps/ 08/ 2015.

■ علي بن سعد الـگماري السّوفي

(1337هـ - 1919م/1376هـ - 1957م)

علي بن سعد بن علي خرن وتكتب خيران ولد خلال 1908م بـگمار ولاية الوادي من أسرة محافظة متوسّطة الحال، تتكون من سبعة أفراد الأب والأم وخمسة أوّلاد (ثلاث ذكور وبنتان)، هاجر معظمهم أثناء الهجرات الإصلاحيّة الحجازيّة، تزوج وخلف ذريّة بناتا وبنين.

نشأ الشّيخ علي بن سعد خرن في جو محافظ وعائلة محبة للعلم في بلدة تردح تحت ظلم الحكم العسكري الاستعمّاري، وما أن بدأ الشّاب ينضج حتى فتحت مدرسة ببلدته متنورة يدرس بها الأستاذ الزّيتوني الشّيخ محمّد اللقاني ما جعله يعيش جوا علميا مع بعض أقرانه خاصّة وان شيخه كان يبث فيهم روح الاجتهاد والتّنافس فكان ينافس في حفظ القرآن والمتون المختلفة. ولم يلبث هذا الحال حتى فتحت مدرسة أخر موازيّة لتلك إنّها المدرسة الإصلاحيّة التي أسسها الشّيخ عمّار بن لزعر القادم من الزّيتونة فأنخرط هذا الشّباب في هذه المدرسة أيضا واشتدّ التّنافس على طلب العلم بين الأقران، تأثّر بهذه المدرسة وبشيخها وأصبح من دعاة الإصلاح ومن رجال جمعيّة العلماء الجزائريين المسلمين.

قرأ الشّيخ علي القرآن في بلدته على يد الشّيخ أحمد بن سالم هالي، وأتم حفظه على يد الشّيخ الأخضر بن الحبيب بوجلخة، أمّا باقي العلوم من فقه والعقيدة واللغة وحساب وغيرهم فقد جلس إلى مجموعة من شيوخ وعلماء بلدته خاصّة الشّيخ محمّد بن البريّة زبيري، والشّيخ محمّد اللقاني مؤسّس المدرسة الحديثة، والشّيخ عمّار بن الأزعر مؤسّس المدرسة الإصلاحيّة وقد أجازه هذا الأخير بإجازات مختلفة مما أهله أن يلتحق بمسجد الزّيتونة خلال 1927، الذي درس به سبع سنوات على عادتهم حيث تخرج سنة 1933 بشهادة التّطويع كان من أبرز رفاقه في رحلة الطّلب هذه الشّيوخ محمّد الطّاهر تليلي والحفناوي هالي وعبد القادر الياجوري، ليرجع معهم ويبدأ مسيرة حافلة بالعطاء.

أثناء رجوعه من الزّيتونة درس فترة قصيرة في المدرسة الإصلاحيّة الأزعريّة التي تخرج منها ثم ألحقته جمعيّة العلماء بمدارسها في مناطق مختلفة من الوطن خاصّة بسكرة والجزائر العاصمة ثم رجع سنة 1937 ليلتحق بالمعهد الذي أسّسه الشّيخ عبد العزيز شريف سنة 1936، في هذه الأثناء استفاد منه الكثير من الطّلبة الذين بث فيهم مبادئ الدّين الصّحيح وسنجد هؤلاء التّلاميذ هم طليعة المجاهدين في الثّورة المباركة أمثال عبد الكريم هالي والسّعيد عبد الحي وغيرهم.

هاجر والده بعد مضايقاته من طرف السّلطة إلى الحجاز سنة 1952 إلا أن علي بن سعد لم يهاجر معهم بداعي خلو السّاحة من المعلمين والأساتذة الذين بإمكانهم تعليم النّاشئة وبث روح الدّين والوطنيّة في نفوسهم.

كان من مستقبلي الشّيخ عبد الحميد بن باديس ووفد جمعيّة العلماء الذين حلو بسوف تلك السّنة، ولكن السّلطة الفرنسيّة كانت لهم بالمرصاد وما أن حلت سنة 1938م وصدر القانون المتعلق بالتّعليم الحر حتى ثارت ثائرة هذا الرّجل ورفاقه عبد العزيز الشّريف والشّيخ عبد القادر الياجوري وعبد الكامل نجعي وغيرهم واستجاب لهم الشّعب، فكانت حوادث سوف الأليمة سنة 1938 التي كتب عنها الشّيخ عبد الحميد حيث اقتيد هؤلاء الرّجال الذين دافعوا عن التّعليم العربي الإسلامي إلى سجن الكديّة بعد تعذيب وإيهانه في سجن الواد ولد حاكمها، مكث في السّجن حتى فجر 1940، حيث خرج وبقي تحت الإقامة الجبريّة اتصل وقتها رفقت الشّيخ الياجوري بالشّيخ عبد الحميد بن باديس وراجعوه في قرارات ورؤيّة جمعيّة العلماء ودعوه ليتبن فكرة الاستقلال والثّورة على المستعمر بالسّلاح وقد وافقهم على ذلك رحمه الله إلا أن المرض عاجله.

ثم توجها إلى العاصمة التي استقرّ بها مدرسا في مدارس جمعيّة العلماء خاصّة بوفريك. وخلال ذلك حج الشّيخ علي بن سعد خرن عدّة مرات.

على غرار أكثر رجال جمعيّة العلماء الذين اشتغلوا بالتّعليم فلم يترك الشّيخ علي بن سعد مؤلّفات وكتب ولكنّه ترك آثار في ذلك متمثلة في مساهمته في الصّحافة العربيّة الجزائريّة، حيث أسس سنة 1936 وهو مقيم بالعاصمة رفقة الشّيخ حمزة بكوشة جريدة الليالي، وقد جمع لها كتاب من مناطق مختلفة من الوطن أمثال مفدي زكريا ومحمّد السّعيد الزّاهري والطّاهر بوشوشي وغيرهم. وقد كانت تكتب بحزم وشدة يقول عنها الأستاذ محمّد ناصر (ويبدو من أسلوبها في مخاطبة السّلطات الحاكمة صراحة شديدة، وهو غير ذلك الأسلوب المعتاد الهادئ الذي نلاحظه عند أغلب الصّحف الإصلاحيّة الأخرى)

يقول عنه الأستاذ سعد الله (أسس الشّيخ علي بن سعد الگماري جريدة (الليالي) سنة 1936 وكان صوتا هاما من أصوات الإصلاح على المستوى الوطني، وعاش السّجن والتّشريد)

ويقول عنه الأستاذ البشير خلف (كان رحمه الله شرسًا في مقاومته للبدع والضلالات، وصلبًا في مواجهة السّلطة الاستعمّاريّة الفرنسيّة.. وقد أصدر جريدة " الليالي" في العاصمة الجزائريّة 1936م إذْ كان قلمه سيفًا مسلطا على رقبة السّلطة الفرنسيّة في الجزائر، وما لبثت هذه أن أوقفتها عن الصّدور.)

بعد الاستقلال 1962 انخرط الشّيخ علي بن سعد في سلك التّعليم من جديد كأستاذ الثّانوي في عدّة مناطق من العاصمة آخرها ثانويّة الأمير عبد القادر في حي باب الوادي التي توفّي بها وهو يلقي درسه رحمه الله.

توفّي الشّيخ يوم جمعة في شهر حراما، كان ذلك يوم 17 محرّم 1394هـ الموافق ليوم 08 فيفري 1974م عن عمر ناهز 67 سنة إثر سكتة قلبيّة أثناء إلقائه الدّرس في القسم أمام تلامذته

محمّد بن عمّار ماني

المصادر:

■ علي خوجة

يعرف بالحاجّ حافظ، ويعرف كذلك بعلي بورصالي وهو صهر الحاجّ مصطفى بن الشّيخ مالك. حسب أحمد الشّريف الزّهار فإنّه أحد خوجات (كتّاب التّرك)، ويعرف بعلي خوجة كان شهما حاسما قضى على فتنة الجيش. قال عنه شالر "وأمّا لقب الخوجة فقد كان الأتراك هم الذين أطلقوه عليه، ولكنّه لم يمارس قطّ مهنة الكاتب ".

لا تذكر المصادر مميّزات لاختياره من طرف الجند ليصبح دايًا بعد مقتل الدّاي عمر، وفي هذا الصّدد قال حمدان خوجة: "وقام علي، وهو رجل مجهول ومعتوه، فاغتنم هذه الفرصة وجمع الجيوش ثم استولى على مقاليد الحكم في الجزائر".

في حين كتب شالرّ: "كان علي خوجة رجلاً ذكيًا طيّبًا وذا مواهب، ولكنّه كان معروفا بالوقاحة وسرعة الغضب،... كان...، رجلاً كثير العمل واسع الإطلاع، ولربّما كان أكبر عالم متطلّع في الجزائر في ذلك الوقت... والغريب أنّه بعدما ارتقى العرش بأعمال دمويّة قاسيّة كان دائمًا يدّعي العلم والتّقوى. وفي مناسبات الأعياد والحفلات الرّسميّة التي يستقبل فيها قناصل الدّول الأجنبيّة، كان هؤلاء يمرّون في طريقهم إليه على عشرات الجثث، ولكنّهم عندما يصلون إلى قاعة الاستقبال، يجدونه يرتدي أفخم الأزياء، ومحاطًا بالحرس، وبين يديه كتاب، وعندئذ يتظاهر بأنّ القنصل قد قطع عليه التّأمل والقراءة فيلقي بالكتاب جانبا في عجلة. كان علي خوجة مقتنعًا بأنّه قادر على إعادة المجد إلى الجزائر مع قوّتها البحريّة ... "من أشهر الأعمال التي قام بها:

- قام بتغيير جميع العمّال واستقرّ بدار الامارة.
- وفي سنة (1817م) صدر عن الدّاي علي باشا قرار ينصّ على قانون مسّ عملة السّلطاني حتّى وصلت 9 بدقّة شيك، والمحبوب إلى 6,75 بدقّة، والدورو حتّى 6 بدقّة؛
- كما غيّر الداي علي مقرّ الحكم من قصر الجنينة إلى قصر القصبة، وحاول القضاء على الإنكشاريّة، بالإضافة إلى إصداره مجموعة من القوانين مخالفة لما كان سائدا، كل هذا جعل من كتبوا حوله ينقسمون إلى فريقين: فريق اعتبر سياسته محكمة ورشيدة وفريق اعتبرها إيذانًا بخراب الإيالة.علّق حمدان بن عثمان خوجة على أعمال الدّاي علي بقوله: "قام الدّاي علي هذا بثورة شاملة في نظم الإيالة القديمة كما أنّه ارتكب عددا من الجرائم وذات يوم أمر سكّان مدينة الجزائر أن يغلقوا أبوابهم في ساعة

مبكـرة وأمر بغلق الثّكنات ثـمّ جمع عدداً كبيراً مـن البغال حمل عليها ليلا جميع كنوز الجزائر التـي كانت فـي محلّات الباشـا القديـم ونقلها إلـى القصبة التي انتقل إليهـا مصحوبا بالجيش ليحافـظ على شـخصه وفي الصّبـاح أعلن عن هذا التّغيير بطلقات مدفعيّة"؛

– أراد أن يطبّـق أحـكام الشّـرع فبعـث للقاضي لتطبيـق الحدّ الشّـرعيّ وأمر النّـاس بالصّلاة مع الجماعة ونادى مناديه من يبقى بدكّانه بعد الأذان فلـن يلومـنّ إلّا نفسـه. وحـول هـذا الموضوع كتب جون وولف: "علي خوجة رجلا متمسّـكا بأوامـر الدّين ونواهيه فقد أغلـق الحانات وطرد جميع النّسـاء من الثّكنات العسكريّة وأعلن عن إجراءات انضباطيّة قاسيّة"

– لم يغفـل عن الجيش فجعل بينهم جواسـيس يلتقطـون له الأخبار عنهم وقتل منهم خلقاً كثيراً بيّده ونفي بعضهم. كما استعان بجيش مكوّن من الكراغلة والزّواويين مؤلّفاً من ستّة آلاف رجل؛

– أمر بقتل باي وهـران قارة باغيلي علي عندما كان متّجهـاً للجزائـر لأداء الدّنوش، كما أعطى الأوامر بقتل باي قسنطينة؛

– وقع الدّاي علـى خوجة اتفاقيّـة اقتصاديّة يوم 15مـارس 1817م مـع لويس الثّامن عشـر، ووقع بينهمـا فـي 26 أكتوبـر1817م. وبمقتضـى هـذا الاتّفاق الجزائريّ الفرنسـي عـادت الامتيازات إلى فرنسـا، وتكريس احتكارهـا لصيد المرجان والموادّ الأوّليّة في الشّرق الجزائريّ، بعد أن كان الامتياز في يدّ انجلترا منذ 1807م. ومع اسـتعادة فرنسـا للامتيـازات تـمّ إنشـاء الشّـركة الملكيّة المؤقّتة بقرار من لويس الثّامن عشـر لاسـتغلال الباستون والمؤسّسات بإدارة السّيد فورا Faurat.

لكن نتائـج حكمه لم تُعْرَف، حيث أنّ انتقاله إلـى القصبة حماه مـن ثورات الجنـد المتكرّرة، لكنّـه لـم يحمه مـن الطّاعـون الذي قضـى عليه في فيفـري 1818م، بعد فتـرة قصيرة من الحكم. لـم تدم مدّة حكمـه أكثر من سـنة، ولمّا مات لم يطلع أحد على موته. أشار حمدان خوجة إلى أنّ مدّة ولايته لم تدم سوى ستّة أشهر ساءت أحوال بسـبب عمليّات النّهب قام بهـا وزراؤه وأعضاء حاشيته.

بالرّغم من قصر فترة حكمه إلّا أنّ هناك من ذهب للقول أنّ هذا الدّاي كان رجلا ورعاً وتقيّاً حارب الفساد وأراد أن يعطي الدّولة طابعا آخر تخلّص من سيطرة الانكشاريّة وراح يعمل على إشـراك الأهالي في الحكم وانتقاله إلى القصبة دليـل على ذلـك، ولهذا يعـدّ من بيـن الدّايات الأقويّـاء الذيـن اسـتطاعوا أن يعيـدوا للسّـلطة هيبتهـا وهـؤلاء الحـاجّ علـي (1809–1815م) والـدّاي علـي خوجـة (1817–1818م) والدّاي حسين (1818–1830م) الذي شهدت البلاد في عهده استقراراً سيّاسياً.

عاصر السّـلطان محمود الثّاني. كما عاصر ملك فرنسـا لويـس الثّامن عشـر، كان القاضي الحنفـي أيّامـه هو الشّـيخ محمّد بن راسـيل ثمّ الشّـيخ أحمّد بن حسـين أمّا القاضـي المالكي فكان الشّيخ الحاجّ علي بن عبد القادر.

صرهودة يوسفي

المصادر

– شالرّ وليام، مذكّرات وليام شالرّ قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)، تعريب: إسماعيل العربي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1982. ص160.

– الزّهار أحمد الشّريف، مذكرات الحاجّ أحمّد الشّريف الزّهار نقيب الأشراف الجزائر (1754–1830م)، تح أحمّد توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر2009م.

– ابن عثمان حمدان خوجة، المرآة، تح محمّد العربي الزّبيري، ط2، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر

■ علي سلّالي
(1319هـ - 1902م/1412هـ - 1992م)



علي سـلّالي، المدعو علّالـو أو علّال، ولد بالقصبة بالجزائر العاصمة في 30 مارس 1902م، الموافـق لـ: 20 ذي الحجّة 1319 هـ، وتوفّي في 19 فبراير 1992م الموافق لـ:15 شعبّان 1412 هـ.

كاتب وممثّل مسرحيّ، ويُعدُّ واحدًا من روّاد المسرح الجزائريّ الحديث، بدأ حياته الدّراسيّة بالقصبـة، ثـم انتقـل إلـى مدرسـة (سـاروي) الفرنسـيّة، وتحصّـل علـى الشّـهادة الابتدائيّـة بالجزائـر العاصمـة. وأخـذ طرفـا مـن علـوم اللّغـة العربيّـة وآدابها. ثـم توقّف عن الدّراسـة وعمل مسـاعدا في مختبـر بصيدليّة. وسـاعده صاحـب العمـل أن يدخل دار الأوبـرا، فتعرّف علـى الفرنسـيين وكان يشـارك فـي حفلاتهم. وقد عُرف عنه شـغفه بالغناء، ومن بين ما غنّى، أغنيات هزليّة. وبعد الحرب العالميّة انضمّ إلى جمعيّـة (المطربيّـة) التي كان يترأسـها (أدمون يافيـل) وبعـده محي الدّيـن باش تـارزي وفيها خضع لتكوين مكثّف في الموسيقى.

عمّـر علـي سـلّالي المدعو علالـو طويلا، لذلك يمكـن وصفـه بالمخضرم، حيث شـهد فـي شـبابه الحـرب العالميّـة الأوّلـى والثّانيّة، وعاصر الثّورة التّحريريّة، والاسـتقلال وما بعد الاستقلال بنحو ثلاثين عاما.

شيوخه: يذكر إنّه لازم الشّيخ علي بن قدّور، وأخذ عنه علوم اللّغة العربيّة وآدابها.

جحـا، وزواج بوعقلين، والنّائـم اليقضان، الصّياد والعفريـت، عنتر الحشايشـي، الخليفة والصّياد"، وحلّاق غرناطة، والإخوان عاشور، فضلا عن مذكراته التي تعدّ وثائق تؤرّخ لحياته، وقد أطلق عليها عنوان (فجر المسرح الجزائري 1926/ 1932).

مزج علّالو بين المسرح والتّراث الشّعبي، ولم يكن له خيار في ذلك بحيث لم يكن ليتجنّب التّراث الشّعبي، نظرا لتكوينه النّظري وكذا مستوى المسرح والجمهور، وكلّها عوامل لم تسمح بالتّخلي عن الموروثات الشّعبيّة من قصص وحكايات وشخصيات. وبهذه الملامح اتّصف المسرح الجزائري في بداياته الأوّلى، على يدّ الرّعيل الأوّل. وممّا جعل علّالو ينهج نهج التّراث الشّعبي في مسرحه هو حضوره مسرحيات (جورج أبيض) التي كانت تقام فوق ركح تغلق عليه جدران مسرح أوروبي، وشهد فشل هذا المسرح في الجزائر في تلك الحقبة، لا لشيء إلاّ لأنّ الأهالي آنذاك لم تكن متعوّدة على مثل هذا العرض، بل كانت ذاكرتهم الجماعيّة تحتفظ بما كانت تقدّمه القراقوزات (الگراگوزات) في العهد العثماني، وما كان يعرضه المدّاحون أو القوّالون في الأسواق، فالمتفرج وقتها هو بائع أو مشتر أو متجوّل عاد ليقف بدافع الفضول عند حلقة المدّاح دون أن يعي ذلك، بينما إذا طلب منه أن يلج قاعة عروض وضعت خصيصا لهذا الشّأن وعرضت عليه روايّة غربيّة ناطقة بلغة عربيّة فصيحة، فإنّه حتما سيجد حرجا في ذلك. ولذلك اختار علّالو شخصيّة جحا مثلا، ليرطّب بها الأجواء، وليجد آذانا صاغيّة وعيونا مبصرة. وفعلا حقّق نجاحا معتبرا في أوساط الأهالي آنذاك. وفي عزّ عطائه الفنّي والمسرحيّ، ولظروف ماديّة صرفة انقطع عن المسرح عام 1932، حيث قال: "المسرح أوّل الفنّون لكنّه آخر المهن".

كان علالو ثوريا وطنيا، وقد شهدت بذلك عليه مسرحيته جحا في مطلع القرن العشرين وتحديدا عام 1926، حين أصبحت الكلمة سلاحا يشهر في وجه المستعمر، بعد الفشل النّسبي الذي عرفته المقاومات الشّعبيّة. ولقد تزامنت مسرحيّته تلك مع بداية الحركة الوطنيّة التي أخذت في التّشكل، وبدأ العمل السّياسي والنّضالي ضدّ المحتلّ يطفو على عدّة أصعدة، منها الصّعيد الثّقافي. وفي هذه الظّروف ظهر المسرح الشّعبي الثّوري على يد علّالو.

شرعت جمعيّة المطربيّة في تنظيم حفلات موسيقيّة بمشاركة المغنّيين والمغنّيات بمناسبة شهر رمضان ابتداءً من عام 1921م، وكان علّالو يشارك خلال هذه السّهرات بما سمّاه في مذكّراته بـ: (المهازل العسكريّة)، وهي عبارة عن اسكاتشات وتمثيليّات قصيرة، كما غنّى مونولوجات، وألّف مسرحيّات ذات فصل واحد كان يمثّلها مع صديقَيْهِ عزيز لكحل وإبراهيم دحمون، وكانت هذه المسرحيّات القصيرة مكتوبة باللّغة العامّيّة، وتعرض بطريقة هزليّة ذات طابع شعبي، ولمّا كانت مستقاة من الواقع اليومي، لاقت نجاحا عظيما، كما يصفها هو نفسه. وأُطّرت هذه الموهبة الجزائريّة عندما أسّس صاحبها فرقة "زاهيّة" المسرحيّة.

حبيب زحماني فاطمة الزّهراء

المصادر:

- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، تأليف: مجموعة من الأساتذة، إشراف: رابح خدّوسي؛
- دراسات مسرحيّة، النّشأة والرّواد والنّصوص، د. صالح لمباركيّة؛
- دراسات مسرحيّة، المسرح في الجزائر دراسة موضوعاتيّة وفنّيّة، د. صالح لمباركيّة؛
- تاريخ الجزائر الثّقافي، بلقاسم سعد الله؛
- إنسانيّات: المجلّة الجزائريّة في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعيّة. مقالة: "التّراث الشّعبي والمسرح تجربتان من الجزائر"، د. أحمد حمّومي.

■ علي سُوكَلي
(توفي سنة 1130هـ - 1718م)

انتخب الدّيوان سوكلي علي شاوش المعلول دايا، وكان رجلا ذكيا ومنطقيا، وأقدرهم على جذب النّاس إليه، والتعلّق به، يتضح من اسمه أنّه كان يعمل شاوشا.

أحرز علي داي نجاحا باهرا في بدايّة حكمه، وكان يمنع على الباشوات المبعوثين من قبل السّلطان العثماني من المشاركة في كل القضايا لأنّهم كانوا غالبا ما يكونون سببا في حدوث اضطرابات في حكم الإيالة، فقد كانوا يثيرون في الجيش تمردات تسقط الدّايات أو تفقدهم الشّعبيّة. من أشهر أعماله:

القضاء على المشاغبين واللصوص، لكي يتمكّن من توطيد الأمن والاستقرار، فأمر بملاحقتهم وقتل منهم ألف وسبعمائة شخص فأنقذ المدينة من جرائمهم، وبفضل هذا العمل استطاع إدارة البلاد بشكل سليم .

واستطاع هذا الدّاي أن يجمع بين منصبي باشا وداي لأوّل مرة في تاريخ الإيالة. فعند قدوم شرقان ابراهيم باشا إلى الجزائر سنة 1711م، لم يسمح له الدّاي علي بالنزول للبر، وأخبره أنه في حال أصراره على دخول المدينة فسيقتله .

ونجح علي شاوش في إقناع السّلطان أحمد الثالث بمساوئ ازدواجيّة السّلطة، إن قوة الحجة لدى علي شاوش مع الهدايا الفاخرة أقنعت السّلطان بوجهة نظره ومنذئذ أقر السّلطان الأمر الواقع وأضحى حكام الجزائر يجمعون بين منصب أمير الأمراء والدّاي وغذا يستعمل في الفرمان الوارد من اسطنبول: " إلى أمير أمراء الجزائر ودايها.." إن الجمع بين السّلطتين واللقبين أكسب الدّيات نفوذا فضعف نفوذ ديوان الجزائر، فالدّاي علي شاوش فرض كلمته على مؤسسة الدّيوان حيث سار

الدّيوان على ما أوصى به فلما أصابه المرض أوصى بأن يخلفه أحد وزرائه.

في سنة 1712م تعرضت المدينة لزلزال عنيف، وتهدم من جرائه الكثير من المنازل، وأثناء زيارة الدّاي مع الشّواش للأماكن المهدمة، هاجمه جماعة من السّلب والنهب وفي اليوم الثاني وقع زلزال أخر، فقال أحد الجند أنه وقع زلزال مثل هذا منذ أربعين سنة، ولم يكف إلا عند قتل الدّاي، فتجمع المتضايقون من الحكم، وحاصروا علي باشا في برج يلدز(برج النجمة)، لكن الدّاي علي تمكن من التغلب عليهم.

سعى الدّاي علي جاهدا لزيادة أعمال القرصنة من أجل توفير مداخيل للإيالة، وضمان رواتب لجند الانكشاريّة، الذين اعتادوا إعلان العصيان والتمرد ضدّ كلّ داي يتأخر في دفع رواتبهم.

تشير الكتابات الأثريّة الموجودة في متحف الجزائر إلى أن علي باشا قام بإصلاحات في ديوان الانكشاريّة، كما تشير كتابة أخرى إلى أنه ما من مسجد أو قصر إلاّ وكتب عليه أن البناء كان في عهد العلام الدّاي علي بن حسن سوكلي.

ارتكزت علاقته مع فرنسا على تبادل الرسائل وعقد صفقات الأسرى وشراء عتاد السّفن، ومن ذلك رسالته المؤرخة في 11ماي 1711م والتي تنص على: "..نعلمكم أن كون السّلام والمعاهدات التي بيننا فعليّة وجديّة ومؤكدة بقسم رسمي ويرافقها الوفاق الطيب الخالص، فقد ارسلنا إليكم.. الريس بكير بسفينة محملة بالهدايا والقمح والبضائع....واننا نود أن لا تتركوه يعود لوحده لما لنا في البحر من أعداء وانما تجعلون له موكب حراسة.."

في 1712م استطاعت الأراضي المنخفضة أن تنهي الحرب بين هولندا والجزائر فالمعاهدة التي وقعت في هذه السّنه تنص على الدّفع المنتظم في شكل معدات حربيّة بالإضافة إلى النقود لضمان أمن التجارة الهولنديّة من الغارات الجزائريّة.

عزل علي باشا الباي علي بن صالح وعين مكانه كليان حسين المعروف بكنيّة بوكميّة أي صاحب الخنجر الجديد في1713م.

تُعدُ فترة حكم علي سُوكَلي علامة فارقة في عهد الدّايات، حيث أصبح الحكم أكثر استقلاليّة عن الباب العالي. ورغم ما أُثِرَ عنه من قتله لـ 1700 شخص إلا أنّه لم يظهر في الكتابات الأجنبيّة وبخاصة الفرنسيّة على أنّه سفّاح، بل برز كمعيدٍ لأمن مدينة الجزائر.

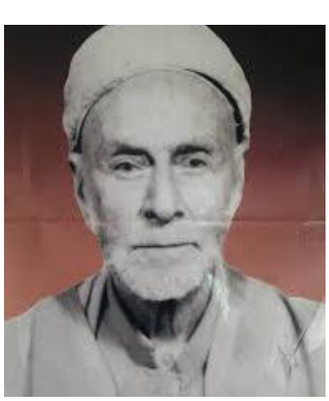
وانتهى أمره بحمى شديدة، حيث رفض أي علاج، معتبرًا أنّ أيّام حياته، حدّدت منذ الأزل. توفي على فراشه في 05 أفريل 1718م الأمر الذي جعل الناس يحفون قبره بالزهور لمدة أربعين يوما، دفن داخل المدينة خلف القصر، خلف علي باشا الخزناجي محمد بن حسن، عاصر الدّاي علي لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ملوك فرنسا، والرايس بكير، وبوشلاغم باي باياليك الغرب، والباي كليان حسين باي باياليك الشّرق.

صرهودة يوسفي

المصادر:

- عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشّماليّة، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربيّة، بيروت.
- أجان بلانيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك فرنسا، 1700-1833م، ترجمة: سلامنيّة بن داود، قوشام حفيظة، ج1، ط 1، دار الوعي للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م.

■ علي طبال
(1302هـ - 1885م/1398هـ - 1978م)



ولد الشّيخ طبال علي في سنة 1885 م بالمديّة في مكان يدعى "تبحرين"، حيث نشأ في طفولته يتيم الأم رفقة شقيقه، وترعرع بها وحفظ القرآن الكريم مبكرا على يد أبيه.

لقد عاش في وقت عم فيه الجهل والأميّة من جهة، وما أفرزه الاستعمار من صراع سياسي في أوساط الشّعب من مؤيد له ومعاد من جهة أخرى، فكان عليه وعلى أمثاله من المشايخ أن يقوموا بتوعيّة النّاس وجمع شملهم على ما يخدم الدين والبلاد في ذلك الوقت العصيب، فكانت لفصاحته واطلاعه الواسع في شتى الميادين أن يكون خطيبا مؤثرا على السّامعين، حيث اشتهر عنه حفظ كثير من المتون العلميّة كألفيّة ابن مالك وكتاب أحكام القرآن وهذا كله اعتمادا على إرادته وذكائه الفطري وبمساعدة والده والجلوس إلى

مشايخ عصره كالمرحوم "براهيم بلحجر" كما تميز بحبه للمطالعة والقراءة.

ويعتبر شخصيّة دينيّة بالدرجة الأولى له سمعة ومكانة معتبرة ومحترمة سواء في ولايّة المديّة، أوعبر التراب الوطني فالشّيخ رحمة الله عليه عالم ديني وصاحب ثقافة علميّة هائلة، حيث كان ملما بالمذاهب الأربعة وتفسير القران الكريم، حيث قضى حياته كلها في الإمامة والتربيّة والتعليم كان والده سى العربي رحمة الله عليه مختصا في العلوم الإسلاميّة فتولى بنفسه تعليم هذا الشّاب وتكوينه، كما تتلمذ على يد عالم شهير من مدينة قسنطينة يدعى الشّيخ عبد القادر المجاوي رحمة الله عليه.

وحسب شهادة ابن الشّيخ علي طبال فإنه في بدايّة سنة 1907م استلم إدارة المسجد العتيق بالبرواقيّة وعين فيه إماما وتولى إدارة المسجد والفتوى.

والشّيخ علي طبال كان قد عاصر أحداث الحربين العالميتين الأولى والثانيّة، فكان يتألم لما يعانيه الشّعب الجزائري من جهل وفقر فأخذ على عاتقه أن يسهم بما يستطيع من جهد خدمة للدين الإسلامي واللغة العربيّة، فانضم إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، كما ساهم في جريدة البصائر، وكانت له قبل ذلك صلة برئيس الجمعيّة الشّيخ العلامة المصلح عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى حيث كان يقوم بمرافقته في بعض جولاته عبر الوطن بل وعمل الشّيخ حتى في تكوين وتنشيط خليّة محليّة تابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الإصلاحيّة وهذا ما سبب له عداوة ازدواجيّة؛ من الإدارة الفرنسيّة التي عزلته عن وظيفته فترة من الزّمن من جهة ومن جهة أخرى عداوة بعض قادة الطّرقيّة الذين كانوا ينشرون الشّعوذة والخرافات والبدع والضلالات التي ليست من الدين الإسلامي الحنيف في وسط عامّة الشّعب الجزائري.

لاحظ الاستعمار الفرنسي الغاشم أن الشّيخ علي طبال نشيط ومحرك سياسي يختفي ويتستر تحت عباءة الإمامة والدين الإسلامي، فتعرض إلى المتابعة والاضطهاد من عند أعداء الإسلام والمسلمين من المستعمرين وبدعم من أبناء جلدته الذين خانوا وطنهم وباعوا ضمائرهم حيث كان يتلقى السّب والشّتم ولكنه كان يتحلى بالصبر والحكمة والحلم في مواجهتهم.

وبالمديّة كان ملازما للشيخين "مصطفى فخار" و"الفضيل إسكندر" رحمهما الله فكانوا يتبادلون الزّيارات فيما بينهم، وفي أثناء الثورة التحريريّة كانت له علاقة طيبة مع المجاهد "سي الطّيب بوقاسمي"بحكم انخراطه في صفوف جبهة التحرير الوطني منذ انطلاق الثورة بالمديّة سنة 1955م.

وفي سنة 1962م أيام الاستقلال الأولى كلف بتسليم الشّهادة المدرسيّة لكل من يطلب الوظيفة وهذا يدل على مكانته ودرجته العلميّة مما جعله محل ثقة.

كما كانت له صلة بالدكتور"بلقاسم سعد الله" بزيارته في بيته ليتدارس معه بعض القضايا العلميّة مما جعل أبا القاسم سعد الله يعجب به ويتخذه مصدرا في بعض كتبه التاريخيّة، كما كان مصدر أيضا للدكتور عبد الحميد شيران.

وأعمال الشّيخ لم تقتصر على الصلاة والفتوى والمسجد فقط بل كان إسلامه يدفعه للاحتكاك بكافة الطّبقات الاجتماعيّة، وكانت له يوميا علاقة مع كل النّاس فتارة يكون يد عون للضعفاء ولذوي الحاجة، وتارة وسيط خير بين المتخاصّمين والمتنازعين، والله وحده يعلم كم كان عمله الخيرى فعالا ومثمرا فى كثير من القضايا النّزاعيّة، ولكثرة انشغاله بمشاكل النّاس والسّعي لحلها شغل عن التأليف والكتابة رغم القدرة العلميّة والإدراك الواسع الذي يتمتع به.

كانت لدى الشّيخ مكتبة تضم أنفس الكتب وأندر المخطوطات، ومما يروى عنه أن أحد الأساتذة المشارقة المتعاونين كان يدرس بإحدى ثانويات ولايّة المديّة، وكان في أمس الحاجة إلى مخطوط قديم نادر لم يعثر عليه في المكتبات التي زارها فدله أحد الأساتذة على الشّيخ العلامة الفضيل إسكندر فلم يعثر عليه عنده فقام بدوره بإرساله إلى الشّيخ علي طبال بالبرواقيّة، وعند وصوله إليه في دكانه الذي يعمل فيه استصغر شأنه، ولما سأله عن المخطوط قال الشّيخ لقد قرأته منذ مدة عند بعض المشايخ، ولما كان الشّيخ يتمتع بذاكرة قويّة بقي متذكرا مضمون المخطوط بتفاصيله فطلب من الأستاذ الزّائر إخراج كناش لتسجيل ما يحتاجه من أبواب الكتاب وشرح البعض منها، فلما أنهى إملاء هذه الأبواب تعجب الأستاذ من قوة حافظة الشّيخ وقدرة استيعابه للكتاب المخطوط، ولما عاد إلى المديّة والتقى أصدقاءه قال لهم: "وجدت عالما في دكان أفضل بكثير من علماء وراء مكاتبهم".

فهذه شهادة فاضلة تدل على ماكان يتمتع به هذا الشّيخ من علم على الرغم مما كان يعاني منه من تهميش مادي ومعنوي ورغم ماكان يبذله من جهود وتضحيات من أجل إنارة الطّريق لغيره.

كانت وفاته في 15 ماي 1978م وصلى على جثمانه جمع غفير من النّاس بإمامة الشّيخ العلامة الفضيل إسكندر بعد أن قام بتأبينه الشّيخ "أحمد حماني"رئيس المجلس الإسلامي الأعلى آنذاك مشيدا بأعماله الجليلة.

رابح دوب

المصادر:

- عبد العزيز خليل الشّرفي، معجم أعلام المديّة، مؤسّسة شيكو للطباعة والنّشر، الجزائر، دط، دت.

■ علي طيار
(1371هـ - 1919م/1441هـ - 2019م)

الشّيخ المربي علي طيار من مواليد 1919 بمنطقة الرميلة بخنشلة، تلقى دروس الفقه والتوحيد والنحو والصرف على يد الشيخ درارجة العمري الذي كان له الأثر الكبير في توجيهه إلى جامع الزيتونة بتونس، كان ذلك عام 1938 إثر رحلة طويلة وشاقة، حيث درس هناك على يد عدة مشايخ منهم الشيخ الطاهر بن عاشور صاحب كتاب تفسير التحرير والتنوير الذي فسّر فيه القرآن الكريم تفسيرا كاملا سماه: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، واختصر هو نفسه هذا الاسم تحت عنوان (تفسير التحرير والتنوير). ويعتبر هذا التفسير موسوعة من المعارف، وقد أتى فيه الشيخ ابن عاشور بالجديد، بحيث لم يكرّر أقوال السابقين، بل أتى بأفكار أصيلة واجتهاديّة. وقد صدر هذا العمل في مجموعة واحدة تتركب من 30 جزءا في 15 مجلدا وكتابه الثمين والفريد من نوعه (مقاصد الشريعة الإسلاميّة)، كما درس الشيخ علي طيار على يد الشيخ محمد بن شريبة ومختار البجاوي وغيرهم، وقد ساهم جامع الزيتونة خلال فترة الاستعمار الفرنسي في المحافظة على الثقافة العربيّة الإسلاميّة، وقاوم بصلابة محاولات القضاء على الانتماء العربي الإسلامي، وكان جامع الزيتونة هو المدافع عن اللغة العربيّة في هذه الفترة الحرجة من التاريخ بعد أن فقدت اللغة العربيّة كل المدافعين عنها تحت تأثير وسيطرة الاستعمار، مما جعل المقيم العام الفرنسي يقول: "عندما قدمت إلى تونس وجدت أكثر من عشرين ألف مدافع عن العربيّة"، وهو يقصد طلاب العلم في جامعة الزيتونة. عايش الشيخ علي طيار فترة الحرب العالميّة الثانيّة في تونس في ظروف استثنائيّة، خاصة أنه كان ناشطا رفقة مجموعة من الطلبة وفق تجمعات وندوات تحت لواء ناد ثقافي تابع لجمعيات تونسيّة، وقد درس رفقة عدة طلبة جزائريين بارزين منهم الشاذلي المكي الذي التحق سنة 1935 بتونس، ونظرا لنشاطه وحيويته أنتخب رئيسا لجمعيّة الطلبة الجزائريين الزيتونيين التونسيين،وذلك إلى غاية 1939، وفي ذات السنة تكون تكوينا عسكريا بإيطاليا ليكون من أوائل الطيارين العرب والمسلمين، وقد ساهم في حملة تدعو إلى تمرد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي كما قام مكي الشاذلي بتصميم العلم الوطني بمعيّة مصطفاي شوقي، وحسين عسلة، وكلف الخياط إسماعيل عبد الرحمن بخياطة أول علم، ورفع في مظاهرات 1 و8 ماي 1945 .

عانى الشيخ المربي علي طيار من مرارة السجون في عدة مرات، بسبب مواقفه المناديّة بالحريّة ونبذ المستدمر، واقتناعه بالنشاط السياسي تحت لواء الحركة الوطنيّة، وتأثره بمضامين بعض المجلات الداعيّة إلى الحريّة، مثل مجلة العروة الوثقى التي كانت تصدر في باريس من طرف الشيخين جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، ومجلة الفتح لمحي الدين الخطيب ومجلة الرسالة، وكذا مجلة الشهاب التي كانت تصدرها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي تعرف عليه علي طيار في تونس، حين دعته جمعيّة الطلبة الجزائريين إلى إلقاء محاضرة، حيث كان معجبا بأسلوبه وصدق لهجته وإخلاص وطنيته وحماسه الفياض، وقد كان له نشاط سياسي معتبر، حيث شارك في مؤتمر أحباب البيان عن دائرة قايس عام 1945 بقيادة الدكتور سعدان، ما كلفه دخول سجن الكديّة بقسنطينة يوم 8 ماي 45 مع بعض رفقائه، وأيضا كان للشيخ علي طيار علاقات مع بعض مجاهدي وقيادات الثورة التحريريّة، وفي مقدمتهم الشهيد عباس لغرور وعاجل عجول وإبراهيم حشاني وعبد المالك بومعيزة وغيرهم.

للشيخ علي طيار مسيرة مبكرة مع مهنة التعليم، حيث عُيّن عام 1944 مديرا لمدرسة أم البنين بقايس، التي كانت تابعة لجمعيّة العلماء المسلمين، كما عمل في مدرسة بلعباس عام 1946، لينتقل إلى مستغانم كمدير لمدرستها الحرة، حيث زارهم المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي ألقى محاضرة تناول فيها أفكاره التي يحتويها كتابه الظاهرة القرآنيّة وسط جمع غفير من أبناء مستغانم، وفي عام 1950 عين مديرا لمدرسة الإرشاد بمدينة البليدة، ثم عمل في مدرسة الرشاد بسكيكدة، ليعود إلى باتنة، حيث عمل في مدرسة حرة ثم انتقل إلى مدرسة النشء الجديد التي كان يديرها الشيخ أحمد السعودي.

بعد الاستقلال، ساهم في تأطير المدرسة الجزائريّة، من خلال تكوين الدفعات الأولى من المعلمين، بحكم منصبه كمستشار، ليواصل عمله مفتشا جهويا إلى غاية إحالته على التقاعد.

وافته المنيّة عن عمر يناهز 100 سنة، وذلك بعد مرض عضال ألزمه الفراش بمقر سكناه بحي شيخي بوسط مدينة باتنة، وذلك بعد مسيرة طويلة من العطاء في الشق التعليمي والإصلاحي، وفي المجال النضالي والسياسي تحت لواء الحركة الوطنيّة.

طارق ثابت

المصادر:
ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

■ علي عبد القادر
(1300هـ - 1883م/1376هـ - 1957م)

علي عبد القادر الحاج مناضل يساري في الحركة العماليّة الفرنسيّة، ومؤسّس جمعيّة نجم شمال إفريقيا، ولد يوم الثّالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة 1883 بسيدي سعادة البلديّة القديمة كليشان المطمر قرب غليزان عمالة وهران القديمة، متجنس بالجنسيّة الفرنسيّة حسب مرسوم 2 أوت 1911، متزوج بفرنسيّة، هاجر إلى فرنسا قبل 1914.

حيث بدأ حياته العمليّة بفرنسا تاجرا، ثم جند في الجيش الفرنسي سنة 1914، وقد أصيب بجروح أبقته في المستشفى طوال سنوات الحرب الكونيّة الأولى.

عاد بعد الحرب إلى باريس وانخرط في (الفيدراليّة النّقابيّة / SAFIO) لمنطقة السّابة، وعلى إثر ذلك التّحق بالحزب الشّيوعي الفرنسي سنة 1920، وأصبح عضوا في الخليّة الخامسة له.

وأثناء هذه الفترة احتك الحاج (علي عبد القادر) بالعمال واتصل بالشّركات الصّناعيّة وتأثر بالدّعايّة الثّوريّة، التي كانت قويّة في تلك الفترة. وخلال تلك المرحلة بدأ نشاطه السّياسي والتّحق بمركز تجمع العمال المهاجرين.

تخلى الحاج (علي عبد القادر) عن ممارسة التّجارة كمتجول ليفتح محلاً خاصًا بالأدوات الحديديّة سنة 1921، وذلك بهدف الخروج من وضعيته الاقتصاديّة المتردّية ومكانته الاجتماعيّة المنحطة، وفعلا فقد وجدناه في (الوحدة الكولونياليّة/ L'union Coloniale) سنة 1921، وهو أوّل جزائري يظهر اسمه في هذه الجريدة، التي أصدرت من جديد من قبل (رفقاء هوشيمين/ Compagnon d'Hochimin)، والتي أخذت على عاتقها نشر القضايا المهمة عند الحزب الشّيوعي الفرنسي، وفي المقام الأول قضيّة المهاجرين والقضايا المطروحة في فرنسا وفي الجزائر.

وقد كان الحاج (علي عبد القادر) يكتب في جريدة (لاباريا / Le Paria) تحت اسم مستعار (الحاج بيكو/ Hadj Bicot) . وكانت كتاباته المنشورة سنة 1922 نقدا للنظام الخاص المطبق في الجزائر، كما انتقد طريقة الفصل بين الجزائرين والمستوطنين الفرنسيين في التّمثيل النّيابي بالجزائر، كما تعرض بالنّقد (للأمير خالدّ) وهو الذي وصفه بـ (الزّعيم المغرور)، وهذا لم يمنعه بعد سنتين من أن يتخذ مواقف تتعارض مع الحزب الشّيوعي ويكون في صف (الأمير خالدّ) وخاصة بعد إذلاله من قبل القوات الفرنسيّة.

وجه نداء في (جريدة الثّكنة / La Caserme) تحت الاسم المستعار (علي بابا)، داعيا فيه الحزب الشّيوعي الفرنسي إلى التّعامل مع الإسلام كعنصر سياسي.

لقد صنف الحاج علي عبد القادر من قبل الحزب الشّيوعي سياسيا، كأحد العناصر النّشطة والفعالة، ولهذا نجده يتبوأ مكانة معتبرة في منطقة (نهر السّين) بفرنسا كعضو مرشح من المستعمرات.

واعتبر هذا المناضل جنديا كسر جدار الخوف وعقدة الضّعف وأظهر أنه بإمكان العنصر الجزائري، أن يكون عضوا نشيطا في أيّة منظمة أوروبيّة مناهضة للاستعمار.

كان لترشحه هذا في التّنظيمات السّياسيّة والنّقابيّة في فرنسا أن شجع رفاقه على خوض غمار السّياسة والانخراط في النّقابات والأحزاب السّياسيّة.

وعلى إثر هذا الموقف الجديد للحاج (علي عبد القادر) كتب (الأمير خالدّ) مقالا في جريدة (لاباريا / Le Paria) أثنى فيه عليه.

وقد ظهر أول تعاون بين (الأمير خالدّ) والحزب الشّيوعي في التّجمع الذي نظم في الفترة ما بين 12–19 يوليو–جويليّة 1924.

وقد تحول الحاج (علي عبد القادر) منذ شهر شباط– فيفري سنة 1925 إلى مدرسة (إطارات الحزب الشّيوعي) وارتقى بسرعة إلى رتبة مدرس في المدرسة الاستعماريّة.

خلال هذه الفترة درس على يديه شخصيات جزائريّة أمثال: (مصالي الحاج)، وهو الذي عمل على تسجيله في الحزب الشّيوعي الفرنسي.

شارك الحاج (علي عبد القادر) في النّقاش الذي دار قبل ميلاد حزب (نجم شمال إفريقيا) وظهر تأثيره على (مصالي الحاج) بسرعة ويتضح ذلك من خلال ما كتبه (مصالي) في مذكراته وخاصة في الموضوعات المتعلقة بالوطنيّة والإقليميّة ونحو ذلك.

ولما سافر الحاج (علي عبد القادر) إلى (موسكو) صرح للصحافة بأن موجة الثّورة تجتاح أوروبا والدّول المستعمرة، وهنالك تلقى تعليمات لإنشاء تنظيم يصبّ في الاتجاه الوطني الثّوري، والذي يتكون من (البروليتاريا) والبرجوازيّة الوطنيّة لدول المستعمرات، وعلى إثر هذه التّعليمات سار الحاج (علي عبد القادر) في اتجاه إنشاء منظمة نجم شمال إفريقيا، وقد كان لجهوده ونشاطه مع أصدقائه أمثال (شبيلة) و(سي الجيلالي) و(مصالي)، أن أثمرت في تكوين تنظيم عرف بـ(منظمة شمال أفريقيا) سنة 1926 كما جاء في شهادة (بانون آكلي) في كتابه: (Histoire Par La Boucle).

إنّ الحاج (علي عبد القادر) له دور هام في تأسيس حزب (نجم شمال أفريقيا) في ربيع 1926 وقد ترأس مكتب المجلس المركزي وأمانة ماليّة الحزب، وعمل في الوقت نفسه على تعيين (التّونسي الشّاذلي) على رأس التّنظيم.

ولهذا وجد الحاج (علي عبد القادر) نفسه في قلب النّظام والصّراع، وقد حدد منذ البدايّة اتجاه الحزب الشّيوعي الفرنسي وموافقة اتجاه الأمميّة الشّيوعيّة العالميّة وما كانت تدعو إليه من تشجيع الوطنيّة.

يعد الحاج علي أحد الكتاب البارزين في (جريدة الإقدام / L'IKdam)، ويعود إليه الفضل في تكوين الصّحفيين في هذه الجريدة، وقد كتب مجموعة من المقالات بأسماء مستعارة منها: (علي)، (علي بابا)، (علي الجزائري)، (أحمد علي حماد) .

كما يعود له الفضل في التّعريف بالحزب في منطقة باريس بين شهري جويليّة وأوت سنة 1926.

انتقل في يوم السّابع من شهر شباط- فيفري 1927 رفقة (مصالي الحاج) و(الشّاذلي خير الله) إلى بروكسل ببلجيكا لتمثيل حزب (نجم شمال أفريقيا) في المؤتمر المناهض للإمبرياليّة.

لقد كان لنزعة نجم شمال أفريقياالوطنيّة واحتواء برنامجه على مطالب سياسيّة تنادي بضرورة استقلال الجزائر وإنشاء جيش جزائري وبرلمان جزائري منتخب بالاقتراع العام وتأميم الأملاك الكبيرة واسترجاع الأراضي المصادرة، التي استولى عليها الكولون والاعتراف بحق الجزائر في إنشاء النّقابات وحق الإضراب وتعديل القوانين الاجتماعيّة، أن كان لقرار مؤتمر بروكسل أن نصّ على ضرورة رفع الوصايّة عن الشّعوب المستعمرة.

غير أن الحزب الشّيوعي الفرنسي وبناءً على البرنامج الجديد لحزب نجم شمال أفريقيارأى ضرورة إدخال عناصر جديدة في حزب النّجم نفسه، لتعديل التّوجه الذي أعلن عنه.

وهكذا برزت ضغوطات الحزب الشّيوعي على النّجم سنة 1927، وهنا أخبر الحاج (علي عبد القادر) (مصالي الحاج) بالموقف الجديد للحزب الشّيوعي الفرنسي من حزب النّجم، وحذّره بأنّ المساعدات الماليّة للحزب سوف تتوقف، وسوف يجردّ من المقرات.

وعليه غادر الحاج علي عبد القادرحزب النّجم سنة 1928، وبدأت النّظرة الفرنسيّة للنجم تتغيّر، واعتبرت مطلب الاستقلال هو العقبة الكؤود في طريق النّجم إلى العمل في دائرة القوانين الفرنسيّة.

وعندما أعلن (مصالي الحاج) أن الحلّ الوحيد لمشكل الجزائر هو الاستقلال، ردّ عليه الحاج (علي عبد القادر) سنة 1929 بأنّ الحل الأول هو إيجاد برلمان أهلي كمرحلة أولى لاستقلال الجزائر.

وعلى الرّغم من أن حزب النّجم قد تم حله من قبل السّلطات الفرنسيّة في نوفمبر سنة 1929، فإن الحزب الشّيوعي الفرنسي قد كلف الحاج (علي عبد القادر) بمهمة الإتصال بمناضلي حزب النّجم. ومنذ هذا التّاريخ لم يعد اسم الحاج علي عبد القادريذكر على صحيفة النّجم (الأمة) إلاّ في عدد واحد صادر في أول تشرين الأول- أكتوبر 1930.

ومع أن حزب النّجم كان يعمل على إقصاء الحاج علي، فإنه ظلّ يحترمه.

لما انعقد المؤتمر العام لنجم شمال أفريقيا سنة 1933 وجّه دعوة للحاج (علي عبد القادر) بهدف الانضمام إلى الحزب مرة أخرى، ولكنه رفض الانضمام إليه وإلى الحزب الشّيوعي على حدّ سواء.

وبعد مضي سنتين ظهر اسم الحاج (علي عبد القادر) في قائمة اللجنة، التي امتثلت أمام البرلمان لتقديم المطالب الإصلاحيّة الجزائريّة.

في سنة 1936، التّقى الحاج (علي عبد القادر) و(مصالي الحاج) آخر مرّة في إطار العمل السّياسي والوطني، ومنذ هذا التّاريخ لم نعد نجد له أثرا في وثائق الحركة الوطنيّة الجزائريّة، حتى وفاته سنة 1957.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

■ علي عمّار (علي لاپوانت) (1348هـ - 1930م/1377هـ - 1957م)

علي لاپوانت هو واحد من الرّموز الثّوريّة التي سجّلت اسمها بأحرف من ذهب في سجل الثّورة التّحريريّة المجيدة. اسمه الحقيقي (علي عمّار)، ولم تكن لديه أيّة سوابق نضاليّة، لكنّه كان معروفاً في حيّ القصبة العتيق بالشّدة، واستقطبته الثّورة وجبهة التّحرير، وضمّته إلى صفوف خليّة الثّوريّين في هذا الحيّ الشّعبي، والتي كانت تضمّ أيضاً رموزاً ثوريّة مثل الشّهيدة حسيبة بن بوعلي، وطالب عبد الرّحمن، وياسف سعدي، وجميلة بوحيرد، والطّفل عمّار، بعدما تمّ تدريبه وتجريبه في عمليّة اغتيال شرطيّ فرنسيّ.

ولد (علي لاپوانت) في 14 مايو 1930 واسمه الحقيقي (علي عمّار) وليس (علي بن عيسى). ولد في مدينة مليانة التّابعة لولايّة عين الدّفلى، عاش طفولة صعبة حيث اشتغل في سنّ مبكّرة في مزارع المعمّرين وعرف حينها معنى السّيطرة والاستغلال. نشأ في عائلة فقيرة ولم يتمكّن من الالتّحاق بالمدرسة. أثناء مراهقته وبالنّظر الى تمرّده الدّائم تعرّض الى السّجن أكثر من مرّة. وقد كان دخوله للسّجن للمرّة الأخيرة سنة 1954 لحظة فارقة في حياته حيث تعرّف على مناضلي جبهة التّحرير الجزائريّة وآمن بقضيّة بلاده وحقّها في التّحرّر والاستقلال.

عند عودته إلى الجزائر العاصمة انخرط في صفوف النّادي الرّياضي بالعاصمة ومارس رياضة الملاكمة وهناك تعرّف على كثير من الوطنيّين الذين زرعوا فيه فكرة الثّورة، وأثناء قضائه فترة في السّجن عرف قيمة الحريّة وفهم معنى التّضحيّة. بعد خروجه من السّجن أصبح مقرّبا من سعدي ياسف أحد المجاهدين

القريبين من القيادي الشّهيد العربي بن مهيدي. قام علي لاپوانت بتنفيذ عمليّات متتاليّة ضدّ الاحتلال جعلته يتحوّل إلى أسطورة فعليّة وقائدا مهمّا في حيّ القصبة بالعاصمة الجزائر. تمكّنت الخليّة التي يقودها وضمّت عناصر منها حسيبة بن بوعلي وطالب عبد الرّحمن من تنفيذ عمليّات تفجير واغتيال شكّلت بداية إعلان حرب تحرير العاصمة الجزائر.

انضمّ إلى صفوف الثّورة التّحريريّة ضمن فوج الفدائيّين بالعاصمة وشارك في القيام بعدّة هجومات على مراكز الجيش والشّرطة الاستعمّاريّة وقد شكّل مع حسيبة بن بوعلي وطالب عبد الرّحمن، ومجموعة من الفدائيّين شوكة في حلق البوليس الفرنسي.

لم يأخذ علي لاپوانت صورته الثّوريّة فقط من نضاله المسلّح وتنفيذه لعمليّات ضدّ قوّات الاستعمّار الفرنسي في العاصمة وأحيائها التي يصعب فيها على الثّوريّين التّحرّك بحريّة، لكن أيضاً من موقفه برفض الاستسلام حتّى وهو في اللحظة الأخيرة من مساره الثّوري، بعدما حاصرته قوّات المظليّين الفرنسيّين داخل مخبأ في الحيّ، توصّلت إليه بعد الحصول على اعترافات تحت التّعذيب لمناضلين آخرين. ورفض لاپوانت الذي كان يمثّل برفقة الشّهيدة حسيبة بن بوعلي والطّفل عمّار، آخر ما تبقّى من الخليّة الثّوريّة التي كانت تضمّ جميلة بوحيرد الاستسلام لقوّات المظليّين، وفضّل الموت على الاستسلام، بعدما طلب منه القائد الفرنسي تسليم نفسه أو تفجير المنزل الذي ما زالتّ آثاره شاهدة على الرّوح الثّوريّة لعلي، وبشاعة الاستعمّار الفرنسي.

في 8 أكتوبر عام 1957 استشهد علي لاپوانت حين قام الاستعمّار الفرنسي بنسف المنزل في حيّ القصبة الذي كان يأويه رفقة حسيبة بن بوعلي ومحمود بوحميدي وعمر الصّغير، فأستشهدوا كلّهم.

وتمّ تخليدًا لذلك إنجاز فيلم (معركة الجزائر/ La bataille d›Alger) وهو فيلم جزائري تاريخي حربي أنتج عام 1966 شارك في تأليفه وإخراجه جيلو بونتيكورفو وبطولة ابراهيم حجاج في دور علي لاپوانت وجان مارتن وياسف سعدي. الفيلم يروي فترة من فترات كفاح الشّعب الجزائري في العاصمة الجزائريّة إبّان ثورة التّحرير الوطني الكبرى من بطولات شعبيّة ضدّ الاستعمّار الفرنسي. تمّ تصويره في نمط إخباريّ مستوحى من روسيليني - بالأبيض والأسود مع نمط تحرير وثائقي - غالبا ما يرتبط بالسّينما الواقعيّة الجديدة.

وقد احتفل الفيلم بشكل حاسم وكثيرا ما اتّخذته الجماعات المتمرّدة والدّول على حدّ سواء، كتعليق هامّ على حرب العصابات في المناطق الحضريّة. واحتلّ المرتبة 48 في أفضل 250 فيلم من النّقّاد في استطلاع الرّأي والصّوت لعام 2012، فضلا عن المركز 120 في قائمة مجلّة إمبير لأفضل 500 فيلم في كلّ العصور.

نال الفيلم جائزة الأسد الذّهبي في مهرجان البندقيّة عام 1966، وجائزة النّقد خلال مهرجان كان في نفس السّنة، كما ترشّح لثلاثة جوائز أوسكار كأحسن فيلم وأحسن إخراج وأفضل سيناريو. كما عزّز فيلم (معركة الجزائر)، والذي صُوّر في السّتينات عن المعركة الضّاريّة بين مجموعة صغيرة من الفدائيّين والقوّات الفرنسيّة، من صورة ورمزيّة علي لاپوانت، كرجل جزائري كان يعيش كما كلّ الجزائريّين في ظروف الفقر التي فرضها الاستعمّار عليهم، لكنّه انضمّ بفطرة ثوريّة وآمن بسرعة بالقضيّة، على الرّغم من إنّه لم يكن ذا فهم لطبيعة الصّراع السّياسي. ورسم الفيلم صورة للاپوانت كرجل ثوري مندفع ومتحمّس بعفويّة إلى أبعد الحدود.

لا تزال رمزيّة (علي لاپوانت) راسخة في الذّاكرة الجمعيّة، وتبهر العالم كما الثّورة النّوفمبريّة الكبرى، بعد انقضاء خمسة عقود ونيف على جريمة نسف مظليّي فرنسا لمخبأ (علي) وثلاثة من كبار الفدائيّين (حسيبة بن بوعلي)، (محمود بوحميدي) و(عمر الصّغير)، في حي القصبة الشّعبي فجر الثّامن أكتوبر 1958.

تسعديت لحول

المصادر:

- بوابة الشّروق ــ أون لاين ــ / كامل الشّيرازي / 08 / 10 / 2014؛
- فرنسا الاستعمّاريّة ــ الفايسبوك ــ / 30/ 01/ 2017؛
- منتديات الإبداع التّعليميّة / 28/ يوليو/ 2018.

علي عمارة البرجي
(1313هـ - 1895م/1352هـ - 1933م)

هو علي بن محمّد بن عمارة البرجي المولود سنة 1313 هـ الموافق لـ 1895 م ببلدة برج بن عزوز قرب طولقة بمنطقة بسكرة، ولذلك ينسب إليها. أديب لامع ورجل إصلاح. ألحقه والده في سن مبكرة بالمسجد في مسقط رأسه لحفظ القرآن الكريم على شيوخ البلدة. كما أخذ عنهم مبادئ اللغة العربيّة ومبادئ الفقه. وبعد انتهاء الحرب العالميّة الأولى، توجه إلى تونس كالكثير من أبناء جيله، حيث انتسب لجامع الزيتونة وتخرج منه سنة 1925 م بحصوله على شهادة التطويع، وهي أعلى شهادة كانت تمنحها الزيتونة في تلك الفترة وتخول لصاحبها الاندماج في عالم الشّغل، كالتعليم وغيره. ورافقه في رحلة الدراسة إلى تونس ابن منطقته الشّيخ محمّد خير الدين أحد أقطاب جمعيّة العلماء المسلمين. ويقول الشّيخ محمّد خير الدين واصفا تلك المرحلة الدراسيّة في جامع الزيتونة بقوله: "عاشت تونس خلال مقامي بها ما بين 1918 و1925 فترة خصبة من حياتها عامرة باليقظة والنهضة، فأثر ذلك في تكويني وهيأني للعمل على نهضة الجزائر في مجالين متوازيين هما: الإصلاح الديني والإصلاح الوطني". وهو أمر ينطبق على كل الطلاب الجزائريين الذين التحقوا بتونس أثناء العشرينات والثلاثينات للدراسة.

وقد احتفت العديد من الصحف الصادرة في تلك الفترة بتخرج الشّيخ علي البرجي ورفيقه الشّيخ خير الدين، فكتب الشّيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة المنتقد: "في كل عام منذ سنوات يفوز بشهادة العالميّة "التطويع" من جامع الزيتونة المعمور جماعة من أبناء الجزائر. وقد فاز هذا العام هؤلاء السّادة الفضلاء على الترتيب محمّد خير الدين من فرفار وعلي عمارة من البرج فنهنئهم ونهنئ بهم الوطن مذكرين لهم بان إحياء اللغة وقتل الضلالات ونشر المعارف هم وأمثالهم المسؤولون عنه والمضطلعون للقيام به فعليهم أن يجاهدوا في سبيله مع امتزاجهم بطبقات الأمة واطلاعهم على جميع شؤونها وصبرهم على كل بلاء يلحقهم من جهل الجاهلين واستبداد الظالمين وكيد الخائنين فإنهم جنود الحق وأشرف حالات الجندي أن يموت في خط الدفاع".

وكتبت صحيفة النجاح التي أسسها الشّيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي عثماني تحت عنوان "العلماء الجدد من الكليّة الزيتونيّة": "فاز في امتحان الكليّة الزيتونيّة هذه السّنة (1925) العلماء الأجلاء والمشايخ السّادة علي بن عمارة من البرج ومحمّد بن خير الدين من فرفار فنهنئهم بالدرجة العلميّة التي حصلوا عليها بفضل كدهم وألمَعِيتهم، كما نهنئ القطر الجزائري بهم". وقال عنه سليمان الصيد مؤلف كتاب تاريخ الجزائر القديم: "منذ صغره، اتجه الوجهة الصحيحة، إذ اغترف من منهل العلم وقرأ كتاب الله العظيم في برج بن عزوز على شيوخ البرج الأجلاء، وبعد حفظه القرآن الكريم، وأخذه المبادئ العلميّة التي كونته على علماء بلده ونواحيها، تاقت نفسه إلى التزود بالعلم فانتقل في ظروف صعبة إلى تونس، والتحق بجامع الزيتونة وبقي عدة سنوات في الدراسة".

ومع عودته إلى مسقط رأسه، انخرط الشّيخ علي بن عمارة البرجي في جهود نشر التعليم وبث الوعي الوطني، مساهماً في النهضة العلميّة والاصلاحيّة. وهي الجهود التي قادها لفيف من علماء الجزائر في تلك المرحلة التاريخيّة لمقاومة مختلف أشكال التجهيل الذي كانت تمارسها الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة لمحو ذاتيّة الشّعب ومسخ مقومات شخصيته. فباشر بتعليم اللغة العربيّة وآدابها وتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره. ويذكر الشّيخ خيرالدين أن الشّيخ علي بن عمارة كان من بين الشّخصيات التي شاركت في تأسيس مطبعة ببسكرة سنة 1929 م لإصدار جريدة الإصلاح التي كلف الشّيخ الطيب العقبي أحد أقطاب جمعيّة العلماء بالإشراف عليها. واندرج ذلك النشاط في إطار العمل الإصلاحي الذي كانت تهيئ له مجموعة من العلماء الذين انتظموا في حلقة بقيادة الشّيخ عبد الحميد بن باديس، وشكلت تلك المجموعة النواة التي حضرت لتأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 م.

كان الشّيخ علي بن عمارة البرجي خلال عشرينات القرن الماضي علماً من أعلام التربيّة والاصلاح بمنطقة بسكرة حتى لُقب بـ "نِحْرير" البرج، وعضوا نشطا في الحركة الإصلاحيّة التي قادتها جمعيّة العلماء المسلمين. وضمن هذا الإطار ساهم في الكتابة في جريدتيْ الشّهاب والإصلاح وكذلك في جريدة "صدى الصحراء" التي ظهرت في منتصف القرن العشرين معبرا فيها عن آرائه ومواقفه من القضايا المطروحة في تلك المرحلة. كما نظم الشّعر وكان متميزا فيه. لقد قدّر أهميّة المسؤوليّة الملقاة على عاتق جيله من رواد الإصلاح. وذكر الشّيخ خير الدين تلك الفترة بقوله: "كنت أقوم خلال هذا النشاط التعليمي بالتنقل إلى قرى الزاب وما جاورها من أجل التنسيق مع إخواني ببسكرة أمثال الشّيخ الطيب العقبي وزميلي في الدراسة بالزيتونة الشّيخ علي بن عمارة البرجي والشّيخ محمّد العيد آل خليفة والأستاذ الأمين العمودي".

فارق الشّيخ علي بن محمّد بن عمارة البرجي الحياة مبكرا حيث كانت وفاته سنة 1352 للهجرة الموافق لسنة 1933 م، وتم دفنه بمسقط رأسه، وجرى تخليد ذكراه بإطلاق اسمه على مدرسة متوسطة ببلدة برج بن عزوز.

عامر بغدادي

المصادر:

- الشّيخ علي بن عمارة البرجي، صلابة في الحق وتفان في خدمة العلم والدعوة، موقع إذاعة برج بن عزوز الالكتروني.

■ علي كافي
(1346هـ - 1928م/1434هـ - 2013م)

ولد الرّئيس علي كافي في السّابع (07) أكتوبر 1928 بالحروش، بسكيكدة من عائلة ريفيّة تنتمي إلى الزّاويّة الرّحمانيّة بدأ دراسته بالمدرسة الكتّانيّة في قسنطينة بعد حفظه للقرآن على يدّ والده، وكان معه بالمدرسة الرّئيس الأسبق للجزائر هواري بومدين، ثمّ انتقل إلى جامع الزّيتونة بتونس سنة 1950 لاستكمال دراسته.

عاد للجزائر سنة 1952 ليدخل في الحياة السّياسيّة، بعد أن طردته السّلطات الفرنسيّة مع مجموعة من زملائه، كان عضوا في حزب الشّعب وأسهم في النّضال فيه حتّى أصبح مسؤول خليّة ومن بعدها مسؤول مجموعة، بعام 1953 عيّن مدرّسا من حزبه في مدرسة حرّة بسكيكدة، ليلتحق بصفوف جيش التّحرير الوطني في بداية 1955، منذ اتّصال بديدوش مراد في نوفمبر 1954 وكانت بداية مشاركته على مستوى مدينة سكيكدة وبعدها التّحق بجبال الشّمال القسنطيني، وعمل مباشرة مع الشّهيد زيغوت يوسف، وكلّف رفقة زملائه بتحضير هجومات 20 أوت 1955 في الشّمال القسنطيني، وشارك في مؤتمر الصّومام ضمن وفد الولاية الثّانيّة؛ وفي خريف 1956، عيّن قائدا عسكريّا لها، وفي ربيع 1957 عيّن على رأس نفس الولاية. وفي ماي 1959 التّحق بتونس حيث دخل في عداد الشّخصيّات العشر التي قامت بتنظيم الهيأتين المسيِّرتين للثّورة (الحكومة المؤقّتة للجمهوريّة الجزائريّة والمجلس الوطني للثّورة الجزائريّة) ليعيّن بعدها ممثّلا لجبهة التّحرير في سبتمبر 1961 بالقاهرة والجامعة العربيّة.

بعد الاستقلال شغل منصب سفير الجزائر في عدّة عواصم منها سفير الجزائر في لبنان سنة 63، وسوريا 66، وليبيا 70، وتونس 75، وكانت تربطه علاقات جيّدة ببعض الرّؤساء العرب من أمثال جمال عبد النّاصر والحبيب بورقيبة، ناهيك عن عمله كمندوب لدى الجامعة العربيّة بالقاهرة وتونس، كما انتخب في 1990 بعد إحالته على التّقاعد، كأمين عامّ للمنظّمة الوطنيّة للمجاهدين إلى غاية 1994.



وبعد توقيف المسار الانتخابيّ في الجزائر، واستقالة الرّئيس الشّاذلي بن جديد في 11 جانفي 1992، عين علي كافي في 14 جانفي 1992 عضواً في المجلس الرّئاسي الأعلى الذي كان يقوده الرّئيس الرّاحل محمّد بوضياف.

وفي 02 جويليّة حتى ديسمبر 1994 عين الرّئيس علي كافي رئيساً للمجلس الرّئاسي إثر اغتيال الرّئيس محمّد بوضياف الذي حكم الجزائر 166 يوما من قبل أحد حراسه في مدينة عنابة شرق الجزائر في 29 جوان 1992،

وعندما تولى علي كافي رئاسة المجلس الأعلى للدولة كانت خطورة الوضع الأمني في الجزائر قد بلغ ذروته، فكانت المواجهات الدّاميّة بين القوّات النّظاميّة والجيش الاسلامي للإنقاذ الذّراع العسكريّة للجبهة الاسلاميّة قد اتسعّت رقعتها وقبل ذلك كانت هناك الحركة الاسلاميّة المسلحة التي برزت الى الوجود الجماعة الاسلاميّة المسلحة التي أعلنت عن نفسها كجماعة إسلاميّة مسلحة مستقلة عن الجبهة الاسلاميّة للإنقاذ، وقد أتخذّ المجلس الأعلى للدولة مواقف متشددة تجاه هذه الجماعات، وكان خطّاب علي كافي يتسم بالتّصعيد والمواجهة والحرب التي لا هوادة فيها ضد الجماعات الاسلاميّة المسلحة، كما أنّ علي كافي صادق على تشكيل المحاكم الخاصّة الاستثنائيّة التي تنظر في قضايا العنف السّياسي وقد أصدرت هذه المحاكم عشرات الأحكام بالإعدام.

كما وضع المجلس الأعلى للدّولة في عهد علي كافي قوانين مكافحة الارهاب التي جاءت مكمّلة للأحكام العرفيّة وقوانين حالة الطّوارئ.

وبات واضحا أنّ الجزائر اتجهّت نحو عزلة خانقة وانكفاء كامل عن ممارسة دورها على مستوى محيطها المغاربي ومحيطها العربي والإسلامي، والجزائر التي كانت حاضرة في كل المحافل الدّوليّة والتي كانت تستقبل العالم الثّالثّ في عهد هواري بومدين، أصبحت فعليّا تعيش هاجس السّقوط ومخاوف الإنهيار. وأوشكت مهام المجلس الأعلى للدولة على الانتهاء في أواخر 1993 والجزائر تعيش على وقع المواجهات والاغتيالات والتّفجيرات والتّمشيطات والاشتبكات وبعبارة أخرى الانهيار الكامل.

والحوار الذي فتحه المجلس الأعلى للدولة مع الطّبقة السّياسيّة الجزائريّة انتهى الى طريق مسدود، ولجؤه الى الحوار في أخر عهده كان الهدف منه اشراك الأحزاب الجزائريّة في تكريس سيناريو السّلطة المقبل، خصوصا وأنّ المجلس الأعلى للدولة سينسحب من المشهد السّياسي ولا يمكن تمديد ولايته لمرحلة انتقاليّة ثانيّة، فأعضاء المجلس الأعلى للدولة تعهدّوا أمام الشّعب الجزائري بإنّهم سوف ينسحبون من الحياة السّياسيّة في نهايّة 1993. وعندما حانت السّاعة لانسحاب المجلس الأعلى للدولة في 31 جانفي 1993 وتفاديّا للدخول في شغور الدّولة مجددا كما حدث عقب إستقالة الشّاذلي بن جديد، طالبت لجنة الحوار من هيئة الأمن العليا بتمديد فترة المجلس الأعلى للدولة الى نهايّة جانفي 1994، وبالفعل تمّ تمديد فترة المجلس الأعلى للدولة الى التّاريخ المذكور، كما حددّت لجنة الحوار موعد 25 و26 جانفي 1994 موعدا لانعقاد ندوة الوفاق

الوطني. وعندها أعلن النّاطق باسم لجنة الحوار تعيين الجنرال اليامين زروال رئيسا للدّولة الجزائريّة لتسيير شؤون البلاد في هذه المرحلة الانتقاليّة إلى غاية انتخابه يوم 16 نوفمبر 1995. وبهذا التّعيين تقرّر إنّهاء مهام المجلس الأعلى للدولة الذي حكم لفترة انتقاليّة بدءا من 16 جانفي1992 والى 31 جانفي 1994.

وبنهايّة مهام المجلس الأعلى للدولة ابتعد علي كافي عن الأنظار وابتعد كليا عن النّظام السّياسي في الجزائر، وتفرغ لكتابة مذكراته حول حرب التّحرير (1954-1962) باعتباره عقيدا سابقا في جيش التّحرير الوطني الذي حارب الاستعمّار الفرنسي، كان شخصيّة قويّة وصارمة، ومجاهدا مغوارا، معروفا بوطنيته، كما كان رجلا مثاليا، دافع عن لمّ الشّمل ووحدة المجتمع الجزائري في أحلك مرحلة من مراحل تاريخه، كما كان قدوة للأجيال الصّاعدّة في المجال الثّوري والسّياسي.

توفّي في 16 أفريل 2013، أعلنت الجزائر حدّادا لمدّة ثمانيّة (8) أيام تنكس فيها الأعلام، دفن بمربع الشّهداء بمقبرة العاليّة في الجزائر العاصمة.، بوفاته تكون الجزائر قد فقدت ثلاثة رؤساء خلال عام واحد تقريبا، أوّلهم أحمد بن بلة في 11 أبريل 2012، ثم الشّاذلي بن جديد في 06 أكتوبر 2012، فعلي كافي بتاريخ وفاته.

سناء رمضاني

■ علي مدور
(1308هـ - 1890م/ 1383هـ - 1963م)

نشأ الشيخ سي علي مدور بن مبارك في مرحلة تاريخية حرجة، بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تهيمن فيها القوة الاستعمارية الفرنسية على كل مجالات الحياة، وتراقب جميع الأنشطة الفكرية والعلمية والتربوية والاقتصادية، وكانت السلطات الفرنسية تراقب التعليم، فهي لا تريده أن يتجاوز مبادئ الفقه والتوحيد، وكان المعلمون يؤدون عملهم تحت طائلة الخوف والحذر سرا وعلانية.

ولد الشيخ سنة 1890م وتوفي سنة 1963م، نشأ في قرية ورقة ولاية باتنة، تتلمذ على يد سي عبد الله سعادة معلم القرآن بالقرية، ثم تلقى الدروس عند الشيخ الفرحي بمدينة جمورة المجاورة، ثم انتقل إلى زاوية بن عزة بقرية الحجاج المجاورة لمدينة أريس، ليتلقى بها تعليمه فترة من الزمن، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة، والتقى الشيخ عبد الحميد ابن باديس مرتين، وعمل إماما وخطيبا بمسجد قريته، ومعلم قرآن ومدرسا في مجال الوعظ والإرشاد الديني، ثم اضطلع بمهام المصلح الاجتماعي، والإفتاء وإصلاح الخصومات بين الناس، في مجالات الشؤون الاجتماعية والمواريث وعلم الفرائض وإخراج الزكاة، وقسمة



المحاصيل الزراعية، وأحكام المعاملات من بيع وشراء وتوثيق العقود.

تنقل بين عدة مناطق لطلب العلم ومنها: جمورة - بني فرح - طولقة - برج بن عزوز - خنقة سيدي ناجي - تيبرماسين بولاية بسكرة - الحجاج (أريس): عند مولود الزريبي الذي جيء به من الزريبة مدرسا، إلى قسنطينة تقول ابنته نانا أم هاني: إن الشيخ حين خرج للسفر إلى قسنطينة حمل معه حزمة من النعال التقليدية التي تصنع من الحلفاء وحذاء واحدا، فمشى على قدميه إلى قسنطينة وكلما تقطعت نعالا يلبس أخرى حتى تقطعوا جميعا إلى أن وصل ولبس الحذاء ودخل به إلى قسنطينة، والتحق بدروس ابن باديس ولما عاد في إحدى العطل إلى قريته أخذ والده يلومه على التنقل لبعد المسافة وكثرة المصاريف، فأخذ الطالب سي علي يحدث والده عن الحلال والحرام وعن ما يجوز وما لا يجوز، وما تعلمه من علوم الفقه عند الشيخ ابن باديس الذي كانت سمعته تملأ الآفاق فيعجب الأب ويفرح بهذه العلوم الفقهية التي كانوا بأمس الحاجة إليها،وتهون عليه كل الصعاب والمصاريف.

فقد كان الشيخ نهما للعلم وأينما سمع بشيخ يذهب إليه، تاركا أهله وأبناءه وكل حظوظ الدنيا من أجل طلب العلم، وقد حاولت السلطات الفرنسية التقرب من الشيخ واستمالته لصالحها ولكنه أبى، فقد دعاه الضابط الفرنسي بالقرية لمأدبة غداء، وألح عليه أن يأكل مما قدم له من طعام فقال الشيخ سي علي: صحيح أن طعامكم حلال علينا، ولكنكم تخلطون بعض الأطعمة المحرمة علينا، وأنا لا أستطيع أن آكل من طعام مشبوه. فسكت الضابط وتركه، ثم قام الشيخ بتشكيل مجلس الجماعة (تجماعت) بالقرية وهي جماعة أهل الرأي للصلح، وفض المنازعات، وعلى رأسها عمار أو عمار (عكسة)، ومسعود عمار (عكسة)، وقد اختار السيد مدور علي أو سعد في إرساله لقضاء الحوائج.

كان الشيخ محبا للعلم مقبلا على التعلم والنهل من موارده واستيعاب قضاياه والتمرن على حل مسائله وتحصيل مادته وجمع مراجعه، فقد روي أنه سافر بعيدا مرة من أجل شراء كتاب كان بأمس الحاجة إليه، في وقت لا تسافر الناس فيه من أجل هذا، وكانت فرحته شديدة باقتنائه، وكان يعبر عن فرحته بتحصيل هذه الغاية.وكان لا يضع الكتاب على الأرض، إنما يضعه على بساط احتراما للعلم.

تلامذته:

أشرف الشيخ على تعليم أهل القرية، واشتهر منهم نخبة من تلاميذه النجباء نذكر منهم:

ابنه مدور سي الصغير أو شكشوك

مدور سي عمر أو سعد

مدور سي محند أو جو: والذي أصبح يحاور المبشرين الفرنسيين في مجال العقيدة والتوحيد، وفي الفكر النصراني، وكان يجادلهم بالقرآن.

سعادة سي أحمد أو سي عبد الله، والذي أصبح إمام القرية ومعلما للقرآن ومربيا وموجها.

ثم ذاع صيته في المناطق المجاورة لدى أعراش أولاد داوود وأولاد سلطان وأولاد زيان، وكان ينسق في أعماله مع رفيقه الشيخ عبد السلام السلطاني من أولاد عوف ويراسله، والذي أهدى للشيخ كتابه شرح شواهد الأشموني المسمى فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك ونص الإهداء مكتوب بخط اليد

زيارة ابن باديس: في سنة 1935 حل الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس ضيفا بقرية ورقة، في زيارة عمل لتلميذه سي علي مدور، وكانت زيارة تشجيع ومجاملة في إطار العمل الإصلاحي لإنشاء فروع تابعة لمدارس جمعية العلماء المسلمين في المنطقة، وتوقيف مشروع الكوليج (المدرسة الفرنسية)، خوفا من التنصير ودخول فرنسا وانتشار ثقافتها.

فتاواه وأقضيته: اجتهد الشيخ سي علي في تحصيل علوم الشريعة مع التركيز على الأحكام الفقهية العملية مستمدا مادتها المعرفية من أصول كتب المالكية وفروعها مثل مختصر الشيخ خليل وشروحه، ورسالة أبي زيد القيرواني وشروحها، وكان للشيخ آراء فقهية واجتهادات في الأحكام وفق منهج علمي، يتضح من خلال فتاواه في النوازل والممارسات اليومية، والخصومات بين المتنازعين.

منهجه في الفتوى:

وكان منهجه في الفتوى يميل إلى الصرامة والتشدد في الأحكام،ويعتمد على أصل مهم هو العرف، فكثيرا ما كان يوجه الأطراف المتنازعة إلى عدم البحث عن الحكم الشرعي الصريح، ويميل إلى تكييف القضية في هيئة صلح وتراض بين المتخاصمين بواسطة حكم مبعوث من قبل الشيخ، ومن فتاواه نذكر:

حكم الشاة المتردية: في زيارة الشيخ ابن باديس كان قد سُئل بخصوص صعوبة تضاريس المنطقة، وكثرة سقوط المواشي من الشواهق والصخور العالية مما يؤدي إلى إتلاف الكثير من ثروة الفقراء، فكان جوابه بالتيسير في أكل لحومها بعد تذكيتها.

فقد أفتى الشيخ بأن تذكى ويؤكل لحمها، نظرا لأن المنطقة وعرة وصعبة المسالك، تتكرّر فيها حوادث سقوط الماشية، واستنادا إلى المتغير المكاني كان رأيه متساهلا في تحليل الماشية المتردية.

وقد حدثني حفيد الشيخ سي علي محمد الصالح: "أن سي أمحمد بن عباس مير منعة في ذلك العهد، أرسل إلى الشيخ سي علي يطلب الدعم الانتخابي، فقال له الشيخ: نعم نعاونك في هذا وننتخب عليك، ولكن بشرط، هناك شيئان ينبغي أن تحرص على عدم إنجازهما: الطريق والمدرسة Collége de France".

أما الطريق فهو: لمنع القوات العسكرية الفرنسية من الدخول إلى منطقة ورقة، وعلى الرغم من ذلك فقد أنجزت السلطات الفرنسية الطريق لاحقا وأقامت ثكنة عسكرية فيها، لأنها كانت من المناطق التي حاربت فرنسا بشدة.

أما المدرسة فقد منعها الشيخ سدا لذريعة نشر الثقافة الفرنسية، وما ينجر عنها من لغة أجنبية ومن تبشير بالنصرانية وتضييع للهوية، وهي مدارس تعلم اللغة الفرنسية، وبتعلم اللغة الفرنسية يصير الشخص يدافع عنها، ومن ثم يكون خادما لفرنسا.

الشيخ لم يكن موسوعيا في المعرفة، ولكنه مال الى تخصص يبحث في المسائل الفقهية العملية، وكان جل اهتمامه محصورا في مسائل المعاملات، ولم ينفتح على الفضاءات الثقافية والمعرفية والتيارات الفكرية والسياسية في الداخل والخارج، هكذا أمضى حياته في الطلب ونشر العلم ومواجهة مخططات المستعمر ومحاولة إفشالها في المنطقة.

محمّد مدور

المصادر:

- جُمعت هذه المادة من شهادات حيّة لأقارب الشّيخ وتلاميذه وأعيان المنطقة.
- عبد السلام سلطاني، شرح شواهد الأشموني، فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك
- المطبعة الأهلية تونس 1349 هـ.

■ علي معاشي
(1351هـ - 1927م/1378هـ - 1958م)

شحذ الهمم وتقويّة العزائم كانت الرّسالة التي حرص على توصيلها الفنّان علي معاشي إبان الثّورة التّحريريّة فآثر بنفسه وقدم روحه فداءً لوطنه بعد أن استشهد على أيدي المستعمر الغاشم عام (1958)

علي معاشي واحد من أبناء الجزائر الأبرار الذين آمنوا برسالة التّحرّر باستخدام القلم واللحن، تعلّم أبجديّات الموسيقى في تونس وعندما عاد إلى الجزائر أسّس فرقة موسيقيّة سمّاها سفير الطّرب. هو صوت غنّى للوطن واستشهد لأجله وخلّد اسمه في سجّل العظماء، إنّه الفنّان المرحوم "علي معاشي".

ولد علي معاشي في حيّ راس سوق في حوش المعاشات وسط تيارت في 12 أوت (1927) وتكفّلت والدّته بتربيّته بعد وفاة أبيه. نشأ بين أزقّة المدينة تيارت وبالضّبط في حيها الشّعبي (كليبار). زاول تعليمه الابتدائي الذي تركه بعد ذلك لمساعدة والده في عمله الفلاحي، ليلتحق بعدها بالقوّات البحريّة للجيش الفرنسي بمدينة بنزرت التّونسيّة لتأديّة الخدمة العسكريّة الإجباريّة.

انجذب منذ صغر سنّه للقصيدة الشّهيرة (مولاة الحايك) لشاعر الملحون (محمّد بلطرش) رئيس التّكوين الموسيقي الأندلسي الذي أنشأ في 1929، هذا التّكوين توسّع بعد 20 سنة ليشمل الفنّ الشّرقيّ والعصري، وبرنامجا ثريّا يضمّ الرّقص والإسكاتشات والعروض المسرحيّة، وكان تابعا للحركة الوطنيّة ويتردّد عليه تلاميذ المدارس الحرّة الذين كوّنوا فرقا في سنة (1953).

كان رئيس جوقها علي معاشي، والتي كانت تمتّع الجمهور في سنوات الحرب بعروض هادفة أساسها التّوعيّة وإيقاظ الرّوح الوطنيّة بعدها استقلّ الفنّان علي معاشي بنفسه وجدّد في مجاله حيث وضع لمسته الخاصّة، وأدخل النّغمة الوهرانيّة الأصيلة التي أبدع في آدائها بصوته العذب، ونذكر منها: (طريق وهران)، (يا بابور



التي أدّاها وهو مسافر إلى تونس، (مولاة الحايك) (زايرت سيدي خالدّ)، (تحت السّما)، (مازال عليك أنخمم)، (الجزائر)، وأنغام الجزائر المعروفة بلحن أخّاذ يصف جمال الجزائر والتي يقول مطلعها:

يا ناس أما هو حبي الأكبر
يا ناس أما هو عزي الأكبر
لو تسألوني نفرح ونبشر
ونقول بلادي الجزائر

وهي الأغنيّة التي أداها بعد بساط الرّيح لفريد الأطرش الذي ذكر كلّ البلدان وتغنّى بسحرها إلا الجزائر، وهذا لكون الشّعب الجزائري غضب منه أثناء زيارته إبان الاحتلال، حيث بعد شكره للجمهور أبدى شكرا خاصا للسّلطات الفرنسيّة على استضافتها له بالجزائر، وهذا ما هيّج الحاضرين وأثار ضجّة كبيرة في القاعة، وانتفض الجميع ثائرا على فريد الأطرش فغضب هذا الأخير، وقرر الانتقام على طريقته.

لكن نخوة الفنّان علي معاشي وغيرته على وطنه، جعلته لم يترك ركنا في الجزائر إلّا وتغزّل به وهام في سحره في زمن كانت نار الحرب متأجّجة، فأقلق المستعمر وأوقد نار الحقد والكراهيّة بداخله، لا لشيء سوى لكونه تغنّى بالوطن الذي عشق ترابه حتّى النّخاع. أسّس فرقة فنيّة سمّيت (سفير الطّرب) وطاف بعدّة مناطق من تيارت مسقط رأسه إلى تونس ومصر رغم سنّه الصّغير الذي لم يتجاوز الثّامنة عشر مستغّلا اشتغاله بالبحريّة آنذاك.

وحسب رئيس جمعيّة الشّهيد علي معاشي ابن عمّه عبد القادر معاشي فإنّه نجح في تطوير فنّه وأوجد لنفسه بصمة خاصّة من خلال أدائه لقصائد متنوّعة بين الغزليّة والثّوريّة فاشتهر بأغان كثيرة مثل (أنغام الجزائر) والتي جمع فيها بين مختلف الطّبوع الجزائريّة.

التّحق بصفوف الثّورة التّحريريّة عام (1957) فكلّفته قيادتها بمهمّة نسخ نصّ النّشيد الوطنيّ من الوثيقة الأصليّة المستقدمة من تونس وتوزيعه بين الأوساط الشّعبيّة، غير أنّ السّلطات الأمنيّة كشفت أمره واعتقلته.

تنبّه المستعمر الفرنسي لوقع وتأثير أغاني علي معاشي على الرّأي العامّ الوطنيّ والدّوليّ، وفي حفل غنائي ارتدى فيه أعضاء الفرقة الموسيقيّة ألوان العلم الجزائري تمّ اختطافه وسجنه وتعذيبه وقتله والتّنكيل بجثّته في(ساحة كارنو) بساحة الشّهداء حاليّا بمدينة تيارت ليستشهد وعمره لا يتجاوز الـ31 عاما في 8 جوان (1958).

وخلال ندوة تاريخيّة نظّمها المتحف الوطني للمجاهد بمناسبة إحياء الذّكرى الـ 59 لاستشهاد الفنّان الرّمز علي معاشي، أكّد السّيد مديني بأنّ هذا الأخير كان خير سفير للثّورة التّحريريّة من خلال توظيفه للكلمة واللحن الذين أفرزا أغاني وطنيّة خالدّة تجاوز عددها 16 أغنيّة لا تزال حيّة في الذّاكرة الشّعبيّة، على غرار (تحت سماء الجزائر) وأنغام الجزائر الشّهيرة بمطلعها: (يا ناس أما هو حبي المختار)، وهي المؤلّفات الموسيقيّة التي كان لها الأثر الأكبر في نفوس الجزائريّين وشحذ هممهم وترسيخ حبّ الوطن لديهم.

وأضاف السّيد مديني بأنّ الشّهيد معاشي الذي ارتبط اسمه بالتّضحيّة في سبيل الوطن في الوسط الفنّي، رغم وجود فنّانين آخرين سقطوا في ساحة الشّرف، ساند القضيّة

الوطنيّة بمواهبه في التّلحين والتّأليف التي تجاوز تأثيرها حدود الجزائر، ممّا جعل قوّات الاحتلال الفرنسي تتفطّن إلى التّأثير الكبير لكلماته في الدّاخل والخارج، وهو ما دفعها إلى اعتقاله في يونيو 1958 وإعدامه بمسقط رأسه.

تأثّر الشّهيد علي معاشي بمشاهير الفنّ العربي، فظهرت مواهبه التي عمل على صقلها، ليؤسّس سنة 1953 فرقة فنيّة أطلق عليها اسم سفير الطّرب، كان أعضاؤها يرتدون لباسا وطنيا موحّدها خلال عروضهم الفنيّة، ثم انتقل عقب ذلك للجزائر العاصمة أين تلقى تكوينا في الهندسة الصّوتيّة مكنه من العمل بالإذاعة كمهندس صوت.

بقتل علي معاشي ظنّت فرنسا إنّها دفنت الفنّ والثّقافة الجزائريّة، لكن خسئت وخاب ظنّها، وها هو الفنّان الشّهيد حيّ يرزق عند ربّه وحيّ في ضمير الذّاكرة الفنيّة. ويوم الثّامن جوان من كل سنة هو اليوم الوطني للفنان، وهي ذكرى مزدوجة تشهد رحيل رجل عملاق وبعثه للحياة من جديد من خلال ما تركه من أغان ثوريّة حماسيّة رائعة، كلّها من إمضاء العندليب الشّهيد علي معاشي.

تسعديت لحول

المصادر:

- الموسوعة الحرّة ويكيبيديا مارس 2016.
- وكالة الأنباء الجزائريّة / الخميس 08 يونيو 2017.
- جريدة المساء / 10 / 06 / 2009.

■ علي منجلي
(1340هـ - 1922م/1418هـ - 1998م)

المجاهد العقيد علي منجلي من مواليد 07 ديسمبر 1922 بعزّابة، ولايّة سكيكدة، تلقّى دراسته الأولى (الابتدائيّة) بمسقط رأسه عزّابة، انخرط في صفوف الحركة الوطنيّة حزب الشّعب الجزائري سنة 1942، ثم في حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة، ثمّ تولى مسؤوليّة قسمة عزّابة، كما ترشح للانتخابات المحليّة وفاز فيها ليصبح عضوا بالمجلس البلدي سنة 1947.

التّحق بالجبال بعد الهجوم الشّامل لجيش التّحرير الوطني في 20 أوت 1955 في شمال منطقة قسنطينة، وانتقل إلى تونس في أواخر عام 1956، وكان قبل ذلك قد التّزم الحياد محافظا على نضاله السّياسي باعتباره مسؤولا بارزا في حركة انتصار الحريات الدّيموقراطيّة، لكنّه يمّم وجهه بعد ذلك نحو العمل الثّوري سائرا على طريق المجاهدين من أمثال ديدوش مراد وزيغود يوسف.

وبعد مؤتمر الصّومام أصبح عضوا بالولايّة الثّانيّة، عين أول قائد لأول كتيبة لجيش التّحرير الوطني بالولايّة التّاريخيّة الثّانيّة، قاد أكبر معركة في الولايّة التّاريخيّة الثّانيّة بعد هجومات 20 أوت 1955 وهي معركة عين القصب بمليلة سنة 1957.

"عرف عنه في صفوف المناضلين في الحركة الوطنيّة بحنكته السّياسيّة ومواقفه النّضاليّة الواضحة وعرف بين المجاهدين في ثورة التّحرير الوطني كمجاهد وقائد صلب حاد الذكاء مخلصا شجاعا، لم يتخل يوما عن تسجيل البطولات والأمجاد".

قال عنه بن طوبال أحد الباءات الثّلاث في شهادته في إتفاقيات إيفيان التي أعدها الأستاذ جلول حايّة حيث قال بالعبارة الواضحة: "قيادة الأركان هي علي منجلي ومنجلي هو قيادة الأركان، ومن يذهب غير ذلك فهو جاهل بما يدور في قيادة الأركان".

في مارس 1959، كان النّائب العام لدى المحكمة العسكريّة التي يترأسها العقيد بومدين، والتي مثل أمامها المتهمون بالمؤامرة المسمّاة "مؤامرة العقداء" (لعموري، ونواورة، وعواشريه، والأكحل الذين حكم عليهم بالإعدام ونفّذ فيهم الحكم).

وأصبح بعد سنة أحد مساعدي بومدين في هيئة الأركان العامة الحديثة التّأسيس (مارس 1961).

وصار علي منجلي بعد الاستقلال نائبا في الجمعيّة الوطنيّة التّأسيسيّة الأولى (سبتمبر 1962)، فنائب رئيس لهذه الجمعيّة، كما أصبح عضو اللجنة المركزيّة، وعضو المكتب السّياسي المنبثقين عن مؤتمر جبهة التّحرير الوطني في أفريل 1964.

وبعد انقلاب 19 جوان 1965، صار عضو مجلس الثّورة، وكان شديد الانتقاد لهيمنة مجموعة وجدة (بومدين وبوتفليقة وبلقاسم ومدغري وطيبي) داخل هذه الهيئة، واستقال قبل محاولة قلب الرّئيس بومدين من قبل قائد هيئة الأركان طاهر الزّبيري (ديسمبر 1967)، وعاش منذ ذلك الوقت منسحبا في مسقط رأسه.

قال فيه أحمد طالب الإبراهيمي في مذكراته: "كان بإمكانه الاستمرار في خدمة بلده، نظرا لما يتمتّع به من ذكاء وجرأة ونزاهة"، كما يقول أيضا الإبراهيمي مسجلا محاورة بينه وبين علي منجلي عام 1975 ما نصّه:

"مع الاحتفاظ بتقديري لبومدين فإنّني لم أحاول لقاءه منذ أن ابتعدت عن مجلس الثّورة قبل حوالي 8 سنوات، واليوم أشعر بارتياح مزدوج، لأنّني من جهة واجهت بومدين أمام كل أعضاء مجلس الثّورة بالحقائق التّاليّة:

إنّ مجلس الثّورة عبارة عن مجموعة دمى، وأنّه يريد الانفراد بالحكم، وأنّه أسير مجموعة وجدة المحصنّة ضد أي عقاب والتي ستنقلب عليه في يوم من الأيّام.

وأمّا مبعث الارتياح الثّاني فهو أنّ بعض تنبؤاتي قد تحققت، واليوم أعتقد أنّك

الوحيد القادر على تنبيه بومدين إلى الأخطار التي تحيط بالبلاد إذا لم ينفتح على القوى الصّاعدة خاصّة في الجامعات دون التّفريط في قيم نوفمبر".

إنجازاته:

تفرّغ الفقيد لإطار بناء دولة جزائريّة ديمقراطيّة شعبيّة في إطار المبادئ الإسلاميّة، فقد كان يحلم بجزائر عربيّة اللسان، إسلاميّة الرّوح، معتزّة بجذورها التّاريخيّة الأصيلة، فعمل على تحقيق ذلك في أكبر مشروع حضاري في أبعاده في مدينة عزابة، وهو إنجاز المركب الثّقافي الذي يجمع بين الجامعة والمسجد حتى يحقق المعادلة الحضاريّة:

حضارة علميّة متديّنة، ودين يعمل على أخلقة الحضارة.

ولذلك شرع في إنجاز هذا المشروع الذي قال عنه بالحرف الواحد: "إنّه نوفمبر ثان، يعيد للجزائر سيادتها الحضاريّة، بعدما استعادت سيادتها الأرضيّة".

"وكان علي منجلي ينوي أن يكون هذا المعلم ملحقا بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، فلما توفى الله سي علي حرّف هذا المعلم عما أسس من أجله".

ومما جاء في شهادة ابنه عنه قوله: "إنّ المرحوم كان مدرسة للمبادئ والقيم الوطنيّة، حيث اجتهد في تلقينهم تلك المبادئ والقيم، لأنه تربى في كنف عائلة متشبعة بالقيم الإسلاميّة والمبادئ الوطنيّة، حيث كان والدّه أول من رفع الأذان بمدينة عزابة إبان الاستعمار بعد أن خصص غرفة لإقامة الصّلاة، إضافة إلى أنه كان عمليا بدرجة كبيرة... كما أن اهتمامه الوحيد كان المساهمة في تقديم إضافات للمواطن كمشروعه المتمثل في بناء صرح ثقافي بمدينة عزابة، الذي أراد بهذا الإنجاز أن تكون لمدينة عزابة ملحقة للجامعة الإسلاميّة بقسنطينة، وأن يكون قطبا للعلوم الإسلاميّة، لأن والدّه طلق الحياة واهتم بهذه المشاريع للمحافظة على الهويّة الوطنيّة ويبرهن على أن الإسلام والعلم وجهة واحدة، فلم يكن يهتم بالدّنيا بل كان يعمل لآخرته".

ولقد تم تكريم الفقيد بإطلاق اسمه "علي منجلي" على هذا المركب الثّقافي، وأيضا إطلاق اسم "العقيد علي منجلي" على المدينة الجديدة بقسنطينة، والتي تحولت الآن إلى ولايّة منتدبة.

رابح دوب

المصادر:

- أحمد طالب الإبراهيمي: مذكرات جزائري، دار الغرب الإسلامي؛
- رضا مالك: الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السّريّة 1956-1962، دار الفارابي، شركة المطبوعات اللبنانيّة، لبنان، 1995؛
- حميد لعدايسيّة: القائد الجزائري الذي تعرّض للاغتيال عدة المرات، العقيد منجلي في أسمى استشرافاته التّاريخيّة، مقال منشور بجريدة رأي اليوم 26 أفريل 2018.

علي ناصري (كاتشو)
(1383هـ - 1963م/1430هـ - 2009م)

علي ناصري الملقب (كاتشو)، مغني جزائري من مشاهير الغناء الشاوي في الجزائر، ولد بباتنة في 15 افريل 1963 بقريّة حملة، أسلوبه الغنائي يدور بين السطايفي والشاوي، والطابع الشاوي يُؤدى باللهجة الشاويّة لكنه غنى أيضا باللغة العربيّة الدارجة مما قربه من كل الجزائريين، وقد أصدر ثلاثة ألبومات بالشاويّة البحتة، نالت شهرة كبيرة بحكم جمال التأليف والأداء والألحان، والأغنيّة الشاويّة من بين أعرق الأغاني الجزائريّة، وهي تمثل موروثا حضاريا كبيرا لعب دورا مهما قبل وأثناء وبعد الثورة التحريريّة، كانت ولا زالت مصدر فخر كل الجزائريين وسكان منطقة الأوراس خاصة، ومعروف أن الأغنيّة الشاويّة عرفت وما زالت تشهد نقلة نوعيّة في



الألحان والكلمات وحتى طريقة الآداء، أن الأغنيّة الشاويّة في الطبع الصراوي ما تزال تعتمد على القصبة والبندير والزرنة، ولكن ذكاء الفنان وعشقه للأغنيّة الشاويّة يجعله يستغل الآلات الحديثة في صناعة الأغنيّة كليفيلوا، الناي، لكوردي، القانون، الكلافي، لسانتزور، في إنتاج فن راقي بروح شاويّة أصيلة. كما فعل (كاتشو).

مسار (كاتشو) الفني الذي يتصف بالتنوع والثراء، وجمعه بين الأصالة والمعاصرة اشتهر في مجال الفن أواخر الثمانينيات، حين كان يغني بالشاويّة والدارجة، وخلال مسيرته أصدر نحو 14 ألبوما، وكان متأثرا كما يقول عن نفسه بالشيخ عيسى الجرموني ومجموعة من المغنين المحليين، غنى في عديد المدن الجزائريّة وخاصة في المواسم الصيفيّة منها الساحليّة الكبرى مثل: سكيكدة، عنابة وبجايّة... تميز بأدائه المميز للأغنيّة الشاويّة، نبرة صوته وقوته، وكلماته الرقيقة، أوّل ألبومه (بابور يروح) الذي صدر في عام 1987، لم يتجاوز المستوى الإقليمي، موجة المد لشهرته أتت بـ (نوارة)، ثاني ألبوم يجتاح البلاد،

والذي شكل دائرة أوّل المشجعين له. هذه الدائرة استمرت في التوسع، وإلى حد كبير خارج الجزائر مكنت (كاتشو) من نقل الأغنيّة الشاويّة من دائرة المحليّة نحو آفاق الوطنيّة ثم الدوليّة، عرف المرحوم (كاتشو) بأغانيّة الملتزمة والمحترمة والمستلهمة من الواقع الاجتماعي، ساهم في عصرنة الأغنيّة الشاويّة والارتقاء بها الى مصاف العالميّة وهو من القلائل الذين غنوا بالألمبياد بباريس بعد عميد الأغنيّة الشاويّة عيسى الجرموني، كما ساهم بقسط كبير في عصرنة الأغنيّة الشاويّة، وعمليّة تحديد القيمة الجماليّة والأدائيّة للأغاني التراثيّة التي أداها (كاتشو)، مقارنة بالأغاني التي أُديت من قبل بعض معاصري النغمة الشاويّة وبصورة عامة، قد أثبتت قدراته العاليّة. وكان للمرحوم الذي باشر نشاطه الفني مع فرقة)ثازيري (رفقة الفنان (سليم سوهالي) واشتهر بأغنيّة (أقوجيل) وتعني بالعربيّة اليتيم، مشوار حافل أنتج خلاله 14 ألبوما في مساره الفني، وكانت كل أغانيه مستلهمة من الواقع الاجتماعي للمنطقة؛ حيث ساهم بقسط وافر في ارتقاء الأغنيّة الشاويّة إلى مصاف العالميّة والوطنيّة.

المرحوم (كاتشو) أدى أكثر من 100أغنيّة من إنتاج رفيق دربه (عمار جماطي)، تاركًا رصيدًا فنيا هامًا 14ألبوما.

كان أوّل ألبومه (بابور_يروح) الذي صدر عام 1987 ثم ألبومه الذي اكتسح البلاد بعنوان (نوارة).

من أشهر أغانيه: (أحنا الشاويّة)؛ (نوارة)؛ (هزي عيونك)؛ (همي همي جاني من دمي)؛ (دير الخير وأنساه)

من بين أغانيه

(كاتشو) قد سخّر مسيرته الفنيّة في ترقيّة الأغنيّة الشاويّة ما جعله يكتسب شهرة واسعة على المستويين الأوراسي والوطني، إلا أنه معروف أيضا بميوله الرياضيّة، حيث كان مناصرا وفيا لمولوديّة باتنة والمنتخب الوطني، كما أنه مارس كرة القدم، وكان لاعبا بارزا في صفوف فريق قريته ومسقط رأسه (كوندورسي) التابعة إلى بلديّة الشعبة، كما يجمع كل من يعرفه عن قرب على وفائه للفقراء والمعوزين ودور العجزة، من خلال سعيه إلى العمل الخيري في السر والكتمان، بدليل أن العديد من المبادرات التي قام بها لم يعلم بها مقربوه إلا بعد وفاته.

إحساسه المرهف تجاه الطبقة الكادحة وتأثره بوضعيتهم الاجتماعيّة، وهو الأمر الذي تعكسه بعض أغانيه، بدليل أنه عبر بصدق عن حال اليتيم رغم أنه لم يعش مرارة اليتم. ولا تزال أرملة الفنان الراحل (كاتشو) تتذكر آخر الساعات التي جمعتها بالفقيد مثلما صرحت به، حيث قالت في هذا الشأن: "كنا في رحلة العودة من جيجل إلى باتنة يوم 10 أوت 2009، وأثناء السير تحدث كثيرا عن مزرعته وعن أداء العمرة مع جميع الأبناء في شهر رمضان، ثم التفكير في حجة، وفي صبيحة اليوم الموالي تناول الحديث مع الابن البكر سيف الدين عن مقابلة الجزائر الأورغواي المبرمجة في مساء يوم 11 أوت، ثم انصرف إلى العمل في المزرعة، كي يتفرغ لمشاهدة اللقاء. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر، عاد إلى الدار وتناول أكلته المفضلة الكسكسي، بينما ذهبت أنا إلى العيادة لفحص ابني كسيلة، وعند عودتي وجدته جالسا في سلم المنزل ينتظرني لأرافقه إلى إحدى النساء لنطلب منها تحضير الرقاق لإطعام نزلاء دار العجزة بالشخشوخة يوم الاثنين، وهو ما دأب عليه منذ مدة، فاعتذرت إليه على عدم مقدرتي على الذهاب معه لأن التعب نال مني، لكنه أصر علي بأن أرافقه، ففعلت. بعدها عاد إلى المزرعة لينقل العامل فيها إلى منزله في عين التوتة ثم العودة إلى المنزل لمشاهدة المباراة الكرويّة، لكنه ذهب ولم يرجع... لقد ترك لنا كلاما جميلا، لقد كان يوصينا جميعا بفعل الخير واحترام الناس وزيارة العجزة في دارهم. أما ما استأنس به عند الضيق، فهو أغنيته التي كتبها بصدق هي: همي همي جاني من دمي"...، وبعد عودته من الحج في 2005 قرّر الاعتزال عن الغناء وقرر التخصّص فقط في الأغاني الدينيّة والمديح.

توفي في حادث مرور في 12 أوغسطس 2009 أيام فقط بعد اقامته مهرجان جميلة.

طارق ثابت

المصادر:

- جريدة الشروق اليومي، عدد14 اوت2018.
- جريدة الأوراس نيوز، عدد12 اوت2020.

■ عمّار الأزعر
(1513هـ - 1898م/1388هـ - 1969م)

عمّار بن عبد الله بن الطّاهر بن أحمد بن محمّد لزعر الهلال الـگماري السّوفي المدني، ولد سنة 1316هـ 1898م في وسط عائلة فقيرة ومتمسّكة بدينها.

بدأ تعليمه في بلدة گمار حيث شرع في حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، ثمّ انتقل مع والده إلى قريّة فلياش إحدى قرى الزّيبان (بسكرة) التي حفظ فيها شطرا من القرآن الكريم ليتحقّق له حفظه كاملا بلدة سيدي عقبة، ثمّ عاد إلى مسقط رأسه، ليلتحق بزاويّة سيدي المولدي بتوزر بالقطر التّونسي الشّقيق والتي كانت تتمتّع بنظام داخلي يقصده الفقراء وأبناء تلك الجهات، لحفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهيّة، ولما بلغ الشّيخ العاشرة من عمره كان قد حفظ القرآن وأتقن حفظه. غير أن همّة الشّيخ وعزيمته جعلته يتطلّع إلى أبعد من ذلك فرحل إلى تونس مشيا على الأقدام

متكبّدا الصّعاب والمشاقّ ووصلها سنة 1334هـ ليلتحق بجامع الزّيتونة ويدرس على يد علمائه الأجلاء الذين يذكرهم في ترجمة لنفسه كتبها الشّيخ سعيد دفتر دار "ومن فضل الله عليَّ أنني أدركت الكبار من هؤلاء العلماء، ومنهم الشّيخ الصّادق النّفير، والملقب بسفينة الفقه، قرأت علي العاصفة في فقه الأحكام على منصب إمام دار الهجرة، وكان عليها شرح طبع بعد وفاته، ومنهم الشّيخ أو الحسن النّجار، قرأت عليه تنقيح الفصول في قواعد الأصول للقرافي، ومنهم الشّيخ الزّغواني مدرس الفقه المالكي، قرأت عليه مختصر خليل بشرح الدّردير في أربعة مراحل، ومنهم الشّيخ عثمان بن المكّي التّوزري، قرأت عليه أيضا من العاصمة وله عليها شرح كبير ينتفع به، وله عدّة تآليف في عقيدة أهل السّنة والجماعة منها: المرآت في إظهار أهل الضلالات وكتب أخرى من هذا القبيل، ودروسه عامرة بالدّعوة إلى التّوحيد وإظهار طريقة السّلف، ومنهم الشّيخ الطّاهر بن عاشور، قرأت عليه جملة من التّفسير والحديث والأصول، ومنهم الشّيخ عبد العزيز بن جعيط، قرأت عليه شيئا من التّفسير والحديث، ومنهم الشّيخ محمّد بن القاضي قرأت عليه كتاب التّلخيص في علوم البلاغة، ومنهم محمّد الجدمي البنزرتي مدرس التّجويد القراءات السّبع، قرأت عليه الجزريّة وشيء من الشّاطبيّة، وقرأت على غير هؤلاء بعض من جمع الجوامع والمصطلح واللغة كالمعلّقات السّبع والشّافيّة والقطر، ومراح الأرواح والدّرة البيضاء، وسلّم المنطق، وبعد تمام تسع سنوات تخرّجت بشهادة التّطويع المعادلة لشهادة العالميّة يومئذ وذلك سنة 1343هـ"

عندما تخرّج الشّيخ عمّار الأزعر من جامع الزّيتونة وتحصّل على إجازة التّطويع قرّر العودة إلى بلدته (گمار) ليزرع فيها بذرة الإصلاح والعلم، وما لبث أن استقرّ حتى بدأ يلقي دروساً بمسجد السّوق العتيق، وبدأ بتغير المعتقدات التي كانت موجودة رويداً رويداً من ذبح ونذر وتقديس، وكان يواجه بالصّدّ، ولكنّه بروح الصّبر والجلد استطاع أن يغير الباطل ويعرف النّاس معنى لا إله إلا الله محمّد رسول الله وقد ركز على التّوحيد والفقه الإسلامي والتّاريخ وعلوم اللغة العربيّة من نحو وصرف وبلاغة وعروض وشعر وأصبح يؤم حلقته جمع غفير من الكبار والصّغار وبدأ الوعي الدّيني ينتشر" ولم تكن مهمّة الشّيخ سهلة ويسيرة كما هو الحال في كامل القطر الجزائري يقول أبو القاسم سعد الله (ومن الأمثلة التي يذكرها أهل بلدتنا گمار حركة التّعليم التي نشرها الشّيخ عمّار بن الأزعر قبل هجرته إلى الحجاز سنة 1935 فقد كان متطوعا بدروسه وكاد لا يجد المكان الذي يلتقي فيه مع تلاميذه، وكان رغم علمه وهو خريج جامع الزّيتونة بشهادة التّحصيل (التّطويع) مطاردا من الإدارة الفرنسيّة ومن بعض أهل الزّوايا الذين يرفضون التّغيير) فقد لاقى من المستعمر وأعوانه من أصحاب البدع والخرفات صنوف التّضييق والتّشديد، وبقي الشّيخ صابرا محتسباً

تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين: في ظلّ حالة الاستعمّار والجهل التي كان يعيش فيها الشّعب الجزائري قيض الله مجموعة من العلماء كان لها الفضل في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين في 05 ماي سنة 1931. "وخططّت لمشروع عظيم منظّم في سبيل تطهير عقيدة الجزائريّين، وإصلاح ما فسد من دينهم وأخلاقهم، وفي سبيل بعث العربيّة من موتها وإعادة مجدها، ونهضة الجزائريّين في شتّى مناحي الحياة، ودُعي لها جميع علماء القطر الجزائري وفقهائه، وقد حضر الاجتماع التّأسيسي نحو (73) عالمًا وفقيهًا، ممثّلين لكلّ جهات الوطن

وقد شارك الشّيخ عمّار بن لزعر في الاجتماع التّأسيسي لجمعيّة العلماء سنة 1931م، بنادي التّرقّي بالعاصمة ضمن الوفد الّذي حضر من سوف بمعيّة الشّيخين: الأمين العمودي، وحمزة بوكوشة وتولى رئاسة شعبتها بگمار وأسس مدرسة حرّة سهرت على نشر العلم بين تلاميذها غير أنّ هذه المدرسة أغلقت كغيرها من مدارس التّعليم الإسلامي والعربي، واستمرّت جهود الشّيخ العلميّة والإصلاحيّة في بلدته ما يربو عن إحدى عشرة سنة كاملة.

في عام 1352هـ أدى الشّيخ فريضة الحجّ، ثمّ عاد إلى بلدته (گمار)، عزم على الهجرة منها بعدما اشتدّ عليه الأذى وأحس بالخطر على نفسه وأهله حيث هاجر عام 1353هـ رفقة عدد كبير من المهاجرين ليستقر بالمدينة المنوّرة وكان خروجه من بلاده بمشهد عظيم اجتمع فيه كثير من النّاس، فمنه الفرح بخروجه، ومنهم الباكي، ولما حان وقت رحيله صعد له بعض أعدائه إلى السّيارة وطلبوا منه المسامحة ونشدوه المسامحة وناشدوه القرابة والرّحم، فقال لهم: لقد أخرجتمونا وقاومتمونا، الله بيننا وبينكم، الله حسبنا، نعم المولى ونعم الوكيل، ثمّ سار الرّكب وتتابعت الهجرة، بعد ذلك حتّى قيام الحرب العالميّة الثّانيّة حيث أغلقت الهجرة

وفي المدينة أستقبله علماؤه بحفاوة وترحاب ولمّا وقفوا على علمه ونبوغه رشّحوه مدرّسا في المسجد النّبويّ بتاريخ 1/ 1/ 1366هـ وتحلّق حوله طلّاب العلم من أهل المدينة والمهاجرين إليها، حيث درس صحيح البخاري كما درس بمدرسة العلوم الشّرعيّة بالقسم العالي حيث درس فيها الحديث وعلوم القرآن واللغة العربيّة، كما عيّن مدرّسا بدار الحديث بالمدينة المنوّرة، كذلك.

تتلمذ على يده رحمه الله خلق كثير لعلَّ من أشهرهم:

فضيلة الشّيخ محمّد الحركان وزير العدل سابقا، وفضيلة الشّيخ القاضي عطيّة محمّد سالم، المدرس بالمسجد النّبوي الشّريف، فضيلة الشّيخ العلّامة محمّد فلاتة المدرس بالمسجد النّبوي الشّريف، والشّيخ عبد الله الخربوش، والأستاذ الأديب حمزة محمّد قاسم رحمهم الله جميعا.

كما كان الشّيخ ضمن لجنة من كبار العلماء عُينت لتحديد حدّ حرم المدينة المنوّرة والتي تكونت من فضيلة الشّيخ محمّد الحافظ القاضي بالمحكمة الكبرى بالمدينة المنوّرة رئيسا، وكل من السّيد:

محمود أحمد، والسّيد عبيد مدني، والشّيخ عمّار بن عبد الله، والشّيخ أبو بكر جابر، والأستاذ أسعد طرابزوني، التي رُفع تقريرها إلى الملك عبد العزيز آل سعود، بعد تصديق المفتي العام محمّد بن إبراهيم آل الشّيخ ذلك سنة 1387هـ

دوره في الثّورة التّحريريّة المظفّرة: ساهم الشّيخ في دعم الثّورة التّحريريّة بالمال من خلال إشرافه على جمع التّبرّعات والدّعايّة للثّورة في بلاد الحرمين، وكان على تواصل وتنسيق مع الشّيخ الإبراهيمي رحمه الله أثناء تواجده بالقاهرة تشهد على ذلك المراسلات التي كانت بينهما فقد أرسل له الشّيخ البشير الإبراهيمي رسالة بتاريخ 29 ماي 1955 يقول فيها: "الأخ المحترم العلّامة السّلفي سيدي عبد الله بن عمّار الأزعر، أبقاه الله للخير والرّحمة، بلغتني اليوم رسالة من إخواننا الجزائريين، لا شك في أنكم السّبب الأوّل في تحريهم لهذه المنقبة التي تضمّنتها رسالتهم وهي التّأثّر بحالة وطنهم والاهتمام البليغ بما يجري فيه فلا تسأل أيّها الأخ العزيز بفرحي لهذه الهزّة التي لا أستغربها من جزائري...أنا موافق بل محرّض على هذه الأعمال الجليلة خصوصا معترفون بفضلكم، وعاملون بإرشادكم وتوجيهكم، وتحت رئاستكم..." وهذا ما يؤكّد أنّ الشّيخ رحمه الله كان همزة وصل بين الثّورة والجاليّة الجزائريّة في الحجاز.

مكتبته وأثاره:

ترك الشّيخ رحمه الله مكتبة كانت ضمن المكتبات الخاصّة الوقفيّة لعلماء المدينة المنوّرة التي ضمتها مكتبة الملك عبد العزيز غير أن أنس يعقوب الكتبي يذكر أنّ "الشّيخ عمّار ترك مكتبة قيمة تحتوي على عشرات الكتب والرّسائل، وترك بعض المخطوطات من تأليفه وتحقيقاته وفتاويه، لكن هذه المكتبة حرقت ولم يبقى منها شيء" ولا ندري متى وكيف حدث ذلك وماذا تمثل الكتب الموجودة في مكتبة الملك عبد العزيز من كامل كتبه عددا وقيمة.

مدرسة الشّيخ عمّار الأزعر: وتخليدا لدوره في الحركة الإصلاحيّة وجهوده العلميّة، أطلق اسمه من قبل السّلطات الجزائريّة على مدرسة متوسّطة

وبعد رحلة حياة حافلة بالعلم والنّضال توفّي الشّيخ في 3 جمادى الآخرة سنة 1389هـ، الموافق لـ 6 أغسطس 1969م بعدما بلغ الثّالثة والسّبعين سنة، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

نبيل اهقيلي

■ عمّار العسكري
(1361هـ - 1942م/1436هـ - 2015م)

لعبت السّنيما الجزائريّة دوراً مهمّا في صناعة المشهد الثّقافي الجزائريّ بعد الاستقلال، وهذا بمعالجة الموضوعات ذات الصّلة بالتّحوّلات الجذريّة للمجتمع الجزائريّ من جهة، ومن جهة أخرى توثيق سنوات الكفاح إبّان الثّورة التّحريريّة لمخرجين جزائريّين جسّدوا بكلّ احترافيّة أحداث الفترة الاستعمّاريّة بدقّة، حيث نالت أغلبيّة الأفلام الثّوريّة المنتجة إعجاب وتقدير الشّعب الجزائري وحتّى خارج الوطن. وعلى غرار الأفلام الرّائدة، (الليل يخاف من الشّمس) للمخرج مصطفى بديع، (فجر المعذّبين) و(الأفيون والعصا) لأحمد راشدي، (معركة الجزائر) للمخرج الايطالي جيلوبونتيكورفو، (وقائع سنين الجمر) لمحمّد لخضر حمينة، الذي تحصّل على جائزة السّعفة الذّهبيّة لمهرجان (كان الدّولي) بفرنسا سنة 1975م، (دوريّة نحو الشّرق) للمخرج العسكري عمّار، فيلم



تحصّل على العديد من الجوائز والتّقديرات من مهرجانات دوليّة ومحليّة، حيث توّج العمل في الجزائر وواغادوغو (بوركينا فاسو) وتقاسم فيه الأدوار العديد من نجوم السّينما الجزائريّة أمثال الحاج اسماعين محمّد الصّغير، حجّاج إبراهيم، الشّيخ نور الدّين، حميدمحمّد،حباطي عبد الحميد، بن زراري حسان، هلال عنتر... الفيلم يسلّط الضّوء على أحداث من خلال إحدى الدّوريّات، التي تذهب لإنجاز إحدى المهمّات في الشّرق الجزائريّ، إبّان الثّورة الجزائريّة، ويصوّر الفيلم ما تواجهه هذه الدّوريّة من مصاعب أثناء قيامها بمهمّتها. العسكري عمّار من المخرجين الجزائريّين الذين دوّنوا مراحل ذاكرة الثّورة الجزائريّة بالصّورة والصّوت ومنحها جلّ وقته.

العسكري عمّار من مدينة عين الباردة بولاية عنابة أين ولد بها في 22 جانفي 1942م. زاول دراسته بثانويّة القديس أوغستن بعنابة إبّان الاحتلال الفرنسي للجزائر،وتحصّل بعدها على البكلوريا درجة أولى ودرجة ثانيّة علوم تجريبيّةوعلوم انتقاليّة، وبعد اندلاع الثّورة التّحريريّة شارك تحت لواء جبهة التّحرير الوطني في إضراب الطّلاب في 19ماي 1956م. بعدها بسنة التحق بصفوف جيش التّحرير الوطني سنة1957 م إلى غاية1962م بالولايّة الثّانية، جبل هوارة والمنطقة الثّانية جبل مليلة وأيضا قاعدة الشّرق غار ديماو.

بعد الاستقلال درس بجامعة الجزائر العاصمة بمعهد العلوم الاقتصاديّة والعلوم السّياسيّة، ثمّ توجّه إلى بلغراد بيوغسلافيا سابقا لإتمام دراساته العليا هناك بين سنة 1962 و1966م، بأكاديميّة المسرح والسّينما والاذاعة والتّلفزيون، ثمّ بالمعهد العالي للسينما، أين أخرج شريط بعنوان (طيرازج بلغراد)، وبمجرد عودة العسكري عمّار إلى أرض الوطن وظّف بالدّيوان الوطني للصّناعة والتّجارة السّينماتوغرافيّة، ويعدّ العسكري عمّار من الجيل الأوّل من المخرجين الجزائريّين الذين ميّزت أعمالهم السّينمائيّة بعد الاستقلال، وأوّل عمل سينمائيّ فكاهيّ يوقّعه العسكري عمّار سنة 1967م مع محمّد زينات تحت عنوان (اليوم الأوّل) قبل انجاز أوّل شريط مطوّل له سنة 1972 بعنوان (دوريّة نحو الشّرق) ثمّ (المفيد) سنة 1978م والذي يعالج حقبة الثّورة الزراعيّة الذي توّج في دمشق ونواكشط ثمّ يليها (أبواب الصمت) وكان ذلك سنة 1988م المتحصّل على جائزة خاصّة من منظّمة الاتّحاد الإفريقي بقرطاج الذي سجّل آخر مشاركة للفنان الرّاحل حسن الحسني.وقّع نهايته سنة 1999 بفيلمه المطول (زهرة اللوتس) الذي صوّر فيه ببراعة وبتميّز العلاقة بين الجزائريّين والفيتناميّين في حرب الفيتنام.

تعدّ أفلام العسكري عمّار بمثابة كلاسيكيّات السّينما الجزائريّة، فهي أعمال قويّة فنيّا ذات احترافيّة عاليّة، استطاع أن يصل بها إلى العالميّة، وهذا بفضل بعدها الإنساني، حيث تمكّن من تأريخ مراحل الثّورة الجزائريّة بالصّورة والصّوت لإيصال صرخة شعب اضطُهد وظُلم من طرف استعمار غاشم. كما ركّز على تفاصيل واقع الحياة الاجتماعيّة سواء كانت في المدينة أو في الرّيف من خلال نظرة عميقة للشّخصيّة الجزائريّة. من خلال كل هذا تمكّن من فرض نفسه في هذا المجال كمخرج للسنيما الثّوريّة في أذهان الجزائريّين.

شغل منصب مدير المركز الجزائريّ للفنّ والصّناعة السّينماتوغرافيّة في تسعينيّات القرن الماضي، شعر العسكري عمّار بالرّكود الذي حلّ بمجال السّمعيّ البصريّ فأسّس سنة 1998 (جمعيّة أضواء) لكافّة المهنيّين وطلبة المعاهد والمدارس المتخصّصة، فهي تضمُّ بعض المخرجين والمديرين السّابقين لمؤسّسات ثقافيّة مهمّة، فضلاً عن إعلاميّين مهتمّين بالفنّ السّابع. والجمعيّة تعمل على حماية التّراث السّينمائيّ الوطنيّ، وذلك عبر تنظيم أسابيع الفيلم الجزائريّ، كذلك إعادة بعث القطاع السّينمائيّ بعد غيابه الطّويل، في ظلّ التّوسُّع وانتشار الفيديو الذي عوّض أفلام 35 ملم في قاعات السّينما كما جمعت كلّ موروث المؤسّسات العامّة من كاميرات وأجهزة تصوير واحتفظ بها في مقرّ الجمعيّة وزوّد بها المخرجين الجزائريّين كلّما احتاجوا إليها .

وعرف إلى جانب عمله الفنّي بنشاطه النّقابيّ إذ كان أمينا عامّا لنقابة السّينمائيّين والتّقنيّين للاتّحاد العامّ للعمّال الجزائريّين.

مرشّح حزب جبهة التّحرير الوطنيّ في الانتخابات التّشريعيّة 1991-1992م والتّقسيمات الانتخابيّة بالحجّار عنابة والدّوائر الإداريّة الحجّار، عين الباردة، إلى جانب ذلك برز العسكري عمّار من خلال نشاطاته الموازيّة، كعضو مؤسّس في مؤسّسة مفدي زكريا وعضو المجلس الاستشاريّ، عضو مؤسّس لمؤسّسة أصدقاء الجزائر مع ڤيتنام.

العسكري عمّار كان يؤكّد خلال مناسبات عديدة، بأنّه يعيش على حلم إعادة بعث الصّناعة السّينمائيّة في الجزائر، كان دائما يعتبر بأنّ للسّمعيّ البصريّ دورا كبيرا في إعطاء الوجه الحقيقيّ لطموحات وأحلام المجتمع الجزائريّ خاصّة الشّبيبة، إلّا أنّ الموت غيّبه في يوم الجمعة من الفاتح ماي 2015م وبه فقدت السّينما الجزائريّة أحد أعمدتها الذي استطاع أن يجعل من خلال الشّاشة الكبيرة للجزائر صدى عالميّا بحيث ترك روائع سينمائيّة خالدة في أذهان الجزائريّين. لن ينجب الفنّ السّابع الجزائريّ مبدعا آخر للثّورة الجزائريّة من طينة المجاهد العسكري عمّار لكونه عايش الثّورة وخاض الكفاح المسلّح ضدّ الاستعمّار ليكون بعدها من وحي ذاكرته أفلاما لن تموت ولو بعد رحيله.

محمّد غرناوط

المصادر:

- شرفي عاشور (قاموس)؛
- جريدة النّصر.

■ عمّار أمعاش
(1313هـ - 1895م / 1376هـ - 1957م)

ولد المناضل (عمّار امعاش) أو(عيمش) في 7 جويلية 1895 ببني عيسى، تعرف على المناضل "راجف" في جمعية عامة في ضاحية (لو فالوا بيري) باريس في أواخر 1931 بمقهى يقع في شارع جنجريس، وكان جدول أعمال الجمعية هو التعريف بصحيفة الأمة، والدعوة لها، ولمنظمة نجم شمال افريقيا، وتحسيس المهاجرين الجزائريين بوجودها وإعدادهم للانخراط فيها، وتنظيمهم في إطارها، وقد طلب عيمش الكلمة بعد تدخلات المناضلين، وأخذ يتكلم وكأنه واحد منهم معلنا ارتياحهم وموافقته على ما جاء في كلماتهم من أفكار وابتهاجه بالمنطقة، مؤكدا أنّ هذه المنظمة هي كل ما كان يفتقده وينتظره منذ أمد طويل.

ومنذ ذلك الحين أصبح (عيمش) عضوا عاملا نشيطا في الحركة الوطنية، وكان

المناضل الجديد يحسن الكلام والكتابة، وهما صفتان فتحت أمامه طريق الترقية السّريعة في المنظمة، مع أنّه ليس فيها من المزايا سوى التضحيات، فقد كان داعية ناجحا، وصحافيا قديرا، وأصبح يساهم مساهمة فعالة في توسيع قاعدة الحركة، وتحرير صحيفتها "الأمة"، التي ما لبث أن صار رئيس تحريرها مع السّي الجيلاني الذّي كان يديرها.

وفي 28 ماي 1933 عقدت حركة نجم شمال إفريقيا جمعية عامة بباريس قدمت خلالها برنامجها الجديد للمناضلين وطرحت للتزكية قيادة جديدة كذلك تتكون لجنتها المديرة من خمسة أعضاء، وهم:

- مصالي الحاج رئيسا
- عمّار عيمش أمينا عاما
- سي الجيلاني عضوا
- آكلي بالنّون عضوا
- راجف بلقاسم عضوا

ولم تمضي سنة واحدة حتى أصبحت قيادة النّجم موضوع مضايقات من الشّرطة الفرنسية وانهالت عليها التهم من كل جانب، وكان للحاج مصالي السّبق في الوقوع تحت طائلة العدالة، وحكم عليه بالسّجن سنة 1934، كما حكم بالسّجن أيضا على صديقه سي الجيلاني، وجاء دور مصالي وعيمش وراجف للمرة الثّالثّة في نهاية 1935 حيث حكم عليهم بالسّجن أيضا.

وعند تأسيس حزب الشّعب الجزائري في مارس 1937، كان عيمش ضمن قائمة السّبعة الذّين يشكلون المكتب السّياسي للتنظيم الجديد، ولكن عيمش رفض العضوية في قياده الحزب الجديد متذرعا بأن هناك تراجعا في برنامج الحزب، لاسيما بخصوص مطلب الاستقلال الذّي استبدل (بالانعتاق التام).

ويذكر بعض المؤرّخين أنه قد وقع خلاف كبير بين مصالي وعيمش لعدة أسباب:

- أسباب شخصية ونفسية وثقافية.
- غيرة عيمش من مصالي فقد كان يريد أن يحل محلّه.
- تصادم ثقافة كل من الرّجلين.
- أسباب سياسية: اعتبار استبدال (الاستقلال) بـ(الانعتاق التام) تراجعا ا ستر ا تيجيا .
- اتهام مصالي بالنّزوع إلى القيادة الفردية.

والحقيقة أنّ هذا الخلاف وهمي، وخاصه الزّعم بأن هناك اختلافا ثقافيا بين الرّجلين باعتبار أحدهما عربيا والاخر بربريا فهناك 13 قرنا من الوحدة الثّقافية العربية الإسلامية، وهذه الوحدة هي التي كانت مصدر رد الفعل الواحد لجميع الجزائريين ضد ظاهرة الاستعمّار بكل أبعادها السّياسية والثّقافية.

هذا الرّد الذّي أصبح رفضا عنيفا للوجود الاستعمّاري منذ الفاتح نوفمبر 1954.

وهناك أرضية مشتركة بين الرّجلين حتى في إطار ثقافة المستعمر، فهناك تقارب في مستوى التحصيل باللغة الفرنسية بالإضافة إلى تقارب الوضع الاجتماعي للرجلين فكلاهما مهاجر غير محظوظ في عمله.

وهذه الوضعية هي التي فرضت على قيادة النّجم أن تخصص منحة شهرية للرجلين ابتداء من سنه 1934 كما جاء في مذكرات مصالي.

فلا يمكن اعتبار اختلاف لهجة عيمش عن لهجة مصالي عنصر تصادم ثقافي فهذا يقدح في النّضال الوطني، كما أنّ اختلاف اللهجات في بلادنا لم يكن أبدا يتعارض مع الوحدة الاجتماعية الثّقافية العميقة لشعبنا، بل مع شعوب المنطقة الواسعة للمغرب العربي الكبير.

ورغم رفضه العضوية في المكتب السّياسي، فقد واصل عيمش نضاله في حزب الشّعب من خلال كتابة في صحيفة الأمة واستمر على ذلك لغاية إعلان الحرب العالمية الثّانية، وحل الحزب، والزّج بقيادته في السّجن، بما في ذلك عيمش نفسه باعتباره أمينا عاما سابقا للنجم.

وفي بداية 1945 جرت اتصالات بين بعض المناضلين القدامى على أساس تكوين تنظيم سياسي جديد، يجسد اتحادا وطنيا واسعا حول برنامج إصلاحي. وقد توجت هذه الاتصالات بعقد اجتماع استضافه المناضل سعيدون، وحضره الثّنائي سي الجيلاني -راجف ومناضلون آخرون نذكر منهم إبراهيم معيزة، الدكتور الأشرف، محمّد، والحاج علي عبد القادر.

وأثناء مناقشة فكرة التنظيم الجديد، اقترح معيزة بعث "حزب الشّعب الجزائري" كردّ على قرار حلّه من طرف حكومة "فيشي" بدل استحداث نظام جديد، وقد استحسن سي الجيلاني وراجف هذه الفكرة التي ما لبثت أن التفت حولها أغلبيه المشاركين في الاجتماع، وقد أدّى هذا الاتفاق لانسحاب أقلية، وفي مقدمتها الحاج علي.

وبعد ذلك عقد راجف ورفاقه اجتماعا آخر لتكوين قيادة "حزب الشّعب" في المهجر، وعيّن على رأسها المناضل إبراهيم معيزة كأمين عام، وكان معيزة مناضلا طلابيا مما ساعد على فتح باب الحزب أمام الطّلبة، وسرعان ما برهن بعمله لصالح الحزب أنّ قرار تعيينه كان قرارا حكيما.

واستأنفت قيادة الحزب الجديدة الدعوة لاستقلال الجزائر، وتنظيم المناضلين في صفوف حزب الشّعب، الإدارة الأولى المرشحة لخوض معركة الاستقلال.

وفي تلك الأثناء، عاد عيمش من ألمانيا، ونزل بمدينة "ليون" عند صديقه "راجف" الذّي دعاه إلى استئناف النّضال معه فالتحق عيمش بمسيرة الحزب الجديدة واستأنف نشاطه مع رفاقه القدامى إلى غاية أحداث 8 ماي 45، حيث تبعها إيقاف خمسة عشر من العناصر القيادية وكان من بينهم: عيمش والدكتور أشرف محمّد وغيرهم.

وقد استمرّ الوضع على هذا النّحو لغاية إعلان العفو العام ابتداء من مارس 1946 من قبل حكومة الجنرال ديغول يومئذ واستفاد عيمش أيضا من إعلان العفو، فلبّى نداء صفوف الحزب، وكان يعتقد أنّه سيعود لمنصبه السّابق كأمين عام للحزب وهو المنصب الذّي سبق أن أسند إلى إبراهيم معيزة في غيابه، وهنا يكمن سر سوء التفاهم الجديد الحاصل بينه وبين زملائه في قياده الحزب.

وهكذا كانت نهاية علاقة "عيمش" بحزب الشّعب، فأرسل رسالة وداع إلى أصدقائه من المناضلين، وعتب عليهم تلميحا بعض المغالاة في تعظيم وإكبار زعيم الحزب الحاج مصالي.

وبعد عودته إلى الجزائر في ربيع 1947، حاول تأسيس حزب جديد سمّاه "حزب الوحدة الوطنية"، لكن المشروع لم يعرف النّجاح الذّي كان ينتظره صاحبه، وقد توفي "عيمش" سنة 1957.

رابح دوب

المصادر:

- محمّد عباس: رواد الوطنية، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

■ عمّار أوزگان
(1327هـ - 1910م/1401هـ - 1981م)

عمّار أوزگان مناضل سياسي يساري جزائري قديم، ولد سنة 1910 بمنطقة القبائل الكبرى وقيل في الجزائر العاصمة، بدأ نضاله السّياسي والنّقابي وهو موظف بريد، التّحق بالحزب الشّيوعي الفرنسي وأصبح عضوا بلجنته المركزيّة منذ عام 1936، وكاتبا عاما للفرع الجزائري للحزب سنة 1934. ورئيسا لتحرير جريدة (الصّراع الاجتماعي)، وكان قد تحصل على الشّهادة الأهليّة ثم بدأ يحفظ القرآن الكريم، ومنذ كان عمره 13 بدأ يعمل كبائع لجريدة (صدى الجزائر) ثم (بريد الجزائر) اللتين تصدران عن الدّوائر الاستعمّاريّة في الجزائر.

وقد كان عمّار أوزگان من الكتاب والأدباء المتميزين الذين أخرجتهم الحركة الشّيوعيّة وكوّنتهم، ونجد إلى جانبه كتابا كبارا من أمثال: البشير حاج علي، والصّادق هجرس، وكاتب ياسين، فهؤلاء كلهم كان يجمع بينهم أمران: الانتماء الشّيوعي، والكتابة باللغة الفرنسيّة، وكان الضّغط الاستعمّاري قد جعل عددا من العناصر الوطنيّة في حزب الشّعب تنحاز أكثر فأكثر إلى المعسكر الاشتراكي الشّيوعي، لكن الثّورة استطاعت بعد ذلك أن تصهر هذه العناصر وأن تقارب بين الجزائريين على اختلاف ميولهم وثقافتهم، رغم أن بعضهم رجع بعد الاستقلال إلى خطه القديم، ولعله لم يتحول عنه أصلا.

انخرط أوزگان في الحياة النّقابيّة منذ 1926، شارك في فصل المجموعة الجزائريّة الشّيوعيّة عن الحزب الشّيوعي الفرنسي في مؤتمر فليربان نهايّة 1935 ومطالع 1936، وأصبح أمينا عاما للحزب الشّيوعي الجزائري منذ تأسيسه سنة 1936، وأصبح من أهم الفاعلين في تطويره. وقد أصبح نائبا في المؤتمر السّابع للكومنتيرن صيف 1935، كما كان نائبا شيوعيا عن العاصمة سنة 1945.

بعد حل حزبه (الشّيوعي) 1939، تحول إلى العمل السّري مثله مثل مناضلين سياسيين آخرين.

اصطدم مع قيادة الحزب الشّيوعي الجزائري فطرد منه سنة 1948 لأفكاره الوطنيّة.

لم يشارك في تأسيس حركة البيان والحريّة التي انضمت إليها كل التيارات الوطنيّة، واعتبرها منظمة إقطاعيّة بورجوازيّة.

بعد مجازر 8 ماي 1945 راجع عمّار أوزقان مواقفه السّابقة واعترف بأخطائه وبأخطاء حزبه ووجه نقدا داخليا لمسيرة الحزب واعتبر الشّيوعيين الجزائريين عاجزين عن فهم نظريّة لنين في الثّورة وقال: "يمكن للإنسان أن يكون مؤمننا وثوريا في آن واحد"، كما تؤكد ذلك النّظريّة "اللينينيّة"، ووصف الشّيوعيين الجزائريين بالكسل العقلي واعتبرهم نسخة طبق الأصل للحزب الشّيوعي الفرنسي، لأنهم كما قال: "كانوا ينسخون جريدة لمانتي نسخا آليا".

كان معجبا بمنهج جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وكان أحسن من أنصفها من السّياسيين الجزائريين، في كتابه "الجهاد الأفضل"، كما كتب في جريدة "الشّاب المسلم"، وهي جريدة أصدرتها جمعيّة العلماء باللغة الفرنسيّة أسمتها، فكانت صورة لما تنشره البصائر في المواضع والاتجاه، واستقطبت نخبة من كتاب الجزائر المتنورين والمتحررين فتناولوا على صفحاتها موضوعات مستقلة ذات اتجاه إصلاحي - تجديدي وطني - أمثال مالك بن نبي، وعمّار أوزقان، والشّريف ساحلي، وكانت الجمعيّة تصدرها نصف شهريّة من العاصمة وتوجهها إلى الشّباب الجزائري المثقف بالفرنسيّة.

انضم إلى الثّورة التّحريريّة الجزائريّة سنة 1955 بعد اقتناعه بضرورة العمل الثّوري الوطني، وبعد النّقد اللاذع الذي وجهه للشيوعيين الجزائريين، وعمل مساعدا لعبان رمضان باعتبارهما يمثلان الجناح اليساري في الثّورة.

وأصدر جريدة (الجزائر أولا) في 18 يوليو 1955، وكانت تعبر عن اتجاه شيوعي ولكن خارج الحزب، كان هذا الاتجاه يدعو إلى التّفاهم والحوار وحقن الدّماء، غير أنه لم يظهر من هذه الجريدة سوى عددين.

كما ساهم في جريدة (المغرب العربي) التي أصدرها محمّد السّعيد الزّاهري في 17 مارس 1956 وظهر منها سبعة أعداد ودعيا فيها إلى الوحدة بين الوطنيين مما فهم منه مساندة الحركة المصاليّة، فطلبت الجبهة من الرّجلين (أوزگان والزّاهري) التّوقف عن أسلوب الدّعوة للحوار مع السّلطة الفرنسيّة وترك ذلك إلى الجبهة

نفسها، لأن ذلك الأسلوب لم يعد يفيد وقد فات وقته، فامتثل أوزگان وخالف الزّاهري فكان جزاءه القتل، وقد صدر آخر عدد من جريدته في 19 مايو 1956.

شارك في مؤتمر الصّومام وساهم في تحرير وثيقته المشهورة، على الرّغم من أن الحزب الشّيوعي رفض الحضور إلا أن عمّار أوزگان كان حاضرا، ويجب أن نتذكر هنا أن عمّار هو أحد أقطاب الحزب الشّيوعي السّابقين، والكاتب العام له، وكان هذا سببا في أنّ كثيرا من المؤرّخين رأوا أن محضر المؤتمر قد اصطبغ باللون اليساري والعلماني، وهو الأمر الذي اعتبره أيضا بعض قادة الثّورة الأوائل انحرافا خطيرا عن روح بيان أول نوفمبر وروح الانتماء الحضاري للجزائر، فلقد تحدث عن مقومات الأمة من تاريخ ولغة واحدة ودين وعادات، وتحدث عن انتماء الشّعب الجزائري الحضاري، وعن فيدراليّة المغرب العربي (وليس شمال إفريقيا خلافا لبيان أول نوفمبر)، وركز على الدّعم العربي (وليس الإسلامي) للثورة الجزائريّة. كما أن عبارات القوميّة والشّعبويّة والنّزعة الاجتماعيّة المحافظة قد ظهرت في وثيقة المؤتمر بلغة ماركسيّة واضحة.

وردّ عمّار أوزگان على من سألوه عن عدم طرح قضيّة الإسلام في مؤتمر كأساس إيديولوجي للثورة:" لقد كنا نعتبر الإسلام في الجزائر مسألة مفروغا منها غير قابلة للنقاش لأن الجزائريين مسلمون منذ أربعة عشر قرنا".

اعتقل في شهر كانون الثّاني- جانفي سنة 1958 وبقي في السّجن حتى الاستقلال.

عين بعد الاستقلال وزيرا للفلاحة.

عارض التّصحيح الثّوري 19 حزيران - جوان 1965، واعتبره انقلابا ضد التّوجه الاشتراكي للجزائر على غرار المجموعة الشّيوعيّة التي أقامت الدّنيا ولم تقعدها بعد هذا الحدث، وأصدر مع بقيّة الشّيوعيين الآخرين كتابا كان كله بكاءً على النّظام الاشتراكي في الجزائر.

وانسحب من الحياة السّياسيّة نهائيا حتى توفي في شهر آذار- مارس سنة 1981. ألف كتابا باللغة الفرنسيّة عنوانه "الجهاد الأفضل"، ترجم إلى اللغة العربيّة في لبنان سجل فيه مواقفه وتجاربه النّضاليّة، كان موقفه إلى جانب العلماء في هذا الكتاب موقفا ايجابيا إلى أبعد الحدود ولكنه صب فيه جام غضبه على الشّيوعيين الجزائريين.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

■ عمّار أوعمران
(1337هـ - 1919م/1412هـ - 1992م)

ولد المناضل عمّار أوعمران بدوار "فريقات" ذراع الميزان سنة 1919، وبعد الحصول على الشّهادة الابتدائية اشتغل بعض الوقت بالفلاحة لمساعدة والده، ونظرا لميوله العسكرية المبكرة والالتحاق قرر التطوع في الجيش الفرنسي.

وبعد أحداث 25 جانفي 1941، حيث وقعت صدامات دامية بين الفرنسيين والأهالي، تم القبض على السّي عمّار أوعمران مع 65 ضابطا وحكم على 34 منهم بالإعدام، ويبدو أن الرّقيب أوعمران كان محظوظا، فلم يخسر في هذه الحوادث لم سوى رتبته التي جرد منها ليصبح مجرد جندي من الدرجة الثّانية، بعد ذلك تم نقله إلى البليدة، حيث التقى في 25 مارس 1941 بطالب من برج منايل يدعى (حكمي علاوة) الذّي أراه صورة (الحاج مصالي)، رئيس حزب الشّعب الجزائري، الحزب الذّي يسعى لاستقلال الجزائر والعمل من أجل ذلك بمختلف الوسائل، ولقد لقيت هذه الدعوة استحسانا من أوعمران، فعبّر عن رغبته في الانخراط في هذا الحزب مؤكدا ذلك بطلب الاشتراك فورا، ومن ذلك الحين أصبح أوعمران يقوم بأعمال نضالية ضد الاحتلال الفرنسي، ومنها تجنيد المناضلين وجمع الاشتراكات والتبرعات، والمشاركة في توزيع صحف الحزب، واستمر أوعمران في أداء مهامه النّضالية حتى سنة 1944، حيث تقرر نقله إلى الجبهة الأوروبية عبر مرسيليا، لكنه انتقل من مرسيليا إلى طنجة للإقامة بها مؤقتا إلى غاية أن يتيسر له العودة إلى أرض الوطن.

وبعد عودته إلى الجزائر التحق بالمدرسة العسكرية بشرشال، واستمر في النّضال هناك حيث تمكن من تجنيد أربعة وأربعين مناضلا، ولكن اكتشف أمره بعد دخول ضباط فرنسيين إلى غرفته، حيث عثروا على مجموعة صحف "أحباب البيان والحرية"، فألقي القبض عليه وعلى بعض العناصر من شبكة المدرسة، وخضعوا للتعذيب من أجل استنطاقهم للحصول على معلومات تتعلق بنضالهم، وعندما سئل أوعمران أمام المحكمة العسكرية في سبتمبر، كان مصيره قد قرر سلفا، وهو الحكم عليه بالإعدام رفقة زميلين هما محسن سعدون وقدور عسكري، لأن المسالة في نظر النّائب العام تتعلق بمصير فرنسا في شمال إفريقيا، إلى جانب تهمة أخرى وهي الخيانة المتمثلة في الدعاية الهادفة إلى تخريب الجيش والأمة وجزاؤها الإعدام بموجب المادة 76 من قانون الأحكام العرفية، مكث أوعمران ورفاقه بسجن باب الواد ثمانية أشهر طويلة ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام، ويترقبون اهتمام الحزب بمصيرهم، وذات يوم دعي الثّلاثة إلى إدارة السّجن حيث تم تبليغهم بقرار مفاجئ: وهو تحويل الحكم من الإعدام من السّجن المؤبد، وبعد هذا الإجراء نقل أوعمران ورفاقه إلى سجن بربروس، بأعلى القصبة، حيث التقى هناك محمّد السّعيد معزوزي المتهم في قضية

آيت علي وشاركوا في إضراب عن الطّعام مطالبين بتحسين أوضاعهم باعتبارهم مساجين سياسيين ثم تمّ نقله إلى سجن لامبيس، وهنالك عوملوا معاملة أحسن كشبه سياسيين، إلّا أنهم ظلوا معزولين عن غيرهم.

ولحسن حظهم فقد تدخل وزير العدل الفرنسي آنذاك الليبيرالي "ادمون ميشلي" الّذي علم بقضية أوعمران ورفاقه فتدخل للإفراج عنهم، عاد أوعمران إلى مسقط رأسه (دوار فريغات) ناحية (ذراع الميزان)، وشرع يستأنف نشاطه النّضالي في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي ظهرت إلى الوجود في مؤتمر 15 فبراير 1947.

ولم تطل حرية أوعمران طويلا، فقد تم اعتقاله من رجال الدرك مجددا ليبيت في ثكنة الدرك محبوسا.

واستطاع أوعمران الهروب من تلك الثّكنة، والتحق بالمرحوم كريم بلقاسم، وصار محلّ ثقته لدرجة أنه صار نائبا له،

ولما تكونت المنظمة الخاصة في 1947، حاول أوعمران الالتحاق بها، لكن طلبه قوبل بالرّفض، بسبب انه معروف لدى الأمن الاستعمّاري، فلن يتمكن من أداء المهام المسندة إليه.

فاستمر أوعمران في النّضال إلى جانب كريم بلقاسم، إلى غاية اندلاع ثورة نوفمبر1954، حيث التحق بالثّورة إلى جانب كريم بلقاسم حيث تم إرسال وحدة من المجاهدين بقيادته.

وفي الوقت المحدد وصل أوعمران بهذه الوحدة إلى مكان العملية، وقام بتقسيمها إلى مجموعتين: الوحدة الأولى تحت قيادة رابح بيطاط، وأحمد بوشعيب، والثّانية تحت قياة أوعمران وسويداني بوجمعة في سرية تامة، ولقد تمكن المجاهدون أن ينقضوا على الأهداف المحددة في ليلة الفاتح نوفمبر بكل نجاح.

حيث هاجمت المجموعة الأولى ثكنة "بيزو" في البليدة، بينما هاجمت المجموعة الثّانية ثكنة بوفاريك.

ورغم صعوبة المهمة وسوء الإعداد للعملية، استطاعت المجموعة الثّانية أن تغنم بعض الأسلحة، وتنسحب إلى جبل الشّريعة، مكث أوعمران هناك حوالي 15 يوما، وحاول الاتصال خلالها ببيطاط قائد المنطقة الرّابعة فلم يفلح.

وبعد ذلك قرر أوعمران العودة إلى المنطقة الثّالثّة، فقسم مجموعته إلى أفواج وأمرهم بالعودة إلى مواقعهم الأصلية بجرجرة وما جاورها، وفعلا تمكنوا من العودة سالمين.

ولما عاد أوعمران إلى ضواحي ذراع الميزان اتصل بكريم وقدم له عرض حال لم يكن مشجعا كثيرا، وكان رفاقه يظنون أنه قتل أو أسر.

وغداة حادث اختطاف الطّائرة - التي كانت تنقل أعضاء الوفد الخارجي - في 22 أكتوبر 1956، كلف أوعمران بالخروج إلى تونس للقيام بمهمة محددة:

– الاتصال بالأمين دباغين والعمل بأوامره، – تسليح الثّورة، – معالجة الوضع السّائد على الحدود التّونسية.

وسبب هذا الوضع أن أعضاء الوفد الخارجي وبن بلة خاصة لم يقبلوا ما انتهى إليه مؤتمر الصومام من نتائج، لاسيما مسألة توسيع الجبهة إلى جماعة فرحات عباس.

تصدى أوعمران لهذا الوضع الّذي كان حرجا بالنّسبة للثورة والأشقاء التونسيين بكل حزم واستطاع أن يسيطر على الموقف، ولما خرجت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس هنأته لما حقق من نجاح كبير.

كما ذهب سنة 1959 إلى تونس مكلفا بمهمة التنظيم والتخطيط والإشراف على إدخال السّلاح إلى الجزائر، وفي 1960 شغل منصب ممثل جبهة التحرير في لبنان وتركيا.

توفي المجاهد البطل أعمر أوعمران في الجزائر العاصمة بعد مرض طويل بتاريخ 28 جويلية 1992 ودفن بمقبرة العالية.

رابح دوب

المصادر:

– محمّد عباس: رواد الوطنية، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

■ عمّار بلّحسن
(1953م - 1993م)

أكاديمي وقاصّ وعالم اجتماع جزائريّ، ولد يوم 13 فيفري (1953) في منطقة (مسيردة) بولايّة تلمسان في الغرب الجزائري، تلقىّ تعليما في الكتاتيب بالطّريقة التّقليديّة قبل أن يواصل تعليمه بالجامعة لينال شهادتي اللّيسانس والماجستير في علم الاجتماع الثّقافي، ثم يلتحق أستاذا بجامعة وهران وعضوا في المجلس الأعلى للثقافة.

وهو أوّل من أدخل تدريس سوسيولوجيا الأدب في الجامعة سنة (1976) في تحضير مذكّرته في علم اجتماع الأدب حول روايّة (اللاز) للطاهر وطار وكان له مشروع بحث ماجستير في ضوء سوسيولوجيا الأدب حول ثلاثيّة (محمّد ديب) وأنشأ مخبرا في سوسيولوجيا الأدب والفنّ ضمن وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الثّقافيّة والاجتماعيّة. وقد أصبح، وهو في ريعان الشّباب مثلما يقول عنه (عز الدّين ميهوبي) (العراب الحقيقي لمرحلة اقترب فيها المثقفون من الأسئلة المسكوت عنها، وكان إلى جانبه (بختي بن عودة) المسكون بالحداثة والنّصّ الجديد والرّؤيّة التي لا تأبه بالإيديولوجيا والفكر المعلّب، وهكذا كان التّأسيس لثقافة بلا حدود)

تخصّص (عمّار بلّحسن) في التّحليل الثّقافي والسّوسيولوجيّ للأدب والثّقافة وكتب في قضايا الثّقافة الجزائريّة والإنسان في مجتمعه، في عشرات المقالات والكتب منها: (الأدب والإيديولوجيّة) و(كشف الغمة في هموم الأمّة) الذي يدعو فيه إلى ضرورة تثقيف السّياسة بدل تسييس الثّقافة، كما أصدر بداية الثّمانينات كتابا لعلّه الأهمّ والأشمل وهو (أنتلجنسيا أم مثقّفون في الجزائر؟) فكان به رائدا في المشهد الجزائري في التّحليل الثّقافي وسوسيولوجيا الرّوايّة، ونقد الإيديولوجيا، وهو نفسه الهمّ الذي كان يشغله في مجال الإبداع، وقد قال موضّحا هدفه الأساس من الكتابة (بأنّ اهتماماته الفنّيّة، تتعلّق أساسا بالكتابة حول أزمة الإنسان في مجتمعنا) وهو ما تعكسه مجموعاته القصصيّة المشحونة بالنّقد الاجتماعيّ والسّخريّة مثلما ورد في (حرائق البحر) وهي أوّل مجموعة قصصيّة تصدر له ثم تلتها (أصوات)، و(فوانيس). وأخيرا (يوميات الوجع) التي صدرت في طبعة محدودة عن جمعيّة الجاحظيّة في أيّامه الأخيرة من مرضه.

كان عمّار بلّحسن إلى جانب نشاطه العلميّ الأكاديميّ والإبداعيّ، ناشطا ثقافيّا من الطّراز الرّفيع، حيث كان مشرفا على الملحق الثّقافي (أوراق معاصرة) كما نشّط حصصا إذاعيّة ثقافيّة في قضايا الفكر والإبداع والمجتمع. وكان مترجما بارعا من الفرنسيّة إلى العربيّة حيث ترجم أعمال العديد من علماء الاجتماع وفي مقدّمتهم (لوسيان غولدمان/ Lusien Goldman)

جسّد مثالا للمثقّف العصاميّ المتميّز الذي لا يتوقّف نشاطه قراءة وكتابة، وقد اعتبره الرّوائيّ (أمين الزّاوي) بمثابة "المثقّف الجسر الذي جمع بين الكتلتين المعرّبة والمفرنسة من الكتّاب والمثقفين) وكان من جيل السّوسيولوجين الجزائريّين الذين كتب أغلبهم باللّغة الفرنسيّة ك (هواري عدّي وعلي الكنز) وعلى خلاف هؤلاء كان ينظر إلى الحداثة الغربيّة على إنّها مجرّد حداثة معطوبة وخاصّة إذا ما تمّ استعمالها من قبل الأنظمة وكذا النّخبة المثقّفة لتزييف الوعي لتصبح مجرّد وعي زائف وهو المفهوم الذي وصف به (كارل ماركس) الإيديولجيا، ولذلك كان مثقفا رؤيويا نشر في مجلّة (آفاق) التّابعة لاتحاد كتّاب المغرب مقالا بعنوان (الإسلام والدّيمقراطيّة) تنبّأ فيه بظهور آفة الإرهاب في الدّول الغربيّة وتطرّق إلى موضوع الدّيموقراطيّة في العالم الثّالث وظاهرة انغلاق المجتمع وآثارها على الأفراد والثّقافة.

وعلى فراش المرض، كتب (يوميّات الوجع) بعد أن تمكّن السّرطان من جسمه الهزيل؛ ونشرته الجاحظيّة بعد رحيله وقد كان رئيس تحرير مجلّة (التّبيين) فيها آنذاك.

فكتب رسالة مؤثّرة تشبه الوصيّة إلى زوجته (فاطنة) بعد أن أحسّ بدنوّ أجله؛ ونشر الرّسالة صديقه الكاتب الرّاحل الطّاهر وطّار في مجلّة (التّبيين، العدد 7 سنة 1993) ومن بين ما جاء في الرّسالة: (اجعلي من أبنائي أزهارا ورجالا ونساء مثقّفين نظيفين ومكافحين، كما أحببت أن أكون، رغم الدّاء والهمّ والأيام التي لم تكن جميلة أو لطيفة.. لم تعطني الجزائر سوى قرحة وورما، صحيح لم أفعل لها كثيرا، ولكنّها فعلت فيّ الكثير، أحببتها واغتالتّ أحلامي كثيرا، لم أكن أتخيّل أن الحلم سيصبح كابوسا). وعلى الرّغم من المرض فقد كان مشغولا بوضع الجزائر وخاصّة مع بداية الوضعيّة السّياسيّة المأساويّة التي عاشها الجزائريّون خلال العشريّة السّوداء، حين كانت الأخبار تصله وخاصّة عن اغتيال المثقّفين الذين كانوا الهدف الأوّل للإرهاب فألقت بظلالها على نفسيّته الموجوعة فخاطب الوطن قائلا: (تباً لك يا وطني بلاد الألم العريض.. لم يعرف فنانوك وشرفاؤك سوى الاغتيال أو الموت بالسّرطان وحيدون في مستشفيات نتنة، معزولون إلاّ من حنينهم وآهاتهم). وكان قبل سنوات من ذلك لاحظ التّردّي الذي وصلت إليه أضاع الثّقافة في البلاد بعدما تمّ توقيف استيراد الكتب والصّحف والمجلاّت من الخارج؛ فكان من المطالبين في زمن الحزب الواحد برفع الحظر فورا عن الكتب والمجلات، وشبّه الجزائر بدول منغلقة على نفسها مثل كوريا الشّماليّة؛ ليؤكّد دوره كمثقّف عضوي مارسه من خلال مواقفه من تردّي الوضع الثّقافي والاجتماعي مع نهايّة الثّمانينات، سواء في محاضراته بالجامعة أو فيما كان يكتبه في الصّحف والمجلاّت الجزائريّة والعربيّة، أو في الملتقيات واللّقاءات المختلفة التي كانت تنظّم آنذاك.

وكان قد نشر في مجلّة (التّبيين العدد 4 سنة 1991) مقالا بعنوان: (من تسييس الثّقافة إلى تثقيف السّياسة) قدّم فيه توصيفا لما سمّاه (الانغلاق السّياسي) الذي تسبّب (في حياة يوميّة صعبة، ووسط ثقافي فقير ومدقع، من الكتاب والمجلّة والجريدة، حتى السّينما والمسرح والسّياحة والتّرفيه والمقهى، فليس أمام شاب من حيّ الحمري أو باب الوادي سوى الانتحار أو المخدّرات أو المسجد، رغم أن هذا الأخير تسيّس هو الآخر، وتحوّل إلى مجال حزبي، وأفرغ من مضمونه وموقعه كفضاء روحي وإيماني وثقافي، داخل نسق ثقافي متوازن ومتنوّع، من المدرسة والنّادي والشّارع، وصولا إلى المقهى والملعب والكشك والمكتبة والرّحلة وعلاقات الاختلاط والصّداقة والحب).

رحل عمّار بلّحسن يوم 29 أوت (1993) وأجّلت مشاريعه الفكريّة والثّقافيّة الواعدّة إلى الأبد، وقد وصفه النّقاد كأكبر القصّاصين العالميين الكبار أمثال: (موباسان وتشيكوف، وزكريا تامر) وقال عنه (الحبيب السّايح) في إحدى شهاداته (لو طال العمر بعمّار بلّحسن إلى هذا الزّمن، لكان، ليس أكبر كاتب قصة قصيرة، ولكن ربما من أكبر الرّوائيين في جيلنا)

كتب عمّار بلّحسن في مجلات جزائريّة وعربيّة، كمجلّة الأقلام العراقيّة وآفاق المغربيّة والثّقافة التّونسيّة وفصول المصريّة والمنتدى الإماراتيّة، وغيرها وترجمت قصصه إلى عدّة لغات كالفرنسيّة والانجليزيّة والرّوسيّة، وسجل اسمه في قاموس (لاروس/ Larousse) وكان مثقّفا عضويا كبيرا انتهى إلى صوفي متبصّر بأحوال الثّقافة والإيديولوجيا وقضايا

الإنسان في المجتمع، جسّده إيمانه المنهجي بدور علم الاجتماع، في توصيف الظّواهر الثّقافيّة والاجتماعيّة، وقدرته على إيصال الباحث إلى تشريح الأسباب التي تقف وراء تخلّف الشّعوب وتعطيل حركة التّاريخ، وظهور الأزمات الأخلاقيّة وفساد الأنظمة السّياسيّة، وهي من المسائل الجوهريّة التي شغلت الباحث عمّار بلّحسن في حلّه الأكاديمي، وترحاله الإبداعيّ ولكن بكثير من الوجع الذي انتهى به إلى مفارقة الحياة في الأربعين من العمر، في كفاح مرير مع داء السّرطان حاملا معه مشروع عالم اجتماعيّ وناقد ثقافيّ من الطّراز الرّفيع.

آمنة بلّعلى

المصادر:
- رسالتّه الأخيرة، مجلّة التّبيين، ع4 سنة1991؛
- شهادات الكتاب الجزائريين.

عمّار بن مالك
(1337هـ - 1919م/1403هـ - 1983م)

عمّار ابن مالك من مواليد مدينة قسنطينة في 26 أفريل سنة 1919 بحي السّويقة العتيق، بعد تعليمه الابتدائي الذي تحصل من خلاله على شهادة نهايّة الدراسات، ثم اكمل تعلمه بجامعة الزيتونة ليعود بعدها الى مدينة قسنطينة لأخذ دروس اضافيّة ليكون أستاذا باللغتين العربيّة والفرنسيّة. في تلك الفترة، كان يناضل في صفوف حزب الشّعب وعمره لا يتجاوز الاثني وعشرين (22) سنة، ثم تقلّد منصب مسؤول ناحيّة قسنطينة بذات الحزب سنة 1939، وكان بن مالك عمّار يهتم كثيرا بالمسرح ويعتبره وسيلة فعالة في النضال ضد المستعمر الفرنسي، الى جانب بعض الاصدقاء منهم بن طالب عمّار، بوريو محمّد الصالح، بودراع صالح، الذين أسسوا في سنة 1940 (الاتحاد المسرحي) بمدينة قسنطينة، وعين بن مالك عمّار أمين عام للاتحاد، وكانت السّلطات الفرنسيّة على علم بأن الاتحاد ينشط لصالح الحركة الوطنيّة. ولهذا شدت الادارة الفرنسيّة الخناق على هذا الاتحاد وسرعان ما توقف عن النشاط، لكن الشّاب بن مالك عمّار كان عازما على مواصلة النضال المرتبط بالبناء القائم على المواطنة، العدالة الاجتماعيّة، الهويّة الوطنيّة والاستقلال وهذا ما جعله يأسس عدة فرق مسرحيّة بين سنة 1942 و1946. البدايّة كانت فرقة (المسرح العصري) قدم من خلالها عدة أعمال فنيّة من بينها مسرحيّة (اليتيمة)، فبعد تقديمها في مدينة قسنطينة، رفضت ادارة الاستعمّار الفرنسي منح تسريح للفرقة للقيام بجولة فنيّة عبر شرق البلاد، كون الاستعمّار الفرنسي اشتبه في كون بن مالك عمّار اراد سنة 1942 اعادة تأسيس حزب الشّعب الجزائري المنحل، عن طريق فرقته المسرحيّة، وبالفعل منعت الجولة الفنيّة التي برمجها بن مالك عمّار في شهر جوان من سنة 1942. الى جانب هذا كان بن مالك عمّار يكتب الكثير في الروايّة باللغة العربيّة الفصحى ولكن الرقابة كانت ترفض نصوصه، مما جعله يغير للمرة الثانيّة اسم الفرقة الى (المسرح الشّعبي)، التسميّة الجديدة لم تدم طويلا وسرعان ما غيرها بن مالك عمّار الى فرقة (كوميديا)، في الحقيقة هي وسيلة للإفلات من مضايقات ادارة الاحتلال الفرنسي، هاته الاخيرة لم تغير رايها قط تجاه بن مالك عمّار واستمرت في منعه من برمجة نشاطاته الثقافيّة وكان ذلك في شهر اوت من سنة 1944 للقيام بجولة فنيّة. مما جعله يراسل سلطات الاستعمّار الفرنسي ليستفسر عن مبرر للإجراءات التعسفيّة التي قامت بها الادارة الفرنسيّة تجاه فرقته.

ابن مالك عمّار لم ييأس ابدا بل سارع في تغيير اسم الفرقة الى (البدر) وقدم بها عدة عروض منها عرض مسرحيّة (عنتر بن شداد) والتي ادتها نخبة من الفنانين لمدينة قسنطينة ومدينة الجزائر على غرار شيخ المالوف محمّد الطاهر الفرقاني، عميد الممثلين طواش محمّد الصالح، بن مالك عمّار، بدريّة، دليلة وغيرهم. واثناء عرضه لهذا العمل الفني بمدينة عنابة، كلف بن مالك عمّار طفلة لتقديم اغنيّة تحمل عبارات (تحيا العرب، تحيا الشّبيبة الاسلاميّة، تحيا الوطن) مما اثار غضب المسؤولين الفرنسيين هناك ومنعوه من تقديم الاغنيّة في العرض الثاني، مما جعل سلطات الاستعمّار الفرنسي في سنة 1944 بتوجيه اتهامات قضائيّة ضد بن مالك عمّار، لكونه سمح لطفلة صغيرة المثول فوق خشبة مسرح مدينة عنابة وتقديم الانشودة الوطنيّة، بالرغم من هذا لم يتغير موقف وايمان بن مالك عمّار من الحركة الوطنيّة مما جعله يحاول لعدة مرات انجاز جريدة تحت عنوان (الهدرة) لكن الاستعمّار الفرنسي منعه من ذلك، كل هذا لم يمنع بن مالك عمّار من النضال عبر خشبة المسرح واخر عمل ممتاز قدمه بالجزائر مسرحيّة تحت عنوان (الوداع الاخي) والذي مثل فيه مطرب المالوف حسان العنابي، واعجب بهاذ العرض كثيرا محي الدين باشطارزي. بحيث قام بتسجيله وبثه على امواج الاثير، وبعد تقديم عرض مسرحي بمدينة تبسة، وكعادة بن ملك عمّار يريد تمرير رسائل للجمهور عن طريق خشبة المسرح، بعد التقارير التي كتبت لحاكم عمالة قسنطينة، قرر هذا الاخير منع بن مالك عمّار وفرقته المسرحيّة (البدر) من القيام بأي نشاط داخل الجزائر ابتداء من يوم 5 جوان 1946.

منعت ادارة الاستعمّار الفرنسي عمّار بن مالك من التمثيل او حتى تقديم اعماله المسرحيّة عدة مرات وكان ذلك سنة 1942، 1944 و1946، مما جعل عمّار بن مالك

يغترب بالمملكة المغربيّة ويستقر بمدينة الدار البيضاء في اواخر شهر جويليّة من سنة 1946. وسرعان ما كون هناك فرقة مسرحيّة. اراد من خلالها دخول أرض الوطن في بدايّة الخمسينات وتقديم عروض فنيّة على خشبة كل من مسرح مدينة قسنطينة والجزائر، متمثلة في مسرحيتين، الاولى تحت عنوان (أبو مسلم) والثانيّة (قيس وكسرا)، وهما مسرحيتان ذات طابع تاريخي بأربعة فصول لكل مسرحيّة. لكن ادارة الاستعمّار الفرنسي بقيت متشبثة بقرار المنع لسنة 1946.

بعد استقلال الجزائر يعود ابن قسنطينة الى مسقط رأسه ليرسم كمدير للمسرح البلدي لمدينة قسنطينة، حتى سنة تأميم المسارح ووضعها تحت اشراف المسرح الوطني الجزائري سنة 1963. بعدها في نفس الفترة يعين بن مالك عمّار كمدير للثقافة في مدينة قسنطينة ثم أستاذ بجامعة قسنطينة، بعد اصابته بحادثة اليمة داخل منزله توفي بن مالك عمّار سنة 1983 متأثرا بجروحه، بعد عمر ناهز 64 سنة.

محمّد غرناوط

عمّار بن محمّد قليل
(1342هـ - 1924م/1414هـ - 1994م)

هو عمار بن محمّد قليل؛ ولد سنة: (1342هـ/ 1924م)، ببلدة: "أولاد عربي" بدائرة (الميليّة) بالشّمال القسنطيني، والتابعة لولايّة (جيجل)، وقد ذكر في سيرته الذاتيّة التي دبجها بقلمه بأنه "أصغر إخوته البالغ عددهم ثمانيّة ذكور وأربع بنات"؛ تُوفي والده وهو في عامه الأول، فعاش بعدها يتيماً، فكفلته والدته وإخوته الكبار، ووالدته امرأة مُناضلة تنتمي إلى عائلة (بو الكرشة)، المتواجدة بكثرة في بلدة (بو البلوط) من (بني تفوت)؛ الذين هم من قبيلة (كُتامة)؛ و(بني تفوت) تعني

أبناء الشّمس، وهي قبيلة كبيرة، وتتوزع في مناطق جُغرافيّة شتى، من الجبال الواقعة في الطريق بين (ميلة) و(جيجل) من جانب، و(قسنطينة) و(سكيكدة) من جهة أخرى، وقد تعددت الرؤى بالنسبة إلى بنيتها القبليّة؛ وعائلة والدته (بوالكرشة) كانت لها الريادة في الانتماء إلى الثورة التحريريّة الكُبرى بالشّمال القسنطيني (الولايّة الثانيّة)، وكان منها مجموعة كبيرة من الأبطال والشّهداء، من أبرزهم:البطل الشّهيد (الأخضر بوالكرشة)، و(حسان بو الكرشة)، والمجاهد الفذ (الطاهر بو الكرشة)، و(بوزيد بوالكرشة)، وغيرهم، وقد ترعرع المجاهد والمؤرخ (عمار قليل) في أحضان والدته المُجاهدة التي اشتُهرت بالحزم والصرامة؛ فهي التي رعته، ووفرت له ظروف الدراسة التي كانت متوفرة ببساطة خلال العشرينيات من القرن المنصرم؛إذ تلقى تعليمه بمسقط رأسه ببلدة (أولاد عربي) كمعظم أبناء جيله في كتاتيب القريّة؛ فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، وكان منذ صغره مُولعاً بالمطالعة؛ فاشترك في جريدة (البصائر) الأسبوعيّة التي كانت تصدر عن جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين؛ومن هنا ندرك أنه قد نشأ نشأة وطنيّة وثقافيّة وإسلاميّة؛ وقد اتسم بشخصيّة عصاميّة في جميع مراحل حياته؛ فقد اعتمد على نفسه، وعلى قدراته الذاتيّة حتى يُحقق أهدافه، وقد نمّى شعوره الوطني في مرحلة مُبكرة من حياته، والتحق بتنظيم (حركة انتصار الحُريات الديمقراطيّة)؛ في أواخر الأربعينيات من القرن المُنصرم رفقة عدد من الشّباب من أبناء منطقته، وبعد اندلاع الثورة الجزائريّة المظفرة التحق بصفوفها في شهر (جمادى الأول1374هـ)؛ الموافق لشهر (يناير-جانفي1955م)، وقام بعدة أنشطة داعمة للعمل الثوري بمنطقة الشّمال القسنطيني؛والتي أضحت معروفة باسم (الولايّة الثانيّة) بعد مؤتمر الصومام المنظم بتاريخ: (14محرم1376م)الموافق (20أغسطس-أوت1956م)؛ وقد اشتهرت منطقة (الميليّة)التي كان يعمل بها المجاهد (عمّار قليل)، باسم: "مملكة الفلاقة" وهي التسميّة الذي أطلقها (الجنرال شال)؛ القائد العام للقوات المسلحة الاستعماريّة بالجزائر على المنطقة؛ نظراً لكثرة العمليات العسكريّة بها، وبسبب الصعوبات الجمة التي واجهها جيش الاحتلال الفرنسي بها؛ حيث جاء في كتاب "الوقت الضائع" في الفصل الذي يتحدث فيه (الكولونيل ترانكي) عن مخطط شال، قوله متحدثاً لترانكي: "سأعطيك قيادة المنطقة الأكثر صعوبة في الجزائر، إنها الميليّة. لقد مات بها عدة قواد، الكولونيل ماري الذي كان يحكمها اغتيل على بعد مائة (100) متر من المدينة، إنه ثاني كولونيل يقتل في المنطقة (الميليّة)، بالإضافة إلى اثنين من متصرفي المنطقة قتلا في مكتبهما.في العام الماضي قمنا بعمليّة استلزمت مجموعات كاملة لم نحصل خلال أيام عديدة إلا على بندقيّة صيد، شيء مضحك، ومؤسف في الوقت نفسه.هذا ما لا أريده أن يتكرر.الميليّة...إنها مملكة الفلاقة.هنا أريد أن أنهي الحرب، عندما تتغلب على تلك المنطقة عند ذلك ستنتهي الحرب...".ومن خلال كلام (الجنرال شال) يتضح الدور الكبير الذي لعبته منطقة (الميليّة)أثناء ثورة التحرير المباركة إلى درجة أنه يربط انتهاء الثورة الجزائريّة بالقضاء على منطقة (الميليّة).

وقد تقلد المجاهد (عمّار قليل) عدة مهام ثوريّة في صفوف جيش التحرير

الوطني، من بينها:قائد فرقة، ثم عُيّن مسؤولاً للاتصالات والأخبار بعدة أقسام لخدمة جيش التحرير الوطني، والعمل الثوري بمنطقة الشّمال القسنطيني، وبعدها أصبح عُضواً في قيادة الناحيّة الثانيّة برتبة (ضابط) إلى غاية وقف إطلاق النار يوم: (13شوال1381هـ)، الموافق: (19آذار-مارس1962م)، وبعد الاستقلال تقلد عدة مسؤوليات، وانتخب عُضواً في أول مجلس وطني تأسيسي في الجزائر المُستقلة؛ وذلك في شهر (ربيع الآخر1382هـ)، الموافق لـ (أيلول-سبتمبر1962م)؛ كما عُيّن مسؤولاً باتحاديّة حزب جبهة التحرير الوطني بدائرة (الميليّة)، وقد شارك في عدة مناسبات وطنيّة، وأسهم بمداخلات تاريخيّة كثيرة عن الثورة الجزائريّة، ودور جيش التحرير الوطني، وشارك ضمن وفد رسمي جزائري في افتتاح السّفارة الجزائريّة بعمّان في المملكة الأردنيّة، وقد استقبل من قبل الملك (حُسين)؛ ملك المملكة الأردنيّة الهاشميّة؛ الذي كرمه بمنحه وسام (الكوكب الأردني) من الدرجة الثانيّة؛ كما شغل المجاهد (عمّار قليل) منصب مراقب وطني في حزب جبهة التحرير الوطني، وعُيّن مُحافظاً بولايّة (الشّلف) عن مشروع سد الشّلف، وقد توفي يوم: (16ذو القعدة1414هـ)؛ الموافق لـ (27نيسان-أفريل1994م).

من أهم الكتب التي صدرت للمجاهد والمؤرخ (عمّار قليل)؛ كتاب: "ملحمة الجزائر الجديدة"، وهو بمنزلة موسُوعة تاريخيّة شاملة، ويقع في ثلاثة أجزاء، وقد صدر في طبعته الأولى عن منشورات مؤسسة دار البعث بقسنطينة، خلال سنة: (1412هـ/ 1991م)؛ جمع فيه عدة شهادات ووثائق ومعلومات ثمينة جداً عن تاريخ الجزائر، وأحداث ووقائع ثورة التحرير الجزائريّة العظيمة، ونُلفيه يُصرح في مقدمته، فيقول: " لم يكن يخطر ببالي يوماً أن أقوم بكتابة تاريخ الثورة الجزائريّة رغم مشاركتي في صفوفها كمجاهد في الولايّة الثانيّة، وكل ما فكرت فيه، هو كتابة مذكرات شخصيّة عن تجربتي الثوريّة أتركها لأبنائي من بعدي خصوصاً وأن معظمهم قد ولدوا بعد الاستقلال، ويجهلون الكثير عن أحداث الثورة التحريريّة، ولكن عدة أمور مستجدة فرضت نفسها على تفكيري مع مرور الزمن، وجعلتني أفكر جدياً في كتابة هذا الكتاب".

وقد أرجع أسباب تأليفه لهذا الكتاب الموسوعة إلى عدة أسباب، من أبرزها كثرة التساؤلات والاستفسارات التي كانت توجه إلى شخصه من لدن الشّباب، وجميعها تدور حول أحداث ثورة التحرير الجزائريّة، وتفاصيلها، وهو الأمر الذي جعله يشعر بمدى تعطش هذا الجيل لمعرفة المزيد من المعلومات عن تاريخ الثورة، إضافة إلى شعوره بأن الكتابة عن الثورة الجزائريّة العظيمة، هو جزء من الثورة نفسها، وهو واجب وطني مطلوب من كل مجاهد قادر على الكتابة أن يدون للأجيال هذه الملحمة من تاريخ الشّعب الجزائري الثائر ضد الظلم والاستعمار.

في الجزء الأول منه تحدث عن المراحل التي سبقت الاحتلال الفرنسي للجزائر، وأضاء على سياسة الإدارة الفرنسيّة للجزائر، وتوقف في عدة فصول من هذا الجزء مع ظهور الوعي الوطني، ونشأة نجم شمال إفريقيا، وجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وظهور الحركة الكشفيّة، وفي الفصول الأخيرة من هذا الجزء تحدث عن الظروف التي سبقت اندلاع ثورة التحرير، وقدم عدة تفاصيل عن اندلاع ثورة التحرير الجزائريّة، وتوقف وقفة مطولة مع هجومات20أوت1955م، التي خصص لها فصلاً مستقلاً، كما عالج في فصل خاص انعقاد مؤتمر الصومام ونتائجه، وعالج عدة قضايا تتصل بالظروف التي سبقت تنظيمه، وخصص الفصل الأول من الجزء الثاني من الكتاب للتفصيل في عدة أحداث ومجريات وقعت بالولايّة التاريخيّة الرابعة، وجعل الفصل الثاني من هذا الجزء للاستفاضة في القاعدة الشّرقيّة، وتطرق إلى عدة قضايا تتعلق بإيصال السّلاح إلى داخل التراب الجزائري، وفي الفصل الثالث توقف بالمعالجة والتحليل مع أحداث تكتسي أهميّة استثنائيّة تتعلق بسقوط الجمهوريّة الفرنسيّة الرابعة، وسياسة ديغول تجاه الثورة الجزائريّة، وتكوين الحكومة الجزائريّة المؤقتة، وقد كرس المُجاهد (عمّار قليل) القسم الأخير من الجزء الثاني للتوسع في مسيرة الثورة الجزائريّة في الولايّة التاريخيّة الثانيّة، وقد ضم الجزء الأخير من الكتاب عدة فصول تتضمن معلومات نفيسة جداً عن مسار الثورة الجزائريّة العظيمة، وقد ختم هذا الكتاب الموسوعة بكلمة وسمها ب (تقييم مسيرة الثورة في سطور)، ومن بين ما جاء فيها: " إن الانتصار الكبير الذي حققته الثورة الجزائريّة على واحدة من أعتى الدول الاستعماريّة لم يكن وليد الصدفة، أو نتيجة ضربة حظ جاد بها القدر على هذه الأمة؛بل كان نتيجة حتميّة لتوافر عدة عوامل كان لها الفضل مجتمعة في صنع الملحمة الجزائريّة الحديثة، وهذه العوامل على سبيل المثال لا الحصر، كالتالي:إعلان الثورة باسم جبهة التحرير الوطني، وكلمة الجبهة تعني انصهار جميع القوى الحيّة للأمة في بوتقة واحدة لا حزبيّة ولا شخصيّة...".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عمّار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الأول والثاني والثالث، منشورات مؤسسة دار البعث بقسنطينة، الجزائر، ط:01، 1412هـ/ 1991م.
- عمر شيخ العيدوني: مملكة الفلاقة، شهادة المجاهد عمر شيخ العيدوني على وقائع ثورة التحرير المباركة في الولايّة الثانيّة، دار الهدى للطباعة، والنشر، والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م.

■ عمّار بوصبيع
(1341هـ - 1923م/1417هـ - 1997م)

بوصبيع صالح عمّار، المولود في منطقة البياضة الواقعة جنوب مدينة الوادي، والمتوفى في مدينة وادي سوف.

قضى سنوات عمره في وطنه الجزائر وسافر إلى تونس من أجل الدّراسة، حفظ القرآن الكريم في صغره، بعد ذلك انتقل إلى مدينة نفطة جنوب تونس، حيث أتقن الحفظ في الزّاويّة العزوزيّة وتابع دروس أحمد بن حمد والشّيخ التّابعي وغيرهما. بعد ذلك رجع إلى الوادي وتابع دروس الشّيخ عبد القادر بن تيشة، وهو من خريجي جامع الزّيتونة فأخذ عنه قطر النّدى وبل الصّدى، والرّحبيّة لإبراهيم اللقاني، والرّسالة لابن أبي شنب، كما أخذ عن علماء وشيوخ آخرين علوماً مختلفة، وبعد تحصيله هذه العلوم سافر إلى تونس مرّة أخرى، والتّحق بجامع الزّيتونة ومكث هناك إلى غاية نيله شهادة التّحصيل في الشّعبة العلميّة عام 1951.

ولعلّ الفضل الأول في تعلّم الشّيخ عمّار يعود إلى والدّه الطّالب العايش إذ كان له الفضل الأكبر في حفظ القرآن ورسمه. وبعد عودته إلى وطنه الجزائر، انخرط في التّعليم في مدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، فدرّس في عين التّوتة ولايّة باتنة ومدينة العلمة ولايّة سطيف، وفي الجزائر العاصمة، وبسبب مواقفه الجريئة التي يجاهر بها تعرّض الشّيخ عمّار إلى السّجن مرّات عديدة حيث حبسته سلطات الاحتلال في سجن الرّويبة، وبو قندورة، وبرج الكيفان فعانى أشدّ التّعذيب والتّنكيل. يقول الشّيخ عمّار في رسالة خاصة أثبتها دودي محمّد البشير في كتابه: "عمّار بو صبيع. وجه من الثّورة والأدب": "أول ما بدأت العمل في الثّورة سنة 1956، أستاذاً مسبّلا تابعاً لمدرسة جيش التّحرير تدعى "مدرسة النّصيحة" بقريّة هراوة - عين طايّة - أتقاضى أجرة رمزيّة كمرتب جندي من النّظام. ثم ألقي عليه القبض بسجن رويبة من ديسمبر 1956 إلى ماي 1957 وكان أوّل سجن لي ثم من جوان 1957 إلى آخر أكتوبر التّحقت بصفوف جيش التّحرير، وفي أول نوفمبر 1957 إلى آخر ماي 1958 دخلت السّجن الثّاني ببو قندورة ثم العودة إلى سجن رويبة ثم بوقندورة ثم برج الكيفان آخر سجن لي. وخلال سنة 1958 بعد السّجن عدت للبياضة بالوادي فتتبعني الحاكم العسكري وكدت أُزَجُّ في السّجن ففررت لمدينة سطيف وانضممت في النّظام المدني متخفياً عن عيون العدو إلى غاية 1961 مشتركاً تحت أوامر المسؤول حسيني عبد القادر بسطيف ومتخفياً.

وفي نفس السّنة عدت إلى مدينة الوادي، حيث قمت بنشاط أكثر لصالح الثّورة، وقد كنت منسقاً لخلايا الثّورة وقاضياً وموجهاً وسياسياً. وقد كسرت ضلعي اليسرى في السّجن وعذبت بالكهرباء خمس مرات أثناء تنقلاتي من سجن لآخر". وبعد استقلال الجزائر عام 1962، اشتغل المجاهد الفذ عمّار بوصبيع مدرّساً في إكماليتي ابن باديس والأمير عبد القادر بمدينة وادي سوف إلى أن أحيل على التّقاعد عام 1986.

وبالإضافة إلى كونه مربياً ومصلحاً ومجاهداً فإنه كان من الخطباء المفوهين، فقد كان له حضور قويّ في المساجد والمناسبات المختلفة، وعلى الرّغم من تقدمه في السّن فإنه كان لا يؤدي نشيد جزائرنا إلا بلحنه المعروف.

يعرف عمّار بوصبيع أنّه الزّوج الأوّل للسيّدة الأديبة الوزيرة زهور ونيسي وله منها ولد.

نتاجه الأدبي:

لقد تمكّن تلميذه دودي محمّد البشير أن يجمع له تسع قصائد بلغت 150 بيتاً، والفضل يعود إليه فهو الذي أخرج شعره إلى النّور ووضعه أمام الباحثين وذلك في الكتاب الموسوم "عمّار بو صبيع وجه من الثّورة والأدب" ولولاه لبقي نسياً منسياً كغيره من الشّعراء الجزائريين في تلك الفترة الزّمنيّة العصيبة. ولعلّ الصّعوبة تكمن في أنّ الشّاعر عمّار بو صبيع كان لا ينشر تلك القصائد وإنما كان يوزعها على أصدقائه ويقرأها في المناسبات وفي هذا يقول عنه تلميذه الوفي "وقد سالنّاه عن الطّريقة التي يوزع بها قصائده قال: كنت أكتب القصيدة وأوزعُ نسخاً منها على بعض الزّملاء مثل الشّيخ المكي النّعماني الذي واساه بقصيدة، وكذلك حسن فضلاء وغيرهما". لذلك كان من الطّبيعي أن تضيع معظم قصائده.

ما يمكن أن نلاحظه بصفة عامّة على شعره هو أنه في غالبه شعر مناسبات وله بعض المساجلات الشّعريّة مع الشّيخ حمزة بوكوشة إضافة إلى بعض القصائد في الوطنيات. أمّا الوجدانيات فلها حضور متميز في شعره ونخص بالذكر أشعاره التي راسل بها زوجته الأولى وهذا الموضوع يندر جداً في الأدب العربي فما بالك بالأدب الجزائري الذي ابتعد في تلك الحقبة الزّمنيّة عن الذات واهتمّ كثيراً بهموم العباد والبلاد.

وقد امتاز المتاح من شعره بالتّلقائيّة والسّليقة بحيث لا نجد فيه تكلفاً أو زخرفة أو تنقيحاً، ولكنها مشاعر ذاتيّة تفيض على صاحبها وتتوارد كما تتوارد الخواطر بكل عفويّة وانسيابيّة. ومع كل هذا فإنّ شعره يتميز بسلامة اللغة وجزالة اللفظة وقوتها. مع إحكام وعذوبة في العبارة ونشاط في الخيال. وإن كنا نسجل عليه في بعض الأحيان أخطاء عروضيّة، ولعلّ مرد ذلك إلى أثر السّنين الطّويلة التي مرّت على هذا الشّعر واعتماده على حافظته فقط دون تقييده، وأنه كان يمليه إملاءً.

نماذج من شعره:

ربة البيت أشيدي

ربةَ البيت أشيدي
قاعدَ البيت الجديدِ
وأعيدي في ابتهاج
سالف الودّ التّليد
فقد ارتاح فؤادي
في حنين للنشيد

واستلان في اعتـزاز قافي الشّعر العنـيد
وستعلو قمّتاه فوق أطلال الوجود
ويعود الحسن فيه مثل أزهار الورود

يا زهور

هـي في أصلها قصيدة طويلة لكن نسيها الشّـاعر ولم يتذكر منها سـوى هـذه الأبيات الثّلاثة وخسـرنا نحن بذلـك حلقة مهمة من هـذا الشّـريط الأثـري النّـادر فصبـر جميل. ظاهر الأمـر أنه يقارعها ويبرز لهـا مزاياه في مجـال تحصيل العلـوم. والقصيـد في نفس الوقـت دالّ علـى تفـوّق البطلة فـي المجال العلمـي حتى أنهـا كانـت حديث أسـاتذتها ومعلميها

يا زهور قد أثرتِ عجباً
وبلغتِ في الأمانـي الرّتبا
قد طلبتِ أن نخوض الأدبا
فطغـى الشّعر وفاق الأربا
وحدانـي في القصيد نغم
فتعاليتُ وفقت الشّهبا

شباب الجزائر

حـدّث المترجم له أنه كتب هذه القصيدة خـلال شـهر مـاي 1958 بعـد خروجـه مـن السّجـن بطلب من صهره عبد الله بن عثمان بكاري الذي دعاه لكتابة نشيد جزائري

شباب الجزائرْ شباب غضوب
أذلّ الأعادي بأضرى الحروبْ
ويوم النّزال يجلي الكروب
ويحمـي الحما بالدّما والسّلاح
صعدنا الجبال بـروح الفدا
وأبطالنّا قد تحدوا العدا
وأوراس حقاً لنا شهدا
بثورة شعب أشاد الكفاح
أعزتْ مدافعنا جرجرا
وبوزقزا للزحف نادى القرى
وهبت جيوشنا ملء الثّرى
تنـيل الدّخيل الفنا والجراح

رابح دوب

المصادر:

- دودي محمّد البشيـر: عمّار بو صبيـع. وجه من وجوه الثّورة، مجمع مناعي للفنون والبـيان وادي سوف، الجزائر 2006؛
- رابح دوب: موسوعة شعراء عصر النّهضة في المغرب العربي، الجزء الرّابع، دار بهاء الدّين، قسنطينة، الجزائر، 2014.

■ عمّار زعموش
(1369هـ - 1950م/1422هـ - 2001م)

عمّـار زعمـوش، وُلـد سـنة: (1369هـ/ 1950م)، بمنطقـة (سـيدي معاش)التّابعة لبلديّة (تاملوكـة) بولايّة قالمة، تربَّى فـي أحضان قريّة (سـيدي معـاش)، وحفـظ ما تيسّـر مـن القرآن الكريم في كتاتيبها؛ كما تعلم فيها مبادئ العربيّة، ثم واصل دراسته متنقّلاً بين (قسنطينة)، ومسقط رأسه في (سـيدي معاش)، وفي سنة (1396هـ/ 1976م) أحرز شـهادة الإجازة (الليسـانس) من معهد الآداب واللغـات والثّقافة العربيّة بجامعة (قسنطينة)، وسـجل في السّنة نفسها في مرحلة الدّراسـات العليـا؛ فنـال شـهادة الماجسـتير فـي الأدب العربـي الحديـث، يـوم: (14رجب 1400هـ)، الموافق: (7يونيو - جـوان 1980م)، بعد أن قدم رسـالة موسـومة ب: "نظريّة الشّـعر عند محمّد مندور"، وقد تألفت لجنة المناقشـة مـن: الدّكتـور (شـكري محمّـد عيـاد) مشـرفاً ومقـرراً، والدّكتـور (سـعد الدّيـن الجيـزاوي) رئيسـاً، والدّكتـور (أحمد علي شـرارة) عضواً، والدّكتور (سمير حجازي) عضواً.

وفي سنة: (1411هـ/ 1991م)، نال شهادة دكتوراه الدّولة في النّقد المعاصر، من قسـم اللغـة العربيّـة وآدابهـا فـي جامعـة الجزائر المركزيّـة، بعد أن قـدم أطروحـة معنونة بـ: إشـكاليّة الواقعيّـة فـي النّقـد المُعاصر، وقد أشـرف عليهـا الأسـتاذ الجامعـي والرّوائي (واسـيني الأعرج)؛ وتقلّد الأسـتاذ الباحث (عمّار زعموش) عدّة مناصب ومسـؤوليات إداريّـة من بينهـا: رئيس دائـرة اللغـة العربيّة بجامعة قسـنطينة خلال الفتـرة الممتدة من: (1977-1981م)، ثـم عمـل مديـراً مسـاعداً مكلفـاً بالبيداغوجيا خلال السّـنة الجامعيّة: (1986-1987م)؛ كمـا عمـل رئيسـاً لقسـم اللغة العربيّة وآدابهـا بكليّة الآداب واللُّغات بجامعة قسـنطينة سـنة: (2000م)، وإلى غاية وفاته سنة: (1422هـ/ 2001م).

وقـد كان للباحـث الدّكتـور (عمّـار زعموش) نشـاطات علميّة مكثفـة ومتميزة؛ ولاسـيما خـلال سـنوات الثّمانينيـات والتّسـعينيات من القرن المنصرم؛ فقد نشـر عشرات الدّراسـات والأبحاث في الصّحف والمجلات الجزائريّة والعربيّة، ولاسيما في جريدة (النّصـر) الجزائريّة العريقـة، ومجلّة (الثّقافـة) التي كانت تصدرهـا وزارة الثّقافة والإعلام بالجزائر.

ومـن أهـم مؤلّفـات الباحـث الدّكتـور (عمّـار زعمـوش)، كتـاب: (دراسـات فـي النّقـد الأدبي)، والذي صدر عن منشـورات مؤسّسـة دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع بمدينـة قسـنطينة، سـنة: (1998م)، وكتـاب: (النّقد الأدبي المعاصر في الجزائر - قضاياه واتجاهاتـه-)، والذي صدر عن منشـورات جامعـة منتوري بقسـنطينة، سـنة: (2000م)، ومـن بيـن الدّراسـات التـي نشـرها النّاقـد الرّاحل (عمّار زعموش) دراسـة معنونة ب: مفهوم النّقد الأدبي في نظر النّقاد الجزائريين نُشـرت في العدد الأوّل من المجلد (30) من مجلّة: عالم الفكر؛ والذي صدر خلال شهر

سبتمبر (2001م)؛وهي مجلّة دوريّة مُحكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنّون والآداب بدولة الكويت، ومن أبرز القضايا التي نبه إليها في هذه الدّراسة أن مهام النّقد ودوره في الحركة الأدبيّة–حسب منظور النّقاد الواقعيين–، تدور ضمن النّقاط الآتيّة:

– تفسير الأعمال الأدبيّة والفنّيّة وتحليلها، والكشف عن العوامل المؤثرة فيها، وإدراك أغراضها القريبة والبعيدة.

– تمييز العمل الأدبي الجيد عن العمل الرّديء، والاهتمام بالبذرات الطّيبة خاصّة.

– تقويم العمل الأدبي وتحديد مكانه في خط سير الأدب.

– تحديد دور العمل الأدبي في المجتمع ومدى تأثّره بالمحيط وتأثيره فيه.

– الكشف عن القوانين الخاصّة والعامّة التي يتسم بها كل عمل إبداعي، وعلاقة ذلك بالحركة الأدبيّة المعاصرة داخل الوطن وخارجه.

– تأكيد القيم الحضاريّة والفكريّة والفنّيّة التي يجب على المبدع أن يحققها في عمله الإبداعي.

– القيام بتعميق الوعي الأيديولوجي والفنّي لدى كل من الكاتب والقارئ، وتنميّة مشاعرهما وإحساسهما الجمالي بقضايا واقعهما ومجتمعهما.

– العمل على التّأثير في الحركة الإبداعيّة ككل، وتوجيهها نحو التّعبير على الطّموح الإنساني والاتجاه الحضاري المتقدم؛ الذي يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعيّة والقضاء على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

وقد انتهى الباحث الدّكتور (عمّار زعموش) في ختام دراسته إلى أن أغلب النّقاد ذهبوا إلى تقسيم النّقد إلى قسمين رئيسين، هما: النّقد النّظري والنّقد التّطبيقي، ويعتبرون النّوع الثّاني نتاجاً للنقد النّظري الذي يزوده بالأصول والمعايير والوسائل المنهجيّة التي يُمكن أن يستند إليها في دراسته للنص الأدبي، واستشهد بمنظور النّاقد الجزائري (عبد الملك مرتاض) الذي يرى أنّ النّقد النّظري ضروري لازدهار العقل المعرفي من حيث هو ذو طبيعة تأصيليّة. كما حلل الباحث (عمّار زعموش) مجموعة من الرّؤى التي قدمها النّاقد (عبد الله ركيبي)، والنّاقدة (عمّاريّة بلال)، الشّهيرة ب (أم سهام)، حيث نجده يختم دراسته بالقول: "لذلك نجد الدّكتور عبد الله ركيبي يدعو النّقاد إلى عدم الفصل بينهما قائلاً: (إن المهم أيضاً ألا نفصل بين النّظريّة والتّطبيق، فمشكلة النّقد عندنا في الجزائر تتمثل في هذا الفصل بين الوعي بالنّظريّة وبين عدم تحقيقها وتطبيقها في النّص المنقود)، لأن الفصل بينهما كثيراً ما يؤدي بالنّقاد إلى الانحراف بالنّقد عن منحاه. وإن كنا لا نعدم وجود رأي آخر مخالف لهذا التّصور، فالنّاقدة (عمّاريّة بلال) الشّهيرة بـ (أم سهام)ترى على الرّغم من اعترافها بأهميّة النّقد النّظري أن (النّقد الذي يمتزج فيه العلم بالفنّ يعتبر الإطار الضروري الذي تتشكل في داخله الأعمال الإبداعيّة وتنمو نمواً إيجابياً أو سلبياً، فعلى الرّغم من أهميّة الجانب التّنظيري الذي يُهيئ الأرضيّة الخصبة ويُوجه إلى الطّريق الصّحيح ويثير بلا شك حساسيّة الذوق والجمال لدى الأديب، فقد تبين أن الجانب التّطبيقي الذي يتناول العمل الإبداعي عن طريق التّفاعل معه والالتّحام الكامل مع أجزائه واستجلاء صوره الدّاخليّة والخارجيّة والتّذوق القائم على الرّؤيّة الصّحيحة السّليمة له أيضاً له أيضاً أهميته الكبرى ودوره الفعال). والحقيقة أن النّوعين لهما أهميتهما في العمليّة النّقديّة، وإن كان التّركيز في الغالب يتجه إلى النّقد التّطبيقي الذي تتطلب ممارسته شيئاً من الإلمام بالجانب النّظري، لأنّه أساس كل سلوك...".

وقد عرّف الباحث (عمّار زعموش) برسالتّه التي أنجزها في مرحلة الماجستير، وهي موسومة ب: "نظريّة الشّعر عند محمّد مندور"، في مقال نشره في العدد: 59، شوال– ذو القعدّة 1400هـ، سبتمبر– أكتوبر1980م، وقد نبه منذ البداية إلى أن محمّد مندور يعتبر من النّقاد البارزين الذين تركوا لنا تراثاً نقدياً غزيراً ومتنوعاً يجمع بين التّنظير والتّطبيق، ومع ذلك نجده لم ينل حظه في الدّراسات النّقديّة التي تناولت النّقد الحديث، فمعظم الكتب النّقديّة الحديثة لا نجد فيها شيئاً يذكر عن مندور وجهوده النّقديّة، ويبدو من خلال هذا التّمهيد، إنّه السّبب الرّئيس الذي دفع الباحث (عمّار زعموش)للنهوض بإنجاز هذه الرّسالة الجامعيّة، حيث شرح بدقة أسباب ودوافع إنجازه لرسالة الماجستير هذه، فنلفيه يصرح: "بقي الجانب الشّعري عنده مهملاً تقريباً باستثناء بعض المقالات القصيرة التي نُشرت على صفحات المجلات كمقالة جابر عصفور التي نشرها في مجلّة (الكاتب) وتناول فيها نقد الشّعر عند محمّد مندور. وانطلاقاً من ذلك وجدت نفسي مندفعاً لدراسة هذا الجانب، وبعد اطلاعي على تراثه النّقدي لاحظت أن آراءه الشّعريّة يمكن أن تكون شبه نظريّة شعريّة متكاملة الجوانب. هذه النّظريّة التي قلما تتوفر أصولها لدى ناقد منفرد لا ينتمي لمدرسة أو لاتجاه مُعين. فناقدنا محمّد مندور قد حاول أن يخلق نظريّة شعريّة مُستمدة من اتجاهات ومذاهب مختلفة. وقد أطلقنا على بحثنا هذه التّسميّة: (نظريّة الشّعر عند محمّد مندور)، لأنّه يهتم بما هو عام وشامل لمجمل العمليّة الإبداعيّة في الشّعر، وهو يعد من ميادين (نظريّة الأدب) التي تهتم بالكشف عن القوانين الموضوعيّة التي تتحكم في الظواهر الأدبيّة؛ ذلك أن مهمّة النّقد تقييميّة؛ أي بيان القيمة التي ينطوي عليها العمل الأدبي. وإن كانت العلاقة بين تنظير الشّعر ونقده علاقة وثيقة مما جعل الكثير من النّقاد لا يميزون بينهما".

ومن أهم النّتائج التي توصل إليها الباحث (عمّار زعموش) في رسالتّه، وذكرها في مقاله أن نظريّة الشّعر عند محمّد مندور مرت بمرحلتين أساسيتين تتميز كل منهما بتغليب عناصر على أخرى، ففي المرحلة الأوّلى التي تبتدئ بعودته من أوروبا وتنتهي تقريباً بانتصار ثورة 23 يوليو 1952م، أو بعدها بقليل، نجده يستمد معظم مفاهيمها من النّقد العربي القديم، خاصّة نظريات عبد القاهر الجرجاني الذي يتفق معه في معظم آرائه النّقديّة ومفاهيمه الشّعريّة واللغويّة،

ولا ينفي هذا تأثّره بالثّقافة الأوروبيّة السّائدة في تلك الفترة، خاصّة الكلاسيكيّة والرّومانسيّة منها، وأما في المرحلة الثّانيّة، فقد غلب عليها تأثّره بالثّقافة الغربيّة؛خاصّة الاتجاه الاشتراكي منها.

كما ناقش الباحث (عمّار زعموش) في بعض أبحاثه قضايا الشّكل والمضمون في النّقد العربي المُعاصر، ونذكر من بين المباحث التي خصصها لمعالجة هذه القضيّة، دراسة نُشرت له في العدد الثّاني من مجلّة (الآداب) سنة: (1416هـ/ 1995م)؛ وهي مجلّة أدبيّة فكريّة مُحكمة تصدر عن معهد الآداب واللغة العربيّة بجامعة قسنطينة.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

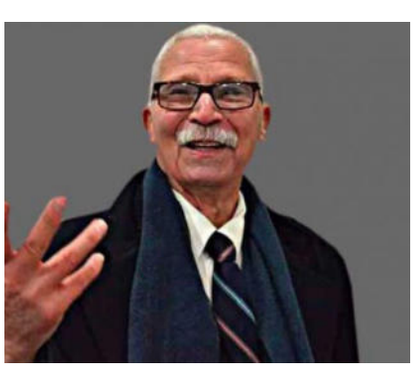
المصادر:

- د. عمّار زعموش: نظريّة الشّعر عند محمّد مندور، مجلّة الثّقافة، مجلّة تصدرها وزارة الإعلام والثّقافة بالجزائر، السّنة العاشرة، العدد: 59، شوال- ذو القعدّة 1400هـ/ سبتمبر- أكتوبر1980م، ص:67 وما بعدها؛
- د. عمّار زعموش: مفهوم النّقد الأدبي في نظر النّقاد الجزائريين، مجلّة عالم الفكر، مجلّة دوريّة مُحكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنّون والآداب بدولة الكويت، المجلد: 30، يوليو- سبتمبر2001م، ص: 99 وما بعدها؛
- د. أحمد شريبط: معجم أعلام النّقد العربي في القرن العشرين (تأليف مشترك)، وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، والاجتماعيّة، مخبر الأدب المقارن والعام، الطّبعة الأوّلى، 2004م.

■ عمّار علالوش
(1958هـ - 1939م/1442هـ - 2020م)

ولد عمّار علالوش يوم 15 جانفي 1939 بالميليّة في ولايّة جيجل، تلقى دراساته في المجال الفنّي بالمدرسة الوطنيّة للفنّون الجميلة بالجزائر العاصمة، ودرَّس على مدار سنوات بمدرسة الفنّون الجميلة بقسنطينة، بعد تخرجه من معهد الهندسة المعمّاريّة والفنّون الجميلة في الجزائر العاصمة، قدم علالوش دروسا وحاضر في عديد مؤسسات الفنّون الجميلة وورشات العمل المتخصصة في أوروبا، وبعض دول المشرق العربي، ما مكنه من تحقيق مكاسب جديدة ومهارات في مجال الفنّ بصفة عامة،وعالم الفنّون التّشكيليّة على وجه الخصوص.

اشتغل عمّار علالوش كأستاذ ومدرّس في عديد المدارس والجامعات، منها معهد الهندسة المعمّاريّة والتّخطيط العمراني بجامعة قسنطينة، وكليّة الإعلام بجامعة قسنطينة، والمدرسة الوطنيّة للهندسة المعمّاريّة والفنّون الجميلة، كما قدم محاضرات في جامعات غربيّة وعربيّة تخص الفنّ التّشكيلي ومدارسه. وشغل منصب مدير الصناعات التّقليديّة والحرف لولايّة قسنطينة، ومسؤول



دائرة الفنّون بالمتحف المركزي للجيش الوطني الشعبي بالجزائر العاصمة سنة 1984م.

يعد عمّار علالوش من أبرز الأسماء المختصة في الفنّ التّشكيلي المعاصر، على الصعيد المحلي والوطني وحتى الإقليمي والدولي. كما ترأس جمعيّة الفنّانين التّشكيليين الجزائريين لسنوات بعد انتخابه رئيسا لها سنة 1993م. وتمّ تعيينه سنة 2015 كمحافظ لمعرض الفنّانين التّشكيليين القسنطينيين بمناسبة "قسنطينة عاصمة الثقافة العربيّة".وكرئيس للجنة التّحكيم، علاوة عن كونه فنّان تشكيلي محترف، فهو كذلك باحث ومؤلف للعديد من الكتابات والانتقادات في الفنّ، وتعبر أعمال الفنّان علالوش عن روح فنّان يتعذب بآلام الإنسان على حد تعبيره، ويكمن مصدر جمالها في الصدق، وهي شهادة لرجل كشف بأفكاره ومشاعره ومهارته عن لمعان ثقافته وشارك بالتّالي في بناء التّراث العالمي للفنّ الحديث. أخذت الرموز في فنّ عمّار علالوش، شكلا وحساسيّة، قصد الحصول على وضوح الرؤى والطروحات الفنيّة، فبعد أن مارس الفنّ التّجريدي، طبق قاعدة أخلاقيّة تكمن في البحث عن الجوهر، الذي يتم إيجاده وبلوغه من خلال الرمز، والعلامة على وجه التّحديد، وللنجاح في التّكامل مع زمنه، استعان علالوش بالتّقنيات الحديثة، فقرأ الأشكال الهندسيّة قراءة جديدة على غرار بول كلي، وهكذا تجد رموز علالوش في كل واحد منا، بشرط فهمها، مسار يمتد من القلب إلى أعماق وطن ممتع وكريم، إذ لا يكتفي فنّ علالوش بكشف الرموز المتواجدة في رسوماته ومنحوتاته، بل هو في حد ذاته رمز للفنّ الحقيقي، وفي طريقة رسمه، تخضع التّقنيّة المعتمدة لمتطلبات عمله الفنّي، وكان الفنّان عمّار علالوش يركز في عمله على مواضيع بحد ذاتها، تميل إلى

الهندسة المعمّاريّة والفنّون وكان يهتم بالبيئة والشيء، الفنّون والمهن، وكانت أعماله تتسم بالميل إلى الثقافة التّقليديّة المغاربيّة التي تتناول مواضيع الحداثة والبحث عن الهويّة في ماضي الأجداد، كما اشتغل على مؤلف في هذا المجال بعنوان "الفنّون التّشكيليّة الجزائريّة في مواجهة أصولها وتاريخها من الطاسيلي إلى اليوم"، حيث تطرق إلى التّأثير والتّأثر، عن الخصوصيّة والعولمة، كما تناول المفاهيم الجديدة في مجال الفنّ للتقنيات والممارسات الحاليّة التي لها علاقة بالتّكنولوجيّة وبالتّفاعليّة.

عمّار علالوش، صاحب الظل الخفيف والابتسامة التي لا تفارق شفتيه، ناضل من أجل مشروع مغاربي لخلق فضاء للحوار والتّواصل بين الفنّانين التّشكيليين، حيث أكد خلال العديد من المحاضرات التي قدمها، على ضرورة اكتشاف ما تزخر به البلدان المغاربيّة من مبدعين، والتّعريف بثقافتها من خلال إقامة معارض مشتركة، وبذلك خلق فضاءات للتواصل والنقاش والتّبادل المعرفي الثقافي والاستثمار في العقل البشري، وكان يرى أن الفنّون التّشكيليّة في المغرب العربي، لا تحظى بالاهتمام اللازم ويعاني فنّانوها من التّهميش. وكان حلم علالوش، استرجاع أعماله الفنيّة التي بقيت في تونس، حيث انتقل الفنّان سنة 1993 إلى الجارة،وعين عضوا في اتحاد الفنّانين التّشكيليين التّونسيين ،وعضو مؤسس في الأيام المتوسطيّة للفنّون التّشكيليّة بسوسة، وعضو في اللجنة الدوليّة لمسابقات الفنّون التّشكيليّة للشباب لحوض المتوسط سنة 1998، فأقام هناك وشارك في العديد من المعارض والمواعيد الفنيّة وأبدع في مختلف الأعمال الفنيّة، التي لم يستطع جلبها معه عند العودة إلى الجزائر، كما كان الفنّان يسعى ضمن مشروع يهدف إلى جمع شمل الشباب المهتم بهذا الفنّ وتنظيم الفنّ التّشكيلي الذي يعاني نوعا من الفوضى، حيث كان يرى أنه من الضروري تصفيّة هذا المجال من الدخلاء لإتاحة الفرصة للمبدعين فقط.

عمي عمّار الفنّان كان أيضا الصديق الوفي للصحفيين، يتضامن معهم ويجالسهم حيث وجدهم، وأتذكر مقولته الشهيرة التي كان يواجهنا بها كصحفيين عندما يلتقي بنا صدفة في شوارع قسنطينة: (احكمتك وين رايح)، ولا يبارح أي صحفي، إلا بعد أن يقاسمه ارتشاف فنّجان قهوة وسط حكايات عن الفنّ والجزائر وابتسامات متتاليّة.

عمّار علالوش الفنّان الكبير ترك وراءه رصيدا هاما من اللوحات الفنيّة التّشكيليّة القيمة الموجودة في أشهر متاحف الجزائر وخارجها، شارك في عديد المعارض الوطنيّة والدوليّة وتألق بشكل لافت طوال مسيرة فنيّة حافلة بالعطاء والتّميز، كما بيعت لوحاته عدة مرات، وهي بين أيدي وفي إقامات سياسين ومثقفين ومشاهير داخل وخارج الوطن، وتمّ تكريمه يوم 8 جوان 2020 من قبل وزارة الثقافة الجزائريّة بمناسبة اليوم الوطني للفنّان باعتباره قامة من قامات الفنّ التّشكيلي في الجزائر، وفنّانا من الذين ناضلوا من أجل توحيد صوت الفنّانين الجزائريين. كما تم تكريمه في العاشر أوت خلال الدورة 33 من مهرجان المحرس الدولي للفنّون التّشكيليّة بتونس رفقة الفنّان الراحل عمران بشنة من ليبيا. وقبل ذلك تم تكريمه من قبل رئيس الجمهوريّة الشاذلي بن جديد سنة 1987م، كما تم تكريمه بمدينة أليكانت في إسبانيا سنة 1999،بإعتباره من كبار الفنّانين التّشكيليين لحوض المتوسط،وكرم أيضا على هامش الأيام المتوسطيّة للفنّون التّشكيليّة سنة 2002 بتونس إلى جانب الفنّان والفيلسوف (روني باسيرو/ Rennie Bassirou) عميد بجامعة السوربون.

لم ينقطع عمي عمّار أبدا عن الإبداع وعن خلق آفاق للتعاون بين الفنّانين سواء في الجزائر وتونس والمغرب، أو في حوض البحر الأبيض المتوسط،تلك المساحة التي أراد أن يجعلها حوضا للأمن والسلم "جماعة أمنيّة" كما يقال في العلاقات الدوليّة،وهذا انطلاقا من مضامين لوحاته وخطابه التّشكيلي،وكذا عناوين المعارض التي ملأ بها قاعات العروض داخل وخارج الوطن.

وشارك الفنّان علالوش في عديد المعارض الوطنيّة والدوليّة نذكر منها: المعرض الجماعي للفنّانين التّشكيليين الجزائريين بقسنطينة سنة 2015 بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربيّة، المعرض العالمي للفنّون التّشكيليّة بإشبيليّة سنة 1992م، المعرض الدولي للفنّون التّشكيليّة (من إفريقيا إلى إفريقيا) سنة 1994 بتونس، معرض كبار التّشكيليين المغاربة سنة 2009 بباريس، ومعرض الرسم والسفر سنة 2000 بلندن، نيويورك، ستوكهولم، وبروكسل.كما كان دائم الحضور في معارض برلين الدوليّة بألمانيا.

الفنّان علالوش يعشق أيضا الموسيقى ويعزف على الناي بشكل جيد يحب فريد الأطرش وفيروز ومحمد عبد الوهاب وعيسى الجرموني وخليفي أحمد.

توفي الفنّان عمّار علالوش بقسنطينة يوم الخميس 16 جويليّة 2020 بمقر مسكنه بعد وعكة صحيّة ألزمته الفراش لأيام.

يزيد سلطان

المصادر:

- الفنّانون التّشكيليون القسنطينيون.عمّار علالوش، وزارة الثقافة، ط 2015
- شهادات حيّة لابنة الفنّان الأستاذة نعيمة علالوش، قسنطينة يوم 23 سبتمبر 2020.

■ عمّار مطاطلة
(1333هـ - 1915م/1437هـ - 2015م)

ولد الشّيخ عمّار مطاطلة في 26 نوفمبر 1915 ببلديّة عين قشرة ولايّة سكيكدة. وجهه والده منذ نعومة أظفاره لطلب العلم، فتعلّم حروف الهجاء والقرآن العظيم على يد الشّيخ محمّد بن علاوة وهو معلّم قرآن معروف في ناحيّة عين القشرة. ثم انتدبه والده لتلقين القرآن لأولاد المنطقة تحت إشرافه، ثمّ جلب والدُه فقيها يدعى الشّيخ مسعود بن العيساني من منطقة الميليّة ليعلّمهم عقائد التّوحيد والمبادئ النّحويّة والفقهيّة ثمّ خلفه الشّيخ أحمد بن العابد الذي درّسهم الأجروميّة في النّحو والسّجاعي في الصّرف والجوهرة في التّوحيد، والشّيخ الأخضري في الفقه.

ثمّ أُخْتِير الشّيخ عمّار مطاطلة من ضمن عشرة شبّان للذهاب إلى مدينة القل للدّراسة على يد الشّيخ عبد العزيز بن الحاج الصّادق الذي تتلمذ على يد الشّيخ عبد الحميد بن باديس فدرس معه ابن عاشر وقطر النّدى وبلّ الصّدى وصحّح معه ما درسه من قبل.

ولما بلغ التاسعة عشر من العمر سنة 1934 التحق بالجامع الأخضر بقسنطينة مدرسة الشّيخ عبد الحميد بن باديس الشّهيرة، فاجتاز امتحان القبول، وأصبح طالبا في المدرسة البادسيّة.

واستمرّ بالجامع الأخضر حتّى أكمل دراسته سنة 1938. ولكن بسبب تعلّقه بالشّيخ ابن باديس استأذَن والدَه في البقاء سنة أخرى فأذن له.

وفي سنة 1939 اندلعت الحرب العالميّة الثّانيّة فعاد إلى بلدته عين القشرة.

لم يكتف الشّيخ عمار مطاطلة بالاغتراف من العلم الوافر لمعلمه الجليل العالم الرباني المجدد، والفقيه المجتهد، ولكنه تأثر بخصاله الأخلاقيّة كصرامته في الحفاظ على الوقت وجديته في العمل.

في سبتمبر 1949 أصبح الشّيخ مطاطلة معلما بمدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين فالتحق بمدرسة التّهذيب بـ (شاطودان) (شلغوم العيد حاليا) وبقي هناك سنتين. وفي سنة 1951 نُقل إلى وهران حيث



التحق بمدرسة التربيّة الواقعة بحي الحمري وكُلِّف بإدارة مدرسة التّربيّة والتّعليم، وبعد سنة حُوّل إلى مدرسة مديوني بالمدينة نفسها.

وفي سنة 1953 بطلب من الشّهيد الشّيخ العربي التّبسي، توجّه إلى مدرسة سبدو التي تقع جنوب غرب مدينة تلمسان حوالي 35 كيلومترا فأشرف على إعادة بناء المدرسة التي كانت عبارةً عن غرفتين ولا تفي بالغرض وحولها إلى مدرسة حديثة وبنى بجانبها مسجدا، وكان الافتتاح يوم 27 سبتمبر 1953 واستمر في نشاطه التّعليمي للنّشء ويؤمّ النّاس في المسجد، بما في ذلك صلاة الجمعة، ويعلّمهم القرآن.

أثار افتتاح هذا الصرح التعليمي والديني بمدينة سبدو غيظ ونقمة وحقد عملاء الاستعمار ودعاة الجمود والدجل، وسعوا للكيد له عند إدارة المستدمر الفرنسي، الذي قام ببث جواسيسه لمراقبة المدرسة وكتابة التقارير حول دروس معلمها (الشّيخ عمار مطاطلة) وعن دروسه الدينيّة وخطبه الجمعيّة للمواطنين. انتبه الشّيخ مطاطلة لوجود جواسيس فرنسا، ولكنه لم يغير من طبيعة دروسه وخطبه التي كانت تتعمد بث الوعي الوطني والإصلاح الديني في النّاشئة وعند المواطنين. فالشّيخ عمار مطاطلة معروف بصلابته في الحق وعدم التنازل عن مواقفه وقناعاته في كل الظروف.

وفي سنة 1956 تَمّ غلق المدرسة والمسجد معا من قِبل السّلطات الاستدماريّة الفرنسيّة التي اعتقلت جلّ أعضاء المدرسة واغتالت البعض الآخر، ووضعت الشّيخ عمّار مطاطلة تحت الإقامة الجبريّة.

وبعد أن قضى الشّيخ عمّار مطاطلة مدّة الإقامة الجبريّة، قامت جبهة التّحرير الوطني بتهيئة وسائل إخراجه من تلمسان، وتم نقله إلى مدينة وجدة بالمغرب الشّقيق وذلك في أواخر عام 1956.

بالمغرب الشّقيق أشرف الشّيخ عمّار مطاطلة على تسيير مُجمّع مدرسي يحتوي على مستويين ابتدائي ومتوسّط فكان هذا عمله بالنّهار؛ أمّا باللّيل فكان يعمل في نطاق جبهة التّحرير حيث تولّى مهمّة منظّم في الثّكنة التي كان يشرف عليها الرّئيس الرّاحل هوّاري بومدين وعبد الحفيظ بوصوف، واللّذان طالبا منه تسخير إمكاناته العلميّة لخدمة الثّورة الجزائريّة داخل المغرب الشّقيق، وكان اسمه الثّوري عبد الله.

بعد استرجاع الاستقلال عاد الشّيخ عمّار مطاطلة في جويليّة 1962 إلى تلمسان، فعُيّن بإحدى مدارس سبدو التي كان معلّما حرّا بها أيّام الاستدمار مساهما في عمليّة البناء والتّشييد.

انتقل الشّيخ عمار مطاطلة من تلمسان إلى العاصمة حيث عُيّن بمدرسة بحي الأبيار أين استقرّ به المُقام. وانتظم في الجامعة لتحضير شهادة الكفاءة للتفتيش. التحق الشّيخ بعدها بالأكاديميّة ثمّ بالمركز الوطني لمحو الأمّيّة سنة 1972 وترأّس البعثة الجزائريّة التي شاركت في دورة تدريبيّة بالقاهرة في نطاق منظّمة الأمم المتّحدة للتّربيّة والعلوم والثّقافة سنة 1974. ثمّ واصل الشّيخ بعدها العمل في المركز إلى غاية تقاعده عام 1978، ليتفرّغ سنة 1981 لحمل مشروع بناء مسجد "البرهان" بحي الأبيار على عاتقه الذي عمل به إماما متطوّعا، كما كان من مؤسّسي مسجد الخلفاء الرّاشدين

بالحي نفسه. وكان من العلماء الأحرار عُرف بقول كلمة الحقّ والشّجاعة في أداء الشّهادة، وتعرّض للأذى ولكنّه لم يبال به، وواصل مسيرته في العمل الجاد وحُسن النّيّة والنّصح لله ولرسوله وللمؤمنين.

كان الشّيخ عمار مطاطلة من المساهمين رفقة الشّيخ أحمد حماني والشّيخ عبد الرحمن شيبان في إعادة تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين في سنة 1991، وكان من الكتاب البارزين في جريدة البصائر، كما عُيّن بعد المؤتمر الثالث للجمعيّة في سنة 2008 رئيسا شرفيا لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين.

تبرع الشّيخ عمّار مطاطلة قبل وفاته بمكتبته العامرة النّفيسة المحتويّة على مئات الكتب إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة بقسنطينة.

ترك بالإضافة إلى عشرات المقالات، مذكّرات عن حياته ومسيرته العلميّة والتعليميّة والنّضاليّة في جزأين بعنوان: "مذكّرات حياة " الجزء الأول و"ذكريات أحداث"الجزء الثاني، طبعت سنة 2012.

توفّي الشّيخ عمّار مطاطلة يوم الاثنين 03 جمادى الآخرة 1436 هجريّة، الموافق لـ: 23 مارس 2015 بمنزله بحي الأبيار بالجزائر العاصمة.

رابح دوب

المصادر:

- أبو محمّد سعيد هرماس، طبقات المالكيّة الجزائريين خلال المئة الهجريّة الأخيرة، دار صبحي للطباعة والنّشر، غرداية- الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013م.

عمّار مهري العطوي
(1305 هـ - 1887م/1352هـ - 1933م)

الشّيخ عمّار بن أحمد مهري العطوي، المولود بمدينة الحروش ولاية سكيكدة، والمتوفى في مدينة وادي الزّناتي ولاية قالمة.

كان الشّيخ عمّار مهري من عائلة دينية، اعتنى بتربيته جدّه عبد الله، إذ كان هو الحفيد الأول له، فكان يحبّه كثيراً، وقد أحضر له أستاذاً يعلّمه من أهل التّقوى والصّلاح وهو الشّيخ الحسن عبد النّوري، من قبيلة أولاد عبد النّور الشّهيرة بمنطقة سكيكدة، وقد كان يتفرس في تلميذه عمّار ويبشر أباه وجدّه بمستقبله الزّاهر. وبالفعل حقّق الله فراسة الأستاذ في التّلميذ عمّار، فبعدما حفظ القرآن الكريم انتقل إلى زاوية بن علي الشّريف ودرس بها، كما درس على يد الأستاذ حمدان لونيسي وكذلك على العالم الشّيخ أحمد الحبيباتني. وعندما عزم الشّيخ حمدان لونيسي على الهجرة أجاز عمّارمهري والطّلبة الذين كانوا معه. ثم استمرّ الشّيخ عمّار مهري في متابعة الدّروس على شيخه الحبيباتني وكان في الوقت نفسه يساعده في التّدريس، وبذلك حصل على معارف كثيرة وعلم وافر.

وقبل الحرب العالمية الأولى انتقل الشّيخ عمّار مهري إلى مدينة الخروب ولاية قسنطينة، فكان منشغلا بالخطابة والدّروس في مساجدها، فكوّن حركة علمية زاهرة في هذه البلدة وصارت محطّ طلبة العلم من نواحي كثيرة. وقد استمر في نشر العلم بقرية الخروب نحو ستة عشر عاماً إلى جانب قيامه بأعمال جليلة في خدمة الدّين الإسلامي والوطن ومحاربة الجهل والخرافة.

ومن مواقف الشّيخ عمّار مهري الشّجاعة أنّه عندما أصدرت فرنسا قرار التّجنيد الإجباري للجزائريين، حرّر عريضة احتجاج على هذا القرار الجائر، وأمضاها أعيان مدينة الخروب ونواحيها وقدّموها إلى الوالي العام بالجزائر.

وكان الشّيخ عمّار مهري من الأصدقاء المخلصين للأمير خالدّ إذ أسّسَا معاً أركان الحركة الوطنية الأولى. وقد كانت زيارة الأمير خالدّ للشيخ عمّار عندما كان يقيم بالخروب مستمرّة في جميع المناسبات، فكان يمكث عنده أياماً عديدة من أجل دراسة برنامج التّنظيم السّياسي للحركة الوطنية. واستمرت الرّوابط الأخوية بينهما إلى أن فرّقتهما الظّروف، حيث نفت فرنسا الأمير خالدّ إلى سوريا.

وفي عام 1926 انتقل الشّيخ عمّار مهري إلى وادي الزّناتي بصفته إماماً خطيباً بمسجدها، ولما سمع سكان الخروب نبأ هذا الانتقال غمرهم الأسى والحزن وحاولوا بشتى الوسائل إلغاء هذا الانتقال إلا أنّ الرّوابط التّي بينه وبين هذه البلدة حالتّ دون ذلك، إذ لم تعرف هذه الرّوابط فتوراً حيث إنّ زيارتهم للشيخ عمّار بوادي الزّناتي لم تنقطع في جميع المناسبات.

ولمّا استقر بوادي الزّناتي قام بحركة علمية باهرة مثل التّي قام بها بالخروب، فأصبحت وادي الزّناتي قبلة أنظار طلبة العلم من شتى النّواحي، وكانت دروس الشّيخ عمّار في مختلف العلوم وفق منهاج جامع الزّيتونة، فتخرج عليه جماعة من وادي الزّناتي كانوا النّواة الأولى لتأسيس مدرسة التّهذيب الحرّة.

وكان من أنجب تلامذة الشّيخ عمّار ابنه مولود مهري الشّاعر وابنه الآخر عبد الحميد مهري الأمين العام الأسبق لحزب جبهة التّحرير الوطني، وكذلك الشّاعر عبد الرّحمن بن العگون وغيرهم كثيرون.

واستمر الشّيخ عمّار في نشر العلم في أوساط النّاس بكل جدية واجتهاد حتى وفاه أجله يوم 19 أفريل 1933. وقد أغلقت البلدية يوم وفاته، وكان لجنازته مشهد عظيم حيث شيّعه جمع غفير من شتى نواحي الوطن.

كان الشّيخ عمّارمهري من كبار الأدباء والفقهاء، وله إنتاج غزير في الشّعر السّياسي والوطني وغيره من الموضوعات الاجتماعية وكان ينشر قصائده في بعض الأحيان باسم مستعار وهو "أبو الهول" بجريدة الفاروق لصاحبها عمر بن قدور وفي

بعض جرائد الشّام بواسطة صديقه محمّد بن الرّويسلي الذي هاجر إلى الشّام قبل الحرب العالمية الأولى، كما كان ينشر في جريدة النّجاح التّي أسسها صديقه الأمير خالدّ.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره المتاح أنّه شعر رصين في أسلوبه وألفاظه جزلة قوية، وصوره تقوم على الموروث الشّعري القديم وعلى أجزاء البلاغة، ملتزماً بعمود القصيدة الخليلية مع طول النّفس، وللأسف الشّديد لم يجمع الدّارسون أشعاره ونأمل أن يقوم بهذا الباحثون وطلاب الجامعة الجزائرية في المستقبل القريب، خاصة وأنّه شاعر فحل مثله مثل ابنه المولود مهري رحمهما الله.

نماذج من شعره:

ما لكم يا مصلحي العصر...!

جل وجدي من خطوب عظمت
في بني الإسلام بالمنتسبين!
واشتكى شعبي نفوساً ظلمت
سنة الإرشاد بالزّيغ المبين
إذ بدت شعوذة تعوى بلا
خجلة تزرع غيّ الشّعب الشّقاق!
وانثنت تندب إغماراً
نهج في وعناد واختلاق
إلى وغدت تخطب بالأهواء على
صحف تبغي اشتهاراً وارتزاق!
ولا صلاح لها قد طعنت
بأباطيل وزيغ الأولين!
وادعت أنّ العلوم امتزجت
في هداة الدّين والمجتهدين
يا حماة الدّين يا للعلما
يا ذوي الإخلاص قولا وعمل
ها بدت فيكم شذاذ ظلما
بشروا بالزّيغ، والخطب جلل
حكمت بالشّرك للزائر ما
شد رحلا لولي ورحل
وبذا دون حياء وصفت
من دعا الله بخير المسلمين
أو دعا بالأنبيا وانتقصت
مذهب القوم وكتب العارفين

في هجاء جاهل يدّعي في العلم غروراً

فاهنأ شيخ الطّيش نلت المنتظرْ
إنّ الأسود يَهُولها صوت الهرر
وكذا السّماء تهابكم ويهولها
نبح الكلاب فدم يؤانسك الخَوَر
والشّمس يحجبها انتقاصكم الذي
تهذي به والبدر يخجله الهذَر
يا أيها الشّيخ المغفل ما الذي
أرداك فاستولى على القلب العور
فَعَدَلْتَ عن نصح النّصوح مُعانداً
وزعمت أنّك بافتعالك مشتهر
وَزَلَلْتَ جهلا واختلقت نقايصاً
ونسبتها لذوي العلوم بلا حذر
وجهلت أني بالمراصد راصدٌ
ومحاربٌ لعدّوهم مهما ظهر
أتظن أنّ ذوي العلوم علوتهم
فتغافلوا ولذا أضرّ بك البطر
لا بل مقامكم الفخيم يصونها
أن يعبئوا بمن ازدرى نور القمر
سيطول ليلك يا شيخ وتُعْلَفَنْ
ما أنت أول من هَوَى بشفا الحُفر
أخنى عليك سواد قلبك كالذي
أخنى على لَبِدٍ ولكن ذا أَمَرْ
فلذا يحق لك العَزَاءُ مكرّرا
مما دهاك وما يعقلك فكم أَضَرْ
فاربأ بنفسك وانهها عن غيّها
واعرف مقامك إن تكن شيخاً أَبر
لا تحسبَنَ مَجْدَ المحارب مرقةً
تُحْسَى ولا تَمرا يُباع ويُعْتَصَرْ

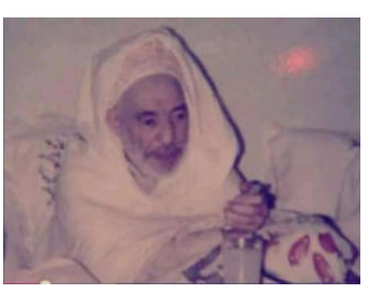
رابح دوب

المصادر:

- وثائق خاصة سلّمت لي عن العلم من قبل حفيده الأستاذ: عبد القادر مهري (مفتش الرّياضيات للتعليم الثّانوي بقسنطينة)؛
- عبد الرّحمن بن إبراهيم: الكفاح القومي السّياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920-1936). المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1984.

عمر أبو حفص الزّموريّ
(1334هـ - 1913م/1440هـ - 1990م)

هو عمر بن أبي حفص بن محمّد بن ابن جَدْو بن محمّد الحسينيّ القسطنطينيّ الجزائريّ، وهو من ذريّة الولي الصّالح العجيسيّ رضي الله عنه، ولد بمدينة شلغوم العيد بميلة سنة 1334هـ/ 1913م، توفي والده وعمره 07 سنوات، فكانت الكفالة الماديّة لأخيه محمّد، وتعليم القرآن لابن عمّ والده علي أبو حفص (معلّم القرآن) وبعد وفاة والده بـ 3 سنوات حين بلغ العاشرة انتقل



إلى قريّة أجداده زمّورة ليقيم بها، وقد عاش ورعا تقيا؛ إذ شرع في الصّلاة وعمره 07 سنوات وأكرمه الله بختم كتابه وعمره 12 سنة على يد ابن عمّ والده؛ ولكونه من أسرة معروفة بتحفيظ القرآن؛ إذْ بعد ختمه طُلب منه القيام بتحفيظه وكذا إمامة النّاس فرفض لطموحه الأكبر في طلب العلم والمعرفة.

وقد انتقل عمر أبو حفص للبحث عن أعلم النّاس بمنطقته فوجد العالِم الفذّ (سيدي أحمد بن قدّور) المعروف بندرة حفظه وفهمه طلب منه الانضمام إلى حلقته فاشترط أنْ لا

ينقطع حتّى يتخرّج فوافق على ذلك، وبعد مدّة قصيرة من انضمامه إلى الحلقة صار يناقشُ ويجيبُ عن أسئلة معلّمه؛ إذْ في أحد دُروس مادّة العروض سأل الشّيخ سؤالا ينتظر جواب الطّالبين الآخرين -كون السّؤال مرتبطا بدروس لم يحضرها عمر- فلم يستطيعا الإجابة، ولذكاء عمر كان قد اطّلع على الكتاب الّذي يدرّس به معلّمه استدرك واستوعب من خلاله كلّ ما فاته من الدّروس، وهذا ما جعله يقدّمُ إجابة وافيّة اندهش بها شيخه، وبعد سنتين أو سنتين ونصف ظهر تفوّقه وتميّزه ليجيزه شيخه في نهايّة الدّورة العلميّة إجازة كتابيّة تمكّنه من التّدريس داعيا له المولى عزّ وجلّ أن يوفّقه في ذلك، وفي المقابل رفض إجازة الطّالبين الآخرين -رغم أنّهما يفوقانه سنّا ودراسة، وصلة قرابة أحدهما بالشّيخ- إذْ طلبوا منه أن يجيزهما فلم يفعل، وقد شرع عمر أبو حفص في التّدريس بمسجد شيخه ما جعل أحد أقارب الطّالبين يتّصل به يلومه كيف يسمح لهذا الطّالب الصّغير بالتّدريس بحضرته فكان ردّه "لو كان لديّ وقت لذهبت لأتعلّم عنده."

وقد كان عمر أبو حفص شغوفا بطلب العلم ونشره منذ الصّغر؛ حيث انتقل إلى زاويّة (الجعافرة) ببرج-بوعريريج لأجل التّعلّم وإذْ يحدث عكس ما ذهب لأجله؛ إذْ تولّى التّدريس بها لمدّة قصيرة؛ فدرّس هناك علم العروض والقوافي، ومن خلال تدريسه بهذه الزّاويّة وصل صيته إلى أعيان قريّة تورّرين (بني عيذل) بسطيف فطلبوا منه أنْ يدرّس بزاويتهم الّتي كان إمامها (مولود أجلواح رحمه الله) وقد توجّه بعد ذلك إلى زاويّة الحاج حسن الطرابلسي بعنّابة، الّذي عند التقائه بأبي حفص أعجب به طالبا منه التّعليم بزاويته؛ فصارا ينشران بالتّناوب عبر مجلّة البلاغ الأسبوعيّة مقالة وقصيدة، وهو ما يزال بعنّابة سمع خبر وفاة مُعلّمه (أحمد بن قدّور) فتغيّرت حاله وتفجّرت قريحته والتهبت مشاعره ليكتب قصيدة رثائيّة (ثالثة الأثافي) عن شيخه رحمه الله يعترفُ له فيها بفضله مطلعها:

دَعِ الْعُقُولَ ومُرْ عَيْنَيْكَ أَنْ تَسْكُبَا
دَمْعًا عَلَى مَنْبَعِ العُلُومِ وَاعِيهَا.

وقد عاد إلى قريّة أجداده زمّورة ليُقيم بها إمام جمعة بمسجد سيدي أحمد المجذوب خلفا لشيخه (أحمد بن قدّور) رحمه الله، ومدرّسا في الوقت نفسه متطوّعا، ومن الكتب الّتي درّسها آنذاك: الجوهر المكنون في البلاغة لسيدي عبد الرّحمن الأخضريّ، شذور الذّهب لابن هشام، الصبّان في علمي العروض والقوافي... وفي 1938م زار الشّيخ زاويّة جدّه سيدي يحيى العيذلي (بتامقرة) حيث أقام فيها 3 أيّام يُلقي دروسا ويُذاكر فيها ثمّ ذهب إلى زاويّة (شلاّطة) الواقعة في مشارف أقبو ببجايّة، وقد ألّف بها كتيّبا (دليل الحاج) تلبيّة لطلب أحد أبناء سيدي ابن علي الشّريف رضي عنه، وفي 1948م عاد لزيارة زاويّة جدّه سيدي يحيى مُلقيًا بها العديد من الدّروس.

وفي أواخر 1942م انتقل إلى زاويّة سيدي موسى (بتنبدار) ببجايّة للتّدريس بمعيّة قدّور بن قدّور نجل شيخه وصهره (أحمد بن قدّور) إذْ أقام بها ما يقارب العامين، ومن الكتب الّتي درّسها: الأجروميّة والرّسالة لأبي زيد القيرواني في الفقه.... لينتقل أوائل 1944م إلى وادي زناتي بقالمة ليدرّس بمدرسة التّهذيب والجامع العتيق الحامل لاسم عمّار مهري الّذي كان إماما به، وقد عُيِّن عمر أبو حفص بعدها مُعلّمًا بواد زناتي لتكوين طلبة من أجل إرسالهم إلى جامع الزّيتونة بتونس أو إلى الكتانيّة بقسنطينة لمواصلة دراستهم العليا؛ حيث درّسهم المواد المشهور تعليمها آنذاك بجامع الزّيتونة من بينها: الألفيّة لابن مالك، الصّبان في العروض والقوافي... وقد تخرّج على يده الكثير من الطّلبة بعضهم التحق بالكتانيّة أو بجامع الزّيتونة والبعض الآخر استشهد في سبيل الوطن، وبعد إكمال هذه المهمّة واصل التّدريس بواد زناتي إلى غاية 1947م، بعدها عاد إلى زمّورة ليقيم بها جاعلا بيته زاويّة تستقبل كلّ من يرغب في التّعلّم إلى جانب حلّه لمختلف النّزاعات وإصدار الفتاوى والتّربيّة القوليّة والفعليّة والسّلوكيّة، وفي 1965م التحق ببرّاقي بالجزائر العاصمة كإمام لفترة قصيرة جدّا بعدها تمّ تعيينه إماما خطيبا بمسجد سيدي رمضان بحيّ القصبة العتيق الّذي مكث به مدّة 25 سنة إلى أنْ توفي سنة 1990م رحمه الله.

أخذ العلاّمة عمر أبو حفص مختلف العلوم، وكذا حفظ القرآن الكريم عن مجموعة من الشّيوخ من أشهرهم نجد:

- العالِم الكبير سيدي أحمد بن قدّور الزّموري (ت 1936م)؛
- علي أبو حفص ابن عم والده؛
- محمّد أبو حفص أخوه؛

عُرف عن الشّيخ أنّ تسجيلاته نادرة إلى جانب كونه لا يحبُّ الظّهور إلاّ أنّ له تلاميذ كثر من مختلف ولايات الوطن (الجزائر) شهدوا له بسعة علمه ومن أهمّهم نذكر:

- محمّد بن عبد الكريم الزّموريّ؛
- أحمد سمين البوكرامي؛
- عبد الحميد مهري؛
- صالح بوبندير؛
- حسن شطايبي؛
- عبد الرّحمن بوعزيز؛
- عبد الله شرع الله؛
- لخضر شلبي؛
- السّعيد عبيد؛
- مولود أوجلواح؛
- عبد المجيد بن داود؛
- ياسين بن عبيد.

كان عمر أبو حفص بحرا في العُلوم فأيّ عِلْمٍ تسأله عنه وكأنّه متخصّص فيه لسعة علمه واطّلاعه الواسع ومن أهمّ أعماله نذكر، ما يلي:

- فتح اللّطيف في التّصريف على البسط والتّعريف؛
- أبواب الجنان وفيض الرّحمن في الصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد سيّد ولد عدنان ﷺ؛
- الحجّ على مذهب الإمام مالك؛
- فضل الدّعاء ومطلوبيته؛
- المجموعة الأولى من رسائله؛
- المجموعة الثّانيّة من رسائله؛
- المجموعة الثّالثة من رسائله؛
- نشر مجموعة من المقالات والقصائد بمجلّة البلاغ.

تبحّر الشّيخ رحمه الله في العُلوم الدّينيّة واللّغويّة كان عالِمًا بها ويُعلّمها، وقد تميّز "بذكاء وقّاد وذاكرة قويّة وحافظة واسعة

ذو شغف في طلب المعرفة ونشرها وله روح صوفيّة عاليّة، وذوق أدبيّ رفيع جامع بين العِلم والعمل والتّقوى والزّهد والورع ومكارم الأخلاق..." وقد قضى حياته خادما للعلم بكلّ ما وهبه الله من علم ومعرفة حريصا على نشره ونقله لغيره.

وما يؤكّدُ مكانته وسعة علمه هو ما يشهدُ به طلبته ورفقاءه وذويه...؛ إذ يرى صديقه (ع. المجيد بلحملاوي) أنّه "يجب على الدّولة أنْ تتبنّى علمه وتراثه وليس الأشخاص حتّى نتمكّن من إعطائه ما يستحقّه من العِنايّة والتّقدير لِمَا قدّمه للوطن." كما يشهد تلميذه (ع. الحميد مهري) بأنّه "كان مثالا لعلماء السّلف الصّالح الّذين استوعبوا تقريبا علوم العصر كلّها، وألمّوا بجميع المعارف وعلى يديه تعلّمنا مبادئ المنطق والمواريث والعروض... كما كان يركّز أكثر على تعليم مبادئ الأخلاق والفهم الصّحيح للدّين والتّمسّك به." إذ له طريقة متميّزة في تقريب مفاهيم العلوم لتلاميذه يتدرّج بهم من السّهل إلى الصّعب، ويذلّل لهم الصّعوبات ولا يقحمهم في المجاهيل، وأحيانا يورد لهم النّكتة ليدفع عنهم الملل، كما يشهد تلميذه (عبد المجيد بن داود) أنّه تميّز "بالحريّة في آرائه وفتاواه، فهو يصدر عن قناعة لمَا يراه الحقّ والصّواب مع احترام آراء العلماء والأئمّة، وأقوالهم من غير أن ينتقص من قدر أحدهم أو يجرحه، ويلتمس لمن خالفه في رأيه الخاص الأعذار، فاكتسب بحقّ مكانة مرموقة في صفّ العلماء المخلصين بنشر علمه بسخاء للإفادة وينفق ممّا عنده لينتفع به من كان أهلا للانتفاع والاستفادة لا يريد منه جزاء ولا شكورا، ولا شهرة أو منصبا."

ويضافُ إلى ما سبق أنّه كان إمام صلح وتوافق وتآزر بين النّاس يصلحُ أحوالهم في الفتاوى ويقضي حوائجهم، آمرا بالمعروف وناهٍ عن المنكر، مهتمًّا بكلّ ما يعودُ بالنّفع عليهم لا يتخلّى عن اللّقاءات العلميّة والوعظيّة سواء بزاويته أو بأيّ مكان آخر، كما خدم اللّغة العربيّة كونها أساس فهم كتاب الله العظيم وإدراك معانيه ودلالاته، وأسهم في خدمة ثورة نوفمبر بإصدار الفتاوى وإصلاح ذات البين، ولعظمة مكانته بين أمثاله من العلماء فقد أُلّفت عنه الكثير من الكتب والقصائد، وأُقيمت له العديد من الملتقيات والنّدوات العلميّة احتفاءً بذكرى وفاته وتخليد أعماله سواء بقريّة أجداده (زمّورة) الّتي توجدُ بها ثانويّة حاملة اسمه (ثانويّة عمر أبي حفص الزّموريّ) أو بميلة مسقط رأسه، أو من قبل المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر العاصمة...

فتيحة طكّوك

المصادر:

- عبد الرّحمن أبو حفص، (حياة الوالد الشّيخ أبي حفص الزّموريّ: دلالات رحلة ومعالم مسار)، من مآثر العلاّمة عمر أبو حفص الزّموري في خدمة لغة القرآن، (المجلس الأعلى للّغة العربيّة: الجزائر، 2008م).
- من رسائل العلاّمة الشّيخ عمر أبو حفص الزّموريّ (المجموعة الثّانيّة).
- الطّاهر آيت علجت، (انطباعات شاهد عيان)، من مآثر العلاّمة عمر أبو حفص الزّموري.
- عبد. المجيد بلحملاوي، (شهادة رفيق ومحب)، من مآثر العلاّمة عمر أبو حفص الزّموري.
- عبد. المجيد مهري، (مآثر الشّيخ الزّموريّ في خدمة اللّغة العربيّة)، من مآثر العلاّمة عمر أبو حفص الزّموري.
- عبد. المجيد بن داود، (الشّيخ عمر أبو حفص كما عرفته)، من مآثر العلاّمة عمر أبو حفص الزّموري.

عمر آغا

عمر بن محمّد، ولد في جزيرة (ميتلين) (ليسبوس القديمة) هي الجزيرة التي جاء منها الإخوة بربروس، وما يؤكّد ذلك ما جاء في كتابة أثريّة كتبت بالتّركيّة، تشير إلى أنّ الدّاي عمر والإخوة بربروس لهم الأصل نفسه. قيل أنّه ينحدر من أصل يوناني اعتنق الإسلام. تولى الحكم في الثّالثة والأربعين من العمر.

وصل إلى الجزائر قبل ذلك بعشر سنوات، رفقة أخيه، حيث جال في البلاد وعرف خباياها إلى أن عين آغا، ولما أظهر الحنكة والشّجاعة في هذا المنصب، عُرض عليه كرسي الحكم عدة مرّات كانت آخرها عند مقتل الدّاي علي لكنه أصرّ على تعيين الخزناجي محمّد، ومن ثم عمل على قتله وتولى مكانه.

أما عن شخصيّة هذا الدّاي، فقد أبدى شالرّ القنصل الأمريكي الذي عايش فترة حكم الدّاي عمر، ولم يكن مؤيدًا لنظام الحكم في الجزائر، إعجابا بشخصيّة عمر، كما دافع عن بعض قراراته، ومما قاله عنه: " فأما قامته، فتبلغ خمسة أقدام عشرة أو إحدى عشرة بوصة (175سم). وهو قوي البنيّة نشيط الحركة جميل المظهر ولونه يميل إلى السّمرة. ولحيته كثيفة الشّعر سوداء لامعة وقد وخطها الشّيب، وملامحه منتظمة وعيناه سوداوان معبّرتان ولكنه لم يكن ينظر إلى أحد في وجهه مباشرة ولا يرتفع بصره إلى الشّخص الذي يتحدث معه إلا بصورة خاطفة. ومظهره العامّ يتسم بالوقار. ومتى كان مزاجه رائقا يكون مجلسه ممتعا ويسحرك بأخلاقه. ولكنه حينما يأخذه الغضب يصبح وجهه أدكن، ومنظره حزينا ولا يجرأ أحد على الاقتراب منه. على أنّ تصرفاته دائما تدل على النّبل، وفي بعض الأحيان يصدر عنه ما يدل على المودّة والصّداقة. وقد اشتهر بضبط النّفس بحيث لم يعرف عنه أنّه فقد توازنه في مناسبة من المناسبات. وفي بعض الأحيان يتردّد قليلا في الحديث ويبدو أن كبرياه (كذا) لم يكن يغطي في عينيه جهله ". وكان الدّاي عمر متزوجًا بزوجة واحدة وله منها ثلاثة أطفال وقد كان يقضي أوقات فراغه في منزله وبين أفراد أسرته حيث يجد كل سعادته.

قال عنه شالرّ: "كان الدّاي عمر يتمتع بعقل راجح وإدراك سريع، وكان نبيل الشّخصيّة... وأما في حياته الخاصة فقد عرف عنه أنّه ميال للاعتدال والأخلاق الفاضلة والامتثال لتعاليم الدّين الإسلامي الذي يدين به... وبعدما ارتقى العرش، ذكرت له عدة خصال تدل على الصداقة والعرفان، وأنا لم أسمع أحدا قط يتهمه بالحياد عن طريق العدل والصواب".

وأكد على أنه: "كان ذا صفات أخلاقيّة رفيعة، ولكنه كان ضيق أفق التفكير في الشّؤون الدّينيّة والسّياسيّة معا. فإن أي اعتداء على حدود الشّرع يتعرض صاحبه للعقاب الشّديد في عهده... ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصيّة عمر باشا وتقديرها حق قدرها، إلا إذا عرفنا شخصيّة الدّاي العادي في الجزائر. لقد حل محل العنف والوحشيّة والجهل، بارتقاء عمر باشا العرش، مظهر النّبل والوقار والعدل والرّحمة، وإنّه لمن حسن الطّالع أن هذا المثال الرّائع لا يزال يحتذيه خلفاؤه من بعده ".

لكن يبدو أنّ من كتبوا عن هذا الدّاي اتفقوا على أن لا يتفقوا حيث كتب حمدان خوجة: (وكان عمر، أيضًا سفاحًا ! وكانت الظّروف تكاد تكون دائما غير مؤاتيّة له...)، ولم يخرج أحمّد الشّريف الزّهار عن هذا السّيّاق : (... ومن ولايّة هذا الظّالم تقهقرت بلادنا ورجعت إلى الوراء ... وهذا كله من فساد رأي الأمير (عمر)، ورأي المفسدين من العسكر)، كما كتب عنه: " وكانت دولته وأيامه كلها عكس ومصائب : الجراد، والغلاء، ومصيبة موت حميدو، ومصيبة إنكليز (كذا)، وكان سفاحا للدّماء ". ويذكر الكاتب نفسه أن عمر باشا 1230هـ لم جاء الجراد في هذه السّنة واقام في الارض ثم خرج واكل الزّرع والأشجار والثمّار ووقع الغلاء في تلك السّنة وأعطى الأمير القمح لجميع الخبازين وجعل له سعرا ايام الرّخاء وأمر الخبازين أن يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد ولكن النّاس سارو يتقاتلون.

في الواقع لقد لعب هذا الدّاي دورًا مهما في الإيالة قبل توليه، وأبدى شجاعة نادرة وحزمًا كبيرين في معالجة الأمور، لكن الظّرف الذي حكم فيه كان صعبًا جدًا، خاصة على المستوى الخارجي، حيث عرفت السّاحة الدّوليّة تطورات خطيرة انعكست بشكل مباشر على الإيالة، فكان مطلوبًا من الدّاي القيام بأكثر مما يستطيع، ويقال أنّ توالي الكوارث على الجزائر في فترة حكمه، جعل النّاس يتشاءمون منه خاصّة وأنه تولي الحكم في فترة تعاقبت فيها الاحداث الغير سارة أهمها:

- ففي 17 جوان 1815م خاض ستيفان ديكاتور معركة بحريّة مع أمير بحر الاسطول الجزائري، الرّيس حميدو الذي قتل في هذه المعركة واحتجزت سفينته، وأجبر الدّاي عمر على عقد السّلام مع الولايات المتحدة الامريكيّة، وهو السّلام الذي ضمن المرور الآمن للسّفن الأمريكيّة.
- وصول اللورد اكسموث إلى الجزائر وفرض معاهدة أخرى تشترط حريّة المرور للسّفن الانجليزيّة والسّردينيّة والصقليّة، وكان تجريد الجزائر من نقود هذه البلدان قد جعل من الصعب شيئا فشيئا المحافظة على القوات العسكريّة الجزائريّة التي كانت في تضاؤل مستمر.
- في أوائل سنة 1816م ظهر الأسطول الانجليزي من جديد أمام الجزائر. وقد شرح للدّاي بأن مؤتمر فيينا قد قرر الغاء الرّق والقرصنة وطلب بأن يقبل الجزائريون هذا القرار وأن يحرروا الأسرى المسحيين، وكان الدّاي والدّيوان كلاهما مستغربين من موقف الدّول الاوربيّة.
- عقد الدّاي عمر معاهدة سلام بشروط انجليزيّة – هولنديّة. أملى شروطها اللورد اكسموث، وأهم الشّروط الغاء الرّق وتحرر الاسرى ودفع تعويض حربي من خمسمائة ألف فرنك.
- عمل الدّاي على تجديد الحصون والسّفن واصلاح الابراج ووقف بنفسه على اعمال التّرميم والبناء، وبني الجامع الاعظم.
- أرسل الحاج على أرناوط إلى استنبول ليطلعه على ما وقع من الانجليز فأعطاهم السّلكان محمود ثلاثة مراكب من نوع فرقاطة وزوج كرابت ومدافع وآلات حربيّة ورجعوا بها للجزائر.

كانت أيام أمارته كلها في ظل السّلطان محمود الثّاني، عاصره مولاى اسماعيل سلطان المغرب، ويوسف باشا امير طربلس.

صرهودة يوسفي

المصادر:

- شالرّ وليام: مذكرات وليام شالرّ قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)، تعريب: إسماعيل العربي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1982. ص160؛
- الزّهار أحمّد الشّريف، مذكرات الحاج أحمّد الشّريف الزّهار نقيب الأشراف الجزائر (1754–1830م)، تحقيق أحمّد توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر2009م؛
- ابن عثمان حمدان خوجة : المرآة، تحقيق محمّد العربي الزّبيري، ط2، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص 125.

عمر الحسيني الجزائري
(1282هـ - 1866م/1334هـ - 1916م)

عمر بن الامير عبد القادر بن محيي الدّين الحسني الجزائري، أمير، مجاهد، من شهداء الحركة القوميّة في بلاد الشّام.

ولد الأمير (عمر) نجل الأمير (عبد القادر)، ونشأ في ربوع دمشق سنة 1866 وقيل سنة 1871. أشرف على دراسته العلامة الكبير الشّيخ (طاهر الجزائري) والشّيخ (عبد القادر الرزاق البيطار)، والشّيخ (مصطفى التهامي) إمام المالكيّة في

الجامع الأموي الكبير بدمشق". ولما اشتد عوده أكمل دراسته في المدرسة الملكيّة بالآستانة. كان يكره الفرنسيين وكل مستعمر أجنبي، ولم يدخل في أيّة جمعيّة ولم ينتسب إلى أي حزب. كان يجاهر بآرائه حول التمسك باللغة العربيّة والتراث الإسلامي ويطالب بالإصلاح، وقد كانت هذه جريمته في نظر أعدائه.

كان يقول علنا: "إن الاسلام رسالة خالدّة، ولغة هذه الرسالة هي لغة القرآن الكريم، ويجب ان تعمم على جميع المجالات الفكريّة والأدبيّة والعلميّة" لكنه مع ذلك كله خالف اتجاه إخوته الكبار مثل محمّد ومحيي الدّين، ومال إلى الفرنسيين، أي بقي على صلة القنصليّة هناك، بل أصبح المتكلم باسم المهاجرين الجزائريين الذين بقوا على صلة ببلادهم في كل ما يتعلق بهم مع الفرنسيين. وكان يسافر بين دمشق وباريس. وفي إحدى زياراته لفرنسا حصل على وسام من رئيس جمهوريتها، ونذكر في هذا السّياق أن " الأمير عبد القادر قد ترك عشرة أبناء، دون البنات. وكانوا من أمهات مختلفات. وقد ذكرت بعض المصادر أن ابنه البكر، محيي الدّين، قد توفي سنة 1837. ومن العشرة الذين عاشوا بعده من اشتهر في التأليف أو في السّياسة، أو في الشّؤون العسكريّة، ولكن منهم من لا نعرف عنه إلا القليل مثل عبد الله وعبد الرزاق وأحمد. أما من حيث التبعيّة الدّوليّة فإن موت الأمير عبد القادر قد جعل أبناءه ينقسمون قسمين على الأقل: قسم انحاز إلى الدّولة العثمانيّة، وقسم انحاز إلى الدّولة الفرنسيّة. ومن الصّعب عليهم عندئذ أن لا يختاروا هذه أو تلك وأن يقفوا موقف الحياد الممكن كما فعل الأمير نفسه، خصوصا بعد 1870. والمعروف أن الذين ارتبطوا بالدّولة العثمانيّة هم محمّد ومحيي الدّين وعلي. وقد عرف عن عمر وأحمد وعبد الرزاق أنهم بقوا على علاقتهم بفرنسا. أما الهاشمي فقد سمحت له السّلطات الفرنسيّة في الجزائر بالرجوع والإقامة في بوسعادة مع أبنائه. ولعلهم سمحوا له بالرجوع لأنه كان فاقد البصر. أما عبد المالك فقد انضم أولا إلى الفرنسيين، ثم حاربهم. ولا ندري الآن انتماء عبد الله. والأبناء الذين والوا الدّولة العثمانيّة اشتهروا في العالم الإسلامي أكثر من بقيّة إخوتهم".

شارك في أكثر الاعمال القوميّة التي حدثت في أيامه. وسمي نائبا عن دمشق في مجلس النّواب العثماني، وكان الأمير عمر ضد سياسة التّتريك التي انتهجتها السّلطات العثمانيّة، ووقف منها موقفا حاسما وواضحا، وقيل إنه انضم إلى الجمعيات العربيّة السّريّة، وهي الجمعيات التي كانت تحاربها الدّولة العثمانيّة بحجة موالاتها للمستعمرين، وكان الصّراع عندئذ على أشده بين أنصار الباب العالي وأنصار فرنسا، أو بين العاطفة الإسلاميّة – العثمانيّة والعاطفة الموالية للفرنسيين، فكان يصنّف كل من يعادي السّياسة العثمانيّة في صفّ الفرنسيين والمحتلين، ولهذا نجد أن موقف الأمير عمر من السّياسة العثمانيّة سبب له متاعب كثيرة، وكذلك لعائلته، فقد تعرضت أسرته للإبعاد إلى أناضوليا.

وإذا كانت مواقفه تلك قد سببت له متاعب في زمن السّلم، فإنها كانت سببا في اعتقاله وإعدامه بعد ذلك في زمن الحرب، فقد أقام "جمال باشا" عضو جمعيّة الاتحاد والتّرقي الوالي على بلاد الشّام في شهر أيار– ماي عام 1916، محكمة صوريّة في مدينة عاليّة بجبل لبنان، وقدم لها عددا من المواطنين العرب المعادين للدولة العثمانيّة ومنهم الأمير عمر الحسيني الذي كان مصيره الإعدام في ساحة المرجة في صبيحة السّادس من أيار ماي سنة 1916 إلى جانب عدد من العروبيين المعادين للدولة العثمانيّة. وكانت التهمة التي واجهتهم بها هي موالاة أعدائها الفرنسيين.

ويرى بعض الباحثين أن "جمال باشا" كان له عداء خاص مع أسرة الجزائري، فليس الوقوف الصّريح من الأمير عمر في وجه العثمانيين السّبب الوحيد لإعدامه، ويستشهدون بأن كثيرا من أفراد الأسرة كانوا موالين للعثمانيين، ومع ذلك وقع عليهم ظلم من "جمال باشا"، ومنهم الأمير علي، فرغم أنه كان محسوبا على العثمانيين، فإنه واجه سنة 1916 الاتهام بعدائهم وهو اتهام له عواقب وخيمة. ولذلك وضعوه في أحد سجون أناضوليا في نفس السّنة التي أعدم فيها جمال باشا، والي الشّام، مجموعة من الزّعماء العرب، ومن ضمنهم أخوه الأمير عمر، وجزائريون آخرون مثل سليم السّمعوني (وهو ابن أخ الشّيخ طاهر) لدوره في حركة القوميّة العربيّة.

وكان جمال باشا قد قام بإعدام نخبة من المثقفين العرب من مختلف مدن سوريا ولبنان، من أمثال عبد الكريم الخليل ومحمّد ومحمود المحمصاني ونور الدّين القاضي وسليم أحمد عبد الهادي ومحمّد مسلم عابدين ويوسف الهاني والكاتب رشدي الشّمعة، والشّاعر والأديب شفيق بك مؤيد العظم، والشّاعر رفيق رزق سلوم والمفكر والصّحافي عبد الحميد الزّهراوي وغيرهم، فقد ساق لهم مختلف التهم التي تتراوح بين التخابر مع الاستخبارات البريطانيّة والفرنسيّة للتخلص من الحكم العثماني، إلى العمل على الانفصال عن الدّولة العثمانيّة، وقد لقب منذ ذلك الوقت بالسّفاح، وجعل هذا اللقب لصيقا به إلى اليوم، فهو يذكر بـ"جمال باش السّفاح".

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثّقافيّة للتأليف والترجمة والنّشر، ط2، بيروت، 1980؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

عمر الوزان
(ت: 2132هـ - 1557م)

عمر الوزان، فقيه وعالم من علماء قسنطينة، ولد الشّيخ عمر بن محمّد الكماد الأنصاري القسنطيني المشهور بالوزان في مدينة قسنطينة، وهو من أسرة عريقة، وهي عائلة "الكمّاد" التّي خرّجت كثيرا من العلماء والفقهاء، وهي تضاهي في ذلك كثيرا من العوائل المشهورة على غرار عائلة "المقري". أمّا والده "محمّد الكماد" فقد كان من الموظفين بباب المدينة لمراقبة الداخلين والخارجين واستخلاص الضرائب، ومن القصص التي تذكر في هذا الصدد أنّ والده بحكم عمله كان يلتقي بالشّيخ أحمد زروق البرنوصي الذي كان يتردد من المغرب على قسنطينة في قوافل التجار، "فكان يسقط عن الشّيخ البرنوصي الضرائب ويكرمه ويستضيفه عنده. وفي إحدى المرات جاء الشّيخ البرنوصي فلم يجد محمّد الكماد في الباب فسأل عنه فقيل له إنه قد صنع وليمة احتفالا بمولود ولد له. فذهب الشّيخ البرنوصي إلى داره وحمل الطّفل (أي عمر الوزان) في كفه وجعل يطوف به الدار وهو في حالة خاصّة داعيا الله أن يتقبله منه على أيّة حال. ومنذئذ أصبح النّاس يعتقدون أن للشيخ أحمد زروق دورا في نشأة الوزان على ما نشأ عليه من العلم والورع والصلاح".

بدأ الشّيخ "عمر" طلبه للعلم في مدينة قسنطينة، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ علوم العربيّة والعلوم الدينيّة، وكانت نشأته في مساجد المدينة وزواياها العامرة، فكانت حياته حياة عبادة وزهد وطاعة لله، حيث كان متأثرا بالطّرق الصوفيّة وعاداتها في السّلوك والعمل، وكانت جلّ قراءاته وطلبه للعلم في بدايّة أمره في كتب التصوّف والوعظ والزّهد، وكان يعتكف على ذلك في مكتبات قسنطينة، وخاصّة مكتبة الجامع الأعظم الذي كان يقيم بالقرب منه. لكنّه تحوّل بعد ذلك إلى القراءة في كتب الحديث النّبوي، فاشتغل بالحديث النّبوي الشّريف قراءة وفهما وحفظا، ونبغ في ذلك نبوغا عجيبا، حتى إنّه كان يحفظ صحيح البخاري بأسانيده، ولم تتكسر عليه الأسانيد إلّا بعد وفاة ولده. ويذكر المترجمون له أنّ تحوّل الشّيخ من القراءة في التصوف إلى القراءة في الحديث كان بعد أن خرج عليه شخص في مكتبة الجامع الأعظم التي يعتكف بها، فقال له: يا عمر، عليك بالأحاديث النّبويّة تنورك ظاهرا وباطنا. ويقال إنّ الشّخص الذي ظهر له هو "الخضر عليه السّلام". وكان يُذكر للشيخ عمر كرامات كثيرة أشهرها رؤيته للخضر عليه السّلام مرّات متعدّدة. كما سافر الشّيخ عمر إلى تونس ومصر وأخذ عن مشايخهما.

صاهر الشّيخ عمر عائلة عريقة في قسنطينة، وهي عائلة ابن آفوناس، وهذه العائلة من العوائل القسنطينة المعروفة على غرار عائلة الفگون وعائلة ابن باديس وغيرها، وقد اشتهرت بالغنى والعلم والصلاح، وكانت لها مدرسة علميّة خاصّة كحال معظم العائلات الكبيرة الموسرة في الجزائر. وقد تزوّج الشّيخ عمر ابنة الشّيخ "محمّد بن آفوناس" وهو من الفقهاء والعلماء الذين اشتهروا بالعلم والولايّة، وكانت له وجاهة ومكانة عند الأمراء. وقد أضاف الشّيخ عمر بهذه المصاهرة وهذا الزّواج الثروة الماديّة إلى العلم والتصوف، ولم يكن الشّيخ بدعا في ذلك، فأغلب علماء الجزائر في ذلك الزّمان كانوا يجمعون بين العلم والمال، ونجد من هؤلاء: "المفتي سعيد قدورة، كان ذا مال يشارك به بعض التجار، وجاء في كتاب ابن المفتي أن عمار بن عبد الرحمن المستغانمي كان ينفق على ضيوفه بين ثلاثين وأربعين ريالا في الليلة الواحدة، وقيل عن المفتي أحمد الزّروق بن داود أنه كان صاحب ثروة".

تفرّغ الشّيخ "عمر الوزان" تفرّغا كليّا للتدريس والتعليم، وكانت مجالسّه عامرة بطلبة العلم، ودروسه مشهورة في الجزائر وخارجها، يقول أبو القاسم سعد الله: " ولم يكن للجزائر (جامعة) إسلاميّة كالأزهر والقرويين والزّيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي، بل قد تفوق أحيانا، دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشّريفين لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. فدروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة، ودروس سعيد المقري في تلمسان، ودروس أبي راس في معسكر ودروس عمر الوزان وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي وعبد القادر الراشدي في قسنطينة، وأحمد البوني في عنابة – كانت مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والرقي". وقد رفض الشّيخ عمر كل الوظائف الرسميّة التي عرضت عليه، فقد اعتذر عن قبول وظيفة القضاء حين عرضها عليه "لحسن آغا" باشا الجزائر، وبرّر اعتذاره بأنّه "غير أهل للوظيفة المعروضة عليه، وكون الفترة حرجة في قسنطينة حيث كانت البلاد تمر بأزمة داخليّة تتصارع فيها الأسر والمصالح"، ولعلّ رفض الشّيخ للوظائف الرسميّة يرجع إلى زهده وإيثاره البعد عن الأمراء والسّلاطين. وقد أخذ عن الشّيخ عمر خلق كثير جدّا، أغلبه صار من العلماء البارزين في الجزائر والعالم الإسلامي، منهم: الشّيخ عبد الكريم الفكون (الجد)، والشّيخ يحيى بن عمر الزّواوي، والشّيخ يحيى بن سليمان الأوراسي، والشّيخ أبو الطّيب البسكري، والشّيخ عبد الرحمان الأخضري، والشّيخ محمّد الكماد، والشّيخ علي المرواني وغيرهم.

وقد توفي الشّيخ عمر يوم الأربعاء العشرون (20) من شعبان سنة 965هـ، الموافق للثامن (08) من جوان سنة 1557 ميلاديّة.

آثاره:
- ترك الشّيخ عمر بعض المؤلفات منها:
- البضاعة المزجاة.
- الرد على الشّبوبيّة.
- فتاوى في الفقه والكلام وغيرهما.
- حاشيّة على شرح القصيدة الصغرى للسنوسي.
- تعليق على قول خليل (وخصصت نيّة الحالف).

رابح دوب

المصادر:
- عبد الكريم الفگون: منشور الهدايّة في كشف من ادّعى العلم والولايّة، تح: أبو القاسم سعد الله، درا الغرب الإسلامي، ط1، الجزائر، 1987؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- خير الدين الزّركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002؛
- عمر كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت؛
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثقافيّة للتأليف والتّرجمة والنّشر، ط2، بيروت، 1980.

■ عمر اليزگني
(1334هـ - 1916م/1416هـ - 1996م)

عمر بن يوسف بن عبد الرّحمن اليزگني، المولود ببلدة بني يزگن ولايّة غردايّة، والمتوفى فيها.

أمضى سنوات عمره في وطنه الجزائر والمغرب وتونس والحجاز وفرنسا. أخذ تعليمه الأوّل عن والدّه، فحفظ القرآن الكريم وألَمَّ ببعض العلوم الدّينيّة، بعد ذلك تعمّق في هذه العلوم على يد شيخه عيسى ابن سعيد، ثم التّحق بحلقة الشّيخ إبراهيم حفار الگراري [نسبة إلى مدينة الگرارة بغردايّة في الجنوب الجزائري] عام 1929 فلازمهُ مدة حتى أجازه للتدريس في معهده، فدرّس فيه مدة عامين من عام 1930 إلى 1932، ثم أسس مدرسة الرّشاد وتولّى إدارتها بنفسه إلى عام 1949، انتقل بعد ذلك إلى مدينة سوق أهراس بأقصى الشّرق الجزائري، فعمل مدرّساً بالمدرسة الإباضيّة هناك في الفترة الممتدّة من 1950 إلى 1953 فترقى إلى ناظر المدرسة الجابريّة عام 1954. وفي عام 1962 أصبح نائباً لمديرها.

تولّى شؤون الفتوى والوعظ والخطابة بمدينة بني يزگن، كما شارك في العمل الاجتماعي والخيري، إضافة إلى مشاركته في المفاوضات السّياسيّة بين شيوخ وادي ميزاب، والجيش الفرنسي وإلى جانب هذا فقد كانت له شهرة واسعة في حسن الخط والكتابة لذلك نسخ كثيراً من المخطوطات.

له كثير من الخطب، كان يلقيها في مناسبات مختلفة، وله العديد من الرّسائل كان يتبادلها مع شيوخ وعلماء عصره، وله مدونة ضخمة تتضمن أجوبته وفتاواه، وكذلك له كتاب يتضمن إرشادات للسعادة الزّوجيّة، وهما مخطوطان.

نتاجه الأدبي:

ذكرت مصادر ترجمته أن له ديواناً شعرياً مخطوطاً.

وما يلاحظ على شعره هو أنه أقرب إلى شعر العلماء الفقهاء منه إلى الشّعراء، وقد تمحور جلّه حول المناسبات المختلفة مثل افتتاح المدارس أو الأعياد الدّينيّة أو الوطنيّة، ونجد له أيضاً قصيدة في وصف رحلة شارك فيها، لذلك يمكن أن نقول إنّ شعره يعدّ سجلا لحوادث عصره، أمّا لغته فهي واضحة ومبسطة وأسلوبه رصين ومحكم وصوره قريبة لا نكاد نجد فيها سعة الخيال.

نماذج من شعره:

نظرة عامة في أمتنا

قلبي يذوب ومهجتي تتقطّعُ
لما أرى خطب البلاء وأسمعُ
أرنو فأنظر جاهلين تمزّقوا
إرباً ومن كأس الهوان تجرّعوا
وأرى شباباً فاقدين شعورهم
شبّوا على الإهمال ثم ترعرعوا
وأرى البلاد تسير نحو خرابها
جهلٌ يحطّمها وفقرٌ مُدقع
وأرى الرّجال العاملين قلائلا
وأرى الرّجال الخاملين تجمّعوا
أمّا الخلافُ فقد سرى فينا كما
يسري بماء الحوض سمٌّ أنقع
تاللهِ لو وُضعت مصائبنا على
جبلٍ لكان لهولها يتصدَّع
رُحماك ربي إنّنا لا نرتضي
هذا الهوان لرفعه نتضرَّع
فامننْ علينا يا إلهُ بجمعنا
وبوحدةٍ أوطانُنا تترفَّع

يا لقومي تجمَعوا للدفاع

هذه ليلة تكامل فيها الـ
أُنسُ والانشراح بالأفراحِ
بلقائي أحبّةً وشباباً
كلهم من ذوي الوجوه الصّباح
أقبلوا نحونا وجاؤوا سِراعاً
إذ دعاهم إخوانهم للفلاح
ووُفِّقوا إذ أتوا لجمعيّة التّوْ
فيقِ في نيّة لكلّ صلاح
بقلوبٍ مملوءةٍ بحماسٍ
ورجاءٍ يسعَوْنَ دون براح
في حياة الأوطان والدّين والشّعْـ
ـبِ وفي رغبة العلا والنّجاح
حينما يهتك الأعادي حِماهم
دائماً هائماً بكل النّواحي
يا لهم من رجال صدقٍ نراهم
قد رقوا للعلا بعزٍّ مُتاح

نسأل الله أن يُكثِّر من أمـ
ـثالهم كي نفوزَ بالإصلاح
يا لَقومـي تَجمَّعوا لدفاعٍ
إذ أحاط البَلا بكل النّواحي

شمائل أحمد

قفا نحكِ بعضاً من شمائل أحمد
تفوق بهاءً سِلْكَ عِقْدٍ منضَّدِ
قفا وانظرا بالعين آثارَ مُعجزٍ
رواه لنا التّاريخ أطوقَ عسجـد
بما ليس يُحصى من خوارقَ قد أتـى
بدت مثل شمسٍ أخرست كلَّ مُلحد
ألم تـريا أن البهائم أفصـحتْ
بنطقٍ له مثل الحِصاء وجلمد
ووحشِ الفلا والجِذع حين فراقه
يحنّ وخَلْقُ الله في كل مَشهد
وشُقَّ له البدر المنيـر بمسمعٍ
ومرأىً من الأقوام من كل مُعتد
وقالوا هو السّحـر المبـين أتـى به
ومن يُضللِ الرّحمنُ ما هو مُهتد
جميعُ البـرايا يومَ جمعٍ تؤمّه
ليشفعَ في الخلق الكثيـر المبدَّد
وأبلغُ هذي المعجزات غرابةً
كتابٌ من الله الذي به نهتدي
حوى كلَّ حسن والبلاغة كلها
به يستضي كلُّ الأنام ويقتدي
به جاء جبـريلٌ من الله ذي العلا
نجوماً على قلب المشفَّع أحمد
كتابٌ حوى علم الأوائل كلَّه
كذا الآخرين بالطّلاوة مُرتد
تحدّى به العُرْبَ الكرام فأُفحموا
جميعاً على مَرّ الزّمان المجدَّد

ومضة أمل ورجاء

لسنا بموتـى إنما هـي نومةٌ
من بعدها فجرُ النّهوض سيطلعُ
ونرى البلاد تُعيد سالفَ مجدها
ولعمرِ نوم الخاملين تُودّع
اليأسُ هوّ عدُّوكم فاقضوا على اليأسِ
الممـيت وحطّموه وقطّعوا
ما دالتّ الدّنـيا لغيـر الباسمِ الــمتفائل
القلبِ الذي لا يخنع
وعلى النّفوس الاعتمادُ فإنَّ نفْــسَ
العاملِ المقدام ليستْ تهلع
وابنوا إلى المستقبل الزّاهـي جِداراً
أُسّه في الأرض لا يتـزعزع
شِيدوا المدارس بالنّظام مع التّقى
بلَبانها غذّوا البنـين وأرضعوا
وتعهّدوهم إنهم آمالكم
سُنّوا لهم سَننَ المحامد واشرعوا
قرآنكم فيه السّعادة والهدى
ولسانكم فيه البـيان الأروع
ولتبذلوا لهمُ بدون تقاعسٍ
فالبذلُ يسبق والتّـرقّي يتبع
المال يـرفع للبلاد عمادَها
والمالُ في كلّ الأمور مُشفَّع
فإذا دعاكم للتبـرع من دعا
مُدّوا الأكفّ جميعكم وتبـرعوا
لمدارسٍ لمساجدٍ لمعاهدٍ
للعلم في هذا النّبـي يُتابع
يا أيها الإخوانُ هذا محفلٌ
للعلم يُعقد والمكارمَ يجمع
عقدتْه الطّاف الإله تحفّنا
وتُنـير مسلكنا كنجمٍ يلمع
يا سعدَ من قد زاره فقد احتوى
فجراً وذكراً في الأواخر يُسمع

رابح دوب

المصادر:

- معجم البابطين الشّعراء العربـيّة في القرنـين التّاسع عشر والعشرين، المجلد الرّابع عشر، الكويت 2008؛
- رابح دوب: موسوعة شعراء عصر النّهضة في المغرب العربي، الجزء الرّابع، دار بهاء الدّين، قسنطينة، الجزائر، 2014.

■ عمر برناوي
(1353هـ - 1935م/1430هـ - 2009م)

عمر برناوي شخصيّة وطنيّة، كاتب مبدع، وشـاعر مفلـق، صاحب رائعة "مـن أجلك يا وطنـي"، وهي أغنيّـة وطنيّة يتغنّـى بها معظم الجزائريين، وقد ارتبط اسمه بها.

ولد بمدينة بسكرة في الجنوب الجزائري، في الثّامـن (08) من أبريل سـنة 1935، وتلقّى تعليمـه فـي نواحـي مدينـة بريكـة فـي ولايّة باتنة، وبسـكرة، حيـث أتم تعليمـه الابتدائي والمتوسـطي فـي مـدراس جمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائريـين، ثـم انتقـل بعدهـا إلـى مدينـة العلـم والعلمـاء عاصمة الشّـرق الجزائري مدينة قسـنطينة، أين زاول دراسـته



فـي معهـد عبـد الحميـد بـن باديـس، وبعـد تخرجـه منـه يمـم وجهه إلـى خـارج الوطن مـن أجـل مواصلـة الدّراسـة وطلـب العلـم فسـافر إلى تونس، فدرس في جامـع الزّيتونة العامـر ولـم يبرحه حتى تحصل على شـهادة الباكالوريا سـنة 1957، ثم انتسب إلى مدرسة التّمثيل العربي في تونـس فتحصل منها على ديبلوم فـي التّمثيل سـنة 1959، وبعدها انتقل إلـى بغداد أين التّحق بكليّـة التّربيّة في جامعة بغـداد فنـال منها شـهادة ليسـانس فـي اللغة العربيّة في عام 1963، وبعد رجوعه إلى أرض الوطن، تقلّد عـدّة وظائف، في مديريّة التّربيّة والإذاعـة الوطنيّة الجزائريّـة، ووزارة الثّقافة، ثـمّ المجلـس الوطنـي الإنتقالـي (CNT) عام 1995. فالمناصب التي تقلدها هي:

- مدرس بثانويّة عماره رشيد بالجزائر.
- مذيع ومنتـج ومقدم برامج فـي الإذاعتين التّونسيّة والجزائريّة.

- رئيس تحرير مجلة ألوان من عام 1972 حتى عام 1981.
- تقلد منصب مستشار لدى وزارة الثّقافة الجزائريّة.
- كان يعمل متعاونا مع الصّحافة المكتوبة والمسموعة.
- وكتب عدّة أوبيرات إذاعيّة، بالإضافة إلى هذا فقد كان له حضور مميّز في اتّحاد الكتّاب الجزائريين.
- وقد شغل البرناوي آخر منصب في حياته بمسقط رأسه بسكرة "مديرا للثقافة".

كان عمر برناوي كاتبا وشاعرا خط اسمه بأحرف من ذهب في سماء الثّقافة والأدب، براوئعه الشّعريّة والرّوائيّة، بل إنه أقحم اسمه عن جدارة واستحقاق في سجل التّاريخ الوطني الجزائري بما دونه من قصائد وطنيّة أصبحت تتناقلها الأفواه ويشدو بها الصّغار والكبار، كما أن طيب خلقه وكرم نفسه وحسن تعامله قد جلب له حب كل من عرفه، فقد كان عمر البرناوي سندا ومساعدا وداعما أخذ بيد كثير من الشّباب في بدايات طريقهم الفني الإبداعي في مختلف المجالات، فصاروا من بعده من المبدعين المتألقين.

وفي عام 2000 نشر روايته التي كتبها خلال السّنوات الأولى لاستقلال الجزائر، وعنوانها " بين الوزارة والسّجن"، منشورات اتّحاد الكتّاب الجزائريين في صائفة 2002، بعدما كان قد نشرها في حلقات بجريدة المساء، وهي روايّة تناول فيها الرّشوة والمحسوبيّة والانحلال الأخلاقي في نظام سياسي أصيب بالفساد والرّداءة.

وقد نال المبدع البرناوي عدّة شهادات تكريميّة وجوائز اعترافا له بعظيم عمله، ومن ذلك:

- حصل على جائزة أفضل نشيد وطني في الجزائر عام 1983. وهي من أجلك عشنا ياوطني.
- شهادة شرف لأحسن أوبيرات عام 1984.
- شهادة تكريم من الرّئيس الجزائري الأسبق الشّاذلي بن جديد عام 1987.

توفي عمر البرناوي في مستشفى عين النّعجة بالجزائر العاصمة بعد صراع مع المرض لسنوات عديدة، ودُفن في مسقط رأسه، وكان ذلك في الرّابع والعشرين 24 من شهر فيفري سنة 2009.

نتاجه الأدبي:

- بين الوزارة والسّجن: روايّة تتكون من 180 صفحة من منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين طبعت على نفقة الصّندوق الوطني لترقيّة الفنون والآداب وتطويرها التّابع لوزارة الاتصال والثّقافة، الطّبعة الأولى السّداسي الثّاني 2002 بدار هومة بالجزائر العاصمة.
- ديوان شعر بعنوان (من أجلك يا وطني): يتكون من 194 صفحة طبعته وزارة المجاهدين بالجزائر سنة 2004 بمناسبة الذكرى الخمسين لاندلاع ثورة نوفمبر مصدر بتقديم لوزير المجاهدين محمّد الشّريف عباس وتقديم آخر للدكتور عبد الله ركيبي.
- الولادة الثّانيّة: روايّة تتكون من 238 صفحة صدرت عن وزارة الثّقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثّقافة العربيّة 2007 سحب الطّباعة الشّعبيّة للجيش.
- حوارات في الثّقافة والسّياسة مع جحش: روايّة تتكون من 301 صفحة صدرت بدعم من وزارة الثّقافة في إطار الصّندوق الوطني لترقيّة الفنون والآداب وتطويرها، طبعت بدار موفم للنشر بالجزائر سنة 2008.

وأكثر روائعه شهرة وتداولا بين النّاس هي نشيد "من أجلك عشنا يا وطني" والتي جاء فيها:

من أجلك عشنا يا وطني
نفدي بالرّوح أراضينا
قد كنا أمس عمالقة
في الحرب نُذّل أعادينا
وإنا اليوم عمالقة
في السّلم حماة مبادينا
من أجلك يآ ...من أجلك يآ... يآ وطني
أبطالا كنا لا نرضى
غير الأمجاد تحيينا
نزهو بالماضي في ثقة
والحاضر يعلو ماضينا
فجرنا الثّورة من أزل
سجّل يا دهر معالينا
والنّصر الأكبر كان لنا
مجدا من صنع أيادينا
من أجلك يآ... من أجلك يآ... يآ وطني
جيش التّحرير وجبهته
كانا ضوأين بداجينا
قالا:في البدء كرامتنا
والشّعب يسود هنا فينا
خيرات الشّعب نقسمها
فينا بالعدل موازينا
والدّعم المطلق نبذله
للشعب الرّافض تدجينا
من أجلك يآ ...من أجلك يآ... يآ وطني
يا سائل..عُرب منبتنا
دين الإسلام يؤاخينا
هامات المجد مرابعنا
و الله الحافظ يحمينا
يا سائل..عُرب منبتنا
دين الإسلام يؤاخينا
هامات المجد مرابعنا
و الله الحافظ يحمينا
من أجلك يآ.
. من أجلك يآ.. يآ وطني
من أجلك عشنا يا وطني
نفدي بالرّوح أراضينا
وإنا اليوم عمالقة
في السّلم حماة مبادينا
من أجلك عشنا يا وطني
نفدي بالرّوح أراضينا
وإنا اليوم عمالقة
في السّلم حماة مبادينا

رابح دوب

المصادر:
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015؛
- صيد عبد الحليم: معجم أعلام بسكرة الجزائر العاصمة دار النّعمان للطباعة والنّشر 2014 م.

عمر بن إبراهيم العنق
(1300هـ - 1882م /1375هـ - 1956م)

علم من أعلام التّربية والإصلاح بالگرارة وميزاب. ولد بمدينة الگرارة. وكانت بداية دراسته بمدينة قسنطينة، ثمَّ أكمل حفظ القرآن بمسقط رأسه وانخرط في دار التّلاميذ، والتحق بمدرسة الشّيخ الحاج عمر بن يحيى المليكي) نور القلب ((ت: 1339هـ/ 1921م) فكان من أبرز تلاميذه، ثمَّ توجَّه إلى معهد القطب ببني يسجن للاستزادة من المعارف سنة 1315هـ/ 1897م. اشتغل بعد انتهائه من الدّراسة بالتّجارة في تبسة، مع شقيقيه الحاج بكير العنق السّياسي المحنَّك الذي عرف في تاريخ المدينة بـ(أسد الگرارة)، وكان الشّيخ الحاجّ عمر نعم السند لأخيه في جهاده السّياسي والاجتماعي في أحلك ظروف الاستعمار.

ثمَّ استقلَّ بتجارته الخاصَّة في تقرت.

أسهم مساهمةً فعَّالة في تأسّيس الجمعيَّة الصّديقيّة في مدينة تبسَّة، التي أنشأت أوَّل مدرسة قرآنيَّة عربيّة عصريّة في الجزائر سنة 1331هـ/ 1913م، فكان أمين مال الجمعيَّة، وعضوًا في إدارة مدرستها، ومعه جماعة من المزابيِّين ساندوا الحركة الإصلاحيَّة بتبسّة بمواقفهم وأموالهم.

وفي سنة 1332هـ/ 1914م رافق الشّيخ سليمان باشا الباروني الليبي لتعزية آل الشّيخ أطفيَّش بميزاب، في وفاة أستاذهما القطب، وكان عضدًا مساعدًا للشيخ أبي اليقظان في تأسّيس البعثة العلميَّة الميزابيَّة بتونس. التحق في نفس الحقبة بجامع الزّيتونة، وبالمدرسة الخلدونية، فتناول فيهما فنون الأدب والعلم. ويقول عنه الشّيخ أبو اليقظان: "...هو الذي كان يراسلني وأراسله بالجرائد... وقد ابتكرها هو، فراسلني بجريدته: (الرحيق المختوم)، وراسلته بجريدتي: قوت الأرواح..."

أفلست تجارته في أواخر حوالي 1924م، فقصد مدينة وارگلان ليتفرَّغ للتّعليم في مدرستها القرآنيَّة. وفي أوائل الثّلاثينيَّات دعته جماعة قسنطينة للتّدريس في مدرستها. ثمَّ انتقل سنة 1353هـ/ 1934م إلى بسكرة لنفس الرّسالة، وبعدها عاد إلى قسنطينة لنفس المهمَّة.

واستقرَّ أخيرًا بالگرارة لتشجيع الحركة العلميَّة التي قادها الإمام الشّيخ إبراهيم بيُّوض، فكان نعم السّند لمعهد الحياة. وهو الذي شجَّع الشّيخ محمَّد علي دبُّوز على تأليف كتابه: (تاريخ المغرب الكبير)، لأنَّه كان مؤمنا بالوحدة المغاربية ويسعى مثل شقيقه على تحقيقها لأجل التّخلص من الاستعمار، وكان ذلك ديدنه إلى حين وفاته، شغوفاً بالعلم ونشره.

كما كان عضوا فعَّالا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين. انخرط في ربيع كهولته في حلقة العزَّابة ببلدته الگرارة. ومن خصاله أنَّه كان كريمًا مضيافًا محبًّا للعلم والعلماء، ذكر الشّيخ القرادي أنه لما كان طالباً بمعهد الحياة بالگرارة، قابل ذات يوم الشّيخ الحاج عمر العنق خارجين من المسجد بعد الصّلاة، فألحّ على أن يرافقه إلى بيته ليضيّفه، فما كان منه إلاّ أنّ لبى دعوته، ورأى في عينه ذلك الإخلاص الشّديد والتّقدير لطلبة العلم، لاحقاً علم الشّيخ القرادي بأن مضيّفه هذا كان حينها شبه معدم بعد أن أفلست تجارته، وباع كلّ أملاكه وصار يستأجر داراً بسيطة تأويه، لكن ذلك لم يغيّر من طبعه بتاتاً بل بقي وفياً لمبادئ محافظاً على توازنه، سخياً كريماً مفضالاً.

توفِّي بالحرَّاش، في جانفي 1956م.

يحيى بن بهون حاج أمحمد

المصادر:

- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ) 313؛
- أبو اليقظان: نشأتي (مخ) 23-24، 27، 45-46؛
- دبُّوز: نهضة الجزائر، 1/ 381؛ 2/ 39، 261، 264، 272، 275؛
- ا لنّوري: نبذة، 1/ 99؛
- د/ محمَّد ناصر: أبو اليقظان وجهاد، 14، 18؛
- الشّيخ عدون: م.ن.ت.م (مخ)؛
- ناصر بوحجام محمَّد: م.ن.ت.م (مخ).؛
- العنق: تنطق بقاف مثلَّثة؛
- معجم أعلام الإباضية، جمعيّة التّراث، المطبعة العربيّة - غرداية، ط1، 1999، ج3، ص628.

عمر بن البسكري العقبي
(1315هـ - 1898م/1387هـ - 1968م)

ابْنُ الْبَسَكْرِي (عُمَرُ بْنُ مُحَمَّد بْنُ نَاجِي بْنُ بِسَكْرِي الْعُقْبِي) ينتهي نسبه إلى (بسكري) وهو جدّه الأكبر الّذي صار اِسمه لقباً لعائلته، وأصله من (زْرِيبَة الْوَادِي) وهي-حالياً- بلَدِيّة بدائرة (سِيدِي عُقْبَة)، ولايّة (بِسَكْرَة) بالجزائر.

ولد ابن البسكري سنة(1898م) بسيدي عقبة، وتوفي في اليوم الثّالث من شهر مارس (1968م) بسكتة قلبيّة في المستشفى

بوهران، وكانت جنازته -رحمة الله عليه- مشهودة.

نشأ ابن البسكري نشأةً صالحةً بمسقط رأسه (سيدي عقبة)، فحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة، نظراً لشغفه بالتّعليم منذ الصّغر، وزاول تعليمه بجامع الفاتح عقبة، الّذي كان عامراً بالعلم والعلماء، متتلمذاً على صفوة شيوخه، وقد" امتاز عمر بين طلاب الجامع بالذكاء النادر والنبوغ المبكّر"، وسنحت له الفرصة- حينذاك - ليتدرّب على أساليب الدّعوة والإرشاد، والتّحكّم- لغويّاً وأدبيّاً- في فنّ الخطابة وإلقاء المحاضرات، إذ كان يميل إلى الأدب والشّعر، حتّى صار ينعت ب (النّابغة اللّغوي) وبـ(شاعر الصّحراء).

ويشهد التّاريخ أنّ منطقة الزيبان عامرة بأهل العلم والتّقوى والصّلاح، "وإن لفظ الزاب يعني الأرض الخصبة الممرعة لوفرة مائها، وهذا الخصب والإمراع جعلها تعج بالعلماء الذين لا يأتي عليهم الإحصاء."لذا كان للشيخ عمر حظ وافر في تكوين متميّز علماً وديناً وأخلاقاً، في زمن تتربّص فيه إدارة الاستعمار الفرنسي لكل من تراه متشبّعاً بالقيم الدّينيّة والوطنيّة، فتعزله وتصادر مشروعه، أو تطرده من مكان عمله.

نشاطه:

- في المجال العلميّ:

بعد تخرّجه على يد علماء أجلاّء، تفرّغ لنشر العلم والتّعليم عبر كتاتيب بلدته (سيدي عقبة)، ثمّ عكف على تدريس البلاغة بجامع الفاتح (سيدي عقبة) إلى عام (1931م) سنة انتقاله إلى مدينة (بسَكرَة)، حيث شرع في التّدريس بمدرسة (الإخاء) صحبة كلّ من الشّيخ بلقاسم الميموني، والشّيخ الطرابلسي القراري.

وفي سنة (1936م) بدأ العمل في التّدريس مع جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة بجايّة لمدّة عامين، والّتي غارها مكرهاً إثر طرده من قبل الإدارة الاستعماريّة الّتي لاحظت نجاحه في نشر الأفكار الإصلاحيّة بين شباب الأمّة، وفي عام (1938م) تمّ نقله إلى منطقة سطيف بصفته داعياً ومعلّماً، وظلّ يدرّس فيها، ويحاضر في نادي الإرشاد، وفي عام (1944م) تمّ تحويله مرّة أخرى نحو وهران، وبقي فيها ينافح عن دينه ووطنه الى أن تقدّم به العمر.

- في المجالين: السّياسيّ والخيريّ:

في سنة 1931م تأسّست جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، فانضمّ إليها الشّيخ عمر ابن البسكري، لا سيّما وقد كان مشاركاً في الحركة الإصلاحيّة الّتي كان رائدها الدّاعيّة الكبير الشّيخ الطيب العقبي في منطقة بسكرة، ووجدها فرصة مواتيّة لتجسيد موقفه السّياسي، ونشر الفكر الإصلاحي بين الشّباب الجزائري، وذلك من خلال التّعليم والصّحافة، حيث قام بنشر قصائد جمّة في صحف جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين كصحيفتي الشّهاب والبصائر وغيرها، كما تسنّى له أن ينشر فيها عدّة مقالات، وقد كانت الأشعار الّتي ينظمها، والمقالات الّتي يدبّجها تطفح بالمشاعر الدّينيّة، والنّزعة الوطنيّة والتّاريخيّة الّتي تدلّ على عمق ثقافته، وتنبئ عن رغبته وحرصه على بثّ بذور الخير والصّلاح بين أفراد شعبه.

ومن أعمال الخير الّتي كان يقوم بها تطوّعه لدروس الوعظ والإرشاد بعدّة مساجد في القطاع الوهراني، إضافة إلى مشاركاته الفعّالة في الاحتفالات الّتي تقام بمناسبات تدشين المدارس والمساجد عبر الغرب الجزائري، أو في أعراس الأمّة كما سمّاها الشّيخ البشير الإبراهيمي. وقد ساعده على الاستغناء عن مال الجمعيات الّتي تدير هذه الاحتفالات فتحه لمحلّ تجاري يوهم به المصالح الإداريّة والأمنيّة للاستعمار.

يقول فيه الشّيخ عبد الحميد بن باديس:"... ونحن نعرف فضيلته من يوم عرفناه لا ينقطع عن الكتابة والتّعليم والإرشاد، فإذا لم يكتب فهو يعلّم أو يرشد فلم ينقطع -والحمد لله- عن الخير."

ومن أبر ز شيوخه الذين أخذ عنهم العلوم:

- الشّيخ المصلح علي بن عثمان بن خلف الله الشّريف:

والّذي درّسه العروض وعلم القوافي، وكان أشدَّ شيوخه أثراً فيه وفي تكوينه، قال فيه الشّيخ عمر (مِن الّذين ملكواْ المشاعر بمنهم الحسّيّة، وحثّواْ الخواطر بما نفثوه فيها من روح نصائحهم الدّينيّة والأدبيّة شيخي المصلح علي بن عثمان الشّريف.)

- والشّيخ البشير بن الصادق العقبي:

الّذي درّسه علوم اللّغة والبلاغة، ولد ببلدة سيدي عقبة سنة(1844م) حيث نشأ وتلقّى تعليمه الأوّلي، ثمّ سافر إلى (نفطة)بالجريد التونسي لإتمام دراسته، فأقام بها مدّة اثني عشرة عاماً، ثمّ عاد وتصدّر للتّدريس بجامع الفاتح مدة خمسين سنة، تخرّج على يده كثير من العلماء. منهم الشّيخ المصلح علي بن عثمان، السّابق الذّكر.

- والشّيخ العلامة الهاشمي بن المبارك بن محمد الشّريف العقبي:

الّذي تلقّى تعليمه في المستوى الثّانوي العالي بمسجد الفاتح، وكان منخرطاً في الحركة الإصلاحيّة الّتي يقودها الشّيخ الطيبي العقبي في منطقة بسكرة.

- الشّيخ علي بن إبراهيم:

وكان قد تخرّج من معهد الهامل (قرب مدينة بوسعادة بالجزائر) ومن جامع الزّيتونة المشهور، وامتاز بتعمّقه خاصّةً في علوم الفرائض والنّحو والفقه، ولد بمدينة(سيدي عقبة) عام(1868م) وتوفي بمدينة (بسكرة) سنة (1921م).

تلامذته:

كان للشيخ عمر فضل كبير في تكوين النّاشئة وطلبة العلم، فإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، كان يقدّم دروساً في البلاغة وغيرها، ومن أشهر تلامذته: الأديب رضا حوحو.

دواوينه:

للشّيخ عمر بن البسكري ديوان شعر مخطوط بعنوان:(العلويات) وهو ديوان جمع

فيه ما نظّمه في شيخه علي بن عثمان الشّريف من كلّ عقد ثمين، وعمره إذ ذاك يناهز العشرين.

ديوان شعر آخر مخطوط يقول الأستاذ الحسن فضلاء:" وأذكر أنّي كنت أزوره في متجره بوهران، فأطلعني في إحدى المرّات على كرّاس كبير الحجم، يضمّ عدداً من القصائد، وقد قرأ بعضها..."

وله ديوان كذلك بعنوان (الوهرانيات)..

أقوال العلماء والباحثين فيه:

يعرّف به الشّيخ الإبراهيمي فيقول: "الشّيخ عمر البسكري داعيّة جهير الصّوت بالإصلاح، كاتب متين القلم في الدّيانات، سديد الرّأي فيها، قويّ الحجّة في مباحثها، أكسبه ذلك قيامه على كتب الفحول من فقهاء السّنّة، أمثال: ابن تيميّة، ابن القيّم، والشّوكاني، وهي كتب تربّي ملكة البرهان، والشّيخ عمر أجلد دعاتنا وكتّابنا على المطالعة والقراءة."

ويقول ابن باديس وهو يعرّف به: "لنا أخ في اللّه ببلد الفاتح العظيم سيدي عقبة بن نافع، ممّن يحفظون كتاب اللّه ويتدبّرونه، ويهتدون به، ويعملون على نشر هدايته، كما يشاركون في العلوم الشّرعيّة والأدبيّة والعقليّة، ويضربون في اللّغة الفرنسيّة بسهم، هو الشّيخ عمر بن العسكري".

رويسات محمّد

المصادر:

- موسوعة الشّعر الجزائري، مجموعة أساتذة من جامعة منتوري، ج1 ص236.
- مجلّة الشّهاب، العدد الخاص بالاحتفال بختم ابن باديس لتفسير القرآن الكريم.ج4 م14 ص258، م7ج10ص626.

عمّار قوقة
(1341ه-1923م/1379ه-1960م)

هو الشّهيد البطل (عمّار قوقة)؛ أحد أبطال ثورة التّحرير الجزائريّة في منطقة الشّمال القسنطيني، وميلة، وجيجل، وُلد يوم: (16رمضان1341هـ)، المُوافق لـ(02 ماي 1923م)، بمنطقة (الجناح)؛ قرب بلديّة (سيدي عبد العزيز) بولايّة (جيجل)؛ نشأ وترعرع في عائلة بسيطة ومتوسطة الحال، وقد تولى والدّه تعليمه القرآن الكريم في الكتاتيب، واجتهدت أسرته التي كانت تشتغل بالحدادة في تدريبه على حب الدّين الإسلامي الحنيف، والوطن العزيز، وقد تنقلت أسرته من منطقة إلى أخرى؛ حيث تعلّم في عدّة مناطق، ومن بين المناطق التي استقرت بها عائلته منظذقة (درسون) قُرب (عين الكرمة)، ثم انتقلت إلى منطقة (القرارم) بولايّة (ميلة)؛ وبعد استقلال الجزائر أضيف إلى هذه المنطقة اسم الشّهيد البطل (عمّار قوقة)؛ فأصبحت تُعرف باسم (القرارم قوقة)، وفي هذه المنطقة عرفت دراسته نوعاً من الاستقرار، حيث درس الشّهيد (عمّار قوقة)، على يدّ الشّيخ المعروف على مستوى ولايّة (ميلة) (بلقاسم مزهود)؛ الذي أثّر في شخصيته، وتأثر بفضله بأفكار (جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين)؛ وقد تشبع الشّهيد البطل (عمّار قوقة) منذ صغره بالأفكار الوطنيّة، بفضل البيئة التي نشأ فيها؛ حيث نبّهه رفاقه منذ بدايّة وعيه إلى مخاطر الاستعمار، وجرائمه الفظيعة؛ فانتبه مُبكراً إلى الفروق الشّاسعة بين حال الجزائريين أصحاب الأرض المغتصبة من قبل الاستدمار الفرنسي، والمستعمرين الغرباء الذي نهبوا خيرات البلاد، ونسبوا كل شيء إلى أنفسهم، وقد ظل يعمل في مهنة الحدادة؛ التي ورثها عن عائلته، وكان مقر عمله في منطقة (القرارم) بولايّة (ميلة)، وقد ناضل منذ ريعان شبابه في صفوف: " حزب الشّعب الجزائري"؛ الذي تأسس يوم: (28ذو الحجة1355هـ)؛ الموافق لـ (11مارس1937م)، وذلك بعد حظر سلطات الاحتلال الفرنسي لنشاط" نجم شمال إفريقيا"، وفي عام: (1943م) أُجبر على أداء الخدمة العسكريّة مع القوات الفرنسيّة، وذلك بمدينتي (القالة) و(عنابة) بالشّرق الجزائري، وبعد مجازر 8 ماي1945م؛ تأكد الشّهيد البطل (عمّار قوقة) بأنه من الاستحالة أن تنجح الحركات النّضاليّة السّياسيّة، وظلّ يؤكد لأصدقائه قبل اندلاع ثورة التّحرير المظفرة بأن الاستقلال يجب أن يُنتزع بالقوة؛ فالحل الوحيد هو حمل السّلاح، والنّضال إلى غايّة الشّهادة؛ وبقي في انتظار الوقت المُناسب لمحاربة المستعمر الفرنسي، وانتمى منذ البدايّة إلى صفوف: "حركة الانتصار للحُريّات الدّيمقراطيّة"، عام: (1365هـ/ 1946م)، وبسبب نشاطه في صفوف الحركة الوطنيّة الجزائريّة بمنطقة (القرارم) بولايّة (ميلة) تعرض لعقوبات كبيرة، ومضايقات رهيبة من لدن سلطات الاستدمار الفرنسي؛ وتمت محاكمته عدّة مرات، وقد حكمت عليه إحدى المحاكم الفرنسيّة الظّالمة بغرامة ماليّة ضخمة جداً، من أجل تعجيزه وإجباره على إيقاف نضاله وكفاحه الوطني ضد الاستدمار الفرنسي؛ وعلى الرّغم من التّعذيب الذي كابده، والاستجوابات والاستنطاقات الكثيرة التي تعرض لها ظلماً، فإنها لم تنقص من عزيمته واستمر في الكفاح الوطني، وبعد قيام ثورة التّحرير المظفرة سنة: (1373هـ/ 1954م)، شارك فيها منذ البدايّة، ولم يتأخر لحظة واحدة عن تلبيّة نداء الوطن، وكان الشّهيد البطل (عمّار قوقة) شُعلة في بث الرّوح الوطنيّة، وإبراز مساوئ المستدمر الفرنسي؛ وكان له إسهام فاعل في ثورة التّحرير الجزائريّة في منطقة (القرارم)؛ ونظراً للنجاحات الكبيرة

التي حققها؛ فقد تقلد العديد من المناصب منها: نائب مسؤول فوج؛ حيث قام برسم العديد من الخطط للمعارك النّاجحة في منطقة الشّمال القسنطيني، وميلة، وجيجل، وأشرف على تنفيذ العديد من العمليات العسكريّة والسّياسيّة، وأسهم إسهاما عظيماً في تبليغ رسالة ثورة التّحرير الجزائريّة المظفرة، كما كان ينهض بعمليات جمع الاشتراكات، وتنظيم سلاسل البريد، ودعوة أبناء وطنه إلى مقاطعة المحاكم العسكريّة الفرنسيّة، وعدم العمل مع القوات الفرنسيّة، وفي عام: (1375هـ/ 1956م) رُقّي إلى رتبة مسؤول عن النّاحيّة الثّانيّة القسمة الثّانيّة؛ فقاد العديد من العمليات النّاجحة ضد قوات الاحتلال الفرنسي، حيث نجح نجاحاً باهراً في ضرب الاقتصاد والمصالح الاستعماريّة من خلال حرق مزارع المعمرين، وقطع أعمدة الكهرباء، وتخريب الطّرق والجسور، وقد تميّز الشّهيد البطل (عمّار قوقة) بشخصيّة قويّة جداً؛ فقد كان رجلاً ثورياً بامتياز، يصفه كل من عرفه بأنه صاحب شخصيّة قويّة، وشجاعة، ومبتسمة، وبشوشة، كل من خامره يشعر بالرّاحة نظراً لتواضعه، وبساطته، وإحساسه بآلام الغير، ولكنه حاد ومنضبط جداً أثناء العمل، وتطبيق المبادئ الثّوريّة، ولا يخشى في الحق لومة لائم، ومن خلال عصاميته، واعتماده على الذات استطاع أن يرقى في تخطيطه لكثير من العمليات العسكريّة إلى درجة المثقف والمتكون؛ فقد كانت له كفاءة عاليّة في التّوجيه، والتّنظيم تفوق صاحب الشّهادة العلميّة، يعد قامة سامقة من القامات الجهاديّة النّادرة في منطقة (جيجل) التي لم تنل حظها من الدّراسة، والبحث، له مسيرة حافلة بالإنجازات في منطقة لشّمال القسنطيني)، له مسيرة حافلة بالإنجازات في منطقة (الشّمال القسنطيني) و(ميلة)؛ التي شارك في أغلب المعارك التي شهدتها المنطقة منذ بدايّة ثورة التّحرير المظفرة، وإلى غايّة إعلان وقف إطلاق النّار؛ تجاوزت شخصيته حدود العمل العسكري، لتمتد إلى التّفكير، والتّدبير، والتّخطيط لعمليات معقدة، وصعبة في المنطقة، وقد تعرض في كثير من العمليات النّضاليّة لأخطار الموت المحقق، وهو الذي شهد على تطور الثّورة منذ بدايتها في المنطقة، إلى غايّة الاستقلال، وأسهم مساهمات فاعلة في الاتصال بالشّعب، وإقناع الشّباب في حمل السّلاح، والصّعود إلى الجبال لمؤازرة المجاهدين، والقتال في صفوفهم، ودعم الثّورة في شتى الجوانب، والسّهر على التّموين، وجمع الأخبار التي تقتفي أثر المستعمر لإنجاح العمليات العسكريّة، وقد لعب دوراً بارزاً في الحفاظ على وحدة الصّف، وضمان مسيرة الثّورة على مبادئ بيان أوّل نوفمبر؛ فقد شارك الشّهيد البطل (عمّار قوقة) في عشرات المعارك والعمليات الفدائيّة، ومن أبرز المعارك التي شارك فيها خلال ثورة التّحرير المظفرة: " معركة زكرانة" الحاسمة، يوم: (13أفريل1957م)، والتي يصفها المجاهد (عمر شيدخ العيدوني)، بقوله: " في 13 أفريل 1957م وقعت عمليّة زكرانة في دوار بني صبيح بالميليّة، وكانت معركة كبيرة جدا، تعد من أكبر المعارك التي خاضها الثّوار حيث دامت يوما كاملا وكان القتال ضاريا، وأسفرت عن قتل أكثر من100 جندي من بينهم ضباط كبار والذي قام بهذه العمليّة جيش النّاحيّة الأولى والثّانيّة بقيادة المدعو ميلاط ورابح جوامع وعمار ثوقة، ومما ساعد على تحقيق هذا النّصر فرار بعض المساجين الجزائريين من دوار بني والبان – كانوا مع الفرنسيين – يحملون عدّة أجهزة للإرسال والاستقبال كان يستعملها العدو، فصعب عليه طلب المدد والدّعم، وغنم المجاهدون كميّة هائلة من الأسلحة منها (رشاشتان من عيار24/ 29)، وذخائر متنوعة وملابس وأجهزة إرسال، وقد استشهد من رجالنّا سبعة، وجرح ثمانيّة، وشارك في هذه العمليّة المناضل الكبير إبراهيم حشاني المدعو سي محمود الذي خاطب الجنود الفرنسين بقوله "نحن الأحرار وأنتم المرتزقة ولنا مبادئ ولا مبدأ لكم" وجرح في هذه المعركة من فمه وعندما سمع بن طوبال قال:"هذه هي الإصابة التي يستحقها لأن فمه كبير ويتكلم كثيرا"، وهذه من دعابات المعارك. وقد كان لهذه الواقعة تأثيرات كبيرة على معنويات الجنرالين صالون وسوفانياك".

كما شارك الشّهيد البطل (عمّار قوقة) في " معركة تسقيفت الكبرى"؛ التي تعد من أكبر المعارك البطوليّة التي وقعت صبيحة يوم: (27 رمضان1376هـ)؛الموافق لـ (27 أفريل1957م)؛ بإشراف فيلق الولايّة التّاريخيّة الثّانيّة بقيادة المجاهد المعروف (مسعود بوعلي)، ونائبه (المُختار دخلي البركة–)، وقد تميزت هذه المعركة الذائعة الصّيت بمهاجمة وحدات كبيرة جداً، ومُدججة بأسلحة ضخمة من قوات العدو الفرنسي، وعلى الرّغم من التّفاوت الكبير بين القوات الفرنسيّة، والثّوار في العدة والعتاد، إلا أن الظّروف الطّبيعيّة الصّعبة ساعدت أبطال " معركة تسقيفت الكبرى"؛ حيث جاء في شهادة بعض المجاهدين الذين شاركوا في المعركة، وهم: (أحد بوجويجذ، وحسن كمال، ويوسف مليط، ومحمّد بلاح، ومولود بوبرتخ، ومحمود لعور، ومفتاح حسن المدعو:الشّاوي، والطّيب بيوض، وعلي دعا المدعو: بن جقون)، أن المنطقة الجبليّة الوعرة المسالك (تسقيفت) تكاد تكون مغلقة الاتجاهات، ولا تمنح لقاصدها الحمايّة، وحريّة الحركة، كما أن تواجد النّهر زاد الوضع تفاقماً، ولاسيما عندما تنهمر الأمطار، وقد وصفوا مجريات أحداث المعركة التي خطط لها الشّهيد (المُختار دخلي البركة–) بأنه في الأسبوع الأخير من شهر أفريل سنة:1957م، كان فيلق الولايّة الثّانيّة متمركزاً بناحيتي: (مشاط)، و(أولاد عربي)، وهو يتشكل من ثلاث كتائب تابعة لمجموعة من النّواحي بالولايّة التّاريخيّة الثّانيّة، ومن بينها: الطّاهير، والميليّة، وسكيكدة، وقد تمت عمليّة الاستطلاع النّهائيّة مساء يوم:26أفريل1957م، وبعد دراسة المنطقة بدقة استقر الرّأي على أن يكون الكمين على جانبي الطّريق شرق وغرب الوادي المُحادي للطريق؛ الذي من المقرر أن تعبره قوات الاحتلال الفرنسي، وبعد النّجاح الباهر لهذه المعركة ذاع صيت الشّهيد البطل (عمّار قوقة) أكثر في

المنطقة، حيث إنها أسفرت على القضاء على ما يزيد عن مائتي عسكري من قوات العدو الفرنسي، وأدت إلى إصابة عدد كبير من الجنود بجراح متفاوتة الخطورة، وتمّ اغتنام الكثير من الأسلحة المتطورة، وأجهزة الإرسال والاستقبال، كما شارك الشّهيد (عمّار قوقة) في" معركة زقار الكبرى الأولى"، يوم: (11ماي1957م)؛ ففي هذا اليوم التّاريخي المشهود، وبعد خمسة عشر يوماً من التّخطيط الدّقيق؛ نصب قادة أحد الفيالق التّابعة للولايّة التّاريخيّة الثّانيّة، وبقيادة المجاهد (مسعود بوعلي)، والشّهيد (دخلي المختار –البركة–) كميناً لقافلة ضخمة من قوات جيش الاحتلال الفرنسي، وذلك بمشاركة ما يزيد عن ثلاثمائة مجاهد من شتى المناطق، وبعد أن توزعوا إلى عدّة أفواج، تمت محاصرة القوات الفرنسيّة من جميع الجهات مما حقق نجاحاً باهراً للمجاهدين، وبعد أن جاءت الطّائرات الفرنسيّة لنجدتهم كان الليل قد خيّم على المكان، ولم تتمكن قوات الاحتلال من العثور عليهم، وقد أسفرت هذه المعركة عن مقتل ما يزيد عن مائة من جنود قوات الاحتلال الفرنسي.

وفي سنة: (1377هـ/ 1958م) رُقي الشّهيد البطل (عمّار قوقة) إلى رتبة مسؤول عسكري للناحيّة الثّانيّة، وذلك اعترافاً بشجاعته وبطولاته، وإقدامه على تحقيق انتصارات ساحقة على قوات الاحتلال الفرنسي، وفي يوم: (22 مارس 1960م)، حوصر الشّهيد البطل (عمّار قوقة) بمنطقة (المزاير) قُرب جبال حمام ببني هارون بولايّة (ميلة) مع عدد قليل من رفاقه، فاستشهد في المنطقة بعد معركة غير متكافئة، وبعد استشهاده قام جنود الاحتلال الفرنسي بحمل جثته، والتّجول بها في منطقة (القرارم)؛ كونه كان من أبرز المطلوبين لدى سلطات الاحتلال الفرنسي لمدة طويلة، كما قاموا بوضع جثة الشّهيد البطل (عمّار قوقة) في المنطقة في ساحة كبيرة، وقاموا باستخدام مكبرات الصّوت ومناداة النّاس للتفرج على جثة أحد أبطال ثورة التّحرير الجزائريّة؛ الذي دوّخ جنرالات العدو الفرنسي، كما كتبت الصّحافة الفرنسيّة مقالاً مُطولاً عن الشّهيد البطل (عمّار قوقة)، ووضعت فيه صورته، ووصفت استشهاده بأنه نجاح كبير لسلطات الاحتلال الفرنسي . رويسات .

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1 – عمر شيدخ العيدوني:مملكة الفلاقة، شهادة المجاهد عمر شيدخ العيدوني على وقائع ثورة التّحرير المباركة في الولايّة الثّانيّة، دار الهدى للطباعة، والنّشر، والتّوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م.

2 – من معارك ثورة التّحرير، منشورات قسم الإعلام والثّقافة بالمنظمة الوطنيّة للمجاهدين، الجزائر، د، ت.

3 –عائشة ليتيم:زمن الأبطال والبطولات:صور خالدّة من بطولات نمور الشّمال القسنطيني، منشورات دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015م.

عمر بن يحي الهنتاتي (ت: 571هـ - 1175م)

يعمر بن يحي الهنتاتي المكنّى بأبي حفص، هو شيخ قبيلة هنتاتة إحدى بطون مصمودة لكن البعض نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب. عاش في القرن السّادس الهجري، الثّاني عشر الميلادي فقد كانت وفاته سنة 571 هـ/ 1175م. هو رجل من خاصّة ابن تومرت وأحد مريديه العشرة السّابقين إلى مبايعته ونصرته، والذين قامت على سواعدهم دولة الموحدين التي أسّسها ابن تومرت، وكان موقعه في القيادة يلي مكانة عبد المؤمن بن علي الكومي.

كانت السّلطة في عهد ابن تومرت مع بدايات تأسيس حكم الموحدين تقوم على ثلاثة ركائز: بيت المؤسّس المهدي ابن تومرت ومجلس الخمسين الذي يمثل شيوخ القبائل والفقهاء. بعد وفاة ابن تومرت ظهرت فئتان سيطرتا فيما بعد على قيادة الدّولة الموحديّة هما فئة السّادة ومنهم الخلفاء عبد المؤمن بن علي وبنيه، وفئة الشّيوخ كأبي حفص عمر الهنتاتي بينما توارى دور الفقهاء وكاد ينحسر في الأقاليم عبر ما عرف بالطّلبة وهم طلبة الفقه. ولهذا تكرّس موقع أبي حفص في السّلطة كثالثّ شخصيّة في هرم الدّولة. تعززت تلك المكانة بعد أن تولى عبد المؤمن منصب الخليفة حيث عين الشّيخ أبي حفص وزيرا له ثم صار مع الوقت مساعده الأساسي، فإذا خرج عبد المؤمن للحرب خلفه أبو حفص في سدة الحكم، وبهذه الصّفة صار أحد كبار الدّولة وحافظ على ولائه لعبد المؤمن خاصّة بعد وقوفه إلى جانبه عقِب تمرد قبيلة غُمارة وبعض فِرق صنهاجة عليه.

وكان فتح مدينة وهران سنة 1145م من طرف أبي حفص لتوسيع فضاء الدّولة الموحديّة في المغرب الأوسط قد جعله أبرز قيادات الجيش الموحدي فضلا عن مكانته السّياسيّة. وفي سنة 1159م أسند عبد المؤمن له إدارة الدّولة في مراكش قبل أن يتوجه إلى تونس التي كانت مهددة بغزو النّورمان الذين اجتاحوا بعض سواحل أفريقيا.

وهكذا صار الشّيخ عمر بن يحي الهنتاتي أحد قادة الموحدين الذين لا يمكن تجاهل دورهم المؤثر في الحياة السّياسيّة والعسكريّة في تلك المرحلة من تاريخ تطور بلاد المغرب. ولعل أبرز عمل خلد ذكره هو انتساب الدّولة الحفصيّة له، وهي إحدى الكيانات الثّلاثة التي قامت على أنقاض دولة الموحدين. دولة بني حفص في تونس وامتد نفوذها إلى شرق الجزائر، ودولة بني زيان في المغرب الأوسط، ودولة بني مرين في المغرب الأقصى. وكانت دولة بني حفص

أسبق الثّلاثة وجودا وأعمقهم تأثيرا ودام حكمها أكثر من ثلاثة قرون.

يعود سبب توليّة بني حفص على تونس من قبل الموحدين إلى ظهور حركة بني غانيّة حكام جزر البالير وكانوا من الموالين لدولة المرابطين، فاستولوا على تونس والمهديّة وطرابلس وانتشرت حركتهم واتسع نفوذهم. لما تم الانتصار عليهم سنة 603 ه/ 1206م من طرف الخليفة محمّد النّاصر بن يعقوب بن يوسف، ولّى أمر أفريقيا (تونس اليوم) لأحد الرّجال الذين يثق فيهم وهو أبو محمّد بن عبد الواحد بن أبي بكر بن عمر بن يحي الهنتاتي، ومنحه سلطات تخوله حكما شبه مستقل عن مراكش مقر الدّولة الموحديّة. وقد استمر ولاء الحفصيين للموحدين ثابتا حتى تولى أبا زكريا يحي الأول الحكم (626 هـ/ 1228م – 647 هـ/ 1249 م) فألغى الدّعوة للموحدين. وصار سلاطين بني حفص، في بدايّة أمرهم، يلقب الواحد منهم بأمير المؤمنين لأنهم يعتبرون أنفسهم ورثة الدّولة الموحديّة التي دام سلطانها على بلاد المغرب في العصر الوسيط طيلة قرن ونصف وامتد نفوذها من المغرب الأقصى إلى طرابلس، ثم اكتفى المتأخرون منهم بلقب السّلطان.

امتد نفوذ بني حفص إلى شرق الجزائر، وصارت بجايّة هي عاصمة الجزائر الحفصيّة ونافستها قسنطينة على هذا المركز. وكان الأمير أبو زكريا يحي ابن السّلطان أبي إسحاق إبراهيم رابع خلفاء دولة بني حفص هو الذي استقل بإمارة الجزائر الحفصيّة. ويحدد الشّيخ مبارك الميلي الجزائر الحفصيّة بقوله: "إنها تشمل عمالتي (ولايتيْ) قسنطينة والجزائر إلى مليانة غربا وورگلة/ ورقلة جنوبا وكانت بجايّة هي قاعدتها، وأول ولاتها هو أبو يحي زكريا وذلك ابتداء من سنة 633هـ. وهو نفس ما يذهب إليه الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي بقوله: " هي عبارة عن مقاطعتيْ الجزائر وقسنطينة مع جزء من مقاطعة وهران، وتنقسم إلى أربع ولايات هي ولايّة بونة (عنابة) وولايّة بجايّة وولايّة قسنطينة وولايّة الزّاب وقاعدته بسكره وتارة مقرة من بلاد الحضنة".

يصف الشّيخ مبارك الميلي عمر بن يحي الهنتاتي بأنه "كان معظّما في الدّولة المؤمنيّة"، بينما يقول عنه الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي: " برهن أبو حفص على كفاءته ومقدرته السّياسيّة والإداريّة في جميع الأعمال والولايات التي تولاها لدولة الموحدين بالمغرب الأقصى والأندلس فاستحق عن جدارة ما تبوأه من المقام السّامي والاصطفاء بهذه الدّولة". وقد توفي سنة 571هـ/ 1175م مخلفا وراءه أبناءً وحَفَدة أسّسوا دولة شامخة نسبوها إليه عرفانا بفضله.

عامر بغداد

المصادر:

- تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج2، دار الثّقافة، بيروت.
- موسوعة المغرب العربي، عبد الفتاح الغنيمي، ج5، مكتبة مدبولي، القاهرة
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، ج 2. المؤسّسة الوطنيّة للكتاب.

■ عُمر بوشموخة
(1373هـ - 1954م/1435هـ - 2013م)

هو عُمر بوشموخة؛ ولد سنة: (1373هـ/ 1954م) بقريّة: (أشموخن)؛ التي تقع بضواحي منطقة (الميليّة) بالشّمال القسنطيني؛ بالجزائر؛ وتعد همزة وصل بين عدة مدن رئيسيّة؛ مثل: جيجل (غربا)؛ والقل وسكيكدة (شرقا)؛ وميلة وقسنطينة (جنوبا)؛ والبحر الأبيض المتوسط (شمالا)؛ فهو لا يبعد عنها إلا بحوالي 7 كلم... بالشّمال القسنطيني، وقد نشأ في أسرة بسيطة ومتواضعة، وترعرع في كُتاب قريته؛ فحفظ القرآن الكريم بها بعد انتقاله إلى مجموعة من المدارس القرآنيّة التي كانت منتشرة بكثرة في المنطقة، وقد وصف هذه المرحلة من حياته بقوله: "ولدت ضمن أسرة ريفيّة جدا "فقيرة بمالها، ولكن غنيّة بنفسها، أبيّة بشهامتها، سخيّة بتقديم شهدائها قربانا للوطن المقدس" ولدت بقريّة اسمها: (أشموخن) بضواحي الميليّة... قريّة جبليّة غابيّة... تستريح على كتف جبل (تاسلات) المرتفع ...وتحرسها أشجار عملاقة من (البلوط) تكاد تنطح السّماء برؤوسها، فلا تهتز إلا إذا بثها النّسيم أشواقه، ولا تتبسم إلا للطيور الشّاديّة، التي تبحث عن مأوى لها ... وتحت قريتي يمر نهر (علوشة) يغسل أقدامها، ويسير مرددا نشيدا حلوا في مدح نفسه لأنه يقدم ماءه للجميع بكرم، وسخاء ... ضمن هذه الصّورة الرّومانسيّة تزامنت صرخة ولادتي بالرّصاصات الأولى لثورتنا التّحريريّة، وامتزجت تلك الصّرخة بدوي مدافع العدو، وأزيز طائراته العسكريّة ... لتعلن عن ميلاد فجر الحريّة في أحراش بلادي...".

وقد أضحت منطقة (الميليّة) وجبالها، والتي نشأ في ربوعها الأستاذ (عمر بوشموخة) معقلاً للثورة الجزائريّة إلى درجة أنها سُميت بـ: (مملكة الفلاقة)، وهي التّسميّة الذي أطلقها (الجنرال شال)؛ القائد العام للقوات المسلحة الاستعماريّة بالجزائر على المنطقة؛ بسبب كثرة العمليات العسكريّة بها، وبسبب الصّعوبات الجمة التي واجهها جيش الاحتلال الفرنسي بها؛ حيث جاء في كتاب :(الوقت الضّائع) في الفصل الذي يتحدث فيه (الكولونيل ترانكي) عن مخطط شال، قوله متحدثاً لترانكي :" سأعطيك قيادة المنطقة الأكثر صعوبة في الجزائر، إنها الميليّة. لقد مات بها عدة قواد، الكولونيل ماري الذي كان يحكمها اغتيل على بعد مائة (100) متر من المدينة، إنه ثاني كولونيل يقتل في المنطقة (الميليّة) بالإضافة إلى اثنين من متصرفي المنطقة قتلا في مكتبهما. في العام الماضي قمنا بعمليّة استلزمت مجموعات

كاملة لـم نحصل خـلال أيام عديـدة إلا على بندقيّـة صيـد، شـيء مضحك، ومؤسـف في الوقـت نفسـه. هـذا مـا لا أريـده أن يتكـرر. الميليّـة... إنهـا مملكـة الفلاقـة. هنـا أريد أن أنهي الحرب، عندما تتغلب على تلك المنطقة عند ذلك ستنتهي الحرب...".ومن

خـلال كلام (الجنرال شـال) يتضـح الدّور الكبيـر الـذي لعبته منطقـة (الميليّة) أثنـاء ثورة التّحريـر المباركـة إلـى درجة أنـه يربـط انتهاء الثّورة الجزائريّة بالقضـاء على منطقة (الميليّة) وبعد استقلال الجزائر سنة: (1382هـ/ 1962م) درس الأسـتاذ (عمـر بوشـموخة) بمنطقـة (الميليّـة) ضمـن قسـم فرنسـي، وفـي سـنة: (1387هـ/ 1967م) انتقـل إلـى الدّراسـة باللُّغة العربيّـة فـي مدرسـة معرّبـة، وبعـد أن اجتـاز مراحل التّعليم الابتدائي انتقل للدراسـة بمدينة (قسـنطينة) فدرس بها ثلاث سـنوات، وخلال سـنوات السّـبعينيات من القرن المنصرم انتقل إلـى (الجزائر العاصمة) وانتسـب إلى مدرسـة (إطارات الشّـباب) وتحصل منها على شـهادة في فنّ الموسيقى، وتخرج منها إطاراً متخصصاً في فنّ الموسـيقى، وبعدها انتقـل للتعليم لعدّة سنوات في مرحلة التّعليم المتوسط، كما عمل لسنوات طويلة في العديد من الصّحف الوطنيّة، من بينها: (جريدة العُناب) و(جريدة النّصر) و: (جريدة النّهار) وقد بدأ الباحث والأديب (عمر بوشموخة) النّشر، والكتابة في الصّحف الوطنيّة منذ مطلع السّبعينيات من القرن المنصرم؛ حيث نشـر مئـات المقـالات؛ فقـد عـرف الكثير من الأدبـاء والمثقفيـن الجزائرييـن الأسـتاذ (عمر بوشـموخة) بصفته باحثـاً، ومبدعـاً، وإعلامياً، كمـا عرفـوه من خلال نشـاطاته ومشـاركته في مختلف الملتقيات الأدبيّة، واللقاءات الثّقافيّة؛ حيث شـارك فـي عشـرات الملتقيـات الأدبيّة، والثّقافيّـة منذ سـنوات السّـبعينيات مـن القرن المنصـرم، كمـا ذاع صيتـه مـن خـلال مقالاته التي يكتبها فـي مختلف الصّحف، والمجلات الوطنيّـة، والعربيّـة، وقـد كان الأديـب (عمـر بوشـموخة) معروفـاً بالانضبـاط، والاجتهـاد، والتّفـوق، حيـث كان عـدد كبير مـن المثقفين يحرصـون علـى متابعـة البرامـج التـي يقدمها بإذاعـة عنابة، حيث عُـرف ببرنامجين خفيفين، ومتميزيـن هما:(كاتـب وكتـاب)، و(من ذاكرة الموسـيقى العربيّـة)، ومـن بيـن المجـلات العربيّة التي دأب على النّشـر فيها مجلّة(عمّان) الثّقافيّـة؛ التـي كانـت تصـدر عـن أمانـة عمّان الكبـرى بالمملكـة الأردنيّة، فقـد كان يحرص على مراسـلتها باسـتمرار، وقد ودعت السّاحة الثّقافيّـة، والأدبيّة الأسـتاذ الباحث والإعلامي (عُمـر بوشـموخة) يـوم: (23صفر1435هـ) المُوافـق لـ (27ديسـمبر2013م). ومـن أهـم مؤلفاتـه المطبوعة: (الإبداع فـي الفن الأدبي)، و(جماليات الموسـيقى العربيّـة)، وقد أخبرني فـي آخر لقـاء جمعني به بأنه قد فـرغ من تأليف كتـاب عـن الفنانـة الجزائريّـة (وردة) وأغانيها الوطنيّـة، كمـا حدثني فـي أحد لقاءاتـي به عن قصتـه الطّويلـة التـي كتبهـا عن مسـقط رأسـه قريّة(أشموخن)؛ التي تقع قرب الميليّة بالشّمال القسـنطيني، والتي قارن فيها بين وضعيتها إبان فتـرة الاحتـلال الفرنسـي، والتّحـولات التـي وقعـت بعد ثـورة التّحريـر المظفـرة، وقد كان آخر كتاب يطُبع له قبل وفاته، كتاب:(الصّحافة والقانون)؛ قدم الأستاذ عمر بوشموخة معالجة متميّـزة لمجموعـة مـن القضايـا المهمـة التي تتصـل بالصّحافـة والقانون، فهو يرسـم صورة واضحـة المعالـم عن جملة مـن الموضوعات التي هـي جديرة بالبحـث والتّنقيب والدّراسـة مثل(نظريّـة الحريّـة فـي الصّحافـة)، و(الرّقابة على الحريّة الصّحفيّـة)، و(القيـود الـواردة على حريّـة الصّحافـة)، وغيرها مـن القضايا.

عـن سـبب تأليفه لهـذا الكتـاب يقول الأسـتاذ بوشـموخة فـي مقدمتـه: "إيماناً منـي بالحاجة الماسـة للثقافة القانونيّة عند كل ممارس لمهنة الصّحافـة، فقـد ارتأيت من خلال هـذا البحث المتواضـع أن أقتـرب مـن النّصـوص القانونيّة التي تنظم المهنة الصّحفيّة، وتفتح الطّريق أمام الصّحفي، لكـي يعرف متى تبـدأ حريته، ومتى تنتهي حدوده وهو يمـارس مهنته الصّحفيّة، ما بين حقوقه وواجباته، انطلاقاً من الرّسالة الأمانة التـي يحملها على عاتقـه، لأن المهنة الصّحفيّة إذا لـم يتسـلح صاحبهـا بما يجب مـن المعرفة القانونيّـة المتصلة بنشـاطه الصّحفـي اليومي، سـوف تكون حالتّه قريبة من السّفينة التي تفتقد إلى الرّبـان الذي يتحكـم في قيادتهـا، في بحر هائج متلاطـم الأمواج، من هـذا المفهوم تأتي أهميّة الكتاب هـذا في محاولة لتنوير الصّحفي المهني بما تستحقه مهنته من المعارف القانونيّة اللازمـة، ولأجـل تحقيق هذا الغـرض عمدت إلى الرّجوع إلى أهم المرجعيات القانونيّة التي واكبـت ظهور وتطـور الصّحافـة العربيّة بصفة عامـة، والصّحافة الجزائريّـة بوجه خاص، وقد سـعيت أن أحيـط بالموضوع بما يسـتحقه من عنايّة، مستفيداً من تجارب الكتاب والإعلاميين الكبار، كما راعيت في ذلك البسـاطة والابتعاد عـن التّعقيـدات التي تشـوب بعـض الكتابات والأبحاث التي تتناول مثل هذه الموضوعات، حيـث تغيـب المرونـة التـي ينبغـي أن تكـون حاضرة لدى الباحثين والمهتمين.

كمـا حدثنـي فـي أحـد لقاءاتـي بـه عـن قصتـه الطّويلـة التـي كتبهـا عن مسـقط رأسـه قريّة(أشموخن)؛ التي تقع قرب الميليّة بالشّمال القسـنطيني، والتي قارن فيها بين وضعيتها إبان فتـرة الاحتـلال الفرنسـي، والتّحـولات التـي وقعـت بعد ثـورة التّحريـر المظفـرة، وقد كان آخر كتاب يطُبع له قبل وفاته، كتاب:(الصّحافة والقانون)؛ قدم الأستاذ عمر بوشموخة معالجة متميّـزة لمجموعـة مـن القضايـا المهمـة التي تتصـل بالصّحافـة والقانون، فهو يرسـم صورة واضحـة المعالـم عن جملة مـن الموضوعات التي هـي جديرة بالبحـث والتّنقيب والدّراسـة مثل(نظريّـة الحريّـة فـي الصّحافـة)، و(الرّقابة على الحريّة الصّحفيّـة)، و(القيـود الـواردة على حريّـة الصّحافـة)، وغيرها مـن القضايا.

عـن سـبب تأليفه لهـذا الكتـاب يقول الأسـتاذ بوشـموخة فـي مقدمتـه: "إيماناً منـي بالحاجة الماسـة للثقافة القانونيّة عند كل ممارس لمهنة الصّحافـة، فقـد ارتأيت من خلال هـذا البحث المتواضـع أن أقتـرب مـن النّصـوص القانونيّة التي تنظم المهنة الصّحفيّة، وتفتح الطّريق أمام الصّحفي، لكـي يعرف متى تبـدأ حريته، ومتى تنتهي حدوده وهو يمـارس مهنته الصّحفيّة، ما بين حقوقه وواجباته، انطلاقاً من الرّسالة الأمانة التـي يحملها على عاتقـه، لأن المهنة الصّحفيّة إذا لـم يتسـلح صاحبهـا بما يجب مـن المعرفة القانونيّـة المتصلة بنشـاطه الصّحفـي اليومي، سـوف تكون حالتّه قريبة من السّفينة التي تفتقد إلى الرّبـان الذي يتحكـم في قيادتهـا، في بحر هائج متلاطـم الأمواج، من هـذا المفهوم تأتي أهميّة الكتاب هـذا في محاولة لتنوير الصّحفي

المهني بما تستحقه مهنته من المعارف القانونيّة اللازمة، ولأجل تحقيق هذا الغرض عمدت إلى الرّجوع إلى أهم المرجعيات القانونيّة التي واكبت ظهور وتطور الصّحافة العربيّة بصفة عامة، والصّحافة الجزائريّة بوجه خاص، وقد سعيت أن أحيط بالموضوع بما يستحقه من عنايّة، مستفيداً من تجارب الكتاب والإعلاميين الكبار، كما راعيت في ذلك البساطة والابتعاد عن التّعقيدات التي تشوب بعض الكتابات والأبحاث التي تتناول مثل هذه الموضوعات، حيث تغيب المرونة التي ينبغي أن تكون حاضرة لدى الباحثين والمهتمين.

وبالنّسبة إلى شعره، والذي جمعه في ديوان موسوم ب: (أشعاره شفاه الورد)، فهو يتميز بجملة من الخصائص الفنيّة، لعل أبرزها أنه شعر رائق الدّيباجة سلس الأسلوب، وعذب الألفاظ، وقد تمحور الشّاعر الأستاذ (عمر بوشموخة) من خلال القضايا التي طرحها في شعره بين الذاتي، والموضوعي، إلا أن الجانب الذاتي نال حصة الأسد، وهو أمر معروف ومعهود لدى رواد الاتّجاه الوجداني الرّومانسي، ولم يقتصر شعره على أغراض محددة؛ بل إنه طرق معظم الأغراض الشّعريّة العربيّة المعروفة، وأحياناً نجد هذه الأغراض مفردة في قصائد خاصة، وأحياناً نُلفيها في ثنايا قصيدة جمع الشّاعر فيها بين عدة أغراض، ومن حيث القيمة الفنيّة يظهر شعره في مجمله عميق الدّلالة، وقليل التّكلف، ويتميز بشعور ذاتي صادق؛ فشعره كان بمثابة مرآة صادقة للأحوال النّفسيّة التي يعيشها الشّاعر، كما يتجلى لنا ابتعاد الشّاعر عن الغموض، والتّهويم، الذي لجأ إليه شعراء هذا الجيل بسبب تأثرهم بالتّجربة الغربيّة؛ فشعره يتسم بوضوح معانيه، وصدق عاطفته، وحرارة الشّعور. ونجد الشّاعر في كثير من قصائده يتوسل بصور فنيّة ساحرة، منها ما هو رمزي حديث للتعبير عن قضاياه الشّعريّة وهو قليل، وأكثرها مما هو بلاغي قديم، ونجد في شعر الأستاذ (عمر بوشموخة) الكثير من المعاني مُكررة، ولاسيما في قصائده التي يُلقي فيها الضّوء على أشجانه، وهواجسه الذاتيّة، وهذا يعود إلى عفويّة الشّاعر، وشاعريته الطّافحة، وثروته اللُّغويّة الكبيرة، حيث إنه يطرح القضيّة نفسها؛ بيد أنه يُعبر عنها تعبيراً يختلف عما سبقها اختلافاً جذرياً، وقد وظف التّراث في العديد من قصائده، وشيّد جُسور تواصل وطيدة مع الموروث الشّعري العربي القديم، ويتضح للدارس أن علاقته بالتّراث لا تقوم على التّقليد، والتّكرار، وإعادة إنتاج التّراث كما هو؛ بل تقوم على التّفاعل العميق مع عناصره، ومُعطياته، وذلك بغرض تطويعها، وتجسيدها في قصائده، واستغلال طاقاتها، وإمكاناتها الفنيّة للتّعبير عن هواجسه، وإيصال أبعادها النّفسيّة، والشّعوريّة إلى المُتلقي، ويظهر للمتأمل في المعجم الشّعري لعمر بوشموخة أنه يُكثر من انتقاء المفردات من التّراث التّليد، ويمزج بينها، وبين اللغة السّائدة في هذا الزّمن بغرض تحقيق تواصل سليم مع القارئ، دون إهمال الجانب الجمالي، وقد حرص الشّاعر على الوزن العمودي في أغلب قصائده، وهذا ما يؤكد علاقته الوشيجة بالموروث الشّعري العربي القديم شكلاً، ومضموناً، ويتبدى للدارس عدم تأثره بالتّجربة الغربيّة، وهو ما تجلى في لغته، وفي ألفاظه، وجمله، التي تعج بالكثير من الألفاظ المستخدمة، والشّائعة في شعرنا العربي التّليد، فهو يحن إلى الأصالة العربيّة حنيناً عارماً، ومن خلال لغته التّراثيّة النّقيّة، فإنه يُقدم لنا أسلوباً شعرياً مُتميزاً كل التّميز عن السّائد، وأغلب الصّور الشّعريّة التي نُلفيها في قصائده مُستمدة من تجربة كبار شعراء العربيّة القدماء، وتظهر في عدد غير قليل من قصائده الموسيقى الشّعريّة كعنصر إيحائي متم لتجربة الشّاعر الرّومانسيّة، فالنّغم الموسيقي يبث النّشوة، ويُضفي الذهول، ويضع القارئ في حالة من التّجاوب، والانسجام، والتّقبل، والطّواعيّة، وتتولد الموسيقى من طبيعة الوزن الخفيف الذي لا ينطوي على إيقاع العنف والدّوي، بل إنه ينداح بتمهل، وهدوء.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1 -عمر بوشموخة: الصّحافة والقانون، منشورات دار الوسام العربي بالجزائر، ومنشورات زين بيروت، لبنان، ط:01، 1432هـ/ 2011م.

2 -شريبط أحمد شريبط: الحركة الأدبيّة المُعاصرة بعنابة، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدّراسات، عنابة، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (547هـ - 1152م/633هـ - 1235م)

النّحوي واللغوي الفقيه أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي ويعد من كبار المحدثين، ومن الحفاظ الثّقات، ولد بالأندلس (547 - 633هـ / 1152 - 1235م) وتوفي بالقاهرة، وضريحه بسفح جبل (المقطم).

وممن ترجم له المقري والغبريني وابن بشكوال في الصّلة وغيرهم، متعدّد المعارف، كما يذكر من ترجم له: برز في اللغة والفقه والتّاريخ وآثاره تشهد على غزارة علمه ومكاشف في العالم العربي والإسلاميّ وخاصّةً عندما استقربه المقام في القاهرة.

عاصر الدّولة الموحديّة، وشهد انتصارات المسلمين في معركة (الأرك). وفي بجاية عاصر الدّولة الموحدية، والحفصيّة. وفي مصر كانت الدّولة الأيوبية أي صلاح الدّين وأولاده..

يقول عنه الحسن بن أحمّد بن عبد الرّحيم البيساني، أنه كتب إلى السّلطان (أبي المعالي حمد بن أبي بكر بن أيوب) هذه القصيدة:

ما لي أسائل برق بارقَ عنكُمُ

من بعد ما بعدت دياري منكمُ

وبمنحنى الأضلاع بل وادي الفَضَا
من مهجتي يا راحلين نزلتمُو
فمحلُّكمْ قلبي وأنتم بالحشَا
لا بالعقيق ولا برامةَ أنتُمُ

ويختمها بقوله:

تحمي فلا متهضّمٌ يسطو ولا
متحرِّمٌ يشكو ولا متظلّمُ

وقال يمدح السّلطان (الكامل):

شجتني شواجِ في الغصون سواجع
ففاضت هوامِ للجفون هوامِعُ
وهَيّجْنَ شوقاً للأراجِع باللوى
وأين اللوى منّي وأين الأراجع
مرابعُ لو أنَّ المرابع أنجمٌ
لكان نجومُ الأرض تلك المرابعُ

فأجاب السّلطان (الكامل) كفاه عمله: نظما ونثرا قوله:

وهيجن شوقي للأجارع باللوى
وأين اللوى مني وأين الأجارع
بقيتَ لعبدٍ جدُّه دِحيةُ الذي
يشابه جبريلُ له ويضارعُ
مرابع لو أن المرابع أنجمٌ
لكان نجومَ الأرض تلك المرابعُ
رعى الله أياما لها ولو أنها
إليَّ وقد ولّى الشّباب رواجعُ
لياليَ لا ليلىَ إذا رمتُ وصْلهَا
يلوحُ لها من صُبح شيبي مواقعُ

من النّثر:

(الحمد لولي الحمد وقف ولده على الأبيات التي حسن شعرها، وصفا درُّها وليس من البديع أن يقذف البحر درّاً، أو ينظم الجليل شعراً وقد أخذت الورقة لأتنزه في معانيها وأستفيد بما أودعه فيها).

فأجابه الحافظ أبو الخطاب بن دحية عن الأبيات بقوله:

شجتني شواجٍ في الغصون سواجعُ
ففاضت هوَامٍ للحفون هوامعُ
هو الكامل الأوصاف والملك الذي
تشير إليه بالكمال الأصابعُ
وجدته الزهراء بنت محمّد
عليه السّلام الدائم المتتابعُ

سمع بالأندلس من بن بشكوال وابن زقون في جمع كبير. وببغداد من أبي الفرج بن الجوزي وبأصبهان من أبي جعفر الصّيدلاني (معجم الطّبراني) ومن غيره. وبنيسابور من أبي سعيد بن الصّفار ومنصور بن الفراوي والمؤيد الطّوسي. وحصل الكتب والأصول وحدّث وأفاد وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقنا لعلم الحديث وما يتعلّق به، عارفا بالنّحو واللغة وأيام العرب وأشعارها.

له مصنفات كثيرة ومفيدة جدا كما يقول المقري، منها كتاب (التنوير في مولد السّراج المنير)، وله أيضا (العلم المشهور في فضائل الأيام والشّهور) و(الآيات البيّنات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلّى الله عليه وسلم من المعجزات). وكتاب (شرح أسماء النّبي صلّى الله عليه وسلم). وكتاب (النّبراس في أخبار خلفاء بني العباس) وكتاب (الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفِّين).

من أعماله في الأندلس تولّي القضاء بدانية مرتين، ثم انتقل إلى بجاية ثم تونس سنة 595هـ، ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة بأصبهان ونيسابور، ثم عاد إلى مصر فاستأدبه العادل لولده (الكامل) وأسكنه القاهرة، فنال حظوة كبيرة، ثم زادت حظوته. عند (الكامل) وأقبل عليه إقبالا عظيما.

يقول عنه ابن النّجار: "أنّ جماعة تكلمت عنه وقدره أجّل مما ذكروه، وقد روى رحمه الله تعالى بالمغرب وبجاية وتونس ومصر والشّام والعراق وخرسان (وعراق العجم وكل ذلك في طلب الحديث).

نذر علمه الغزير في مؤازرة الأيوبيين الذين واجهوا المد الصّليبي على القدس، وخدمهم بإخلاص، وأشاد بالوحدة الإسلاميّة في مواجهة الهجمة الغربيّة على البلاد الإسلاميّة.

وفي الجانب الثّقافي: قدّم خدمة جليلة في دار الحديث التي بناها السّلطان الكامل له في القاهرة، وقد أشاد به علماء عصره ومن جاء من بعده.

أما كتاباته الأدبيّة فكان ينأى بنفسه عن المألوف من اللغة واصطنع الغريب حتى يميّزه عن كتّاب عصره، فكتب رسالة كلها كلمات مغلقات مقفلات؟! أصبحت هذه المفردات تكاد تكون من المهمل في اللغة! بعث بها إلى حاكم بجاية (أبي علي بن يرمور) هذا نصه:

(الشّيخ الفقيه الأديب الججاح، الهرماس، أبو فلان جحمظ الله قعثبان شفرته، هذا الغطريس في اليم أخذ رجلا....).

سعيد بحري

عمر بن داود بن أحمد (بومعقل)
(1341هـ - 1923م / 1416هـ - 1996م)

فقيه مؤرِّخ، من أعلام وارجلان في العصر الحديث، ولد بها في أحضان عائلة فقيرة، ورضع من والديه التربية الإسلامية العالية، لمَّا بلغ الخامسة من عمره أدخله والده الكتَّاب عند عمِّه الحاج سليمان بن الحاج عمر بومعقل، ثمَّ انتقل إلى الشيخ الحاج إبراهيم بن صالح أعزام (ت: 1965م)؛ وسافر بعدها إلى بني يسجن بميزاب هرباً من التعليم الفرنسي الإجباري، وبها حفظ القرآن واستظهره عند الشيخ الحاج عيسى الشَّقْمَة – بمثلَّثة –؛ ثمَّ انتقل إلى معهد الحاج عمر بن الحاج مسعود بالقرارة، ليكمل فيه دراسته في علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية، وواصل دراساته العليا عند الشيخ إبراهيم بن بكير حفار، والشيخ يوسف بن بكير حمو علي في المعهد الجابري ببني يسجن، وفي سنة 1945م اختاره شيخه إبراهيم حفار، والشيخ

محمَّد بن يوسف بابانو ليكون مساعداً لهما في تدريس الطبقة الصغرى من تلاميذ المعهد الجابري. رجع إلى وارجلان عام 1948م، فشرع في التدريس بمدرسة ابن سهلون التي عرفت بعد ذلك بمدرسة الوفاق؛ وأدخل عليها بعض التطويرات كاستحداث تقسيم التلامذة إلى طبقات، وانتقل مشرفاً على كل الطبقات حتى انتهى إلى قسم استظهار الكريم فبقي مشرفاً عليه إلى آخر حياته، وبعد عام اختير عضواً في حلقة العزّابة ومرشداً بالمسجد؛ ثمَّ رُشِّح ليكون رئيس الحلقة ومفتياً، وعضواً بارزاً في مجلس عمِّي سعيد، ممثِّلا لوارجلان، وكان يقدّم دروس الوعظ أولاً لما كان طالباً ببني يسجن في أحد مساجد الواحة وعمره حينها 17 سنة، وكان ذا فصاحة وشجاعة أدبية، طلبه لذلك مشائخ ورجلان ليساندهم ويعاضدهم في مهام المسجد، وقطعوا عنه رحلة التكوين في بني يزگن سريعاً وكان يريد التبحر في العلوم، فانبرى للتكوين الذاتي في ورجلان، وشرع في الوعظ للرجال بالمسجد العتيق، وكان له درس للنساء أمسية الجمعة في داره، كما كان أول إمام للجمعة في المسجد العتيق بوارجلان بعد الاستقلال.

كان متبحراً في العلم، إذ صار ممثلاً رسمياً وأراجلان في مجلس الشيخ عمي سعيد في غرداية والذي يضم ممثلين عن حلق العزابة لقرى ميزاب ووارجلان، تجتمع مرة في رأس كل شهر قمري، وأسندت إليه مهمة الفتوى فكان جديراً بها، بالإضافة إلى ذلك عرف بتبحّره في التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ منطقته خصوصاً، إذ كان مرجعاً حياً لأصحاب البحوث والرسائل الجامعية، ولا شكّ أنّ متروكه الأدبي والفكري سيكون زاداً لمن بعده من الدّارسين.

جمع مكتبة ثريّة، صارت مقصداً للباحثين في مختلف فنون الفقه والعقيدة والتاريخ، وبخاصَّة ما يتعلَّق بالتراث الإباضيِّ. وأوقفها بعد حياته على طلبة العلم، قال عنها الشيخ إبراهيم بازيز الوارجلاني: "إن تلك المكتبة لا مثيل لها بالنسبة للمكتبات الخاصة في وارجلان"، فقد اعتاد الشيخ على شراء الكتب مهما كانت أثمانها، رغم قلّة ثروته، خاصّة قبل أن يصبح أبناؤه شباباً يافعين.

من المسؤوليّات التي تولّاها:

- إمامة العزابة العتيق بوراجلان.
- المرشد العام بوارجلان من 1946 إلى وفاته سنة 1996 أي خمسين سنة.
- لمّا رأى فيه شباب وارجلان الكفاءة والاستطاعة عيّنوه رئيساً لجمعية (النهوض) عام 1954 وفي سنة 1962 رئيساً لجمعية الوفاق، وقبل ذلك ولاّه آل عشيرة بومعقل رئاسة جمعيّة شبابهم سنة 1952.
- في سنة 1948 قبل مغادرته ميزاب عائداً إلى وارجلان عيّن كاتباً عامّاً لجمعية الخطابة والمحاضرات بالمدرسة الجابرية ببني يزگن.
- من سنة 1965 إلى 1969 كان عضواً في لجنة قضاء الأحداث بمحكمة ورقلة.

نظراً لنشاطه الوطني أيام الثورة التحريرية المظفرة تعرض للسجن من قبل السلطة الفرنسية عام 1961، إذ اعتقل مع ثلة من إخوانه في سجن ساحة الشهداء حاليا بورقلة، ثم تمّ ترحيلهم إلى معتقل آخر قرب البرج الأحمر بورقلة.

كان متضلعاً في علم الفرائض، إذ قدّمته لجنة تقسيم المواريث التابعة للعزّابة فكان مرجعاً لها إذا استعصى عليهم شيء في قسمة التركات.

حقَّق العديد من أمَّهات الكتب، غير أنها لم تعرف طريقها بعدُ إلى المطابع.

أهمّ آثاره الفكرية:

- تحقيق (تيسير التّفسير) للقطب اطفيش: حقَّقه، وصحَّحه من نسخة الشيخ حمو باباوموسى، ثمَّ عرضه على شيخه إبراهيم حفار.
- تحقيق (كتاب أبي مسألة) للشيخ أبي العباس أحمد، عزم على طبعه بعد تحقيقه، غير أنَّ الظروف لم تسمح بذلك.
- (تلخيص شرح عبد العزيز الثميني لمنظمة الرّائية) في الصّلاة لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، (مخ) في كراستين.
- (ملاحظات حول كتاب: غصن البان في تاريخ وارجلان) للشيخ إبراهيم أعزام، في كراستين.
- (فهرسة كتاب لقط البدر التلاتي) التي رتَّبها القطب أطفيَّش، (مخ).
- (فهرسة متن الدّيانات)، (مخ).
- (فهرسة حواشي السدويكشي والمصعبي على الدّيانات)، (مخ).
- بحث حول اسم ورقلة (مرقون).
- بحث حول تاريخ وارجلان بمعية الشيخ إبراهيم بابزيز، (مخ).
- قصائد شعرية نظمها لـمَّا كان بميزاب، (مخ).
- العديد من المحاضرات في المناسبات الدينية والوطنية، (مخ).
- استوعب تفاصيل تاريخ وارجلان، فكان بذلك مرجعاً للدارسين وأصحاب الأطروحات الجامعية في التاريخ بخاصَّة.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- بومعقل سليمان: الشيخ الحاج عمر بن داوود الوارجلاني، حياته، جهاد ونضال في سبيل الله تليها وصية الشيخ، كله
- كروم الحاج أحمد: نبذة مختصرة عن حياة الشيخ الحاج عمر بن داود بومعقل الوارجلاني؛ (مخ) بخط يده، 3ص
- جمعية الوفاق بوارجلان (حلقة العزابة): دعوة لحضور حفل تأبين الشيخ بومعقل الحاج عمر في 15 ذو القعدة 1416هـ/ 4 أفريل 1996م، مرفقة بترجمة مختصرة للشيخ. 4ص.

عمر بن عيسى (بلعيد)
(1298هـ - 1880م/1366هـ - 1947م)

ولـد ببلدة بريـّان بميـزاب، وبـدأ تعلُّمه فيهـا، إلى أن ختم القـرآن الكريم، ثمَّ ارتحل إلى بلـدة بني يزگـن خلال العقـد الأوَّل من القرن العشرين، فحضر دروس قطب الأيمَّة الشّـيخ محمَّد بن يوسف أطفيَّش، في معهده وصـار مـن تلاميـذه المتفوقين؛ تعلـم هناك الفقه وشـيء من العلوم العربيّة، وكان شديد الحـب للعلـم، ذكي العقل، يتمنـى أن يكون مـن كبـار العلمـاء ليصلح بلـده وينقـده من الجهالة، لكن فقره وزُهد أهل بلده في العلم في ذلك العهد اختصر مدته في طلب العلم، فلـم يكد يَجد حلاوته حتى صُرف إلى طلب المعـاش، ولو اسـتمر في طلـب العلم لكان ربما عالما كبيرا ومؤلفا فذا بارعًا.

كان عمـر بلعيـد شـديد الحـب للعلـم والعلمـاء، فـلازم الشّـيخ الحـاج الناصـر كروشي، لما استقر في بريان فانتفع بمجالسّته وازداد علما منه، وامتلأ بروحه، فكان مصلحا كبيرا مثله، يُنكر البدع التي أُقحمت في الدين وشلّت العقول، ويبغض الخمول والاستجداء للاستعمار وأذنابهم من المفسدين.

ابتـدأ السّـيد عمـر بلعيـد نظـم الشّـعر الملحـون فـي أول شـبابه فـي العقـد الثاني مـن القرن الرابع عشـر الهجـري، أوّل العقد الأول مـن القـرن العشـرين، فظهـر نبوغـه الباكر، وشـاع شـعره الجميل في بلده بريان، ولما اجتاح بلده بريان ومدن مزاب الفيضان الذي وقع في خريف 1319هـ/ 1901م، أنشـأ قصيدة قصّصيّة جميلـة طويلة عنوانها (قصة الوديان باللوح والسّودان)، ذكر فيها أحداث الفيضـان ومناظـره، وأطـواره وأضـراره وضحايـاه البشـريّة، وشـاعت فـي بريـان ومزاب وحفظها كثيرون وتغنوا بها.

ولمـا كان مثقفا من تلاميـذ زعيم النهضة الشّـيخ الحاج امحمد أطفيَّش _رحمه الله_، يملأ حـب الإصلاح نفسـه، ويعـرف واجبه فيـه، فقـد انسـاق فـي شـعره لهـذا الحـب ولعقيدتـه الإصلاحيّـة فكانت أكثـر قصائده في الإصلاح والدعوة إليه والذب عنه.

انقطـع عـن الدراسـة، واتـّخذ محلاً في الجزائـر العاصمـة لصناعـة القفـاف، وكان



الشّـاعر عمر بـن الحاج عيسـى بلعيد فلاحًا فـي أول عمره، ويظهر ذلك فـي الديوان من خلال إلمامه بحيـاة الفلاحة في مزاب وحبه للنخيـل ووصفـه الدقيـق لطبيعـة الواحة في بلدته وغيرها.

ولمـا هاجـر إلـى الشّـمال واسـتقر فـي الجزائـر العاصمـة قبيـل الحـرب العالميّـة الأولـى اكترى مَحـلاً صغيرا لعملـه ونومه، مثـل الكثيـر مـن أبنـاء نوعـه وجنسـه مـن المزابييـن، ممـن اشـتهروا بالهجـرة إلـى الشّـمال والضرب فـي الأرض طلبًا للرزق؛ وصـار يصنـع القِفاف، وهـي صناعـة هادئة نظيفـة يسـتطيع معهـا التفكير ونظم الشّـعر، وقد آثرها لهذه المزايا، فدرّت عليه الكَفاف، وقـد كان صنَّـاع اليـد يتقـن صنـع القِفـاف، فاشتهرت بضاعته في الجزائر العاصمة فوقع الإقبال الكبير عليهـا، وكان يعيش وحده في بيته في الجزائر العاصمة، فذاق وبال العزوبة فـي الشّـباب مـع كثـرة المغريات، ووحشـة الوحـدة فـي الدار، فأنشـأ في ذلـك قصيدة، وأشار إلى ذلك في عدة قصائد، وكان شعره مرآة لحياتـه الخاصة، كمـا كان مرآة لمزاب وبلدته بريّان والجزائر عامة.

كان مـن أكبـر أنصـار نـادي التَّرقـي فـي الجزائـر، ولمـا ابتدأ الشّـيخ الطيـب العُقبي جهاده فيـه كان من أكبر مُؤيديه، والملازمين له ولدروسه الأسبوعيّة، وهو يعرفه ويجلس معه جلسات خاصة، ويُكن له الشّيخ الطيب العُقبـي وُدًّا واحترامـا كبيريـن، ولما نشـأت جمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين استبشـر الشّـاعر خيرا، فرأى فيهـا حلما من أعظم أحلامه يتحقق، فكان من كبار مؤيديها والمعجبيـن بهـا وبأسـاطينها، وذكر الشّـيخ الدبـوز أنـه كان يجلس إليـه فـي كهولته في محل عمله فـي بريان، فيحدثه عن أسـاطين جمعيّة العلماء، فهو يعرفهم لملازمته لنادي الترقي مقر الجمعيّة المباركة

مـن أكبـر أنصـار الشّـيخ أبو اليقظـان في جهـاده الصحفـي فـي الجزائـر العاصمـة، ويزور الشّـيخ في مكتبـه ويقرأ عليـه قصائد الملحـون القويّة التي يُنشـئها في الدعوة إلى الإصـلاح والذّب عنه، ومحاربة المفسـدين والمسـتعمرين، فيرى فيه الشّيخ أبو اليقظان أكبر نصير، ويجد شـعره من أحسن الوسائل لبث فكـرة الإصلاح في العامـة، وقد حدث الشّـيخ أبـو اليقظـان _رحمـه اللـه_ المؤرخ محمـد علي دبـوز مرارا عـن الشّـاعر وأثنى عليه وعلى شـعره، ولما أنشأ أول صحيفة له وهي "وادي ميزاب" فرح الشّاعر عمر فرحا كبيرا وأنشـأ في ذلك قصيدة ينـوِّه بها ويذكر مزاياهـا، ولمـا عُطّلـت حـزن حزنـا عظيمـا وأنشأ في ذلك قصيدة.

كان علـى اتصـال دائـم بالوطنييـن أمثال مصالـي الحـاج حين أسـس حزب الشّـعب الجزائـري، يهتـف باسـم الحـزب ويطالب باسـتقلال البـلاد من كيـد الاسـتعمار، وقد كانت أشـعاره سهامًا حادة يغرزها في قلوب الخانعين من أذناب الاسـتعمار، ومن رضي معهـم بحيـاة الهـوان، فيردها عليـه بعضهم فكانت سـجالاً بين هؤلاء فـي بدايتها، ولما اشـتد سـاعد الإصـلاح صـارت الغلبـة لـه ولأصحابه.

اتخـذ الشّـاعر عمـر بلعيـد وصحبـه وسـيلة للاتصـال بالجمهـور لينشـر أفـكاره الإصلاحيّة ومعالجة الأمراض الاجتماعيّة، فأنشأ منهم جماعة لقراءة الأناشيد والقصائد التـي يؤلفها في مناسـبات الأعراس ويؤديها بألحـان أندلسـيّة وعصريّـة شـجيّة، ونظَّموا فرقتهم أحسن تنظيم، وكانت قصائد الشّاعر

عمر بلعيد يخلل بها الحفلات ويطرز بها، وكان ينشئها في الأعياد الدينيّة والأحداث الوطنيّة، فيقرؤها على الجمهور جديدة بصوته المطرب الجميل، وفي ألحان جميلة مؤثرة، فتدله على أمراض المجتمع ودوائها، وينهال فيها الشّاعر على الجامدين والمستبدين، والمتعصبين والأنانيين، فَتُقبل العامة على قصائده الاجتماعيّة تصغي إليها في نشوة وتأثر، فيحفظها الناس وتشيع في المدينة، وقد كانت سببا في نفيه إلى العاصمة قرابة عشرين سنة، وخلال تلك الفترة جمع أشعاره في دواوين مخطوطة تزيد عن 15 مجلداً (مخ) حقق منها مجلد واحد، كما ألف كتاباً حول تاريخ بريّان (مخ).

يمتاز شعر عمر بلعيد بكونه مشرق الديباجة، سلس الأسلوب، حسن المعاني، ثائرا على الفساد والظلم والجمود، وكان صاحبه شاعرا بحق، له وجدان قوي، يُحس الجمال فيَهِيم به ويدعو إليه، ويشعر بالقبح فيثور عليه ويعمل لإزالته، كما كان صاحب فكرٍ وقّاد يُدرك المفاسد الاجتماعيّة وكل الأمراض النفسيّة التي تقتل الأمة وتفسد الدين، فيجاهد بدعوته وشعره لتطهير النفوس منها، وكان أغلب شعره في هذه المواضيع الإصلاحيّة.

من شعره المخطوط:

- قصة باللوح الثاني.
- قصة تاريخيّة في الويدان القويّة 1901.
- قصة تاريخيّة في رحلة الشّيخ بيوض.
- وباء الخمور وسيرة ذوي الفسق والفجور.
- في التحريض عن الخدمة لأنها روح الحياة.
- سُنَّة المعكوسة بين الرجال والنساء في
- هذا العصر.
- في حياة المتزوج وحياة العازب.
- في التربيّة والنصايح.
- في عيد الغاني وعيد الفقير.
- من الشّعر المعبِّر بين الأمس واليوم.
- قدوم الحُجاج إلى مكة المكرمة.
- حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى.
- شكايّة الضمير للنديم الخبير.
- في التأسف والملامة على وطني وبلادي.
- الـفزّانة أصحاب العريانة.
- قصّة الجراد والبوبزيز المرَّاد صاحب الفساد.
- قصّة التجار مع العجوزة ذات الدواهي.
- في شبان اليوم والمدنيّة.
- ولولا رحمة ربي لكنت من المُحضرين.
- في أحد الأصدقاء شكرًا وثناءً.
- قصة في سقوط الجبل على دارٍ..
- في رجوعي من سطيف إلى الجزائر.
- رحلتي إلى سيدي بلعباس في وصف البلاد وشكر العباد.
- في رحلتي إلى الجزائر بعد مدة وأنا مريض في حالة الحوج.
- في رحلتي وجوالي من بريان إلى لغواط إلى البليدة إلى الجزائر.
- قصة العجوزة وبنتها.

وهو في دفاتر وكراريس كثيرة.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- يحيى بن بهون حاج امحمد، ديوان الغريب، عمر بن عيسى بلعيد، تح، العالميّة للخدمات المطبعيّة، الجزائر، ط1، 2010.
- دبـُّوز: نهضة الجزائر، 1/ 188
- نور سلمان: الأدب الجزائري، 207-208
- دبـُّوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، 1/ 196.
- ينظر: معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التراث، المطبعة العربيّة - غرداية، ط1، 1999، ج3، ص650.

عمر بن عيسى بن إبراهيم (حاجّ امحمَّد) (1302هـ - 1884م/ 1393هـ - 1973م)



من مواليد مدينة العطف بميزاب، تلقَّى تعلُّمه الأوَّل بها، حيث حفظ القرآن الكريم، وأخذ المبادئ الدّينية كان تاجراً بالحراش، وباحتكاكه بالشّخصيات البارزة اكتسب شجاعة أدبية وثقافة اجتماعية وسياسية، وعرف منذ شبابه بسداد الرّأي وبعد النّظر وبالحماس والوطنية، مما جعله يساهم في حركة الأمير خالدّ الوطنية فور ظهورها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وكذا ساند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ سافر سنة 1939م إلى فرنسا رفقة الوفد الذي ترأَّسه الشّيخ عبد الحميد بن باديس؛ وكان قبل ذلك مفوَّض الأمَّة المزابية للدفاع عن حقوقها تجاه فرنسا، وخاصَّة في قضية التجنيد الإجباري من سنة 1930 إلى 1948 أي ثماني عشرة سنة قضاها وهو يجابه كبار المسؤولين الفرنسيّين من الحاكم العامّ إلى المقيم العامّ...، وقد ترأّس الوفد المزابي بعد أن عيّن وكيلاً للأمّة المزابية، وسافر إلى العاصمة وقابل موريس فيوليت الحاكم العام الفرنسي بتاريخ 28 أفريل 1931 أين قدّم له عريضة مطالب الأمة المزابية، بعد اندلاع

الثورة التحريرية كان له اتّصال بالمسؤولين في النّاحية، يمدُّهم بالمال والعتاد حتّى سنة 1958م، حيث ألقي عليه القبض بسبب إغرار بعض المسؤولين به، عندما ألقي عليهم القبض إثر معركة بنواحي البيّض، فقضى أربعة أشهر في سجن الأغواط، وسنة ونصفا في سجن البليدة، ثم أُطلق سراحه مؤقّتا نظرا لكبر سنه، ثم أُخذ إلى (منيعة شنو) المعروفة بأسافل البليدة، ثمّ أطلق سراحه، فواصل العمل حتّى الاستقلال، حسب أوراق العدالة والشّهادات، كما جنّد نجليه محمد (طبيب) وباسعيد (تاجر) كمسبّلين في صفوف خلايا جبهة التحرير بالعاصمة منذ 1957 إلى استقلال البلاد، سعى بكل ما أوتي من عزيمة وإرادة إلى إرغام فرنسا على احترام المجتمع المزابي، واحترام عوائده وتنظيماته الاجتماعية الرّاسخة الجذور في أعماق الجزائر، وأبرز من خلال مؤلفاته لفرنسا الاستعمارية الصّورة النّاصعة للمجتمع المزابي المتديّن الذي يقوم على مبادئ سامية وهي الاستقامة والوفاء والقمة في التضحية والتفاني في العمل، وهو ما دفع بكبار الضباط الفرنسيين لتغيير رؤيتهم تجاه المجتمعات المحافظة، ورفض المزابيين لفكرة الانخراط في الجيش الفرنسي مبدأ إسلامي خالص، لأنّ المجنّدين يأخذون إلى مستعمرات فرنسية أخرى كسوريا ولبنان... أو إلى مستعمرات فرنسيّة في إفريقيا فيضطرّون لقتل إخوانهم في الدّين في تلك البلدان المستعمرة وهذا لا يجوز شرعا وعقلاً، ويذكر أنه لم يكن متمكِّنا من العربية، وَإِنّما شارك بالفكرة فيما نشر له من كتب ومقالات، ويتخذ كتاباً يملي عليهم أفكاره الوطنية فيكتبون له وينشر باسمه منهم: الشّيخ إبراهيم امتياز، والشّيخ إبراهيم أبي اليقظان، هذا الأخير ساند الحاج عمر بن عيسى في إنشاء المطبعة العربية سنة 1931 من خلال جمع التبرعات والقروض من أرباب الأموال، أو التوسط للشيخ أبي اليقظان عند مقرضيه عند حلول آجال التسديد، وهكذا، وهو مِمّن أنشأ أوَّل مدرسة عصرية في العطف سنة 1932م وهي مدرسة الشّبيبة إلى 1934، وقد كانت نواة لجمعية النّهضة التي تأسَّست عام 1945م.

اتصالاته برجال السّياسة والفكر: اتصل أثناء فترة شبابه ونشاطه السّياسي بالأمير خالدّ، والشّيخ ابن باديس، ومصالي الحاج، والشّيخ البشير الإبراهيمي، وأحمد توفيق المدني... وتبادل معهم الأفكار والقضايا الوطنية، ومن كبار الدّولة الفرنسية: قابل الحكام؛ موريس فيوليت، وميسو نيجلان، ومسيو كاترو، ومسيو توينبي...، بالإضافة إلى عديد الشّخصيات القانونية والسّياسية الفرنسية يحاججهم في مسألة رفض التّجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، كان له موقف من الشّركة الفرنسيّة لحفر الآبار الإرتوازية (لاريجي) سنة 1947، والتي منحها المستعمر حقّ التّنقيب والتّوزيع والتّسعير، فخاض معها منازعات قانونية طويلة في المحاكم الفرنسية لأنها كانت تتصرف في تسعير الماء واحتكاره، وبذلك تضع غالبية الشّعب البسيط تحت رحمتها.

من آثاره الفكرية:

(بيان حقيقة) (عن التّجنيد الإجباري وما ينتج عنه بوادي ميزاب

(مط). بالحراش، سنة 1931م، وهو باللغتين العربية والفرنسية، يجمع المطالب التي تقدمت بها الأمة المزابية إل الإدارة الاستعمارية بيد وكيلها عمر بن عيسى، وقد قدّمت هذه العريضة بمناسبة الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر.

(مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب) (مط). في تونس سنة 1951م.

ضمنه الأطوار المختلفة التي مرّ بها ميزاب أثناء فترة بعد مرور قرن من معاهدة 1952، ويشرح المراوغات الفرنسية من أجل التدخل في الشّؤون الدّاخلية لميزاب، وكذا الفئات التي تنشب بين الفئات المختلفة نحو بعض القضايا...

(كشف اللثام عما شغل فكر الخاص والعام) (مط). عام 1948م.

رسالة يشرح فيها قضية دخول النّخب الوطنية في انتخابات المجلس الجزائري ويعرض وجهات النّظر المختلفة والمتباعدة بين مؤيد ومعارض لهذا الدّخول.

مجموعة مقالات مطوَّلة في جريدة (المنار) وأخرى في جريدتي (النّور) و(الأمة)، للشيخ إبراهيم أبي اليقظان، منها مقال حول قضية الآذان تحت عنوان: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم).

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- أبو اليقظان: -المغرب، ع16 (21 ربيع الثاني، 1349هـ/ 16 سبتمبر 1930م)
- أبو اليقظان: -المغرب، ع.28 (18 رجب 1349هـ/ 9 ديسمبر 1930م)
- أبو اليقظان: -المغرب، ع.36 (22 شوال 1349هـ/ 12 مارس 1931م)
- أبو اليقظان: -النّور، ع.26 (14 ذو القعدة 1350هـ/ 22 مارس 1932م) ص1-2
- أبو اليقظان: - النّور، ع.58 (22 رجب 1351هـ/ 22 نوفمبر 1933م) ص4؛
- النّوري: دور الميزابيِّين، 2/ 114-115؛
- دبوز: أعلام الإصلاح، 2/ 243 علي معمَّر: الإباضيَّة في موكب، 4/ 594؛
- الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، 156، 165، 212، 225، 226 الشّيخ عدون: م.ن.ت.م (مخ)؛
- شريفي بلحاج: م.ن.ت.م (مخ)؛
- معجم أعلام الإباضيّة، جمعية التراث، المطبعة العربية - غرداية، ط1، 1999، ج3، ص647.

عمر بن عيسى بن بكير (سماوي)
(1370هـ - 1950م / 1441هـ - 2020م)

أحد المثقفين ورجال القضاء والحقوقيين المتميزيين، ولد بالعطف، ولاية غرداية من أبوين كريمين، ومن عائلة ورثت الأمجاد زاخرة بالأبطال والأفذاذ، ولد بالعطفاء وفيها تربى وتدرج في مراحل التعليم الأولى ثم انتقل إلى الگرارة حيث معهد الحياة العامر لينهل من معين أساتذه وشيوخه، وكان مجاوراً في بيت أستاذه فضيلة الشّيخ الناصر مرموري رحمه الله يعدّه أحد أبنائه يشمله بمزيد من الرّعاية والتثقيف، وقد ظل الأستاذ سماوي وفياً لشيخه بعد تخرجه يُكرمه ويزوره ويستضيفه في عديد المناسبات، ولم يفرط في ذلك إلى أن فرّق بينهما الموت.

سنة 1967 استظهر القرآن الكريم في رحاب معهد الحياة العامر بالگرارة، وهو من حينها يحفظه عن ظهر القلب، لم يهجره أبداً صحيحاً أو مريضاً مقيما أو مسافراً، يطبقه ما استطاع ويستشهد به في قوله وعمله في سلك القضاء.

التحق مطلع السّبيعينات بجامعة الجزائر قسم الحقوق بعد جهاد كبير إذ كان والدّه يرجوه للتجارة بجواره في مدينة مسعد كبعض إخوته وأبناء عمومته لكن طموحه كان أكبر في تشريف العائلة وتسجيل اسمه في سجل إطارات الوطن يدافع عنه ولا يفرط فيه قيد أنملة، ففهم والدّه رغبته تلك، وكان يتفرس فيه النجابة منذ الصغر ويلقبه بـ"بومدين" الرّئيس الجزائري الأسبق، لما يتميز في نظراته وطباعه من الحزم والجدية والصرامة وقلة الكلام إلا فيما يفيد...

التحق بالوظيف العمومي مربياً ثم بسلك العدل المدني بمحكمة حسن داي بالعاصمة، إلى سنة 1984 التحق بالقضاء العسكري، وعمل في المحكمة العسكرية بورقلة (الناحية العسكرية الرّابعة) فكان مثالاً في الجدية والصرامة مع المجندين حتى وإن كانوا من ذوي الرّتب العسكرية الرّفيعة.

برز الأستاذ سماوي عمر واشتهر في محاكمة المتسببين في أحداث ثكنة قمار الأليمة، إذ وضع الملف على طاولة الأستاذ



عمر اسماوي رئيس المحكمة العسكرية، وعرض أمامه المجرمون الذين نفذوا الهجوم الإرهابي، وهي سابقة قضائية أولى من نوعها في الجزائر، يعتدي فيها مدنيون على عسكريين ويساق المعتدون إلى محكمة عسكريّة، ليأتي الاجتهاد القضائي الذي بادر به الأستاذ عمر اسماوي باستحداث طرف مدني يدافع عن أولئك المعتدين داخل المحكمة العسكرية... وقد تداولت الصحف الصّادرة آنئذ مجريات المحاكمة وتداعياتها... وكيف كان رئيس المحكمة الحافظ لكتاب الله يصحح لأولئك المعتدين أخائطهم في الاستدلال ببعض الآيات القرآنية يبررون بها أفعالهم...

وقد أصبح هذا الاجتهاد القضائي الذي بادر به الأستاذ عمر اسماوي لاحقاً محل اهتمام ودراسة في قسم الحقوق والدّراسات القانونية بجامعة الجزائر وجامعات الوطن.

1994 في غمرة الأزمة الأمنيّة التي عصفت بالبلاد، تعرض والدّ الأستاذ عمر سماوي وكان تاجراً في مدينة مسعد لمحاولتي اغتيال من قبل الدّمويين، وكانوا قد أرسلوا للأستاذ قبل ذلك برقيات تهديد شخصية لم يكن يأبه لها، ولما تعلق الأمر بحياة والدّه، فقد أشفق عليه، وهو الذي نشأ في مدينة مسعد ولا يريد مغادرتها، وقد ترجاه أن يعتزل العمل العسكري، فقبل مضطراً الانسحاب من منصبه والانتقال من المحكمة العسكريّة إلى القضاء المدني مرة أخرى ليفتح مكتباً خاصاً للمحاماة بغرداية اشتغل فيه بما أوتي من حنكة ودراية، وكان مقصد الأعيان _وهو منهم_ في عديد القضايا التي تهم الأمة والمجتمع... وكان لا يدخر جهداً في إسداء النصيحة وتقديم العون.

عرف بجديته وصرامته وكان مهاباً في نظرته، لكن من يجالسّه مرة واحدة يكتشف معدنه وصفاء سريرته، وحبه للخير ونصرته للمظلومين، وكان شديداً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم...، وهذه خصاله التي عرف بها مع سلامة الصدر عرف بالصراحة والوضوح في كل شيء.

بالإضافة بالإضافة إلى ذلك فهو أديب وكاتب قدير، وله بعض المقالات والأبحاث المنشورة في بعض الدّوريات، وله أعمال أخرى مخطوطة نسأل الله أن يوفقنا لإخراجها حتى يستفيد منها القراء...

أصيب حوال سنة 2015 بداء القولون العصبي وقد اشتد معه حتى استأصله وتابع علاجاً بالكمياوي كان سبباً -بعد الأجل المحتوم- في ازدياد المرض بعد أن تعافى منه أو كاد خلال 2017 – 2019 وكان طيلة فترة المرض والعلاج صابراً محتسباً مثالاً راض هي راضيا بقضاء الله وقدره.

أوثر عنه حضوره لدروس تفسير كتاب الله العزيز التي كان فضيلة الشّيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش -حفظه الله- يلقيها طيلة عقود من الزّمن في رحاب المسجد العتيق بالعطف، وكان متابعاً قديراً لدروسه يتواصل مع فضيلة الشّيخ ويبادله حباً بِحُب، وكان فضيلة الشّيخ يحترمه ويقدره كثيراً، ويعود للأستاذ فضل المبادرة في الطّلب من فضيلة الشّيخ الإذن بتسجيل دروسه بالصوت والصورة، بعد أن كانت تسجل بالصوت فقط، وهي اليوم تذاع في بعض المحطات التلفزيونية.

كما أوثر عنه حضوره لمختلف الفعاليات الثّقافيّة بالبلدة، وتشجيع القائمين عليها، منها ملتقى فضيلة الشّيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديباً ومفسراً، المنعقد قاعة المؤتمرات بجامعة غرداية بتاريخ يومي 14 – 15 مارس 2017، وملتقيات أخرى في رحاب جامعة غرداية وغيرها.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- صالح ذاتية مختصرة للفقيد، وشهادات من العائلة وبعض رفاق الفقيد؛
- استمارة مرسلة إلى جمعية التّراث ضمن مشروع معجم أعلام الإباضية، ترجمة من ثلاث صفحات

عمر بن محمّد الكمّاد الأنصاري (الوزّان)
(906هـ - 1500م/965هـ - 1558م)

أبو حفص عُمَر بْنُ محمّد الْكَمّادِ الْأَنْصَارِي الْقُسَنْطِيني، الْمَعْرُوفُ بِـ (الْوَزَّان)، من أكابر علماء قسنطينة في القرن العاشر، عالم بالفقه، صوفي ورع، معروف بمشاركته في العلوم النّقليّة والعقليّة، من أهل قسنطينة، ينسب إلى بيت الْكَمَّاد، وهو بيت عربي خزرجي أنصاري، ويعد من البيوتات العريقة بقسنطينة، وهو من بيوتات الشّرف، وقد أعطت أسرة الكمّاد عدداً من العلماء للجزائر يشبه العدد الّذي أعطته لها أسرة المقرّي وقد تقلّد بعض أبنائها في العهد الحفصي عدّة وظائف مهمّة في الدّولة الحفصيّة منها نظارة الأشغال والكتابة بالحاضرة تونس وبمدينة قسنطينة. وهي من الوظائف الرّفيعة والسّاميّة في الدّولة.

ولد عمر بن محمّد الكماد بمدينة قسنطينة سنة (906ه/ 1500م)، ونشأ بها، رحل إلى تونس ثمّ مصر وأخذ عن خيرة مشايخهما، وله كرامات ذكرها المؤرّخون، وأصحاب التّراجم من أهل قسنطينة." وفي هذا الصّدد نذكر أنّ الفكون ساق عنه خبراً، هو" أنّ الوزّان كان يقرأ كعادته كتب أهل التّصوّف في الجامع الكبير القديم بقسنطينة بين خزانتي الكتب، فخرج عليه شخص وطلب منه أن يعود إلى كتب الحديث النّبوي، فترك الوزّان قراءة كتب التّصوّف والعنايّة بطرق القوم وكتب الوعظ واشتغل بالحديث الشّريف، فكان يحفظ صحيح البخاري بأسانيده." وكان آيّة في العلوم الشّرعيّة والآليّة من فقه وحديث وفلك وتفسير، كما تشهد بذلك رسائله وفتاويه في القضاء.

وفي الجانب الاجتماعي فقد زاوج الوزّان بين العلم والتّصوّف والثّروة الماديّة حيث صاهر عائلة غنيّة بقسنطينة وهي عائلة ابن آفوناس حتّى أصبحت له وجاهة عند أمراء قسنطينة، إلاّ إنّه عزف عن وظيفة القضاء، وقد عثر بعض الباحثين على وثيقة اعتذاره لحسن آغا باشا الجزائر عن قبول وظيفة القضاء حين عرضها عليه، وذلك" كون الفترة حرجة في قسنطينة حيث كانت البلاد تمرّ بأزمة داخليّة تتصارع فيها الأسر والمصالح."، لأنّ هذه الأسر كانت تتقاسم الزّعامّة الاجتماعيّة والدّينيّة بالمدينة نهايّة ولايّة الحفصيين وبدايات الحكم العثماني.

كرّس حياته للتّدريس فتخرّج على يديه تلامذة كثر، وقد نقل المنجور عن شيخه الزّواوي إنّه كان يفضّل الوزّان على غيره من العلماء المعاصرين، وأنّ أكثر ما كان الوزّان يدرّس من العلوم البيان والفقه والأصول، حيث قضى حياته مدرّساً في مساجد قسنطينة ولا سيّما مسجد السّيدة حفصة، وقد أسهم عمر الكمّاد ببعض التّآليف.

إنّ تشبّث الوزّان بمهنة التّدريس جعله يعتذر عن قبول وظيفة القضاء التي عرضت عليه، وإذا علمنا أن الوزان قد انتصر للسّلطة القائمة عندئذ، أي قبل العثمانيين، لما ردّ على المرابط عرفة القيرواني الّذي ثار على السّلطان الحفصي الحسن (حوالي سنة832ه) بكتابه (الرّدّ على الشّابيّة)." فهل كان رفضه القضاء من يد العثمانيين تعبيراً عن موقف سياسي؟" إذ أن الوزّان عالم مخضرم عاش في عهدين (الحفصي والعثماني). وحسب ما أورد صاحب الرّحلات الحجازيّة المغاربيّة، فإنّه توفّي بمدينة قسنطينة على أصحّ الأقوال عام (965ه/ 1558م) ويوجد قبره اليوم على يسار المحراب بالمسجد المسمّى باسمه في رحبة الجمال، لكن الثّابت أنّه رحل إلى كلّ من تونس ومصر وأخذ على أكابر شيوخ البلدين، كما أن هناك مدارس انتسب إليها، وأفاد واستفاد منها في المجالين: العلم والتّصوّف، يذكر صاحب شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة: "أبو محمّد عبد الكريم الفكون القسنطيني أخذ عن والده وهو عن والده عن الشّيخ عمر الوزان عن الشّيخ طاهر بن زيّان القسنطيني عن الشّيخ رزوق عن الشّيخ الثّعالبي إلى آخر السّند المتّصل بسيّدنا عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه " وقال عنه الفكون: (إنّه دعوة من دعوات الشّيخ أحمد الزّرّوق تلميذ السّنوسي)؛ لأنّ الزّروق رفع الوزّان على كفّه وهو صبي، وأخذ يدور ويتمتم ويدعو بكلام صوفي.. ويرى صاحب الرّحلات الحجازيّة المغاربيّة: "أنّ الفكون من المنتسبين إلى مدرسة الوزّان التي هي مدرسة الإمام أحمد زرّوق خرّيج مدرسة الإمام محمّد السّنوسي."

يقول المنجور: أخذ عنه شيخنا اليسيتني الأصليين والبيان وغيرها، وقرأ عليه معالم الفخر قراءة بحث وتحقيق". ومن أشهر من أخذ عنه كذلك أبو الطّيب البسكري وعبد الكريم الفكون ويحيى بن سليمان الأوراسي الّذي اشتهر بالتّدريس والفتوى والتّصوف ثمّ الثّورة على العثمانيين في منطقة الأوراس، ومن تلامذته أيضاً قريبه محمّد الكمّاد الّذي تولّى قضاء الجماعة في قسنطينة، وكان أديباً متمكّناً من النّثر والشّعر والخطّابة.

كما أخذ عنه يحى بن عمر الزّواوي شيخ أحمد المنجور، والشّيخ الإمام الصّدر أبو زيد عبد الرّحمن الأخضري.

من مصنّفاته: - (البضاعة المزجاة) وهو تأليف على طريقة الطّوالع للبيضاوي والمواقف للأيجي سمّاه

فتاوي في الفقه والكلام وهي في غاية الإيضاح والتّحقيق لتلك الأغراض.

(الرّدّ على (الشّبوبيّة) وهو كتاب في الرّد على الطّريقة الشّابيّة بقيادة المرابط عرفة القيرواني وصحبه، وهو كتاب جليل ختمه بالتّصوّف.

أجوبة وفتاوي كثيرة في الفقه والكلام وغيرهما، أبدع فيها ما شاء، سأله عن بعضها الفقيه الكبير المحقّق الصّالح أبو زكريا يحيى بن عمر الزّواوي، نقلها عنه صديقه الشّيخ عبد الكريم الفكون في كتابه النّوازل.

له تعليق على قول خليل، "وخصّصت فيه نيّة التّحالف أو الحالف وهو تعليق صغير".

وله حاشيّة على شرح الصّغري للسّنوسي، "أخذ عنه جماعة كعبد الكريم الفكون، وأبي الطّيب البسكري، ويحيى بن سلمان"، وغيرها.

وصفه المنجور في فهرسته بقوله: "هو الفقيه العالم الكبير، المتفنّن المحقّق الرّاسخ الصّالح أبو حفص، كان آيّة يبهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول، من عباد اللّه الصّالحين، رحل إليه شيخنا أبو زكريا الزّواوي وسمعه يقرّر الفقه بنقل اللّخمي وغيره، ويقرئ الفنّون، فكان إذا ذكر يعجب ويعجب ويرجّحه عن كلّ علماء عصره".

وقال عنه تلميذه عبد الكريم بن الفكون: "كان بحراً لا يجارى في العلوم فقهاً وأصولاً ونحواً وحديثاً وله في طريق القوم اليد الطّولى" أي التّصوّف.

كما وصفه في قوله: "شيخ الزّمان وياقوتة العصر والأوان، العالم العارف باللّه الرّباني أبي حفص عمر الوزّان، "والظّاهر أنّ الوزّان كانت له مكانة علميّة وصوفيّة عند المعاصرين له تشبه مكانة عبد الرّحمن الثّعالبي في وقته.

رويسات محمّد

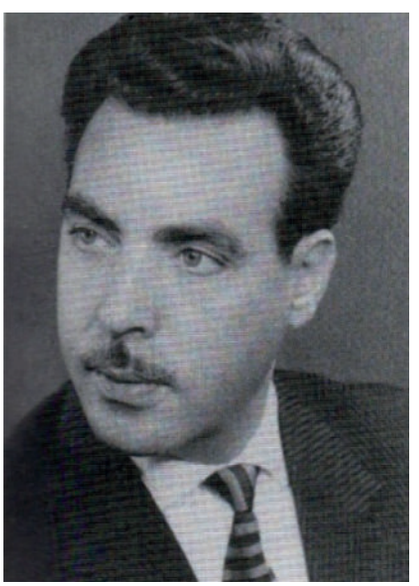
المصادر:

- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد اللّه، ج2، ص79-81؛
- تعريف الخلف برجال السّلف، ص 76-77
- الرّحلات الحجازيّة المغاربيّة: المغاربة الأعلام في البلد الحرام، ص379.

■ عمر بوداود
(1342هـ - 1924م/1441هـ - 2020م)

ارتبط اسم المجاهد عمر بوداود، بإشرافه على فيدراليّة جبهة التحرير الوطني بفرنسا على امتداد خمس سنوات من ثورة التحرير 1954م.

وتميّز نشاط عمر بوداود بتنفيذ معارك كبرى فوق الأراضي الفرنسيّة ومنها تأطير حوالي 250.000 عامل جزائري في فرنسا وبلجيكا وسويسرا ضمن أهداف الثورة الجزائريّة من اجل الاستقلال الوطني وحسم معركة الإخوة الأعداء وتنظيم عمليات فدائيّة مسلّحة لضرب المصالح الاقتصاديّة والأمنيّة لفرنسا والقيام بإنشاء شبكات اجتماعيّة لمساندة كفاح الشّعب الجزائري.



النّضال السّياسي:

وفي مجال النّضال السّياسي انخرط في صفوف حزب الشّعب الجزائري وتولى مسؤوليات حتى أصبح عضو منظمة الحزب بتيزي- وزو وقد استفاد عمر بوداود من تكوين شبه عسكري عندما تأسس الجناح العسكري لحركة انتصار الحريات الديمقراطيّة عام 1947.

وبالمقابل عرف عمر السّجون الفرنسيّة بدايّة من 31 ماي 1945 بسبب نشاطه السّياسي في الحركة الوطنيّة الجزائريّة كما تقلد عضويّة المجلس الشّعبي في نفس المنطقة كغطاء للتغلغل في الدوائر الاستعماريّة وإخفاء نشاطه السّياسي داخل الحزب لتجنب متابعة الشّرطة الفرنسيّة.

النّشأة والطفولة

نشأ عمر بوداود في منطقة القبائل الكبرى بقريّة ازروبا بتيگزيرت بولايّة تيزي- وزو ينحدر من عائلة استقرت بتورقة أين التحق بالمدرسة الفرنسيّة التي تحصل فيها على شهادة التعليم الابتدائي بعدها انتقل إلى معهد للتعليم الفلاحي حيث تحصل على شهادة تقني في فنون الزراعة أثناء الحرب العالميّة الثانيّة.

ويصفه رفاقه في الجهاد بأنه يجنح في أحكامه إلى العدل عندما كان على رأس فيدراليّة جبهة التحرير الوطني بفرنسا برتبة عقيد وعضو المجلس الوطني للثورة الجزائريّة CNRA من 1959 إلى غاية سنة 1962.

الانخراط في حزب الشّعب

انخرط في حزب الشّعب بعد أن تعرّف على السّيد محمد زروالي مؤسّس حزب انتصار الحريات الديمقراطيّة (MTLD)

قائلا حول الموضوع "ويبقى أن لقائي مع زروالي قد كان الحدث الأساسي والخطوة الأولى للنضال في حزب الشّعب الجزائري (PPA)".

النّشاط في الحزب:

عاد عمر بوداود إلى النّشاط السّياسي بعد إطلاق سراحه، ونظرا لسجن محمد زروالي الذي قام بالعمليّة الفدائيّة ضد (القايد آيت علي) بمعيّة الوزير الأسبق محمّد السّعيد معزوزي، فعيّن بوداوود على رأس ناحيّة دلس خلفا له.

وخلال انعقاد مؤتمر الحزب سنة 1947 تقرّر إنشاء هيئة جديدة تتمثل في المنظمة الخاصة الشّبه عسكريّة (l'os) وتم تعيين عمر بوداود مسؤولا فيها عن منطقة القبائل السّفلى، كما تمّ انتخابه عضوا في المجلس البلدي ممثلا للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطيّة (MLTD) باعتبار أن صفة المنتخبين في المجالسّ تمثل أحسن غطاء للنشاط السّياسي.

التحاقه بالثورة التحريريّة وترؤسه لفديراليّة جبهة التحرير الوطني بفرنسا:

تمّ تكليف عمر بوداود في البدايّة بصنع الأسلحة في مناطق مكناس وفاس وفي جزء من الجنوب المغربي قبل التحاقه بفدراليّة جبهة التحرير الوطني بفرنسا.

المجاهد بوداود على رأس فيدراليّة جبهة التحرير الوطني بفرنسا

هذا التعيين على رأس الفيدراليّة تمّ من طرف عبان رمضان، بتاريخ 10 جوان 1957 بعد القبض على اطارات الفيدراليّة التي كانت تشرف على العمل النّضالي بفرنسا ومنهم السّادة محمد بجاوي، صالح الوانشي، وأحمد طالب الإبراهيمي، وتولى السّيد الطيب بولحروف القيادة بصفة مؤقتة.

وقد عملت الهيئة الجديدة للفدراليّة التي تكونت من السّادة عمر بوداود، ورابح بوعزيز، علي هارون، الإبقاء على كل من السّيدين العدلاني، وعبد الكريم سويسي الذي خرج لتوّه السّجن وبإضافة كل من رابح بوعزيز.

وبعد تشكيل هذه التركيبة الخماسيّة للهيئة الفيدراليّة لجبهة التحرير الوطني التي عملت من شهر فيفري 1957 إلى 5 جويليّة 1962 حيث استقرت إلى كولون بألمانيا لتجنب مضايقات الشّرطة ومصالح الاستعلامات الفرنسيّة.

عملت في كولون منذ ربيع عام 1957 م من أجل فتح جبهة ثانيّة ولتختار ليلة 25 اوت 1958 لتحضير هجومات مسلحة لضرب أهداف اقتصاديّة استراتيجيّة وكذلك القيام بعمليات عسكريّة ضد عناصر الشّرطة والعملاء.

ولم يكن من السّهل على القيادة الجديدة للفدراليّة إعداد العمل السّياسي والعسكري فوق التراب الفرنسي بقيادة عمر بوداود بعد أن تعرضت القيادات الثلاث السّابقة الى القبض وصعوبة مواصلة عملها في ظلّ المضايقات ومراقبة الشّرطة الفرنسيّة لقياداتها ومنضاليها، خاصّة وأن الهيئة العليا لقيادة الثورة الجزائريّة قدّ حددت مهاما جديدة للفيدراليّة تتمثل في نقل الثورة الى التراب الفرنسي الأمر الذي يقتضي القيام بعمليات مسلحة وتخريب الأهداف الاقتصاديّة والإستراتيجيّة كمعامل تكرير البترول بمرسيليا وثكنات الأمن والجيش مما يتطلب إعادة التنظيم الخاصّ بالخلايا الفدائيّة وإعادة تكوين فدائيين قادرين على السّير داخل المدن بانضباط وفعاليّة كبيرين.

فدراليّة فرنسا لجبهة التحرير الوطني (الجبهة الثانيّة للكفاح)

تعتبر فدراليّة فرنسا لجبهة التحرير الوطني الولايّة المكافحة للاستعمار فوق أرض التراب الفرنسي بمثابة القوة الحاسمة هدفها تجنيد الجاليّة الجزائريّة في أوروبا الغربيّة التي تأسّس النّظام فيها عام 1954م برئاسة محمد بجاوي بهدف سحب الجاليّة الجزائريّة من التأثير المصالي وخاضت معارك مسلحة ضد (الحركة الوطنيّة الجزائريّة/ (MNA والتي بلغت الضحايا الى حوالي 4000 ضحيّة و12000 جريح من الطرفين.

ومنذ عام 1958 تمكنت الفيدراليّة من فرض نفسها فوق التراب الفرنسي، وخاصّة بعد أن تمكنت من قتل نائب المجلس الوطني الجزائري الخائن علي شكّال.

ولأول مرّة في تاريخ حركات التحرر الوطني تمكنت فدراليّة فرنسا لجبهة التحرير الوطني من القيام بعمليات فدائيّة مسلحة ضد المصالح الفرنسيّة خاصّة خلال الفترة الممتدة من 25 أوت الى 27 سبتمبر 1958، ومنها أعمال التخريب التي بلغت 242 هجوما مسلحا و181 عمليّة فدائيّة بضرب الأهداف الاقتصاديّة العسكريّة بالعاصمة الباريسيّة خلال الفترة (1960-1961)

وقدرت الأعداد المنظمّة تحت لواء الفيدراليّة 136.345 عضوا نساء ورجالا عام 1960 وتسهم الفدراليّة بـ 6 ملايير فرنكا فرنسيا كاشتراكات لـ 150.000 مشتركا من 1955-1962 من الجاليّة الفرنسيّة.

والجدير بالذكر أن الفدراليّة في فرنسا تعدّ دولة داخل دولة مهمتها رقابة حياة منضاليها المتعاطفين معها

ويرى المؤرّخ محمد حربي أن الجبهة أصبحت جزءا شمولي التوجه.

ومنذ ربيع 1960 عملت الشّرطة الفرنسيّة برئاسة (پابون) على تسليط قمع شديد على الجزائريين بفرنسا والغريب أنه بانطلاق المفاوضات بين الحكومة الجزائريّة المؤقتة وممثلي الحكومة الفرنسيّة ازداد عنف الشّرطة الفرنسيّة واتجهت العدالة الفرنسيّة إلى عدالة استثنائيّة كلما تعلّق الأمر بالجزائريين وبالتالي فإن أحداث 17 أكتوبر 1961 وما شهدته من قمع وتنكيل ضدّ المظاهرات الشّعبيّة السّلميّة نتيجة طبيعيّة لسياسة وزارة الداخليّة الفرنسيّة.

وتبقى هذه السّنة من أخطر السّنوات على الجزائريين خاصّة المقيمين في باريس بمقاطعة (السّين/ Département de la Seine).

كما يمكن تفسير التصعيد في العنف كوّن (الجنرال ديغول/ LE GENERAL DE GAULLE) يريد أن يظهر أمام المتفاوضين الجزائريين في موقع القوي والمفاوضات تقترب من نهايتها.

حسم الحرب بين الإخوة الأعداء:

وكان لحادثة التصفيّة الجسديّة لعلي شكّال يوم 26 ماي 1957، الذي كان جالسّا إلى جانب رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة (رينيه گوتيه/ René coty) يتابعان مقابلة في كأس فرنسا لكرة القدم، درسا كبيرا لأولئك الذين كانوا يشككون في قوة جبهة التحرير الوطني فوق التراب الفرنسي.

وقدّ نفذت هذه العمليّة عند نهايّة المقابلة وشروع الشّخصيات الفرنسيّة الرسميّة للخروج من الملعب في حدود السّاعة الخامسة مساء بواسطة الفدائي محمد بن صدوق، الذي اعترف أنه ينتمي لتنظيم جبهة التحرير الوطني قائلا " لقد قتلت أخر صديق مسلم لفرنسا"، وحكم عليه في 10 ديسمبر 1957 بالأشغال الشّاقة بدلا من الحكم عليه بالإعدام بفضل استعداد مجموعة من المحامين للدفاع عن قضيته العادلة على اعتبار أن هذا العمل الفدائي نفذ من أجل قضيّة عادلة.

وشهد بعض المثقفين الفرنسيين محاكمة بن صدوق من 9 إلى 14 ديسمبر 1957 وتزامنت مع خطاب (البير كامو/ ALBERT CEMUS) الذي كان يستلم جائزة نوبل يوم 10 ديسمبر 1957 وقام فريق الدفاع باستدعاء مجموعة من المثقفين الفرنسيين للإدلاء بشهاداتهم لإنقاذ هذا الفدائي من الحكم بالإعدام ومنهم جيرمان تيون والفيلسوف جان بول سارتر ونقلت الأستاذة سيمون وبفوار اللحظات التي عاشها سارتر، ومما جاء في تدخله أن العمليّة التي قام بها بن صدوق عمليّة سياسيّة ناجمة عن الحقد والظلم الذي تعيشه الجاليّة الجزائريّة بفرنسا ولا يمكن اعتبارها عمليّة إرهابيّة مما جعل هيأة المحكمة تجنح نحو الأحكام الشّاقة بدلا من الإعدام.

مظاهرات 17 أكتوبر 1961

كما ارتبط اسم عمر بوداود بالمظاهرات الشّعبيّة التي عرفتها باريس في 17 اكتوبر 1961 كما يقول هذا القائد الكبير الذي عرف عنه العدل والانضباط والصرامة أنه يحتاج للتشاور مع الحكومة الجزائريّة المؤقتة المتمثلة في السّيد عبد الله بن طوبال الذي تطلب منه الانتقال إلى تونس لعرض عليه المسألة وقال له " اسمع ياعمر، أنت المسؤول هنا، أكمل ما تراه مناسبا إذا فشلت في العمليّة الكبرى، فأنت الذي تدفع الثمن وإذا نجحت فإن النّظام هو الذي انتصر- دبر راسك فقلت له فهمت".

أحسن سعيد

المصادر:

- ليندة عميري، معركة فرنسا (حرب الجزائر بفرنسا) منشورات الشّهاب باتنة 2013.
- رابح بلعيد، الحركة الوطنيّة الجزائريّة (1945-1954) دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر
- عمر بوداود من حزب الشّعب الجزائري الى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، الجزائر دار القصبة للنشر 2000.

■ عمر حقيقة
(1311هـ - 1893م/1406هـ - 1985م)

الحاج عمر بن الطالب أحمد حقيقة الرويسي (الورگلي)، ولد ببلدة (الرويسات) وسط (ورگلة) سنة(1893م)، ونشأ بين أحضان عائلة محافظة، حفظ القرآن الكريم على يد والده (الطالب أحمد)، الّذي كان معلّما للقرآن، وجالسّ شيوخ بلدته متعلّما على يد قطب أهل العلم في (ورقلة) الشّيخ (عبد القادر بن الحاج النّعيمي) فدرس قواعد اللّغة والنّحو والفقه، كما جلس إلى دروس (السّكّوتي)، والشّيخ (محمّد عبد القادر بلعالم) (بالرويسات) صحبة العديد من أقرانه أمثال الشّيخ (محمّد بن الحاج عيسى)، الّذي كانت له صلة قويّة به، وكان يزوره في بيته حين ينزل مدرّسا (بالرويسات)، وفي سنة (1915م) قصد الحاج عمر حقيقة (تونس) جامعا بين العلم والتّجارة غير أنّ إقامته لم تدم

طويلا، فقفل راجعا إلى وطنه متزوّدا بالعلم ومعرفة الطّرق ومسالكها وفنون التّجارة وأسواقها، اتجه إلى الشّرق الجزائري ولزم صديقه المجاهد الثّائر الشّيخ (الهاشمي) في منفاه سنة (1917م)، وبعد خلاف بينه وبين أعيان بلدته (الرويسات) ترك الدّيار (الورگليّة) متّجها صوب (القاهرة) (بمصر) سنة (1922م)، وهناك مارس التّجارة وجالس علماءها قرابة عامين، لم يشأ الحاج عمر حقيقة أن يسجّل عليه التّاريخ وصوله إلى (مصر) دون الصّلاة في (المسجد الأقصى) المبارك، وهناك وجد المغاربة جنبا إلى جنب مع إخوانهم في أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وفي حدود سنة(1926م) قصد (مكّة) معتمرا وحاجّا وتاجرا متجوّلا، وطالبا للعلم والمعارف، وكان له اتصال بالحجّاج الوافدين من العالم الإسلامي في (المدينة المنورة)، كما ربطته علاقات بكبار تجّار ورعايا (الدّولة العثمانيّة) في (الحجاز) خصوصا الأعلام المهاجرين من (جنوب شرق آسيا) الّذين صاهرهم، ولكن بعد سقوط الخلافة العثمانيّة سنة (1924م) بدأت مشاكل هؤلاء الأعاجم وبدأ اضطهادهم والتّضييق عليهم باعتبارهم موالين للخلافة العثمانيّة ممّا اضطرّهم للهجرة وعودة بعضهم إلى بلدانهم، فكان الحاج عمر من العرب المضطهدين ليفر هاربا بعد أن اتّفق مع أحد التّجّار من (سنغافورة) رفقة عدد من إخوانه، وقد ذرف الدّمع ساعة مغادرته (مكّة) شأنه شأن العاشقين، وفي ذلك يقول:

بكت عيني أيام غادرت مكة
وفي بدني من ذا الفراق تألتم
سألت إلهي أن يجمع شملنا
عسى أن أراكم بعتد إثر فأرحم
أصور هذا والدّموع مراقة
من الجفن والأسقام في القلب تضرم

وفي نهايّة سنة (1929م) وبعد رحلة طويلة وشاقة في مياه المحيطين (الهادي) و(الهندي) للالتحاق بإخوانه في تلك الجزر النّائيّة واكتشاف عالمهم البعيد، اقترب من المياه الإقليميّة لجزيرة (سومطرة) أكبر الجزر (الأندونيسيّة) المنتشرة في المياه والّتي يفوق عددها(6000) جزيرة، وهناك كادت نهايّة حياته حين انقلبت السّفينة بركّابها وربّانها، فكان الحاج عمر من النّاجين القلائل، وظلّ متجوّلا بين الجزر تاجرا معلّما ومتعلّما في بعض الأحيان.

انتقل الحاج عمر إلى أصهاره في (ماليزيا) الّتي سبقه إليها التّجّار العرب والمعلّمون مرورا (بسنغافورة) الّتي كانت له فيها جولات وعلاقات بالعلماء وكبار التّجّار، وفي (ماليزيا) اختار الحاج عمر مدينة (جوهر) الّتي وجد فيها ضالّته حيث استقبله الأهالي مرحّبين، إذ محبّتهم للعرب جليلة ولأهل القرآن بصفة خاصّة، وهو شأن كلّ الأعاجم المسلمين، وازدادت محبّتهم لهذا العربي الّذي اختار بلدتهم وأنشأ بها مدرسة التّعليم القرآني، وقد لقيت المدرسة إقبالا واسعا وأثرا طيّبا، ودامت إقامة الحاج عمر حقيقة في تلك الدّيار النّائيّة قرابة خمس سنوات، وهناك تزوّج ورزق بمولودين ولد وبنت، له منهما أحفاد في كل من (ماليزيا) و(سنغافورة) وبلاد (الحجاز).

في شهر (ماي) من سنة(1934م)، وبعد رحلة طويلة حطّ الرّحال في بلدته (الرويسات) في (ورقلة) ليجد ابنه الّذي تركه في بطن أمّه شابّا يافعا يبلغ 12سنة، إنّه نجله الأكبر (الحاج محمّد الهاشمي) الأستاذ الأزهري المتقاعد في (هران)، ظلّ الحاج عمر بنفسه التّوّاقة للسّفر والتّجوال ينتظر الفرصة ليرحل هذه المرّة إلى (ساحل العاج) في قلب (أفريقيا) السّمراء محتملا قساوة الطّريق وظروف الصّحراء، فاستقرّ في الحدود الشّرقيّة لهذه البلاد سنة(1939م)، حيث كان للتّجّار العرب المسلمين دورهم في الدعوة لدين الله الحنيف ونشره، وكانت وسائلهم في ذلك التّجارة والقرآن وأخلاق الإسلام السّمحة.

بعد عامين من رحلة (ساحل العاج) وتجارة الذّهب الرّابحة كانت له رحلة ثانيّة إلى (جنوب أفريقيا) سنة(1941م)، حيث سافر إلى الجنوب الأفريقي مقتربا من مدينة (جوهنزبورغ)، ومن هناك عاد محمّلا ببضاعة غاليّة، إلاّ أنّ الاستدمار الفرنسي رصد أخباره وأوقفه في إحد المداخل الحدوديّة في ولايّة (أدرار) وتمّ سجنه هناك، ورغم ذلك استطاع أن يبقي على كمّيّة من الذّهب ليعود به إلى (ورقلة).

قضى الحاج عمر ما تبقّى من حياته بعد هذه الرّحلات محبّا للعلم وأهله مترصّدا أخبارهم ملتزما مسجد (سي محمد عثمان) قرب سوق (الرويسات) مدرّسا وإماما متطوّعا، وقد عرف بالتّواضع والصّبر وهو الّذي ابتلاه الله بفقد البصر.

من الكتب الّتي ألّفها الحاج عمر حقيقة في (ماليزيا) لتكون عونا له في تدريس مادّة التّوحيد كتاب (غاية المرام أسئلة في علم الكلام)، وبعد أن أكمل نسخه وتنسيقه أودعه المطبعة الكاثوليكيّة، فلمّا قرأت لجنة المراقبة في المطبعة الكتاب وأدركت فحواه وضعته جانبا وبدأت تتماطل وتتعلّل بجملة من الأسباب إلى أن أعلنت ضياع المخطوط الثّمين، فرفع الحاج عمر حقيقيّة قضيّة ضدّها في المحكمة الّتي حكمت لصالحه وغرّمت المطبعة، وللإشارة تمّ طبع هذا الكتاب سنة(1962م) في مدينة (الدّار البيضاء) (بالمغرب) بإشراف نجله الأكبر (محمّد الهاشمي حقيقة) وهو أحد خرّيجي الأزهر الشّريف(مصر).

كما له مجموعة رسائل ومخطوطات ضاعت كلّها أيّام الاستدمار ومداهماته المفاجئة نهايّة الخمسينيات وأحداث الثّورة، ولم يبق منها سوى كتابه (غاية المرام أسئلة في علم الكلام) وقصيدته الّتي بعث بها إلى أهله (بورگلة) سنة (1929م)، أثناء مغادرته البلد الحرام يقول فيها رحمه الله:

أبي إخوتي صبو الحمى هزني لكم
وأرياح أرضي من شذى الكرخ تنسم
فصرت أداري الوحش ثمّ أذيعه
وأعلن هذا الوحش حينا وأكتم

وما وراق لي حلّى بسنغافورة
هنا الجسم والرّوح هناك تخيم
هناك أحشائي تذوب وهاهنا
فؤادي متى حركته يتضرّم
وإن معي ما لو بثثت من الأسى
لآلم قوما والحقيقة تؤلم

بكت عيني أيّام غادرت مكّة
وفي بدني من ذا الفراق تالأم
سألت إلهي أن يجمع شملنا
عسى أن أراكم بعد إثر فأرحم
وألف سلام في سلام يبثه
لكم عمر المشتاق والمتألّم

أصور هذا والدّموع مراقة
من الجفن والأسقام في القلب تضرم

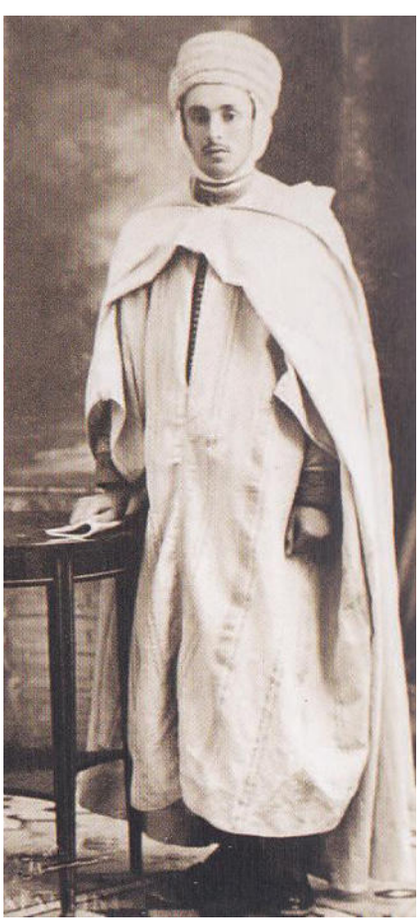
توفّي يوم (27 أكتوبر1985م) ببلدة (الرويسات) (بورگلة)، عن عمر ناهز(92) سنة.

نسيمة لوح

المصادر:
- من أعلام الجنوب الجزائري،إبراهيم بن ساسي، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة،وحدة الرّغاية ،الجزائر،2011م.

■ عمر دردور
(1133هـ - 1913م/ 1430هـ - 2009م)

ولد الشّيخ أبو القاسم عمر دردور بن محمد بن منصور بقريّة حيدوس "بلديّة ثنيّة العابد" بمنطقة أريس ولايّة باتنة في 13/ 10/ 1913 دخل الكتاب لحفظ كتاب الله سنة 1918 وقد ابتدأ التهجي على يدي والده الشّيخ سيدي محمد بن منصور ثم على يدي جده سيدي منصور بقريّة حيدوس فختمه في عامين الختمة الأولى، وفي 1925 ختم القرآن الكريم الختمة الثالثة وعمره لا يتجاوز ال12 سنة، دخل زاويّة سيدي عبد الرحمن الزموري بحيدوس في 1926 ليتعلم مبادئ علوم اللغة العربيّة وعلوم الشّريعة لمدة سنتين على يدي هذا الشّيخ الجليل مفتي القريّة وعالمها ومعلم أبنائها الذي زاره الشّيخ عبد الحميد بن باديس في إحدى جولاته للاوراس، وفي سنة 1930 انتقل الشّيخ دردور إلى زاويّة سيدي علي بن عمر بطولقة ومكث بها سنتين الى نهايّة سنة 1931، وفي 1932 توجه إلى جامع الأخضر بقسنطينة الذي يدرس فيه الشّيخ الجليل عبد الحميد بن باديس، وبعد اختباره ألحقه بالسّنة الثالثة إعدادي لتمكنه من مبادئ العلوم اللغويّة والشّرعيّة ومكث فيه سبع سنوات بين الدراسة والتدريس إلى سنة 1938م.



وفي 1934 عينه الشّيخ ابن باديس عريفا على تلامذة منطقة الاوراس ضمن مجموعة من خيرة تضم 11 عضوا من بينهم الشّيخ الفضيل الورتيلاني- حيث اشرف على تلامذة منطقة الأوراس ضمن مجموعة من خيرة طلبته للإشراف على طلبة المنطقة وبناء المساجد الحرة وتأسيس النوادي التعليميّة الإصلاحيّة والجمعيات الدينيّة وكل ما يتعلق بنشاطات شعب جمعيّة العلماء المسلمين في ذلك الوقت.

وفي 1936 أسس الشّيخ عمر دردور الشّعبة الاوراسيّة مع مجموعة من الطلبة وعلماء المنطقة بقريّة حيدوس، ثم تفرعت الشّعبة على عدد من المناطق والقرى كبوزينة وشير وأريس وقاموا بنشاط جبار في ميدان تأسيس الجمعيات الدينيّة ومدارس ونوادي إصلاحيّة مع التعليم المسجدي لغرس روح الدين والأخوة وحب الوطن في المجتمع،كما كلفه العلامة ابن باديس في 1937 بالتدريس لطلبة مسجدي سيدي قموش وسيدي بومعزة بقسنطينة.في 19 أكتوبر 1937 زجت به السّلطات الفرنسيّة في سجن باتنة بتهمة تحريض الجماهير على العصيان المدني، وفي 06 جانفي 1938 برأته المحكمة تحت ضغط الجماهير الغاضبة المتظاهرة حول محكمة وسجن باتنة، وقد حضر الجلسة الشّيخ عبد الحميد بن باديس بنفسه والشّيخ خير الدين والشّيخ الطاهر مسعوداني وغيرهم من أعضاء جمعيّة العلماء الممثلين لمدينة باتنة وأعضاء الشّعبة الاوراسيّة وغيرهم وكان يوما مشهودا للأشاوس الابطال بالتجمهر والهتاف والزغاريد.

في شهر أوت 1939 أعيد الشّيخ عمر دردور إلى السّجن وحكم عليه بأربعة أشهر سجنا نافذا مع 8000 فرنك فرنسي غرامة ماليّة، فقضى 26 يوما المتبقيّة من العقوبة الأولى في السّجن لإتمام 4 أشهر مدة حكم الاستئناف، وخرج منه في سبتمبر 1939 مع اندلاع الحرب العالميّة الثانيّة.

وفاة الأب الروحي للحركة الإصلاحيّة ومواصلة الشّيخ المسيرة

من سنة1947 إلى 1954 قام بنشاط مكثف في التوعيّة والتوجيه الإصلاحي والسّياسي مع محاربة الدجل والشّعوذة وزيارة الأضرحة والتفسخ والانحلال والتطبيل والزرنة في الأعراس والبذخ والإسراف فيها وتهيئة النفوس سياسيا وكانت بحق فترة مخاض الثورة، ومع اندلاع الثورة في 1954عمل بمنطقة تازولت مع الطاهر النويشي ومحمد الشّريف بن عائشة في إعداد مراكز التموين والمخابئ والمستشفيات، وفي جويليّة 1955 غادر الوطن باتجاه فرنسا بعد اكتشاف أمره بسبب وشايّة ومر بقسنطينة بنيّة حضور جلسة محاكمة ابن بولعيد غير أن المحامي العمراني نبهه إلى خطورة الوضع وان الشّرطة تبحث عنه، فغادرها إلى العاصمة ونزل في دار جمعيّة العلماء ليقوم الدكتور احمد فرنسيس وبن بوعلي بإعداد الملف الطبي له ليتمكن من السّفر إلى فرنسا التي استقربها بعض الوقت عند المغترب بده محمد من وادي الطاقة وعمل على تطبيق برنامج جبهة التحرير الوطني في إنشاء جمعيات فدراليّة لعمال المهجر في كل من (مرسيليا،بوردو، ليون، وتوركوان وباريس)، ثم توسعت العمليّة بفضل الأخوين عبد المجيد بن غزال، واحمد دوم إلى أن أصبح تراب فرنسا كولايّة سابعة في تنظيم جبهة التحرير الوطني.

وفي جانفي 1956 انتقل إلى مصر واتصل بالشّيخ الإبراهيمي ثم بالوفد الخارجي للجبهة (احمد بن بلة، وخيضر، وبوضياف وايت احمد) وغيرهم، ليكلف بعدة مهام في كل من (مصر، سوريا، لبنان، السّعوديّة، العراق وليبيا ثم تونس). وفي 1960 نزل بتونس للعلاج، ثم كلف بتعليم أفواج المجاهدين الذين يفدون على مراكز (سيدي اسماعيل) قرب باجه، ومكث بهذا المركز إلى الاستقلال واسترجاع السّيادة الوطنيّة في 1962.

نشاطه بعد الاستقلال والعمل على تأطير جيل ما بعد الثورة.

وفي نوفمبر 1962 بعد عودته إلى ارض الوطن شرع في بناء المعهد الإسلامي بباتنة "ثانويّة صلاح الدين الأيوبي حاليا"بمساعدة كل من وزارة الأوقاف والدفاع الوطني وبلديّة باتنة وتم الانجاز في ظرف قياسي(6 أشهر)، وقد افتتح المعهد في 1964 ب250 طالبا كما كانت الدفعة الأولى للأساتذة الأزهريين تتكون من حوالي 20 أستاذا ثم تضاعف عددهم بتضاعف إقبال الطلبة على المعهد إلى أن بلغ 3000 طالب، واستقبل المعهد في 1975 طلابا أجانب كالسّنغاليين والاريتريين.. الخ.

من سنة 1981 إلى 1989 كلف الشّيخ عمر دردور بإدارة معهد تكوين الإطارات الدينيّة بسيدي عقبة مع قيامه بمهمة التفتيش على مستوى الولايّة خصوصا عام 1985، ورغم تقدمه في السّن انه واصل نشاطه في الإرشاد وإصلاح ذات البين وكان يقول " إذا جاءتني الموت تجدني واقفا" وذلك أثناء تنقلاته في القرى والبوادي التي لم ينفك ينفخ فيها روح الإسلام السّمح والأعراف العريقة بمفرده تارة وبمعيّة علماء الإصلاح مرارا وتكرارا أمثال الشّيخ الغزالي بن دعاس والشّيخ سي المسعود بنور والشّيخ الأمير صالحي وغيرهم، كما التزم تطوعا حضور جلسات المجلس العلمي للإفتاء لسنوات عديدة.

مابين 1988 و2000 شارك الشّيخ في عدة ندوات ومؤتمرات حزبيّة وغيرها وطنيّة ومحليّة ثم التزم الصمت لتقدمه في السّن من جهة وأصابته بفالج المأساة الوطنيّة التي كادت تودي بحياته.

وفي الفترة الممتدة بين 2000 و2009 قرر الشّيخ عمر دردور بناء مسجد بمئذنته وزاويّة بقريّة الحمزة ببلديّة وادي الطاقة من ماله الخاص وحبسه جزءا من أرضه على المسجد وأخرى على مقبرة الحمزة صدقة جاريّة كما فعل من قبل في أراضيه بقريّة بوزيزة التي بنيت عليها مدرسة ومسجد وسكنات للمعلمين والمواطنين، كما سلم أراضي أخرى لبلديّة ثنيّة العابد لبناء مدرسة قرزة وغيرها.

في يوم الخميس 19 مارس 2009 توفي الشّيخ عمر دردور عن عمر يناهز 95 عاما ونصف العام وشيع جثمانه إلى مثواه الأخير بالمقبرة العامة بتازولت يوم الجمعة 20 مارس في موكب مهيب.

طارق ثابت

المصادر:

- مسعود فلوسي، جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين تنعي واحدا من رموزها: الشّيخ عمر دردور في ذمة الله، محطات جريدة البصائر تاريخ ـ نوفمبر 2016

■ عمر راسم
(1301هـ - 1884م/1378هـ - 1959م)

خطّاط رسّام وصحفيّ وإصلاحي. ولد في 3 جانفي سنة (1884) في الجزائر العاصمة، كان أبوه (علي بن سعيد بن محمّد البجائي) الذي توفّي سنة (1917) من كبار الرّسّامين والخطّاطين، ويرجّح (محمّد شريفي) إنّه من أصول تركيّة، وكان يوقّع كتاباته أحيانا بأبي منصور الصّنهاجي. وهو مؤسّس مدرسة فنّ المنمنمات الجزائريّة.

ويذكر شيخ المؤرّخين (أبو القاسم سعد الله) وهو يوثّق لسيرة وحياة (عمر راسم) إنّه وعلى الرّغم من الكمّ الكبير الذي كتب عنه، ممّن أحصاهم من أمثال: (محمّد ناصر وأحمد توفّيق المدني وعلي دبوز) إلا أنّ كتاب (تقويم الأخلاق) لصاحبه (العابد الجلالي) يبقى أهمّ ما كتب عنه، وذلك لمعرفته الشّخصيّة ب (عمر راسم) وهذا يعني إنّه كتب عنه عن كثب ومعرفة دقيقة، ولذلك اعتمد في ترجمته له على ما جاء في هذا الكتاب، وخاصّة فيما تعلّق بصحافته وسجنه، على الرّغم من ملاحظته لوجود ثغرات خاصّة فيما تعلّق بالمرحلة الثّانيّة من حياته، وهي التي أشار (أحمد توفّيق المدني) إلى إنّها كانت مرحلة حزن وعزلة نفسيّة.

تعلّم (عمر راسم) في الكُتّاب، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات، ثم اشتغل كحزّاب وهو ابن اثني عشر سنة في جامع (سفير) بالعاصمة، وفيه تعلّم درسا في النّحو على يد (محمّد خوجة) ثم التّحق بالمدرسة الشّرعيّة الفرنسيّة التي سميت فيما بعد (الثّعالبيّة) لمدة سنة، ولم تكن هذه المدّة القصيرة من التّعليم النّظامي كافيّة بالنّسبة إليه، فالتّحق بالصّحافة بعد انتشار مدرسة التّجديد الإسلامي، وساهمت بعض الأحداث في بلورة شخصّيته العلميّة والسّياسيّة ومواقفه من المستعمر الفرنسي مثل قضيّة تجنيس يهود الجزائر سنة 1870 التي كتب عنها وحدّد مقاصدها المرتبطة



بالصّهيونيّة العالميّة، فكتب عن الخطر اليهوديّ الصّهيوني في العالم العربي، وكان متابعا بصيرا بمستجدّات أحداث العالم في بداية القرن العشرين وما شهده من صراعات، خاصّة تلك العلاقة العدائيّة بين الدّولة العثمانيّة وفرنسا، إلى جانب تنامي الحركة الإصلاحيّة في مصر بقيادة (محمّد عبده) الذي زار الجزائر سنة (1903) وتأثيره في الحركة الاصلاحيّة الجزائريّة آنذاك، وهو ما ساهم في تشكيل شخصيّة (عمر راسم) التّوّاقة للإصلاح، الباحثة عن أسباب تخلّف المسلمين الجزائريّين، وأساليب التّفرقة العنصريّة الاستعمّاريّة واغتصاب الحقوق وشراء الذّمم ومساهمتها في تفشّي الفساد الأخلاقيّ بين الجزائريّين، قصد إبعادهم عن هويّتهم وثقافتهم وتراثهم.

بدأت تجربة (عمر راسم) وهو في مقتبل العمر في الصّحافة منذ سنة (1898) في جريدة (المبشّر) النّاطقة باسم الحكومة الفرنسيّة، وكان متابعا للصحافة الفرنسيّة معارضا فكرة التّجنيد الإجباريّ وكذا سياسة الاندماج، ومن هنا بدأ نشاطه في التّوعيّة ومناهضة المستعمر، فكان أوّل الجزائريّين الذين كتبوا في الصّحافة التّونسيّة وساهموا فيها مثل صحائف: (التّقدم ومرشد الأمّة والمرشد) وقد كتب أوّل رسالة مفتوحة إلى حاكم الجزائر العام الفرنسيّ آنذاك سنة (1907)، وفي جريدة (التّقدم) هاجم الاندماجيّين الذين ولّوا وجوههم شطر المستعمر مزهويّين بالنّياشين التي كانت تمنح لهم مقابل الولاء والتّنكّر للعقيدة والتّاريخ والهويّة. كما ساهم في جريدة (الحق الوهراني) التي صدرت في 15 اكتوبر (1911) وكانت تُحرّر باللّغة الفرنسيّة حتّى العدد الواحد والثّلاثين لتبدأ إضافة الكتابة باللّغة العربيّة فيها.

كانت لـ (عمر راسم) مراسلات مع رواد الإصلاح والنّهضة العربيّة الإسلاميّة من بينهم (عبد العزيز الثّعالبي والأمير شكيب أرسلان، ومصطفى كمال، وعمر بن قدور، والحليم بن سماية) وغيرهم.

ولعلّ من أهم مقالاته الإصلاحيّة مقالة (اليقظة الجزائريّة) التي نشرها في جريدة (مرشد الأمّة) وقد عاين فيها بمرارة وضعيّة الحركة الفكريّة في الجزائر التي كانت في أسوأ حالاتها، مؤكّدا أنّ ذلك القرن هو قرن الظّلمات على الشّعب الجزائريّ، نتيجة الفساد الأخلاقي والاجتماعي، وكان قد انتقد في مقالتّه تلك الخطباء والجرائد التي تدّعي رفاهيّة الجزائريّين، وهم يعيشون أسوأ حالاتهم، تحت الاستعمّار الفرنسي، حتى أصبحوا آخر الآدميّين في الفقر والجهل.

وفي سنة (1908) أنشأ (عمر راسم) صحيفة (الجزائر) ويتعاون مع (عمر بن قدور) في إصدار جريدة (الفاروق) سنة (1913)، ثم أصدر جريدة (ذو الفقار) سنة (1914)، وقد ساهمت حدّة لهجته مع السّلطة الاستعمّاريّة في توقيف الجرائد التي يصدرها في كلّ مرّة، ثم تم استدعاؤه من جريدة (المبشّر) للعمل فيها، وكانت في حقيقتها خطّة مبيّتة للقضاء عليه، وفعلا مثلما يذهب إلى ذلك (أبو القاسم سعد الله) تم اتّهامه بالتّعامل مع الدّولة العثمانيّة، التي دخلت

في الحرب مع فرنسا، بعد ضبط رسالة جمع فيها توقيعات تدعو المسلمين إلى مساندة السّلطان العثماني والتّوقّف على مساعدّة أعداء المسلمين وقبض عليه وزجّ به في السّجن في 13 أوت (1915)، وحكم عليه بالأشغال الشّاقة في محاكمة عسكريّة إلى غاية (1921).

لقد كان (عمر راسم) ثائرا بالكلمة منتقدا حال الجزائريّين، داعيا إلى الثّورة على الوضع، مستنكرا تراجع الإيمان في قلوب المسلمين، حيث يصف في مقالاته وخطبه كيف خلت المساجد من المصلّين وكثر اللّصوص، كما يصف انتشار الآفات الاجتماعيّة بينهم من ربى وجفاء وتقليد أعمى للفرنسيين، وكان في كتاباته، يعيد تأسيس الأخلاق الإسلاميّة التي بدأت تتهاوى، وجعل ذلك من أسباب تأخّر الأمّة العربيّة والإسلاميّة التي تعيش أيام اندثارها، بعد الابتعاد عن مآثر السّلف الصّالح.

انقطع بعد خروجه من السّجن للفنّ والرّسم، وأصبح أستاذا سنة (1931) في مدرسة تعليم فنّ التّصوير والزّخرفة العربيّة، وتخرّج على يديه نخبة مِن كبار الرّسّامين. ثم أنشأ سنة (1939) مدرسة للزّخرفة وفنّ المنمنمات بالجزائر سمّاها (مدرسة الفنّون الزّخرفية والمنمنمات الإسلاميّة)، متخصّصة في التّشكيل بالخطّ ورسم المنمنمات وقد تخرّج منها مجموعة من الفنّانين منهم: (محمّد تمام، ومصطفى بن دباغ، وعلي خوجة) وكان له في ذلك موقف ثابت وهو الحفاظ على التّراث وقد شارك في اتحاد فناني شمال أفريقيا،

وقد ترك (عمر راسم) مجموعة كبيرة من المقالات التي نشرها في الصّحف التّونسيّة والجزائريّة، كما كانت له خطب باللّغتين العربيّة والفرنسيّة، عرضها (محمّد ناصر) في كتابته عنه، وله أيضا مجموعة من التّراجم، والكتابات التي يعتقد (أبو القاسم سعد الله) أنّ أغلبها ضاع، ويتساءل كيف تمّ ضياع كتاباته التي بقي منها ما لا يضاهي نشاطه الثّقافي والسّياسي الكبير والمكثّف.

للرّجل كتاب مخطوط في تراجم علماء الجزائر، أشار (سعد الله) أن (محمّد علي دبوز) اطلع عليه وأفاد منه في ترجته لعمر راسم، الذي قام بدوره بترجمات لبعض علماء الجزائر العاصمة خاصّة مثل: (محمّد بن مصطفى خوجة، وحمدان خوجة، والشّيخ المجاوي وابن سمايّة) وهو ما تزامن مع ما قام به (الحفناوي) في كتابه (تعريف الخلف برجال السّلف).

كان راسم فنانا متعدّدا حيث كان مولعا إلى جانب فنّ المنمنمات والخطّ العربيّ بالموسيقى الأندلسيّة، وكتب عنها العديد من المقالات عن تاريخها، أصولها، وتطوّرها وذلك لما رآه من تفشّ للموسيقى الغربيّة. كما التّحق سنة (1908) بجمعية (التّوفيقية) المسرحية التي تأسّست سنة (1905) وكان الأمين العام لها .

عاش عمر راسم مصلحا مناضلا يجمع بين الأصالة والتّنوير، وهو من المثقّفين الكبار ومن رواد الإصلاح في عصر النّهضة بالجزائر الذين اتّخذوا من الصّحافة منارة للدفاع عن الهويّة واستنهاض الهمم، ورفض سياسة الاستعمّار في التّجنيد والدّعوة إلى الإدماج، فكان نموذجا للتضحيّة بالفكرة النّيّرة والكلمة الثّائرة التي سُجن من أجلها، وعاش ليشهد بعض أحلامه تتحقّق في اندلاع الثّورة التّحريريّة المباركة لكنّه لم يشهد حلمه الكبير في الاستقلال عن فرنسا، وقد وافته المنيّة عن عمر يناهز الخامسة والسّبعين بمدينة الجزائر في 3 فبراير (1959) ودفن بمقبرة سيدي عبد الرّحمن وبشائر الاستقلال تقترب؛ لكنّه ترك اسما اقترن بالعلم والفنّ والتّعليم، وهو من العائلة الفنيّة التي لها باع في مجال النّحت والتّصوير وفن المنمنمات مع أخيه (محمّد راسم) الذي اغتيل برفقة زوجته في بيتهما بمدينة الجزائر عام (1975) في ظروف غامضة.

أقام عمر راسم بمعيّة تلامذته عدّة معارض، خلال الثّلاثينات والأربعينات، داخل الجزائر وخارجها وذلك منذ (1938) كما كان يعرض أعماله في صالونات خاصّة، ليتفرّغ إلى زخرفة نسخ القرآن الكريم في أواخر حياته. التي انتهت إلى نوع من الخيبة التي جعلته مثلما يذكر صديقة (أحمد توفّيق المدني) يركن إلى العزلة والوحدة والحزن، فقال عنه: (وهو ممن نكبوا على يد الاستعمّار القاسي نكبة سوداء أثرت على البقيّة الباقيّة من حياته).

وقد سمّيت أرقى الثّانويات في الجزائر العاصمة وأشهرها باسمه، وأقيمت عنه ملتقيات، وكتبت عنه مذكّرات جامعيّة ومؤلّفات وترجم له كثير من المؤرّخين وكانت جريدتاه (ذو الفقار والجزائر) شاهدتبن على نضاله كمثقف جزائري ومصلح مشغول بقضايا أمّته في أحلك ظروفها.

آمنة بلّعلى

المصادر:
- تاريخ الجزائر الثّقافي، لأبي القاسم سعد الله، ج5؛
- أحد توفّيق المدني، مذكرات كفاح (1925-1945)؛
- محمّد ناصر، الصّحف العربيّة الجزائريّة.

عمر زعموش (علي)
(1346هـ - 1928م/1373هـ - 1954م)

عمر زعموش، مجاهد وعالم من علماء الجزائر تحلى بخصال الشّجاعة والإقدام والإباء، ولد يوم الواحد والثّلاثين (31) من شهر تشرين الأول-أكتوبر سنة 1928 بإحدى القرى التي عُرفت بشدة المراس وضراوة الصّراع مع الغزاة المحتلين، وهي قريّة "أولاد علي" ببلديّة الميليّة المختلطة زمان الاستعمار الفرنسي.

تربى المجاهد (الشّهيد) وسط عائلة فقيرة، ولما أصبح في سن تسمح له بمزاولة الدّراسة أدخله والده كتّاب القريّة لحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم، وبعد قضاء حقبة من الزّمن بهذه القرية ونظرا للأوضاع المعيشيّة الصّعبة التي كانت الصّفة الغالبة لمعظم الأسر الجزائريّة يوم ذاك، من جراء الاستعمار الاستيطاني البغيض.

هاجرت أسرة الشّهيد القريّة لتبحث عن مكان يضمن لها مستوى لائقا من العيش الكريم، لإبعاد شبح الفاقة الذي طالما هدد وجود وكيان هذه الأسرة المكافحة، غادرت الأسرة القريّة واتجهت نحو مدينة قسنطينة لتستقر بأحد أحيائها الفقيرة، ولكنها على أيّة حال أفضل من المكان الأول ولو بنسبة ضئيلة، ويومها قد جالتّ بخاطر المجاهد (الشّهيد) وهو مازال صبيا، أنه قد ودّع حياة البؤس والشّقاء التي عاشها بالقريّة وسوف ينعم كغيره من الأقران بحياة هادئة ميسّرة في هذا المقام الجديد، غير أنه قد اصطدم بمجرد وصوله إلى المدينة بالبون الشّاسع بين الأحياء التي يسكنها الأهالي المسلمون والأحياء التي يسكنها المعمرون، كما لاحظ الفروق الصّارخة بين أبناء المدينة الأصليين وأبناء الغزاة المحتلين، مع ما يصاحب ذلك من امتيازات عنصريّة ومعاملات استعلائيّة من أبناء الفرنجة حاملي رسالة التّمدّن والحداثة !. وهكذا فتح عينيه على واقع مرّ، وتطور هذا الواقع الأليم بمرور الوقت ونمو الطّفل واتساع مداركه في الحياة حتى أصبح شبحا مخيفا.

والحق أن هذا الوضع المتدهور قد أثار في نفس الطّفل تساؤلات كثيرة وذات موضوعات مختلفة، لم يستطع يومها أن يجد لها إجابات محددة، لكنها كانت كفيلة بإثارة حميته وتوجيهه الوجهة اللائقة التي تتناسب وغيرته الوطنيّة، ولقد وضعت الأحداث الأليمة التي تعرض لها الشّعب الجزائري إثر مظاهرات 8 ماي 1945 وما تمخض عنها، حدا لتساؤلاته وبينت الأسباب الحقيقيّة التي يريد الاستعمار جعلها كأمر واقع، لا يمكن الخروج عن نطاقه، ولو أدى ذلك إلى إبادة الشّعب الجزائري بكامله.

تعلّم "عمر زعموش" الطّفل في الكتّاب، لكنه لم يكتف بالتّعليم الدّيني بل كان تواقا لأخذ العلوم التّجريبيّة ومجاراة أبناء المعمرين في التّفوق في هذا الميدان، فكان مهندسا كبيرا، جاور حضارة القرن ولكنه لم يذق طعمها، لأن المستعمر كان له ولشعبه بالمرصاد.

لذا ما إن أصبح الطّفل شابا يافعا قادرا على استيعاب الأحداث وتحديدها ورصد أبعادها، حتى انخرط في عام 1946م في صفوف حزب حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطيّة، أقوى الأحزاب السّياسيّة الجزائريّة آنذاك، وعمره لا يتجاوز الثّمانيّة عشر سنة، وفي صفوف هذا الحزب استطاع المناضل الشّاب أن يوظف طاقاته النّضاليّة الأصليّة، فأثبت قُدْرة نضاليّة كبيرة في الميدان، الأمر الذي جعله يحوز على ثقة مسؤوليه فأسندت إليه مهمة القيادة والإشراف على خليّة حي بوزيان (حي 20 أوت حاليا)، وما إن تم تعيينه على رأس الخليّة حتى بادر المجاهد بتوظيف كل إمكانياته النّضاليّة في سبيل تدعيم هياكل الحزب بناحيّة قسنطينة، واستطاع في فترة وجيزة أن يكسب ثقة رفاقه ورؤسائه وقادته على السّواء، كما استطاع أن يجمع بخليته عناصر تمتاز بالوعي الرّفيع والإيمان الشّديد بالقضيّة الوطنيّة المقدسة، وكان نتيجة هذا العمل الجبار الذي بذله الشّهيد في خلال عامين، أن سمح له بالانخراط في صفوف المنظمة العسكريّة السّريّة (L.O.S)، التي كانت يومها تجمع بين ثناياها أكثر لعناصر الوطنيّة كفاءة وحيويّة وإخلاصا للوطن وفي هذا الجو الجديد وجد الشّهيد الفرصة المواتيّة لتوظيف إمكانياته أكثر وبصورة جديّة، لأنه كان يرى في عناصر هذه المنظمة طلائع التّحرير، وقد أصبحوا بالفعل من الرّعيل الأول المفجر للثورة المسلحة فيما بعد.

في ظل هذا الوضع الجديد انطلق المجاهد "زعموش" مؤديا واجبه النّضالي بروح عاليّة وإخلاص كبير، ولم يهدأ يوما أو يسيطر عليه الملل أو الوهن إلى غاية 1950، حيث تمكنت السّلطات الاستعماريّة من اكتشاف عناصر المنظمة السّريّة، التي تعرّض أعضاؤها للمطاردة والمتابعة قصد الفتك بهم، فتوارى المجاهد عن أعين العدو وعملائه كبقيّة مناضلي المنظمة السّريّة ريثما تتضح الأمور وتتجلي الغيوم الدّاكنة، وبعد عام واحد على وجه التّقريب استأنف المناضل نشاطه النّضالي في صفوف المنظمة السّريّة بكل قوة. وأُسندت إليه مرة أخرى في عام 1951م مسؤوليّة الإشراف على خليّة حي مزيان، وإعادة تنظيمها بطريقة أكثر دقة حتى تلبي متطلبات المرحلة الجديدة من المسيرة النّضاليّة للشعب الجزائري، ويوضح رفيقاه المجاهدان "محمّد عناي" و"محمّد الصّالح لعكر" أن المجاهد "زعموش" قد أظهر مقدرة وكفاءة عاليتين في ميدان التّنظيم، بحيث استطاع في فترة قصيرة أن يخلق بحيه تنظيما قويا يمتاز بالانضباط والتّعبئة العاليّة بين صفوف عناصره، مما يبرهن مرة أخرى على مدى الخصال النّضاليّة الأصيلة لشخص الشّهيد "زعموش علي"، والجهد الكبير الذي بذله من أجل خلق إطار نظامي يلبي حاجيات ومتطلبات المرحلة الجديدة من حركة الصّراع ضد قوى الشّر والطّغيان آنذاك.

وعلى هذه الوتيرة سار الشّهيد في الطّريق إلى غاية سنة 1953م حين وقع الانقسام المعروف في صفوف الحزب، ويومها كان موقف الشّهيد واضحا كل الوضوح، وهو

الانضمام إلى جانب القضيّة الوطنيّة العادلة وليس سواها، واتخذ هو ونفر من رفاقه المخلصين موقفا حازما من هذا الانقسام وقرروا رفض مطلب الطّرفين العقيم، وعدم الجري وراء فئة السّياسيين اللاهثين وراء الحلول الوضعيّة أو المتاجرين بالقضيّة الوطنيّة.

وأمام هذا الوضع الجديد المستجد على السّاحة النّضاليّة، ضاعف الشّهيد كغيره من أبناء الوطن المخلصين من أعماله النّضاليّة في سبيل وضع القواعد الماديّة والمعنويّة استعدادا لليوم الموعود، وبالفعل ما كاد خبر اندلاع الثّورة يُذاع على الملأ داخل الجزائر وخارجها، حتى كان المناضل "زعموش علي" من جملة الشّباب الوطني، الذي أمّ صفوف هذه الثّورة، وقاد مجموعة من الفدائيين الأشداء بمدينة قسنطينة أنزلت الرّعب والهلع في صفوف العدو وأذنابه، كما شهدت قسنطينة إبّان وجوده على رأس قيادة مجموعة الاقتحام الفدائيّة عدة عمليات جريئة ضد الخونة وقوات العدو ومنشآته، على الرّغم من الظّروف الصّعبة التي كانت تتم في إطارها مثل هذه العمليات الفدائيّة.

وحسب ما ادلى به رفيقا المجاهد (الشّهيد) السّالفي الذكر (محمّد عناي ومحمّد الصّالح لعكر) أنه بمجرد حصول مجموعة الشّهيد على السّلاح اللازم للقيام بالعمليات الفدائيّة، والذي تم شراء البعض منه من مالهم الخاص، حتى قامت عناصر من مجموعة الشّهيد "زعموش علي" بعمليّة فدائيّة استهدفت ضابط شرطة عميل، يدعى "الشّريف الواعر" ويكنى "بن خرخار"، وكان عدوا لدودا للشعب منذ عام 1945 عقب مظاهرات 8 ماي الدّاميّة، وقد تلا هذه العمليّة قيام أفراد مجموعته باصطياد الخونة وضباط العدو ومنشآته بشكل متواصل، وبدون انقطاع، حتى أصبح حديث الشّارع اليومي يدور حول سلسلة العمليات الفدائيّة المظفرة، التي قادها "عمر زعموش" قبل أن يستشهد.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

عمران بن موسى بن يوسف المشدّالي الزّواوي (670هـ - 745هـ/1271م - 1344م)

أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدّالي الزّواوي، أحد الأفذاذ الذين أنجبتهم بجاية في أوجّ ازدهارها، في النّصف الأوّل من القرن الثّامن الهجري، ولد في بجاية وترعرع فيها، وغشى حلقات علمائها في مساجدها الكثيرة والكبيرة، وما أكثرها في ذلك الزّمان، الذي كان فيه التّطور الفكري والعلمي والثّقافي والعقلي في قمته، رغم الاحداث السّياسيّة والاجتماعيّة والامنيّة التي كانت نتيجة لصراع الدّول الثّلاث التي نشأت على أنقاظى الخلافة الموحديّة، وبجاية مانت محور الصّراع بين الدّولتين الحفصيّة والزيّانيّة، لكن الحركة العلميّة والفكريّة والثّقافيّة لم تتأثّر بكل ذلك إلا يسيرا، بدليل اكتظاظ بجاية بعشرات من العلماء، بل بالمئات من مختلف مدن الجزائر، ومن تونس والمغرب والأندلس، و(عنوان الدّرايّة).

وفي هذه الفترة أيضا ظهرت مدرسة ناصر الدّين المشدّالي الذي أحدث ثورة ثقافيّة وجدد في الفقه كما يقول الشّيخ المهدي بو عبدلي رحمه الله، أما ابن خلدون فيقول عنه نزل ببجاية، وربما انتقل إلى تلمسان (عمران المشدّالي) من تلاميذه، وأوطنها وبث فيها طريقته، وتلاميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل.

إذا فعمران المشدّالي، هو من أعظم من أنجبتهم هذه المدرسة من الجزائريين إلى جانب كل من أبي عبد الله محمّد بن يحي الباهلي، المعروف بالمسفر، الذي حل محل أستاذه في التّدريس بعد وفاته، وابن مرزوق الجد، وأبي علي الزّواوي، وقد أعجب به شيخه لعلمه ووفائه وإخلاصه، فزوجه ابنته.

وقد لازم عمران المشدّالي شيخه حتى وفاته في سنة 731 هـ، ومكنته هذه السّنوات الطّوال من الصّحبة بالإحاطة بما عند شيخه من العلوم والفنّون، وخاصّة علوم الشّرع، من فقه وأصول وكلام وحديث، وأدرك بعمق أهداف مدرسة شيخه وغاياتها، فوعاها وحفظها بل طبقها في حلقاته التي كانت له في مساجد بجاية فاكتسب شهرة واسعة، وسمعة مستفيضة، طبقت الافاق، وأصبح يوصف بالفقيه الحافظ المحقق العلّامة، كما يقول عنه التّنبكتي صاحب نيل الابتهاج، أما عادل نويهض صاحب كتاب أعلام الجزائر فيصفه بأنّه حافظ للحديث نحوي منطقي أصولي من كبار فقهاء المالكيّة.

وقد وقعت واقعة، أجبرته على مغادرة بجاية، والالتّجاء إلى مدينة الجزائر، التي بدأت تتكون كقطب ثقافي جديد، وهذه الواقعة هي حصار بجاية من طرف السّلطان الحفصي صاحب تونس ليستردها من الزيّانيين. كما قلت آنفا، فقد طبقت شهرته الآفاق، إذ فبمجرد بلوغ خبر التّجائه إلى الجزائر أسماع صاحب تلمسان، السّلطان أبي تاشفين عبد الرّحمن ابن أبي حمو الذي ملك تلمسان بعد أبيه من سنة 718 إلى 737، حتى أسرع في طلبه، وقد كان يعرفه، إذ سبق لهذا السّلطان أن غزا بجاية، وقد

سجل واقعة هذا الغزو الأستاذ أبو علي الزّواوي، إذ قال: "أمرني بالخروج أي شيخه ناصر الدّين المشدّالي، في أوّل محرّم 727 هـ، إذ اشتدّ الحصار ببجاية لسماعنا أن السّلطان العبد الوادي، ينزل علينا بنفسه" وهذا السّلطان ليس إلا أبو تاشفين، فقربه منه، وأحسن إليه، وأنزله المنزلة العاليّة، ومكنه من كل ما يريد، بل ذهب أبعد من ذلك، فبني له مدرسة ليدرس فيها، وهي المدرسة التّاشفينيّة، التي بقيت قائمة إلى ان دمرتها السّلطات الإستعمّاريّة، وبنت في مكانها مقر بلديّة تلمسان، كما يؤكّد ذلك الشّيخ المهدي بو عبدلي، في مقال نشره بمجلّة الأصالة، وكان غرض السّلطان، أن يضاهي بهذه المدرسة وشيخها، ابني الإمام أبي زيد عبدالرّحمن، وأبي موسى عيسى، كما ذكر ذلك ابن خلدون في رحلته، التي حققها ونشرها محمّد بن تاويت الطّنجي.

وولد الإمام من أبرز قادة العلم في تلمسان وفي المغرب وافريقيا، في زمنهم، والسّلطان نفسه من تلامذتها، كما ذكر الإمام ابن حجر في كتابه (الدّرَرَ الكامنة).

وقد غدا الشّيخ عمران المشدّالي، حافظ تلمسان وفقيهها ومدرسها، كما يصفه تلميذه، القاضي ابوعبد الله محمّد المقّري الجد، وقد درّس في مدرسته الحديث، والفقه، والأصليين، والنّحو، والمنطق، والجدل، والفرائض، وكان كثير الإتساع في الفقه والجدل، مديد الباع فيما سواهم، كما يذكر تلميذه المقري، وقد تحلق حوله جمع غفير من طلبة العلم، لما يمتاز به من إحاطته بعلوم كثيرة، نقليّة وعقليّة، ولما تتميز به مدرسته التي تعتمد على الفكر والفهم، والأدراك وحريّة الرّأي، واعتماد أسلوب الحوار والجدال والإقناع، ويقول ابن خلدون وتَفَقَهَ عليه بـ (تلمسان)، جماعة كان من أوفرهم حظا القاضي أبوعبد الله المقّري، ويضاف إليه أبو عبد الله السّلاوي قاضي مكناس، وسفير أبي عنان إلى غرناطة، محمّد بن يوسف بن يحي الشّريف، والشّريف التّلمساني وآخرين، وقد أورد المقري صاحب نفح الطّيب أقوالا وآراء للمشدالي، روايّة عن جده تلميذ المشدّالي سأورد بعضها ليأخذ القارئ فكرة ولو بسيطة عن مكانته العلميّة ومدى تمكنه من مختلف العلوم.

ومن النّصوص الهامة، التي أوردها المقري عن شيخه المشدّالي، التي تدل دلالة واضحة، على طول باعه في الفقه وأصوله، يقول المقري الجد: "شهدت مجلسا بين يدي السّلطان أبي تاشفين عبد الرّحمن بن أبي حمو، ذكر فيه أبو زيد ابن الإمام، أن ابن القاسم مقلد مقيد النّظر بأصول مالك، ونازعه أبو موسي عمران بن موسي المشدّالي، وادعى إنّه مطلق الاجتهاد، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه، لما ليس من قوله، وأتي لذلك بنظائر كثيرة، قال فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره، فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدّين التّلمساني، مثل فيه الاجتهاد، باجتهاد ابن القاسم بالنّظر إلى مذهب مالك، والمزني إلي مذهب الشّافعي، فقال عمران هذا مثال والمثال لا تلزم صحته، فصاح موسي ابن الإمام، وقال لعبد الله ابن أبي عمر تكلم، فقال لا أعرف ما قال هذا الفقيه، الذي أذكره من كلام أهل العلم إنّه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل، فقال أبو موسي للسلطان هذا كلام أصولي محقق...اهـ ثم يضيف المقري فيقول

"وبمثل ما استدل به عمران، علي اجتهاد ابن القاسم في مخالفته لمالك الكالكلك، استدل ابن عبد السّلام لذلك، وتعقبه ابن عرفة بأنّه مزجي البضاعة في الحديث، ونكت ابن غازي علي تعقبه بأنّه كيف يثبت الاجتهاد لشيوخه مثل ابن عبد السّلام، وينفيه عن شيخ هدايّة المالكيّة بعبارة فضيعة". وفي نص آخر يقول المقري "سالتّه عن قول ابن الحاجب في السّهو "فإن أخال الإعراض فيبطل عمده"، فقال معناه إن أخال غيره إنّه معرض فحذف المفعول الأوّل وأقام المصدر مقام المفعولين كما يقوم مقامهما ما في معناه من أن نحو (الم أحسب النّاس أن يتركوا)

اتّفق الذين ترجموا لعمران المشدّالي، إنّه لم يعرف له من الآثار المكتوبة إلا بعض الفتاوى التي ذكرها أحمد بن يحي الونشريسي في كتابه (المعيار المعرب) وكذلك يحي بن موسى المازوني التّلمساني، في كتابه (الدّرر المكنونة في نوازل مازونة)، لأن عهدنا بعلماء بجاية وخاصّة الذين لم يُشرقوا منهم، لا يهتمون بالتّأليف، وكان همهم الأوّل والأخير، هو الإقراء والتّدريس، هو تكوين رجال يحملون المشعل من بعدهم، وأكبر مثال على ذلك، هو أستاذه العلّامة ناصر الدّين المشدّالي، وهو من هو في علمه، وضلوعه في مختلف الفنّون والعلوم، لم يترك من الآثار المكتوبة، إلا شرحا لرسالة ابن أبي زيد.

على أنّ هؤلاء المؤرّخين أثبتوا له رسالة أو مقالا كما سمّاها صاحب نيل الابتهاج، في جواز (اتّخاذ الرّكاب من خالصّ الفضّة والذّهب).

محمّد الصّغير بن لعلام

عميروش آيت حمودة
(1344هـ - 1926م/1378هـ - 1959م)

ولد الشّهيد سنة 1926م بقريّة تاسافت أوڤمون عرش آيت واسيف بولايّة تيزي-وزو. انضمّ الى صفوف الحركة الوطنيّة حيث تكوّن سياسيّاً وتشبّع بالرّوح النّضاليّة العاليّة لفتت انتباه كبار المناضلين فتمّ تعيينه عضواً في المنظمة الخاصّة – فرع غليزان – نظراً لكونه مناضلاً يلتهب حماساً لديه قوّة العزيمة لا يعرف الكلل ولا الرّاحة.

وعند اكتشاف تلك المنظّمة في مارس 1950 القى عليه القبض من طرف العدوّ مع رفيقين له في النّضال حيث قضى ثمانيّة أيّام في السّجن. أطلق سراحه بعد ذلك ليتطوّع بمحض إرادته بالإنفاق على رفيقيه واسرتهما ممّا اضطره الى بيع محلّه الذي كان يعمل فيه بغيليزان.

التّحق بفرنسا ليشتغل عاملاً في مصنع رونو بيانكو في ضواحي باريس وهناك واصل نضاله السّياسي في صفوف الحركة الوطنيّة، وكانت له صلة بجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ضمن الشّعبة التي يشرف عليها الشّيخ الرّبيع بوشامة، فتشبّع بالرّوح النّضاليّة والرّوح الدّينيّة معاً، واستمرّ في ذلك الحال مؤدّياً واجبه أحسن قيام ومتابعاً لنشاط جمعيّة العلماء بحضور اللقاءات والنّدوات كما يتابع ويشارك المناضلين في صفوف الحركة الوطنيّة وتكثيف لقاءاته بالمناضلين.

وكان يتردّد بين فرنسا وأرض الوطن ومتابعاً الأخبار وانتظاراً للمفاجآت حتّى اندلعت الثّورة ليكون من الأوائل الذين لبّوا نداء الجهاد المقدّس ولقد أعجب به المناضل والمجاهد القياديّ كريم بلقاسم إعجاباً شديداً منذ الوهلة الأوّلى من التّحاقه بصفوف الثّورة فما لفت انتباهه في الرّجل ذكاؤه ويقظته وجرأته بأفكاره الأمر الذي جعله يكلّفه بالإشراف على التّنظيم للنّضال بالقبائل الصّغرى التي التّحق بها في مارس 1955، فشرع فور ذلك في إجراء الاتّصالات بالمناضلين، وجد في ضفّتي وادي الصّومام مجموعة من المجاهدين الذين تعاون معهم على إرساء قواعد النّظام في الجهة.

وتعتبر هذه الفترة الممتدّة من سنة 1955–1957مرحلة أوّلى بالنّسبة لحياة القائد الشّهيد في الولايّة الثّالثّة وهي مرحلة حاسمة



أثبت فيها عبقريّته في ميدان التّنظيم وقيادة الرّجال وبرهن على القدرة والكفاءة في التّسيير بامتياز أهّلته لأن يصبح قائد الولايّة سنة 1957م.

زامن بين مساهمته التّاريخيّة في إرساء التّنظيم الثّوري وإنجاح الثّورة تمكنه في إرساء قواعد النّظام في حوض الصّومام وإظهار مقدرته الكبيرة في تكوين أجهزة مختلفة للثورة في المنطقة.

أجرى اتّصالات مباشرة مع شيوخ الزّوايا والمراكز الدّينيّة الكثيرة في ضفّتي وادي الصّومام التي مازالتّ تؤدّي عملها التّعليميّ فشجّعهم وحثّهم على الاستمرّار في آداء الرّسالة النّبيلة.

فأبقاهم على ما هم عليه في تقديم العلم والمعرفة لأبناء الوطن رافضاً رفضاً قاطعاً لكلّ عروض التّجنيد في صفوف المجاهدين وحمل السّلاح معهم معتبراً انّ تكوين الجنديّ الذي يحسن استعمال السّلاح تكفيه فترة قصيرة جداً من الوقت بينما تكوين إطار معلّم أو إطار للإدارة أو البناء أو الصّحة يتطلّب السّنين الطّوال وبذلك أظهر اهتمامه بالعلماء والطّلاب وبالتّعليم والمتعلّمين.

كما قام بتنظيم سلسلة من الاتّصالات بكبار الموظّفين والشّخصيّات الرّسميّة كالقيّاد الذين مازالوا لم يستقيلوا من مناصبهم وكذلك الشّأن بالنّسبة لعائلة الباشاغا (بن علي الشّريف) وعائلة السّيناتور أورابح وذلك عن طريق أعوان اتّصال خاصّين وهدفه من ذلك التّحذير من سوء عواقب رفض أوامر جبهة وجيش التّحرير الوطنيّ، فكانت تلك الاتّصالات ايجابيّة إذ اختار الكثير من أولئك المتّصل بهم طريق الرّشاد فختاروا الثّورة بينما غيرهم الرّافضون اتّخذت الثّورة بشأنهم القرارات المناسبة.

ثمّ كان للقائد الرّمز استقبال للجموع الغفيرة من المصاليّين القادمين من فرنسا إلى القبائل الصّغرى في شهر نوفمبر سنة 1955م قصد إجراء عمليّة الفرز في صفوفهم. ومعلوم أنّ الكثير من هؤلاء المصاليّين جاءوا من أجل الالتّحاق بصفوف الثّورة بينما قدّم البعض الآخر منهم من أجل التّشويش ومحاربة الجبهة فاتّصل بهم وأخضعهم لتحقيقات دقيقة وعمليّة فرز ناجحة حيث استطاع بفضل ذكائه وفطنته وسياسته أن يميّز الخبيث من الطّيب منهم فسمح للمخلصين بالالتّحاق بصفوف المجاهدين في المنطقة بينما كلّف البعض الآخر بالرّجوع الى فرنسا للعمل في صفوف الثّوّار هناك.

أمّا العملاء الذين جاءوا لمحاربة الجبهة فمنهم من نال جزاءه على الفور إذ نشبت معركة حاميّة الوطيس بين الفريقين في بني يعلا.

ومنهم من قتل ومنهم من فرّ واختفى أو انخرط في صفوف جيش العدوّ.

التّحضير لانعقاد مؤتمر الصّومام في سنة 1956.

لقد كان في ذلك الوقت هو المسؤول السّياسيّ والعسكريّ على المنطقة التي انعقد فيها المؤتمر التّاريخيّ والمصيريّ للثّورة فكانت مسؤوليته الماديّة والأمنية الاستراتيجيّة التي تتّفق وكلّ الاحتمالات فهو الذي اقترح المكان الذي ينعقد فيه المؤتمر والذي يتمّ فيه استقبال كلّ قادة الثّورة، لكلّ هؤلاء وجميع مرافقيهم الأمنيين أو المساعدين وغيرهم في ضيافة قيادة الولايّة الثّالثّة وتحت المسؤوليّة الأمنيّة للرّائد مساعد قائد الولايّة محمّدي السّعيد.

فكان عميروش الضامن للجانب الأمني بما حضر من استراتيجيّة تعتمد على:

السّريّة التّامّة فلا علم لأحد من غير كبار المسؤولين بهذا المؤتمر.

التّمويه على العدوّ بإلهائه بالهجومات والعمليّات العسكريّة بعيداً عن مكان انعقاد المؤتمر.

اليقظة التي هي أساس كلّ نشاطات القائد الملهم التي ما انفكّ يلح في التّذكير بضرورة أخذ الحيطة والحذر في كلّ وقت وحين وفي جميع الجهات.

التّشديد في الحراسة وتكثيفها والتّجنيد لها بالعناصر التي عرفت بالجديّة والعزم.

العزم والإخلاص وكلّ هؤلاء تتوفّر المنطقة بأمثالهم وعلى رأسهم مساعد عميروش سي حميمي ناضل هو وكلّ قادة الولايّة الثّالثّة فكانت كلّ الظروف المناسبة مضمونة اطعاماً وأمانة المؤتمر وإيواء ومختلف متطلبات الإقامة المريحة بفضل تجنيد المسبلين وجنود جيش التّحرير الوطنيّ والخلايا السّريّة النّظاميّة فكلّ هؤلاء عليهم القيام بالمهام الموكلة إليهم القيام بها ميدانيّاً بالانضباط التّامّ والطّاعة لأوامر المسؤول.

ثمّ تحضّر عميروش للمنطقة وسكّانها ومجاهديها طيلة مدّة تعيينه مسؤولاً سياسيّاً وعسكريّاً على هذه المنطقة وسكّانها على هذه المنطقة الواسعة وذات التّضاريس الوعرة مركّزاً اهتمامه على حشد الهمم بتوحيدهم وبتحضيرهم لكلّ الاحتمالات والمباغتات والمناورات التي يخطّط لها العدوّ لأجل القضاء على الثّورة.

لقد أثبت القائد الملهم عبقريته وهو القائد المحنّك والمسؤول المثالي والمنظّم الجيّد والقيادي الحكيم، لقد كسب ودّ المدنيّين كما كسب ثقة العسكريين فأحبه الجميع الصّغار والكبار وكان محلّ إعجابهم وتقديرهم واحترامهم.

سبقت الإشارة الى رفض تجنيد الطّلبة وكونه يعدهم أن يكونوا رجال الدّولة الجزائريّة التي يخدمها أبناؤها فلا أحد يمكنه القيام بذلك ولأجل ذلك أحدث مؤتمر الصّومام مصلحة الأوقاف المسند إليها امر التّعليم فكان عميروش يحبّ الطّلبة ويدعم دراستهم ويعتبر القائمين على التّعليم بدرجات لا تقلّ عن درجة القياديين الكبار ومن شدّة حبّه للطّلبة إنّه يفضّلهم على الجنود وغيرهم بإهداء ثور كبير أخذه المجاهدون من إحدى مزارع الأوروبيين في نواحي برج بوعريريج تشجيعاً لهم على الاجتهاد في الدّراسة والحرص على التّحصيل للمعلومات والمعارف ولقد عشت هذا الحدث التّاريخي في زاويّة سيدي يحيى العدلي التي كان كثيراً ما يتردّد عليها والتي اعتبرها نموذجيّة ممّا جعله يسلّم كيساً كبيراً من النّقود للشّيخ الطّاهر آيت علجت حتّى يحيي بذلك المبلغ نشاط الزّوايا الأخرى المتواجدة في المنطقة كلّها ولكي تكون في مستوى زاويّة (تمقرة) وحينما بلغ الخبر للفرنسيين قنبلوها وأحرقوها انتقاماً منهم على احتضانها للثّورة فقرّر القائد الملهم ارسال بعثات طلّابيّة الى تونس وتولّى رعايتهم وتأطيرهم والانفاق عليهم وكان يتابع اخبارهم باستمرّار ومن ذلك هذه الرّسالة التي وجّهها اليهم:

الرّسالة بتاريخ 8 مارس 1958م

"اخواني الطّلبة غنّى خدمة الوطن إن الصّعيد الوحيد الذي يجتمع فيه كلّ الجزائريّين، وأنتم الطّلبة الذين تعيشون في المدن وتزاولون تعلّمكم في الجامعات والمدارس الثّانويّة تشعرون أنّ كلّ شيء في الجزائر تصعد منه رائحة الثّورة الامر الذي يدعوكم إلى التّفكير دوماً في واجبكم، إن عملكم اليوم متوقّف على يقظتكم المتواصلة التي لا تسمح لكم بالابتعاد والغفلة عن القضيّة الجزائريّة.

إنّ أعمالكم وحركاتكم وسيركم يجب ان يدل على أنكم المكافحون في ايّ مكان كنتم كما إنّه من الواجب عليكم أيّها الإخوة أن لا تنسوا أنّ عدداً كبيراً من زملائكم بالأمس يواجهون نار العدوّ في الجبال الجزائريّة وأنتم أيضاً تكافحون من أجل وطنكم لأنّ الكفاح هو خدمة الوطن بجميع الوسائل وفي جميع الحالات. ولكن كفاحكم أيّها الطّلبة يتوقّف بصفة خاصّة على نواياكم الطّاهرة وشعوركم بوجودكم كجزائريين. إنّ الجزائر في حاجة إلى كافّة أبنائها ليكملوا الثّورة السّياسيّة التي ستحرّر الشّعب من الاستعمار.

والثّورة تتطلّب عناصر قادرة على مباشرة شؤونها شاعرةً بمسؤوليّاتها متيقّظة لمصلحة الجزائر ولمصلحة المواطنين الجزائريين. إنّكم أيّها الطّلبة الجزائريّون يتعيّن عليكم ألّا تنسوا أنّ إخواناً لكم عديدين قد سقطوا في ميدان الشّرف من أجل إنقاذ شعبنا الذي مازال يئنّ تحت وطأة الظّلم والوحشيّة المنحطّة إنّكم أيّها الطّلبة يجب عليكم ان تبرهنوا للعالم أجمع أكثر من أيّ وقت مضى في أعمالكم التي لا تنفصل عن الثّورة ليست شيئاً يُستهان به.

إنّ كافّة الجزائريّين يتكتّلون في شعور واحد وفي قوّة واحدة وفي وثبة واحدة من أجل جزائر حرّة ديمقراطيّة."

نهاية نصّ الرّسالة.

قيام القائد عميروش بالعديد من المهام في تونس سنة 1957م فيها التّنسيق والاتّصالات بقيادة الثّورة لجنة التّنسيق والتّنفيذ بشأن:

- التّسليح لمجاهدي الدّاخل؛
- تقديم التّقرير الشّامل حول وضع الثّورة في الولايّة الثّالثّة التّاريخيّة؛
- وجوب التّكفّل بالطّلبة الجزائريّين الذين يدرسون في تونس والذين عزم على إرسالهم من داخل الجزائر مع الجنود الذين يأتون لجلب السّلام قصد إعدادهم لتحمّل أعباء الدّولة الجزائريّة الفتيّة،
- اتّصاله بالطّلبة الميزابيين واطّلاعهم على أوضاع الثّورة في داخل الوطن وتذكيرهم بالنّضال الذي قام رّجال الحركة الوطنيّة لأجل بلوغ ما بلغناه في إنجاح قيام الثّورة ونجاحها وتسجيلها للانتصارات العظيمة في شموليتها لأرض الوطن وتجاوب الشّعب مع الثّورة واحتضانها

ولقد ذكر أحد الحاضرين لهذا الاجتماع بأنّه سجّل أقوال ومواضيع الحديث في كرّاسه ذات 36 صفحة ملئت بالنّقاط التي اشتمل عليها هذا اللقاء.

كما عرض عميروش على قيادة الثّورة اشتراك جميع الولايات في تحمّل أعباء الانفاق على جميع الطّلبة الجزائريين المتواجدين في تونس قصد تمكينهم من استمرار تمدرسهم فلم يلق الدّعم في ذلك فقرّر تحمّل ذلك على حساب ميزانيّة الولايّة الثّالثّة التّاريخيّة فهيّأ جميع الظّروف المناسبة لاستقبال الموجودين في تونس والذين يلتحقون تباعاً بتونس قادمين من الولايّة الثّالثّة.

إلّا أنّ الحكومة المؤقّتة للجمهوريّة الجزائريّة قد تبنّت اقتراح عميروش فضمّت جميع الطّلبة المتواجدين خارج الوطن الى كفالة وزارة الثّقافة تحت مسؤوليّة توفّيق المدني.

مع زميله العقيد سي الحواس وحوالي 36 مجاهداً وقع هجوم قاده دوكاس والجنرال قودار والماريشال فلوثار يقودون العديد من الفيالق العسكريّة تعزّزهم العديد من الدّبّابات المتقدّمة والطّائرات المقنبلة والاستكشافيّة جرت معركة غير متكافئة على جبل ثامر قرب بوسعادة في يوم 29 مارس 1959.

جاءت على إثر هذه المعركة الضّاربة ردود فعل من الأعداء كالآتي: قال الجنرال

فور (إنّ القضاء على عميروش معناه القضاء على 80٪ من الثّورة في بلاد القبائل)

وبدأت الطّائرات تلقي أطنان من المنشورات الدّعائيّة الى الاستسلام وبأنّ القضاء على الثّورة قد تمّ وأذاعت الخبر صوت البلاد وقلت جريدة باري ماتش (بقيت عيناه مفتوحتين كبيرتين تحتفظان ببريق الحياة مدّة ساعات من وفاته بالرّغم من إنّه لاشكّ في موته... لكن عيناه أيبسهما الموت فقد بقي فيهما تاريخ عجيب.... كان يسمّى ملك الجبال ممّا جعل جنود المظلّات من الفرقة السّادسة يحيطون بجسمه موجهين اليه رشّاشاتهم كما لوكان يجب ان يأخذوا حذرهم منه حتّى وهو ميّت وكما لو كان جسمه سيمزّق الموت ويتخلّص منه فجأة ثمّ ينهض على قدميه في وسطهم وفي يده خنجره الرّهيب).

وكتبت صحيفة المجاهد الصّادرة بتونس بتاريخ 02/ 04/ 1959 ما يلي:

(...لقد كان عميروش يمثّل وجه الجزائر الحقيقيّ في جلاله وثباته الذي لا يعرف الضّعف...).

كتب الشّاعر حسن حموتان قصيدة يقول فيها:

أسد الأسود وقائد الابطال
رمز الكفاح شعار الاستقلال
ومبيد جيش الظّلم في ساح الفدا
ومحطّم الأنيار والأغلال
فاسأل أسود الغاب عن صولاته
يوم الكمين وحين حرّ قتال
هذا عميروش الذي شهد العدى
له بالثّبات وصوله الرّئبان
إن لم يشيّد في الحما تمثاله
فحياته أسمى من التّمثال
للّه درّه من عقيد باسل
ركّز الكفاح بشعار الاستقلال
يا ايّها الشّبّان سير للعلا
فلكم عميروش أعزّ مثال

وللأستاذ محمّد الشّريف ابن الشّيخ:

عميروش والحواس عباراتهم
إلى تونس الخضراء بها الجمع يحضر
تلافي الاباه الغرّ عند -ثامر -
ولكن أعداء البلاد تآمروا
فأضحى جلال الرّزء يغمر أفقنا
ليبني عن الاخبار كم هي أخطر
فعاث الرّدى بالشّهم والشّهم مثله
فطاب الصّقا في الخالدّين وكوثر
وطاب اللقا في الخلد يجمع نخبة
أضاءوا لنا درب الكفاح وحرروا
عميروش والحواس كانا لجيلنا
رمز التّآخي والوفا ونحن نكبر

محمّد الصّالح آيت علجت

المصادر:

- أحداث ووقائع في تاريخ ثورة التّحرير بالولايّة الثّالثّة المؤلف عبد العزيز وعلي مسرفه دار الجزائر للكتب بدون تاريخ.

■ عيسى الجرموني
(1302هـ - 1885م/1365هـ - 1946م)

ولد مرزوق عيسى بن رابح الهلالي المعروف بـ عيسى الجرموني في بلديّة (متوسة) ولايّة خنشلة حالياً سنة 1885م، وينسب مسقط رأسه إلى دوّار (أمزي) وإلى قريّة (سيدي أرغيس) بعين- البيضاء. ولمزيد من التّحديد؛ فهو من قبيلة (آيث كاركاث- الحراكتة) ما بين باتنة وأمّ- البواقي وكان من المحبوبين في قريته.

عيسى الجرموني يشعّ اسمه:

ابن فلاّح بسيط، وراعي غنم يحمل معه القصبة والبندير، وكان مع غنمه يعيش لحظات الانبساط، فمارس طفولته بعفويّة البدويّ الذي يعيش في الوحدة في براري مناطق الشّاويّة؛ حيث صقلت حنجرته بآلات الغناء، وهو يستذكر شيوخ الفنّ الشّعبي الشّاوي على غرار (بوكرسة المكّي) (بوقريرة) ويستمع للغناء الذي يؤدّى في



مناسبات: الحصاد/ التّويزة/ استقبال الحجيج/ الأذكار/ الأعراس... فمن الرّعي غازل وحدته، واكتسب فطرة رفع يديه للسّماع لصوته وهو يعلي من الشّجو علّ الطّبيعة تُهديه المزيد. وهكذا استطاع صقل حنجرة صادحة وصوت جهوريّا، أكسباه الميل إلى الغناء المحلّي الشّاويّ الأوراسيّ؛ الذي يترجم آهات المُحبّين ومُناسبات الأفراح، فكان يصدح في الأعراس التي تُقام في الصّيف، وبدأ اسمه يشعّ وينتشر ويبلغ خنشلة وتبسّة وباتنة وسوق- أهراس، ويمتدّ إلى قسنطينة...

عيسى الجرموني وسلاح الأغنيّة:

قد يبدو لبعض النّاس أنّ (عيسى الجرموني) عبثيّ لهويّ يعشق الغناء، ولا يحمل قضيّة وطنه في وقت الشّدة، فنجده ثائراً قبل غيره ضد الاستعمّار؛ يحمل فكر محاربة الاستعمّار؛ بالدّعوة إلى رفض جميع قوانين المستعمر لاسيّما الضّرائب، والخدمة العسكريّة. وله أغانٍ في نفس السّياق من مثل: أفوشي نو المسمار+ أكرد أنوكير...

هي شهامة كبار الفنّانين الذين لم يقبلوا الذّل، فقد كان من الثّائرين في زمانه ضد قوانين فرنسا التي حاولت بكل الطّرائق أن تلطخ ثوب شرف أبناء الجزائر من خلال أطماعها، وأن تصنع

لنفسها عبيداً في وطن تربى أبناؤه على الحريّة يستنشقون هواءها في كل ربوعه، وكيف لا وهو الذي تربّى على الفحولة والعزّة والشّرف، شخصيّة تنكسر ولا تنحني، شخصيّة لا تلامس جبهته الأرض إلاّ للسّجود في صلاته لربّ هذا الكون، فقال لفرنسا وكان الرّدّ صريحاً:

"لن أخدم أمّة الاستعمار جندياً أحارب المستضعفين أينما كانوا سواء في الجزائر أو غيرها، ولن أكون سلاحاً فتاكاً لإراقة الدّماء وإن كنت فسوف أكون ضدّك يا فرنسا، فلن أكون خادماً لك أنرع أنا وتجني أنت خيرات هذه الأرض من وراء البحر، فلا خير في أمّة تأكل قوتنا وعرق جبيننا وتقتل وتشرد أبناءنا".

وتربّت فيه هذه العقيدة فاستغلّ صوته في تأليب الرّأي الجزائريّ عليها عبر سلاح الكلمة والأغنيّة والصّوت الشّجي، وكان في كلّ ذلك يُسهم بصورة إيحائيّة تمويهاً للمستعمر الذي يعلم خطورة الكلمة التي تعمل على تثوير الجماهير، ويستعملها في الأعراس أو في الأسواق العموميّة التي لا يغيب عنها. وكان يتستّر بغطاء الغزل والرّقص المصاحب في تبليغ رسالة النّضال بالصّوت الشّجي الذي سارت له الرّكبان. وهكذا يستعمل تلك الكلمات التي تنبع من الإيمان:

بالتّويزة خدّام – يعاون ترابو – عند
الزّواوي شيخ – والي من الصّلاح
– غنّى بالموال – زهاو حبابو – عرضو
سيد الشّيخ – كثّر ما التّمداح
– دعاه دعوة خير مفتوحة – أبوابو – أعيش
من ذا الصّوت – ازهي لفراح...

يُكتشف (الجرموني) في المناسبات الاجتماعيّة ويكون حاضراً بأغانيه المحليّة، ويُسجّل أوّل أسطوانة في تونس سنة 1933م، ثمّ تتلوها قائمة من الأغاني الغزليّة والاجتماعيّة والوطنيّة التي ألّفها، ومن أبرزها: الفوشي+ عين الكرمة+ تبقاو بالسّلامة. ويغني في أوبيرا باريس سنة 1936م. ويكون حاملاً للطّبع التّراثيّ المحليّ، ويجمع بين الشّعر والموسيقى والغناء. ويتوفّى في 26 ديسمبر 1946م، وتتلاحقه التّكريمات التي تشعر به وهو رمس، وفيه تنسج أمثال هذه الأشعار المحليّة:

عيسى الجرموني غنّى كي العادة أمقابل
منهيك محفل بالبرّاح
الخيول أتسوج ركبوها السّادة ومكاحيل
أتنخ تدوي فالطّحطاح
صبيّة ما سْتحات تفرفر كي أجرادة –
خرجت ما المحفل أحزامها شطاح...

بقيت أغنيه وصوته في السّاحة الوطنيّة على إنّه أيقونة معاصرة لزمنه، ومن الأصوات التي حافظت على التّراث الشّاوي، ولهذا الطّبع خصوصيات عند ساكنة الأوراس، بل أصبحت جسراً للوصول إلى العالميّة؛ بتقليد السّلف الذين تركوا روائع خالدّة، ولا تزال تبنى عليها الأغاني المعاصرة، لما لها بداوة وأصالة، وهي تعبير عن الفخر والعزّة والكرامة. وهذا ما رسّخه (الجرموني) من قيم تحمله مضامين تلك الأغاني التي جاءت مشيدة بعمله:

الثّمْ وجهو بشّاش من تحت العينين
قندورة طيسور أقماشات أملاح
باهي بالبرنوس شاوي – بوجنحين بين
أيديه
بندير يتمايل دلواح
قصابو بحذاه محمّد بن زين
والقصبة أحنينة فهموها لقْراح
عندو صوت سماع من دشره لدشره
فزعوليّة ناس غير اسْمع وارْواح
عيسى أمدح لوطن بالصّوت العالي
ياما شاف الظّلم – لستعمّار أقباح
عيسى أمدح الدّين لسلام الغالي
باسم الله الواحد طالب السّماح
الدّنيا مغروره كي ثلث الخالي
لاخره دار الصّح – باقيّة لمول الصّلاح
غنّى عا لقليل يشتّي الزّوالي
يا مسعد ليتيم أسمع الصّوت ارتاحْ
غنّى عا لفراق يكوي ويشالي.
عيسى الجرموني متغزّل بغرام عالم
بأسرارو أفراحو وأقراح
قلبو فاض من شوق حدة ما يتلام
خلف أستار البيت كلب – واعر نبّاح
هلكاتو حدة عجبو رسم أوشام
ما تفوتها فالزّين – لا جازيّة لا ردّاح
دار أعراس كبار أنزل في كلّ أمكان
من واحات النّخل – لسواحل التّفاح
عندوا أقدر كبير بالهمّة والشّان
بسباب العرضات ما يقعد يرتاح
دار أعراس كبار للروم أو عربان
بلغة عربيّة بالشّاوي نفّاح
عشاق كثير حفظو ذا الميزان
بالصّوت الصّافي فيه أمثال أصحاح.

وفي كلّ المراحل التي عاشها مخلصاً لفنّه، فإنّه رسّخ طبعاً جزائرياً خاصاً على غرار المالوف/ القبايلي/ النّايلي... ولم يتنكّر لباديته التي صنعت منه فنّاناً، ومنها قرب الشّهرة التي جعلته حياً في الفنّ الجزائريّ الأصيل، فنّ كتبه باسمه والآن تحنّ إليه مناطق الأوراس وكلّ دور الشّاويّة، والجزائر اليوم. وبعد كلّ هذا ترحل أيقونة الغناء الجزائري/ الشّاوي، ترحل تاركة أسطوانات من ذهب، وهذا بعد واحد وستين (61) سنة من العطاء الفنّي الرّاقي، ولا يزال يذكر بخير لما رسّخته من نبل الأخلاق وفضائل الصّفات عبر الزّرنة والبندير والصّوت الشّجي:

ياعيسى أرواح
أوّل عربي موجود في ذا الكون أوّل
جزايري شاوي ثمّ راح
فالسّته وربعين ثم حدّ لعمر
لما جاه المرض مات – عيسى الصّداح
في عين البيضاء دفنوه – فالقبر ندعيه
بالرّحمة يحضيه الفتّاح – صوت الجرموني
عمرو ماتفسر
وينكم يا نقاد وينكم يا فصاح.

صالح بلعيد

■ عيسى النّوري
(1331هـ - 1913م/1412هـ - 1992م)

عيسى حمو بن محمّد بن الحاج إسماعيل النّوري، المولود في بلدة بنورة بولايّة غردايّة جنوب الجزائر، والمتوفى فيها، قضى سنوات عمره في وطنه الجزائر، تلقى تعليمه الأوّل في مدارس الجزائر العاصمة، ثم درس في المعهد الجابري بوادي ميزاب.

بعد تحصيله علوم عصره، اشتغل مدرساً بمدرسة النّور بمسقط رأسه من عام 1945 إلى عام 1958. حيث أصبح مديراً لها.

وبعدها التّحق بصفوف جيش التّحرير الوطني الجزائري، قبضت عليه إدارة المستعمر الفرنسي عام 1960، فحكم عليه بالإعدام لكنه ظل بالسّجن حتى الاستقلال.

بعد استقلال الجزائر رجع إلى التّدريس في بلدته بنورة، كما أصبح رئيساً للمجلس الثّوري في بنورة.

كانت له إسهامات عديدة في الحركات الإصلاحيّة والعلميّة والسّياسيّة بالجزائر، حيث انضم إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها عام 1931، وقد أسهم كذلك في تأسيس جمعيّة النّور في بنورة عام 1945، بالإضافة إلى هذا فقد كان عضواً في حلقة العزابة في غردايّة وكذلك عضواً في المنظمة الوطنيّة للمجاهدين.

له قصائد عديدة نشرت في صحف ومجلات عصره نذكر منها على سبيل المثل لا الحصر: "جريدة النّور"، "جريدة الأمّة". "جريدة البصائر"، "جريدة الشّهاب"، "جريدة المجاهد"...

كما أنَّ له قصائد مخطوطة وأخرى وردت ضمن وثائق احتفاليّة أقيمت تأبيناً له.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو تنوع أغراضه فقد كتب في المناسبات الدّينيّة والوطنيّة والاجتماعيّة، كما كتب في رثاء بعض أعلام ورجال عصره. وقد اتسم شعره عموماً بالرّوح الثّوريّة، فبعض قصائده تعد من شعر المقاومة الفاضحة لأساليب الاستعمار الفرنسي في معاملة الشّعب الجزائري المطالب بحقه في استرجاع سيادته على أرضه ومصيره، وبخاصَّة تلك القصائد التي نظمها وهو في المعتقل، كما يتسم شعره أيضاً بالنّزعة الإصلاحيّة ونقده لبعض عيوب المجتمع، بالإضافة إلى هذا فقد عارض دعوى قاسم أمين لتحرير المرأة انطلاقاً من تشبعه بأفكار ومبادئ إسلاميّة مغايرة لتلك الدّعوى.

وعلى العموم فإنَّ شعره يتسم بالقوة والتّماسك مع وضوح المعنى وجلائه وصوره تقوم على عناصر البلاغة وهي مُتَّسقة كل الاتساق مع موضوعاته الشّعريّة.

نماذج من شعره:

من قصيدة: القلم السّجين

أطلقوني كيف شئتم أو ذروني
فأنا حرٌّ بأعماق سجوني
بل ذروني رهن سجني شادياً
في أحاسيسي وأنسي وأنيني
أرسل الشّعر فنوناً غضَّةً
إنَّ سجنَ الحرِّ كوْنٌ من فنون
أقتنيها صوراً ناطقةً
لذمامٍ مثقلاتٍ بالدّيون
فعيون الشّعر في دنيا الورى
هي في الأحرار من سود العيون
أو يَخطو في هدى مَلْكٍ على
هجعات القلم الشّاكي الحزين
لم يجد في جوّكم متَّسعاً
لانطلاقات شَبابٍ مستكين
ليتني أقسو إذا أَرَّثَني
مِن لظاكم وَخَزاتٍ تعتريني
زمّلوني في شبابي واكبتوا
عبقريَّاتي وطيبوا بسكوني
فقيودُ الوضع لا ترهقني
لا ولا تمنع شأناً من شؤوني
يسمع اللحن فيلوي عِطفه
إنه يشرق طبعاً بلحوني
إنَّ ذا وضعُكمُ من سَفَهٍ
حاملٌ فالويلُ من جيل الجنين
ماج في زخرفةٍ جذَّابةٍ
لم تكن تزخر إلا بالمجون
قيمُ الأخلاق في معجمهِ
نكراتٌ بمحيطات الظّنون
قد سرى مائعُها مندفعاً
في رسوبٍ في الخلايا والبطون
وزها العالم في أُبّهةٍ
بين إنسانيّة من غير دين
جلَّل العلم لها أدمغةً
هتكت للشمس ستراً بعد حين
لو صفا منبعُه في روضهِ
لزكت بين نعيم ومَعين
نهضةٌ جَبَّارةٌ في نقمٍ
واتقادٌ لنبوغٍ في جنون
فطفا الشّعر على لجته
في جفاف الذوق والرّأي الهجين
فالمعاني في مبانيها على
عِظَم الشّقَّة في حربٍ زَبون
بعد أن كان رسولاً مثقلاً
برسالاتٍ على روحٍ أمين
كم أدالتّ دولاً في غَفْوةٍ
للضَّمير الحرّ والحق المبين
وأقامت دولاً أخرى على
شرعة الأخلاَق والخُلْقِ الحصين
تلك إنسانيّة باردةٌ
في حضيضٍ من نفايات القرون

من قصيدة: الإصلاح دعامة الاستقلال

اللهُ يحمي الحقَّ والنّصَراءَ
ويزيد سيفَ الصّادقين مضاءَ
ويحفُّ بالتّوفيق كلَّ مجاهدٍ
يستعذب الأرزاء والنّكراء
ويسوق أحزاب البُغاة إلى الرّدى
وينيل حزب الله منه علاء
جمعيّة العلماء رمزُ سعادةٍ
طلعت على أفْقِ الصّلاح ذُكاء
وهمّتْ سماءٌ إثر جَذْبٍ مدقعٍ
غمر البلاد وديمةً وطفاء
صاحت بشعبٍ في الضّلالة هائمٍ
يتجالدّ الضَّرَّاء والبأساء
قد أبغضته الحادثات وجشَّمتـ
ـهُ الجاهلاتُ من النّفوس عناء
فالغربُ يفتك في جموع شبابهِ
وينال منه غضاضةً وجفاء

ويدٌ من الفوضى تدير شؤونه
وذُجى الجهالة خيَّم الأنحاء
فرأت عليه كرامةً تأبى الأذى
والشّعب شعب يعشق العلياء
فسمَتْ به للمجد لا تبغي له
غير المجرَّة ذروةً عصماء
خاضت محيط المصلحين بعزمةٍ
لم تخشَ من طاغي العُباب قضاء
تدعو إلى الباري وكان سفينُها
دينَ الهدى والسّنَّةَ الغرَّاء

من قصيدة: قلب الشّرق

ضِقْتُ في دنياي من قلبٍ غضوبِ
لم يجد رحباً سوى ساح الحروبِ
يجد البردَ على جمر الغَضَا
وبياضَ العيش في سُود الخطوب
والسّلاَم المحض في الحرب التي
تُلقِم العالم ذرَّاتِ اللهيب
هِمَّةٌ من همم الدّهر، لها
هممُ الدّهر من العيش الرّتيب
ينكر الأحياءُ فضلاً للردى
وصفاءُ التّبر من فضل المُذيب
أيهِ يا نفسُ اعبسي أو فابسُمي
أو فجُودي بغناء أو نحيب
أو فثوري ثورةٌ تطغى على
لجج العالم طرّاً أو فطيبي
ذاك قلبٌ شاق عنه جسمه
كيف يبقى هادئاً بين الجنوب
إن روحاً فائضاً من وحيه
كوثريَّ الورد سحريّ الدّبيب

رابح دوب

المصادر:

- عمر داودي: مطبوعات ندوة حفل تأبين الشّيخ حمو عيسى النّوري بنورة 22 جويليّة 2000؛
- جريدة البصائر: عدد 268 ماي 2006. (وقفة في الذكرى الرّابعة عشرة لوفاة الشّيخ حمو عيسى النّوري)؛
- معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين المجلد السّابع - الكويت 2008.

عيسى بن أحمد بن محمّد الغُبريني
(ت: 816هـ - 1413م)

أَبُو مَهْدِي (عِيسَى بْنُ أحمد بْنُ محمّد بْنُ محمّد الْغُبْرِيني)، ينتهي نسبُه إلى أسرة بني (غُبْرِين) في منطقة الْعَزَازْگة بجبال جرجرة، وضواحي بجاية-الجزائر، والتي أنجبت عدداً لا بأس به من العلماء الأفاضل خدموا الفكر والثّقافة العربيّة الإسلاميّة داخل الجزائر وخارجها، من أبرزهم:

أَبُو الْعبّاس أحمد الْغُبْريني، وابنه أبو القاسم أحمد الْغُبْرِيني (شيخ مُترجَمِنا)، وولده الآخر أبو سَعِيد أحمد الْغُبْرِيني، أبو مَهْدِي عِيسَى بْنُ أحمد الْغُبْرِيني (مُتَرْجَمُنَا)، أبو محمّد عبد الْحَقّ بْنُ يُوسَف بن جماعة الغُبريني، وهم من خيرة أعلام الجزائر.

نشأ عيسى بن أحمد الغبريني، وتكوّن بتونس، "لأنّ بجاية كما يقول العمري في مسالك الأبصار: إنّها ثانيّة تونس والعاصمة الثّانيّة لإفريقيا" وهو قاضي الجماعة بها، خطيب جامع الزّيتونة وإمامه ومدرّسه، العالم الصّالح، حافظ المذهب، ولاّه ابن عرفة حين حجّ إمامة جامع الزّيتونة وهو حينئذ قاضي الجماعة، ثمّ استقلّ بعده بالإمامة حتّى توفّي ليلة السّبت سابع وعشرين من ربيع الأوّل عام خمسة عشر وثمانمئة. قاله أحمد القلشاني"، وقال الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي: توفّي عام (816هـ/ 1413-1414م).

ولقد عرفت بجاية في عهد الموحّدين ازدهاراً ورخاءً، وتقدّماً تجارياً وعمرانيّاً، وظلّت بجاية قطباً من أقطاب العلم والحضارة ـ تضاهي مثيلاتها في المشرق مثل بغداد..، وبعد سقوط الموحّدين أصبحت بجاية تابعة للحفصيين أصحاب إفريقيا وقاعدتهم تونس، والحفصيون أو بنو حفص سلالة أمازيغيّة حكمت في تونس وشرق الجزائر، وطرابلس مابين 1229م إلى 1574م.

لذا كانت بجاية تخضع للدّولة الحفصيّة، وكانت تمثّل المدينة الثّانيّة في الدّولة الحفصيّة، فلا غرابة إذا نشأ أفراد أسرة (بني غُبرين) وتمّ حصول تكوينهم، ونشاطاتهم المهنيّة والاجتماعيّة بين بجاية وتونس، حيث تبوّأت فئة العلماء قمّة الهرم الاجتماعي لما اضطلعت به من مهام، وشغلته من مناصب، انعكس نفعها على شرائح المجتمع، فكان منهم الأئمّة والقضاة وشيوخ الفتيا، لذا صنفت بعض الأسر ضمن العائلات الوجيهة، منها أسرة بني غُبرين التي نحن بصدد التّرجمة لأحد أعلامها. قبل أن تصبح بجاية إمارة مستقلّة تحت إمارة أَبِي زَكَرِيَا الثّاني.

تقلّد الشّيخ عيسى بن أحمد الغُبريني عدّة مناصب، وقام بعديد المهام العلميّة منها إمام وخطيب بجامع الزّيتونة، كما اشتغل قاضياً ومفتياً بتونس، حتّى عدّ من مجتهدي المذهب نظراً لمؤهّلاته ومكانته العلميّة، ومنهجه في الفتيا.

ومن مواقفه التي تنبئ عن بعض توجّهاته السّياسيّة وأفعاله الخيريّة ما نقله ابن ناجي حيث يقول: "وسجد بين يديه بعض جهلة المؤدّبين، مشتكياً بشخص، فصاح عليه وانتهره، وغضب لمخالفته السّنّة، وحلف لايسمع منه الآن كلمة." وفي ذلك إصلاح اجتماعي خيري، ونبذ لعادات لا أخلاقيّة رسّختها تعاملات سياسيّة اجتماعيّة.

انتقل بعض من عائلة (غُبْرِين) من منطقة جبال جرجرة بضواحي بجاية إلى تونس بصفتهم تابعين للدّولة الحفصيّة، وكان من أبرز شيوخه:

- اِبْنُ عَرَفَة: هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ محمّد بن محمّد بن محمّد بْنُ عَرَفَة الْوَرْغَمِي: إمام جامع الزّيتونة وخطيبه في العهد الحفصي، أخذ عن القاضي ابن عبد السّلام الهواري الأصول، وأخذ القراءات عن محمّد بن محمّد بن حسن بن سلامة الأنصاري، وأخذ عن محمّد بن جابر الوادي آشي ومحمّد بن سلامة وغيرهم،

أمّا تلامذة ابن عرفة، فمن مشاهيرهم السّيّد الشّريف أبو الفضل السّلاوي صاحب

إكمال الإكمال المتقدّم، والقاضي أبو مهدي عيسى الغبريني، والإمام الأبي صاحب إكمال الإكمال أيضاً، والحافظ الْبُرْزلي، وابن الخطيب القسنطيني،

له مؤلّفات منها: تفسير ابن عرفة المالكي، كتاب المختصر الكلامي، طُبع مؤخّرًا، كتاب المختصر الفقهي، مطبوع. مختصر الفرائض، مخطوط.الخ

– أحمد بْنُ أحمد بْنُ أحمد أَبُو الْقَاسم، الغُبريني، مقرئ من أهل بجاية، وهو ابن أبي العبّاس أحمد الغُبريني، صاحب عنوان الدّرايّة، وقاضي بجاية، أخذ عن ابن سلاّم وطبقته، قال ابن الجزري (شيخ تونس ومسندها في وقتنا، قرأ على محمّد بن قريون...وأجازه من مصر عبد المؤمن بن خلف الدّمياطي، ومحمّد بن علي بن دقيق العيد وغيرهما، وهذا لعمري شيخ يعزّ وجود مثله في وقتنا.)."وقال صاحب نيل الابتهاج: " أخذ عنه جماعة من علماء تونس كالقاضي أبي المهدي عيسى الغُبريني، وأبي عبد اللّه القلشاني."

قال السّخاوي في الضوء اللامع (أخذ عنه أحمد بن محمّد القلجاني وغيره كالعجيسي، بل نقل عنه البرزلي في فتاويه، ووصفه بصاحبنا.) وقال صاحب كفايّة المحتاج: "بل أخذ منه غالب متأخّري أصحاب ابن عرفة وغيرهم كالبسيلي، وأبي يحيى بن عقيبة وأبي القاسم القسنطيني، وابن ناجي وعمر القلشاني، وأبي الحسن بن عصفور، والزّلديوي." "بل نقل عنه عصريّه أبو القاسم البرزلي في ديوإنّه في غير موضع."وقال السّخاوي في تاريخ أهل المئة التّاسعة " (أخذ عنه أحمد القلشاني والشّرف العجيسي وغيرهما.).من أبرز تلامذته الذين أخذواْ عنه واستفادواْ من كفاءته العلميّة وبراعته الفقهيّة:

عُمَرُ الْقَلْشَانِي: هو عمر بن محمّد بن عبد اللّه القلشاني الباجي، وهو أحد أشهر الفقهاء المالكيّة، ولد بباجة وتوفّي بتونس سنة (1444م)، درس الفقه والبلاغة على أبيه عبد اللّه القلشاني الّذي يعدّ من أشهر الفقهاء المالكيّة، وأخذ عن ابن عرفة، وأبي المهدي الغبريني، وأحمد بن إدريس الأيلولي، ومحمّد بن مرزوق...وله مؤلّفات منها: شرح مختصر ابن الحاجب، شرح طوالع الأنوار ومطالع الأنظار للبيضاوي، دقائق الفهم في مباحث العلم...

اِبْنُ نَاجِي التّنُّوخِي: هو " أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التّنوخي القيرواني، الإمام الفقيه الحافظ للمذهب، النّظّار العمدة الفاضل، القاضي العادل، المؤلف، العارف بالأحكام والنّوازل، من القضاة، من أهل القيروان" له كتب، منها: شرح المدوّنة الكبرى لسحنون، شرح رسالة أبي زيد القيرواني، شرح التّهذيب للبراذعي..

"قال عنه الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي: (شيخنا أوحد زمانه علماً وديناً، وقد ناب عن الشّيخ الفقيه ابن عرفة في الخطبة بجامع الزّيتونة عندما ذهب إلى الحجّ عام (972هـ/ 1390م) قال السّخاوي في تاريخ أهل المئة التّاسعة فيه: (قاضي تونس وعالمه) وقال تلميذه الأمير محمّد المدعو حسين بن السّلطان أبي العبّاس الحفصي: (كان شيخنا ابن عرفة وشيخنا الغبريني من مجتهدي المذهب، والعيان شاهد بذلك)، "ووصفه تلميذه: أبو القاسم بن ناجي: بأنّه ممّن يظنّ به حفظ المذهب بلا مطالعة، ما رأيت أصحّ منه نقلاً ولا أحسن منه ذهناً، ولا أنصف منه، مع كمال الرّياسة".

رويسات محمّد

المصادر:

- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض ص250
- أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة، د.يحيى بوعزيز، ص290–291
- كفايّة المحتاج، الجزء الأوّل، أحمد بابا التّنبكتي، ص318–319

عيسى بن إسماعيل بن موسى (أبو مهدي) (ت: 971هـ / 1564م)

علم من أعلام بلدة مليكة بميزاب، أصله من عرش أعراب أولاد نايل بالجزائر، نشأ على المذهب المالكي، ثمَّ تحوَّل إلى المذهب الإباضيِّ فصار من أعلامه. وهو حلقة في سلسلة نسب الدّين عند الإباضيَّة، إذ أخذ العلم عن شيخ زمانه بميزاب: الشّيخ عمِّي سعيد الجربي، وهو من أنجب تلاميذه.

وأخذ عنه أيضًا ومشايخ منهم: الشّيخ محمّد بن زكرياء الباروني النّفوسي، وداود بن إبراهيم التّلاتي الجربي، وبامحمّد بن عبد العزيز اليزگني، وأبو زكرياء بن أفلح، وسعيد بن علي، وحيُّو بن دودو.

استقرَّ به المطاف في بلدة مليكة، ولا يستبعد أن يكون شيخه هو الذي وجَّهه إليها إحياء للعلم بها، وهي المهمة التي تولاَّها الشّيخ عمِّي سعيد الجربي بغرداية بخاصَّة وبميزاب بعامة، وكان قد تولَّى مشيخة مليكة في عهد أستاذه فكان دأبهما أنَّهما يجتمعان كلَّ يوم في مشهد مشهور بين بلدتي مليكة وغرداية يعرف إلى اليوم باسم "أدْجَّايَنْ" يتذاكران فنون العلم، وكانا متحابَّين في الله.

اشتهر أبو مهدي عيسى بالعلم والفهم والاجتهاد والورع، وأوتي ذكاء وعارضة قوية، فكان ينافح عن اختياره للمذهب الإباضي، ويوضِّح للأيمة حججه واقتناعه بهذا الاختيار. كما دافع عن زميله الشّيخ أبي محمّد عبد الله المرزوقي، الذي تبنَّى المذهب الإباضي مثله.

له تآليف عديد ة في مختلف فنون العلم،

من آثاره:

– مجموعة من الرّسائل والرّدود والأجوبة"، منها: ردُّه على البهلولي أبي الحسن البهلولي الذي كفَّر الإباضيَّة.

– رسالة بليغة "في الرّدِّ على بعض الطّاعنين

في المذهب الإباضيِّ يدافع فيها عن زميل له تمذهب بمذهب أهل الحقِّ والاستقامة، وهذا سنة 929هـ/ 1522م.

– رسالة إلى أهل وارجلان، يدعوهم فيها إلى الصّراط المستقيم.

– جواب في قضيَّة خلق القرآن.

– جواب لأهل عُمان، على أسئلة وردت إليه في الأصول والفروع.

– رسالة في معنى التّوحيد والوحدانيَّة والألوهيَّة والرّبوبيَّة.

– رسالة في إعراب كلمة الشّهادة.

– شرح موازين القسط. للشيخ إسماعيل الجيطالي.

– رسالة في علّة انفصال اللاّم، (مخ).

حرر الشّيخ أبي مهدي عيسى بن اسماعيل رسالة عن علة انفصال اللام في قولة تعالى: "مال هذا الكتاب"، وكان ذلك في وارجلان، كما في الدّيباجة، إذ سمع بها "من عبد الله بن مسعود... الرّيغي يسأل عن علة..."، فأراد الشّيخ لقاء السّائل ليفهم منه مُراد سؤاله، أهو في رسم الخط أم في الإعراب أم في غير ذلك، ولأن السّائل لم يحضر ولم يجد من يُجيبه في حينه فإن الشّيخ لم يُرد أن يتركها معلقة، فأجاب عنها من وُجوه عدة.

ختم الشّيخ هذه الرّسالة بنظم المسألة مع شرحها بنظم من (21) واحد وعشرين بيتا، جاء في أولها:

"... فإن تفهمت من هذا المجموع واقتبست من أنواره واستضأت بأضوائه، فحسن لنا ولك، وأنر يد غير ذلك أقل، يقول الله تعالى "ومن يرد الله فتنته"...

يقول عيسى شاكرا لله
نطلب منكم العون يا إلهي
مصليا على الرّسول أحمّد
مجاوبا في العلم حكما مسندا
عن انفصال اللام في القرآن
في قوله جل عن الاقتران

رسالة في العلة

رسالة وجهها الشّيخ أبي مهدي عيسى بن اسماعيل إلى الفقيه أبي القاسم بن أحمّد التّجنيني (من بلدة تجنينت العطف) لما بلغه أنه "يقعد في سباط غرداية، ويبسط لسانه قائلا لمن حضر معه: رجلي ممدودة لمن يتكلم في العلم"، والرّسالة عبارة عن نصيحة وسؤال على شكل بيت شعري:

ما علة العلل في الأشياء
ما حكمها في حالة الانشاء

مراد الشّيخ سؤاله في موضوع العلل، كون الفقيه أبي القاسم كان كلما حدثه الطّلبة بسؤال أو جواب طلب إليه العلة والدّليل، إما تحقيقا أو تعجيزا، فاستعمل صدر البيت للإيقاظ والتّنبيه وعجزه للإشكال والاستفهام، قاصدا به اختبار قدرته، فأجابه التّجنيني إجابة لم تكن في مستوى تطلعات الشّيخ السّائل.

عقب الشّيخ أبي مهدي على ذكر الوقائع التي كانت سببا في تحرير هذه الرّسالة بشرح مفصل للبيت وتحليله، مبينا في ذلك مواطن سوء تقدير الفقيه التّجنيني لمبنى البيت...

وله شعر رائق جميل، منه:

– قصيدة في المواعظ والأدب والنّصائح والزّهد.

– مقطوعتان شعريتّان في العقيدة.

– منظومة رجزية بعنوان: "وصيَّة معشر الشّبَّان"، ولها شروح كثيرة.

– "كم جملة الأسماء للخلاق؟"، منظومة في بيان أسماء الله الحُسنى، (مخ).

أبيات للشيخ أبي مهدي عيسى في أسماء الله الحسنى، والنّظم موجّ للفقيه يسمى عبد الملك كما هو واضح من البيت الأوّل، وتضمّن أسماء الله التي لم ترِد في القرآن الكريم، وعن أسمائه المقصودة في الذّكر إجلالا، وختم النّاظم ببيتين في شكل سؤال عن "الجسمان" و"الجثمان"، فمن أبياتها:

أقول للفقيه عبد الملك
أجب أخاك هاتفا بالملك
كم جملة الأسماء للخلاق
قالتّ بها الأمة باتفاق؟
من غير ذكر لا في التّنزيل
لهذه الأسماء يا خليل

يقول عنه الشّيخ إبراهيم أبي اليقظان: وله "ديوان شعر".

"كان الشّيخ أبو مهدي عيسى من الرّافضين لطرد أولاد عبد الله من مليكة، ولما غلب على أمره، وأخرج هؤلاء فعلاً اعتصم في داره اثنتي عشرة سنة لم يخرج للناس."

وتروى عنه كتب السّير كرامات عديدة.

لمَّا توفِّي اتُّخذت روضته – في المقبرة المعروفة باسمه إلى اليوم "مقبرة الشّيخ سيدي عيسى" – مقرًّا للعزّابة عند انعقاد مجلسهم الرّسميِّ للقصور السّبع.

خلفه في مشيخة بلدة مليكة أحد تلاميذه الشّيخ حيُّو بن دودو، بعد وفاته 971هـ/ 1564م.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

– أبو مهدي عيسى: جواب في خلق القرآن، ط.ح، تونس

– القطب: الرّسالة الشّافية، 122

– متياز: تاريخ مزاب (مخ) 92، 108

– مجهول: رسالة حول زيارة مشاهد وادي ميزاب (مخ) 6، 12، 13، 18

– جمعيّة التّراث: دليل المخطوطات، فهرس مكتبة الحاج سعيد، مج2، 13، 18، 29.

– معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربيّة – غرداية، ط1، 1999، ج3، ص678.

– Louis: Les mechaikhs du M'zab, 2, 3.

عيسى بن الطّالب إبراهيم (خير الناس)
(1349هـ - 1931م / 1442هـ - 2021م)

ولد الشّيخ خير الناس حاجّ عيسى بن الطّالب إبراهيم بن سليمان، ببلدة تجنينت بميزاب يوم السّبت 17 شوال 1349هـ الموافق لـ 07 مارس 1931م، وفيها نشأ وترعرع بين أحضان أبوين كريمين تقيّين متوسطي الحال، والده الطّالب إبراهيم بن سليمان كان إماماً بالمسجد العتيق، أوثر عنه ورعه وزهده وتفرغه لخدمة بيت الله.

تلقى مبادئ اللغة العربيّة والفرنسيّة في مسقط رأسه، درس بمحضرة المسجد العتيق عند الشّيخ أحمد بن الحاجّ يحيى بكلي، ثم أوفد إلى معهد الحياة بالقرارة في شهر جوان من سنة 1944م، وفيه حفظ القرآن الكريم على يدي الشّيخين الفاضلين: الحاجّ أحمد بن الحاجّ إبراهيم بن كاسي حميد أوجانة، وعمر بن حاجّ سعيد بن كاسي بسيس رحمهما الله، ومن أبرز أساتذته في معهد الحياة الشّيخ إبراهيم بيوض، الشّيخ عدون شريفي، والشّيخ علي يحيى معمر...، أنهى دراسته الثانويّة بمعهد الحياة خلال خمس سنوات وكان في المعهد من المتميزين، وله كتابات في مجلّة (الشّباب) التي تصدر كل خميس بأقلام طلبة المعهد.

ولظروف اجتماعيّة قاهرة ومنها اليُتم المبكر، إذ فقد والده وعمره 17 سنة، ولم يكتب له الالتّحاق بجامع الزيتونة في تونس رفقة أقرانه المتفوقين، واختار البقاء في البلد ومزاولة النشاط التّجاري، والوقوف إلى جوار والدته لرعايتها، واشتغل إلى 1954 في مجال التّجارة في نواحي بوفاريك بمدينة البليدة، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة سنة 1956 للتجارة أيضاً، وظل وفياً لمهنة التّدريس التي أحبها، فخلال وجوده بمدينة قسنطينة كان يعلّم في المدرسة القرآنيّة، إذ خصص الأمسيات لهذه المهنة النبيلة، كما درّس فترة بسيطة في المدرسة القرآنيّة المزابيّة بمدينة بوسعادة، ولم يكن مرتاحاً للعمل



التّجاري إذ كان متيقناً بأنه لم يخلق للتجارة وأنه صاحب رسالة تربويّة واجتماعيّة لولا الظروف التي ألجأته إليها، فبعد إتمام بناء الأقسام الأولى الجديدة لمدرسة النهضة بالعطف سنة 1955، التّحق رسمياً بمهمة التّعليم وأصبح معلماً أساسياً فيها منذ سنة 1956م، إلى جانب الأستاذ بكلي بابه أحمد بن حمو (بلال)، والشّيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش، والشّيخ إبراهيم بن يحيى الگرادي، تحت إدارة الشّيخ سليمان بن حاجّ داود ابن يوسف رئيس الجمعيّة، عاد لفترة واشتغل بالتّجارة في مدينة قسنطينة بالشّرق الجزائري بين سنة 1960م إلى سنة 1966م وعيّن في تلك الفترة عضوا في (جمعيّة الهدى) للتربيّة والتّعليم وكاتباً في مجلسها الإداري، كما ظلّ دائم الاتصال بالحركة العلميّة والتّعليميّة بمدرسة النهضة في بلدته تجنينت ومساعدا في أنشطتها خلال إجازاته وعطله، إلى أن استقر به المقام معلماً دائماً وعضواً إدارياً لجمعيّة النهضة العريقة بدايّة من سنة 1967م إلى أن تقاعد لكبر سنه رحمه الله، وهو من سراة عشيرته (آل باكه) بتجنينت وعضو إدارتها، عرف بمساعيه في مجال إصلاح ذات البين وفضّ الخصومات تقبل الله منه .

بنى بأم أولاده السّيدة حاجّ عيسى شيخة بنت صالح ورزق منها بذريّة وهم: إبراهيم، وبكير، ويحيى، ومحمّد، ربّاهم على الطّهر والنقاء والإخلاص والإحسان، وكان حازماً وحريصاً على القيم الدينيّة والأخلاقيّة، مما ورثه عن والده الشّيخ الزاهد الورع.

يوم التّاسع من شوال 1399هـ، الموافق لـ الفاتح من سبتمبر 1979م عيّن عضواً في حلقة العزابة لبلدة تجنينت، وظلّ مرابطاً في محراب المسجد العتيق العامر إماماً وخطيباً وواعظاً إلى أن أقعده العجز والهرم، وقد خصّص دروساً للمجتمع النسوي في بعض المناسبات الدينيّة كشهر رمضان المعظم وغيره، وكان يلقيها عليهن في دار (لالة كرّابه) بتجنينت.

عرف بتضلعه واطلاعه على أصول وفروع علم الفرائض، حيث اختصّ بتدريسه في مدرسة النهضة لأقسام الشّريعة، وألّف فيه كتاب (فقه الميراث)، كما كان مرجعاً في كثير من قضايا التّركات والوصايا، وقد أثمرت جهوده جيلا من المعلمات والطّالبات لهن نصيب معتبر في هذا العلم الشّرعي.

وبعد عطاء وجهاد قضاه معلماً وواعظاً وخطيباً أقعده المرض والعجز قرابة خمس سنوات، حتى وفاه أجله رحمه الله بمسقط رأسه تجنينت يوم السّبت 10 من جمادى الثانيّة 1442هـ، الموافق لـ 23 يناير 2021م، ودفن بمقبرة الشّيخ باعبد الله، وحضر جنازته جمهور غفير من العزابة والأعيان وأبناء البلدة، وبعض الوفود التي جاءت من مختلف النواحي لوداعه اعترافاً بجهوده وجهاده رحمه الله وتقبل منه.

من خصاله الحميدة؛ كان رحمه الله مع ما أكرمه الله به من قوة البنيّة، هادئ

النفس غيوراً ومخلصاً لدينه ومجتمعه، فصيح اللسان، ليّن المعشر، يحب النكتة والأدب، قوي الذاكرة، ذكي الفؤاد، صبوراً عندما فقد أمّ أولاده وظلّ وفياً لها، وهو رجل اجتماعي متواضع جداً ويحبّ البسطاء ويعطف عليهم.

آثاره الفكريّة:

- كتاب "فقه الميراث"، مطبوع، نشر جمعيّة النهضة بالعطف - غرداية.
- كشكول خطب الجمعة والأعياد وبعض المناسبات الدينيّة والاجتماعيّة (مخطوطة).
- دروس اجتماعيّة مختلفة (مخطوطة).
- تقارير أدبيّة لأنشطة جمعيّة النهضة بالعطف (مخطوطة).

يحيى بن بهون حاجّ امحمّد

مصادر:

- ترجمة من إعداد: حاجّ أحمد بن حمو كروم، قاسم بن عمر حاجّ امحمّد، عبد الله بن حمو بن عيسى.
- كلمات تأبينيّة يوم وفاته، مجموعة من الأساتذة.

عيسى بن سالم
(1312هـ - 1895م/1388هـ1969م)

المناضل السّياسي الدّكتور (عيسى بن سالم) من الشّخصيات البارزة التي أثبتت كفاءتها في العمل الاجتماعي والسّياسي، ينحدر من عائلة عريقة متجذّرة اجتماعيا وثقافيا ولد ببوسعادة سنة 1895م، فوالده هو السّيد (ابن سالم عبد القادر)، وأمّه خيرة بنت علي بن السّنوسي، أحد شيوخ العلم ومدرس القراءات نهاية القرن التّاسع عشر، أخذ الدّكتور عيسى نصيبه من التّعليم بالمدرسة الفرنسيّة (شالون) بداية من عام 1902م، وهي مدرّسة خرّجت إطارات وكوادر سياسيّة وتربويّة أمثال الرّئيس محمّد بوضياف، ووزير التربيّة والتعليم مصطفى لطرش، والسّيد بوعزيز المختار عضو فيدراليّة الكشّافة الإسلاميّة الجزائريّة المؤقّتة، التي ترأّسها محمد بوراس، والسّيد صالح شويخ، المدعو (غاندي البوسعادي) أحد الأعضاء المؤسّسين للمكتب الوطني لحركة (نجم شمال إفريقيا) بتاريخ 02 جويلية سنة 1926م، والذي كان رئيسها الحاج (علي عبد القادر)(من غليزان).

كان من أساتذة الدكتور (عيسى بن سالم) بمدرسة (شالون) أبرز النّخب المثقفة بمدينة بوسعادة أمثال: ابن شنوف علي، وشميسة محمد بن جريدي، وعطيّة بيوض، واستطاع بفضل عائلته المتسمة بالارتياح المادي، أن يكمل تحصيله الثانوي بالجزائر العاصمة بثانويّة (بيجو)، ونجح بتفوّق في شهادة الباكلوريا شعبة الرّياضيات، ولم يفلح في الالتحاق بالمدرسة المتعدّدة التّقنيات بفرنسا بسبب أنّه غير متجنّس بالجنسيّة الفرنسيّة، فالتحق بكليّة الطّب، التي تخرّج منها بشهادة الدّكتوراه بتاريخ 05 جويليّة 1921م، عمل في مستشفى العاصمة ما بين سنة 1923 / 1924م، افتتح بعدها عيادة طبيّة له ببلدة برج بوعريريج سنة 1928م.

ولعلّ ظروف عمله جعلته يستقرّ نهائيّا ببلدة برج بوعريريج، ونشط هناك في المجال الرّياضي والاجتماعي والثّقافي، فشارك في تكوين فريق كرة القدم المحلي سنة 1930م، وشارك في المؤتمر الإسلامي للطّلبة المسلمين الجزائريين سنة 1936م.

استطاع المناضل السّياسي (عيسى بن سالم) في الفترة الممتدّة من سنة 1937م إلى غاية سنة 1954م أن يكون المرشح الوحيد لمنطقة البرج والحضنة الغربيّة في الانتخابات النّيابيّة، فقد مثّلَ حزب الاتحاد الشّعبي الجزائري (UPA) لفرحات عباس سنة 1938م، ثم ترشح باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) سنة 1946م، وفي غياب أيّ منافسة سياسيّة من قبل حزب الشّعب أو بقيّة التيارات السّياسيّة، أصبح الشّخصيّة الأساسيّة التي يعتمد عليها الأهالي في إيصال أصواتهم، والمطالبة بحقوقهم أمام الإدارة في مختلف الانتخابات المحليّة والجهويّة، ففي انتخابات سنة 1945/ 1946م المتعلقة بالمجلس الجزائري، الخاصّة بمنطقة المسيلة، ترشّح الدّكتور (عيسى بن سالم) عن (الحزب الرّاديكالي الاجتماعي)، ينافسه السّيد (آخروف الطّاهر) كمترشح مستقلّ، والسّيد (ابن الذيب عبد القادر) مترشّح عن الإدارة، والسّيد (شاكر بلقاسم) عن الحزب الشّيوعي الجزائري، أسفرت النّتائج عن فوزه بـ (2130 صوتا)، وفي نطاق الدعايّة للاتّحاد الدّيمقراطي حضر تجمعا للحزب بالمسيلة، لتشكيل الخليّة الأولى للحزب بتاريخ08 ديسمبر1947م، ألقى فيه خطابا بين فيه خطط الحزب وبرنامجه، وقدَّمَ عرضا على السّياسة الاستعماريّة وأهدافها، وأعلن صراحة رفضه التام لسياسة الادماج، وسياسة فرنسا في التفريق بين السّكان والدواوير، وفي شهر أفريل من سنة 1948م أجرت الإدارة الفرنسيّة الانتخابات البرلمانيّة في الجزائر لتكوين المجلس الجزائري، وكانت ثقة أهالي برج بوعريريج وسكان الحضنة الغربيّة به قويّة، فقد جربوا فيه الحزم، وبُعد النّظر، والرّؤيّة السّياسيّة الثابتة، وإخلاصه في خدمة أفراد مجتمعه، فمَكّنته أصواتهم من الفوز بمقعد بمجلس الجمعيّة الجزائريّة المكونة من 120 عضوا، والمقسمة بين الأهالي والفرنسيين، 60 مقعدا للمسلمين تمثل عدد الجزائريين البالغ آنذاك 9 ملايين، و60 مقعدا للمعمرين الفرنسيين الممثلين لمليون فرنسي، وفي سنة 1950م عُيّن الدكتور عيسى بن سالم نائبا لرئيس الجمعيّة الجزائريّة، وبقي في منصبه يدافع عن حقوق الجزائريين إلى غاية سنة 1955م حيث قدّم استقالته، فكان من بين النّواب الذين "استقالوا دفعة واحدة

مـن المجلس، بعد أن لم يعـودوا يمثلون إلا أنفسـهم"، عـاد الدكتور (عيسـى بن سـالم) إلـى مزاولة مهنـة الطّب ونشـاطه السّياسـي المعهود بمدينة برج بوعريريج، وعمل سـرًا مع جبهة التحرير الوطنـي، حيث كان يعالج المرضى والجرحى من أفرد الجيش الوطني ليـلا، ونتيجة للمضايقات التي حدثت له من الاحتلال، انتقـل إلى تونس واسـتقر بعائلته بهـا سـنة 1956م، حيـث مـارس الطّـب فـي مستشـفى (الحبيب تامر) إلى انتهـاء الثورة، وقـد ورث عنـه نجلـه (الطّبيـب جمـال بـن سـالم) نفـس الهمّـة والاندفـاع فـي العمـل السّياسـي، وكان يتمتع بثقافة واسعة اكتسبها مـن محيطـه الذي نشـأ فيـه، وامتهـن الطّب كوالـده إذ درسـه فـي فرنسـا، ونشـط هنـاك ضمن الاتحاد العام للطلبة الذي كان يترأسه محمد خميسـتي في مونبيلييـه، وبعد عودته من فرنسـا تعلم مبادئ الجراحـة بمدينة برج بوعريريج سنة 1955م، التحق بوالديه بمنطقة سـيدي بوسـعيد بتونس على ظهر سفينة من مرسيليا، نهايّة شـهر ديسمبر 1956م، وانضم إلـى جبهة وجيش التّحريـر الوطني التي كان يمثّلهـا (أحمد محسـاس)، والمشـرف على الطّب بها الدكتور (محمد نقاش).

لقد قام الأطباء الجزائريّون بالمساعدة في سدّ الفراغ الذي تركه الأطباء الفرنسيون بعد انسـحابهم من مستشـفيات تونـس، ومارس الدّكتـور (جمـال بن سـالم) أثنـاء إقامته بها الطّـب مـع الدّكتـور (العقبي) في مستشـفى سوسـة، ثم بالعاصمة التونسـيّة، وفي تونس العاصمـة التقـى بالعقيـد عميـروش، الـذي كلّفه بالالتحـاق بالولايّة الثّالثـة فانتقل إليها وعمل طبيبا تابعا لجيش التحرير الوطني في المنطقة الثّالثة.

اسـتطاع المرحـوم (جمـال بن عيسـى) أن يسـرد ذكرياتـه ونضالـه السّياسـي والثّـوري فـي كتابـه (انظـروا أسـلحتنا! انظـروا أطباءنا!)، أبرز فيه الدّور الأساسـي الـذي قام بـه الأطبـاء الجزائريّون، وطلاب الجامعـات الذيـن التحقوا بالثـورة لمداواة وعلاج أفـراد الجيـش الوطني، فـي مناطق مجهولـة وظـروف صعبـة، ليتقاسـموا النّضـال إلـى جانب أهل الرّيف ضـدّ العدوّ الفرنسـي الغاشم، واستعان الدكتور (جمال بـن سـالم) لاسـتحضار ذكرياتـه بعناصـر مـن جيـش التّحريـر الأحياء خصوصا سـي حميمي (حامد دهيـل)، ويُعد كتابه هذا من نـوع (الكشـكول)، أو ثبتـا للأحـداث التي عاشـها بيـن 1954/ 1962م. توفـي المناضل السّياسـي الدكتـور عبـد القـادر ابـن سـالم -رحمه الله-في مدينة سطيف سنة 1969م، ويعتقـد الأسـتاذ محمد بسـكر أنّـه دفن بها أيضا.

عاشور توامة

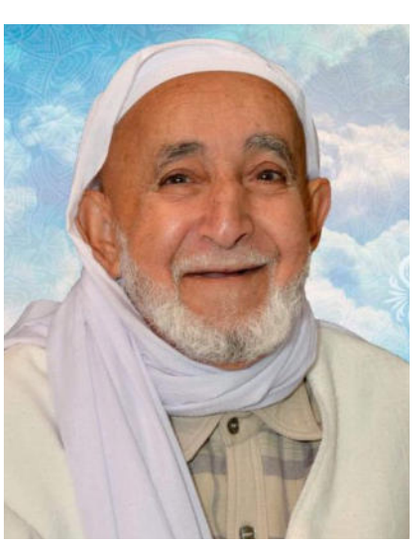
المصادر:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.
- كمال بيرم، الحركة الوطنيّة بمنطقة المسيلة.
- محمد بسكر، جريدة الوسط: ع 4783، 31 أكتوبر 2018م.

عيسى بن محمّد (حاجّ سعيد)
(1937م - 1356هـ / 1440هـ - 2019م)

مـن أعيـان ورجـال تجنينـت، بميـزاب. ولـد الشّـيخ عيسـى بـن محمّـد بـن عمر بن يوسـف بـن سـليمان حـاج سـعيد فـي بلدة تجنينـت بولايّـة غردايّـة، وهـو ينتسـب إلى عشـيرة آل الخلفي، والده: هو السّـيد محمّد بـن عمر، وليّ من أوّليـاء الله كان يعمل بكد يمينه في بلـدة تجنينت. والدّته: هي السّـيدة المرحومـة زكـري بخيلـة بنـت عيسـى بـن زكري امرأة صالحة تقوم برعايّة أسرتها بكد يمينهـا لمسـاعدة زوجها في نفقات الأسـرة التـي تتكـون مـن خمسـة أبنـاء وقـد توفّيت سنة1971م.

سـنة 1363هـ/ 1943م بـدأ التّعلـم فـي المرحلة الابتدائيّة بالمدرسـة القرآنيّة التّابعة لمسجد أبي سالم في دار إروان ومقر عشيرة آت الخلفـي علـى يـد شـيخنا الحاج سـعيد حاج محمّد بن بأحمد.



سنة 1367هـ/ 1946. سافر إلى مدينة البيض ليواصـل تعلمه في المدرسـة الرّسـميّة لمدة ثلاث سنوات، وختم نصف القرآن عند أخيه بأحمد.

سنة 1370هـ/ 1950م واصل حفظه للقرآن الكريم في مدرسة مسجد أبي سالم بتجنينت عند الشّـيخ ح أحمد بن حمو كروم، والشّيخ ح حمـودة بن ح بكير بهون علي، والشّـيخ ح زكري بن صالح امحمّد، والشّـيخ سـعيد بن علـي بهون، علي مـع دروس الفقـه والتّاريخ والعقيدة واللغة العربيّة والسّنة الشّريفة.

سـنة 1375هـ/ 1954م اسـتظهر القـرآن الكريم عند الشّـيخ الحاج عيسى بن بابا عمي بكلي بابه إمام مسجد أبي سالم بتجنينت.

سـنة 1375هـ/ 1954م واصل دراسـته عند الشّـيخ يوسف بن بكير حمو علي في المعهد الجابـري بآت يزگن، وعند الشّـيخ صدقي ح محمّد بن أيوب، وعند الشّيخ محمّد بن بنوح نوح مفنون.

سنة 1379هـ/ 1958م اقترن بشريكة حياته السّـيدة الفاضلة حمودين عائشـة بنت باسه،

فربى معها أوّلاداً بررة مجموعهم 11 أنثى وذكرين أنشأهم على الاستقامة والجد والاجتهاد.

سنة 1379هـ/ 1958م بدأ التّدريس في مدرسة مسجد أبي سالم القرآنيّة، وساهم في تأسيس تعليم البنت وتطويره في برامج القرآن والدّروس والتّكوين المهني مع ثلة من رجال التّربيّة والتّعليم في إطار هيئة توحيد المعارف بوادي مزاب.

سنة 1379هـ/ 1958م اختير عضواً في حلقة العزّابة بمسجد أبي سالم بتجنينت واضطلع بمهمّة نيابة المؤذن وعضويّة جماعة غاسلي الموتى، ولاحقاً وكيلاً عاماً لأوقاف مسجد أبي سالم خلفاً لوكيلها السّيد حاج سعيد حاج محمّد بن بأحمد رحمه الله، فأشرف على بناء المقر الجديد للمدرسة وتوسيع مرافق المسجد.

سنة 1399هـ/ 1978م اختير عضواً في مجلس عمي سعيد الهيئة العليا لحلقات العزّابة في وادي ميزاب ووارجلان بالجزائر.

سنة 1406هـ/ 1986م كلف بمهمّة التّوجيه والإرشاد في المسجد بعد وفاة شيخه السّيد بهون علي ح حمودة بن ح بكير، فصار رئيساً لحلقة العزّابة.

سنة 1407هـ/ 1987م اختير عضواً في مجلس أعيان البلدة وساهم بإخلاصٍ في تطوير فعاليته.

سنة 1410هـ/ 1990م عين رئيساً لإدارة عشيرة آل الخلفي ولا يزال يواصل رسالته النّبيلة في تحسين أدوارها الماديّة والمعنويّة في رعايّة شؤون البلدة مع غيرها من العشائر السّتة في البلدة، كما ساهم في بعث مجلس باعبد الرّحمن الكرثي الهيئة العليا لمجالسّ أعيان مدن وادي ميزاب بالجزائر مع ثلة من الأعيان والعلماء.

سنة 1422هـ/ 2002م شارك في تأسيس لجنة الفتوى بتجنينت مع الشّيخ حاج محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش.

سنة 1428هـ/ 2008م اختير عضواً في لجنة حُكماء البلدة رفقة الشّيخ حاج محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش والمرحوم عمنا بكلي بابا حاج أحمد بن حمو رحمه الله.

سنة 1404هـ/ 1984م زار البقاع المقدسة ولا يزال يساهم في توجيه الحجاج وتنظيمهم إلى سنة 1425هـ/ 2005م مع غيره من المشايخ والأعيان.

كما قام برحلة إلى جزيرة جربة التّونسيّة والأردن والمغرب الأقصى مع مجموعة من رفاقه وتلاميذه الأوفياء.

رغم قصر قامته وضعف بنيته الجسميّة نقول عنه إنّه:

- أديبٌ يتقن اللغة العربيّة والخطّابة.
- فقيهٌ يرجع النّاس إليه في دينهم ونوازلهم.
- رحيمٌ يضطلع بمهمّة رعايّة الأرامل واليتامى والضعفاء.
- ذكي الفؤاد، شديدٌ في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، صبورٌ في الشّدائد.
- متفتّحٌ على العصر مع رعايّة الأصالة والتّقاليد الحسنة والسّير الحميدة في المجتمع.
- خفيفُ الرّوح يحب النّكتة البريئة ويتذوّقها.
- متواضعٌ، سليم القلب، سريع الغضب سريع الفيء، وفيٌّ لمبادئه، قوي النّفس، يمتاز ببُعد النّظر وقوة الذاكرة.

خلّف الشّيخ طلبة هم أساتذة في المعاهد والمدارس، ودكاترة في الجامعات، وأئمة في المساجد، ومؤذنون في الصّوامع، وأعضاء في المجالسّ العرفيّة والرّسميّة داخل الجزائر وخارجها، وناشطون وأمناء في الجمعيات الخيريّة، ومديرون في المؤسّسات التّربويّة، والمدارس القرآنيّة عبر الوطن الجزائري، وحملة لكتاب الله في الحلقات ومجالسّ الذكر.

يحب اقتناء الكتب ومطالعتها لكنّه لم يترك تأليفاً وإنما ربّى من يُؤلف الكتب ويُحقّقها، وكتاباته لا تعدو أن تكون خطباً أو رسائل في بعض المناسبات المحليّة والوطنيّة أو نَسخاً لبعض المخطوطات والدّروس التّربويّة والمنظومات العلميّة، إضافة إلى دروس توجيه وإرشاد مسجلة في أثير نداء الهدايّة بمسجد أبي سالم.

ولا يزال كشجرة طيبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء توتي أُكلها كلَّ حينٍ بإذن ربها، يُمارس مهامه الاجتماعيّة والتّربويّة النّبيلة والثّقيلة إلى أن أقعده المرض والعجز، حتى اختطفته المنيّة صباح يوم السّبت 06 رمضان المعظم 1440هـ/ الموافق لـ 11 ماي 2019م إثر حادث سقوط في بيته اضطره الى عمليّة جراحيّة في ركبته اليمنى، فغادر الحياة عن عمر يناهز الخمسة والثّمانين 85 سنة.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- ترجمة من إعداد تلميذه؛ كروم حاج أحمد بن حمو.
- استمارات معجم أعلام الإباضيّة مرقونة، جمعيّة التّراث، القرارة - غردايّة، 3صفحات.

عيسى بن محمّد الثّعالبي
(ت: 1080هـ - 1669م)

أبو المهدي (عيسى بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عامر الجعفري، نسبةً الثّعالبة) المتوفى سنة (1080هـ)، من أكابر أهل الحديث وفقهاء المالكيّة، وهو من نسل عبد الرّحمن الثّعالبي الشّهير دفين مدينة الجزائر.

ولد عيسى الثّعالبي في مطلع القرن (II) هجري بمنطقة يسر (مدينة يسر) حاليا الواقعة بولايّة بومرداس، الجزائر، في موطن آبائه وأجداده الثّعالبة، وبها نشأ وحفظ متوناً في الفقه والمنطق والقرآن والحديث على يد شيوخ بلدته، منهم الشّيخ عبد الصّادق، ثمّ انتقل إلى الجزائر العاصمة، حيث تلقّى علوم الحديث والفقه على يد أكابر علمائها، منهم المفتي الكبير الشّهير، الشّيخ

سعيد قدّورة الّذي روى عنه الحديث بالخصوص، وشيخه الإمام الشّهير والصّدر الكبير أبو الحسن الأنصاري السّجلماسي الّذي لازم دروسه مدّة تزيد على عشر سنين، وأخذ عنه الفقه والحديث وعلوم اللّغة، وقد قرّبه من باشوات الجزائر، لاسيّما يوسف باشا الّذي حظي الثّعالبي بمكانة مرموقة عنده، ولكن في خضمّ الثّورة التي وقعت ضدّ الحكم العثماني، تعرّض الباشا ولي نعمة الثّعالبي إلى وضعه في السّجن، فقرّر مغادرة الجزائر سنة (1060هـ) قاصداً الحجّ، وهي فرصة ثمينة لطلب العلم والخروج من البلد، رحل إلى تونس وأخذ عمن بها من أجلاّئها، كالشّيخ زين العابدين وغيره، ودخل قسنطينة وأخذ بها عن شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني (ت: 1073هـ) الحديث ونحوه، ثمّ هاجر إلى المشرق سنة (1061هـ/ 1651م)، فحجّ وجاور بمكّة وأخذ العلوم على مشايخ الحرمين، منهم القاضي تاج الدّين المالكي والإمام زين العابدين الطّبري، ولازم بها خاتمة المحدّثين الشّمس البابلي، كما تصدّر للتعليم، وحصل له إقبال لجودة فهمه وحسن تقديره، وكان من أوعيّة الحديث والفقه والقراءة، ثمّ دخل مصر وأخذ عن علمائها كالقاضي الشّهاب أحمد الخفاجي، والثّور علي الأجهوري، والشّمس محمّد الشّوبري وغيرهم، وعاد إلى مكّة، واشتغل بالتّدريس في المسجد الحرام في فنون كثيرة، ومات فيها، عليه رحمة اللّه.

تلقّى الثّعالبي في الجزائر العاصمة العلم على يد علماء أجلاء، إلاّ أنّ بداية دراسته كانت صوفيّة، قال المحبّي: " إنّ الثّعالبي قد روى عن قدّورة الحديث المسلسل بالأوّليّة والضّيافة على الأسودين التّمر والماء، وتلقين الذّكر ولبس الخرقة والمصافحة والمشابكة ونحوها من مظاهر الصّوفيّة "، وبملازمة دروس شيخه المفضّل علي بن عبد الواحد الأنصاري السّجلماسي أخذ عنه "علوماً شتّى منها صحيح البخاري (درايّة وروايّة)، وبعض كتب الشّفاء، وألفيّة العراقي في مصطلح الحديث. كما درس عليه الفقه وأصوله. "وعلوم النّحو والبلاغة والمنطق.

وقد نقل الثّعالبي ما أفاده من شيوخه إلى الأجيال اللاّحقة ضمن منجزه الضّخم المعروف بـ (كنز الرّواة)، وهو أفضل ما أنجز الثّعالبي، إضافة إلى مصنّفات أخرى.

وكاد الثّعالبي يدفع حياته ثمن تقرّبه من الحاكم العثماني يوسف باشا، وتأييده له في حملته ضدّ الثّوار (الثّورة المعروفة بثورة ابن الصّخري)، تبيّن ذلك من خلال الرّسالة التي كتبها الثّعالبي لصديقه وأستاذه عالم عنّابة علي بن محمّد ساسي البوني.

درس عيسى الثّعالبي على يد علماء أفذاذ في الجزائر وتونس ومصر، وغيرها، منهم:

- سعيد قدّورة: هو سعيد قدّورة بن إبراهيم،

الجزائري المولد والدّار، أصل والدّيه من جزيرة جربة التّونسيّة، "عالم القطر الجزائري في وقته، وإمامه ومسنده ونحريره" درس على يد الإمام أبي القاسم المطماطي، علم الفقه والفرائض والتّوحيد، ثمّ ارتحل إلى تلمسان، "فدرس هناك الحديث والمنطق وغيرها على يد شيخه سعيد المقرّي، وكان أحمد المقرّي صاحب نفح الطّيب زميله في الدّراسة"، عاد إلى مدينة الجزائر أين تولّى الفتوى والتّدريس إلى غاية وفاته سنة (1066هـ)، له عدّة مؤلّفات منها: شرح السّلم في المنطق، مطبوع، وشرح خطبة مختصر خليل في الفقه، وغيرها

- العالم الكبير أبو الحسن الأنصاري السّجلماسي الجزائري:

هو علي بن عبد الواحد بن محمّد، أبو الحسن الأنصاري السّجلماسي الجزائري، فقيه مالكي، عالم محدّث، نشأ بسجلماسة، ورحل إلى المشرق فأخذ عن علماء مصر، واستقرّ بفاس، ونصّب مفتياً بالجبل الاخضر، من مؤلّفاته، المنح الإحسانيّة في الأجوبة التّلمسانيّة، عقد الجواهر في نظم النّظائر (منظومة في علم الفقه)، وغيرها، قال العيّاشي: "هو عمدة أبي مهدي الثّعالبي، وعنه أخذ كثيرا، وتوفّي بالطّاعون سنة (1054هـ)". ولمكانته البارزة "أثني عليه في الصّفوة ونفح الطّيب، والبدور الضّاويّة وغيرها".

كان الشّيخ عيسى الثّعالبي متمكّناً في الفقه، يتّصف بالذّكاء الحاد والقوّة والهيبة في التّدريس، "ومن الّذين درسوا على يده العلاّمة يحيى الشّاوي والعيّاشي (صاحب الرّحلة)" كما "انتفع به جماعة من العلماء الكبار، منهم الأستاذ الكبير إبراهيم بن حسن الكوراني، وشيخنا الحسن بن علي العجيمي وشيخنا أحمد بن محمّد النّخلي. والشّيخ الطّاهر عبد اللّه العبّاسي".

ومن العلماء الّذين أجازهم الثّعالبي: الشّيخ محمّد الشّلبي الحضرمي، والشّيخ المحبّي، والشّيخ محمّد بن محمّد العيثاوي الدّمشقي.

مؤلّفاته:

للشيخ عيسى الثّعالبي فهرسة سمّاها (كنز الرّواة المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع) سلك في ترتيبها مسلكاً غريباً، وهو إنّه رتّبها على أسماء شيوخه للتّعريف بهم وبمؤلّفاتهم ومقروءاتهم وأسماء شيوخهم. قال أبو سالم العيّاشي عن كتاب الكنز: "هذا تأليف سلك فيه مسلكاً نفيساً ورتّبه ترتيباً غريباً، جمع فيه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً"، وله منجز آخر هو: (منتخب الأسانيد في وصل المصنّفات والأجزاء والمسانيد) في ثبت شيخه محمّد بن علاء الدّين البابلي المصري.وكذا كتاب: (إتحاف ودود وإسعاف بمقصد محمود) في الفقه المالكي، وهو ما نسبه إليه الدّرعي.

وصفه الشّيخ أبو سالم العياشي (صاحب الرّحلة) فقال: (هو الشّيخ الإمام نخبة الفضلاء وواسطة عقد

النّبلاء، حسنة اللّيالي والأيام، وواحد العلماء الأعلام سيدي أبو مهدي عيسى بن محمّد الثّعالبي الجعفري.)" وعرّف به الشّيخ المحبّي في (خلاصة الأثر) بقوله"، "...نزيل المدينة المنوّرة ثمّ مكّة المشرّفة، إمام الحرمين، وعالم المغربين والمشرقين، الإمام العالم العامل، الورع الزّاهد، المفنّن في كلّ العلوم، الكثير الإحاطة والتّحقيق" وقال السّيد الحسن (من أراد أن ينظر إلى شخصٍ لا يشكّ في ولايته، فلينظر إلى هذا، وكفى بذلك فخراً له)." وقال الشّيخ مبارك الميلي: "وإذا لم يظهر من الثّعالبة أمراء عظام فكفاهم فخرا عبد الرّحمن الثّعالبي دفين الجزائر وعالم القرن التّاسع، وأبو مهدي عيسى عالم القرن الحادي عشر."

رويسات محمّد

المصادر:

- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص91
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبّي، ج3 ص 240-243؛
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد اللّه، ج2، ص 52-54.

عيسى بن محمد بسكر
(1326هـ - 1909م/1397هـ - 1977م)

الأستاذ عيسى بسكر رجلُ التّربيّة والتّعليم، وأحد رجال الحركة الإصلاحيّة، والأمين العامّ لوزارة الأوقاف والتّعليم الأصلي سنة 1965م في عهد السّيد (العربي سعدوني). هو نجل الشّيخ (محمد بن أحمد بسكر)، الشّاعر الفطري، كما وصفه الشّيخ عبد الحميد بن باديس أثناء تَقدِمَته لإحدى قصائده بمجلة الشّهاب، وأديب بوسعادة وشاعرها كما عبر عنه قلم الأستاذ الطّيب العقبي في جريدة الإصلاح، فمن هذه النّبْعَةِ الكريمة أينع فرعه، فلا عجب أن سخّر حياته لخدمة العلم وتكوين الأجيال، لقد تشرب مبادئ الإصلاح من والده، رئيس المكتب الفرعي لجمعيّة العلماء المسلمين ببوسعادة سنة 1931م، وأخذ تعليمه في اللّغة والتوحيد والفقه عن شيوخ بلدته، أمثال الشّيخ بلحاج بن عبد القادر(مفتي البلدة في وقته)، والشّيخ مصطفى بن البيض، والشّيخ أحمد بن حامد، وتعلّم العلوم المدنيّة بالمدرسة الفرنسيّة، واستكمل تحصيله المعرفي بالجزائر العاصمة بمدرسة المعلمين سنة 1926م، وبعد تخرجه امتهن التربيّة والتعليم بعدة مناطق، بجيجل، وعين الحجل، والديس، ثم انتقل سنة 1940م إلى العاصمة فدرّس في مدرسة (ساروي) بحي القصبة، كما اشتغل مفتشا ومشرفا على المدارس والخدمات الاجتماعيّة التابعة لجمعيّة العلماء (الشّبيبة الخيريّة) إلى غاية 1947م.

ومن المشاريع التي سعى فرع جمعيّة العلماء المسلمين ببلدة بوسعادة لتحقيقها بقيادة الشّيخ محمد بسكر، تأسيس جمعيّة الهدايّة سنة 1931م، لتكون غطاء لنشاط الجمعيّة الثقافي والسّياسي، وكان من ثمراتها إنشاء مدرسة (الهدايّة) لتعليم أبناء الأهالي، والتي اتخذت مقرّها بحي الهضبة وسط المدينة، بمنزل تمّ كراؤه من يهودي يدعى (بوراخ دجاوي)، وأسندت إدارتها للسّيد (عمار بن المداني شريف)، وكانت المدرسة تتكون من قسمين دراسيين، أحدهما مختلط، ضمّ ما يقارب الثلاثين تلميذا، والقسم الثاني للطلبة الكبار، يتلقون فيه دروسا في اللغة والنّحو والفقه، وشهدت في عامها الأول إقبالًا كبيرًا من الأهالي كما يذكر الأستاذ يوسف نسيب في كتابه (ثقافات صحراويّة).

لم تعمرّ المدرسة طويلا لخلافات بين أعضائها، أشار إلي ذلك الأستاذ (حمزة بكوشة)، المتجوّل الخاصّ لجمعيّة العلماء في رحلته (جولة من التلال إلى الرّمال)، غير أنّ الجمعيّة بقيت تعمل، ليظهر تحركها سنة 1952م، عندما قدّم مكتبها الجديد الذي يترأسه السّيد (طرفايّة عبد الرّحمن) طلبا للحاكم الفرنسي ببوسعادة لإنشاء مدرسة عربيّة لتعليم الأبناء، بنفس التسميّة القديمة (مدرسة الهدايّة). شرع في بناء المدرسة بدايّة من سنة 1952م، لكن مع قيام ثورة التحرير توقف العمل؛ لأنّ معظم أعضاء الجمعيّة انخرطوا في العمل الثوري، ومع بدايّة الاستقلال سنة 1962م قام الأستاذ عيسى بسكر بمعيّة أعيان الجمعيّة، أمثال الحاج زبير طاهري، والعربي بازة، والعربي بن سلامة، وسليمان جوة وغيرهم، بإحياء المشروع من جديد، فتمّ فتح الأقسام الأولى للمدرسة عام 1963م، كما انتقل وفد بقيادته إلى وزارة الأوقاف طلبا للمساعدة الماديّة والتّربويّة، فقد جاء في تقرير المفتش الجهوي لوزارة الأوقاف المقدّم للسّيد الوزير بتاريخ 21 سبتمبر 1963م، " أنّ جماعة (الهدايّة) لأبي سعادة أسّست مدرسة لتعليم النّشء لغة القرآن، وأنها سبّاقةٌ لهذه المأثرة، وأنّ الجماعةَ ترغبُ في جعلها تحت تصرف وزارة الأوقاف، والمدرسةُ جاهزةٌ لا ينقصها إلّا المدرسيين، وبما أنّ التعليم الابتدائي متوفر، فإنّه من الأليق جعلُها معهدًا دينيًا تكميليًا تابعا لوزارة الأوقاف"، وختم المفتش تقريره بقوله: " إنّ المفتش يضمّ صَوتَه لأصوات أهالي بوسعادة، ويلتمس من معالي وزير الأوقاف أن يدشن المعهد في حفل رسمي".

وبتاريخ 10 أكتوبر 1963م تمّ إرسال تقرير من لجنة التوجيه التابعة للمدرسة التي يترأسها السّيد (عيسى) إلى السّيد محافظ التيطري بالمديّة، يخبرونه بأنّ مدرسة تسمى (الهداية) تمّ إنشاؤها، في وسط البلدة في شارع العربي التبسي، وأنّهم بدأوا في بنائها سنة 1952م باقتراح من الشّيخ نعيم النّعيمي، بعد أن تمّ شراء قطعة أرض مساحتها 1200 متر مربع، بتبرع من أهالي بوسعادة،

وانتهى التقرير بلفت نظر المحافظ أنّ هدف المدرسة هو تعليم (العلوم الدّينيّة)، وبالنّظر إلى أنّ المدرسة جاهزة فقد طلب الأعضاء منه المساعدة في تجهيزها بالوسائل اللازمة إضافة إلى المدرسين، ووافقت وزارة الأوقاف والتعليم الأصلي في عهد الأستاذ الموفق (أحمد توفيق المدني) بضم المدرسة إلى مؤسساتها، وتحويلها إلى معهد إسلامي لتعليم العلوم الدينيّة، ليكون ضمن أوائل مؤسسات التعليم الأصلي العشرين على المستوى الوطني، وقد زاره السّيد وزير الأوقاف في ختام السّنة 1964م، وكان برفقته الأستاذ محمد صالح رمضان، والشّيخ نعيم النّعيمي، وأقيم بمناسبة خَتم السّنة الدراسيّة حفلٌ بهيج، تحدّث فيه السّيد الوزير، ونعيم النّعيمي، ومدير المعهد، والشّيخ توفيق سرور الأستاذ الأزهري المصري الذي أبهر الحضور ببلاغاته.

أدار الأستاذ (عيسى بسكر) المعهد الإسلامي في مرحلته الأولى بكفاءة عاليّة، وحقّق بمعيّة الفضلاء أمنيّة رجال جمعيّة العلماء، بأن يروا أبناءهم يأخذون تعليمهم في مدرسة جزائريّة خالصة، لقد تخرجت منه الكثير من الكفاءات العلميّة والإداريّة من مختلف الولايات القريبة من بوسعادة، ومازال بعض طلبته يذكرون باعتزاز نشاط الأستاذ عيسى وحيويته في الإدارة والتعليم. لقد تميز -كما وصفه من يعرفه - بعمق الثقافة وسعتها، مع الإحاطة بالعلوم المدنيّة والشّرعيّة، آخذا بناصيّة اللّغتين العربيّة والفرنسيّة، ملتزمٌ بآداب التعليم، محبٌ للعلم وأهله، فيه صرامةٌ وحزمٌ مع الطّلبة، فهو يعطي للتدريس أهميتَه، منصرفٌ إلى مجالسّة الأدباء والمثقفين وخاصة في بيته، ففي أواخر السّتينيات من القرن العشرين كان الأديب الشّيخ نعيم النّعيمي- المتعلقُ قلبُه ببوسعادة وأهلها- ينزل ضيفا في بيته، فتُخصّص له الغرفة المقابلة لقاعة الاستقبال، يقيمُ فيها الأيامَ ذوات العددِ، فيتحول البيتُ إلى مركزٍ ثقافيٍ يقصده رجال الثقافة والعلم من أبناء البلدة.

محمد بسكر

عيسى بن محمّد بن عبد الله التّلمساني
(749هـ - 1349م)

عيسى بن محمّد بن عبد الله التّلمساني، يكنى بأبي موسى، وشهرته ابن الامام لأنّ والده محمّد بن عبد الله التّلمساني كان إماما ببلدة برِشْك الواقعة على السّاحل الممتد ما بين شرشال وتنس فلُقب لذلك بالإمام. ونظرا لأن عيسى ولد بأحواز تنس يلقبه البعض بالتّنسي. يقول عنه الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي إنّه اشتهر مع شقيقه الأكبر عبد الرّحمن بالإمامة والرّئاسة في العلم ورسوخ القدم فيه. كانت ولادته في أواخر القرن السّابع للهجرة الثّالث عشر للميلاد ولم يضبط كُتاب السّير تاريخ الميلاد لكن وفاته كانت سنة 749 هـ الموافق لـ 1349 م، وهو ما يعني أنّه عاش منذ أواخر القرن السّابع حتى منتصف القرن الثّامن للهجرة؛ أي من أواخر القرن الثّالث عشر حتى منتصف القرن الرّابع عشر. تذكر كتب السّير أنّ والده الإمام محمّد بن عبد الله التّلمساني اتُّهم من طرف زيري بن مناد المنكلاتي المعروف بزيرم خلال استيلائه على حكم بلدة برِشْك سنة 683 هـ أي 1284م في قضية مالية ولما طالبه بها نفى عن نفسه تلك التّهمة وهو ما أدى إلى قتله. أثرت تلك الواقعة على نفسية عيسى وشقيقه الأكبر عبد الرّحمن فهجرا برِشْك ورحلا إلى تونس؛ حيث أخذ على مجموعة من العلماء ذُكر منهم ابن القطان وابن جماعة والمرجاني. بعدها انتقل مع شقيقه إلى المغرب وأخذ على جملة من مشايخها كان منهم السّطحي والطنجي، واليفرني وغيرهم. ثم عادا إلى الجزائر ورغبا في الإقامة ببلدهما برشك لكن وجود زيرم بها جعلهما يتوجهان إلى الجزائر؛ حيث استقرا بها ومارسا مهنة التّدريس لبعض الوقت.

لم يطل المقام بعيسى في مدينة الجزائر وانتقل رفقة شقيقه عبد الرّحمن إلى بلدة مليانة وكان منديل بن محمّد الكناني هوالقائم بجبايتها لصالح بني مرين، فلما "عرف منزلتهما وعلو كعبهما في العلم، اصطفاهما إليه وكلفهما بتعليم ولده محمّد" كما يقول الشّيخ عبد الرحمن الجيلالي. ولما استقر الوضع في تلمسان ورفع عنها الحصار من طرف بني مرين، توجه ابنيْ الإمام إليها وكان بها أبو حمو موسى الأوّل فقربهما إليه وابتنى لهما مدرسة بتلمسان، كانت الأولى من نوعها في ذلك العهد، وأُسند لهما التّدريس بها. فاستقر عيسى مع شقيقه عبد الرّحمن بتلمسان بقية حياتهما إلى أن وافاهما الأجل بها.

بعد وفاة أبي حمو موسى الأوّل، غادر عيسى الجزائر رفقة شقيقه عبد الرّحمن إلى المشرق سنة 720هـ/ 1320م؛ حيث كانت لهما لقاءات مع بعض كبار العلماء والمشايخ. وتسجل لنا السّير والتّراجم أنّه كان من بينهم الشّيخ ابن تيمية والشّيخ علاء الدّين القونوي وكذا الشّيخ جلال الدّين القزويني الذي، كما تذكر تلك السّير، كان يقول عنهما "بمثلهما تفخر بلاد المغرب"، بعد أن رأى منهما سِعة المعارف وقوة الحجة.

ولما رجع ابنا الإمام إلى تلمسان، كانت شهرتهما قد سبقتهما، فوفد عليهما طالبي العلم والمعرفة من كلّ حدب وصوب

واكتظت مجالسّهما بالعلم. وتخرج على يدّهما في ذلك العصر العديد من العلماء والمشايخ نذكر منهم أبو عثمان العُقباني والشّريف التّلمساني وأبو عبد الله اليحصبي وابن مرزوق الخطيب المعروف بالجد، والامام المقري الجد وحفيده هو صاحب كتاب نفح الطّيب، وغيرهم. وبعد وفاة السّلطان أبو حمو موسى الأوّل، تولى ابنه أبو تاشفين الأوّل الحكم فظلا لديه مكرّمين مبجليْن حتى وافاه الأجل.

تذكر بعض التّراجم أن ابنيْ الإمام أبو موسى عيسى وأبو زيد عبد الرّحمن تركا مجموعة من التّصانيف في قضايا عصرهما لكن يبدو أنها ضاعت ولم يصل منها شيء.

ومما يُروى عنهما أنهما "لم يكن في زمانهما أعظم رتبة ولا أعلم منهما" ويصفهما ابن الخطيب بـ "علماَ تلمسان الشّامخان وعالماها الرّاسخان". وقد توفي أبو موسى عيسى بتلمسان سنة 749هـ الموافق لسنة 1349م.

عامر بغدادي

المصادر:

- تاريخ الجزائر العامّ، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 2، دار الثّقافة بيروت.

عيسى بن مسعود المنـگلاتي
(664 هـ - 1265م/743هـ - 1342م)

الإمام العلّامة الموسوعي القاضي شرف الدّين عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيي بن يونس أبو الرّوح المنـگلاتي الزّواوي.

تقول عنه الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة كان فقيها، عالما، متفننا في العلوم ويقول عنه ابن فرحون: "صاحب الدّيباج المذهب في معرفة أعيان المذهب" إليه انتهت الفتوى في مذهب مالك في البلاد الشّاميّة والمصريّة.

ولد أبو الرّوح عيسى بن مسعود في آيث منكلاّت، بمنطقة عين الحمام حاليا ولايّة تيزي –وزو، سنة 664 هـ، وكانت آيث منكلاّت إحدى أهم القلاع العلميّة في بلاد زواوة كما يذكر ذلك الشّيخان الحسين الورتيلانى، والمهدي بوعبدلي، رحمهما الله، وبدأ بحفظ القرآن كما جرت العادة بالمنطقة، وأخذ المعلومات الأوّليّة عن أبيه، ثم تتلمذ لشيخ المنطقة الفقيه الشّيخ محمّد عبد الصّمد، أخذ عنه الفقه وعلوم العربيّة، وعندما أحس شيخه بنضجه، أرسله إلى بجاية، فأخذ عن شيوخ بجاية وما أكثرهم، وكان على رأس هؤلاء الفقيه أبو يوسف يعقوب الزّواوي، وقرأ عليه مذهب مالك، والموطأ، والبرهان في الأصول، ثم شد الرّحال عن طريق البحر إلى الإسكندريّة، فوصلها ومكث فيها ما يقرب من سنتين، التّقى فيها بعلمائها وفقهائها، ثم قرر العودة إلى الوطن، ولكنّه توقف في (قابس التّونسيّة)، فرحب به أيّما ترحيب، وفتحت له أبواب المساجد للتدريس، وعُرض عليه منصب القضاء فقام به لمدة سنتين.

ومن الأكيد أن أبا الرّوح لم يكمل المشوار إلى بلده، بل عاد أدراجه إلى المشرق من جديد، وتوقف بالإسكندريّة مرة أخرى، وكان أغزر علما، وأوسع أفقا، وأكثر تجربة، من ذي قبل، إذ استفاد فوائد جمة باحتكاكه بعلماء تونس، غير إنّه لم يمكث فيها طويلا، ثم رحل إلى القاهرة، فتصدّى للتدريس في جامع الأزهر في مختلف العلوم، الشّرعيّة واللغويّة والتّاريخيّة، فاجتمع عليه النّاس وأصبح اسمه يتداول في مختلف حلقات الدّروس، واتصل به علماء الأزهر، وخاصّة منهم الشّيخ شرف الدّين الدّمياطي، غير أن شيخنا كعادته يكره الرّكود والرّكون والقعود، فشد الرّحال من جديد وهذه المرة إلى بلاد الشّام، إلى دمشق، وبعد فترة وجيزة من وصوله إلى دمشق، أسندت له نيابة القضاء المالكي، لقاضي القضاة المالكي، وما كان هذا إلاّ أحد أبناء منطقته وهو العلاّمة الفقيه محمّد بن سليمان بن سومر البربري جمال الدّين الزّواوي الذي تولى منصب قاضي القضاة في دمشق، لمدة ثلاثين سنة، ومكث في هذا المنصب سنتين، وكان إلى جانب وظيفته القضائيّة، يتولّى التّدريس في الجامع الأموي، وفي هذه الفترة الشّاميّة، التّقى بابن تيميّة وتعرف به، واطلع على آرائه وسيجمع بينهما فيما بعد مجلس مناظرة، ولكن في القاهرة كما سيأتي، ومكث في دمشق سنتين ثم عاد ادراجه الى القاهرة، وأسندت له نيابة القضاء المالكي، لقاضي القضاة زين الدّين بن مخلوف المالكي، وقد استمرّ في أداء وظيفته القضائيّة لمدة تزيد عن بضع سنين، ثم استقرّ رأيه عن الابتعاد عن الحكم ودواليبه، وتفرغ للتدريس والتّأليف فتولى تدريس المذهب المالكي في الزّاويّة المالكيّة، فدرس الأصلين، والفقه والأصول وعلم الكلام، وعلوم اللغة، والتّاريخ، وإلى جانب تدريسه بالزّاويّة المالكيّة، درس في مختلف مدارس القاهرة، وكانت له اليد الطّولى كما يقول مترجموه في الفقه، والأصول، والعربيّة، والفرائض، والحساب، وله معرفة كبيرة في الأقاليم والبلدان كما اورد ذلك ابن فضل الله العمري في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"ج1 صـ17، وكذلك له اطلاع واسع في علوم التّاريخ كما ذكر ذلك (القلقشندي) في كتابه (صبح الاعشى).

كما إنّه إلى جانب ذلك يمتاز بذاكرة فريدة، إذ يقول ابن فرحون صاحب (الدّيباج المذهب) إنّه حفظ مختصر ابن الحاجب في الفروع في ظرف ستة أشهر، وحفظ موطأ مالك وغيرها من الأمهات، وانتهت إليه رئاسة الفتوى في المذهب بمصر والشّام.

وكان شيخنا يمثّل في زمانه التّيار المعتدل، من العلماء والفقهاء، فهو يبغض التّعصب وينكر التّطرف، ويأخذ على أيدي المتعصبين للمذهبيّة، ومن نتائج بغضه للتعصب المذهبي إنّه ألف كتابا في مناقب

الإمام الشّافعي، كما ألف في مناقب الإمام مالك، كما إنّه كان حربا على غلاة الصّوفيّة، كذلك لم يكن ينظر بنظرة ارتياح لدعاة السّلفيّة، واحتراما لمبدئه هذا، كان في طليعة العلماء الذين كفروا محي الدّين ابن عربي، وهم كثر أمثال سلطان العلماء العز بن عبد السّلام، وابن الحاجب، وابن دقيق العيد، وابن خلدون.

وعندما عقد مجلس لابن تيميّة، في حضرة السّلطان النّاصر أحمد بن قلاوون سلطان مصر، وتحت رئاسة قاضي القضاة الشّافعي بدرالدّين بن جماعة، وبحضور قضاة القضاة المذاهب الأربعة والعلماء والفقهاء، لمسائلته عن بعض الأقوال والآراء، التي صدرت عنه في الفروع، وفي العقيدة، لم يكن الذي انتدب لمناظرته سوى الشّيخ أبي الرّوح المنگلاتي، فقال إن هذا الرّجل أي ابن تيميّة، قال كذا وكذا وعدد ما أُنكر عليه، وأحضر العقود أي الحجج بذلك، ووضعها بين يدي قاضي القضاة، فقال قاضي القضاة لابن تيميّة ما تقول؟ فلم يكن جوابه إلا قوله لا إله إلا الله.

لقد وقف أبو الرّوح المنگلاتي، من الفئتين، أو الفرقتين المتخاصمتين، فئة غلاة الصّوفيّة، وكبيرهم محي الدّين ابن عربي، الذي حاول أن يغرق عقيدتنا السّمحاء الواضحة المتلألئة، تلألؤ الشّمس في رابعة النّهار، في مستنقع الفلسفة الهنديّة التي تقول بوحدة الوجود ونظريّة الحلول والتّناسخ، وأن الوجود واحد والتّعدد الذي نلاحظه هو تعدد في الشّكل لا في ذات الوجود وفي هذا يقول ابن عربي:

يا خالق الوجود في نفسه
أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما ينتهي كونه فيك
فأنت الضيق الواسع

والفئة الثّانيّة هي التي تَدَعي السّلفيّة ويتزعمها ابن تيميّة، وتدعي إنّها تعتمد في الأصول والفروع، على الكتاب والسّنة خاصّة، ولكن يستندون كثيرا على احاديث الآحاد والغريبة والمقطوعة بينما المتفق عليه بين مختلف المذاهب ان الاحاديث التي تبنى عليها الاحكام الشّرعيّة هي الاحاديث الصّحيحة والمتواترة، وتتجاوز كل ما أنتجته عقول أجيال من الأئمة والعلماء، ونتج عن ذلك الشّطط والغلو والتّشدد، الاصطدام بجمهور العلماء، حتى من الحنابلة الذين ينتمون إليهم.

لقد كان موقف شيخنا المنكلاتي موقفا صارما حادا، كفر ابن عربي، ومن دعا بدعوته، وناقش ابن تيميّة نقاشا علميا جادا، رد عليه أقواله وأبطل حججه، فهو بحق يمثل العلماء الوسطيين الذين ينبذون التّطرف والشّطط والتّعصب، وما أحوج الأمّة اليوم لمثل هؤلاء العلماء، ليردوا عنها سهام الحاقدين، وكيد الكائدين، وبوائق المتعصبين الجامدين، وزور الغلاة المتطرفين الذين لا يرون الحق إلاّ فيما يرونه.

ولشيخنا صولات وجولات في نبذ التّعصب والتّطرف وسلوك سبيل الوسطيّة من ذلك ما نقلته كتب التّراجم من كتابه (مناقب الإمام مالك) وأوردته هيئة كبار العلماء في السّعوديّة في أبحاثها وهو عبارة عن حوار بين الخليفة أبي جعفر المنصور والإمام مالك حول القضاء على الاختلاف الواقع بين المسلمين في مختلف أوطانهم.

فقد نقل أن الخليفة العبّاسي أبا جعفر المنصور بعث إلى الإمام مالك لما زار المدينة فقال"إن النّاس قد اختلفوا في العراق فضع كتابا للناس نجمعهم عليه، ومع ذلك اجتنب فيه شواذ ابن عبّاس وشذوذ ابن عمر، ورخص ابن مسعود، فوضع مالك الموطأ، فأراد أبو جعفر أن يفرضه على النّاس، فقال مالك ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، أن تحمل النّاس على قول رجل واحد، يخطئ ويصيب، وإنما الحق من رسول الله صلي الله عليه وسلم، وقد تفرقت أصحابه في البلدان وقلد كل أهل بلد من صار إليهم، فأقرّ كل بلد على ما عندهم" وعلّق شيخنا على ذلك فقال انظر إنصاف مالك رضي الله عنه وصحة دينه وحسن نظره للمسلمين ونصيحته لأمير

المؤمنين ولو كان غيره من الأغبياء المقلدين والعتاة المتعصبين والحسدة المتدينين لظن أن الحق فيما هو عليه ومعقود على ما ينسب إليه وأجاب أمير المؤمنين إلى ما أراد وأثار بذلك الفتنة وأدخل الفساد في الأمّة.

آثاره:

- شرح صحيح مسلم، وسماه إكمال الكمال في 12 جزءا رتبه الشّيخ رشيد رضا، في مجلّة المنار، في المرتبة الثّانيّة، بعد شرح الإمام النّووي، من ضمن 15 شرحا لصحيح مسلم.
- شرح مختصر ابن الحاجب لم يكمله وصل إلى باب الصّيد في7 مجلدات.
- شرح المدونة.
- شرح جامع الأمهات لابن الحاجب.
- شرح مختصر أبي يوسف.
- الوثائق والمناسك في علم المساحة.
- مناقب الإمام مالك وهو الوحيد المطبوع من كتبه.
- مناقب الإمام الشّافعي.
- كتاب في التّاريخ في 10 مجلدات من آدم إلى زمانه واهتم خاصّة بقصص الأنبياء.

وتوفّي شيخنا العلّامة شرف الدّين عيسى بن مسعود أبو الرّوح المنگلاتي الزّواوي في شهر رجب سنة 743هـ، في القاهرة ودفن إلى جوار الإمام الشّافعي في مقبرة القرافة رحمه الله ورضي عنه

محمّد الصّغير بن لعلام

المصادر:
- الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة.

■ عيسى بهدي
(1377هـ - 1958م/1441هـ - 2020م)

من الأكاديميين المعاصرين ولد ببلدة بريان ولاية غرداية، أستاذ التعليم العالي وباحث بجامعة قاصدي مرباح ورگلة، قسم العلوم الاقتصاديّة، كليّة العلوم الاقتصاديّة والتجاريّة وعلوم التسيير.

شهادة الدراسات العليا في الرّياضيات، احتمالات وإحصاء، جانفي 1985

ماجستير في الطرق الكميّة تاريخ المناقشة 28/ 12/ 2019، بعنوان: Analyse séquentielle de la fonction d'épargne avec une confection de la matrice des comptes de base.

بحث دكتوراه دولة تاريخ المناقشة 22/ 12/ 2005، بعنوان: رسم ملامح النموذج للتسيير الاستراتيجي لعينة من المؤسّسات الاقتصاديّة وفق التّنظيم الشّبكي.

الخبرة المهنيّة

- مساعد: جامعة باب الزّوار من 86 الى 88
- أستاذ مساعد: المركز الجامعي للأغواط من 13/ 02/ 88 إلى 31/ 07/ 96
- أستاذ مساعد مكلف بالدروس: المركز الجامعي للأغواط من 01/ 08/ 96 إلى 30/ 09/ 98
- أستاذ مساعد: المركز الجامعي لورگلة من 01/ 10/ 98 إلى 01/ 10/ 2000
- أستاذ مساعد مكلف بالدروس: المركز الجامعي لورگلة من 01/ 10/ 2000 إلى 22/ 12/ 2005
- أستاذ محاضر: جامعة قاصدي مرباح لورگلة من 22/ 12/ 2005 إلى 26/ 06/ 2014.
- أستاذ التعليم العالي: جامعة قاصدي مرباح لورگلة منذ 26/ 06/ 2014.

الأنشطة البيداغوجيّة:

قام بتدريس كل التخصّصات في التّدرج من قسم الهندسة، قسم الرّياضيات،



قسم الإعلام الآلي، قسم الفلاحة، قسم البيولوجيّة، جدع مشترك تكنولوجيّة، قسم إعلام آلي، قسم علوم التسيير، وقسم الاقتصاد، كما درس طلبة ما بعد التّدرج ماجستير وطلبة الدكتوراه.

المؤلفات البيداغوجيّة:

ترك عدّة مسودات في طور التحضير للطبع وهي: تحليل المعطيات - الإحصاء التطبيق - الإحصاء الرّياضي - الجبر الخطي - السّبر والمعاينة.

المطبوعات الجامعيّة:

السّيرورات العشوائيّة، مطبوعة الكترونيّة في موقع E-LEARNING جامعة قاصدي مرباح، ورگلة، 2012/ 2013.

أطر العديد من بحوث التخرج في مختلف أطوار التدرج، وعرف بجديته وصرامته في الإشراف، أشرف على أطروحة دكتوراه فلسطينيّة، بعنوان: تقدير دوال الطلب على القوى العاملة الفلسطينيّة في مناطق السّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة 1997-2011، للطالب جلال نافل سلام شيخ العيد، نوقشت في 10/ 03/ 2013 كما أشرف وناقش أربع رسائل ماجستير وعدد من مذكرات الماستر.

له مشاركات عدّة في ملتقيات وطنيّة ودوليّة ضمن التخصّص، وأشرف على رئاسة أيام علميّة ودراسيّة عدّة في جامعة ورگلة، وخبير محكم في المجلات العلميّة وملفات التأهيل الجامعي للأساتذة، بحيث نشر بحثين دوليين وبحوث في مجلات وطنيّة.

المقالات المنشورة في مجلة الباحث بجامعة ورگلة:

- قياس اثر النمو الاقتصادي على معدلات البطالة في الأراضي الفلسطينيّة للفترة 1996 - 2011
- قياس اثر اختلال سعر الصرف على متغيرات نموذج هيكلي للاقتصاد الجزائري للفترة بين 1970-2012
- عضو مخبر البحث (أداء المؤسسات والاقتصاديات في ظل العولمة) بجامعة ورگلة منذ 2009.
- رئيس فريق بحث (رسم ملامح لتنظيم مؤسسات الصناعات التقليديّة وفق النظام الشّبكي في الجزائر).

الأنشطة الإداريّة:

- رئيس قسم علوم التسيير 2008 - 2009.
- عميد الكليّة 2009 - 2014.
- مسؤول فريق التكوين في الماستر تخصّص، اقتصاد قياسي 2012 / 2014.
- رئيس مشروع ماجستير (اقتصاد تطبيقي) 2007/ 2008.
- عضو اللجنة البيداغوجيّة للماجستير 2009/ 2010.
- عضو لجنة التكوين في الدكتوراه: الطور الثالث تخصّص الإدارة الاستراتيجيّة والابتكار منذ 2012.
- عضو اللجنة العلميّة للقسم والمجلس العلمي للكليّة والمجلس العلمي للجامعة 2005 - 2014.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصدر:

- استمارات معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التراث، القرارة - غرداية، 5 صفحات مرقونة.
- سيرة ذاتيّة للفقيد.

■ عيسى عليّة
(1300هـ - 1883م/1365هـ - 1946م)

الشّيخ أبو إبراهيم عيسى بن السّعيد عليّة الإبراهيمي الدِّيسي الإبراهيمي، ولد في قريّة الزّرارقة من ولايّة المسيلة سنة 1883م، وفيها حفظ جزءًا من القرآن الكريم، ولما بلغ سنَّ اثنتي عشرة سنة توجَّهَ إلى زاويّة الهامل حيث أتمَّ حفظ القرآن الكريم، وأكمل معلوماته ودراسته على العالم الشّهير "محمّد بن عبد الرحمن الدِّيسي" الّذي كان شديد الإعجاب به، وقد لازمَهُ ملازمةً شديدةً وأخذ عنه الكثيرَ، وكان الدِّيسيُّ ضريرًا فكانَ يقرأُ له ويكتب وينتفع في الوقتِ نفسِهِ بعلومه ومعارفه.

ولمَّا زار الشّيخَ الدّيسيّ أبو النّهضة الجزائريّة الشّيخ عبد الحميد بن باديس في قريّة الدِّيس المشهورة قَدَّمَهُ إليه وعَرَّفَهُ بِهِ ومِن ثَمَّ تَوَثَّقتْ الصّلةُ بينهما، قضى الشّيخُ عيسى في الزّاويّة وملازمةِ الأستاذ الدِّيسيّ قرابةَ خمسة عشر عامًا فتخرَّج مع إذنٍ له بالتّدريس، بدأ الجهرَ بالدّعوة الإصلاحيّة لمّا استقرّ بِهِ المقام بقريّة "سيدي عيسى"، فأخذ يدعو إلى الإصلاح ومحاربة الجهل والجمود ونَبْذِ الأوهام الّتي مرّغت النّاس في الأَوْحَال في الأَخْوَاز والأَعْراش.

كما دعا الشّيخُ إلى بناء مسجدٍ في القريّة تُؤدَّى فيه الصلوات وتلقى فيه دروس الوعظ والإرشاد، فلم يستجب لدعوته إلّا النّزر القليل، فاستعانَ بالله تعالى، وقام على ضعفِ الحال وقلّة المساعد والمعين له بالمال باذلاً لجهده ومخلصًا في قصده، فأسّس مسجدًا وبنى بإزائهِ مكتبًا عربيًّا لتعليم أبناء الأهالي الكتاب العزيز والعلم الشّريف، وشاركه في البعض منه صاحبُ المروءة والكرم السّيّد محمّد بن الحاج قويدر، وبعد عام كامل من البناء أُقيم حفلُ تدشينِهِ، ووَفَدَ عليه من بوسعادة البعضُ من علمائها المتنوّرين، وبعض أعيان النّاحيّة وأفاضلها، ثمّ قام الشّيخ عيسى فَرَقى المنبر، وألقى على مسامع الجمهور خطبةً فائقةً تضمّنت الحثّ على عمارة المساجد وبيان فضلها وثمرتها وفضل مؤسّسها والمعين على بنائها وما ورد في ذلك من الآيات الصريحة وأعقب ذلك بالترغيب في التّعاون والتّعاضد ومدّ يد المساعدة، وذكر أنّ الوطنَ في حاجةٍ إلى رجال عالمين بما يجبُ عليهم لأبناء جنسهم عاملين بما يطلبه منهم دينهم ووطنُهُم.

ولمّا برزت جمعيّة العلماء إلى ميدان العمل اعْتَمَدَتْهُ في تلك النّواحي المظلمة، فقام بما عُهِد إليه أحسنَ قيام وبَذَلَ مجهوداتٍ جبّارة ومساعي مشكورة في الإصلاح والنّهضة الإصلاحيّة.

كانت هذه القريّة مَرْتَعًا خَصْبًا للجهل والخرافات ومركزًا لقطع الطّريق واللُّصوص، وبدأ يُشجّع النّاس على التّعليم ويُهِيبُ بهم أن يطلبوا الإسلام من مصدَرَيه الصّحيحين وينبذوا ما سواهما من الاختلافات المذهبيّة، وأخذ يُقاومُ البدع الّتي شوّهت الإسلام وذهبت بتعاليمه السّاميّة من النّفوس حتّى تركَتْهَا تَتَخَبَّطُ في الظّلام، وذلك بالدُّروس والمحاضرات والتّآليف فكان يُضمِّنها من الحجج القويّة والاستدلال الصّحيح من الكتاب والسّنّة وما اجتمع عليه سلف الأمّة ما يَقْصِمُ ظَهْرَ كلّ متكبّر ومعاند ويخرس كلّ لسان أفّاك.

لقي الشّيخ من أصحاب البدع والخرافات مقاومة شديدةً فثاروا عليه وعلى الإصلاح الّذي جاء به ثورة جنونيّة، فلم يحكّموا العقل فيها ويلتجئوا إلى الأساليب المعقولة، فقابل هذه الثّورة الجامحة بحِكْمةٍ وعزمٍ وصبرٍ ورباطةِ جَأْشٍ، وقال لهم إن كنتم تُريدون الإسلام فهَلُمَّ نحكّم قرآنَهُ حتّى يتبيّن الحقّ من الباطل والصّواب من الخطأ، ولكن القوم لم يَدُرْ في خلدهم هذا بل جابهوه مِن أوّلِ مرّةٍ بالعُنْف فأَغْرَوا به العامّة وسلّطوا عليه سفهاءهم حتّى ضربوه في السّوق علانيّة بدون خجلٍ، وقام المصلحون يدافعون عنه وكادت تكون فتنة، فقَضَى عليها في مهدها بكلماتٍ لطيفةٍ حسمت النّزاع من ساعته، غير أنّ القضيّة رُفعت إلى الحكومة من حيث لا يشعر ولمّا علم بها سحبها في الحال فناقشه القاضي في ذلك فقال له: إنّ القضيّة لا تعدو قضيّة عائلة وأحقّ بالنّظر فيها جماعةٌ من المسلمين، بهذا الحِلْم والموقف الرّائع كَسَبَ أنصارًا جُدُدًا للحركة الإصلاحيّة.

ولم يكن الحكام الاستعماريّون ولا أذنابُهم ليستسلموا لانتصاراتِ الشّيخ والنّجاحاتِ التي حقّقها في البلدة، والّتي خافوا منها على ذهاب سلطانهم وزوال نفوذهم، فصاروا ينتهزون الفرصة للإيقاع به، وتآمرت الطّائفةُ الضّالّةُ المتآمرةُ على مصالح الأمّة وعلى دينها وصارت تَكِيدُ له من حينٍ لآخر وتتربَّصُ به الدَّوائر حتّى جاءت حوادث 8 ماي المشؤومة سنة 1945م فاعتبرتها فوزًا كبيرًا ونَصْرًا حاسمًا لخطُّتها المجرمة فَوَشَتْ به إلى الحكومة بدعوى أنّه يحثّ النّاس على الثّورة فألقت هذه عليه القبض ونَفَتْهُ إلى صحراء "كلومب بشار" مع المنفيِّين فاعتراه داءٌ عضال واشتدّت به وطأة المرض فنُقل إلى مستشفى "سيدي بلعباس" وبعد ما يَقربُ من عامٍ بين المعتقل والمستشفى أُطلق سراحُهُ بعد أن فقدَ كلَّ قواه البدنيّة لاعتلال صحّته، وللتّسمّم الّذي تعرّض له.

لَزِمَ الشّيخ عيسى الفراش مُعْتَلاًّ بعد الإفراج عنهُ، ولئن كان ببدنه مُقعدًا متخلِّفًا عن إخوانه المصلحين الّذين كانوا يستعدّون لبعث نشاط "جمعيّة العلماء" من جديد، واستئناف أعمالها وإعادة فتح مدارسها رافِعِينَ بذلك تحدِّيًا للحكومةِ الاستعماريّة، فإنّه كان معهم بقلبه، يتطلَّعُ لسماع انتصاراتِ إخوانه على قِوَى المَكْر وأحلاف الجهل والجمود، وكان يأملُ أن لو كان صحيحًا فيقف مواقفهم ويشدّ مِن أزرهم ويقوّي جمعهم.

وللشيخ عيسى آثار علميّة مطبوعة ومخطوطة، منها:

- رسالةُ الأَسِنَّة في الرّدّ على مَن آمن بالطّاغوت وخَالَفَ السّنَّة، وقد طُبعت بمطبعة الاتّحاد في تونس سنة 1936م.
- كشف الخبايا في ابن الزّوايا، وقد صُدِّرَتْ هذه الرّسالة باسمٍ مستعار، هو: الجزائريّ العربي بن الطّاهر، وطُبعت في المطبعة

العربيّة، 70 نهج روفيكو بالجزائر سنة 1935م.
- رسالةُ الصَّوَارِمِ والأَسِنَّة في نَحْرِ مُنْكِرِي العَمَلِ بالسّنَّة (مخطوط).
- مقالات عديدة (مخطوطة).
- فتاوى شرعيّة علميّة(مخطوطة).
- خطب منبريّة(مخطوطة).

كما تحوي مكتبتُهُ مجموعةَ مُكَاتَبَاتٍ مِنْ رجالِ جمعيّة العلماء: ابن باديس والعُقبي والتّبسيّ ومحمّد العيد وغيرهم.

تُوفِّي يوم 16 ديسمبر 1946م، وكان يومُ دفنه في "سيدي عيسى" يومًا مشهودًا، صلّى عليه خلقٌ كثير من دائرة بوسعادة والمسيلة وسور الغزلان ومن كلّ النّواحي.

رابح دوب

المصادر:
- فضلاء محمّد الحسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2000.
- أبو محمّد سعيد هرماس، طبقات المالكيّة الجزائريين خلال المئة الهجريّة الأخيرة، دار صبحي للطباعة والنّشر، غارداية- الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013م.

■ عيسى مسعودي
(1349هـ - 1931م/1414هـ - 1994م)

ولد (محمّد عيسى مسعودي) في 12 ماي 1931م، في وهران، من عائلة بسيطة فقيرة، تعلّم العربيّة في كُتّاب القريّة، وأكمل تعليمه في ثانويّة بوهران؛ فتحصّل على الأهليّة، ثمّ قصد معهد ابن باديس في قسنطينة. ومنها إلى الزّيتونة بصحبة جدّه الذي كان مدرّساً في تونس. وفي تونس ينخرط في حزب انتصار الحريات الدّيمقراطيّة، كما يشغل منصب رئيس جمعيّة الطّلبة الجزائريين عام 1956م. وفي ظلّ ما تعرفه الثّورة الجزائريّة في الخارج من تحرّكات واستعدادات وتنظيمات وتدعيم من الجاليّة المهاجرة، يُعيّن في الإذاعة السّريّة في الحدود المغربيّة (صوت الجزائر الحرّة) التي انطلقت في 16 ديسمبر 1956م، وبعد مدّة يصبح رئيس تحريرها وأشهر مذيعيها، وهذا لتفاعله ونشاطه أثناء التّعليق على الأحداث السّياسيّة والعمليات العسكريّة. وفي المملكة المغربيّة يكتسب تجربة أخرى، وينتقل مع الجهاز اللاسلكي إلى النّاظور. وتتضارب الآراء في التّواريخ والتّسميات، ففي 12 جويليّة 1959، ينتقل (عيسى مسعودي) "إلى إذاعة النّاظور بالمغرب لتقديم برنامج (صوت الجزائر المكافحة) بعد التّحاقه بجهاز اللاسلكي التّابع لجيش التّحرير الوطنيّ، وبعدها يعيّن بإذاعة الجزائر الحرّة المكافحة، لتقديم برنامج (صوت الجزائر العربيّة) تحت شعار: هنا إذاعة الجزائر المكافحة، أو صوت جبهة التّحرير تخاطبكم من قلب



الجزائر، إذ دشنت هذه الإذاعة من طرف كلّ من (أمحمّد يزيد) و(سعد دحلب) والبرنامج كان متضمّناً لبيانات عسكريّة باللغات العربيّة والفرنسيّة والأمازيغيّة؛ تفنّد ما كان يُروّجه العدوّ من أخبار كاذبة عن جيش التّحرير". ولذلك أعادته القيادة السّياسيّة مرّة أخرى إلى (تونس) سنة 1961م ليشرف على (صوت الجزائر) ويشهد له أصحابه أنّ له نشاطاً حيويّاً من خلال حصص كان يُعدّها؛ حصص تعمل على الرّفع من معنويات الجنود والشّعب؛ وهي بمثابة الخميرة التي تعطي الانتفاخ السّريع في العجينة. ومن خلال هذا، كان لصوته وكلماته الأثر المساعد على نجاح الثّورة، وفيه قال الرّئيس بومدين: (إنّ صوت عيسى مسعودي شكّل نصف الثّورة).

لقد شكّلت الإذاعة السّريّة الجزائريّة الوجهَ الأبرزَ للتّحدّي، واعتبرت منبراً للإعلام الدّاخليّ والخارجيّ، وتحدّي قوّة فرنسا بشاحنة متنقّلة، وعبر بطّاريات بسيطة تشحن الهمم، أو عبر لاسلكي بسيط يثير النّهم، أو مكتب سرّي يقوم على نقل صوت الثّورة دون وهم، وكان كلّ ذلك الوجه الأبرز لركوب التّحديّ بالصّوت والقلم. ولقد كان صوت (عيسى مسعودي) توقيتاً يتحلّق حوله الجزائريون ليسمعوا تلك الكلمات الرّنانة "هنا إذاعة الجزائر الحرّة المكافحة... صوت جيش التّحرير وجبهة التّحرير الوطنيّ... يخاطبكم من قلب الجزائر" هي عبارات تهزّ الجماهير الجزائريّة وتطربها، وتقضُّ مضجع المستدمِر وتزعجه. إنّها صادرة من الإذاعي المشهور (عيسى مسعودي) الصّوت الحماسي الأبرز. وهكذا قال الكاتب التّونسي (المنصف بن فرج) في كتابه (ملحمة النّضال التّونسيّ الجزائريّ) "كانت تكتسي أهميّة تكمن خاصّة في الصّوت الحماسيّ للمذيع الجزائريّ عيسى مسعودي، الذي يُعتبر من أبرز الأصوات الجزائريّة المُؤثّرة في معركة التّحرير الجزائري".

بتلك الكلمات المنافحة، وبنبرات (عيسى مسعودي) عاش الثّوار والشّعب الجزائري لحظات التّلاحم مع القيادة برجال صنعوا النّقلة النّوعيّة في الإعلام الثّوري. هي كلمات وأصوات ترفع الكلمات، ومنها تصنع الحدث بنبرات الإيمان التي تنقش أفق المرحلة القادمة من التّفاؤل، مرحلة التّأكيد على الهويّة والحضارة العربيّة الإسلاميّة والإيمان بالعمل الثّوري الذي يأتي بالاستقلال؛ مرحلة يلتقي حولها الجزائريّون الفدائيّون والمجاهدون والمسبّلون، بنبض الفدائيّ الإعلاميّ

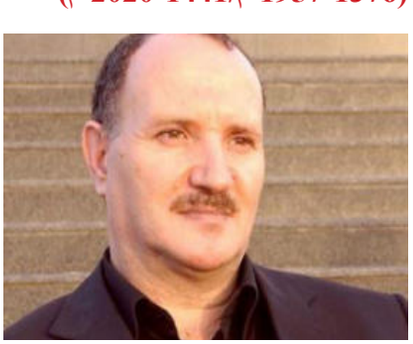
الفدائيّ الذي يسيطر على الأسماع، ويرمي بوهج الثّورة على القلوب بالتّماع، فالثّورة تلقى في الشّارع، والشّعب يحتضنها ويعدّها بالانتصار البارع.

إنّ السّلاح الرّابع له من القوّة ما له، فهو لا يكفي إنّه سلاح بل إنّه حامل لرسالة التّعليم والتّوجيه وبثّ الرّوح الوطنيّة، وهذا وجه من أوجه فنّ إتقان المهنة الإعلاميّة التي تزيد في تمتين اللحمة الوطنيّة، وتصدّ تخريب الهويّة. أليس (عيسى مسعودي) من طينة أوّلئك الإعلاميين النّاجحين الوطنيين الذين يستحقّون أن يكونوا نماذج لإعلام وطنيّ مزيد. لقد انتصرت الثّورة، وما كان ليكون الانتصار إلاّ بتعاضد ميدان الإعلام في معركة الثّورة التي غيّرت مجرى الحياة السّياسيّة، ولهذا من الأهميّة الاعتبار من فِعْلِ هذا الرّجل الإعلاميّ البارز الذي حمل الميكروفون؛ وهو سلاح الكلمة والصّوت، سلاح أَوْصَلَ الثّورةَ الجزائريّة إلى أبعد نقطة في العالم، سلاح يلتهب ناراً وهّاجاً سلاح الصّوت الرّمز البارز في الثّورة الجزائريّة ينير سراجاً. فلنعتبر من سلاح الإعلام؛ فهو أقوى من الرّصاصة، ومن الشّخص الذي شكّل نصف الثّورة، ومُنِحَ جائزة التّميّز الإعلاميّ العربيّ في مجال الإذاعة المسموعة. فحُقّ بذلك للجزائر تخليد صدى صوته، وهو تخليد هذا المجاهد الشّجاع من حجم العمالقة الكبار الذين وظّفوا الكلمة والصّوت، لإيقاظ الضّمائر والنّخوة، والتّعبير عن استياء ورفض شعب بأكمله للاستبداد. إنّه (عيسى مسعودي) وهو غير مبال بتهديدات فرنسا له؛ فاخترق صوته القويّ الدّافئ الجبال والمداشر والمدن، وتجاوز الصّوت الأذان؛ ليتسلّل لقلوب شعوب أخرى مناهضة للظّلم والاستعباد. وهكذا حتى لا ننسى الأمجاد من الإعلاميين الذين صنعوا تاريخ الثّورة وأيقنوا بنجاحها، والإعلاميّ (عيسى مسعودي) من هؤلاء الذين كان لهم الأثر البليغ، وأنّ وقْع الصّوت والكلمة كانا بالفعل أقوى من صوت المدفع والرّشاش والرّصاص.

وبعد هذه المسيرة النّضاليّة بدأت مسيرة البناء الوطنيّ، فيكون أوّل مدير الإذاعة والتّلفزيون في دولة الاستقلال، وهذا بتاريخ 28 أكتوبر 1962م، ويحمل همّ تطوير الإعلام لمواكبة البناء الوطنيّ في ظلّ تحدّيات جديدة لم يسبق له أن اقتحمها. وخلال سنوات قليلات يعمل على تطوير قطاع السّمعي البصري. وبذات الحماس وأكثر، وبشخصيّة صامدة ويكون أحد أعمدة جريدة الشّعب الوطنيّة؛ لسان حال الشّعب الجزائريّ، وأحد رُواد الفكر والثّقافة في بلادنا، وهو اسم أشهر من نار على علم. وبعد مسيرة حافلة بالنّضال في مجال الإعلام، يرحل الرّجل الذي لم تقهره فرنسا بجبروتها لتوفّيه المنيّة في 14 ديسمبر 1994، فغاب الرّجل لكن الصّوت لا يزال حاضراً دوماً، وكيف يغيب صوت الجزائر، والخلائف كثّر، وإعلامنا يتألّق بمسيرة أمثال من صنعوا المجدة بأثر.

صالح بلعيد

عـــــيـــــاّش يحياوي
(1376هـ-1957م/1441هـ-2020م)



هو عيّاش يحياوي؛ وُلد سنة: (1376هـ/ 1957م) في منطقة (عين الخضراء)؛ التي تقع في الجانب الشّرقي من مدينة (المسيلة) الجزائريّة العريقة، ونشأ في أسرة بسيطة ومتواضعة، وترعرع في كُتاب منطقته؛ فحفظ قسطاً من القرآن الكريم بها، وبعد أن زاول تعليمه الأول؛ تلقى المبادئ الأوليّة في الفقه، والنّحو، والعقائد، وبعد إتمامه لمراحل التّعليم القاعدي، تخرج بتفوق من المعهد التّكنولوجي لتكوين الأساتذة ببوزريعة في (الجزائر العاصمة) وبعدها انضمّ للعمل في قطاع الصّحافة، وعمل بجريدة (الشّعب)، واشتغل لعدّة سنوات في أسبوعيّة: (الشّروق العربي)، وأصبح مديراً جهوياً لجريدة (الشّروق) بالغرب الجزائري في مدينة (وهران)، وكتب فيها مقالات كثيرة، وبعد أن انتقل إلى دولة الإمارات العربيّة المتّحدة سنة: (1418هـ/ 1998م) عُيّن محاضراً في (أكاديميّة الشّعر) بأبوظبي، وأصبح كبير الباحثين في(دائرة الثّقافة والسّياحة بأبوظبي)؛ حيث عمل بها سنوات طويلة، وأصدر عشرات الأعمال العلميّة التي تتصل بالتّراث الثّقافي في دولة الإمارات العربيّة المتحدة، والخليج العربي، كما تولى رئاسة مكتب جريدة (الخليج)؛ التّابع لصحيفة الخليج الإماراتيّة العريقة، كما رأس قسمها الثّقافي لعدة سنوات؛ وبفضل جهوده الكبيرة أضحت الصّحيفة من أهم وسائل الإعلام المُهتمة بالشّؤون الثّقافيّة على مستوى الخليج العربي، وقد عُيّن بعدها مُديراً لتحرير الصّحيفة (الخليج) كما أشرف على تحرير مجلة (شاعر المليون) وتولى التّدقيق اللُّغوي فيها، ونظراً لخبرته، وتميُّزه، ودقته؛ فقد عُيّن عضواً لتحكيم العديد من المسابقات العلميّة، والثّقافيّة، والأدبيّة، ومن بينها: (مسابقة رابطة

أديبات الإمارات)، و(جائزة لطيفة بنت محمّد لإبداعات الطّفولة)، و(مهرجان الشّعر العُماني)، وكان عضواً في اتّحاد الكتّاب الجزائريين منذ سنوات الثّمانينيات من القرن المنصرم، وقد توفي الأستاذ (عيّاش يحياوي) بدولة الإمارات العربيّة المتحدة في مدينة (أبو ظبي) يوم الاثنين: (22جُمادى الآخرة1441هـ) المُوافق لـ (17فيفري2020م) .

ولا يُمكن لكل من يتحدث عن الباحث والأديب (عيّاش يحياوي) أن يُغفل الحديث عن أنشطته الثّقافيّة، والأدبيّة المُتنوعة، والغزيرة، إلى درجة يصعب الإلمام بها؛ فهو يُعدّ صوتاً شعرياً متميزاً، وصاحب تجربة شعريّة باذخة؛ أسهمت بشكل كبير في تطوير مسار الحركة الشّعريّة الجزائريّة المُعاصرة؛ فالشّاعر (عيّاش يحياوي) أحد الوجوه الثّقافيّة والأدبيّة البارزة على مستوى المشهد الثّقافي، والإبداعي الجزائري، امتدت تجربته مع الكتابة إلى أكثر من أربعة عقود، تميّز بالغزارة في كتابة النّصوص الشّعريّة؛ فقد أسس لنفسه مكانة داخل الإبداع الأدبي الجزائري منذ عمله الأول الموسوم ب: (تأمُّل في وَجه الثّورة) (1983م) وما تبعه من أعمال إبداعيّة أخرى تكتسي أهميّة بالغة، وهي ما تزال بحاجة إلى دراسات عميقة، وتأويلات مُتعددة، ومتنوعة، ومن بينها نذكر: (عاشق الأرض والسّنبلة)، والذي صدر سنة: (1986م) و(وشم على وجه حفيد)، و(صهيل الأحزان)، و(انشطارات الذي عاش سهواً)، سنة: (2000م) و(الصّعلوك)، و(عبور الجنازة ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذيّة)، والذي صدر عام: (2000م) و(قمر الشّاي)، وقد طُبع عام: (2008م) و(جزر الإمارات المُحتلة: طنب الكبرى، وطنب الصّغرى، وأبو موسى)، و(تباريح بدوي متجول)، والذي صدر عام: (2010م) وغيرها.

كما أنجز الباحث والأديب (عيّاش يحياوي) مجموعة من الدّراسات الأدبيّة، والعلميّة، ومن بينها نذكر: (ابن ظاهر: شاعر القلق والماء)، وقد طُبع في دولة الإمارات العربيّة المتحدة، عام: (2004م) وهو كتاب يتناول بالدّراسة والتّحليل شعر وحياة الأديب الإماراتي الماجدي بن ظاهر؛ الذي يرجع غموض شعره إلى أن اللهجة التي كُتب بها قد اختفت اختفاءً تاماً تقريباً، وقد اعتمد الباحث (عيّاش يحياوي) في قراءته لشعر ابن ظاهر على محاولة التّقاط ما بين السّطور، والتّأمل، والمساءلة، ورأى أن منبع القلق عند ابن ظاهر ينطلق من تحليله للأسئلة الكبرى في الحياة، والوجود، والموت؛ فقد تأمل في علاقات الكائنات بمحيطها، وقوتها، وضعفها، وأشجانها، وأفراحها، كما حرص على عدم تقليد ومحاكاة من سبقه، فحاول التّجديد، وتجنب التّكرار قدر الإمكان، وما تميز به ابن ظاهر هو الأسلوب الذي أبدع به؛ الذي يختلف عن سواه من الشّعراء، وقد كرس دراسته هذه للكشف عن مواضع الشّجن، وأسئلة القلق في شعر الماجدي بن ظاهر؛ فرؤاه المعمقة التي نبعت من تجاربه في الحياة، ومن فهمه الشّامل لأعماق الوجود؛ هي ما جعله يُقدم ملاحظات مهمة، وشديدة الحساسيّة عن مصير الإنسان، وعلاقاته بالكون، وبالآخر؛ فقام بالرّبط بين عناصر الطّبيعة، وبين وجود المرء، ومصيره، فكثيراً ما يجد قارئ شعره أنه يُذكّر النّاس بعدم الاغترار بالحياة، فشبهها بالحيّة، وأشار إلى تجنب التّعامل معها خارجياً، ولابد على المرء أن يعيها ويحيط بها من شتى الجوانب. وقد كرس الماجدي بن ظاهر حياته العاصفة، والمؤلمة من أجل حمل رسالة عميقة، وثقيلة، تنم عن معرفة شاملة للرّوابط الخفيّة بين الإنسان وسلوكياته كما أصدر الأديب والباحث (عيّاش يحياوي) كتاب: (العلامة والتّحولات)، عام: (2006م) وكتاب: (أول منزل: دراسة وحوارات حول خمسين مثقفاً من الإمارات)، و(لقبش: سيرة ذاتيّة لحليب الطّفولة)، وقد صدر سنة: (2008م) و(لقبش)؛ هو الاسم الذي كانت تنادي به أم (عيّاش يحياوي) ابنها، و(السّهم الأبكم: مثقفون انتبهوا لعبوره وكتبوا)، وذلك عام: (2010م) وقد نال الأديب والباحث (عيّاش يحياوي) العديد من الجوائز الوطنيّة، والعربيّة، ومن بينها: جائزة(أحسن كتاب حول الإمارات)، وذلك خلال مسابقة: (معرض الشّارقة الدّولي للكتاب)، لعدّة سنوات، و(جائزة سلطان العويس للإبداع الشّعري)، سنة: (2015م) بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة، وقد أسّس جائزة (لقبش للإبداع الشّعري)؛ من أجل تشجيع الحركة الثّقافيّة والأدبيّة في الجزائر . والحقيقة أن الغوص في عوالم الإبداع الشّعري، وجمالياته عند الشّاعر المتميّز (عيّاش يحياوي) لهو مغامرة غير محسومة النّتائج؛ فهو شاعر من طراز فريد، وصاحب شاعريّة مكتملة ناضجة، ورؤى فلسفيّة، وفكريّة تدفع القارئ إلى التّحليق نحو آفاق رحبة، وعوالم ليست لها حدود، كما نلاحظ قدراته العفويّة على التّعبير، ويتسم بصياغته الجذابة، وإيقاعه المنغم الجميل، ويُلاحظ القارئ لأعماله الشّعريّة أن أغلب شعره في قد صيغ بأسلوب سلس، وبلغة عذبة، ورقيقة، وقد استعمل الشّاعر كلمات المعجم تارة على وجه الحقيقة، وتارة على وجه المجاز (الرّمز) واستخدم صوراً، وأخيلة، ورموزاً من القديم بأسلوب حديث، وأغلبها منبثقة من المدارك الحسيّة، وحاسة البصر هي أنشط الحواس في تشكيل الصّور عنده، وتمتاز قصائده باحتوائها على أفكار، ورؤى فلسفيّة، ومضامين اجتماعيّة، وأخلاقيّة راقيّة، كما أنها مفعمة بأحاسيس رقيقة، ومشاعر فياضة، كما نجد في أعماله عدداً غير قليل من القصائد الرّؤيويّة ذات الطّابع الفلسفي، والتّأملي؛ فالمتأمل في شعره يستشعر قدرات الشّاعر (عيّاش يحياوي) العاليّة على تأمل الأحزان، والآلام، ونجد مجموعة من القصائد تتصل بذات الشّاعر، وآلامها، وأشجانها في هذه الحياة، وبعضها الآخر ينفتح على الهموم الاجتماعيّة، والقضايا الوطنيّة، ودواوينه الشّعريّة تحفل بالمجاز، والصّور المتخيلة، والمتنوعة، وتتميز بامتلاكها كثافة دلاليّة ضخمة؛ ولذلك فهي تقبل كثيراً من التّأويل؛ فهي نصوص نابضة بطاقات تعبيريّة كثيفة، وقد كتبت بلغة شعريّة جميلة، وأنيقة، وقد بدا لنا أن الأديب (عيّاش يحياوي) يخوض غمار تجارب فنيّة تستهدف مجموعة من

القيّم الجماليّة المخصوصة، وبالنّسبة إلى أبعاد المكان في شعره، نُلاحظ أن حضور المكان باسمه الحقيقي قليل جدا؛ فشاعرنا يتخطى باستمرار حدود الأشياء الحسيّة ليصل إلى اللامحسوس، وإلى عالم الأفكار، والمشاعر، والمُثُل العُليا، والمُطلق، ولا يهتم كثيراً بتسميّة الأمكنة، ولا يركز على تسميّة المكان باسمه الحقيقي، أو أن ينسب التّجربة إلى مكان مُحدد يتعرف عليه القارئ دون التّباس، ووصف الشّاعر للطبيعة كذلك يمكن أن يتخيله القارئ في أيّ مكان، أو بقعة في العالم، وهذه الخاصيّة هي نتيجة منطقيّة للاتجاه الوجداني؛ فالوجدانيّة تسمح بالتّجريد، وتفتح آفاقاً للتعميم، أكثر من التّخصيص، والتّحديد المركز، وبالنّسبة إلى اللُّغة الفنيّة الموظفة من قبل الشّاعر (عيّاش يحياوي)؛ نُلاحظ أنها قد توزعت على حقول دلاليّة متنوعة المفاهيم، وقد جاء هذا التّوظيف الفني للُّغة الأدبيّة تعبيراً عن رؤى معينة، فهو يؤسلب لغته على أساس من المحسنات البلاغيّة المعروفة من استعارة، وتشبيه، ومجاز، وفيما يتصل بالمعجم الفني، أو المستوى المعجمي عند الشّاعر (عيّاش يحياوي)؛ فقد اتسم بالثّراء، وتوزع على مجموعة من الفضاءات، لعل أبرزها: وصف الفضاء: (فضاء الطّبيعة) :والذي تجلى من خلال الزّمن ومؤشراته، والمؤشرات المكانيّة، ومن أبرز ما يتجلى للمتأمل في شعره أنه ينتقي مفردات من التّراث التّليد، ويمزج في بعض الحالات بينها، وبين اللغة السّائدة في هذا الزّمن بغرض تحقيق تواصل سليم مع القارئ، دون إهمال الجانب الجمالي؛ فعيّاش يحياوي لديه هوس بتصوير المشاعر، والانفعالات من خلال مجموعة كبيرة من الألفاظ المُحملة بالدّلالات الشّعوريّة، والجماليّة، التي تتردد كثيراً في قاموسه الشّعري الثّري، وهي ألفاظ تدل على عُمق تجربته الشّعريّة المُتميزة، وقد شيّد الشّاعر في بعض قصائده جسور تواصل وطيدة مع تراثه العربي، حيث إنه ينظر إلى هذا التّراث بحسبانه مصدر إلهام، وإيحاء مهم لا غنى للشاعر عنه؛ فعلاقة الشّاعر (عياش يحياوي) بالتّراث لا تقوم على التّقليد، وإعادة إنتاج التّراث كما هو؛ بل تقوم على التّفاعل العميق مع عناصره، ومعطياته، وذلك بغرض تطويعها، وتجسيدها في قصائده، واستغلال طاقاتها، وإمكاناتها الفنيّة للتّعبير عن هواجسه، وإيصال أبعادها النّفسيّة، والشّعوريّة إلى المتلقي؛ فالتّراث يُعدّ بمصادره المختلفة منجم طاقات إيحائيّة لا ينضب له عطاء؛ فعناصر هذا التّراث، ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر، وأحاسيس لا تنفد، والدّارس لشعره يلاحظ أنه قد تأثر بمصادر تراثيّة عديدة، دينيّة، وأدبيّة، وتاريخيّة، كان لها الأثر الكبير في تعميق تجربته الشّعوريّة، وإرهاف أدواته التّعبيريّة، وأغلب القصائد تجسد هواجس الشّاعر الذاتيّة، وتصور أحواله النّفسيّة، وانفعالاته، وتجاربه الخاصة المستمدة من واقع الحياة بمعضلاتها، ومظاهرها المتعددة، ويتجلى من خلالها وهج المعاناة، وحرارة الصّدق، والحساسيّة المُرهفة.

يقول عنه الباحث والنّاقد الدّكتور (عبد الملك مرتاض): "..بدأ عيّاش يحياوي ينشر بعض أشعاره في أواخر الأعوام السّبعين من القرن العشرين. ويعدّ أحد شعراء الحداثة في الجزائر، وأحد الذين يمتلكون لغة أنيقة نقيّة معاً تجعل من قراءة شعره متعة فنيّة. كما ينماز شعرُه بترداد بعض العبارات والألفاظ فيوظّف تكرارها توظيفاً فنّيّاً في كتابة قصائده، دون أن يسقُط في التّأفيقيّة والتّسطيحيّة وكأنّ عيّاش يحياوي ببعض ذلك ينحو منحى نزار قباني، ولو من بعيد).

محمّد سيف الإسلام
بوفلاقة

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

ف

فاطمة لوصيف (عيدة)
(1340 هـ - 1922 م/1421 هـ - 2001 م)

ولدت المجاهدة فاطمة لوصيف المدعوة (عيدة) عام 1921م بدوار زلاطو التّابع حاليا لولايّة باتنة، في أحضان عائلة متواضعة تمتهن الفلاحة وتربيّة المواشي، لكنها متمسكة بالقيم والدين. هي ابنة علي ولوصيف هنيّة .

بعد أن حضرت استعادت السّيادة الوطنيّة عاودت الزّواج واستقرت بقرية بانيان التّابعة حاليا لولايّة بسكرة. أصيبت بمرض استدعي نقلها لمستشفى مدينة آريس أين توفيت به ليلة أوّل نوفمبر 2001م.

ترعرعت الطفلة فاطمة كبنات المنطقة في خدمة العائلة انتظارا للزوج وتكوين الأسرة، كما هو متوارث.

كان للقدار أن لعب دوره، حيث في إحدى المرات من عام 1947م زار الثّائر الصّادق شبشوب قريّة تكوت وضواحيها - كان وقتها من الخارجين على القانون الفرنسي، مطاردا وملاحقا من طرف الدرك الاستعمّاري - لما شاهدها أعجبته، فطلبها من أهلها الذين قبلوا بعد استشارتها.

قبلت فاطمة الزّواج رغم الفارق الكبير في السّن المقدر بحوالي عشرين سنة كونه من مواليد 1902م، لأنها ارتبطت برجل استثنائي، صاحب قضيّة وطنيّة.

نظرا لطبيعة حياة زوجها المتميّزة بعدم الاستقرار واللاّأمن بسبب نشاطه المسلح، لم تعد تعيش حياتها كأنثى، فأصبحت بذلك خفيفة التّنقل وسريعة في مصاحبة زوجها المطارد في تنقلاته وترحال دائم.



وحتى تكون له سندا في مواجهاته المسلّحة ضد العدو، دربها على استعمال السّلاح حتّى عادت من أمهر الرّاميات، إذ كانت تضاهي أكبر الرّماة من الرّجال -لأنها كأمرأة كانت الوحيدة بالمنطقة وكذا وطنيا وقتها -

بقي المناضل الصّادق شبشوب رفقة زوجته فاطمة لوصيف بين كر وفرّ مع المستعمر وأعوانه، مستنصرا الفقير على الغني، والضّعيف على القوي، محدثا بذلك الرّعب وسط العدو، عملائه، ومستوطنيه.

للحد من نشاط الصّادق شبشوب وزوجته وباقي مناهضي المنطقة الذين نعتتهم السّلطات الاستعمّاريّة بالخارجين عن القانون أعلنت الادارة الاستعمّاريّة عن مكافأة ماليّة سخيّة لمن يأتي بمعلومات تتعلق بهؤلاء تقدر بـ 500 ألف فرنك، ومليون فرنك لمن يعدم أحدهم، واستنفروا لذلك كلّ الوسائل من قوات عسكريّة وعيون.

ها هي قائمة من سماهم العدو بالخارجين على القانون:

- الصّادق شبشوب،المدعو- قوزير- (1902م-1961م)؛
- فاطمة لوصيف، المدعوة "عيدة" (1922م-2001م)؛
- مسعود بن زلماط" الثّاني"،المدعو- تالالا- (1916م-1952م)؛
- محمّد بن الصّالح بن سالم (1916م-1958م)؛
- الوردي بن عبد الهادي،المدعو -الوردي معاليم- (1916م-1975م)؛
- مسعود مختاري (1917م-1956م)؛
- حسين برحايل (1918م-1955م)؛
- مكي عايسي (1920م-1952م)؛
- علي درنوني (1922م-1951م)؛
- مسعود معاش (1925م-1955م)؛
- محمّد بن سي عمر بن سالم (1926م-1952م)؛
- أحمد قادة (1927م-2018م)؛
- قرين بلقاسم (1927م-1954م)؛
- لخضر بن قدور بن علي زلماطي (1928م-2000م)؛
- الصّالح وصاف (1928م-1953م)؛
- رمضان حسوني (1931م-1961م)؛
- محمّد بلعدل-من قريّة سريانة قرب

– سيدي عقبة – (....؟...–1953م).

بالرّغم مما سخر، فلم يفلحوا في مآربهم لأن سكان المنطقة وجدوا السّكينة والطمأنينة والعدل تحت ظلّهم.

المسار بعد اندلاع الثّورة:

كان الزّوج الثّائر الصّادق شبشوب وزوجته ضمن مفجري الثّورة الأوائل تحت قيادة مصطفى بن بولعيد بمنطقة الأوراس يوم الفاتح من نوفمبر 1954م، فكانت بذلك المجاهدة الوحيدة وطنيا التّي شاركت في العمليات المسلحة إيذانا بإندلاع الثّورة رفقة زوجها.

عاش الثّنائي الصّادق شبشوب وزوجته فاطمة لوصيف خلال الثّورة التّحريريّة وسط المجاهدين في احترام وتقدير لحياتهم الزّوجيّة بحيث لهما مكان منعزل عن باقي المجاهدين خلال نومهم، ومع ذلك كانت تشارك زوجها في كل المعارك التّي خاضها وما اكثرها وتزيده بالطهي كونها زوجة، خاصة في المناسبات عند زيارة قادة المنطقة، وحدث ذلك أن حضّرت مأدبة عشاء على شرف قائد الولايّة السّادسة سي الحواس.

واصل الثّائران الجهاد المسلح بالمشاركة الفعليّة في المعارك، عبر الولايتين التّاريخيتين السّادسة والأولى في تنقل –برخصة استثنائيّة منحت لهما– لغايّة استشهاد زوجها.

من المعارك التّي شاركت فيها رفقة زوجها نذكر:

– معركة خنقة أمعاش –يوم 08 نوفمبر 1954م،

– معركة «غار علي أوعيسى»، يوم 18 جانفي 1956م

– برقوق(احمر خدو)، يوم 17/ 07/ 1958م، بقيادة سي الحواس،

– جانة ، يوم 10 مارس 1959م، بقيادة اسعادة إبراهيم (المعروف باسم «بويخف»)،

– جبل الأزرق 12 ديسمبر 1959م، بقيادة اسعادة إبراهيم المعروف باسم «بويخف»، ومسؤول المنطقة محمّد بن بولعيد(ابن أخ القائد مصطفى بن بولعيد).

– معركة عمورة، يتواجد المكان بـ(عين الملح) والتّابعة حاليا لولايّة مسيلة عام 1960م ودامت يوما كاملا استعمل خلالها العدو كل وسائله من أسلحة فرديّة، مدافع رشاشة، مدافع ثقيلة، دبابات وطائرات.

– معركة جبل بوكحيل عام 1960م (في الغد من المعركة السّالفة) ودامت كذلك يوما كاملا استعمل خلالها العدو كل وسائله من أسلحة فرديّة، مدافع رشاشة مدافع ثقيلة دبابات وطائرات».

– معركة لارباع بويعقاقن –شهر أوت 1960م؛

– الحلف 21/ 10/ 1960م بقيادة سي محمّد بن بولعيد والتّي استشهد خلالها القائد؛

– جبل أحمر خدو 22 أكتوبر 1960م،بقيادة مسؤول المنطقة محمّد بن بولعيد(ابن أخ القائد مصطفى بن بولعيد)؛

– عرقوب بلبغل، يتواجد المكان قرب مدينة القنطرة، حاليا لولايّة بسكرة. المعركة بقيادة الصّادق شبشوب، عام 1961م؛

– معركة جبل بوراي 20 أكتوبر 1961م بمشتة أمزدور جبل بواري، التّابعة حاليا لبلديّة «تاكسلانت»، ومن نتائجها استشهاد زوجها الصّادق شبشوب رفقة سبعة مجاهدين آخرين وجرح ثلاثة، ونجت بفضل إنضمامها لباقي النساء؛

واصلت جهادها لغايّة انتزاع الاستقلال واستعادة السّيادة الوطنيّة. بعدها عاودت الزّواج واستقرت بقرية بانيان التّابعة لولايّة بسكرة.

نجيب بن لمبارك

المصادر:

– **لقاء جمعني بالمجاهد سليمان بن لمبارك بمدينة أريس، 25 فيفري 2015م.**

– لقاء جمعني بالسّيدة عائشة بزة أرملة الشّهيد أحمد لوصيف ابن أخ المجاهدة فاطمة لوصيف ببسكرة، 03 فيفري 2019م،

– لقاء جمعني بالسّيدة زعرة بنت الحاج سي عمّار بن لمبارك (أرملة الشّيخ الهادي بن لمبارك من مواليد المنطقة عام 1932م) الرّويبة، 12/ 13 مارس 2019م.

– لقاء جمعني بالمجاهد محمّد الشّريف عبد السّلام، بسكرة، 04 فيفري 2019م.

– إبراهيم سلطان شيبوط، زيغود يوسف الذي عرفته، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أول نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، الذكرى 55 لاندلاع الثّورة التّحريريّة 1954م/ 2009م.

■ فايدة كامل
(1350هـ - 1932م/1432هـ - 2011م)

وُلدت الفنّانة المناضلة السّياسيّة المصريّة المشهورة (فائدة كامل) في القاهرة بتاريخ 12 جوان 1932، من عائلة فنيّة بالأصل، وهي شقيقة الموسيقار عبد الرّحمن الخطيب، والموسيقار سليمان جميل، ومطربة الأوبرا أميرة كامل. وككلّ فتاة دخلت المدرسة الابتدائيّة، فظهرت مواهبها في الأداء من خلال صوتها الذي تُسمعه في حفلات المدرسة، وكانت مدرستها تقوم على تقديمها في المناسبات المدرسيّة وفي الإذاعة المدرسيّة، كما أنّ عائلتها تشجّعها على الغناء وبدأت تُرسلها

إلى تعلّم الموسيقى وهي صغيرة، وهناك اكتسبت موهبّة الغناء. بدأت موهبتها الفنّيّة تظهر بمشاركاتها في برامج مدرستها في الإذاعة، وفي سن الحاديّة عشرة التّحقت بمعهد الموسيقى العربيّة مع الفنّانة نجاة الصّغيرة. ثم التّحقت بالمعهد العالي للفنون المسرحيّة والغنائيّة وكان يزاملها الفنّان عبد الحليم حافظ، وأحمد فؤاد حسن، والموسيقار علي إسماعيل، وحصلت على دبلوم المعهد العالي للموسيقى المسرحيّة. وأثناء مسيرتها الفنّيّة التّحقت بكليّة الحقوق وحصلت على ليسانس الحقوق. ولا يستهويها الاختصاص في الحقوق؛ بقدر ما تميل إلى طبع العائلة الفنّيّة، وتبدأ في نيْل الأدوار الغنائيّة الوطنيّة؛ مصاحبة لذلك الجوّ القومي الذي عرف ثورة الضّباط الأحرار، وثورة الجزائر، وقضيّة فلسطين، والعدوان الثّلاثي... وكان الجوّ مهيّأً للغناء الثّوريّ، وتبدأ بأوّل أغانيها الوطنيّة (دعْ سمائي فسمائي محرقة... دع قنا لي فمياهي مغرقة... واحذر الأرض فأرضي صاعقة... هذه أرضي أنا... وأبي ضحّى هنا... وأبي قال لنا: مزّقوا أعداءنا). وهذا فور صدور قرار تأميم قناة السّويس. ويبلغ صوتها الأثير، كما يعلو شجيّاً عالياً قويّاً يلهب الجماهير، وتستغلّه في تثوير الجماهير وشحذ الهمم، وتحميس المصريين للردّ على العدوان الثّلاثي، وللوقوف مع ثورات الشّعوب، وبخاصّة ثورة الجزائر التي اشتعلت. وهكذا نجد الفنّانة لا تغيب بأغانيها إلاّ وتردّد: قسماً بالدّم لن ننسى الجزائرْ، ولا لن نتركها نهباً لغادرْ/ شعب الجزاير عربي.../ الجزاير هلّت بشاير/ النّصر بانْ النّصر بانْ... وتتبع كلّ ذلك بنشيد الوطن الأكبر الذي نال الحماس العربيّ، وتنال صفة فنّانة الثّورة. ولما مهّدت طريق الغناء أصبحت تغني مع عبد الحليم حافظ ووردة الجزائريّة وشاديّة ونجاة الصّغيرة، وتغني أغاني الوطن والوفاء من مثل: عاد السّلام يا نيل، إلهي ليس إلاّك عوناً فكن عوني على هذا الزّمان، أنا بور سعيد، فات الكتير يا بلدنا، لن ينام الثّأر، رايتنا عاليّة، ع الوحدة ما شاء الله، الثّورة البيضاء، لأجل عيون الحريّة، طير يا صاروخ، السّد العالي، مصر الخالدّة... وكذلك تنشط على مستوى التّمثيل، ولكنّها تحنّ لأغاني الوطن، وأصبحت تُعرف بمطربة الوطن/ صوت مصر.

فايدة كامل والجزائر:

لا يستعجب القارئ لما يجد اسم المناضلة (فايدة كامل) في الموسوعة الجزائريّة، وليعلم إنّها قدّمت للثّورة الجزائريّة من خلال أغاني الثّوريّة والحماسيّة الكثير من الأعمال الغنائيّة الخالدّة، وارتبط اسمها في ذاكرة الشّعب الجزائريّ بأغنيّة لازمتها: صوت الگزاير عربي، لغة الگزاير عربيّة، علم الگزاير عربي. وهي التي تقول: "سخّرت صوتي لشحن قوّة شرفاء الجزائر في مواجهة المستعمر". وهي التي زارت الجزائر خفيّة أثناء الاستعمّار، والتّقت الثّوار في الجبال، واستحقّت توشيحها بالمواطنة التي أحرزتها مع مجموعة من الفنّانين (جنسيّة جزائريّة مكتسبة) ألا يكون لها موقع في الموسوعة الجزائريّة؟ بلى إنّها الفنّانة التي أُعجبت بنضالات الثّورة الجزائريّة، وغنّت لها وأبدعت في غنائها، وأصابت مواقع الجماهير العربيّة وهي تهتف (زيدينا غناءً من أجل الجزائر) إنّها الفنّانة التي تؤكّد اعتزازها بوسام الشّعب الجزائري الذي وُشّحت به اعترافاً بإسهامها بصوتها في مناصرة ثورة نوفمبر 1954م بأغانيها التي أذاعها (صوت العرب) من القاهرة تقديراً لثورة الشّهداء، الثّورة التي سال من أجلها دم المليون ونصف المليون من الشّهداء.

أُعجبت الفنّانة بثورة الجزائر، وربطتها علاقة مفعمة بالإعجاب من نضال الشّعب الجزائريّ الذي ضرب أروع الأمثلة في تاريخ الأمّة العربيّة وفي العالم عامّة، هذا الشّعب الذي استطاع أن يُحرّر أرضه وعرضه لأنّ الأرض هي العرض. إنّ الفنّانة تحمل صوتاً هزم قنابل العدوان بحنجرة عاليّة من أجل الأرض والعرض، حنجرة شكّلت مسيرة وطن، دوت وارتفع الصّوت فكان أقوى من قنابل وصواريخ الاستعمّار، حتى إنّه بات مماثلاً لهجمات الفدائيين في معركة تحرير الأرض، فلما وضعت الحرب أوزارها، استحقّت التّقدير، وحصّلت أوسمة كثيرة من الدّول العربيّة نتيجة مواقفها النّضاليّة من قضايا الأمّة العربيّة، وتعتبر رمزاً من الرّموز الفنّيّة التي دعّمت الحريات في الوطن العربيّ وأفريقيا، وبخاصّة الجزائر التي لها موقع خاصّ فزارتها بعد الاستقلال، ورأت إنّها بلدها الثّاني الذي يستحقّ التّنويه والخدمة، لأنّها بلد قدّم ما لم يُقدّم بلد آخر من أجل الانعتاق.

فايدة كامل كاملة التّضحيّة من أجل القضيّة الجزائريّة التي كانت ترفع صوتها لتصوّر جنود المستدار الفرنسي تغرق في جبال الأوراس وجرجرة، وتفرّ من رشّاش بسيط، وكان النّشيد الوطنيّ أقوى سلاح تستعمله للتّأثير بمصاحبة المناصر للقضيّة الجزائريّة (صوت العرب) فتعاون الطّرفان على قهر العدوان، حتى قيل ما قيل في صوت العرب، كما قال قائد القوّات البريطانيّة "سأرسل 21 مقاتلة لوقف صوت فايدة كامل". وبالفعل كان ذلك في 1965، ولكن ينتقل صوتها إلى إذاعة دمشق، ويبثّ حرّاً ويستمرّ في خدمة القضايا التّحرّريّة. وتستمرّ في أغانيها الحماسيّة الملهبة لصوت الجماهير، وتكون إلى جنب الفنّانين الذين خدموا بصوتهم النّبيل الشّأن العامّ على غرار وردة الجزائريّة، وفي ذات الوقت لم يغب عنها صوت الفلاح والحكواتي وصاحب الحيّ البسيط الذي يحتاج إلى دعابة تُفرج همّه، وتغني لأوّلاد الحارّة (يا واد يا سمارة) أغنيّة شعبيّة كتبها الشّاعر السّكندري محمّد على أحمد، ولحّنها الموسيقار محمود الشّريف من أكثر الأغاني طلباً على الإذاعة، وترديداً على السّنة النّاس، لتبرهن إنّها واحدة من رائدات هذا النّمط من الغناء المُحبّب لدى أبناء الحارات فى مصر. وتواصل مسيرة النّضال في ستينيات القرن الماضي عند انجلاء الاستعمّار على الشّعوب المقهورة آنذاك بباقات من أغاني البناء والمجد وبطولات التّاريخ، لتكون فايدة كامل سيّدة الغناء الشّريف والنّظيف.

وتدخل البرلمان سنة 1971م، مدافعة عن قضايا الغلابى وآهات النّاس، وحقوق

المـرأة، وعن التّنميّـة المحليّة، وتنال صوت دائرتها بجدارة، وتبقى في قبة هذه المؤسّسة الشّـعبيّة ثلاثيـن (30) سـنة وهـي مخلصـة لمقاطعتهـا الإداريّـة، كمـا كانـت مخلصـة لوطنهـا ولقضايـا الوطـن العربـيّ. بالفعـل لمّـا أصبحت برلمانيّـة انقطعت عـن الغناء، وبقيـت وفيّـة لدائرتهـا الانتخابيّـة تعمل من أجـل رفاههـم حتـى انتهـت عُهدتُهـا، ومن ثـمّ تقاعدت وأسّسـت جمعيّـة خيريّـة تهتمّ بالجانـب الاجتماعـيّ والخيـريّ وتقديـم المسـاعدات للفقـراء وذوي الحاجـات الخاصّة، واسـتطاعت أن تكوّن فرقاً تطوعيّة تقوم علـى الخدمات العامّـة، وبقيت كذلك تحمـل هـمّ خدمـة المقهورين حتـى جاءها الأجـل يـوم 21 أكتوبـر 2011م، فانتقلت إلى رحمة الله راضيّة مرضيّة.

صالح بلعيد

■ فرانس فانون
(1344هـ - 1925م/1381هـ - 1961م)

فرانـس فانـون، (ويُكتـب أيضـا: فرانـز فانـون)؛ هـو طبيـب نفسـاني وفيلسـوف اجتماعي، رأى النّور في مدينة فور دو فرونس بجـزر المارتينيـك، بتاريـخ 4 محـرّم 1344هـ الموافق لـ: 25 جويليّة 1925م، من أب فرنسي وأمّ مارتينيّة. وانطفأت شـمعته في 27 جمادى الثّانيّـة 1381هـ الموافق لـ: 6 ديسـمبر 1961م عـن عمـر يناهـز السّادسـة والثّلاثيـن. ودُفِن حسـب وصيّتـه بمقبـرة الشّـهداء ببلديّـة عين الكرمـة بولايـة الطّـارف، بتاريـخ 20 جويليّـة 1965، إثـر نقـل رفاته مـن الولايـات المتّحدة الأمريكيّـة، حيث وافته المنيّـة هناك وبالضّبط بمدينـة "سـيفانا". ولابـدّ مـن الإشـارة إلـى أنّ هنـاك تضارب بيـن المصادر التـي أرّخت للرّجـل فيمـا يتعلّـق بتاريـخ مولـده وتاريـخ دخـول رفاته إلـى الجزائـر وكذا فيمـا يخصّ اسـمه العربـي، فمنهـم مـن أورد اسـم عمـر ومنهم من كتب إبراهيم.

نشـأ فرانـس فانـون مواطنـا في مسـتعمرة المارتينيك الفرنسيّة، سكّانها الأصليون زنوج عانـوا مـن الشّـعور بالمهانـة نتيجـة التّواجـد الاسـتعمّاري، الأمـر الذي جعلـه يحقد على هذا (الشّـيطان الأبيـض) (Le diable blanc)، ومع ذلـك ارتحل إلـى فرنسـا وبالتّحديد إلى مدينة ليون طالبا في قسم الطّبّ.

لابـدّ أنّ فانون صقـل روحه الثّائـرة عندما شـارك في أعمال طلبة المستعمرات، واتّصل بالمناضلين السّياسيّين في المرحلة الجامعيّة. وبعد تخرّجه من الجامعة عُيّن طبيبًا عسـكريًا بقسـم الطّبّ النّفسـي بمدينة البليدة بالجزائر،



فـكان هذا التّعيين بمثابة الالتّحاق بمعقلٍ تليدٍ من معاقل الحركات التّحرريّة في العالم.

وإنّ ما يؤيد هذا التّخريج، هو انضمامه إلى صفـوف جبهـة التّحرير الوطنـي الجزائريّة. إذْ عمل محرّرًا فـي صحيفة) المجاهـد (النّاطقة باسـم الجبهـة. كمـا تولّـى مهمـات تنظيميّـة مباشـرة، وأخـرى ديبلوماسـيّة وعسـكريّة حسّاسـة جـدًا، وفـي عـام 1960م صار سـفيرا للحكومة الجزائريّة المؤقّتة بغانا.

آمـن فرانـس فانون إيمانـا قويا بـأنّ ما أُخذ بالقـوّة لا يسـتردّ إلاّ بالقـوّة، فوجّـه كتاباتـه وفـق هذا المبـدأ، واسـتلهمت منـه الكثير من الحـركات التّحرريّـة هـذا التّوجـه، وأصبـح مثالا يقتـدى به. ومن بيـن مؤلّفاتـه "الثّوريّة" المناهضة للاستعمّار في العالم ككلّ:

– معذبـو الأرض، 1961م، The Wretched of the Earth.

– بشـرة سـمراء وأقنعه بيضـاء، 1952م، Black Skin، White Masks.

– استعمار يحتضر.

رأي مالك بن نبيّ:

"اعتـرف مالـك بـن نبـي لفرانـس فانـون بقيمـة النّضال الـذي قدّمـه في سـبيل القضيّة الجزائريّة وثورتهـا، ورأى أنّ عمله ذو قيمة لا تقـدّر، فهو في نظـره العازف العظيم لأحسـن النّبرات الثّوريّة من الـرّوح الإفريقيّة، كما عدّه رافـع لواء الحميّة الوطنيّـة، إلاّ إنّه جرّد فرانس فانون من قدسيّة التّنظير للثّورة الجزائريّة، لأنّه كان يفتقر حسـب رأيه إلى خصوصيّة الإنسان الجزائـري في علاقتـه بالجـذور العميقة التي تسـكن الـذات الجزائريّـة من عروبة وإسـلام وثقافـة وتاريخ حافـل بالمواقـف والأحداث التـي مـن شـأنّها أن تعـزّز الـذات الجزائريّـة وتضمـن تمّيزهـا واختلافهـا، الأمـر الـذي يحـول دون تحقّـق فرضيّة أنّ فانـون هو منظّر الثّـورة التّحريريّـة الجزائريّـة. وشـبّه مالك بن نبـيّ، في محاوّلـة منه لإقناع المتلقّـي، الرّجل بمسـجّل صوتي لم يصمم في الأسـاس ليبث نشـيد الشّـعب الجزائـري، لذلـك فإنّـه عندما أذاعه لـم يبلغ مـداه بالرّغم من إنّه قام بحشـد المكثـف الكهربائـي لـه. ومؤدى هـذا الكلام بل هـذه الفلسـفة أنّ التّنظير للثّـورة الجزائريّة انبثق من أصل الـذّوات الجزائريّة. وفي مقابل هـذا التّجريـد فقـد اعتـرف لـه بخاصيّـة بنـاء "مفهوميّة إفريقيّة" فهو الذي يحمل في روحه كلّ روح إفريقيا، وكلّ تاريخها، وكلّ مأساتها. واستشهد ابن نبي بحركة الهند التّحرريّة وذكر

أنّ المهاتما غاندي هو من شحذ همّة الهنود وليسوا أصدقاء حركته، أمثال بيرسون والآنسة سلاد. وعموما فإنّ ابن نبيّ كان صارمًا في هذه المسألة وفي الوقت نفسه لم يبخس فرانس فانون حقّه".

رأي جريدة المجاهد:

"حين وفاة فرناس فانون، كتبت "المجاهد" مقالًا أكدّت من خلاله إنّه ابن الجزائر الرّوحي، فقد آمن بقضيّتها وساندها، في حين كان بإمكانه أن ينعم بحياةٍ رغدةٍ وهو ذلك الطّبيب المثقّف، الذي يحظى بوظيفة راقيّة. وذكرت" المجاهد"، إنّه ذهب إلى أكثر من هذا واعتبر الثّورة الجزائريّة نموذجا يحتذي به كلّ أحرار العالم، واتّخذ لنفسه الاشتراكيّة إديولوجيّة له، وفرض نفسه على الأحداث إبّان الثّورة المظفّرة، فقد وجد فيها ملاذا يذود به عن هويّته الإفريقيّة، الأمر الذي جعله يذوب فيها، لكونِه مجندًا في صفوفها عن طريق اشتغاله بالتّطبيب، ويكتب حولها، إذ عرّفها على أساس إنّها ثورة ذات قاعدّة شعبيّة عريضة جدًّا، تبثّ الأمل في نفوس الزّنوج الذين ذاقوا وبال العبوديّة والذّل والتّشتت في أصقاع المعمورة، بعيدًا عن الوطن الأمّ".

كتب جان بول سارتر مقدمة طويلة في اثنتي عشرة صفحة، حملت أبعادًا إنسانيّة صرفةً، بالرّغم من اقتناعه إنّه ليس من الضّروري لهذا الكتاب من مقدّمة ولاسيما إنّه غير موجّه للأوروبيّين، وأعرب عن سبب هذا التّقديم المتمثّل في المضي بالدّيالكتيك إلى أقصاه؛ إنّ الشّعوب المستعمَرة تخلّص المستعمِر من الاستعمّار، فأهل أوروبا يجتثون بعمليّة داميّة المستعمِر الموجود في كلّ واحد منهم بعد أن يسقط التّجربة على نفسه وينظر ماذا يحدث له علما بإنّهم جميعا شركاء في جريمة الاستعمّار. ومن هنا يدعو جون بول سارتر الأوروبيّين إلى قراءة كتاب: (معذبو الأرض) بإلحاح شديد، لأنّ صاحبه ينذر بزوال أوروبا فهي من أقامت الظّلم بدل العدل التي طالما تغنّت به، في تناقض صارخ بين ما يُقال وما يُفعل، كما ينذر بارتداد العنف في نحرها. ويرى سارتر أنّ وجه الاستفادة من كتاب "معذبو الأرض" يكمن في فهم ثورة هؤلاء، وأنّ سلاح الثّائر هو إنسانيته المفقودة في خضمّ الاستعمّار الأوروبي الغاشم، في إشارة إلى أنّ هذا الثّائر يحبّ الموت في سبيل حياة أمّته.

إنّ هذه الآراء مجتمعة بوسعها أن تعطينا فكرة واضحة عن ثوريّة الرّجل وشجاعته وإيمانه العميق بالتّحرّر من براثن العبوديّة بشتّى أوجهها.

بن قبلية مختارية

المصادر:

- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله.
- القضايا الكبرى -مشكلة المفهوميّة، مالك بن نبي.
- جريدة "المجاهد"، ع 110، 11 ديسمبر 1961.

فرحات بن الدّراجي
(1323هـ - 1906م/1370هـ - 1951م)

فرحات أبو حامد بن الدّراجي، أديب وعالم من علماء الجزائر، ولد بقريّة "لشانة" بالزّاب الغربي، شرق" طولقة"، ينتمي إلى إحدى قبائل بني هلال العربيّة، ومن أسرة ميسورة الحال، محافظة أنشأت أبناءها تنشئة دينيّة وذلك بتأثير من زاويّة "على بن عمر بطولقة"، والتي كانت نقطة استقطاب لكل شباب الجنوب الشّرقي للجزائر.

بعد نشأته الإسلاميّة في مسقط رأسه "لشانة" انتقل "فرحات بن دراجي" مع الأستاذ "أحمد سحنون" إلى مدينة بسكرة لتلقي الدّروس الحديثة على يد الشّيخ "محمّد خير الدّين"، الذي كان يعطي دروسا للشباب كلما عاد إلى المنطقة من تونس وكان الشّباب يتهافتون عليه كلما سمعوا بقدومه. وباحتكاكه بالشّيخ "خير الدّين"، زاد طموح الشّيخ "فرحات" إلى الاستزادة من العلم من منابعه الأصليّة فقرر السّفر إلى تونس، وسافر إليها سنة 1924، حيث التّحق بجامع الزّيتونة، وواصل تلقيه العلم على شيوخها كما التّحق بالمدرسة الخلدونيّة واستفاد من مكتبتها، وبالمدرستين: العبدليّة والعطارين، وكان الشّيخ "فرحات" مولعا باقتناء الكتب فكان يشتري كل ما استطاع شراءه بما كان يرسله له والدّه من أموال.

وقد حذا الشّيخ "فرحات" حذو أستاذه الشّيخ "خير الدّين" فكان يعمد إلى إعطاء الدّروس لأبناء قريته كلما عاد إليها آنذاك بالتّعاون مع زميل دراسته الشّيخ "سحنون". وفي سنة 1931 عاد الشّيخ "فرحات" من تونس نهائيا حاملا شهادة التّطويع وزادا كبيرا من العلم والأدب، مستعدا لنقل ما تعلمه لابناء وطنه.

ومن المؤثرات التي ساهمت في صنع الشّيخ "فرحات":

- احتكاكه بعلماء عصره أمثال الشّيخ «الطّيب العقبي»، الذي عاد من المشرق سنة 1920 واستقر بمدينة بسكرة عاصمة الزّيبان ونقطة عبور أبناء الصّحراء إلى تونس وكذلك الشّيخ «محمّد العيد آل خليفة» والشّيخ «الأمين العمودي» و«الزّاهري» و«محمّد قمر الدّين»، وغيرهم.
- معاصرته لصدور عدة جرائد بالمنطقة مثل «صدى الصّحراء» سنة 1924 «الإصلاح» سنة 1927، بالإضافة إلى تأثير العلم والمعرفة، اللذين كانا يأتيان من مدينة قسنطينة، حيث يوجد العلامة «عبد الحميد بن باديس» ينشر نور النّهضة الإصلاحيّة في جامع «سيدي الأخضر». بالإضافة إلى ظهور جرائد متعددة في المدينة السّالفة الذكر مثل: جريدة «المنتقد» وصحيفة «الشّهاب» وغيرهما، مما كان يأتي من تونس.
- وقوع أكبر حدث في الحياة الثّقافيّة بالجزائر في نفس السّنة التي تحصل فيها

الشّيخ "فرحات" على شهادة التّطويع من الزّيتونة وعودته إلى أرض الوطن، وهو تأسيس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين" في 5 ماي 1931.

في هذا الجو العلمي نشأ وتكون الشّاب "فرحات بن الدّراجي" فتوسعت مداركه في كل الميادين العلميّة والثّقافيّة والصّحافيّة والدّينيّة والسّياسيّة، إذ لم يتوقف نشاط "فرحات" على الميدان العلمي فقط بل تعداه إلى النّشاط السّياسي أيضا، متأثرا في ذلك بالأمير "خالد" والدّكتور "سعدان" الذي استقر ببسكرة سنة 1927.

وهذا تمرد الشّاب "فرحات" على أسرته، التي كانت متعاونة مع الإدارة الفرنسيّة، وكانت تأمل في تقلد ابنها أحد المناصب العليا فيها. والتّحق بمدينة "سيف" بالغرب الجزائري ليخلف الأستاذ "العربي التّبسي" الذي كان مدرسا هنالك منذ 1927، فكان همزة وصل بين أبناء الشّعب وجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أظهر مقدرة كبيرة في العلم والإصلاح الدّيني لا تكاد تقل عن مقدرة الأستاذ "العربي التّبسي"، بل كان نشاطه في جلب الكتب الأدبيّة والعلميّة إلى المنطقة أكبر. ولم يقتصر نشاطه على مدينة "سيف" بل كان ينتقل بين المدن المجاورة لها ويعمل على نشر أفكاره الإصلاحيّة بها ويشجع الشّباب على التّوجه إلى مدينة قسنطينة للدراسة فيها، وكذلك إلى تونس لتحصيل العلم بجامع الزّيتونة.

ونتيجة لنشاطه وإخلاصه في العمل الإصلاحي، انتخب نائبا للكاتب العام في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1937، ظل بها عضوا إداريا نشطا حتى سنة 1939، كان خلالها معلما كفءا وكاتبا نشيطا، إذ كتب العديد من المقالات واشتغل بتصحيح كتاب " تهذيب المدونة للبراذعي"، كما كان يلقي العديد من المحاضرات في نادي المؤتمر الإسلامي بالتّناوب مع الشّيخ "الأمين العمودي"، وكانت محاضرات الرّجلين تصب دائما في إطار التّوعيّة السّياسيّة والتّربيّة الدّينيّة للشعب الجزائري، مما أدى إلى سجنهما أشهر طويلة، ثم وضع الشّيخ "فرحات" تحت الإقامة الجبريّة بمدينة بسكرة.

وفي سنة 1943 أطلق سراح الشّيخ، فعاد إلى نشاطه مع جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وعين كاتب عام لها، وعمل عضوا في لجنة تحرير جريدة البصائر في سلسلتها الثّانيّة التي استؤنف صدورها في منتصف سنة 1947.

نتاجه الفكري:

"شرح المدونة" للبراذعي، ترجمة مستفيضة للبراذعي. نشر البحث في مجلة الشّهاب في جويليّة 1939 نشر مقالات قيمة في الشّهاب والبصائر والسّنة والشّريعة والصّراط وكلها مقالات كانت تخدم نهضة الأمة في الميادين العلميّة والدّينيّة والسّياسيّة والأدبيّة.

وقد قال عنه الشّيخ "مبارك الميلي" في جريدة البصائر أواخر سنة 1937:

"الشّيخ فرحات بن الدّراجي مفخرة من مفاخر الزّاب وشخصيّة بارزة بين شبابنا المثقف النّاهض دؤوب على المطالعة والتّحصيل وصبور على البحث والتّحليل وهو من أضوى مصابيح المستقبل" (البصائر عدد 89 في 3 ديسمبر 1937).

ورغم وفاته المبكرة في يوم 13 ماي 1951م، إذ توفي عن عمر يناهز 45 سنة وعدم مشاركته في الحرب التّحريريّة، إلا أنه كان يدعو إليها جهارا في مقالاته ، ومما جاء في واحد منها نشر بالعدد الأول من البصائر (25 جويليّة 1947):

"اللهم إنك تعلم أننا عزل إلا من سلاح الحق ففوقنا به، وثبتنا عليه، حتى نسترجع حقوقنا المسلوبة، ونفتك حريتنا المغصوبة" .

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

فرحات بن سعيد بن أبو عكاز (1200هـ - 1786م/1256هـ - 1841م)

فرحات بن سعيد بن فرحات بن أحمد بن فرحات بن رجراجة وأحمد بن الصّخري بوعكاز؛ شيخ عرب الصّحراء، ولد سنة 1786، وصاحب ثورة 1837 الشّهيرة، وكني بهذا الاسم نسبة إلى عمه الذبّاح بن سعيّد بن الصّخري الذي أنشأه في بيته مع أبنائه في سيدي خالد.

وكان جده أحمد الصّخري في حياته متزوجا بامرأتين، إحداهما أم هاني بنت رجب باي قسنطينة وهي الأرملة السّابقة لأخيه ابن القيدوم بن محمّد الصّخري ولها من هذا الأخير أربعة أولاد، أما الزّوجة الثّانيّة فهي رجراجة بنت الشّيخ بن الحدّاد شيخ الزّاويّة الرّحمنيّة في مجّانة ببلاد القبائل الصّغرى، ولها منه محمّد وفرحات بن سعيّد وفاطمة البلّيليّة زوجة سلطان توقرت بن جلاب الخازن، وقد استقرت رجراجة في واحة سيدي خالدّ بعد وفاة زوجها سنة 1690م حيث كانت قبل هذا القدوم في واد ريغ.

وقد أمضى فرحات بن سعيّد سنوات عديدة في واد ريغ متزعما الطّرود، وساعد زوج أخته سلطان تقرت ابن جلاب الخازن سنة 1814م على الاستيلاء على مدينة تقرت.

"ولم تكن الشّعبيّة تنقص فرحات بن سعيّد، لأن خصاله كانت تستهوي النّاس وتأخذ بمجامع قلوبهم، ومع أنه كان قصير القامة، إلا

أن صدره البارز يجعله يظهر وهو ممتطيا صهوة جواده طويلا جدا. وكان يرتدي ثيابا بسيطة، وكان كلما سئل عن ذلك مقارنة بما يرتديه بن قانة من الثّياب الفاخرة، يجيب بأن الثّياب الجميلة للنساء، أما جمال الرّجل فيكمن في ذراعه وكلمته".

خلف الشّيخ فرحات بن سعيد عمه "ذباح" على رأس مشيخة عرب الصّحراء سنة (1821م)، ودامت مشيخته رسميا وباعتراف من بايات قسنطينة خمس سنوات (1236هـ-1241هـ)/ (1821م1826-م) استطاع خلالها أن يسيطر سيطرة تامة على كامل الصّحراء الشّرقيّة على الرّغم من منافسة أسرة "ابن قانة" له. ولكن بمجرد وصول الحاج "أحمد باي" إلى حكم قسنطينة سنة 1241هـ/ 1826م، أخرج أخواله عائلة "ابن قانة" من عزلتهم السّياسيّة التي فرضها عليهم" فرحات بن سعيد، وأعلن عن أخذ المشيخة رسميا من" فرحات بن سعيد" وأسرة "بوعكاز" وإعطائها لخاله" أبي عزيز بن قانة".

منذ ذلك التّاريخ بدأ صراع دامي بين الحاج "أحمد باي" وحليفه ابن قانة من جهة وبين أسرة "بوعكاز" وعلى رأسها "فرحات بن سعيد" من جهة أخرى، وهو الأمر الذي جعل فرحات لا ينضم إلى قوات الباي عند ذهابها إلى مدينة الجزائر للمشاركة في مقاومة الغزو الفرنسي سنة 1830، بل فقد سعى للاتصال بالفرنسيين للتعاون معهم ضد الحاج أحمد وأسرة "ابن قانة" انتقاما لشرف أسرته.

وكان لفرحات تنظيم عسكري بارع لا يخونه في المعركة مطلقا، وكان شجاعا مقداما كريما ومتواضعا وتقيا وكان يذكرنا بالأبطال الأوائل للإسلام.

وقد اشتهر "فرحات بن سعيد" بالفروسيّة والشّهامة وهو ما شهد له به أعداؤه أنفسهم، فقال عنه الحاج أحمد باي:"أنه رجل بارود وصاحب ذراع، ولقد حاربني مدة سبع سنوات، فكان في المعركة يقابل مائة رجل وحده".

أما القائد الفرنسي سيروكة "C.SEROKA" فقال عنه: "أنه شخصيّة فذة، فارس لا يسعد إلا بالقتال، ذو شجاعة خارقة، كريم، بسيط، وطاهر السّريرة، يذكرنا بالفاتحين المسلمين الأوائل... متواضع جدا، ولا يهتم بأناقته، عكس ابن قانة، وإذا سئل عن ذلك قال إن اللباس الجميل من نصيب النّساء، أما حليّة الرّجل تكمن في ساعده وكلمته".

كانت بدايّة اتصالاته بالفرنسيين سريا مع الدّوق "دورفيقو" (DORVIGO) سنة 1246هـ/ 1831م، ثم أصبحت المراسلات علنيّة وكثيرة منذ سنة 1247هـ/ 1832م.

ولم تكن هذه الاتصالات خيانة للمسلمين وابناء ملته، بقدر ما كانت انتقاما شخصيا، والدّليل على ذلك أنه تحالف مع كل من الباي "إبراهيم الجريتلي" و"مصطفى باي تيطري"، الذي أعلن نفسه دايا على الجزائر بعد سقوط حكومة "الدّاي حسين" سنة 1830، بل اتصل "بالأمير عبد القادر" وعمل على التّنسيق معه لمحاربة الفرنسيين "والحاج أحمد باي" في نفس الوقت.

وقد عين "الأمير عبد القادر" "فرحات بن سعيد" خليفة له في الزّيبان سنة 1838 أثناء تنظيم دولته، وكان هدف الأمير من ذلك مقاومة نفوذ "الحاج أحمد باي" في المنطقة وإثبات حقه هو في حكم الشّرق الجزائري ومنع الفرنسيين من التّسرب إلى الصّحراء (كما فهم الأمير من معاهدة تافنا).

ولما اكتشف الأمير مراسلات فرحات بن سعيد مع العدو، عزله وأبقاه تحت النّظر وعين مكانه "الحسن بن عزوز" سنة 1839، ولكن بعد هزيمة "ابن عزوز" في مارس 1840 أمام القوات الفرنسيّة، أعاد الأمير فرحات بن سعيد إلى الزّيبان لعله يسيطر على الموقف أفضل من صاحبه، وتوجه معه "البركاني" ومحمّد الخروبي الى بسكرة ونشروا الأمن للناس وجمعوا الضّرائب، ورتبوا الجند.

وبعد انصراف "البركاني" والخروبي" بدأ "فرحات بن سعيد" و"محمّد الصّغير بن الحاج" في تنظيم الأمور واستعادة الثّقة وجمع الضّرائب وتجنيد الجند للمقاومة ولكن "فرحات بن سعيد" لم يلبث أن قتل بالقرب من "أولاد جلال" سنة 1841 ودفن في "سيدي خالدّ".

يقول خير الدّين في مذكراته أن المسمى قويدر بن نعيم البوزيدي كان يظهر الصّداقة والولاء لفرحات بن سعّيد، فاتصل به وأخبره أن صديقه الشّيخ عمار بن الشّنيتي مريض جدا، ويطلب زيارته في منزله، فركب فرحات إليه عشاء، حتى إذا وصل بالقرب من خيام ابن النّعيم قام إليه احد أقاربه وطلب منه النّزول عندهم قليلا ليقرأ لهم رسالة وردت إليهم من أحمد باي، وما إن بدأ في قراءتها حتى وقف رجل منهم وراء ظهره وطعنه بخنجر بين كتفيه وأرداه قتيلا. يقول خير الدّين أن بوعزيز بن قانة بادر بكتابة رسالة مؤرّخة في 20 نوفمبر 1842 الى الحاكم العام الفرنسي المريشال فالي بواسطة الجنرال نيقريي حاكم قسنطينة ونصها :

"يسرني أن أعلمكم أن فرحات بن سعيّد خليفة الأمير عبد القادر بالصّحراء قد قتل في معركة نشبت بينه وبين عرش البوانريد وقعت غربي الصّحراء ، واستطاع شيخ العرب بوعزيز بن قانة أن يأخذ خاتمه وسيفه وأرسلهما إلي، وليس عندي معلومات أخرى دقيقة في هذا الحادث // إمضاء الجنرال نيقريي حاكم قسنطينة.

وأصبح ابنه "علي باي" من أبرز "الزّعمات الأهليّة"، التي كانت في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، فقد عينه الفرنسيون بعيدا عن الزّيبان بأن جعلوه قائدا على وادي ريغ ووادي سوف.

رابح دوب

المصادر :

- عاشور شرفي: الكتاب الجزائريون قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011.

فرونطون السّيرتي
ق (II م)

أحد أساتذة البلاغة المشاهير ولذلك لُقّب بشيشرون الثّاني، تقلّد سامي الوظائف في الدّولة الرّومانيّة ونال أعلى الرّتب، ويكفيه مجدا أنّه الأستاذ الذي كان من بين تلاميذه إمبراطوران؛ هذا الإفريقي هو (كورنيليوس فرونطو/ Cornelius Fronto)الخطيب والقنصل، وقد خُلِّدت ألقابه ورتبه في النّصّ المنقوش: Consul Orator Cornelius Fronto magister imperatorum Luci et Antonini ، من قبل حفيده)أوفيديوس فرونطو (Aufidius Fronto/)الذي تقلّد هو الآخر منصب القنصلية سنة199 م.

ولد فرونطون في مطلع القرن الثاني الميلادي في بداية حكم (ماركوس أولبيوس ترايانوس/ M.Ulpius Trajanus) أحد أشهر الأباطرة الرومان والذي وصلت الامبراطورية في عهده إلى ذروة اتساعها، وكانت سيرتا مسقط رأسه وفيها قضى طفولته، وتلقى تعليمه على يد أشهر الأساتذة، حيث كان بالمدن الكبرى النّوميدية: سيرتا، ثيفيست ومداوروش آنذاك أساتذة مدارس ونحاة يؤمّنون للتلاميذ تعليما ابتدائيا وثانويا، فيما كان التعليم العالي متمركزا في قرطاج وفي هذه الأخيرة أكمل فرونطون تعليمه العالي، خاصة وأن الحياة العلمية في قرطاج كانت تضاهي مثيلتها في روما، لأنّها المدينة الثانية في الإمبراطورية، وفي هذا السياق يقول أبوليوس (Apulée de Madaure) الذي عاش في فترة قريبة من حياة فرونطون:" إنّك لا ترى في قرطاج إلاّ نخبة المثقّفين الضليعين في مختلف العلوم؛ تلاميذ يدرسون، شباب يتباهون بعلومهم وشيوخ يدرّسون، إنّ قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنّها هدية السماء للأفريقيين".

ترك فرونطون المعلّم والباحث والخطيب أعمالا كثيرة في مجال التاريخ البلاغة وفن الخطاب أهمها:

المراسلات (Epistolae) وهي أشهر آثاره، وقد كتبها على مرحلتين وفي فترتين مهمّتين من حياته الأولى ما بين 139–145م، وهي الفترة التي كان يقوم فيها بوظيفة معلّم ومربّي ماركوس أوريليوس، والثّانيّة ما بين 161–165 أي في مرحلة تقدّمه في السّنّ، هذه المراسلات تتكوّن من: خمسة كتب عبارة عن مراسلات إلى ماركوس أوريليوس وهو ولي للعهد وكتابان له وهو في منصب الإمبراطور، وكتابان إلى ويروس (Verus) وهو في منصب الإمبراطور أيضا ، وكتاب واحد إلى أنطونين الورع وكتابان عبارة عن رسائل عائليّة بعنوان إلى الأصدقاء (Ad Amicos) وأخيرا بعض الرّسائل باللغة الإغريقيّة موجّهة على الخصوص إلى أبيان وإلى الإمبراطورة فاوستين زوجة أنطونين.

– مقتطفات من خطب: مرافعات من أجل القرطاجيين والبيثونيين (Bithyniens).

– مقتطفات من دراسة في فنّ البلاغة والخطابة: وكلاهما مُهْدَى إلى ماركوس أوريليوس.

– دراستان هامّتان في التّاريخ: الأولى عن حرب الفرثيين (Parthes) والثانية بعنوان مبادئ التّاريخ عن حملة ويروس على الشّرق.

– الدّخان والغبار مهدى إلى ماركوس أوريليوس.

– مغامرات أريون (Arion).

– عطل ألسيوم (Alsium) في شكل رسائل إلى ماركوس أوريليوس.

– مقتطفات من خطب: مرافعات من أجل القرطاجيين والبيثونيين (Bithyniens).

– دراستان هامّتان في التّاريخ: الأولى عن حرب الفرثيين (Parthes) والثانية بعنوان مبادئ التّاريخ عن حملة ويروس على الشّرق.

تجاوزت شهرة فرونطون حدود سيرتا وقرطاج، فقد تربّع على عرش البلاغة في روما وكان محاطا بالمقدّرين لفنّه وكلّهم أصدقاؤه وأغلبهم من تلاميذه، فضلا عن أعضاء مجلس الشّيوخ والمحامين وسامي الموظّفين وفي مقدّمة هؤلاء نجد عددا هامّا من المشاهير، ومنهم مواطنه أبولينار القرطاجي (Apollinaire de Carthage) وأولو–جال (Aulu–Gelle) وكان لا يزال فتيّا، وأنطونيوس يوليانوس(Antonius Julianus) الخطيب النّابغة وفافورينوس الغالي (Favorinus Le Gaulois) وفابيوس سويروس (Fabius Severus) المحامي والقانوني الشّهير وأبيان (Appianus) المؤرّخ الإسكندري الشّهير، وكان آنذاك يشغل منصب محامي في روما، فتوسّط له فرونطون لينال منصب بروكيراطور وهيرود أليكوس (Hérode Alicus) قنصل سابق وأستاذ ماركوس أوريليوس في الأدب الإغريقي، وهو من القليلين الذين اختلفوا مع فرونطون غير أن الزّمن كان كفيلا بحسم النّزاع وفرض الصلح بينهما إلى آخر يوم في حياتهما؛ كلّ هؤلاء الأدباء كانوا يقدّرون فنّ فرونطون الذي كان في نظر تلاميذه المثل الأعلى حتّى بعد تقلّدهم مناصب عليا،ومن هؤلاء زيادة على الإمبراطورين ماركوس وويروس يمكن أن نذكر المحامي سولبيكيوس كورنيليانوس(Sulpicius Cornelianus) والفيلسوف يوليوس أكويلينوس(Julius Aquilinus) والقانوني فابيانوس(Fabianus) والخطيب وولومنيوس كوادراتوس(Volumnius Quadratus) الذي كانت له مكانة خاصّة لدى فرونطون فكان يناديه: ولدي . وأخيرا نذكر المتعدّد الاختصاصات يوليوس تيتانيوس (Julius Titanius) صاحب عدّة دراسات في الجغرافيا والبلاغة والنّحو.

كان فرونطون خلال حياته كلّها أفريقيّاً بوجدانه وعاداته وسلوكه: طلاقة اللسان والصّراحة القاسيّة التي لم يسلم منها حتّى الأباطرة، لغته التي كانت خليطا جميلا من التعابير المهجورة والهلّينية والشّعبية، وهي خصائص اللاتينية التي تكلّمها الأفريقيون في نوميديا وقرطاج منذ أمد بعيد، وهي نفس الخصائص اللغويّة التي نجدها عند مواطنيه: أولو–جال وأبوليوس وترتوليانوس. ونستنتج من أعماله أنّه كان أنيقا ذا كبرياء، طيّب القلب، ومهما يكن فإنّه كان جديرا بالمكانة التي احتلّها في تاريخ الآداب القديمة.

العربي عقون

■ فضيلة الجزائريّة
(1335هـ - 1917م/1390هـ - 1970م)

وُلِدَت (فضيلة مداني الجزائريّة/ الدّزيريّة) في 25 جوان 1917م ببيت المال بالقرب من (السّيدة الأفريقيّة) في أعالي القصبة في العاصمة، وهي من عائلة فقيرة مُعدمة ولكنّها محبّة للفنّ المحلّي؛ وبخاصّة لقربها من الشّيخة (يامنة بنت الحاج مهدي) التي كانت صديقة العائلة، وكانت تصحب (فضيلة) لإحياء الحفلات العائليّة، وتعلّمت منها أصول غناء الحوزي. ومن حفلة لأخرى بدأت (فضيلة) تظهر متقنة لفنّ الغناء، وبخاصّة لما بدأت تُسهم في بعض البرامج الإذاعيّة أمثال (من كلّ فنّ شويّة) الذي يعدّه (جيلالي حدّاد) ويُصبح هذا الأخير في ما بعد ملحّن الكثير من أغانيها.

توقّفت فترة من الزّمن لما تزوّجت سنة 1930م، ولكن في سنة 1935م رجعت إلى السّاحة الفنيّة، وبدأت في إحياء الحفلات الفنيّة العائليّة الملتزمة؛ والتي تحمل الحشمة في أصولها المحافظة. ومن العاصمة تُسافر إلى لقاء المهاجرين في باريس، وتُغنّي لهم أغاني وطنيّة حاملة للتّراث والأصالة وعهد أيام زمان في أوبيرا باريس، وتبقى (فضيلة) هناك تصدح بأغاني الوطن ويقوم المهاجرون بتشجيعها وطلب بقائها. ولمقتضيات الواقع العائلي تعود إلى الوطن بنَفَس جديد؛ حيث تخرج من ميدان الحفلات العائليّة، وتصبح مُغنيّة في المسرح الجزائريّ، وتخرج من قيْد الغناء المحليّ إلى غناء على البيانو مع الفنّانيْن: مصطفى إسكندراني، مصطفى كشكول، ثمّ تنضم إلى فرقة الفنّانة (مريم فكاي) ومن هناك تمكّنت من إنتاج أعمالها الخاصّة، فكان أوّل مولود فنّي لها أسطوانة ذات طابع عربيّ أندلسيّ عنوانها (رشيق القلب). وبانضمامها إلى هذه الفرقة المشهورة بالنّوبة والقالب عربي-أندلسي/ نوبة عراق-انقلاب، بدأت تنال مجداً فنيّاً، ويطلب ودُّها لإحياء الحفلات، كما تَقْدُم



على تسجيل أغانيها للتّلفزيون الجزائريّ، وتخرج -في إحياء حفلات في الحوزي والأندلسي-من العاصمة إلى تلمسان حيث موطن هذا الفنّ، وهناك تلتقي عمالقة الموسيقى الأندلسيّة وتزيد في تعميق طبعها العروبيّ. ومع ما سمعته من طبوع أخرى لم تنكرها، ولكنّها سنّت طريقة في طبعها تروم احتذاءها مع متطلّبات الآلات المناسبة لكلّ مقطوعة شعريّة، وبقيت محافظة على طابعها، وتدور في تلك الأغاني التي اشتهرت بها، وتتصدّر المشهد الفنّي، بما جمعت بين الحسنيين: روعة الصّوت، إتقان فنّ الحوزي الجزائريّ. وبذلك تصدح في الدّاخل والخارج، وتصبح لقب (ملكة الفنّ الجزائريّ الأصيل) لتسجّل المسيرة الأوّلى لأغانيها في أكبر المسارح، وتنال صفّة عميدة أغنيّة الحوزي. ويخفّ صوتها قليلاً في الأربعينيات بعد ظهور الاستعداد للنّفير، وفي ذلك الجوّ الحماسيّ كانت (فضيلة) تُسهم بفنّها من أجل التّهيئة والتّحميس والتّهييج والاستعداد للنّفير وكانت تجمع بين فنّها وعملها الوطنيّ خلال ثورة التّحرير، حيث كانت تجمع الأموال، وترسلها عبْر الفدائيين إلى المجاهدين، وكان هذا سبباً في زجّها في سجن (سركاجي) هذا السّجن الذي لم يكن يُزجّ فيه إلاّ بالخطرين، والدّاخل إليه مفقود، والخارج منه معدوم؛ حيث شهد جرائمَ إنسانيّة من قبل المستدمر الفرنسي ما لا يمكن تصوّرها. وبعد السّجن تعود إلى تمويه أغانيها بالرّموز واستعمال قالب التّوريّة كي تمرّر سلاحها الكلامّي التّحريضيّ وتبقى مجاهدة بصوتها حتى نيْل الاستقلال.

وفي تلك المسيرة التي أحيَت العديدَ من الحفلات تعمل على تسجيل المسرحيات التّاليّة: ما ينفعْ غيرْ الصّحْ، دولة النّساء، عثمانْ في الصّينْ، موني راجلْ. كما تُسجّل الأسطوانات التّاليّة: مالو حبيبي مالو، أنا طويري... وأصبحت هذه الأغاني سمة بارزة تُعرف بها الفنّانة العاصميّة التي سجّلت بُعداً وطنياً وعالمياً للفنّ التّراثي، وكان كلّ هذا العطاء في ظرف مشحون بالبّعد الاجتماعي الذي ينظر للمرأة من زاويّة عدم المغامرة في الفنّ بصفّة عامّة، ولكنّها نالتّ التّشجيع من أمّها ومن الفنّانين الذي احتووها، ولحّنوا لها فأبدعت وأعطت اسماً ووسماً لفنّها الحوزي.

بَعْد الاستقلال عملت على تكوين فرقة موسيقيّة خاصّة، وظلّت تواصل غناء الحوزي بآلات معاصرة ومع فرقة من الجيل الجديد، واستطاعت أن تُعطيَ ذوقاً لفنّها ويُصبح موضة العاصمة المزيج بالشّعبي التّراثي، إلى جانب بعض الغناء من الطّبع الأندلسيّ ذي الطّابع العاصميّ، وقال فيها المُلحن (مصطفى سحنون) الذي كان يرافقها في فنّها"... هي عميدة الموسيقى الأندلسيّة في فترة كان من الصّعب بالنّسبة لامرأة أن تفرض نفسها في السّاحة الفنيّة... كان صوتها المُميّز يعكس أجواء الحياة في مدينة قصبة الجزائر، ولحدّ الآن لم نتمكّن من العثور على صوت جديد يشبه صوتها؛ بالرّغم من الفنّانات اللواتي يؤدّين بشكل جيّد هذا الطّابع الموسيقي". فما هو هذا الفنّ؟

فنّ الحوزي:

كان عليَ تعريف القارئ بهذا الفنّ الذي اشتهرت به الفنّانة، ليكون على درايّة بأنّه فنّ غنائيّ معروف في بعض مناطق الوطن، على غرار: العاصمة، البليدة، تلمسان؛ وهو فنّ أكثر شموليّة، ويختلف عن المالوف الأندلسيّ، وهو عبارة عن مقطوعات شعريّة منظومة بالدّارجة/ المحليّة، في قالب موسيقي خاصّ من حيث الأداء من النّغم الأندلسيّ، ويتميّز بلقّة اللجوء إلى نغمات مُتعدّدة وقِصَر المسافات الصّوتيّة حسب كلّ مغنٍ. واشتهر هذا الفنّ في تلمسان على يدّ الشّاعر (سعيد بن عبد الله المنداسي، أحمد بن تريكي، محمّد عبد الله بن مسايب، عائلة بن سهلة) هذا على مستوى تلمسان، وأما في وسط الجزائر وفي العصر الحاضر فاشتهرت به فنانتان هما: فضيلة الدّزيريّة، نعيمة الجزائريّة. ولكن تميّزت (فضيلة) بجلساتها التّقليديّة التي تجمع فرقتها من الشّيخات؛ بما يحملن من طبول وترداد المسموع، ليحاكين الرّجولة والفحولة والأصالة والتّاريخ، وفي جوّ عائليّ يرتاح إليه المستمع، بما يقدّمه من حِكَمٍ ونصائحَ وهي في صحن من سفينة الفنّ الحوزي الشّاعريّ.

وفاتها:

توفّيت أيقونة الطّرب العاصمي/ الصّوت الخالدّ (فضيلة الدّزيريّة) في 6 أكتوبر 1970م ودُفنت في مقبرة القطّار، وتركت مدرسة قائمة بذاتها في أغاني الحوزي التي تميّزت بها عن غيرها من الفنّانات الجزائريات. رغم أنّ مسيرتها لم تكن طويلة، إلاّ إنّها كانت كفيلة بأن تُلهم كلّ من سمع أغانيها. وها هي تلك الأغاني قائمة في إلهام وأفواه مُغَنِّيَاتٍ جزائرياتٍ يعملن على تقليد (فضيلة) ويُغنين: يا بلارج يا أطْويل القامة، عيني أشكاتْ مع قلبي، يا حكيم، دخلي مسامعي، يا قلبي خلّي الحال، عشقتْ الزّينْ، أنا يا برّاني، اسْماحْ يا عينْ، اسمَعْ للفالْ الزّينْ، اكحلْ العينْ، جُرح قلبي لا ابْغَى يبْرا...

صالح بلعيد

فضيلة مهري (ندى)
(1391هـ - 1971م/1442هـ - 2021م)

تعدّ المجاهدة الشّهيدة (فضيلة سعدان) إح فضيلة ابنة المناضل الشّيخ حملاوي مهري، وهي(فضيلة مهري) المعروفة أدبياً، وعلى مستوى السّاحة الثّقافيّة، والأدبيّة باسم (ندى)؛ ولدت سنة: (1391هـ)، المُوافق لـ(1971م) بمدينة: (الحروش) التّابعة إلى ولايّة (سكيكدة) ، وتُوفيّت يوم: (27شوال1442هـ)، المُوافق لـ: (08جوان2021م) بمدينة الحروش.



زاولت تعليمها الأول بمسقط رأسها، واجتازت مراحلها التّعليميّة بتفوق، وهي إعلاميّة وشاعرة، وقاصة، وروائيّة مُتخصصة في مجال أدب الأطفال، والشّباب، ولها كتابات ثقافيّة، وأكاديميّة متنوعة، عملت في المجال الإعلامي بكل روافده المكتوب، والمسموع، والمرئي، والالكتروني لمدة تزيد عن ثلاثين سنة، كما عملت في منظمة المرأة العربيّة؛ التّابعة لجامعة الدول العربيّة، ومقرها القاهرة لمدة تزيد عن خمسة عشر عاماً؛ حيث أفادت هذه المنظمة العربيّة في مجالات متنوعة من بينها: الإعلام المؤسساتي، والتّخطيط، وإعداد البرامج الإعلاميّة للمؤسّسات، والمنظمات الدوليّة، وفي مجال الاستشارات الإعلاميّة والحملات الإعلاميّة، وإعداد النّدوات، كما كانت خبيرة في إعداد المجلات الثّقافيّة، والمجلات المتخصصة، وقد كانت تُجيد عدة لغات أجنبيّة من بينها: الانجليزيّة، والفرنسيّة، وكانت عضوة في جمعيّة المراسلين الأجانب بالقاهرة، وعضوة في اتحاد كتاب مصر، نشرت الكثير من المقالات، والدراسات الأكاديميّة في مجلات ثقافيّة، وأكاديميّة متنوعة، ومن بين الدراسات التي نشرتها دراسة موسومة ب: (الكتابة للطفل وضرورات التّطوير)، نُشرت في المجلّة المحكمة لجامعة كيرالا بالهند، سنة: (1437هـ/ 2016م)، ومن بين أنشطتها الإعلاميّة أنها أجرت الكثير من الحوارات مع شخصيات جزائريّة، وعربيّة، و سياسيّة، وثقافيّة، وفنيّة، وعلميّة، واقتصاديّة، وفي كلّ المجالات، ومن بين الشّخصيات التي حاورتها: الرّئيس الجزائري الأسبق الرّاحل أحمد بن بلة، والشّيخة لبنى القاسمي؛ أول وزيرة إماراتيّة، والفنانة المسرحيّة القديرة؛ نضال الأشقر، والرّوائيّة الجزائريّة؛ أحلام مستغانمي، والرّوائي الجزائري الرّاحل الطّاهر وطار، والرّوائي المصري بهاء طاهر، والرّوائي المصري علاء الأسواني، وغيرهم من أدباء الجزائر، ومصر، والعالم العربي، وكذا مجموعة كبيرة من الفنانين من أرجاء مصر، والعالم العربي، كما قامت الأديبة والإعلاميّة ندى مهري بالكثير من المتابعات الصّحفيّة، والمراسلات، والتّحقيقات، والتّقارير، وكتبت الكثير من

كتابات الرّأي، وقدمت قراءات متنوعة في السّياسة، والاقتصاد، والثّقافة، والعلوم سواء داخل الجزائر، أو خارجها في مصر، وفي شتى أقطار العالم العربي، كما نشرت العديد من القصص المُوّجهة إلى الأطفال بمجلّة"العربي"الكويتيّة، ونشرت الكثير من المقالات المتنوعة في الصّحف الجزائريّة، والعربيّة، واشتهرت الأديبة ندى مهري بكتابة العمود الصّحفي الأسبوعي، والشّهري، ومن بين الجرائد والمجلات التي كتبت بها بصفتها صحفيّة وأديبة: جريدة الصّحافة، والحياة، وصوت الأحرار، و البلاد، و الشّروق، و مجلّة الشّاشة، ومجلّة أنوثة بالجزائر، وجريدة القاهرة، ومجلّة الغد العربي بصفتها مراسلة من الجزائر، و متعاونة بمصر، ومجلّة أدب ونقد، ومجلّة الثّقافة الجديدة بمصر، وجريدة الشّرق الأوسط، و مجلّة المشاهد السّياسي، ومجلّة النّور بلندن، و مجلّة الرّجل، و مجلّة القافلة السّعوديّة، و مجلّة الدوحة بقطر، و مجلّة العربي الصّغير بالكويت، و المجلّة العربيّة بالسّعوديّة، و مجلّة ديوان العرب، و مجلّة الوطن السّعوديّة، ودار ناشري الكويتيّة، وقد أجريت مع الكاتبة ندى مهري العديد من اللقاءات الصّحفيّة والتّلفزيونيّة سواء بالصّحافة الجزائريّة، والتّلفزيون الجزائري، وكذلك في الصّحافة، والإذاعة المصريّة، والتّلفزيونات المصريّة، والعربيّة، والأجنبيّة، وقد قدمت الأديبة والإعلاميّة ندى مهري العديد من الأبحاث الإعلاميّة في مجال المرأة في مؤتمرات تخص قضايا المرأة؛ حيث شاركت في الكثير من المؤتمرات بتقديم أوراق عمل داخل الجزائر، وفي شتى أقطار العالم العربي، ومن بين النّدوات الأدبيّة، والأمسيات الثّقافيّة التي شاركت فيها داخل الجزائر، وخارجها، نذكر: مؤتمر الأحزاب العربيّة في دمشق بسوريا، سنة: (1423هـ/ 2002م)،)، مؤتمر جامعة ناصر الأمميّة بليبيا، وذلك عام: (1426هـ/ 2005م)، وملتقى النّظام الأسري وحقوق الإنسان في جامعة باتنة بالجزائر، عام: (1426هـ/ 2005م)، وملتقى المرأة العربيّة في الحياة الاقتصاديّة بجامعة البحرين، عام: (1426هـ/ 2005م)، ومؤتمر المرأة العربيّة في التّنميّة بالإسكندرية، بجمهوريّة مصر العربيّة خلال عام: (1427هـ/ 2006م)، وورشة عمل (الجندر ووسائل الإعلام) بالأردن، عام: (1427هـ/ 2006م)كما شاركت في مؤتمر دور الإعلاميات في الحد من العنف ضد المرأة في وسائل الإعلام بالأردن عام: (1431هـ/ 2010م)، كما مثّلت المنظمة العربيّة للمرأة في ندوة عن دور الإعلام في إحداث التّغيير المطلوب للنهوض بعمل المرأة العربيّة، وذلك بالغردقة في مصر، خلال عام: (1431هـ/ 2010م)، وقدمت شهادة مطوّلة عن الرّوائي الجزائري الرّاحل الطّاهر وطار في الملتقى الدولي الخامس للروايّة العربيّة في مصر، وذلك عام: (1431هـ/ 2010م)، وشاركت في ملتقى أوراق سكيكدة الأدبيّة بالجزائر، سنة: (1434هـ/ 2013م)، وأسهمت بورقة بحثيّة في ندوة دور الإعلام في دعم الثّقافة لمواجهة الإرهاب بمعرض القاهرة الدولي للكتاب، سنة: (1438هـ/ 2017م)، وشاركت في ندوة أكاديميّة المعرفة العراقيّة بإسطنبول، بإلقاء محاضرة عن تجربتها الأدبيّة، وسيرتها الذاتيّة، وعلاقتها بالكتابة الإبداعيّة، والأدبيّة المُوّجهة إلى الأطفال، عام: (1439هـ/ 2018م)، إضافة إلى مشاركتها في ملتقيات، ومؤتمرات، وندوات علميّة، وثقافيّة متنوعة، ومن أهم مؤلفاتها: مجموعة قصصيّة مُوّجهة إلى الأطفال موسومة ب: (أميرة النّجوم)؛ نالت بها جائزة الشّارقة للإبداع العربي، سنة: (1430هـ/ 2009م)، ومجموعة قصصيّة معنونة ب: (لعبة الألغاز)؛ صدرت عن الهيئة المصريّة العامة للكتاب، عام: (1434هـ/ 2013م)، وقد حُوّلت قصتها الموسومة ب: (ذات الأنف الأحمر) إلى رسوم متحركة، ومن أهم أعمالها الرّوائيّة روايّة: (مملكة الأمنيات) المُوّجهة إلى الشّباب واليافعين، والتي صدرت في طبعتها الأولى عن منشورات مؤسسة دار فهرس للطباعة والنّشر والتّوزيع في القليوبيّة بمصر، سنة: (1440هـ/ 2019م)، وهي روايّة تنطلق في شقها الأول من عودة"هدهدة"مع صديقتها الأميرة (مُضيئة)، وتدور أحداث الرّوايّة في فضاء يتسم بالانفتاح على مملكة النّجوم المُتخيّلة، وكوكب الأرض، وهي تُقدم صورة مصغرة عن كيفيّة الإفادة من الحياة، ومن الدروس التي تقدمها لنا، والتي هي صادرة بطريقة مفاجئة عن غرباء، وقد ألفينا الأديبة ندى مهري تُذبح الغلاف الخارجي لروايّة: (مملكة الأمنيات)، بهذا النّص المقتضب: "إنها الحياة، والحياة دروس؛ فقد يحدث أن نلتقي بغرباء أجمل من بعض الأصدقاء، وبأصدقاء في جوهرهم مجرد معارف، والزمن ليس وحده معياراً لتقييم متانة العلاقات الإنسانيّة، ويجب أن نتحرّى جيداً من نطلق عليه صفة صديق، لأنّ الصّديق ملك الرّوح، والرّوح النّقيّة دائماً جميلة وصادقة مهما علقت بها الشّوائب في بعض الأحيان". ومن خلال قراءتي لجلّ أعمال الأديبة ندى مهري، أدركت بأنها قد وظّفت في قصصها الشّائقة المُوّجهة إلى الأطفال جملة من العناصر الرّئيسة التي يستعين بها الأدباء في تشييد نصوصهم الإبداعيّة، ومن أبرز هذه العناصر:

1 -العنصر الفني: وقد ظهر في تنميق الأديبة ندى مهري لألفاظها، وتراكيبها، وأسلوبها، فأعمالها الأدبيّة تزخر بمعجم فني ثري جداً، ومتنوع، وتشتمل على عدة حقول دلاليّة. فهناك الألفاظ الدالة على شتى مناحي الحياة، وقد لاحظناها من خلال البنيات اللغويّة المتعددة الدلالة، والتي تحيل على مختلف المعاني بطرائق ملتويّة، وهناك الألفاظ الدالة على الزمن، وقد انقسمت من حيث دلالتها السّياقيّة إلى ألفاظ، وكلمات صورت بطرائق جماليّة حركيّة الزمان، وتحولاته من حقبة إلى أخرى، ولاسيّما أن الرّوائيّة قد بنت نصوصها السّرديّة على عمليّة كبرى لاسترجاع الماضي، حيث تقوم الشّخصيات المحوريّة باستذكار الجزء الأكبر من الأحداث، والتّعليقات، وهناك ألفاظ تحيل على لحظة زمنيّة معيّنة، ومحدّدة، وترتبط بأحداث سابقة، وهناك ألفاظ تدل على التّقوى، وعلى الإنسان،

وعلى الفناء، والتّغيير، وغيرها من الحقول الكثيرة.

2 -**العنصر الخيالي**: وقد وظفته الأديبة ندى مهري في تصوير كثير من التّحولات في حياة الشّخصيات الرّئيسة، كما لاحظنا هذا الأمر على سبيل المثال في روايّة: (مملكة الأمنيات)، فساهم في إثراء النّص السّردي بالصّور، والرّؤى، والمشاهد المتخيلة التي زادت النّص عمقاً، فالنّص الرّوائي الذي أبدعته الأديبة ندى مهري تشكل من تركيبة معقدة انصهرت في بوتقتها الأحزان، والأشجان، والآمال، والآلام، فقد تشابك ما هو أدبي تخييلي مع الماضي، والاستذكار ، وقد انفتح النّص الرّوائي على فضاءات واسعة، كشفت عن تجارب متنوعة للأديبة، فظهرت العناصر الأدبيّة، و الرّؤيويّة.

3 -**العنصر الوجداني**: وقد اتضح في إبراز الأديبة ندى مهري لعواطفها في مختلف أعمالها الإبداعيّة، من خلال التأملات التي تبثها في نصوصها، وعلى سبيل التّأويل نقول إن بعضها قد يكون مقتطفاً من سيرتها الذاتيّة، عبّرت فيها الرّوائيّة عن هواجسها بطرائق رمزيّة متنوعة، ومتداخلة.

4- العنصر العقلي: وقد بدا جلياً من خلال مجموعة من الرّؤى، والأفكار العميقة التي قدمتها الأديبة ندى مهري بشتى الطّرائق الإيحائيّة، وهي تحتاج إلى دارس عميق ليكشف عنها النّقاب، ويربطها بالأنساق الثّقافيّة، فالنّص الرّوائي متصور ذهني، ومعطى جمالي، ولكل جيل تفكيره، ولكل أديب، ومبدع منطقه الخاص في التّعبير عن ما واجهه من مشاكل، ومعضلات في عصره.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- ندى مهري: مملكة الأمنيات ، منشورات دار فهرس للطباعة والنّشر والتّوزيع، القليوبيّة، مصر، الطّبعة الأولى، سنة: 2019م .

■ فضيلة سعدان
(1357هـ - 1938م/1380هـ - 1960م)

تعدّ المجاهدة الشّهيدة (فضيلة سعدان) إحدى بطلات الجزائر اللاّئي سجّلن أسماءهنّ بأحرف من ذهب في سجلّ الخالدّين لما قدّمنه من تضحيّات في سبيل تحرير وطنهن، إنّها سليلة أسرة مجاهدة قدّمت الكثير للجزائر مع شقيقتها الممرّضة الشّهيدة (مريم سعدان).

ولدت (فضيلة سعدان) يوم 10 أفريل (1938) ميلادي بمدينة (قصر البخاري) ولايّة (المديّة)، وترعرعت وسط عائلة محافظة ومتديّنة، حيث كان والدها يمارس مهنة التّعليم، وكان قبل ذلك حسب بعض الأحاديث وكيل جمهوريّة وعضوا في جمعيّة العلماء المسلمين، وكان له موقف بعد أن حُكم زورا على بعض الجزائريين من قبل المحتل الفرنسي، وبعدها اشتغل كمدرّس في قصر البخاري، وبعد سنتين من ميلادها سنة (1942) استشهد إثر جروحه جرّاء تعذيبه في أحد السّجون الفرنسيّة، فهو قبل أن يكون معلّما كان مناضلا ورجلا ثوريّا، فعائلة (سعدان) عائلة مناضلة حتّى النّخاع.

انتقلت (فضيلة سعدان) بعد استشهاد والدها مع والدتها وإخوتها إلى (الحرّوش)



قرب (قسنطينة)، والتّحقت هناك بالمدرسة الابتدائيّة أين حصلت على القبول وفي العام الدّراسي (1948-1949) انتقلت إلى التّعليم المتوسّط فالثّانوي، تعلّمت منذ نعومة أظافرها حبّ الوطن فلم تقبل رؤيّة الفرنسيّين يسرحون ويمرحون في بلدها الجزائر، ويشرّدون أطفالها ويجوّعون شعبها، فكانت تكبر ويكبر معها إيمانها بتخليص شعبها من مأساته القاسيّة.

أبدت (فضيلة سعدان) اهتماما مبكّرا بالجانب السّياسيّ، فدخلت في النّظام الفدائي مبكّرا، (ذكرت السّيدة ثمرة طرودي، إحدى الفدائيّات اللّواتي كوّنهنّ الشّهيد حملاوي، وزوجة المجاهد (بشير لحماري) قائد خليّة سنوات الخمسينيّات، أنّ هذا الأخير وبناء على طلبات النّظام الذي كان يحتاج إلى العنصر النّسويّ المثقّف باللّغتين العربيّة والفرنسيّة، فقد قصد (وردة بن عقون) التي كانت تتردّد على مخزنه لبيع الدّقيق وتشتري من عنده، وهي والدّة (فضيلة بن عيّاش) والتي كان والدها يشتغل محاميّا، وصديقة فضيلة سعدان يتقاسمان الطّاولة نفسها بثانويّة الأختين سعدان حاليّا بمنطقة الكوديّة، حيث التّقى مع السّيدة (وردة) بمخزن بيع الدّقيق بمنطقة (ميلة صغيرة) بالمدينة القديمة، أواخر (1955)، طلب منها أن تدخل معهم فرفضت أمّها ذلك، وذكرت اسم فضيلة سعدان التي قالتّ له إنّها ترغب في الانضمام للعمل الثّوري، حيث لم تتردّد في ذلك، وانضمّت إلى الخليّة وتوسّعت خليّتها، وأصبحت مع المجاهدة فاطمة طرودي، حيث انطلقتا بالعمل السّياسيّ من خلال توسيع المناشير والتّشهير بالثّورة ومحاولة ضمّ أكبر عدد من المناضلين والفدائيّين من الجنسين، حيث كانت تقصد محلاّ بـ(فندق الزّيت) بالقرب من منطقة الرّصيف، تابع لأحد الميزابيّين، يقومون بطبع رسائل تحمل الرّايّة الوطنيّة، وختم جبهة التّحرير الوطني، والتّحفيز على

المشاركة في الثّورة، كما تمارس عملها، وهي لا تزال تدرس، ثمّ انضمّ الشّيخ العيد المدعو (الحلاّب، وصالح قدّيد وبشير ملاّح، فقد عملت (فضيلة سعدان) كثيرا في قسنطينة واتّصلت بالكثيرين وهرّبت الكثير من السّلاح، كما أن أعمالها ظلّت مخفيّة لأنّها فدائيّة وتّم كشفها من قبل.

حدّد المؤرّخون أوّل مشاركة فعّالة (لفضيلة سعدان) في العمل الثّوري في التّهيئة والإعداد لإضراب الطّلبة الذي دعت إليه جبهة التّحرير الوطني يوم 19 ماي (1956)، حيث قامت بالإعداد لهذا الإضراب بالثّانويّة التي كانت تدرس بها (ثانويّة الحريّة حاليّا بمدينة قسنطينة)، وقد اتّهمت على إثر ذلك بأنّها المفكّر والمحرّض على الإضراب بثانويّتها، فاعتقلت وأودعت سجن الكديّة في شهر نوفمبر من نفس السّنة (1956) الذي قضت به ما بين 6 و8 أشهر، وقد تكفّلت جبهة التّحرير بالدّفاع عنها وأرسلت لها محاميّا من العاصمة ليتولّى قضيّتها، وتمكّن المحامي من الحصول على إذن بتمكينها من الحصول على الكتب اللاّزمة لمتابعة دراستها، وبعد خروجها من السّجن وبأمر من والدّتها سافرت إلى (فرنسا) سنة (1957) لإتمام دراستها لدى ابن عمّ والدها وأثناء ذلك لم تتخلّ عن نضالها وذكرت أختها الكبيرة السّيدة (عزيزة) في مقابلة مع أحدهم: (أنّ ابن عمّ والدها، الذي أقامت عنده فضيلة في فرنسا، قال لوالدّتها خديجة، إنّه وجد السّلاح مخبّأ في منزله من قبل فضيلة دون علمه، حيث لم تنقطع عن الكفاح وأنّ سريرها كان قنبلة، ولم تتوقّف في أيّ مكان، حيث يحكي المغتربون إنّها تتوجّه إلى الجزائريّين المغتربين وتؤنّبهم كلّ مرّة وتحثّهم على محاربة الاستعمّار)، فهي شاركت في توعيّة العمّال من أجل القضيّة الجزائريّة، وقد تحصّلت على شهادة البكالوريا بجدارة واستحقاق مقارنة مع زميلاتها الفرنسيّات، إذ كانت الأوّلى على مستوى دائرتها الأمر الذي دفع الصّحافة الفرنسيّة للحديث عنها.

في 13 ماي (1958)، ألقت السّلطات الاستعمّاريّة القبض على أختها (مريم) مع عدد من رفقائها في النّضال التي كانت تشتغل كممرضة في المستشفى وعضوا في الاتّحاد العام للعمّال الجزائريين، ليخلى سبيلها بعدما تعرّضت إلى أقصى أنواع التّعذيب من زبانيّة الاستعمّار الفرنسي، وبعد مدّة قصيرة هي ثلاثة أشهر أعيد اعتقال (مريم سعدان) من جديد، وظّلت في السّجن، ولم يتّم التّعرف على حالها ومصيرها رغم خبر استشهادها من شدّة التّعذيب، حيث لم تصل سوى رسالة واحدة تصف فيها حالتّها لأمّها قبل وفاتها ورسالة أخرى لم تسلّم للعائلة، ولمّا علمت (فضيلة) باختفاء شقيقتها عادت إلى أرض الوطن في شهر جوان (1958).

لقد كانت (فضيلة سعدان) المناضلة شديدة الوعيّ بما يحدث في وطنها من أحداث وخصوصا آثار الاحتلال على الشّعب الجزائري، فكانت تكره الظّلم وتحمل في جيناتها الرّوح النّضاليّة والثّوريّة منذ صغرها، ممّا جعلها تلتحق بصفوف الفدائيين في أقرب فرصة سمحت لها.

عادت الشّهيدة إلى أرض الوطن بعد سلسلة الاعتقالات والتّعذيب الذي تعرّضت له أختها (مريم) إذ لم يحتمل حسّها الوطني ذلك فالتّحقت نهائيّا بصفوف جيش التّحرير الوطني في شهر جوان (1958) فكان دورها النّضالي فعّالا ممّا أهّلها للقيّام بمهمّة الاتّصال بالمجاهدين في (قسنطينة) وخارجها وتفرّغت للأعمال الفدائيّة.

في الأسبوع الثّاني من شهر جوان (1960)، ونتيجة لوشايّة حسب بعض الأقاويل تمّت خيانتهم من قِبل امرأة، ولم يتم تحديد هويّة المرأة رغم الشّكوك التي حامت حول اسم السّيدة، تمكّن العدوّ من تحديد أماكن بعض الفدائيين، والقضاء على المجموعة الأوّلى في (باب القنطرة)، بعدها في 17 جوان (1960) حوصرت (فضيلة سعدان) مع مجموعتها في مكان يسمّى (الرّصيف)، حيث بدأ إطلاق النّار بين الشّرطة الفرنسيّة والمجاهدين ليلة استشهادهم بعد رفضهم الخروج، وكان (قيقايّة ماط) و(فضيلة) و(رواق كولط) و(مليكة) دون سلاح، وأرادوا الهروب عبر السّقف فماتت (فضيلة) بالرّصاص وقبض على (قيقايّة) حيّا وقتل بسجن أمزيّان، و(رواق) و(مليكة) اختبآ في محل بربارة، وحفروا ثقبا ونزلوا إلى المحلّ، إلى أن تفطنّ إلى ذلك المستعمر وفق المعلومات المتوفرّة لديهم عن وجود أربعة أشخاص، حيث رموا قنبلة فأصيبت (مليكة) في رجلها وبعد هذه المعركة البطوليّة التي عجزت فيها القوّات الاستعمّاريّة الفرنسيّة من القضاء عليهم، اضطرّت إلى نسف المنزل الذي كانوا فيه لتفوز (فضيلة سعدان) بالشّهادة مع من كانوا معها وتخلّد في سجل الأبرار الذين قدّموا أرواحهم الزكيّة فداء لحريّة الشّعب الجزائريّ الأبيّ.

سناء بوختاش

المصادر:

- محمّد يايسي، سلسلة الشّهداء الخالدّين الأختان الشّهيدتان مريم وفضيلة سعدان.
- وردة نوري، امرأة خانت فضيلة ورفقاءها وبلّغت عن مكان تواجدهم، الخبر الصّدق المصداقيّة، نشر يوم 13 فبراير 2014.
- فتيحة مهري، شهادة حيّة عن طفولة الشّهيدة (فضيلة سعدان)، المساء يوميّات إخباريّة وطنيّة، نشر يوم31 أكتوبر 2016.

■ فيرموس (ت:375م)

(فيرمـوس)، هو ابن رجل مـوري أفريقي مسيحي اسـمه (نوبيل)، يعود نسبه إلى عائلة ملكيّـة عريقـة حكمـت منطقـة واسـعة مـن (موريطانيا القيصريّة)، تبدأ من جبال (البيبان) إلى (نهر الشّـلف)، فضلا عن مراقبتها لمنافذ (وادي الصّومـام) و(يسّـر) و(أوزايـا)، وكان ذلـك زمـن الاحتـلال الرّومانـي (لنوميديا)، ولد فيرمـوس الأمازيغي في منطقة بومرداس وتحديدا فـي الثّنيّة، وتوفي عـام 375م، عاش في القرن الرّابع الميلادي، وهو زمن الاحتلال الرّومانـي للجزائر، نوميديـا (الجزائر)، أو ما كان يطلق عليه بموريطانيا الوسطى القيصريّة.

قـام فيرموس بثورة شـهيرة ضـدّ التوّاجد الرّوماني فـي نوميديا، أثـرّت على مجريات تاريخ المنطقة، حيث أدّت إلى تأليب الأهالي ضـدّ الرّومـان ودعم ثـورة الدّوناتييـن، التي كان قوامها الأخلاق والمسـاواة بين النّاس، والدّوناتيـون هـم ثوّار منطقة سـكيكدة، ممّا شكّل لاحقا سببًا غير مباشرٍ في طرد التّواجد الرّومانـي مـن الجزائـر. كمـا كان تأثير هذه الثّورة على الجانـب الدّيني للمنطقة قويًّا، إذ تسـبّبت في جعل الأمازغيّيـن يتراجعون عن المسيحيّة الكاثوليكيّة التي لم تنعكس قيمها علـى حياتهـم السّياسـيّة والاجتماعيّـة، ولـم تحمهـم من عدوان الرّومان عندما اسـتنزفوا أرضهم فسـادا وظلما. وهذا مـا دعا المقاوم الأمازيغي (فيرموس) إلى توحيد الأمازغيّين ونشر الفتن والاضطرابات داخل مناطق خطّ اللّيمـس مـن أجل الاسـتقلال ونيـل الحريّة وتحقيق الهويّة والكينونة الأمازيغيّة.

تُجمـع المصـادر التّاريخيّـة علـى أنّ (فيرموس) كان ثائـرًا وقائدًا تحدّى الأمبراطور (فالينتينيـانا) ابتداء من حوالي سـنة 370م، وقد بدأ ثورته بإثارة الأهالي في المنطقة الممتدّة من (جيجل) شـرقًا إلى (التّنس) غربا و(المسـيلة) جنوبـا، رغبـة منه فـي إقامـة مملكـة، ودحض الرّومـان وإغاثـة الأهالي الذين عانـوا كثيرًا من الظّلـم والنّهـب والإذلال. بعـد أن سـخّرت الإمبراطوريّـة الرّومانيّة هـذه المناطق لخدمتها وتموينها بالخيرات، فـي مقابل تجويع وازدراء السّكان الأصليّين من الأمازيغ.

من الصّعب جـدًّا تناول سـيرة (فيرموس) وثورتـه، لأنّ (أميانـوس) -وهـو المصـدر الأساسـي لأحـداث هـذه الثّورة- لـم يفصّل فيهـا، بل اكتفـى بتتبّـع حملة "ثيـودوز" على أفريقيـا، ولـم يؤرخ لخلفيات الثّورة وأسـبابها بشـكل دقيـق. وخـلال حديثـه العـارض عن أسـباب هـذه الثـورة، ألقـى (أميانـوس)، بالمسـؤوليّة على الكونـت (رومانوس)، لأنّه -وحسـب روايتـه- هـو مـن لجأ إلى سياسـة التّفرقـة بين أبنـاء الملك (نوبيل)، إثـر وفاته، حيث ساند (زاماك) ضد (فيرموس)، فكان أن قَتـل (فيرموس) أخاه، معتبرا إياه خائنا لوطنه، فقد دلّـت المصادر أنّـه كان حليفـا للحكومة الرّومانيّـة آنـذاك، وتسـبّب هـذا الحـدث في القطيعـة بين (فيرمـوس) وبيـن الإمبراطوريّة الغاضبـة منـه، علـى مـا يـروي (أميانـوس)، وحينها فكّر في العصيان والاستعانة بالأهالي المستضعفين في أرضهم.

ويبـدو أنّ ذلـك كلّـه لـم يكن هو السّـبب الوحيـد لهـذه الثّـورة، وإنّمـا الأوضـاع فـي (أفريقيـا) كانـت هـي الأخـرى مـن أهـم الأسـباب، إذ وجـد فيها صـراع دينيّ قسّـمها إلـى معسـكرين متباعدين: المعسـكر الأوّل، مـن أتبـاع الكنيسـة الكاثوليكيّـة الرّسـميّة، والمعسـكر الثّانـي المؤلّـف مـن الدّوناتيّيـن المنشـقّين عـن الإمبراطوريّـة الرّومانيّة. وقد تألفت جماعة الدّوناتيين من الأهالي أساسـا، الأمر الـذي أعطى لهـذا الصّـراع طابعا عرقيا ودينيـا. ورأوا في الانشـقاق الفرصة المنتظرة للانفصال عن رومـا، فتحالفوا مع (فيرموس) لهـذا الغـرض، وجعلـوا منـه قائـدا لثورتهم، وجعل منهم جنودا لثورته. خاصة أنّ الثورات التـي تقوم دفاعا عـن الدّين أو العـرق هي في الغالـب ثـورات جامحة تقود معـارك ضاريّة، لارتباطها بالقيـم الإنسـانيّة والعاطفيّة التي لا يدّخر من أجلها نفس أو نفيس.

وهنالـك لبَـسَ (فيرمـوس) الحُلّـة الأرجوانيّـة، ووضـع التّـاج، وكان ذلـك إيذانًـا ببدايّة ثورته، واسـتولى بعد ذلك على إيكوزيـوم (الجزائـر) ونهبهـا، كمـا حاصـر تافزة (تيبـازة) واسـتولى أتباعه علـى قرطنة (تنـس)، وبذلـك سـيطر علـى كلّ المنطقـة الشّـرقيّة من (موريطانيـا القيصريّة) وانتشـر الخوف والفزع في صفوف الجيش الرّوماني الذي يُفهم مـن النّصوص المعاصرة انضمام فرق منـه إلى صفوف (فيرمـوس). وفي ظلّ هـذه الوقائـع التـي تهـدّد الكيـان الرّومانـي فـي نوميديـا أرسـل الإمبراطـور الكونـت (ثيـودوز)، الـذي فرض حالة الطـوارئ بعد نزوله بجيجل (سنة 372م).

ويُـروى أنّ (فيرمـوس) طُلـب منه السّـلم ربحًـا للوقت، إلاّ أنّ ذلك لم يتمّ، كما أراد له، واتخذ (ثيودوز) من سـطيف قاعـدة لعمليّاته خلال كلّ حملة.

وبعـد فتـرة قضاهـا (ثيـودوز) فـي ردّ المقاومـة، عمل وهو في تيبـازة التي أقام فيها كثيـرا، أن يـدسّ أعوانـه فـي صفـوف حلفـاء فيرمـوس عن طريـق الوعـد والوعيـد، وهذه أسـاليب الرّومان أساسـا، وجاءت النتيجة في غير صالح فيرمـوس، إذ تخلت بعض القبائل عنـه. ولم يتخلَّ هـو عن موقفه مـن الاحتلال الرومانـي وتواصلت جهـوده. ونتج عن ذلك أنّـه انهزم فـي بعـض المعـارك والصّدامات، خاصة أن الرّومان كانـت لهم القوّة في العُدّة، إلى جانب اتخاذهم أسـاليب الخداع ورشـوة بعـض زعمـاء القبائـل. ومع ذلـك كان يكفي ظهـوره في منطقة ما بإشـعال الثّورة من جديد على ما يَذكر (أميانوس) دائما.

وفـي الأخيـر، عندما اسـتنفد فيرموس كل طاقتـه، اختـار الانتحـار حتـى لا يقـع فـي يد الأعـداء، بعـد أن خانتـه قبيلتـه (إيزافلاس)، تحت إمارة (إغمازن)، وهذه إحدى الرّوايتين اللّتيـن أرّختـا (لفيرمـوس) الأمازيغـيّ، وأمّا الثّانيّـة فإنّها تروي أنّ أخـاه (جيلدون) تحامل ضـدّه مع رومـا وباعـه لهـا، مقابـل امتيازات معيّنـة، فقد كانـت روما تنتهج سياسـة التّفرقة والرّشـوة، إلى أن طالـت الأخوين كما طالت القبائل بغيّة تشـتيت جهود (فيرموس) وقواه، وتمّ قتله من قبل الرّومان.

عمومًـا، لـم يمـت (فيرمـوس) فـي ذاكرة تاريـخ الجزائـر القديم بل لا يـزال ذكره يتردّد إلى اليوم على أنّه قائد شـجاع شرس لم يتوان

في الدّفاع عن القبائل الأفريقيّة في حرب دامت أربع سنوات.

لا يمكن أن نعدّ (مقاومة فيرموس) -كما يقول الدّارسون الغربيون الموالون للثّقافة الرّومانيّة- محاولة اغتصابٍ وتمرّدٍ وعصيانٍ هدفها الخروج عن القوانين الرّومانيّة من قبل حاكم محلّي طائش، بل هي ثورة تحرريّة مشروعة.

عمل فيرموس طوال مقاومته على تحرير العبيد في مدن نوميديا، ومتيجة وتيبازة وشرشال والجزائر (إكوزيوم)، وبذلك كانت ثورته التّحرّريّة الاجتماعيّة والقوميّة تشبه ثورة القائد سبارتكوس الذّي حرّر عبيد روما.

والواقع أن روما لم تنتصر على (فيرموس) عندما قضى نحبه، لأنّ الدوناتيّين واصلوا المقاومة وتحالفوا مع الوندال الذين قطعوا دابر الرّومان في الجزائر إلى الأبد.

فاطمة الزهراء حبيب زحماني

المصادر:

- مقاومات الاحتلال الروماني، ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجا، عبد الحميد عمران، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر).
- ثورة فيرموس 372م – 375م، محمد الهادي حارش.
- من أبطال المقاومة الأمازيغيّة، جميل حمداوي، دنيا الوطن، pulpit.alwatanvoice.com



قاسم بن سعيد العُقباني
(768هـ - 1367م/854هـ - 1450م)

قاسم بن سعيد بن محمّد بن محمّد العُقباني التّجيبي، ويكنى بأبي الفضل. ولد بتلمسان وبها نشأ سنة 768 هـ الموافق لـ 1367م. محدث وفقيه بلغ درجة الاجتهاد وصوفي له أرجوزة معروفة في علم التّصوف. تولى القضاء لمدة تزيد عن أربعين سنة كما اشتغل بالتّدريس حتى وفاته. ينحدر من أسرة عريقة عرفت بالعُقبانيين نسبة إلى بلدة كانت في الأندلس، نزحت منها تلك الأسرة واستقرت بتلمسان واشتهر العديد من أفرادها بتولّي القضاء والافتاء في هذه المدينة وكانت في عصرهم حاضرة المغرب الأوسط على عهد بني زيّان. فوالده هو قاضي قضاة تلمسان أبو عثمان سعيد العقباني ونجله هو أبو سالم إبراهيم بن قاسم العقباني، تولى القضاء في تلمسان وتوفّي سنة 880هـ، وحفيده هو محمّد بن أحمد بن قاسم العُقباني المتوفّي سنة 871 هـ أخذ عن جده وكان فقيها وولي قضاء الجماعة في تلمسان. عاش قاسم في النّصف الأخير من القرن الثّامن والنّصف الأوّل من القرن التّاسع من الهجرة وهو ما يوافق النّصف الأخير من القرن الرّابع عشر والنّصف الأوّل من القرن الخامس عشر للميلاد. وتتلمذ على يد والده أبي عثمان سعيد العقباني التّجيبي، فكان من أبرز شيوخه، كما أخذ على غيره. وأجازه في مصر ابن حَجر العَسقلاني خلال رحلته إلى الحج سنة 835 هـ، وهو محدّث ومؤرّخ مصري مشهور.

وُلي قاسم بن سعيد العقباني القضاء بتلمسان لمدة طويلة تزيد عن أربعين سنة. كما تولى التّدريس وكان من ألمع تلامذته نجلاه أحمد وإبراهيم، وحفيده محمّد بن أحمد ومحمّد بن العبّاس التّلمساني وأبو الحسن القلصادي وأبو زكرياء يحيى المازوني، وأبو العبّاس أحمد الونشريسي وأبو العبّاس أحمد بن زكري التّلمساني وغيرهم.

كان لسعيد العقباني شروح وتعاليق نذكر منها كتاب "ابن الحاجب الفرعي" وهو من كتب الفقه، ويسمى أيضا بمختصر ابن الحاجب أو المختصر الفرعي واسمه الكامل هو المختصر في الفروع ومؤلّفه هو عثمان بن عمر بن الحاجب، وله أرجوزة مشهورة في التّصوف. وقد خلف قاسم العقباني كغيره من علماء عصره العديد من المصنّفات يقول عنها محمود آغا عياد إن قليلها مبتكر والباقي هو شروح وتعاليق على كتب مشهورة.

عرف عن الشّيخ قاسم بن سعيد العقباني إنّه كان طرفا أساسيا في الجدل الفقهي الذي برز في عصره بين علماء السّلفيّة من جهة وأنصار الطّرق الصّوفيّة من جهة أخرى، وهو جدل في الحقيقة ما يزال مستمرا حتى أيامنا هذه. فقد دافع الشّيخ قاسم عن منهج الصّوفيّة بينما كان زميله المعاصر له الشّيخ محمّد بن أحمد بن مرزوق الحفيد دفين تلمسان على رأس الصّف المناصر للسلفيين. وقد خلّد وقائع تلك المعركة الفكريّة التي دارت بين الشّيخ قاسم العقباني وكان قاضي قضاة تلمسان من جهة وابن مرزوق الحفيد من جهة أخرى، أبو العبّاس الونشريسي، وهو تلميذ الشّيخ قاسم، في كتابه ذائع الصّيت " المعيار المعرب عن فتاوى أفريقيا والأندلس والمغرب". ولم تكن المعركة محصورة في تلمسان أو بين المغرب والمشرق، بل شارك فيها الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي قطب علماء الجزائر ودفين قصبتها والذي وقف إلى جانب الشّيخ قاسم العقباني بالرّغم من إنّه تلميذ الشّيخ ابن مرزوق الحفيد. وقاد تلك المعركة الفكريّة في صف السّلفيين، على المستوى المغاربي، الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الرّحمن الزّرويلي قاضي مدينة فاس بالمغرب والمتوفّي سنة 719 هـ أي مع بدايات القرن الثّامن الهجري، الرّابع عشر الميلادي. وتكون الحركة السّلفيّة بذلك قد ظهرت ببلاد المغرب في نفس الفترة التي برزت فيها بالمشرق على يد الشّيخ أحمد بن تيميّة، بالرّغم من أن الفقيه أبي الحسن الزّرويلي كان مالكي المذهب بينما كان ابن تيميّة فقيها حنبليا.

وقادها عن صف المدافعين عن الصّوفيّة الشّيخ محمّد بن يوسف السّنوسي الذي رد على أبي الحسن الزّرويلي في كتاب معروف عنونه ب " نصرة الفقير في الرّد على الحسن الصّغير". وقال الشّيخ المهدي بوعبدلي في تعليقه على ذلك الصّراع الفقهي إن " هذه الخلافات بين علماء الجزائر المحبذين للسلفيّة من جهة، والمعارضين لها أي المنتصرين للصوفيين من جهة أخرى، كانت في محيطها لا تتعداه، أي لا يتدخل فيها العوام ومن هم في حكمهم. كما كان معظم العلماء سواء الذابين عن السّلفيّة أو المنكرين عليها، يمتازون بالثّبات على المبادئ والنّزاهة... فنجد مثلا محمّد بن مرزوق وزميله قاسم

العقباني يتبادلان الاحترام ويتعاونان على خدمة العلم".

وصفه الحافظ أبو عبد الله التّنسي بـ"شيخنا الامام العلّامة وحيد دهره وفريد عصره". كما قال عنه أبو الحسن القلصادي وهو تلميذه بـ"شيخنا وبركتنا الفقيه الامام، ملحق الأصاغر بالأكابر العديم النّظير والأقران، مرتقى درجة الاجتهاد بالدّليل والبرهان. انفرد بفنَّيْ العقول والمنقول واتحد في علم اللسان وهو فيما عداه من الفنّون يفوق الصّدور ويفيض على مزاحمة البحور". ووصفه تلميذه الآخر يحيى المازوني بـ"شيخ الإسلام وعلم الأعلام، العارف بالقواعد والمباني". كما قال عنه أحمد بابا التّمبكتي إنّه "شيخ الإسلام ومفتي الأنام، العلّامة الحافظ، القدوة العارف المجتهد".

توفّي الشّيخ قاسم بن سعيد العُقباني بتلمسان في شهر ذي الحجة من سنة 854 هـ الموافق لشهر ديسمبر 1450م ودفن بزاويّة الجامع الأعظم وقبره معروف. وكان الجامع الأعظم بتلمسان في عصره يضاهي جامع القرويين في فاس والزّيتونة في تونس والأزهر في مصر.

عامر بغدادي

المصادر:

- الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي
- جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، محمود آغا بوعياد، مطبوعات ثاله.
- أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني، حياته وآثاره، الحسين يختار، جريدة صوت الغرب، يوليو/ جويليّة 2013.

قدور بن محمّد المستغانمي
(1259هـ - 1843م/1322هـ - 1904م)

عالم ومتصوّف وفقيه وإمام وشاعر، ينتمي إلى منطقة (مستغانم) التي نُسب إليها والتي كانت آنذاك قبلة علميّة تعجُّ بحركة فكريّة واسعة النّطاق، حيث ولد وترعرع في حي (تجديت) -دار الجديد- العربي العتيق، تلقى الشّيخ (قدور بن محمّد) طرفًا من التّصوف الشّاذلي عن طريق الشّيخ (محمّد بن أحمد الموسوم) بزاويّة قصر البخاري، لينتقل بعدها إلى الطّريقة التّيجانيّة التي لقنه مبادئها الشّيخ (أحمد التّيجاني الحفيد) في حضرةٍ روحانيّة وصفها الشّيخ قدور بن محمّد في كتابه (كتاب المرائي). سافر بعدها إلى منطقة الحجاز، وبقي فيها ردحًا من الزّمن، وكان أثناء بقائه فيها -الحجاز- يراسل علماء الجزائر؛ كالقاضي (شعيب الجليلي) قبل أن يعود إلى منطقة مستغانم، التي أسَّسَ بها زاويّة -بقيت تحمل اسمه حتى يومنا هذا- (سيدي الشّيخ قدور بن محمّد المستغانمي)، ويستقر بها حتى تاريخ وفاته سنة (1904م).

لم يذكر كثير من المؤرّخين تاريخ ميلادِ الشّيخ (قدور بن محمّد المستغانمي) بالتّحديد باستثناء النّاقد الجزائري (بومدين بوزيد) في تحقيقه لكتاب (دساتير إلهيّة) لصاحبه (محمّد بن سليمان)، بيد إنّهم -المؤرّخون- أشاروا إلى أنَّ نسبه الذي يرجع إلى سيدي (بوعبد الله المغوفل الحسيني المشيشي) والذي يعود نسبه هو الآخر إلى رسول الله -ﷺ-، ما يجعل الشّيخ من عائلة شريفة لها باع كبير في التّصوف، وهو ما انعكس على حياته وكتاباته خاصّة في مجال الشّعر الصّوفي وكتابة المرائِي الصّوفيّة أو المنامات العرفانيّة.

كان للشيخ (قدور بن محمّد المستغانمي) كراماتٌ صوفيّة، نسبها إليه من ترجموا سيرته، وقد ذكرها الشّيخ بنفسه في كتابه (مناهل الصّفا في مرائي المصطفى ﷺ (الذي يعد كتابا نفيسًا في التّصوف والعرفان، ومما جاء في هذه (المرائي) ذكره لـ (أحمد التّيجاني)، صاحب (الكناش الأصفر المكتوم) و(جواهر المعاني)؛ وهو مؤسّس الطّريقة التّيجانيّة. وأخبر قدور إنّه رأى التّيجاني مناما، والشّيخ (محمّد الموسوم) مناما قبل رؤيته حسّيًّا. كما رأى صاحب زاويّة (سيدي الهامل محمّد بن أبي القاسم)، ثم رؤيته لرسول الله ﷺ؛ وقد أحيا الشّيخ قدور عادة تسجيل المنامات أو المرائي لدى المتصوفة، وهي أن يسرد المتصوف رؤياه في شكل دراسة لتجربته النّفسيّة وهو في حالة غيبة وليس في حالة حضور. وموضوع الرّؤيا عادة ما يكون ديني/ صوفي؛ كأن يرى الرّائي الرّسول ﷺ، وتدور بينهما أحاديث، أو يقول الرّسول عليه الصّلاة والسّلام للرائي كلاما يوجّهه به أو ينهاه عن فعل شيء، أو يثبّته على ما هو فيه، أو يعده بشيءٍ أو نحو ذلك. وقد كثرت هذه المرائي للنبي ﷺ من الصّالحين والأوّلياء وغيرهم، فما يكون من المتصوف إلا أن ينهض ويكتب رؤياه في قصاصات ويقصها في شكل كتاب أو رسالة. وهذا النّوع من الكتابات امتداد لما قام به (محمّد بن عبد الله الفراوسني الزّواوي البجائي) في كتابه (تحفة النّاظر ونزهة المناظر) وغيره كثير من متصوفة العهد العثماني أو العهد التّركي.

نَظَم الشّيخُ (قدور بن محمّد المسغانمي) الشّعر بالفصحى والعاميّة، وكانت أغلب قصائده في التّصوف والمديح والتّوسل، وهو ما نجده في ديوانه الشّعري الموسوم بـ(عقد لآلئ العرفان في نظم قصائد بن سليمان) -مازال مخطوطا لم يُحقق بعد- ضمَّن فيه خمرياته الصّوفيّة، يقول: (وهناك قسم رابع يصادف المعنى والميزان، كما هو الحال في بعض قصائد هذا الدّيوان، يأتي به الوهب في بعض الأحيان، من غير فكر، ولا مراعاة للأوزان ولا انتظار، أو يستدركون إصلاح ما أتى به الوارد بعد الصّحو والاستشعار، كما أن بعضهم يرجع عن الدّلائل عند الصّحو أدبا مع الحال وبعضهم على حاله...وكلٌ من الفريقين، على ما سبق به العلم وتحقق به الفهم... وأب النّاظم (يقصد نفسه) رضي الله

عنه لا يكتب شطرا إلاّ إذا كان مغمورا بالوجد، فإذا رجع لحسه لم يجد ما يقيد، فينتقل البال مع كل ذي حال إذ لا إقامة لعارف مع درج ولا مقام ولا حال، لأن نتائج جنون المحبة فنونها الخمريّة، وبعدها السّكون والاطمئنان بالحضرة العرفانيّة اليقينيّة) فهو يرجّح الوجد الصّوفي، على حساب الوزن الخليلي، بل وعلى حساب قواعد اللغة العربيّة، ذلك أن اللحن عنده أهم من كليهما - البحر والإعراب-، وهذا راجع ربما إلى اشتغاله بتدريس الأوراد الخاصّة بالطّريقة الشّاذليّة والطّريقة التّيجانيّة في زاويّة (قصر البخاري) قبل تخرجه منها، ما أثر على قريحته الشّعريّة، يقول في بعض أشعاره:

تَجلَى جمالُ الجمعِ فامتحَى غَيرنَا
فَصِحنَا وبُحنَا مِنْ فَهرِ الأنانِيّة
فنقِّر كؤُوسنا وابسُط لشوقنا
وعَنْ مَا بِنا فارمز بلطفِ إشَارة
تدور كؤوسه على أهل وُدِّه
فلا تُبقي عن قلوبهم غشاوة

بالإضافة إلى كتاب (المرائي) وديوان (عقد لآلئ العرفان في نظم قصائد بن سليمان) فقد ترك الشّيخ مجموعة من الكتب القيمة، في مجال التّصوف، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ كتاب (جلاء الرّان وتنوير الجنان فيما أشكل من طرق الميراث على الإخوان) وهو كتاب خاص بالمواريث؛ وكتاب (درر الفيض اللّدني فيما يتعلق بالكسب العياني والسّني)؛ وكتاب (لوامع أنوار اليقين، بل السّيف المنير في قطع السّنة من نقص الأئمة المجتهدين)، وغيرها من المصنفات التي جاوزت العشرين مصنفا.

خلّف الشّيخ (قدور بن محمّد المستغانمي) جملةً من التّلاميذ الذين عُرفوا بصلاحهم وزهدهم وورعهم؛ كالشّيخ (شعيب بن علي الجليلي التّلمساني)؛ والشّيخ (بن قارة مصطفى مفتي) مستغانم، ليتوفاه الله يوم الثّلاثاء 19 مارس 1904م، عن عمر قارب السّبعين سنة، ودفن بالزّاويّة التي أسّسها بمدينة مستغانم.

لعلاونة محمّد الأمين

المصادر:

- محمّد بن سليمان المستغانمي، نفحات ربانيّة (مجموع رسائل في العرفان)؛
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي؛
- أبو القاسم محمّد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف؛
- بومدين بوزيد، دساتير إلهيّة (رسائل صوفيّة للشيخ العارف محمّد بن سليمان المستغانمي).

قدور بن محمّد بن رويلة
(ت: 1272هـ/1855م)

قدور بن محمّد بن (أرويلة) أو بن (رويلة) الجزائري، هو أحد علماء مدينة الجزائر، جندي شجاع، وفقيه مالكي، ومتصوّف، وكاتب، وأديب شاعر، يتصل بعائلة ابن الحفاف عن طريق المصاهرة، إذْ كان متزوجا من أخت علي بن الحفاف الّذي التحق أيضا بدولة الأمير عبد القادر.

ولد قدور بن محمّد بن رويلة الجزائري في منطقة المتيجة بالجزائر العاصمة، وبها نشأ وتعلّم، فتلقّى تعليمه الأولي في الكتّاب بمسقط رأسه في الجزائر العاصمة، ثمّ التحق بالمدرسة الثّعالبيّة حيث كان أبوه وكيلا على ضريح عبد الرّحمن الثّعالبي، انتقل إلى مليانة بعد احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر. وقد عزّز أحد العلماء عنده جانب الثّقافة الدّينيّة، غير أنّه كانت له نزعة أدبيّة انعكست في كتاباته وأشعاره.

بعد إطلاق سراحه إثر وقوعه في قبضة الفرنسيين رحل إلى المشرق وأقام عند الأمير عبد القادر في بروسة (تركيا) ثمّ في بيروت الّتي توفي بها في شهر ربيع الثّاني عام 1272هـ الموافق لديسمبر 1855م، ودفن في مقبرة السّنطي، يوم وصوله مع الأمير إليها قاصدا دمشق.

أمّا عن العصر الّذي عاشه قدور بن محمّد بن رويلة فهو العصر الحديث، وبدايّة الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ كانت الجزائر تعيش أوضاعا سياسيّة مضطربة غير مستقرّة سياسيا ولا أمنيا خلّفها الحكم العثماني، وكثرة التّناحرات على الحكم، وكلّ ذلك قد أثّر على الحياة الاجتماعيّة بانتشار الجهل والأمّيّة والفساد من خلال محوالة القضاء على مقوّمات الشّخصيّة الجزائريّة من لغة ودين وعادات وغيرها، إلّا أنّ الشّعب الجزائري لم يستسلم للدّخيل بل قاوم طول وجوده بمختلف الوسائل والأساليب، بدايّة بالمقاومات الشّعبيّة التي تُعدُّ مقاومة الأمير عبد القادر من أشهرها.

التحق قدور بن محمّد بن رويلة بمليانة (غرب الجزائر) بعد احتلال مدينة الجزائر سنة 1830م، وتولّى مهمّة كتابة الرّسائل فعُيّن كاتبًا لخليفة الأمير عبد القادر محمّد بن علّال، فكاتبا ومستشارا للأمير وأمين سرّه، حيث انشغل بحاشيّة الأمير عبد القادر الجزائري، وتنقّل معه بحسب ظروف الحرب. كما أنّه كان من رجال الإفتاء في دولة الأمير.

شارك مع الأمير عبد القادر في أغلب المعارك والوقائع، وأُسِرَ من قبل الفرنسيّين في معركة الطاقين في 16 أفريل 1843م -الّتي أدّت إلى سقوط عاصمة الأمير عبد القادر المستقلّة- رفقة أسرته وولده أحمد، ثمّ أُطلق سراحُه فهاجر إلى المشرق، وأُبعد إلى المدينة المنوّرة في الحجاز، ومن بعدها أقام في بيروت.

له بعض القصائد في مدح الأمير عبد القادر، ومن شعره ما بعث به من مكّة إلى بعض أصدقائه بالجزائر، نورد منها هذه الأبيات:

سَأَلْتُكَ عَنْ بَعْضِ نَوَازِلِنَا
بِنَجْدِهَاتِيكَ الْأَزْجَاعِ والبَطحِ
أَرَوَاهَا انْسجَام مُزْنٍ حَتَّ يسَقَى
مَا بَيْنَهُنَّ مِنَ النَّواحِي

وَهَلْ نَبَتَ الثّمَامُ أَوِ الْخُزَامَى
فَطَرتْ مَا بَيْنَهُنَّ مِنَ النَّوَاحِي

عُـرف عنـه أنّـه كان شـاعرا، ولـه مجموعة مـن القصائد في كتابـه "وشـاح الكتائب وزينة الجيـش المحمّدي الغالب"، ولـه قصائد أيضا فـي كتـاب "تحفـة الزائـر فـي مآثر الأميـر عبد القادر"، وشعره قليل يسير على نهج الخليل بن أحمـد الفراهيدي (البحور الخليليّـة) أكثره في مدح الأميـر عبد القادر الجزائـري، وبعضه في الفخر والحماسـة ووصف الحروب والمعارك الّتي خاضهـا الأمير عبد القادر ضد المسـتدمر الفرنسـي، وقد اتسـم ذلك الشّـعر بلغة تقريريّة مباشرة وأساليب سهلة، بصور بسيطة تميل إلى التّداول والاستهلاك.

ولـه رسـائل فـي مسـائل ديوانيّـة تخـصّ مكاتبات الأمير عبد القادر، وهو مخطوط، وله أيضا رسائل في مسـائل فقهيّة متبادلة بينه وبين مصطفى بن الكبابطي، وهو مخطوط.

تعلّـم قـدور بـن محمّد بـن رويلـة على يد مجموعة من العلماء على رأسهم، والده الشّيخ محمّد بـن رويلة الّـذي كان وكيلا على ضريح الثعالبي، وأخذ العلم أيضا عن الشّيخ المحدّث حمودة المقايسي، والشّيخ أحمد شريف الزّهار نقيب أشراف الجزائر.

أمّا عن رحلاته فقد أسره الفرنسيون وبعد إطـلاق سـراحه رحل إلـى المشـرق، وحجّ بيت الله الحرام، وأقام عند الأمير في بروسه بتركيا، وزار دمشق أيضا ولبنان.

لم يُعرَف عن تلامذة قـدور بن محمّد بن رويلة مـا يذكر في الكتب والدّراسـات على حـدّ اطّلاعنا إلّا أبـو المكارم عبـد القادر بن عبد الله بن أبي جلال المشـرفي الغريسي.- وشـاح الكتائـب وزينـة الجيـش المحمّدي الغالـب، حقّقـه ونشـره المحقّـق محمد بن عبد الكريم، وحسـب الشّـيخ عبـد الرّحمن الجيلالـي قد اقتبسـه مـن دروس الأمير عبد القـادر الّتـي كان يتكلّـم فيهـا علـى رسـالة السّنوسـي في العقائد... وضعـه باقتراح من الخليفـة محمّد بن علال أيام هجرته بشـلف ملیانـة وفـرغ منـه سـنة 1257هــ 1841-م، وهـو مخطـوطٌ ملـك الشّـيخ عبـد الرّحمن الجيلالي.

ديوان العسـكر المحمّدي الملياني، اهتم به الفرنسـيون كثيرا وترجموه، ونشـروه عدّة مرّات، ونشره كذلك المحقّق محمّد بن عبد الكريم وحقّقه سنة 1968م بالجزائر، وهو من أهـمّ الكتب الّتـي تحدّثت عـن جيش الأمير عبـد القـادر الجزائـري وتنظيمـه وهيكلتـه، وأسـماء المجاهدين والمناطـق الّتي ينتمون إليها، وتحديد أوصافه الحسّيّة بدقّة شديدة.

رسالة: بعث بها إلى مفتي المالكيّة بالجزائر الشّـيخ مصطفى بن الكبابطي ينتقـده فيها على إذعانه للكفّار، وهذه الرّسالة موجودة بالمكتبة الوطنيّـة بالجزائـر العاصمـة تحت رقـم 2088، حسب محمّد بن عبد الكريم الجزائري وتحت رقم 2083 حسب الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي.

لعلّ مـا لقيه وما نالـه كتابه وشـاح الكتائب وزينـة الجيـش المحمّـدي الغالـب من شـهرة هـو أكثـر مـا حمـل الذّكـر ومـا قـد يقـال عن شـخصيّة قدور بن محمّد بن رويلـة التّاريخيّة، هـذا الكتـاب الّـذي عثر عليـه الفرنسـيون عام 1843م، وكان أولهـم روزيتـي (Rosetti)، فطُبع بمتابعة الجنيـرال ماري مـونگ (M. Monge)، فـي سلسـلة (Spectateur Militaire) في فيفري 1844م، بعنوان: "القوانين من الأمير عبد القادر إلى جيشـه النّضالي"، ثمّ نشرت ترجمته باللّغة الفرنسيّة في المجلّة الشّـرقيّة سنة 1845م، وفي مـارس 1864م نشـر بيربروجـر (Berbrugger) -كان مسؤولا عن المجلّة الإفريقيّة- مقالا عن الكتاب، تكلّم فيه عن محتواه وما له من سفائدة في تنظيم الجيش.

كريمة زيتوني

المصادر:

- عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي.
- محمّد الأعرج الغريسي، شرح بغيّة الطّالب.
- رابح خدّوسي ومجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين.

■ قدور درسوني (1345هـ-1927-م/1442هـ-2020-م)

قدور درسوني، أيقونة بارزة في العائلة الفنيّة للموسـيقى الأندلسـيّة والمالـوف فـي الجزائر، ورث عشـق الموسـيقى عن خاله الشّـيخ الطاهر بـن كرطوسـة الـذي كان مـن شـيوخ المالوف، ومن والدته التي لم تكن فنانة، لكنها كانت تردد الاستخبارات والأغاني التراثيّة على مسامعه في البيت منذ كان صغيرا، فتربى على الفن وتفتقت موهبته مبكرا في وسط فني بالفطرة.

ولد قدور درسوني في مدينة قسنطينة بتاريخ 8 جانفـي 1927، فـي شـارع مايو، بحارة سـيدي بومعـزة، (شـارع نـوي مهـدي جميلـة). الـذي يتقاطع عموديا مع شـارع الشّـيخ عبد الحميد بن باديس، هـذه الحارة كانـت مهدا للقيـم الثقافيّة والنضاليّة. ظهرت فيهـا للوجود جمعيّة (محبي الفن) مـن أكبر الجمعيات القسـنطينيّة التي كان لها باع في ميدان المسـرح والموسـيقى، كذلك النـادي العريـق لكـرة القـدم (النـادي الرياضي القسنطيني)...

في السّـن الرابعة (4) من عمره أرسـله والده لحفـظ القـرآن على يد الشّـيخ بلحـاج مصطفى بجامع (سـيدي الجليس) اين تعرف على بعض زملائـه مـن الاطفـال الذيـن أصبحوا فيمـا بعد من الاسـماء البارزة التي تحفظهـا ذاكرة المدينة منهم، عبد المجيد جزار المدعو (بيبي)، زواوي بـن عزيـب المدعـو (طونطـو)، قـدور بلقشـي ومصطفـى جـزار إضافـة الـى شـقيقيه صلـوح ومصطفى.

بعدها التحق بمدرسة (أراقو) الابتدائيّة بحي سـيدي بوعنابـة. حينها ظهرت لقدور درسـوني بوادر الشّغف بالموسـيقى فقرر والده سنة 1939

إرساله إلى الاستاذ ابراهيم العموشي الذي كان قائد الجوق لجمعيّة (محبي الفن) اين شرع في تلقينه المبادئ الأولى للموسيقى، وأول المقطوعات التي تعلمها: (قلبي ابتلى بغرامك) و(جماله لا يوصف). من هنا بدا مشواره الفني في الحركة الجمعويّة رفقة بعض الاصدقاء: من بينهم محمد خروطو، امحمد بن خليل المدعو(يويو)، عبد الرحمن بن شريف، حفصي اعقابو، عبد الحفيظ مالوسي، عبد الحميد بن عبد المالك، محمد شاكر..

بعد حل جمعيّة (محبي الفن) وبروز محلها جمعيّة (الشّباب الفني) انظم اليها الشّاب قدور درسوني ليتكون احسن تكوين ويقدم رفقة المجموعة الصوتيّة التي تضم كل من عبد المؤمن بن طبال، عبد المجيد جزار، محمد الطاهر براشي اجمل وأحسن سهرات المالوف خاصة في مسرح قسنطينة او كالتي قدمت على شرف جمعيّة العلماء المسلمين بتاريخ 17 جوان 1938 بقاعة (كليّة الشّعب) بحضور الشّيخ عبد الحميد بن باديس، العربي التبسي، والبشير الابراهيمي، حيث قدمت المجموعة الصوتيّة لأول مرة نشيد (شعب الجزائر مسلم) الذي لحنه العموشي ابراهيم حينها تأثر الشّيخ عبد الحميد بن باديس كثيرا.

بين سنة 1942 و1943 بدا قدور درسوني يعزف على الة الناي (الجواق) وانظم في تلك الفترة الى جوق زغبيب موسى الى ان لاحظه الشّيخ خوجة جلول الذي طلب منه ان يتصل بالشّيوخ ليسقل احسن مهاراته الفنيّة. حينها اتجه الشّاب قدور درسوني الى فندق (سيدي قسومة) لمحمد بن قرين برحبة الصوف ليتتلمذ على يد الخوجة جلول وبلعمري، بحضور بعض من اصدقائه: العربي بلبجاوي، مصطفى باش خزناجي، علي بويموت، محمد سردوك، من هنا نلاحظ دور الفنادق التي كانت بمثابة معاهد موسيقيّة، تكون بها اغلبيّة الفنانين الكبار لمدينة قسنطينة. من بينها: فندق (جبادو) بسيدي عبد المؤمن، فندق (بن عزيب) وفندق (بلحاج مصطفى) بالشّط وفندق (بنعزوز) بالزلايقة.. وفي سنة 1948 التحق بجوق معمر براشي والزواوي فرقاني ثم جوق حمو فرقاني وريمون ليريس لينتهي به مطاف التكوين سنة 1952بجوق بلعمري شيخ المحجوز .

في تلك الفترة تأثر قدور درسوني كثيرا عند سماعه لجهاز الراديو وجهاز الغرا موفون بالفنان: عمار شقلب، والشّيخ الطاهر بن كرطوسة، الحاج مريزق، وغيرهم من عمالقة الغناء والطرب الشّعبي الاصيل. أثناء الثورة التحريريّة اعتقل قدور درسوني من طرف المظليين الفرنسيين في شهر نوفمبر 1957 (برحبة الجمال) الموجودة بوسط مدينة قسنطينة، وهناك تم استنطاقه داخل (مرش بن قاليّة) ثم (حمام الاربعين شيف) قبل أن ينقل إلى مزرعة (مزيان) المعروفة بأبشع أنواع التنكيل والتعذيب، أين خضع لمدة خمسة ايام لعمليّة استنطاق ذاق فيها كل انواع التعذيب، وقبل الافراج عنه في نهايّة سنة 1958 مكث بمعسكر (حامة بوزيان) لمدة معتبرة اين تعرف على بعض من الشّبان الشّجعان الذين كانوا يؤمنون بالقضيّة الوطنيّة أمثال: حسان بوتميرة، شريف بن تيكو ومحمد الصالح بن تشيكو ومنهم الشّهداء امثال توفيق خزندار، أحمد بوشمال، شادي وغيرهم من أبناء الجزائر الذين قدموا تضحيات جسام للتصدي للاحتلال الفرنسي. وبعد استرجاع الجزائر سيادتها الوطنيّة، نظم بالجزائر العاصمة الملتقى الوطني الاول للموسيقى الجزائريّة والمشكل من أحمد سري، فخارجي، محمد الطاهر الفرقاني، تريكي، صفير، الصادق بجاوي، راي، وقدور درسوني. دامت مدة الملتقى أربعة أيام توجت بتوصيات مهمة كان لها دور كبير في الحفاض على الموسيقى الكلاسيكيّة الاندلسيّة منها وسائل المحافظة، التعليم، الترويج.. كما ساهم قدور درسوني في تأسيس عدة جمعيات موسيقيّة، منها جمعيّة المستقبل سنة 1966 بحيث كان دور قدور درسوني تكوين الشّباب الصاعد وتحصلت الجمعيّة على الجائزة الثالثة في مهرجان الموسيقى الاندلسيّة بالعاصمة. كما تحصلت على الجائزة الاولى في المهرجان الوطني للأغنيّة الجزائريّة سنة 1967. وكذلك على الجائزة الاولى في المهرجان الثاني للموسيقى الاندلسيّة سنة 1968 الذي عرف مشاركة دوليّة واسعة تعدت حدود المغرب العربي الى بلدان البحر الابيض المتوسط مثل سوريا مصر اسبانيا تركيا وحتى ايران.

بطلب من وزير التربيّة الوطنيّة السّابق السّيد عبد الكريم بن محمود الذي شجعه على الاستمرار في تكوين الشّباب رسم قدور درسوني بثانويّة زيغود يوسف بقسنطينة كأستاذ لمادة الموسيقى من سنة 1975 الى غايّة سنة 1992. بالإضافة الى كونه استاذ بالمعهد البلدي للموسيقى حتى سنة 1987. بعدها كون جمعيّة (تلاميذ المعهد البلدي للمالوف) سنة 1995.

على ضوء هاته النتائج يمكننا القول بأن قدور درسوني يمثل أحد أعمدة المكونين في موسيقى المالوف، حيث عمل على مدار مسيرة فنيّة حافلة امتدت لأكثر من 70 سنة سعى الى المحافظة على فن المالوف ونقله بكل صدق للأجيال القادمة ما منحه لقب (معلم الأجيال) مما جعله يكرم من طرف رئيس الجمهوريّة في 8 ذي القعدة عام 1441 الموافق 30 يونيو سنة 2020، بوسام من درجة "عشير" من مصف الاستحقاق الوطني..

بعد معاناته من مرض عضال توفي قدور درسوني في 20 افريل 2020 عن عمر يناهز 93 سنة. تاركا خلفه رصيدا كبيرا من الأعمال الموسيقيّة والغنائيّة وأربعة أجيال من الفنانين الذين نهلوا الفن الأصيل على يده، وبرحيله فقدت السّاحة الفنيّة القسنطينيّة والجزائريّة موسوعة موسيقيّة وهرما تراثيا وجسرا ثقافيا لطالما ربط المدينة بتاريخها وماضيها العريق.

محمد غرناوط

المصادر:
ولايّة قسنطينة- مذكرات الشّيخ قدور درسوني- جريدة النصر.

■ قرقر الطّرابلسي
(1305هـ - 1887م/1368هـ - 1948م)

محمّد بن الحاج إبراهيم قرقر الطّرابلسي، المولود في مدينة طرابلس ليبيا، والمتوفى في بلدة بريان ولايّة غردايّة جنوب الجزائر، وقد هاجر والدّه من بريان إلى طرابلس فولد هناك.

قضى سنوات عمره في ليبيا والجزائر وتونس، وزار مدناً عديدة في منطقة الشّمال الإفريقي.

أخذ مبادئ العلوم في الكتّاب بمسقط رأسه، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وجوّده بالقراءات السّبع، كما تعلّم اللغة التّركيّة في جمعيّة الاتحاد والتّرقّي بطرابلس.

في بدايّة حياته العمليّة، عمل مدرّساً في مدارس الاتحاد والتّرقي بطرابلس، ثم رحل إلى بلدة بريان ولايّة غردايّة إثر احتلال إيطاليا لليبيا، فاشتغل في مجال التّعليم متنقلا بين مدن جزائريّة عديدة منها: القرارة وبسكرة وقسنطينة.

كان عضواً بجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وقد شارك في افتتاحها، وكانت له نشاطات مكثفة وفعّالة في مناهضة الاحتلال الإيطالي لليبيا، والاستعمار الفرنسي لوطنه الأم الجزائر. بالإضافة إلى هذا فقد كان له أيضاً نشاط إصلاحي وديني في المجال الدّعوي.

له قصائد ضمن كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر". وله قصيدة عنوانها "الجرائد ومنافعها" منشورة في جريدة "الشّهاب" الجزائر 1921.

ما يمكن أن نلاحظه على المتاح من شعره وهو قليل، أنه يكشف عن نزعة أخلاقيّة إسلاميّة ووطنيّة. وبعض قصائده في الحض على طلب العلم والأخذ بوسائل المعرفة والرّقيّ، من أجل التّحرر من نير الاستعمار الذي كان هو السّبب الرّئيسي فيما آلت إليه أمور البلاد والعباد. وهو في هذا يسير على نهج شعراء عصره الذين اعتنوا بقضايا النّهضة والإصلاح في الوطن العربي والإسلامي.

أمّا ألفاظه فهي سهلة واضحة أحسن الشّاعر توظيفها توظيفاً يتماشى ونظرته الإصلاحيّة، وأسلوبه جاء محكماً يميل في بعض الأحيان إلى التّقريريّة والمباشرة، وهذا شأن معظم شعراء الإصلاح الذين اهتموا بالفكرة أكثر من النّاحيّة الفنيّة. في حين نجد خياله قريباً. لذلك جاءت صوره مرتكزة على عناصر البلاغة وعلى الموروث الشّعري العربي.

نماذج من شعره:

وسائلُ الرّقيِّ

المرءُ في الدّنيا إذا ألِفَ الوَنَى
فحياتُهُ ضربٌ من الأكدارِ
ووجودُه بين الورى كالغصنِ في
شجرٍ بلا ورقٍ ولا أثْمار
إن البطالة للرجالِ رذيلةٌ
تفضي بصاحبِها إلى الإعسار
فاللهُ أوجد خلقَه في أرضِهِ
للكدّ واستخراجِ صُنْعِ الباري
إن السّمواتِ العُلا والأرضَ في
هِنَّ العجائبُ للّبيبِ القاري
يا أيها التّلميذُ لا تذهبْ إلى
شيءٍ يجرُّكَ لاكتساب العار
واحضرْ على العلماء كلَّ دروسِهم
فدروسُهم تشْفي من الأوزار
لازمْ مجالسّهم وعظِّمْ قدْرَهم
فهمُ الهُداةُ إلى سبيل الباري
لمَجالسّ العلماءِ أحسنُ مِن عِبا
دَةِ جاهلٍ مُتنسِّكٍ متواري
بالعلْم نال القومُ كلَّ مُؤَمَّلٍ
وتنافَسوا بالعلم في الأقطار
العصرُ عصرُ العلم لا تكسلْ ولا
تبخلْ فكم في البخل من أضرار
فالمالُ إن لم يُدَّخرْ لفضيلةٍ
كان البلاءَ على ذوي الإقْتار
إن كنتَ تطلب في الحياة سعادةً
فابْنِ المدارسَ واعْتَنِ بصغار
كم سَّدِ ملك المفاخرَ والعُلا
بإعانةِ الشّبّان والأحرار
سَعِدَ الذي يسعى ليُعليَ شعبَه
ولَنِعْمَ للساعينَ عُقْبَى الدّار
اِعملْ لشعبك دائماً وانهض به
واتبعْ طريقَ السّادة الأخيار
فالشّعبُ إن لم تحمِهِ أبناؤُه
بالعلم صار مطيّة الأشرار
لا شيءَ يعجبُني بهذا العصرِ غي
رُ مجالسّ الأحرار في الأسحار
وشبيبةٌ تصبو إلى طلب العُلا
وإزالةِ الجهل المميتِ الضّاري
ومقالةٌ رنّانةٌ وطنيّة
ومجلّةٌ تزدانُ بالأفكار
فازتْ شعوبٌ بالجرائد وارتقَتْ
أممٌ بها في سائر الأمصار
نِعْمَ الجرائدُ في المواطن إنَّها
كالأرضِ فيها طيِّبُ الأزهار
تشفِي المطالعَ من سقامِ الجهلِ بل
تُلقي عليه أشعَّةَ الأنوار
إن لم تكنْ صحفٌ فأهلُ القُطر في
نَصَبٍ وفي ضَنَكٍ وفي أخطار

كُنْ عالماً متيقِّظاً

إن لجَّ قومٌ في الجهالةِ وارتضَوْا
جهلا فكنْ للعلمِ من عُشّاقِ
واختر لنفسك في الحياة معالياً
وابعثْ رسولَ الرّشْد في الآفاق
واطلب فنونَ العلم تظفرْ بالمنى
وانفقْ فإنْ العزَّ في الإنفاق
وامدُدْ يديْكَ إلى الكرام مُصافحاً
أهلَ العلوم وكن بشعبكَ راقي
كن عالماً متيقِّظاً متفنِّناً
متمسِّكاً بمكارم الأخلاق
إن الحياة لَفي العلوم ونشْرِها
والموتُ في جهلٍ وفي إملاق
احفظْ لسانَ الدّين واعرِفْ فضلَه
يحميكَ مثلَ السّيفِ والمِزْراق
إن أنت أتقنتَ اللسانَ نجوْتَ من
عيِّ الكلامِ وصِرْتَ من حُذّاق
افهمْ معاني الذكْرِ واقرأ آيَه
بتدبر فهْو الكتاب الرّاقي
إن الفصاحةَ والبلاغةَ والبيا
نَ لفي كتابِ البارئِ الخلاق

بِعِلْمِكَ لا بثَوْبِك في الرّجَالِ!

شَبَابَ العَصْرِ شَمِّرْ للمَعَالِي
فإنَّ العِزَّ في هذا المَآلِ

وبَادِرْ لِلْحَياة بلا تَوَانٍ
ولا تَكْسَلْ، ولا تَبْخَلْ بمَالِ
فإنَّ العِلْمَ أنْفَسُ مِنْ جُمَانٍ،
ومنْ دُرٍّ، ومن كُلِّ اللآلِي
فَلَسْتَ ترى لَهُ أبداً مَثِيلا
فَجُدْ، وكُنْ علَى الأقْرَانِ عَالِي
جَمَالُكَ فِي بَنِي الدّنيا جميعاً
بِعِلْمِكَ لا بثَوْبِكَ فِي الرّجَالِ
حَيَاةُ الشّعب في الدّنيا إذَا لَمْ
تَكُنْ بالعِلْمِ لا تَبْقى بحَالِ
إذَا مَا الشّعْبُ لم يَنْهَضْ عَلَيْهِ
فَحَيُّك في دُنَا الأجْيَال خَالِ
فَشدْ بالعِلْمِ صَرْحَ العِزّ واعْلُ
عُلُوَّ الشّهْبِ في جُنْحِ اللَّيَالِي
وَبَلِّغْ أُمّةً نَامتْ طَوِيلا
أَحَادِيثَ الجُدُود ذَوِي الخِصَالِ
وكُنْ لَسِناً خَطِيباً ذَا سجايَا
تُبكِّتُ كلَّ ذِي مَكْرٍ وَقَالِ
بَنِي وَطَنِي إذَا مَا قَدْ طَلَبْتُمْ
عَزِيزاً، فاسْتَعِدُّوا للنِّضَالِ
فإنَّ الله ربّ العَرْشِ يَأْبَى
عَلَيْكُم أنْ تَعيشُوا في خَبَال
بَنِي وَطَنِي فلا الأيّامُ تُبْقِي
لَنَا أثَراً عَلى هذَا المِثَالِ
إلامَ البُغْضُ يَنْخُرُنَا عِظَاماً،
وَيَنْثُرُنَا، وَلَمْ ترثُوا لِحَالِ
بَنِي وَطَنِي بِكمْ ترقَى بِلادٌ،
وَتُشْرِفُ في الحيَاةِ على الجِبَالِ!
فَهُزُّوا مِنْ بَنِيهَا كُلَّ نَدْبٍ
إلَى شَرَفٍ إلى هذَا المَنَالِ
بَنِي الأَوْطَانِ إنَّ العَصْرَ نُورٌ،
ونُور العِلم غَالٍ... أيّ غَالِ
بَنِي الأَوْطَانِ إنَّ الجَهْلَ عَيْبٌ،
قَبيحٌ، قَاتِلٌ مِثْل النّبَال
بَنِي الأَوْطَانِ موْطِنُكُمْ عَزِيز
فصدُّوا عنْه أرْبَاب الضّلال
بَنِي الأَوْطَانِ كُونُوا مِثْلَ أُسْدٍ
حَمَتْ غَابَاتِهَا يَوْم النّزَالِ
بَنِي وَطَنِي كَفَانَا مِنْ جُمُودٍ
فإنَّ العَصْرَ عَصْرٌ للتَّعَالِ
وَيَكْفِينَا من الخِذْلانِ أنَّا
غَرِقْنَا مِنْه في دَاءٍ عُضَالِ

العلمُ والأدب

العِلمُ بحْرٌ، والفُنُونُ جَوَاهِرُ
والشّعرُ دُرٌّ رَاجحَ الميزانِ
والنّاس تَسْبَحُ في بِحَارِ فُنُونِهِ،
وتَغُوص بْحر العِلْم كالحِيتَانِ
هَذَا يُصَادِفُ دُرَّةً وَهَّاجَةً
نُوراً، وذَاكَ يَفُوزُ بالمرْجَانِ
والشّعْر نُورٌ لِلعُلوم يُضيئُهَا
كَالشّمْسِ، أو كَالعَيْنِ للإنْسَانِ
الشّعرُ حِصْنٌ للعلوم فَلا تَدَعْ
شِعْرَ الشّعورِ يَضيعُ بالنّسْيَانِ
يَا أيُّها النّشْءُ الصّغِير أمَا عَلِمْ
تَ العِلْمَ خَير مَكَاسِبِ الإنْسَانِ
فاطْلُبْ -هُدِيتَ- العِلْم تَظْفَرْ بالمُنَى،
واعْمَلْ به في السّرِّ والإعْلانِ
كُنْ عَالِماً، مُتَعَلِّمَاً، مُتَنَوِّراً،
واحْيِي المَوَاطنَ رَغْم أنْفِ الشّاني
مَنْ لَمْ يكنْ في عَصْرِهِ مُتَعلماً
فاحْسَبْهُ كَالتِّمْثَالِ في الْجدْرَانِ
ما سُؤْوَدُ الإنْسَانِ إلا عِلْمُهُ،
فالعِلْمُ مِثْلُ التّاجِ لِلسُّلْطَانِ
باللهِ يا شَعْبَ الجَزَائرِ نَهْضَةٌ
لِلْعِلْمِ، والعِرْفَانِ، والإحْسَانِ

رابح دوب

المصادر:

- عبد الله ركيبي: الشّعر الدّيني الجزائري، دار الكتاب العربي، الجزائر 2011؛
- محمّد الهادي الزّاهري السّنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر. إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدّين للنشر والتّوزيع قسنطينة، الجزائر 2007؛
- محمّد ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1983.

قليان حسين باي (بوكميّة)
(ت: 1148هـ - 1736م)

تولّى قليان حسن عام خمسة وعشرون ومائة وألف الموافق لعام 1713م، ويعرف ببوكميّة أي صاحب الخنجر، كان رجلا حازما ونشيطاً وقويّاً ممّا ساعده على البقاء في الحكم ثلاثة وعشرين سنة، يصفه العنتري بقوله: "هو رجل مليح له شجاعة ومشى إلى تونس فأخذها وقتل صاحب ولايتها والسّبب في ذلك أنّ أصحاب مملكة تونس وقع بينهم التّحاسد على الولاية وكلّ واحد منهم يدّعيها لنفسه ففرّ واحد منهم إلى باشا الجزائر واستغاث به فقبل كلامه الباشا المذكور، وجهّز له عساكر وبعث معه الباي بوكميّة"، كما وصف العنتري حكمه بالعدل والكمال وسيرته على أحسن حال". وصفه بيسونال الذي التقى به في يناير 1725م بقوله: "الباي اسمه حسين وهو شيخ وقور تعدى السّبعين عاما يحكم البلاد منذ أربعة عشر سنة".

أمّا فايسات فكتب عنه: " له من الجدارة ما يسمح له بتطويع حاله التّعب التي تعاني منها النّفوس لصالح سياسته هذا الدّور المزدوج للسيّد المطلق ولصانع السّلام كان من نصيب الباي كليان حسين الشّهير بوكميّة أو صاحب الخنجر وفترة حكمه الطّويلة التي بقيت مستمرّة وخالية من أيّة ثورة طيلة ثلاثة وعشرين سنة متتاليّة تثبت أنّه كان أهلا لمنصبه كان همّه الأوّل هو إعادة السّلم للبلاد وهو الأمر الذي نجح فيه بشكل تامّ والدّليل على ذلك اثنين من الرّحالة الأوربيين بيسونال وشو استطاعا في تلك الفترة أن يجوبا الاقليم في أمن تامّ دون أن يتعرّضا لمضايقات من طرف السّكان"

ومـن هنا يمكن أن نقول أن أشـهر أعماله هي:

– وضـع حـدّ لـكلّ القلائـل والاضطرابات فـي البايليـك وفـي ينايـر 1725م ذهـب إلى الحنانشة والأوراس لجمع الضّرائب وتهدئة الأحوال؛

– اشتهر بتحضير نشاطاته العسكريّة تحضيرا دقيقـا كما كان قد طـور نظام مركـز المراقبة لتأمين الطّرقات.

– تمكّن بوكميّة من إلـزام تونس بأداء أموال وهدايا للجزائر في أوقات معلومة؛

– وقع حسـين باي اتّفاق مع مدير الباستيون سـنة 1714م وبموجبـه منـح للفرنسـيّين تسـهيلات لشـراء الحبـوب، وقـد ورد فـي النّـص مـا يلـي: (اتّفـاق بيـن حسـين بـاي قسـنطينة ودوي مـال في 15جويليـة 1714م، اعتبار للخدمة التـي قدّمها صديقنا دي مارل للديـوان والمليشـيا ورغبـة منّا فـي لا لتعبير عـن اعترافنـا بذلك فقـد رخّصنا لـه باكتيال القمـح والشّـعير والفـول فـي مدينتينـا بونة وتكوش والموانئ الأخـرى التّابعة لنا بدون يزعجـه سـكّان البـلاد سـواء كانـوا مقيمين في هـذه الأماكن أم لا ولا مـن طرف التّجار الآخرين تحت أيّ مبرّر كان) وهو اتّفاق مدّد في1731 م وعُدّل بتعهّد حسين باي بمدّ تجّار الباستيون بمائتي قفيز من القمح سنويّا؛

– اعتمـد الباي حسـين بوكميّة على سياسـة المصاهـرة لإخمـاد الحـرب مـع القبائـل، فطلـب الـزّواج مـن إحـدى بنـات أمّ هاني، التي قبلت بطلبه وأعلنت الهدنة، وكتب أحد الرّحالـة فـي 1725م (تزوّج الباي مـن ابنة أمّ هاني السّنة الماضية) أي سنة 1724م؛

– كان للباي بوكميّة عند خروجه من قسنطينة ثلاث خيام، لم يكن لديه حرس خاصّ رغم علوّ سلطته، لم يكن يعرف قانونا غير إدارته؛

فـي عهـده وتحت إشـرافه شـيّد مسـجد سـوق الغزل ومؤسّسـه هو الحاجّ عبّاس بن جلول الذي كان يشـتغل منصب باش كاتب أو الوزيـر حافظ الأختام للبـاي، ففي 1730م قـام الحـاجّ عبّـاس ببنائـه علـى نفقتـه، غير أنّ البـاي حسـين وضـع اسـمه علـى رخامة تخليدية.

تحـدّث عنـه العالـم الالمانـي ج.أو. هابنسـترايت وعـن جيشـه فـي سـنة 1732م حيـث قـال عنه أنّـه يتألـف من ثمانيـة آلاف جنـدي ومائـة فـارس، إلا أنّهـا قـادرة علـى كبـح شـكيمة العـرب وفـي اسـتطاعتها أن تخـوض الحـرب عندما يتطلّـب ذلك، ومع وصولنـا كان لزامـا علينا أن نذهـب لملاقاة البـاي، فأنزلنا في خيمة نظيفة جدا، كل شـئ كان مهيّأً لراحتنا، لكـن الظّروف لم تكن في صالحنـا فقـد وصلنا إلـى معسـكر الباي في وقت اضطراب وفترة حرب بين الباي وشيخ بوعزيز.

كتـب جـون وولـف أنّ الكتابـات تـدلّ على أنّ البـاي بوكميّة في الشّـرق الجزائريّ وبوشـلاغم (شـارك في تحرير وهران 1708 بأمـر مـن محمّد بكـداش) في غـرب الإيالة قـد حكمـوا بنـوع خليط مـن القـوّة والمكر والتآمر والرّشـوة والاقناع الوديّ. فقد تزامن فترة حكم بوكميّة مع حكم الباي بوشـلاغم لبايليـك الغـرب ويمكـن أن نقـول أنّ هـذه الفترة عرفت اسـتقراراً سياسـياً في الجزائر، حكـم بوكميّة في عصر أربعة دايات هم علي شـاوش(1710–1718م) ومحمّـد بن حسـن داي (1718–1724م) وكـرد عبـدي (1724–1732م) كمـا عاصـر إبراهيـم باشـا (1732–1745م)، الـذي أمـره بالزّحـف علـى تونس 1735م. كما عاصر مؤسّس الأسرة الحسينيّة في تونس حسين بن علي (1705–1735م).

فـي ربيـع سـنة 1736م طلـب مـن باشـا الجزائر المثول أمامه شخصيّا لتقديم تحيّاته فحظـي باسـتقبال رائـع، وثبّتـه الباشـا فـي منصبـه، وبعد قضاء ثمانية أيـام، عاد بوكميّة إلى قسنطينة متابعا إدارته، وبقي كذلك حتى وافته المنيّة في نفس السّنة.

مريم بحشاشي

المصادر:

– محمّد الصّالح العنتري، فريدة منسّية في حال دخول التّرك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تح: يحيى بوعزيز، ط خ، عالم المعرفة للنّسر والتّوزيع، الجزائر، 2009م.

– ج.أو.ها بنسترايت: رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145ه1732–م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس،2008م.

ك

■ كاتب ياسين
(1347هـ - 1929م/1409هـ - 1989م)

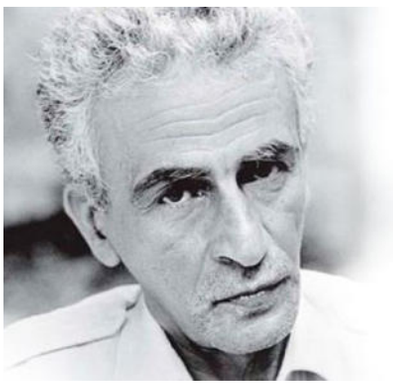
كاتب ياسين، شاعر وأديب جزائري مشهور عالميا كلّ كتاباته باللغة الفرنسيّة صاحب أكبر روايّة للأدب الجزائري باللغة الفرنسيّة ومن أشهرها في العالم (نجمة).

كتب في الرّوايّة والمسرح والشّعر وعمل في الصّحافة، وحظي بشهرة عربيّة وعالميّة، لقب بـ(نبي العصيان) و(الثّوري المتمرد)، وهو من بين الأدباء الأكثر إثارة للجدل في الجزائر، من أشهر أعماله روايّة (نجمة) التي ترجمت لعدّة لغات عالميّة.

ولد ببلديّة زيغود يوسف واسمه الحقيقي (محمّد خلوطي) يوم 6 أغسطس/ آب 1929 وهي إحدى بلديات مدينة قسنطينة عاصمة الشّرق الجزائري، بعد فترة قصيرة تردد أثناءها على المدرسة القرآنيّة التّحق بالمدرسة، وزاول تعلمه فيها لفترة من الوقت.

تردّد ياسين في صغره على المدرسة القرآنيّة بمسجد مدينة قسنطينة، لكنّه بعد فترة وجيزة التّحق بالمدرسة الفرنسيّة بولايّة سطيف وفيها تابع تعليمه حتى 8 مايو/ أيار 1945، اليوم الذي ارتكب فيه المستعمر الفرنسي مجازر مروعة بحق الشّعب الجزائري راح ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد. وبسبب مشاركته في هذه المظاهرات تم القبض عليه بعد خمسة أيام من انطلاقها وتم سجنه، وهي الحادثة التي تسببت في إصابة والده باضطراب نفسي لاعتقاده أن ابنه لقي حتفه في المظاهرات.

ومن وراء القضبان وبعد عام أصدر ديوانّه الشّعري الأول بعنوان (مناجاة) ليسخر قلمه



بعد ذلك لخدمة بلاده ومناهضة الاستعمّار الفرنسي.

هاجر إلى فرنسا سنة 1947، وفي باريس التي استقرّ بها تعرف على مجموعة من المناضلين والمثقفين الجزائريين، وكان يشاركهم في تنشيط حلقات فكريّة وأدبيّة.

دخل عالم الصّحافة عام 1948م فنشر بجريدة الجزائر الجمهوريّة التي أسّسها رفقة صديقه الرّوائي الفرنسي ألبير كامو، وبعد أن انضم إلى الحزب الشّيوعي الجزائري قام برحلة إلى الاتحاد السّوفياتي ثم إلى فرنسا عام 1951م .

(نبي العصيان)، (الثّوري المتمرّد)، إسمان ارتبطا بشخصيّة الأديب الجزائري كاتب ياسين، الذي برع في الرّوايّة والمسرح والشّعر.

كتاباته أثارت الكثير من الجدل في الجزائر وخارجها، قاوم الاستعمّار الفرنسي منذ صغره، لكنّه أجاد لغة فولتير بالمقابل، ونحت اسمه إلى جانب كبار الأدباء الفرنسيين، وترجمت أعماله لأكثر من لغة. خلال سنوات الحرب الجزائريّة زار العديد من الدّول، وكتب تحقيقا عن الحج لمجلّة (الإكسبريس) الفرنسيّة.

وخلال إقامته بتونس التي دامت أربع سنوات نشر عدّة مقالات في مجلّة (جون أفريك). عمل مديرا للمسرح الجهوي لمدينة سيدي بعلباس غربي الجزائر العاصمة.

خلال تنقله للاستقرّار بولايّة سيدي بلعبّاس انشغل بالموازاة مع عمله على المسرح بكتابة مقالات ينتقد من خلالها مظاهر الفساد في النّظام الجزائري والتّطرف الدّيني.

كتب أعماله باللغة الفرنسيّة لكنّه كان مجبرا على ذلك، وشرح ذلك بقوله "أكتب بالفرنسيّة لأقول للفرنسيين إنني لست فرنسيا"، وكان يرى في اللغة الفرنسيّة غنيمة حرب.

خلال مسيرته قدم الكثير من الأعمال الرّوائيّة أهمها "نجمة" كتبها وعمره لا يتجاوز الـ28، ونجمة هي اسم المرأة التي أحبها لكنّها كانت متزوجة من رجل آخر، ويصنف النّقاد هذه الرّوايّة على إنّها من النّوع الفاصل أي العمل الذي يحدث قطيعة بين الانتاج الأدبي السّابق واللاحق، وهي روايّة تأريخ ورصد للكفاح الجزائري أصدرها عام 1956، وكانت في الأصل عبارة عن قصيدة بعنوان "نجمة والسّكين".

صنعت الرّوايّة الحدث الأدبي والإعلامي، وترجمت إلى عدّة لغات عالميّة، وباتت نصا مرجعيا في أعرق الجامعات العالميّة.

ولم يكتف بالرّوايّة بل خاض غمار الشّعر والمسرح، وعن هذه التّجربة يقول "عندما كنت أكتب الرّوايات أو الشّعر، كنت أشعر بالحرمان لأنني لا أصل سوى إلى بضعة آلاف من النّاطقين بالفرنسيّة، بينما وصلنا من خلال المسرح إلى ملايين المشاهدين في غضون خمسة أعوام".

تقلّد منصب مدير المسرح بسيدي بلعبّاس قبل وفاته اكتشف من خلال حوادث سطيف التي جدّت في ذلك التّاريخ واقع الاستعمّار وكان لذلك أبعد الأثر في كتاباته.

ويقول الهاشمي مزيود عن الفترة التي أقام فيها ياسين بفرنسا، "إنّها صقلت تجربته الفكريّة وجعلته أكثر موضوعيّة في معالجة قضايا مجتمعه".

وفي حديث لـ(أصوات مغاربيّة)، أوضح المتحدث أن احتكاك ياسين بكبار المناضلين الجزائريين في المهجر، وخاصّة في فرنسا، جعله أكثر قربا من واقع القضيّة الجزائريّة في تلك الفترة.

"لقد نشط العديد من الملتقيات الفكريّة حول الفكر التّحرري، وكثيرا ما ركّز على ضرورة عودة شعوب الشّمال الأفريقي إلى أصولها الحقيقيّة، لتحقيق التّحرر الشّامل" يردف الهاشمي مزيود.كاتب ياسين هو أب لناديّة وهانس وأمازيغ كاتب عضو في الفرقة الموسيقيّة المعروفة (قناوة ديفيزيون Gnawa Diffusion/).

توفّي كاتب ياسين يوم 29 أكتوبر سنة 1989 بإحد مستشفيات مدينة)غرونوبل) الفرنسيّة خلال فترة علاجه من مرض السّرطان، ونقل جثمانه ودفن بالجزائر.

توزع الإنتاج الأدبي لكاتب ياسين ما بين الرّوايّة والشّعر والمسرح، ومن أهم أعماله:

- مناجاة (شعر 1946م)
- أشعار الجزائر المضطهدة (شعر 1948م)
- نجمة (روايّة،le seuil ، باريس 1956م)
- المضلع النّجمي (روايّة 1966م)
- الرّجل ذو النّعل المطاطي (مسرحيّة 1970)
- قدم الكاتب الجزائري العديد من مسرحياته على خشبة المسرح في كل من فرنسا والجزائر.
- الجثة المطوقة، والأجداد يزدادون ضراوة مسرحيتان، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت 1969.
- ألف عذراء (شعر) 1958.
- دائرة الأسرى، LE CERCLE DES REPRésailles، طبعة لوساي، فرنسا 1959.
- المضلع المرصع بالنّجوم Le Polygone étoile le seuil باريس 1966م.
- ترجمته وأهم الدّراسات التي تناولت بعض أعماله:
- سعاد محمد خضر / الأدب الجزائري المعاصر ... من ص 190 إلى ص 199.
- محمّد بوشحيط / الكتابة لحظة وعي ... ضمن فصل (قراءات انطباعيّة في الرّوايّة الجزائريّة الحديثة من ص 75 إلى 93.
- أبو القاسم سعد الله / دراسات في الأدب الجزائري الحديث...من ص 102 إلى 106.

إلى غيرها من الدّراسات بالفرنسيّة إضافة إلى العديد من الرّسائل الجامعيّة التي أنجزت حول أعماله، منها:

- jean dejeux/ littérature maghrébine de langue française; paris 1973.
- Bonefoy Claude.Cartano Tony... Dictionnaire de littérature contemporaine.paris.jean pierre delange.1977.
- Gontard Marc/ nedjma de Kateb Yacine. Rabat.Impr.de L'Agdal' 1975
- Raybaud Antoine/ Poèmes éclatés de Kateb Yacine. Revue de l'occident Musulman....n°2. 2ème seme.1976.
- Nedjma Benachour/ Politique et Production littéraire Cher Kateb Yacine. Constantine; faculté Des Lettres.1975.
- Djougachvilli G.y/la valeurs artistique du roman algérien. Moscou. Inst M.Gorky de la littérature mondiale. Académie des sciences de l'URSS; 1970.
- Charles Bonn/ problématiques spatiales du roman Algérien; EnaL; Alger 1986. p 18;53;54.
- Arnaud Jacqueline/ Recherches sur la littérature maghrébine de langue française le cas de Kateb Yacine. thèse de doctorat d'état; paris111 1978.

باديس فوغالي

المصادر:
- www.maghreb voices.com.
- aljazeera.encyclopedia.

■ كريبع النّبهاني
(1336هـ - 1918م/1425هـ - 2004م)



مفكّر وفيلسوف جزائريّ معاصر، ولد سنة (1918) بـ(أوّلاد جلال) ولايّة (بسكرة) بدأ تعليمه في الكتاب بحفظ القرآن الكريم، ثمّ التّحق بالتّعليم الابتدائيّ بـ (أوّلاد جلال) لينتقل إلى الجزائر العاصمة ويكمل الإعدادي والثّانوي، ثم انتقل إلى (فرنسا) ليكمل دراسته ويتحصّل في الثّلاثينيات على شهادة الباكالوريا من ثانويّة (لويس لوغران/ Louis le Grand (بباريس ليلتحق بالجامعة ويتحصّل على شهادة الليسانس في الفلسفة، خلال الحرب العالميّة الثّانيّة، ثمّ يعود إلى الجزائر ليشتغل بعض الوقت مع والده في تجارة التّمور وتصديرها إلى مرسيليا، ويتولّى مسؤول مخزن التّمور في قسنطينة، لكنّه ما لبث أن غادرها راجعا إلى (فرنسا) لإكمال مرحلة الدّكتوراه حول

الفلسفة الجماليّة، بإشراف الفيلسوف الفرنسيّ (غاستون باشلار) ويتحصّل على شهادة الدّكتوراه سنة (1967) من جامعة (السّوربون).وكان وجوده في باريس قد وطّد صلته بأبرز الفلاسفة الفرنسيين آنذاك .

بعد حصول كريبع على شهادة الدّكتوراه عاد إلى (الجزائر) ليشتغل أستاذا بجامعة الجزائر في قسم الفلسفة، ويشارك في تأطير العديد من الدّراسات الأكاديميّة بالجامعة، كما أسهم بكثير من المقالات في المجلات الجزائريّة والفرنسيّة، وقد كان من الجيل الذي أسهم في تأسيس التّيار الفلسفي بالجزائر.

صنف كريبع النّبهاني ضمن الاتّجاه الإنساني ففي كتابه (الإنسان الكونيّ: الفلسفة الجماليّة / Humain universel: philosophie esthétique) الذي صدر سنة (1989) وهو النّص الأصلي لرسالة الدّكتوراه في الآداب التي نوقشت في (السّوربون) ونشرت بالتّعاون بين فرنسا والجزائر سنة (1967). في هذا الكتاب، يتجلّى الفكر الإنسانيّ العالميّ الذي تنطلق منه خلفيّة كريبع المعرفيّة، إذ لا يتحيّز لثقافة الانتماء أو لثقافة الآخر، وإنّما يطرح قضايا الإنسان باعتباره كائنا وجوديا بالدّرجة الأوّلى، ليجعل فلسفة الجمال تعتمد على مركزيّة الإنسان فيكون الفنّ وسيلة تعبّر عنه وتجسّد ملامحه البشريّة على اختلاف قوميّته المحليّة. وينبع جوهر الفكر الذي يؤسّس له كريبع من رؤيته الخاصّة لماهيّة الإنسان، فهي تجعل حضوره وفق تمظهرين (عامّ وخاصّ) يحيل العام إلى الذات الجوهريّة في الإنسان وهي ذات ثابتة ومشتركة عند الجميع، تجسّد البعد الكوني للتّركيبة البشريّة، بينما يحيل الخاص إلى النّمط الثّاني من الذّات، وهي المتغيّرة التي تنطبع بمكتسبات البيئة والثّقافة والمجتمع، ويعبّر عنهما كريبع بمصطلحي: الإنسانيّ الأصيل الذات الثّابتة/ الإنسانيّ الزّائف الذّات المتغيّرة. وبهذه الرّؤيّة يلتقي المفكّر الجزائريّ كريبع مع الفيلسوف (غوته) في الدّعوة إلى الالتّفاف حول فكرة العالميّة في الأدب والفنّ، فالأديب الحقيقيّ حسب منظور كريبع يتمثّل الأشياء ضمن إطارها الإنسانيّ العالميّ.

تبنّى كريبع النّبهاني مهمّة تفكيك المجتمع الباتريركي، ومسؤوليته في تجهيل نصف المجتمع، بحبس المرأة في البيت ومنعها من حقّها في التّعليم ؛ حيث استعرض في كتابه (الأفارقة يتساءلون) الذي صدر في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين تفاصيل حياة المرأة في ثقافات شمال إفريقيا منذ الطّفولة مرورًا بالمراهقة إلى سن الزّواج ثم بعد الزّواج في بيت زوجها، كما ينتقد البنيّة الأبويّة للأسرة من خلال أسرة جدّه التي كانت تتكون من نحو عشرين فردًا.

وكانت مواقفه الفلسفيّة جميعا مرتبطة بسؤال جوهري شغل فلاسفة ومفكّري تلك الفترة وهو لماذا تأخّر المسلمون؟ ولذلك راح يبحث في الأسباب مفكّكا البنيّة الذهنيّة للإنسان المسلم، ملاحظا فشل الإسلام في الحياة اليوميّة، وعدم قدرته على الصّمود في وجه صراع الحضارات، ليتأكّد بعد طول تأمّل أن السّبب متعلّق بتطبيق الإسلام في الواقع. ولذلك راح يسعى إلى إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق وجعلهم ينفتحون على التّقدّم ويقبلونه بمعرفة ذواتهم والآخرين والواقع العالمي الذي يشكّلون جزءا منه وذلك من أجل انسجام سليم مع باقي الإنسانيّة والمشاركة في الحضارة المعاصرة، وكان حريصا لكي لا يردّ سبب فشل المسلمين إلى الإسلام، فحرص على توضيح رسالة القرآن ونموذج الرّسول ﷺ، الذي جاء من أجل اقتراح العلاج لكل العوائق التي تحول دون أن يرتقي الإنسان بإنسانيته قولا وعملا، ولعلّ أهم وصفة هي العلم، الذي تقدّم الغرب به وتخلّف عنه المسلم ليردّ تخلّفه إلى الدّين. وهو الأمر الذي كثّف بروز المشكلات التي أعاقت التّقدّم، ومنها مشكلة تكوين الشّباب الذي لم يعد الإرث الموجود يكفيهم ولذا ينبغي عليهم الاغتراف من إرث الإنسانيّة في القطاعات الأكثر التي تضمن الخروج من التّخلّف وفي مقدمة ذلك تحسين التّعليم؛ ولذلك كان يرى المدرسة الأساسيّة في الجزائر في مختلف أطوارها من الابتدائي إلى المتوسّط إلى الثّانوي تقدّم تكوينا محدودا للتّلاميذ مما يجعلهم غير مؤهّلين علميا ولا عمليا.

كما وقف كريبع عند مشكلة الثّقافة في الجزائر التي أرجعها إلى صراع المثقّفين وانقسامهم إلى فئتين متناحرتين بسبب مرجعيتهم اللّغويّة والثّقافيّة، وانتقد عجز الفئتين معا عن النّهوض بدورهما التّنويري في المجتمع (فحامل الثّقافة الفرنسيّة لا يستطيع أن يبلغ وحامل الثّقافة العربيّة لا يستطيع أن يتصل بسبب الموروث الثّقافي الذي يحمله والذي لم يعد يساير مرحلة ما بعد الاستعمّار) وكلاهما يجسّد دور المسلم الذي عجز عن الصّعود إلى المستوى الأعلى حيث دفعته رسالة الإسلام، وكان بإمكانه تحدي كل شيء لكنّه استسلم لضعف طبيعته وسوء تدبير فكره وقدراته وطاقاته، وبدلا من تقويّة القيم الجميلة السّاميّة فيه والإبداع والإيمان بالتّغير والتّجديد قانونا للحياة، راح يلقي المسؤوليّة على الدّين، ويركن إلى الكسل والتّواكل، ناسيا أن المدينة الأرضيّة تخضع لقوانين التّغير، وأن وظيفة الإنسان فيها هي: العمل والإتقان والأخذ بأسباب العلم والتّشبّث بالمعاني الإنسانيّة الكبرى التي تضمن للإنسان إنسانيته.

وعلى الرّغم من تكوينه باللغة الفرنسيّة بحكم التّعليم الذي تلقاه في الفترة الاستعمّاريّة، إلا أن جلّ اهتماماته كانت مرتبطة بالتّاريخ الإسلامي، والمجتمع الشّرقي، العربي والإفريقي بحكم انتمائه الهوياتي إليهما، وكان في هذا الاهتمام يتقفى آثار النّزعة الإنسانيّة بدءا من القرآن إلى فلاسفة الإسلام وصولا إلى الفلاسفة الإنسانين في الثّقافة الغربيّة قديمها وحديثها.

ترك كريبع النّبهاني مجموعة من المؤلّفات العلميّة التي تجمع بين الأدب والتّاريخ والفلسفة مكتوبة كلّها باللّغة الفرنسيّة، لعلّ أبرزها (قصائد طفل) سنة (1935) و(أحزان العربيّ) سنة (1940) و(الأفارقة يتساءلون) سنة (1955) و(بروموثيوس ساحر إنسانيّة المستقبل) سنة (1962) و(الخير والشّر من منظور القرآن)

سنة (1966) و(فلاسفة الإسلام) سنة (1980)، و(دفاع عن محمّد) سنة (1979) وذلك ردّا على كتاب (تراجيديا محمّد لفولتير، و(مدخل إلى الفلسفة) سنة (1983)، و(إحياء علوم الدّين للغزالي) سنة (1984)، و(عمر الخيام رسول إيران الكوني) سنة (1988)، و(الخوارج ديمقراطيو الإسلام) سنة (1991)، و(السّنّيّون والإسلام الشّرعي) سنة (1994) و(الإنسان في الإسلام، تاريخيّة وتفتّح) سنة (2001) و(فلاسفة إنسانيون) سنة (1995).

حاز كريبع النّبهاني عدّة جوائز وتكريمات؛ في فرنسا والجزائر منها (جائزة المثقّفين الفرنسيين) عن بحثه (فلاسفة بستان النّخل الأربعة) سنة (1953) و(جائزة الأكاديميّة الفرنسيّة) (1954) عن ديوان شعر (مرثيّة العربي الحزينة) سنة (1954). والجائزة الأوّلى للتعليم العالي في الجزائر سنة (1991) وشارك في حصص إذاعيّة وتلفزيونيّة عن الثّقافة والإسلام في الجزائر وفرنسا كما شارك في ملتقيات ومؤتمرات وطنيّة ودوليّة.

توفّي كريبع النّبهاني سنة (2004) بالجزائر العاصمة، تاركا بصمة تأثيريّة في السّاحة الفكريّة والفلسفيّة العالميّة، مسجّلا اسمه كأحد الفلاسفة والمفكّرين المهمّين في تاريخ الفلسفة في الجزائر إلى جانب مالك بن نبي وعبد المجيد مزيّان، وعمّار طالبي، ومصطفى الأشرف وغيرهم، على الرّغم من إنّه لم يحظ بالعنايّة والتّعريف بإنتاجه الغزير، وذلك بترجمته إلى اللغة العربيّة.

آمنة بلعلى

المصادر:

- كرام ياسين: الخطّاب الفلسفي الحديث في الجزائر، مجلّة دراسات إنسانيّة، جامعة مستغانم الجزائر، 2016؛

جميلة حنيفي: كريبع النّبهاني والبحث عن الإنسان المسلم

■ كريم بلقاسم
(1340هـ - 1922م/1389هـ - 1970م)

وُلد (كريم بلقاسم) يوم 14 (ديسمبر 1922)، بقريّة (تيزرا نعيسى)، ببلديّة (آيت يحيي موسى)، دائرة (ذراع الميزان)، ولايّة (تيزي وزو)، وسط أسرة ميسورة الحالِ، كان والده يُدعى (الحاج حسين)، وأُمه (شباط حليمة)، وهو الطّفل الرّابع، بعد كلٍ من (مُحند)؛ (السّعيد)؛ (ذهبيّة)، كان الوالدّ تاجرًا كبيرًا، عيَّنته فرنسا كحارسٍ للغاباتِ، واقترحت عليه منصب (قايد) لكنّه رفض العرض.

كان (الحاج الحسين) كثير الاحتكاك بالنّاس ومخالطتِهم بحُكم عمله التّجاري، ما جعله يدرك أهمّيّة العلم في ذلك الوقت، فقرر إرسال ابنه (كريم بلقاسم) للدِّراسة، بإحدى مدارس العاصمة، انضم إلى مدرسة (صاروي Sarroy) بالقصبة السّفلى بالعاصمة، التي تخرج منها سنة 1936 وهو متحصِّل على (الشّهادة الابتدائيّة)، وذلك بسبب تغيُّبه عن الدّراسة لمدة قصيرةٍ، حاول والده إقناع مدير المدرسة بمرضه الذي أعجزه عن الحضور، لكنّه أصَّر على قراره، ليكتفي (كريم بلقاسم) بالشّهادة الابتدائيّة ويعود إلى قريته. وفي سنة (1940) حاول والده وقريبه (القايد سليمان دحمون)، إيجاد عمل له في الإدارة الاستدماريّة، تتمثَّل في كاتبٍ للحالة المدنيّة، ببلديّة (ذراع الميزان



وقد كان مسؤول البلديّة يأمره بالشّح في أوراق الحالة المدنيّة؛ ولما تكثُر احتجاجات المواطنين، يتدخل المسؤول ويلقي اللّوم على (كريم بلقاسم) أمام أنظارهم؛ لكسب شعبيّة زائفة على حساب مساعده، ونتيجة لذلك قرَّرَ (كريم بلقاسم) التّخلي عن هذه الوظيفة، التي سَبَّبُ تَركُها صَدمَةً (للحاج الحسين) والدّ كريم بلقاسم، ليحاول إعادته إليها بيد أن كل جهوده باءت بالفشل.

في سنة 1943 انتقل (كريم بلقاسم) إلى ناحيّة (الأغواط)، بعدما مكث سنة قبلها في ورشة شبه عسكريّة في منطقة (الشّلف) لتكوين الشّباب الأوربيين، والجزائريين، وهو ما مكَّنه من تعلم المحاسبة، أثناء بقائه في (الأغواط) لاحظ (كريم بلقاسم) التّمييز العنصري الذي يتعرَّض له الجزائريون أمام الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين؛ حيث كان يُطلب منه أن يكتب أسماء الأوروبيين باللّون الأزرق، وأسماء الجزائريين باللّون الأحمر، وهذا ما كان يزعجه بشدة. وفي نفس السّنة؛ أي 1943 استدعي (كريم بلقاسم) لأداء الخدمة العسكريّة في مدينة (الأغواط) حيث تمّت ترقيته في الجيش الفرنسي إلى رتبة (عريف) سنة 1944، ثمّ (عريف صفّ) سنة 1945، قبل أن يسرَّح من الخدمة الوطنيّة في بداية أكتوبر 1945 ويعود إلى قريته.

عرف النّضال مبكرا إذ انخرط في صفوف (حزب الشّعب) بعد تسريحه من الخدمة الوطنيّة مباشرة (1945)، حيث عقد أوّلى اجتماعاته السّريّة سنة (1946) مع شباب النّاحيّة ومما يُروى في كتب التّاريخ أن (القايد سليمان) داهمه أثناء ذلك الاجتماع وقال له: (يا ابن عمي إنك تريد أن تلحق كارثة بالدّوار، وإنك لمخطئ إذا اعتقدت أن هؤلاء الجماعة يستطيعون مساعدتك ورئيسك مصالي الحاج على إخراج فرنسا من الجزائر، وما هم إلّا قطيعٌ

من الأغنام) فردَّ عليه (كريم بلقاسم) قائلا: (هذا القطيع من الأغنام سأجعل منهم رجالا أحرارا)؛ ومنذ تلك اللحظة أصبح قائدا لناحيّة (ذراع الميزان)، ليؤمن بعدها بفكرة الثّورة كخيار وحيدٍ للاستقلال؛ فاتخذ السّريّة سبيلا لذلك وتحصَّن بالجبال، يكوِّن الخلايا العسكريّة.

في سنة (1947)، وبعد التّمرد الذي عرفته منطقة (آيت يحيى موسى) عقب الانتخابات التّشريعيّة، والذي كان بتحريض من (كريم بلقاسم)، زَحفت القوّات الفرنسيّة للمنطقة لتخويف ساكنتها، بيد أن (كريم بلقاسم) تراجع عن المواجهة؛ تجنبًا لإراقة دماء الأبرياء. وفي نفس السّنة (ديسمبر 1947) زار (مصالي الحاج) رئيس حزب (حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة) منطقة (ذراع الميزان) وكان (كريم بلقاسم) على رأس مستقبليه، ما جعل الإدارة الاستدماريّة تتخذ هذه الحادثة ذريعة لمحاكمته بتهمة (المساس بأمن الدّولة الفرنسيّة)، مُرسلة له استدعاءً للمثول أمام قاضي التّحقيق، غير إنّه لم يمثل أمامه ومزق الاستدعاء.

التّحق (كريم بلقاسم) بجبال منطقة القبائل، رفقة كل من (أعمر أوعمران) و(موح الطّويل)، ليُعلن بعدها انضمامه للمنظَّمة الخاصّة وهي جهازٌ عسكريٌ سريٌ كان يحوي في بداية تأسيسه على قرابة (1900) مجاهد، غير أن السّلطات الفرنسيّة الغاشمة، تمكنت من اكتشافه سنة (1950)، وأصدرت نتيجة لذلك أحكاما جائرة على (كريم بلقاسم)، حيث حوكم غيابيا، وأصدر بحقه حكم بالإعدام في السّنة نفسها (1950).

كان (كريم بلقاسم) أحد مفجِّري الثّورة التّحريريّة، وأحد قادة جبهة التّحرير الوطني منذ النّشأة؛ إذ شارك في الاجتماعات التي سبقت أوّل نوفمبر 1954 (عضو مجموعة السّتة)، وأصبح قائدا للمنطقة الثّالثّة (القبائل)، وقاد العمليات العسكريّة الأوّلى ضدَّ المراكز والقوّات الفرنسيّة هناك، كما أشرف على هيكلة وتأطير المجاهدين بمساعدّة (أعمر أوعمران) الذي عيَّنه نائبا له رفقة (محمّدي السّعيد).

في ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 انتقل (كريم بلقاسم) إلى منطقة (إيغيل إيمولة) بقريّة (تيزي نثلاثة) بدائرة (واضيّة)، حيث تمَّ تنفيذ مجموعة من العمليات العسكريّة، كتخريب جميع وسائل الاتّصالات التّابعة للمنطقة، كما هُوجمت ثكنات الدّرك الفرنسي من قبل مجاهدي المنطقة الثّالثّة؛ في كل من (عزازقة)، و(تيقزيرت)، و(ذراع الميزان)، و(برج منايل).

شارك (كريم بلقاسم) في التّحضير لأعمال(مؤتمر الصّومام) الذي انعقد بوادي الصّومام، وبالتّحديد في قريّة (إيفري)، دوار (أوزلاقن)، ولايّة بجاية، يوم (20 أوت 1956) والذي حضره كلٌ من (عبّان رمضان)؛ (العربي بن مهيدي)؛ (أعمر أوعمران)؛ (زيغود يوسف)، بالإضافة إلى (الأخضر بن طوبال)، وفي ختام المؤتمر ألقى (كريم بلقاسم) كلمةً نوَّه من خلالها بالعمليات النّوعيّة لمجاهدي المنطقة الثّالثّة؛ والتي كانت أبرزها عمليّة (العصفور الأزرق) التي تعدُّ أوّلى العمليات الاستخباراتيّة لجيش التّحرير الوطني.

انتقل (كريم بلقاسم) إلى الجزائر العاصمة بعدما تم تأسيس لجنة (التّنسيق والتّنفيذ) ليتكفَّل بالإشراف على الجانب العسكري للجنة. وهذا بعدما نصَّب العقيد (محمّدي السّعيد) خلفا له في قيادة المنطقة الثّالثّة، كما قام بتعيين (آيت حمودة عميروش) رائدا عسكريا بنفس المنطقة.

في 1958 تمَّ تأسيس الحكومة الجزائريّة المؤقّتة، بقيادة (فرحات عبّاس) ليتولى (كريم بلقاسم) مسؤوليّة وزارة (القوّات المسلحة)، بالإضافة إلى نيابته لرئيس الحكومة، قبل أن يُعاد تأسيسها مرة أخرى بسبب خلافات سياسيّة وعسكريّة بين قادة الثّورة؛ لتوكل لكريم بلقاسم وزارة الخارجيّة مع احتفاظه بمنصب نائب رئيس الحكومة، حيث لعب دورا دبلوماسيا بارزا لإسناد الثّورة الجزائريّة، في محاولة منه لإحداث التّوازن بين ما تقوم به فرنسا من تحالفات وبين ما تحتاجه الثّورة التّحريريّة المجيدة من مساعدات، فأقام بذلك علاقات مع جمهوريّة الصّين الشّعبيّة، وفيتنام، وكوريا الشّماليّة، كما تمكَّن من جمع مبالغَ ماليّة معتبرة للثوار إضافةً إلى الأسلحة، والدّعم الخارجي لأحقيّة الشّعب الجزائري في تقرير مصيره، وهذا ما حدث أثناء زيارته -كريم بلقاسم- لهيئة الأمم المتحدة في نيويورك، واستقباله من الرّئيس السّوفياتي (نيكتا خروتشوف) الذي اعترف بجبهة التّحرير الوطني، كممثِّل للشَّعب الجزائري.

بعد أن أثبت (كريم بلقاسم) حنكة دبلوماسيّة منقطعة النّظير، تم تعيينه من طرف الحكومة المؤقَّتة كمفاوضٍ، سواءٌ في اتفاقيات (إيفيان الأوّلى) يوم (20 ماي1961) أو الثّانيّة التي امتدت من تاريخ) 7مارس 1962 (إلى غايّة (18 مارس 1962)، والتي توجت بإعلان توقيع (اتفاقيات إيفيان) وإقرار وقف إطلاق النّار، مع الذّهاب إلى مرحلة انتقاليّة، وإجراء استفتاء تقرير المصير.

بعد استقلال الجزائر يوم (5 جويليّة 1962)، ترك كريم بلقاسم السّياسة، رغم كل ما قدمه للثّورة الجزائريّة، وقرَّر الاستقرّار بفرنسا، وفي عام (1967) أسَّس حركة سياسيّة معارضة؛ أطلق عليها اسم (الحركة الدّيمقراطيّة للثورة)، والتي كان هدفها الأساسي الإطاحة بنظام حكم الرّئيس السّابق (هواري بومدين)، وتطهير صفوف الجيش من عملاء فرنسا، ما جعل محكمة الثّورة تحكمُ عليه بالإعدام غيابيًا، وفي أكتوبر من سنة (1970) عُثر على (كريم بلقاسم) ميتا في إحدى غرف فنادق مدينة فرانكفورت، بألمانيا الغربيّة سابقا.

لعلاونة **محمّد الأمين**

المصادر:
- لزهر بديدة، رجال من ذاكرة الجزائر؛
- لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثّورة؛
- حياة شريك، كريم بلقاسم ودوره في الثّورة التّحريريّة (1954-1962).

كلودين شولي
(1349هـ - 1931م/1436هـ - 2015م)

ولدت صديقة الثّورة الجزائريّة (كلودين شولي/ Chaulet Claudine) في سنة(1931م) بمدينة (لونجو أوت-مارن/ Longeau Haute-Marne)بـ(فرنسا)، قدمت إلى (الجزائر) سنة (1942م) رفقة والديها، واستقرّت بـ (الجزائر العاصمة)، تابعت الدّراسة وهي طالبة عند (أندري ماندوز) الرّجل المتميّز الّذي قدم إلى (الجزائر) في سنة (1946م) لتحضير (أطروحة حول القدّيس أوغستين)، لكنّه تشبّع بالأفكار النّضالية وآمن بحقّ الجزائريين في الحريّة فتجنّد إلى جانب المناضلين من أجل استقلال (الجزائر).

التقت (كلودين) لأوّل مرّة بالطّبيب والمناضل (پيار شولي/ Pierre chaulet) يوم(21 ديسمبر 1954 م) عند (أندريه ماندوز) بـ(حيدرة) بأعالي (الجزائر العاصمة)، حيث كانت تودّ مناقشة مضمون العدد الأخير من (مجلّة كونسيونس ماغربين)، وقد كان (پيار شولي) صديقا مقرّبا (لأندري ماندوز)، وهناك حدث التّعارف بينهما وبقيا على تواصل.

وكانت (كلودين) قد تأثّرت كثيرا بمعاناة الشّعب الجزائري وأدركت حجم الظلم والقهر الّذي كانت تمارسه سلطات الاحتلال ضدّ الشّعب الأعزل، كما تأثرت بمواقف كلّ من أستاذها (أندري ماندوز) و(پيار شولي) اللّذين كانا يناصران الثّورة التّحريرية، وبعدما أنهت دراستها وانتهت إقامتها بـ(العاصمة) عرض عليها (بيار) البقاء إلى جانبه، فوافقت دون تردّد وقد سردت هذا المصير في كتاب (خيار الجزائر.. صوتان و ذاكرة)، تقول: "عند نهاية إقامتي يوم (6 يناير 1955م) طلب منّي (پيار شولي) إذا كنت موافقة على البقاء إلى جانبه فقلت نعم". فكان بعد ذلك الزّواج، حيث التحقا بالثّورة من أجل تحقيق العدالة الاجتماعيّة لتمتدّ بعد ذلك إلى الكفاح من أجل الاستقلال.

كما أردفت تقول: " كنت نقابيّة وأحاول الدّفاع عن مصالح الطّلبة، كما أدركت أنّ الفاتح نوفمبر كان حدثا استثنائيا أعطى معنى للنّضال، لهذا وقفت إلى جانب (بيار)...". لقد آمنت)



كلودين) بحقّ الشّعب الجزائري في الحريّة وناصرت قضيته العادلة .

وقد التزم الزّوجان بالمهام الثّورية وعملا لصالح (جبهة التّحرير الوطني)، حيث قاما بنقل المنشورات وإجلاء المناضلين المبحوث عنهم على غرار (عبان رمضان) الّذي خرج من (الجزائر) متّجها نحو (المغرب) بعد (معركة الجزائر)، حيث نقلته (كلودين) على متن سيّارتها إلى (البليدة) في الوقت الّذي كانت فيه (العاصمة) تعجّ بالمظليّين الفرنسيّين غير آبهة لما قد يصيبها إذا انكشف أمرها، كما ساعدت زوجها في إيواء المجاهدين والقادة التّاريخيّين للثّورة و زيارة المرضى و الجرحى إضافة إلى تحرير مقالات صحفيّة تندّد بمظالم الاستعمار، وتطالب بحق الشّعب الجزائري في تقرير مصيره.

وتذكر (كلودين) في مذكّراتها كيف نقلت وثيقة أرضية (الصومام) في قماط صغيرها نحو (البليدة)، في اليوم نفسه الّذي أوقفت فيه (الشّرطة) التّابعة لمصالح (الاستخبارات الفرنسية) زوجها (بيار).

وفي نهاية شهر(فيفري1957م)، ألقى عساكر العدو القبض على زوجها (بيار)، ليسجن بعدما وجدوا اسمه مسجّلا في كنّاش عناوين المناضل (محمّد خيدر) عند توقيفه مع باقي المناضلين في حادثة تحويل الطّائرة، وبقي رهن الحبس مدّة شهرين ثمّ نفي إلى (فرنسا)، ثمّ انتقل رفقة زوجته وابنيهما إلى (العاصمة التّونسيّة)، والتحق هناك بالمراكز الصّحيّة التّابعة لـ(جيش التّحرير الوطني)، وكانت (كلودين) ساعده الأيمن كعادتها، حيث واصلت النّضال من (تونس) واستمر هذا الالتزام بعد الاستقلال من أجل تحقيق العدالة.

وبعد الاستقلال آثر الزّوجان (پيار وكلودين شولي) البقاء في (الجزائر) ليواصلا مسيرة البناء والتّشييد للوطن الذي أحبّاه، وقد تحصّلا على الجنسية الجزائريّة ،فالتحقت(كلودين شولي) بـ(المعهد الوطني للأبحاث الزّراعية) لتعمل بعد ذلك أستاذة بـ(معهد علم الاجتماع) مختصةً في العالم الرّيفي ووضع النّساء الرّيفيات وباحثة في (مركز البحث في الاقتصاد التّطبيقي). وقد حرصت (كلودين) بالتزامها من أجل تنمية (الجزائر) بعد الاستقلال.

وفي مطلع التّسعينيات، وبعد دخول (الجزائر) في دوّامة العنف الدّموي، الّذي طال كلّ فئات المجتمع وكانت إطارات الدّولة بصفة خاصّة مستهدفة آنذاك وبعد تعرّض العائلة للتّهديد، ما أجبرَهما على الهجرة إلى (فرنسا) ثم (سويسرا) حتّى سنة (1999م).

ألّفت (كلودين) مع زوجها (پيار شولي)، كتابا تحدّثا فيه عن ذكرياتهما بعنوان: (خيار الجزائر..صوتان وذاكرة)

Le choix de l'Algérie: deux voix, une) mémoire) صدر في (2012م) عن منشورات (دار البرزخ بالجزائر)، وكانا شاهدا عيان على جانب من جوانب النّضال الثّوري في (الجزائر)، حتّى لا يندثر تاريخ الثّورة مع ركام النّسيان، موجّهين بذلك رسالة إلى الشّباب الجزائري متمنّيين أن يأخذوا عن بلدهم صورة انفتاح وتجديد وأن يأخذوا بعين الاعتبار مقدار التّضحية الّتي قدّمها رفاق وأبناء (الثّورة الجزائريّة) في سبيل نيل الحرية.

يقول الأستاذ والكاتب الصّحفي (سليمان جوادي) عن الثّنائي (كلودين) وزوجها (بيار): "...كنت أزورهما باستمرار وأدعوهما لحضور فعاليات ملتقى (فرانس فانون)، أدركت مدى حبّهما (للجزائر) والجزائريين ومدى تفانيهما وإخلاصهما في عملهما واستعدادهما لتقديم شهادتهما حول كل ما عايشاه أثناء الثّورة التّحريرية المباركة وبعد الاستقلال".

وقد ساهمت (كلودين) كذلك ببحوث ودراسات هامّة، كما أشرفت على عدد من الباحثين ونذكر منها :

- La conquête de la citoyenneté
- hommage à Claudine Chaulet / Alger : Barzakh, NAQD , DL 2012.
- La terre, les frères et l'argent : stratégies familiales et production agricole en Algérie depuis 1962 / par Claudine Chaulet ; sous la direction de Monsieur le Professeur Louis-Vincent Thomas / , 1984.
- La terre, les frères et l'argent : stratégie familiale et production agricole en Algérie depuis 1962 / Claudine Chaulet / Alger : Office des publications universitaires , 1987.
- La Mitidja autogérée : enquête sur les exploitations autogérées agricoles d'une région d'Algérie, 19681970- / Claudine Chaulet / [S.l.] : [s.n.] , 1970.
- La Mitidja autogérée : enquête sur les exploitations autogérées agricoles d'une région d'Algérie, 1968 - 1970 / Claudine Chaulet / Alger : SNED , 1971.
- تطبيق ورفض تنظيم النّسل من طرف النّساء المتزوّجات: دراسة حالات في حي من أحياء العاصمة، المرادية / إعداد عتوت نادية، إشراف شولي كلودين 1990م.

توفّيت (كلودين شولي)، ليلة الخميس إلى الجمعة 29 أكتوبر 2015 بالجزائر العاصمة عن عمر ناهز 84 سنة، ووريت الثّرى بـ(المقبرة المسيحيّة) بـ(المدنيّة) بأعالي (الجزائر العاصمة) بجوار زوجها.

نسيمة لوح

المصادر:

- Le choix de l'Algérie: deux voix, une mémoire.Pierre et Claudine Chaulet. Éditions Barzakh. 2012.
- http://www.al-akhbar.com

كسيلة بن لمزم الأوْرَبي
(ت: 640 - 686م)

هو كُسيْلة بن لمْزم الأوْربي نسبة لقبيلة أوْربة، ولُقّب أيضا بالبرنسي نسبة إلى التّجمع القبلي المعروف باسم البرانس وأوربة جزء منه. تتفق على ذلك مختلف المصادر التّاريخيّة القديمة، بينما يذكره المؤرّخ الفرنسي بول ـ لوي كامبوزا في كتابه **تطور مدن التّل بأفريقيا** باسم كاسيلُو بدلا من كُسيْلة وقد يكن أخذ التّسميّة من كلمة كاسيليوس اللاتينيّة. أما الرّوايات التّاريخيّة المعاصرة فتسميه **أكسل** وتعني النّمر باللغة الأمازيغيّة في منطقة الأوراس، وهو ما يؤكّد أن أصوله تعود إلى منطقة خنشلة حيث ولد. لم تضبط كتب التّاريخ القديمة سنة مولده إلا أن الرّوايات المعاصرة تحدّد ذلك بسنة 640م أما وفاته فكانت سنة 686م.

يوصف كسيلة في المصادر التّاريخيّة العربيّة القديمة بأنّه كبير قبيلة أوْربة، وهي المصادر الوحيدة التي كتبت عنه. وكان لهذه القبيلة التّقدم على سائر قبائل الامازيغ خلال عهد الفتوحات. وكان أميرها مع بدايات الفتوح ستردير بن رومي، وبعد وفاته تسلّم كسيلة إمارتها. وكلاهما كان على دين النّصرانيّة. فلما وُليّ أبو المهاجر دينار على أفريقيا سنة 55 هـ الموافق لـ 674م خلفًا لعقبة بن نافع، وجد كسيلة بن لمزم مُرتاداً المغرب الأقصى في جموع من أوربة، وكان أبو المهاجر متواجداً في جهات الونشريس وتاهرت فتوجه إليه واصطدم معه في نواحي تلمسان وعرض عليه الإسلام فأسلم. كان أبو المهاجر دينار يسعى من وراء ذلك لفك الارتباط بين الأمازيغ الذين كانوا على دين النّصرانيّة والرّوم البيزنطيين، وبذلك كسب كسيلة ومن معه، فصار ملازماً له في تحرّكاته. وظل أبو المهاجر قرابة سبع سنوات بأفريقيا قضى منها حوالي سنتيْن بمدينة ميلة كأوّل فاتح مسلم استقرّ بالجزائر حيث دخل ميلة سنة 59 هـ الموافق لـ 678 وأسس بها أوّل مسجد ما يزال قائما إلى اليوم.

كان أبو المهاجر لمّا كُلّف بأمر أفريقيا قد عامل عقبة معاملة سيئة بعد عزله من طرف والي مصر مَسْلمة بن مَخْلد. وقال ابن عبد الحكم إنّه سجنه وأوقره حديدا. فلما تولى يزيد بن معاويّة الخلافة، أعاد له اعتباره وكلفه ثانيّة بأمر أفريقيا. وعندما رجع بدأ بتجديد القيروان وإعادة إصلاحها، وتوجّه بعدئذ إلى المغرب الأقصى عبر باغايّة وطبنة وتاهرت وتلمسان حتى وصل المحيط الأطلسي، وأخذ معه في جيشه أبي المهاجر دينار وكسيلة. وتجمع المصادر التّاريخيّة على سوء المعاملة التي تعرض لها كل من أبي المهاجر وكسيلة من طرف عقبة خلال تلك المرحلة، وهو ما دفع بأبي المهاجر إلى نصحه بتغيير تلك المعاملة بما يضمن ولاء كسيلة إلى حوزة الإسلام. وعندما عاد عقبة من المغرب الأقصى ووصل إلى منطقة طبنة أمر أصحابه بالعودة إلى القيروان فافترقوا عنه وبقي في قلة من جيشه، وكان كسيلة قد غادر مع مَن انصرف من الجند. وسار هو إلى مدينة تهودة، فلما انتهى إليها في بقيّة من معه، نظر الرّوم إليهم فطمعوا فيهم، فلما توسط البلاد، بعثوا، أي الرّوم، إلى كسيلة بن لمزم الأوربي. وهذه الرّوايّة التي ذكرها ابن

عذاري هي التي اعتمدها ابن خلدون. فأقبل كسيلة في جمع كثير من الرّوم والبربر كما قال ابن عبد الحكم وأحاطوا به وبمن معه، حيث قُتلوا وكانوا زهاء ثلاثمائة من الصّحابة وكبار التّابعين. ولعل تلك الرّوايات هي التي دفعت بشارل أندري جوليان، وهو من أبرز المؤرّخين الفرنسيين، إلى القول بأن كسيلة قاد بني أوربة الحضر المتأثّرين بالحضارة اللاتينيّة المسيحيّة والموالين إلى الاتحاد مع الرّوم في معركة كانت انتصارا للبيزنطيين.

بعد موقعة تْهودة، توجه كسيلة ومن معه من الأمازيغ والرّوم إلى القيروان، وكان بها زهير بن قيس البلوي نائبا عن عقبة، فلما علم بمقدمهم أشار عليه بعض أصحابه بعدم الدّخول في مواجهة مع كسيلة والعودة إلى المشرق، فغادروا القيروان واستقرّوا ببرقة. دخل كسيلة القيروان واستقرّ بها حاكما طيلة أربع سنوات، من سنة 63 هـ الموافق لـ 683 إلى سنة 67 هـ الموافق لـ 686م وهي السّنة التي عاد فيها زهير بن قيس البلوي واليا على أفريقيا من قبل الأمويين. لما علم كسيلة بمقدم زهير، وكان جيشه يضم العرب وكذلك الأمازيغ الذين أسلموا، انسحب إلى خارج القيروان واختار مدينة ممش أو ممس مقاما له. دارت بين الطّرفين معركة انتهت بمقتل كسيلة وذلك سنة 67 هـ الموافق لـ 686م. ولم يذكر المؤرّخون أن كسيلة ارتد عن دينه لما أسلم على يد أبي المهاجر، وهذا يتوافق مع من يقول إن معاملته لمن تبقى من المسلمين في القيروان كانت معاملة عاديّة حيث أمّن النّاس على حياتهم ولم يتعرّض لهم بسوء.

يستشف من الرّوايات التّاريخيّة المذكورة أن الرّوم البيزنطيين كان لهم دور في المعركة التي جرت بمنطقة تْهودة وقتل فيها عقبة بن نافع ومن كان معه ومن بينهم أبي المهاجر دينار. لقد كانت المعاملة السّيئة التي لقيها عقبة بن نافع عندما تم عزله وتوليّة أبي المهاجر دينار سبباً في غضبه. ولذلك لما عاد مرة ثانيّة لولايّة أفريقيا، عامل أبي المهاجر معاملة سيئة، وانطبق نفس الأمر على كسيلة الذي كان ملازمًا له ولذلك لم يكن كسيلة مقصوداً لذاته بسوء المعاملة. وهذا ما ذهب إليه الشّيخ مبارك الميلي بالقول إنّه في الوقت الذي كان عقبة منشغلا بتكملة الفتح، أضاف معاويّة المغرب إلى والي مصر، وكان نتيجة تلك الإضافة عزل عقبة، واستحكام العداوة بينه وبين أبي المهاجر وصاحبه كسيلة، الأمر الذي أفضى إلى قتله.

لعلّه من الأهميّة التّأكيد على أن تلك الأحداث التي مرت بها الجزائر في تاريخها الوسيط، تدفعنا إلى إبراز ما هو إيجابي في ذلك التّاريخ ببعديْه الأمازيغي والعربي الإسلامي بعيداً عن الأهواء، وتلزمنا بإعادة قراءة أحداث تلك المرحلة بما يعزز الانسجام بين مكونات المجتمع الجزائري. فمما لا شك فيه أن حَمَلَة دين الإسلام إلى هذه الرّبوع كان هدفهم تبليغ رسالتّه، كما أن الأمازيغ لما فهموا حقيقة رسالة الإسلام تبنوها وصاروا من كبار قادتها وعملوا على نشرها والدّفاع عنها.

عامر بغدادي

المصادر:

- فتوح إفريقيا والأندلس. عبد الرّحمن بن عبد الحكم. دار الكتاب اللبناني. بيروت؛
- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ابن عذاري المراكشي. دار الثّقافة بيروت؛
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر. عبد الرّحمن بن خلدون الحضرمي. المجلدان 6 و7. مؤسّسة جمال للطباعة والنّشر. بيروت.

■ كمال مسعودي
(1380هـ – 1961م/1418هـ - 1998م)

يُعدُّ (كمال مسعودي) واحدًا من أبرز أسماء أغنيّة)الشّعبي (في الجزائر، ولد يوم 30 جانفي عام1961، بـ (شوفالي Chevalley)، بوزريعة؛ بحي شعبي- أعالي (الجزائر العاصمة)، ترعرع (كمال مسعودي) داخل أسرة قبائليّة متواضعة تنحدر من بلديّة (آزفون) السّاحليّة بولايّة (تيزي وزو)، كان محبًا لكرة القدم؛ غير إنّه قرّر بعدها السّير على نهج أخيه الأكبر الذي كان موسيقيا.

بدأ مشواره الفنّي في منتصف السّبعينيات (1975)، قبل أن يلتقي في سنوات التّسعينيات بقصائد الشّاعر الشّعبيِّ



الجزائري (ياسين أوعابد)، حيث صنعَا معًا أبهى ملاحم الأغنيّة الشّعبيّة؛ من خلال رائعة (الشّمعة)؛ التي مثلت أغنيّة الحظِّ، والشّهرة للفنان (كمال مسعودي)، فرغم إنّها ارتبطت زمنيًا بأحداث أليمة في تاريخ الجزائر؛ ألا وهي فترة الإرهاب خلال تسعينيات القرن الماضي؛ حيث صدرت سنة (1991)، وعند صدورها رأى فيها الكثيرون انعكاسا لآلام شعب بأكمله ووطن مثقل بالجراح، إلا إنّها حقّقت نجاحا باهرًا وأخرجت (كمال مسعودي) من عزلته الفنّيّة.

أسَر (كمال مسعودي) بأغانيه قلوب الملايين، وكانت الكلمات التي يؤدِّيها تعبِّر عن مآسي وأفراح الشّباب، لذا يحلو للبعض أن يلقبه بـ(حسني الأغنيّة الشّعبيّة) لكثرة تعبيره عن مشاكل الشّباب، وتصويرها في شكل أغاني

تخاطب العاطفة، والواقع الذي يعيشه الشّعب الجزائري، كيف لا؛ وقد ربط (كمال مسعودي) بين المأساة، والفنّ في جميع ألبوماته، فكان بحق فنانًا ملتزمًا؛ غنى عن (الغربة) و(الحياة) و(الفقر) و(الطّلاق) و(الحريّة) و(الأم) و(الهجرة) وغيرها من المآسي والآلام التي كانت تنخر المواطن الجزائري البسيط، أو تخاطب الإنسان بصفةٍ عامّة، وهذا ما نجده في رائعته (يا حسراه عليك يا دنيا)، التي يقول فيها: (شحال من سلطان كان في دنيا، جيوش لأمره طايعات، مال وعز قصور وسرايا، العسه عليه بالألوفات، اغفل غفلة انقلبت الحيّة، في يلته ماصاب وين يبات، ذوقتي فلان عسل وفاكيّة، وفلان شمختيلو الفتات)، ليتبدى لنا من خلال هذا المقطع، أو غيره من المقاطع والأغاني التي أداها (مسعودي) ذلك الالتّزام، الذي كان يعبِّر عنه دائمًا بكلمات تقترب من الحكمة وتعبِّر عن واقع الحياة وتقلباتها.

كان يُعرف عن (كمال مسعودي) بإنّه بسيطٌ، متواضعٌ وصادقٌ، كان يتألم في صمت لذلك تميّزت أغانيه بمسحة من الكآبة، وهذا ما يلاحظه المستمع لأغانيه، التي تغلب عليها الكلمات الحزينة، والموسيقى الهادئة التي تخاطب الألم في الإنسان، فمن (الشّمعة)، إلى (يحسراه عليك يا دنيا)، ينتقل كمال مسعودي للغناء عن (المخدِّرات) في قالب يغلب عليه جلد الذات، والتّحدث بضمير الـ(أنا)، والنّصح المرتبط بالدّين والعادات والتّقاليد الجزائريّة الأصيلة، ليحس كل مستمع بأنّه المقصود، أو المخاطب، وهذا ما تخبر به أغنيّة (رايح مرهون) التي لخصت معاناة الشّباب الجزائري جراء آفة المخدرات وخاطبتهم بكلمات عاطفيّة توقظهم من الوهم الذي يعيشونه.

لم تكن حياة (كمال مسعودي) معبَّدة بالورود إلى حدٍّ إنّه لُقِّب بـ (الملك الحزين) وهو الوصف الذي يختزل حياته، وإن كان المقربون منه يعتبرون أن شخصيته كانت تتسم بالمرح والبهجة، حيث يسرد لنا شاعره الأوّل بعضا من تفاصيل حياته، سيما فيما يخص كفاحه من أجل الزّواج والحصول على سكن كأي شاب جزائري؛ فقد وقع في عشق عاصف، غير إنّه تحدى المشاكل والصّعاب من أجل إكمال حلمه في الاستقرّار، إلا أن القدر قال كلمته أياما قبل موعد زواجه وهو يحمل حلم الحياة.

توفّي كمال في ريعان شبابه، إثر حادث مرور أليم، وذلك يوم)الخميس 10 ديسمبر (1998، عن عمر يناهز (37 سنة)، أيامًا قليلة فقط قُبيل زفافه، وكان آخر كلام قاله في لقاء مصوّر للتلفزة الجزائريّة، حين سأله المطرب (سيد علي دريس) في برنامج كان ينشطه: "لماذا لا تحفظ أغاني الحاج العنقاء؟"، فرد عليه الرّاحل قائلا: (قبل ما نحفظ القصيد نحفظ القرآن بالاك نصيبو يوم القيامة إن شاء الله)، ليترك لنا المرحوم مجموعة من الأغاني الرّاسخة في (فن الشّعبي)، والتي طبعت مسيرته الفنيّة ككل رغم قصرها، واضعةً أغنيّة الشّعبي في قالب جديد، أو ما أطلق عليه النّقاد اسم (النّيو شعبي)، وهذا ما نجده في جميع أغانيه، على غرار)الشّمعة؛ أنا وأنت يا قيثارة؛ يا دزاير؛ يا حسراه عليك يا الدّنيا؛ كلثوم؛ رايح مرهون؛ يا يما (رثاء الأم)؛ يا الدّزاير راه طاب القلب؛ يا نجوم الليل؛ واحد الغزيل؛ الحنة؛ آش تفيد؛ سمعي يا البنيّة؛ كيفاش أنا نحبك؛ مولات السّالف الطّويل محال أنا ننساك؛ وين رايحة؛ ما نزيد نخمم؛ والله ما دريتك ؛ مشيتي وما شفتي موراك؛ ما بقات رجلة ؛ من حب هاد الغزالة؛ يا الحبيبة ما تبكيش؛ يا عروس – عزيز عليا – أنت الحبيب ؛ اليوم نفكرك راهو مقدرلي؛ روح يا زمان (سامحيني)؛ يا محلى الليل؛ خليها تعمل ما بغات؛ الوداع؛ نبغي تكوني مستورة نحلم بيك (

يقول الشّاعر الشّعبي والفنّان (عبد القادر بن دعماش)؛ الذي يعتبر من الأصدقاء المقربين جدا للفنان (كمال مسعودي): (كمال رحمه الله، كان من أصدقائي القريبين، بالإضافة لكونه من أهمِّ المجددين في الأغنيّة الشّعبيّة، ودائمِي البحث عن كل ما هو مبتكر، وفي تصوُّري، هذا سر تميُّزِه بين جيل من المغنيين للطَّابع الشّعبي رغم ظروفه الاجتماعيّة الصّعبة". مضيفا: "قد لا يُصدق البعض أن كمال كان سليل عائلة متوسّطة الحال، وعانى على غرار الكثير من الجزائريين من أزمة السّكن، فكان يتدرب على تسجيل أغانيه داخل مستودع أحد أصدقائه، والحقيقة أن كل هذه الظروف مجتمعة، فجَّرت لدى كمال طاقة عمل كبيرة، حوَّلت معاناته إلى أغانٍ غزيرة لا زالتّ مسموعة حتى الآن (.

تحولت أغاني (كمال مسعودي) مؤخرا –خاصّة الشّمعة– إلى قبلةٍ للعديدِ من الفنّانين العرب الذين قدَّموها، ومنهم الفنّانة اللبنانيّة (ماجدة الرّومي) التي شَدَت بها، خلال حفلة (الفنّك الذهبي) سنة (2008)، وصرَّحت الفنّانة وقتها، إنّها واجهت صعوبات في أداء (الشّمعة)، قائلة: (وجدت صعوبة في أداء الأغنيّة، كوني غيرَ متعوِّدة على اللهجة الجزائريّة، لكن عمق الأغنيّة وإحساسُ صاحبها المرهف جذبني إليها.

لعلاونة محمّد الأمين

المصادر:

- ساميّة شيلي، (انطفأت شمعته قبل أن يحقق الكثير من أحلامه: بلبل الغناء الحزين "كمال مسعودي" يعود في ذكراه الـ 18)، مقال بجريدة الجزائر، عدد 17000؛
- عبير النّصراوي، قناة مونت كارلو الدّوليّة، 17/ 01/ 2015.

كور عبدي

الكور عبدي وفي بعض الكتابات كرد عبدي، وكان يشغل منصب آغا الصبايحيّة كما كانت تجمعه علاقة صداقة بالدّاي السّابق. الدّاي عبدي آغا أو كور عبدي، الذي ولد في منطقة منامن (Menemen) بالأناضول، في أهم مناصب الإيالة، فقد عمل كباي لبايلك التيطري، كما شغل منصب آغا الصبايحيّة، المؤكّد أنّه كانت للرجل مكانة كبيرة قبل توليه الحكم، كان عمره عند التوليّة حوالي 60 سنة،

اتفق الكتّاب حول صفاته الجسمانيّة فهو ذو بنيّة ضخمة، أعور (عينه اليمنى)

قال عنه جون ولف "بأنه الأقوى في الحكم من علي شاوش كما كان أكثر منه حكمة وأن عبدي كان الرجل الذي استطاع أن يثبت قواعد الحكم في الإيالة... وكان قد بدأ حكمه بتأمين الوزراء في مجلسه الخاص وكذلك الذين يخدمونه...وكان نزيها متجردا من الغش والفساد... ارتكزت سياسته على مجلس الوزراء، وقد اعترف أعضاء المجلس (الوزراء) أن مناصبهم وسلطتهم وثروتهم متوقفة على رضى الدّاي وأن الدّاي بدوره متوقف عليهم، وأن عبدي لم يكن يعزل مسؤولا أبدا طالما كان يؤدي واجبه، ولكن عندما يموت واحد منهم فإن عبدي كان دائما يملأ مكانه بقريب له أوصديق أصله من منامن.."

عبر عبدي باشا عن رغبته في إقامة علاقات طيبة مع فرنسا والتزم رسميا باحترام المعاهدات، في حين طالب هولندا بدفع الجزيّة قبل التفاوض، عمل الكور عبدي على التمسك بمبدأ الاستقلال عن الباب العالى فرفض وساطتها من أجل ابرام الصلح مع إسبانيا عام1725م، كما رفض تسليم الثائر المصري شركس محمد لمبعوث السّلطان، وقاوم في عام 1729م محاولة السّلطان المكشوفة لإعادة سلطته عندما بعث إلى الجزائر باشا جديد فرفض نزولهم للبر. وكانت هذه محاولة من قبل الدّولة العثمانيّة تهدف إلى فرض ممثل عنها. في سنة 1727م تأخر الفرنسيون في توصيل طلبات الدّاي عبدي، فقام الدّاي بإقامة عقد مع اليهودي إبرهام بوشناق متعلق بإمدادات الصواري للإيالة لأنه كان يريد خدمة أسرع، وفي نفس السّنة منح الكرد عبدي الإذن لتاجر فرنسي لإقامة بيت للتجارة في وهران حيث لم يكن يتمتع بهذا الامتياز إلا الإنكليز الذين كانوا يدفعون ثمنا باهضا للحفاظ على الامتياز ولهذا تدخل القنصل الإنكليزي واقنع الدّاي بسحب الاذن من التاجر الفرنسي.

رفض عبدي باشا في سنة 1731م ترضيّة أي مطلب للفرنسيين قبل أن ترضي مطالبه هو أولا، وعندما أقدم القنصل الفرنسي بتهريب عدد من الأسرى إلى السّفن الفرنسيّة، فقد أصر الدّاي –على غير العادة ذلك أن السّلطات كانت كثيرا ماتغض الطّرف عن مثل هذه الحوادث– على أن يرد هؤلاء الأسرى الذين تم ردهم بالفعل، كما أنه لم يرق له تصرفات القنصل الفرنسي الذي لم يتبع تقاليد المتبعة في الجزائر منذ وقت طويل، وهو عدم السّماح للقنصل بالمثول أمام الدّيات، بأسلحتهم، فقناصل جميع الدّول امتثلوا لهذا لكن قنصل فرنسا، أراد الخروج عن ها التقليد وصمم على المثول أمام الدّاي ومعه سلاحه، وقد عبر عبدي باشا عن رفضه في رسالته للكونت دو موريـاس أمين الدّولة للقوات البحريّة قائلا: "...وقد دعونا قنصلكم إلى ديوان الأعمال أو إلى جناحي للحديث معاً حتي أبرهن له على تقديرنا له لكنه أتى دائما متعاليا ومعه سيفه.... فإنّ القناصل لايحملون سيوفهم.."

تعرّض الدّاي لمحاولات القتل عدّة مرات، لكن وفاته كانت غريبة، حيث أنّه مات حزنا على فَقْدِ وهران، 29 جوان 1732م فقد أحسّ بالمهانة أمام جنوده، وكذا الناس، لأنّه لم يقم بالتدابير اللازمة لمنع ذلك، خاصّة وأنّ باي الغرب طلب كثيرًا المساعدة دون جدوى، ولهذا اعتزل الناس، ممتنعا عن الأكل والشّرب، مع الاستمرار في تعاطي الأفيون. ذكر ابن المفتي أنّ الدّاي توفي في 11 محرّم 1145هـ/ 4 جويليّة 1732م، تميّز الدّاي كور عبدي بصفات متناقضة، فهو من جهة شخص جيد وحكيم ورقيق ومن جهة أخرى شخص متوحّش وعنيد. إذا كان يتعاطي الأفيون وكذلك خوفه من القتل، فإنّ صفة عنيد التي وُسِمَ بها الدّايات من طرف الأجانب بسبب رفضهم لمطالب هؤلاء الأخيرين التي لا تتوافق مع مصالح الإيالة، ليست بالضرورة عنادًا، بل قد تدل على أنّ الدّاي ليس سهل الانقياد.

ويذكر أن أوّل معاهدة وقعت بين الجزائر والسّويد كانت في عهده وعهد الملك فريدريك الأول، وكان ذلك في أفريل 1729، حيث وقعت المعاهدة من طرف الدّاي في 16 أفريل 1729 في الجزائر، ثم وقعها ملك السّويد في 04 نوفمبر 1729 في ستوكهولم وفي 1730 وصل أول سفير للسويد في الجزائر وهو المؤرّخ كارل ريفيتيليوس.

وقد عاصر الدّاي كور عبدي لويس الخامس عشر ملك فرنسا، وملك السّويد فريدريك الأول والباي كليان حسين باي بايليك الشّرق، وبوشلاغم باي بايليك الغرب.

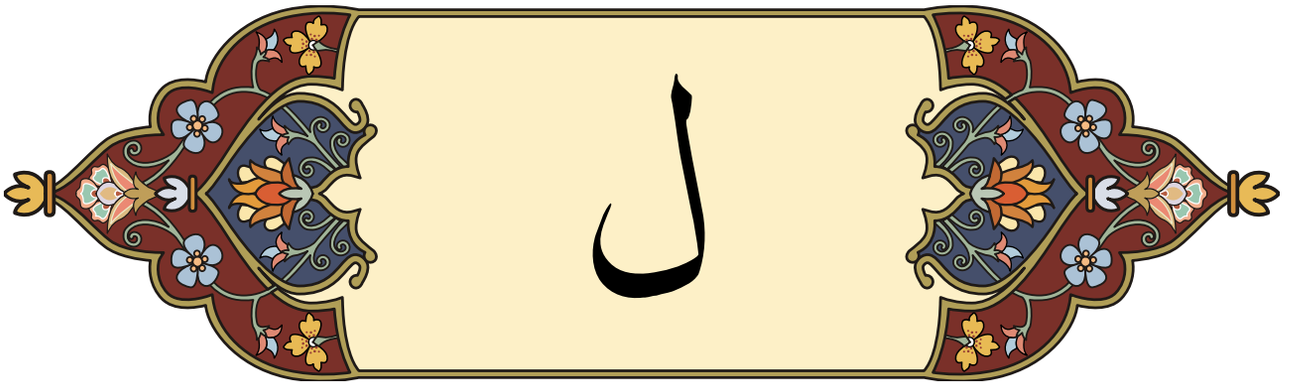
صرهودة يوسفي

المصادر:

– أجان بلانيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك فرنسا، 1700–1833م، ترجمة: سلامنيّة بن داود، قوشام حفيظة، ج1، ط 1، دار الوعي للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م.

جون وولف: الجزائر وأوروبا 1500–1830م ، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص365–366.

ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر،2009م.



لالّة فاطمة نسومر
(1243هـ - 1830م/1279هـ - 1863م)

مجاهدة من الطّراز الرّفيع في مجال مقاومة الاستعمّار الفرنسيّ، ورمز المقاومة النّسويّة الجزائريّة، لقّبها المستشرق (لويس ماسينيون) بجان دارك جرجرة، لأنّها ضربت مثلا يقتدى به في التّحرر والدّفاع عن الوطن، وقهر جنرالات فرنسا. إنّها المجاهدة (فاطمة سيد أحمد) المنسوبة لقريّة (سومر) بأعالي جرجرة بولايّة (تيزي وزو).

شاءت الأقدار أن يكون تاريخ مولدها سنة (1830) بقريّة (ورجة) بعين الحمام ولايّة تيزي وزو، وهي السّنة التي دخل الاستعمّار الفرنسي فيها إلى الجزائر، وشبّت بين أربعة أخوة في عائلة صوفيّة، من الطّريقة الرّحمنيّة، حيث كان أبوها (سيدي محمّد بن عيسى) مقدّم زاويّة (سيدي الشّيخ أمزيّان) الرّحمنيّة، فتعلّمت فيها علوم الدّين والعبادة والجهاد في سبيل الله.

لما بدأت جحافل المستعمر الفرنسي تكتشف دروب منطقة القبائل الوعرة، كانت (لالّة فاطمة نسومر) ترقب تحرّكاته، لترفض الزّواج، ويتمّ تزويجها بابن خالها (الحاج عمر) من قريّة (تاكلا) آث- إيراثن الذي يخلي سبيلها بعد تظاهرها بالمرض، لتعود تراقب تقدّم المستعمر نحو أحراش جرجرة، وتصبح نموذجا للمرأة المقاومة والعالمة التي جمعت بين التّصوف والجهاد، وتقوم بخدمة الزّاويّة ورعايّة روّادها من طلّاب العلم من كلّ ربوع الوطن.

بعد وفاة والدها، اضطرّت إلى اللّحاق بأخيها البكر (سي الطّاهر) بقريّة (سومر) الذي خلف أباه في الإشراف على الزّاويّة الرّحمنيّة من هناك لمقاومة المستعمر الفرنسي وهو يجوس بين المداشر في منطقة القبائل، مستنجدة برموز المقاومة الوطنيّة في الغرب الجزائريّ، وتقيم اتّصالات مع أحد زعمائها وهو الشّريف (محمّد بن عبد الله) المعروف ب (بوبغلة)، ليجرّ مقاتليه إلى منطقة القبائل لمقاومة العدوّ الفرنسيّ، وشاركت في المعارك التي خاضها لصدّ هجومات المستعمر ومحاولة إسقاط منطقة القبائل، وشكّلت دعما ماديّا بحشد سكّان المداشر المختلفة، فاستجاب شيوخ مداشر (الأربعاء ناث- إراثن) لمنطق المقاومة، إلى جانب توعيتها نساء المنطقة بمشاركتهم في تشجيع رجال المقاومة، بتقديم المؤونة ورفع المعنويات، وقطع الطّريق في وجه الجيش الفرنسيّ، لتكون نتيجة ذلك الدّعم، انتصار (لالة فاطمة نسومر) جنبا إلى جنب مع الزّعيم بوبغلة في معركة 18 أوت (1857) التي هزم فيها الجيش الفرنسيّ بجنرالاته الخمسة والعشرين، ثم تخوض بمعيّة (بوبغلة) معركة داميّة ضدّ الجنرالات (ميسيا وقاستو ورينو وماكمهون وديلني) ويصاب فيها (بوبغلة) وتقوم برعايته.

تستمرّ انتصارات هذه المرأة المقاومة في عدّة معارك، جعلت من منطقة القبائل هدفا استراتيجيا من أهداف الاحتلال سعيا إلى السّيطرة عليها وإخضاع أهلها، وكانت في كلّ مرّة تجمع من أجل ذلك العدّة والعدد، وشاركت في عدّة معارك انتهت بانتصار المقاومة المشتركة بين أبناء منطقة القبائل ومقاومي الغرب الجزائري، مثلما حدث في معارك (ورجة) و(تاوريرت موسى) و(تيزي- بوايير) الأمر الذي أدّى بالمستعمر إلى إرسال جيش بقيادة الماريشال (راندون) والماريشال (ماكماهون)، قاومت فيه (لالة فاطمة نسومر) مع المناضلين حتى رجحان الكفة لقوة العدة والعتاد، حيث كانت تسيّر جيشا يضم سبعة آلاف مجاهد في حين كان جيش (راندو) يضمّ خمسة وأربعين ألف مقاتل متوفّر على كلّ المعدّات الحربيّة الحديثة، وكانت معركة (إشرّضن) حاسمة في قريّة (تاكلا) يوم 24 جوان (1857) ليتمّ اعتقال البطلة (لالة فاطمة نسومر) مع مجموعة من النّساء، وأتباعها من مريدي الطّريقة الرّحمنيّة في 11 جويليّة (1857) وتوضع في الإقامة الجبريّة التي قيل إنّها اختارتها في الزّاويّة العيساويّة بوادي (يسّر) بتابلاط لتتفرّغ للعبادة والتّعبّد الممزوجين بالقهر الذي انتهى بها إلى شلل توفّيت على إثره سنة (1863) وهي في سن الثّالثّة والثّلاثين، ودفنت في مقبرة (سيدي عبد الله) تاركة وراءها إرثا في التّحرر والمقاومة النّسويّة سائرة على خطى جدّاتها كالكاهنة وتينهنان، لتؤكد على المكانة التي كان يوليها المجتمع الجزائريّ للمرأة باعتبارها عضوا فاعلا تقوم بنفس الواجبات التي يقوم بها أخوها الرّجل وخاصّة حين تكون فيه الأرض هدفا لاعتداء خارجي، فكانت نموذجا لتحرّر المرأة الجزائريّة المسلمة قبل أن تخرج نساء الغرب الاستعمّاريّ ليطالبن بأبسط حقوقهنّ في المساواة مع الرّجل.

قدّرت الدّولة الجزائريّة جهود هذه البطلة المغوارة في الدّفاع عن الوطن، ونقلت رفاتها إلى مربع الشّهداء بمقبرة العاليّة سنة (1995) وأنشأت متحفا باسمها في المكان الذي دفنت فيه أوّل مرّة، سنة (2009) وخلّدت بإطلاق اسمها على المؤسّسات التّعليميّة وبُرمجت سيرتها الجهاديّة في الكتب المدرسيّة، وكتب عنها المؤرّخون في مختلف الدّول الغربيّة والعربيّة وفي الجزائر، وصفها المؤرّخ المستشرق (لويس ماسينيون/ (Louis Massignon(جان دارك جرجرة) وشبهها الجزائريون بـ(خولة بنت الأزور) التي حاربت مع الصّحابي خالدّ بن الوليد.

كتب عنها كثير من المؤلفين، وكانت سيرتها النّضاليّة مشروع عديد من الكتب التّاريخيّة، عنونت باسمها (فاطمة نسومر) مثلما كتبه (طاهر أوصديق) و(بوخالفة بيطام) و(سالم شاكر) في كتابه: (تاريخ نساء ومجتمعات) كما ورد اسمها في مجموعة من المعاجم والأنطولوجيات، ك (معجم الجزائر الموسوعي) لـ (عاشور شرفي) و(معجم الثّقافة البربريّة في منطقة القبائل) لـ (كامي لاكوست) وغيرها من المؤلّفات التي تطرّقت إلى حياتها ومقاومتها ومكانتها كرمز من رموز المقاومة الوطنيّة التي أصبحت نموذجا تاريخيا يدرّس للطلبة، وتأخذ منه الفتيات نموذجها في التّشبّث بالأصول والتّديّن والدّفاع عن الشّخصيّة الوطنيّة، فهي البطلة التي قرّرت أن تعدل عن زينة الدّنيا وزخارفها، وترتمي في أتون المعركة في سبيل وطنها مثلما يراها العلّامة (محمّد الصّالح الصّديق)

ولقد تمّ استثمار تجربتها البطوليّة في بعض الأعمال الإبداعيّة كالرّوايات التي أشادت بالثّورات التّحريريّة المعاصرة، أما في مجال الفنّ السّابع، والصّناعة السّينمائيّة فقد كانت موضوعا لأفلام عربيّة وجزائريّة، كفيلم (عذراء الجبل) بالاشتراك مع السّينما السّوريّة، وفيلم (بلقاسم حجاج) حول الذّاكرة التّاريخيّة.

كتبت عنها الأشعار بالأمازيغيّة والعربيّة ودوّنت مآثرها في الثّقافة الشّعبيّة الجزائريّة، وحيكت سيرتها قصصا للكبار والصّغار، فكانت بحقّ أسطورة في النّضال والجهاد والتّصوف حين يعبّر عن أعظم تجليّاته في المقاومة كما بدأها (الأمير عبد القادر الجزائري).

دوّن شاعر الثّورة الجزائريّة بطولتها في إلياذة الجزائر مصوّرا مكانتها البطوليّة في قوله:

نسومر مذ نسبوك لتاكلا
رفضت التّواكل يا فاطمة
وأرعفت راندون في كبده
ودُست على أنفه الرّاغمة
وصغّرت للجنرالات خدّا
فخابت نواياهم الآثمة

آمنة بلّعلى

المصادر:
- محمّد الصّالح الصّديق، رحلة في حياة المرأة.
- عاشور شرفي، معجم الجزائر الموسوعي.

لخضر بن خلوف
(897هـ - 1492م/1022هـ - 1613م)

بن خلوف (لخضر) هو لخضر بن عبد الله بن خلوف، وأمّه كلّة بنت سيدي يعقوب الشّريف، سمّي باسمي (لكحل) و(لخضر)، سمّي بلكحل نسبة لاسم الشّيخ الصّالح سيدي امحمّد (لكحل)، وتعود تسميّة لخضر للرؤيا التي رأتها أمّه في منامها والمتمثلة في حزام أخضر اللّون مرصّع بقطع ذهبيّة يطوّق قامتها، ممّا جعل أهل الاختصاص يفسّرون لها الرّؤيا بأنّها سترزق بولد يكون له شأن عظيم بين النّاس فسمّي بـ(لخضر).

وبعدما عرف لخضر بن خلوف قصة تسميته قال:

يَكْفِينِي تَصَدُّقِي وَنِيّة
"لَخْضَرْ" كَيْفَ يَكُون خَاطِي
تِسْعَةٌ وَتِسْعِين رُؤْيّة
وَالْعَاطِي مَازَالَ يُعْطِي

ويكنّى لخضر بن خلوف بـ: سيدي نسبة إلى الضّريح الذي أقيم بعد وفاته على أنّه ولي من أولياء الله الصّالحين، ويلقّب أيضا بالخلوفي نسبة إلى قبيلته "أولاد خلوف"، وإلى جدّه الخلوف، يقول في إحدى قصائده:

اَلْأَخْضَر وَلْد الْخلُوف الْمكنَّى لَكْحَلْ
وَالْكُنْيّة مَا هِيَ حْرَام سَمَّانِي جَدِّي

أمّا عن نسبه فهو شريف النّسب يعود إلى سلالة الإمام علي رضي الله عنه، فهو لخضر بن عبد الله بن عيسى الشّريف الإدريسي، المغراوي نسبة إلى إقامة أجداده بمغراوة بعد انتقالهم من شبه الجزيرة العربيّة إلى شمال أفريقيا، وفي هذا الصّدد يفتخر بنسبه قائلا:

الله يَرْحَمْ قَائْل الأَبْيَاتْ
الأَكْحَلْ واسْمْ بُوهْ عبد الله
المَشْهُورْ اسْمُه مِن الفَيَاتْ
مَغْرَاوِي جَدّهُ رَسُولُ الله
وَأُمهُ من بيت مُحْسِنَاتْ
اليَعْقُوبِيّة لَالَّة خَوْلَة

ولد لخضر بن خلوف في أواخر القرن الثّامن هجري 897هـ الموافق لـ: 1492م، حسب ما جاء في قصيدة "الوصيّة" المعروفة عند عامة النّاس بـ: (الوفاة)، إذ يقول فيها:

مَن الْقَرْن الثّامَن عَدِّيتْ سْنِين وْزَايَعْ
الْأَيَام مَاضْيّة وَالْحَاسَبْ مَحْسُوب
تَمِّيتْ بِهِمَّة الْقَرْشِي الْقَرْن التّاسَع
وَالْفلْك يَنْثَنَى وَالْجَالب مَجْلُوب

وتوفّي لخضر بن خلوف في أوائل القرن العاشر الهجري سنة 1022هـ الموافق لـ 1613م، ودفن قرب خيمته، إذْ

حدّد مكان دفنه عن طريق وصيّة كان قد أدلى بها لأولاده كما قال في قصيدته:

اَحَفْظُوا وْصَيْتِي دِيرُوهَا تَاجْ الرّؤُوس
يُوصِيكُم الْخُلُوفِي بِعِلْمْ التّبين
النّخْلَة الْمُثْبَتَة تْلَقّحْ مَنْ بَعْد الْيبُوس
حْذَاهَا يْكُون قَبْرِي يَات مَسَلْمِين

لخضر بن خلوف صوفي وشاعر شعبي، يتمحور موضوع شعره حول حبّ النّبيّ محمّد ﷺ، واشتهر بالمدح، حيث كان مدحه ممزوجا بالحماسة والحكم والزّهد، وبكى شوقه للرّسول ﷺ قائلا:

يَعْذَرْنِي فِي غْرَامَك اللّي يْكُون مُسْلِم
شْرِيف عَرْبِي دَمُّو مَنْسُوب للأَعْرَاب
بْغِيت نَسْقِي وَنْذُوق قَرْقَاف بِير زَمْزَم
طَيّبْ عْسَل الشّهْرَة انجرعه أَنْجَاب

هو ابن عبد الله بن عيسى الشّريف الإدريسي المغراوي، أمّا مغراوة فإنّها بلاد نشأته، حيث نشأ في جبال مغراوة الجزائريّة، وقضى شبابه في مزغران بمدينة مستغانم.

تميّز لخضر بن خلوف منذ صغره بالعلم والذّكاء الخارق، قرأ في الكتاتيب، ولو وقفنا على مراحل حياته سنجدها تنقسم إلى قسمين: القسم الأوّل من مولده إلى سنّ الأربعين أمّا القسم الثّاني إلى وفاته رحمه الله. ولم يتحدّث لخضر بن خلوف عن المرحلة الأولى من حياته كثيرا، ركّز على المرحلة الثّانيّة.

اطّلع على مختلف الكتب الدّينيّة من فقه وسنّة وسيرة، وتأثّر بالقرآن الكريم، فقد كان مولعا بالاقتباس من التّراث الدّيني عامة، ومن القرآن الكريم خاصة، حيث أفاض في هذا المجال باستعمال هذه التّقنيّة كقوله:

قَدْ كَان مَا خُفْت أَنْ يْكُونا
إِنَّا إِلَى الله رَاجِعُونَا

نشأ لخضر بن خلوف في العصر التّركي وسط اضطرابات سياسيّة داخليّة، وتحرّشات القوى الغاصبة من الخارج (إسبانيا وحلفاؤها).

أخذ لخضر بن خلوف العلم عن مجموعة من المشايخ والفقهاء والعلماء، من بينهم: بلقاسم بوعسريّة ولي صالح ضريحه مُقام بمزغران (مستغانم)، والشّيخ محمّد عبد الحق بن عبد الرّحمن المعروف باسم سيدي بومدين ولي صالح ضريحه متواجد بمدينة تلمسان، كما تتلمذ على يد أستاذه العالم الفقيه محمّد بن شاعة، وحفظ القرآن الكريم على يد شيخه وصهره في الوقت نفسه "سيد ي عفيف" المتواجد ضريحه بسيد ي علي (مستغانم).

يعدّ الشّاعر لخضر بن خلوف مرجعا هامّا لحقبة مميّزة من تاريخ الدّولة الجزائريّة فترة الاستعمار الإسباني من خلال الوصف الدّقيق للأحداث في قصيدتين: الأولى تحدّث فيها عن معركة شرشال بعنوان: "قصّة شرشال"، والثّانيّة بعنوان: "معركة مزغران".

كما أنّ له أعمالا كثيرة منها القصيدة التي كتبها في مدح النّبي ﷺ بعنوان: "يا تاج الأنبياء الكرام"، إضافة إلى ما أبدعه الشّاعر من قصائد متفرّقة بلغ عددها حوالي 31 قصيدة، جُمعت في ديوان شعري سنة 1985م في الرّباط من قبل محمّد بخوشة، بعنوان "ديوان سيدي لخضر بن خلوف"، وله ديوان آخر جُمعت قصائده من قبل الحاج محمّد الحبيب حشلاف، يضمّ 56 قصيد ة موزّعة على 245 صفحة، بالإضافة إلى ديوان "الوجيز المعروف في حياة سيدي لخضر بن خلوف" الذي ألفه الحاج بوفرمة وهو من أفراد سلالته.

وتعتبر قصيدة "ابقاو بالسّلامة" سيرة ذاتيّة مختصرة لحياة لخضر بن خلوف.

ترك الشّاعر (لخضر) بن خلوف كنوزا شعريّة لا تزال محل بحث المختصين، بالإضافة إلى توافد الزّوار من كل مكان يقصدون ضريحه بالرّغم من وجوده على بعد ثلاثة كيلومتر في أعالي بلديّة سيد ي لخضر (مستغانم) التي سميت باسمه.

يشهد ضريح سيد ي لخضر بن خلوف العديد من النّشاطات الدّينيّة حيث ينظم داخل هذا الضريح مهرجان الولي الصّالح سيد ي لخضر بن خلوف بمشاركة العد يد من الفرق التي تقدم استعراضات مختلفة على غرار عروض في فنون الفروسيّة إضافة إلى تلاوة جماعيّة للقرآن الكريم، وتقدم مداخلات ومواضيع متصلة بمناقب ومآثر لخضر بن خلوف الشّيخ والشّاعر والمجاهد.

لمّا بلغ لخضر بن خلوف الأربعين من عمره استقبل حياة أخرى كلّها زهد وورع وتصوّف ومدح للرّسول ﷺ، إذ كنّي بمدّاح الرّسول ﷺ.

أحبّ لخضر بن خلوف النّبي ﷺ حبّا شديد ا، فلزم الدّعاء والتّضرّع لله تعالى والتّقرّب إليه بالصّلوات والذّكر راغبا في رؤيته، وقد استجاب له الله عزّ وجلّ.

شارك الشّاعر المجاهد في المعارك التي شنّتها القيادة العثمانيّة ضدّ الإسبان، والتي وقعت سنة 1558م، أشهرها "معركة مزغران، "حيث حقّق فيها نصرا كبيرا، وقد نظم فيها قصيدة بعنوان: "يا الله سلّكنا في ليلة الهجوم"، وقد شبّه بن خلوف هذه المعركة بـ"غزوة بدر الكبرى".

كما يقال أنّه كان يحمل الرّسائل والأخبار من الظّهرة (مستغانم) إلى الجزائر العاصمة، ويظهر ذلك في قوله:

رَاكَب عْلَى فَرْسِي مَنْصُوب لِي شْهَب
هْنَا وْغَادِي بِيَا قَرْبُصُونِي يْمِيل

شهرزاد غول

المصادر:
- ديوان سيدي لخضر بن خلوف، محمّد بخوشة.
- سيد ي لخضر بن خلوف، حياته وقصائده، منشورات جمعيّة آفاق.

لخضر بن طوبال
(1341هـ - 1923م/1431هـ - 2010م)

يعد لخضر بن طوبال واسمه الحقيقي سليمان بن طوبال، أحد رموز الثّورة التّحريريّة الكبرى، وأحد الذين شاركوا في تأسيس المخابرات الجزائريّة تحت قيادة عبد الحفيظ بوالصّوف، ولد في 8 جانفي 1923 بميلة، وفد شكل اسمه نواة الباءات الثّلاث.

لعب دورا هامّا إبّان الثّورة التّحريريّة، ونتيجة نشاطه الثّوري حكم عليه غيابيا في 30 جوان 1951 على إثر اكتشاف المنظمة السّريّة، مما دفع به إلى الاختفاء بمنطقة الأوراس لمدة 26 شهرا بعيدا عن أنظار الاستعمّار.

تقلّد عدّة مناصب من قائد الولايّة الثّانيّة إلى وزير للداخليّة في الحكومة المؤقتة، شارك بن طوبال في مفاوضات لي روس11-19فيفري 1962 ومفاوضات ايفيان الثّانيّة 7-18 مارس 1962.

لقد كانت القوّات الاستعمّاريّة تضرب حصارا خانقا على الأوراس وفي هذه الظروف استنجدت المنطقة الأوّلى بالمناطق الأخرى خاصّة المنطقة الثّانيّة باعتبارها مجاورة لها وذلك من خلال بعث شيحاني بشير برسالة إلى قائد المنطقة الثّانيّة زيغود يوسف وكان محتواها يصور الحالة التي وصلت إليها المنطقة الأوّلى وطالبه بعمل شيء لتخفيف الضغط والحصار على الأوراس، وقد استجابت المنطقة الثّانيّة للرسالة من خلال عمليّات بالحروش وسكيكدة، وبعدها تمّ التّفكير بهجمات كبرى في الشّمال القسنطيني .

وهكذا استطاعت هجومات 20 أوت أن تثبت وجودها وتزيد من انتشار الثّورة وإظهار القدرة على التّنظيم وفك الحصار على المنطقة الأوّلى الأوراس.

لقد عمل النّظام الاستعمّاري كل ما بوسعه لإجهاض الثّورة منذ اندلاعها في الفاتح من نوفمبر 1954 وهذا أدى إلى صعوبة الاتصال بين مختلف قيادات جيش التّحرير الوطني وبعد أحداث 20 أوت 1955 لزم إيجاد قيادة مركزيّة تقوم بتنظيم ووضع إستراتيجيّة تنظيميّة موحّدة ودائمة للعمل الثّوري على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي.



بعد عمل مارطوني لعبّان رمضان تقرّر عقد مؤتمر الصّومام بمنطقة إيغزر أمقران بولايّة بجايّة، وقد اختير هذا المكان لاعتبارات أمنيّة بحتة وقد حضر لهذا المؤتمر من المنطقة الثّانيّة كل من لخضر بن طوبال، وزيغود يوسف، ومن الأحداث التي اعترضت هذا الوفد اشتباكه وهو قادم مع العدو ما جعله يتأخر قليلا في الوصول بسبب انقسامه، ودخوله في مواجهات مع قوّات العدو حسب تأكيد علي كافي الذي ذكر بأنّهم غنموا قطعا من الأسلحة وتبرعوا بها للمنطقة الثّالثّة التي وقع الاشتباك فوق ترابها.

وقد أكّد لخضر بن طوبال بان العدو تمكن من تطويقهم من كل الجوانب، مما جعله يتجه رفقة زيغود يوسف إلى منخفض ناحيّة وادي الصّومام، حيث أشار إلى أن هذا الحصار يعتبر من أصعب الفترات التي عاشها إبان الثّورة التّحريريّة، وبهذا استطاع القادة الحاضرون في المؤتمر من خلال جلسات الاجتماع تقييم حصيلة 22 شهرا من الكفاح وأيضا وضع إطار نظامي وهياكل سياسيّة للثورة وعلى الرّغم من اتفاق المجتمعين إلا إنّه كانت هنالك بعض النّقاشات الحادّة والتي فرقت المجتمعين زيغود يوسف ولخضر بن طوبال وباقي الأعضاء، فقد طرح بن طوبال مع قائده العديد من الأسئلة منها أسباب عدم حضور ممثّل الاوراس وغياب الوفد الخارجي حيث رأى بن طوبال أنّ هذا الغياب قد سقط الجدوى من المؤتمر، ويؤكّد أن كريم وبن مهيدي كانا مع عبّان، وأن بن مهيدي بصفة خاصّة خيب بموالاته تلك ظن لخضر بن طوبال وخيب أمال المنطقة الثّانيّة..

وخلال هذا الاجتماع انتقد عبّان رمضان عمليات 20 اوت 1955 وكان رد وفد المنطقة الثّانيّة على حسب بن طوبال"لست مؤهلا لمحاسبتنا لأنك باختصار لم تكن قائدنا.

كما طالب عبّان رمضان من قادة المنطقة الثّانيّة قائلا "لا يمكن من الآن فصاعدا القيام بعمليات كبرى إلا بإذن من لجنة التّنسيق والتّنفيذ"، ويقول بن طوبال: "إنّنا رفضنا هذا الأمر من عبّان لأننا لا يمكن إنّ نلتقي حتى نقرّر ثمّ أنّنا أدرى بما نفعله في ولايتنا"

عارض بن طوبال وزيغود يوسف بشدّة مبدأ أوّلويّة الدّاخل على الخارج، وأوّلويّة السّياسي على العسكري وخاصّة المبدأ الثّاني معتبران أن القائد يجب أن يكون سياسيّا وعسكريّا في الوقت ذاته.

كما وقفا ضدّ تولّي المعتدلين أيّة مسؤوليّات قياديّة في الجبهة، لأنّ ذلك يضرّ بالثّورة وأمام هذا كلّه أصبح الثّنائي يلعب دور الأقليّة في المؤتمر لكن في نهايّة المطاف رضخت هذه الأقليّة لرأي الأغلبيّة

وهكذا خرجت قيادة المنطقة الثّانيّة متحفّظة، وممّا يذكره العقيد علي كافي في هذا الشّأن إنّ قيادة المنطقة سكتت عن أشياء كثيرة حفاظا على الثّورة ووحدة قيادتها، وعلى سبيل المثال كان ضمن القائمة المقترحة لتشكيل أوّل مجلس وطني للثّورة الجزائريّة شخصيّات من المحكوم عليها بالإعدام في المنطقة الثّانيّة.

وعموما فإنّ القائد لخضر بن طوبال ساهم في إنجاح مؤتمر الصّومام بما وفّره هو ورجاله من أجواء مناسبة فقد عيّن من بين الأعضاء الاضافيّين في المجلس الوطني للثورة الجزائريّة.

وبعد أربع سنوات من المؤتمر عاد بن طوبال لتقييم نتائج هذا المؤتمر حيث اعتبره نقلة نوعيّة ساهم في إرساء قواعد الدّولة الجزائريّة رغم نقائصه، وعلى الرّغم من ضعف التّمثيل على المستوى الوطني.

بعد استشهاد زيغود يوسف أشرف بن طوبال على قيادة الولايّة الثّانيّة من 23 سبتمبر 1956 إلى أفريل 1957 ولم تكن مهمته سهلة حيث شرع في إرساء قواعد مؤتمر الصّومام فقام بإنشاء المجالسّ الشّعبيّة ونظّم الهياكل السّياسيّة والعسكريّة بالولايّة

ويوضّح محمود الشّريف بقوله "وبعد نقاشات متنوعة تقرر توسيع لجنة التّنسيق والتّنفيذ لتشمل السّياسيين علاوة عن ممثلي الولايات، وإذا كان تعيين العسكريين لا يطرح أي إشكال فإنّ تعيين السّياسيّين على العكس من ذلك لا يتمّ إلّا بعد خلافات وصعوبات، وتمّثلت العقبة الأوّلى في إدماج فرحات عبّاس، وقد رفضه الحضور خاصّة بن طوبال الذي لم يتردّد بالتّذكير بالماضي السّياسي له

سطح نجم الباءات الثّلاث بعد مؤتمر القاهرة بعدما أصبحت اللجنة تتكوّن من 9 أعضاء وخمسة عسكرين حيث لعب كلّ من كريم بلقاسم، بوصوف، وبن طوبال دورا رئيسا في القرارات وهناك اتّخذ قرار على هامش دورة مجلس الثّورة، تمثّل في إنشاء قيادة عليا غير معلنة تكون لها الكلمة الأوّلى في تسيير شؤون الثّورة، والتي تكونت في بدايّة الأمر من خمسة عسكريين، إضافة لعبّان رمضان ثم بدأت هذه اللجنة تتقلص تدريجيا لتنحصر في الثّلاثي المعروف بالباءات الثّلاث والذين تقاسموا الأدوار بينهم، كريم بلقاسم القوّات المسلحة، عبد الحفيظ بوصوف الاستعلامات، ولخضر بن طوبال الشّؤون الدّاخليّة للجبهة .

فقد اعتبروا النّواة الأكثر تأثيرا في صناعة القرار نظرا لمناصبهم الحساسة وولاء بعض الولايات لهم فلخضر بن طوبال استمد نفوذه من الولايّة الثّانيّة له، كريم بلقاسم كان وزيرا للقوّات المسلحة بالإضافة إلى ولاء الولايّة الثّالثّة والرّابعة له وعبد الحفيظ بوصوف استمدّ نفوذه من تحكمه في أجهزة الاستعلامات في الدّاخل والخارج

رحل لخضر بن طوبال عن الحياة الدّنيا في 21 اوت 2010.

باديس فوغالي

المصادر:

- إبراهيم قلاتي https: / /www.asjp.cerist.dz /en /article/47003

boumansouraeducation.ahlamountada.com/ منتدى حمدة بومنصور ،ينبوع المعرفة.

■ لخضر رباح
(1335هـ - 1917م/1409هـ - 1989م)

ولد المناضل رباح لخضر بسور الغزلان في 26 فبراير 1917، وكان مشغوفا بالرّياضة، فأخذ يلعب الكرة ويبحث عن عمل، فنصحه بعض العارفين بالانضمام إلى فريق نقابة التّراموای بالعاصمة كأضمن طريق لتحقيق هدفه، وهكذا فعل.

وفي السّنة الموالية 1936 لاحظ بعض مناضلي القسمة الأولى لنجم شمال إفريقيا بالعاصمة من أنصار فريق نقابة التّراموای- أمثال المرحوم أحمد مزغنة وطرابلسي - لاحظوا اللاعب لخضر، فتوسموا فيه خيرا وعملوا على استدراجه لصفوفهم فأصبح من الشّباب "المحبين".

وفي سنة 1937 استوفى اللاعب لخضر 20 سنة، فتمّ توظيفه في النّقابة بصفة قابض، وشهدت السّنة ذاتها تأسيس حزب "الشّعب الجزائري"، فكان القابض الجديد من مؤسسي أول خليّة للحزب في تلك المؤسسة، وشغل فيها تماشيا مع عمله منصب أمين مال.

ويقول الرّياضي المناضل عن مهامه الأولى في الحركة: أن المناضل البسيط كان يقوم بكل المهام التي تطلب منه: الدّعوة للحزب، التّنظيم، جمع الاشتراكات، توزيع جريدة "الأمة" ثم جريدة "البرلمان الجزائري"...

وفي عهد الاحتلال كان القابض شخصيّة اجتماعيّة مرموقة، بالإضافة إلى أن سي لخضر ورث عن أبيه شقة من غرفتين ومطبخ بحي بلكور، فكان لذلك من المناضلين "الموسرين" الذين بإمكانهم أن يضعوا غرفة من الشّقة تحت تصرف النّواة القياديّة للحركة بالنّاحيّة، تجتمع فيها وتحيي ذكرى شهدائها الأوائل أمثال أرزقي كحال، ومحمّد دوار.

وكانت التّعليمة الأولى الخطيرة التي تلقاها المناضل الشّاب تتمثل في رفض نداء الخدمة العسكريّة إلا في حالة إلقاء القبض عليه وتجنيده بالقوة، فامتنع لذلك عن تلبيّة النّداء في وقته إلى أن قبض عليه سنة 1943.

وبعد أداء الخدمة العسكريّة، عاد المناضل إلى نشاطه، فتم ترشيحه سنة 1947 في الانتخابات البلديّة بالعاصمة، ففاز في الغرفة الثّانيّة، ثم تم ترشيحه ثانيّة سنة 1948 إلا أن الشّرطة الاستعماريّة كانت له بالمرصاد فألقي القبض على عدد من المترشحين ومن بينهم السّي لخضر.

ثم نقل سي لخضر مع كثير من رفقاه المناضلين إلى سجن سركاجي، وبقي فيه مدة حيث تم التّحقيق معه حول جمع الأسلحة والمعدات الحربيّة، فقد كان منزله مخبأ لأسلحة "المنظمة الخاصة"، ويشاء الله عز وجل أن يقابل وهو خارج من مكتب كاتب الضّبط مناضلا يدعى زبيري يشتغل كاتب ضبط بدوره، فأسر إليه دون أن تشعر الشّرطة بعبارة غامضة: "قل لهم اذهبوا حالا إلى منزلي لينقلوا ما يجدوا به"، وصلت هذه العبارة إلى من يدرك معناها جيدا، فسارع بنقل الأسلحة إلى فيلا المناضل مولود القازوز الواقع بشارع الشّهداء، ولما جاءت الشّرطة للتفتيش رجعت بخفي حنين.

خرج سي لخضر من السّجن مجردا من حقوقه المدنيّة، فوجد شريكه قد استحوذ على حصته في المقهى بعد أن قامت الشّرطة بإغلاقه.

وفي تلك الوضعيّة الصّعبة استأنف الرّياضي المناضل ذو النّفس الطّويل المسيرة النّضاليّة من جهة، والعمل في دكانه الخاص ببيع وتصليح الرّاديو من جهة ثانيّة، واستمر في النّضال بطريقة عاديّة لغايّة الأزمة الخطيرة التي زعزعت الحركة الوطنيّة في أواخر 1953.

كانت هذه الأزمة صدمة كبيرة للمناضل القديم، فقرر الانسحاب من السّاحة بعد أن قطع صلاته بجميع الأطراف: مصاليين ومركزيين ومحايدين.

ومع ذلك حافظ سي لخضر على علاقته بقيادة منطقة جرجرة: كريم أوعمران، وحنفي فرنان، وبفضل هذه العلاقة وجد سي لخضر نفسه ضمن "احتياطي 2 نوفمبر"، وهو عبارة عن مجموعات قليلة من المناضلين لا تعلم شيئا من أمر الفاتح نوفمبر، ولا تشارك في شيء، ولا تنطلق في العمل إلا بعد إشعال الشّرارة الأولى للثورة.

وكانت مهمة سي لخضر ابتداء من 2 نوفمبر تتمثل في استقبال وإيواء المجاهدين الذين فجروا الثّورة، مع الشّروع في البحث عن الأسلحة.

ثم اتصل به عبان رمضان (سي أحمد) وكلفه بمهمة أخرى الاتصال بكل جزائري سواء كان مناضلا أو غير مناضل يستطيع أن يساعد الجبهة والبلاد بشخصيته أو ماله أو فكره أو شجاعته.

وهكذا أصبح سي لخضر السّاعد الأيمن للمرحوم عبان رمضان في الاتصال بجميع الأوساط ومحاولة كسبها إلى صف الثّورة والجبهة.

ولقد اجتهد سي لخضر في توفير الأسلحة للمجاهدين، لدرجة أنه نجح في إقناع بعض الجنود الفرنسيين الذين كانوا يبيعونه شحنات صغيرة من الأسلحة من الميناء مباشرة لتنقل إلى منطقة جرجرة خاصة، واستطاع الأمن الفرنسي أن يكتشف العمليّة بعد أن ألقى القبض على الجنود المتورطين فيها، فطلب منهم أن يواصلوا العمليّة تحت رقابتهم إلى أن يتم بواسطتهم استدراج بعض المجاهدين المتصلين بهم.

وهكذا تمكن من التّعرف على شخصيّة سي فريد، وهو الاسم الحركي لسي لخضر بعد تعذيب أحد المقبوض عليهم عذابا شديدا، وقد علم عبان رمضان بذلك فعرض على سي لخضر بواسطة بن خدة تهريبه إلى الخارج فأبى مفضلا حياة السّريّة والتّنكر، وسط الأخطار المحدقة به من كل جانب.

بأعمال عدوانيّة غير مسؤولة ضد الإخوة المزابيين، وسارعت الدّعايّة الاستعماريّة إلى الصّاقها بالجبهة، فشرح له سي لخضر وبن خدة حقيقة الموقف مبعدين هذه التّهمة الخطيرة عن الجبهة، فرحّب الشّاعر عندئذ بالفكرة، وضرب لسي لخضر موعدا في صباح اليوم التّالي، فكان سي لخضر في الموعد ليتسلم ظرفا يتضمن نشيد "قسما"، ولما عرض النّشيد على عبان رمضان ومن معه استحسنوه واعتمدوه، فوطد هذا العلاقة بين سي لخضر والشّاعر مفدي زكريا حتى ألقي القبض عليهما معا من الشّرطة الاستعماريّة.

وبعد القاء القبض عليه خضع سي لخضر للتعذيب الشّديد من 11 إلى 27 أفريل نظرا لخطورته في تقدير الشّرطة الاستعماريّة، وبعد التّعذيب الشّديد بدأت رحلة السّجون الطّويلة التي لم تنته إلا بعد إطلاق النّار في 19 مارس 1962، ولقد عرف سي لخضر سركاجي والحراش ولامبيس والكديّة، كما ضاقت سجون الجزائر بما رحبت فنقل إلى سجن "بلوسلي ليلي"، وأخيرا "ماتز".

رابح دوب

المصادر:

محمّد عباس: رواد الوطنيّة، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

لوليوس أوربيكوس

كوينتوس لوليوس أوربيكوس بطل تاريخي أمازيغي عالمي دوّنت كتب التاريخ الإيطاليّة والفرنسيّة بطولاته في العهد الروماني بين سنتي 130و160 ميلادي، خاصّة وأنه كان أول جندي من أصل نوميدي يمنح شرف تقلّد زمام الحكم في العهد الروماني ويعيّن حاكما لبريطانيا ثم واليا لروما، ولد هذا البطل الأسطورة بمدينة تيديس الواقعة على بعد 30كلم شمال غرب قسنطينة نحو سنة 109 ميلادي في أسرة نوميديّة ميسورة وكان والده يدعى (لوليوس سينيسيو) أما والدته فعرفت باسم (غرانيا هونوراتا) حسب النقوش اللاتينيّة المسجلة على عدد من النصب المكتشفة بالمدينة الأثريّة المذكورة خاصة على مستوى الضريح الدائري الواقع على بعد أربعة كيلومترات شمال تيديس أين يرقد والديه وشقيقه وخاله، كان والده من أثرياء المنطقة وملاك الأراضي، الشيء الذي منحه فرصة الانضمام إلى الجيش الروماني، لكن فضلا على المكانة الاجتماعيّة ونفوذ عائلة لوليوس سواء من جهة الأب أو الأم المنحدرة من قبيلة غراني ذات المقام الهام بالإقليم السيرتي، كان طموح أوربيكوس كافيا للوصول إلى ما وصل إليه من مكانة عسكريّة وسياسيّة، وذلك بفضل قوة شخصيته وبسالته في المعارك، مما شجع مسؤوليه على تعيينه كقائد عسكري في الفيلق الـ 21 ثم للفيلق الـ 10 خلال عهد الإمبراطور هادريان.

أوكلت للوليوس أوربيكوس مهاما سياسيّة وعسكريّة صعبة أداها بكل براعة فاستحق الترقيّة بكل جدارة واستحقاق، وكان ثوابه حظ الحصول على مقعد بمجلس الشيوخ الروماني مفتاح تقلّده أسمى المناصب فيما بعد.

ورد ذكر اسم أوربيكوس الأمازيغي في كتب تاريخيّة قديمة وحديثة عنيت بالحقبة والحضارة الرومانيّة، منها المؤلف التاريخي الجماعي "prosopographia Imperii Romani" المخصص لوصف الشخصيات

الساميّة بالإمبراطوريّة الرومانيّة، فضلا عن مقالات المؤرخين من مختلف الجنسيات سيّما الإيطاليين، الفرنسيين والألمان نذكر على سبيل المثال لا الحصر المؤرخ الفرنسي "بول بيتي" والألماني "هانس جورج فلاوم" و"كولين ويلز" الذي حاول فهم سر سماح الإمبراطوريّة الرومانيّة لأشخاص منحدرين من أوساط متواضعة ومن مختلف الأصول والثقافات بتدرج هرم السلطة ومقاليد الحكم، خاصة وأن تاريخ الإمبراطوريّة الرومانيّة لم يسبق له تسجيل مثل هذه التنازلات وقبول ابن ثاني أو ثالث لمالك أراض بمدينة صغيرة بتحقيق مثل هذا المسار الذي مكنّه من شغل مناصب ساميّة بمقاطعات بأسيا وألمانيا وفلسطين وبريطانيا التي عيّن حاكما لها ما بين 139و 142ميلادي، وبمرسوم من الإمبراطور الروماني أنطونيوس الورع، وتفيد المصادر التاريخيّة، أن اسمه يظهر على خمسة نقوش اكتشفت ببريطانيا، تدوّن جميعها سيرته الكاملة في مسقط رأسه تيديس. كما كتب عنه الإعلامي الجزائري المقيم ببريطانيا جمال الدين طالب في كتابه الموسوم "الجزائري الذي حكم بريطانيا" الصادر عن دار الوطن اليوم.

كوينتوس لوليوس أوربيكوس عكس فرض الطبقة الأرستقراطيّة النوميديّة نفسها آنذاك ومشاركتها في الأمور الإداريّة والسياسيّة بسيرتا وهو ما تبيّن جليا من خلال الآثار التي لا تزال شاهدة على مكانة عائلة هذا البطل الأسطورة، الذي شيّد مقبرة دائريّة الشكل بشمال تيديس، خصيصا لوالديه، إخوته وخاله، وهذا الامتياز لم يكن ليمنح إلا للطبقة الحاكمة.

نجح المؤرخون في اكتشاف وتدوين سيرة لوليوس بفضل نقوش متشابهة عثر عليها على نصبين مختلفين، مجّدت إنجازاته والمهام التي أسندت إليه على الصعيد السياسي والعسكري، والتي منحته شرف التكريم من خلال تشييد تمثال له بدعامة منقوشة بعبارات فخريّة في قلب تيديس منافسا بذلك أفرادا من الطبقة الحاكمة، بحسب ما كتبه عنه المؤرخ البريطاني كولين ويلز.

المكانة التي نالها هذا البطل الأمازيغي لم تتحقق بسهولة بل تطلبت صبرا وطول نفس من قبل شاب طموح تدرّج المناصب خطوة خطوة بكل ثقة وارتقى عبر سلسلة من الرتب انتقل من مسؤول على صيانة الطرق إلى قائد عسكري مرّ عبر (التريبيون) ـ منبر عسكري ـ يعد كنقطة انطلاقة نحو مجلس الشيوخ بعد أن أسديت له عديد الأوسمة الشرفيّة جزاء له عن المهام الناجحة التي أداها في ألمانيا وفلسطين وأشهر العواصم المطلّة على نهر الدانوب كمندوب ومستشار ومقرض ثم واليا.

وتذكر المراجع المستندة إلى القراءات المترجمة للنقوش المكتشفة في كل من تيديس بالجزائر وبريطانيا بأنه تم تعيينه مندوبًا عن فيلق جيمينا العاشر الذي كان في بانونيا: هذا التعيين المباشر على رأس الفيلق رفع شأن لوليوس، الذي أثار اهتمام وثقة الإمبراطور (هادريان)، فأسند له مهمة أساسيّة في الحرب الرومانيّة اليهوديّة الثالثة بين سنتي 132 و135ميلادي، ليتم تتويجه بعد بطولاته ضد اليهودي (باركوخبة) بالتاج الذهبي والرمح الشرفي، وكانت تلك محطة حاسمة في حياته انتقل بعدها إلى مصاف الساسة، والحكام، بعد خبرة قصيرة كقنصل لروما، أختير حاكما لجرمانيا الصغرى ثم لبريطانيا التي حكمها لمدة ثلاث سنوات وترك أثرا كبيرا بين قبائل البريجانت، كما بقيت إنجازاته راسخة في ذاكرة قريّة كوربريدج وصمدت صمود النقوش المحفورة على حصنها وبشكل خاص على سور الامبراطور هادريان ثم على سور أنطونيوس بيوس بمنطقة بالمالدي البريطانيّة.

ختم لوليوس أربيكوس مساره المهني الحافل، بمنصب مشرّف يليق بمكانته وخبرته، حيث تم تعيينه واليا على روما بين سنتي 150 و160 ميلادي سنة وفاته ونقطة نهايّة لقصة بطل جزائري بقي مجهولا في مسقط رأسه ومشهور في أوروبا طيلة قرون.

مريم بحشاشي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

م

مالك بن نبي
(1322هـ - 1905/1393هـ - 1973م)

من أهمّ أعلام الفكر الإسلامي ولد عام 1905 بقسنطينة شرق الجزائر، ويعتبر من الرّواد في مجال صياغة النّظريات الفكريّة الفلسفيّة، وفي مجالات كثيرة منها الثّقافيّة والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ومختلف العلوم الانسانيّة والتّجريبيّة، بحكم دراسته وتحصيله العلمي والمعرفي، كان أبوه يشغل كاتبا لدى الأدارة المحليّة في تبسة، ووالدته تشتغل بالخياطة، وكان مالك وحيد والديه من الذّكور، فكان محلّ عنايّة منهما ومن شقيقتيه، عاش في محيط ديني بين قسنطينة وتبسة، والتّحق بالمدرسة القرآنيّة والمدرسة الرّسميّة الفرنسيّة، وحقّق مالك أمنيّة والديه بنجاحه للدّخول في مدرسة سيدي الجلي المخصّصة لطلاب العدول في الشّرع الإسلامي، وعيّن في سنة 1927 في محكمة أفلو بولايّة الأغواط كعدل شرعي، وبعد سنة عيّن في محكمة شلغوم العيد بقسنطينة، واستقال منها بعد وقت قصير، وسافر إلى فرنسا لإتمام دراسته، مشاركا بعدها في امتحان قبول الدّراسات الشّرقيّة لكنّه لم ينجح، لاعتبارات سياسيّة، وانضمّ بعدها إلى مدرسة اللاسلكي، وتخرّج منها مهندسا كهربائيّا عام 1935، حينها التّقى بزوجته الفرنسيّة التي سمّت نفسها خديجة، وخاض غمار البحث عن عمل بعد تخرّجه غير أنّه لم يفلح في ذلك، إلى أن تعاقد مع دار نشر باريسيّة للنشر مخصّصة لطباعة الكتب العلميّة المبسّطة وتوزيعها، غير أنّه سرعان ما ترك ذلك، وفي خضم الأحداث التي كانت تعيشها الجزائر إثر الاحتلال الفرنسي،



ونشاط مالك بن نبي المعادي للاستعمار، الذي نتج عنه إلقاء القبض عليه في عام 1944 في فرنسا، إثر انضمامه إلى حركة تحرير شمال إفريقيا، وبقي في السّجن إلى غايّة عام 1945، وعاد إلى الجزائر وفي غمرة الحوادث الدّاميّة التي وقعت في الجزائر والتي ذهب ضحيّتها خمسة وأربعون ألف شهيد من المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بحريّة الجزائر واستقلالها، وفي سنة 1946 بدأ مالك بن نبي يصدر مؤلّفاته في موضوعات فكريّة تخصّ النّهضة والإصلاح، ومن بواكر ما صدر له (الظاهرة القرآنيّة) و(شروط النّهضة)، وروايّة (لبيك)، وفي سنة 1956 هاجر إلى القاهرة وفيها نشر كتابه (فكرة الأفروآسياويّة في ظل مؤتمر باندونغ)، وكان له في القاهرة نشاط سياسي وعلمي مشهود، وخلال هذه الفترة زار السّعوديّة ولبنان والسّعوديّة وألقى في هذه الدّول محاضرات وعقد ندوات فكريّة عن الثّورة والاستعمّار والإصلاح ومشكلات الحضارة، وفي سنة 1963 عاد إلى الجزائر وعين مديرا عاما للتعليم العالي، واستقال من هذا المنصب في عام 1967 ليتفرغ للتأليف والنّشاط الفكري، إلى أن وافته المنيّة بتاريخ 31-10-1973 بالجزائر العاصمة تاركا مؤلّفات ذات محمول فكري وفلسفي في مسائل التّطور والتّقدم الحضاري وبناء المجتمعات على أسس العلم والعدل والعمل والمساواة، ويقول عبد العزيز الخالدّي في تقديمه كتاب «شروط النّهضة»: «مالك بن نبي في الواقع ليس كاتبا محترفا أو عاملا في مكتب منكب على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنّه رجل شعر في حياته الخاصّة بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقيّة والاجتماعيّة، وتلك هي المأساة التي شعر بها مالك بن نبي بكل ما فيها من شدة وبكل ما صادف في تجاربه الشّخصيّة النّادرة من قسوة، وهي التي تقدم المادة الأساسيّة لمؤلّفاته»، وقال فيه محمّد المبارك في تقديم كتاب «وجهة العالم الإسلامي»: «إن مالك بن نبي في مجموع آثاره لا مفكّرا كبيرا وصاحب نظريّة فلسفيّة فحسب بل داعيا مؤمنا، يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكّر، ومنطقه وحماسة الدّاعيّة المؤمن وقوة شعوره، وإن آثاره في الحقيقة تحوي تلك الدّفعة المحركة التي سيكون لها في بلاد العرب أوّلا، وفي بلاد الإسلام ثانيا، أثرها المنتج وقوتها الدّافعة.»

يعدّ مالك بن نبي من المفكّرين الجزائريين الذين تركوا رصيدا كبيرا من المؤلّفات في الشّأن الفلسفي بصورة عامّة، وفي موضوع

الحضاري بخاصّة، وقد تشكّلت بدايات فكره من قراءاته المتعددة والمتنوعة في كل ما يتصل بالثّقافتين العربيّة والغربيّة، فقد درس الفلسفة العربيّة الإسلاميّة في جميع المراحل التّاريخيّة شرقا وغربا وتمكن منها ودرس الفقه الإسلامي في مذاهبه، وتمثل القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، وتتبع تاريخ الحضارات الإنسانيّة، والحضارة العربيّة الإسلاميّة بالوقوف على أسباب قوتها وعوامل تراجعها، وتمكن من علوم العربيّة وآدابها، كما تمكن من اللغة الفرنسيّة وثقافتها وعلومها، وألم بالعلوم التّجريبيّة، وكان للفيلسوف الفرنسي ديكارت بالغ الأثر في تكوينه الفلسفي، وفي نزوعه إلى العقل، بالإضافة إلى ما ميّز بعض كتاباته من أبعاد فلسفيّة دينيّة.

كما إنّه من رواد الفكر النّقدي التّحليلي في العالم العربي والإسلامي، ومن الفلاسفة العرب المعاصرين الذين كان لهم الأثر المميز في صياغة النّظريات الفكريّة الفلسفيّة، في مجالات الثّقافة والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وعلوم الدّين.

وهو من دعاة النّهضة العربيّة الإسلاميّة ومنظريها، من أشهر مؤلّفاته (الظاهرة القرآنيّة)، حيث جمع في كتاباته الدّقة والأسلوب العلمي، ارتكزت فلسفة مالك بن نبي على أسلمة الحداثة وليس تحديث الإسلام، فوصف المدينة الحديثة بتعبير (الخواء الرّوحي للمدينة الغربيّة)، ورأى أنّ الدّين جزء لا يتجزّأ من مشروع الإنسان، حيث كان يستعمل دوما عبارة (التّجديد بالإسلام، لا تجديد الإسلام)، كتابه (شروط النّهضة) من أهمّ ما ألّفه مالك بن نبي عن مفهوم الحضارة والتي عرفها ب «الإنسان+ التّراب+ الوقت» بالإضافة إلى الفطرة الدّينيّة التي تشكّل الشّبكة التي تربط هذه العناصر، وكتاب (الآفرو آسيويّة) الذي انتقد فيه مسار تعطيل الثّقافة الإسلاميّة بكل عناصرها، موضحا أن الأفكار الجيدة إذا عطلت تموت، كما آمن بالجدوى الاقتصاديّة لحياة المسلم فكتب (المسلم في علم الاقتصاد)، وكتب أيضا (سوسيولوجيّة الثّورة)تعبيرا عن مسؤوليّة المجتمع في التّغيير، طبعت العديد من الكتب عن حياته وفكره من قبل المهتمين بالنّهضة والإصلاح من أهمها: «في صحبة مالك بن نبي» و«مقاربات حول فكر مالك بن نبي» اللذان كتبهما عمر كامل مسقاوي، تلميذه الذي ترجم بعض أعماله إلى العربيّة.

وقد تميزت لغة مالك بن نبي في مؤلّفاته ومحاضراته بسلامة أدائها وبساطة تشكيلها وبلوغ مرامها إلى الأذهان، وقرب بلاغها، وعلميّة تناوّلها، وتكامل أركانّها وتنوع موضوعاتها مع ما يميزها من مرجعيّة دينيّة قائمة على أسس علميّة.

تميّز أسلوبه بعمق الفكر، وجدليّة الطّرح، ووضوح الرّؤيّة، وصرامة المنهج، ووعي حركيّة الأحداث السّياسيّة والاجتماعيّة، وإدراك خلفيّات المراحل الكولونياليّة الغربيّة، وناهض احتلال الأقطار العربيّة والهيمنة على مقدراتها، والعمل على محو مكوّنات هويّتها، وتكريس تخلّفها، وتشويه خصائصها الحضاريّة، والقضاء على مقومات نهضتها.

ويظهر أسلوبه العلمي بشكل جليّ في عنصر «العمل»، وهو يستعمل مصطلحًا خاصًا في هذا الصّدد ألا وهو «المنطق العملي»، أي إنّه يضع الإنسان بين الرّوح والمادة، وهي قضيّة فكريّة فلسفيّة قائمة باستمرّار، ففي هذا الخصوص يرى أن العمل أرقى صور الحضور البشري في هذا العالم، والفرد العامل هو الفرد الفاعل بشكل إيجابي في محيطه، لذا فإن طول عمره، ودوام نشاطه، عوامل تساعد المجتمع على الارتقاء إلى النّهضة «المسؤولة» أمام حركة التّاريخ وآثار الزّمن.

نورالدّين السّد

المصادر:

- نقد مالك بن نبي للفكر السّياسي الغربي الحديث، يوسف حسين.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، عادل نويهض.
- مقاربات حول فكر مالك بن نبي، عمر كامل مسقاوي.

مالك بوذيبة
(1387هـ - 1968م/1433هـ - 2012م)

ولد الشّاعر مالك بوذيبة في 18 جويلية 1968 ببلدية (بين الويدان) حاليا والتي كان جزء منها تابعا لبلدية أم الطّوب، ولاية سكيكدة. وهي منطقة شبه رطبة تتميز بغدرانها وأنهارها وأشجارها الكثيفة والمخضرة طوال السّنة. وقد كان لهذه الطّبيعة السّاحرة كبير الأثر في تكوين شخصية الشّاعر مالك، حيث ملأ عينيه بتلك المناظر الخلابة، وقد كان بيته الرّيفي بجوار الوادي محفوفا بأشجار الصفصاف والزّيتون والنّشم، والعلايق (التوت البري)، والعنب البري...إلخ، كما كانت تلك الطّبيعة الخلابة مليئة بكل أصناف العصافير والحيوانات البرية، وهو ما يجعلها المدرسة الأولى للشاعر، فيها ترعرع، ومن خلال مظاهرها أبدع، وإليها كان يرفع بكائياته، وهو من الشّعراء القلائل في الجزائر الذّين كانوا يتمتعون بحس فني رفيع المستوى، فهو من الشّعراء الذّين يمكن القول فيهم: «أدركته موهبة الأدب، فشغلتهم عن الذّات ومتطلباتها».

وهو كذلك من قلائل الأدباء الذّين انسجم جمال شعرهم مع السّحر الخلاب لبيئتهم الطّبيعية، فجمال مناطق سكيكدة وجيجل من القطر الجزائري لا يمكن إلا أن ينجب أدباء وشعراء بارزين من أمثال: مالك بوذيبة، ويوسف وغليسي، وفيصل الأحمر، وجميلة زنير، وإدريس بوذيبة، ومحفوظ بوشناق، ونوار بوحلاسة، وأحسن تليلاني، ومصطفى نطور، والقائمة مازالت طويلة، وبالنّسبة لنشأته فقد بدأ مالك بوذيبة تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ببين الويدان، ثم انتقل إلى مدينة تمالوس لاستكمال مرحلتي المتوسطة والثّانوية وفي هذه المرحلة بدأت شخصيته

الأدبية والفنية تبرز بشكل لافت، حيث كان مهوسا بالمطالعة، وتذوق الشّعر وحفظه، وكانت أولى محاولاته في كتابة الشّعر خلال هذه الفترة، ابتداء من سنة 1987، وذلك في الصحافة الوطنية والملاحق الأدبية، كجريدة أضواء، ومجلة الوحدة، وجريدة البيان الكويتية، وجريدة الجمهورية والنّصر، والمساء .... إلخ . ونظرا لهوسه بالكتابة الشّعرية التي استحوذت كل اهتماماته، ولظروف الفقر الذّي كان يعيشه منذ طفولته، والذّي أثر أيما تأثير على شخصيته، وانعكس بشكل جلي في كتاباته الشّعرية، فقد أهمل جانبا من جوانب دراسته، حيث فشل في تحصيل شهادة البكالوريا، وهو ما جعله يلتحق بجامعة التكوين المتواصل بعنابة ليتحصل على شهادة الدراسات العليا التطبيقية (D.E.U.A)، تخصص قانون الاعمال .

اشتغل بالتعليم فترة قصيرة، ثم عونا إداريا بالديوان البلدي للثقافة والسّياحة لولاية سكيكدة، ثم مدققا لغويا بإذاعة سكيكدة، وكان للفترة التي قضاها بعنابة الأثر الكبير في بروز شعريته، وتميزه كشاعر كبير، هناك أسس مع أصدقائه نادي الإبداع الأدبي، وكان محطة مهمة للشباب المبدع، وهناك تألق وتميز بحضوره اللافت في الملتقيات الوطنية، وتحصيله للجوائز الوطنية والدولية في الشّعر، فقد حصد عشرات الجوائز، ومنها:

تلك التي نظمتها وزارة المجاهدين، ووزارة الثّقافة، والهيئات الثّقافية الوطنية:

جائزة وزارة الثّقافة الوطنية 1993 و1997، وجائزة محمّد بوشحيط الوطنية سنة 2000، وجائزة وزارة المجاهدين 2001، 2003، وجائزة عبد الحميد بن باديس الوطنية 2003، الجائزة الثّانية في مسابقة (مفدي زكريا الشّعرية المغاربية) سنة 2006، وهي الجائزة المغاربية التي تنظمها الجمعية الوطنية الثّقافية الجزائرية – الجاحظية) التي يشرف عليها الأديب الرّوائي الطّاهر وطار.

ومما يدل على قدره الرّفيع في سماء الأدب والشّعر ورود اسمه ضمن الموسوعات الشّعرية مثل: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، وموسوعة الشّعر الجزائري التي أصدرتها جامعة قسنطينة. ومعجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين لعبد الملك مرتاض، وموسوعة العلماء والأدباء الجزائريين لرابح خدوسي.

ومن إبداعات الشّاعر ما نشره في جرائد: النّصر، وأضواء وغيرها من المنشورات الوطنية الجزائرية، وله ديوان شعر منشور منذ سنة 2003، بعنوان: (عطر البدايات...) وهو من منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين بمناسبة سنة الجزائر بفرنسا سنة 2003.

ومن دواوينه الشّعرية أيضا:

– قمر لأزمنة الرّماد (شعر)، منشورات آرتيستيك، الجزائر 2009.

– ما الذّي تستطيع الفراشة (شعر)، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين. الجزائر 2009.

وله مخطوطات لم تنشر، ومنها:

– كتاب الحب (شعر) –مخطوط–.

– دراسات وآراء نقدية بعضها منشور في الصحف الوطنية.

اشتغل على نصوصه الشّعرية عديد الباحثين داخل الجزائر وخارجها، ويمثل شعره ظاهرة لافتة في الشّعرية العربية المعاصرة نتيجة لهوسه بموضوعات الموت. وكان هذا الهوس محصلا منطقيا لتجربتين قاسيتين؛ الأولى مرتبطة بموت أفراد عائلته الواحد تلو الآخر نتيجة لمرض فقر الدم الذّي عانى منه هو كذلك، أما الثّانية فكانت محصلة لاتجاهه الثّوري الذّي لا يهادن، فهو الشّاعر النّاقم على الأوضاع الاجتماعية التي عاشها ويعيشها كثير من بني قومه من فقر لاذع، وحرمان، ولا مبالاة من قبل الجميع. لذلك ترسخت في ذهنه كل مقولات الثّوريين عبر التاريخ، وأصبح ناقما على كل ما يحيط به، وصاحب مزاج متقلب نتيجة لشدة حساسيته إلى غاية وفاته في الثّاني من أفريل 2012، عن عمر ناهز 44 سنة، وبعد معاناة مع المرض دامت سنوات. تاركا وراءه طفلا يحمل الآن ملامحه الشّعرية.

نماذج من أدبه:

صفي لي الذّي ليس لي

صفي لي دمي
صفي لي فمي
وصفي لي الزّمان الذّي باعني
ورمى موعدي لغيوم الشّتا
صفيني أنا ...
فأنا راحل .. راحل
والوصول إلى زمن لا يبيع دمي
لست أدري : متى ؟

كان لي زمن
ليس لي أن أفسر كيف مضى
وانقضى زمني
وأنا لا أزال أسائل :
كيف انقضى ؟

نشيد السّوسن

فتى كالحليب المسكر أنت
تحط الفراشات فوق جبينك أنت ،
وتغفو القصائد فوق يديك
فتى أنت .. أنت وأنت ..
... ...
وحدث أيا سوسن القلب عني
وعن حسناتي من مطلع النّرجسية
حتى أفول النّشيد!!

رابح دوب

المصادر:

- موسوعة الشّعر الجزائري: الرّبعي بن سلامة وآخرون، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ج1، 2009.
- ترجمة خاصة من صديقه الدكتور محمّد كعوان.

مالك حداد
(1345هـ - 1927م/1498هـ - 1978م)

ما ورد ذكر لاسم مالك حدّاد إلا وكان مقرونا باللغة الشّاعريّة الرّائقة المهفهفة، سواء أتعلق الأمر بالشّعر نفسه، أم بالكتابة النّثريّة البليغة. وما جاء ذكر لاسم هذا الأديب الجزائري الكبير إلا وكان مشفوعا بالموقف السّياسي الذي يندر مثيله في تاريخ الأدب كله. وبالفعل، فقد اتخذ موقفا رائدا حيال اللغة العربيّة بالرّغم من إنّه ما كان على أدنى درايّة بهذه اللغة. لقد كان يكتب باللغة الفرنسيّة، لكن وجدانّه ظل جزائريا أصيلا، ـ بالغ الأصالة. ولذلك وجد نفسه منفيا في هذه اللغة الدّخيلة على حد ما ردده مرارا وتكرارا، وفي مختلف اللقاءات الأدبيّة والمناسبات السّياسيّة.

مالك حدّاد هذا من مواليد قسنطينة يوم 5 جويليّة من عام 1927، وقد تلقى العلم بها في المدارس الفرنسيّة إلى جانب زملائه من الجزائريين، وتفوق أيما تفوق في امتلاك ناصيّة اللغة الفرنسيّة حتى صار ينظم بها الشّعر الرّائق الذي يمكن مقارنته بما أنجزه أباطرة الشّعراء الفرنسيين أنفسهم.

غير أن عشقه لمدينة قسنطينة التي نشأ في تعاريجها وترعرع وشب على حوافي (نهر الرّمال) الذي يقطعها على مدار المواسم، وكذا تمسكه بأصالتّه الجزائريّة هما وراء جميع ما أبدعه من شعر وروايّة. لقد ظل يرصد حركة هذه المدينة العريقة بعين شاعريّة، ويتابع ما يصطخب فيها بين ساكنيها، فلاحظ التّناقض الصّارخ بين الجزائري المضطهد والأوربي الذي يتحرك في جنباتها، وأدرك عمق الهوة ما بين بني وطنه والدّخلاء الغرباء الذين لم يتردّدوا لحظة واحدة في اللجوء إلى استخدام القوة كلّما أحسوا، بالفعل، إنّهم في أرض ليست لهم، ولن تكون لهم أبد الدّهر. وهل ينطلق الشّعر الحقيقي إلا من أرضيّة التّفاعل مع المحيط الذي يعيش فيه الشّاعر؟

في عام 1956، نشر باكورته الشّعريّة الموسومة ب (الشّقاء في خطر)، وهو عنوان يدل على حجم ما اعتمل في نفسه، أيامئذ، من مرارة حيال معاناة الانسان الجزائري. كما إنّه عنوان يدل، في الوقت ذاته على الأمل المشرق في سبيل غد أفضل. وهل تمثل الشّقاء، حينذاك، إلا في الاستعمّار والمقاتل التي تسببت فيها، والأمراض والأوبئة التي نشرها، وسياسة التّجهيل والتّفقير والانسلاخ عن كل ما هو جزائري؟ لكأننا بمالك حدّاد يقول بلغة الشّعر: لقد يئس الاستعمّار من أن يجد موئلا له في الجزائر!



وفي تلك الأيام، ونار الثّورة مشبوبة في كل مكان من أرض الجزائر، ردد مالك حدّاد قائلا: "إن اللغة الفرنسيّة تفصلني عن وطني أكثر مما يفعله البحر الأبيض المتوسّط!». ومع ذلك، توجه إلى فرنسا، وانتمى إلى كليّة الحقوق بجامعة "إكس أون بروفانس/ Ex–en– provence"، لكنّه ما عتم أن انفصل عنها، وذهب ليعمل في الفلاحة مع صديقه الأديب الجزائري، كاتب ياسين، بمنطقة (لاكامارج). وشرع في كتابة رواياته التي كان لها صدى عميق في وجدان قارئيه من جزائريين وفرنسيين على حد سواء. هي روايات سبر فيها عمق الإنسان الجزائري وتاريخه ونضاله من أجل التّحرر واستعادة شخصيته، والوقوف النّد للند مع شعوب الدّنيا كلها. وقد فصل من عمله بسبب ما تضمنته أشعاره ورواياته، ومع ذلك ظل يشارك بقلمه في العديد من المجلات الفكريّة والأدبيّة ذات الصّيت الكبير من مثل (بروجري) و(كونفليانس) و(الآداب الفرنسيّة) وغيرها.

وبعد أن افتكّت الجزائر استقلالها، عاد ذلك المحارب بقلمه وبفكره إلى مسقط رأسه، أي، مدينة قسنطينة، ليزاوّل العمل الصّحفي بها في صحيفة (النّصر)، واضطلع بمسؤوليّة الملحق الثّقافي فيها. ونشر في هذه الجريدة مقالاته الشّاعريّة التي يتحدث فيها عن عشقه لمدينته ضمن سلسلة من المقالات الأدبيّة الرّشيقة. ورعى الجيل الجديد من الأدباء الجزائريين الذين كانوا يمارسون نشاطهم في تلك الصّحيفة وفي غيرها من المنشورات الأدبيّة الأخرى،

وفي عام 1968، أسندت إليه إدارة الثّقافة بوزارة الإعلام بالجزائر– العاصمة، فكان خير ممثل لكل ما هو ثقافي في الجزائر. وكان وراء تنظيم المهرجان الثّقافي الإفريقي الأوّل الذي جرت وقائعه صائفة عام 1969، والذي نجح نجاحا خارقا لاسيما وإنّه تزامن مع هبوط أوّل إنسان على سطح القمر.

وفي نفس الفترة، أطلق مالك حدّاد مجلّة (آمال) التي صدرت عن وزارة الإعلام والثّقافة، وهي المجلّة التي برز ت على صفحاتها أسماء عديدة من أبناء الجيل الجديد في مضمار التّعبير الأدبي. ونظم أيضا مسابقة أحسن قصة باللغتين العربيّة والفرنسيّة، وهي المسابقة التي حملت اسم الأديب الشّهيد «أحمد رضا حوحو» .

ثم ترأس مالك حدّاد اتّحاد الكتاب الجزائريين لبضع سنوات، وكان إلى جانبه عدد كبير من أدباء الجزائر المشهورين. وفي عام 1975، كان من منظمي المؤتمر الرّابع عشر للأدباء العرب الذين وفدوا من جميع الأقطار العربيّة.

لكن القدر لم يمهله، إذ إنّه انتقل إلى رحمة الله يوم 2 جوان 1978، وهو في قمة العطاء الأدبي. وقد نشر مالك حدّاد الرّوايات التّاليّة:

– التّلميذ والدّرس.
– الانطباع الأخير.
– رصيف الأزهار لم يعد يجيب، وهي من ترجمة الدّكتور حنفي بن عيسى.
– سأهديك غزالة.

بالإضافة إلى ديوانه الشّعري الأخير الموسوم ب (اسمع، وأناديك). وختم حياته الأدبيّة ببحث قيم استعاد فيه الواقع الثّقافي في الجزائر وصراع الشّعب الجزائري من أجل الحفاظ على هويته بمختلف أبعادها التّاريخيّة والدّينيّة واللغويّة، وهو البحث الذي يحمل عنوانا في قمة الشّاعريّة، أي(الأصفار تدور ضمن حلقة مفرغة).

وهناك العديد من المقالات القيمة التي نشرها مالك حدّاد في مختلف المطبوعات والمجلات الوطنيّة والأجنبيّة، وهي تنتظر من يقوم بجمعها وإصدارها.

لم تدم الحياة الأدبيّة لمالك حدّاد أكثر من ست سنوات، أي، من 1956 إلى 1962، وأحجم بعدها عن الكتابة باللغة الفرنسيّة إيمانا منه بأن الإنسان الجزائري في حاجة ماسة إلى أن يستكمل حريته ضمن الحدود اللغويّة والتّاريخيّة التي نشأ عليها. لقد آمن إيمانا جازما بأن اللغة الفرنسيّة التي اعتبرها بعض الأدباء مجرد (غنيمة حرب) ينبغي أن تفسح المكان للغة العربيّة في الجزائر.

ولعلّ أجمل موقف اتّخذه مالك حدّاد في هذا الشّأن يعود إلى عام 1961، أي، حينما كان موفدا من قبل حكومة الجمهوريّة الجزائريّة المؤقتة إلى الشّرق الأوسط، وإلى دمشق بالذات. فخلال حفل تكريمي أقيم له خلال تلك الرّحلة، فاضت عيناه بالدّموع عندما انتظر منه أهل الأدب أن يقول كلمة باسم الجزائر. لقد ردد حينها جملته المشهورة: "لو كنت أحسن الغناء لغنيت باللغة العربيّة!". وصارت هذه القولة منذ ذلك الحين مثلا يتردد بين كل الذين يعشقون اللغة العربيّة، ويرون إنّه ينبغي أن تكون لها الصّدارة في الجزائر المستقلة.

وما زال أهل الأدب والصّحافة في الجزائر يتذكرون ذلك الرّد البياني المشرق على أحد صحفيي التّلفزيون الفرنسي الذين رافقوا الرّئيس (جيسكار ديستانغ/ Giscard d'ESTANG في زيارته الرّسميّة للجزائر عام 1975. فعن سؤال يدور حول مشاعر مالك حدّاد وهو يسمع نشيد (لامارسييز/ La Marseilliese) يتردد من جديد في الجزائر بمناسبة تلك الزّيارة، ابتسم وأجاب: "دعني أنصت إليه، فأنا كنت في الزّمن الماضي أسمعه وهو يتردد عن بعد!"

وقد وضعت العديد من الدّراسات النّقديّة عن مالك حدّاد، ونوقشت شهادات التّخرج لنيل الليسانس، والماجستير ودكتوراه الدّولة في كل من الجامعات الجزائريّة والتّونسيّة والفرنسيّة والمشرقيّة العربيّة. وكان من أهمها أطروحة الباحث التّونسي الطّاهر بكري من أجل نيل دكتوراه الدّولة. ونشرت الكثير من قصائده في المنتخبات الشّعريّة التي ضمت شعراء الجزائر باللغة الفرنسيّة.

مرزاق بقطاش

مالك شبل
(1372هـ - 1953م/1437هـ - 2016م)

فيلسوف ومفكّر جزائري ولد مالك شبل في 23 أفريل سنة 1953 بمدينة سكيكدة. توفّي في 12 نوفمبر سنة 2016 بباريس، فقد والده في السّنة الثّانيّة من عمره، وقامت امه بتربيته.

زاول دراساته الابتدائيّة والمتوسّطة والثّانويّة بمدينة سكيكدة. تحصل على البكالوريا في الأدب العربي سنة 1973.

التّحق بجامعة قسنطينة سنة 1973. قدم مذكرة ليسانس في علم النّفس الاكلينيكي.

– سنة 1977 تحصل على منحة لمواصلة دراساته العليا في فرنسا.

– سنة 1980 تحصل على شهادة الدّكتوراه في في علم النّفس الاكلينيكي بجامعة السّوربون 07.



– سنة 1982تحصل على دكتوراه ثانيّة في علم الاجناس، الاثنولوجيا، في (جيسيو– Jussieu).

– سنة 1984 تحصل على دكتوراه ثالثّة في العلوم السّياسيّة في معهد الدّراسات السّياسيّة بباريس.

درس في العديد من الجامعات العالميّة، وقدم محاضرات في مختلف الجامعات الاوربيّة والعربيّة والأمريكيّة، وعرف بحواراته النّشطة في مختلف وسائل الاعلام بمختلف القارات.

استغل وسائل الإعلام لتبسيط تعاليم الدّين الإسلامي والوصول إلى أكبر عدد ممكن من النّاس في مختلف الأوطان.

وإبتـداء مـن سـنة 2006 شـارك فـي العديـد مـن الحـوارات بيـن الأديـان عبـر العديـد مـن القنـوات الاذاعيّـة والتّلفزيونيّـة.

وكان عضـوا فـي مجلـس حكمـاء الاتحـاد الأوربـي.

ركّـز فـي كل اعمالـه علـى تسـويق صـورة جديـدة وإيجابيّـة عـن الإسـلام والمسـلمين، وكانـت ربولوجي عمـد الـى الحفـر وإعـادة دراسـة الدّيـن الإسـلامي ودعـا الـى اسـترجاع الوجـه المشـرق للإسـلام ورفـع الحواجـز أمـام هـذا الدّيـن ليكـون ديـن كل العصـور.

مؤلّفاته

- 1984: Le corps en Islam، Éd.PUF / الجسد في الإسلام
- 1986: La formation de l'identité politique، Éd. PUF، Éd. 2e éd. 1997. Payot / تكوين الهويّة السّياسيّة
- 1986: Le livre des séductions suivi de Dix Aphorismes sur l'amour، Lieu commun، Éd. Payot،/ 2e éd. 1997/ كتـاب الاغراءات
- 1988: L'Esprit de Sérail mythes et pratiques sexuelles au Maghreb، Lieu commun، Éd. Payot،/ 2e éd. 1997/ عقليّـة الحريم
- 1992: Histoire de la circoncision des origines *à nos jours*، Éd Ballon، 2e éd. 1997، Éd. Perrin 3e éd. 2006. تاريـخ الختان/
- 1993: *L'imaginaire arabo–musulman*، Éd. PUF، 2e éd. coll. Qadrige 2002/. المتخيل العربي الإسلامي
- 1995: *Dictionnaire des symboles musulmans*، Éd. Albin Michel 2e éd. 2001/. معجم الرّموز الاسلاميّة
- 1995: *Encyclopédie de l'amour en Islam*. *Érotisme، beauté et sexualité dans le monde arabe، en Perse et en Turquie*، Éd. Payot 2e éd. 2003/ . موسـوعة الحـب في الاسلام
- 1996: *Psychanalyse des Mille et Une Nuit*. التّحليل النّفسـي لألف ليلة وليلة /Éd. Payot 2e éd. 2002.
- 1997: *Les symboles de l'Islam*، album، Éd. Assouline 2e éd. 1999/ / معالم الاسلام
- 1998: Préface de *Coran*، Traduit par Edouard montet، Éd.Payot–Poche، 2e éd. 2001./ مقدمة لترجمة القرآن
- 2000: *Du Désir*، Éd. Payot 2e éd. 2002./ اللذة
- 2001: *Les cent noms de l'amour*، avec Lassaad Metoui، Ed. Alternatives، 2e éd. 2003/ مائة اسم للحب.
- 2002: *Le Sujet en Islam*، Ed.seuil/ الموضوع في الاسلام
- 2003: *Islam et Libre arbitre، la tentation de l'insolence*، avec Marie de Solemne ، / Éd. Dervy الإسلام والحكم الحر
- 2004: *Dictionnaire amoureux de l'islam*، Éd. Plon، coll. "Dictonnaire des amoureux »./ المعجم الحب في الاسلام
- 2004: *Manifeste pour un islam des lumières*. 27 *propositions pour réformer l'islam*، Éd. Hachette Littératures./ بيـان من اجل اسلام الأنوار
- 2004: *Anthologie du vin et de l'ivresse* 2e éd. Pauvert، 2008 *Ed.Seuil*/ . مختارات من النّبيذ والنّشوة
- 2005: Préface de *L'islam، passion française. Une anthologie*، Bartilat / / مقدّمة كتاب: الاسلام شغف فرنسي
- 2005: *L'islam et la raison، le combat des idées*، Perrin، 2e coll. Tempus، 2006/. الإسلام والعقل، نضال الأفكار
- 2006: *Le Coran raconté aux enfants*، illustré par Mimi des Bois Petit Phare. / كيف يحكى القرآن للأطفال
- 2007: *L'Islam expliqué par Malek Chebel*، Perrin coll. Tempus، 2e éd. 2009، 3e éd. 2013. الإسـلام كمـا فسـره مالك شبل
- 2007: *Treize contes du Coran et de l'Islam*، Fayard./ ثلاثة عشرة حكايّة من القرآن والاسلام
- 2007: *L'esclavage en terre d'islam*41، Fayard./ العبوديّة في أرض الأسلام
- 2007: Ouvrage collectif *Prières d'Islam*. *Ce que les hommes disent* à *Dieu*، Ed.Seuil، p. 209–272./ صلوات الإسلام، مؤلّف جماعي
- 2008: *Le Coran pour les Nuls*، avec Sohaib Sultan، Éd. Broché./ مـع صهيـب سلطان، القرآن للأغبياء
- 2008: *L'Islam pour les Nuls*، avec Malcolm Clark، Éd. Broché.
- 2009: *Sagesses d'Islam*، Éd. First./ حكمة الاسلام
- 2009: *Coran* (nouvelle traduction)، Fayard./ القرآن – ترجمة جديدة–
- 2009: *Dictionnaire encyclopédique du Coran*، Fayard./ المعجـم الموسـوعي للقرآن
- 2011: *Les grandes figures de l'Islam*، Librairie Académique Perrin./ الشّخصيّات الكبيرة في الاسلام
- 2011: *Les Enfants d'Abraham. Un chrétien، un juif et un musulman dialoguent*، avec Alain de La Moraindé، Haim Korsia، Presses de la Renaissance./ ابناء إبراهيم
- 2012: *Dictionnaire amoureux de l'Algérie*، Plon، coll. "Dictionnaire amoureux »./ معجم الحبّ للجزائر
- 2013: *Changer l'islam: Dictionnaire des réformateurs musulmans des origines à nos jours*، Albin Michel./ تغييـر الاسـلام، معجم المصلحين المسلمين
- 2014: *L'érotisme arabe*، Robert Laffont، coll. "Bouquins».
- 2015: *L'inconscient de l'islam: Réflexions sur l'interdit، la faute et la transgression*، CNRS / لاوعي الاسلام
- 2015: *L'islam en 100 questions*، Tallandier./ الاسلام في مائة سؤال
- 2015: *Mohammed، prophète de l'islam*، Robert Laffont./ محمّد رسول الاسلام
- 2017: *J'avais tant de choses à dire*

encore. Entretiens avec Fawzia Zwari Desclée De Brouwer./ أشياء كثيرة أريد قولها – 2017: Les 100 mots du Coran، Puf، coll. "Que sais–je" ? "/ مائة كلمة من القرآن

رشيد رايس

المصادر:

- Wikipédia
- مجلة نور - Noor

مامة بنت سليمان ابن إبراهيم، بَابَّاز (1280هـ - 1863م/ 1349هـ - 1931م)

زعيمة وعالمة من عشيرة أولاد يونس بغردايّة. أخذت مبادئ الفقه واللغة عند الحاج بحماني المليكي، وعند بوهون أوموسى، وحفظت نصف القرآن الكريم حفظا جيِّداً، ثمَّ أكملت دراستها على يد زوجها الأوَّل يعقوب عرنوث، وكانت تعتمد على مؤلَّفات القطب امحمَّد ابن يوسف أطفيش في الإفتاء، تولَّت رئاسة عزابيات غردايّة بعد مامة بنت بلحاج سنة 1905م، وترأَّست مؤتمراً كبيراً من مؤتمرات (لا إله إلاَّ الله). وهو مؤتمر دعويٌّ لنساء بميزاب يعقد سنويًّا، قادت مواجهة اقتصاديّة ضدَّ المستعمر الفرنسي في المنطقة، فحرَّمت على النساء اقتناء بضائعه، وحرَّمت حتَّى الحديث بلغته، وكانت قراراتها تلك تأخذ صفة القانون، وتطبَّق في جميع قرى وادي ميزاب، خاصَّة القرارات التي تصدرها في المؤتمر، ومن نشاطاتها العلميّة تنظيمها لدروس أسبوعيّة، وأحياناً تنظِّم درسا إلى ثلاثة في الأسبوع، تفسِّر فيها أحكام الدين ومعاني القرآن الكريم باللغة الميزابيّة للنساء، ولها مراسلات عديدة مع الشّيوخ العلماء.

ويقول عنها الشّيخ أبو اليقظان في كتابه (فذات الإباضيات): "قمر تدور حول فلكه نجوم ثواقب في سماء غردايّة، مصدر العلم والنور والمعرفة... قلعة الأمر والنهي، رهيبة ترتعد منها فرائس العصاة والفسَّاق».

وقد اعتبرها صاحب كتاب (ثورات النساء في الإسلام) واحدة من اثنتي عشرة امرأة اشتهرن بمواقف بطوليّة في العالم.

وقال عنها الشّيخ القرادي: ...أكثر القضايا التي يتحدثن فيها هي الأمور المستحدثة لاسيما بعد الاحتلال الفرنسي، فقد أصدرت تحت قيادة (مَامَة نَ سْلِيمَان) رئيسة نساء غردايّة أيام الاحتلال في 1882 قائمة من الأوامر الصارمة لمقاطعة كل ما هو فرنسي من لباس وعطور وأحذيّة إلى آخر القائمة، وقد ذُكرت هذه المرأة باسمها وبقائمة الأوامر التي أصدرها ملتقى (لا إله إلا الله) في كتاب (ثورات النساء في الإسلام) للكاتب الإيطالي أومتليو جوريو.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- أبو اليقظان: فذَّات الإباضيات (مخ) 23
- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ)
- فخار حمو: رسالة فيها تراجم مشاهير النساء بغردايّة (مخ) 2
- جوردون بيرون: ثورات النساء في الإسلام
- علي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، ح4/ 584
- الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، 177
- أعوشت وكروم: مسلمات، 100.
- راس النعامة عمر: نبذة من حياة مامة بنت سليمان، (مخ)، كلُّه.

.258-244/2 , 237-221/Goichon: La vie feminine au MZAB, 1

مبارك الجيلاني (1335هـ - 1917م/1417هـ - 1997م)

ولد المناضل مبارك الجيلاني بالعلمة سطيف بيناير 1917 وبها أكمل دراسته الابتدائية، وهو من الشّخصيات الوطنية التي أثّرت بعد انتصار الثّورة التحريرية وحصول الجزائر على استقلالها، فقد ظهر الميل إلى السّياسة مبكرا لدى الجيلاني مبارك، فقد

جذبته السّياسة وهو في المرحلة التكميلية من التعليم، كما تأثر بالمعارك الانتخابية التي كان يخوضها بعض الجزائريين مما كانوا يشكلون آنذاك اتحادية المنتخبين، بيد أن لعنة السّياسة ظلت تلاحق مبارك حتى وهو معلم بالقلتة الزّرقاء، فالرّجل أصبح معروفا لدى دوائر الشّرطة على أنه من المشوشين لاسيما بعد أن شارك سنة1936 في مظاهرة احتجاج واستنكار للعدوان الإيطالي على إثيوبيا ثم مساهمته بقسط وافر في تأسيس أول فوج للكشافة الإسلامية بالعلمة في أوج الحرب العالمية الثّانية سنة 1941/ 1942 بالإضافة إلى اقتحام الميدان النّقابي، والمشاركة الفعالة في تكوين المدارس وفي التنشيط الثّقافي بواسطة المسرح خاصة.

هذا الاستعداد النّضالي في الشّاب مبارك كان من الطّبيعي أن ينتهي بالانخراط الكامل في حزب الشّعب الجزائري، المحظور منذ بداية الحرب سبتمبر 1959، وفي هذا الإطار كان من مؤسسي أول قسمة لحزب الشّعب بالعلمة، وذلك سنة 1942. بمساعدة بعض الطّلبة الذّين كانوا يدرسون في المعهد الفرنسي الإسلامي بقسنطينة.

ومنذ ذلك الحين أصبح يضطلع بكل المهام النّضالية التي يطلبها الحزب بوصفه مناضلا أولا، ثم مسؤول ناحية فعضوا في اتحادية عمالة قسنطينة، كما أصبح يتحمل كل ما يترتب على مهامه النّضالية من طرد من سلك التعليم وحبس وتعذيب وإضراب عن الطّعام...

شارك الجيلاني مبارك في الانتخابات التي جرت في أبريل 1948 لتكوين هذه الهيئة الجديدة وفاز عن ناحية فج مزالة، لكن ألقي عليه القبض بدعوى أنه قال أثناء الحملة الانتخابية (خرافة الجزائر الفرنسية)، وهذه تهمة بموجب مرسوم كان سائر المفعول يومئذ، وهو مرسوم (ريمي)، ويعاقب هذا المرسوم كل شخص يروج كلاما يؤثر سلبيا على معنويات الشّعب ولحسن حظه سقطت التهمة قبل المحاكمة بسبب إلغاء مرسوم ريمي المخالف بكل وضوح لحرية الرّأي المنصوص عليها في الدستور الفرنسي، عاش مبارك أزمة سكن يومئذ فجعل يقضي معظم الوقت في قصر" كارنو" بين الملفات والوثائق لإعداد تدخلات نّواب حركة انتصار الحريات الديمقراطية أمام المجلس، وعندما أسس الحزب النّشرة المركزية للمنتخبين كان مبارك من بين أعضائها البارزين، كما كان الجيلاني مبارك كذلك عضوا في اللجنة المركزية لحزب الشّعب ابتداء من 1948 وتميز مبارك ضمن هذه الهيئة بثلاث خصال: الهدوء والصراحة وسرعة الكتابة.

– الميزة الأولى رشحته ليرافق نصفان في الجولة التي قام بها عبر الشّرق الجزائري في ربيع 1952.

– الميزة الثّانية وهي الصراحة جعلت زملاءه في اللجنة المركزية يلقبونه بالشّاقور.

– الميزة الثّالثة وهي سرعة الكتابة رشحته ليكون مقررا لدورات كثيرة للجنة المركزية كما رشحته كذلك ليدخل في خصومات مع بعض النّواب الذّين لا يحسنون التعبير عن أفكارهم.

وفي أبريل 1957 تلقى مبارك أمرا بمغادرة الجزائر للمشاركة في مؤتمر الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة الذّي تقرر أن يعقد بتونس في غضون شهر جويلية وتمكن من الخروج عن طريق مرسيليا متنكرا في زي عمال الموانئ ووصل طريقه عبر جنيف، وروما، العاصمة التونسية، وكان المؤتمر التأسيسي للاتحاد قد قرر الانخراط في الكونفدرالية بأغلبية ساحقة أسوة بالنّقابيتين الشّقيقتين التونسية والمغربية ولأن معركة الشّعب الجزائري مع القوة الاستعمارية كانت في المعسكر الغربي بصفة عامة فهذا الانخراط إذن لم يعد يعني الانحياز لطرف على حساب الطّرف الثّاني وهو المعسكر الشّرقي الممثل على الصعيد النّقابي في الاتحادية النّقابية العالمية بل كان يعني فقط أنّ الكونفدرالية هي الإطار الطّبيعي للكفاح ضد النّظام الاستعماري بالجزائر .

ولم يكن مؤتمر تونس فرصة للانخراط في الكونفدرالية وحسب، بل كان كذلك فرصة ثانية للتعريف بالقضية الجزائرية والمطالبة بالمفاوضات مع جبهة التحرير الوطني والحصول على مساعدات هامة للاجئين لاسيما في ميادين التعليم والتكوين المهني ومنذ ذلك الحين ما انفكت علاقات الاتحاد بالكونفدرالية تتوطد لغاية الاستقلال.

بيد أن هذه العلاقات الحسنة لم تكن حائلا دون إقامة علاقات مع المنظمة الدولية المنافسة، وهي مسالة كانت تزعج في البداية المسؤولين بالكونفدرالية لكنهم اقتنعوا في النّهاية بأن الثّورة التحريرية تستلزم التعاون مع الجميع ومساعدة الجميع، وكانت المنظمة النّقابية العالمية بدورها تراود نقابيين على الانخراط فيها بحجة أنهم في حرب ولا بد أن يكونوا وسط العدو وقد استطاع اتحاد العمال أن يوظف علاقاته الدولية لفائدة الثّورة بفعالية متزايدة، على سبيل المثال كان هناك مشكل يعترض سبيل الجزائريين الفارين من فرنسا إلى ألمانيا الاتحادية أو غيرها إذ كانت السّلطات الألمانية تلقي عليهم القبض

وكثيرا ما تعيدهم من حيث أتوا بدعوى أنهم فرنسيون وبالتفاهم مع النّقابة الألمانية أصبح الجزائري الهارب من فرنسا يعامل معاملة خاصة ويكفيه لذلك الاستظهار ببطاقة العضوية في الاتحاد.

وفي المعسكر الاشتراكي تلقى الاتحاد مساعدات جمة من النّقابة اليوغسلافية في ميدان التكوين وبفضل المنح التي كان يحصل عليها الاتحاد عن طريق هذه النّقابة تخرج مهندسون مهرة في عدد من التخصصات.

ومما يذكره الجيلاني مبارك في ميدان العلاقات الخارجية أنه كان يتقاسم المهمة أحيانا مع (صافي بوديسة) وهو وزير سابق فيتولى هو الجانب السّياسي بينما يقوم هذا الأخير عن طيب خاطر بجانب المطالب المادية فقد كان بوديسة ملحاحا إلى حد الصفاقة أحيانا من خلال إلحاحه كان يبث في روع مخاطبيه مأساة الشّعب الجزائري بكل أبعادها مأساة شعب خالد يطالب بحقه في الحرية والكرامة مثل بقية الشّعوب المستقلة التي وجدت نفسها تحت طائرة القمع الاستعماري رهينة في وطنها مشردة على حدودها لاجئة لدى جيرانها.

وبفضل أمثال هؤلاء النّقابيين استطاعت ا لطبقة العاملة أن تساهم مساهمة كبيرة في المجهود الحربي الوطني

وتوفر عند استقلال الجزائر مبالغ كانت الدولة الفتية في أمس الحاجة إليها فقد عادت أمانة البعثة الخارجية للاتحاد بودائع هامة من النّقود والوثائق وسلمتها للأمانة التنفيذية بالعاصمة.

وبهذا التسليم ودّع الجيلاني مبارك الحياة النّقابية ودخل الصف من جديد للعمل بين الجنود المجهولين من أجل بناء الجزائر الجديدة جزائر الحرية والكرامة.

توفي رحمه الله في 15 اوت 1997.

رابح دوب

المصادر

محمّد عباس: رواد الوطنية، الكتاب الثّاني، مطبعة حلب، الجزائر، 1992.

مبارك الميلي
(1314هـ - 1897م/1364هـ - 1945م)

مبارك إبراهيمي الهلالي المعروف بالميلي نسبة إلى مدينة ميليّة مسقط رأسه رأى النور في 26 ماي1897م، في أحضان عائلة متوسطة الحال وكعادة أترابه في القريّة تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم انتقل إلى مدينة الميليّة لمتابعة دراسته، ومنها إلى قسنطينة، التي كانت مقصدا لطلاب العلم والمعرفة للاستزادة بما اكتسبوه في تعليمهم القاعدي، والتي رحبت به طالبا نجيبا في حلقات عبد الحميد بن باديس العلميّة، ثم انتقل بعد ذلك إلى تونس لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة، وتوسعة مداركه وأفقه العلمي، وفيه تحصّل على شهادة التطويع، وبعد إقامة قضاها في تونس ينهل أصول المعرفة ويفقه نفسه بما حباه الله من أساتذة وعلماء درسوه علوم الفقه واللغة والأدب والدين، بعدها عاد إلى الجزائر سنة 1925 حائزا على شهادة التطويع من أساتذة جامعة الزيتونة.

اشتغل بالتدريس وكتابة المقالات الصحفيّة، وتقديم دروس الوعظ والإرشاد.

حيث باشر عمله في قسنطينة معلما ومربيا في مدارسها الحرة، كجامع سيدي بومعزة، ثم أرسله الإمام بن باديس إلى الأغواط التي أقام فيها سبع سنوات، وذلك من1927 حتى 1933، وقد نجح في دعم الحركة الإصلاحيّة في الجزائر، وترسيخ مبادئها المؤسّسة على الخلق الحميد والدعوة إلى الله والتّفقه في أصول الدين، لما وجده من تعطش أهالي الجنوب إلى التعلم والتفقه في الدين والعلم على حد سواء، وقد ألفى في مدينة الأغواط وما جاورها مناخا ملائما لنشاطه



ودعوته المستمدة من دعوة جمعيّة العلماء الجزائريين، ولعل إقامته في منطقة الجنوب هي التي منحته فرصة للتأمل والكتابة في تاريخ الجزائر وقيمها.

استقر مبارك الميلي بعد عودته من الأغواط في مدينة ميلة، التي تحول فيها إلى مصدر إشعاع ثقافي وديني.

نجح في إذابة الجمود الفكري، وحبذ لأهل مدينة ميلة العلم والعمل، والاهتمام بالنظافة والحماس في طلب العلم والمعرفة، علاوة على إنتاجه العلمي الذي تزايد في التأليف .

كان الشّيخ مبارك الميلي من رجال الإصلاح الذين اهتموا بنشر العلم في أوساط الشّعب الجزائري من خلال تأسيس المدارس والدعوة إلى تعليم المرأة لتحصينها أخلاقيا لأن الخطر يكمن في جهل المرأة، واشتهر بوقوفه ضدّ الطرقيّة وأصحاب البدع والخرافات ودعا إلى التمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة، والاهتمام بالتربيّة من أجل إيجاد مجتمع واع يمكنه محاربة الاستعمار والنهوض بوطنه، كما كان يرى أنّ الجهاد ضد أعداء الوطن والدين أمر مشروع وضروري.

وعند تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 انتخب آمينا للمال وصار من أبرز أعضائها النشطين رفقة الشّيخ بن باديس والإبراهيمي، والطيب العقبي، والعربي التبسي، وقد برع بأفكاره النيرة ووضوح رؤيته حتى صار يلقب بفيلسوف جمعيّة العلماء، وإلى جانب نشاطه الإصلاحي اهتم مبارك الميلي بكتابة المقالات في البصائر، والتأليف إذ ألف كتابا قيماً في التاريخ عنوانه: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، إضافة إلى كتاب رسالة الشّرك ومظاهره.

كلفته جمعيّة العلماء عام 1937 بإدارة جريدتها الرسميّة البصائر بعد نقلها إلى مدينة قسنطينة، وقد كان يعدّ الشّيخ أمبارك الميلي خريج المدرسة الباديسيّة، وقد وجد فيه الشّيخ عبد الحميد بن باديس الابن البار، والأخ العزيز، والصديق الصدوق، فاشتد به أزره، وصار من أهم المقربين إليه، فأعطى

نفسا قويا للدروس والحلقات التي كان يحييها الشّيخ عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة، وقد تولى عام 1940 بعد وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس مهمة التعليم والدفاع عن الحركة الإصلاحيّة بالجامع الأخضر بقسنطينة، الذي كان يعدّ أوّل مركز ثقافي وإشعاعي للإصلاح الإسلامي في الجزائر.

وإضافة إلى نشاطه في ميدان التربيّة والتعليم، والتأليف، فقد عنصرا نشيطا في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وقد اختير أمينا عاما لها لنشاطه وفاعليته.

كان الشّيخ أمبارك الميلي شخصيّة قويّة وله حضور قوي، ما جعل رفقاءه أعضاء جمعيّة العلماء الجزائريين يكنان له كل التقدير والإعجاب، كما كان من أكبر دعاة الإصلاح في الجزائر المتميزين بجهودهم الفكريّة وتآلفهم المختلفة، فقد جمع بين الدعوة والإصلاح الكتابة الصحفيّة وتأليف الكتب التي تكرس وتعمق شخصيّة الفرد الجزائري المنهلة من قيم الدين الإسلامي الحنيف إلى جانب الاهتمام بجوانب الحياة العلميّة، والأدبيّة، والاجتماعيّة والسّياسيّة.

يعد أمبارك الميلي من الشّيوخ والدعاة ورجال الإصلاح والتعليم المتشبعين بالروح الوطنيّة،إذ كان يرى الوطن يسير نحو التدهور والانحطاط في وقت العالم الآخر متقدما بسعي حثيث ،وهو الداعي الذي دفعه إلى مواصلة جهده لإخراج أبناء وطنه من براثن الجهل والأميّة إلى نور العلم الذي يدفع إلى التقدم والازدهار.

فقد كان إلى جانب ثلّة من رفقائه حريصا كل الحرص على تنوع النشاط، فقد كان صحافيا، ومسؤولا سياسيا، وفقيها مضلعا في الفقه وعلوم الدين، ورجل إصلاح بأتمّ معنى الكلمة، متخذا من مبادئ وأهداف جمعيّة المسلمين الجزائريين التي كان أحد أعمدتها أن ينتقل بالمجتمع الجزائري نقلة نوعيّة تكرس العلم والمعرفة، على الرغم مما كان يعانيه من مرض مزمن، ولم يتكاسل أو يتخاذل حتى وافته المنيّة وهو في سنّ الثامنة والأربعين، وذلك يوم 09 فيفري 1945 .

يعدّ بكتابه الموسوم بـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث أوّل باحث في الهويّة الجزائريّة في العصر الحديث.

آثاره:

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ثلاثة أجزاء،الجزء الثالث أكمله نجله محمد بعد وفاته.
- رسالة الشّرك ومظاهره ،وهو كتاب أيديولوجي أوضح فيه عقيدة الإصلاح عند العلماء الجزائريين المجددين.
- إضافة إلى مقالات عديدة نشرت في المنتقد، الشّهاب،السّنة النبويّة،الشّريعة المحمديّة،الصراط السّوي...

باديس فوغالي

المصادر:

- موقع عيون البصائر التعليمي، شخصيات جزائريّة تاريخيّة مشهورة. elbassair.net
- معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ،الجزء الثاني ،ص 349ا351،350.

مبارك جلواح
(1326هـ - 1908م/1362هـ - 1943م)

الشّاعر الأديب، مبارك بن محمّد جلواح العبّاسي، نسبة إلى قلعة بني عبّاس مسقط رأسه، بولايّة برج بوعريريج، أما أصله فيرجع إلى أوّلاد ماض بالمسيلة. عاش في الجزائر والمغرب وفرنسا. تغنّى بحبّ المرأة والطّبيعة، ومجّد العروبة والوطنيّة. عاش هموم نفسه وغيره حتّى إنّه كتب عن المسلم الإفريقي، ووضع المهاجر في الغربة. واستحقّ أن يكون رائدا للرّومانسيّة في الشّعر الجزائريّ الحديث. وهو شخصيّة صريحة في التّعبير عن عواطفه. قدّس الحريّة والمشاعر الرّقيقة، وتحدّى بيئته الصّارمة القاسيّة. وهو من الشّعراء الذّين غمطهم النّقاد حقّهم، وبخسهم الإعلام نصيبهم من الذّكر، وسلبهم التّعليم حظّهم في إيصال أفكارهم وما نبغوا فيه من الشّاعريّة والتّصوير والبيان.

ولد مبارك جلواح في قلعة بني عبّاس سنة 1908م. تعلّم القرآن الكريم على يد والده. ثم تعلّم تعليما عصاميّا، فدرس اللّغة العربيّة والدّين الإسلاميّ والتّاريخ. وفي هذا يقول:

أنا عربيّ لا جنس أمجَدُ من جنسي
أنا عربيّ أفدي العروبة بالنّفس
أنا مسلم المبدأ جزائريّ الحمى
أنا بلبل الفصحى المقدّسة الجرس

ولما بلغ الثّامنة عشرة من عمره، جُنّد إجباريّا في الجيش الفرنسيّ كأترابه بين عامي 1928 – 1929م، حيث أرسل إلى المغرب ليكون مساعدا عسكريّا لضابط مغربيّ مثقّف يملك مكتبة زاخرة، ساعده في الاطّلاع على ذخائر الكتب وتحصيل معارف كثيرة. ولمّا تأسست جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، انخرط فيها، بعد تأثّره بمبادئ ابن باديس الإصلاحيّة. فقال فيه:

وأحمد الله أيّها الشّعب أن أطلع
باديس في سماك هلالا

ثمّ ألحق بالخدمة العسكريّة مرّة ثانيّة 1939م في الحرب العالميّة الثّانيّة. وبعد انتهاء خدمته 1941م، عاد إلى باريس طواعيّة، وظلّ بها حتّى وفاته غريقا في نهر السّين سنة1943م.

عاش جلواح تجربتين فتحتا ذهنه ووعيه على الحياة. تمثّلت الأوّلى في الجنديّة الإجباريّة، والثّانيّة في اطّلاعه على مصادر الأدب واللّغة، ممّا ساهم في دفعه إلى الانخراط في الحركة الإصلاحيّة. فعيّن مشرفا مسيّرا لجمعيّة التّهذيب التي تأسّست في 1936م بباريس. كما كان الكاتب العامّ للقلم العربيّ بجمعيّة "أخوة آقبو" بفرنسا.

وجلـواح، شـاعر ثوريّ ومجاهـد بقلمه، يميـل الـى النّبرة العاليّـة في قضيّتـه الأوّلى، القضيّـة الجزائريّة، وكذا فـي القضايا العربيّة الأخـرى. له قصائد نشـرتها صحف عصره، كجريـدة الأمّـه، ومجلّـة الشّـهاب، وجريدة الإصـلاح ببسـكرة، وجريـدة البصائـر فـي أعـداد مختلفـة بيـن 1935م – 1940م. لـه ديوان مخطوط بعنوان "دخان اليأس» يضمّ حوالـي سـتين قصيـدة، منهـا: زورة الوداع، زفرة منتحر، على ضفة السّين، عبرة الأسف، صحـراء الوجـود، أنة مـن وراء البحر، وبعد النّـوى. وقصائـد أخرى في كتاب "الشّـاعر جلواح مـن التّمرد إلى الانتحـار" للرّكيبي. كما لـه مقـالات أدبيّة نشـرتها جريـدة الأمّة منهـا: "البلبـل المقنـوص" و"بين الشّـلف والرّحيـل"، ومقـالات عـن نشـاط نـادي التّهذيب.

امتاز شـعره كما جاء في معجم البابطين، بإنّه: "يلتزم شـعره الـوزن والقافيّـة، ويتنوّع بيـن التّعبير عـن النّفـس الإنسـانيّة وآلامها، وقضايـا وطنـه خاصّة الاسـتعمّار الفرنسـيّ للجزائـر. في شـعره ميل إلى الحـزن، ومزجٌ بيـن التّجربة الذاتيّة والقضايـا العامّة، وتمثّل للحكمـة ورصد خبـرات الحيـاة، وفيه نزعة خطّابيّـة، وسـرد قصصـيّ يصـوّر فيـه حـال الإنسان المسـلم في الغربة. وبعض قصائده تنتمـي إلى الاتّجـاه الوجدانيّ فـي الاقتراب مـن الطّبيعـة ومحاورتهـا، وقد يبـدو أثر من محاكاة أحمد شـوقي في بائيّته الأندلسيّة في قصيدته، بعد النّوى".

وبالنّظـر الـى البنـى الأسـلوبيّة، نجـد شـعره يمتـاز بشـيوع الصّوامـت الانفجاريّة والاحتكاكيّة والمهموسة والمجهورة. فجاء أسـلوبه هامسـا في تأمّلاته وأفكاره المتّصلة بالنّفـس كالحـزن والأسـى، جهوريّـا يميـل الى النّبرة العاليّة فيمـا تعلّق بالقضايا القوميّة وبإخفاقـه في الحياة. كمـا أنّ دخول التّكرار في سياق النّص الشّعري أكسبه طاقة إيجابيّة إضافيّة إلى طاقـات اللّغة الشّـعريّة. واعتمد جلـواح علـى البحـور الشّـعريّة التّقليديّـة. فهـو يميل إلى البحـور التّامـة، خاصّة البحر الطّويـل والبسـيط، لإنّهـا الأنسـب لمواقف التّأمـل الذّي يغلـب على شـعره، كما اعتمد البحر الكامـل والخفيف والوافر والمتقارب والمجزوء.

عثـر على مبـارك جلواح جثّـة طافيّة على نهـر السّـين. واختلفـت الاقـوال في سـبب موتـه. فمنهـم مـن قـال بإنّـه قتل مـن طرف المقاومة الفرنسـيّة ضدّ هتلر، بسـبب تعصّب الشّـاعر لهذا الأخيـر نكايّة في فرنسـا. ومن قائل بـأنّ قتله كان بإيعاز من قدور بن غبريط المعروف بعمالتّه لفرنسا. غير أن الرّكيـبي رجّح انتحار الشّـاعر بسـبب يأسـه وهشاشة نفسـه. واسـتدلّ بديوانـه (دخـان اليـأس). وحين طغى اليأس على نفسه وقرّر الانتحار، رثى أحلامه الضّائعة، في قصيدته (ليلة على شاطئ السيئ). ثمّ أتت قصيدته (زفرة منتحر على ضفّة السّـين) تصـوّر قناعتـه بالانتحار فقال:

ياسين جئتك في ذا اللّيل ملتمسا
بعرض لجّك اخمادا لأنفاسي

إلاّ أنّـي أرى، وجـود احتمـال آخر، وهو أن مبـارك جلـواح عـان مثـل الجزائريّيـن الحرمـان والفقـر والتّخلـف... غيـر إنّـه شـاعر، لـه ملكـة التّعبيـر عـن الآراء والمشـاعر بكلمـات مجهورة مسـموعة، قد لا تعبّـر عـن إرادتـه وسـير حياته فـي حقيقة واقعـه. ألـم يقـل ربّنـا سـبحانّه وتعالـى: ﴿وَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، ثـمّ إنّ شـاعرنا مؤمـن باللـه وباليوم الاخـر، مدرك سّـر الوجـود وغايّـة المصير. فيقـول محدثا المـوت:

وكيـف وجدت السّابقين من الورى
أفي يقظـــة أم في وطأ الغفـوات
وهـل فيهم من يندبـون صحـــابهم
ويرجون جمع الشّمل بعد تشتات

وفوق كل هذا، هو رجل رسـاليّ، ما كان ليوجد في الغربة لـولا المهمّة التي بعث من أجلها لباريس. والرّسالة تقتضي وضع خطّة توجـب السّـهر والمثابـرة والعمـل الدّؤوب من أجـل تنفيذها، ممّـا يتطلّب قـوّة العزيمة والصّبر والأناة وحسـن الظّن باللـه والتّطلّع دائمـا للغـد السّـعيد. وربّما لمسـنا ذلك في قصيدته "أنـة من وراء البحـر" يدعو الله أن يعجّل بأوبته إلى الجزائر

يا ربّ عـجـّل لنـــا مـنها بـــأوبتـنـــا
إلى الجـزائر أفـق اليمـن والكـــرم

ويقول في موضع آخر:

جزائر الغـد ما أبهاك في ناظري
من صورة تستبي عقل الفتـــى الأرب
كم تسفـرين عمـــا في مخيـّـلتي
سفور شمس الضّحى من برقع السّحب
ترى تســالمنـي الأيّام يا أملـــي
حتى أراك كما أهـــواك عن كثـــب
حتّى أراك بأفـق المجـد سـابحـة
بين الدّراري ذيول التّيّـــه والعجـــب

ولما كان يشكّل خطرا على فرنسا، قرّرت اسـتغلال شـعره كدليل لإدانته على انتحاره. فقتلته غرقا في نهر السّين، وهذا ما أكّدته ابنته (مسـعودة) للشّـاعر (محمّد الجلواح) حيث إنّها سـافرت إلى فرنسا في بدايّة التّسعينيّات، والتّقت بالحاجّ محمّد بو بيجني الذّي أكّد لها عدم انتحاره، وبأنّ جاسوسـة فرنسـيّة أوشت به، فسـجن لفترة في سـجن (سـاموري)، ثم أطلق سـراحه. وحين رُمِيَ في نهر السّـين لم يكن قد مات، بل أُسعِف إلى المستشفى حيّا، ثمّ مات لاحقا. والله أعلم.

ليلى نوي

المصادر:

- تاريخ الجزائر الثّقافي أبو القاسم سعد الله؛
- معجم البابطين مؤسّسة عبد العزيز سعود البابطين الثّقافيّة؛
- الشّعر الجزائري الحديث محمّد ناصر؛
- (مجلّة المخبر) جاب الله أحمد.

مبروك عوادي
(1329هـ - 1911م/1416هـ - 1996م)

ولد الشّيخ عوادي مبروك بن مسعود ومباركة العايب سنة 1911 بدوار غزالة، بلديّة السّبت، دائرة عزابة، ولايّة سكيكدة في الشّرق الجزائري.

حفظ القرآن في الكتاتيب بعزابة ولايّة سكيكدة ثم التّحق بزاويّة بلحملاوي بالعثمانيّة بقسنطينة قديما وميلة حاليا، أين تلقى الشّيخ التّعليم بالزّاويّة المحفوفة بأسرار القرآن والشّريعة والدّرووس المزدهرة بالحلقات العلميّة الصّحيحة أين عرفت الزّاويّة في هذه الفترة تطورا كبيرا وإشعاعا متزايدا وفيضا واسعا في برنامج التّعليم ومناهجه التي كانت تدرس تقريبا كل العلوم على شاكلة جامع الزّيتونة، تعرف مبروك العوادي في هذه الزّاويّة على الشّيخ الطّاهر آيت علجت ومكثا بها سويا ثلاث سنوات يتشبعان العلوم من أساتذة أجلاء، وتعرف على مشايخ آخرين أخذ عنهم من أمثال: الشّيخ مصباح الحويدق والشّيخ محمود القريبع والشّيخ سعيد حناشي والشّيخ أحمد بن شليحة من مدينة بسكرة خريج القرويين، وغيرهم من المشايخ الذين استقدمهم صاحب الزّاويّة من الزّيتونة وغيرها بقصد رفع مستوى التّعليم في زاويته، فكانت الكفاءة العلميّة تفوق مدرسة الشّيخ ابن باديس رحمه الله، حيث تطورت الزّاويّة منذ عهد الشّيخ علي بن الحملاوي – رحمه الله –، وصارت لها فروع كثيرة قدرت بأربع وأربعين زاويّة، وقيل إن له أتباعا أيضا في تونس وطرابلس والقاهرة وجدة. وقد مكث الشّيخ بهذه الزّاويّة مدّة ثلاث سنوات.

سافر بعدها إلى تونس حيث حصل على شهادة التّحصيل أو الثّانويّة العامة من جامع الزّيتونة عام 1941، ثم عاد الى عزابة ودرس في مدرسة المسجد العتيق من 1941–1945، سافر بعدها إلى الأزهر الشّريف في مصر ليواصل دراسته ويتحصل على الشّهادة العليا في العلوم الشّرعيّة من كليّة دار العلوم، وبعدما تشبع وتصلب بالعلم والفقه التقى هناك الرّئيس الرّاحل هواري بومدين فآواه في بيته، كما تعرف في الوقت نفسه بالوزير مولود قاسم، فكان يوجههما ويرعى شؤونهما في مصر، وصارت لهم بعد ذلك صحبة مشهودة معروفة.

وبعد الاستقلال سافر إلى العاصمة حيث أصبح عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى ثم أستاذا بوزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينيّة وعضوا في لجنة الإفتاء المركزيّة.

ثم أصبح عضوا بالمجمع الفقهي الاسلامي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة.

لما سمع بخبره الدّكتور مولود قاسم نايت بلقاسم وقد كان وزيرا للأوقاف آنذاك استقدمه ونصّبه مستشارا في الوزارة.

وقد أهلته مكانته العلميّة ليمثل الجزائر لعدة سنوات في مجمع الفقه الإسلامي.

مما عرف عن مبروك عوادي أنه كان رجلا زاهدا متواضعا من أكبر علماء الجزائر وفقهائها المتميزين المغمورين كحال أغلب العلماء الجزائريين، أحد أعضاء المجمع الفقهي في مكة المكرمة من أبناء جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين.

تميز الشّيخ مبروك العوادي بغزارة علمه والانطواء والانزواء عن الدّنيا، كان إنسانا زاهدا متعففا عن الدّنيا وملذاتها، وقد كان على مذهب الظّاهريّة في الفقه رغم أنه كان يتقن كل المذاهب، كما كان مكبا على طلب العلم حريصا عليه، وكان شديد التّأثر بأبي محمّد علي بن حزم الظّاهري المتوفى في القرن الخامس الهجري، وكان يصفه ب"المجتهد مجدد القرن الخامس الهجري"، كما كان محلى ابن حزم لا يفارقه في حله وترحاله.

ومما تتميز به الشّيخ المبروك شدته فيما يراه حقا، فكان لا يرى شيئا لا يرتضيه إلا وشدد النّكير فيه بقوة وصلابة كبيرتين، كما كان لا يرى كتابا من كتب المحدثين التي خالفت سيرة الأولين إلا وأمر بإبعادها والتّخلي عنها، ومما كان يقوله: "يتردد كثيرا على الأفواه (نطور الإسلام، نطور الدّين ...الخ)

إن الشّريعة شريعة الله ليست من أفكارنا ولا من عقولنا ولا من علومنا ولا من صناعتنا ولا من صياغتنا . وغايّة ما في هذا أنه تفهم وفهم، ثم استجلاء واكتشاف لحقيقة ثابتة يتقدير العزيز العليم، فلا تصرف لأحد في تلك الحقيقة كائنا ما كان ولا تطوير".

ومما اشتهر به الشّيخ عوادي أنه كان شديد البر بوالدّه، فرغم شدته فيما يراه حقا وسرعة إنكاره وقوة حجته ومنطقه، كان رحمه الله لا يتكلم في مجلس يحضره والدّه إجلالا له واحتراما، كما كان يقسم راتبه على أربعة أجزاء، جزء يعطيه لوالدّه مسعود، وجزء لابنته الوحيدة، وجزء يتصدق به، وجزء للمكتبة، وظل على هذا الأمر حتى وفاته رحمه الله.

أوصى بتوقيف مكتبته الخاصة بمدينة عزابة، فأوقفت مكتبته على مسجد الفرقان بعزابة التي تحتوي على حوالي 3300 كتاب في الفقه والحديث والتّفسير والتّاريخ والفلسفة والأدب.

كما كان كثير التّردد على شيخه محمّد الشّرايفيّة رحمه الله بمدينة عزابة، وهذا يدل على وفائه.

ترك الشّيخ مبروك عوادي رحمه الله كثيرا من المقالات في مجلات وطنيّة وعربيّة، ونذكر من ذلك مقالين كتبهما في مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينيّة في الجزائر:

–تقويم إسلامي موحد يجمع بين الحكم الشّرعي والحساب الفلكي؛

نُشر هذا المقال في العدد الواحد والعشرين من مجلة الأصالة، في جمادى الثّاني ورجب وشعبان سنة 1394 للهجرة، الموافق لجويليّة وأوت وسبتمبر سنة 1974 للميلاد.

تناول فيه مسألة "إثبات رؤيّة الهلال" ومما خلص إليه "أن إثبات الهلال من الفلكيين المختصين، المحققين، المتثبتين، الأثبات، الثّقات، لا ضير فيه، بل هم مكلفون بذلك كما ذكرنا آنفا، بل هذا واجب عليهم، وواجب علينا أن نقلدهم، ولو كان المقلَّد فرادا واحدا إذا ما وثقنا به وبعلمه"

ومن الطّرائف أنه استند في هذا الرّأي على الإمام ابن حزم، فقد ختم قوله السّابق بـ"وذلك بناء على ما يقول به أبو محمّد بن حزم في الرّؤيّة".

-ابن حزم الظّاهري الأندلسي: نشأة المذهب الظّاهري؛

نُشر هذا المقال في العدد الخامس والعشرين من مجلة الأصالة، في جمادى الأول وجمادى الثّاني سنة 1395 للهجرة، الموافق ماي جوان سنة 1975 للميلاد.

تحدث فيه عن سبب نشأة المذهب الظّاهري، وسبب اختيار الإمام ابن حزم له، ثم سرد سيرة مفصلة لابن حزم، تطرق فيها إلى مولده ونشأته وأخلاقه ومصنفاته.

توفي في 27 أكتوبر 1996 بالجزائر العاصمة. وقد كان مقيما بمسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة حتى وفاته.

رابح دوب

المصادر:

مجلة الأصالة: وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينيّة، الجزائر، العدد: 21 و25، سنة 1974 و1975.

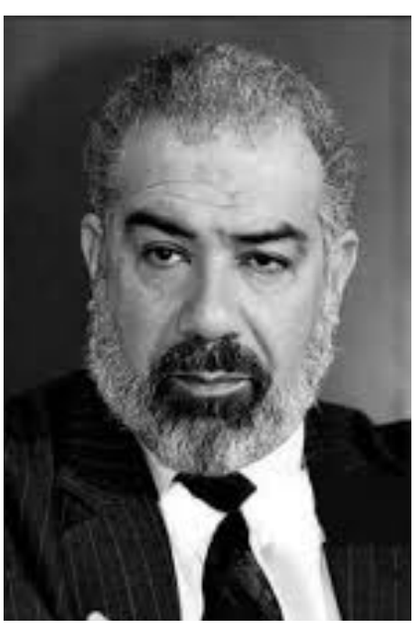
محفوظ بن محمد نحناح
(1361هـ - 1942م/1424هـ - 2003م)

ولد يوم 27 جانفي 1942 بمدينة البليدة تتميز عائلته بالمحافظة على اللغة العربيّة والتّمسك بالإسلام، نشأ في أحضان القرآن الكريم، وفي أحضان اللغة العربيّة على يد علماء أفاضل وأساتذة مبجلين. شارك الشّيخ محفوظ نحناح في ثورة التّحرير وكان أحد فتيانها في البليدة إلى غايّة 1962 وقد عاش فترة الثّورة المسلحة بين المجاهدين، كما شارك في المظاهرات الشّعبيّة الجماهريّة إلى جانب الشّهيد محمّد بو سليماني ومحمّد بلمهدي.

بدأ نشاطه الدّعوي عام 1962 بمساجد العاصمة والبليدة، وفي سنة 1964 وضع مع الشّهيد بوسليماني اللبنة الأوّلى في الجزائر للجماعة التي تنبع من الفكر الأصيل الذي يباركه، ويزكيه خيرة علماء ورجال هذه الأمّة، وهذا بمساهمة بعض أساتذة الأزهر الشّريف وجامعة عين شمس وبغداد وفلسطين.

التّحق بالجامعة في الموسم الجامعي 1966 ـ 1967 بعدما حصل على شهادة البكالوريا، وسجل بمعهد اللغة والآداب، وقد دفعه إلى هذا الاختيار عشقه للغة العربيّة التي لاتزال صورة من صور التّحدي للاتجاه التّغريبي الفرنكفوني، تخرج عام 1970 بدرجة ليسانس في اللغة العربيّة، ثمّ سجّل بجامعة القاهرة قسم الدّراسات العليا ـ تفسير.

شارك في مقدمة المسيرات التي تطالب بالمحافظة على الشّخصيّة الإسلاميّة للأسرة ومواجهة كل دعوة غربيّة.



حكم عليه عام 1975 بالسّجن لمدة 15 عاما بتهمة تدبير انقلاب ضد نظام الحكم آنذاك حيث عارض فرض النّظام الاشتراكي بالقوة على المجتمع الجزائري؛ باعتباره خيارا لا يتماشى ومقوّمات الشّعب الجزائري العربي المسلم، ودعا إلى توسيع الحريّات السّياسيّة والاقتصاديّة.

وكان السّجن فرصة ثمينة للاستزادة من العلم من جهة، والمراجعة للأطروحات الفكريّة والسّياسيّة من جهة ثانيّة، وقد تحول على يديه خلق كثير من السّجناء عن الانحرافات السّلوكيّة، وأصبحوا نماذج حسنة.

شارك في عدّة مؤتمرات وملتقيات دوليّة في أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقيا تتعلق بقضايا الإسلام والغرب وحقوق الإنسان والدّيمقراطيّة. والتّقى أثناء زيارته لهذه الدّول بزعماء وكبار مسؤولي هذه الدّول في كل من فرنسا، وإسبانيا، والسّويد، والولايات المتحدة الأمريكيّة، وألمانيا، وبريطانيا، وإيطاليا، وسوريا، والأردن، والمملكة العربيّة السّعوديّة، والسّودان، وقطر، والكويت، والمغرب، وليبيا... وغيرها من الدّول.

ولقد أُلفت عنه عدّة كتابات تعبر عن أفكاره، منها: (رجل الحوار) و(خطوة نحو الرّئاسة)، بالإضافة إلى مساهماته الثّقافيّة في مختلف المجلات والجرائد العربيّة والملتقيات الوطنيّة والدّوليّة والحوارات الإسلاميّة المسيحيّة في إيطاليا والسّويد.

صاغ بيان التّجمع الإسلامي الكبير 1980، ونظم أوّل مهرجان إسلامي 1988

كما نادى بإنشاء رابطة تجمع كل الدّعاة من أجل الحفاظ على الهويّة الإسلاميّة 1989.

أوّل من ترأس جمعيّة الإرشاد والإصلاح 1990.

أوّل رئيس لحركة المجتمع الإسلامي 1991 بالأغلبيّة ثم بالتّزكيّة.

أمضى وثيقة ترفض التّنازل عن أي شبر من فلسطين مع العديد من العلماء

شارك مع وفد العلماء الذي توجه إلى بغداد.

أوّل زعيم حركة إسلاميّة يتقدم للترشح لرئاسة الجمهوريّة.

أنشأ حزبا سياسيا سمي "حركة المجتمع الإسلامي» وانتخب أوّل رئيس له في 30 ماي 1991، وترشح للانتخابات الرّئاسيّة التي جرت بالجزائر في نوفمبر 1995 ونال المرتبة الثّانيّة حيث تحصل على أكثر من ثلاث ملايين صوت حسب النّتائج الرّسميّة المعلنة، وتعتبر هذه الانتخابات أوّل انتخاب شارك فيه الإسلاميون في العالم الإسلامي بمرشح يحمل هذا التّوجه.

شارك بقوة في صيانة الدّولة الجزائريّة من الإنّهيار ودافع عنها في المحافل الدّوليّة وقدم في سبيل حمايّة واستعادة مؤسّساتها الدّولة والحفاظ عليها تنازلات كبيرة يعرفها الجميع.

ومن أهم الطّروحات التي يدافع عنها الشّيخ محفوظ نحناح:الشّورى، الدّيمقراطيّة، التّطور، التّسامح، التّعايش، الاحترام المتبادل، احترام حقوق الإنسان، مشاركة المرأة في مجالات الحياة، احترام حقوق الأقليات، حوار الحضارات، توسيع قاعدّة الحكم، التّداوّل السّلمي على السّلطة، احترام الحريات الشّخصيّة والأساسيّة، الوسطيّة والاعتدال، تجسير العلاقة بين الحاكم والمحكوم. وقد أدان الشّيخ محفوظ نحناح العنف والإرهاب وكل مظاهر الغلو في الدّين منذ بداياتها واعتبرها غريبة عن الإسلام والمسلمين وقد كرس مشواره الدّعوي منذ أكثر من ثلاثة عقود في الدّفاع عن العقيدة الصّحيحة وقيم الوسطيّة والاعتدال وقد دفعت حركته ضريبة غاليّة أهمها اغتيال أكثر من 500 مناضل ومحب للحركة وعلى رأسها الشّيخ الأستاذ محمّد بوسليماني، كما أن له مواقف واضحة من الاشتراكيّة والعلمانيّة والجهويّة والصّهيونيّة وقضيّة فلسطين وأفغانستان.

وهو يدعو دائما إلى ضرورة تغليب المصلحة الوطنيّة على المصلحة الحزبيّة والشّخصيّة كما يدعو إلى التّمييز بين ضرورة وجود الدّولة وتقويتها ومنافسة ومعارضتها والمطالبة بخلعها وذهابها عند إساءتها.

ويرى أن المشاركة في قاعدّة الحكم أوّلى من الرّوح الإنسحابيّة أو المعارضة الرّاديكاليّة وقد بينت الأحداث صدقيّة هذا الاختيار.

صدر كتابه الأوّل في هذا الصّدد تحت عنوان: (الجزائر المنشودة) المعادلة المفقودة: الإسلام..الوطنيّة.. الدّيمقراطيّة".

القسم الثّاني الذي كان له تأثير كبير جدًا في شخصيّة الشّيخ محفوظ نحناح هو جمعيّة العلماء المسلمين، ولقد أثر تأثيرًا كبيرا رجال فكر ودين في تشكيل فكر محفوظ نحناح، وعلى رأس هؤلاء المؤثرين الفاعلين منهم في شخصيته ثلاث:

- أوّلاً: الشّيخ عبد الحميد بن باديس
- ثانيا: البشير الإبراهيمي
- ثالثًا: فضيل الورتلاني.

كم أسهمت الجامعة في صياغة شخصيته القياديّة المستفيدة من التّجربة العالميّة في الحركة الإسلاميّة من ناحيّة ثانيّة.

في هذه المرحلة تحوّل الشّيخ من شخصيّة وطنيّة أو من شخصيّة قطريّة إلى شخصيّة عالميّة، وأضفى هذا حقيقة إضافات على الشّخصيّة في حد ذاتها وعلى الفكر في حد ذاته، فأصبحت اللقاءات والزّيارات الدّوليّة التي قام بها والمشاركة المتعدّدة في إدارة الفكر العالمي وفي مؤتمرات الفكر العالمي أصبحت ذات تأثير مباشر وواضح في مسار وتشكيل شخصيّة الشّيخ محفوظ نحناح، وفي رؤاه السّياسيّة، وفي مواقفه وفي وخطواته النّضاليّة التي لم تستبعد التّأثير الإقليمي والتّأثير الدّولي والتّأثير الوطني.

انتقل إلى الرّفيق الأعلى بعد مرض عضال سرطان الكلى الخميس 19 جوان 2003، وشيعت جنازته بعد صلاة الجمعة 20جوان 2003.

باديس فوغالي

مصادر:

- محفوظ نحناح / www.marefa.org

معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزء الثاني، ص 360،357.

محفوظ قداش
(1336هـ - 1921م/1426هـ - 2006م)

محفوظ قداش هو أحد كبار المؤرّخين الجزائريين ومن المناضلين في حقل السّياسة طيلة حياته. وقد ولد بحي القصبة بالجزائر- العاصمة عام 1921، وتيتم وهو في سن السّادسة فأجبرته ظروف العيش القاسيّة على أن يكسب قوته بالبيع في أسواق الخضر، لكن ذلك لم ينل من عزيمته الصّلدة من أجل اكتساب العلم في زمن صعب جدا اشتدّت فيه



وطأة الاستعمّار الفرنسي على الإنسان الجزائري.

ومحفوظ كغيره من طلبة العلم الذين ينشدون هويتهم الجزائريّة ويضعونها موضع الصّدارة، أحس بضرورة الاهتمام بالتّاريخ في الجزائر وبجعل هذا التّاريخ مسألة نضاليّة في المقام الأوّل خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين، أي، منذ بدايات الحركات الوطنيّة وانتشارها

ما بين 1930 على وجه التّقريب إلى انفجار ثورة أوّل نوفمبر 1954، وهي الثّورة التي وضعت حدا فاصلا لجميع الشّكوك حول هويّة الإنسان الجزائري وغايته في هذه الحياة. وعليه، استحال في تلك الفترة أن يوجد مؤرّخ جزائري، أو مهتمّ بتاريخ بلاده وبموقعه بين شعوب الدّنيا دون أن يضع نصب عينيه مسألة التّأصيل هذه في كتاباته وفي سلوكه اليوميّ والحياتي.

وعندما نراجع ما نشر من كتب وأبحاث، على قلّتها، في الشّأن التّاريخي والأدبيّ والفكريّ بصورة عامّة، نطلع على حقيقة الغايّة من التّأصيل بحكم إنّه ظلّ الفكرة الأساسيّة، بل الجوهريّة، التي كانت وراء كلّ من أدلى بدلوه في هذا المضمار.

محفوظ قداش هو أحد أوّلئك المؤرّخين الذين اجتهدوا غايّة الاجتهاد من أجل إبراز الهويّة الجزائريّة عبر أطوار التّاريخ. وليس أدل على ذلك من كتاباته ونشاطه السّياسي والاجتماعي. نشأته بحيّ القصبة أيّ في ذلك المكان الذي يعدّ القلب النّابض لكلّ ما تصطخب به حياة الشّعب الجزائري، حكمت عليه بأن يكون على اتصال وثيق بجميع الحركات الوطنيّة على اختلاف نزعاتها وميولها، يضاف إلى ذلك تطلّعه الدّائم إلى ما هو جديد في قضايا التّاريخ. ومعنى ذلك إنّه وجد نفسه في خضمّ تلك التّحرّكات السّياسيّة الرّاميّة إلى تحرير الإنسان الجزائري. ومن ثمّ، ما كان له مناصّ سوى أن يلقي بنفسه جسدا وروحا في جميع ما تعجّ به الحياة السّياسيّة آنذاك. فكان عضوا فاعلا في حركة انتصار الحريّات الدّيموقراطيّة، واضطلع بأمانة الكشّافة الإسلاميّة الجزائريّة عام 1953، ثمّ صار رئيسا لها، وذلك في الوقت الذي اشتدّت فيه عزيمته بالتّحصيل العلمي. ولكن جانب البحث التّاريخي، بالمعنى العلمي الدّقيق، هو الذي طغى على جميع جهوده، فكان أستاذا للتّاريخ بجامعة الجزائر، وكاتبا مدقّقا في شؤون التّاريخ الجزائري منذ القديم إلى ما بعد استقلال البلاد.

يتّضح من بعض البحوث التي نشرت عن نشاطه العلمي والسّياسي أنّ الشّاغل الرّئيسي في حياته إنّما هو الجزائر وما تمثله. ولذلك، فإنّه سعى مع صديقه الأديب الجزائري، مولود فرعون، إلى مقابلة الجنرال دوغول بغايّة التّوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف، ويضع حدا للخلافات كلها. وبسبب ذلك حاوّلت منظمة الإرهاب السّريّة النّيل من حياته مرتين اثنتين غير إنّها لم تظفر به على حين تمكنت من اغتيال رفيقه مع عدد من المسيرين الإداريين في حي ابن عكنون بأعالي الجزائر – العاصمة في شهر مارس 1962.

وقد شغل محفوظ قداش عددا من المناصب الإداريّة منذ الأيام الأوّلى لاستقلال الجزائر، وعمل مفتشا عاما لمادة التّاريخ في وزارة التّربيّة غير أنّ التّدريس الجامعي والكتابة التّاريخيّة شغلا جل وقته. وفي مطالع السّبعينيات ناقش أطروحته القيمة لنيل شهادة الدّكتوراه في تاريخ الحركة الوطنيّة الجزائريّة، وهي الأطروحة التي تزخر المراجع الأساسيّة في هذا الشّأن. وكان له في نفس الوقت دور ريادي في إنشاء قسم علم المكتبات بجامعة الجزائر خدمة للبحث العلمي الرّصين، وتخرّج على يديه عدد من الطّلبة الذين اضطلعوا بشؤون المكتبات في الجامعات الجزائريّة وفي المكتبات العامّة.

وهكذا تحوّل الطّفل اليتيم إلى تلميذ نجيب، ثم إلى طالب في الجامعة، ونال أعلى الشّهادات العلميّة في مجال البحث التّاريخي. ولم يتوقف عن تدبيج المقالات والبحوث التّاريخيّة القيمة في الشّأن الجزائري بصورة عامّة. وتوزعت اهتماماته ما بين تاريخ الجزائر في العصور القديمة، وفترة الحكم العثماني، ووضع عددا من البحوث في هذا الجانب، غير أن الحظ الأوفر من بحوثه تلك انصب على تاريخ حركات التّحرر خلال القرن التّاسع عشر والحركات الوطنيّة بمفهومها السّياسي العميق الواسع خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين إلى غايّة الاستقلال. وقد كان هذا النّهج أمرا طبيعيا، بل، وتلقائيا، ذلك لأن الجزائر ظلت، دائما وأبدا، هي الغايّة التي ينشدها في كتاباته وفي مواقفه السّياسيّة وفي جميع البحوث التي وضعها منذ نهايات الحرب العالميّة الثّانيّة.

وكان محفوظ قداش في جميع ما قيل عنه من أوّلئك الذين عاشوا معه خير خلف لخير سلف في الحركة الإسلاميّة الجزائريّة، أي، بعد الرّئيس الأوّل لتلك الحركة محمّد بوراس، ذلك الذي أعدمه الاستعمّار الفرنسي عام 1941. وما زال أبناء حي القصبة يستعيدون مآثره في الأفواج الكشفيّة التي أشرف عليها في مختلف أماكن الجزائر.

أما قائمة مؤلّفاته فهي طويلة بقدر ما هي ثريّة بفضل التّدقيق الذي يميزها، وعناوينها تشهد على ذلك، فهي تدلّ على التّرابط الوثيق بين المناضل السّياسي والمؤرّخ الذي يحسب لكل كلمة حسابها:

– الجزائر العثمانيّة؛

– تاريخ حرب التّحرير الجزائريّة وتاريخ القوميّة في الجزائر؛

– الحياة السّياسيّة بالجزائر ما بين 1919 و1939؛

– الجزائر في العصور القديمة؛

– حياة الأمير خالدّ؛

بالإضافة إلى عشرات المقالات والبحوث في التّاريخ الجزائري والمحاضرات الجامعيّة التي تتناول نفس الموضوع.

وقد نال الدّكتور محفوظ قداش وسام الاستحقاق الوطني في عام 2017 تقديرا لنضاله السّياسي ولجهوده العلميّة.

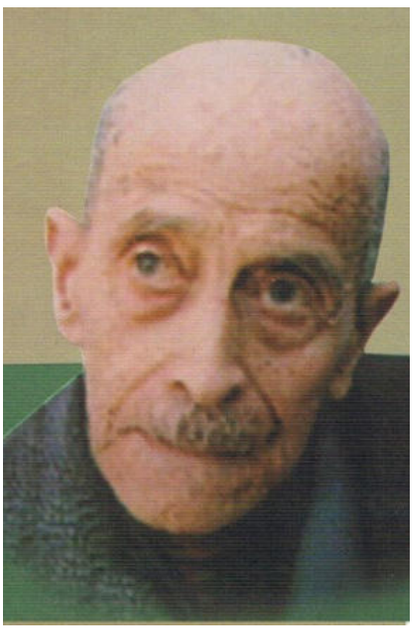
مرزاق بقطاش

محمّد (حمودة) بن ساعي
(1319هـ - 1902م/1419هـ - 1998م)

محمّد حمودة بن ساعي مفكّر جزائري من مواليد مدينة باتنة في شرق البلاد سنة 1902. توجّه لتعلّم القرآن في الكتاتيب، وبالموازاة مع ذلك تعلّم اللغة الفرنسيّة وأتقنها، لينتقل بعدها إلى مدينة قسنطينة للالتحاق بدروس العلّامة عبد الحميد بن باديس (1889–1940)، أين بدأت تظهر اهتماماته الإصلاحيّة. وهناك، كانت أولى محاولاته للكتابة، انتصارا لتوجّهه المناهض لسياسة الإدماج، وقد أبدى ابن باديس إعجابه بقلم حمودة بن ساعي، وقد كان انضمامه إلى أسرة جريدة (النّجاح) محرّرا ومترجما إضافة نوعيّة لمسيرته الفكريّة، حيث فتحت له المجال لنشر بعض إسهاماته.

أسهمت الفترة التي قضاها بقسنطينة في بداية بلورة شخصيّته الفكريّة، وإن كان تواجده بهذه المدّينة يشكل بالنّسبة له فسحة معرفيّة، إلّا أنّ نشاطه بها جعله تحت المجهر الاستعماري. وبالموازاة مع تقربه من التّيار الاصلاحي كان بن ساعي على اطلاع على متون الفلسفة الغربيّة، ما جعله يفكر في الانتقال إلى منبع هذا الفكر أوروبا متّخذا من فرنسا طريقا لذلك، فسجّل في قسم الفلسفة بجامعة السّوربون واستطاع الجمع بين الثّقافة العربيّة الإسلاميّة والفكر الغربي. لقد عُدّ حمودة بن ساعي أوّل جزائري يحضّر لأطروحة دكتوراه في الفلسفة عن أبي حامد الغزالي. غير أنّ رغبته في اتمام دراسته اصطدمت بضغوط رهيبة مورست عليه نتيجة نشاطه في فرنسا وهو المعروف بتوجّهاته الوطنيّة، فلم يتمكّن من إتمام دراساته العليا.

كان اختيار بن ساعي لفرنسا وجهة معرفيّة، إدراكا منه بأنّ الجوّ الثّقافي هناك سيفتح له المجال لامتلاك أدوات الفلسفة والولوج إلى عالم التّأسيس لفكر نهضوي نابع من خلفيّات المجتمع الجزائري مع التّفتح على الثّقافة الغربيّة. وقد اختار الاستقرار في الحي اللاتيني (Quartier latin) الذي كان يعجّ بالنّخبة المثقّفة



والشّخصيّات الفكريّة العربيّة والأوروبيّة. واضطرّ للعمل بأحد المصانع لتأمين مصاريفه اليوميّة وتغطية متطلّبات دراسته. وقد كان تواجده بفرنسا فرصة لربط علاقات بكبار المفكرين والكُتّاب، مثل (جون بول سارتر/ 1905) (Jean–Paul Sartr 1980–) و(أندري جيدّ/ 1869) (André Gid 1951–).

في فرنسا كان حمودة بن ساعي قريبا من (مالك بن نبي)، حيث يلتقيان لتبادل الأفكار ومناقشة القضايا التي تدخل ضمن اهتماماتهما. ونظرا للتّأثير الكبير الذي أحدثه بن ساعي في شخصية (مالك بن نبي)، فإن كتابات هذا الأخير هي التي أرّخت للمرحلة الباريسيّة من حياة بن ساعي، خاصّة وأنّه كانت لهما تجربة مهمة في جمعية طلبة أفريقيا الشّمالية المسلمين). لقد أصبح حمودة بن ساعي مُحَاضِرا مميّزا. ومن المحاضرات التي تركت صدى لدى المستمعين وأبانت على قدراته العلميّة، محاضرة ألقاها بجمعية (الطّلبة الوحدويّين)، عنوانها: (القرآن والسّياسة)، وذلك خلال صائفة 1932.

يبدو أنّ المرحلة الأولى من تواجده بفرنسا كانت مثمرة جدّا بالنّسبة لبن ساعي، فلم يمض وقت طويل حتى أثبت اندماجه في المنظومة الثّقافيّة الفرنسيّة خاصّة بين الطّلبة المهاجرين، فقد أصبح أحد الوجوه الثّقافيّة المعروفة في الأوساط الطّلابيّة والثّقافيّة. غير أنّ هذه الدّيناميكيّة لم تستمر بنفس الوتيرة، حيث تعرض للتّضييق ممّا جعله يضطرّ للتّخلي عن دراسته والعودة إلى أرض الوطن، لكنّنا حقيقة لا نعرف نوع ومدى هذا التّضييق، فالغريب في الأمر أن بن ساعي كان يدرك تماما أن الظّروف في الجزائر المُستعمَرة أصعب بكثير مما هو عليه الحال في فرنسا، فهل العودة إلى الجزائر كانت إعلانا مسبقا بتخلّيه عن مشروعه الفكري والإصلاحي الذي كان قد بدأ التّأسيس له؟.

كان هناك تقارب فكري بين كل من بن ساعي وبن نبي في نظرتهما لواقع العالم الإسلامي، وقد قام حمودة بن ساعي بإقناع صديقه (مالك بن نبي) بضرورة التّوجه نحو الدّراسات الإسلاميّة. حيث يعترف بذلك في قوله: "أُدين لحمودة بن ساعي باتّجاهي ككاتب متخصّص في شؤون العالم الإسلامي". يؤكّد مالك بن نبي في أحد معارض الاعتراف، تأثّره ببن ساعي في دراسة التّاريخ الإسلامي، فتقسيم المراحل التّاريخيّة الإسلاميّة بالاعتماد على موقعة صفّين استمدها من فكرة حمودة بن ساعي. كما أنّه أثنى على شراكته الفكريّة، حيث يقول: "كان الوحيد من جيلي الجزائري، الذي أستطيع العمل الفكري معه لأنّ شيطان المعرفة قد استولى عليه منذ صباه".

رغم أنّ الفارق العمري بينهما لا يتجاوز ثلاث (03) سنوات، إلّا أنّ الآفاق المعرفيّة التي فتحتها اللقاءات التي جمعت الرّجلين، جعلت مالك بن نبي يصف بن ساعي ب(معلمي)، خاصّة وأنّه دفعه لكتابة أوّل مقالة له بعنوان: (خطاب مفتوح للضّمير العالمي)، كمّا شجّعه على إلقاء محاضرة في أحد اللقاءات العلميّة بباريس.

كان بن ساعي في بداية مشواره الدّراسي بفرنسا على علاقة جيد ة بأستاذه (ماسينيون)، الذي كان معجبا بطالبه. وهو

مـا جعله يهتمّ لأمره، لكن هذه العلاقة بدأت تتغيّر، لكن (صادق سـلام) يـرى أنّ حمودة بن سـاعي تمكّن من التّأثير لاحقا على توجّه المستشـرق الفرنسـي (ماسـينيون)، الـذي بـدأت أفكاره تتغيّر بعد مجازر 08 ماي 1945 بالجزائر، حيث كان لرسـالة بن سـاعي وقع خاص على نفسـية (ماسينيون) الذي اعترف بذلك خلال إحـدى محاضراته، والظّاهر أنّ أحداث الثّامن ماي ورسالة حمودة بن ساعي كان لهمـا الأثـر البالغ في تغيير (ماسـينيون) للهجته تجاه السّياسة الاستعماريّة، حيث تنبّأ بعد هذه الأحداث بمصير سـيّء للاسـتعمار الفرنسي في الجزائر.

وتنبغي الإشـارة إلـى أنّ جمعيّـة العلماء المسـلمين الجزائريّيـن حاولـت اسـتمالة حمـودة بـن سـاعي واسـتقطابه، فقـد تلقّى رسـالة من ابن باديس يدعوه إلـى الانخراط فـي جمعيّـة العلمـاء، ويأتـي إصـرار (ابـن باديـس) عليـه لأنّـه كان يعتبـره مـن خيـرة الشّباب الذين درسوا بفرنسا. لكن بن ساعي لم يكـن متحمّسـا لفكرة الانخـراط في هذه الجمعيّة، مؤكّدا في المقابل أنّه سـيبقى وفيّا للغاية التي أُسِّسَتْ من أجلها.

موقـف حمـودة بن سـاعي لـم يمنعه من خدمـة المشـروع الإصلاحـي الـذي تبنّتـه الجمعيّـة، فقـد كان يقوم رفقـة مالك بن نبي وبعـض الطّلبـة فـي باريـس بتوزيع مناشـير جمعيـة العلمـاء التـي تتضمّـن احتجاجـا علـى التّضييق الاسـتعماري على أنشـطتها، فيوصلونهـا إلـى صناديـق البريـد الخاصّـة بالصّحافيّيـن والنّـواب وأعضـاء مجلـس الشّيوخ والشّخصيّات الفاعلة.

رغـم مواقفـه المختلفة مـن الجمعيّة، إلاّ أنّ بن سـاعي يبدو من خلال كتاباته متعاطفا مع رئيسـها (عبد الحميد بـن باديس)، الذي يكـنّ له احترامـا كبيرا، حيث يعـود في كتابه "Au service de ma foi" للذّكريـات التـي جمعتهمـا، فيذكـر كيـف أصبـح يتغيّب عن دروس الشّـيخ ابن العابد بالزّاوية السّنوسـيّة مـن أجـل حضـور درس عبـد الحميـد بـن باديس، كما كان يواظب على مطالعة جرائده كالمنتقد والشّهاب.

بعد استقلال الجزائر سنة 1962 لم يستعدّ بـن سـاعي نشـاطه الفكـري، حيـث اكتفـى بالعمل ككاتب عمومي، وعاش أيّامه الأخير ملتزمـا بيته، إلى أن توفّى في ربيع 1998. لقد توفّي في صمت رهيب، وترك عدّة مؤلّفات، منها:

- (في خدمة الجزائر)؛
- (كتابات حول ذكريّات الشّباب)؛
- (مذكّرات رجل عانى الكثير)؛
- "Au service de ma fo" (فـي سـبيل عقيدتي).

ناهيك عـن بعض المقالات التي نشـرها فـي مناسـبات مختلفـة، تتنـاول مواضيـع تدخل ضمـن اهتماماته المعرفيّـة. وبالعودة إلـى مواضيع كتاباته المنشـورة والمخطوطة يتبيّـن أنّ صاحـب القلم المـزدوج (عربي/ فرنسـي) مثقّف صاحب قضيّـة، حيث كتب عن الجزائر، الاستعمار، السّياسة...

محمّد بن ساعو

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمد ابن محرز الوهراني
(ت: 575هـ - 1179م)

أبـو عبد اللـه محمّد بـن محرز بـن محمّد الوهراني، الملقّب (ركن الدّين)، وقيل (جمال الدّين)، يُنسـب إلى مسـقط رأسـه (وهْـرَانَ)، مدينـة تقع فـي غـرب الجزائـر، وقـد وصفها محمّـد الزيّانـي بإنّهـا: "عظيمةُ ذاتُ مسـاحةٍ وفخامةٍ جسيمةٍ وبساتينَ وأشجارٍ، ومياه عذبة وأطيـار... مقصودة للعلمـاء والتّجار وسـائر أرباب البضائع، لها صيتٌ بالمشرق والمغرب وسـائر الآفـاق". وفـي بعـض الأحيـان كان ابن محرز ينعتُ نفسَـه بـ(الـمغربي)؛ بحكم المنطقة التي ينتمي إليها؛ وهي القطر المغربي ككل، وهذا ما كان شائعا إلى زمانّه.

وقد أشاد المترجمون بشـخصيته وأدبيته، حيث وصفه ابن خلكان (ت: 681هـ1282-م) بأنّه "أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده إلى الدّيار المصريّة في أيام السّلطان صلاح الدّين (رحمه الله تعالى)، وفنّه الذي يمتّ به صناعة الإنشـاء، فلما دخـل البـلاد ورأى أنّ القاضي الفاضـل (ت: 596هـ1199-م) وعمـاد الدّين الأصفهانـي الكاتب (ت: 579هـ - 1183م)، وتلـك الحلبـة علـم مـن نفسـه إنّـه ليـس من طبقتهم ولا تنفق سـلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد وسـلك طريـق الهزل، وعمل المنامات والرّسـائل المشـهورة به والمنسوبة إليه".

ولـم تشـر المصـادر إلى تاريـخ ميلاد ابن محـرز، ولكـن الأرجـح إنّـه وُلـد مـع بدايّة القـرن السّـادس الهجري، حيث شـهد عهد سـقوط الدّولة المرابطيّة التي أسّسها يوسف بـن تاشـفين، وقيـام الدّولـة الموحديّـة التي امتدت إلى سائر دول المغرب العربي وشطر مـن الأندلـس. وهذا ما يشـير إليـه الوهراني حينمـا سُـئل عـن ملـك المرابطيـن، ثم عن الموحدِّيـن، ثـم عن دولـة صقليـة وغيرها؛ حيث قال: "خمدت نارهم، وبادت آثارهم، واسـودّ ناديهـم، وملكتهـم أعايدهم...قال: فمـا تقول في عبـد المؤمن وأوّلاده وسـيرته في بلاده؟ فقلت: مؤيّد من السّـماء، مسـلط علـى مـن فـوق المـاء. خضعـت لـه ذوو التّيجان، وخدمه الإنس والجان... قال: فما تقول في دولة كافر صقليّة وسـيرته في الأيام المتوليّة؟ فقلت له: إنّه لما انقرض طاغوتها،

وهلك جالوتها، تناثر سِلكها، وتدابر مُلكها، فصاروا يمدّونه بالهدايا والبراطيل بعد الجيوش والأساطيل".

وقد أكّد أكثر المترجمين أنّ ابن محرز نشأ بوهران، وذكروا إنّه حفظ القرآن الكريم، ودرس وتعلّم العلوم والمعارف العربيّة والإسلاميّة الدّينيّة واللغويّة والأدبيّة، ولكن لم يذكروا إن كان قد اكتفى بما تلقّاه بوهران وشيوخها، أم تنقّل إلى حواضر المغرب الإسلامي، ولم يشيروا إلى نشاطه العلمي في هذه الحاضرة. ومع ذلك فقد تنوّعت ثقافته وتعددت؛ وهذا ما يقرّه عن نفسه قائلاً: "أما البلاد فقد قلبت جنوبها، وكشفت عيوبها، وأما الملوك فقد لقيت كبارها وحفظت أخبارها، فأي الدّول تجهل وعن أيها تسأل؟".

وقد تمظهرت هذه الثّقافة بقوة في مقاماته ورسائله ومناماته، حيث قدّم فيها معارف تاريخيّة وسياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة دقيقة وغزيرة، كمشهد حيّ عن حال زمانه؛ إذ تحدّث عن بعض حواضر المغرب الإسلامي، وعن دولة الفاطميين والمرابطين والموحدين والأيوبيين والعبّاسيين، وعن مدن بارزة زارها واستقرّ فيها بعض الوقت؛ كصقليّة ومصر والعراق ثم الشّام، كما كتب عن أعلام وشخصيات مهمّة في الدّين والأدب والسّياسة والفلسفة وغير ذلك، كعبد المؤمن بن علي وصلاح الدّين الأيوبي والأمير أسد الدّين شيركوه وأبي الوليد القرطبي وغيرهم كثير.

يظهر أنّ ابن محرز الوهراني لم يستسغ العيش في وهران، فارتحل إلى غيرها من المدن البارزة علميا وثقافيا وسياسيا آنذاك، حيث حلّ بالقيروان وعانى فيها أيضا؛ إذ يقول في رسالة إلى أمّه، "فإنّي ما أفلحت عندك ولا ها هنا، دخلت القيروان بكرة، واشتهيت أخذ الولايّة ضحوةً، وأتزوّج بنت السّلطان عشيّة، فلم تساعدني المقادير، فرجعت إلى سوق البز أبيع وأشتري، أبيع ثيابي وأشتري الخبز إلى أن نفدت البضاعة". حيث يفصح ههنا عن رغبته وطموحه في العيش ضمن الطّبقة الحاكمة بما يضمن له النّفوذ والتّكسّب.

وقد ارتحل ابن محرز أيضا إلى "صقليّة"، ومكث فيها فترة من الزّمن، ولكن ما إن لاحظ عدم استقرّارها وهدوئها حتى غادرها أيضا؛ إذ صرّح عنها في إحدى مقاماته في حوار له مع الشّيخ أبي المعالي، قائلا: "فما يقول في الدّولة الصّقليّة؟ فقلت: دَمٌ مَطلولٌ، وصَارمٌ مفلُولٌ، ودَولةٌ مَائلةٌ، وسَعَادةٌ زائلةٌ، هلك طالوتها فاختلّت، وانقرض جالوتها فاعتلّت، وصاروا يمسكونها باللطف والمداراة، بعد العنت والممارة، وبالهدايا والبراطيل، بعد الجيوش والأساطيل، وبالدّعاء في المحافل بعد الكتائب والجحافل"

وقد دفع طموح ابن محرز الوهراني للمعالي والتّميّز إلى الارتحال إلى القاهرة من أجل نيل الحظوة والاهتمام، فتقرّب من الحكام والأمراء من أجل العمل في ديوان الإنشاء والكتابة، نظراً لكفاءته اللغويّة والبلاغيّة والثّقافيّة الرّاقيّة والمتميزة، ولكنّه لم يستطع مقارعة فطاحل الكتاب والبلغاء الذين فازوا بذلك؛ أمثال القاضي الفاضل، والعماد الأصفهاني الكاتب، حيث أدرك إنّه لا يتوافق معهم، كما أنّ الأمور السّياسيّة تحول دون مضاهاته لهم، وكلّ ذلك كان حافزا لأن يتميّز أكثر، ويشتهر في النّاس. واستطاع أن يحقّق ذلك من خلال كتابة المنامات والمقامات والرّسائل والتّعريضات بأسلوب متميّز قائم على السّخريّة والهزل والتّعميّة والإيحاء.

ثم ارتحل ابن محرز الوهراني إلى بغداد، وانتهى به التّرحال إلى الشّام حيث استقرّ في (داريا)؛ وهي أكبر مدن الغوطة الغربيّة في محافظة ريف دمشق بسوريا، إنّها مدينة عريقة تعود إلى ما قبل الميلاد، وكلمة (داريا) مشتقة من (دار)، وهي لفظة سريانيّة تعني البيوت الكبيرة.

تولى ابن محرز الوهراني الخطّابة في جامع (درايا) إلى أن توفّي بها -رحمه الله- سنة (575هـ - 1179م)، ودُفن على باب تربة الصّوفي المشهور الشّيخ أبي سليمان الدّاراني (ت: 215هـ - 830م).

وابن محرز عالم وأديب فذّ، تُترجم ذلك وظائفه وأعماله وآثاره في الأدب والفقه والفلسفة والعلوم الشّرعيّة، كما تُظهر كتاباته إنّه كان مُلِمّاً بمعظمِ علومِ زمانه؛ كالطّبِّ والرّياضيات والفلك. ويقرّ الكثير من الدّارسين والمترجمين بأدبيّة ابن محرز الوهراني، وبراعته في الكتابة النّثريّة التي لا تقل قيمة عمّا اشتهر في أقلام عيون النّثر العربي، مثل بديع الزّمان الهمذاني (ت: 398هـ - 1007م)، وأبي العلاء المعري (ت: 449هـ - 1057م)، وأبي محمّد القاسم الحريري (ت: 516هـ - 1122م) وغيرهم، فقد تمكّن من كتابة مقامات ورسائل ومنامات تضاهي ما كتبه هؤلاء الأدباء في هذه الفنّون النّثريّة، كما استطاع أن يفترع طريقاً جديداً في الكتابةً، وبأسلوبٍ قائمٍ على السّخريّة والتّهكّم، يقول فيه ابن فضل الله العمري (ت: 749هـ - 1348م): "أديبٌ اخترع طريقاً، وافترعَ عذراء لم تكن رحيقاً، طلعت شمسه من المغرب، ولم يغلق للرحمة باب، ولا كانت من مقدّمات النّذر للألباب، وقَدِم والدّولة الصّلاحيّة قد استعلت، ويد تصرفها على البلاد قد استولت... وكان الوهراني لوذيعا، تحميه لألاؤه، وألمعيا تُريه البصيرة آراؤه، فخاف نفثات ذلك الصّلّ، وعبثات ذلك السّيف الذي لا يكلّ، فمال إلى السّخف؛ إذ كلن لا يُحسد على تلببه، ولا يُنافس في تردية وتجلببه، وجعل هذا سبباً لإظهار ما عنده من الإحسان، وتكلّم ولم يخف عثرة القلم، ولا زلّة اللسان، فرفرف عليه جانب من الحنوّ الفاضلي، ورقّ عليه كما يرقّ عتيق البابلي، وهنيت له نغبةٌ من العيش قدر عليه رزقها، وقرر له رفقها، وولي خطّابة المسجد الجامع بداريا، وقيل له الآن (أنت وحيّ ليلى ودار ريّا)، وكان إلى هذا ليس له من خاطر الدّين ما يزعَهُ، ولا من حاظر العقل ما ينزعه، فردّاه سوء التّجرّي فرداه من شاهقه، وألقاه عدم التّحري لقًى لبوائقه".

وقد خلّف ابن محرز الوهراني كتابات أدبيّة نثريّة متنوّعة في شكل مقامات ومنامات ورسائل وخطب، وهي تحمل عناوين مختلفة أحيانا.

وفي الواقع تحقّقت أدبيّة كتابات الوهراني وتفرّدت من بلاغته الإبداعيّة المميّزة، وثقافته الواسعة والثّريّة، غذّتها رحلاته وإقاماته التي تنوّعت بين صقليّة والقيروان وبغداد ومصر

والشّام وغيرها من المدن التي زارها، مكّنته من الاطّلاع الواسع على الحياة الثّقافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والمذهبيّة التي عرفتها المجتمعات التي قصدها وعاش فيها، بالإضافة إلى معرفته بالأعلام والشّخصيات والحاشيّة التي كانت تحيط بالأمراء والسّلاطين، وبالحياة العامّة للناس العاديين. وهذا ما تُفصح عنه على سبيل المثال لا الحصر "المقامة البغداديّة"؛ إذ يقول في سياق مدحه لعضد الدّين وزير الخليفة عبد المؤمن بن علي الأيوبي: "إذاً والله كُنت أشكره شكر الرّوض للماء، وأثني عليه من الأرض إلى السّماء، لاسيما أن أخذ لي من الخليفة خلعة منيفة أستضيء باقتباسها، وأتبرّك بلباسها، أنشرها على منارة الإسكندريّة، وأجلوها على منابر ألمريّة، وأكبتُ بها الأقران في وهران، وأطلق بشكره اللسان في تلمسان، وأدعو له في مدينة فاس على عداد الأنفاس، وأثني عليه في أغمات إلى وقت الممات". وبهذا فقد أغنت تلك الرّحلات كتابات ابن محرز، دفعته إلى توظيف مشاهداته والإشادة بذكرياته، في بعد فني وجمالي خاص.

وقد شكّلت كل هذه المعارف لدى ابن محرز الوهراني أنساقاً ثقافيّة غزيرةً، مكّنته من معالجة الكثير من الآفات الاجتماعيّة والفكريّة والسّياسيّة التي شاعت في عصره، بأسلوب أدبي قائم على النّقد السّاخر واللاذع لبعض الشّخصيات التي لم تؤدِّ وظائفها بصدقٍ وأمانةٍ؛ حيث كشف في كتاباته عمّا كان يجري في أوساط بعض المحسوبين على الدّين من اختلاس الأموال، والتّلاعب بموارد الأوقاف، وادّعاء البعض بأنّهم من آل البيت وشرف النّسب. كما عَنَّفَ بعض أطبّاء عصرِه، واتّهمهم بالجهل وقتل المرضى عِوَضَ معالجتهم. كما أشار إلى تواكل بعض المتصوّفة؛ فهم مثل الخَرْوَعِ في البستان يشرب الماء ويضايق المكان. كما تناول الكثير من الآفات الاجتماعيّة التي شاعت على عهده؛ كالرّشوة واغتصاب المال العام وجلسات المجون التي كان يشارك فيها القضاة والأمراء والتّجّار، ثم إنّ ابن محرز سخر من الفساد الذي شاع في زمانه بين النّاس، فكتب عنه بقلمٍ لاذعٍ قائمٍ على الإنكار والسّخريّة.

وقد كتب ابن محرز الوهراني رسائل متنوّعة ومتفرّدة في موضوعاتها وبلاغتها وأدبيتها؛ إذ كتبها على لسان الحيوان والجماد وشخصيات حقيقيّة ووهميّة، أهمها الرّسالة التي كتبها على لسان بغلته إلى الأمير عز الدّين موسك (خال صلاح الدّين الأيوبي) قائلا: "الـمَمْلُوكَةُ ريحانة بغلةُ الوهراني، تقبّل الأرض بين يدي المولى عز الدّين حسام أمير المؤمنين، نجّاه الله من حرّ السّعير، وعظّم بذكره قوافل العِير ورزقه من القرط والتّبن والشّعير ما وسق مائة ألف بعير، واستجاب فيه صالح أدعيّة الجم الغفير من الخيل والبغال والحمير، وتنهي إليه ما تقاسيه من مواصلة الصّيّام وسوء القيام، والتّعب بالليل والدّواب نيام...".

وهنا نقف على أدبيّة ابن محرز وأسلوبه القائم على الدّعابة والتّهكّم والسّخريّة في التّعبير؛ إذ تُشكو بغلته حالها الذي التّ إليه، حيث تقاسي وتعاني من مالكها في الصّيام المتواصل وسوء القيّام، وقلّة الشّعير رغم ما يملك سيّدها من مال ورزق كثير.

ونجده يسلك الأسلوب نفسه في الرّسالة التي كتبها على لسان جامع دمشق، يتحدّث فيها على أحوال مساجد دمشق باعتبارها منارات للعلم والدّين، ومدافن الأنبياء والمرسلين "عليهم السّلام"، وبيت الأتقياء والصّالحين، وملجأ الفقراء والمساكين، ومأوى الغرباء والمقلّين، فتلجأ إلى أميرها جامع الأمويين لتشكو ما مسّها من نهب الوقوف، وخراب الحيطان والسّقوف، فقد ألفهم الظلم والظلام، وأنكرهم المؤذن والإمام، فلا تسمع لهم حسيساً، ولا ترى فيهم أنيساً، إلا آذان البوم وتسبيح الغيوم، وقد ركعت حيطانها، وسجدت سقوفها وأركانها. فقد جاءت إلى أميرها شاكيّة حالها، طالبة العون والرّأفة لما حلّ بها من هجران وخراب.

وقد نالتّ شخصيّة ابن محرز الوهراني شهرة عالميّة؛ إذ ترجم له الكثير من مؤرّخي أعلام الفكر والأدب العربي؛ منهم ابن خلكان في "وفيات الأعيان"، 4/ 385. وأبو فلاح الحنبلي في شذرات الذهب 4/ 252، والصّفدي في "الوافي بالوفيات" 4/ 386، وابن عودة المزاري صاحب طلع سعد السّعود 1/ 95، عبر الذهبي 4/ 225، وخير الدّين الزّركلي في "الأعلام" 7/ 19، وأبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثّقافي، 2/ 208، ويحيى بوعزيز في "أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة"، 2/ 183، وغيرهم كثير.

عبد الحليم بن عيسى

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد أبو راس بن أحمد بن ناصر المعسكري الجزائريّ (1165هـ - 1751م/1238هـ - 1823م)

محمّد أبو راس بن أحمد بن ناصر المعسكري الجزائريّ علاّمة ومحقّق في العلوم الإسلاميّة وحافظ للحديث النّبوي. وُلِد بمعسكر في 8 صفر 1165هـ/ 27 ديسمبر 1751م، وتوفي في 15 شعبان 1238هـ/ 27 أفريل 1823م، ودُفن بمعسكر. كتب عنه بعض الباحثين وقال عنه عبد الحقّ زريوخ: "هو أبو راس أحمد بن ناصر الرّاشدي العلامة المحقّق والبحر الجامع المتدفق اللافظ بل هو ليث الدّين أوثق أساس وأضوأ نبراس الإمام القدوة المتفنن» ولد بنواحي معسكر في يوم 8 صفر 1165 هـ الموافق 27 ديسمبر 1751م وتوفى رحمة الله عليه في يوم 15 شعبان 1238 هـ الموافق 27 أفريل 1823م

ودفن بمعسكر. وقال الشّيخ بن حنيفة العابدين المعسكري: "إنّ ولادته كانت سنة 1150هـ ويعتمد في هذا القول على كتاب يُعزى أنه قد أُلّف بعده بوقت قصير وهو (القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم والكتب بالمغربين الأقصى والأوسط). وقالتّ الأستاذة سميرة أنساعد: "إذ كان مولده سنة 1150 هـ/ 1757م قرب جبل كرسوط بالغرب الجزائري ثم نشأ وعاش فقيراً، توفيت أمه ثم أبوه فكفله بعدهما أخوه الأكبر الذي سافر إلى معسكر وهناك حفظ أبي راس النّاصري القرآن الكريم وتعلّم الأحكام ثم الفقه فكان له أن درس منذ صغره في مازونة كتاب مختصر خليل المغربي، واشتهر بذلك ثم تولّى القضاء في قرية غريس قرب معسكر، ثم رجع إليها أي معسكر ليزاول التّعليم مدة ست وثلاثين سنة متتالية". ويبدو لي أنّ هذا الاختلاف مصدره المصادر التي عاد إليها الباحثون. ولكن لدينا مصدر أقدم، وهو (الحفناوي) الذي قال عنه في كتابه (تعريف الخلف برجال السّلف): "العلاّمة المحقّق الحافظ البحر الجامع المتدفّق اللافظ من هو ليث الدّين، أوثق أساس وأضوأ نبراس. الإمام القدوة المتفنن سيد ي محمّد أبو راس بن أحمد بن ناصر الرّاشدي النّاصري كان رحمه الله ورضي عنه إماماً في المعقول والمنقول، وإليه يرجع في الفروع والأصول. ورحل في طلب العلم واكتساب المعارف، وافى الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس، وأخذ عنهم التّالد والطّارف، ودرس وأفاد ورفع منار العلم وأشاد. وكان يدعى في زمانه الحافظ لقوّة حفظه وتمكّنه متى شاء من استحضار مسائله حتى كأنّ العلوم كتبت بين عينيه وله تآليف مفيد ة بديعة سارت بها لعزّتها الرّكبان، واشتدت إليها لنفاستها رغبة القاصي والدّان؛ فمنها رحلته التي ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب، وذكر من لقي فيها من الأعيان وجرت فيه المذاكرة بينهم وما يتنزّه الطّرف فيه ويتعجّب، ومنها حاشيته على الخرشي مع الزّرقاني وحاشيته على السّعد، وحاشيته على المكودي، وشرح مقامات الحريرية، وشرح الشّمقمقية، وشرح حلله السّندسية، وكتاب التّأسيس، وكتاب درء الشّقاوة، وغير ذلك...".

تعلّم أبو راس النّاصري على والدّه، فحفظ القرآن الكريم، وأكمل متعلّقاته الشّيخ منصور الضّرير، كما درس على علماء زمانه من مثل: محمّد بن مولاي بن سحنون، والشّيخ عبد القادر المشرفي، والشّيخ علي بن الشّنين. كما درس في (مازونة) على كبار علمائها من مثل: الشّيخ عبد الرّحمن التّادلي (من علماء المغرب)، الشّيخ أحمد بن عبد الله السّوسي (من علماء تونس، الشّيخ أحمد بن عمّار الجزائري (صاحب الرّحلة الشّهيرة) وهو من فقهاء (مدينة الجزائر) وشعرائها.

الأعمال الخيريّة لأبي راس النّاصري:

إنّ محاسن الشّيخ لا تحصى، وما سجّل عليه أنّه أسّس مدرسة عرفت باسمين: المدرسة المحمّديّة/ مكتبة المذاهب الأربعة، وهي فكرة مستوحاة من رحلاته الكثيرة التي مسّت الوطن، وامتدّت إلى أمصار العالم العربيّ والإسلاميّ وأكسبته الرّحلات التّوسّع في العلوم، والدّراية بثقافات وأفكار الكثير من الشّعوب، وممّا قال عنه (عبد الحقّ زريوخ: "...ثمّ ركب البحر إلى مصر، ولقي بها أهل العلم والأدب، منهم الشّيخ مرتضى الذي روى عنه أوائل الصّحيحين، ورسالة القشيري في التّصوّف، ومختصر العين، ومختصر الكنز الرّاقي، كما لقي الشّيخ عصمان الحنبلي الذي قرأ عليه المذهب الحنبلي... ثمّ رحل إلى مكّة، واجتمع بعلمائها وفقهائها، كالعلامة عبد الملك الحنفي المفتي الشّامي القلعي (ت 1229هـ) الذي أخذ عنه بعضاً من الحديث، ونبذة من الكنز، وشيئاً من التّفسير ومثل مفتي الشّافعيّة عبد الغني، ومفتي المالكية الحسين المغربي الذي جالسه طويلاً، كما اجتمع، بمكّة، بالشّيخ العارف المشارك عبد الرّحمن التّادلي المغربي، وقرأ عليه شرح العارف بالله ابن عبّاد على الحكم، ثمّ طوّف بالمدينة المشرّفة، وكان له بها مناظرات وأبحاث مع علمائها، ويبدو أنّ هذه الرّحلة كانت رحلة روحيّة، لأنّ أبا راس وجد الفرصة في زيارة ضريح المصطفىﷺ، وضريحي صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقبور الصّحابة بالبقيع...». ويقول في موضع آخر...»... لم تكن حياته تخلو من المغامرة والدّسائس؛ حيث رمي من قبل خصومه الحاسدين بالمشاركة في ثورة درقاوة ضدّ الأتراك 1217 هـ/ 1802م وخاصّة وأنّه كان مقرباً من الحاكم التّركي حينها، مما جعله يهرب إلى الجبال، حتى انطفئت نار الغضب، فعاد إلى معسكر، وألف كتاباً بعنوان (درء الشّقاوة في حرب درقاوة).

مات الشّيخ، وترك الصّدقة الجارية ممثّلة في تلاميذه النّيرين من مثل: محمّد بن علي السّنوسي والأمير عبد القادر. كما ترك مؤلّفات كثيرة مسّت القرآن، الحديث، الفقه، النّحو، التّاريخ، المذاهب، اللغة، المنطق، الأصول، البلاغة والعروض، التّصوّف، مجموعات من الشّروح. ولا يمكن الإتيان عليها لكثرتها. ويمكن الإشارة إلى بعضها من مثل: مجمع البحرين، ومطلع البدرين، بفتح الجليل، للعبد الذّليل، في التّيسير إلى علم التّفسير. ثلاثة أجزاء، السّيف المنتضى، فيما رويت بأسان يد الشّيخ مرتضى، المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك، الدّرّة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة، رحمة الأمّة في اختلاف الائمّة، التّشوّف إلى مذهب التّصوّف، الوسائل إلى معرفة القبائل، رفع القابوس على كتاب القاموس، القول المسلم في شرح السّلم، نيل الأماني على مختصر سعد الدّين التّفتازاني، شرح مشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، شرح المقامات..

مات الشّيخ وترك الكتب النّفيسة التي أضحت مصادر للباحثين المعاصرين،

ونجد من تصدّى لهذا الكنز بالتّقديم والشّرح والتحقيق، وينبري الباحثون في الكتابة عنه كتابة علميّة موضوعيّة تبيّن خصاله العلميّة. كما نجد بعض المكتبات العموميّة تقيم له محاضرات يدعى المختصّون للحديث عن علم الشّيخ، كما تقام ملتقيات تكشف النّقاب عن تلك الفتوحات العلميّة التي سجّلتها مؤلّفات، وتلك الرّيادة العلميّة الدّقيقة في مختلف المجالات. وينذر أن تجد مثل هذا العالم الذي وهب نفسه لتأسيس مكتبة من مؤلّفاته. وبذا يعدّ من الموسوعيين الجزائريين الذين أغنوا المكتبة العربيّة في الوقت الذي خيّمت على الجزائر صورة الرّجل المريض الذي بقي مريضاً لم يتعافَ، ولم يترك النّاس تبدع لتتعافَ.

صالح بلعيد

محمّد أركون
(1347هـ - 1928م/1424هـ - 2010م)

محمّد أركون من مواليد أوّل فيفري 1928، ببلديّة ثاوريرث ميمون، بآث يني، بتيزي-وزو، وعاش حياته الأوّلى في قريته، ثمّ نقله والده التّاجر إلى (عين الأربعاء) بولايّة عين- تيموشنت وفيها درس العربيّة والفرنسيّة، ومن ثمّ انتقل إلى وهران سنة 1941م، وفيها درس على الآباء البيض. ويدخل جامعة الجزائر سنة 1950م وينال ديبلومات في الأدب والعربيّ وفي الفلسفة وفي الجغرافيّة، ثمّ يُبعث إلى فرنسا ليعدّ شهادة التّبريز في اللغة والآداب العربيّة عن فكر المؤرّخ والفيلسوف ابن مسكويه. تميّز (محمّد أركون) بفكر ثاقب، أكسبه السّيطرة على حضارات الشّرق والغرب، فأصبح مفكّراً وباحثاً في الإسلاميات، إلى جانب البحوث في الاستشراق وفي التّاريخ العامّ الذي أحكم فيه صنعة البحث. وكانت معظم أبحاثه تدور حول نقد العقل، وبخاصّة العقل الإسلاميّ الذي يرى إنّه بحاجة إلى رجّة توقظه من السّبات. وملخصها الانتقال من الدّعوة النّظريّة لتجديد تراثنا إلى البعد العمليّ لهذه الدّعوة التّجديديّة، والنّظر إلى القرآن والكتب السّابقة على مستوى واحد في المعالجة النّصيّة، ويضع القرآن مع الأناجيل في مستوى واحد من الثّبوت والدّراسة، ويرى أهميّة النّقد والتّجديد، وكلّ هذا يحتاج إلى منهج غربيّ يعتمده لقراءة التّراث قراءة موضوعيّة في



مشروع عنوانه نقد العقل الإسلاميّ. إنّه مشروع تاريخيّ وأنثروبولوجيّ في آن معاً، مشروع يتضمّن دمج العمليّة النّقديّة للفكر الدّينيّ

الإسلاميّ في عمليّة نقديّة أكثر عموميّة للفكر الدّينيّ على العموم، وهذا ضمن مجموعة عمل باريس، شكّلها من: الأب كلود جيفري، فرانسوتاز سميث فلورنتان، جان لامبير، وهذا ضمن مجموعة سابقة أسّسها الباحث (ر. كاسبار) في البحوث الإسلاميّة المسيحيّة.

لقد تميّزت مسيرته الأكاديميّة بأن يُعيّن في جامعة السّوربون أستاذاً لتاريخ الفكر الإسلاميّ والفلسفة، بعد حصوله على الدّكتوراه، واشتغل مع مجموعات عمل في كلّ من برلين، ونال منصب عضو في مجلس إدارة معهد الدّراسات الإسلاميّة في لندن، كما تحصّل على مجموعة من الشّهادات الشّرفيّة وعلى الأوسمة العالميّة، ورئاسة اللجان العالميّة، وحاضر في مختلف كراسي الثّقافات، وقد أدار مجلّة Arabica منذ 1980... وكان يداوم على حضور ملتقيات الفكر الإسلاميّ التي تقام في بلده، وفي 14 سبتمبر 2010م، يتوفّى ويدفن في مقبرة الشّهداء في الرّباط بالمملكة المغربيّة.

كتب المفكّر (أركون) بالفرنسيّة والإنكليزيّة، وإليكم ما قمّشناه في هذا المجال:

بالفرنسيّة:

- Epîtres de Miskawayh, édition critique, B.E.O, Damas, 1961
- Essais sur la pensée islamique, 1e éd. Maison neuve & Larouse, Paris 1973
- L'humanisme arabe 4e au 10e siècle, J.Vrin, 2°éd. 1982
- Lectures du Coran, 1e éd. Paris 1982.
- Pour une critique de la Raison islamique, Paris 1984
- Religion et laïcité: Une approche laïque de l'islam, L'Arbrelle 1989
- La Pensée arabe, 1e éd. P.U.F., Paris 1975; 6e éd. 2002
- Combats pour l'Humanisme en contextes islamiques Paris 2002
- De Manhattan à Bagdad: Au-delà du Bien et du Mal, Paris 2003

بالإنكليزيّة

- Arab Thought éd. S.Chand New-Delhi 1988;
- Rethinking Islam: Common questions Uncommon answers 1994.

- The concept of Revelation: from Ahl al-Kitâb to the Societies of the Book-1988.
- The Unthought in Contemporary Islamic Thought‡ London 2002.

وأما التي تُرجمت إلى العربيّة، فهي:

- الفكر العربيّ.
- الإسلام: أصالة وممارسة.
- تاريخيّة الفكر العربيّ الإسلاميّ/ نقد العقل الإسلاميّ.
- الفكر الإسلاميّ: قراءة علميّة.
- الإسلام: الأخلاق والسّياسة.
- الفكر الإسلاميّ: نقد واجتهاد.
- العلمنة والدّين: الإسلام، المسيحيّة، الغرب.
- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلاميّ.
- من فيصل التّفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلاميّ المعاصر؟.
- الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة.
- نزعة الأنسنة في الفكر العربيّ.
- قضايا في نقد العقل الدّيني/ كيف نفهم الإسلام اليوم؟.
- معارك من أجل الأنسنة في السّياقات الإسلاميّة.
- القرآن من التّفسير الموروث إلى تحليل الخطّاب الدّينيّ.

- الفكر العربيّ.
- تاريخيّة الفكر العربيّ الإسلاميّ/ نقد العقل الإسلاميّ.
- الفكر الإسلاميّ: قراءة علميّة.
- الإسلام: الأخلاق والسّياسة.
- الفكر الإسلاميّ: نقد واجتهاد.
- العلمنة والدّين: الإسلام، المسيحيّة، الغرب.
- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلاميّ.
- من فيصل التّفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلاميّ المعاصر؟.
- الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة.
- نزعة الأنسنة في الفكر العربيّ.
- قضايا في نقد العقل الدّيني/ كيف نفهم الإسلام اليوم؟.
- القرآن من التّفسير الموروث إلى تحليل الخطّاب الدّينيّ.

إنّ (محمّد أركون) يتوجّه بخطّاب معاصر متّخذاً وسائل حديثة لفهم الإسلام فَهْماً يتمشّى مع إعجازه (صالح لكلّ زمان ومكان) ولهذا يرى ضرورة بناء مفاهيم جديدة بالاحتكاك بالغرب، وإشراكهم في مسائل المعرفة والقيادة؛ لأنّ تاريخ المعرفة قابل للتّطوير والشّمول، واعتبار المعرفة الإسلاميّة قابلة للدّراسة والنّقاش، وضرورة المجاهرة في نقاشات علميّة وليس النّصّ الدّيني/ الحديث الشّريف/ المرويات من الأشياء المُغلقة التي لا تُعالج ولا تُحيّن، فلا بدّ من إزالة مواطن الظّل عن فهم الإسلام فهماً يقبله العقل، ولذا من الضّروري نقد العقل الإسلاميّ للوقوف على المعرفة الإسلاميّة الأوّلى التي علقت بها بعض اليقينيات، ومن ثمّ الشّك في بعض المسلّمات. والذي يهمّنا في الأمر أنّنا لا نناقشه في بعض الأفكار التي تقول: من الأهميّة بمكان الفصل بين القرآن والشّريعة، وأنّ النّص القرآنيّ مثله مثل غيره من النّصوص، كما أنّ بعض المعطيات الخارقة للطّبيعيّة أو الحكايات الأسطوريّة في القرآن بوصفها تعابير أدبيّة، وكلام عن بعض الحالات التي يراها إنّها لا يقبلها العقل، بقدر ما يهمّنا فكر الباحث في الاجتهاد الذي يجعل فهم الأمور تعود إلى فهم السّلف لتراثنا، وأما تطويره لا يكون، بل يكون بتحيين المفاهيم بناء على الأرضيّة المعرفيّة للبشر.

إنّ (محمّد أركون) يحمل مشروعاً فلسفياً قائماً على نقد مشروع نقد العقل الإسلاميّ لا ينحاز إنّه مشروع تاريخيّ وأنثروبولوجي؛ يثير أسئلة أنثروبولوجيّة في كلّ مرحلة من مراحل التّاريخ. ولا يكتفي بمعلومات التّاريخ الرّاوي المشير إلى أسماء وحوادث وأفكار وآثار، بل يتساءل عن تاريخ المفهومات الأساسيّة المؤسّسة كالدّين والدّولة والمجتمع والحقوق والحرام والحلال والمقدّس والطّبيعة والعقل والمخيال والضّمير واللاشعور واللامعقول، والمعرفة القصصيّة، باعتماد منهج علميّ حديث معاصر خاصّ بعلوم الإنسان عموماً، ودراسة الأديان والنّصوص الدّينيّة، خصوصاً. ويشمل ذلك علوم التّاريخ والأنثروبولوجيا، والفيلولوجيا، واللسانيات، وعلم اجتماع المعرفة، وعلم النّفس الاجتماعيّ، وأركيولوجيا المعرفة، والتّفكيكيّة اللغويّة، والسّيميائيات، والهرمنيوطيقا...الخ، ونتج عن هذا التّوجّه المنهجيّ لأركون إنشاء دراسات تسمّى (الإسلاميات التّطبيقيّة) وذلك ما جعله واحداً من أقطاب الفكر العربيّ الإسلاميّ. فهو مفكّر حداثيّ تنويريّ أسهم بقسط وافر في دراسة العقل الإسلاميّ وتطويره... رغم إنّه قوبِل بالنّقد من طرف البعض حيث استخدم العقل واللغة الفرنسيّة والمنهج الغربيّ لوضع نظريته حول العقل الإسلاميّ، ولم يعمل على تطوير منهج الاعتزال الذي يعمل فيه؛ حيث كانت له الرّيادة

في أمر الأشعريّة وما تلاها من أمور الاختلاف في مناهج التّفسير، وكيف نظر إليها الفلاسفة العرب أو المفسّرون من منظور فكر الاعتزال.

صالح بلعيد

محمّد اسطنبولي
(1298هـ - 1881م/1378هـ - 1959 م)

محمّد بن أحمد بن علي خوجة الملقب باسطنبولي، ولد بالمديّة عاصمة التيطري بالجزائر سنة 1881م، وعندما بلغ سنّ السّادسة من عمره توفي والدّه.

أدخل الكتاب فقرأ القرآن الكريم على يد الشّيخ بن يلس حتى حفظه وأجازه في حفظه بروايّة ورش عن نافع، ثم انتقل إلى زاويّة الشّيخ بن الشّرقي بالعطاف -غرب الجزائر- فقضى فيها سنتين عاش فيهما جوًّا روحيًّا مميزا مع طلبتها وفقهائها الأفاضل من أمثال الشّيخ عبد الرحمن بن معروف، والشّيخ ابن دوبة، والشّيخ الجيلالي بن عبد الحكم، فانتفع بهم وبعلمهم، وأعجب بسلوكهم أيّما إعجاب، وبقي طول حياته يذكرهم ويثني عليهم خيرا، ويتغنى بتقواهم وورعهم.

ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة فأخذ الفقه عن العلامة الشّيخ عبد الحليم بن سمايّة، والعروض على يد الشّيخ ابن أبي شنب، والعربيّة والأصول على الشّيخ سعيد بن زكري، والشّيخ أرزقي، ثم لازم الشّيخ بوزيان بالبليدة جنوب الجزائر، والشّيخ ابن الحصيني الذي كان مدرسا بالمديّة والذي تخرج عنه جل علمائها، فأجازه وأذن له في التدريس، فشرع يلقي دروسا في المسجد الحنفي بالمديّة وثابر على هاته الخطة يتعلم ويعلم حتى عيّن مؤذنا بالمسجد المذكور، وكلف بخطبة الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد، فشعر بهاته المسؤوليّة المهمة وأضاف إلى ذلك دروسا في النّحو والصّرف والفقه والأصول والمصطلح، كما خصص درسا بعد صلاة العصر في شرح السّنوسيّة دام عليه مدة طويلة.

وعندما تم بناء المسجد الجديد سنة 1932م بالمديّة أسندت إليه الخطابة والوعظ به، فتابع نشاطه في التفسير والحديث الشّريف، وشرع في سرد صحيح مسلم بن الحجاج بتلك الطّريقة العتيقة التي كانت مستعملة في سرده بالعاصمة والمديّة بالنّسبة لصحيح محمّد بن إسماعيل البخاري، ويختم في حفل عظيم يوم السّابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، ومازال هذا العمل الجليل النّافع جاريا حتى الآن.

كما واظب على شرح القدوري في الفقه الحنفي بعد صلاة المغرب، وفي سنة1938م عين إماما في مسجد الشّراقة بالعاصمة، فقام بواجبه وكان يلقي دروسا إضافيّة بالمسجد الحنفي الجديد بالعاصمة، وفي سنة 1943م انتقل إلى المسجد الحنفي بالبليدة وبقي جادا ومثابرا في خدمة العلم وبث روح اليقظة الدّينيّة في الأمة.

توجه إلى البقاع المقدسة أربع عشرة مرة معلما ومتعلما وواعظا ومرشدا وعابدا، وفي الحجة الأولى لم يسعفه الحظ لزيارة قبر النّبي صلى الله عليه وسلم، وأسعفه الحظ في الحجة الثّانيّة فوصل الروضة الشّريفة.

وقد تخرج على يديه ممن لازموا دروسه كثير من الفقهاء، كالشّيخ بن عيسى بن دالي براهم، وشقيقه إبراهيم الشّهيد، والشّيخ عبد العزيز ولد رويس، والشّيخ محمّد وعلي بن طاهر، والشّيخ أبي القاسم بن صفار، والشّيخ أحمد التجاني باشن...

أما بالنّسبة للعهد الأخير من حياته بالبليدة فقد انقطع إلى تدريس التفسير والحديث الشّريف، وكان يخصص وقتا لتدريس المصطلح والبلاغة والفقه، فمن تلامذته هناك: الشّيخ عبد القادر عيساني الشّهير بالحاج الجيلاني، والشّيخ محمّد بوغد، خلف المرحوم أربعة أولاد أكبرهم محمّد المحبوب، ومولاي المعروف بمصطفى، ومحمّد أنور، وعبد الرزاق والكل أخذ عنه بنصيب من الأخلاق أو العلم.

أما أساتذته الروحيون فأولهم سيدي قدور بن سليمان خليفة المستغانمي الذي أخذ عنه الطّريق وعمره ست عشرة سنة، وقد انتفع به كثيرا وبقي طوال حياته يذكر محاسنه وما حباه الله به من الفضل وسمو المقام وغزارة العلم وقوة الحال، حتى إنه عندما يطرق الحديث عنه وعن مذكراته وغوصه في الحقائق وما أمده الله به من فيوضات دينيّة يتأثر تأثرا بالغا وكثيرا ما تطغى عليه حال تجعله يبكي ويتمايل شوقا ووجدا.

وبعدما انتقل سيدي قدور بن سليمان إلى رحمة الله، جدد العهد على الشّيخ سيدي الحاج المحجوب بن الطّاهر الذي زوجه بابنة نجله الحاج خليفة فلازمه بصدق وإخلاص وشهد منه مالا يحصى من الأسرار الحسيّة والمعنويّة، وبعدما لبى سيدي الحاج المحجوب نداء ربه بقي يذكره في كل آونة ويتحدث عن فضائله وتفانيه في عبادة ربه.

ثم أخذ على الشّيخ محمّد بن سليمان خليفة مؤسس زاويّة ندرومة بغرب الجزائر فرافقه بإخلاص وأدرك منه ما لم يدركه إلا القليل فكان يشهد له بالتمكن في علوم القوم وقوة المدد وسعة الاطلاع، وكان يعبر عن هذا الشّعور بتشبيهه بالحلاج.

ولما التحق الشّيخ محمّد بن سليمان بالرفيق الأعلى جدد العهد على الشّيخ سيدي الفريسي فكانت بينهما مراسلات على طريقة إخوان الصّفا.

كما أخذ أيضا على الشّيخ سيدي أبي عبد الله صاحب زاويّة بطيوة قرب أرزيو بالغرب الجزائري، فشهد له بالتبحر في العلم والفهم والصّلابة في الدّين، والنّهي عن تلك الزّيادات التي الصّقها بعضهم بطريق الصّوفيّة ومحاربتها بالحكمة والموعظة الحسنة.

أمّا عن آثار الشّيخ ومؤلفاته فإنه لم يتجه في الدّور الأول من حياته إلى التأليف لانشغاله بالتدريس والدّعوة إلى الله عز وجل عن طريق الوعظ والإرشاد، لكنه ألف في الدّور الثّاني من حياته بعض المؤلفات منها:

منظومة في الاستنجاد والاستغاثة عنوانها: "سيف المظلوم".

ديوان في المدائح النّبويّة والتوجيهات الصّمدانيّة.

منظومة في مصطلح الحديث عنوانها: "فتيلة المصباح في علم الاصطلاح" كتب مقدمتها الشّيخ العلامة محمّد علي حسن البكري مفتي الحنفيّة بالمدينة المنورة.

كتيب في مرائي خير الأنام، وبعض الأنبياء والصّالحين عنوانه:" قوة القلوب في رؤيّة النّبي المحبوب".

منظومة في الفقه الحنفي عنوانها: "فتح الرحمن على مذهب النّعمان" وهي منظومة طويلة تحتوي على أكثر من ألف وثلاثمائة بيت في الفقه الحنفي، وكتب مقدمتها أيضا العلامة محمّد علي حسن البكري.

توفي الشّيخ محمود اسطنبولي يوم الجمعة 5 جوان 1959م ولم تفته صلاة الجمعة فلبى نداء ربه والتحق بالرفيق الأعلى وهو يتلو قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾.

رابح دوب

المصادر:

عبد العزيز خليل الشّرفي، معجم أعلام المديّة، مؤسسة شيكو للطباعة والنّشر، الجزائر، دط، دت.

محمّد إسياخم
(1347هـ - 1928م/1406هـ - 1985م)

ولد مؤسّس الفنّ التّشكيلي في الجزائر، وأحد أهم رواد الحركة التّجريديّة في العصر الحديث ومصمم الجرافيك (محمّد إسياخم) في 17 جوان 1928، بآث جناد، بالقرب من أزفون، بمدينة تيزي-وزو، انتقلت عائلته لتعيش في غليزان سنة 1931، وقضى مرحلة طفولته بها.

التّحق بالمدرسة الأهليّة بغليزان من سنة (1934– 1947) وتحصل على مستوى شهادة الدراسة الأهليّة. وفي يوم 27 جويليّة 1943، سرق وبعض رفاقه في اللعب صندوق قنابل يدويّة، من المخيّم العسكريّ الأمريكي مُقام في المدرسة، أخذ معه واحدة خبأها في منزله، وصباح اليوم الثّاني، عندما كان يلعب بتلك القنبلة اليدويّة، انفجرت، فأصيب اثنتان من أخواته وابن أخيه بجروح قاتلة، كما جرح ثلاثة أفراد آخرين من عائلته، أما هو فقد دخل في غيبوبة، وبعد عامين من الاستشفاء في عدّة مستشفيات من منطقة وهران، اجريت له عمليّة لعلاج التّهاب بذراعه الأيسر وقدمه اليسرى، فبترت ذراعه اليسرى. في المستشفى حيث كان يعالج، أحضرت له راهبة أقلامًا وألوانًا، وصبغة مائيّة، في ذلك الوقت لم يكن لديه حقًا إدراك بعد لكفاءاته.

عند عودته إلى المنزل بعد خروجه من المستشفى، وبحضور كلّ عائلته المجتمعة للمناسبة، صرخت والدته، لدى رؤيتها لابنها المبتور: (لم ألدك هكذا! أخرج من المنزل!).

غادر (غليزان) سنة 1947، نحو العاصمة حيث سجل في جمعيّة الفنون الجميلة، ثم تابع دروسا في المدرسة الوطنيّة للفنون الجميلة، إلى غايّة 1951، حيث تابع دروسًا في النحت المجسّم، دراسة الأجسام، الفنّ الإسلامي، فنّ الرسم، تقنيّة القولبة، تاريخ الفنّ، والنقاشة. ولقد حصل على الجوائز الأولى في المنمنمة الملوّنة، والخزفيات؛ والجوائز الثّانيّة في النحت المجسّم، الفنّ الأكاديمي، أين تتلمذ على يد المنمنم الشهير محمد راسم.



(محمّد إسياخم) لوحة(حزن دفين بداخل فنان)

عرض لأول مرّة جماعيًا في رواق (كارنو) بالجزائر، سنة1949، أتاحت له منحة دراسيّة مدّتها سنة متابعة دروس في النقش بمعهد (Étienne/ إتيان) التّقني بباريس، وفي نفس السنة أقام معرضا بأروقة (André Morice/ أندري موريس) بمناسبة احتفالات الألفيّة الثّانيّة لمدينة باريس.

اجتاز بنجاح مسابقة الدخول إلى فرع الرسم بالمدرسة الوطنيّة العليا للفنون الجميلة بباريس، وارتاد ورشات (Raymond/ Legueult

رايمون لوغلت) للرسم و(Georges Edouard/ إدوار چورچ) للنقش. بقي (محمّد إسياخم) طالبا بتلك المؤسسة حتى سنة 1958.

شارك سنة 1955 في المهرجان العالمي للشبيبة والطلاب بوارسو (پولونيا) عرض فيه لوحته (ماسح الأحذيّة) التي تمثل طفلا صغيرا مع علبة دهان الأحذيّة؛ عند قلبها، كان يتراءى شاب جزائري يحمل مسدّسا رشّاشًا بيده.

في وقت محاكمة (جميلة بوحيرد) في 1958، نشرت أعماله حول التّعذيب، والمنجزة بالحبر الصيني في مجلّة (محادثات عن الآداب والفنون) ولقد تمّ نسخها لصالح تمثيليّة جبهة التّحرير الوطني بألمانيا على هيئة ملصقات وبطاقات بريديّة. وقد بدأ في رسم المرأة، كفنان تعبيري، اعتبارا من تلك اللحظة يقول (... فكرة رسم المرأة، جاءتني عند تذكّر جميلة بوحيرد. ومنذ ذلك الحين، لم أتطرق سوى إلى المرأة وإلى التّعذيب، إلى يومنا هذا...)

عمل مدربا في المعالجة بالتّشغيل بعيادة (La Borde / لابورد) للأمراض العقليّة، في

(Cour-Cheverny/ كلور شفرني) بمقاطعة (Loir-et-Cher/ لوار إي شير) بفرنسا، في مصلحة الدكتور (Jean OURY/ جان أوري). أنجز عدّة لوحات، منها واحدة تجريديّة، بعنوان (قطرة الدم) ولقد رفض جائزة (الصليب البحريّ) الممنوحة من طرف وزارة الصحة الفرنسيّة لعمله في مجال المعالجة بالتّشغيل.

عشيّة استقلال الجزائر، التّقى مع صديقه (كاتب ياسين) في (باريس). كلاهما فضّلا العودة إلى الجزائر، فعملا في خدمة يوميّة (الجزائر الجمهوريّة) التي عادت للصدور مجدّدا ابتداء من جويليّة. وقد بقي رسّاما في هذه اليوميّة حتى سنة 1964.

كان (محمّد إسياخم) عضوا مؤسسا للاتحاد الوطنيّ للفنون التّشكيليّة، الذي يصبح عضوا شرفيا له في 07 مارس 1985، اشترك في المعرض الجماعي للرسّامين الجزائريين والأجانب في قاعة (ابن خلدون) بالجزائر، بمناسبة احتفالات الأول نوفمبر. وشارك في معرض جماعي آخر، من 15 إلى 30 أفريل بمتحف الفنون التّزيينيّة (بباريس). كان للفنان العديد من المشاركات في مختلف المعارض الوطنيّة والدوليّة بأعمال متميزة لقت اعجابًا كبيرًا.

1965 عينّ في منصب مدير مدرسة الفنون الجميلة بوهران.

قام بإنجاز ديكورات أفلام منها (أتربة جويليّة) وكذلك الفيلم الطويل (الدرب)، وكذلك صور إسياخم (نجمة) لروايّة (كاتب ياسين).

أنجز نماذج تمهيديّة لبعض الأوراق النقديّة الجزائريّة وكذلك (لموريتانيا) و(غينيا بيساو) بالنسبة لنماذج الأوراق النقديّة الجزائريّة، كان الأمر يتعلق بتمثيل سلطة دولة ذات سيادة، تظهر المشروع الاجتماعي والسّياسي للجمهوريّة الجزائريّة الحديثة، مثّل المزارع والفلّاح الذي يحرث حقله في الورقة الخضراء من فئة خمسين دينار، دلالة على الثّورة الزراعيّة، ومثّل عجلة المكننة للتعبير عن الصناعة وفي نفس الوقت علامة الرفاه والتّقدم الاقتصادي اللّذين يقيّمان العمل ويبشران ببناء دولة حديثة، وكذلك مثّل بالحيوانات مثل الفنك والطاووس ذو الريش الزاهي، والغزالة، كما كان تاريخ الجزائر يمثل ذخره من الصور، فبين 1970 و1983، أنجز إسياخم ثمانيّة (08) أوراق نقديّة.

أعوام 1969 و1983، صور إسياخم بالرسوم ستة (06) طوابع ثلاثة (03) منها نسخت لوحاته، بناء على طلبات الاحتفال بذكرى الأحداث التّاريخيّة أو السياسيّة سواء كانت وطنيّة أم دوليّة.

نال سنة 1980 جائزة سيمبا الذهبي الأول (الأسد الذهبي) في الرسم، وهو تكريم (اليونيسكو) الخاصّ بإفريقيا، تمنحه (أكاديميّة سيمبا) و(كوريبري أفريكانو)، كما تسلم سنة 1982 ميداليّة الثاتيكان من يدي الكاردينال (Duva/ دوڤال).

ألف كتاب (35 سنة في جهنم الرسم) وعرض فيه ملامح من تجربته الفنيّة والإنسانيّة، وكان يوصف بصاحب (الحقد المقدس) إذ كان هذا المبدع يرسم الأشياء بألم وعذاب، وصرح إسياخم في أحد الحوارات الصحفيّة بأن الرسم يؤلمه، وقال (أنني أتعذب فيما أرسم) وكذلك (أن الرسم أكبر صدمة بحياتي) وأردف أنها ربما أكبر من صدمة بتر ذراعه.

توفي إسياخم في أوّل ديسمبر 1985، عن عمر 57 سنة، بعد صراع طويل مع مرض السرطان، تاركا بصمته في عالم التّصميم والجرافيك.

سناء رمضاني

المصادر:

جعفر إينال، إسياخم الوجه المنسي للفنان.

محمّد أطفيش
(1236هـ - 1818م/1332هـ - 1914م)

ولد "محمّد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش" في بني يزگن سنة 1236 للهجرة الموافق لـ 1818 للميلاد، وهو ينتمي إلى أسرة شريفة ترجع بأصولها إلى بني عدي، القبيلة العمريّة، وبعضهم يقول أنه من الأسرة الحفصيّة التي حكمت بعد الموحدين وكان مقر حكمها تونس. ومؤسس هذه الأسرة الحفصيّة هو أبو حفص عمر الهنتاتي، وهو من قبيلة المصامدة المتوطنة جنوب المغرب الأقصى. وهاجر أحد أجداد اطفيش من السّاقيّة الحمراء واستقر بورجلان (ورقلة). ومنها إلى ميزاب في القرن التّاسع الهجري. وجده المعروف (بامحمّد) هو الذي حل في بني يزگن وترك بها ذريّة. واسم هذا الجد الحاج محمّد بن عبد العزيز. أما والدّه فكان يتاجر بين غرداية ومدن الجزائر الشّماليّة على عادة أهل ميزاب. ولم تطب له الحياة في بني يزگن. وقد أدى فريضة الحج، ثم توفي في بني يزگن، وترك ابنه محمّدا في الرّابعة من عمره فتولته أمه وعهدت به إلى مؤدب فعلمه القرآن وبها نشأ وتعلم على أيدي معلميها وشيوخها، ويؤكد المؤرّخ محمّد "عليي دبوز" أن "محمّد بن يوسف أطفيش" ينتمي إلى "عمر بن حفص الهنتاني" جد العائلة الحفصيّة المالكة في تونس.

في بني يزگن نشأ وتعلم على أيدي معلميها وشيوخها، فقد لازم أخاه إبراهيم الذي عاد من رحلة علميّة في مصر وعمان، فوجد محمّد في أخيه المزيد من المعارف التي تطمح نفسه إليها، فتحصل منه على ما يعادل الآن المرحلة الثّانويّة. ومن العلوم التي أخذها عن أخيه علوم الدّين والعربيّة

والمنطق والحساب، والفلك والتّاريخ. وكانت لمحمّد بن يوسف ذاكرة قويّة وموهبة عظيمة. وقد استفاد عندئذ من مكتبة أخيه ومكتبة الشّيخ الثّميني، ورغم صغر سنه فقد اعترف له شيوخه بالقدرة على التّدريس ولما يتجاوز العشرين. وكان قبل ذلك قد درس على مشائخ منهم: محمّد آزبار، وعمر بن سليمان والحاج سليمان بن يحيى، وأبو عيسى الدّاوي.

وهو مجتهد، من أكابر الفقهاء العلماء في الأدب واللغة والتّفسير، من رجال النّهضة الإصلاحيّة الحديثة في الجزائر، ويعتبر الشّيخ محمّد بن يوسف باني النّهضة العلميّة في منطقته.

تميزت حياة الشّيخ محمّد بن يوسف العامة بإقامة أسرته، وتوليه شؤون العزابة والفتاوى، والتّدخل لدى السّلطات الفرنسيّة للمحافظة على تقاليد البلاد وحرمة الدّين، والمراسلات مع الشّخصيات العلميّة والسّياسيّة، كما سنعرف. تزوج الشّيخ محمّد بن يوسف ثلاث نساء، وقيل أن بعض زواجه منهن كان من أجل المكتبات التي كانت لأهلهن. وترأس العزابة في بني يسقن. وكان لا يتردد على الأسواق ولا يغشى الأفراح. وقد بدأ التّدريس في المسجد. وكان له نظام حياة دقيق جدا: يدرس للعامة مع الفجر ويصلي الجماعة، ثم يذهب للتدريس لتلاميذه. وكان له أيضا درسان آخران: درس للعامة بين العصرين، ودرس لكبار التّلاميذ المواظبين. وقد خصص وقتا من النّهار للإجابة على الأسئلة الواردة إليه.

عكف على التّدريس والتّصنيف والوعظ والإرشاد، حتى أنه كان يؤلف وهو في السّفينة، زار البقاع المقدسة مرتين.

ترك تراثا قيما في الفقه والتّفسير على مختلف المذاهب الإسلاميّة، وكانت فكرته في الإصلاح سلفيّة، تدعو المسلمين إلى الإقتداء بالسّلف الصّالح، والأخذ بما جاء في التّراث الإسلامي في جميع المجالات.

نتاجه الفكري:

"منذ حوالي 1840 إذن أخذ محمّد بن يوسف يدخل الحياة العامة عن طريق التّدريس. وقد ظهر على علماء البلدة ثم على علماء ميزاب، ثم شاع أمره حتى بلغ أقصى الأقطار الإسلاميّة. وقال بعضهم أنه بلغ درجة الاجتهاد وصار مرجعا في الفتاوى. وبدأ يؤلف وهو في سن العشرين أيضا. واهتم بعلم النّحو على الخصوص، وهو علم عقلي يحصن صاحبه من الوقوع في الخرافات. فدرس أعمال المؤلفين المعروفين في النّحو. ونظم هو كتاب مغني اللبيب لابن هشام في 5.000 بيت، وهو ما يزال مراهقا. وكان كثير القراءة والمطالعة، وهي عادة لم تفارقه مدى الحياة، وكان يستفيد من ذلك ويؤلف أيضا حتى وهو في حالة سفر"، ومن مؤلفاته:

- "داعي العمل ليوم الأمل" في أربعة أجزاء، فسر فيه القرآن الكريم من سورة الرّحمن إلى سورة النّاس.
- "وفاء الضّمانة في أداء الأمانة"، في ثلاثة أجزاء.
- "جامع الشّمل" في جزء واحد
- "ترتيب التّرتيب" في جزء واحد.

وهذه كلها في الحديث:

- "حاشيّة على الموجز، لأبي عمار عبد الكافي" في التّوحيد.
- "شرح عقيدة العزابة"، لابن جميع"، في التّوحيد أيضا
- "شرح النّيل"، في سبعة عشر جزءا في الفقه.
- "شامل الأصل والفرع" في مجلد واحد.
- "الذهب الخالصّ" في جزء واحد.
- "جامع الوضع والحاشيّة"، طبع في جزء كبير.
- لفظ "أبي موسى".
- "حي على الفلاح".
- "شرح الدّعائم"، طبع منه جزءان.
- "أساس الطّاعات".
- وهذه كلها في الفقه
- "شرح مختصر العدل والإنصاف" في التّشريع الإسلامي
- "فك العاني من ربقة المعاني" في البلاغة.
- "أرجوزة" في القراءات.
- "تحفة الحب" في الطّب.
- "الشّافيّة" في تاريخ ميزاب وأنساب بعض قبائله.
- "أرجوزة" في النّحو في خمسة آلاف بيت، نظم بها "المغنى" لابن هشام".
- "لغز الماء" و"الذهب الخالصّ" في الدّين وآدابه.
- "السّيرة الجامعة" في المعجزات.
- "شرح عقيدة التّوحيد" و"إطالة الأجور في فضائل الشّهور" و"الغسول في أسماء الرّسول صلى الله عليه وسلم".
- "شرح أسماء الله الحسنى"
- "مختصر الوضع والحاشيّة" في الفقه وأصول الدّين.
- "بيان البيان في علم البيان".
- "ربيع البديع في علم البديع".
- "إيضاح الدّليل إلى علم الجليل" عروض.
- "شرح القلصادي".
- "إزالة الاعتراض عن محقي آل إباض".
- "رسالة الإمكان"
- "حاشيّة القناطر" في علوم الدّين.
- "الجنة في وصف الجنة"
- "الرّسم في قواعد الخط العربي"
- "ديوان الشّعر".

رابح دوب

المصادر:

أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011.

محمّد أقربوشن
(1324هـ - 1907م/1385هـ - 1966م)

هناك ذكريات تبقى راسخة في الأذهان مهما مرّ عليها الزّمن، لا تمحوها السّنين، وتبقى منقوشة في قلوب محبّيها، مثلما مرّت السّنوات وبقيت ذكرى الفنّان الجزائري (محمّد أقربوشن) راسخة في أذهان محبّي الألحان والموسيقى التي ألّفها ابن مدينة تيزي وزو والمايسترو، إنّه (محمّد أقربوشن) صاحب الإبداعات العالميّة في التّلحين والتّوظيف الموسيقي المتميّز في عالم السمفونيات الخالدة التي صدح بها في النّمسا وفي مدن عديدة من العالم، حيث برز بروزا مذهلا في عالم التّلحين والموسيقى.

ولد (محمّد أقربوشن)ابن سعيد بن علي بقريّة (أيت أوشن) بمدينة أغريب بتيزي وزو في 13 نوفمبر سنة 1907م، والذي كان يحمل النّاي ويسمّيه كثيرون بالفنّان الرّاعي الذّي أثار اهتمام الإنجليز وهو في ريعان شبابه، حيث استضافته أشهر العواصم العالميّة وأشهر المؤسسات السينماتوغرافيّة العالميّة، وكان له حظ كبير من الألحان والتّأليف الذّي بلغ 590 مؤلفا موسيقيا، وكان يعشق العزف على النّاي قرب سواحل مدينة أزفون، وقيل إنّه "كان ذكيا وجريئا في حياته وعاشقا للموسيقى الجزائريّة والعالميّة حتّى النّخاع".

كان مولعا بالنّاي منذ نعومة أظفاره، وما كان أحد يدري أنّ هذا القروي الصّغير سيلقب فيما بعد بالمايسترو، وسيتقن سبع لغات، وهي: الإسبانيّة، الفرنسيّة، العربيّة، الإنجليزيّة، الألمانيّة، الإيطاليّة والأمازيغيّة.

كانت أسرته قد غادرت الرّيف متوجهة إلى الجزائر العاصمة منذ وقت مبكر، حيث تابع دراسته الابتدائيّة بالقصبة بمدرسة (سيدي محمّد الشّريف)، وفي سن مبكّرة كان يميل إلى الموسيقى، ممّا كان سببا في اكتشافه من طرف الكونت (فرازروث) سنة 1919م، وهو أحد النّبلاء الإنجليز الذّي كان صاحب ورشة مجاورة لبيت أسرة (أقربوشن) بالقصبة، وكان ذلك حافزا لمضاعفة جهوده لإبراز اسم وطنه،فباشر دراساته في التّلحين وتفوق فيها، فكان استثناءً في الإلقاء والمواجهة بين مختلف الأنماط الموسيقيّة المختلفة، ممّا جعله يخلّف رصيدا فنيا هاما يستحق الاهتمام.

وبعد ولعه بالموسيقى وحبّه للسّفر، جاءته فرصة سنة 1932م فسافر إلى إنجلترا، فكانت سفريّة مهمّة لهذا الفنّان، فتفوق في دراساته في التّلحين ببريطانيا، ممّا جعل (روث) يقرّر مساعدته، فدفعه نحو المجد فقاده إلى فيينا بالنّمسا، حيث عمّق دراساته في التّلحين مع الأستاذ (ألفريد غرنفليد).

عاد من فيينا إلى أرض الوطن لزيارة والديه، لكنّه لم يمكث معهما طويلا، حيث تكاثرت عليه الطّلبات من مختلف جهات العالم، لتأليف مقطوعات موسيقيّة وتوزيعات الأفلام، وهكذا انهمرت الطّلبات على هذا الفنّان الذّي صال وجال في قلب أوروبا وعايش معاهدها الموسيقيّة، حتّى قدّم ثلاث (رابسوديات) بلندن وتحصّل على الجائزة الأولى للعزف على آلة البيانو في فيينا.

بعد نجاحاته الكثيرة، قرّر إنشاء فرقةسمفونيّة كبيرة (رابسوديّة جزائريّة) سنة 1935 وقد بصم عليها البصمة المغاربيّة، والتّي حققت نجاحات كبيرة، وكانت أولى سمفونياته أمازيغيّة وهي: (حفلة شرقيّة) و(رقصة أمام الموت)، والتّي تم تأليفها ما بين 1930 إلى 1934، كما ألّف بالتّنسيق مع (ماكس بويو) (وفاة أبو نواس وزوجته سلمى) سنة 1930.

امتاز (محمّد أقربوشن) بالذّكاء والعبقريّة العملاقة، ممّا جعله يبحر ويعشش في قلوب الملايين من النّاس في كلّ أنحاء المعمورة العربيّة والأوروبيّة من خلال إنتاجاته الموسيقيّة، حيث وضع موسيقى فيلم (قدور في باريس) لـ (أندري ساوري)، وفيلم (الجزائر)، و(فيلم عزيزة)، كما وضع أيضا موسيقى لفيلمين جزائريين هما: (الطاهر شاش) و(سيرتا)، فكان (أقربوشن) قدوة للفنّانين الجزائريين الذين يعيشون خارج الجزائر، حيث قدّم يد المساعدة للعديد من هؤلاء،من بينهم: (أحسن مزاني)، (صوريّة نجيب)، (محمّد حامل)، (جمال بدري)، (الشّيخ نور الدّين)، و(فريد علي)، هذا الأخير الذّي كان تلميذه فألّف له 50 أغنيّة قبائليّة، من بينها لحن أغنيّة (أيما اصبر أورترو).

ونظرا لقيمته وموهبته الفنيّة الذي غزت الدّول الأوروبيّة، ونظرا لانتمائه إلى منظمات وطنيّة حيث تسبب ذلك في كسر بصدغه، فقد سجن من طرف المستعمر الفرنسي عام 1944م، وبعد خروجه من السّجن توجه نحو الجنوب الجزائري ليستلهم موسيقى التوارقبعنوان (الرّجل الأزرق)، كما قام بتلحين أشعار (ألف ليلة وليلة)، وبعد نهايّة الحرب العالميّة الثانيّة وضع موسيقى لـ (الفيلم الشّعبي)، ثمّ (مدرسة متنقلة) لـ (جينا مانس)، و(مناعة الوحدة) لـ (جاك سيفيراك)، كما بادر بإنشاء القناة القبائليّة بإذاعة باريس حين كلّفه بذلك وزير الإعلام الفرنسي.

ومنذ 1956م فضّل الاستقرار بالجزائر العاصمة بدل التّرحال وكان رئيس جوق في حصص باللّغتين العربيّة والقبائليّة، كما ألّف بعد الاستقلال عدّة ألحان للإذاعة والتّلفزة الجزائريّة، كما أنّه اشتغل أستاذا بمدرسة المعلّمين ببوزريعة، قصد نقل المشعل للأجيال الجزائريّة النّاشئة في التّأليف والإبداع الموسيقي المتميّز لدى مدرسة (أقربوشن).

بعد الاستقلال 1962 كان (محمّد أقربوشن) واحدا من رجال الفن والإبداع والتّكوين، فتمكّن من تأليف عدّة ألحان للإذاعة والتّلفزة الجزائريّة، وهي مسجلة ومصورة في خزائن الإذاعة والتّلفزة الوطنيّة، واستمرّ عطاؤه في مجال الفن والإبداع والتّلحين، وقد تعلّم على يديه كثير من الفنانين الجزائريين من جيله، نذكر منهم: (رشيد قسنطيني)، (محي بشطارزي)، (جمال بدري)، (سيد أحمد أقومي)، (كمال حمادي)، (محمّد اسطنبولي)، (بودالي سفير)، (محمّد رينان)، وآخرون.

توفي (محمّد أقربوشن) في سن التّاسعة والخمسين، وذلك في أوت 1966 بالعاصمة، ودفن بمقبرة القطار بعد معاناة مع مرض السكر.

خلّف (محمّد أقربوشن) حسب ما ذكره المؤرّخون والمتابعون لأعماله، حوالي 165

مؤلفا من المستوى العالي موسيقيا، والتي ألّفها خلال السّنوات (1956–1961)، وهي مؤلّفات عصريّة جاءت في شكل خلاصة للموسيقى الشّرقيّة والعربيّة التي تأثر بها، وألّف لحنا للمطربة (سهيلة)، واستطاع أن يطور الأسلاف في استبدال الدّولاب الموسيقي التّقليدي بتقنيات تعبّر عن القصيدة الجزائريّة وتصور الأحاسيس والمعاني بروح شعريّة شفافة، حيث وظّف بنجاح ما تعلّمه من سابقيه بلغة موسيقيّة عالميّة لها خصوصيّة ممزوجة باللّحن الجزائري والشّرقي، هكذا كان(أقربوشن) الموسيقار المتميّز في السمفونيات العالميّة التّي عزفها أمام الملايين من المعجبين داخل وخارج الوطن، إذ تعتبر من أجمل الألحان التي دخل بها قلوب عشّاق هذا الفن الأصيل، والتي بقيت علامة متميّزة في مشواره الفني والموسيقي، وذكرى خالدة للأجيال.

وبهذا يكون (محمّد أقربوشن) فنّانا موهوبا، اجتمعت لديه عدّة مواهب، فكان موسيقيا وشاعرا وكاتبا ومحاضرا، وكان عضوا دائما بشركة المؤلفين والملحنين بباريس، إنّه أحد أبناء الجزائر الكبار وأحد عمالقة الموسيقى الكلاسيكيّة الجزائريّة.

هذا وكان (أقربوشن) حالة استثنائيّة في إتقان فن الإلقاء والمواجهة بين مختلف الأنماط الموسيقيّة، كانت له عدّة أعمال موسيقيّة وقصائد سمفونيّة، وقد تخصّص في الإيقاعات الموسيقيّة لأمريكا اللّاتينيّة، واستطاع التوفيق بين التّقاليد الموسيقيّة المختلفة الأوروبيّة والإفريقيّة والأمريكيّة في موسيقاه. ومن جهة أخرى ظلّ متعلّقا بمنطقته (منطقة القبائل)، فقدّم عدّة إيقاعات موسيقيّة على غرار (الرّقص البربري)، وقدّم للمستمع كلّ ما يصبو إليه من عواطف وأحاسيس جديدة جميلة ومثيرة وجديرة بالاهتمام والاكتشاف.

حكيمة بوقرومة

المصادر:

- فؤاد بن طالب، الموسيقار محمّد أقربوشن، إبداع وأعمال أوصلته إلى العالميّة، الجمعة 07فيفري 2020، http:www.ech-chaab.com /ar
- خليل سعاد، محمّد أقربوشن مكرما في مسقط رأسه تيزي وزو راعي الغنم الذّي أبدع 590 مؤلفة موسيقيّة، https://www.djazairess.com/akhersaa/94738،2013/12/07

محمد الآبلي
(681هـ - 1282م/757هـ - 1356م)

أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن أحمد، المشهور بالآبلي نسبة إلى مدينة (آبلة) بالأندلس التي ولد فيها سنة 681 هـ، وخرج أبوه منها بعد انتصار النّصارى على المسلمين في معركة (العقاب) ونشأ الابن (محمّد) في مدارس تلمسان فتى صغيراً يتعلّم العلوم، ويتفنّن في الصّناعات التي استهوته منذ الصّغر وكان لا يفارق أستاذه (ابن الإمام) الذي فتح له آفاق العلوم العقليّة حتى أصبح أستاذاً يدرّس هذه العلوم في مدارس تلمسان، وأعجب به الطّلاب، ونال حظوة كبيرة لدى مسيّري الدّولة الزيّانيّة، وقرّبه الأمير (يغمراسن) ليكون من مستشاريه. وكانت تلمسان في ذلك الوقت موطناً للعلوم العقليّة كما يقول ابن خلدون في المقدمّة: "العلوم النّاظرة في المقادير وهي: علم الهندسة وعلم الارتماطيقي، وعلم الموسيقى وعلم الهيئة". وفي ذلك الجوّ كبر الآبلي، بما يملكه من ملكات جعلته متفتّح العقل، يقظ الفكر، شديد التّطلّع، فأقبل عليها ينهل من شتّى فنونها يستكمل ما كان بدأه في مجالس جدّه. وسرعان ما بدأ يستهويه النّشاط العلميّ الذي أجلسه مجلس المعلّم الشّاب الموجّه، وعدّ من أعلام المغرب الإسلامي، وأصبح له كرسياً في العلوم، ومدرّساً فقيهاً، ولما حصل حصار تلمسان من المرينيين توجّه إلى الحجاز، ومرّ بالقاهرة، وبقي مدّة من الزّمن؛ حيث التّقى مجموعة من علماء الرّياضيات المصريين المشهورين على غرار: ابن دقيق العيد، ابن الرّفعة، صفي الدّين الهندي... وتبادل معهم أفكاراً في علم الرّياضات والتّعميّة، وسبل أفضل المناهج لامتلاك الحساب... ولم يبق كثيراً في مصر، فذهب في قافلة إلى الحجّ. ومن مكّة يعود إلى بجايّة، وفيه يقرأ مختصر (ابن الحاجب) في الفقه، ويبقى طالباً مدرّساً، حتى زال حصار المرينيين عن تلمسان، فعاد إليها مدرّساً كعادته؛ يكوّن طلابه، فذاع صيته، وجاء (ابن خلدون) ليقف على دروسه، ويصبح طالبه"... وكانت قد حصلت بينه وبين والدّي، رحمه الله صحابة كانت وسيلتي إليه في القراءة عليه. فلزمتُ مجلسه، واتّخذت منه، وافتتحت العلوم العقليّة بالتّعاليم ثم قرأت المنطق وما بعده من الأصليين، وعلوم الحكمة. وعرض أثناء ذلك ركوب السّلطان أساطيله من تونس إلى المغرب. وكان الشّيخ في نزلنا وكفالتّنا فأشرنا عليه بالمقام، وثبطناه عن السّفر فقبل وأقام". وبمجيء أبي موسى الثّاني لم يكونا على توافق، بسبب الخلافات في مسائل التّجنيد العسكريّ، ورهان الأوّلاد لإطلاق الآباء... إلى غير ذلك من روايات نُسجت حول تسلّقه سور تلمسان لفديّة أبيه، ولكن دون جدوى، ومن ثمّ مغامرته في تنكّر ليلتحق بتونس، ثمّ الإسكندريّة... هي سجلات تحفظها كتب التّاريخ. والمهم أنّ الآبلي يأتي زمان ويعود إلى تلمسان، ولكن بقيت القلاقل قائمة، ومنها يفرّ إلى فاس، وينتقل إلى مراكش، وإلى مدن في الأطلس. وفي كلّ تلك التّنقلات لم تحقّق له المطلوب، ولم تنزله منزلة الاستقرّار لمزيد من ضبط اختصاصه، عدا مراكش التي ارتاح فيها بسبب سماعه دروس التّعاليم على شيخها أبي العبّاس بن البناء، الذي وصفه ابن خلدون "شيخ المعقول والمنقول والمبرز في

التّصوّف علماً وحالاً". ولقد كانت حقّقت له "مراكش ما كان يرجوه، من لقاء ذلك النّموذج الإنسانيّ الرّائع، متمثّلاً في (ابن البنّاء) والجلوس إليه ليمتّع عقله ووجدانّه بأحاديثه، وينير بصيرته؛ ليتدارك ما فاته من فنّون المعرفة المختلفة، وخاصّة العلوم العقليّة". ومع كلّ ذلك، فإنّ نفسه توّاقة إلى تلمسان التي سحرته وأخذت بقلبه، ولكن المانع لا يزال قائماً، ولا يزال في ذهنه فراره منها، تاركاً المهمّة التي أسندها له (أبو حمو) من وظيف، وقد أغضبه ذلك، ويأبى أن يعود إلى تلمسان نفوراً من غضب الأمير، ويعود في آخر حياته إلى فاس ليستقرّ فيها مدرّساً، وأصبح مجلسه مهوى طالبي العلم، فانتشر صيته، فإنّهال عليه طلبة العلم من كلّ بلاد المغارب وأفريقيا، ويستقرّ فيها إلى أن وافته المنيّة سنة 757هـ. ويتخرّج على يده أجيال من أهل العلم من مثل: أبي عبد الله محمّد بن محمّد الصّباغ، وهذا الأخير ذكره ابن خلدون بإنّه "من أهل مكناسة، كان مبرزاً في المنقول والمعقول، وعارفاً بالحديث ورجاله، وإماما في معرفة كتاب الموطّأ وإقرائه، أخذ العلم عن مشيخة فاس ومكناسة، ولقي شيخنا أبا عبد الله الآبلي ولازمه وأخذ عنه العلوم العقليّة، فاستنفذ طلبه عليه، واختاره السّلطان لمجلسه، ولم يزل معه إلى أن هلك غريقاً في ذلك الأسطول".

ما يمكن أن نستخلصه من مقول (ابن خلدون) إنّ نشاطه العلميّ كان يتميّز بقوّة الجاذبيّة، وكان اهتمامه منصبّاً حول التّعاليم والمنطق وعلوم الحكمة، وأنّ الجوّ الذي عاش فيه غير مستقرّ ولم يدفعه لمزيد من الإنتاج في الملموس، ومع ذلك فقد فتح آفاق طلابه في ظهور النّزعة العقليّة التي قهرت نزعة النّقل التي كانت الطّاغيّة في حواضر بلاد المغارب. ومع ذلك نظراً لما اشتُهر به من قبل، ما زال النّاس في زمانّه لا يتنكّرون له، ويذكرونه بحذقه لفنون التّعاليم وبراعته في الحساب الذي أصبح بارعاً في حلّ الألغاز، وتصويب التّصحيف، وله منهج في التّعليم؛ يفرّق بين مستويات التّبليغ، مستخدماً منهجيّة المشافهة في الحلقة، بطريقة الإلقاء سلوكاً لضبط سير الدّرس، وكانت هذه الطّريقة مُحبّبة لدى طلابه، وأعطت له مكانة علميّة بحيث كان يقصده الطّلاب لمزيد من حذق مهاراتهم في مختلف العلوم. ويمكننا القول بأنّ (الآبلي) كان يبني منهجيّة إشراك المتعلّم في تقديم الدّروس، وهي من المناهج الحديثة التي بدأت تظهر في دراساتنا المعاصرة. وفي كلّ ذلك، حاوّل انتهاج طريقة جديدة للتّبليغ، دون اعتماد أسلوب الآمالي بل جعْل المتعلّم مَركز استماع وتلفّظ، أخذ وردّ، وهي الطّريقة التي تيسّر للمعلّم التّحكّم في سيرورة الدّرس، هذا من جهة، ومن جهة تفرض عليه التّحضير الجيّد لما سوف يأتي من جديد من المتعلّم وبذلك يحصل الإبداع للطّرفين: المعلّم، المتعلّم في سيرورة متكاملة تجعل المدرسة تعطي المفاهيم وتعمل على رفع الجمود الفكريّ الذي تجعل بعض الأفكار مُسطّحة لا تجديد فيها بقيد صبّ المادة دون الإسهام في تلك المادة، وهذا ما كان يصبو إليه (الآبلي) أن نجعل العقل منفتحاً على المقارنة والمخالفة والنّقد، لبناء مدرسة خارج الأسوار؛ تُخرج الفكر من الأسوار المُغلقة التي لا يجوز تجاوزها فالتّعليم المرفوض عنده هو الذي يهدف إلى تعميم مَفاهيم مُعيّنة، وبثّ قوالب فكريّة لا تعمل على إيقاظ الهِمم، بل تعمل على تدجين وتطبيق الأوامر دون مُناقشة الجدوى منها، وبذلك يضيع النّبوغ المُنتظر من العقل الذي يحتاج إلى رجّة علميّة تُوجّهه ليكون مُبدعاً.

صالح بلعيد

محمّد الأخضر السّائحي
(1336هـ - 1918/1425هـ - 2005م)

محمّد الأخضر بن الحاج محمّد العلمي الأخضري من قبيلة أولاد سيدي محمّد السّائح، المولود بقريّة العالية دائرة الحجيرة ولايّة ورگلة جنوب الجزائر.

قضى حياته في وطنه الجزائر وتونس وزار عدة دولة عربيّة وغربيّة.

لقد كان والدّه معروفاً بحكمته ونبوغه وحسن تصوفه إذ كان مضرب المثل في التّدبر، لذلك اهتمّ بتربيّة ابنه محمّد الأخضر بعد وفاة والدّته، فعمل على تحفيظه القرآن كاملاً وهو بين سن التّاسعة والعاشرة، كما أخذ عنه مبادئ علوم اللغة والشّريعة. بعد ذلك أرسله إلى مدينة "الگرارة" ولايّة غردايّة عند صديقه الحميم الشّيخ بيوض، فأدخله هناك "مدرسة الحياة" التي هي في الواقع مدرسة دولة، حيث يوجد بها طلاب من ليبيا وتونس وسلطنة عُمَان ومن أنحاء الجزائر، فأخذ فيها علوم القرآن واللغة العربيّة من نحو وصرف وبلاغة وأدب والتّربيّة والفقه...

وقد أعجب السّائحي بالجوّ الجديد في هذه المدرسة، كما أعجب بالمشايخ أمثال الشّيخ بيوض والشّيخ عدّون وهنا بدأت قريحته تتفتق عندما وجد ما يروم من مختلف علوم العصر.

وفي هذا الجوّ التّنافسي بدأ يكتب ويبرز من خلال الجرائد التي كانت تنشر له ولغيره، وقد كان أوّل نتاج له في الفاتح من نوفمبر 1934 بعد سنة من التّحاقه بالمدرسة وهو ابن ستة عشر عاماً، قصيدة بعنوان "أنادي من بني قطري رجالاً" نشرت في "جريدة الشّباب"، وبعد شهر واحد نشرت له الجريدة نفسها قصيدة طويلة من 50 بيتاً بعنوان: "إنما العلم للضعيف سلاح".

وبعد أن قضى سنتين بالگرارة في جو علمي ممتاز، توجه إلى تونس سنة 1935 والتّحق بجامع الزّيتونة وبقي هناك حتى سنة 1939، إذ رجع إلى موطنه تگرت مطارداً من سلطات الاستعمار الفرنسي فزُج به في السّجن نظراً لنشاطاته المعاديّة والمناهضة للاحتلال.

في أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة حاول الخروج من المنطقة لكنّ السّلطات الاستعماريّةأرجعته وأجبرته على البقاء.

سعى مع جماعة من شباب بلدته لتأسيس جمعيّة "الأمل"، تحت ستار التّمثيل، كما أسس فوج كشافه ثم أسس مدرسة الفلاح، بالإضافة إلى تأسيس مدرسة النّجاح بقريّة تماسين.

بعد ذلك استطاع أن يشق طريقه إلى الجزائر العاصمة عام 1952، فعمل منتجاً بالإذاعة وأستاذاً في ثانويّة حسيبة بن بوعلي بالقبة، ومدرّساً بمدرسة السّعادة بحي بلكور (بلوزداد حالياً)، ثمّ تفرّغ للإنتاج الإذاعي إلى أن استرجعت الجزائر سيادتها، فجمع من جديد بين التّعليم والعمل الإذاعي إلى أن تقاعد في نوفمبر 1980.

لكنَّ السّائحي تابع نشاطه الإذاعي وبخاصَّة برنامجه اليومي الخفيف المرح "ألوان" الذي كان يشدّ المستمعين من منتصف النّهار إلى غايّةالسّاعة الواحدة ظهراً.

وقد كان السّائحي خفيف الرّوح وصاحب نكتة وحاضر البديهة وقد التّقيت به شخصياً مرَّات عديدة في العاصمة وقسنطينة على هامش الملتقيات والمهرجانات الأدبيّة والفكريّة، فكان مثالاً للأب والأخ والصّديق والنّاقد الحصيف، ومن بين ما أذكره أنه قصّ علينا مرَّة في العاصمة بحضور الأستاذ عبد الرّزاق قسوم رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين والأستاذ محمّد الهادي الحسني ومجموعة من الأساتذة، على هامش ملتقى تربوي للجنة الوطنيّة للعلوم الإسلاميّة في مطلع التّسعينيات من القرن العشرين: أنه رأى في منامه أنّ الرّئيس التّونسي الحبيب بورقيبة قد سلّمه جائزة أولى لأنّه كان الأول في المغرب العربي في لعبة الدّومين، فقال واستغربت كثيراً من هذه الرّؤيا، لكن بعد مدّة قصيرة شاركت في مهرجان الشّعر العربي الحادي عشر الذي أقيم بتونس في مارس 1973، وقد سلمها لي الرّئيسالتّونسي الحبيب بورقيبة، والسّائحي كان عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ تأسيسه.

إنّ محمّد الأخضر السّائحي أو السّائحي الكبير كما يدعوه بعض الدّارسين تمييزاً له من ابن عمّه (عبد القادر السّائحي) قد بدأ نظم الشّعر مبكراً كما مرّ معنا وهو طالب في مدرسة الحياة بالگرارة؛ إذ كان ينشر في مجّلة الشّباب في بدايّة الثّلاثينيات من القرن الماضي، كما أنّه نشر في المجلات والصّحف التّونسيّة والجزائريّة، وقد صدرت له مجموعة من الدّواوين الشّعريّة هي: "همسات وصرخات" دار المطبوعات الجزائريّة 1967. "جمر ورماد". الدّارالعربيّة للكتاب تونس 1980. ثمّ صدر بالجزائر عام 1981 "أناشيد النّصر" الجزائر 1983. إسلاميات الجزائر 1984 "بقايا وأوشال" الجزائر 1987. "الرّاعي وحكايّة ثورة" الجزائر 1988. و"ديوان للأطفال" دار الكتب الجزائر 1983.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره الذي امتدَّ إلى أكثر من ستين (60) سنة من عمره، أنه يتمحور حول القضايا الوطنيّة والمناسبات المختلفة الدّينيّة والاجتماعيّة، والوصف؛ والرّثاء وتمجيد ذكريات العظماء من الرّجال أمثال الأمير عبد القادر، وابن باديس والإبراهيمي والعقاد وغيرهم.

كما نجد له شعراً في المداعبات والفكاهة، بالإضافة إلى شعر موجّه للأطفال، ومن منَّا لا يذكر روائعه مثل: الحديقة السّاحرة. و"نلعب". و"شرطي المرور" و"وداع المدرسة" وغيرها من القصائد الخالدّة التي كانت تطربنا صغاراً وتهزّنا كباراً.

أمَّا لغته الشّعريّة فهي رقيقة شفافة طيّعة يحسن اختيارها وتوظيفها توظيفاً ليناً ومؤثّراً، وعباراته تتسم بالتّدفق والعذوبة. في حين أن صوره الشّعريّة فهي ذات ظلال كثيفة.

وقد قال فيه ابن عمّه السّائحي الصّغير: "صفة السّائحي الأساسيّة هي الشّاعر، لكنَّه امتاز بثلاثة أشياء أخرى: إنه استطاع أن يجعل الشّعر محبباً للأطفال والكبار، ثانياً إنه يعتبر أحد الذين رسخوا الكلمة التي تحبب النّكتة والسّخريّة من طرف الجزائريين، أمّا الثّالثّة فهي أنّه الإنسان بأتم الكلمة لا تكبر ولا يعادي ولا يخاصم، يريد فقط أن يعيش بكرامة ولا يغضب إلا إذا مُسّت كرامته كشخص أو كرامة الوطن الجزائر.

ولهذا كان السّائحي يوصف بـ"شاعر القطرين" الجزائر وتونس وقد ذاع صيته في العالم العربي والإسلامي وكتب عنه الأدباء والنّقاد، كما خلّد اسم الجزائر مقرونا باسمه في كل البلدان التي زارها فرسم صورة الجزائر المجاهدة الأبيّة من خلال قصائده ومداخلاته. وقد اختيرت بعض قصائده لتمثيل الشّعر العربي في عمل تولت "المنظمة العالميّة للثقافة والعلوم -اليونيسكو-" ترجمته إلى معظم لغات العالم.

نماذج من شعره:

رسالة شيخ فلاح إلى ابنه الطّالب

بني أنا الآن في ضيعة
على سورها اسم أخيك الشّهيد
وما زلت أعمل طولالنّهار
ولكني اليوم فيها سعيد
تغير في نظري كل شي
كأني خلقت هنا من جديد
أعانق أشجارها من سروري
وأهفو لأغصانها إذ تميد
ألم تعد الآن ملكي أنا؟
وملك أخي؟ ملك شعبي المجيد
سنحرثها الآن شبراً فشبراً
ونصنع في أرضنا ما نريد
فسر في طريقك إنا هنا
لدى نعمة مالها من مزيد
ستلقاك أمك بعد النّجاح
وتنسى أساها البعيد... البعيد
إذا نابنا قلق عابر

ضحكنا وقلنا شعور بليد
وطفنا بضيعتنا قانعين
أليس اسمها اسم أخيك الشّهيد؟

أشياء أكرهها

أكره ما أكره في "رمضان"
دخول مكتبي بلا "دخان"
وجلسة طويلة في الظّهر
ويقظة بعد طلوع الفجر
وواعظ يعيد للأقوام
ما قيل في الصّوم من ألف عام
وكاذب يشكو عناء الصّوم
ولم يصم في الشّهر أي يوم
وصائم (ثار فسبّ الدّينا)
وراح يؤذي النّاس أجمعينا

شباب القرارة(من الخفيف)

إيه أرض النّبوغ والعبقريّات
ومأوى العلوم والآداب
نهرك الضّاحك الضّفاف وكم ذا
فيه للصبِّ من أَمَانٍ عذاب

رابح دوب

المصادر:

- عبد القادر موهوبي السّائحي الإدريسي الحسني: معجم الصّفوة -تين وزيتون للنشر والتّوزيع- الجزائر- 2012؛
- محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي: روحي لكم -المؤسسة الوطنيّة للكتاب- الجزائر 1986؛
- عبد المالك مرتاض: معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين: دار هومة -الجزائر.

محمّد الأكحل شرفاء
(1343هـ - 1925م/1436هـ - 2015م)

ولد محمد الأكحل شرفاء يوم 18 فبراير سنة خمس وعشرون وتسعمائة وألف (1925) في قريّةإغيل علي ببني شبانة؛ دائرة بني ورتيلان، ولايّة سطيف، حفظ القرآن الكريم وسنه لم يتجاوز 13 من عمره، حيث تلقى ربع القرآن على والدته السّيدة كلثوم بنت سعيد البهلولي، ثم على يد عمه السّيد محمد السّعيد شرفاء، وأتمّ حفظه على يد الشّيخ العربي ولعربي. إلى جانب ذلك حفظ بعض المتون في مختلف الفنون مثل ألفيّة ابن مالك في النحو، ومتن ابن عاشر في الفقه، وابن بري في قراءة نافع، والسّنوسيّة في التوحيد. ثم قعد في حلقات دروس العربيّة والفقه والعقائد التي كان يديرها جدّه، كما تتلمذ على يد الشّيخ أرزقي كتّاب المعروف بالشّيخ "أرزقيشبانب" وأخذ عنه بعض الفنون، ارتحل الشّيخ محمد الأكحل شرفاء إلى باتنة ليدرس في مدرسة التربيّة والتعليم التي كان يديرها محمد الحسن فضلاء، كما التحق بالجامع الأخضر بقسنطينة، وانتظم في سلك طلبة الشّيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله إلى أن توفي عام 1940، بعد ذلك هاجر إلى تونس في مفتتح السّنة الدراسيّة (1947-1948) ليزيد من تفقهه ويوسع دائرة معارف، فانضم إلى جامع الزيتونة وواصل الدراسة فيه حرا دون قيد لمدة سنتين.

مشايخه:

أولا من الجزائر:

- الإمام عبد الحميد بن باديس إلى غايّة 1940.
- الشّيخ المبارك الميلي خلفا للشيخ ابن باديس.
- جده لأمه سعيد البهلولي.
- عمه محمد سعيد شرفاء.
- الشّيخ العربي لعربي الذي أتمّ على يده حفظ كتاب الله تعالى.
- الشّيخ أرزقي كتّاب، أخذ عنه بعض الفنون.

ثانيا: من تونس:

- الشّيخ الصادق بيسيشي وكان له تأثير كبير في بناء شخصيته العلميّة والدعويّة.
- الطاهر الغمراسني.
- محمد بن شريبّة.
- الأمجد قديّة.

وهؤلاء شيوخه في الزيتونة، اضافة إلى أنّه كان متأثرا بالشّيخ الفضيل الورتلاني، ويتابع أخباره في المشرق العربي من خلال الرسائل التي كان يرسلها إليه من بيروت والقاهرة.

بدأ يكتب في الصحف التونسيّة مثل (الإرادة) و(الأسبوع) ذلك مدة إقامته في تونس من سنة 1947 إلى سنة 1948م.

شارك في نشاطات جمعيّة البعثة الطلابيّة لجمعيّة العلماء المسلمين، مثل مداخلته الشّهيرة بمناسبة الذكرى الثامنة لوفاة الشّيخ عبد الحميد بن باديس، أطلق عليه لقب (روح ابن باديس تناديكم).

كانت له مشاركة كبيرة في جريدة البصائر الجزائريّة في ركن الوعظ والإرشاد في السّلسة الثانيّة في الخمسينات، وفي ركن (هذه سبيلي) وفي صفحة (رحاب القرآن والسّنّة) اضافة إلى مجلة العصر ومجلة الأصالة.

نشاطه التعليمي والدعوي:

- قبل الاستقلال:

بدأ نشاطه العلمي عقب وفاة الإمام ابن باديس عام 1940 فانطلق إلى بلدته لتعليم أبناء منطقته وأشرف على التعليم فيها، إلى جانب الوعظ والإرشاد للكبار.

دعى من قريّة حمام "قرقور" لتعليم أبناء المنطقة، ومكث هناك عاما كاملا سنة 1945.

دعي من طرف جمعيّة بني ورثيلان، وأخذ بنشر الدعوة الإسلاميّة، ويدعو إلى النهضة العلميّة، فأسس مدرسة في قريّة(القاع أوزرو) وأشرف عليها.

أسس شعبة جمعيّة العلماء المسلمين في قريّة(القاع أوزرو) وترأسها، فكان العمل الذي برزت به الشّعبة هو بناء مسجد مع أقسام للتعليم تابعة له. وزارة الشّيخ البشير الإبراهيمي في خريف 1948.

عيّنته لجنة التعليم مديرا لمدرسة (إغيل النصر)بأقبو، بعد عودته من تونس عام 1949، ومكث هناك أربع (4) سنوات، وتعرض لعدة محاكمات في هذه الفترة لتدريسه للغة العربيّة دون رخصة.

عيّن مديرا لمدرسة التهذيب بالبرج في سنة 1953، ثم مدرسة الإحسان بالقليعة سنة 1955.

كلفته القيادة الثوريّة بتولي التوجيه الثوري في المنطقة، وظل على اتصال بمهمته حتى فجر الاستقلال.

- بعد الاستقلال:

عيّن أستاذا بعد الاستقلال بثانويّة عقبة.

انتقل سنة 1963 إلى ثانويّة ابن تومرت ببوفريك.

عيّن أستاذا بثانويّة وريدة مداد بالحراش من 1964 إلى 1966.

انتقل بعدها لثانويّةالثعالبيّة، ثم ثانويّة عائشة أم المؤمنين التي لبث فيها من 1966 إلى 1973.

اشتغل أستاذا بمعهد التكوين التربوي مصطفى خالف بابن عكنون الذي بقي فيه لدة ثماني (8) سنوات.

انتدب بعدها إلى وزارة الشّؤون الدينيّة والأوقاف مفتشا عاما سنة 1986، وأحيل في هذه السّنة على التقاعد.

بقي الشّيخ قائما على درب العلماء والدعاة، يحقق العديد من الإنجازات، حيث قدّم عشرات الأحاديث الدينيّة المتلفزة، وشارك باستمرار في مختلف المحاضرات والملتقيات والمؤتمرات الدينيّة داخل الوطن وخارجه.

ومن أهم ما طبع مساره الدعوي دروسه الدينيّة في الحرمين الشّريفين في مواسم الحج مع البعثة الجزائريّة، وكذا مشاركته في ملتقيات الفكر الإسلامي، والدروس الحسنيّة بالمغرب.

انتخب الشّيخ الأكحل محمد شرفاء نائبا لرئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في مؤتمر الجمعيّة لسنة 2008، ثم اختير ليكون رئيسا شرفيا لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين.

توفي الشّيخ العلم الجليل محمد الأكحل محمد شرفاء يوم 08 فبراير 2015 عن 90 سنة، ونعته جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في بيان رسمي واصفة إياه بتلميذ ابن باديس، ووري جثمانه الطاهر في مقبرة بن عكنون.

من أقواله في الاسلام:

الإسلام لا يتحقق أبدا في من يقول ولا يفعل ويعلن ولا يلتزم.

الشّعور برقابة الله عزّ وجل يجعل المؤمن يقول فصلا ويحكم عدلا.

في الوطن:

لقد كان الإسلام روحا دافعة وقوة صامدة في ثورة الجزائر المسلمة.

في المجتمع:

إنّ الأمم بأعلامها علماء كانوا أو ساسة أو قادة عسكريين، إنّهم الذين يجسدون روحها التواقة إلى الكمال وجلائل الأعمال، وهم النبراس الذي ينير لها الطريق إلى الحياة الحرة الكريمة.

أقوال بعض العلماء فيه

يقول الأستاذ محمد بن عقيلة: "كان الشّيخ محمد الأكحل شرفاء معتمد جمعيّة العلماء المسلمين الوحيد في المنطقة التي ولدت فيها بمنطقة القبائل، وقد اعتبر قدومه لتمثل الجمعيّة بمثابة الحدث التاريخي...وأعترف بأنّ أول مرة تعلمت فيها اللغة العربيّة، كانت على يد شرفاء، لأن ما كان موجودا في المنطقة لا يتعدى تعليم القرآن".

ويقول الأستاذ عبد الحميد عبدوس: "وسام شرف لعالم رباني عاش طيلة حياته مناضلا ومجاهدا من أجل قضيّة عادلة في تحبيب وتقريب الإسلام للناس في المداشر والقرى داخل وخارج الوطن".

ويقول الزبير الثعالبي: "عرفت الشّيخ محمد الأكحل شرفاء في سنة 1952م عندما كنت طالبا لدى جمعيّة العلماء بمدرسة أقبو بولايّة بجايّة...كان داعيّة ينطلق من القرآن والسّنة لإنارة طريق دعوته، ويتخذ منها منهج عمل وأسلوب حياة، لقد وهب نفسه لخدمة الدين الإسلامي والهويّة الوطنيّة".

كريمة نعلوف

لحول تسعديت

المصادر:

- الشّيخ محمد الأكحل شرفاء من أعلام الإصلاح في الجزائر، سلسلة أعلام الجزائر 7.
- العلامة محمد الأكحلشرفاءينتقل إلى جوار ربه، الشّروق.
- جزايرس :حفظ القرآن على يدي أمّه.

محمّد الأمين العمودي
(1308هـ - 1891م/1376هـ - 1957م)

هو محمّد الأمين العمودي، المولود بالوادي سنة 1307 هـ/ 1891م، وتوفّى أبوه وهو صغير فكفله عمّه (محمّد بن عبد الرّحمن العمودي) الذي تعلّم على يده القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربيّة. تربّى الابن يتيماً وفي عائلة فقيرة معدمة، ودخل الكُتّاب في قريته، وانتقل إلى بسكرة لمواصلة التّعليم الثّانوي، ومن ثمّ إلى ثانويّة بقسنطينة، واكتسب المستوى الثّقافي الذي دعّمه بِعِصَاميته وبعمله وكيلاً شرعياً ببسكرة، ولقاءاته الكثيرة بعديد العلماء، وبعلاقاته مع المثّقفين وأصبح يتحكّم في العربيّة والفرنسيّة أيّما تحكّم.

الوعي السّياسيّ والإصلاحيّ للعمودي:

كان (العمودي) متعدّد المواهب والإمكانات، فهو سياسيّ، خطيب، صحافيّ، إصلاحيّ، أديب، ومارس نشاطاً

متعدّد الوجوه أكسبه الوعي السّياسي والإصلاح الذي بدأه صغيراً؛ بخوض غمار الدّعوة إلى إصلاح أوضاع المجتمع الجزائريّ من خلال الصّحافة، وهذا منذ 1925م، حيث يكتب باللغتين العربيّة والفرنسيّة، في أغلب صحف النّهضة مثل جريدتي: النّجاح، الإقدام، إضافة إلى كتابته في بعض الصّحف التّونسيّة التي تدخل إلى الجزائر. كما كان ينشر مقالاته في جرائد تصدر عن مصلحين جزائريين مشهود لهم بغيرتهم على إصلاح الوضع المتدهور للجزائر إبان فترة المستدمِر. وانطلق من مساندته الأمير (خالد) في حملته الانتخابيّة، ثمّ مع الدّكتور (سعدان)حين ترشّح ببسكرة، ويكون عضواً في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في عيّن أميناً عامّاً لها، ويترجم قانونها الدّاخلي إلى الفرنسيّة. ومن خلال الجمعيّةيكون له نشاط في بلوغ أهدافها عن طريق الكتابة في الجرائد العربيّة، وفي جريدة الدّفاع / LA DEFENSE والشّباب المسلم باللغة الفرنسيّة. ومن ثمّ يبرز دوره السّياسيّ في الجهود التي بذلها لتنظيم المؤتمرالإسلاميّ في 7 جوان 1936م، ليكون أحد الموفدين إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمرالإسلاميّ إلى الحكومة الفرنسيّة. ولما عاد من باريس قام بحملة شرح وتوعيّة لنتائج المؤتمر، وفي سنة 1937م يؤسّس (جمعيّةشباب المؤتمرالإسلاميّ) ومن خلالها ينتشر أكثر على مستوى الوطن، وينشر خطاب الوعي السّياسيّ الدّاعي للانعتاق من فرنسا.

الخطاب الوطنيّ لدى (العمودي):

إنّ أوّل ظهور له يعود إلى ارتقائه منبر نادي التّرقي بالعاصمة، ويظلّ يلقي في الخطابات الحماسيّة لتغذيّة الشّعور الوطنيّ بأهميّة التّحرّك من أجل حياة أفضل خارج المُستدمِر الذي قيّد الأنفاس، وعفس النّاس، وما ترك الأساس. وبسلاسة لسانه المُتقِن للغتين؛ ينال مواقع في المخيال الجماعيّ الجزائريّ، ويتمكّن من ربط الخطاب الحماسيّ بالواقع المرّ الذي ينقله عبر تلك المحطّات الإعلاميّة التي اتّخذها منابر مع أنداده؛ ليكون له وقع وأثر في تحريك المجتمع. وأفلح في صدّ كفة المُستدمِر وأتباعه القائلين "بالرّضا بما قُدّر لك". إنّ (العمودي) يحمل خطاباً جديداً يبدؤه في منتصف العشرينيات، وعبر الجرائد والجمعيات العالميّة التي يعرّف بالمسألة الوطنيّة؛ متّخذاً الإعلام النّاطق بالفرنسيّةمحطّة لتوصيل قضيّته للخصم العدو، وليرفع من مستوى تفعيل المستمع الفرنسيّ. ويظلّ يناضل بقلمه على أنّه سلاح في معركة التّحرّر، ويقوم بكلّ ما أُوتيَ من قوّة من أجل الدّفاع عن الكرامة، والحفاظ على مبادئ الشّعب الجزائريّ وقيمه كاللغة العربيّةوالدّين والتّاريخ.



العمودي وصَحْبُه من المصلحين:

كان (العمودي) يهتمّ بالإصلاح قبل ظهور جمعيّة العلماء المسلمين، فهو الذي دعا على صفحات جريدة (الإصلاح) لصاحبها الطّيب العقبي سنة 1930 إلى تأسيس جمعيّة دينيّة يلتقي فيها العلماء والمفكّرون الجزائريون، ويكون منهجها الإصلاح وأساسها الدّعوة إلى الإسلام الصّحيح، ويتحقّق ذلك في تأسيس (جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين) في 5 ماي 1931م. ومن خلال هذا الفعل الدّعوي يكوّن أصحابه الذين يجمعهم همّ الوطن من أمثال الطّيب العقبي، محمّد العيد آل خليفة، ابن باديس، الفضيل الورثلاني، وثلّة من معتقلي السّجون... الوقود الفعليّ للقيام بثورة نوفمبر المجيدة. وهكذا يُسهم معه صحبه في انتشار الجمعيّةوطنياً، والقيام بنشاط تربويّ واسع، كما يتعاون مع مجموعة من الشّباب للمحافظة على المبادئ الوطنيّة مثل (الفضيل الورثلاني، حمزة بوكوشة، الشّريف سعدان، محمّد السّعيد الزّاهري...) ويبقى لا يهدأ له بالٌ رغم التّضييق الذي مارسته فرنسا عليه وأصحابه، وتأتي ثورة الأوّل من نوفمبر 1954م فيتابع ما يكتب عنها باللغة الفرنسيّة، ويترجمها إلى اللغة العربيّة؛ ليطّلع عليه زملاؤه الذين لا يتقنون اللغة الفرنسيّة، ويُسجّل عليه أنّه مترجم لائحة المطالب التي تقدّمت بها جبهة التّحرير الوطني إلى هيأة الأمم المتحدّة. ولما عرفت فرنسا ذلك؛ طلبت منه الطّعن في الثّورة والثّوار، ويرفض الطّلب، وهنا تبدأ مؤامرة الاغتيال، بترصّده من قبل منظمّة إرهابيّة فرنسيّة(اليدّ الحمراء) على القطار المتوجّه من العاصمة إلى قسنطينة ذات العاشر (10)من أكتوبر 1957م/ 1377 هـ. ويُرمى به على أعمدة حديديّةفي حاشيّة الطّريق على بعد كيلومتر واحد من محطّة (العجيبة) شرق ولايّة البويرة.

ـ العمودي والأدب: من المُقلّين الذين قرضوا الشّعر، رغم أنّه يتقن نظمه، ولكن انشغاله السّياسيّ والإصلاحيّ لم يترك له إلاّ بعض الشّعر التّشاؤمي، ويقول (أبو القاسم سعد الله): "من أبرز عناصر المثقّفين والسّياسيين في القرن العشرين بالجزائر، ولكنّ حظّه كان عاثراً فلم يبلغ مراده في الحياة ولا في الآداب، وقد اشتكى ذلك في مراسلته لمؤلّف (شعراء الجزائر) محمّد الهادي السّنوسي". ويمكن أن نورد أطرافاً من شعره من خلال هذه المقطوعة التي عَنْوَنَها:

لي إسوة

خيرُ خصالِ الفتى حزمٌ وإقدامُ
وشرّها عن قضاء الوطَرِ إحجامُ
نفسي تريد العُلا والدّهرُ يعكسها
بالقهرِ والزّجرِ إنّ الدّهرَ ظلاّمُ
إنّ الزّمانَ سطا عنّي بسطوته
كما سطا عن ضعيف الوحش ضِرْغامُ
أبكي إذا اشتدّ إرزام الحوادث بي
وللحوادث مثل الرّعد إرزامُ
إنْ حلّ عامٌ جديدٌ قمتُأسأله
قلْ لي بماذا أتيتَ أيّها العامُّ؟

هـذا القضـاءُ عـلى مـن خـصـمه ملكٌ
لا يعتـري فـاه وقت الـحكـم تِبسامُ
قـلْ للـذيـن تـمـادَوْا فـي غوايـتهم
هل فـي قـلـوبكـمُ يـا قـومُ إسلامُ؟
إنّـي وإنْ حطَّ سـوء الـحظّ مـنزلـتي
وقـد عـلا شـرفـي بـالظّلـم أقـوامُ
فـي خلقتي رجلٌ برٌّ وفـي أدبـي
فحـلٌ لأثـمـن دُرّ الشّعـــــر نظّامُ
لـو اتّخذت خليج الـبحـر مِحبرةً
وصِيغ لـي مـن يراع العـلـم أقـلامُ
وكـان لـي الجـو قـرطاسًا أمهّده
ضـاقت عـلى ذكر مـا قـاسـيـت أعـوام
لـي أسـوةٌ بـالأُلى غارت كـواكبُـهـم
ولـم تَهَبْ لهـمُ الأقـدارُ مـا رامـوا

ويجمع المختصّون في الأدب أنّ شـعره فيه مسـحة من التّشـاؤم نتيجة الأوضاع التي فرضتها فرنسـا على الجزائريين، حتى أطلق عليه لقب (شاعر البؤس) ولكن هذا التّشاؤم لم يحطّم نفسـيّته العنيدة وهمّته العاليّة، وإذا كان قد ساءه انحطاطه- المادي- في الورى، لما في ذلك الانحطـاط من المذلّة والهوان، إلا أنّه يؤكّد أنّ:

ما همّتي الإكثار من مال
ولا عشق العذارى القاتل الفتّانُ
بل همّتي المجد المؤثل، والعلا
إنّي بذين لمغرم هيْمانُ
دارَ زمانُك يا (أمين) وأهله
واصبرْ على ما قدّر الرّحمانُ

فإذا صبرتَ على احتمال مصيبةٍ
يوماً، تولّى أمرَها الدّيانُ
واجعلْ من الإيمان قوّتك كلّه
ما خاب مَنْ في قلبه الإيمانُ

وأمام هذا التّشاؤم، ولكنّي أرى فيه الهمّة العاليّـة والشّـموخ، وهـو الـذي يصـدق فيه قول مـن يقول: "الشّـباب يصنعـون التّاريخ بقلوبهـم، والعلمـاء يصنعونـه بعقولهـم، والحكمـاء يصنعونه بأرواحهـم، فإذا تعاون العقـلُ والقلبُ والـرّوحُ على صنـع التّاريخ كان تاريخـاً لا ينطفـئ نـوره، ولا تخبو آثاره وكذلك صنعنا التّاريخ".

صالح بلعيد

محمّد الأمـيـن دباغين
(1335هـ - 1917م/1423هـ - 2003م)

هـو (محمّـد الأميـن دباغيـن)؛ وُلـد يـوم : (1ربيـع الآخر1335هــ)، المُوافـق لـ(24يناير1917م)، بحـي (حُسـين داي) فـي (الجزائـر العاصمـة)، تابع دراسـته في الطـب، وكان مـن بيـن أبـرز أعضـاء حزب الشّـعب الجزائـري الذين ناضلـوا وكافحوا بحـق، وصـدق، وكان أحـد أهـم الأعضـاء المثقفيـن فـي حـزب الشّـعب الحزائـري؛ ممـا جعلـه يحظـى بمكانـة متميـزة فـي صفوفـه، ويلاحـظ المتتبـع لتاريـخ الثـورة الجزائريّـة أن المناضـل الجزائـري الكبيـر (محمّـد الأميـن دباغين) لـم يحـظ بالعنايّة الكافيّـة مـن الدراسـة والبحـث، ولـم يلـق اهتمامـاً واسـعاً مـن قبـل مختلـف الباحثيـن والمؤرخين، ويمكن أن نستشـهد فـي هـذا الصـدد بقـول المـؤرخ الراحـل الدكتور(يحيـى بوعزيـز) عندمـا تحـدث عـن (الأميـن دباغيـن) قائـلاً: "هـو أحـد المناضليـن الكبـار الـذي شـاءت الظـروف أن تفـرض عليـه نوعـاً مـن الحصـار والتعتيـم، وشـاء سـلوكه هـو أن يُطبـق عليه



الصمـت القاتل...إنـه الحكيـم محمّـد الأميـن دباغيـن الـذي كان يمثـل الرجـل الثانـي فـي حـزب الشّـعب الجزائـري وحركـة الانتصـار، بعـد الزعيـم الحـاج أحمـد مصالـي خـلال عقـدي الثلاثينيـات والأربعينيـات، إنـه رجـل منظـر، وصاحب مواقـف، لـه خبـرة كبيـرة فـي النضـال الوطنـي، يتسـم بالهـدوء، ويفضـل العمـل بصمت، وفـي مجموعـات ضيقـة محدودة العـدد، ويبتعـد عـن الغوغائيّـة، ويميـل إلـى الدقـة فـي اقتراحاتـه وتخطيطاتـه، وإليـه يعـود الفضـل فـي تحديـد أفـكار ومحـاور بيـان الشّـعب الجزائـري الـذي كلـف فرحـات عبـاس بتحريـره فـي مطلـع عـام:1943م، وسـلم إلـى الولايّـة العامـة وحكومـات الحلفـاء...، وعندمـا اتضـح انهـزام النازيّـة، وانتصـار الحلفـاء فـي الحـرب أواخـر عـام:1944م، فكّـر فـي إعـلان حكومـة جزائريّـة بمنطقـة معينـة في شـمال أفريقيا، وتحـاور مع الزعيـم مصالي الحـاج فـي الأمـر فاقتنـع بالفكـرة... ".

مـن أهـم الكتـب التـي صـدرت عـن المناضـل الكبير(محمّـد الأميـن دباغيـن) كتـاب الأسـتاذ (حميـد عبـد القـادر)، الموسـوم ب:"الدكتـور الأميـن دباغين:المثقـف والثـورة"، إذ يُعـد محاولة متميـزة بغـرض رد الاعتبـار إلـى هـذه الشّـخصيّة النضاليّـة الفـذة، فهـو واحـد مـن الكتـب القليلـة التـي اهتمت بشـخصيّة الأميـن دباغيـن مـن مختلـف الجوانـب،

وهو يعكس وفاء مؤلفه لواحد من كبار المجاهدين الجزائريين الأفذاذ الذين يعتبرون من الشّخصيات المثيرة للجدل خلافاً لمعظم معاصريه، فقد عالج في دراسته هذه مسيرة الدكتور(الأمين دباغين) بتفاصيلها، وتوقف مع جهوده منذ أن بدأ مناضلاً في صفوف حزب الشّعب، وتتبع خطواته مُركزاً على دوره في الحركة الوطنيّة، وإبان ثورة التحرير المظفرة، والقارئ المتمعن لفصول الكتاب يدرك الجوانب العديدة التي تميز بها الكتاب، ومن هذه الجوانب ما يتصل بالمادة العلميّة، وما تميزت به من ثراء في المعلومات والاستنتاجات، ومنها ما يتعلق بالجانب التاريخي، ولاسيما أن المؤلف قدم مجموعة من التفصيلات التي سلط من خلالها الضوء على أوضاع الجزائر خلال الفترة التي سبقت ثورة التحرير الجزائريّة، ومنها انتقل إلى الحديث عن شخصيّة المناضل (محمّد الأمين دباغين)، وقد استند المؤلف في مادة كتابه إلى مجموعة كبيرة من المصادر، والمراجع، والوثائق التاريخيّة.

قسم الأستاذ (حميد عبد القادر) كتابه إلى ثمانيّة فصول، فخص كل قسم بمرحلة تاريخيّة معينة، في مقدمة الكتاب تحدث عن"محمّد الأمين دباغين ومصير البرجوازيّة الوطنيّة"، وقدم لمحة عن حياته، وذكر بأنه ينتمي إلى البرجوازيّة الوطنيّة وفئة المثقفين الذين عرفوا بمناهضتهم للاستعمار الفرنسي، وخير دليل على ذلك نشاطه الدءوب في صفوف حزب الشّعب الجزائري، ويؤكد المؤلف على أن الأمين دباغين رغم ما قدمه من تضحيات جمة لخدمة فكرة الثورة المسلحة، بيد أن الذاكرة الشّعبيّة لا تحفظ عنه الشّيء الكثير، فقد لحقه النسيان، وكان ضحيّة الإقصاء.

الفصل الأول من الكتاب وسمه المؤلف ب"مصالي الحاج يعبد الطريق أمام الأمين دباغين"، وقد تحدث في هذا الفصل عن مسيرة مصالي الحاج، رائد الحركة الوطنيّة الجزائريّة الذي أسس حزب الشّعب الجزائري يوم: (11مارس1937م)، وتطرق إلى جهوده النضاليّة المتنوعة التي كان لها الفضل الكبير في تجذر حزب الشّعب الجزائري في أوساط الشّعب في مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات، أما الفصل الثاني من الكتاب فقد خصصه للحديث عن"أوضاع الجزائر عشيّة الحرب العالميّة الثانيّة"، والتي تميزت بعجز حكومة الجبهة الشّعبيّة التي حكمت فرنسا سنة: (1936م) عن تطبيق الإصلاحات التي سبق وأن وعدت بها الشّعب الجزائري، وعرفت إقصاءً كبيراً للأهالي.

تحت عنوان"رفض المشاركة في الحرب العالميّة الثانيّة"ذكر المؤلف في الفصل الثالث من الكتاب أن محمّد الأمين دباغين رفض الانضمام إلى صفوف الجيش الفرنسي عند قيام الحرب العالميّة الثانيّة سنة: (1939م)، دون أن يدفعه هذا الرفض إلى الارتماء في أحضان النازيّة، وفي سنة: (1943م) ألقي عليه القبض من طرف السلطات الاستعماريّة، ومكث في السجن إلى غايّة سنة: (1944م).

وأشار المؤلف إلى حل حزب الشّعب الجزائري، وتطرق إلى مواقف مجموعة من المناضلين الذين رفضوا التعامل مع ألمانيا الهتليريّة وفي مقدمتهم الدكتور (الأمين دباغين)، وفي الفصل الرابع من الكتاب

تحدث المؤلف عن تعيين (الأمين دباغين) على رأس حزب الشّعب الجزائري في ظل غياب (مصالي الحاج)، ووجوده بالسجن، وذلك في شهر أكتوبر سنة: (1942م)، وقد تعاطف (الأمين دباغين) مع"لجنة الحركة الثوريّة بشمال إفريقيا"، ومع موقفها الذي يؤكد على ضرورة مقاومة الاستعمار الفرنسي، بيد أنه رفض مسايرتها في دعوتها إلى التعاون مع النازيين.

كما توقف المؤلف في هذا الفصل مع أهم التحولات التي وقعت سنة:1942م، وذكر في هذا الصدد أن النزعة الوطنيّة اكتسحت مختلف الأوساط، إلى درجة أن (فرحات عباس) رفض المطالبة بالاندماج، وتحول إلى المطالبة بالفيدراليّة، وفي هذه الفترة اشتد حماس الشّعب الجزائري بعد الإنزال الأمريكي في الثامن من شهر نوفمبر، وقد اجتمعت مختلف التشكيلات السياسيّة بغرض ضبط خطة عمل مشتركة.

وفي الفصل الخامس من الكتاب الذي عنونه ب"صراع مع مصالي الحاج"، تطرق الأستاذ (حميد عبد القادر) إلى مختلف الخلافات التي وقعت مع مصالي الحاجّ، وأشار إلى أن (الأمين دباغين) كان يعتقد بأن (مصالي الحاج) لا يمكن أن يكون رجل المرحلة الجديدة، وعنون الفصل السادس من الكتاب ب:"الطريق نحو لوس" وتناول فيه جملة من القضايا التي تتصل بتعمق الخلافات في حركة انتصار الحريات الديمقراطيّة، وفي الفصلين الأخيرين من الكتاب تتبع المؤلف مسار المناضل الكبير (الأمين دباغين)، بعد التحاقه بثورة التحرير، حينما اتصل به (عبان رمضان) وأقنعه بضرورة التنقل إلى القاهرة للالتحاق بوفد جبهة التحرير الوطني، وتوقف مع يومياته في القاهرة، وأورد نص رسالة استقالته التي كتبها في شهر أكتوبر بتونس سنة: (1959م)، ونص رسالة تبرير الاستقالة التي كتبها في: (17نوفمبر1959م)، وكما هو معروف فقد انسحب (الأمين دباغين) بعد الاستقلال من العمل السياسي نهائياً إلى أن وافته المنيّة، يوم: (16ذو القعدة1423هـ)، المُوافق لـ(19يناير2003م).

يقول عنه الدكتور:(أحمد طالب الإبراهيمي) في الجزء الأول من مذكراته الموسومة ب: "مذكرات جزائري الجزء الأول:أحلام ومحن 1932-1965م": "كانت الشّخصيّة الجزائريّة الوحيدة التي يستقبلها والدي (الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي) في بيته، وليس في مكتبه، هي الدكتور محمّد الأمين دباغين، وكان

الفضـول يعتصرنـي لمعرفـة فحـوى هـذه المباحثـات التـي كانـت منتظمـة ومتواترة، وتجـري دائمـاً علـى انفـراد، وبحكـم معرفتـي بالرجليـن فإنـي أكاد أجـزم اليـوم أنهمـا كانـا يبحثـان عـن مـد الجسـور بيـن حركـة انتصـار الحريـات الديمقراطيّـة، وجمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائرييـن، وكان الدكتـور الأميـن دباغيـن، الرجـل الكتـوم وبـلا شـك الشّـخصيّة الأعمـق فـي الوطنيّـة الجزائريّـة، وأحـد أعمـدة حـزب الشّـعب قـد أدرك قبـل غيـره النزعة التسـلطيّة لمصالـي الحـاجّ، وحـاول بـلا جـدوى محاربتهـا داخـل حـزب الشّـعب، ثـم فـي حركـة انتصـار الحريـات الديمقراطيّـة".

محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة

المصادر:

- د.يحيى بوعزيز:رحلة في فضاء العمر، منشورات وزارة المجاهدين-طبعة خاصة-، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- حميد عبد القادر:الدكتور الأمين دباغين المثقف والثورة، منشورات دار المعرفة، الجزائر، 2011م.
- د.أحمد طالب الإبراهيمي:مذكرات جزائري، الجزء الأول: أحلام ومحن(1932-1965م)، منشورات دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.
- د.محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة:بحوث وقراءات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 1437هـ/ 2016م.

محمّد البشير الإبراهيمي
(1306هـ - 1889م/1384هـ - 1965م)

محمّـد البشـير بـن عمـر الإبراهيمـي، خطيـب مفـوّه، ومحـدّث بـارع، وبلاغـي مـن الطّـراز العالـي، موسـوعيّ الثّقافـة، لـه اطـلاع عميـق علـى فنـون وحقـول الأدب العربـي، والتّاريـخ واللغـة وعلـوم الدّيـن، كان واسـع المعرفة بالفقه والتّشـريع وعلوم اللغـة والأدب سـخّر علمـه وقلمـه لخدمـة وطنـه وللدفاع عـن اللغـة العربيّة، فهـو يُعَد من الأفـذاذ المعدوديـن والعلمـاء العامليـن فـي الجزائـر، ويعـزّ أن تجـد لـه نظيـرًا فـي العلـم والعمل، وقـد كانت مواقفـه الجريئة سـببا فـي وضعـه تحـت الإقامـة الجبريّـة حتـى وفاتـه، ولـد البشـير الإبراهيمـي يـوم الخميـس 14 شـوال 1306هـ الموافـق 13 يونيو/ حزيـران 1889م، فـي قريّـة رأس الـوادي بالشّـرق الجزائري ونشـأ فـي عائلة عريقـة فـي العلـم، فـي قبيلـة ريغة الشّـهيرة بـأوّلاد ابراهـم بالقـرب مـن مدينة سـطيف عـام 1889م، بـدأ فـي حفـظ القـرآن الكريم فـي الثّالثّـة مـن عمـره على يـد عمه الشّـيخ المكّـي الإبراهيمـي، الـذي كان لـه الفضل الأكبـر فـي نشـأته وتربيتـه. فـي التّاسـعة مـن عمره أتـم حفـظ القـرآن، وحفـظ ألفيّة ابـن مالـك وابـن معـط الجزائـري، وألفيتي الحافـظ العراقـي فـي السّـير والأثـر، وبعـد



وفـاة عمـه تولـى تدريـس طلبتـه وهـو فـي الرّابعـة عشـرة مـن عمـره، وظل علـى ذلك حتـى بلـغ العشـرين تولـى رئاسـة جمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائرييـن بعـد وفـاة الشّـيخ عبـد الحميـد بـن باديـس، عضـو فـي الكثيـر مـن المجامـع اللغويّـة العربيّـة منهـا:مجمـع القاهـرة، مجمـع دمشـق، مجمـع بغـداد، ويعـد أحـد أبـرز رجـال الإصلاح في الجزائر، درس بمسـقط رأسـه عـن أبيـه وعمـه، ثـم التّحـق بزاويّـة ابـن شـريف فـي شـلاطة بجبـال القبائـل، هاجر إلـى المدينـة المنـوّرة أواخرعـام1911م، ليلتحـق بأبيـه الـذي ذهـب إلـى المدينـة المنـوّرة هروبـا مـن ويـلات الاسـتدمار الفرنسـي، بعـد وصولـه المدينـة المنـوّرة لازم كلا مـن الشّـيخ عبـد العزيـز الوزيـر التّونسـي، والشّـيخ حسـين أحمـد الفيـض أبـادي الهنـدي، وعلـى أيديهمـا اسـتزاد مـن علـم الحديـث روايّـة ودرايّـة، ومـن علـم التّفسـير علـى يـدّ الشّـيخ إبراهيـم الأسـكوبي، وهنـاك التّقـى بالعلّامـة عبـد الحميـد بـن باديـس رائـد النّهضـة الإصلاحيّـة بالجزائـر، عـرض عليـه الأمير فيصـل بـن الحسـين تولّـي إدارة المعـارف بالمدينـة المنـوّرة، لكنّـه رفـض ذلـك وقرر العـودة إلـى الجزائـر عـام 1920.

أقـام بمدينة سـطيف وأنشـأ فيها مسـجدا ومدرسـة، ورفـض وظيفة عرضـت عليه من طرف السّـلطات الفرنسـيّة واكتفى بممارسـة التّجـارة رفقـة أبنائـه ثـم انتقـل إلـى سـوريا وعمـل أسـتاذا لـلأدب العربـي بالمدرسـة السّـلطانيّة، وكان مـن بيـن الزّعمـاء العـرب وقـادة الفكـر الذيـن التّفـوا حـول الأميـر فيصـل بـن الحسـين، وبايعـوه زعيمـا للثـورة العربيّـة الكبـرى إثـر إعـدام جمـال باشـا أحـرار العـرب فـي دمشـق وبيـروت عـام 1921م، وفـي السّـنة نفسـها عـاد إلـى الجزائـر واسـتقرّ بمدينـة سـطيف، ومتفرغـا للتّدريـس، كان مـن أبـرز المؤسّسـين لجمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائرييـن عـام 1931، حيـث انتخـب نائبـا لرئيـس

الجمعيّة الشّيخ عبد الحميد بن باديس، ثم انتقل إلى تلمسان واستقرّ بها مدة 08 سنوات كان يلقي خلالها دروسا قيمة، وقد أشرف على إنشاء دار الحديث التي افتتحت في السّنة الدّراسيّة عام 1937ـ 1938، تبنى البشير الإبراهيمي التّوجه الإسلامي الوطني، ودافع عن ذلك في مقالاته وكتبه وخطبه أيام الاستعمّار وبعد الاستقلال، فقد نفته السلطات الاستعمّاريّة إلى آفلو وذلك عام 1940م بسبب مقالة صحفيّة نشرتها جريدة عربيّة، فكتب إليه الشّيخ عبد الحميد بن باديس رسالة ينوّه فيها بمواقفه النّبيلة قبيل وفاته بأيام قليلة، ولما رحل العلّامة الشّيخ ابن باديس إلى الرّفيق الأعلى منع من حضور تشييع جنازته، وبعد أسبوع من نفيه ورحيل الشّيخ بن باديس تم انتخابه رئيسا لجمعيّة العلماء المسلمين وتولى رئاستها عن بعد لمدة ثلاث سنوات، إلى حين إطلاق سراحه عام 1943.

في عام 1945 زُجّ بالإبراهيمي في السّجن العسكري الفرنسي ولاقى ألوانا من التّعذيب، وبعد إطلاق سراحه في 1946 أنشأ مجّلة البصائر وقد واظب على نشر مقالاته القيمة فيها باستمرّار، جمعت في كتاب نشر بعد وفاته أطلق عليه عيون البصائر، وهي المقالات المنتقاة من جريدة البصائر التي كان يداوم على نشرها في الجريدة، وفي عام 1948م أشرف على إنشاء هيئة عليا لمساعدّة فلسطين المحتلة، والتي شارك فيها رجال من جمعيّة العلماء، ورجال من الأحزاب السّياسيّة آنذاك ، في عام 1950 سافر إلى فرنسا للعلاج، واغتنم تواجده بفرنسا للاتصال بالمسؤولين الفرنسيين ورجال الفكر والصّحافة لتبليغهم مطالب جمعيّة العلماء المسلمين فيما يتعلق بالتّعليم العربي وفصل الدّين عن السّياسة الفرنسيّة، وبمناسبة انعقاد الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة بباريس عام 1950 رحل مرة أخرى للالتّقاء بممثلي الدّول العربيّة، وفي مناسبة احتفائيّة بأحد فنادق باريس خطب في الحضور خطبة عصماء غايّة في البلاغة والإبلاغ، فأعجب الحضور بفصاحته، ووجهوا له دعوة لزيارة بعض البلدان العربيّة للتعريف بالقضيّة الجزائريّة، ولحضور مؤتمر كراتشي الإسلامي بباكستان، ووعدوه بالتّكفل بالطّلبة الجزائريين، الذين كانوا يدرسون بالمدارس الحرّة التّابعة لجمعيّة العلماء الجزائريين، وبخاصّة طلبة معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة

وبعد فترة من الوقت رحل إلى المشرق فطاف بالعديد من الدّول العربيّة والإسلاميّة، ونهض بعدّة مهام لصالح القضيّة الجزائريّة، والقضيّة الفلسطينيّة، وبعد اندلاع الثّورة التّحريريّة المضفرة أيدها من القاهرة وبارك لها، وأصدر حينها بيانا للشعب الجزائري بمعيّة الرّحالة الفضيل الورتلاني، وأصبح من ممثلي القضيّة الجزائريّة بالخارج، وبعد الاستقلال عاد إلى الجزائر وألقى خطبة عصماء في جامع كتشاوة حضرها الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر وعدد كبير من الشّخصيات والقادة العرب والمسلمين.

أسهم الإبراهيمي بجهده وعلمه في التّعريف بالقضيّة الجزائريّة، وكان نشاطه في رئاسة جمعيّة العلماء بارزا من خلال تأسيس مراكز ومدارس خرجت قادة الثّورة المسلحة، وقد أنشأ 73 مدرسة وكتابا في عام واحد.

في 16 أبريل/ نيسان 1964 أصدر بيانا انتقد فيه تخلي الحكومة عن المبادئ الإسلاميّة في عهد الرّئيس أحمد بن بلة، فصدر قرار بوضعه في الإقامة الجبريّة وبقي كذلك إلى أن وافته المنيّة 20 مايو 1965..

كان الإمام أعجوبة الأعاجيب في الألمعيّة، وبُعد النّظر، وعمق التّفكير، وجدّة الخاطر، واستنارة البصيرة، وسرعة الاستنتاج، واستشفاف المخبات، حكيم بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى. حجة من حجج الله في فهم أسرار الشّريعة ودقائقها وتطبيقها، وفي البصر بسنن الله في الأنفس والآفاق، وفي العلم بطبائع الاجتماع البشري وعوارضه ونقائص.

يعدّ الإبراهيمي من علماء الإصلاح، وضد الجمود والخمود، فقد كان ثائراً بمعنى الكلمة، ودعا إلى إعمال العقل والاجتهاد، والبحث عن وسائل نهضة الأمّة، وشنَّ حرباً لا هوادة فيها على دعاة الجمود.

وكان مطلعاً على الفقه وأصوله اطلاعاً واسعاً، ثائراً على العصبيات المذهبيّة، مستوعباً لمقاصد الشّريعة وحكمها.

كان الإبراهيمي زاهداً في الدّنيا من كبار الزّهاد، لم يرث مالاً ولم يتموَّل أموالاً، وعاش مع أسرته على مرتب شهري من صندوق "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين"، والذي كان يسدد ديونه القديمة بديون جديدة، محتفظاً بالحريّة والاستقلال عن أصحاب النّفوذ والسّلطات.. سالكاً في ذلك طريق العلماء الأعلام ـ الذين لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ـ مكتفين بالعلم والجهاد، أسوة بالنّبيين والصّديقين، وحسن أوّلئك رفيقا.

كان رحمه الله وفياً لأصدقائه ومعارفه، ويسأل عنهم ويعودهم، ويتتبع أخبارهم على البعد، فإذا عرف أن لدى أحدهم مشكلة أو به خصاصة أو ضائقة ؛ سعى بكل ما أوتي من قوة لحل مشكلته وتفريج كربته..

وإلى جانب مواقفه البطوليّة الصّلبة المعروفة، التي كانت لا تلين له فيها قناة، أمام الحكام الجائرين وأصحاب السّلطة المتعالين، ممن يرى إنّهم انحازوا عن جادة الصّواب، حيث كان لا يتزعزع ولا يتضعضع، ولا يبالي ولا يأبه بوزير أو أمير أو رئيس، كانت له نفس شفافة متواضعة أمام الضعفاء وفي المواقف الإنسانيّة.

ترك البشير الإبراهيمي العشرات من المؤلّفات منها:

- عيون البصائر
- الاطراد والشّذوذ في اللغة العربيّة
- أسرار الضمائر في العربيّة
- "شعب الإيمان"
- و"حكمة مشروعيّة الزّكاة في الإسلام"

- و"كاهنة الأوراس" قصة روائيّة"
- رسالة الضب
- فصيح العربيّة من العاميّة الجزائريّة
- "الأخلاق والفضائل"
- في قلب المعركة ملحمة شعريّة في ستة وثلاثين ألف بيت ضمنها تقاليد الشّعب الجزائري وعاداته.
- روايّة الثّلاث مسرحيّة شعريّة .
- التّراث الشّعبي والشّعر الملحون في الجزائر.

كما أنجزت حوله آثاره العديد من الرّسائل والأطاريح الجامعيّة في العديد من الجامعات الوطنيّة والعربيّة.

باديس فوغالي

المصادر:

- آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي ـ أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الطّبعة الأوّلى 1997م.
- الشّيخ البشير الإبراهيمي، د . محمّد عمّارة، دار السّلام للطباعة والنّشر، الطّبعة الأوّلى، 2001م.
- الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، شركة دار الأمّة، الطّبعة الشّعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ـ د. علي محمّد الصّلاّبي، دار ابن كثير، الطّبعة.

محمّد البشير التّيجاني
(1337هـ - 1918م/1420هـ - 2000م)

ولد الشّيخ سيدي محمّد البشير التّيجاني سنة 1918، في مدينة گمار بولاية الوادي في الجنوب الجزائريّ، أبوه هو الخليفة الشّيخ سيدي العيد بن الخليفة الشّيخ سيدي البشير، وأمه لالة مباركة بنت سيدي أحمد العروسي التّيجاني والمدعوة لالّة باكّة.

تلقّى الشّيخ سيدي محمّد البشير التّيجاني تربيته الأولى على يدّ والده الشّيخ سيدي العيد، ومن أهمّ الخصال التي غرسها في نفسه الاعتماد على النّفس، وكان كثيرا ما ينشد له قول الشّاعر:

إنّما رجلُ الدّنيا وواحدُها

من لا يعوّل في الدّنيا على أحد

لكنّ الشّيخ سيدي العيد توفي وترك الشّيخ سيدي محمّد البشير التّيجاني وهو ابن تسع (09) سنين، وأوصى للشيخ أحمد بن حمّه بالخلافة من بعده وبكفالة ابنه سيدي محمّد البشير التّيجاني . وهكذا تربّى سيدي محمّد البشير التّيجاني في كفالة الشّيخ أحمد بن حمه الذي تولى تربيته حسيّا ومعنويّا، فقد أشرف على تعليمه، فحفظ القرآن الكريم حفظا دقيقا مع ترتيله، وتعلّم مختلف العلوم الشّرعيّة على يدّ مجموعة من فطاحلة العلماء والفقهاء الذين أسهموا في تكوينه علميّا وأخلاقيا منهم: الأخوان سيدي أحمد والطّاهر بسّا، والشّيخ اللّقاني، والشّيخ الجديدي، وسي محمّد بن البُرّيه الگماري، وغيرهم. فكوّن رحمه الله ثقافة إسلاميّة عاليّة جعلته يتفوّق على جميع أقرانه وأترابه.

وممّا كان يعمل الشّيخ أحمد بن حمّه عليه هو تهيئة اسيدي محمّد البشير التّيجاني ليحمل أعباء الخلافة من بعده، فكان يجعله دائما ملازما له، وكان يأخذه في كلّ أسفاره القريبة منها والبعيدة، كما كان يعتمد عليه في حلّ المسائل والنّزاعات، وإصلاح ذات البين.

تزوج اسيدي محمّد البشير التّيجاني من لالّة خديجة بنت الشّيخ سيدي أحمد الخليفة، وكانت تحفظ القرآن الكريم حفظا دقيقا، وكانت لديها ثقافة عامّة عاليّة جدّا.

بدأت حياة المشيخة في حياة سيدي محمّد البشير التّيجاني بتولّيه الإمامة في مسجد سيدي الحاج علي بتماسين بعد وفاة سيدي العرابي سنة 1975. وبعد رحيل الشّيخ "أحمد بن حمّه تولّى اسيدي محمّد البشير التّيجاني خلافة الزّاوية التّيجانيّة، وكان ذلك يوم الثلاثاء 14 صفر 1398 هـ/ 24 جانفي 1978، وتمّت البيعة بحضور أولاد سيدي الحاج علي، وتحت إشراف الشّيخ سيدي علي بن سيدي محمود التّيجاني. ومما أهل اسيدي محمّد البشير التّيجاني ليكون خليفة ما تميّز به من العلم والأخلاق الرّفيعة والشّمائل الفاضلة العاليّة، فكل من عرف الشّيخ يشهد له بمجموعة من الأخلاق التي كانت سمة ملازمة له، منها: الصّدق (كان صادقا في دينه، وفي عمله، وفي خدمته لدار الخلافة)، والعفو والتّسامح (كان لا يحمل الأحقاد على أحد، ودائما يعفو عمن ظلمه، وكان مسالما في التّعامل مع خلق الله)، والاستقامة (كان ذا عبادة وطهارة وجدّ وحزم، له ورد يوميّ من القرآن الكريم من عشرة أحزاب).

وتميّزت خلافة سيدي محمّد البشير التّيجاني بالتّجديد والبناء، حيث كان يدعّم الشّباب ماديّا ومعنويّا لتلقي العلم وطلبه، وكان يقضي شهر رمضان بزاوية گمار ويلقي فيها وغيره من الشّيوخ دروسا تميّزت بالحضور الكبير من جميع أرجاء ولاية وادي سوف ممّا عزّز الحركة العلميّة في الولاية، كما كان الشّيخ كثير الأسفار في محتلف ولايات الوطن وخارج الوطن وخاصّة تونس مثل: عنابة وقسنطينة وبسكرة، وتونس العاصمة، وتوزر، ... وكان ذلك سببا في التّعريف بالطّريقة والزّاويّة وإقامة علاقات كثيرة بنخبها ومثقفيها، وتوسيع معارفها وخدّامها.

كان للشيخ سيدي محمّد البشير التّيجاني دور نضالي كبير في الثّورة الجزائريّة، فقد أظهر مواقف بطوليّة وأعمال جليلة سجّلها التّاريخ، فقد كان الشّيخ سيدي البشير وسيدي حمّه المساعدين المباشرين للشيخ سيدي أحمد بن حمّه في أعماله الثّورية، كما كان أمين المال في الخليّة الثّوريّة المشكلة في الزّاويّة، ومن المواقف المشهودة له: تحسّيس الأحباب وإقناعهم بضرورة الالتحاق بصفوف المجاهدين، إيواء المجاهدين وإطعامهم، تحمّل بعض قضايا الثّورة السّريّة. وبعد الاستقلال (واصل الشّيخ مواقفه النّبيلة،

وآراءه السّديدة التي كان لها عظيم الأثر في توجيه الأحباب للمسّاهمة في بناء الدّولة والوطن، فلمّا بالجزائر محنة الغدر، وفرقة الصّف، وانتشار الفكر المتطرّف، كانت له مواقف بجانب الدّولة والوطن، فقد كان يدعو في مجالسّه ولقاءاته، سواء مع أبناء الزّاويّة والأحباب أو مع غيرهم من الأصدقاء الذين كانوا يتردّدون عليه، على توحيد الصّف، ونبذ العنف، وعلى محاربة الفكر المتطرّف الهدّام، واستبداله المعتدل البنّاء، كما يدعو للوقوف إلى جانب السّلطة الشّرعيّة، وعلى إخماد نار الفتنة، وإطفاء جمرتها، وعدم مواجهة الشّرّ بالشّرّ، والعنف بالعنف، فكان رضي الله عنه رحيما يدعو إلى الخروج من المأزق بمسلك حسن فيه لين". كما كان للشيخ سيدي محمّد البشير التّيجاني دور اجتماعيّ بارز، ظهر في توحيده للصفوف وجمعه للفرقاء خاصّة في المناسبات الدّينية كالأعياد والمولد النّبوي الشّريف. ومن أهم المبادرات التي عمل عليها مشروع الزّواج الجماعي، سواء لأولاد سيدي الحاج علي، أو غيرهم من الأحباب. وكذلك مساعدة المحتاجين ماديّا ومعنويّا. وكانت له إنجازات كثيرة منها: بناء وتجديد بعض المساجد والزّوايا، كزاوية تيماسين وزاوية الوادي وزاويّة بسكرة، وكذلك المسجد الجامع الذي بدئ البناء به سنة 1995م وافتتح سنة 1997م. كما أعاد بناء ضريح الخليفة الأعظم سيدي الحاج علي التّيماسيني، وقد دشّنه سنة 1998م. إعادة بناء المدرسة القرآنيّة بتيماسين، وقد بدئت الأشغال فيها في حياته وانتهت بعد وفاته، حيث دشّنها ابنه محمّد العيد التّيجانية 2000م.

توفي سيدي محمّد البشير التّيجاني في يوم الجمعة 01 شوّال 1420هـ/ 07 جانفي 2000م، بمستشفى عين النّعجة بالجزائر العاصمة، ودفن يوم الأحد 03 شوّال 1420هـ/ 09 جانفي سنة 2000م.

رابح دوب

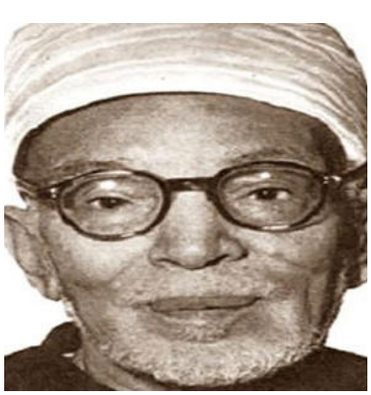
المصادر:

التّيجاني العقون: أعلام من گمار بوادي سوف، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، سنة 2013.

محمّد الخضر حسين
(1292هـ - 1876م/1377هـ - 1958م)

محمّد الأخضر هو بن الحسين بن علي بن عمر الجزائريّ، شقيق محمّد المكّي بن حسين، تُصنّفه الموسوعة التّونسيّة من علماء تونس وهو من أبٍ وأمّ جزائريين، ومن بلدة طولقة، ولد في نفطة بتونس في 16 أوت 1876م، نشأ في أسرة محافظة مُحبّة للعلم والعلماء فحفظ القرآن، ودرس العلوم الدّينيّة واللغويّة وهو صغير، وتشبّع بمبادئ العلم الأصيل، ونال منها النّصيب الذي أهّله لنيل المناصب الكبرى في المؤسّسات الدّينيّة واللغويّة.

بالفعل يكبر ويدرس مراحله القاعديّة في تونس، ومن ثمّ يدخل جامع الزّيتونة دارساً على كبار علماء زمانه، ومنهم: خالدّ المكّي بن عزوز، سالم بوحاجب عمر بن الشّيخ، محمّد النّجار، الذين يُثني عليهم كثيراً. ويتخرّج من الزّيتونة سنة 1898م، ويتطوّع فيها بإلقاء سلسلة من المحاضرات التي جعلت له كرسيّ العلماء، وينال رتبة الإفتاء، ومن خلال ذلك الموقع يقع عليه الطّلب، ويُطلب ودُّه في بلده الجزائر، وفي ليبيا، ويُصبح رحّالةً بين بلاد المغارب متطوّعاً في سلسلة من



محاضرات التّوعيّة ويتخلّى من محاضرات الوعظ والإرشاد. وفي تونس يعمل على خدمة الشّأن العامّ، من خلال تلك الواجبات الاجتماعيّة والاصلاحيّة، والمجاهرة بالدّعوة إلى الاصلاح الدّينيّ والوطنيّ، ويُلقي محاضرات عن الحريّة في نادي قدماء الصّادقيّة؛ وفيها يُبرز شجاعتَه ووطنيّته وحبّه لبلده الجزائر. كما يعمل على إصدار مجلّة (السّعادة العظمى) التي أوصل أعدادها إلى 21 عدداً، ويوقفها بسبب مهامه الكثيرة من منصب قاضٍ شرعيّ في (بنزرت) إلى الخطّابة في جامعها الكبير، إضافة إلى تلك الرّحلات الكثيرة التي جعلته يحدّ من نشاطه. وفي تونس يعمل مجاهداً من أجل إصلاح الوضع الاجتماعيّ في أوساط الطّلاب؛ حتى تطوّر الأمر إلى إعلان أوّل إضراب عن التّعليم قام به طلاب الزّيتونة يوم 16 أفريل 1910 وقد فطن الاستعمّار إلى أنّ المحرّك الحقيقي للطّلاب هو الشّيخ محمّد الخضر حسين، فأصبحت سلطة الاحتلال تنظر إليه بريبة وترى فيه الخطر، غير أنّ الشّيخ الخضر لم يعد يطيق الحياة في تونس بعد أن أعلنت الأحكام العرفيّة فيها، وعطّلت الصّحافة الوطنيّة، فحاوّل التّنفّس خارج حدود تونس وكانت محطّته الأوّلى الجزائر، وزار العديد من المدن يدعو فيها إلى ضرورة الإصلاح الاجتماعيّ والسّياسيّ ثمّ قصد الإستانة ماراً بمصر والشّام وألمانيا وألبانيا، وبقيَ مدّة في دمشق، وكان قد نال عضويّة أوّل مجمع علميّ عربيّ، وكانت له محطّات علميّة مباركة أهّلته للمقامات العُلا في دمشق، في كلّ من المدرسة العثمانيّة والمدرسة العسكريّة، والمدرسة السّلطانيّة. ورغم حبّه الخاصّ لدمشق، وتعلّقه الشّديد بها، وحنينه الدّائم

إليها؛ فإنّ الاستعمّار الفرنسي الذي كان قد حارب آماله الوطنيّة والاصلاحيّة لم يترك له فضاء مواصلة عمله التّطوعي، فأصدر عليه حُكم الاعدام غيابياً بسبب نشاطه النّضالي في ألمانيا؛ إذ كان يحرّض المهاجرين المغاربة على الثّورة ضدّ المستعمر الفرنسي الذي أصبح حاكما لسوريا كلّها عقب انتصاره على الجيش العربيّ في موقعة ميسلون قرب دمشق يوم 24 جويليّة 1920. ولذلك لم يكن له الخيار إلاّ أن يترك دمشق مُكرهاً، كما لم يجد المكان الذي يُظهِر مواهبَه أكثر إلاّ بالتّوجّه إلى مصر.

يدخل القاهرة ويبدأ حياته من جديد؛ معتمداً على نفسه، فيشتغل مُصحّحاً بدار الكتب المصريّة، وفي ذات الوقت كان يوجّه اهتماماته إلى تنظيم شؤون الجاليّة المغاربيّة بتأسيس (جمعيّة تعاون جاليات شمال أفريقيا) بهدف رفع مستوى تلك الجاليات من النّاحيتيْن الثّقافيّة والاجتماعيّة، وظلّ يدافع عن المغرب العربيّ، ويُشيد برجال العلم والكفاح من أبنائه، بل ويفاخر الشّرق بهم أحياناً، كما كان يُحَمِّل الشّرقَ مسؤوليّة قلّة مناصرته العلميّة للحركات التّحريريّة في أقطار المغرب العربيّ وهو ما أدّى ببعضها إلى الفشل. وفي عام 1925م صدر في مصر كتاب أثار فيها وفي العالم العربيّ ضجّة كبرى هو كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشّيخ (علي عبد الرّازق) فوجد (محمّد الخضر حسين) فرصته المنتظرة، وتصدّى للردّ عليه بكتاب سماه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وقد بادرت هيأة كبار العلماء الأزهريين إلى طرد الشّيخ (علي عبد الرّازق) من صفوفها، كما يدخل في معارك سجاليّة مع (طه حسين) وينال إثرها عضويّة كبار هيأة العلماء، وفي سنة 1928م تولّى مشيخة الأزهر الشّيخ (محمّد مصطفى المراغي) فسعى إلى قبول الشّيخ الخضر أستاذاً في كلّيات الأزهر وكان الشّيخ الخضر قد اجتاز امتحان شهادة العالميّة بتفوّق، ومُنحت له الجنسيّة المصريّة، وأصبح بذلك أحد شيوخ الأزهر البارزين. وفي القاهرة يتولّى إدارة مجلتين: نور الإسلام، لواء الإسلام، كما يؤسّس جمعيّتين: (الهدايّة الإسلاميّة)، (جمعيّة الشّبان المسلمين) بوهدف إصلاح أخلاق الشّباب وتهذيبهم وتكوينهم دينياً وبدنياً وثقافياً. ونظراً لمقامه العلميّ صدر مرسوم تنسيبه لعضويّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. وفي 16 سبتمبر 1952، يُختار شيخاً للأزهر لسنوات 1952–1954م واستقال في 07 جانفي 1954م. وفي 28 فيفري 1958 يتوفّاه الأجل تاركاً ثروة من الأفكار النّيّرة.

أفكاره:

وتتمثّل في تلك المعارك الفكريّة التي جابَهَ بها أوّلي العلم، وكان منافساً لا يجارى بما وُهِب من بحر العلوم، وهو ممّن ظلمهم التّاريخ وغَمَط إسهاماتِهم الجليلة، باعتباره مفكّراً تعدّدت انتماءاتُه الجغرافيّة، فلم يسكن عن التّرحال عبر أرجاء العالم الإسلاميّ، كما لم يقرّ له قرار، وكان من أنشط وجوه النّهضة العربيّة ذات التّوجّه الإصلاحيّ العقليّ؛ حيث حمل خطّاب التّجديد في الدّين واللغة عبر مسيرة طويلة من المضايقات من أجل تبيين معقوليّة الخطّاب الدّيني، وإعادة قراءة التّاريخ الإسلاميّ قراءة تناسب الواقع الأصيل، ولذلك كابد انتقادات من دُعاة الحداثة التّغريبيّة للتّراثَ، ودعوا إلى القطع معه؛ بعدما رأوا فيه عائقاً أمام ما يزعمون من تقييد للدّين واللغة والوعي الجمعيّ بالأصالة المجمّدة لكلّ قراءة معاصرة. وفي كلّ ذلك سجّلت لصالحه خصال الاجتهاد المبني على المزج بين العقل والنّقل، وكلّ ذلك يعود إلى حُسْن تمكّنه في متن اللغة العربيّة، حيث خصّص أبحاثاً عديدةً لتحقيق معاني مفرداتها ودلالة حروفها وعباراتها، إبعاداً لكلّ أشكال الاضطراب في آراء الأقدمين واتّساع إحالاتهم. ولذلك ركّز على التّثبت من المعاني الدّقيقة وفروقاتها التي تَسِم كلّ مفردة وعبارة. ثم وظّف مجموعة من التّحقيقات اللغويّة في بيان معقوليّة النّصّ المنطقيّة، وإظهار تماسكه الدّاخليّ وترابط أحكامه ضمن رؤيّة متكاملة. كما تُسجّل لصالحه تلك الدّراسات الإصلاحيّة الرّافدة للرؤيّة التّجديديّة التي لا تمثّلها الانزواءات الدّينيّة ضمن الكتب المغلقة تحت قباب المساجد، وإنّما في الانخراط الفعليّ في قضايا المجتمع، والاضطلاع بهموم الأمّة العربيّة والإسلاميّة عبر التّصدي لمعضلات السّياسة وشواغل التّاريخ؛ بحيث قاوم مظاهر الخرافة وضرورة إصلاح التّفكير الدّينيّ، وتجديده دون الخروج عن ثوابته المستمدّة من لطائف التّعبير القرآني. وقد ساعدته تلك اللقاءات مع العلماء على اكتساب شجاعة الخوض في مُعضلات التّاريخ، وقراءته عبر العلوم الشّرعيّة، ثم تطبيق ذلك في جدلٍ معرفيّ ثريّ.

من مؤلّفاته:

القياس في اللغة، أسرار التّنزيل، بلاغة القرآن، محمّد رسول اللّه وخاتم النّبيين، رسائل الإصلاح، محاضرات إسلاميّة، القاديانيّة والبهائيّة، دراسات في الشّريعة الإسلاميّة، مجلّة السّعادة العظمى، الرّحلات، تراجم الرّجال، تونس وجامع الزّيتونة، دراسات في العربيّة وتاريخها، دراسات في اللغة، نقض كتاب (في الشّعر الجاهليّ)، نظرات في (الإسلام وأصول الحكم)، الخيال في الشّعر العربيّ، نقض كتاب (الإسلام وأصول الحكم، أحاديث في رحاب الأزهر، خواطر الحياة –ديوان شعر–، تعليقات لغويّة على كتاب (شرح القصائد العشر) للخطيب التّبريزي، تعليقات على كتاب (الموافقات) لأبي إسحاق الشّاطبي، ردّ على (مستقبل الثّقافة في مصر) لطه حسين.

صالح بلعيد

محمّد الخوجة الجزائري
(1282هـ - 1865م /1334هـ - 1915م)

محمّد بن مصطفى الخوجة الجزائري، المولود في الجزائر العاصمة، والمتوفى فيها.

قضى حياته في وطنه الجزائر، و"قضى حياته العلميّة بين المسجد وجريدة المبشر والتّأليف. وأثناء أدائه لمهمة التّدريس والخطابة جاء تنظيم الدّروس بالمساجد سنة 1898 ثم 1955 و1905. فكان من المدرسين المشار إليهم بالبنان، رغم قلة تلاميذه. ولعل قدرته على التّأليف قد فاقت قدرته على التّدريس، رغم فصاحة لسانه وقلمه، على ما قيل عنه. وكان يجمع الشّعرإلى النّثر، والتّمسك بالتّراث إلى الإيمان بالإصلاح على طريقة الشّيخ محمّد عبده. وباعتباره أحد مدرسي هذه الفترة في العاصمة استحق منا هذه اللفتة.

أما مؤلفاته فسنعالجها في موضوعها إن شاء الله، وكذلك سنتناول دوره في جريدة المبشر في موضعه".

لم تذكر لنا مصادر الدّراسة شيئًا عن طفولته وعن دراسته، وقد ذكرت أنه تولّى منصب التّدريس بالجزائر العاصمة مدة من الزّمن بجامع سفير بالقصبة.

كما أنه لازم الإمام محمّد عبده في أثناء زيارته إلى الجزائر، وقد عُرف أيضًا بمقاومة الاستعمار الفرنسي، ومحاربة البدع والخرافات.

وصفه عمرراسم بأبي النّهضة الجزائريّة. ولا شك أن ذلك كان انطلاقا من الأفكار المتسامحة والواعيّة التي كان ينشرها حول الإسلام والمسلمين واللغة العربيّة، فهو داعيّة إصلاح وتقدم اجتماعي بمفهوم ذلك الوقت، وقد وصفه المترجمون بأنه دعا إلى نبذ البدع والخرافات وتحرير العقل، وهذا يتماشى تماما مع دعوة الشّيخ محمّد عبده الذي يشايعه.

نتاجه الفكري:

له تصانيف عديدة منها: "اللباب في أحكام الزّينة واللباس والاحتجاب". وقد طُبع بالجزائر عام 1927. وكتاب "نبذة وجيزة في معنى الدّين والفقه" طُبع بالجزائر عام 1926 وكذلك كتاب "الاكتراث بحقوق الإناث" طُبع عام 1895 وكتاب "عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر". وكتاب "البراهين العظام في نفي التّعصب عن دين الإسلام". وكتاب "نفائس في مآثر علماء الوطن". وأخيرا "رسالة في بعض علماء الجزائر".

نتاجه الأدبي:

له من الشّعر قصيدة واحدة في رثاء الشّيخ محمّد عبده، وقيل إن له ديوانا ضاع، وما يمكن أن نلاحظه هو أنه شاعر حافظ على نمط القصيدة القديمة من حيث الوزن واللغة والبناء والأسلوب والصّور والأخيلة. غير أنه بدا صادق العاطفة عبر إظهار قيمة ومكانة المرثي من خلال إنجازاته الفكريّة والحضاريّةالتي تشهد على سموّ مكانته بوصفه رجل النّهضة والإصلاح في العصر الحديث.

نماذج من شعره:

مصابٌ جسيم في رثاء الإمام محمّد عبده

مصابٌ جسيمٌ عمّ كلَّ العشائرِ
وأسلمَنا قهرًا لحكم المقادرِ
رُمينا بخَطبٍ لا يقاسُ بغيرِهِ
فُجِعنا برزءٍ ما له من مُناظر
وأكبادُنا ذابت أسىً وكآبةٌ
وأعيُننا مثل العيون الهوامر
على موتِ مفتي المسلمين وفخرِهم
ومن كان للإسلام نورَ البصائر
بكتْ مصرُ والدّنيا جميعًا لفقدِهِ
وأبناؤها من كلِّ بادٍ وحاضر
وأبدى جميعُ النّاس حزنًا وحسرةً
وأجرَوا دموعًا كالغيوثِ المواطر
وأثنَوا عليه بالذي هو أهلُهُ
ثناءً جميلا طيّبًا كالعنابر
على مثل ذا كلُّ الجرائد أجمعَتْ
وما شذَّ عنها غير خاسٍ وخاسِرِ
يحاول نقص البدر ليلةَ تمّهِ
بإظهاره الممقوت في كلِّ عامر
فَقُلْ لحسودِ الشّيخِ قد ذهب الذي
تَهابُ محيّاهُ فحولُ القساور
وتعنو له طوعًا أئمةُ وقتِهِ
ويلقاه بالتّبجيلِ كلُّ الأكابر
فطبْ وانشرحْ صدرًا إذا كنتَ خالدًا
ولكن ستُلقَى في حفير المقابر
ولا تحسبنّ الله عنكَ بغافلٍ
فإنْ لم تتبْ تُصلَى بنار النّهابر
وما مات مَنْ قد كان في الكون آيّة
أوائلُهُ محمودةٌ كالأواخر
تأليفهُ تنسيك ما حِيك قبلها
وتغنيك عن جُلِّ الطّروس الكبائر
أفادت من التّحقيق كلُّ يتيمةٍ
تقاصرَ عنها كابر إثرَ كابر
وحلّتْ بتدقيقٍ عويصًا ومشكلا
بحيث غدا كالبدر يبدو لناظر
عليك بها إن رُمتَ تجني هدايّة
وتصبح أستاذَ العلومِ الغزائر
وإنشاؤه قد زاد حسنًا وبهجةً
على الدّرِّ زهر الدّراريالسّوافر
إذا خطَّ أعيا الكاتبين وكم أتى
بسحر بيانٍ في معانٍ زواهر
فعروتُه الوثقى تريكَ بلاغةً
يدينُ لها قسٌّ [وعبد القاهر]
فواهًا على شمس المعارف والتّقى
وواهًا على التّذكير فوق المنابر
وواهًا على التّدريس في كلّ مذهبٍ
وواهًا على الأقلام بعد المحابر
وواهًا على التّوحيدِ والفقهِ واللغى
وواهًا على التّفسير أصلِ العناصر
وواهًا وواهًا ألفَ ألفِ ولن أفي
ولو أنّني نمّقتُ كلَّ الدّفاتر
وأنّى لنا الصّبر الجميلُ وقد هوى
منار الهدى وأندكّ طودُ المفاخر
وروضُ الأماني والمكارم قد ذوى
وقد كان للعافين إحدى الذّخائر
وغِيضَ عُباب العلم والجود في الثّرى
كذا فليكنْ غَيْضُ البحورِ الزّواخر
فمنْ لكتابِ الله يكشفُ سرّهُ
ويشرحُهُ وفق الفنونِ الحواضر؟
فقدنا إمامًا كان حجةَ عصرِهِ

وقدوةَ أربابِ النّهى والمظاهر
وأخلاقُهُ مثلُ الرّياضِ النّواضر
وما وفاه بالتّأبين عبدٌ جزائري

حكيمًا سما فوق السّماء بهمّةٍ
وما دأبُهُ إلا اتخاذُ صنيعةٍ
فيا ربّ قابلْهُ بعفوٍ ورحمةٍ

هماما جليلَ القدرِ حُرَّ الضّمائر
وإسداءُ معروفٍ لبر وفاجر
وعاملْه بالغفران يا خير غافر

فيأمرُ بالمشروع في كلِّ محفلٍ
وإرشادُ ضِلّيلٍ وإصلاحُ فاسدٍ
وأحسِنْ إليه وارضَ عنهُ وأرضِهِ

وينهى عن المحظور طبقَ الأوامر
وإبداء مستورٍ وإحياءُ داثر
بكل نعيم لم يَجُلْ في الخواطر

ويصدع بالقول الصّحيح نصيحةً
وتقويمُ منآدٍ وتوضيحُ منهجِ
وبالحورِ والولدانِ آنسه مِنَّةً

ولا يرهبنْ في الحقّ أقسى الجبابر
مواردُهُ مأمونةٌ كالمصادر
وأنزله في الفردوس دارِ الأخايـر

وكم ذبّ عن دينِ النّبي محمّد
مناقبُ لم يبلغ مداهنَّ ناثرٌ
وأرو صداهُ من رحيقٍ ختامُهُ

ودافع عنه بالرّدود البواتر
فسيحٌ ولم يستوفها نظمُ شاعر
هو المسكُ يزري عرفُهُ بالأزاهر

فضائلُهُ سارتْ إلى كلّ وجهةٍ
عليهِ سلامُ اللهِ ما عَبرةٌ همتْ

رابح دوب

المصادر:

- محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، طبع داود بريكسي، تلمسان 2001؛
- خير الدّين الزّركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1990؛
- معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين، المجلد السّادس عشر، الكويت 2008؛
- أبوالقاسمسعدالله: تاريخالجزائرالثّقافي، عالمالمعرفة، الجزائر 2011.

محمّد الرّيغي شبيرة
(1312هـ - 1895م/1376هـ - 1957م)

ولد الرّيغي شبيرة المدعو محمّد سنة 1895 ببلدة مسيف جنوب مدينة المسيلة، وهو مجاهد وشاعر شعبي له حضوره على مستوى منطقة الحضنة، والده هو أحمد بن الحاج الصحراوي ووالدته هي فاطمة نويبات، حفظ القرآن الكريم سماعا في وقت مبكر بمسقط رأسه، بعدها انتقل إلى مدينة المسيلة حيث انتسب لزاويّة سيدي بوجملين لبعض الوقت، ولما شبّ توجه سنة 1915 إلى مدينة طولگة، حيث التحق بزاويّة سيدي علي بن عمر، وبها ركز على حفظ القرآن الكريم، وألم بمبادئ اللغة العربيّة من نحو وصرف، وهي من الزّوايا التي تلتزم نهج الطريقة الرّحمانيّة التي أسّسها الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن بوقبرين دفين مدينة الجزائر. ولم يطلّ به المقام في زاويّة سيدي علي بن عمر حيث انتقل إلى زاويّة سيدي عقبة وبها أخذ عن شيوخها مبادئ في العلوم الاسلاميّة من توحيد وفقه وتفسير، وبعد تحصيله لجملة من المعارف التي تقدمها الزّوايا والكتاتيب المتواجدة بالمنطقة التي عاش فيها، وكانت هي السّائدة في عصره، عاد الشّيخ محمّدالرّيغي إلى مسقط رأسه، حيث انخرط في معترك الحياة فتوجه للعمل في مجال الفلاحة كما امتهن التجارة، وكان من هواة الصيد.

كان الشّيخ محمّدالرّيغي يتميز بحسه المرهف وحبّه للخير والعمل الصالح ولذلك عرف عنه مبكرا تنظيمه للشعر الشّعبي المعروف محليا ب (الشّعر الملحون)، وأبدع في هذا اللون من القصائد، فكان من فرسانه في منطقة الحضنة. وطغى على شعره في أواخر حياته الجانب الثّوري الذي واكب ثورة التّحرير. فأنشد العديد من القصائد الشّعبيّة حول الثّورة وتغنى خاصّة بجبل أوراس وجبل محارقة وهو أحد المعاقل الرّئيسيّة للثورة بمنطقة مسيف.

عرف عن الشّيخ محمّد الرّيغي أنه كان من المجاهدين الأوائل على غرار الكثير من أبناء عرش أولاد سيدي حملة الذي ينتمي إليه الشّاعر، والذين وقفوا إلى جانب ثورة أوّل نوفمبر منذ انطلاقتها وكانوا وقودا لها في مختلف المعارك التي شهدتها الولايّةالسّادسة التّاريخيّة.

وقد نال شعره اهتمام الباحثين في التّراث الشّعبي وأعدت حوله أبحاث في الجامعات الوطنيّة وخاصّة بجامعة المسيلةالتي تزخربعدة أبحاث حوله، وقد جُمع في ديوان تّم نشره بدعم من وزارة الثّقافة، كما تمّ تنظيم ملتقى جهوي حول شخصيته خصّص لشعره ولدور أبناء المنطقة في ثورة التحرير.

توفي الشّيخ محمّدالرّيغي في 6 نوفمبر 1957 عن عمر قارب السّبعين (70) عاما.

ونورد فيما يلي نماذج من إنتاج الشّاعر:

الشّعر الدّيني:

مقتطف من قصيدة

(زاد الآخرة من ديوان الشّاعر ص 10)

عَبْدْ اِمُوتْ ادْوَاهْ يِبْكِي وِخَمَّمْ
يِتْنَبَّهْ مِنْ لَيْلْتُو لاَ يَنْسَاهَا
يَاتَبَّاعْ الْفَانْيَةلاَ بُدَّ تَنْدَمْ
شَرْعْ الله بَلاَكْ تَاذِيكْ بْدَاهَا
مَتَّنْ زَادكْ لِلسَّفَرْ لَيْهْ اتْحَزَّمْ
لمْنِيَّه تسْعَادْ لاَ تسْتَبْطَاهَا

يَوْمْ اَنْ تَاتِي لَيْكْ لاَ طَالبْ يَحْكَمْ
لاَ وَلِي لاَ نَاعرْ اِرُدْ اقْضَاهَا
لَيْلَة ظَلْمَة مَا اطِيقْلْهَا مُسْلِمْ
الدَّارِي بِهَا الْخَالقْ مُولاَهَا
وُانْتَيَا مَسْبُولْ طَايِحْ مْتْعَرَّمْ
وَاحْبَابكْ فِي حَالَه شدَّ مَعْتَاهَا
لاَ تَتْقَعَّدْ لاَ اتْفِيقْ اتْقُولْ انْعَمْ
كَاَنَّكْ ضَيْفْ الدَّارْ مَاكشْ مُولاَهَا
الْمَوْتْ انْمُوتُو كُلْ منْ وَاجدْ بِعْدَمْ
بَعْدْ الْمَوْتْ انْحَبْرُو وَاشْ اُورَاهَا
هّذِي لَيْستْ دَارْنَا لَكَانْ اُخَمْ
مَتَاعْ الْغُرُورْ رَبِّ سَمَّاهَا

من قصيدة (أفضل جبال افريقيا) حول بطولات جيش التّحرير الوطني أثناء الثّورة التّحريريّة.

أَفْضَلْ جِبَالْ افْرِيقْيَا الشّامخْ جَبْلْ اوْرَاسْ
سكْنُوهْ ارْجَالْ شَادِّينُو بالْحُرْمَة
فِي حُرْمَة بُوعْلاَمْ لَمْجَدْ سِيدْ النَّاسْ
محمّد سِيدْ فَاطْمَة عَيْنْ الرّحْمَة
نَصْبُو ثَمْ الْعَلَمْشَافْتُو لَجْنَاسْ
جَابتْهُمْ يَا مْلاَحْ غِيرَة عْلَى الْأُمَّة
زَهْدُو فِي الْمَالْ وُالْعَوَايِلْ وُالْأَنْفَاسْ
لَعْمَارْ مْسَبْلِينْ مَكَّانْشْ كَلْمَة
رَغْبْتْهُم فِي السّلاَحْ يِكْفِي وُالْقَرْطَاسْ
الدنْيَا لاَ كْلاَمْ عَنْهَا مَذْمُومَة
الْمَوْتْ اِحَوْسُو اعْلِيهَا رَاسْ برَاسْ
عَبْدْ مَمْلُوكْ وَاشْ عَنْدُو منْ قِيمَة
خُلاَفَةْ بُومَنَّادْ وُاعْلِي نَحَّاحِينْالرّاسْ
اِذَا غَابُو اعْلِيكْ أُنْظُرْ هَاذُومَا
جَيْشْ التَّحْرِيرْ تَابعْ الْجُرَّة وُالسّاسْ
كَمَا فَعْلُو اسْيَادْهمْ فَعْلُو هُمَا
الشّجَاعَة وُالصَّبْرْ منْهُمْ حَدْ خْلاَصْ
اَفْهَمْ لُعْقَابْ مَا تَعَابِيهْالرّخْمَة
كِي تكْثرْ كِي اتْقلْ لاَ مُنْ عَنْدُو بَاسْ
نُصْرَةْ رَبِّي مْعَ الْمُجَاهدْ دِيمَه

عبد الرّشيد الرّيغي شبيرة

المصادر:

- ديوان الشّاعر.
- مخطوطات الشّاعر.
- بعض الشّهادات الحيّة للحاضرين في الملتقى (زرواق أحمد بن العدوي مجاهد وأمين منظمة المجاهدين بالمسيلة)، (جريدة الحسين مجاهد ومسؤول تربوي أثناء الثورة التحريريّة)، (محمّدمويسات بن لقريشي مجاهد، عاصر الشّاعر ويحفظ له).
- أعمال الملتقى الوطني (الملتقى الوطني المنعقد حول المجاهد الشّاعر محمّدالرّيغي شبيرة 1895 – 1957 يومي 25–26 ماي 2005 ببلديّة مسيف ولايّة المسيلة ؛ إشراف جمعيّةأمحارقة للنّشاطات الثّقافيّة ومساهمة الكشافة الإسلاميّة والمجتمع المدني بمسيف، وبالاشتراك مع جامعة محمّد بوضياف ومديريّة الثقافة لولايّة المسيلة).

محمّد الزّجّاي

الشّيخ الجليل محمّد الزّجّايأحد أعلام التّفسير بحاضرة تلمسان، وتلميذ الشيخ ابن للّو التلمساني صاحب المجالس التّفسيرية بالجامع الأعظم، لم يُترجم له إلّا في "إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر" تأليف محمّد بن علي التلمساني أحد طلبة الشيخ الزّجّاي، اشتُهر بخزانته التي قيل إنّها إحدى الخزائن الكبار التي تحوي على أحمال من المجلّدات والأسفار.

خدم التفسير وعلومه تأليفا، يقول أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– : "وللزجاي مجموعة من التّآليف في التّفسير والنّحو والتّصوّف، ويهمّنا من أعماله ما فسّره من القرآن، فقد عدّ له أحد المترجمين "تفسير الخمسة الأولى".

وقول صاحب "إتمام الوطر" بأنّ شيخه له حواشٍ في التفسير دليل على اهتمام الزّجاي بالتفسير وعلومه تأليفا، ولا أستبعد أنّ تلك الحواشي كانت على كتب التفاسير المشهورة: "أنوار التنزيل" للبيضاوي، أو "تفسير الجلالين" للسيوطي، والمحلّي، أو"الكشاف" للزمخشري، ذلك أنّ غالب حواشي كتب التفسير التي اهتمّ بها علماء الجزائر في تلك الفترة كانت حول تلك التفاسير.

وقد نبّه الدكتور أبو القاسم أنّ عمل الزّجّاي قد يكون مشابها لما قام به يحي الشاوي بالقول: "ولعل هذه الحواشي تشبه ما قام به يحي الشاوي في تعاليقه على التفاسير المتقدّمة"، يريد به كتاب "المحاكمات"، الذي جمع فيه بين التفاسير الثلاثة تفسير ابن عطية وأبي حيان والزّمخشري، والذي قصد فيه جمع اعتراضات الإمام أبي حيان على ابن عطية والزمخشري، ومناقشة تلك الاعتراضات، وليس لدينا ما يمكن اعتماده في إثبات ذلك".

ويقول الدكتور سعد الله موضّحا منهج الزّجّاي في التفسير: "والظّاهر أنّ الزّجّاي كان يتبع في تفسيره طريقة الشروح المتداولة حيث كانوا يعمدون إلى عبارة الأصل فيُعربونها ويذكرون معناها ويستشهدون لذلك بما يعزز رأيهم، وقد يستطردون بعض الشيء لإثراء الفكرة التي يسوقونها أو للتّباهي بالحفظ والاطلاع"

كما أنّ ممارسة الشّيخ لعلم اللغة والنحو والبيان وتدريسه لهاته العلوم وتأليفه فيها يعطي انطباعا أنّ تفسيره قد اعتمد تلك الفنون وفكّ بها الألفاظ والمعاني.

عبد الكريم حمو

محمّد السّايح حقي التجاني
(1303هـ - 1885م/1385هـ - 1966م)

السّايح بن البشير بن محمود بن الطّاهر بن الخليفة سيدي الحاج علي التمّاسيني المعروف بالسّايح حقّي، واسم أمه رقية بنت محمّد الأخضر نجل الحاج علي التّماسيني، الملقب بلقب عائلته التّجاني. ولد صاحب التّرجمة بتماسين بولاية ورگلة خلال سنة 1885م، وبمسقط رأسه تربّى ونشأ في أحضان عائلته المحافظة بالزّاوية التّيجانيّة، مع العلم أنّ أباه قد هاجر إلى خارج تماسين وتزوّج هناك وتوفّي والده خلال سنة 1902م، فكان الشّاب السّايح وحيد أمّه وعاش عند خاله متنقّلا بين منطقة سوف وتماسين.

أمّا الحياة التّعليميّة للمترجَم له، فحسب المصادر التّاريخيّة أنّ تعليمه كان على النّحو التّالي:

- **القرآن الكريم:**

وكعادة أبناء الزّاوية فإنّ الشّاب السّايح منذ صغره التحق بكُتّاب الزّاوية التّيجانية حيث تعلّم المبادئ الأوّلية للعلوم العربيّة وقرأ القرآن الكريم على يدّ مجموعة المشايخ الذين كانت تعجّ بهم الزّاوية في ذلك الوقت، إلى أن أكرمه الله تعالى بحفظ كتابه العزيز حفظا تامّا في سنّ مبكّرة.

- **العلوم الشّرعيّة:**

بعد أن أكرمه الله تعالى لحفظ كتابه العزيز، توجّه إلى طلب العلوم الشّرعيّة والعربيّة والفقهيّة وهذا من خلال حضوره لحلقات التّدريس التي كانت منتشرة في رحاب الزّاوية التّيجانية بتماسين وگمار، والتي كان يشرف وينشّطها العديد من العلماء والأعلام من داخل الوطن نذكر منهم:

- البخاري العقبي البسكري
- المكّي بن عزوز
- مبارك المازقالگماري
- الحاج علي بالقيم الگماري
- محمّد البرية الگماري
- علي سبوعي الگماري
- محمّد اللقاني بن السّايح



- محمّد بن جديد السّوفي.

ومن خارج الوطن نجد الشّيوخ:

- محمّد مناشو التونسي
- محمّد السّنوسي التونسي
- سعيد الدكالي المغربي.

للإشارة فقد أجازه العديد من العلماء من مختلف البلدان الذين زاروا الزّاوية، واحتكّ بهم وأخذ عنهم وعندما زاروه وجدوا فيه المؤهّلات التي تؤهّله للتّدريس والإفتاء والإمامة، فقد منحوا له الإجازة وهي في ذلك الوقت تشبه الشّهادة العلميّة التي تمنحها المؤسّسات التّعليمية العاليّة، ولديه العديد من الإنجازات نذكر منها:

- إجازة من طرف الشّيخ العلّامة شيخ جامع الزّيتونة محمّد الطّاهر بن عاشور في الحديث الشّريف والأدب؛
- إجازة من طرف الشّيخ محمّد بن الحسن الحجوجي المغربي في الفقه والقضاء؛
- إجازة من شيخ التّدريس بالزّيتونة في علم الحديث والإفتاء؛
- إجازة من الشّيخ محمّد الحافظ المصري في الحديث الشّريف عندما زار تماسين سنة 1937م؛
- إجازة عبد الحيّ الكتّاني المغربي في الحديث الشّريف؛

أمّا إجازته في الطّريقة التّيجانيّة فحدّث ولا حرج وهي مدوّنة في كتبه ومخطوطاته.

بعد التّحصيل العلمي الذي لم ينقطع عنه طول حياته وذلك بالمطالعة والدّراسة فإنّ شيخنا الفاضل قد تولّى بعض المهام والوظائف التّعليميّة والتّدريسيّة والقضائيّة نذكر منها:

- أشرف على فتح مدرسة حرّة سنة 1940م في تماسين، حيث اتّخذ من بيته مكانا لها وكان يؤمّها العديد من الطّلبة ورجال العلم، وكانت منارة للعلم والأدب والشّعر والعلوم الشّرعيّة؛
- في سنة 1942م تولّى العديد من المناصب في المحكمة الشّرعيّة بمدينة تگرت (محامٍ - قاضٍ)؛
- في سنة 1962م تولّى منصب وكيل الجمهوريّة لمحكمة تگرت إلى غاية سنة 1964م؛
- عرضت عليه مناصب في قطاع الشّؤون الدّينيّة لكنّه رفضها بسبب الأوضاع الصّحيّة وتقدّمه في السّن؛
- له العديد من المحاضرات والدّروس والتّوجيهات للعامّة في مختلف الأماكن التي كان يحلّ بها؛
- ترك العديد من التّلاميذ على رأسهم شاعر الجزائر محمّد العيد آل خليفة والشّيخ الصّادق بن أحمد العروسيّ التّيجاني.

برزت موهبته الشّعريّة واهتمامه بالأدب منذ بداية حياته، ورغم الوظائف الرّسميّة التي تولّاها إلا أن ذلك لم يحلّ بينه وبين الكتابة في مجال الأدب والشّعر وقد نشر العديد من الأعمال الشّعريّة في بعض الجرائد والصّحف الوطنيّة والعربيّة نذكر منها: جريدة النّجاح/ البلاغ/ النّهضة التّونسيّة/ الأسبوع التّونسيّة.

دون أن ننسى صولاته وجولاته للعديد من المدن الجزائريّة وبعض الدّول العربيّة الشّقيقة على غرار تونس - ليبيا - المغرب.

ترك المترجَم له العديد من الأعمال العلميّة والأدبيّة منها ما هو مطبوع ومنها ما بقي حبيس المخطوطات ينتظر من الباحثين والمهتمّين دراسته ومن أهمّ أعماله:

- كتاب النّور والسّعادة / وهو مطبوع قام بتحقيقه وطبعه الأستاذ عبد العالي مسعودي/ طبع في 2018م بمطبعة دار الجائزة - القبة - الجزائر العاصمة؛

- ملحمة شعرية تحت عنوان (مسعود مفتي الغرام)؛
- مخطوط موضوعه (أدب الرّحلة) وآخر (أدب الخواطر)؛
- (منظومة التّبر المسبوك في تاريخ الصّحراء) نشرت في جريدة النّجاح؛
- منظومة عنوانها (يا سائلي عن الطّريق الأحمدي).

بعد عمر حافل بالعطاء، أصيب المترجَم له في آخر حياته بمرض عضال تمثل في حالة شلل الزمه الفراش والمنزل مدّة سنتين (02) كاملتينتقريبا، لينتقل على إثر ذلك إلى جوار ربّه يوم 20 أوت 1966م، عن عمر قارب 81 سنة، وكانت وفاته في بلدة تغزوت التّابعة إداريّا لولاية واد سوف.

كاملية بوجلطي

محمّد السعيد الزاهري
(1316هـ - 1899م/1375هـ - 1956م)

محمّد السّعيد الزّاهري، ابن البشير الزّاهري الحسني الليابي، البسكري، أديب، كاتب، شاعر، صحفي وإصلاحي، من مواليد 1899 ببلديّة ليانة ولايّة بسكرة. حفظ القرآن بمسقط رأسه، وفي بلدته تلقى مبادئ التّعليم الأوّلي، بنشأ وأخذ العلم من معلميها، حيث درس على عمه الشّيخ عبد الرّحيم الزّاهري، والشّيخ محمّد بن ناجي الزّاهري، والشّيخ علي بن العابد السّنوسي الزّاهري، وبعدها انتقل إلى قسنطينة حيث درس على الإمام عبد الحميد بن باديس قرابة أربعة عشر شهرا، ثم ارتحل إلى تونس بد فترة قضاها في قسنطينة بالجامع الأخضر متتلمذا على الشّيخ عبد الحميد ابن باديس كما سبق تحصل على شهادة التّطويع من جامع الزّيتونة، أبرز شيوخه في تونس:الأستاذ محمّد النّخلي، الأستاذ عثمان بن الخوجة، الشّيخ معاويّة التّميمي، الذي كان له الفضل في نبوغه الأدبي وقرضه الشّعر، وبتونس نشر عدّة مقالات صحفيّة.

عاد إلى الجزائر وأسهم في إثراء الحركة الثّقافيّة بجملة من المقالات كم أسهم في الحركة الشّعريّة الجزائريّة آنذاك ببعض قصائده الشّعريّة، وأصدر جريدته الأوّلى "الجزائر" وكان شعارها الجزائر للجزائريين سنة 1925م، غير أن السّلطات الفرنسيّة أوقفتها عن الصّدور، ثم أصدر جريدته الثّانيّة "البرق" عام 1927م، غير إنّها لقيت نفس المصير.

مارس نشاطه في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين عضوا في مجلسها الإداري، وترأس تحرير جريدة السّنة، والشّريعة، سنة 1933، والصّراط في السّنة التي أعدها بمعيّة الطّيب العقبي، كما كتب قبل ذلك في جريدة المنتقد، والشّهاب، وصدى الصّحراء، وكذا مجلّة الإصلاح ببسكرة، وكان يدعو في مقالاته إلى الاتحاد، ولكنّه وعلى الرّغم من هذا النّشاط الكثيف تحت لواء جمعيّة العلماء المسلمين تخلى عن عضويته فيه هيأتها الإداريّة في عام 1935 بسبب خلاف بينه وبين أحد أعضائها.

أشرف على مدرسة نواة الشّبيبة بالأغواط التي دعا إلى تأسيسها، ثم انتقل إلى وهران وأسس المدرسة الإصلاحيّة.

ونتيجة لصراعه مع المبشرين المسيحيين ترك التّعليم وعاد إلى الصّحافة فأنشأ جريدته الثّالثّة "الوفاق" سنة 1938م، وفي عام 1945م أنشأ جريدة "المغرب العربي"، لكنّها اختفت لتعود إلى الظهور عام 1948م ناطقة حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة، التي أنشأها حزب الشّعب الجزائري عام 1946، لتتوقف بعد انطلاق ثورة التّحرير الكبرى. قرر في بدايّة 1955م إحياء جريدته من جديد، وحكم عليه بالإعدام عام 1956م.

يعد محمّد السّعيد الزّاهري من ألمع الشّخصيات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ومن أبرز أعلامها؛ امتد نشاطه الصّحفي وطنيا وعربيا، وتميز دون باقي أقرانه بقلم سيال، وطرح جريء لمختلف الموضوعات، فلمع اسمه مغاربيا وعربيا، وعُد واحدا من نبغاء الأدب العربي؛ كطه حسين، والرّافعي، والزّيات، بمراسلاته لمختلف الصّحف العربيّة؛ كالفتح والمقتطف والرّسالة. إنا نتساءل في هذا المقام عن نوعيّة مراسلاته؟ أكانت سياسيّة أو إصلاحيّة أو أدبيّة؟ وما هي أهم الموضوعات التي طرقها؟ ومدى تفاعله مع المشرق، الذي شهد زخما فكريا، فهل تقاطعت أفكاره ومفكّري المشرق؟ أم انفرد بطرح خاص للأفكار، وذلك من خلال مشاركاته في الصّحف المشرقيّة؟ خاصّة مجلّة الرّسالة التي اتخذتها انموذجا عن مراسلاته؟ وكيف استقبلت الصّحافة المشرقيّة علما من أعلام المغرب العربي.

أنجز الكاتب محمّدبومديني دراسة حوله وسمها بـ محمّد السّعيد الزّاهري ودوره الأصلاحي (1900ـ1956) نشرها في مجلّة الحكمة للدراسات المجلد الخامس، العدد العاشر من ص 125 إلى ص 145، ومما جاء في ملخصه لهذا البحث قوله:

تهدف هذه الدّراسة التّعريف بأحد رموز الحركة الإصلاحيّة بالجزائر محمّد السّعيد الزّاهري الذي قلما نجد الكتابات التّاريخيّة توليه الاهتمام البالغ في مجال الدّراسة مقارنة بنظرائه المصلحين بالجزائر، حيث تتركز دراستنا بالتّركيز على نشاطه الثّري والمتشعب في خدمة الفكر الإصلاحي بالجزائر الذي يتجلى من خلال العديد من الأعمال التّعليميّة والصّحفيّة شأنّه في ذلك شأن العديد من الأسماء النّخبويّة أمثال "عبد الحميد ابن باديس، محمّد مبارك الميلي، العربي التّبسي، عبد السّلام

القسنطيني، محمّد العيد آل خليفة، عمر راسم... "، الذين شكلوا بعد عودتهم إلى الجزائر خلال فترة العشرينات والثّلاثينات القاعدّة الأساسيّة التي قامت عليها دعوة الإصلاح وأصبحوا من كبار علماء الجزائر ومثقفيهم، الدّاعين في مختلف المناسبات إلى ضرورة الإصلاح والوحدة المغاربيّة التي من شانها أن تبلور الإرادة الجماعيّة والكفاح المشترك والتّصميم الموحد لأبناء المغرب العربي على مقاومة الاستعمّار، وذلك ما ناضلوا من أجله طوال مسيرتهم الإصلاحيّة خاصّة مع تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين رائدة الفكر الإصلاحي في الجزائر سنة 1931.

كما يلخّص الباحث رابح فروجي بحثه عن الأديب السّعيد الزّاهري الموسوم بـ المقالة النّزاليّة عند الأديب محمّد السّعيد الزّاهري المنشور في مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة في المقتضب الآتي:

المقالة النّزاليّة لون من ألوان المقال الأدبي، تعالج ثورة المعارك الأدبيّة والفكريّة بين الأدباء، وتعبر عن الصّراعات المختلفة التي يعج بها المجتمع. وقد ساعد ظهور الصّحافة في العصر الحديث على ظهور المقالة النّزاليّة التي سارت في ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الادبي، الاتجاه السّياسي، والاتجاه الاجتماعي. وقد كان محمّد السّعيد الزّاهري، الأديب الجزائري المعروف. أحد الكتاب الذين أسهموا في ظهور هذا اللون الادبي في أدبنا الجزائري الحديث، لأسلوبه الجميل الذي اشتهر به، ولجرأته التي عرف بها. ولم يكن من السّهل العثور على مقالات الزّاهريالنّزاليّة لصعوبة العثور على الدّوريات التي نشر فيها كاتبنا مقالاته تلك في العشرينيات والثّلاثينات والأربعينيات من القرن الماضي. ولكنني استطعت الوصول إلى تلك الدّوريات والاطلاع على تلك المقالات، فكانت هذه الدّراسة.

من مؤلّفاته المطبوعة والمخطوطة:

الإسلام في حاجة إلى دعايّة وتبشير؛ المطبعة السّلفيّة القاهرة 1348ه.

- حاضر تلمسان، (دراسة)
- بين النّخيل والرّمال (مقالات قصصيّة)
- حديث خرافة مقالات قصصيّة)
- شؤون وشجون يضم فصولا عدّة في موضوعات مختلفة

إضافة إلى عدد كبير من المقالات والقصائد المنشورة في مختلف الصّحف والمجلات الوطنيّة والعربيّة

باديس فوغالي

محمّدالسّعيد بن زكري الجنادي الزّواوي
(1269هـ - 1853م/1332هـ - 1914م)

وُلد محمّدالسّعيد بن زكري فيّ مطلع الخمسينيّات من القرن التاسع عشر (ق 19)، إذ وقع اختلاف بين المترجمين له حول تاريخ ميلاده إذ يرجح كمال شاشوا سنة 1853م (Chachoua, 2001p. 158)، في حين ذكرت ساميّة أولمان نقلا عن تقديم فراد لكتاب أوضح الدّلائل لابن زكري سنة 1850، في قرية (إِيْسَكْرِيَنْ Ivsekriene/) بلدية أغريب، دائرة آزفون حاليا ولاية تيزي ـ وزو (بن زكري، 2015، ص. 19). ويذهب سعد الله إلى القول إنّه ولد سنة 1267هـ/ 1851م. نشأ ابن زكري في أسرة ذات علم وصلاح؛ حيث كان والدّه إمام جامع القرية، يؤمّالنّاس في الصّلاة ويُلقي بعض الدّروس ويترأس الجماعة للنّظر في شؤونها المختلفة وحل خلافاتها ونزاعاتها؛ حيث كان له مقام رفيع وشأن معتبر بين أهل القرية.

ولقد تزامن مولد ابن زكري وطفولته وشبابه مع قيام الثّورات والمقاومات الشّعبيّة بمنطقة القبائل لمواجهة الاحتلال الفرنسي بدءًا من ثورة الشّريف بوبغلة إلى مقاومة لالة فاطمة نسومر والحاجّ عمر، ثمّ ثورة المقراني والشّيخ الحداد بتأطير من الزّاوية الرّحمانيّة.

ولقد واجه الاستعمار الفرنسي التّنظيم القبلي بالجزائر، الذي كان يشكّل صعوبة كبرى لها، حيث ظهر اهتمام المعمّرين بالاستيلاء على أراضي الجزائريّين واستغلالها استغلالاً كبيرًا، ولم يتحقّق ذلك إلا بإعادة ترتيب الأرض بموجب قانون (السّيناتوسكونسلت/ Senatus–Consulte) العقاري المؤرّخ في 22 أفريل 1863م، الذي قضى على وجود القبيلة التّقليديّة بتحديد وترسيم أرض القبائل، ثم تجزئتها إلى دواوير. ومن هنا حققت الإدارة الفرنسيّة أهدافها المتمثلة في وضع حد لسلطة كبار قادة القبائل الجزائرية، وإحلال التشريع الفرنسي مكان التشريع الإسلامي فيما يخص النّظام العقاري. فكان هذا القانون سببا في ميلاد الفرد وإبرازه كعضو معزول عن إطاره الاجتماعي القبلي.

لقد عرف بذلك عصر ابن زكري العديد من القوانين الفرنسية في كل القطاعات بما فيها الحياة الثّقافية والدّينية بتقليص صلاحيات القاضي المسلم وجعله تابعا للقوانين الفرنسية وإجبارية التّعليم، وفرض الحالة المدنيّة وغيرها. فكانت هذه البيئة الجديدة سببا في ظهور أعلام من أمثال ابن زكري.

بعدما أنهى ابن زكري مساره التّعليمي، جلس للتدريس في زوايا منطقة القبائل كزاوية سيدي أعمر ولحاجّ بعرش آرث يجّر (دائرة بُوزْقن حاليا)، وزاوية ثيفريت ناث الحاج (دائرة آزفون ولاية تيزي وزو)، ثم انتقل

للجزائر العاصمة بحثا عن عمل بها على عادة سكان المنطقة، فجلس للتّدريس في بعض مساجد القصبة الصّغيرة مثل مسجد سيدي أمحمّدالشّريف، وعرف ابن زكري بين أهل الجزائر بغزارة علمه ورصانة فكره مما جعله محط أنظار علمائها وإعجابهم، ومنهم مفتي المالكية الشّيخ علي بن الحفاف.

كما عُيّن ابن زكري سنة 1889 مدرّسا رسميا بالجامع الكبير بالجزائر العاصمة، ثم وُظف بالمدرسة الشّرعية-الفرنسية بالجزائر أستاذا للفقه، وعُيّن في نفس الوقت إماما بمسجد سيدي رمضان سنة 1896م، وفي هذه السّنة تحصّل على وسام أكاديمية التّعليم. وفي سنة 1908م تمّ تعيينه مفتيا مالكيا خلفا للشّيخ ابن زاكور، وظل بمنصبه هذا إلى يوم وفاته.

شيوخ ابن زكري وتلامذته:

تلقى تعليمه الأول في كتاب القرية تحت إشراف أخيه الأكبر صادق، قضى جلّ طفولته على غرار معظم العلماء بين كتاب المسجد وبيت الوالدّ الإمام؛ حيث أتم حفظ القرآن بالكتاب. وبعدها انتقل إلى زاوية عبد الرّحمن اليلولي المختصة في علم القراءات البعيدة عن قرية بني زكري في العاشرة من عمره، وتعرف على نظام يختلف تماما عن ما عهده في الكتّاب، وتتلمذ على يدّ العالم أبو قاسم البوجليلي وهو من أبرز علماء عصره ومنطقته القبايلية أيضا، وبعد عدّة سنوات تخرج ابن زكري من الزّاوية اليلولية والتحق بمدرسة قسنطينة الشّرعية بعد ثورة 1871 ليدرس على يد الشّيخ عبد القادر المجاوي حيث ساهمت -المدرسة والشّيخ- بشكل أو آخرفي بلورة أفكاره الإصلاحية وصقلها بسبب ما عرفته الجزائر من تحولات في ظل الاحتلال الفرنسي فيما يخصّ التّعليم النّظامي.

مؤلفات ابن زكري:

لم تكن لابن زكري مؤلّفات كثيرة، ومع ذلك ترك إنتاجا فكريا واحدا في مجال الإصلاح "أوضح الدّلائل على وجوب إصلاح الزّوايا ببلاد القبائل" كتبه سنة 1903، وهذا ينم عن تشبّع ابن زكري بالأفكار الإصلاحية من خلال مساره التّكويني والوظيفي.

توفي ابن زكري سنة 1914 في سن الواحدة والسّتين، ودفن بمقبرة سيدي عبد الرّحمن الثّعالبي.

أشاد علي مرّاد بفكر ابن زكري وبثقافته وبكتابه (أوضح الدّلائل)؛ حيث يكشف عن تبلور ذهنية جديدة لدى المثقفين الجزائريين في بداية القرن العشرين. في حين أبدى كمال شاشوا إعجابه بجرأته في كشف عيوب مؤسّسة الزّوايا وقدرته على نقدها وتقويمها مستفيدا من التيارات الفكرية الجزائرية المعاصرة له دون التأثر بالإصلاح المشرقي .

ياسمينة زمولي

المصادر:

- ابن زكري (محمّد السّعيد)، 2015، أوضح الدّلائل على وجوب إصلاح الزّوايا ببلاد القبائل، عرض وتقديم وتعليق: محمّد أرزقي فراد، تصدير محمّد الصّالح الصّديق، دار هومة، الجزائر؛
- سعد الله (أبو القاسم)، 1989، تاريخ الجزائر الثّقافي 1830-1954، ط. 1، ج. 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛
- زمولي (يسمينه)، 2018-2019، علماء جزائر القرن التاسع عشر. مسارات ومواقف، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2؛
- زمولي (يسمينه)، 2002-2003، الألقاب العائلية في الجزائر من خلال قانون الحالة المدنية أواخر القرن التاسع عشر (1870-1900) قسنطينة نموذجا، جامعة قسنطينة؛

Chachoua (Kamel), 2001, L'Islam Kabyle (XVIIIe-XXe siècles) religion, état et société en Algérie, suivi de l'Epître (Rissala) d'IbnouZekri,Maisonneuve &Larose, Paris.

محمّد السّعيد بن علي الشّريف
(ت:1288هـ - 1871م)

محمّد السّعيد بن علي الشّريف، صحافي جزائري، يعدّ الجزائري الثّاني في مجال الكتابة الصّحفيّة، ولد في تاريخ مجهول بعمالة قسنطينة، عرف بكتابته لسلاسل مطولة من المقالات على صفحات (المبشر)، وهي الجريدة العربيّة الثّالثة في العالم العربي، والأولى في الجزائر على الإطلاق، "وهي صحيفة رسميّة صدرت في 15 سبتمبر 1847 باللغتين العربيّة والفرنسيّة، وكانت على العموم موجهة إلى الجزائريين. كانت المبشر تصدر مرتين في الشّهر، وكانت بحجم صغير، وكل صفحة فيها بأربعة أعمدة، وكانت تحرر أولا بالفرنسيّة ثم تترجم مادتها إلى العربيّة. وبقيت تصدر مرتين في الشّهر إلى سنة 1861. ومنذئذ بدأت تظهر كل عشرة أيام. ثم منذ 1866 أخذت تظهر كل خميس. بالإضافة إلى التأثيرعلى الجزائريين وإبعادهم عن الثّورات وحثهم على الولاء لفرنسا، وتخويفهم من عواقب العصيان، وتمجيد

فرنسا وعلومها وقوتها، اهتمت المبشر بأخبار الدّول الإسلاميّة، مثل بلاد فارس والهند والدّولة العثمانيّة ومصر. وكانت تنشر الأخبار عن حروب كوريا والصّين، وروسيا القيصريّة، والتجارة مع أفريقيا، وأخبار الاختراعات العلميّة مثل تربيّة النّحل، وعلم الفلك، والتجارة، والتلغراف، والسّينما، والتصوير. ولذلك فإنها كانت من هذه الزّاويّة مرآة ينظر منها القراء إلى أحوال العصر. وكانت بالتالي مفيدة للجزائريين الذين لم يكونوا يقرؤون الفرنسيّة أو ليسوا على صلة بالمستوطنين الفرنسيين، ورغم كل عيوب المبشر كجريدة سياسيّة رسميّة للدعايّة الفرنسيّة، فإنها كانت (مدرسة صحفيّة) لجيلين أو ثلاثة من الجزائريين. تعلموا منها فن الصّحافة وجمع المادة الخبريّة وتحريرها وتوجيهها وصياغتها واختيارها. كما عرفوا مراحل فن الطّبع والنّشر، وأنواع الترجمة. ومن جهة أخرى فإن المبشر كانت هي النّافذة الوحيدة ولفترة طويلة، للترجمة من الفرنسيّة إلى العربيّة، ومعظم ذلك كان على يد فئة قليلة من المتعلمين الجزائريين مزدوجي اللغة. ومنهم، بالإضافة إلى البدوي والحفناوي، وعلي بن عمر، وعلي بن سمايّة، ومحمود وليد الشّيخ علي، وقدور باحوم، وعلي ولد الفكاي، ومحمّد بن مصطفى خوجة، ومصطفى بن أحمد الشّرشالي، ومحمّد بوزار، ومحمود كحول، ومحمّد بن بلقاسم. وهناك كتاب آخرون ساهموا بتحريراتهم في المبشر ولكنهم لم يتوظفوا فيها كصحفيين محترفين. ومنهم سليمان بن صيام ومحمّد السّعيد بن علي الشّريف، اللذان نشرا فيها رحلتهما إلى فرنسا، وحسن بن بريهمات الذي نشر في المبشر، أو نشرت له عددا من الخطب والمقالات التأبينيّة، ومقالات أخرى بمناسبة زيارة نابليون الثّالثّ للجزائر. كما نشر فيها أحمد بن الفقون بعض الأعمال الأدبيّة المترجمة عن الفرنسيّة، وتأليفه المسمى (التاريخ المتدارك في أخبار جانداك) كما نشر فيها مصطفى بن السّادات ومحمّد الزّقاي بعض المقالات".

كان مترجمنا من بين أعضاء الوفد الذي مثل مقاطعة قسنطينة في احتفالات العرش الفرنسي سنة 1852، تولى تسجيل الرحلة إلى باريس بطلب من أصدقائه، بعد عودته من الاحتفالات بفرنسا، بدأ يكتب في الصّحافة المقالات الطّويلة، في ميادين عديدة ومختلفة.

كانت كتابته مدعمة بأمثلة حكيمة وأقوال بليغة وصريحة، مثل: (أن صلاح الحكم لا يكون إلا بصلاح الوزراء والأعوان ورجال الدّولة) و(لا يعم الصّلاح والفلاح إلاّ بمراعاته، ولا يتم التناصف إلاّ بمباشرته).

لقد سأل الاسكندر، حكيما عن العدل والشّجاعة: أيهما أبلغ؟ فقال:

"إذا استعملت العدل استغنيت عن الشّجاعة، وأن عدل السّلطان أنفع من صخب الزّمان".

"والحق أن العدل ميزان الله في أرضه، وأنه مقرون بالإحسان، فإذا كان الملك عادلا وجبت محبته كما وجبت محاربته عند الجور والظلم".

قال الجنرال (رندون/ Randon) –كان حاكما عاما في الجزائر في عقد الخمسينات من القرن التاسع عشر:

"إن هذا الشّعب، شعب الجزائر لا يحكمه ظالم أو متجبر، وأنه لا يلين إلاّ بالعدل".

أعطى أمثلة عن حياة الخلفاء وعدلهم وخاصة منهم المنصور والمأمون.

انتقد حكام زمانه، مثل رجال المخزن، قائلا:

"كيف يستقيم الملك بهذه الأفعال الذميمة والمظالم الرذيلة العجيبة؟".

هاج الفساد الذي كان سائدا في المجتمع الجزائري والعربي، وقال:

"إن الحكم يدوم للروم إذا كانوا عادلين".

فلم أر مثل العدل رفعة

ولم أر مثلا لجور للمرء أطيعا

كتب عن العلم وفوائده، ونصح بالتعليم، قائلا: "إن العلوم أربعة، الفقه للأديان، والطّب للأبدان، والنّجوم للأزمان، والنّحو للسان".

كل العلوم لعلم الفقه أتباع

وإن تجافته أفهام وأطباع

والنّحو أركانه التي يقوم بها

روح وقلب وأبصار وأسماع

كان متفتحا على اللغات الأجنبيّة خاصة الفرنسيّة، وطالب بتعلمها.

هاجم الآباء الذين منعوا أبناءهم من التعلم في المدارس الحكوميّة. هاجم الذين امتنعوا عن علاج الأمراض عند الأطباء الفرنسيين. وهو أول جزائري دعا لازدواجيّة اللغة.

صاحب كتابات عالمة ومقدرة على التعبير، كتب في العلم، في الصّحافة، في المجتمع الجزائري، في السّياسة وفي أنظمة الحكم العادلة وغير العادلة.

لقب بالسّياسي الصّحفي، لا ينازعه فيه منازع، شغل منصبا سياسيا في دائرة بجايّة.

شارك في اجتماع أعيان المنطقة سنة 1871 مع الحاج "محمّد الحداد"، و"محمّد المقراني"، والسّيد "عزيز الحداد" و"عمارآيت أوقاسي" و"أحمدبومزراق".

وبسبب مشاركته في الأعمال السّياسيّة ضد الحكم الفرنسي، حكم عليه مع الشّيخ الحداد بخمس سنوات سجنا.

نتاجه الفكري:

ترك مترجمنا مقالات ممتعة، مركزة، مشوقة، ذات طابع أدبي، منها:

– مقال نشر في جريدة "المبشر" الفرنسيّة الحكوميّةالنّاطقة باللسان العربي في الجزائر يوم 30 يناير – جانفي سنة 1853م، يتناول فيه "الحكم والحكام".

– مقالات بعنوان: "كلام الأديب محمّدالسّعيد بن علي الشّريف"، نشرت في جريدة "المبشر" أيضا.

– سلسلة من المقالات، نشرت في جريدة "المبشر" بلغت سبعة عشر مقالا خلال سنة 1853م.

رابح دوب

المصادر:
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

محمّد السّعيد معزوزي
(1342هـ - 1924م/1437هـ - 2016م)

ولد المناضل محمّد السّعيد معزوزي في 29 جوان1924بالعاصمة، ودرس الابتدائيّة بدلس، والإعداديّة بتيزي وزو، ولمّا انتقل إلى المرحلة الثّانويّة بالعاصمة كانت الحرب العالميّة على الأبواب.

وفي نهايّة الموسم الدّراسي 1938-1939، وبعد سنة دراسيّة عاديّة في ثانويّة "بيجو"، أخطرت إدارة الثّانويّةالتّلاميذ بأن المؤسسة ستوضع تحت تصرف النّاحيّة العسكريّة 19، توقعا للحرب العالميّة الثّانيّةالتي كانت تطرق أبواب أوروبا بشدة.

وكان محمّد السّعيد معزوزي من بين هؤلاء التّلاميذ، فاضطر إلى تقليص طموحاته، والاكتفاء بمواصلة الدّراسة في "المدرسة الابتدائيّة العليا" الوحيدة بدائرة تيزي وزو يومئذ، وهي مؤسسة كانت تعد مرشحين بمدرسة المعلمين ببوزريعة.

وفي غضون 1943 تسربت نسخة من "بيان الشّعب الجزائري" إلى مدرسة تيزي وزو، فوقعت بين أيدي بعض التّلاميذ كان في مقدمتهم محمّد السّعيد وعمر أوصديق، هذه النّسخة التي قام هؤلاء التّلاميذ بقراءتها واستنساخها في ظل السّريّةالتّامة فتحت آفاقا جديدة أمامهم تعززت باكتشاف نشاط وطني آخر من خلال صحيفة "العمل الجزائري" السّريّةالتي تمكن محمّد السّعيد من الاطلاع عليها بعد ذلك بواسطة قريب له كان يعمل بالعاصمة.

وقد هيّأ كل من "البيان" و"العمل الجزائري" الشّاب محمّد السّعيد معزوزي الذي كان يعيش ظروف الحرب العالميّة الثّانيّة بغضب دفين لاستقبال الدّعوة الوطنيّة من زميل الصّبا في مدرسة دلس الابتدائيّة المناضل الكبير"محمّدزروالي" الذي قصده ذات يوم من سنة 1944 ليدعوه مباشرة إلى الانخراط في صفوف حزب الشّعب الجزائري، وكان محمّد السّعيد ناضجا لاحتضان الدّعوة وتلبيّةالنّداء الوطني، وما لبث أن عين مسؤولا على ناحيّة "تيغزيرت".

وفي تلك الأثناء ظهرت حركة أحباب البيان والحريّة، وتلقى مناضلو ناحيّة دلس شأن بقيّة مناضلي حزب الشّعب عبر الوطن تعليمات بالانضواء تحت لواء هذه الحركة الجماهيريّة بهدف التّأثير في توجيهها مع العمل على احتلال مناصب حساسة في هياكلها، وهكذا وجد سي محمّد السّعيد نفسه ضمن حركة أحباب البيان بتغزيرت.

وبعد أحداث 8 ماي 1945، قامت قوات الاحتلال باعتقال مسؤولي حركة أحباب البيان، غير أن سي محمّد السّعيد نجا من الاعتقال لأنه لم يكن من المسؤولين المعلن عنهم، ولكن بحكم وجود اسمه - كمناضل بسيط-في قائمة خليّة "تيغزيرت" استدعاه الحاكم ولامه على الانخراط في صفوف حركة مناهضة لفرنسا، وهو المفروض فيه أن يكون إلى جانبها بحكم انتمائه إلى عائلة "قياد".

وكان من الطّبيعي أن يؤثر اتساع دائرة القمع على نشاط حزب الشّعب السّري، فحدث نوع من الذهول والفتور الظّرفي، فحاول مناضلو النّاحيّة مواجهته ببعض الإجراءات حتى يبقى الشّعب يحس فعلا باستمراريّة حزب الشّعب، مثل مقاطعة المحاكم الاستعماريّة والأسواق والانتخابات التّشريعيّة.

ومن الإجراءات المقررة التّصدي لبعض القياد وحراس الغابات الذين استفادوا من حالة الطّوارئ ليزدادوا تجبرا وابتزازا وتسلطا على رقاب المواطنين الفقراء الذين زادتهم حالة الحرب وآثارها فقرا على فقر، ومن القياد الذين تقررت تصفيتهم:

قائد ناحيّة برج منايل: وقد تمكن منه المناضل المرحوم علال بن إبراهيم.

قائد ناحيّةتيغزيرت "آيت علي" الذي عزل في فترة حكم الماريشال بيتان، لكن أعيد إلى منصبه بعد نزول الحلفاء، فعاد أكثر غطرسة وبطشا، وكان ينتقل في حمايّة مجموعة من الحراس المسلحين، فنصب له المناضلون ومنهم سي محمّد السّعيد كمينا لكنه نجا من الموت.

فقام الاستعمار الذي كان يبارك جبروت عملائه ويشجع تحكمهم في رقاب النّاس بالحرص على رد الاعتبار للقايد آيت علي والقصاص من خصومه، فجدّ في البحث عنهم حتى اهتدى إليهم الواحد تلو الآخر، فوجد سي السّعيد نفسه في 09 نوفمبر 1945 بالسّركاجي في العاصمة مثقلا بعدة تهم سابقة كانت مدرجة في سجلات العدالة الاستعماريّة، بالإضافة إلى التّهمة الفعليّة: المشاركة في محاولة قتل القايد آيت علي.

ولقد أصدرت محكمة البليدة حكما قاسيا في حقه بعشرين سنة سجنا مع الأشغال الشّاقة، فحاول سي محمّد السّعيد معارضته ونجح في ذلك، ففتح ملف القضيّة من جديد، وتم الاستئناف بوهران أين حاول الدّفاع أن يجعل المتهم يستفيد من إجراءات العفو الصّادرة في ربيع 1946، باعتبار أن التّهمة سابقة لها، لكن الحكم صدر هذه المرة في أواخر سنة 1953 مخفضا المدة إلى 15 سنة من الأشغال الشّاقة.

ويأبى المتهم سي السّعيد إلا أن يطعن في الحكم مرة أخرى، فتحال القضيّة إلى محكمة الاستئناف بالعاصمة التي حددت تاريخ المحاكمة بماي 1955 أي بعد بضعة أشهر من اندلاع ثورة فاتح نوفمبر، وكان من الطّبيعي أن يتأثر الحكم بهذه الأحداث التي سوف تغير وجه التّاريخ بالجزائر.

ويقول سي محمّد السّعيد في هذا الصّدد: "رغم أننا كنا في السّجن منذ 10 سنوات، فقد كان النّائب العام يحاسبنا على ما كان يجري في الجزائر من أحداث جسام منذ فاتح نوفمبر وبفضل التّركيز على هذه الأحداث استطاع أن يصدر حكما مشددا: السّجن المؤبد مع الأشغال الشّاقة!

ولم يستسلم سي محمّد السّعيد ودفاعه أمام هذا الحكم غير المنتظر: فقد كانوا ينتظرون تخفيض العقوبة فإذا بها تأتي مضاعفة، فطعن المتهم في هذا الحكم القاسي وذلك للمرة الثّالثّة، وبقي ينتظر سنة كاملة دون أمل كبير في قبول الطّعن هذه المرة نظرا لحالة الحصار التي بدأت تعم الجزائر كلها بسبب الثّورة المسلحة.

وفوجئ ذات يوم من سنة 1956 بقبول الطّعن وإحالة القضيّة على محكمة الجزائر، وذلك بعد ثلاث سنوات 1959.

وكان الحكم نهائيا هذه المرة، أي أن السّي محمّد السّعيد بقي في حالة اتهام بالسّجن 14 سنة، وهذا شاهد آخر على مدى تعسف القضاء الاستعماري.

وبعد صدور الحكم النّهائي، أعيد سي محمّد السّعيد إلى سجن الحراش لقضاء الشّوط الأخير من رحلة طويلة عبر سجون: السّركاجي، تيزي وزو، البليدة، وهران، سركاجي ثانيّة، الأصنام، وأخيرا الحراش، لتكون مدة السّجن 17 سنة سجنا وهي ضريبة ثقيلة دفعها هذا المناضل من حياته في سبيل استقلال الجزائر، هذه الحياة التي يمكن تلخيصها في أنها حياة عذاب وكفاح يومي، وحياة تكوين وتحصيل، بالإضافة إلى كونها صراعا دائما بين اليأس والأمل.

رابح دوب

المصادر:

محمّد عباس: رواد الوطنيّة، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992

محمّد الشّاذلي القسنطيني
(1222هـ - 1807م/1293هـ - 1871م)

ولد الأديب الشّاعر محمّد الشّاذلي القسنطيني في قسنطينة سنة 1807م، وتوفي سنة 1877م، وكان النّاس يعرفونه باسم محمّد بن الحاج محمّد بن إبراهيم بن أحمدالصّوفي، ثمّ اختصروا ذلك فدعوه: محمّد الشّاذلي القسنطيني.

بدأ التّعلم وهو ابن خمس سنين، وحفظ القرآن الكريم في الثّالثّة عشر من عمره، ثمّ تلقّى العلم ومجموعة من المعارف الأدبيّة والفنّيّة على مجموعة من شيوخ قسنطينة، وكانت آنذاك تشهد حركة علميّة طيبة، وكانت مساجدها وزواياها وبيوتها الكبيرة تعجّ بالمكتبات التي تحوي على كتب المشارقة والأندلسيين بالإضافة إلى التّآليف المحليّة.

قرأ الفقه والحديث والسّنة والأدب والخطابة والحساب، وحضر مجالس الشّيخ محمّد بن سالم والشّيخ أحمد العبّاسي الذي كان يتمتّع بشهرة واسعة في المنطقة والذي تولى القضاء المالكي والخطابة في مسجد رحبة الصّوف، وأخذ عنه الشّاذلي الحديث والقراءات والأدب واللغة وتأثر به، وقرأ على ابن الطّبّال الفقه والأصول، كما أخذ عن الشّيخ مصطفى باش تارزي رأس الطّريقة الرّحمنيّة علوما شتّة، وبهذا يكون الشّيخ قد تمكّن من معارف عصره، وكوّن لنفسه ذوقا أدبيا رفيعا، ورصيدا لغويا قويا، وزادا فقهيا موسّعا.

وبعد احتلال قسنطينة سنة 1837، التّجأ الشّيخ الشّاذلي إلى أملاك أسرته التي كانت في نواحي فج مزالة (حاليا هي مدينة فرجيوة، ولايّة ميلة الشّرق الجزائري)، وهناك روايّة أخرى تقول أنّ الشّيخ الشّاذلي هجر قسنطينة سنة 1836، واستقرّ بمدينة جميلة، ولم يعد إلى قسنطينة إلّا بعد استقرار الأحوال بها، فبدأت مشاغل العيش والمطامح الشّخصيّة تحدّد هدفه.

ولقد كان مؤهلا لشغل وظائف الإمامة والتّدريس والقضاء، فعيّن قاضيا مالكيا في قسنطينة، وظلّ فيها حوالي 20 سنة، وكان مساعداه في القضاء: المكي بن باديس جدّ الإمام عبد الحميد، ومحمّد بن عزوز.

بالإضافة إلى هذا تولّى الشّيخ الشّاذلي إدارة مدرسة سيدي الكتاني منذ تأسيسها سنة 1850، وأيضا مدرّسا للنحو بها، وظلّ محافظا على إدارة هذه المدرسة إلى وفاته التي يرى الشّيخ أبو القاسم سعد الله أنّها كانت سنة 1877، وذكر أبو القاسم الحفناوي في تعريف الخلف أنّه توفي في حدود سنة 1280هـ دون ذكر لمكان الوفاة، أمّا الأمير محمّد باشا فقد ذكر في تحفة الزّائر أنّ الشّيخ الشّاذلي توفي سنة 1294 هـ، ودفن في تربة أسلافه، غير أنّ ابنه محمود أثبت في تقييداته أنّ والدّه توفي في 22 سبتمبر 1877م.

قام بعدّة رحلات إلى فرنسا وغيرها، وأهمّها على الإطلاق رحلته الثّانيّة (1849 – 1850) إلى باريس وأمبواز بغرض مؤانسة الأمير عبد القادر أثناء سجنه بفرنسا.

وكانت له علاقات خاصة جدا مع المسؤولين الفرنسيين، وبالأخص مع بواسيني، الذي كان يعتمد عليه الشّاذلي في كل مآربه وأموره ويتوسط له في حل المشاكل التي تعترضه، ويقدمه إلى معارفه من الفرنسيين وكذلك إلى الرّسميين منهم.

وبواسطته دائما استطاع الشّاذلي أن يتعرّف على زعماء الإدارة الفرنسيّة في

الجزائر، وأن يكوّن مع بعضهم علاقات خاصة، مثل الذّوق دومال الذي مدحه بقصيدة، وتعرّف على إسماعيل عربان المستعرب الذي كان مترجما في الإدارة الفرنسيّة، ثمّ أصبح العضد اليمن للإمبراطور نابليون في شؤون الجزائر، وأيضا تعرّف على الجنرال بيدو وغيرهم كثير.

قال عنه أبو القاسم سعد الله:

" أديب بارع رقيق الأسلوب، فني العبارة، حلو الألفاظ، خفيف الرّوح".

الأمير عبد القادر: قال عنه حين كان يؤنسه:

" كان لنا خير أنيس، وأحسن جليس، نفّس عن همومنا بلطائفه وطرائفه ما لا تنفّسه الصّبا، وأجلى من أحزاننا ما لا تجليه الصّهب".

وزبدة القول فيه أنّه كان من الشّخصيات اللامعة المتعددة الجوانب.

نتاجه الأدبي:

قال في مدح الأمير عبد القادر والاستغاثة به ممّا حلّ بقسنطينة (17بيتا):

أيا ذاهبًا نحو الخليفة بلّغَنْ
سلامًا يفوق النّدى عرفا يجدّدُ
ووجهك عفّر في تراب نعاله
وبثّ له وجدي فإنّك تحمدُ
وبلّغ له شكوى قسنطينة بما
يسوء ذوي الأحلام والله يشهدُ
وذلك أنّ الكفر حلّ بها وفي
عمالتّها من كلّ أرجائها يبدو
حتى يقول عن الأمير:
لهُ رتب فوق السّها وفضائلُ
تضوّعت الأكوان إذا ما تعدّد
هلمّ لنا يا ابن الرّسول فإنّنا
بذلّ وخسران ونصرك نقصدُ
وبادر لقمع الكفر يا ابن نبيّنا
عسى نفحة من عند جدّك تنجِدُ

وقال في قسنطينة (18 بيتا):

قسنطينة الغراءُ فزتِ ببهجةِ
وعزٍّ على كل البلاد ورفعةِ
كأنّك فوق الكهف سلطان قد علا
سرير عزيز الملك وهو ذو سطوةِ
هواؤك يا تاج البلاد وعزّها
دواء ذوي الأسقام من كل علّةِ
كأنّكِ أمٌّ للغريب فكل من
أتى لك منهم نال أكمل عزةِ
وكم عالم قد حلّ فيك وعلمه
علا كلّ نجم بل غلا كلّ درّةِ

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: القاضي الأديب الشّاذلي القسنطيني، دراسة ونصوص، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1985؛
- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السّلف، طبعة الجزائر؛
- تحفة الزّائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، طبعة الإسكندريّة.

محمّد الشّريف بن الشّيخ
(1344هـ - 1926م/1439هـ - 2018م)

هو سليل عائلة علم ودين وشرف النّسب هو ابن الشّيخ محمّد القاضي، ولد بقرية تقاعت بلدية صدوق بجاية في 23 نوفمبر 1926، التحق في صباه بمسجد القريّة فتعلم القراءة والكتابة مع حفظ القرآن الكريم قبل أن يلتحق بالمدرسة الفرنسيّة التي تركها قبل أن يكمل دراسته. وفي عام 1940 التحق بزاويّة سيدي عبد الرّحمان اليلولي وفيها اتم حفظ القرآن وتلقي المبادئ اللغويّة، وأخذ علم التجويد على والدّه.

انتقل إلى تونس أين درس في جامع الزّيتونة ومنه نال شهادة التّحصيل سنة 1953، وبعودته إلى الوطن التحق بزاوية الشّيخ عبد الرّحمن البلولي للتدريس بها.

وبعد عودته إلى قريته طلب منه تولي تعليم أبناء المنطقة بالمدرسة الحرة التي أنشأت بمسجد صدوق أين تولت عند اندلاع الثّورة زرع الرّوح الوطنية في نفوس الأبناء وتعليم التّاريخ الوطني.

أثناء الثّورة (كما ذكر لي بنفسه رحمه الله) كان يعد مجلة الثّورة في الولاية الثّالثة بأناشيد ينشدها المجاهدون ويرددونها في تدريباتهم وينشرونها في أوساط جميع الفرق وفي مختلف النّواحي. وكانت هذه المجلة تسمى النّهضة وكانت تصدر بين سنتي 57-1959، وهذا النّشاط النضالي لم يغب على آذان وعيون العدو فاعتقلوه سنة 1958 وقاموا بغلق المدرسة، فتولى الشّيخ محمّد الشّريف بعد خروجه من السّجن امامة المسجد بصدوق مكان أخيه المعتقل.

وبعد الاستقلال عاد إلى التّدريس وشارك في تكوين المعلمين وعين مستشار تربوي بمنطقة أقبو بجاية كما انتخب عضو في المجلس البلدي ببجاية مكلفا بالثّقافة، وفي سنة 1980 عين مدير التّربيّة بولاية بجاية وفي سنة 1986 عين مفتش عام لولايتي بجاية وجيجل وتقاعد سنة 1982.

من نشاطاته الدّعويّة التّطويعيّة:

- رئاسة المجلس العلمي التّابع لمديرية الشّؤون الدّينيّة والاوقاف ببجاية لمدة عامين؛
- تقديم حصة اذاعيّة دينية بعنوان دين ودنيا بإذاعة الصومام لمدة أربع سنوات.
- كتب شعرا ونثراً في المواضيع المختلفة الدّينية والوطنيّة والثّقافيّة والتّاريخية والوجدانيّة.
- نشط العديد من الملتقيات والندوات الفكريّة على المستويين المحلي والوطني؛
- خدم الإسلام والوطن واللغة العربيّة كأوفى وأخلص واشجع كاتب وأفصح لسان.

مؤلفاته:

- أصداء من الماضي سنة 2009 عن دار منشورات الخبر؛
- صرخات من عمق الجراح 2012 عن دار منشورات الخبر؛

– خطب الجمعة إبان الثّورة التّحريرية سنة 2013، عن دار منشورات الخبر؛

للرجل تفاعل مع الاحداث الوطنيّة والدّينيّة والعالميّة والتّاريخيّة بقلمه وبلسانه بالحسنى والموعظة الحسنة لأجل لـمْ الشّمل ولخير النّاس والبلاد ولأجل الإخاء والاعتدال يذكر ويعيد.

يتميز الرّجل بإنسانيته وذوقه وأحاسيسه العاطفية فلقد شهد مأساة وفاة نصف أفراد اسرته في لمحة برق حين صدمت سيارتهم في ممر القطار الذي لم يكن محروسا فحولته مكلوم الفؤاد ولكنه كان صابرا محتسبا مصابه بترديده إن لله وإنا إليه راجعون.

نظرة خاطفة على ديوان شعره

لقد سبق ذكر عنوان الدّيوان وهو صرخات من الجرح.

البطاقة البيانية لمنظامين الدّيوان.

يقع الدّيوان في 346 صفحة وعدد القصائد مائة واثنان وسبعون قصيدة 172 وجمعت كل الاغراض فمنها الوجدانية جعل للفاجعة المأساوية التي اودت بحياة فلذات كبده وامهم في حادثة القطار الأليمة ازيد من ثلاثة عشر قصيدة 13 ويضيف اليها ما الهمته من دروس وعبر وتأملات في الحياة والموت ومن الحادثة الاليمة والتي يعود تاريخها إلى 23/ 07/ 1986 يعود بنا إلى سنة 1951 زمانا وملعب بلوزداد مكانا والمهرجان التاريخي لمختلف الاحزاب لوطنية، حزب الشّعب وجمعية العلماء المسلمين وحزب احباب البيان والحزب الشّيوعي المهرجان المبشر بالاتحاد والاخاء والتضامن وجعل للقصيدة عنوانا هو من ذكريات الكفاح وفيها يقول:

من ذكريات الكفاح

صالح النداء من ضمير الوعي ينبئنا
بأننا وحدة ساح وادينا
ووحدة الشّعب أولي من منازعة
يثير كامنها بغي بغادينا
إنّ المعالي مع الاسباب اتية
ليست سوى مطلب الاحرار تغرينا
لكن عداة طغو في السّاح مذأمد
والبغي في السّاح يزهو أين آسينا
جرت وفود من الاحرار بجمعهم
لقاء الولا في سبيل الحق يعلينا
زل يا ظلام المآسى عن جزائرنا
إن الدّسائس مع الازمان تردينا
آن الأوان الذي يأتي فينهضنا
مما نعاني من الطغيان آمينا
إذا اردتم حياة العز فاندفعوا
بقوة العزم نحياها فتحينا
رجاؤنا ان نعيش اليوم وحدتنا
لينمحي الظلم يوما عن مغانينا

وعنوان آخر التي الفاجعة التي لاو لن ننساها التي خصصها لمأساة 8 ماي 1945 في كل من خراطة وسطيف وقالمة ثم يصعدبنا إلى مؤتمر الصومام مؤتمر التّلاحم والصمود كما عنون لقصيدته ثم إلى عام 1957 زمان وإلى كل ثائر كتبها أثناء الثورة المجيدة وسلمها للأخ المجاهد الشّيخ عبد الله أقسوح أمد الله في عمره المسؤول عن الأوقاف آنذاك ونشرت في مجلة النهضة التي كانت تصدرها الولاية الثالثة بعد ان كلفت بالتحرير فيها بالعربية مطلعها.

للسلاح العتيدللكفاح المجيدإننا لا نريد
خير عز وطيد
ياحماةالبلادانتمو للجهادسارعو في
اعداد
شاهرين الحديد
ارفعوا نبدنافوق اوطاننانه رمزنا
وشعار الصمود

ومن آثاره نثرا:كتاب أصداء من الماضي ومنه يقول: بعنوان بين يدي الاصداء.

بين ايديكم أيها الاخوة القراء مجموعة من المقالات والعروض تناولت خلالها ما كان يجري من أحداث في بلادنا ولا سيما في العشرية المتقدمة...

وقد نشر الكثير منها في الصحف الوطنية والقي بعضها في لقاءات تاريخية او دينية او ثقافية بصفة عامة.

ومنها كانت هذه الموضوعات المختارة أو المعالجة من سياسة أو دينيا واجتماعية وغيرها فإنها لا محالة جزء من تاريخ هذه الأمة الذي يتولى قراءته الجيل الحاضر والآتي وعسى أن يكون كل ما يعالج ويحرر من الموضوعات دروسا لهؤلاء وأولئك في مسارهم الذي قد لا يخلو كذلك من أحداث ومفاجأة ونرجو ان لا تصل إلى مستوى ما نعيشه اليوم.

والجيل الواعي هو الذي يتعظ بغيره لتدارك النقص وعلاج الادواء في حينها، ثم مواصلة المسيرة بجد ومصابرة للتحقيق المزيد من النجاح الهادف وعلى ضوء هذا فالكتابة إذا لم تتخذ وسيلة لخدمة المواطن وتحقيق مصالح الامة بتعميق وحدتها وضمان قوتها ليست لها قيمة تذكر ولا غاية تلفت النظر وإنما هو كلام عابر وجمل تحرر، غير أن لكل كاتب جاد مؤمن بوطنيته ومبادئه ولأصلة أهدافا وغايات تحققها وراء ما يكتب ويحرر فلتكن هذه الأهداف والغايات في خدمة الصالح العام التي بها ترقى الأمم وتزدهم المجتمعات ويسودها الامن والسّلام والاستقرار.

وللعلم فإنني في هذا الكتاب المتواضع لم اراع ترتيب الموضوعات حسب التواريخ أو المحتويات وإنما تركت ذلك لعامل المبادرة.

غير انني في الوقت نفسه أعطيت الأهمية للموضوع الذي بدأت به الكتاب فرغم قدمه إلا أنه مايزال يفرض نفسه بما يجمله من ذكريات اليمة واوجاع جد قاسية ولا اخال هذا الموضوع سيغيب عن ذاكرتي وذاكرة من عايشه من أبناء الاسر وبناتها.

﴿**فالله خير حافظا وهو أرحم الرّاحمين**﴾ سورة يوسف الآية 64.

محمّد الصالح آيت علجت

المصادر:

ديوان للمترجم له: أصداء من الماضي: (مجموعة مقالات).

محمّد الشّريف بن عبد الله
(ت: 1275هـ - 1859 م)

محمّد الشّريف بن عبد الله، فقيه ومتصوف جزائري قاوم الفرنسيين في ثورة عارمة بالجنوب الجزائري.

ولد في تاريخ مجهول قرب عين تموشنت بالغرب الجزائري، ينتمي إلى أولاد "سيدي أحمد بن يوسف"، فرع قبيلة أهل غوسل، ظل حتى سنة 1840م رجلا خامل الذكر، وهو أحد مؤسسي الزّاويّةالسّنوسيّة في الحجاز، التي أصبحت وجهة لزيارة المهاجرين الجزائريين إلى البقاع المقدسة.

توجه بأسرته في هذه السّنة إلى تلمسان، حيث اشتغل معلما للقرآن الكريم في زاويّة "أولاد سيدي يعقوب" المنتميّة إلى "أولاد سيدي الشّيخ".

لما تزعم آغا قبيلة "غوسل مولاي الشّيخ علي"، المعارضة للأمير عبد القادر، استجاب الشّيخ "محمّد الشّريف" لدعوته، واتفق مع خصوم الأمير "عبد القادر" على التّعاون مع فرنسا ضده، فمنحه الفرنسيون لقب "السّلطان" وعيّنوه خليفة لمنطقة "بني عامر".

وبعد احتلال تلمسان من قبل الجنرال "بيجو" "Bugeaud" سنة 1842م عينه خليفة عليها في أول الأمر، ولما طلب منه الجنرال "بيدو" "Bedeau" حاكم تلمسان أن يحلف بالمصحف على إخلاصه للفرنسيين، وأن يترحم على عدد من موتاهم، الذين قتلوا في المعارك ضدّ قوات الأمير "عبد القادر" قال: "إني معكم إلى أن يحكم الله بافتراقنا".

كان كثير الاعتكاف في ضريح ومسجد "سيدي أبي مدين شعيب" بحي العبّاد.

اشترك مع الفرنسيين ظاهريا في معارك ممر (تازة) ضد القوات المغربيّة أثناء مقاومة الأمير "عبد القادر".

استيقظ الفرنسيون ذات يوم من سنة 1844م ليقرؤوا على جدران مدينة تلمسان عبارة: "محمّد بن عبد الله ناصر الدّين أبقاه الله وسلّطه على رقاب الكافرين".

فبدأ شك الفرنسيين يزداد حول إخلاص "محمّد الشّريف بن عبد الله" فنصحوه بأداء فريضة الحج إبعادا له عن أنصاره، وعن وهران.

أقلّته سفينة فرنسيّة إلى البقاع المقدسة، وزار مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأدى فريضة الحج، وهناك التّقى بالجزائريين المنفيين وساهم في إنشاء الزّاويّةالسّنوسيّة هناك على جبل "أبي قبيس"، التي أصبحت منتدى لكل الجزائريين الوافدين على البقاع المقدسة لتدارس مشاكل بلادهم السّياسيّة.

عاد إلى الجزائر في سنة 1850م، ولبث قليلا في زاويّة "الرّويسات" بورڤلة.

في شهر شباط-فيفري 1851 انطلق في نشر دعوته لمقاومة الفرنسيين، وحثّ النّاس على الالتّفاف حوله، وقد شجّعه في ذلك "محمّد بن علي السّنوسي" الجزائري من طرابلس.

واستجاب النّاس لدعوته وتجندوا تحت لوائه وذاع صيته، وعمت شهرته بين النّاس كزعيم وطني مخلص لهم من الكفار، واستولى على مدينة ورقلة رفقة زوجته "مريم" وكاتبه "محمّد بن علي"، وزعيم المخادمة "عبد الله بن خالد"، واتخذها مركزا لنشاطه، وأذاعت سيدة صالحة تدعى الحاجة "الزّهرة" أن "محمّد الشّريف بن عبد الله" مرسل من الله ليكون سلطانا على البلاد، ويحررّها من الكفّار.

بايعه الورگلانيون سلطانا عليهم في شهر آب-أوت 1851، وقد حاول إخضاع مناطق ورقلة ووادي ميزاب والأغواط إلى نفوذه قبل أن يدخل الحرب ضدّ الفرنسيين يوم 22 أيار-ماي 1852.

لما تأكدت فرنسا من خطورة حركته، جندت ضدّه ثلاث فرق ضخمة في عهد الجنرال"راندون" (Randon) الحاكم العام للجزائر:

- الأولى بقيادة الجنرال "يوسف"، تمركزت بالجلفة منذ عام 1852.
- والثّانيّة بقيادة "بيليسي" "Pelissier"، تمركزت بالبيض.
- والثّالثة بقيادة "ماكماهون" "Mac Mahon"، تمركزت في منطقتي بسكرة وقسنطينة.

انتصر "ابن عبد الله" على القوات الفرنسيّة في معركة كبيرة في "عين الرّقا" قرب "غدير مزة" في تشرين الأول-أكتوبر 1852، قتل فيها مائتا (200) جندي فرنسي، وغنم عشرين (20) ألف رأس من الغنم، وألفي (2000) جمل، وعلى إثر ذلك الانتصار استقبله سكان الأغواط استقبال الفاتح.

بعد معارك طاحنة مع الفرنسيين في منطقة الأغواط انسحب "الشّريف بن عبد الله" إلى تونس سنة 1854م، ثم عاد إلى الجزائر بعد أربع سنوات، إي سنة 1858م، وخاض معارك أخرى ضد عملاء فرنسا في منطقة توات والأغواط، دامت ثلاث سنوات.

ألقي عليه القبض في سنة 1861م من قبل الباشاغا "سي بوبكر" ولد "حمزة" ولد "سيدي الشّيخ" وسلّمه للسلطات الفرنسيّة.

نفي إلى فرنسا ليظهر بعد ثلاث سنوات من جديد على مسرح المقاومة في ثورة أولاد سيدي الشّيخ.

عاد إلى تونس بعد هذا التّاريخ، ليظهر مرة أخرى في ثورة "المقراني" والشّيخ "الحداد" سنة 1871 مع رفاقه القدماء "ناصر بن شهرة" و"الشّريف بوشوشة" في منطقة ورقلة، و"محي الدّين بن الأمير عبد القادر" الذي جاء عن طريق طرابلس وتونس ودخل الجزائر من ناحيّة تبسة ليتزعم الثّورة هناك، وأعلن للناس هذه المرة أيضا أنه مبعوث من عند الله لتطهير البلاد من الرّومي.

خاض معارك أخرى ضد الفرنسيين وهزمهم شرّ هزيمة في منطقة تبسة، عاد مرة أخرى إلى تونس ودخل مدينة الكاف بعد أن ضعف أتباعه وقل ماله، وهناك اعتقله الباي "محمّد الصّادق" سنة 1876م في ناحيّة "نفزاوة"، وبقي هناك عدة شهور في المعتقل.

أطلق سراحه بمساع من "علي بن خليفة" عامل "نفّات" لدى الباي، وعاش في تونس حياة متواضعة حتى فرضت الحمايّة على تونس سنة 1881.

غادر "بن عبد الله" قريته في اتجاه الحدود الشّرقيّة الجنوبيّة واستقر بجوار طرابلس مدة إلى أن توفي سنة 1895م، ونقل جثمانه إلى قريته "دور"، وما يزال قبره مزارا في قريته.

كانت حياة "الشّريف محمّد بن عبد الله" كلها جهادا ضد الغزاة الفرنسيين زهاء نصف قرن من الزّمن.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011؛
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائرمن صدر الإسلام حتى العصرالحاضر، مؤسسة نويهض الثّقافيّة، بيروت، 1980؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

محمّد الشّريف بن محمّد الطيب (قاهر)
(1348هـ - 1930م/1437هـ - 2016م)

هو محمّدالشّريف بن محمّد الطّيب، لقبه قاهر المولود ببلديّة تمقرة دائرة أقبو ولايّة بجايّة، يتنسب على عائلة شريفة فاضلة محافظة على القيم الدّينيّة والوطنيّة تبعا لما هو عليه الطّابع المميز للبيئة التي ورثت تراثا حضاريا عريقا هو نسبتها إلى الولي العالم القدوة الشّيخ يحي العدلى مؤسّس الزّاويّة المنارة العلميّة ورابطة الجهاد التي مازالت تؤدي رسالتها إلى اليوم وإلى يوم الدّين وأن شاء الله تعالى.

ففي الزّاويّة الآنفة الذّكر تلقى معارفه الأولى والتي مانفك ينوه بأنها الأساس الذي عليه كان البناء والتّكوين العلمي الذي تلقاه فيما بعد في الجامعة الزّيتونيّة في تونس أو في جامعة بغداد ثم اخيراً في جامعة الجزائر التي كانت خاتمة دراساته العليا بحصوله على دكتوراه الطور الثّالث ثمّ على دكتورة الدّوليّة فيها دراسته الأولى فكانت بحفظ القرآن الكريم ثم تلقيه دروسا في معارف متنوعة دينيّة ولغويّة وأدبيّة وكل ذلك عن شيخه الذي رافقه طول حياته وهو االشّيخ الطّاهر آيت علجت فبعدان امده بما سبق ذكره اردف ذلك بما يحتاجه من الرّوح الوطنيّة واطلاعه على واقع الوطن والحياة النّضاليّة التي كانت هم كل مواطن حي وواع بواقع الجزائر المختلف عن واقع الكثير من البلدان المجاوه وبالأخص منها العربيّة الإسلاميّة.

كان شيخه يحثه على اللحاق بزملائه الذين سبقوه إلى تونس قصد الاستزادة من العلم فكان ذلك في سنة 1950 ففي تونس درس على الشّيخ الطاهر بن عاشور والفاضل بن عاشور واخرون.

وبعد حصوله على الشّهادة الجامعيّة العليا في تونس وهي العالميّة، ذهب في بعثة طلابيّة إلى بغداد سنة 1959 ومنها نال شهادة اللسانس في اللغة والادب العربي، وقبل ذلك شارك في اضراب الطلبة سنة 1956 والتحق بالثّورة ليساهم كغيره من أبناء وطنه في تحرير بلاده.

ومما يجدر ذكره من جهوده الجديرة بالذكر والشّكر هي الاعداد للطلبة الذين أرسلهم الشّهيد العقيد اعمروش إلى تونس للدراسة فسعى بجد وعزم على التحاق هؤلاء الطلبة بالتّعليم العمومي التونسي وتمثل ذلك في تلقي دروس تدعيميّة مطابقة لنظام التّعليم التونسي فبذلك كان التحاق العديد من الطلبة بالتّعليم العمومي بفضل تضافر جهوده مع جهود الشّيوخ الآخرين كالشّيخ السّعيد داودي والشّيخ رزقي كتاب وآخرون والشّيخ الطاهر آيت علجت.

وفي الجزائر حين دخوله اليها سنة 1962 بعد استعادة الاستقلال درس أولا في التّعليم الثّانوي وأخذ به الشّيخ عبد الرّحمان شيبان إلى لجنة التّأليف المدرسي فساهم في إعداد كتب الأدب واللغة العربيّة والتّربيّة الإسلاميّة المقررة للتعلمين المتوسط والثّانوي.

ناقش رسالة الدّكتورة الدّرجة الثّانيّة عن الاديب الأندلسي لسان الدين بن الخطيب ثم التحق بالجامعة فدرس عليه الأفواج العديدة من الطلاب، وكان يدرس الأدب الأندلسي وختم حياته بتدريس مادتي تفسير القرآن والحديث حتى تكون خاتمة حياته بالكتاب والسّنة كما كان يردد ذلك في العديد من المناسبات، وكان مؤطرا دائما لأعداد طلبة معهد القضاء واسندت إليه إدارة المعهد العالي لأصول الدّين، وكان عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى منذ تأسيسه واعيد تثبيته في هذا المجلس بعد تجديده من قبل الرّئيس اليمن زروال.

وأما رسالته في دكتورة الدولة فكانت في موضوع سيرة الرّسول ﷺالتي كتبها الشّيخ عبد الرّحمان الثّعالبي فحققها وعكف على دراستها فترة طويلة.

للشيخ محمّدالشّريف قاهر دور إيجابي كبير في الإشراف على رسائل البحث العلميّ من قبل طلاب الجامعات فاعتنى العنايّة الكاملة بتوجيه وإعداد الطلاب إلى اجتياز هذه المرحلة المصيريّة في الدّراسة الجامعيّة فحينما استضافني في بيته ليسلملي المقدمة التي كتبها كتاب الشّيخ المولود الحافظي حياته وآثاره لفت انتباهي الرّفوف التي تظم المئات من الأطروحات الجامعيّة التي أشرف عليها.

وشارك في لجنة كتابة تراجم لمعجم مشاهير العلماء المغاربة وكان مكتبه في المجلس الإسلامي الأعلى دائما مشغولا ومفتوحا للاستقبال العديد من القاصدين إليه لأجل الفتوى أو لأجل التّوجيه والمساعدة على إنجاز الدّراسات والأبحاث في العلوم الدّينيّة والأدبيّة واللغويّة.

تلقى العديد من التكريمات من الهيأت الرّسميّة والشّعبيّة ومن المجتمع المدني المختلف الأنشطة والاهتمام، ومن ذلك تكريمه من قبل تلميذه الوزير الدكتور الطاهر حجار وغيرهم.

وكانت له مساهما دينيّة وادبيّة وتاريخيّة في العديد من المؤتمرات والنّدوات والمناسبات داخل الوطن وخارجه وفي كل ذلك له التّأثير والإعجاب والتّقدير من قبل سامعيه وذلك لكونه فصيح اللسان جاد في الحديث غني المعلومات حاضرالجواب لطيف التّعبير وسليم التّحليل قوى الحجة بليغ الصياغة سلس الأسلوب سليم التّركيب للأفكار والمعاني.

كما أن شخصيته تتميز بالوقار والاحترام لدى الجميع والحديث في القول والعمل وبالصدق والإخلاص والوسطية والاعتدال والأصالة والإباء وقوة الشّخصيّة مع التواضع والرّوح الاجتماعيّة.

إسهاماته في إعداد كتاب مشاهير المغاربة، وله فيها أحد عشر نبذة تاريخيّة عن شخصيات مختلفة فيها الأديب والفقيه.

حصل على منحة التفرغ لدراسة اللغة الاسبانيّة والبحث العلمي المتعلق بالتراث الاندلسي مما أفاده في دراسته وتحقيقه لديوان الشّاعر الوزير الاندلسي لسان الدين بن الخطيب في مطلع السّبعينات فاستفاد من هذا التفرغ الكثير من المعلومات المتعلقة بموضوع دراسته والاطلاع على الوثائق والمراجع الهامة والتي ساعدته كثيرا في تقديم عمل قيم نال رضا واستحسان اعضاء لجنة المناقشة.

لقد داومت وزارة الشّؤون الدينيّة على إشراكه مع مجموعة من العلماء منهم شيخه والدي في كل من لجنة الافتاء في رؤيّة وثبوت هلالي رمضان وشوال.

كما داومت على إشراكهما في لجنة اللأئمة المرشدين والمفاتي في بعثات الحج، بالرّغم من تقدمهما في السّن إلا أن ذلك لم يمنعهما من تلبيّة الدعوة ولقد وقعت لشيخ محمّدالشّريف قاهر حادثه في مسعى الصفا والمروة فوقع له كسر في العمود الفقري ولم يقع علاجه إلا عندما عاد إلى الجزائر ودخل مباشرة من المطار إلى المستشفى بن عكنون حيث اجرت له عمليّة جراحيّة ناجحة.

وإن نجا من كل ذلك فإن المرض الخبيث لم ينج منه حتى وافاه الأجل فصلى عليه الوالد شيخه ودفن في مقبرة بوزريعة وأبنه السّيد وزير الشّؤون الدينيّة الدّكتور محمّد عسى كما حضر الدكتور أبو عبد الله غلام الله الجنازة وجمع غفير من محبيه وتلامذته والكثير من زملائه في جنازة تاريخيّة مؤثرة بفقدان عالم وإمام مقتدر واعظ نصوح ووطني صادق وخطيب بليغ.

للشيخ محمّدالشّريف قاهر اخلاق الحياء والحشمة والحياء من الايمان وهو فيما يتعلق بدينه شديد المحافظة عليه لم تغيره في ذلك ظروف الدهر وويلاته في السّراء مثله في الضراء فلم يسلم من المشاق ومصاعب ا لحياة الدراسيّة منها بصفة خاصة أذكر له حادثة أعادها على وأسمعها لمستمعي إذاعة القرآن عن ظروف تمدرسه وقال: فرضت علينا السّلطات الاستعماريّة حينما كانت طالبا في زاويّة الشّيخ سيدي يحي العدلي ضريبة أو جزيّة في حين ليس لي دخل وطاقة بدفع ذلك المبلغ المالي المفروض علي وأعياني التفكير في سبيل الخلاص من التهديد الذي يسلط على إن لم ادفع ذلك المبلغ المطلوب مني مثلي مثل قريب لي وزميلي هو المرحوم محمّدالسّعيد بوكردوس ففكرنا في الذهاب إلى قائد الدور المرحوم الشّريف اولهادي فاستقبلنا كطلبة بمنتهى الاحترام وعرضنا عليه مشكلتنا وقلنا له نحن طلبة علم لا نعمل ولا دخل لنا نسدد منه ما نحن مطالبون بتسديده فأجابنا بأنه لا يمكن له ان يعفينا ولا ان يسقط علينا هذه الضريبةالا في حالة واحدة الا وهي ان أسجلكما في عداد الموتى فحينئذ لا نكون متابعتكم من طرف السّلطات الفرنسيّة ولا تحاكمون فالمحاكمات للأحياء لا للموتى فقبلنا ذلك وخرجنا أحياء لكننا موتى في الحالة المدنيّة لدى القائد.

كان الشّيخ محمّدالشّرف كثير الملح وعزيز الطرائف يبعثها أحيانا لا بعاد متاعب السّفر أو لدفع الملل او لأجل بعث الانشراح في المجلس فهو خفيف الظل يألف ويؤلف ينصح ويوجه ويسعى في سبيل قضاء حاجات من يقصده يحافظ على الوقت بالذكر والشّيخ حين فراغه وبالانشغال والعنايّة بالتزاماته.

وهو عال الهمة وفوز يردد دائما عاش من عرف قدره ووقف دونه ناجح وصبور على بذل الجهد كريم سخي وفي أمين لا يمل جلسيه باب بيته ومكتبه مفتوح من غير موعد سابق لا يرد سائل لا يرفض دعوة يرد اليه أن لم يكن له سابق التزامه.

أشهد الله بأنه أفادني كثيرا وقد كانت بيني وبينه علاقات واتصالات غير منقطعة وتشهد له المقدمة التي وشح بها كتاب الشّيخ المولود الحافظي حياته وآثاره كانت لي دافعا على الاستمراريّة.

محمّد الصالح آيت علجت

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمد الشّريف ساحلي
(1323هـ - 1906م/1409هـ - 1989م)

ولد محمد الشّريف ساحلي في 6 أكتوبر سنة 1906 م في أسرة محدودة الدخل بقرية تاسكة من بلدة سوق أوفلّة من أحواز بجاية. وهو مثقف وصحفي وكاتب ودبلوماسي. تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط ببلدة سيدي عيش، ثم توجه إلى العاصمة ليواصل دراسته بثانوية الأمير عبد القادر اليوم، والتّحق بعدها بدار المعلمين ببوزريعة. انتقل إلى فرنسا لاستكمال دراسته، فتحصل على ليسانس، وكذا شهادة الدراسات العليا في الفلسفة من جامعة السّوربون. ولما عاد إلى الجزائر عمل في ميدان الصحافة وساهم في نشر العديد من المقالات في الصحف الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية كصحيفتيْ (الأمة) و(الشّاب المسلم). وكانت تصدر باللغة الفرنسية. ووقع مقالاته باسم ابن تومرت لتجنب ملاحقات الإدارة الاستعمارية الفرنسية. أسس في بدايات مشواره مجلة (أفريقيا)، وهو ما عرّضه لمضايقات من السّلطات الاستعمارية مما دفعه للتوقف عن العمل الصحفي، والتّوجه إلى فرنسا حيث مارس مهنة التّعليم ابتداء من سنة 1950. وخلال الثّورة صار عضوا في لجنة الاعلام باتحادية فرنسا التّابعة لجبهة التّحرير الوطني. وفي الفترة الواقعة بين 1957 و1962 كان ممثلا لجبهة التّحرير ثم سفيرا للحكومة الجزائرية المؤقتة في البلدان الإسكندنافية. بعد الاستقلال عين سفيرا للجزائر في الصين وكوريا الديمقراطية وفيتنام وتشيكوسلوفاكيا وأحيل على التّقاعد سنة 1978م.

ترك محمد الشّريف ساحلي العديد من المؤلفات منها (رسالة يوغرطة) الذي صدر سنة 1947 و(المؤامرة ضد الشّعوب الإفريقية) الذي صدر سنة 1950 و(عبد القادر فارس الإيمان) الذي صدر سنة 1967 و(الأساطير الفرنسية والواقع الجزائري) وصدر سنة 1988. وأبرز مؤلفاته يظل كتابه المعروف بعنوانه المميّز (Décoloniserl'histoire) أو (تحرير التّاريخ) والذي صدر سنة 1965 عن دار ماسبيرو بباريس، وتم إعادة طبعه في الجزائر سنة 1986 بتقديم من مصطفى لشرف، وأعيد طبعه للمرة الثّالثّة بتقديم محمد بلحي. لكن تحرير التّاريخ مِمّن؟ من الرؤية الاستعمارية الفرنسية لتاريخ الجزائر، لأنها رؤية إيديولوجية للتاريخ تخدم الوجود الاستعماري الفرنسي، ولذلك ترجمه البعض بـ (إزالة شوائب الاستعمار من التّاريخ). وهذا هو فعلا مضمون الكتاب. ويعتبر بمثابة صرخة مدوية لإعادة كتابة تاريخ الجزائر وفق منظور جزائري بعيدا عن المدرسة الاستعمارية الفرنسية في التّاريخ. ترجم الكتاب إلى العربية من محمد هناد تحت بعنوان (تخليص التّاريخ من الاستعمار)، ولأهميته نحاول تلخيص أبرز الأفكار التي تضمنها كما وردت فيه.

في نقده للرؤية الاستعمارية الفرنسية في التّاريخ، لا يؤمن ساحلي بـ" الدور الإيجابي للاستعمار في الجزائر"، وميّز بين نوعيْن من المؤرخين الفرنسيين حيث نقد رؤية سْتيفان كْزال وفليكس كوتْيي وجورج مارسي وروجي لوتورنو والذين وصفهم بفئة مجنّدة أو "فيْلق من المؤرخين" Unecohorted'historiens" كان هدفهم التّنظير للرؤية الاستعمارية، بينما أنصف شارل أندري جوليان وإيف لاكوست وفرنان بْرُودال. وقال: "منذ 1830، أصبح تاريخ الجزائر محتكرا من النزعة العلمية الفرنسية. فقد نقّبت أجيال من المؤرخين محترفين أو هواة مدنيين أو عسكريين في ماضينا بما له صلة بأسطورة الجزائر الفرنسية". وقال: "إنه بتأسيس جامعة الجزائر سنة 1909 أصبح للمستعمر الفرنسي حاضنته الايديولوجية، حيث برز مدافعون متحمسون عنه، رجال قانون كـ فياروبوسْكيولامبير، ومؤرخون كـ فليكس كوتْيي وجورج مارسي وكريستيان كورتْوا وروجي لوتورنو، وفلاسفة كـ ليون كوتْيي وعلماء لسانيات كـ هنري باسي وهنري بيريس وغيرهم".

تكلم ساحلي في كتابه عما وصفه بالحتمية le déterminisme، التي سعى المنظرون الفرنسيون لوصْم الجزائر بها، كحتمية الجغرافيا أو المكان وحتمية العرق أو الصراع العرقي والحتمية السّوسيولجية أو الصراع القبلي. وتحدث عن ضربة المروحة وخرافة الإدماج la légended'assimilation ودافع عن الأمير عبد القادر. عالج ساحلي في إطار حتمية الجغرافيا أو حتمية المكان أطروحة المؤرخين الفرنسيين الذين حاولوا إظهار أن طبيعة الجغرافيا في الجزائر من جبال وسهول وصحراء حالتّ دون تكوين وحدة سياسية وتوحيد السّكان وأنها كانت البلد الأكثر تجزئة في المغرب، ويفهم من ذلك أن الفضل في التّوحيد يعود للاستعمار الفرنسي وأنها كانت متجهة للداخل ولم تكن قوة بحرية. وردا على تلك الادعاءات قال ساحلي إنه يمكن بكل يسر اكتشاف أمثلة زاخرة عن الوحدة السّياسية والقوة البحرية.

ومن خلال حتمية العرق عالج الأطروحة الفرنسية التي ركزت، عبر البحث في أحداث التّاريخ، على ما تصفه بالحالة العدائية المزمنة أو التّضاد بين العرب والبربر arabo-berbèrel'antagonisme وذلك عبر محاولة تقديم بعض النزاعات في تاريخ بلدان المغرب وكأنها خصومة بين العرب والبربر. وقال إن الفرنسيين حاولوا إظهار تمرد الخوارج كصراع بربري ضد العرب وتجاهلوا أن بربراً آخرين كانوا يواجهون ذلك التّمرد في إطار الدولة الفاطمية لأن الأمر كان يتعلق بخلافات مذهبية بين الحكام لا علاقة لها بالعرق.

وعبر الحتمية الاجتماعية عالج موقف المؤرخين الفرنسيين الذين غذّوا حالة عدائية للعرب والثّقافة العربية L'antagonisme arabo-berbère ont nourri une hostilité atavique aux arabes et la culture arabe من خلال حديثهم عن انتقال قبائل بني هلال إلى بلاد المغرب. ولذلك رفض عبارة "الغزو الهلالي" التي ركز عليها

أولئك المؤرخون ووصفوا انتقال تلك القبائل بكارثة الكوارث. كما انتقد موقف المؤرخ ابن خلدون منهم وقال نجهل ما هي المصادر التي اعتمدها ولكن حكمه اللاحق للأحداث بأكثر من ثلاثة قرون يظل موضع شك sujet à caution. وتوصل إلى حكم مفاده: أن بني هلال لم يتسببوا في أي كارثة ما دامت الدولتان الزيرية والحمادية بقيتا قائمتيْن بعد انتقالهما، مما يعني أنه لو كانت هناك كارثة فعلا لسقطت الدولتان وانفرط عقدهما. وخلُص محمد الشّريف ساحلي إلى القول إن الحتمية العرقية والحتمية الاجتماعية يلتقيان ليشكلا معاً السّند للأطروحة الاستعمارية النهائية حول (الشّخصية السّلبية للجزائر) للوصول إلى الهدف وهو تمرير فكرة (المهمة الحضارية) للاستعمار الفرنسي.

ينتمي محمد الشّريف ساحلي إلى جيل من الوطنيين الجزائريين الذين دافعوا بالكلمة عن الذاكرة الجمْعية الجزائرية في مواجهة الظاهرة الكولونيالية. ولأنه كتب بالفرنسية ظلت آراؤه غير معروفة لدى عامة الجزائريين. ولذلك، فإن الإشكالية التي طرحها في كتابه تحرير التّاريخ من المدرسة التّاريخية الاستعمارية الفرنسية تندرج ضمن مسار حركة التّحرر من الاستعمار الاستيطاني والتي يجب أن تتواصل بالتّحرر من رؤية الفرنسيين لتاريخ الجزائر، مما يعني تأسيس مدرسة وطنية في التّاريخ تقطع بصورة نهائية مع التّصورات الاستعمارية الفرنسية، أي إعادة كتابة تاريخ الجزائر وفق رؤية جزائرية لكن دون الوقوع في النظرة الانعزالية تحت شعار الوطنية. ولذلك كانت رؤيته مشروعا تاريخيا لا يقل أهمية عما دعا إليه مالك بن نبي في تحرير الثّقافة من الهيمنة الاستعمارية ومما دعا له رواد جمعية العلماء المسلمين من تحرير عقل الانسان الجزائري من لوثة الاستعمار الفرنسي. ويمكن وضع محمد الشّريف ساحلي ضمن المثقفين اليساريين في الجزائر بالرغم من عدم انتمائه سياسيا لحزب يساري ولكن دوره لا يقل أهمية عن دور مالك بن نبي في التّنبيه لخطورة الظاهرة الاستعمارية. وقد توفي محمد الشّريف ساحلي بالعاصمة يوم 4 يوليو/ جويلية 1989 ودفن بمقبرة العالية.

عامر بغدادي

المصادر:

Décoloniser l'histoire, Med Cherif Sahli, Editions ANEP

محمّد الشّريف مساعديّة
(1342هـ - 1924م/1422هـ - 2002م)

تعدّ السّياسة بالنّسبة لعدد من الأشخاص وسيلةً لزرع أنبل قيم النّضال وخدمة المصلحة العليا للوطن والمواطن ومحاربة مختلف المظاهر المسيئة لثقافة الدّولة من رشوة ومحسوبيّة وسوءِ تسيير، وسرقةٍ للمال العام ومن ثمة ممارسة النّقد بطرق حضاريّة لزرع قيم الدّيمقراطيّة عبر الحوارِ الهادف والخطاب الرّصينِ المقنع المتشبع بأنبلِ القيم والحاملِ لاستشرافات المستقبل ولأرقى وأسمى الأفكار والباعث على الأمل، وكان من بين الرّجال الذين عرفتْهم ساحاتُ القتال مجاهدا من أجل استعادة الاستقلال، واختاروا النّضال بعد استرجاع الاستقلال الرّاحل محمد الشّريف مساعديّة رحمه الله، فقد كان القائدُ الفلسطيني ياسر عرفات وغيرهُ من قادة حركات التحرر في العديد من بقاع الكرة الأرضيّة كلما وضعوا أرجلهم في الجزائر إلا وكانوا يسألون مستقبلِيهم عن مساعديّة.

عرفتُ الرّاحل مساعديّة وجمعتني به جلسات طويلة، وناقشته في أمور النّضال



والسّياسة ونظرته البعيدة لممارسة السّياسة بأخلاق عاليّة، كما جمعتني بكثير من رفاقه ومساعديه علاقات وطيدة وسمعت منهم الكثير عن الرّجل، ويقول عنه كمال بوشامة الذي كان أحد المقربين منه في الكتاب الذي أصدره عام 2005 بالفرنسيّة بعنوان : (مساعديّة الرّجل الذي عرفته) في صفحة 17: "إن الحديث عن مساعديّة ليس بالأمر الهين، ذلك أن أمثاله لا يتكررون دوما".

ويصف لي المؤرخ الدّكتور العربي الزّبيري الذي عمل عدة أعوام إلى جانب محمد الشّريف الرّاحل بقوله : "إنه رجل المهمات الصعبة، وإنه كان يتميز بوجود قدرة فائقة لمواجهة مختلف القضايا المطروحة أمامه بكل لطفٍ لكيْ يصل إلى الهدف المنشود".

ولد محمد الشّريف مساعديّة عام 1924 ببلديّة تيفاش التابعة لسوق أهراس من عائلةٍ ريفيّة تعود أصولها إلى عرش أولاد سيدي السّايح بولايّة ورقلة، وتوفي رحمه الله في 2 جوان 2002، كان والدّه متعلما وشاعرا لا يُشقُّ له غبار في حالة عداء واضح ودائم مع المحتل الفرنسي، قام الوالدّ بإدخال ابنه محمد الشّريف لإحدى مدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، ثم أرسله لاحقا للدراسة في جامع الزّيتونة، وهو حال

عدد من الجزائريين الذين كان جامع الزّيتونة في تونس أو القرويين في المغرب أو الأزهر بالقاهرة وجهتهم المفضلة.

ويذكر الدّكتور ناصر جابي في كتابه:أن الشّاب محمد الشّريف مساعديّة قرّر التخلي عن الدّراسة في جامع الزّيتونة، مخالفًا بذلك قرارَ أسرته فالتحق بمعهدٍ للتمثيل في تونس، غير أن أسرته قد مارست عليه ضغطا كبيرا جعله يتخلى عن دراسة فن التمثيل والعودة مرة أخرى إلى جامع الزّيتونة . انضم الرّاحل مساعديّة لصفوف الثورة ابتداء من شهر مارس 1955، ومكنه ذكاؤه الحاد من الارتقاء ليصبح ضابطا في جيش التحرير الوطني ومن إقامة علاقات وطيدة مع عدد من الضباط، من بينهم العقيد هواري بومدين وعبد الله بلهوشات وأحمد درايّة، وظلت تلك علاقات قائمة إلى أن استعاد الوطن استقلاله .

وعَرف الرّاحل مساعديّةالسّجن خلال الثورة من طرف رفاقِه فيما وُصف بـ"مؤامرة العقيد العموري قائد الولايّة الأولى من 1957 إلى 1959وكاد يُعْدم مثل الآخرين، وجرت عمليّة إعادة الاعتبار له لاحقا فأُرسل مع عدد من رفاقه المجاهدين لتأطير الجبهة الجنوبيّة التي أبلى فيها البلاء الحسن، ويوضح الرّاحل مساعديّةكما جاء ذلك في كتاب : "صفحات من تاريخ الجبهة الجنوبيّة في الثورة الجزائريّة 1960ـ 1962 السّبب الذي جعل قيادة الثورة تقرر فتح جبهة الجنوب بأنه يعود إلى "المحاولات الكثيرة لفرنسا بالاحتفاظ بذلك الجزء من الوطن وتقسيم الجزائر، وهي فكرة كانت مرفوضة من الثورة".

ترك الضابط محمد الشّريف مساعديّة بمجرد استعادة الاستقلال الوطني في 1962 الجيش، واختار أن يكون مناضلا وقياديا في جبهة التحرير الوطني، فتولى محافظة جبهة التحرير الوطني للساورة ببشار، ثم محافظة قسنطينة لاحقا.

وفي 1968 جرى تعيينه مسؤولا للتوجيه والإعلام بالجبهة قبل أن يخلف الرّاحل أحمد قائد رحمه الله على رأس الجهاز المركزي للحزب عام 1972، وقد ظل في هذا المنصب إلى عام 1977 عندما تم استخلافه بالعقيد محمد الصالح يحياوي رحمه الله، ثم عاد ليتولى أمانة اللجنة المركزيّة لجبهة التحرير الوطني إلى غايّة أحداث أكتوبر 1988.

توارى الرّاحل مساعديّة عن المشهد السّياسي فترة تفوق عشر سنوات إثر أحداث أكتوبر 1988 إلى غايّة 1999، حيث أعيد له الاعتبار ليصبح رئيسا لمجلس الأمة خلفا للراحل البشير بومعزة، ولكن مساعديّة المناضل المتشبع بقيم الثورةوالوطنيّة وبالرّغم من العلاقة التي كانت تربطه بالرّئيس السّابق عبد العزيز بوتفليقة، فإنه لم يكن راضيا عن بعض التصرفات التي كانت تصدر عن الرّئيس السّابق وعن محيطه واعتبرها انحرافا، كما صرح لي بذلك بعض المقربين من مساعديّة رحمه الله .

وأذكر هناواقعة سمعتُها منه هو شخصياومن الصديق الدّكتور أحمد حمدي عميد كليّة الإعلام.

كان الدّكتور أحمد حمدي يعمل في بدايّة حياته صحفيا في المجاهد الأسبوعي اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، وكان يَنْظِم الشّعر منذ شبابه المبكر، واشتهر في الوسط الطلابي بقصائده النّقديّة اللاذعة لبعض الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة بصورة تهكميّة وببعض الشّخصي اتو التعليق عليها، كان يلقب نفسه (أبو سفود) ويطلق على قصائده تلك (السّفوديات) نسبة إلى السّفود وهو عود من حديد يُشوى عليه اللحم .

ومن بين تلك القصائد النّقديّة عن الحزب وعن الرّاحل مساعديّة للدكتور أحمد حمدي قوله:

جبهة التحرير فاقوا

كل ما فيكِ نفاق

لحيّةالعتروس أضحت

كلها شؤمٌ شقاق

وكان المقصود بصاحب اللحيّة هو الرّاحل مساعديّة. .

وصلت تلك القصيدة إلى سمع الرّاحل محمد الشّريف مساعديّة، ومع ذلك فإنه ابتسم بعد سماعها من الذين حاولوا أن يتخذ قرارا ضد صحفي يعمل فيمجلة تصدر عن الجبهة، وصادف ذات يوم أن كان مساعديّة يهم بالدّخول إلى مكتبه بساحة الأمير عبد القادر آنذاك حيث لمح الرّاحل مساعديّةالشّاعر أحمد حمدي فدعاه إلى مكتبه ليتناول معه القهوة كما كان يفعل مع المثقفين والصحفيين.

وبعد أن جلس الشّاعر حمدي قبالته في مكتبه راح الرّاحل مساعديّة يسأله عن الأحوال والعمل ثم قال له: "يا أحمد هل تَنْظِمُ الشّعر الملحون؟ رد أحمد حمدي بأنه ينظم الشّعر الحر والشّعر العمودي فقط، ولا يَنْظم الشّعر الملحون أو الشّعبي، وهنا راح مساعديّة يسرد عليه بعض قصائد والدّه في الشّعر الملحون الشّيخ الطاهر مساعديّة رحمه الله الذي كان أحد الشّعراء المميزين في الشّرق الجزائري خاصة سوق أهراس .

ثم طلب المرحوم مساعديّة من حمدي أن يقرأ له القصيدة التي نظمها عن الحزب وعن مساعديّة!.

وأصيب حمدي بالذهول والإحراج، فلم يتوقع أن يكون مساعديّة قد عرف بقصة القصيدة، ولكن مساعديّة ألح عليه ليُسمعه تلك القصيدة اللاذعة .

أدرك أحمد حمدي أنْ لا مفر له فراح يقول لمساعديّة بذكاءٍ معهود:يا سي محمد الشّريف : الشّعراء عادة يطلبون الأمَان قبل إلقاء قصائدهم. ابتسم مساعديّة حينها وراح يقول له أسمعني القصيدة فأنت آمن!!.

سمع مساعديّة القصيدة وراح ينصح حمدي أن لا يترك أثرا مكتوبًا بخط يده لتلك القصيدة حتى لا تكون حجةً عليك!!

لقد كان مساعديّة مناضلا جريئا في طروحاته لا يجامل أحدا مهما كانت درجة مسؤوليته.

وكان يفرق بين السّياسة والنّضال، فهو يعتبر أن ممارسة السّياسة دون اقتناع وشعور بالنّضال يعد عمليّة ارتزاق، بل وعمليّة تسلق وانتهازيّة يُراد بها التموقع للوصول إلى مختلف المواقع والمسؤوليات، ولذلك كان يردد دوما مقولته المشهورة:"النّضال دوام والمسؤوليات أعوام".

كان مساعديّة خطيبا مميزا، إذ بإمكانه أن يخطب مرتجلا دون ورقة لعدة ساعات، يدوخ خلالها أكبر رجال وعباقرة السّياسة وأساتذة العلوم السّياسيّة والإعلام والاتصال، وعرف مساعديّة العديد من الشّخصيات السّياسيّة في العالم وربط معهم علاقات نضاليّة متينة، وكان محاورا ومقنعا رهيبا كأنه تَخرَّجَ من أعْرق الجامعات وأرقى كليات العلوم السّياسيّة، وكان مسار مساعديّة حافلا بالصعود والهبوط، مثل مسار العديد من السّياسيين في مختلف بقاع العالم، لكن مساعديّة يبقى مناضلا يأبى الانكسار.

محمّد بوعزارة

المصادر:

- كتاب Messadial'hommequej'aiconnu، كمال بوشامة صادر في 2005 عن مؤسسة النّشر والإشهار؛
- كتاب الوزير الجزائري، للدكتور ناصر جابي؛
- صفحات من تاريخ الجبهة الجنوبيّة في الثورة الجزائريّة1960ـ 1962 للدكتور محمد مبارك كديدة؛
- شهادة شفهيّة للدكتور العربي الزّبيري؛
- شهادة شفهيّة للدكتور أحمد حمدي؛

كتابنا:حكايات عنهم ومعهم.. الصادر عن دار امتداد للنشر والتوزيع 2019 : موضوع عن الرّاحل من صفحة 296ـ 307.

محمّد الصّادق مراوي
(1340هـ - 1922م/1420هـ - 2000م)

محمّد الصّادق بن المداني بن عبد الله مراوي، المولود في مدينة بسكرة، والمتوفى فيها.

حفظ قدرًا من القرآن الكريم وأخذ شيئًا من مبادئ العلوم، ثم انتسب إلى المدرسة الفرنسيّة بمسقط رأسه. وكان يأخذ الدّروس باللغة العربيّة في مدرسة العرفان، ومدرسة الإخاء على يد الشّيخ محمّد خير الدّين أحد رجال جمعيّة العلماء المسلمين البارزين وذلك في الفترة الممتدة من 1931 إلى 1934. بعد ذلك انتقل إلى مدينة قسنطينة عام 1937، وأكمل دراسته في المدرسة الفرنسيّة، وتخرج عام 1941.

وفي عام 1947 نال شهادة الليسانس في الحقوق من جامعة قسنطينة، اشتغل معلمًا في مدارس جمعيّة العلماء المسلمين، انتسب إلى سلك الدّفاع الشّرعي في عام 1949، وقد مارس هذه المهنة في مدن عديدة بالجنوب الجزائري إلى غايّة عام 1962، كما عمل قبل هذا مديرا لمديريّة التّربيّة والتّعليم التّابعة لجمعيّة العلماء في الفترة الممتدة من 1948 إلى 1950.

وقد درّس في مدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائرية، فعَلَّمَ بالمدرسة الجديدة الواقعة بسوق الحشيش والتي دشنها الشّيخ محمّد البشير الابراهيمي سنة 1952م، إلى جانب زمرة من زملائه كالشّيخ محمّد العابد الجلالي، والأستاذ علي مغربي، والشّيخ بلقاسم بن عمار ميموني الغسيري، والشّيخ أحمد الطّي بمعاش الباتني، والشّيخ الصّالح بن مدور الغسيري، والشّيخ بلقاسم القماري والشّيخ محمّد مغزي بخوش، والشّيخ محمّدالشّريف بلال القنطري.

عُيِّن قاضيًا في مدن عديدة من الجنوب الجزائري، حتى أُحيل على التّقاعد عام 1986. فعمل بالمحاماة إلى أن وافاه أجله.

كان عضوًا في الهيئة الكشفيّة منذ عام 1942، إضافة إلى عضويته لجمعيّة العلماء عام 1944. وقد انخرط في المنظمة المدنيّة لجبهة التّحرير الوطني من عام 1956 إلى غايّة 1962 تاريخ استقلال الجزائر.

حصل على القلادة الوطنيّة للاستحقاق الكشفي عام 2000، كما حاز وسام شرف النّضال في العام نفسه.

ويُعَدُّ من أوائل القضاة الذين شرعوا في تعريب القضاء كما كانت له مساهمة كبيرة في تأليف أوّل موسوعة قضائيّة تصدرها الجزائر عام 1966، وبالإضافة إلى هذا فقد كان من المشاركين في مشروع قانون الأسرة عام 1984.

كما كان محمّد الصّادق صديقا مقرّبا للشاعر الكبير محمّد العيد آل خليفة وكان له شرف تأبينه عند دفنه يوم الخميس 02 أوت 1979 بمدينة بسكرة.

ذكرت مصادر دراسته أنّ له مجموعة من القصائد في مخطوط لدى أسرته، ولسنا ندري لماذا أغفل هذا الشّاعر وأسقط من كثير من المعاجم التي تناولت شعراء الجزائر في القرن العشرين على الرّغم من أنّ له شعرًا جيدًا شكلا ومضمونًا. فمعظم شعره يتمحور حول مدح قادة الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة، والتّرحيب بوفودهم مبرزًا دورهم الوطني الرّائد.

كما له شعر في مدح النّبي ﷺ، يبرز فيه ولاءَه وحبّه والرّغبة في الاقتداء بسنته. وله أيضًا شعر في الرّثاء خصّ به أعيان وعلماء عصره مبرزًا قيمة العلم والعلماء حفظة القرآن الكريم. أمّا لغته فهي سهلة واضحة تميل إلى المباشرة، وأسلوبه محكم وصوره الشّعريّة تقوم أساسًا على عناصر البلاغة وعلى مخزونه من التّراث الشّعري والثّقافة الدّينيّة العميقة.

نماذج من شعره:

بمحمّدﷺ أتعلق

بمحمّد أتعلقُ
وبخلقه أتخلق
وعلى البنين جميعهم
في حبه أتفوق

نفسي الفتيّة دائما
من حبه تتحرق
وجوانحي مهتاجة
ومدامعي تترقرق
ما لي وللُّعَبِ التي
تُختار لي وتُنْسق
إنّ التّعلق بالرّسولِ
ودينه بي أليق
أنا مسلم أهوى الهدى
بسواه لا أتحقق
بخلال أحمدأرتدي
وبحبه أتمنطق
مثل هذا الشّهر لاحَ
كبدره يتألق
اليوم السّنة العوالم
بالبشائر تطلق
فعلى الوجود نضارة
ملء العيون ورونق
لا يوم أشرف فيه من
يوم الرّسول وأشرق
أهلا بشهر بالقلوب
وبالنّواظر يرمق
أنا منذ غبت إليك من
حرّ الهوى أتشوق
عَرْفُ النّبي محمّد
يُشتمّ منك وينشق
ما زلت فيه ولن أزا
لَ، بعهده أتوثّق

ما من سلوّ للفؤاد في رثاء الشّاعر محمّد العيد آل خليفة

سواء بكينا بالدّموع أم بالدّم
فما من سلوّ للفؤاد أو الفم
فسر لنعيم فالشّقاء نصيبنا
لقد حُرِمَ السّارون نظرة أنجم
حياتك أتعابٌ وفي الموت راحةٌ
وإن كنت ذا قلب بقوّة ضيغم
وفي الليل كنت البدر يهدي بنوره
ويبعث آمالا لمضنّى ومعدَم
بشعرك نجتاز الشّدائد والعنا
وفي القلبِ وَالأُذْنينِ نَبرةُ مُلْهَم

الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة

وهل مثل هدْي المرشدين دعامةٌ
أشاروا بما توحي السّماء إذا دَعوْا
لذا أنجبت أرض الجزائر منهم
أسودًا وأقمارًا لدى الليل تسطع
ففاخِرْ بهم لا تخشَ قولةَ مخطئ
وقل إننا دومًا على الدّرب نسرع
إذا حَزّبَ الأمر العظيم عليكم
بكشّافة الإسلام فالخَطْب يُدفع
فهمُّهمُ فعلالصّلاح لشعبهم
وكلُّهم إلا إلى الله يخنَع
فلا المال يُغريهم ولا منصبٌ سما
وما لهمُ فيما لدى النّاس مطمع

ترحيب بالكشافة

حلَّ "بالحاجِبِ" أشبالُ الحمى
عينُ نورٍ سطعَتْ للأنفسِ
بِهِمُ حُقَّ له أن ينْعَما
كبدورٍ طَلَعَتْ في غَلَس
إنما الكشّافُ عنوانُ الفِداءُ
وابتسامٌ عندما تطغى الخطوبُ
إذ لهُ بالعظماءِ اقتداءْ
أبدًا تُقصيه عن مجدٍ كُروبْ
كيفَ لا وهُو كزهرٍ قد نما
في سهولٍ فُرشَتْ بالسّندسِ
وترقّى ليفوقَ القِمما
هو للأعداءِ ليثُ البيهَسِ

رابح دوب

محمّد الصّالح العنتري
(ت:1292هـ - 1876م)

محمّد الصّالح بن محمّد بن أحمد العنتري القسنطيني، مفكر ومؤرّخ جزائري، عاش المرحلتين وعاصر العهدين أواخر الوجود العثماني وأوائل الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

ولد في تاريخ مجهول بقسنطينة. ينحدر من أسرة عريقة في الحياة الثّقافيّة والإداريّة بمدينة قسنطينة في العهد العثماني. كان جده أحمد العنتري كاتبا لدى صالح باي في أواخر القرن الثّامن عشر (18) ومرافقا له في صده لحملة أورليان الإسبانيّة على الجزائر سنة 1775م، وقد أرخ لهذه الحملة وترجم منها الباحث الفرنسي "فيرو" "Ferraud" جزءا، ونشره بمجلة (Receuil denotices et mémoires) سنة 1866م من ص 1-16، كما أنه كان ممثلا للباي لدى الشّركات الأوروبيّة في مدينة عنابة.

أما والده "محمّد العنتري" فكان من كتاب الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، ونظرا لمكانته لدى الباي أرسله للتفاوض باسمه مع الفرنسيين أثناء محاصرتهم لمدينة قسنطينة سنتي 1836-1837م.

وبعد وشايّة مغرضة اتهم "محمّد العنتري" بالخيانة وقتل من طرق "الباي أحمد"، وكانت هذه الحادثة سببا في تحول الابن الشّاب "محمّد الصّالح العنتري" إلى الفرنسيين والتّعاون معهم انتقاما لأبيه من الحاج "أحمد باي".

فعمل كاتبا بالمكتب العربي (Bureau Arabe) بقسنطينة تحت مسؤوليّة الضّابط "بواسوني" "Boissonnet".

يعد محمّد الصّالح العنتري المؤرّخ الأول لمدينة قسنطينة في نهايّة العهد العثماني، ونظرا لأهميّة كتاباته في الحياة الثّقافيّة قال عنه الدّكتور "أبو القاسم سعد الله": من منا قرأ شيئا عن تاريخ قسنطينة

ولا يعرف اسم محمّد الصّالح العنتري؟ لقد لعب العنتري في الحياة الثّقافيّة بعد الاحتلال الفرنسي لقسنطينة سنة 1837م دورا يجعله جديرا بالذكر في تاريخ القرن التّاسع عشر".

فقد كان من أهم مفكري مدينة قسنطينة في القرن التّاسع عشر، وعلى الرّغم من الغموض الذي أحاط بحياته الشّخصيّة، إلا أننا نتوقع أنه درس على أهم علماء المدينة وشيوخها المعاصرين، أمثال: الشّيخ "أحمد العباسي" و"علي السّنوسي" و"عمار المغربي" و"محمّد بن عبد الرّحمن باش تارزي" وغيرهم.

كان "محمّد الصّالح العنتري" حسن اللغة، والخط، غزير العلم والمعرفة بتاريخ المدينة، وهو ما جعل الضّابط بواسوني "Boissonnet" يعتمد عليه في المكتب العربي لتحرير الرّسائل باسم الإدارة الفرنسيّة إلى أعيان وقواد النّواحي، كما اعتمد عليه في تحرير تقارير المحكمة الإسلاميّة بنفس المكتب، وعلى الرّغم من استمرار ارتباطه بالإدارة الفرنسيّة- حتى أواخر أيامه، وهو ما تدل عليه رسالتّه إلى المترجم الفرنسي "فيرو" "Ferraud" المؤرّخة في 25 أوت 1876م-، إلا أنه كان ساخطا على الظّلم الفرنسي له ولأهل بلدته، وكأنه ندم على إخلاصه لهم، وهو ما دلت عليه نفس الرّسالة والتي تضمنت شكوى مريرة من ظلم وإهمال "أصدقائه" الفرنسيين له ولزملائه ممن أخلصوا للسلطة الفرنسيّة.

ويبدو أن حياته انتهت في فقر وحاجة، مما جعله يطلب مساعدة صديقه "فيرو" للتوسط له لتوظيف ابنه مصطفى للعمل كمساعد إداري لسد حاجياتهم الماديّة، وهو ما عبر عنه بما يأتي: "واعلموا أنني ما قصدت هذا المنصب لأجل الأبهة والافتخار، وإنما قصدته للإعانة على تسيير وتسديد الأحوال، أعرفوا مني حقيقة الحال، ومن فعل خيرا لا شك يجازيه الفاعل المختار، الذي أخرني وقرب الأشرار... ".

نتاجه الفكري:

لم يكن "محمّد الصّالح العنتري" مجرد موظف إداري، بل كان كاتبا ومفكرا وناسخا لبعض المؤلفات، مثل:

كتاب "الفارسيّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة" لابن القنفذ.

كما كان مؤرّخا لمدينة قسنطينة، وله ثلاثة مؤلفات هامة:

هديّة الإخوان في موافقة التّاريخيين وتوقيعات الزّمان وفوائد متفرقة لها شأن، نشر مطلع سنة 1847م، وهو مؤلف عام في العلم والدّين والسّياسة، والعلاقات العامة وغيرها مما يفيد السّياسة الفرنسيّة اتجاه الأهالي، وكان الهدف من تأليفه هو التّقريب بين الأفكار الفرنسيّة المسيحيّة والأفكار العربيّة الإسلاميّة في الجزائر، وضرب الأمثلة على التّقارب العربي الفرنسي بذكر التّعاون الفرنسي المصري آنذاك (فترة حكم محمّد علي باشا)، وقد تضمن التّأليف بعض الأشعار الممجدة للفرنسيين، منها أشعار الشّيخ "الشّاذلي القسنطيني".

الفريدة المؤنسة، وهي تأريخ لبايات قسنطينة وجزء من الفترة الفرنسيّة، وكان التّأليف بطلب من الضّابط "بواسوني" الذي سعى إلى إبراز مساوئ الحكم التّركي، وكيفيّة دخول الفرنسيين إلى المدينة. ويعتبر هذا المؤلف المصدر الأول لتاريخ مدينة قسنطينة في العهد العثماني، إذ إننا لا نجد أحدا سبقه إلى ذلك، مما جعله مصدرا لجميع من جاء بعده من المؤرّخين والكتّاب العرب والفرنسيين، فقد استعان الفرنسيون الذين كتبوا عن تاريخ المدينة بعمله هذا، مثل "Vayssette et Mercier" وغيرهما ممن أرخ لمدينة قسنطينة، ومع ذلك لم ينصفوه في كتاباتهم. وقد ورد في هذا الكتاب أسماء كل البايات الذين تولوا الحكم في قسنطينة منذ مجيء "فرحات باي" سنة 1641م إلى غايّة سقوط حكم الحاج أحمد باي سنة 1837م مع توضيح طبيعة حكم هؤلاء البايات ومميزاتهم الإداريّة أو عيوبهم وعجزهم. ويحتوي كتابه هذا، الذي يحمل أيضا عنوان: "كتاب الأخبار المبنيّة لاستيلاء التّرك على قسنطينة"، على مائتي صفحة، منها 140 صفحة تخص قصة استيلاء الأتراك على قسنطينة، بينما تضمنت 60 صفحة الأخيرة مختلف الحكام الفرنسيين، الذين تولوا الحكم بمقاطعة قسنطينة بين سنتي (1837-1846م).

كتاب مجاعات قسنطينة أو (رسالة القحط)، كتبه بتكليف من فرنسي آخر هو "دولير" "Doliere"، ويتحدث فيه عن الأحوال الاقتصاديّة في آخر العهد العثماني وبدايّة العهد الفرنسي مع مقارنة بين العهدين.

ويبدو أن العنتري قد تفطن لما كان غافلا عنه في شبابه، وهو سلبيات الحكم الفرنسي ونتائجه على الأهالي، وكأنه يتأسف على ما فات من أيام الرّخاء في العهد العثماني، وكان تأليفه سنة 1870م.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، 2011؛

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

محمّد الصالح باوية
(1348هـ - 1930م/1416هـ - 1996م)

هو محمّد الصالح باوية بن مسعود بن بلقاسم بن أحمد، وأمُّه كلثوم بنت الصَّادق حوحو من مدينة بسكرةوعائلة حوحو، عائلة شهيرة بمنطقة الزِّيبان، ولدبا (المغيَّر) منطقة وادي ريغ، ولاية الوادي بالجنوب الشَّرقي الجزائري، وبمسقط رأسه حفظ القرآن

الكريم على يد بعض شيوخ بلدته، إلى جانب التَّعليم الابتدائي بالمدرسة الحرَّة الوحيدة المتواجدة بقريته. وقد نشأ نشأة عادية كأبناء جيله بالجنوب الجزائري، إذ كانت يوميات طفولته تنحصر بين المنزل، والكتَّاب، وغابات النَّخيل، وإلى جانب حفظه للقرآن الكريم، نهل من معين الثقافة الدِّينية وكثيرٍ من علوم الشَّريعة الإسلامية، وقد أظهر تفوّقًا ملحوظًا في مختلف مراحل تعليمه. حتى قيل إنَّ العلاَّمة الجليل (عبد المجيد حبه)رحمه الله تنبَّأ له بمستقبل زاهر في علوم الشَّريعة الإسلامية، كأن يكون إمامًا فقيهًا، أو مُفْتيًا، إلاَّ أنه انجذب إلى دراسة الطِّب فيما بعد.

التحق عام 1948م، بمعهد عبد الحميد بن باديس بـ: (قسنطينة) لمزاولة دراسته، وفي عام 1952 تحصل على الشَّهادة الأهلية، ليعين بعد ذلك مُعلِّمًا لمدة عام في مدرسة المغيَّر، بمسقط رأسه.

ثم انتقل بعدها لمواصلة دراسته في جامع الزِّيتونة، وقد كان من أوائل الطّلاّب الذي أفادوا من منح الدِّراسة التي تبرعت بها الكويت للطلبة الجزائريين بسعي من الشَّيخ محمّد البشير الإبراهيمي، حيث اختاره العلاَّمة الشَّيخ البشير الإبراهيمي لينتقل إلى الكويت ضمن البعثة الطلاَّبية الثَّانية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهناك تابع دراسته لمدة أربع سنوات تمكَّن من خلالها الإحراز على شهادة (البكالوريا) فرع علمي سنة 1957 .

وفي عام 1958م سافر إلى سوريا، وانتسب إلى كلية العلوم بجامعة دمشق، حيث درَس ومكث دارسا عاما كاملا، وبعد جامعة دمشق تحوَّل إلى بلغراد بيوغسلافيا لدراسة الطِّب وقد أحرز على دكتوراه الطِّب سنة 1968، ولم يتوقَّف طموحهُ العلمي عند هذا الحدّ، بل اتَّجه إلى دراسة الجراحة بجامعة الجزائر إلى أن تحصَّل على شهادة جرَّاح مختص في تقويم العظام وتجبيرها سنة 1979م.

كان محمّد الصالح باوية مثقَّفًا ضليعًا، يتقن العديد من اللُّغات، مماجعله محطَّ الأنظار آنذاك، إلاَّ أنه كان يؤثر التحصيل العلمي بالدرجة الأولى.

وقد كان محمّد الصالح باوية شعلة من النَّشاط والحيوية منذ نعومة أظافره، إذ شهد له أبناء بلدته- في حداثته-بترتيل آيات من القرآن الكريم قبيل خطبة الجمعة بالمسجد العتيق، كما شهدُوا له القيام بتمثيليَّات دينيَّة تعكس نشاطه، واهتمامه، وحسَّه الثَّقافي، مع بعض أقرانه، ومن بينهم الدّكتور عبد الرزَّاق قسوم.

وقد حدَّث صديق صباه السَّيد بشير بوحنيك عنه قائلاً:حينما كان طالبًا في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، كان كلَّما سنحت له الفرصة لزيارة أهله يجتمع في بيت والده مع نخبة من الشَّباب الطَّلائعي لمدينة المغيَّر، يتدارسون ما جدَّ من جديد في المجال الأدبي والعلمي، ومن بين الذين كان يجتمع بهم آنذاك، محمّد شهرة، أحمد بوزقاق عثمان بوزقاق، بشير بوحنيك الأزهري ثابت، بلقاسم باوية، أحمد باوية، عبد الرزَّاق قسوم، ومن هؤلاء من درس بالمعهد الباديسي أمثال:عبد الرزَّاق قسوم، أحمد باوية، وغيرهم.

وبعد مرحلة المعهد الباديسي، كان خلال مراحل دراسته المختلفة عضوًا نشيطًا حيث نشط ضمن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، بإشراف جبهة التَّحرير الوطني مناضلا بالكلمة الشِّعرية والموقف الوطني،

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل كانت له العديد من المشاركات في عدَّة ندوات وملتقيات وطنيَّة وعربيَّة ودوليَّة، كما أنه كان عضوًا في اتِّحاد الكتَّاب الجزائريين، حيث كان ينشط على المستوى العلمي (في مجال اختصاصه الطِّبي)، وعلى المستوى الأدبي، ومنه فإن محمّد الصالح باوية، منذ فترة الخمسينيَّات، والسِّتِّينيَّات وبدايات الأخيرة مختلف الحكام الفرنسيين، الذين تولوا الحكم بمقاطعة قسنطينة بين سنتي (1837-1846م).

كتاب مجاعات قسنطينة أو (رسالة القحط)، كتبه بتكليف من فرنسي آخر هو «دوليـر» «Doliere»، ويتحدث فيه عن الأحوال الاقتصاديّة في آخر العهد العثماني وبدايّة العهد الفرنسي مع مقارنة بين العهدين.

ويبدو أن العنتري قد تفطن لما كان غافلا عنه في شبابه، وهو سلبيات الحكم الفرنسي ونتائجه على الأهالي، وكأنه يتأسف على ما فات من أيام الرّخاء في العهد العثماني، وكان تأليفه سنة 1870م.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، 2011؛

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

محمّد التوري
(2331هـ - 4191م-8731هـ- 9591م)

ولد محمد التوري بن عمر في 9 نوفمبر 1914 بالبليدة، في وسط محافظ على التقاليد العربية الإسلامية، حفظ القرآن وتعلم اللغة العربية بمسقط رأسه على يد شيخه بربوشة، ثم رحل إلى قسنطينة، حيث التحق بإحدى مدارس الحركة الإصلاحية التي كان يشرف عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وفي سنة 1928 عاد إلى البليدة وانضم إلى فرقة الأمل الكشفية، وكانت أول فرقة كونها

الأمل الكشفية، وكانت أول فرقة كونها "موسى خداوي"، ومنها بدأ مشواره الفني، وبدأ التمثيل بأدوار ثانوية قصيرة وعمره لم يتجاوز الرابعة عشر بعدُ، وفي سنة 1933 انخرط في جمعية الموسيقي والتمثيل التي ترأسها محمد الدين الأكحل الذي عرف بالموسيقي الأندلسية، وتتلمذ عليه الشيخ دحمان بن عاشور ومحمد بن كركورة، وبعد تجربته مع فرقة الأمل الكشفية أسس المرحوم فرقة مسرحية تعد الأولى من نوعها في مدينة البليدة أنتجت العديد من "السكاتشات" والمسرحيات الكوميدية الهادفة التي تضرب في عمق ما كان يعيشه المجتمع الجزائري في تلك الفترة العصيبة من تاريخه.

كتب "التوري" أولى مسرحياته باللغة العربية الفصحى، ونظرا لتفشي الأمية في الأوساط الشعبية، رجع إلى اللغة العامية (الدّراجة)، فكتب مسرحية "الكيلو" باللهجة العاميّة، وقد زادت هذه الأعمال من شهرة "التوري"، ومُثلت في كل من الجزائر ووهران وقسنطينة، ونالت إعجابا منقطع النظير من الجمهور الذي كان متعطشا للإحساس بالبهجة، نظرا للأوضاع المعيشية الصعبة التي كان يحياها في ظل الـ "الحقرة" وبطش الاستعمار الغاشم الذي أراد أن يسلب الضحكة من الوجوه والابتسامة من الشفاه والهويّة من الأنفس...

في سنة 1942، انتقل محمد التوري إلى العاصمة، والتحق بفرقة التمثيل بالإذاعة بدعوة من محي الدين بشطارزي، وابتداء من سنة 1947 انضم إلى فرقة المسرح العربي بقاعة الأوبرا بالعاصمة التي كان يرأسها بشطارزي، إلى جانب عدد من الفنانين أمثال: مصطفى كاتب، جلول باش جراح، علال المحب، رويشد وغيرهم، واشتهر بقدرته التمثيلية وأسلوبه الهزلي.

لقد ترك لنا "التوري" ثروة فنية تنم عن عطائه الكبير والمتنوع، فهو المؤلف والممثل والمغني والراقص الكوريغرافي الهزلي، لقد ترك لنا العشرات من الأغاني الفكاهية منها "أنا مليت أنا مليت" ومن أشهرها:

"بخوري"
"بْخُورِي بْخُورْ..
فِيهَا جْمِيعْ العُطُورْ ..
قَرْفَة شْلاَطَة وبَاكُورْ..
وْشْوِيَّة مَنْ قْشُورْ البَابُورْ..
الجَانْ يْوَلِّي بِينْ يَدِّيكْ .."

وأغنية خليوني نغني
"خَلِّيوْنِي نْغَنِّي .. نْبَرَّدْ جَنِّي
لُوكَانْ نْغَنِّي نْقُولْ يَالِيلْ
المَايَا نْرَدْهَا رْصْدَ الدِّيلْ ..
نَحْرَقْهَا نْقُولْ مُوتُورْ الطُّونُوبِيلْ..
أَوْ عُودْ فالغَرْفَة يْدَنِّي.."

بالإضافة إلى أغنيته الشهيرة : "أفلوس أفلوس"... التي مثّلها على شكل مسرحية غنائية استعراضية سنة 1948، والتي تتحدث عن قيمة الإنسان التي أصبحت تقاس بما يملكه من مال لا بما يملكه من مبادئ وأخلاق... إذ يقول فيها:

أَفْلُوسْ أَفْلُوسْ الدَّنْيَا أَفْلُوسْ..
هُومَا العِيشَة هُومَا الدَّنْيَا..
واللِّي مَا عَنْدُوشْ أَفْلُوسْ فِي هَاذْ الدَّنْيَا مَا يَتْهَنَّى ..
إِذَا كَانْ جِيبَكْ مَلْيَانْ
النَّاسْ تْعُودْ تَعْبَدْ فِيكْ... وَالعِيبَادْ تَتْبُورَكْ بِيكْ..
وِيذَا ظْهَرْ فَقْرَكْ وْبَانْ يزْكِيوْلَكْ يَا سِي المَنْحُوسْ..
تَمْشِي وْرَاسَكْ مَغْرُوسْ..."



إضافة إلى هذه الأغاني، شارك الفنان "محمد التوري" في أكثر من عشرين مسرحية وعشر تمثيليات قصيرة، منها "علاش راك تالف"، "في القهوة"، "يا سعدي"، "الدكتور علال"، "الكيلو"، أنجزت كلها سنة 1940، "البارح واليوم" سنة 1947 ، "السراق الثلاث" ، "سلك يا سلاك" عن موليير 1949 ، "زاط الزلاماط" 1951، "بوكريشة" و"بوحدبة" 1953، كما تقمص "محمد التوري" عدّة أدوار سينمائية منها: "معروف الإسكافي".

وفي سنة 1956 اعتقل من طرف السلطات الفرنسية الاستعمارية بسبب مواقفه الوطنية، وتم تعذيبه بسجن سركاجي، لكنه استأنف مسيرته الفنية بعد عام، حيث كتب "بوحدبة"، "زعيط ومعيط ونقاز الحيط"، "سلاك الواحلين"، وهي أعمال كوميدية قامت على الفرجة وركّزت على الضحك المريح للنفوس.

إن حديثنا عن "محمد التوري" يدفعنا للحديث عن مرحلة مهمة من مراحل تكوّن المسرح وبروزه كعَمَدٍ من أعمدة تكوين التاريخ الفني والاجتماعي للفرد الجزائري، في أهم فترة في حياته، تحت ظل الاستعمار الذي أراد طمس الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية بكل مقوماتها، فقد عرف المسرح الجزائري إلى غاية قيام ثورة التحرير الكبرى ثلاث مراحل أساسية وارتبطت انطلاقة كل مرحلة، بظهور كتاب ورواد مسرحيين أمثال: رشيد القسنطيني، علالو، محي الدين بشطارزي، محمد التوري...إلخ.

وظهر المسرح الجزائري الحديث إلى الوجود عن طريق رواده، وتعدد مجالات أعمالهم من تاريخية وكوميدية واجتماعية... الخ، وكان للمسرح الاجتماعي الكوميدي النصيب الأوفر، وكان في أغلبه نقد لاذع للوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي المعاش في مختلف الفترات، ويعد "محمد التوري" من الرواد الذين غلبت على أعمالهم الدراما الاجتماعية الجادة والكوميدية الهزلية -مثلا مسرحيته "بوحدبة" وهي عبارة عن كوميديا هزلية تعالج قضايا عدة، أبرزها تدخل الوالدين

في الحياة الشخصية الزوجية لأبنائهم، وهي مسرحية لاقت شهرة كبيرة، وهذا عائد إلى طريقة اختيار الشخصيات مع مراعاة قدراتها وسلوكياتها، لتكون أكثر قربا من الواقع، كما أنه يعدُّ من الأوائل الذين أسسوا لشخصية المسرح، وللمسرح الكوميدي الجزائري، ويبقى" محمد التوري "من رواد الحركة المسرحية الإصلاحية في المسرح الجزائري.

يعتبر"التوري" إرثا حيا في المسرح وشخصية فنية تعتبر طفرة لا تعوض، استطاعت أن تخلف إرثا فنيا ولو كان يسيرا- لكنه يحمل من المعاني والقيم التي كان يؤديها الفنان الراحل، مع مجموعة من أعمدة التمثيل المسرحي وحتى التلفزيوني، أمثال الراحلة "كلثوم" لعلاج واقع معاش وقتها من سنوات الثلاثينيات والأربعينات -من القرن الماضي- إلى الأيام الأولى من ثورتنا المجيدة.

ويلتحق "محمد التوري" بأعماله الهادفة، بثُلة من الفنانين الذين استطاعوا التطرق في تمثيلياتهم الفنية للحديث عن مواضيع اجتماعية تعتبر "استشرافية" مثل المسرحية الرائعة "زواج بالتيليفون"، التي تعالج موضوعا حديثا لانزال نعيشه ونحياه ونسمع عنه تحت ظل ورحمة مواقع التواصل الاجتماعي اليوم.

رحل "محمد التوري" إلى جوار ربه في 30 أفريل 1959، مسجّلا اسمه بحروف من ذهب في تاريخ المسرح الفكاهي الجزائرين، وعمره حينها لم يتجاوز الـ 45 سنة. وأتى رحيل "التوري" إثر إصابته بمرض عضال ألزمه الفراش، غداة تأثره بالتعذيب الجهنمي للاستعمار الفرنسي بعد حبسه بسجن سركاجي في أعالي العاصمة. وسيظل اسم محمد التوري خالدا بين شوامخ الشخصيات التي أثرت وصنعت تاريخها بيدها في جزائر التاريخ والحضارة والبطولة والشهداء..

مدينة كرميش

المصادر:
الموسوعة الحرة ويكيبيديا 2021

محمّد الصّالح بن جلول
(1315هـ - 1879م/1406هـ - 1985م)

ولد محمّد الصّالح بن جلول بقسنطينة عام 1897 في أسرة وجيهة ذات نسب وثقافة وحسب، وهي من العائلات العريقة في قسنطينة، شخصية بارزة وذات سمعة طيبة، فهو طبيب ماهر، وسياسي محنك بارز في الحركة الوطنيّة الجزائرية مدافع عن الحضارة العربيّة الإسلاميّة الجزائريّة، إلى جانب دفاعه عن الحضارة الأوربيّة المسيحيّة الفرنسيّة في آن واحد، أختلف المؤرّخون في الموطن الذي قدمت منه عائلته إلى قسنطينة، فبينما يؤكد الشّيخ (علي دبوز) المؤرّخ المزابي المعروف بتحقيقاته المستفيضة في أصول الأفراد والعائلات على ان عائلة (ابن جلول) عائلة مشهورة بقسنطينة لمدة اربع قرون على الأقل، تنتمي إلى قبيلة (بني معافر) المشهورة في جبال الاوراس، انتقل احد أفرادها الى قسنطينة في عهد الأتراك العثمانيين حوالي القرن السّادس عشر الميلادي، وهناك تزوج أميرة تركية هي جدة العائلة، وهو ما تؤكده زوجة الدّكتور (محمّد الصّالح بن جلول) و(حورية بن تشيكو) البالغة من العمر عند إدلائها بهذا الرّأي 96 سنة (1998م)، حين ذكرت ان نسب عائلة (ابن جلول) يرجع إلى (صالح باي)، وهذا الرّأي وإن كان ضعيفا بالنّسبة (لصالح باي) فهو يؤكد نسبها من ناحية الأم على الأقل الى الأتراك. في حين تذهب الأستاذة (فاطمة الزهراء قشي) الى أن عائلته جاءت من المغرب الأقصى، واستوطنت في قسنطينة منذ القرن السّادس عشر وتداول أفرادها على الوظائف والخطط المخزنيّة، ومنهم القاضي الحنفي والعدل والكاتب في عهد (صالح باي) وبعده.

ومهما يكن الموطن الذي جاءت منه هذه العائلة، فإنها من الأسر القسنطينية التي يشار اليها بالبنان، وقد أسهمت في الحياة السّياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة في هذه المدينة مساهمة مشهودة مع تسجيل التّاريخ جملة من ملامحها الواضحة.

لقد نشأ (محمّد الصّالح بن جلول) بمدينة قسنطينة وتلقى تعليمه الابتدائي والثّانوي بمؤسساتها التربوية، وحفظ القران الكريم بكتاب في (مقعد الحوت) قرب رحبة الصّوف، وزاول دراسته بالفرنسية في مدارس وثانويات قسنطينة.

كان من الطّلبة المجتهدين الممتازين، الذي يحصلون باستمرار على المنح الدّراسية، ولما حصل على شهادة البكالوريا انتقل إلى الجزائر العاصمة حيث زاول دراسته الجامعيّة بكلية الطّب، وتخرج منها سنة 1924م بشهادة دكتورا في هذا العلم الحيوي.

الواقع أن بن جلول قد بدأ ممارسة السّياسة منذ العشرينات حين أصبح مستشارا بالمجلس البلدي وظهر منذ البداية يدافع عن النّخبة المثقفة باعتباره من عائلة غنية، وتلقّى تعليما عاليا باللغة الفرنسيّة، وقد اظهر في بداية نشاطه السّياسي ميلا نحو أفكار الأمير خالدّ الإصلاحيّة قبل أن يتحوّل عنها إلى المطالبة بالإدماج باعتباره عضوا في فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين، التي يترأسها الدّكتور بن التّهامي وتضم أغلب النّخب الجزائريين الممثلين في المجالسّ المنتخبة مثل

فرحات عباس بن جلول... وغيرهم، ومع مطلع الثّلاثينات برز نجم بن جلول بترؤسه فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين ودعوته الصّريحة إلى المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في كل المجالات كالخدمة العسكرية العمل ... الخ، وكان يكتب مقالاته في جريدة التّقدم لسان حال الفيدرالية، ولعب بن جلول دورا في أحداث قسنطينة في أوت 1934، كما لعب دورا أساسيا في الدّعوة والتحضير إلى عقد المؤتمر الإسلامي سنة 1936، وكان رئيسا للوفد الذي سافر إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر. أنشأ سنة 1938 التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائر (R. F. M.)وحافظ عل منصبه كنائب متميزّ بعد الحرب العالمية الثّانية، لكنه لم يكتب بإحراز هذا النّجاح العلمي المتميز في ذلك الوقت بالنّسبة للأهالي الجزائريين، بل ارتمى في أحضان العمل السّياسي بسرعة مذهلةوبدا نجمه في الصّعود منذ فشل حركة (الأمير خالدّ) في الجزائر سنة 1925م، ولكن نقطة الانطلاق الحقيقيّة لابن جلول كانت سنة 1930م، عندما أصبح رئيسا لاتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين بقسنطينة، وقد حقق فوزا كبيرا على السّيد (محمّد المصطفى بن باديس) في انتخابات المجالس العامّة، التي جرت في اكتوبر سنة 1931م، ولكن السّيد (عباس فرحات) يذكر ان بن جلول قد دخل المسرح السّياسي سنة 1933م كرئيس لكتلة النّواب في ولاية قسنطينة، شارك (ابن جلول) في عدة مناسبات جعلت منه الشّخصية المرموقة بعض الوقت، وقد سلطت عليه أضواء كثيرة بين سنوات (1933–1939) فلعب دورا بارزا في أحداث قسنطينة التي جرت خلال أوت 1934م بين المسلمين واليهود، لقد ظهر الدّكتور (محمّد الصّالح بن جلول) في هذه الحوادث الدّامية بوجه وطني غيور على بني جلدته، حيث استخدم كل إمكاناته الوظيفيّة والسّياسية والشّخصية، في المنافحة على سكان قسنطينة في صراعهم مع اليهود، حتى بلغت به الشّجاعة والجرأة الوطنيّة إلى أن يصفع أحد ضباط الشّرطة الفرنسيين بعد أن افتك من بين يديه أحد القسنطينيين كان يهم بضربه، وقد مثل ابن جلول من جراء ذلك الموقف أمام محكمة قسنطينة التي حكمت عليه بأربعة شهور سجنا غير نافذة وبغرامة تقدر بمائة فرنك قديم، وفي يوم 5 اوت سنة 1934م من وقوع الفتنة بين المسلمين واليهود تقرر ان يعقد اجتماع بغابة الصّنوبر في قسنطينة يخطب فيه الدّكتور ابن جلول نفسه، وانعقد الاجتماع فعلا، ولكن ابن جلول لم يحضر وبدأت الإشاعات تروج عبر المدينة مضمونها أن اليهود قد قتلوه.

شارك سنة 1935م في اللجنة الوزارية المختلطة المكلفة بالشّؤون الأهلية والتي كان مقرها في باريس، وترأس عدة وفود الى هناك تأييدا لمشروع (بلوم فيوليت/ BloolViolett)، او تقديما لمطالب النّواب والمؤتمر الإسلامي الجزائري العام، وخلال سنة1936م، أصبح ابن جلول الشّخصيّة الأهليّة الأولى في الجزائر بعد أن قدمه المؤتمر الإسلامي ليكون رئيسا له ويترأس وفد المؤتمر إلى باريس باقتراح من الشّيخ عبد الحميد بن باديس، غير أن حادثة الشّيخ كحول، وفشل مشروع فيوليت من جديدجعل ابن جلول يغير مساره، ويعيد النّظر في علاقاته وإمكاناته، وتخلى عن المؤتمر الإسلامي، وأنشأ هيأة جديدة في شهر جويلية 1938م سماها: التّجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري، وهدفه العمل على تحقيق برنامج المساواة مع الفرنسيين، وكانت نقطة الانطلاقة في سياسته الجديدة هي مشاريع المؤتمر الإسلامي، فجمع عددا من العلماء في مقدمتهم الشّيخ عبد الحميد بن باديس، ومن النّقباء وقدماء المحاربين، وعدد من مناضلي حزب الشّعب الجزائري، بالإضافة إلى بعض النّواب النّقابيين الأوربيين، والحزبين الاشتراكي والشّيوعي، والحق أن محمّد الصّالح بن جلول كان يشبه فرحات عباس في سياسته ومواقفه إزار القضية الوطنيّة خلال الثّلاثينيات، فقد كان خطابه يختلف عن عمله في الميدان، وقد عبر مثل عباس فرحات عن رؤيته لمفهوم الوطن الجزائري في شهر فيفري عام 1936، حين صرح في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي الجزائري قائلا : (إنه من الخرافة الحديث عن الشّعب، وعن الجامعة الإسلاميّة في الجزائر، لأن كل الأعمال والكتابات التي تصدر عن الشّبان الجزائريين هي أعمال وكتابات فرنسية الشّيوعية، الجامعة الإسلامية، ألم نرفض ألف مرة هاتين الفكرتين المتناقضتين. . وإذا كان لدينا وطنيّة أفليست هي فرنسيّة لحما ودما).

وعندما دقت أجراس الحرب العالميّة الثّانيّة عام 1939م كان ابن جلول من أوائل المجندين الذين أدوا واجب العلم الفرنسي، بينما لم تعترف له فرنسا بالحقوق التي طالما رفع عقيرته مطالبا بها باسم الجزائريين.

خلال الحرب العالميّة الثّانيّة فتر نشاط ابن جلول على خلاف زميله فرحات عباس، الذي صار يترقى في سلم الوطنيّة يوما بعد يوم، ولما ألقى الجنرال ديغول خطابه في قسنطينة عام 1943، والذي أشار فيه إلى منح الجنسية الفرنسية للنخبة الجزائرية، مع احتفاظهم بأحوالهم الشّخصية كمسلمين، رد ابن جلول عن هذا الخطاب قائلا: "نحن اليوم كما كان آباؤنا بالأمس 1870، 1914، 1939، مستعدون للقتال في سبيل تحرير فرنسا، وسنقوم كذلك بواجبنا في أوقات السّلم لتجديد فرنسا حرة وعظيمة على الدّوام)، ولما أنشأت السّلطات الفرنسيّة المجلس الجزائري عام 1948م طبقا لمنطوق الدّستور الجزائري، الذي وضعته الحكومة الفرنسيّة في 20 سبتمبر 1947 رشح الدّكتور محمّد الصّالح بن جلول نفسه لعضوية هذا المجلس الجزائري وظل ممثلا فيه حتى عام 1956، وعندما تم حل المجلس بعد استقالة النّواب المسلمين البالغ عددهم 61 عضوا وكان هو واحدا منهم، غادر الجزائر وذلك عام 1956 إلى مدينة نيس بفرنسا بعد أن وصلته أخبار من أحد معارفه مفادها أن فرنسا تريد قتله، وبقي هناك في فرنسا يعمل طبيبا حتى الاستقلال.

عـاد إلـى قسـنطينة عـام 1962، وألقـى خطابا مطولا في 5 جويلية من السّـنة نفسـها احتفـاء بالاسـتقلال الوطنـي، ومنذها ابتعد عـن السّياسـة، ولـم يعـد إلى الجزائـر حتى أواخـر السّـبعينيات، وكان قـد فقـد بصره، والتـزم بيتـه فـي البطحـا بقسـنطينة إلـى أن توفـي فـي شـهر مـاي 1985م، وبعـد وفاتـه اكتفـت جريـدة النّصـر الصّـادرة بقسـنطينة بالإعلان عن وفاته عبر سطور قليلة.

باديس فوغالي

المصادر:

- معجم الجزائريين في القرنين التّاسع عشر والعشرين، منشورات مخبر الدّراسات التاريخيّة والفلسفية، جامعة منتوري الجزء الأول، ص 42، 43، 44، 45، 46، 47؛
- مومن العمري، الحركة الثّورية في. الجزائر، ط 1، دارالطّليعة، الجزائر، 2003، ص20؛
- بن جلول شخصيات جزائرية تاريخية مشهورة، عيون البصائر، elbasair. net.

محمّد الصالـح بـن عـتيـق
(1312هـ - 1903م/1413هـ - 1993م)

محمّـد الصّالـح بن عتيـق، ولد يـوم: (7 صفر1321هــ)، الموافـق: (4 مـاي 1903م)، في بلـدة (العتقة)، التي تذكر بعض المصادر أن اسـمها يرجـع إلـى شـخصيّة (قريـش بن عتيـق) حفيـد الصّديـق؛ وتقـع هـذه البلـدة قرب مدينـة (الميليّة)؛ التي تقع في الشّـمال القسـنطيني؛ بالجزائر؛ وتعد همزة وصل بين عدّة مدن رئيسيّة؛ مثل: جيجل (غربا)؛ وميلة وقسنطينة (جنوبا)؛ والبحـر الأبيـض المتوسّـط (شـمالا)؛ فهو لا يبعد عنهـا إلا بحوالي 7 كلم... بالشّـمال القسـنطيني، وقـد نشـأ (محمّـد الصّالـح بن عتيق) فـي أسـرة متواضعة، ولكتهـا عريقة، تربـى فـي أحضـان بلـدة (العتقـة)، وحفـظ القـرآن الكريـم في بعـض الكتاتيـب القريبة مـن بلدتـه؛ كمـا تعلّم بعـض مبـادئ العلوم العربيّـة والدّينيّة على يدّ بعض شـيوخ قريته، وفـي مقدمتهـم والـده الـذي كان مُعلمـاً للقـرآن الكريـم، ومبادئ اللغـة العربيّة؛وهو الـذي دفعـه إلـى مغـادرة بلـدة (العتقـة)؛ لمـا بلـغ مـن العمر ثلاثة عشـر عامـا، حيث سـافر مـع والـده، وكان (محمّـد الصّالـح) يُسـاعد والده فـي تعليم الأطفـال حين يكثر عددهـم، فعاقه ذلك عن الاشـتغال لنفسـه، لمـدة سـنتين تقريبـا، ذاق خلالهـا مـع أفراد أسـرته بعض السّـعادة، والهناء؛ لكن الأجل المحتوم لم يمهل والده، فتوفّي أثناء الحرب العالميّـة الأوّلـى، وترك صبيا يتـراوح عمره بين الخامسـة عشـر والسّادسـة عشـر عاما، كمـا ذكر فـي كتابـه: (أحـداث ومواقف في مجـال الدّعوة الإصلاحيّـة والحركة الوطنيّة بالجزائر)، وأشـار إلى أن نكبته قد تضاعفت بعـد رحيل والدتـه بفترة قصيـرة، لاتقل عن العـام، وبعـد سـتة أشـهر مـن وفـاة والدّتـه هاجـر قريته، في رحلة شـاقة في طلب العلم والمعرفـة، وكانت البدايّة من زاويّة (الشّـيخ بورصاص)، ثـم زاويّة (الشّـيخ الـزّواوي)، بيـد أن أمله خـاب فـي الزّاويتين، ولاسـيما فـي الزّاويّـة الثّانيّـة، بسـبب مـا وجـده فيهـا من بـدع، وخرافـات، وشـعوذة، ومنكرات، ذكرهـا فـي كتابـه: (أحـداث ومواقـف فـي مجـال الدّعوة الإصلاحيّـة والحركة الوطنيّة بالجزائـر)؛ ولذلـك فقـد انتقـل إلـى زاويّـة (الشّـيخ بن زقوطة) بـوادي العثمانيّـة، التي مكث فيهـا قرابة سـنة، ثم سـافرإلى (ميلة)، فدرس مبـادئ الفقه واللُّغـة العربيّة، وتتلمذ على يد الشّـيخ (محمّد بن الظريف الميلي)، ثـم انتفـع بالدّراسـة علـى الشّـيخ (مبـارك الميلـي) الـذي رجع مـن البـلاد التّونسـيّة؛ وشـرع في إلقاء دروس فـي الإصلاح، وبعد أن انتقـل إلى (قسـنطينة) للعمـل إلى جانب الشّـيخ (ابن باديس)، لحقه (محمّد الصّالح بـن عتيـق) إلـى (قسـنطينة)، وتتلمـذ علـى الشّـيخ (ابن باديـس) في الجامـع الأخضر، وأعجـب بدروسـه أيما إعجـاب، وفي عام: (1345هـ/ 1927م)، هاجر إلى تونس؛ودرس في (جامع الزّيتونة)؛حيث درس به المرحلة الثّانويّة، وتتلمذ هناك علـى عدد من العلماء ذكرهـم فـي كتابـه: (أحـداث ومواقـف في مجـال الدّعوة الإصلاحيّـة والحركة الوطنيّة بالجزائر) أمثال: الشّيخ (محمّد بن القاضي) والشّـيخ (محمّد عبد العزيز جعيط) والشّيخ (الطّيب سـيالة) والشّـيخ (معاويّـة التّميمي) والشّيخ (عثمان بن الخوجة) وسواهم.

وفـي سـنة: (1351هــ/ 1932م)، حصـل علـى شـهادة: (التّطويـع العالميّـة) بميـزة حسـن، وعـاد إلـى الجزائـر مـع طائفـة من النّاجحيـن؛ الذيـن خصّهـم (الشّـيخ عبـد الحميد بن باديس) باستقبال حار، وأقام لهم حفـلا رائعا في مدينة (قسـنطينة)، وقد عمل الشّـيخ (محمّـد الصّالـح بـن عتيـق) بمدينة (الميليّـة)، إلـى غايّـة سـنة: (1934م)؛ بعـد أن أسّـس مدرسـة وجمعيّة للتربيّـة والتّعليم بمنطقـة (الميليّة)؛ ثـم عمل إماما للمسـجد الكبيـر بقلعة (بني عبّاس) في ولايّة سـطيف حاليا؛ ثـم انتدبته جمعيّة العلماء المسـلمين الجزائرييـن سـنة: (1937م) رفقـة طائفة من العلمـاء بقيـادة الشّـيخ (الورتلاني) للسـفر إلى باريس، والقيام بنشـاطات دينيّة وتربويّة فـي أوسـاط العمـال؛ وتأسـيس نـواد ثقافيّة بعدّة جهات من فرنسـا، وخاصّـة بالعاصمة (باريـس)؛ وفـي عـام: (1938م) عـاد مـن فرنسـا إلى الجزائر، وخلال هـذه الفترة زاره الشّـيخ العلّامـة (ابن باديس) زيـارة تاريخيّة تكتسي أهميّة اسـتثنائيّة، تحدث عنها الشّيخ (أحمد حماني) على لسـان الشّيخ ابن عتيق فـي مقال وسـمه ب: (ابن باديـس والثّورة)، حيـث جـاء فيـه: "أن ابـن باديـس انفلـت مـن الرّقابـة الاسـتعمّاريّة المضروبـة عليـه بقسـنطينة؛ لإنّـه كان تحت الإقامـة الجبريّة،

وزار الميليّة خفيّة مُتنكرا سنة: 1940م، واتصل بالشّيخ ابن عتيق وسأله عن مدى استعداد الشّعب الجزائري في منطقة الميليّة للثورة المسلحة؛فأجابه ابن عتيق:بأن رجال الميليّة سيجدهم رجال بارود (أي شجعان صناديد)؛ ويمكنه أن يعول عليهم إذا جد الجد؛ لأن الاستعداد النّفسي للثورة كامل فيهم؛ودعاه للنزول فاعتذر؛ لأن الزّيارة قصيرة لا تسمح له بطول الإقامة".

وفي عام: (1944م) ذهب الشّيخ (محمّد الصّالح بن عتيق) إلى مدينة تيهرت (تيارت) وعمل بها، وواصل نشاطه الإصلاحي والتّعليمي في عدّة مدن جزائريّة من بينها: (سكيكدة) و(الميليّة) و(البليدة)، وفي عام: (1956م) ألقت السّلطات الاستعمّاريّة القبض عليه، ومكث في السّجن إلى غايّة سنة: (1962م)، وبعد الاستقلال عُيّن عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى، وعمل مفتشاً جهوياً بوزارة الأوقاف؛ كما اشتغل أستاذا بثانويّة حسيبة بن بوعلي في القبة بالجزائر العاصمة، وتوفّي يوم الخميس: (9 شوال1413هـ) الموافق لـ: (1 افريل1993م).

من أهم مؤلّفاته كتاب: (أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة بالجزائر)، وفي هذا الكتاب يروي مجموعة من المواقف والأحداث الدّينيّة؛ والثّقافيّة؛ والوطنيّة؛وقعت في الوطن الجزائري؛ وقدعاشها المؤلف، وشارك في صناعتها، ويحتوي على تعريفات بمشاهير رجال الإصلاح؛ الذين كان لهم الأثر الطّيب في النّهضة؛ وقد جمعها خدمة للتاريخ؛ وفي مقدمة الكتاب تحدث عن أوضاع العالم العربي والإسلامي قبل غزو الفرنسيين للجزائر؛ ومن بين ما جاء فيها قوله: "لقد كان العالم العربي والإسلامي لعدّة قرون يعيش في فوضى وانحلال؛ يعمه فتور عام؛ وتيه شامل في صحراء الجهل المطبق؛ والرّكود المغلق؛ في حياة كالموت؛ ووجود كالعدم... ونزاع قائم بين دويلاته... والجزائر كقطعة من هذه المجموعة؛ قد أصابها من ذلك أكثر مما أصاب غيرها... حرب مستمرة بين قبائله؛ وقتال دائم بين فرقه وجماعته؛ وهم في غفلة معرضون عما يحيط ببلادهم؛ويهددهم من الأجانب؛ فالاسبان تحرشوا لغزوها؛واستولوا على شواطئها؛ وبعض مدنها؛ولولا تدخل الجيش التّركي لتم لهم احتلالها... فكان من الطّبيعي؛ والحالة هذه ألا يجد الغزاة الفرنسيون عظيم المشاق في التّوغل داخل التّراب الوطني؛بالرّغم من

مقاومة الأمير عبد القادر زهاء سبع عشرة سنة؛ومقاومة أحمد باي شرق البلاد... ".

يقول عنه الشّيخ العلّامة (أحمد حماني) في كتابه: (صراع بين السّنة والبدعة): "الأستاذ محمّد الصّالح بن عتيق من ألمع تلاميذ ابن باديس ومدرسته، وهو من عائلة شهيرة بجبال الميليّة الشّامخة المخضرة... إنّه خير مثال لطلبة ومدرسة ابن باديس: إيمان قوي، ودين صحيح، وخلّق متين، وعلم غزير، ووطنيّة صادقة، وكفاءة نادرة، وعمل دائم مستمر مع تواضع جم، وإنكار للذات، ووفاء للأصدقاء والإخوان، وإخلاص في العمل".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- محمّد الصّالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة بالجزائر، منشورات مؤسّسة بونة للبحوث والدّراسات، عنابة-الجزائر، 1436هـ/ 2015م.
- د. سعد بوفلاقة: الشّيخ محمّد الصّالح بن عتيق:تأملات في حياته، وكتابه: (أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة بالجزائر)، مجلّة التّبيان؛مجلّة فكريّة ثقافيّة إصلاحيّة تصدر عن جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، العدد الخامس، رجب1439هـ/ أفريل2018م، ص:5 وما بعدها.
- أحمد حماني: صراع بين السّنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام عبد الحميد بن باديس، الجزء الأوّل والثّاني، منشورات دار البعث للطباعة والنّشر والتّوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط:01، 1405هـ/ 1984م.

محمّد الصّالح خبشاش
(1321هـ - 1904م/1358هـ - 1939م)

محمّد الصّالح بن البشير خبشاش، المولود في وادي يعقوب قرب مدينة قسنطينة، والمتوفى في مدينة قسنطينة.

قضى عمره القصير في وطنه الجزائر.

حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، بعد ذلك لازم العلامة الشّيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، فأخذ علومه عنه وقد صحبه حوالي ثماني سنوات، نهل فيها قدرًا لا بأس به من العلوم الشّرعيّة واللغويّة والأدبيّة، وتثقف ثقافة واسعة، وبعد ذلك بدأ في نشر أفكاره الإصلاحيّة الدّاعيّة إلى النّهوض ضمن جرائد جمعيّة العلماء المسلمين.

اشتغل رئيسًا لتحرير جريدة "الحق"، كما كان يكتب في جريدة "النّجاح" وكذلك في "الشّهاب". وقد كان يوقع كتاباته باسم: "الوطني الصّميم".

كما تولّى الكتابة العامّة للرابطة الأدبيّة التي تأسست بقسنطينة سنة 1928.

لقد عاش خبشاش حياة قاسيّة شاقة ومضطربة ومات إثر داء عضال بالصّدر لازمه سنتين.

نشر له كتاب: "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" مجموعة من القصائد، كما نشرت له صحف ومجلات عصره أيضًا قصائد عديدة.

ما يمكن أن نلاحظه هو أنه شاعر تحرري يدعو في قصائده إلى كسر هذه القيود التي كبلت الشّعب الجزائري مع ضرورة الأخذ بأسباب النّهوض للالتّحاق بركب الحضارة الغربيّة، كما دعا إلى تحرير المرأة مما يكبلها من العادات والتّقاليد الباليّة والاهتمام بتعليمها وتثقيفها، وقد قال فيه صاحب كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر": "وصاحبنا كاتب يجيد الكتابة، وله ميزة خاصّة في انتقاء المواضيع وسبكها في قالب جديد بها، وهو من شباب الجزائر النّاهض، وفي مقدّمة الذين ساعدوا على ما في الوطن من حركة يرجو كلّ منا دوامها".

أمّا لغته فهي قويّة محكمة ومنسابة وعباراته رقراقة متدفقة وأسلوبه رصين ومتماسك في حين أنّ خياله نشط، لذلك جاءت معظم صوره الشّعريّة ذات دلالات إيحائيّة مكثفة وبخاصة في وصفه للمدن وعلى رأسها مدينة قسنطينة التي سحرته بجمالها.

نماذج من شعره:

المدينة المنيعة أو (قسنطينة)

نشرت هذه القصيدة في جريدة النّجاح في 21 جانفي 1927 العدد 397 حيث ورد في تقديمها للقرّاء من طرف الجريدة قوله: "أتحفنا حضرة الشّاعر العبقري نابغة عصره بهذه القصيدة العصماء والانسجام مبناها ودقة مغزاها، آثرنا نشرها تنشيطًا له وتحديًا لأقرانه علّهم ينسجون على هذا المنوال وتتكوّن القصيدة المنشورة في الجريدة من 41 بيتًا".

تِلْك المَدينة هلْ في الأرض مَبْناها
وهلْ حوَتْ كُتُب التّاريخ مَعنَاها؟
مَدينَةٌ أحْكم البَاني لَها أُسُسًا
مُثْلَى، وأتقَنَ بعد الوَضْعِ أعْلاهَا
خُطَّتْ على ذروة ما بين أهويّة
النّجمُ يَحْرُسُهَا والشّمسُ ترعَاهَا
قامتْ على جبلٍ أعظِمْ به جَبَلا
بين الجِبَالِ يحوزُ الفَخْرَ والجَاهَا
أخُوه (فيزوفُ) إلا أن سَاحَتَهُ
فسيحَةٌ رَحَماتُ الله تَغْشَاهَا
(وادي الرّمال) إذا أبْصرتَه ذَهبَتْ
أتراحُ قَلْبِكَ حتى النّفسُ تَنْسَاهَا
ينْسابُ في مَفْرِقِ الطّوْدِ العظيم وإنْ
صدَّتْهُ عائِقةٌ بالرّغْم ألقَاهَا
"وادِي العقيق" وكلُّ العُرْبِ تُكْبره
هيهَاتَ يَفْضلُ وادِي الرّمْلِ إنْ تَاهَا
انْظرْ إلى الغَابةِ الهيفَاءِ كَيْف زَهَتْ
لمَّاالرّبيعُ أتى، والزّهر وَشّاها!
واهْبِطْ إلى فُسْحةِ "الرّيميسِ" كيْمَا
ترى
تِلْك المَنَاظرَ دَوْمًا تَذْكُرُ الله
واشْخَصْ بِطَرْفكَ نحو الرّاسِ حيْثُ ترى
أنَّ المَدينةَ ذاتَ الرّجْعِ مَثْوَاها
وإن "قنطرةَ الأحبال" ما نُصِبَتْ
إلا لأنَّ مهيبَ الحَشْرِ نَادَاهَا
يجْتَازُها النّاس، والهَامَاتُ مُطْرِقةٌ
كأنَّ "عَزْريلَ" بين الصّخرِ يَكْلاهَا
قفْ نَادِ آثار "قَسْطَنْطِينَ" وَاضِعِها
ذَاك الذي مَهَّدَ الدّنيا وَسوَّاهَا
لا شَكَّ تُنْبيكَ عَن قَومٍ ذَوِي فِكَرٍ
ذَاقُوا الحياةَ وطَافُوا بَعْدَ مَعْنَاهَا
سارَ (الأمير) على النّهجِ القَويم، وَما
فِي الفَخْرِ مَنْقَبَة إلا تَعَالاهَا
شادَ الأمير جُسورًا لا تزال على
قَيْدِالشّخُوصِ كأنَّ الدّهْرَ يَخْشَاهَا
أعْلَى الأُلَى شُغِفُوا بالعِلْم صُورَتَهُ
أمَّا الجَهُولُ فتحْتَ الأرضِ أخْفَاهَا
إنا لَهَا العرب حظًا كان مُسْتَلَبًا
وعِزَّة عَبِقَت في الحيِّ ريَّاها
فاسْتعربَت وترقَّتْ في مَدَارِكِها:
الدّين هذَّبها، والعِلم رَقَّاهَا
أضْحت مَدِينَتُنَا "دارُالسّلام" بها
عِلْم ودين، ونُور في مُحَيَّاهَا
كمْ مِنْ فَتى، وفَتاةٍ فِي مَدَارِسِهَا
حَازَا مَرَاتِبَ مَا أعْلَى سَرَيَاهَا
يا مُنيّةالنّفْسِ، ما هَذي سِوَى لُمَعٍ
مِنْ بعضِ أوْصَافك الغَرَّاء سُقْنَاهَا
يا أخْت "يُوشع" هل في الأرض حادِثة،
وما حَفظت لها مثلا، وأشْبَاها؟
أنْتِ الخبيرةُ بالأخْبار أجْمَعِهَا
فَخَبرينَا بِأشْيَا مَا عَلِمْنَاهَا؟
"نوميديا" ما دَهَاك اليوم فانْعَكست
تِلْك الحُظُوظُ، وقبْلا كُنت مَرْسَاهَا؟
"سِرْتا" تَعالي، سَلِ الأدْهار كم دُول
مَرَّت عليك، ونَالتّ مِنك جَدْوَاهَا؟
يا جنَّة الأرْض، إنَّا لا نَرَاك عَلَى
حالٍ مُنَغَّمَةٍ كُنَّا عَهِدْنَاهَا؟
هلِ السّعود تَنَاءتْ عَنْك آفِلَة؟
أمْ هَلْ تَحَوَّلتِ النّعْمى بِأشْقَاهَا؟
يا قَومُ مَالي أرَاها غَير ضَاحِكةٍ،
وغير نَاشِطَةٍ والبِشْرُ عَادَاهَا؟
من ذَا رَماها، ومن أبْدَى لها جُمَلا
مُكَدَّرَاتٍ، ومنْ بالسّوء آذَاهَا؟
أوَدُّ لِلبَلْدةِ الغَيْدَاء منْزِلَة
تعْلو بِها صهْوة الجَوْزَاءِ أسْمَاهَا
لكنَّ قَومي، والغَارَاتُ دَيْدَنهُمُ
يُكَهْرِبُونَ إذَا مَا فهت أفْوَاهَا
أبْغِي سَعَادَتهم، إذْ يُضْمِرُون أذىً
كيف الوصول إلى سعْدي ومأواها
كيف السّعادةُ يا قومي، وقد بلغت
بِنَا الحَمَاقَة شوْطًا بعد أقْصَاهَا؟
بِئْس الخَلِيلُ الذي يُبْدِي مُعَاتَبَةً
على التي مِنْ عُهُود المَهْد أهْوَاهَا
نَامَتْ "قَسنطينةُ" من بعْد يَقْضَتِها
بل آذَنَتْ برحِيلٍ نَحْوَ أُخْرَاهَا؟
إنْ كُنت ذا فكرةٍ قَارِنْ بِحَاضِرِهَا
ما فَاتَ مِنْ عهْدها أيَّام نُعْمَاهَا
تَلْقَى دَلائِلَ لا تُحْصي لها عَدَدَا:
الجهلُ، والفقرُ، أولاهَا، وأدْهَاهَا
هذِي الحياة، وهذِي كلّ غَايَتها:
الرّفعُ، والخَفْضُ، والإعْراضُ مَبْدَاهَا

يا طائرًا

يا طائرًا يبكي مساءً صباحا،
ويُقيمُ ما بين الغصونِ مَنَاحَا
ويظلُّ بالوادي يُفَكِّر تَارَةً،
ويُثير أخرى ضجَّةً وصِيَاحا
مَاذا اعتراكَ وهلْ أصَابَكَ ما يَنَا
لُ الجِسمَ مني بُكْرةً، وَرَوَاحَا!!
تبكي وأبْكي والشّجونُ عَرِيقةٌ،
وأنا وأنْت المُثْخَنانِ جِرَاحَا
فَحِمَاكَ دَاسَتْهُ البُزاةُ بِمِخْلَبٍ
وحِمَايَ أضْحَى للقُسَاةِ مَرَاحَا
وبَنُوكَ دَاسَهُمُ الزّمَان بِنَعْلِهِ

وبَنـي أعْدَمَهم هُدىً ونَجَاحَا
أُوَّاهُ يا طَيـر الأرَاكِ تَنَحَّ عَنْ
شـجوٍ مُميتٍ لا عَدِمْتَ فَلاحَا
لَوْ كُنْت مِثْلكَ مُطْلقًا حُرًّا لَمَا
ضَيَّعْتُ وَقْتـي حَسْرَةً وَنُوَاحَا
لكنَّـني يَا طَيـر مُوثق أرْجُلِ،
ومُكَمَّمٌ لا أسْتطِيع صُدَاحَا
إنْ فُهْتُ قوْلا آلمتْني قَوَارِعٌ،
ولَوِ المَقَال دُعابَةً ومُزَاحَا
رُحْمَاك رَبـي مَا الجَحِيم مُحَجَّرٌ
فيهَا الكَلامُ، بل الكَلام مُبَاحَا؟!. .

المرأة الجزائريّة والحجاب

تـركُوكِ بـينَ عَبَاءَةٍ وشَقَاءِ
مَكْؤُوبَةً في اللَّيْلَة اللَّيْلاءِ
مغلولَةَ الأيْدِي بِأَسْوءِ بُقْعَةٍ
مَحْفُوفَةً بِكَتَائِبِ الأَرْزَاءِ
دَفَنُوكِ من قَبْلِ المَمَاتِ وَحَبَّذَا
لَوْ مِتِّ قبل تَفَاقُمِ الأَدْوَاء
مَسجـونةً مَزْجُورَةً مَحْرُومَةً،
مَحْفُوفَةً بِمُلاءَةٍ سَوْدَاء
مَاذَا جَنـيتِ على الزّمانِ وأهْلِه
حـتـى رَمَوْكِ بِطَعْنَةٍ نَجْلاء؟
لَهَفِي عَلَى الجِنْسِ اللَّطِيفِ تَدَاوَلَتْ
عَنْهُ الرّيَاحُ بأرْضِنَا الجَدْبَاءِ
لَهَفِي عَلَى العُربِ الحِسَانِ تَضَاءَلَتْ
أنْوَارُهنَّ فَتِهْنَ قَيْدَ عَنَاءِ
لَهَفِي عَلَى بِنْتٍ تَعيشُ شَقِيّة
حتـى تُصادِفُ هَادِمَ السّرّاء
أتـرى أرَى فَتـياتِنَا وَسْطَ المَدَا
رِسٍ، يـرتَشِفْنَ سُلافَةَ القُرّاء؟
أتـرى أرَى فَتـياتِنَا عَوْنًا إلَى
شُبَّانِنَا فِي السّاعَةِ اللأْواء؟
الغَرْبُ قد سَئِمَ السّبَاتَ فَكَسَّرَ الأغْلالَ
فَاسْتَعْلَى عَلَى الجَوْزَاء
والشّرْقُ قَدْ أَلِفَ السّهَادَ، وَطَالَمَا
رَامَ النّهوضَ فَنَاءَ بالأعْبَاء
فَسَطَا عَليه الغَرْبُ سَطْوَةَ مَارِدٍ
حَتـى هَوَى فـي الهُوَّة التّعْسَاء
وأذَاقَه سَوْطَ العَذَابِ صَبـيحَةً
وَعَشِيّة مِنْ غَيـر مَا جَرّاءِ
وَأتـى بِقَانُونٍ له مُتَشَعّبٍ
مُتَلوِّنٍ كَتَلوُّنِ الحِرْبَاءِ
مَا ذَاكَ إلا للجَهَالَةِ بـينَنَا
وَغَبَاوَةِ الفَتـياتِ والأَبْنَاءِ
فَإلى مَتـى هَذَا الحِجَابُ إلَى مَتـى
إلَى التّلاشـي أمْ لِيوم لقاء
أتـرابُكُنَّ من الفَرَنْج غَدَوْنَ فِي
غُرَفِ العُلَى مِنْ عِزّةٍ قَعْسَاءِ!
وتَمتَّعتْ أفْكَارُهُنَّ بنَهْلَةٍ
من خَمْرةِ العِرْفان، لا الصّهْبَاء
ولَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعةً تُعْزَى إلى
نَهْجِ الهُدَى، والمِلَّة السّمْحَاء
قدْ أَوْعَدُوا، وتَجَهَّمُوا، وتَهَدَّدُوا
من حَلِّ قَيْدِ حَلِيفةِ الأَرْزَاء
إنـي لأعْتَقِدَنَّأنَّ عُقُولَهُمُ
مَمْزُوجَة بِمُجَمَّدَاتِ المَاء
فهلِ الشّريعَةُ حَرَّمَتْ تَعْلِيمَهَا
يَا نُخْبَةَ الأشْيَاخِ (والصّلَحَاء)؟
إنْ كَانَ ذَاكَ فَـبـينُوا بِحَقَائِقٍ
قَطْعِيّة لِيُمَاطُ كُلُّ رِدَاءِ

رابح دوب

المصادر:

- سليمان الصّيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائريّة للمجلات والجرائد، بوزريعة، الجزائر 1994؛
- محمّد الطّمّار: تاريخ الأدب الجزائري، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر 1981؛
- محمّد ناصر: الشّعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985.

محمّد الصّالح رمضان
(1332هـ - 1914م/1429هـ - 2008م)

هو محمّد الصّالح رمضان؛ وُلد سنة (1332هـ/ 1914م) في (القنطرة) بولاية (باتنة) في الشّرق الجزائري؛ تعلم مبادئ اللّغة العربية في مسقط رأسه، وتتلمذ على يد الشّيخ (الأمين سلطاني)؛خريج جامع الزيتونة، وأحرز الشّهادة الابتدائية باللغة الفرنسية في المدرسة الرسمية، وفي عام: (1353هـ/ 1934م) التحق بمدينة (قسنطينة) ولازم مجالسّ الشّيخ العلاّمة (ابن باديس) وفي سنة: (1356هـ/ 1937م) عُيّن مدرساً في (مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة) وظلّ بها مُدرساً إلى غاية عام: (1362هـ/ 1943م) وقد عُرف (محمّد الصّالح رمضان) بنشاطه المُكثف ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد وفاة العلاّمة (ابن باديس) عُيّن مُديراً ومُدرساً بمدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة (غيليزان) وذلك عام: (1362هـ/ 1943م)وفي سنة: (1365هـ/ 1946م) عُيّن مديراً لمدرسة (دار الحديث بتلمسان) كما عمل مُفتشاً جهوياً بدائرة (تلمسان) ولم يتوقف نشاطه مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قط؛ فقد رافق أنشطتها التعليمية والتربوية في عدة محطات، ففي عام: (1372هـ/ 1953م) تمّ تعيينه مُفتشاً عاماً لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما كان عُضواً في المكتب الدائم (للجنة التعليم العليا) في مركز الجمعية بالجزائر العاصمة، وأثناء ثورة التحرير المظفرة، عمل في صفوف جبهة التحرير الوطني (بقسمة القبة) وكان عضواً في (المحكمة المدنية)لجبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة، وبعد استقلال الجزائر عمل مديراً للتعليم الديني بوزارة الشّؤون الدينية بالجزائر، وعمل أستاذاً بثانوية (حسيبة بن بوعلي بالقبة للبنات) وتقاعد من مهنة التعليم سنة: (1399هـ/ 1979م) كما عُيّن عُضواً في المجلس الإسلامي الأعلى

خلال الثمانينيات من القرن المنصرم، وكان عُضواً في المجلس الوطني للثقافة سنة: (1410هـ/ 1990م) وفي سنة: (1412هـ/ 1992م) عمل مستشاراً لوزير الثقافة والاتصال، كما كان عُضواً في اتحاد الكتّاب الجزائريين، وفي اللجنة الوطنية لليونسكو بالجزائر، وقد توفي سنة: (1429هـ/ 2008م).

وقد توزعت مؤلفاته بين الإبداع الأدبي، والتحقيق، والتراجم، والدراسات الإسلامية والتاريخية، ومن أهم مؤلفاته:مسرحية :"الناشئة المهاجرة"، و: "ألحان الفتوة"، و: "مُغامرات كليب"، و"العقائد الإسلامية لابن باديس:تحقيق وتعليق"، و"الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية"، و"مبادئ الجغرافية العامة وموجز جغرافية الجزائر"، و"جغرافية الجزائر والعالم العربي"، و"النصوص الأدبية للمعاهد الإسلامية"بالاشتراك، و"من هدي النبوة لابن باديس:تحقيق وتعليق"، و"شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو"، ومسرحية"الخنساء"، و"المولد النبوي الشّريف:رواية تمثيلية"، وغيرها من الأعمال الأدبية والدراسات المتنوعة.

وقد اهتم الشّيخ (محمّد الصّالح رمضان) في أعماله بالأديب الشّهيد (أحمد رضا حوحو) وأنجز عنه عدة دراسات وأبحاث، ومن بين الدراسات التي نشرها عنه دراسة موسومة بـ: "الأديب الشّهيد حوحو وآثاره، مجلة الثقافة؛ مجلة تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالجزائر، السّنة التاسعة، العدد:54، ذو الحجة-محرم1400هـ/ نوفمبر-ديسمبر1979م"، أكد من خلالها على أن "للأستاذ حوحو براعة خاصة في الشّعر الهزلي السّاخر، وفي قلب الشّعر الجاد الهادف إلى شعر عابث ساخر، غير أنه لم ينشر شيئاً من هذا ولا ذاك حفاظاً منه على روح التحفظ السّائدة... وله محاولات متكلفة في الشّعر الشّعبي (الملحون) ولعل هدف الأستاذ حوحو فيما كان يكتب ويُقدم في تمثيلياته هو محاولة إصلاح بعض العادات الاجتماعية الفاسدة، وكثيراً ما كان يُركز على المرأة باعتبارها الركيزة والدعامة لكل مجتمع... ".

كما أسهم الشّيخ (محمّد الصّالح رمضان)في مجال أدب الرحلة، فألف كتاب: "سوانح وارتسامات عابر سبيل: رحلة إلى مهرجان الشّباب والطلاب العالمي في فرصوفيا، سنة: 1955م"، الذي يصفه بالقول: "وفي هذه الرحلة العصرية (سوانح وارتسامات عابر سبيل) يقف القارئ على نتف وطرف من السّياسة والأدب، ومن التاريخ والجغرافيا، وحتى الدين والاجتماع، زيادة عن وصف المشاهد، وذكر الانطباعات، وبعض المناقشات والمحاورات التي وقعت في هذه الرحلة العابرة الملأى بالعبر، والآراء والفكر، وفيها خواطر تسُر الخاطر، ومناظر تُبهج الناظر، نُحيي بها أدب الرحلة الذي اندثر أو كاد يندثر في مغربنا العربي".

ويرى الدكتور (عمر بن قينة) أن هذه الرحلة تُعبر عن" تجربة إنسانية ذات عمق مختلف الأبعاد (سواء الشّخصية منها أو العامة) ورغم حرص الكاتب في رحلته على إفادة قارئه بمعلومات علمية (تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية) فإن ذلك لم يجعل منها نصاً تاريخياً جافاً، كما لم يحل بينها وبين الطلاوة المرغوبة في كل رحلة أدبية مُعاصرة في الجزئيات الصّغيرة نفسها، والكاتب يلوذ بالتأمل في منظر طبيعي، أو في حركة إنسانية، أو في عناق حميمي بين زرقة البحر، واخضرار الطبيعة على السّاحل، وما يتخلل ذلك مع معان جميلة ساحرة أو من علاقات إنسانية ودودة في سمو رفيع، أو من انسياب القطار في السّهول والجبال في الظلمة الحالكة كخيط ضوء دقيق يشق العتمة في صمت مطبق يعطي اللحظة نكهتها، وجمالها وجلالها، والرحلة بذلك وبسواه مما قيل، ومما لم يقل معلم من معالم الرحلة الجزائرية الحديثة في القرن العشرين".

ومن بين الدراسات والكتب التي تطرقت إلى أعماله وجهوده:

- د. عمر بن قينة:صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث:أعلام وقضايا ومواقف.
- د. عبد الملك مرتاض:فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954م).
- د. عبد الملك مرتاض:معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين.

يقول عنه الأستاذ الأديب (حمزة بوكوشة): "عرفت الأستاذ محمّدالصّالح رمضان أول ما عرفته من تلامذة الجامع الأخضر، فكان من التلامذة الجادين النابهين، وعرفته مربياً في مدارس جمعية العلماء، وفي مدرسة ابن باديس بقسنطينة بالخصوص (التربية والتعليم) التي تعتبر أم المدارس، فكان من أنجح المربين وخيرة المعلمين، ومن أجل ذلك أسند إليه أستاذنا الشّيخ البشير الإبراهيمي الإشراف على مدرسته (دار الحديث)بتلمسان، فكان من خيرة المعلمين والمديرين... وعرفته مديراً للتعليم الديني في أول وزارة للأوقاف بعد استقلال الجزائر، فكان من أولي الحزم والعزم والمبادرة، وفي عهده أنشئت (المعاهد الإسلامية)التي قامت بدور عظيم في التعريب والتعليم الإسلامي. وكان أول من فكر وسعى في إحياء التراث الإسلامي الجزائري... ".

ويصفه الشّيخ (محمّد الغسيري) بالقول: "الأستاذ محمّدالصّالح رمضان شاب كالشّبان، ولكنه شاب محافظ كالشّيخ، نحيل الجسم، مضيء القسمات وسط في القامات، ولكنه عظيم في القيم والمقامات، فهو الذي لم يكونه إلا مجهوده الشّخصي، يحترف شؤون التربية، ولكنه حصل على كثير من المعلومات التي لا يحصل عليها إلا كاد جاد مجتهد مثله، وهو ما حصل بالفعل؛شاب متواضع يأنف كل الأنفة من مظاهر الأبهة والغرور ولا يلاحظ عليه إلا إسرافه في هذا المعنى حتى ليخال أنه شيخ معمر بلغ من الكبر عُتياً، ولحد الآن ولما يتجاوز عمره الواحد والثلاثين لا يعيش إلا عيش بعض الزهاد الهنود، لا يشرب القهوة... ولا يهوى اللحم ولا أناقة المظهر، ولا يتظاهر بغير ما عرف به... ".

ويصفه الدكتور (محمّد بن سمينة) بالقول: "كان المرحوم أحد أعلام الحركة الوطنية الحضارية (الحركة الإصلاحية) فساهم عن طريق هذه الحركة بفاعليه في مختلف جوانب النهضة الوطنية

العامة:الإصلاحية والسّياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية، وكان له من هذا الطريق مشاركته في التمهيد لثورة نوفمبر المجيدة والإعداد لها، ولما حان وقتها واندلع بركانها كان من الأوائل الذين سارعوا- منذ عامها الثاني (1955م)-إلى تلبية ندائها والنضال في صفوفها... وواصل الفقيد جهاده في أعقاب الاستقلال الوطني في بناء أركان الدولة الجزائرية الفتية، وكان يُسهم في الميدان الاجتماعي والثقافي من خلال اضطلاعه بمهام عديدة في هذا المجال".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- حمد الصّالح رمضان: سوانح وارتسامات عابر سبيل رحلة إلى مهرجان الشّباب والطلاب العالمي في فرصوفيا سنة:1955م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، الجزائر، 2004م.
- د. عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931 – 1954م) منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- د. عبد الملك مرتاض:معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

د. عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام وقضايا ومواقف) منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

محمّد الصّديق بنُ حمادوش
(1313هـ - 1895م/1386هـ - 1966م)

الشّيخَ العلّامةَ محمّد الصّديق بن حمادوش، وُلد العلّامة الإمام المصلحُ محمّد الصّديق بن الطيب بن حمادوش، عام 1895م، بمنطقة قجال ولايّة سطيف.

شيخ ومن كبار شيوخ زاويّة (بن حمادوش) بمنطقة قجال، مجاهد عرفته ساحات الوغى أثناء حرب التّحرير مقاتلا عنيدا، كان ملّما بعلوم الشّرع؛ حفظ القرآن العظيم، وأخذ مبادئ اللغة العربيّة، والفقه والأصول فيزاويّة بن حمادوش، ثم انتقل إلى مدينة سطيف ليواصل دراسته بها، فتعرف على الشّيخ البشير الإبراهيمي، وأخذ عنه؛ كان الشّيخ محمّد الصّديق بن الطيب حمادوش ثقة مأمونا صدوقا، ورعا تقيا، حليما سخيا كريما، صواما قواما، كثير النوافل، صاحب ولايّة وكرامة، ذا شخصيّة مهيبة، كان حكيما إذا تحدث، حليما إذا غضب، صادقا إذا وعد، ناصحا أمينا، بعد وفاة والده العبد الصالح الشّيخ طيب بن الصّديق حمادوش، تولّى الشّيخ محمّد الصّديق مشيخة الزاويّة تنفيذا لوصيّة والده، فاجتهد الشّيخ في إعطاء بعث جديد للزاويّة، فأعاد بناء مسجدها وتوسيعه، كان ذلك سنة 1936م، ثم التّمس من الشّيخ المختار بن الشّيخأن يتولىّ التّدريس بالزاويّة العلمية فلبى الشّيخ المختار بن الشّيخ الدعوة وشرع في التّدريس، وبذلك عاد للزاويّة دورها العلمي؛ فأقبل عليها طلبة العلم من كل حدب وصوب.

ظلّ الشّيخ محمّد الصّديق بن الطيب حمادوش، وفيا لمسؤولياته إزاء الزاويّة العلميّة، فلما أنهى الإمام الشّهيد عبد الحميد حمادوش، دراسته بجامع الزيتونةبتونس وعودته إلى أرض الوطن وتفرغه للتعليم والإمامة والفتوى... . تركّزت اهتمامات الشّيخ محمّد الصّديق حمادوش على الشّؤون الإداريّة والماليّة للزاويّة العلميّة، ولكنه لم يترك إلقاء دروس الأخلاق في يومي الخميس والجمعة، كانت له علاقات مع كثير من العلماء، كالشّيخ محمّد العربي التّباني، والشّيخ نعيم النعيمي، والشّيخ بلقاسم بن عكة، والشّيخ البشير الإبراهيمي وغيرهم، كان للشيخ محمّد الصّديق بن الطيب حمادوش علاقات شخصيّة مع الشّيخ البشير الإبراهيمي حيث تتلمذ عليه في بادئ الأمر، ثم تطورت تلك العلاقة لتصبح علاقة تعاون في خدمة العلم والدين، وقد تجلى ذلك خلال تعاونهما في التّجمعات التي كانت تعقدها جمعيّة العلماء لجمع التّبرعات، ومنها التّجمع الذي انعقد بمسجد زاويّة بن حمادو شبقجال، وحضره جمع غفير من سكان المنطقة، فترأس الاجتماع الشّيخ البشير الإبراهيمي وقُدِّم للصلاة، فصلى بالناس صلاة المغرب، وبعد العَشاء خطب في الحاضرين، وطلب منهم مساعدة جمعيّة العلماء المسلمين، في جمع التّبرعات لبناء مدرسة الفتح بمدينة سطيف، فكان أهل منطقة قجال أول المساهمين في بنائها. كان الشّيخ محمّد الصّديق حمادوش من المساهمين في ثورة التّحرير الجزائريّة، ثم انصرف.

في الأشهر الأولى للاستقلال قام الشّيخ محمّد الصّديق حمادوش باستقدام الشّيخ القريشي مدني مدرسا بالزاويّة، ثم قام باستقدام الشّيخ الحسين مومن لمساندته فاجتمع حولهما عدد أكبر من الطلبة لعدة شهور، استأنفت الزاويّة العلميّة عملها بإشراف الشّيخ محمّد الصّديق بن الطيب حمادوش، وكان من أبرز أساتذتها الشّيخ القريشي مدني، والشّيخ إسماعيل زروف، ومن فلسطين الأساتذة ذيب كنعان، ويعقوب قرعاوي، وتيسير محمّد سعيد

وغيرهم. .؛ في هذه الفترة أخذت الزاويّة صبغة المدرسة الحرة أكثر منها زاويّة ذات خط ديني وطريقة ومنهج في التّربيّة والسّلوك والتّعليم، وتوقف التّعليم القرآني بها، ولكنها أدت دورا رائدا في تعليم أبناء المنطقة، وولايّة سطيف، فقدم إليها الطلبة من كل حدب وصوب، وبارك الله فيها، فكان لها دور كبير في محو الأميّة والجهل، وإحياء العلم، كما أسهمت بنسبة كبيرة في مد المدارس النظاميّة بالمعلمين والأساتذة.

تُوفي الشّيخ محمّد الصّديق بن الطيب حمادوش سنة 1966م عن عمر يناهز اثنتين وسبعين سنة، رحمه الله ونعّمه. وقد خلّف بعده جيلا من الطلبة المشايخ، وحفظة القرآن الكريم ومعلّميه، وزرع كثيرا من المحبة والخير موصيا بالتّعاون على البر والتّقوى ودرء الإثم والعدوان بين الناس، وإن رحل العلّامة الشّيخ الصّديق بن الطيب بن حمادوش، فإن مناقبه ستظل على كل لسان، وأفكاره تسكن قلوب أهالي المنطقة ومن أقاموا بالمنطقة طلابا للعلم، وستبقى مسيرته مفخرة للجميع وسجلا حافلا بالكرم والكرامات والوقفات الخالدة والمواقف الثّابتة الرصينة. وسيبقى قدوة لهذا الجيل الذي وجب عليه أن يقرأ سير علمائه من الخيرين المصلحين وحسن أولئك رفيقا.

علاوة كوسة

المصادر:

- تراجم علماء ولايّة سطيف.

شيوخ وعلماء المذهب المالكي في الجزائر.

محمّد الصّديق بن يحي
(1350هـ - 1932م/1402هـ - 1982م)

محمّد الصّديق بن يحيي سياسي، ومثقف جزائري بارز، ولد بولايّة "جيجل" في الشّرق الجزائري، وذلك في 30 جانفي 1932.

تلقى تعليمه في المرحلتين الابتدائيّة والثّانويّة بمدينة جيجل، ثم انتقل إلى كليّة الحقوق بجامعة الجزائر، شارك في الإضراب التّاريخي للطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1956، حيث "دعا اتحاد الطّلبة إلى الإضراب عن الدّروس في الجامعات والثّانويات في فرنسا والجزائر يوم 19 مايو 1956 وكان ذلك تصعيدا واضحا في الدّفع الثّوري إذ حرم الفرنسيون من حجة كانوا يستعملونها وهي أن الفئة المثقفة من الجزائريين لم تلتحق بالثّورة وأن الثّوار ما هم إلا (فلاقة) أو جماعة من المشردين وقطاع الطّرق ثاروا بسبب الجوع والبطالة، لقد كان الإضراب في حد ذاته ضربة قويّة للإعلام والدّبلوماسيّة الفرنسيّة في العالم، كما كان نصرا كبيرا للجبهة في صراعها من أجل افتكاك المبادرة ليس من فرنسا وحسب ولكن من منظمات مناوئة أو موازيّة كالحركة الوطنيّة التي أسسها مصالي الحاج وجماعة مكافحي الحريّة التي أسسها الشّيوعيون، وهكذا انضم طلاب الجزائر في المعاهد الفرنسيّة إلى إخوانهم الثّوار – المجاهدين، أو توزعوا على جامعات ومعاهد أوروبا لمواصلة الدّراسة".

شارك في تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1955 مع كل من أحمد طالب الإبراهيمي ولمين خان، كان رئيسا لهذا الاتحاد في وقت لاحق.

انضم إلى صفوف الثّورة التّحريريّة الجزائريّة الكبرى، فمثّل جبهة التّحرير الوطني في مؤتمر الشّباب المنعقد بباندونغ سنة 1956، وعمل سكرتيرا للمكتب الإعلامي لجبهة التّحرير الوطني في القاهرة بمساعد "عدة بن قطاط" في زمن تولي "محمّد لمين دباغين" له، ثم عين عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائريّة عضوا في الحكومة المؤقتة للجمهوريّة الجزائريّة سنة 1960 عين مدير للديوان برئاسة الحكومة المؤقتة في عام 1960، وشارك في مفاوضات إيفيان الجزائريّة– الفرنسيّة 1960 – 1962 ولعب دورا كبيرا في التّأثير على مسارها. وقد أعجبت بحنكته الشّخصيات الفرنسيّة المشاركة في المفاوضات حيث لقبته جريدة "باري ماتش" بثعلب الصّحراء وذلك لما أظهره من قدرة على الجدل والإقناع، ووصفه رضا مالك بالسّياسي المحنك اسم محمّد الصّديق بن يحيى مدير مكتب دباغين

بعد استرجاع الاستقلال الوطني عين سفير للجزائر بالاتحاد السّوفياتي بموسكو من 1963 إلى 1965.

تقلد منصب وزير الإعلام بالحكومة الجزائريّة، في تشرين الأول – أكتوبر 1966 حتى سنة 1970

شغل منصب وزير التّعليم العالي والبحث العلمي من سنة 1970 إلى سنة 1977.

عين وزير للماليّة من سنة 1977 إلى سنة 1979.

عين وزير للشؤون الخارجيّة من 8 مارس 1979 إلى 3 ماي 1982.

لعب دورا كبيرا شهد له به العالم كله لاسيما في الوساطة التي قام بها بين أمريكا وإيران على إثر احتجاز البعثة الدّيبلوماسيّة الأمريكيّة في طهران من

قبل الطّلبة الإيرانيين بعد الثّورة الإيرانيّة الخمينيّة سنة 1979.

أصيب بكسر في رجله، بعد بعد الطّائرة التي كانت تقله لحادث على مستوى المطار في 30 مايو 1981، في باماكو، مالي في اثناء عودتها من بوركينافاسو، وذلك بسبب سوء أحوال الطّقس، حيث نزلت الطّائرة قبل أن تصل إلى رواق المطار، ووصل الخبر إلى السّلطات الجزائريّة آنذاك بأن كل من في الطّائرة قد ماتوا فجهّزت لذلك طائرة خاصة لجلب جثامينهم، لكنها تفاجأت عند الوصول بأنهم ما زالوا على قيد الحياة.

كان سياسيا حكيما في تسيير شؤون الوزارات التي تقلدها في حياته، وازدهر التّعليم العالي في عهد وزارته.

أول من وضع النّظام الجديد للتعليم العالي بعد الاستقلال في الجزائر سنة 1971.

توفي على إثر سقوط الطّائرة التي كانت تقله إلى طهران بعد أن تعرضت لضربة صاروخ في الشّرق الأوسط يوم الثّالث من شهر أيار- ماي 1982 بعد أن كان في مهمة لفض النّزاع بين طهران وبغداد في الحرب العراقيّة الإيرانيّة التي دامت ثماني سنوات 1980-1988، وكان الرّئيس الشّاذلي بن جديد رحمه الله قد كلّفه بالشّروع في وساطة بين البلدين، وكان واثقا من قدرته على حل أعقد المشاكل في أسوإ الظّروف، وقال له: "لقد نجحت في إطلاق سراح الرّهائن الأمريكيين العام الماضي،الإيرانيون يثقون فيك، وعليك أن تقنع صدام بالعودة إلى اتفاق الجزائر في 1975"، وكان قبل ذلك بشهر قد كلفه بتسليم رسالة إلى صدام أبدى فيها استعداد الجزائر للوساطة لوقف هذه الحرب التي لا تخدم كلا الطّرفين، حيث أخبره بن يحيى بعد عودته أن صدام أبدى استعداده للتفاوض.

واتهم وزير الدّفاع الجزائري الأسبق اللواء خالد نزار، رئيس النّظام العراقي السّابق صدام حسين، بالوقوف وراء مقتل وزير الخارجيّة الجزائري الأسبق محمّد الصّديق بن يحيى، وثلاثة عشرة جزائرياً آخرين، ف "لجنة التّحقيق الفنيّة التي تنقلت إلى المنطقة، حيث حطام الطّائرة، التي كان يرأسها وزير النّقل صالح قوجيل، عثرت على بقايا صاروخ جو - جو استخدم في ضرب الطّائرة، وهذا الصّاروخ من ضمن طلبيّة سلاح روسي تسلمها العراق، وتملك الجزائر الرّقم التّسلسلي لهذا الصّاروخ بالتّحديد"، وجاء في مذكراة خالد نزار أنّ "الوساطة الجزائريّة، التي كان يقودها بن يحيى لوقف الحرب بين العراق وإيران (1980 - 1988)، كانت تتوفر على كل شروط النّجاح في مهمتها، وقد قادتها الجزائر بيد من حديد، غير أن صدام لم يقبل أبداً أن يؤدي عربي دور الحكم بين عربي وغير عربي. فبالنّسبة إليه، فعدو بلد عربي هو بالضّرورة عدو لكل العرب، والجزائريون بالنّسبة لصدام جاءوا ليتدخلوا في شأن لا يخصهم".

رابح دوب

المصادر:

- خالد نزار: مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الشّهاب، الجزائر، 2002؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمد الطّاهر التليلي
(1328هـ - 1910م/1423هـ - 2003م)

الشّيخ تليلي أدّى رسالته التربويّة والتعليميّة منذ الثلاثينات حتى تقاعده في أوائل السّبعينات، وما توقف، أو جبُن مثل الكثيرين، أو غادر الوطن، بل رابط مع غيره في مدرسة النجاح بقمار حتى الاستقلال، ورغم التهديد والوعيد، وخطر الاعتقال والإبعاد من طرف الاستدمار الفرنسي، فلم يركنْ ولم يبتعد، ورغم المحنة التي تعرض لها بعد الاستقلال، وتنكّر البعض من أبناء المدينة له، وضيق العيش، والحاجة الماديّة التي أدّت به إلى بيْع مكتبته كي يُعيل أسرته. ولولا عنايّة الله تعالى بأن ساعده على إدماجه مع غيره من علماء الجزائر وأحرارها من أهل القلم من طرف وزارة الإرشاد القومي (التربيّة الوطنيّة) في عهد الدكتور أحمد طالب الابراهيمي لمات ميتتيْن: موتة النكران والجحود، وموتة الفقر والاحتياج.

قال عنه المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله ما يلي: "جمع الشّيخ تليلي أطراف العلم بمعناه الواسع، فقد عاش في مرحلة الموسوعات والمعارف العامة، لذلك كان عميق المعرفة بالقرآن الكريم وعلومه، والحديث الشّريف وفروعه، والفقه وأصوله، وآراء المفسرين؛ وكذلك كان واسع المعرفة بالأدب وفنونه، والفرائض والفلك، والتاريخ والتراجم. وكان حاضر البديهة، ولكنه مع ذلك لا يتسرّع في الإجابة، وكان قويّ الذاكرة حتى آخر أيام حياته، حافظًا للمسائل والمتون، والشّواهد والآيات القرآنيّة كأنه يستظهرها لتوّه..."

نشْأته، وتربيته

هو الفقيه النبيه العالم الموسوعي الأستاذ الشّيخ محمد الطاهر التليلي، يقول رحمه الله: إن أسرتي انحدرت إلى سوف من بلدة فريانة قرب مدينة قفصة بجنوب تونس، وإن

لقب هذه الأسرة عُرف بأولاد تليل، فكل منسوب إليها يُسمى تليلي.

وُلد شيخنا محمد الطاهر ـ رحمه الله ـ سنة "1910م ـــ 1328 هـ "، نشأ في أسرة كريمة محافظة عاملة لدينها ودنياها، في رعايّة أبيه وجده، وكان جده رحمه الله كثير الحدب عليه والعنايّة به وكان من حفظة القرآن الكريم وله في العلوم الدينيّة والعربيّة نصيب لا بأس به، وكان يتوسم في حفيده الصّغير مخائل النجابة والذكاء، والحفظ واستقامة الأخلاق وحسن السّلوك، فكان يشرف على تربيّة حفيده ويعنى بتحفيظه القرآن الكريم ويشرف على ذلك بنفسه وبإشرافه ورقابته الدائمة وكما قلنا فقد كان الحفيد ذكيا قوي الحافظة فأتم القرآن الكريم في سن مبكرة وأجاد حفظه .



ثم انخرط في الدروس على شيوخ عصره واستوعب الكثير من مبادئ العلوم العربيّة والشّرعيّة والأدبيّة التي كان يلقيها بالزاويّة التجانيّة، وبعض المساجد علماءُ مشهودٌ لهم بالتعليم والتربيّة السّلفيّة الإصلاحيّة أمثال الشّيخ عمار بن لزعر والشّيخ محمد اللقاني السّايح.. كما تلقى بقمار دروسا في العربيّة والبلاغة والأصول عن الشّيخ الأديب الشّاب محمد العزوزي حوحو ابن قاضي البلد إذ ذاك المرحوم الصّادق حوحو.

يعترف الشّيخ محمد الطاهر بفضل شيخه عمار بن لزعر عليه علميا وتربويا وتوجيهيا، فهو الذي نفخ فيه من روحه الإصلاحيّة التي أهّلته لأن يكون خليفة له بعد هجرته إلى الحجاز، يقول الشّيخ محمد الطاهر: وكانت أغلب دروسي التي قرأتها في السّنوات الأخيرة عليه (قبل سنة 1927 أي قبل التحاقه بجامع الزيتونة بتونس) كما أنه اشتهر بقيادة حركة الإصلاح بقمار خاصة وبسوف عامة فكان مرموقا من جميع المصلحين، غير أن ذلك كوّن له أعداء وأضدادا من الطرفين.

ويضيف منوّها بفضل جده عليه فيقول: " وكنت في بادئ أمري لما كان الجد حيا أنقل كل ما أسمعه وأفهمه من الدروس إلى الشّيخ الجد وأعيده عليه، وكان يحرضّني على الحضور للدروس وإعادة ما أفهمه عليه.وقد قوي عزمه، وتحقق أمله في أن يرسلني إلى تونس لإتمام تعليمي بالزيتونة، حتى أنه أوصى والدي بأنه إذا قدّر الله له الوفاة قبل تحقيق الأمنيّة بإرسالي إلى الزيتونة، أن يلتزم بتحقيق أمنيته تلك، وتكون نفقة القراءة وجميع مصروفاتها كامل سنوات التعليم من مال الجد ورزقه. وكانت تلك وصيّة نافذة قام بها الوالد أحسن قيام، فأتممت دراستي وتحصلت على شهادة التطويع (1934) فأكمل الله بذلك أمنيّة الجد بعد وفاته، أثابه الله خير ثواب، وأجزل له العطيّة يوم الحساب."

العودة من الزيتونة

أتمّ شيخنا دراسته بالزيتونة وعاد إلى مسقط رأسه قمار بعد حصوله على شهادة التطويع ـ التحصيل فيما بعد ـ وأكثر منها بما فتح الله عليه من حفظ وذكاء وفهم وذوق، واجتهاد وتقوى.

بعد عودة الشّيخ رحمه الله من تونس الخضراء سنة 1934، بعد أن ملأ وطابه من العلوم الشّرعيّة والأدبيّة العقليّة والنقليّة. بدأ مواجهة صعوبات الحياة ومشكلاتها العمليّة الواقعيّة، زوّجه أبوه من أخت زميله ورفيقه وصديقه الشّيخ الحفناوي هالي وكان ذلك سنة 1935.

ومع ذلك، ورغم كل ذلك، كان شيخنا ينشر العلم ما استطاع، ويثير العزائم وينشر مبادئه الإصلاحيّة السّلفيّة ولواعج نفسه الوطنيّة، فالتفّ حوله بعض الطلبة، وبعض ذوي النفوس الطاهرة الزكيّة مما جعله محل مراقبة وإزعاج من طرف أذناب السّلطة الاستعماريّة التي رأت فيه خطرا على وجودها واستقرارها وتمثل ذلك في الحاكم المحلي (القايد) وأعوانه وجلاوزته الذين كانوا يراقبونه من مغداه إلى رواحه، ويحصون عليه حركاته وسكناته وينقلون عنه كل شاردة إلى القائد الفرنسي بالوادي.

مديرًا لمدرسة النجاح

مدرسة النجاح العربيّة التي فتحت أبوابها يوم 19 أكتوبر 1948م، أدارها المرحوم، ومعه مجموعة من المدرّسين الزيتونيين المؤهّلين: الشّيخ التركي، سعداني عبد العزيز، سعداني محمود، وغيرهم... بقيت المدرسة منذ افتتاحها، وهي تحت إدارته رفقة عديد الأساتذة الزيتونيين من قمار: سعداني عبد العزيز، سعداني محمود، الشّيخ التركي، الوصيف الصّادق، وغيرهم؛ دون أن تكون لها مرجعيّة تربويّة سوى إخلاصه، ومهارته، وبرنامج جمعيّة العلماء دون التبعيّة لها، فكان الشّيخ التليلي هو المدير، والمعلم والمراقب والمسؤول على كل ما يجري فيها أمام الأعيان والسّلطة المحليّة. بقيت مدرسة النجاح تمارس التعليم العربي الحر بإدارته إلى استقلال الجزائر.

خرّجت العشرات من بنات وأبناء قمار، فكانوا نعم إطارات الجزائر الفتيّة بعد الاستقلال.

عزلته الاختياريّة

عزلته كانت شديدة بحيث رفض كم مرّة استقبال وسائل الإعلام المرئيّة، وأنا شاهدٌ على ذلك إذْ كنتُ أرافق هؤلاء، غير أن الشّيخ كان يرفض الظهور في هذه الوسائل؛ كما أنه كُرّم في دار الثقافة بالوادي ورفض الحضور، وكذا في المركز الثقافي بقمار، فكانت استقبالاته لأصدقائه القدماء في الغالب لا يرفضها. وأشدّ محنة تعرّض لها وهو في هذه العزلة عندما استفتوْه في أواخر سنة 1991

فـي شـأنٍ لـه علاقـة بالمخـاض السّياسـي الـذي هـزّ الجزائـر مـن أقصاهـا إلـى أقصاها، ولـم يُجـار فـي فتـواه مـا كانـوا يبغـون تزكيته علـى لسـانه، فاتُّهمـوه حينهـا بشـتّى النعـوت الدونيّـة المسـيئة لشـخصه، والتـي لـم تـراع شـيخوخته، ولا قيمتـه العلميّـة ممّـا أدّى بـه إلـى عزلـة أكثـر إلـى أن غـادر هـذه الدنيـا الفانيّـة يـوم: 11 نوفمبـر 2003 وكانـت جنازتـه مهيبـة حضرهـا القاصـي والدانـي مـن ربـوع منطقـة وادي سـوف، وخارجهـا.

بشير خلف

المصادر :

ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

محمّد الطّاهر رگاني (الفرگاني)
(1347هـ - 1928م / 1438هـ - 2016م)

المالـوف فـن عريق، يعـد من أبـرز الأنواع الغنائيّة الكلاسـيكيّة الأندلسـيّة التي اشـتهرت بها مدينـة قسـنطينة، ويتغنى هـذا النّمط الفني بالطّبيعـة وجمـال المـرأة والحـب، مسـتمدا أشـعاره مـن التّراث الشّـعبي الجزائـري. ومن الشّيوخ الذين برزوا في هذا المجال بسطانجي عبد الكريم، شـقلب عمار، بـن طوبال علاوة، علي خوجة حسونة، بن العمري محمّد العربي، ليريـس ريمون، رگاني حمو، هذا الاخير الذي تألق في نـوع الحـوزي والمحجـوز ،وهو من عائلة فنية، وأثر بأسلوبه الفني على افراد أسرته مما جعل كل من ابنه الاكبـر الزّواوي، والبنت زهـور، والابن الصّغير محمّـد الطّاهر يحدون حـدو الاب ويفرضون انفسـهم على السّـاحة الفنيّة خاصّة محمّد الطّاهر. الذي كان يتردد مع ابيه وهـو صغير على فرق الخوان (العيسـاوة) للاستماع لقصائد مدح وذكر النّبي ﷺ.

ولد رگانـي محمّد الطّاهر المدعو الحاج محمّـد الطّاهـر الفرگاني رفقـة توأمه زلوخة بمنـزل (دار الطّواحنـي) بمدينـة قسـنطينة، مـن مواليد 9 ماي 1928، ثم نشـا وترعرع في احضان اسرته بحي (سيدي الجليس)، ولج مجال الفن في سـن مبكرة إذ لم يتجاوز سنه خمسـة عشرة سـنة حينها كان الشّاب محمّد الطّاهر مغرمـا بالمألوف القسـنطيني، أحب الفن وفضله على حسـاب الدراسـة، وانفرد عن اخوته بصوته الرّخيم وأدائه المتميز.

ورحلـة الالف ميـل تبدا بخطـوة، بدايتها كانت مـع جمعية (طلـوع الفجـر) التي كان يتراسـها محمّـد دردور، بهـا تعلـم رگانـي محمّد الطّاهـر الغناء والعـزف على الآلات الموسـيقيّة برفقـة السّـقني محمّـد، وأول



الـة موسـيقيّة بـدا العـزف عليهـا آلـة النّـاي (الفحـل)، وتقريبا فـي نفـس المرحلة عرج رگاني محمّد الطّاهـر الى فرقة (البدر) وهي فرقة خاصّـة بالتمثيـل، كان يتراسـها انا ذاك عمـار بن مالك بحيث مثل بها محمّد الطّاهر وعمره لا يتجاوز السّتة عشرة سنة، وأسند له دوران، الاول في مسـرحية (عنتر بن شـداد) للكاتـب أحمّـد شـوقي، الـى جانـب عمـار بن مالـك، طواش محمّـد الصّالـح، بوزيد، سـليمان بوديـدة وغيرهـم من ممثلـي مدينة قسـنطينة. الدّور الثّاني في مسـرحيّة (الوداع الأخيـر) كان ذلـك في شـهر أفريل من سـنة 1945 مع كل من سـليمان بوديـدة، عوماري معمر وشـطاب الصّغير، وبرز في هذا العمل الفنـي الرّائـع الـذي جـاب تقريبـا كل القطر الجزائـريّ، بحيث أعجـب به الفنـان الكبير محـي الدّين باشـطارزي بالجزائـر العاصمة وسجله بالإذاعة.

إلى جانب هـذا، كان رگاني محمّد الطّاهر يمـارس حرفـة الطّـرز التّقليدي القسـنطيني، وهي حرفة كل اسرة رگاني من القدم، كما كان يتردد علـى افواج الكشـافة الاسـلاميّة وحلبة الملاكمة.

في الحقيقة رگاني محمّد الطّاهر كان يحب الغناء المشـرقي، ما جعله يلتحـق بفرقة الغناء العصـري والمشـرقي للفنان ميسـوم بالجزائر العاصمة وشـارك فـي دورات فنية لمدة سـنة، ليعـود بعدها الى مدينـة الصّخر العتيق ويتعلم الطّبوع القسـنطينية، فعلى يـدّ أبيه رگاني حمو تعلـم اداء غنـاء مقاطـع الحوزي ثـم مع علي خوجة حسـونة تعلم الزّجول، بحيث في سـن 28 سـنة ابهر شيوخ وكبار عشـاق المالوف في حفل لغنائه لمقاطـع الزّجل. كما تعرف على ايقـاع المالـوف علـى يدّ الشّـيخ قـارة بغلي المدعـو (بابـا عبيد) اضافـة الى عبـد القادر تومي الذي علـم وزود رگاني محمّد الطّاهر بقصائد المألوف لمدة اربع سنين،

تشـاء الصّـدف ان يحفـظ رگانـي محمّد الطّاهـر اول قصيدة مألوف بعنـوان (ظالمة) فـي حفـل زفـاف لعائلة بـن جلول عـلاوة، ايـن اسـتدعى هـذا الاخيـر فرقـة براشـي والمتكونـة مـن رگاني الـزّواوي، درسـوني قدور، عبـد القادر بن جبـار، بويموت علي، اضافـة الى بن قليل عازف علـى الة الكمان. هذا الاخيـر تعذر عليـه الحضور مـع الفرقة واسـتدعي مكانه رگاني محمّد الطّاهر الذي لم يكن حينها يلـم كثيرا بالمألوف، وبمجرد مسـاهمته فـي احيـاء سـهرات هـذا العرس لمـدة أسـبوع حفـظ رگانـي محمّـد الطّاهر (ظالمة) عن ظهر قلب بمجرد السّماع فقط، كما سـجل أيضا مشـاركته ضمن فرقـة قارة بغلـي المدعـو (بابا عبيـد) الـى جانب فرق أخـرى حتـى سـنة 1948 ايـن اسـس رگاني

محمّد الطّاهر فرقته الخاصّة تحت اسم (جوق الافراح)، والمتكونة من عدة فنانين أمثال الفكاهي وشن محمّد المدعو قاسي القسنطيني، بودراع الطّيب، بويموت محمّد الطّاهر، باش خزناجي مصطفى، عاشق عمار ومحمّد التّوهامي من تونس.

حبه للغناء جعله يتاثر لبعض مقاطع المالوف، كنوبة سايكة المجنبة المعروفة باسم (ياناس ما تعدروني) تأثر كثيرا في نفس رگاني محمّد الطّاهر وتجعله يبكي، ولربما الفنان الوحيد الذي يتأثر بالمألوف.

رگاني محمّد الطّاهر كان محبوب لدى الاوساط الشّعبيّة وحتى مشايخ المالوف، التي احيت حفل زفافه سنة 1950 أمثال الشّيخ حسونة علي خوجة، قارة بغلي (المدعو بابا عبيد)، عبد القادر التّومي وغيرهم من المشايخ.

وأصبح اسم رگاني محمّد الطّاهر معروفا ومطلوبا لا حياء السّهرات الفنيّة او الحفلات العائليّة ليصل به الامر لتسجيل أول اسطوانة في اواخر سنة 1953 مع المنتج التّونسي رصايصي قدور بأغنية (حبيبك لا تنساه)، بحيث لقي هذا التّسجيل رواجا كبيرا لدى محبي المالوف. مما جعل رگاني محمّد الطّاهر يفوز بالجائزة الاولى وبنفس الاغنيّة في مهرجان اقيم بمدينة عنابة.

بطبيعة الحال استمر رگاني محمّد الطّاهر في تسجيل الاسطوانات وكانت ثاني محطة له بالاشتراك مع محمّد دردور تحت اسم (DEREPHONE) اسم يرمز للثنائي DE عن دردور وRE عن رگاني، ثم باسمه الخاصّ (حسن المنيار) ليحولها فيما بعد الى (صوت المنيار). كما سجل بعد الاستقلال الى جانب المغني عبد المؤمن بن الطّبال وقدور درسوني مع الدّيوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، عشر نوبات وهذا لحفظ التّراث القسنطيني.

بالبحث والتّسجيل يعود الفضل لرگاني محمّد الطّاهر وابنه سليم في أنقاذ واحياء بعض مقاطع الزّجل والمحجوز، على سبيل المثال مقاطع للشيخ حميدة بن مسبح، و(جا رسول زين النّقة) و(حرم لمنام أسهادي) وغيرها، مما جعل رگاني محمّد الطّاهر يساهم في تشكيل ذاكرة الفن الاصيل (المالوف) الجزائريّ عبر الزّمن.

بعد الاستقلال شارك الفنان رگاني محمّد الطّاهر في جوق مدينة قسنطينة، الاول تحت اشراف تومي سياف عبد القادر والثّاني عموشي ابراهيم والثّالث درسوني قدور. وتخليدا لفن المألوف اسس جمعيّة (الفرگانية) ليتعلم على يده العديد من الفنانين والفنانات.

بعد مشوار فني قارب السّبعين سنة، كمغني وملحن ومنتج وموزع، حيث سجل فيها حوالي 300 تسجيل بمختلف الاشكال وافته المنية عن عمر ناهز 88 عاما في 7 ديسمبر 2016 بالعاصمة الفرنسيّة باريس بعد علاج طويل، وتقديرا لما قدمه للفن الجزائريّ عموما والمألوف على وجه الخصوص، أطلق اسمه على مسرح قسنطينة احتراما لهذا العملاق الذي يُعد من أحسن سفراء الثّقافة والفن الجزائريين في الخارج. وقبل وفات الفنان رگاني محمّد الطّاهر ترك وصية يقول فيها "لابد على الاجيال المتعاقبة أن تعتني بفن المألوف حتى يبقى موروثا تاريخيا".

محمّد غرناوط

المصادر:

ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

محمّد الطّاهر عزوي
(1347هـ - 1929م/1427هـ - 2006م)

ولد الأستاذ محمد الطاهر عزوي يوم 08 أكتوبر 1929 بمنطقة إيشمول القريبة من أريس في ولايّة باتنة، حفظ القرآن الكريم بقريّة الحَجاج، وتلقى العلوم الشرعيّة والعربيّة بها وأيضا بمنطقة مشونش التابعة لولايّة بسكرة، إلتحق سنة 1952 بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة لمزاولة دراسته المتوسطيّة ولتعميق معارفه، وهذا المعهد كان فتح أبوابه للطلبة العام 1947م، ويعد قيمة مضافة وامتدادا للدروس العلميّة التي كانت تقدم بالجامع الأخضر من قبل الشيخ ابن باديس، مع تطور في الإدارة والتجهيز والأسلوب التعليمي، فقد تفضلت جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين بإنشاء هذا المعلم تخليدا لذكرى الشيخ، ومواصلة جهوده في نشر التعليم العربي الحر وبعث الثقافة العربيّة الإسلاميّة في الجزائر، فأسسته بمسقط رأسه وأطلقت اسمه عليه. ويقع مقره بساحة (البطحاء) بوسط المدينة خلف المسجد الكبير الواقع بشارع العربي بن مهيدي المعروف بـ(الطريق الجديدة)، ويعد هذا الإنجاز مفخرة ومكسبا يشهد لجمعيّة العلماء، لأنه النواة الأولى للدراسة الثانويّة المعربة في تاريخ الجزائر المعاصر، وقد تعدت تكلفته خمسين50 مليون فرنك فرنسي قديم كلها من تبرعات الشعب.

ألقي عليه القبض في أريس في مارس 1955، ومكث في السجن نحو أربعين يوما بمدينة أريس، ثم نقل مع أفراد من عائلته إلى معتقل (الجرف) الذي يقع على بعد عشرين كلم شرق مدينة المسيلة – ملتقى ثلاث ولايات تاريخيّة – وبالضبط في بلديّة أولاد دراج وقد أقدمت الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة على تحويل القريّة الفلاحيّة الجرف الى معتقل بتاريخ 01 أكتوبر 1955 م بعد احاطته بثلاثة خطوط من الأسلاك الشائكة والمكهربة،

وبعدها قامت بنقل حوالي 589 معتقل غير مدانين قضائيا وانما محتجزين إداريا من أصحاب الرأي والسياسيين والأشخاص المتعاطفين مع الثورة والمشوشين من الشعب بتعبير القياد والباشاغات، وكل شخص مشتبه فيه اذ وصل عدد المعتقلين سنة 1959 م حوالي 1200 شخص.

كما نقل أيضا إلى معتقل (بوسوي) الواقع ببلديّة الضايّة على بعد 60 كلم من سيدي بلعباس، الذي يعد من أعنف وأكبر المعتقلات في الجزائر ابان فترة الاحتلال الفرنسي، وهو عبارة عن بنايّة قديمة بها 13زنزانة متواجدة داخل ثكنة عسكريّة لازالت تحتفظ بمعالمها كاملة في أعالي جبال الضايّة التي تميزها البرودة الشديدة في فصل الشتاء، ولازالت زواياه تحتفظ ببعض من أدوات التعذيب منها سلاسل كان العدو يكبل بها أيدي وأرجل المسجونين وأسلاك كهربائيّة فضلا عن أسرة أنجزت بواسطة مادة الاسمنت المسلح هي شاهد حي على وحشيّة الاستدمار الفرنسي في الاضطهاد النفسي والبدني، وأيضا قضى فترة بمعتقل لودي الذي يقع غرب مدينة المديّة، حيث كان عبارة عن مخيم صيفي لأبناء عمالة السكة الحديديّة، ثم حول إلى معتقل، وهو يشكل استثناء واضحا بين كل المعتقلات وكل المحتشدات والسجون التي أقيمت في الجزائر، نظام الاعتقال به مثل نظام الداخليّة بالثانوي، يتمتع فيه المعتقلون بأغطيّة جديدة وأسرة وعيادة ومكتبة، وزيارة الاقارب والأصدقاء غير ممنوعة والرسائل لا تحجز، والدروس تنظم من طرف المعتقلين الذي يقضون بعضا من وقتهم في أمسيات ترفيهيّة، ولا يعانون من سوء المعاملة.كما اعتقل بمعتقل سيدي الشحمي الذي يقع جنوب شرق وهران، فتح صيف 1957 لاستقبال المحولين إليه من معتقلي بوسوي والجرف، لا يتمتع فيه المعتقلون بأي استقرار ولو أن التعذيب والاضطهاد به أقل من معتقل آركول، وقد مكث فيه إلى غايّة استرجاع السيادة الوطنيّة.

التحق سنة 1962 بمعهد الدراسات العربيّة بجامعة الجزائر ومنه تخرج سنة 1967، حيث عين أستاذا لمادة التاريخ في ثانويّة المقراني بابن عكنون، وفي سنة 1974 عين مدير لثانويّة صلاح الدين الأيوبي بباتنة إلى تاريخ تقاعده سنة 1990، حيث تفرغ بعدها للبحث والكتابة التاريخيّة.

يعتبر الأستاذ عزوي من الأقلام التي ساهمت في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر وخصوصا تاريخ منطقة الأوراس حفاظا على الذاكرة الجماعيّة للثورة الجزائريّة، ومواضيعه التي نشرها في عدة جرائد وصحف خير شاهد على ذلك، كما كان له شرف المشاركة والإشراف على جمع وتصحيح وتبويب وتنظيم وطبع ما أنتجته جمعيّة أول نوفمبر لتخليد وحمايّة مآثر الثورة في الأوراس التي تأسست سنة 1988 برئاسة المجاهد المرحوم محمود الواعي، وما أنتجته جمعيّة رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس التي تأسست سنة 1997 برئاسة المجاهد الصالح عزوي، كما كتب مقدماتها جميعا،

أصدر

– الغزو

توفي يوم 6 أوت 2006 اثر حادث مرور بنواحي البويرة.

طارق ثابت

المصادر:

جريدة الشروق اليومي، عدد أوت2006.

محمّد الطّاهر فضلاء
(1336هـ - 1918م/1425هـ - 2005م)

محمّد الطّاهر بن السّعيد فضلاء، المولود في سيدي موسى، بني وغليس، بسيدي عيش ولايّة بجايّة، والمتوفى في الجزائر العاصمة.

قضى حياته في وطنه الجزائر وزار عددًا من البلدان العربيّة والغربيّة.

أخذ مبادئ اللغة العربيّة وحفظ القرآن الكريم على يد والدّه بزاويّة قريته، سافر إلى مدينة قسنطينة في عام 1935 ودرس بالجامع الأخضر على يد العلامة الشّيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعيّة العلماء، المسلمين، كما درس أيضًا على يد علماء أجلاء آخرين إلى أن نال إجازتهم جميعًا.

وبعد تخرجه وتحصيله مختلف علوم عصره، التّحق بسلك التّعليم التّابع للمدارس الحرّة لجمعيّة العلماء المسلمين، كما تنقّل بين وظائف تعليميّة عديدة في وزارة التّربيّة الوطنيّة كان آخرها مديرا محافظًا للمكتبة المركزيّة الحكوميّة.

دخل السّجن وتعرّض للتعذيب مرّات عديدة عام 1945 على يد سلطات الاستعمار الفرنسي نظرًا لمواقفه الوطنيّة الشّجاعة، لقد كان عضوًا في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وعضوًا في اتحاد الكُتّاب الجزائريين، وكانت له مشاركات متميزة في المؤتمرات الإسلاميّة.

أشرف على الفرقة المسرحيّة للرّاديو ثم أسس سنة 1949 فرقة "المسرح العربي الجزائري"، وكان البشير الإبراهيمي قد شهد لصاحبنا بريادة المسرح النّاطق بالعربيّة الفصحى في الجزائر تأليفا وتمثيلا، إذ يقول في ذلك: "وتعاطى التّمثيل العربي، بل لعله كان أول من فتح هذا الباب، وكتب بقلمه عدة (مسرحيات) كان بها أول من أشرك العربيّة في

هـذا البـاب العظيـم مـن أبـواب الأدب العربي".ويضيـف الشّـيخ علـى نفـس النّسـق: "ورحـل إلـى الشّـرق واقتحـم ميـدان الفـن مـع فحولـه، فأخـذ عنهـم سـلامة الإلقـاء وحسـن الأداء"

بالإضافـة إلـى ذلـك فقـد أشـرف علـى تقديـم برامـج ثقافيّـة وتربويّـة فـي الإذاعـة والتّلفزيـون الجزائـري لسـنوات عديـدة.

آثاره:

خلّـف محمّـد الطّاهـر فضـلاء العديـد مـن المؤلفـات، كانـت فـي أغلبهـا تعريفـا برجـالات جمعيّـة العلماء المسـلمين، فمن كتبه :

- عبـد الحميـد بـن باديـس وأوثـان ا لا سـتعما ر .
- قـال الشّـيخ الرّئيـس الإمـام عبـد الحميد بـن باديس.
- الإمـام الرّائـد الشّـيخ محمّـد البشـير الإبرا هيمـي .
- الشّـيخ الطّيّـب العقبـي: آثـاره وأعمالـه وجهـاده.
- دعائم النّهضة الوطنيّة الجزائريّة.
- المسرح تاريخا ونضالا.
- أصول الفقه.
- الشّيخ محمّد خير الدّين: آثاره ومآثره.
- التّزييـف والتّحريـف فـي كتـاب حيـاة كفـاح.
- أعلام الجزائر.
- الشّـيخ السّـعيد أبهلـول الورتلانـي فـي مجموعـة مـن رسـائله ومجالسّـه وفتاويـه.
- وغير ذلك من المقالات الكثيرة

نتاجه الأدبي:

طبـع لـه ديـوان تحـت عنـوان "السّـحر الحـلال" عـن دار هومـة وذلـك عـام 2006 أي بعـد سـنة واحدة مـن وفاته. ولـه قصائد متفرّقـة فـي الصّحـف والمجـلات وفـي بعـض مصـادر دراسـته. بالإضافـة إلـى أعمال مسـرحيّة عديـدة ومؤلفـات متنوّعة.

ومـا يمكـن أن نلاحظـه علـى شـعره هـو أنـه يتمحـور حـول القضايـا الوطنيّـة والإسـلاميّة والوجدانيـات، فشـعره علـى العمـوم متنـوّع فـي معانيـه وتراكيبـه، فقـد كتـب الشّـعر العمـودي كمـا كتـب شـعر التّفعيلـة. أمـا لغته فهـي جيدة منتقـاة وظّفها توظيفًـا ملائمًـا لتجربتـه الشّـعريّة النّاضجة متماشـيّة مـع ثقافتـه الموسـوعيّة، وقـد جـاء أسـلوبه رصينًـا ومحكمًـا. فـي حيـن أن خيالـه كان نشـطًا، لذلـك جـاءت صوره الشّـعريّة ذات إيحـاءات دلاليّـة مكثفة. فهو فـي واقـع الأمـر يعـدّ مـن شـعراء الجزائـر المجدديـن.

نماذج من شعره:

لو أستطيع..؟

لو أستطيع قلبتُ طبعَكِ
فيكِ أخلاقًا جديدهْ
وملأتُ أفقَك بالحياةِ
حقيقةً فغدوتَ عيدهْ
فمنحتُها معنىً طريفًا
الورى فغدا نشيدهْ
لكنّ شدةَ بأسِ طبعِك
فيك يجعلُك "العنيدهْ"
فمنحتُه الآمالَ والأحلام
والمُتَع الرّغيدهْ
وملأتها خمرًا تُذيبُ
البأس في النّفس الوحيدهْ
لكنّ مَنْ ملَك الأماني
ما عساها أن تفيدهْ؟
يا زهرةً فوّاحةً
من روض أزهار "البُلَيْدَه"
ما أنتِ إلا أيكةٌ
قد جمعتْ روحًا شريده
فخذي الحياة حقيقةً
ودعي الخيال، فلن يفيده
هو لا يريد حصاة نبعٍ
فوق "جرجرةَ" العتيده
هو لا يريد وميض برقَ
من فضا السّحبِ البعيده
هو لا يريد حمامةً
تشدو على شفةٍ مهيده
هو لا يريد من الهوى
لحنًا يُشَيِّعُه شهيده
هو "لا" لهذا الحلم، هذا
السّخفِ في الدّنيا الجديده
هو "لا" لمن بالرّغم تشدوه
مردِّدةً نشيده
صُهرت على سندانةٍ
للحبّ في هذي القصيده
فتعطّفي وترفّقي،
فالصّدُّ لا يُجدي وريده
هو لا يرى للحب ظُلْمًا
ينسج الحلْم الضّميده

أوامر الحب..

حاذري الهُزْءَ، بحبي وهيامي
واملئي القلبَ ارتشافًا من مُدامِ
بادري المعروفَ بالسّحر الذي
يملأُ النّفسَ ارتواءً من أُوَام
غادري طبعَك في رفضِ المنى
واهجُري الجَورَ ولوذي باعتصام
سَامري العاشقَ بالسّرّ الذي
يملأ الأكوان من نيل المُرام
ناظري أعجوبةَ العقلِ الذي
يحجبُ النّورَ قتامًا في ظلام
خاطري في عكسِه ثمَّ اِربحي
لذَّةَ الدّنيا بصحوٍ من فطام
إنما الدّنيا جمالٌ وهيامٌ
وسعيدٌ من قضى رهنَ الغرام

من قصيدة:

بعد مكالمة هاتفيّة..

ولقد هويتُكِ والهوى أضناني
فحديثُك الفتّان ملءُ جَناني
وسمعتُ شَدْوَك في الصّباح فخِلتُه
متنزِّلا من عالَمٍ نوراني
شدوٌ أرقُّ من النّسيم وقد سرتْ
نَغَماتهُ في مهجتي وكياني
بنت الأكارمِ قد ملكتِ حُشاشتي
وخَلَبت لُبي واعتقلتِ لساني
فسبيتِني وأسرتِني فأنا لأمرك
سامعٌ ولحكم أهلِك عاني
أصبحتُ في أسرِ الهوى مذ أرسلتْ
شفتاك سهمًا صائبًا فدهاني
رفقًا بمفتونٍ بحبك هائم
في مهمَهِ الأشجانِ والأحزان
لا تُبخلي عني بوصلِك إنّه

سُلوانُ قلبي بل هوى وجداني أختاه مهلا لا تظني أنّني أهديكِ شعري طالبًا لتداني
فصلِي بربّك يا "ربيعةُ" واعلمي قد هِمْتُ منك بمِعصمٍ وبَنان
أني أسيركمُ مدى الأزمان لا تحسبي بنتَ الأكارِم أنّني

رابح دوب

المصادر:

- عاشور شرفي: الكُتّاب الجزائريون، قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2008؛
- محمّد الحسن فضلاء: المسيرة الرّائدة للتعليم العربي الحرّ بالجزائر - شركة دار الأمة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر 1998؛
- رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014.

محمّد العدواني

عاش بين ق (10 - 11هـ/17م)

هو الشّيخ محمّد بن محمّد بن عمر، ينتمي إلى قبيلة عدوان التي سكنت بالمنطقة، ولد صاحب التّرجمة، حسب بعض الرّوايات في بلدة الزّقم بوادي سوف، وبها نشأ وترعرع في أحضان عائلته وقبيلته، إلا أنّ تاريخ ومكان ولادته لم تذكره المصادر التّاريخيّة، وتشير بعض المصادر أنه عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر هجري (10 - 11هـ) الموافق للقرن السّابع عشر الميلادي (17م) فيكون حسب هذه الرّوايّة التّاريخيّة ميلاده أوائل القرن العاشر ووفاته أواخر القرن الحادي عشر هجري الموافق ميلاديا بين القرنين (17م - 18م) أما الحياة التّعليميّة والدّراسيّة للمترجَم له، فإن المصادر التّاريخيّة لم تذكر لنا ذلك بالتّفصيل والتّدقيق، واختلفت الرّوايات في ذلك، فمنهم من يقول، إنه حفظ القرآنَ الكريم في محيطه، القرآنُ الكريم الذي كان يعتبر العمدة في بدايّة طلب العلم في ذلك الوقت، ثم واصل طلبه لبقيّة العلوم العربيّة والفقهيّة والتّصوف في مختلف المناطق والبلدان التي زارها دون أن ننسى بيئته التي كان لها تأثير خاصّة لدى الطرائق الصوفيّة التي كان لها اهتمام كبير بتاريخها ورجالاتها.

كما استفاد من الثّقافة الشّعبيّة التي كانت سائدة في ذلك الوقت كالأمثال الشّعبيّة والحِكم والألغاز والقِصص والأساطير والرّوايات، ذكرت ووصفت كلها في كتاباته.

ويعتبر محمّد العدواني حسب بعض المصادر التّاريخيّة من الذين كتبوا كثيرا في التّاريخ والتّصوف، كان هذا الرّجل الذي اختلفت الآراء في شأنه فمنهم من يعتبره من أبرز أعلام منطقة سُوف واستدل ذلك بأنه: فقيه، مؤرّخ، رحالة، ومتصوف.

فهو رجل موسوعي بالنّظر إلى النّشاط الكبير الذي قام به من خلال رحلاته داخل وخارج الوطن حيث رحلّ إلى المشرق العربي يقصد الحج، كما كان دائم الاتصال بمواكب ومراكز الطرائق الصوفيّة في المشرق العربي، وتحدث عن زيارته لشيخه البكري في بلاد الشّام، ومثلها رحلته إلى بلاد السّودان وأنطاكيّة وسمرقند، أيضا ذهب إلى بلاد الهند، دون أن ننسى بلاد العراق والالتّقاء بشيخه مصطفى البغدادي الذي تلقى عند مقامات الصالحين، أما مصر فهي طريقه إلى المشرق وبلاد المغرب العربي فكان دائم الحلّ والتّرحال إليها، ورحلاته إلى داخل الوطن خاصّة قسنطينة حتى أنّ البعض نسبه إليها.

قول عن هذه الشّخصيّة ما قاله مؤرّخ سُوف الدّكتور الفاضل علي غنابزيّة (أن حياة العدواني لها صلتها الوثيقة بما كتب ودون رويّة وفصل في كتابه المنشور والذي لم يسلم من الإضافة والنّقصان ولا نملك الدّلائل والبراهين المؤكدة، ولكن الحس التّاريخيّ والتّخمين المنطقيّ يقضي على التّوجس الوارد، والذي يلح على البوح به دون حرج مادامت النّسخة الأم من المخطوطة غائبة، وما تداولتها الأيدي من نسخ اعتراها الاختلاف، وقد حقق الأستاذ أبو القاسم سعد الله الكتاب بروح علميّة وموضوعيّة متجردة ومنهجيّة علميّة استطاع وضع العدواني في إطاره العامّ، ويبقى كتابه وثيقة عظيمة الفوائد بالغة الأهميّة ومعْلما أساسيا لكتابة تاريخ وادي سوف وبلاد المغرب الإسلامي، وكذلك في العصر الحديث في مجالها المحلي والإقليمي، وعموما فالشّيخ محمّد بن عمر العدواني أصيل سوف وأحد الأمجاد الخالدّة في تاريخ المنطقة في القديم والحديث).

وبعد عمر حافل بالعطاء، انتقل صاحب التّرجمة إلى جوار ربه ودفن بمقبرة بلدة الزّقم بوادي سوف، وقبره معروف.

التّجاني العقون

المصادر :

الموسوعة الحرة ويكيبيديا 2020

محمّد العربي بن مهيدي
(1341هـ - 1923م/1376هـ - 1957م)

«محمّد العربي بن مهيدي» رجل ثوري ومثقف، من أبرز قادة الثّورة الجزائريّة ومفكريها المعروفين، ولد سنة 1923 بقريّة «الكواهي» بعين مليلة.

تعلم بن مهيدي القرآن الكريم واللغة العربيّة في الفترة مابين 1931-1928 بزاويّة الكواهي، انتقلت عائلته إلى الخروب سنة 1932، ولم تمكث بها طويلا لتنتقل إلى مدينة بسكرة سنة 1937 حيث استقرت هناك.

انخرط بن مهيدي في صفوف الكشافة الإسلاميّة فوج «الرّجاء ببسكرة» سنة 1939 ومثل دور البطل في مسرحيّة «في سبيل التّاج» سنة 1944، بعد ذلك عين كاتبا مناوبا بنادي تابع لحركة أحباب البيان والحريّة سنة 1945.

شارك في مظاهرات 8 ماي 1945 ببسكرة واعتقل وأودع سجن الكديّة بقسنطينة، ويعد من المؤسسين لحركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة سنة 1946.

عين سنة 1947 مسؤولا على منطقة الجنوب بعد إنشاء المنظمة الخاصة

كما تم تعيينه مسؤولا سنة 1949، على منطقة سطيف، قسنطينة، عنابة، تبسة ضمن المنظمة الخاصة.

إثر اكتشاف المنظمة العسكريّة السّريّة من قبل القوات الاستعماريّة في شهر آذار-مارس سنة 1950، حكم على العربي بن مهيدي غيابيا بـ: 10سنوات سجنا مع حرمانه من كافة الحقوق المدنيّة.

شارك في تأسيس اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل CRUA في يوم 23 أذار-مارس 1954، والتي تمخضت عنها جماعة الـ 22 التّاريخيّة

عين على رأس المنطقة الخامسة «الغرب الجزائري»- في التّقسيم الثّوري الجديد- يوم 15 تشرين الأول- أكتوبر سنة 1954.

وبعد اندلاع الثّورة في الفاتح من تشرين الثّاني- نوفمبر بسنتين التّحق



بالجزائر العاصمة في أكتوبر1956، حيث قام بتنظيم معركة الجزائر، التي جرت أحداثها البطوليّة في شوارع القصبة وأحياء كثيرة من المدينة.

قام بتنظيم إضراب الثّمانيّة أيام التّاريخيّة للعاصمة في الفترة الممتدة ما بين 28جانفي إلى 04 فيفري 1957.

ومن الأقوال المأثورة للشهيد «العربي بن مهيدي»:

«ألقوا بالثّورة إلى الشّارع فسوف يحتضنها الشّعب»

«مرة أخرى يحمل الشّعب الجزائري السّلاح ليطرد المحتل الامبريالي ويقيم جمهوريّة ديمقراطيّة اجتماعيّة، وتطبيق نظام اشتراكي يتضمن بالخصوص إصلاحات عميقة وثوريّة ومن أجل حياة كريمة ومن أجل السّلام...»

إن انتصار شعوب المغرب العربي سيكرس المساواة بين كافة ابناء الشّعب بدون تميز وإن لم يكن هناك الاستحقاق فهو كامل قوي للتوازن والسّلام في حوض البحر الأبيض المتوسط، وأن هذا التّحالف سيمكن من إقامة روابط متينة خاصة مع الشّعب الفرنسي في كفاحه ضد الفاشيّة ومن أجل الدّيمقراطيّة وأكثر من ذلك فسيكون حاجزا منيعا ضد الامبرياليّة في إفريقيا».

قبل أن يستكمل رسالته في الانتصار على العدو ألقي عليه القبض في اليوم الثّالث والعشرين من شهر شباط- فيفري عام1957، في شارع كلود ديبوستي، عندما كانت القوات الاستعماريّة تتربص بـ» بن يوسف بن خدة»، لكن ما إن حدث هذا حتى وقع الرّجل الأول في فخ العدو، ولا أحد كان يتصور أن يقع هذا في مكان ذاك، فمهد الرّجلين يتوهج في تاريخ كفاح تحرير وطني واحد، لأن المهم في نظر بيجار هو أن زعيما بارزا قد وقع بين أيديهم، والرّجل كان يعمل في منطقة الجزائر العاصمة المعروفة بالمنطقة الخاصة، إذ منذ مؤتمر الصّومام الذي انعقد في شهر- آب، أوت 1956 والذي ترأس جلسته الأولى العربي بن مهيدي، أصبحت البلاد تتوفر على برنامج سياسي انضمت إليه كافة القوى الوطنيّة.

ومن خلال تدخلاته وكتاباته في صحفية المجاهد الفتيّة النّاشئة التي، خلفت جريدة» المقاومة الجزائريّة» كانت النّظرة العسكريّة وخاصة النّظرة السّياسيّة بارزتين في آراء بن مهيدي وسلوكاته، وقد أراد تطبيق هذه الآراء والسّلوكات بعد انتقاله إلى مدينة الجزائر في صراعه مع القوى الاستعماريّة في المدينة، التي أصبحت منطقة خاصة بموجب توصيات مؤتمر الصّومام. وهكذا أسندت إليه أصعب المهام وأخطرها فتولى المهمة، لكن في إطار منظم هذه المرة مع المناضلين والمناضلات الذين شرعوا في وضع تنظيم حقيقي بالعاصمة يشبه نسيج العنكبوت، وهو التّنظيم الذي يتكون من خلايا سريّة وباطنيّة. ولقد جاء بن مهيدي ليزيدها متانة حيث قال في هذا الصّدد: «ألقوا الثّورة في الشّارع وسترون كيف سيحتضنها الاثنا عشر مليون جزائري»، وفي سنة 1957 التي بدأت بإضراب الثّمانيّة أيام الذي كان تحديا حقيقيا للقوى الاستعماريّة تحولت الجزائر العاصمة إلى جحيم لأن الحكومة الفرنسيّة حاولت تطبيق كل أطروحات المتطرفين الاستعماريين المحليين، فوضعت كل الصّلاحيات ليست للقوات البوليسيّة فحسب وإنما لمظلي الجنرالين ماسو وبيجار، ولم تكن المعركة متكافئة

مما أدى بالعربي بن مهيدي إلى قول كلمته الشّهيرة في وجه معذبيه الذين كانوا يتهمونه بتحويل كل قفة جزائريّة إلى قنبلة: «أعطونا طائراتكم ودبابتكم فسنعطيكم قففنا»،وقال أيضا لبيجار

«إننا سننتصر لأننا ندافع عن الحق والعدالة أما أنتم فتنهزمون لأنكم ظالمون ومعتدون»

وفي 03 «آذار» مارس 1957 حين لقي بن مهيدي ربه معذبا وشهيدا، أجهز عليه معذبوه بالرّكل، لم يكن الرّجل سوى واحد من بين الآلاف من (بن مهيدي) الذين وضعتهم موجة التّحرير على سكة الشّرفاء.

بن مهيدي واعترفات بيجار

للثورة الجزائريّة شهداؤها وهم من أعظم الأبطال، الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم من أجل حياة الجزائر حرة مستقلة، حيث يقف كل يوم الجلادون الفرنسيون الذين ينهالون ضربا وتعذيبا على الأجساد الممزقة للوطنيين الجزائريين على التّجربة المريرة ويعترفون بشجاعة من يعتقدون أنهم ضحاياهم، لكن هم معذبوهم في الأمر الواقع، لأنهم يصابون بالفزع والرّعب أمام هذه الصّورة الخالدّة الأمر الذي يزيدهم وحشيّة وبربريّة.

إن مثل هذه المواجهة بين الجلاد والوطني البطل، يعكسها الحوار بين العربي بن مهيدي وبيجار.. فالعربي بن مهيدي يتقمص شخصيّة شعبيّة ويكشف تحت وطأة التّعذيب، روعة ما تمثله أخلاقيات وقيم الثّور. أما بيجار فيلفه عالم من الكبرياء فيأمر مظليه بقطع أنفاس السّجين العملاق، إذ إنّ كل الخزي والعار للاستعمار الفرنسي. وبينما سجل ابن مهيدي المجد والخلود للشهداء والفوز والانتصار للجزائر الجديدة. سجل بيجار كل الخزي والعار في عمليات عسكريّة إجراميّة كان يعتقد أنها ستعيد السّلم والسّلام للمدينة المهددة بالموت في ظل الجبروت الاستعماري.

في شهر آب- أوت أرسل العقيد بيجار إلى رجاله رسالة مطولة تطرق فيها لعبارات من التّقدير إلى روح العربي بن مهيدي، مكذبا فيها التّنبؤات التي قالها هذا الأخير خلال الاستنطاق، إذ أن العربي بن مهيدي كان متأكدا من الانتصار. ففي كلمة الإطراء المطولة التي جاءت في شكل بيان كتب العقيد بيجار في المدة الأخيرة حول اغتيال العربي بن مهيدي قائلا: «العربي بن مهيدي يعرف كيف يتعذب».

أقوال الجلادين في الشّهيد:

الجنرال بيجار:

«لو كان لي ثلة من أمثال العربي بن مهيدي لفتحت العالم»

«إن العربي بن مهيدي يعرف كيف يقهر الألم... إنه مؤمن بالمقاومة إيمانا أعمق».

وكتب أحد الجلادين لأمه:

«إني مجرم، أنا مجرم، لأني شاركت في جريمة اغتيال رجل ذي مبدأ يدافع من أجل حياة كريمة».

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد العربي دماغ العتروس
(1343هـ - 1924م/ 1439هـ - 2017م)

ولد المجاهد الكبير والوزير الأسبق (محمّد العربي دماغ العتروس) في 24 أكتوبر1924، بحبابة، ولايّة سكيكدة، حفظ القرآن الكريم بجامع الشرفة وزمورة على يد مشايخ القبائل الكبرى ومنهم بلقاسم الحراثي.

زاول تعليمه النظامي باللغة الفرنسيّة بمدينة الحروش، ثم سكيكدة، وتلمسان بين (1939-1937)، أما تعليمه باللغة العربيّة فقدتمّ على يد والده وعمه القاضي وعلى يد آل بن عيسى وهم حفظة القرآن الكريم في زاويّة ايبودرارن، بجرجرة.



رفض محمّد العربي منذ نعومة أظافره الأوضاع المزريّة التي فرضها المستعمر الحاقد على وطنه وشعبه فراح يحاول جاهدا معالجتها بالقول والفعل والكتابة عن طريق النشاط المكشوف حينا، والمساعي السريّة تارة أخرى مساهما مع أخوة له في الكفاح، في محاربة العدو بضرب مصالحه الحيويّة وإفشال مخططاته الدنيئة، وتأليب الرأي العالمي: العربي منه والدولي على الجرائم المتكررة، كما كان لا يدخر جهدا لتعبئة الطاقات الشعبيّة الهائلة عن طريق التربيّة والتعليم وحملات التوعيّة ضمن المهرجانات الشعبيّة بواسطة الصحافة الحزبيّة والمنشورات، وهذا ما جعله يقضي شبابه وقسطا وافرا من حياته بين حل وترحال، يذرع المسافات الشاسعة عبر مختلف مناطق الوطن وخارجه، مشيا على الأقدام تارة، وممتطيا الخيل والبغال وباقي وسائل النقل الأخرى تارة أخرى، لا يصده

عن أداء واجبه لا الترغيب ولا الترهيب متحملا بنفس العزم والجلد التعب المضني وهول الأخطار وصنوف التنكيل والبعد عن الأهل والديار، وضيم الاعتقال ومرارة العزلة في غياهب الزنزانات.

فكانت البدايّة الأولى لنضاله وهو لا يزال شابا غضا في 1939، غداة اندلاع الحرب العالميّة الثانيّة حين التقى بالمناضل المعروف بوقادوم ليسهم في تحرير جريدة (الأمّة) الناطقة باسم حزب شمال افريقيا، ومن ثمّ عضوا فعالا بحزب الشعب.

في سنة 1941، انخرط في صفوف الكشافة الإسلاميّة كمرشد وتدرب على الترجمة ليصبح مترجما قضائيا في المحاكم وتسند له مهمّة مترجم مساعد بمحكمة الحروش.

شارك في حوادث 08 ماي 1945، واعتقل بسمندو (قسنطينة) لمدّة أربعة أشهر ليفرج عنه ويوضع تحت الإقامة الجبريّة.

في عام 1946، شارك في الحملة الانتخابيّة التي قرر حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطيّة الدخول فيها وذلك مع المناضل الدكتور لمين دباغين، ليلتحق بعد ذلك بجريدة صوت الأحرار ثم جريدة الوطن ومترجم لمناشير الحزب، مما كان له الباع الطولي في نشر اللغة العربيّة في صفوف المناضلين.

غداة انطلاق الثورة التحريريّة 1954، اعتقل وسجن بسركاجي ثم أطلق سراحه مؤقتا في جوان العام الموالي 1955، وعند سماعه بأن السلطات الفرنسيّة بصدد تصفيته جسديا رحل إلى فرنسا منضويا تحت اتحاديّة الجبهة هناك كمحرر للوثائق الدوليّة كمذكرات كانت تقدم للأمم المتحدة باسم الثورة، للتعريف بالقضيّة الوطنيّة ودحض أرشيف الاستعمار الفرنسي من كون الجزائر فرنسيّة .

في سنة 1956، كلف بالقيام بالنشاط السياسي لصالح الثورة بأمريكا اللاتينيّة.

في خريف 1957، سافر إلى القاهرة وعمل مع المناضلين عبان رمضان وسعد دحلب مدّة ثم انتدب لتمثيل الجزائر في سكرتاريّة التضامن الإفريقي الآسيوي، كما مثل الجزائر في الاتحاد السوفياتي سنة 1958، في مؤتمر كتاب إفريقيا وآسيا.

ونظرا لنشاطه الدؤوب وحيويته البارزة عين في صيف 1960، عضوا مع الوفد الذي أرسلته قيادة الثورة إلى أمريكا اللاتينيّة للتعريف بالقضيّة الجزائريّة أمثال بولحروف بإيطاليا ومولود قاسم نايت بلقاسم بألمانيا.

في سنة 1962 عيّن بدرجة سفير بباماكو كمساعد مكلّف بالثقافة لدى المكتب الدائم لميثاق الدار البيضاء.

في سنة 1963 يعيّن بدرجة سفير لدى منظمة الوحدة الإفريقيّة فسفيرًا بكلّ من أندونيسيا كمبوديا يوغسلافيا رومانيا اليابان باكستان بنغلاديش وتايلاندا.

عاد إلى الجزائر في 1986، وانتخب نائبا بالمجلس الشعبي الوطني سنة 1987.

عينه الرئيس الشاذلي بن جديد عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، كما عين وزيرا للثقافة سنة 1992.

كان للسيد العربي دماغ العتروس دور في بعث الصحافة النضاليّة وخاصة الصادرة منها باللغة العربيّة فرغم اتقانه لعدة لغات منها الإسپانيّة، واليونانيّة، والألمانيّة، إلا أن هذا لم يشغله عن اللغة العربيّة فقد أحبها إلى حد الهيام وأتقنها فتمكن من سحر بيانها وراح يدافع عنها بشراسة ومواقفه توكد ذلك.

كان رحمه الله مؤمنا صادق الإيمان بقيم الحريّة ومبادئ العدل والفضيلة متمسكا بقيم ثورة نوفمبر الخالدة، إلى أن وافته المنيّة بعد صراع طويل مع المرض، توفي رحمه الله في 28 نوفمبر 2017، عن عمر يناهز 93 سنة، بمستشفى عين نعجة، ودفن بمقبرة الشراگة، الجزائر العاصمة.

قال عنه الأستاذ عبد الحميد مهري: «... الأخ دماغ العتروس ختم النشاط النضالي والثقافي والسياسي، بنشاط دبلوماسي كبير، كان فيه خير ممثل للجزائر عبر رقعة كبيرة امتدت من يوغسلافيا إلى اندونيسيا...»

وقال عنه الأستاذ الأمين بشيشي: «... كثيرا من الناس يتساءل حول السر وراء عدم إقدام الدكتور العربي دماغ العتروس وعائلته، بعد استرجاع الجزائر لسيادتها الوطنيّة على عدم تغيير لقب العائلة، اقصد (دماغ العتروس) إلى لقب آخر، وهو من تشويه الإدارة الاستعماريّة وعبثها بالاسماء بعد الشروع في تسجيلات الحالة المدنيّة، والظاهر أن تلك الإدارة نسيت إلى أن (دماغ العتروس) رأس نطاح قادر على الذود عن أهله وذويه في المساء والصباح...»

سناء **رمضاني**

المصادر:

منبر شخصيّة ومسار، دفاتر المجلس الأعلى للغة العربيّة.

محمّد العزوزي حوحو
(1321هـ - 1904م/1363هـ - 1944م)

محمّد العزوزي بن الصادق حوحو أديب وكاتب ومصلح، ولد ببلدة سيدي عقبة في: 7/ 9/ 1904م، وتعلم بها، تلقى العلم ومبادئ الإسلام الصحيحة عن مشايخ بلدته سيدي عقبة خاصة عن أبيه الصادق حوحو العقبي الذي تولى القضاء، ثم واصل تعلّمه بقسنطينة على الإمام عبد الحميد بن باديس. ثم رحل إلى تونس حيث درس بالزيتونة، كان ذا نزعة إصلاحيّة واضحة متأثرا بالشّيخين ابن باديس والعقبي، وصفه الأستاذ أحمد توفيق المدني في القسم الثاني من مذكراته، ص 100: بأنه كاتب ومفكر في قوله: «والكاتبين المفكرين إسماعيل بن المكي ومحمّد العزوزي حوحو». عُرِف بالثورة على الأوضاع المتردّية التي كانت سائدة في عصره فجادت قريحته بمجموعة من

المقـالات التي تتقد هذه الظـروف على جميع الأصعدة، فاحتضنته العديد من الصحف العربيّة الصـادرة آنـذاك، كمـا اعتـاد إمضـاء المقالات باسـمه أو بأسماء مسـتعارة كـ(جساس) وصفه الدكتور محمّد ناصر بالشّـاب المفكر والكاتب الجريء، توفي رحمه الله بقسنطينة في 18 أو 28 سبتمبر 1944م.

قال الشّـيخ حماني رحمه الله: «هو الأستاذ محمّـد العزوزي حوحو، وهـو أديب كريم من آل حوحـو العقبيين، وهو والـد وزيرنا للصحة اليوم، ومـن تلاميذ الشّـهاب ومدرسـته، وهو أديـب متأنق فـي أسـلوبه، متين اللغـة، فصيح العبارة، لم يرو له كثير لأن المنيّة اختطفته وهو ما يزال في عز شـبابه، ولعـل له آثارا أخرى، لم تنشر، فحبذا لو عمل نجله على نشرها فيسدي لـلأدب العـرب الجزائـري الحديـث خدمـة جليلة.

يعـد الشّـيخ محمّـد العـزوزي حوحو، من الذين أثروا الصحافة العربيّة الجزائريّة بمقالاته النثريّـة التي كانـت تزدان بهـا (المنتقد، صدى الصحراء، البرق والشّهاب ومجلة ...)

كان ينشـر مقالاته في جرائـد وقته كجريدة صدى الصحراء والمنتقد والشّـهاب، والبرق، قال عنـه أحمد حماني: «وهـو أديب متأنق في أسلوبه، متين اللغة، فصيح العبارة».

وكانـت هـذه الكتابـات تصـب فـي الفكر الإصلاحـي المتنور الذي قادته جمعيّة العلماء المسلمين. وقد نقل الأستاذ المرحوم سليمان الصيد نماذج من هذه المقالات الجادة، والتي نقتطف منها هذا الجزء «نشـر مقالا في جريدة البـرق للزاهري، عدد 11 بتاريخ 16 ماي 1927م بعنوان (ها هي أقلامنا وها نحن حاضرون) بقلم الكاتب الجريء -محمّـد فاتح حوحو- وهي أول مقالـة هجوميّـة وقد علقت جريـدة البرق على هذا المقال بقولها «أشـاع المغرضون، أن محمّد الفاتح حوحـو هذا قد منعه أبوه الماجد الشّيخ الصادق حوحو من الكتابة والتفكير بتاتا فعزم المصلحـون على مكاتبته في ذلك وعلى أن يعينوا مكانه واحدا من رجال القلم العمودي أو الزاهـري أو الميلـي علـى فـرض أن يصـح ما يشـاع عن حوحـو حتـى جاءنا هـذا المقال -تضيـف البرق- الذي سـيكون شـديد الوقع على أهل الطرق الخرافيين.

اسـتهل الكاتب هـذا المقـال بقولـه: كثيرا ما هم سـكوتي إخوانـي المصلحيـن وزاد في اهتمامهـم إشـاعة بعـض الذيـن لا يتحرجون من الكذب أن من لا تسـعني مخالفته -إشـارة إلـى والده- قد نهانـي عن الكتابة فـي الجرائد والحقيقـة أنـي سـكت لا طاعة لأمـره ولا عن حين كان سـكوتي ولكن عـن قلة اكتراث ومن يكترث بجهلـة يكتبون وأميين يعلمـون الدين سـكت لأن المقام لا يسـتدعي السّكوت وأي فـي غير السّـكوت وشـوكة الضالين منكسـرة وصحيفة الخاملين أعـداء اللغة والدين منبوذة نبـذ العـراء.. وزمـرة الطرقييـن مرموقـة بعين الازدراء، أمـا الآن فقد أنشـئت صحيفة أخرى وتدلى إلى حركـة التحرير بها قوم آخرون، فها هي أقلامنا وها نحن حاضرون الآن...

يقـول بمناسـبة محاولـة اغتيـال الشّـيخ عبد الحميـد بـن باديـس مـن طـرف الطريقـة العليويّة: "سـمعنا بالجمل استنوق، وبالبغاث استنسـر، وباسـتحالة الإناث إلى ذكور، ولكن مـا سـمعنا ومـا كنـا نظـن أن جماعـة اللحـى والقصع الثريديّـة؛ أرباب الأحـوال والنيات.. رجـال الرقصـات والشّـطحات.. الزاهديـن القانعيـن يزهقـون أرواح الذيـن يقفـون عثـرة في سـبيل معايشـهم.

بالأمـس صـرع النديـم والأمـس ضـرب صاحـب النجـاح، واليـوم يقـع السّـطو علـى الأسـتاذ عبـد الحميـد بـن باديـس. لأنهـم انتقـدوا سـلوك الطـرق والطرقييـن مـن نهب وسـلب ودجـل وضلالـة وتضليـل.

أعجوبـة -وسـيدي المربـي- لا أعجـب منهـا لانقيـاد هاتـه الأمـة ولا انقيـاد الأعمـى للبصيـر واستسـلامها ولا استسـلام المسـتضعفين لهؤلاء اللصـوص المجرمين.. وأوليـاء الشّـياطين المفسـدين..

مهـلا رويـدا شـيخ المجرميـن. إن كنـت ريحـا فقـد لاقيـت إعصـارا. أرسـلت منومك ليقضـي علـى أسـتاذ المصلحين قضـاء مبرما فتسـتريح مـن مـر الانتقـاد ويخلـو لـك الجو فتبيـض وتفـرخ وتصفـر وتنفـر آمنـا مطمئنا.

أرسـلته وأوصيتـه بأن يشـمر الذيـل، ويدر الليـل، ولكنـه لـم يحفـظ تعاليمـك.. ولـم تنفعـه بركاتـك مـن بعيـد؟ فأخفق في مسـعاه جالبا عليك سـبة الأبـد، وعـارا لا يمحى دهر الداهريـن.. فتقلدهـا طـوق الحمامـة يـا أيهـا المجـرم الأفـاك الأثيم.

كمـا كتـب بجريـدة المنتقـد للشـيخ ابـن باديـس بعـض المقـالات كمقـال (كيـف نعيـش سـعداء) فـي عددهـا 7 الصـادر يـوم الخميس 23 محـرم 1344هـ الموافق 13 أوت 1925م ومقـال (أصحافـي؟ أم صوفـي؟) في عددهـا 10 الصـادر يـوم الخميـس 14 صفـر 1344هـ الموافـق 3 سـبتمبر 1925م ومقـال (هـل نحن للمنتقـد الحر واجـدون؟) ضمن العـدد 17 الصـادر بتاريـخ الخميـس 03 ربيع الثانـي 1344هـ الموافـق 22 أكتوبـر 1925م وهذا ضمـن ركنه القـار (حديـث الخميس) وكتب بجريـدة (صدى الصحـراء) مقالا في ثـلاث حلقـات بعنـوان (الانتقاد الحر) نشـر فـي العـدد 7 الصـادر يـوم 18 جانفـي 1926م والعـدد 10 بتاريـخ 8 فيفـري 1926م وفـي العـدد 12 بتاريـخ 15 مـارس 1926م، ومقـال (ومجرمـون أيضـا) بأسـبوعيّة الشّـهاب فـي عددهـا 82 الصـادر يـوم الخميـس 30 رجب 1345هـ الموافـق 3 فيفـري 1927م، ويمكـن أن يكـون قـد كتـب في صحـف أخـرى غير جريـدة الشّـهاب والبـرق وصـدى الصحراء والمنتقـد) لـم نطلـع عليها.

باديس فوغالي

المصادر:

- معجم أعلام بسكرة، صراع بين السّنة والبدعة 2/ 52-53.
- سيدي عقبة تاريخ وحضارة ص 25.

تاريخ الصحافة والصحفيين هامش ص 208-209.

محمَّد العربي التَّبَّاني
(1315هـ -1897م/1390هـ -1970م)

العلاَّمة، المـؤرِّخ، الأديـب، العابد، الفقيه، المحدِّث، المحقِّق، المؤلِّف: محمَّد العربي بن الحسـين بن عبد الرَّحمن بن يحيى بن مخلوف بن أبي القاسم بن علي بن عبد الواحد، من ذرِّية القطب عبد السَّلام بن مشيش.

يلقَّـب بالتَّبَّانـي نسـبة إلى مسـقط رأسـه أولاد تبَّان، ملتقى حـدود الولايات الثَّلاث: المسـيلة بـرج بوعريريج، سـطيف، والتَّابعة إداريـا لدائـرة صالـح بـاي، ولايـة سـطيف بالجزائر، وهم بطـن يرجع إلى المرتفع أحد فروع أثبج الهلاليّ كما أورد ابن خلدون.

ولد سنة 5131هـ (7981-8981م) بمنطقة أولاد تبَّـان، وفيهـا تلقَّـى تعليمـه الأوّل فـي كتّاب القريـة، فحفظ القـرآن الكريم وعمره اثنا عشر عاماً، وحفظ بعض المتون بين يدي والده كالأجرُّوميـة والعشـماوية والجزرية، وتلقـى مبـادئ العقائـد والنَّحـو والفقه على مشـايخ، مـن أشـهرهم: الشَّـيخ عبدالله بن القاضي اليعـلاوي رحمه اللـه، رحل بعدها إلى الزَّيتونة بتونس ومكث بها أشـهراً، تلقَّى أثناءهـا دروسـا في الفقـه والنَّحـو والصَّرف والتَّجويـد أداء وقـراءة فـي نظـم الجزريـة، وحفـظ متونـا أخـرى غيـر التـي حفظها في الجزائر.

رحل إلـى المدينة المنـوَّرة قبيل الحرب العالميـة فـلازم دروس جلَّـة مشـايخها، كالحافـظ العلاَّمـة أحمد بـن محمَّد خيرات الشَّـنقيطي التندغـي (ت6331/ 7191م)، وقـرأ عليـه مختصر خليـل والرِّسـالة البيانية كلاهما للشَّـيخ الدّردير، وسـيرة ابن هشـام، والمعلَّقـات السَّـبع، وديوان النَّابغة، وسـنن أبـي داود، وشـيئا مـن أشـعار الصَّحابـة، ومقـروءات أخـرى، ولازم الشَّـيخ حمـدان لونيسـي القسـنطيني (ت8331هـ/ 0291م) فقـرأ عليـه تفسـير الجلاليـن، وألفيـة ابـن مالك بشـرح ابـن عقيـل، وأخذ عن الشَّـيخ عبـد العزيـز التُّونسـي (ت6331/ 7191م) قسـماً مـن موطَّـأ مالـك بشـرح الزّرقانـي، وشـيئا مـن مختصر خليـل وقطعة مـن ألفية ابـن مالك بشـرح الأشـموني، كما قـرأ على قاضـي قريـة شـنقيط المعلَّقـات السَّـبع، ونظـم أنسـاب العـرب للحافـظ البـدوي الشـنقيطي.



وعنـد قيـام ثـورة الشَّـريف حسـين ودخولـه المدينـة المنـوَّرة، خـرج الشَّـيخ التَّبَّانـي إلـى دمشـق فـي مـن خـرج ومكث بهـا أشـهرا فـي ظـروف عصيبـة لم تسـعفه فـي الجلـوس إلـى العلمـاء، زار خلالهـا المكتبـة الظَّاهرية ودار الحديث الأشـرافية، مواضبا علـى الصَّلاة في المسـجد الأموي، ثمَّ قفـل راجعا إلـى مكَّة والحرب مسـتعرة، فدخلها فـي رجـب 6331هـ- 7191م، فلزم حلقـات العلـم بهـا، فأخذ عـن الشَّـيخ عبد الرَّحمان الدَّهَّان (ت7331-8191م) "شـرح زكريـا الأنصاري على إيسـاغوجي بحاشـية العطَّـار، فـي المنطـق، وعن الشَّـيخ مشـتاق أحمد الهنـدي (ت 9531هـ0491-م) بحث التَّصـوُّرات مـن "شـرح القطبـي علـى الشَّمسـية بحاشـية السَّـيِّد" وختـم كثيرا من الكتـب والرَّسـائل فـي الطَّبقـات والتَّراجـم والتَّاريـخ.

تولَّـى التَّدريـس الرَّسـمي بمدرسـة الفلاح بمكَّـة المكرَّمة سـنة (8331هـ9191-م) وبقي بهـا مدرِّسـا حتَّـى (0931هـ- 0791م) فـدرَّس النَّحـو والصَّـرف والبيـان والفقـه والحديـث والتَّفسـير والفرائـض والسِّـيرة والتَّجويـد والتَّاريخ الإسلامي، ودرَّس بمدرسة المطوّفين عـام (7431هـ9291-م) وأمَّ درسـه بالحـرم المكِّـي فكان بيـن المغـرب والعشـاء، خمس ليال في الأسـبوع بدايـة، ثمَّ اقتصـر على ليلتي الجمعة والسَّـبت، من (8331هـ9191-م) حتَّى (0931هـ- 0971م) فدرَّس الحديث والتَّفسـير والأصول والبلاغة والتَّاريخ الإسـلامي، وختم الطُّلاب بين يديه كتبا كثيـرة منها: الصَّحيحان، والموطَأ، والجامع الصَّغير للسُّـيوطي، وجمع الجوامع، وسـيرة ابن هشـام، وعقـود الجمان، والجامـع الصَّغيـر والإتقـان فـي علـوم القرآن للسُّيوطي، ومغني اللَّبيب، وتفاسير: البيضاوي، والنَّسـفي، وابن كثير. وغيرها، كما كان يدرِّس فـي منزلـه كبـار الطَّلبة يوميًّـا مـن الضُّحى إلى الظُّهر.

انتفـع بالشَّـيخ العربـي التَّبَّانـي خلـق كثير، وجلس تلاميذه وتلاميذهم شيوخا في حلقات الحرم المكِّي، ومنهم:

علـوي بـن عبـاس المالكـي (8231هـ-0191م/ 1931-1791هـ): أحـد كبـار علماء الحرم المكِّي.

محمَّـد نور سـيف بـن هـلال (3231هـ-5091م/ 2041هـ2891-م) المدرِّس بمدرسة الفلاح.

محمَّـد أميـن كتبـي (7231هـ-9091م/ 4041هـ4891-م) مـدرس الفـلاح، والحرم المكِّي.

محمَّـد علـوي المالكـي (7631هـ-8491م/ 5241هـ4002-م) الفقيـه محـدِّث الحرمين. وغيرهم كثير.

للشَّـيخ التَّبَّاني تآليف كثيـرة طبع أغلبها، ومنها:

1- إتحـاف ذوي النَّجابـة بمـا فـي القـرآن الكريـم والسُّـنَّة النَّبويـة مـن فضائـل الصَّحابـة.
2- تنبيـه الباحـث السَّـريّ إلـى مـا فـي رسائل وتعليقات الكوثريّ.
3- النَّصيحـة والاسـتدراكات على كتاب المحاضرات وهو: تحذير العبقري من محاضرات الخضري.
4- اعتقـاد أهـل الإيمـان بنزول المسـيح بن مريـم عليه وعلى نبينا السَّـلام آخر الزَّمان.
5- خلاصـة الـكلام فيمـا هـو المـراد بالمسجد الحرام.

6- إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات.
7- براءة الأشعريين من عقائد المخالفين.
8- محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب.
9- حلبة الميدان ونزهة الفتيان في تراجم الفُتَّاك والشُّجعان.
10- براءة الأبرار ونصيحة الأخبار من خطل الأغمار.
11- مختصر تاريخ دولة بني عثمان.
12- إدراك الغاية من تعقُّب ابن كثير في البداية.
13- التَّعقُّب المفيد على هدي الزَّرعيِّ الشَّديد، ردَّ فيه على مسائل في زدا المعاد لابن القيِّم.
14- النَّقدُ المحكم الموزون لكتاب: الحديث والمُحدِّثون.

قال فيه تلميذه الشَّيخ محمَّد أمين كتبي:

مَنْ كَانَ يَعْتَزُّ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ *
بِشَيْخِهِ فَأَنَا أَعْتَزُّ (بِالْعَرَبِيّ)
شَيْخٌ تَمَكَّنَ فِيهِ الفَضْلُ فَانْبَثَقَتْ *
أَنْوارُهُ فَحَكَتْ سَيَّارَةَ الشُّهُبِ

تُوفِّي (رحمه اللَّه) في 22 صفر 1390هـ/ 28 أبريل 1970م بمكَّة المكرَمة، إثر إصابته بالفالج، وصُلِّي عليه بالمسجد الحرام، وتبعه خلق كثير من النَّاس وعلماء الحرم، ودُفن بمقبرة المعلاة في مكَّة، وقبره بجوار قبر السَّيِّدة أسماء ذات النِّطاقين رضي الله عنها.

شريف عبد الحفيظ

المصادر:

نثر الجواهر والدُّرر في علماء القرن الرَّابع عشر، لأبي محمَّد يوسف بن عبد الرَّحمن المرعشلي.

محمّد العربي تمنطيط
(1344هـ-1926م/1415هـ - 1995م)

المرحوم الشّيخ محمّد العربي تمنطيط المولود سنة 1926م بمدينة مشرية، يَنحدر من أسرةٍ عريقةٍ مشهوداً لها بالصّلاح والفقه هو بن المرحوم عبد الرّحمن بن علي الذي كان مُؤذناً بالمسجد العتيق. بعدما تَلقى علوم القرآن والفقه على يدّ المرحوم الطّيبيّ بن سليمان وعبد الرّحمان المغراوي. أظهر التلميذ محمّد العربي نُبوغاً في التّحصيل على علوم القرآن ومُتون الفقه والنّحو فما كان من المرحوم الحاج محمّد الكبير البكري إلى أن هيأه لكي يَنتقِل إلى جامعة الزّيتونة.

سافر سنة 1947م إلى تونس لمُتابعة دراسته بجامعة الزّيتونة، درس على يدّ العلامة المرحوم الطّاهر بن عاشور والمرحوم الفاضل بن عاشور والمرحوم الشّيخ النّيفر وغيرهم من المشايخ، كما كانت تَربطه أثناء الدراسة صداقة بالمرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، الشّيخ المرحوم عبد الرّحمان شيبان والمرحوم عبد الحميد مهري. بعد أربع سنوات من الدراسة نال من فيض العلوم تَحصل الشّيخ سنة 1951م على شهادة الأهلية رجع إلى مدينة مشرية حرص على فتح المدرسة الحُرّة التي أغلقها الاستعمار. لقد أدخل المرحوم نظاماً جديداً على المدرسة مثل الانتقال من مستوى إلى آخر مُطبقاً برامج باركتها جمعية العُلماء المسلمين الجزائريين، كان قد زارها المرحوم الشّيخ سعيد الزّموشي (عضو بارز في جمعية العُلماء المسلمين الجزائريين ومُفتش عام للمدارس التابعة لجمعية العُلماء المسلمين مُكلف بقطاع الغرب الجزائري (فأُعجب بنظامها وبمستواها والمُشرف عليها. نجح المرحوم في تعليم نُخبة من الطّلبة واستطاع أن يربي جيلاً من الشّباب نُقل خيرتهم في العام الدراسي 1953 - 1954م إلى مدينة قسنطينة لمواصلة دراستهم بمعهد المرحوم العلامة الشّيخ عبد الحميد بن باديس منهم الشّهيد قاسمي عبد القادر، الشّهيد الطّيبي بن الدين والشّهيد والشّهيد أوموسى المختار الّذي إلتحق بجامعة الزيتونة وكذلك بإيعاز منه؛ التحقوا بصفوف جيش التحرير. غُلقت المدرسة مُجدداً من طرف المُستعمر سنة 1956م، سُجن على إثرها الشّيخ تمنطيط.

انتقل المرحوم سنة 1961م إلى مدينة تلمسان للعمل بالأكاديمية. عاد الشّيخ بعد الاستقلال إلى مدينة مشرية كأوّل أستاذ للّغة العربيّة تخرج على يدّه كُلاً من السّادة عبد القادر بكري، أحمد محمّدي، حادي بشير، عبد المجيد تبون، مصطفى عاشور والمرحوم مقدم البشير وآخرين.

تولى منصب مدير ومُفتش وناظر للشؤون الدّينية، لم يَتخلى الشّيخ عن واجبه السّياسي الوطني.

فقد انتُخب عضواً بالمجلس البلدي، ثمّ رئيساً للمجلس الولائي أيام كانت بلدية مشرية تابعة إدارياً لولاية سعيدة، عُرِف المرحوم بخِصاله الطّيبة وأخلاقه الرّفيعة من منا لا يتذكر بشاشته.

عُيّن الشّيخ الفاضل من طرف وزارة الشّؤون الدينية كإمام مُنتدب بفرنسا للمُهاجرين والمسلمين بصفة عامة تابع مَسيرته التّعليمية وظلّ يُلقن تعاليم الإسلام لأبناء الجالية المسلمة ويزرع فيهم حبّ الله وحبّ رسوله الكريم، فبإيمانه وحِكمته ولطفه وقوة عزيمته الذي يَتميز بها عن غيره استطاع المرحوم أن يستقطب عقولهم وأرواحهم لإخراجهم من الظّلمات إلى نور الإيمان.

فكان نعم السّفير لمدينة مشرية وقدوّة للمؤمنين، لقد أحبّه كل من عرفه ولقي احتراما كبيراً من العربي والأعجمي مِمَّا جعلهم يَتمسكون به بعد انتهاء فترة انتدابه ويَستبقونه بينهم إماماً ومُفتشاً ومُكوناً للأئمة كما أسلم على يدّه الكثير من الأعاجم.

في يوم 08 جانفي من سنة 1995م وبعد انتهاء الاجتماع الذي كان يضمّه ببعض الأئمة لمُناقشة أحوال الجالية المُسلمة المُقيمة بفرنسا؛ شعر المرحوم بدوران في رأسه نُقل على إثرها إلى المستشفى وفي يوم 11 جانفي 1995م فاضت روحه الزّكية الطّاهرة إلى بارئها،

دُفن الشّيخ رحمه الله بمسقط رأسه مدينة مشرية.

في ذلك الزمان وفي تلك الفترة بالذّات كانت مدينة مشرية في أوج الازدهار من حيث الثّقافة والفكر الرّوحي والأدبي؛ كان يتوافد عليها العُلماء والفُقهاء من كل جهة من الوطن كانت تتداول الآراء وتُناقش الأفكار في جلسات روحانية، يُذكر فيها اسم الله ويُتلى فيها القرآن وفي هذا الجو الرّوحاني تَنشرح الصّدور وتُتوج العقول بنور العلم وتَرتدي الأرواح زينة الإيمان وتَلين الالسّنة بأطيب الكلام.

عبد الرّحمان بداوي

المصادر:

الأستاذ عبد الله منصور.

محمّد العنقى
(1325هـ - 1907م/1398هـ - 1978م)

الحاجّ محمّد العنقى واسمه الحقيقي آيت وعراب محمّد ادير من مواليد الجزائر العاصمة في20 ماي 1907، التحق بالمدرسة القرآنيّة من 1912 إلى 1914، ثم مدرسة إبراهيم فاتح من 1914 إلى1917، وأخيرا بوزريعة حتى 1918، وتخلى عن المدرسة في نفس السنة ليلتحق بعالم الشّغل.

يعود فضل اكتشافه للشيخ مصطفى الناظور الذي أعجب بذكائه، فضمه إلى فرقته الموسيقيّة كضارب على آلة الدف.

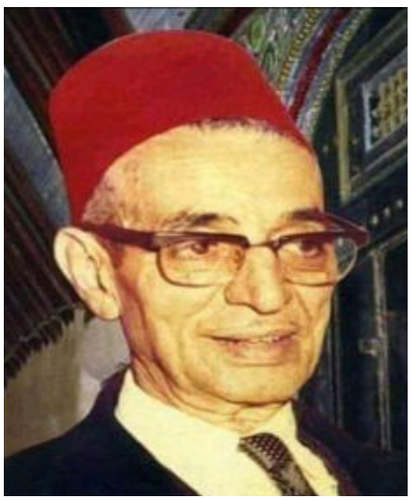
أصر العنقى على مواصلة مشواره رغم اعتراض عائلته وخاصّة والده.

عرف الحاج العنقى بسرعة بديهته وقدرته السّريعة على التّعلم. فسريعا تعلم العزف على آلة المندولين التي أتقن استعمالها بعد مدّة قصيرة، ممّا جعل شيخه الشّيخ الناظور يطلق عليه لقب (العنقاء) وهو اسم طائر خرافي.

كان للشاب امحمّد الحظ في حضور حفلات نشطها الشّيخ الكبير مصطفى الناضور، وهذا برعايّة الموسيقي الشّهير سي السعيد العربي، وكان التتويج الحقيقي في سنة 1925 حين التحق بجوق أستاذه مصطفى الناظور، الذي اشتهر بإدخاله، للجزائر العاصمة الشّعر الملحون للشعراء المغاربة عبد العزيز مغراوي، سيدي قدور العلامي، محمّد نجار وعبد الرحمان المجدوب.

تحصل على لقب الشّيخ وهو في ريعان الشّباب بعد أنّ خلف الشّيخ الناظور الذي رحل عام 1925.

وبطريقته الخاصّة، راح العنقى، يجمع تراث كبار الشّعراء الشّعبيّين في الجزائر والمغرب



الأقصى، ويُؤدّيها في إطارٍ موسيقى مستوحىً من التراث الأندلسي، لكن بروح عصره، مستعملاً آلات موسيقيّة لم يكن سادة الأغنيّة القديمة يسمحون بها؛ مثل الماندولين القادمة من الفضاء المتوسّطي والبانجو والبيانو.

وفي وقتٍ وجيز، تحوّل إلى ظاهرةٍ جديدة في الموسيقى الجزائريّة، بأسلوبه الفنّي المبتكَر، وطريقة إلقائه، وحتى بأسلوب لباسه والطرائف التي كان يرتجلها في مجالسه الخاصّة

و كانت سنة 1928، بالغة الأهميّة في مشواره الفنّي حيث كانت السّنة التي تعرف عليه فيها الجمهور العريض.

سجل 27، أسطوانة عند (كولومبيا) وشارك في تدشين إذاعة البريد والمواصلات للجزائر، وكان لهذين الحدثين الفضل في إبرازه على المستوى الوطني وحتى وراء الحدود.

أدى الحاج امحمّد العنقى ما يقارب 360، قصيدة وسجل حوالي 130، أسطوانة، بقي الحاجّ يتزعم السّاحة في نوع المدح خاصّة بعد آوت 1931، بعد وفاة الشّيخ سعيدي عبد الرحمان، كما زادت شهرته بفضل الوسائل العصريّة كالأسطوانة والإذاعة.

في سنة 1936، التحق بجوقه، الشّيخ أحمد سبتي المدعو شيطان، والحاجّ منور (كرار)، على آلة الطّار، وكلاهما أصحاب شهرة كبيرة بفضل مهارتهما في العزف، ومعرفتهما الواسعة في الميدان الفنّي.

و في عام 1937، زار البقاع المقدسة، وألف بهذه المناسبة قصيدة الحجة، التي سجلها في باريس في 23 ديسمبر من نفس السنة.

استدعي الحاج امحمّد العنقى بعد الحرب العالميّة الثانيّة لقيادة أوّل فرقة كبيرة للموسيقى الشّعبيّة،على أمواج (إذاعة الجزائر(أدت الفرقة نوع من الفنّ الشّعبي، الذي تطور إلى أن أصبح منذ 1946، ما يعرف اليوم)بالشّعبي).

بعد الاستقلال أطلق العنقى أغنيته الشّهيرة (الحمد الله ما بقاش استعمار في بلادنا) بعدما كان قد توقف عن الغناء مؤقتا بسبب الثّورة التّحريريّة فكان استقبال الأغنيّة في مكانة مستوى الحاجّ في الساحة الفنيّة.

بعدما انتهت فترة إشرافه على فرقة الإذاعة سنة1964 تفرغ الحاج للدراسة والبحث في مجال تطوير وإدراج آلات موسيقيّة جديدة في أدائه وقد أثمرت هذه التجربة روائع من قبيل (المكناسيّة)، (مرسول فاطمة)، (يا ناسي لحمام)، (صالح باي الباز).

فقد عرف العنقي كونه مجددا كبيرا في الشّعبي فله يعود الفضل في إدخال آلات جديدة في العزف وتطويع طبوع موسيقي مع الشّعبي ساهمت في إعطاء هذا النوع من الغناء صيتا تعدى حدود الجزائر. فقد لقب بالكاردينال بعد ما آلت إليه المشيخة بعد جيل سبقه لكنه لم يكرره وكان عصر العنقي إذانا بمرحلة جديدة في الغناء الشّعبي.

أصبح الشّعبي، مع الحاج محمّد العنقى، نوعا مميزا، يربط بين الفنّان (الشّيخ) وجمهوره، توفي الحاج امحمّد العنقى في 23 ديسمبر 1978، تاركا وراءه نوعا موسيقيا وجمهورا عريضا، وعددا كبيرا من الأتباع الذين مهد لهم الطريق.

ولم يكن العنقى، مجرّد فنّان عابر؛ فقد شكّل وما يزال، بعد أكثر من أربعين سنة على رحيله، ظاهرةً فنّيّة واجتماعيّة تثير الإعجاب، مثلما تثير الجدل. وقد أصبح كثير من المطربين في الجزائر العاصمة وفي غيرها من المدن، يقلّدونه في طريقة أدائه.

سناء رمضاني

محمّد العيد آل خليفة
(1321هـ - 1904م/1399هـ - 19799م)

هو محمّد العيد بن محمّد علي بن خليفة من محاميد سوف المعروفين بالمناصير من وادي سوف من شرق الصحراء، ولد في مدينة عين البيضاء (مدينة بأقصى الشّرق الجزائري) بتاريخ 28 أوت 1904 م الموافق 27 جمادى الأول 1323هـ أطلق عليه الإمام عبد الحميد بن باديس لقب (أمير شعراء الجزائر) وهو يعتبر احد ابرز علماء ومدرسي وشعراء جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين التي نافحت وكافحت في سبيل عزة الإسلام والمسلمين ضد الاستدمار الفرنسي الغاشم.

حفظ القرآن الكريم كاملا ولم يتعد الثانيّة عشرة من العمر كما تلقى الحديث وأصول الدين واللغة عن الشّيخين محمّد الكامل بن عزوز، وأحمد بن ناجي انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة سنة 1918 وواصل دراسته بها عن المشايخ علي بن إبراهيم العقبي الشّريف والمختار بن عمر اليعلاوي والجنيدي أحمد مكي.

في سنة 1921 غادر شاعرنا إلى تونس حيث التحق بجامع الزيتونة المعمور ودرس على مجموعة من العلماء لمدة سنتين عاد بعدها الى مدينة بسكرة - بوابة الصحراء الجزائريّة - وشارك في حركة الإصلاح الديني عن طريق التعليم



والنشر في الصحف والمجلات (صدى الصحراء) للشيخ أحمد بن العابد العقبي و(المنتقد) و(الشّهاب) للشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس و(الإصلاح) للشيخ الطيب العقبي.

في سنة 1927 دعي إلى العاصمة الجزائر للتعليم بمدرسة الشّبيبة الإسلاميّة الحرة حيث بقي مدرسا بها ومديرا لها مدة اثني عشر عاما وفي هذه الفترة أسهم في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وكان من أعضائها العاملين. ونشر كثيرا من قصائده في صحف الجمعيّة (البصائر، السّنّة، الشّريعة، والصراط) وكذا في صحيفتي (المرصاد) و(الثبات) لمحمّد عبابسة الأخضري.

في سنة 1940 بعد نشوب الحرب العالميّة الثانيّة غادر العاصمة إلى مدينة بسكرة ومنها إلى مدينة باتنة- عاصمة الاوراس- للإشراف على مدرسة التربيّة والتعليم حتى سنة 1947 ثم انتقل إلى مدينة عين مليلة (وهي تبعد عن قسنطينة بحوالي 50 كلم) للإشراف على الإدارة والتدريس بمدرسة العرفان الإسلاميّة إلى سنة 1954م تاريخ اندلاع الثورة الجزائريّة المباركة في وجه الاستدمار الفرنسي الغاشم.

بعد اندلاع الثورة التحريريّة المباركة أغلقت المدرسة كغيرها من مدارس جمعيّة العلماء المسلمين وألقي القبض عليه وزج به في السّجن وخضع للتعذيب لكنه صبر محتسبا مثل اخوانه المجاهدين ولما لم تنفع معه جميع اساليب الضغط والترهيب بادرت السّلطة الاستعماريّة بإطلاق سراحه وفرضت عليه الإقامة الإجباريّة في مدينة بسكرة فلبث معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة إلى أن فرج الله عليه وعلى الشّعب الجزائري بالتحرر والاستقلال.

يعد محمّد العيد آل خليفة من رواد الشّعر العربي الحديث، ومهما اجتهدنا في تبيان أهميّة شعره فلن نقول أكثر مما شهد به رئيس العلماء وشيخ الأدباء البشير الإبراهيمي (ت 1965 م) الذي قال:(رافق شعره النهضة الجزائريّة في

جميع مراحلها، وله في كل نواحيها، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها – القصائد الغر والمقاطع الخالدة، شعره – لو جمع – سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها).

وكان الشّاعر محمّد العيد ينطلق في شعره من أربع كليات هي: الإسلام، الوطن، العروبة والإنسانيّة، فكان سجلا أمينا لأحداث الوطن الصغير والكبير على السّواء، ومعبرا عن آمال الأمة وآلامها ولا تكاد تخلو قصيدة من الطابع الديني حتى في القصائد الذاتيّة وقصائد الرثاء والوصف.

إن الحديث عن شعر محمّد العيد يقودنا إلى الحديث عن الشّعر الديني الجزائري الحديث الذي امتاز بتنوع الموضوعات، وغزارة الإنتاج، وكان له دور كبير وخطير في السّاحة الأدبيّة والروحيّة والسّياسيّة الجزائريّة، حيث إنه يمثل قسما كبيرا من الشّعر الجزائري الحديث حيث ان هذا الشّعر لم يكن مدحا فقط لصاحب الرسالة الإسلاميّة – عليه الصلاة والسّلام – بل حمل الهم الاجتماعي للشعب إضافة إلى القيم الروحيّة والتربويّة التي كان يدعو إليها.

وفي هذا المقام يقول الدكتور المحقق الشّاعر صالح الخرفي في دراسة عن شعر محمّد العيد: (يحلق محمّد العيد في الأفاق البعيدة للرسالة السّماويّة والمواقف البطوليّة لظهور الإسلام، والتركيز في حياة محمّد ﷺ على جانب الجهاد، والوقوف مليا عند فتوحاته، وتلك هي مطامح الشّعب الجزائري، وهو يعاني من التحكم الأجنبي)

وكان لمحمّد العيد حوليات شعريّة اعتاد إلقاءها في المناسبات الخاصة بجمعيّة العلماء، وفيها تنويه بالقيم السّاميّة للدين الإسلامي، وتغن بالعلم والعلماء. ويلتفت الشّاعر إلى تاريخ السّلف الصالح فيذكر بخصالهم، ولعل القصيدة الرائعة التي جادت بها قريحته في الرد على الفرنسي آشيل ACHILLE (وهو معمر فرنسي عاش في الجزائر بين سنوات 1885–1948م) وموقفه العدائي من القرآن الكريم حيث وصفه بأنه كتاب يدعو إلى الهمجيّة والقتل في مقالات نشرها في جريدة (لاديبيش: la dépêche de Constantine ومعناها باللغة العربيّة البرق أو البرقيّة) التي كانت تصدر في مدينة قسنطينة، يدحض فيها اباطيله ومنافحا فيها عن كتاب الله عز وجل القرآن الكريم، ومنوها فيها بموقف الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الذي كتب سلسلة من المقالات في مجلة البصائر فند فيها أكاذيب وأباطيل هذا المستدمر (هذا المصطلح كان يعجب كثيرا الأستاذ مولود قاسم رحمه الله ويقول إن المستعمر مشتق من كلمة عمَّر، بينما المستدمر مشتق من كلمة دمر) الخبيث وهاكم بعض من أبياتها:

هيهات لا يعتري القرآن تبديل
وإن تبدل توراة وإنجيل
قل للذين رموا هذا الكتاب بما
لم يتفق معه شرح وتأويل
هل تشبهون ذوي الألباب في خلق
إلا كما تشبه الناس التماثيل
فاعزوا الأباطيل لقرآن وابتدعوا
في القول هيهات لا تجدي الأباطيل
وازروا عليه كما شاءت حلومكم
فإنه فوق هام الحق إكليل
ماذا تقولون في آي مفصلة
يزينها من فم الأيام ترتيل
ماذا تقولون في سفر صحائفه
هدى من الله ممض فيه جبريل
آياته بهدى الإسلام ما برحت
تهدي المماليك جيلا بعده جيل
فآيّة ملؤها ذكرى وتبصرة
وآيّة ملؤها حكم وتفصيل
فليس فيه لا على الناس منزلة
(عدن) وفيه لأدنى الناس سجيل
ولا احتيال ولا غمص ولا مطل
ولا اغتيال ولا نغص وتنكيل
إن هو إلا هدى للناس منبلج
ضاحي المسمى أغر الاسم تنزيل
لئن مضت عنه أجيال وأزمنة
تترى فهل سامه نقض وتحويل

ما بال (آشيل) في (الدبيش) يسخر
من آيات محكمة لا كان (آشيل)
ما بال (آشيل) يهذي في مقالته
كحالم راعه في النوم تخييل
ما بال (آشيل) يزري المسلمين وهم
غر العرائك انجاب بهاليل
أفكارهم بهدى القرآن ثاقبة
فلا يخامرها في الرأي تضليل
وأمرهم بينهم شورى ودينهم
فتح من الله، لا قتل وتمثيل
لا يعدم الحق أنصارا تحيط به
سورا ولو كثرت فينا الأضاليل

هذا ابن باديس يحمي الحق متئدا
كذاك يتئد الشّم الأماثل
(عبد الحميد) رعاك الله من بطل
ماضي الشّكيمة لا يلويك تهويل
دمغت أقوال (آشيل) كما دمغت
أبطال (أبرهة) الطير الأبابيل
عليك مني، وإن قصرت في كلمي
تحيّة ملؤها بشر وتحليل

توفي رحمه الله في شهر أوت (أغسطس) سنة 1979 منفيا فارا بدينه في تونس ودفن في بسكرة.

من آثاره

أنشودة الوليد، روايّة بلال بن رباح (مسرحيّة شعريّة)، ديوان محمّد العيد، جمع قصائد الديوان أوّل مرّة تلميذه أحمد بوعدو سنة 1952 من وتم طبعه سنة 1967 م، ثم قام أحد تلامذته بالكشف عن قصائد للشاعر لم تنشر، جمعها من الصحف الوطنيّة القديمة، ومن النسخة المخطوطة من ديوان الشّاعر، ومن أسرته ومعارفه، وهي بذلك تكملة واستدراك على الديوان، ونشرها في كتاب وسمه بـ (العيديات المجهولة).

باديس فوغالي

المصادر:
- أبو مريم الجزائري، الصفحة الرسميّة عروبة الجزائر من قبائلها.
صالح الخرفي دراسة عن شعر محمّد العيد آل خليفة.

محمّد العيد غوري (الغوّار)
(1339هـ - 1921م/1431هـ - 2010م)

محمّد العيد غوري واحدٌ من أهمّ رجالاتها الذين تركوا بصماتهم واضحة للعيان في هذه المنطقة الگماريّة، وسيظلّ اسمه عالقًا ليس في ذاكرة منْ عرفوه، وعايشوه فحسب؛ ذلكم لما زخرت به حياته من حركيّة جهاديّة، وإداريّة سياسيّة، ودينيّة؛ فهو المجاهد، ثمّ رئيس بلديّة گمار بعد الاستقلال، فالإمام الذي حارب البدع، والمعلم، والخطيب، والفقيه والمرشد، والمرجع في القضايا الدينيّة، كان بارعا ممتازا.

إن المرحوم محمّد العيد غوري المعروف في مدينة گمار بـ(الغوّار) والذي كان يفضّل أن يُكنّى بهذا الاسم العزيز على قلبه. وُلد رحمه الله بمدينة گمار خلال سنة 1921 ينتمي إلى عائلة محافظة، إذْ جده لأبيه سي علي بن مبارك تولّى منصب بمحكمة گمار الشّرعيّة، وكاتب عام لدى الزاويّة التجانيّة بگمار، العيد غوري بن محمّد بن علي بن مبارك لأمه لشلح الخلويّة، وهو أشهر من نار على علم، يعرفه الخاصّ والعامّ لِما أُوتي من أريحيّة، وخفّة جسم، وروح مرحة، وانبساط، وتواضع.

تربّى بمسقط رأسه، زاول تعليمه الابتدائي بالمدرسة الفرنسيّة، (مدرسة الذّكور بگمار)، كما تعلّم بنفس المدرسة بعض المهن، والحرف مثل التّمريض. كما حفظ القرآن الكريم في سنٍّ متأخرة على الشّيخ المرحوم سي الطّاهر تلحيق، المعروف بسي الطّاهر (بسّا) الذي كان إمامًا بالجامع العتيق بگمار (جامع الطّلْبة)، والذي كان تجاني الطّريقة، وكان حازمًا ومُجدًّا فقد حفظ عليه الكثيرُ القرآن الكريم.

كما لازم وتأثر الشّيخ الغوّار بالعلاّمة الشّيخ محمّد الزبيري المعروف بـ(الشّيخ البريّة) عالِم زمانه، والذي كان سببًا في



توجّهاته الإصلاحيّة فيما بعد وتأثّره، وتبنّيه للمذهب المالكي، حيث لازمه في دروسه حوالي 14 سنة، وقد برز الشّيخ غوري بخاصّة في فقه المواريث الذي كان الشّيخ أحد أعلامه.

وممّا أذكره شخصيا أني لمّا كنت في أوائل الخمسينات من القرن الماضي أحفظ القرآن الكريم في جامع (فشير) على يدّ المرحوم سي محمّد الصالح الذي هاجر في ما بعد إلى البقاع المقدسة، واستقرّ هناك بعائلته رغّبني المرحوم مجحودة محمّد الصّالح المعروف بـ(قعميْ) في التنقل إلى جامع الطّلبة كي أُكمل حفظ القرآن الكريم لدى سي الطّاهر بسّا فوجدت المرحوم محمّد الغوري يُوشك أن يغادر بعد إكماله حفْظ القرآن الكريم فسلّمني حينها سي الطّاهر لوْحه.. سي الطّاهر الذي خلفه في إمامة المسجد في ما بعد بفعل كبر السّنّ المرحوم محمّد العيد غوري.

لقد مارس الشّاب العيد غوري، وقبل هذه المرحلة العديد من الحرف كصياغة الذّهب، والتّجارة، والفلاحة، وكاتب لدى شركة (الطّلايين) للنقل ما بين منطقة وادي سوف، ومدينة بسكرة، وكذا عون في بريد گمار.

وأسهم محمّد العيد غوري في تنشيط الحملة الانتخابيّة لانتخابات المجلس الجزائري في أكتوبر 1948م ومن السّبّاقين الذين لبّوا نداء أوّل نوفمبر 1954، ومن المؤسّسين لمكتب التّنظيم المدني لجبهة التّحرير الوطني بمدينة گمار، وأبلى في ذلك البلاء الحسن من خلال تنشيطه للخلايا المساندة للثورة، وعمليات الدعم، والتحسيس، وجمْع التبرّعات والأدويّة، والمواد الغذائيّة، وإرسالها إلى المجاهدين في منطقة الأوراس، ونتيجة نشاطه الثّوري هذا تعرّض للاعتقال، والاستنطاق، والسّجن والتّعذيب العديد من المرّات، فكان أوّل اعتقال له في شهر (رمضان) أفريل1957 خلال مجازر منطقة سوف، ثمّ في سنة 1958 وأخيرا في سنة 1961.

لقد تولّى منصب أوّل رئيس لبلديّة گمار بعد الاستقلال من سنة 1962 إلى سنة 1963، ثم تولّى الإمامة والخطابة في جامع الطّلبة بگمار لمدّة تزيد عن الأربعين (40) سنة ليتخلّى عنها في سنواته القليلة الأخيرة قبل مماته نتيجة العجز والكبر، وأسهم في مساعدة الكثير من شباب المنطقة والذين حُرموا من التّعليم زمن الاستعمار الفرنسي فأخذ بأيديهم، وخصّص لهم قاعة بجانب المسجد حيث كان يساعدهم بتقديم دروس خصوصيّة ساعدتهم في ما بعد على دخول سلّك التّعليم، وأعدادهم غير قليلة، كما أسهم في إعطاء دروس في محْو الأميّة لكبار السّن، ومحاربة الجهل لدى الكبار والصغار، كما اعتمدته مديريّة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف إمامًا معتمدا لدائرة گمار وضواحيها لسنوات عديدة، وشارك عدّة مرّات في تأطير بعثات الحجّ للبقاع المقدسة لمرافقة الحجّاج.

إن المرحوم محمّد العيد غوري (الغوّار) كان خطيبا محدّثًا يمتاز بالذكاء الشّديد، وقوّة الفراسة، والجرأة في قوْل الحقّ؛ حيث يحسن فنيات التّواصل والتّعامل مع الناس، بحيث يعطي كلّ ذي حقٍّ حقّه، ويخاطب

كل شخص وفق طاقاته، بارعٌ في التّصرّف مع الغير، له تجارب شخصيّة خاصّة فيها من الطّرافة، والظرف ما يجعل جليسه يكاد يفْقد توازنه من الحبور والانشراح، كلّ ذلك وسي العيد مسترسلٌ في حديثه، لا يضحك، بل يُضحك غيره، ورغْم أن أصوله وخاصّة الأبويّة تجنح إلى الطّريقة التّجانيّة لكنه لم يكن تجانيا، ولا معاديا لها أيضًا.

تُوفّي يوم الخميس 23 ديسمبر 2010 وودّعته مدينة گمار في جنازة مهيبة حضرها أهل گمار وضواحيها، ومن البلدات القريبة ومن عاصمة الولايّة لشهرته، وكثرة معارفه، وأسكنه فسيح جنانه. وترك فراغًا بعد وفاته.

بشير خلف

المصادر ك

الموسوعة الحرة ويكيبيديا 2020

محمّد اللقاني بن السّايح
(1303هـ - 1886م/1389هـ - 1970م)

الشّيخ محمّد اللقاني بن محمّد بن السّايح بن عبد الرّحمن، الملقب بلقب عائلته رحماني، وعائلة رحماني كما هو معلوم تنسب إلى قبيلة أوّلاد عبد القادر أحد العروش (القبائل) المعروفة بالجنوب الشّرقيّ الجزائريّ.

ولد صاحب التّرجمة بمدينة الطّيبات بولايّة ورقلة خلال سنة 1886م، وبمسقط رأسه تربى ونشأ في أحضان عائلته المحافظة.

أما الحياة التّعليميّة والدّراسيّة للمترجَم له، فحسب المصادر والمراجع التّاريخيّة كانت على الشّكل التّالي:

وكعادة أبناء المنطقة في كل زمان، فقد التّحق في بدايّة حياته بالكُتّاب حيث تعلم المبادئ الأوّليّة للعلوم العربيّة وقرأ القرآن الكريم على بعض الشّيوخ، نذكر منهم:

- المؤدب الفاضل محمّد الطّيب الأخ الأكبر للمترجَم له.
- الشّيخ محمّد التّجاني السّوفي (أصيل منطقة سوف).

فجاء به أعيان المنطقة لتعليم الصّبيّة فلازمه الشّاب اللقاني في كُتّابه، إلى أن أكرمه الله تعالى بحفظ كتابه العزيز ولم يتجاوز عمره العَقديـن، ثم واصل مضيفا إليه طلب العلوم الشّرعيّة الأخرى.

بعد المرحلة الأوّليّة من التّحصيل العلميّ في مسقط رأسه وفي سنة 1913م وبحكم تشوقه للمزيد من العلوم والمعارف، فقد هاجر إلى منطقة الجريد بالجنوب التّونسيّ التي كانت



في ذلك الوقت إحدى حواضر العلم، وتزخر بالعديد من المدارس الحرّة والزّوايا المشهورة بتقديم الدّروس. واستقرّ به المقام ببلدة نفطة التي كان يطلق عليها اسم (الكوفة الصّغرى) وهناك تفتحت لديه الآفاق العلميّة ودرس مختلف العلوم العربيّة والفقهيّة والشّرعيّة على يد مجموعة من العلماء والشّيوخ نذكر منهم: محمّد التّابعي/ إبراهيم صمادح/ محمّد بن إبراهيم.

للإشارة فقد تمت إجازته من بعض الشّيوخ لتدريس بعض العلوم الفقهيّة والمتون المشهورة كمتن ابن عاشر في الفقه ومتن الأجرّوميّة في اللغة...

بعد هذه المراحل من التّعليم، كان طموح الشّاب أكبر من هذا، ففي سنة 1915م هاجر إلى قلعة العلم والعلماء بالمغرب العربي جامع الزّيتونة المعمور، حيث انخرط في سلك الطّلبة وبقي سنوات ينهل من المعين الصّافي للعلوم والمعارف، إلى أن أكرمه الله تعالى بحصوله على شهادة العالميّة: التّحصيل، وقد تتلمذ على شيوخ هم في ذلك الزّمان من جهابذة العلم الذين يشهد لهم بالعلم والأخلاق، وعلى رأسهم: أبو الحسن النّجار التّقيّ المالكيّ/ الشّيخ الصّادق النّيفر القاضي المالكيّ/ الشّيخ عثمان بلخوجة/ العالم المحقق والأصولي محمّد النّخلي علامة الزّيتونة بالطّيبات.

بعد أن أكمل دراسته للعلوم بالزّيتونة، عاد إلى أرض الوطن ليساهم في إحياء الحركة العلميّة والفكريّة والثّقافيّة لوطنه الذي هو في حاجة إليه ولأمثاله، ومنذ وصوله إلى أرض الوطن لم يبخل شيخنا الفاضل في ذلك ولم يبخل بعلمه ولم يتوقف قلمُه عن الكتابة ولسانُه عن الحديث وتحمّل في ذلك الأعباء الكثيرة، ومن أهم المجالات التي نشط وبرز فيها هي كالآتي:

بعد رجوعه من الزّيتونة سنة 1919م، اتصلت به مباشرة الزّاويّة التّيجانيّة، وفتحت له الأبواب للتعليم والتّدريس، ورحبت به فقام بهذه المهمّة على أحسن حال، وذلك من خلال تأسيسه لمدرسة على النّمط العصريّ شهد بها الجميع شكلا ومضمونا من حيث الهياكل البيداغوجيّة والمواد العلميّة العصريّة كالرّياضيات والمنطق واللغة والتّعبير والعلوم، وكانت تنتقل مع أهالي الزّاويّة في حِلهم وترحالهم بين تماسين وگمار..

ويذكر أحد تلاميذه حديثه حول هذه المدرسة وهو العلّامة والأديب الفقيه محمّد الطّاهر التّليلي الگماري بقوله:

"..... وقد كنت في تلك الأثناء أحضر دروس الشّيخ محمّد اللقاني بن السّايح عندما يكون في گمار لتدريس أبناء الزّاويّة التّيجانيّة فقد عمل مؤدبا ومعلما بالزّاويّة المذكورة، وعلّم دروسا للناشئة التّيجانيّة على غرار نظام المدارس الابتدائيّة بتونس، علاوة على دروس الدّين لعامّة النّاس، فكنت أحضر ما يمكنني من دروسه في السّنة المذكورة وما قبلها.....".

كما ذكر إنّه درس عنده بعد ذلك في جامع الزّيتونة، ومن أشهر تلاميذه نجد شيخ الزّاويّة التّيجانيّة الخليفة سيدي أحمد بن حمهْ، الذي أمر أن يبقى منهج التّدريس على منهج اللقاني أيام خلافته.

وبعد سنوات قاربت العَقد من الزّمن مؤديا رسالتّه التّعليميّة والمدرسيّة بكل جد واجتهاد، جاءت ظروف قاهرة تمثلت في مضايقات الاستعمّار عن تحركاته، وتعرض للمراقبة من طرف القوّات الفرنسيّة، الشّيء الذي اضطره إلى التّوقف عن عمل التّدريس والتّعليم في وطنه الجزائر وهو غير راض عن ذلك، إلا أن قدر الله غالب وهو يرى شعبه ينهشه الجهل والفقر.

بعد ذلك قرر العودة إلى البلاد التّونسيّة والتّحق مباشرة بحكم حصوله على الشّهادة العالميّة التي تؤهله إلى الانخراط في سلك أساتذة وشيوخ جامع الزّيتونة المعمور وبذلك أصبح من الجزائريين الذين يعدون على الأصابع الذين تولوا التّدريس بالجامع الأعظم، -ولله المنة والفضل- وهذا راجع إلى المكانة العلميّة والأخلاقيّة التي شهدها الشّيخ، وكان له أسلوب متميز في إيصال المعلومة إلى الطّلبة والاجتهاد في ذلك، وكان مضرب المثل في الاحترام والأخلاق العاليّة داخل الزّيتونة وخارجها.

وبحكم مكانته العلميّة فقد ساهم شيخنا الفاضل بالعديد من الأنشطة خارج مجال التّدريس النّظاميّ بالزّيتونة، وأهم الأنشطة التي تولاها باختصار هي:

- الإمامة والخطّابة في بعض مساجد مدينة تونس خاصّة التي يقطنها جزائريون نذكر منها: مسجد حي بوزفيل الذي تحول فيما بعد اسم المسجد بالعلّامة اللقاني تكريما له، ومسجد حي فرانس فيل قرب منطقة جبل الاحمر.

- عمل في الإذاعة التّونسيّة من خلال إشرافه على برنامج (حديث الصّباح) يعالج فيه قضايا اجتماعيّة وتربويّة وعمل مصححا وهذا بطلب من مدير الإذاعة.

إلى جانب نشاطه فقد كان صاحب التّرجمة شاعرا بامتياز، وعده صاحب كتاب شعراء الجزائر الهادي سنوسي الصّادر سنة 1927م بأن محمّد الشّيخ اللقاني من أهم شعراء الجزائر في العصر الحديث وله ديوان شعري يضم العديد من القصائد في مختلف الأغراض لاسيما قصائده التّوجيهيّة والإرشاديّة ومسايرته لهموم وطنه العزيز، ويمتاز بأسلوب لغوي قوي وقوة الإبداع والوصف واستعمال الألحان مع المحافظة على البنيّة التّقليديّة للقصيدة العربيّة، وقد نشر العديد من قصائده في جرائد عصره كالشّهاب/ صدى الصّحراء/ البصائر/ النّجاح....

ومن قصيدة بعنوان (إلى الشّعب الجزائري) نذكر الأبيات التّاليّة:

بني الجزائر هذا الموت يكفينا
لقد غلّت بحبل الجهل أيدينا
بني الجزائر هذا الفقر أفقدنا
كل اللذائذ حينا يقتفي حينا
بني الجزائر قوموا ما لكم غربا
عن نيل مكرمة ترضي المحبينا
بني الجزائر قوموا استيقظوا فلكم
أذقنا اللهو والإهمال يهوينا
بني الجزائر ما هذا التّقاطع من
دون البرايا، عيوب جُمّعت فينا
فقر!!وجهل!!وآلام!!ومسغبة!!
يا ربُّ رحماك هذا القدر يكفينا
هيا نؤم زلال العلم نشربه
فالجهل يقتلنا والعلم يحيينا

بقي شيخنا الفاضل مؤديا رسالتّه بكل جد واجتهاد من الأمانة والخطّابة والفتوى والتّوجيه والإرشاد وتقديمه برنامجا في الإذاعة والمداخلات في المنتديات والكتابة الصّحفيّة والشّعر والأدب، فكل من تعرف به يصفه بأنّه يعد من الأعلام الموسوعيين.

في آخر حياته أصيب بنوبة صحيّة لينتقل على إثرها إلى جوار ربه يوم 21/ 02/ 1970م بمنزله بمدينة تونس العاصمة، وشيع إلى مثواه الأخير بحضور عدد من كبار العلماء وتلاميذه رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

التيجاني العقون

المصادر :

ويكيبيديا الموسوعة الحة أخر ولوج 2020

محمّد المبارك
(1330هـ - 1912م/1401هـ - 1981م)

ولد (محمّد المبارك) الحسني الجزائريّ في دمشق سنة 1912م، من أبّ جزائريّ مولود في دمشق يدعى (عبد القادر) من أصول جزائريّة من دلّس؛ إذ رحل جدُّه في هجرة العلماء إلى بلاد الشّام؛ وهي الرّحلة التي قادها الشّيخ السّكلاوي. وجدُّه هذا كان عالماً من منطقة دلّس متقناً لتصحيح كتب السّلف وضبطها. رحل الجدّ إلى موطن العلم؛ حيث يجد ضالته في تصحيح كتب السّلف بالرّجوع إلى نوادر الأصول، والمقامات، وكلّ ما له علاقة بالتّصوّف والأدب، والمخطوطات النّفيسة. وجمع كماً منها في الشّام، ممّا شبع

نهمه، وتركها لحفيده (محمّد). ويكون الحفيد (محمّد) أوّل جزائريّ يولد من أبّ جزائريّ مولود بالشّام. كما كان الأبّ (عبد القادر) مُثّقفاً قرأ على علماء دمشق؛ كالشّيخ الطّنطاوي، واتّصل بالأمير عبد القادر الجزائريّ الحسني، وخصَّه بشعره لم يمدح أحداً غيرَه به، وكان يُقرئ مقامات الحريري لأولاده، ومنهم (محمّد) الذي أولاه الرّعايّة العلميّة الخاصّة حتى نبغ وتضلّع في علوم العربيّة. إضافة إلى تلك المجالس العلميّة والأدبيّة التي يقيمها في بيته؛ وفيها يقدّم قراءات في الأدب والتّصوّف، وما له من تعاليق على التّفاسير.

ولد (محمد بن عبد القادر المبارك) في دمشق في سنة 1912 ونشأ فيها، ودرس على والده الشّيخ (عبد القادر المبارك) والشّيخ (محمد بدر الدّين الحسني) الملقّب بالمُحدّث الأكبر، وكان تلميذاً مواظباً استطاع أن يقطع مراحل التّعليم بنجاح حتى تحصّل على شهادات عُليا في الحقوق والآدب، وإثرها ابتُعِث إلى فرنسا لمواصلة دراساته العُليا في جامعة السّوربون، وتخرّج منها سنة 1938م، ويعود إلى دمشق؛ ليشتغل في التّعليم، ويُعيّن مفتّشاً وعضواً في لجنة التّربيّة والتّعليم. ويدخل أستاذاً إلى جامعة دمشق مدرّساً لمادة الدّراسات القرآنيّة. وفي عام 1954 ينتقل إلى كلية الشّريعة أستاذاً للعقائد الإسلاميّة، ثمّ عميداً للكليّة بين 1958 و1963. وكلّ هذا لم يُثنِه عن خوض غمار السّياسة، حتى وصل إلى عضويّة البرلمان، وتولّي حقيبة وزارة الأشغال العامّة والمواصلات، ثمّ وزارة الزّراعة.

ـ أثر الأبّ في الابن: ممّا يُسجّل على الأب أنّه كان يتابع دراسة وأخلاق ابنه من خلال توصيات يُسديها له بخصوص ربطه بأصوله وعاداته، والتّواصل مع أنداده من المهاجرين الجزائريين إضافة إلى العلاقات العلميّة بما ينشر في بلده عن طريق منشورات جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وكانت جريدة البصائر لا تغيب عنه. ومن خلالها فتحت له نافذة الاطلاع على حال البلد، وآمن بضرورة الدّفاع عن الحريّة، وترسّخت في ذهنه أفكار جمعيّة العلماء بقوّة، وبخاصّة أيام تطلابه في (باريس) وكان يحضر دروس الجمعيّة، وهو الذي يقول: «حضرت الكثير من اجتماعاتها في باريس حينما كنت طالباً في جامعتها ما بين 1935 و1938. وكان عدد هذه النّوادي التي يتسع كلّ منها لآلاف المستمعين ثمانية. وكان الخطباء يتمتّعون بحرية الكلام ومهاجمة الاستعمار، وبثّ روح الاستقلال التي لا يتمتّعون بمثلها في الجزائر. وكان من قادة هذه الحركة في باريس يومئذ المجاهدان الشّيخ الفضيل الورثلاني -رحمه الله- والشّيخ سعيد الصّالحي... وبلغت قوّة الحركة أنّ البائعين المتجوّلين في باريس من الجزائريين والعمّال الأميين كانوا يحدثوننا بحماسة عن حركة الإصلاح هذه". وإنّه أُعجب أيّما عجب بالدّور النّضالي الذي تقوم به الجمعيّة، وفيها قال:" «إن من لم يعرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لا يعرف شيئاً عن الجزائر في عصرها الحاضر، فهي تؤلّف الجهاز الضّخم في كيانها والفكرة المستقرّة في ضميرها، والمعبّرة عن روحها التي ترجمت في أعمال بدأت من نشر العلم والدّين والوعي السّياسي، وانتهت إلى ثورة مسلّحة كانت الخاتمة والنّتيجة الطّبيعيّة لحركتها".

خدمات الرّجل الوطنيّة والإسلاميّة:

لقد أسهم بقسط كبير في لمّ شمل الجزائريين في بلاد الشّام وتوعيتهم في سلوكهم أمام المُضيّفين السّوريين الذين أنزلوهم منزلة المحبّة وتقاسم العيش، ولهذا كان يحلم بتحقيق وَحْدَة المسلمين، وأنّ المهاجرين الجزائريين جزء من أهل الشّام، وهم من طينة تجمعها المِلّة المُحمّديّة. وفي كلّ هذا يهفو إلى تحقيق مسار العقيدة والفكر الإسلاميّ الذي يخلص في العمل عبر التّطبيق العملي من خلال تلك الكتب التي جسّد فيها أفكاره الحديثة في مواجهة الأفكار الغربيّة. وتلاقحت أفكاره أكثر عندما تعرّف على (مالك بن نبي) والتقيا على همّ نشر الوعي قبل الوعظ، وضرورة وعي الأمّة الإسلاميّة في معركة تحقيق الذّات. ومن وراء هذا أسهم بمقالات صارخة تعمل على التِماس الأسباب للنّهوض من جديد. وهذا من خلال مجلات: الفتح الرّسالة، المسلمون، حضارة الإسلام الشّهاب، الفكر الإسلامي، المسلم المعاصر، الإيمان، دعوة الحقّ، النّهار...الخ. ومن ذلك تجاوزت شهرته بلاد الشّام، واستكتبته العديد من الجامعات العربيّة والإسلاميّة للتّدريس فيها العلوم اللغويّة والشّرعيّة والإنسانيّة، فاستجاب لبعضها فعمل أستاذا زائراً. كما شارك في ملتقيات الفكر الإسلامي، وكان يقدّم أيضاً -على هامش الملتقيات- محاضرات في المؤسّسات التّعليمية والثّقافيّة. وفي كلّ هذا نال شهرة وطنيّة من خلال الاطلاع على أفكاره، فأنجزت أبحاث أكاديميّة كثيرة. وفي الحقيقة وراء كلّ عظيم أفكار كبيرة، وإنّ هذا المسار الذي انتهى في 6 ديسمبر 1981م، لكنّ شعلته قائمةٌ من خلال الرّصيد العلميّ الذي جعله عضواً في مجمع دمشق، القاهرة وبغداد، ويترك كتباً مهمّة في شتّى المعارف، ونشير إلى بعضها:

- فنّ القصص في كتاب البخلاء، مطبعة التّرقي، دمشق، 1940م، دار الفكر، دمشق ط2، 1965م، دار الفكر الإسلامي الحديث، 1979م.
- عبقرية اللغة العربيّة، دار الفكر، بيروت، 1956م.
- نظرة الإسلام العامّة في الوجود وأثرها في الحضارة، المطبعة الجديدة، دمشق، 1958م.
- الأمّة العربيّة في معركة تحقيق الذّات، مؤسّسة المطبوعات العربيّة، دمشق، 1959م دار الفكر، بيروت، 1988م.
- من منهل الأدب الخالد، 1959م، دار الفكر، بيروت، 1964م.
- فقه اللغة وخصائص العربيّة، دار الفكر، بيروت، 1960م.
- نحو وعي إسلاميّ جديد، دار الفكر، 1960م.
- ذاتيّة الإسلام أمام المذاهب والعقائد، دار الفكر، بيروت، 1960م.
- نحو إنسانيّة سعيدة: نظرات في الكون والحياة والمصير وفي الإنسان من خلال الكتاب العربيّ المبين، 1961م، دار الفكر المعاصر، ط2، 1970م، دار الفكر الإسلامي الحديث 2000م.
- العقيدة في القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، 1967م.

- الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربيّة، دار الفكر، 1968، دار الفكر الإسلامي الحديث، 1970م.
- نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، دار الفكر، ط1، 1968م.
- المشكلة الثّقافيّة في العالم الإسلامي: واقعها وعلاجها، دار الفكر، بيروت، 1969م.
- المجتمع الإسلامي المعاصر، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1971م، دار الفكر بيروت، ط2، 1973م، دار اللواء، بيروت، ط4، 1979م.
- الأمّة والعوامل المكوّنة لها، دار الفكر، دمشق، د.ت، دار الفكر، بيروت، ط3، 1975م، 1988م.
- الإسلام والفكر العلميّ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1978م.
- بين الثّقافتين الغربيّة والإسلاميّة: دراسات في الثّقافة والتّربيّة، دار الفكر، بيروت، 1980م.
- نظام الإسلام: الحكم والدّولة، دار الفكر، 1989م.
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، الدّار العالميّة للكتاب الإسلامي والمعهد العالميّ للفكر الإسلامي، ط1، 1989م، إعادة طبع، 1995م.
- مذكرات في الثّقافة الإسلاميّة، دار الفكر، بيروت، د.ت.

صالح بلعيد

محمّد المصطفى (الدّحاوي)
(ت: 1215هـ - 1801م)

هو الشّيخ محمّد المصطفى بن عبد الله، سليل الولي الشّهير (سيدي دحو بن زرفة) نسبةً إلى مرضعته زرفة، و(آل سيدي دحو) من شرفاء معسكر، يحظون على مرّ التاريخ بالمكانة المرموقة اجتماعياً، وخصوصاً في العهد التركي، حيث كان البايات يستشرون مشايخ قبيلة (سيدي دحو)، ويقرّبونهم، ويحترمونهم ويكرمونهم، وقد وظّفوا عدداً منهم في سلك القضاء وفض النزاعات.

لا نعرف من شيوخه سوى ثلاثة، وهم:

- العلاّمة محمّد أبو راس الناصريّ، الفقيه والمؤرّخ الشّهير، فقد أثنى في كتابه (فتح الإله ومنته) على الشّيخ (الدحاوي) واعتبره من تلامذته النجباء، وكان يحلّيه بالألقاب العلميّة الساميّة، وقد تأسّف الشّيخ أبو راس على وفاة تلميذه في ريعان شبابه أسفاً كبيراً.
- الشّيخ المكي بن عيسى، قاضي قلعة بني راشد (التابعة إدارياً لولايّة غليزان)، وصفه (المصطفى الدّحاوي) في رحلته (شيخنا الفقيه الفرضي النحوي اللغويّ الشّاعر العروضيّ آخر قضاة العدل، أبو عبد الله السيد المكي بن عيسى)، وحلاّه مرة أخرى بالقول (شيخنا العلامة الفقيه النحويّ الشّاعر العدل النزيه قاضي المحلة المنصورة ومجدد نظام الشّريعة المبرورة من بأدبه يساغ الشّجا ويجلى الأسى أبو عبد الله السيد المكي بن عيسى).
- الشّيخ أبو طالب المازوني، فقد انتقل إليه (الشّيخ الدّحاوي) إليه في (مازونة) حيث كان يقوم بتدريس الفقه المالكي معتمدًا على شرح الموطّأ للزرقاني ومختصر خليل للخراشي، وقد شارك -رغم كبر سنه- رفقة أربعمائة من طلبته في فتح وهران.

أثنى عليه شيخه (أبو راس الناصريّ) في كتابه (فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته) بقوله (كبير العلماء العاملين، والجهابذة الفاضلين، الذي لا يتحرّك إلاّ بقلبٍ حاضر، ولسان ذاكر، عظيم القدر، رفيع الذكر، العالم الأصفى، والتقيّ الأضفى، تلميذنا مصطفى بن عبد الله بن دحو، أنجب من كلّ من حثّوا في طلب العلم ولحّوا، جليلٌ متفنّن، جميلٌ عدلٌ ماجدٌ كاتبٌ بارعٌ، ناظم ناثر ذو المعاني والإعراب، والفنون والآداب، والكرم والفضائل، مع الحسب الأصيل، والمعارف والتحصيل، نشأ على عفافٍ وطهارة، وحسن سمت وشارة، مجتنب المواضع الأريبة، حتى توفي في حال الشّبيبة).

ووصفه (الآغا بن عودة المزاري) في كتابه طلوع سعد السعود بأنّه (من علماء الرّاشديّة الأذكياء، السادات الكرام الأصفياء، العلاّمة الأجل، والقدوة الأبجل، مؤلّف كتاب فتح وهران، النّقاد الرّاوي، الخالي من سائر المساوي، أحد شرفاء غريس، الشّريف الحسني، السيّد مصطفى بن عبد الله الدحاوي)

بعد رحلة حافلة في طلب العلم أصبح (المصطفى الدّحاوي) مؤهّلاً للتدريس والتعليم، فقد أصبح مدرّساً بالمدرسة المحمّديّة التي كان يديرها العلاّمة (محمّد بن عبد الله الجلاّلي) بقلب مدينة (معسكر) عاصمة الإيالة الغربيّة، وزامل فيها مدرّسين آخرين وهما الشّيخ (محمّد بن حواء بن يخلف) والمؤرّخ الشّهير (أحمد بن سحنون الرّاشدي)، كما عمل في القضاء، ونظراً لما توفّر فيه الخصال والمؤهّلات عيّنه الباي (محمّد بن عثمان الكبير) كاتباً لديه، ثمّ ألحقه برباط الطلبة الذي حاصر مدينة (وهران) خلال معركة تحريرها من الإسبان وكان مساعداً لرئيس الرباط الشّيخ (محمّد بن عبد الله الجلاّلي)، ثمّ قاضياً في (وهران) بعد تحريرها.

رغم حداثة السن فقد ترك الشّيخ (المصطفى الدحاوي) ميراثاً علمياً مهمّا، قال عنه شيخه (أبو راس الناصريّ): (له

كتابات على أسئلة كبار كأنها من الدرر أو المعيار، ومناظرات وأجوبة مع العلماء، وله في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم قصائد فيها من البلاغة عجائب وغرائب)، وممّا نعرف من تلك الآثار:

– كتاب الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفا (مخطوط)، يتحدّث فيه عن جواز أخذ العلماء الهدايا والأعطيات من السلاطين والأمراء، وقد ألّفه بتكليف من الباي (محمّد بن عثمان) الذي كان يغدق على العلماء والمثقفين بالجوائز والصلات.

– الرحلة القمريّة في السيرة المحمّديّة (مطبوع)، وهو كتابٌ ألّفه بأمرٍ من الباي (محمّد بن عثمان الكبير)، لتأريخ حوادث فتح وهران سنة (1206هـ/ 1792م)، فبدأ تأليفه خلال الحصار الذي دام عاماً كاملاً، لكنّه انشغل عنه ثمّ عاد إلى إتماه بعد التحرير.

– تلخيص الجمان من حياة الحيوان، وهو كتابٌ في الطب مستخلصٌ من كتاب الحيوان للدميري، يتضمن وصفات طبيّة من أعضاء الحيوانات، حقّقه الباحث تقي الدين بوكعبر ونال به درجة الدكتوراه من جامعة وهران.

– لقد خلّف (المصطفى بن عبد الله الدّحاويّ) رصيداً شعرياً لا بأس به شمل موضوعات المديح والوصف والتقريظ وغيرها من الأغراض الشّائعة في عصره، نقتبس منه قوله في مدح شيخه (أبي راس الناصريّ):

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى مِنْ نَصِيرٍ
مُنْصِفٍ لِمَجْدِ الكِرَامِ الأَفَاضِلْ
يُطْنِبُ القَوْلَ في امْتِدَاحِ فَقِيْهٍ
لاحَ نُورُهُ في سَمَاءِ الفَوَاضِلْ
أَبَا رَاسٍ لِلْعُلَمَاءِ أَنْتَ عِمَادٌ
أَنْتَ نَجْمُ الهُدَى شِفَاءُ العَرَاقِلْ
لَمْ تَزَلْ عَاضِدَ الفِقْهِ مُنْذُ زَمَانٍ
كَكَوْكَبِ سَعْدٍ مِنْهُ حِيْنَ تُنَاضِلْ
فَتَنَيْتَ عِنَانَ نُصْحِكَ لِلنَّحْوِ
وَفِيْهِ شَفَيْتَ كُلَّ غَلائِلْ
وَرَقَيْتَ مِنَ الحَدِيْثِ مَنَارًا
فَصَرَتْ عَنْهُ هِمَّةُ المُتَطَاوِلْ
فَانْتَضَيْتَ يَمَانِيًّا كَوَمِيْضٍ
فَلَقَ الصُّبْحَ عَنْ شُرُوقِ الدَّلائِلْ
إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مِنْكَ عُجَابٌ
فَكَيْفَ رَكِبْتَ دَلِيْلَ الدَّلائِلْ
فَلازِلْتَ مِنَ الخَلِيْقَةِ تُدْعَى
قَوَّالَ حَقٍّ دَامِغًا لِلأَبَاطِلْ

توفي الشّيخ (مصطفى بن عبد الله الدحاويّ) وهو في سن الشّباب بسبب عاصفة ريح الوباء الجارف وذلك يوم 29 من شهر ذي الحجة عند سنة 1215 هجريّة.

حبيب بوزوادة

المصادر:

- جيلالي جلول، معسكر رجال وتاريخ، دار الأديب، وهران، 2006م.
- محمّد المصطفى الدحاوي، تلخيص الجمان من كتاب الحيوان، تحقيق ودراسة تقي الدين بوكعبر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران، 2019م– 2020م.

محمّد المصطفى بن باديس
(1284هـ - 1886م/1370هـ - 1951م)

ولد "محمّد المصطفى بن الشّيخ المكي بن باديس الصّنهاجي" بمدينة قسنطينة وهو من أعيانها البارزين، كان رجلا متمسكا بالدّين يحفظ القرآن الكريم ويجيد تلاوته، وله اطلاع على مبادئ الفقه وإلمام باللغة العربيّة ويجيد الفرنسيّة، التي يبدو أنه تعلمها بالمخاطبة، وبالجملة فهو مثقف بالنّسبة لعصره، وكان يتميز بالكرم وفعل الخير والتّبرع الكثير بماله للمشاريع الاجتماعيّة بمدينة قسنطينة، كان عضوا في مجلس العمالة بقسنطينة، وصل إليه عن طريق الانتخاب ومندوبا ماليا وعضوا في المجلس الأعلى ومستشارا بلديا، ووشحت فرنسا صدره بوسام الشّرف، وقد احتل مكانة مرموقة بين جماعة الأشراف وكان من ذوي الفضل والخلق الحميد ومن حفظة القرآن، ويعود إليه الفضل في إنقاذ سكان منطقة واد الزّناتي من الإبادة الجماعيّة سنة 1945 على إثر حوادث 8 ماي المشهورة، وقد اشتغل بالإضافة إلى ذلك بالفلاحة والتّجارة، وأثرى فيهما.

الحق أن عائلة ابن باديس كما أكد أحد أفرادها عبد الحق بن باديس لم تشغل الوظيفة في الإدارة الاستعماريّة من أجل العيش، ولكن للدفاع عن قضايا أهل قسنطينة، لأن أسرته كانت أسرة فلاحيّة ثريّة منذ القدم، لها من الممتلكات والعقارات ما يغنيها عن أيّة وظيفة.

عرفت الأسرة الباديسيّة منذ القدم بإنجابها للعلماء والأمراء والسّلاطين، ويكفي أن نشير إلى أنهم ينتمون إلى ما يقول مؤلفا كتاب أعيان المغاربة المستشرقان Marthe et Edmond Gouvion والمنشور بمطبعة فوناتانا في الجزائر 1920م، بأن ابن باديس ينتمي إلى بيت عريق في العلم والسّؤدد ينتهي نسبه في سلسلة متّصلة إلى بني باديس الذين جدّهم الأول هو مناد بن مكنس القرن الرّابع الهجري، وأصل هذه القبيلة كما يقول المستشرقان من ملكانة أو تلكانة وهي فرع من أمجاد القبيلة الصّنهاجيّة "البربريّة" المشهورة في المغرب العربي.

فمحمّد المصطفى كان يمتلك من الأراضي الخصبة في نواحي قسنطينة والخروب وواد زناتي، ما يعود عليه

وعلى أسرته بالإنتاج الوفير كما كان من المتاجرين الكبار في تجارة الضّأن، حيث كان يصدر منها العدد الوفير إلى فرنسا، فتدر عليه الأموال الطّائلة، وقد جعلته براعته وعمله في الزّراعة والتّجارة من كبار الأثرياء وقد أكد ابن باديس الابن نفسه ثراء أسرته فقال ذات مرة إلى أحد أنصاره الذي أحضر له غداء متميزا إلى الجامع الأخضر مقره الدّائم: " ألا تعلم أنني ابن المصطفى بن باديس، وأن أنواعا مختلفة من الطّعام اللذيذ تعد كل يوم في بيته لو أردت التّمتع بالطّعام، ولكن ضميري لا يسمح لي بذلك وطلبتي يصغون الخبز بالزّيت، وقد يأكله بعضهم بالماء".

و على الرّغم من أنه كان عمدة من عمد الإدارة الفرنسيّة في قسنطينة فقد كان غيورا على وطنه مدافعا عنه، محبا للعلم والعلماء، مما جعله يشجع ابنه عبد الحميد على أن يصبح الشّخصيّة الأولى في الجزائر، قبل اندلاع الثّورة التّحريريّة علما وعملا وسياسة.

قال عنه ابنه عبد الحميد: رائد النّهضة العربيّة الإسلاميّة في الجزائر بمناسبة ختمة القرآن الكريم سنة 1938 أمام حشد كبير من المدعوين ثم نشره في مجلة الشّهاب:"إن الفضل يرجع أولا إلى والدّي، الذي رباني تربيّة صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشربا أرده وقاتني وأعاشني وبراني كالسّهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا، وكفاني كلف الحياة فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشّكر..".

فالمصلح الجزائري لم يقل عن والدّه مثلما قال الشّاعر العربي في الجاهليّة:

ضيعني أبي صغيرا

وحمّلني دمه كبيرا

فلا صحو اليوم ولاسكر غدا

اليوم خمر وغدا أمر

فمحمّد المصطفى عرف كيف يستغل وظائفه الإداريّة ومكانته السّياسيّة لدى الإدارة الفرنسيّة لخدمة وطنه، عن طريق قنوات مختلفة.

والشّاهد أن وثائق الحركة الوطنيّة الجزائريّة، تؤكد على أن محمّد مصطفى ابن باديس قد لعب دورا أساسيا مع ابنه عبد الحميد، والدّكتور محمّد الصّالح بن جلول، في وقف نزيف الدّم أثناء الصّراع الدّموي، الذي وقع بين المسلمين واليهود سنة 1934 بقسنطينة، وفي الدّفاع عن بنى جلدته أمام السّلطات الأمنيّة والقضائيّة الفرنسيّة، بل فقد كان له الفضل أيضا في إبعاد سخط الإدارة الاستعماريّة عن ابنه عبد الحميد في الحفل الذي أقامه بمناسبة ختم تفسير بقسنطينة سنة 1938، والذي حضرته الوفود من كل أنحاء الوطن وخارجه، حيث لجأ يوم احتفال ابنه عبد الحميد تفسير القرآن، إلى حيلة يبعد بها عرقلة الفرنسيين لابنه، فدعا حاكم قسنطينة وأعوانه إلى وليمة اعتبروها قمة للولاء والصّداقة، وبذلك جعلهم يغمضون أعينهم على نشاط ولده "عبد الحميد" لاسيما فى حفل ختم تفسير القرآن.

هكذا كان محمّد المصطفى بن باديس يحسن مجاملة الحكام الفرنسيين واصطناعهم حتى يجعلهم يخففون من ضغطهم ومراقبتهم الشّديدة على الأهالي المسلمين في قسنطينة ولاسيما عائلته.

أما زوجته أم عبد الحميد بن باديس زهيرة بنت محمّد عبد الجليل بن جلول، فهي الأخرى من أسرة مشهورة بقسنطينة سكنت بها منذ أربعة قرون على الأقل، وعائلة ابن جلول من قبيلة بني معافر المشهورة في جبال الأوراس، انتقل أحد أفرادها إلى قسنطينة في عهد الأتراك العثمانيين حيث تزوج أميرة تركيّة وهي جدة أسرة (ابن جلول) التي توجد في قسنطينة، ولذلك تزوج منها محمّد بن مصطفى بن باديس باعتبار أن العائلات المشهورة بالثّراء والعلم لا تزوج ابناءها وبناتها إلا من الأسر العريقة مثلها.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عاشور شرفي: الكتاب الجزائريون قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد المكي البوطالبي
(1213هـ - 1799م/ 1272هـ - 1856م)

محمّد المكي البوطالبي، مفتي قسنطينة وقاضيها، ولد الشّيخ محمّد المكي بن الشّيخ سعد البوطالبي، أبو محمّد عبد الله في مدينة قسنطينة سنة 1799م، في أسرة عريقة معروفة بالعلم، فوالده هو الشّيخ سعد البوطالبي، وقد كان معلّما في جبل بوطالب جنوب مدينة سطيف قبل أن ينتقل إلى قسنطينة ويستقرّ بها، وفي هذه المدينة ولد الشّيخ "المكّي" ونشأ فيها وترعرع وتعلّم حتى صار من فقهائها ووجهائها.

تلقّى الشّيخ (محمّد المكّي البوطالبي) تعليمه في مدينة قسنطينة، حيث بدأ حفظ القرآن الكريم في كتاتيبها، ثمّ تلقّى مبادئ العلوم في مساجدها وزواياها، وقد طوّر طلبه للعلم بالجلوس إلى كبار علماء وفقهاء قسنطينة، ومن أهم العلماء الذين تذكر المصادر أنّه تلقى العلم على أيديهم "عبد الملك الراشدي" وهو مفتي المالكيّة والفقيه

المالكيّ المعروف، ابن أخ الشّيخ "عبد القادر الراشدي" العلامة المعروف، وقد روى عنه الشّيخ "محمّد المكي" في الحديث. ومن الشّيوخ الذين كانوا منتصبين للتعليم في ذلك الوقت منهم: الشّيخ علي بن مسعود الونيسي، والشّيخ مبارك بن عمر الصائغي، والشّيخ محمّد الحفصي العلمي، والشّيخ أبو القاسم المختالي، والشّيخ أحمد بن المبارك العلمي وغيرهم.

بعد اشتداد ساعد الشّيخ (محمّد المكّي البوطالبي)في العلوم المختلفة، أصبح مؤهّلا للتدريس وغيرها من الوظائف التّي تؤهلها له مكانته العلميّة، فتولّى الإمامة والقضاء والفتوى، كما تولّى رئاسة مجلس الشّرع في مدينة قسنطينة، وكان عضوا في المجلس الشّرعي الأعلى للجزائر.

وقد بدأ الشّيخ (البوطالبي) التدريس في سنّ مبكّر جدّا سنة 1815، وكان سنّه آنذاك ستّ عشرة سنة (16)، حيث تولى في السّنة نفسها التدريس في المدرسة الكتانيّة بقسنطينة، ومكث في التدريس بها مدّة خمسين سنة (من سنة 1815 إلى سنة 1865). ثم ترقّى في نشاطه التعليمي والديني فتولّى وظيفتي الإمامة والتدريس في الجامع الكبير بمدينة قسنطينة سنة 1849، وكانت وظيفته في الإمامة تعرف بـ"باش إمام" ووظيفته في التدريس تعرف بـ"شيخ الدرس". وبعد افتتاح المدرسة الشّرعيّة – الفرنسيّة في قسنطينة سنة 1851 التي تولى إدارتها محمّد الشّاذلي القسنطيني، تولى الشّيخ "المكّي" التدريس فيها مع غيره من المشايخ، كالشّيخ مصطفى بن جلول والشّيخ أحمد المبارك العطار. وهي مدارس أنشأتها فرنسا بدايّة من سنة 1850 وطورتها سنة 1876، وأنشأتها في ثلاث مناطق هي: قسنطينة، والمديّة، وتلمسان، "وكان الهدف من إنشاء المدارس الشّرعيّة الفرنسيّة، هو إعادة الثقة للمغلوبين (الجزائريين)، وجلب الطّلبة الذين كانوا من قبل يتوجهون للدراسة في الجامعات (الأجنبيّة)، وخصوصا المغرب، والمقصود من المدارس تكوين المترشحين للوظائف المتصلة بمصالح الدين والقضاء والتعليم العام للأهالي وللمكاتب العربيّة"، و"رغم أن إدارتها كانت عربيّة ومعلميها من العرب. فهي مدارس تقع تحت إشراف الحاكم العام، وتحت مراقبة الضباط الحاكمين في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة عندئذ"، كانت لغة تلاميذها مزدوجة وثقافتهم كانت متنوعة وعقليتهم كانت علميّة أكثر من زملائهم خريجي الزّوايا ومعاهد الشّرق وتونس والمغرب، ومن أبرز المتخرجين من المدارس الشّرعيّة مالك بن نبي، لكن هذه المدارس أدت خدمات كبيرة لفرنسا وليس للثقافة العربيّة ولا الثقافة الإسلاميّة، فلم تخرج علماء في الفقه الإسلامي ولا في اللغة العربيّة قادرين على ملء الفراغ الذي تركه الجيل القديم بالانقراض والهجرة، ولم يبرز منها منافسون لعلماء الزّوايا أو الأحرار العصاميين في الثقافة الإسلاميّة الذين كان الفرنسيون يخشون من توظيفهم لأنهم خطرون وغير موثوق في نواياهم، كما أن تلاميذ المدارس الشّرعيّة، وقد بلغ عمرها قرنا كاملا، لم يستطيعوا منافسة علماء الزّيتونة أو القرويين أو الأزهر في الأدب واللغة والتوحيد والفقه وحركة التأليف. وخاصّة بعد وفاة الرواد الأوائل لها، ومنهم الشّيخ "محمّد المكّي البوطالبي"، "وقد روى (شارل فيرو) أن الأوساط العلميّة في قسنطينة كانت تقول: "إن العلم قد انطفأ عند المسلمين بموت سي مصطفى بن جلول وسي المكي البوطالبي"". وقد أخذ عن الشّيخ البوطالبي عدد كبير من العلماء منهم: الشّيخ مصطفى بن السّادات القسنطيني، الشّيخ محمّد السّعيد بن الموهوب (وهو والد الشّيخ المولود بن الموهوب)، والشّيخ حمدان الونيسي، وغيرهم كثير.

أمّا القضاء فقد تولاه الشّيخ "المكّي" على فترات، حيث كانت المرّة الأولى سنة 1834 في عهد "أحمد باي" لكنّها لم تدم طويلا حيث عزل سنة 1835، لكنّه أعيد مرّة أخرى سنة 1837، وعزل بعد احتلال الفرنسيين لقسنطينة، ثم عيّنته السّلطات الفرنسيّة مرّة أخرى قاضيّا مالكيّا سنة 1848 وبقي في هذا المنصب حتى عزلته السّلطات الفرنسيّة سنة 1853، ويعتقد أنّ هذا العزل كان بسبب تأييد الشّيخ "المكّي" لأحمد باي عندما أتت به السّلطات الفرنسيّة إلى قسنطينة بعد استسلامه سنة 1848، فكان في استقبال "أحمد باي" عدد من أعيان قسنطينة منهم: الشّيخ "محمّد المكي البوطالبي".

أما عضويّة الشّيخ في المجلس الشّرعي الأعلى للجزائر، فكان بعد "إصدار وزير الحربيّة في 27 أبريل 1855 قرارا بإنشاء المجلس الفقهي في الجزائر ليكون هو محكمة الاستئناف الإسلاميّة، وقد ضم عناصر من بقايا العلماء المخضرمين"، كالشّيخ بلقاسم بن البزغتي، والشّيخ حميد بن العمالي، والشّيخ حسن بن بريهمات، والشّيخ أحمد بن عيّاد، والشّيخ الطّاهر بن غراس، والشّيخ محمّد العياشي بن برنو، والشّيخ أحمد بن المبارك.

وقد توفي الشّيخ "المكي البوطالبي" في شوال من سنة 1281 هجريّة الموافق لـ شهر فيفري من سنة 1865 ميلاديّة. وقد وصفه العلامة "عبد الحيّ الكتّاني" في (فهرس الفهارس) بـ"السّيد محمّد المكي بن الشّيخ سعد البوطالبي مفتي قسمطينة وقاضيها".

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر 201؛
- محمّد عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2،بيروت، 1982؛

فارس كعوان: المكانة العلميّة لقاضي قسنطينة ومفتي المالكيّة محمّد المكي بن سعد البوطالبي "1799–1865"، المجلة التاريخيّة الجزائريّة، م 04، ع 1و2، سنة 2020.

محمّد الميلي
(1348هـ 1930م/1437هـ - 2016م)

محمّد بن مبارك بن محمّد إبراهيمي الهلالي الميلي، كاتب وسفير سابق، صحفي ومؤرّخ جزائري بارز. ابن العلامة المؤرّخ الشّيخ (مبارك الهلالي الميلي) أحد رواد المصلحين في الجزائر والعضو البارز في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من مواليد 11 نوفمبر 1929 بمدينة الأغواط في الجنوب الجزائري، كبر وترعرع بمدينة ميلة التي تبعد عن مدينة قسنطينة حوالي خمسين كلم.

أبدى منذ صباه نبوغا وحبّا للاطلاع، جعل أباه يؤثره على غيره من أبنائه ويكن له حبا خاصا، نشأ في كنف والده يعلمه ويهذبه مدة خمسة عشرة (15) عاما، فتلقى على يديه مبادئ العلوم في العربية والفقه وبعض العلوم الأخرى، وكان ذلك في المدرستين الفرنسية والعربية "حياة الشّباب" اللتين أنشأهما والده العلامة مبارك الميلي بمدينةميلة، وبعد وفاة والده سنة 1945، انتقل من مدينة ميلة إلى مدينة قسنطينة لمتابعة دراسته بمعهد (عبد الحميد بن باديس). ثم بعد إنهاء دراسته في الجزائر بعثه خاله إلى جامع الزّيتونة ومعهد الصادقية بتونس تحت إشراف الجزائري مختار بجاوي والشّيخ التونسي سكيس ليتخرج منهما عام 1950، حين عاد إلى الجزائر التحق كمدرس بمعهد إبن باديس وهو إذ ذاك في عنفوان شبابه، لايتجاوز اثنين وعشرين من عمره، وقد دفعه حبه الكبير للوطن للانضمام إلى الثّورة سنة 1955، ليتعرف على الشّهيد عبان رمضان الذّي يعتبره من أبرز الشّخصيات التي أثرت فيه، وظل يناضل إلى غاية نيل الحرية، فكان من أبرز الصحافيين الجزائريين في الثّورة التحريرية، كانت يحرّر ويترجم المقالات الصحفية في جريدة(المجاهد)، لسان حال جبهة التحرير الوطني، أثناء الثّورة التحريرية، وكان شهرته في الصحافة تتجاوز حدود وطنه الجزائر،



فقد اعتبره بعض الصحافيين التونسيين معلما وأستاذا في ميدان الصحافة.

وهو كاتب وباحث وافر الإنتاج يكتب في الصحف الجزائرية والعربية، مثل: مجلة (المجاهد) (جريدة الشّعب) و(الوطن العربي) بباريس ومجلة (المستقبل العربي).

وكان له موقف مشهود من المسألة اللغوية في الجزائر، فيرى أن وحدة الأمة الجزائرية يكمن في وحدة لسانها، حيث يقول: "إن الأمازيغ من أبناء الوطن دخلوا الإسلام وتعلموا لغة الإسلام العربية، طائعين فوجدوا أبواب التقدم في الحياة كلها مفتوحة في وجوههم فامتزجوا بالعرب فقاسموهم كل مرافق الحياة، فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية. وهكذا أصبحوا شعبا واحدا متحدا غاية الاتحاد ممتزجا غاية الامتزاج، وأي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد واتحد اللسان. فاللغة العربية والآداب العربية هي لسان الأمة الجزائرية كلها... ليس تكوّن الأمة يتوقف على اتحاد دمها ولكنه متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها في وحدة اللسان وآدابه واشراك الآلام والآمال"

عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال سنة 1962، شغل عدة مناصب كبيرة وحساسة منها :

- عين في سنة 1967 على رأس المدرسة العليا للصحافة؛
- مستشار الرّئيس هواري بومدين؛
- شغل منصب مدير بوزارة الأخبار الجزائرية، مابين 1974 و1977؛
- نائب بالمجلس الشّعبي الوطني ومسؤولا عن ملف التربية والإعلام و الثّقافة ؛
- عضو باللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني ما بين 1977 و1979؛
- مدير ليومية جريدة (الشّعب) النّاطقة باللغة العربية؛
- المدير العام لمجلة المجاهد؛
- شغل منصب وزير التربية والتعليم سنة 1998؛
- المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثّقافة والعلوم بتونس، فقد انتخب سنة 1991 لمدة عشر سنوات؛
- عضو المجلس التنفيذي بمنظمة ا ليو نسكو ؛
- سفير الجزائر باليونان؛
- سفير للجزائر بالقاهرة؛
- سفير بتونس لعدّة سنوات.

منحت للفقيد المجاهد ميدالية مقاوم أثناء الثّورة التحريرية ووسام الاستحقاق الوطني سنة 1984.

في سنة 2012 أو 2013 مرض ولزم الفراش ثم نقلته زوجته زينب الميلي، ابنة العربي التبسي أحد الأقطاب المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إلى فرنسا من أجل العلاج لما عجز الأطباء الجزائريين من علاج شلله الكلي، وقد رحل في أحد المستشفيات الباريسية عن عمر ناهز ال87 عاما، ووصل جثمانه إلى الجزائر يوم الجمعة 10 ديسمبر 2016 على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الجزائرية، ودفن بعد صلاة الظهر بمقبرة سيدي يحيى وقد بعث رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة

تعزية لعائلة المرحوم محمّد الميلي، ومما جاء فيها: "لقد كان الفقيد جم الأدب عالي الخلق، حلو الشّمائل، لطيف المعشر، ذا علم غزير وباع طويل في التأليف والكتابة، ولا غرو في ذلك فهو سليل أسرة علمية ترعرع في حضن والده العلامة المؤرّخ الكبير الشّيخ مبارك الميلي رفيق درب العلامة المصلح الكبير عبد الحميد بن باديس، عليهما رحمة الله، وتشرب منه الخلق الحميد والنّزاهة الوطنية الصرفة. بدأ نضاله يافعا ولما اندلعت ثورة التحرير المظفرة وسطع شعاع أول نوفمبر، التحق بإخوانه المجاهدين مؤديا دوره النّبيل بكل بسالة وإخلاص، ينافح بالكلمة والقلم، وبنفس الرّوح التي تحلى بها على مدى حياته، أسهم في بناء الدولة الحديثة بتوليه العديد من المسؤوليات في داخل الوطن وخارجه، وكان على حمل المسؤوليات قادرا، وفي أداء المهمات نشيطا، إلى أن مرض وخبا في أفقه الأمل وأدركه الأجل".

نتاجه الفكري:

- الجزائر في مرآة التّاريخ، بالاشّتراك مع الدكتور (عبد الله شريط)، طبع سنة 1973.

رابح دوب

المصادر

محمّد النّجار الحركاتي
(1294 هـ - 1877م/1367هـ - 1947م)

الشّيخ محمّد النّجار بن الحاج الطّاهر الحركاتي بن عمارة، المولود في مدينة عين البيضاء ولايّة أم البواقي، والمتوفى في مدينة قسنطينة.

عاش حياته في وطنه الجزائر وتونس.

حفظ القرآن الكريم في صغره بالكتّاب بمسقط رأسه، كما تلقى مبادئ العلوم، ولمّا بلغ من العمر ثماني سنوات رحلت عائلته من عين البيضاء إلى قسنطينة، فوجد محمّد النّجار ضالتّه إذ تتلمذ على العالم الجليل الشّيخ حمدان لونيسي شيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، وعلى الشّيخ عبد القادر المجاوي، وغيرهما فنهل كثيرا من معين أولئك العلماء الأجلاء.

لم يتفرغ ابن عمارة للتعليم فقط على غرار تلامذة ذلك الزّمن، بل مارس عدة نشاطات فرعيّة، لكسب قوت يومه من جهة وممارسة هويات في نفسه من جهة أخرى فتعلم النّجارة وأتقنها حتى عرف بالنّجار، كما تعلم صناعة الدّهن وبرع في فن الرّسم اليدوي وله آثار فنيّة شاهدة على ذلك.

كما كان يتكسّب من تأليف الرّوايات والأناشيد والمدائح النّبويّة حتى صار قصّادًا للطريقتين الصّوفيتين: العيساويّة والقادريّة بمدينة قسنطينة.

شارك في تأسيس الجمعيّة الخيريّة بقسنطينة عام 1916، وأصبح كاتبًا عامًا لها، وكان عضوًا بجمعيّة السّلام أيضًا ورئيسًا للرابطة الأدبيّة التي تأسست عام 1928.

ومن أعمال الشّيخ الجليلة أيضا إنشاؤه للتعليم الليلي للعمال وقد استفاد منه الكثير من التّواقين إلى العلم من كبار السّن، مما جعل الشّيخ "ابن عمارة" ينال المنزلة الكبرى في المجتمع القسنطيني، وهو ما عبر عنه الشّهيد "أحمد بوشمال" في الكلمة التّأبينيّة التي ألقاها بمناسبة الحفلة الأربعينيّة لوفاة الشّيخ، والتي لخص فيها أعمال الرّجل وخصاله نورد بعض المقتطفات منها للتعرف على أهميّة هذه الأعمال: "تعرفت بالشّيخ محمّد النّجار وهو في درجة قصاد في طريقتين القادريّة والعيساويّة، وقد استطاع أن يجمع بينهما بحسن السّلوك وطيب معاشرة... وكان الشّيخ محمّد النّجار أبا لكثير من المشاريع الخيريّة (الجمعيّة) هي الشّاهد الحي على ما بذل... والشّاهد على ما قام به من أعمال التّخفيف من ويلات البؤس والشّقاء على جميع قصادها...وكان لجانب هذا المظهر من حياته في المجتمع القسنطيني له مظهره الخاص مظهر الأديب المطلع المولع بالنّكت الأدبيّة وضرب الأمثال الشّعريّة والحكمة في كل مناسبة فكلما تجتمع به إلا تسمع منه شيئا يرضيك او يسليك... استطاعت شخصيته أن تحافظ على القديم وتشارك في الجديد وتحتفظ بحب واحترام الجميع"(نشرت الكلمة بجريدة النّجاح في 17/ 01/ 1948).

نشط بشعره في مكافحة الاستعمار الفرنسي في وطنه الجزائر وفي تونس، كما كان على اتصال بالجمعيات التّمثيليّة في المناسبات المختلفة، كما أنه يعدّ من الرّواد المؤسسين للمسرح الحديث في الجزائر.

نتاجه الأدبي:

له قصائد عديدة وموشحات ومشطرات نشرت في جريدة النّجاح.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو ارتباطه بالمناسبات الدّينيّة والاجتماعيّة المختلفة. مثل قصيدته في شهداء باخرة سيدي قروش، وقد احترق في حجرة الفحم في أثناء اختفائهم من أجل الهروب إلى فرنسا قصد العمل هناك. وفي هذه القصيدة يلقي اللوم على المستعمر الذي جعل من الجزائريين غرباء في وطنهم المسلوب مما اضطرهم للهرب طلبًا للقمة العيش، وفي هذه القصيدة تظهر قدرته على رسم المشهد وتحريك الصّورة المؤثرة في النّفوس.

كما أنه نظم الموشحات وعارض بعضها وقام بتشطير بعض القصائد، ومجمل القول إن شعره تغلب عليه النّزعة الإصلاحيّة وروح المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي،

أمّا لغته فهي قويّة جزلة وأسلوبه محكم، وخياله نشط.

نماذج من شعره:

مأساة العمال المحترقين

شعراءَ البلادِ هل قد سمعتُمْ
حادثًا صير الحشا يتفطّرْ
أيُّ عيشٍ يطيب أيُّ حياةٍ
أيُّ عينٍ لم تذرفِ الدّمعَ أحمر
إخوةٌ أربعون شدُّوا حِزَامًا
في سبيل المعاشِ حيث تعذَّر
ذهبوا يطلبون للأهلِ قوتًا
تَترجّاهُ صِبيّة تتضجّر
خرجوا يضربون في الأرض سعيًا
بُغيّة القُوتِ حيث لم يتيسَّر
وَجدُوا الأمرَ موصدًا بقرارٍ
من فُلاذٍ، حجابُه لا يُكسَّر
آثروا الموتَ بالنّفيسِ لديهم
وَأخو الجوعِ بالشّدائد أقْدر
بيتُ فحمٍ وظلمةٍ نزلوها
غازُها مُخنِقٌ كريهٌ معكِّر
فلماذا أوزارُنا في ازديادٍ
ولماذا ارتحالنا مُتعسِّر
أرضُنا منزلٌ إلى كلِّ رهطٍ
وعلينا الخروجُ منها مُحجَّر
أوِ يا حسرتي على أنفسٍ ما
تَتْ على وجهِها السّوادُ مُعفَّر
رحمَ اللهُ منكمُ كلَّ فردٍ
يطلبُ العيشَ للحياة فيُقبر

تحيّة النّجاح في هندامه الجديد

جاء يختال باسمًا في انشراحِ
حاملا في المَلا لواءَ النّجاحِ
وبدا ماثلا بثوبٍ قشيبٍ
يحمل البشْرَ بانبلاجِ الصّباح
مستجِدًّا هندامه في جلالٍ
ليس يَثْنيه ما مضى من كفاح
ذبَّحته الأقلامُ ألفاظ دُرٍّ
وشّحَتْها المعاني أسنَى وشاح
فتلقّاه باغْتباط وشوقٍ
وانشراحٍ قُرّاؤُه وارتياح
أدباءَ الجزائرِ الحربُ وَلّتْ
لا رعى اللهُ عهدَها بفلاح
أخمدَ اللهُ نارَها ولظاها
ومضى عهدُها بِخُسْرِ القِداح
فانشروا اليوم من نتائج فكرٍ
طالما عُطِّلتْ بغير سلاح

تشطير

(وما كنت راضٍ من زمانٍ بما ترى)
فلي همَّةٌ من دونها الطّائرُ النّسرُ
رضختُ لدهرٍ جارَ لا عَنْ مذلّةٍ
(ولكنّني راضٍ بما حكَمَ الدّهر)
(فإن كانتِ الأيامُ خانتْ عهودَنا)
فلا عجبٌ من شأنها الغدرُ والنّكْر
وإن صبَّتِ الأرزاءُ من فوق كاهلي
(فإني بها راضٍ ولكنَّها قهْر)

اللسان العربي

أيُّها الكاتبُ هل من نهضةٍ
ترفعُ الشّعبَ لأعلى الرّتَبِ
عمَّنا جهلٌ مُبيدٌ حالكٌ
حارِبوهُ باللّسانِ العربي

من معارضة موشح ابن سهل

كم ترى الرّوضَ بدا مُبتسِما
قد كساهُ الزّهرُ أبهى ملْبسِ
مُذْ بكتْ في أرضه سُحْبُ السّما
(ضحكَتْ منه عيونُ النّرجسِ)

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- سليمان الصّيد: نفخ الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائريّة للمجلات والجرائد، الجزائر 1994؛

عبد الله ركيبي: الشّعر الدّيني الجزائري الحديث، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر 1981.

محمّد الهادي السّنوسي الزّاهري (1320هـ - 1902م/1394هـ - 1974م)

محمّد الهادي بن علي بن محمّد بن العابد بن محمّد السّنوسي الزّاهري نسبة إلى جده الأكبر (أبي زاهر) الحسني نسبة إلى الحسن السّبط، على ما هو متواتر، يرويه كابر عن كابر، بحارة آل السّنوسي، في ربيع الأوّل سنة 1320هـ، باليانة وهي قريّة من قرى الزّاب الشّرقي بسكرة، واليانة أقرب إلى خنقة سيدي ناجي منها إلى بسكرة، وبالتّاريخ الميلادي في عام 1902م بدون تحديد لليوم والشّهر، وقد حدد محمّد الهادي السّنوسي في رسالة بخطه وجهها إلى مدير التّعليم الثّانوي بوزارة المعارف بالجزائر -يطلب فيها منصبا في التّعليم- تاريخ اليوم والشّهر بـ 13 جوان 1902م.

ترعرع السّنوسي في عائلة شريفة وعريقة وحريصة على حفظ القرآن الكريم وطلب العلم، الذي ورثه على والده الذي كان شغوفا بحبه للعلم. ولما كان الأمر كذلك؛ بعث به إلى قسنطينة حاضرة العلم آنذاك، وهو ابن الخامسة عشر من عمره، فلقي معارضة شديدة من أقربائه ما رأوا من صغره، وعدم تجلده في الاغتراب، فما أقام- والده- لمعارضتهم من وزنا. توفّي والده قبل أن يشتد عليه ساعده، وتحفزت الأيام عليه- كما يقول- لولا

شقيقه سيدي العابد الذي ما ادخر عزيزا إلا وكان به عليه جواد.

اقتسم تربيته والده وجده وجدته لأمه؛ عني والده بتربيته الرّوحيّة فأدخله الكتاب القرآني، ونظرا لما كان يعانيه من مرض كان يعاوده، ونظرا لما كان عليه من ضعف بنيّة؛ رأى والده أن يتولى قراءته وتحفيظه الذكر الحكيم بأسلوبه الخاصّ، مع شيء من الشّعر العربي مع شرح بسيط.

وأمّا تربيته الذاتيّة فأكثر من تولّاها جدّه لأمه وجدته لأمّه، بعد أن أتمّ القرآن أرسله والده في طلب العلم، ولحسن حظه أن كان ابن باديس رائده الأمثل في هذا الدّرب، حيث تلقن عنه مدة سبع (7) سنوات؛ أي من 1918م إلى 1925م. مما هداه إلى المنهج القويم في العقيدة وفي الفكر وفي نظرته للحياة والنّاس، فساعده ذلك على الخروج مما كان مُنغمسًا فيه من أجواء بيئته الصّوفيّة.

تمنّى الاستزادة من طلب العلم والارتحال إلى مصر سنة 1923م حيث مقرّ الجامع الأزهر الشّريف، والجامعات المصريّة الحديثة، والمشاهير من العلماء والأدباء والمفكّرين؛ لكن الاستعمّار وقهره حال دون بلوغ غايته وتحقيق آماله، فغدى مناضلا كبقيّة زملائه تحت لواء الشّبيبة الجزائريّة بقسنطينة.

استهل الهادي السّنوسي نشاطه الإصلاحي في مدينة بسكرة في (أوائل العقد الثّالثّ من القرن العشرين) إلى جانب بعض المصلحين الرّواد الذين كان يقود موكبهم الشّيخ الطّيب العقبي، ثم أصدر ابن باديس جريدتيه: المنتقد، فالشّهاب سنة 1925، فأصبح الهادي السّنوسي واحدًا من المُحررين بهما، ويقوم إلى جانب ذلك بالتّجوال في أرجاء البلاد لفائدتهما، معرفا بأهدافهما، داعيا إلى ما يدعوان إليه من نهضة وتحرر، وإصلاح ووطنيّة. ثم إنّه من بين المؤسّسين لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وأحد أعضائها العاملين، فأوفدته هذه الجمعيّة في إطار مشروعها الدّعوي الإصلاحي إلى فرنسا ليسهم إلى جانب بعض شيوخها في عمليّة الوعظ والإرشاد والتّوجيه والتّكوين بين المغتربين.

كان إلى جانب نهوضه بهذا العمل الإصلاحي ينشط في حقل التّربيّة والتّعليم، فكان مُدرسًا في عدّة مُدن تأتي الجزائر العاصمة في مُقدمتها، حيث كان مُعلمًا سنة 1928 بمدرسة (الشّبيبة الإسلاميّة الجزائريّة) فمديرًا لها، ثم باشر هذه المهمّة في الثّلاثينات بمدينة تلمسان، ثم بمدينة سيدي بلعبّاس، وكلتا المدينتين من مدن الغرب الجزائري، وقد استقرّ بهذه المدينة الأخيرة سنين كان يزاوج فيها بين التّعليم في مدرستها، وبين الوعظ والإرشاد في مسجدها، وبها تعرض لبعض الملاحقات من طرف البوليس الفرنسي، وبعض الضغوطات من محيطه، مما اضطرّهُ إلى أن يُوقف نشاطه في هذا الميدان، ويشتغل بعض الوقت بالتّجارة ليلتحق من بعد في الخمسينات بالعمل في الإذاعة.

يؤكّد كل من الأستاذ محمّد الصّالح رمضان، وحمزة بكوشة؛ تعليم الهادي السّنوسي مع الشّيخ البشير الإبراهيمي في تلمسان، قبل بناء مدرسة دار الحديث.

شكل عبد الحميد بن باديس نقطة محوريّة في حياة محمّد الهادي السّنوسي؛ حيث عد الوحيد الذي لم يذكر غيره في ترجمة حياته. تعلم منه قرض الشّعر، ودرج على مواجهة الجمهور وهو يلقي القصيدة على مسامع الحاضرين في الحفلات الحاشدة، وشخصيته المتفتحة التي ترفق الإقصاء والتّمييز العنصري؛ جعلت من قلمه سيالا ومن رأيه كِلّاما فكان من الأقلام السّياسيّة الواعدّة بغد أفضل للجزائر.

لكن يذكر حمزة بكوشة في مقال له بمجلّة الثّقافة العدد24 السّنة4 ص101؛ أن محمّد الصّالح رمضان علّم الهادي السّنوسي مع الشّيخ البشير الإبراهيمي في تلمسان قبل بناء دار الحديث، وبعد ذهاب زهير الزّاهري إلى وهران.

إن نفس محمّد الهادي السّنوسي التّوّاقة للعلم والتّعليم لم تعرف الرّاحة إلا قبل وفاته بثلاث سنوات. تميز قلمه بغزارة الكتابة، قلم لم يعرف الهوادة، وقلبه مفعم بالنّشاط العلمي والتّربوي قبل وبعد الاستقلال، حيث استمرّ في مهنة التّدريس إلى غايّة 1971م.

تنوعت كتاباته بين دراسات ومقالات، وكذا قصائد شعريّة منشورة في مجلّة الشّهاب والمنتقد، وكذا بجريدة النّجاح حيث كان يُوقع شِعره في الصّحف بإمضاء (شاعر المنتقد)، وهي أوّل صحيفة أصدرها ابن باديس، ومجلّة هنا الجزائر التي كانت تصدر عن دار الإذاعة الفرنسيّة بالجزائر (1952–1962). فالسّنوسي ليس له ديوان مطبوع يضم شعره، ولا كتاب منشور يشتمل على نثره، ولا يزال معظم ذلك مبثوثاً في أحضان الصّحف الوطنيّة التي كان يتجول في أرجاء الوطن مروجًا لها. كما كانت له مساهمات في تأليف سبع تمثيليات إذاعيّة منها "هجرة الرّسول"، "زواج بوران" و"الزّواج بالرّضا" وغيرهم.

إذن؛ فليس له من الأعمال المنشورة خارج إطار الصّحف والمجلات سوى بعض النّصوص الشّعريّة والنّثريّة في بعض المراجع، أو كتابه الشّهير شعراء الجزائر في العصر الحاضر، وقد جمع فيه تراجم لبعض شعراء مرحلة النّهضة في الجزائر، وبعض المختارات من شعرهم. ونذكر من أعماله على سبيل الحصر ما يلي:

– المقالات والدّراسات:

– قصيدة في رثاء فقيد العلم والأدب المولود الأزهر، جريدة النّجاح، العدد 201، 27 مارس 1925م

– قصيدة مهداة إلى مفتي الجزائر فضيلة الأستاذ مولاي أبي القاسم الحفناوي مفتي الدّيار الجزائريّة، جريدة النّجاح، العدد 2015، 02 جويليّة 1925م.

– الحكومة وأبناء الزّوايا، مجلّة الشّهاب، عدد: 63، صفحة 11–18، الموافق لـ18 أكتوبر 1926م.

- قصيدة "إن الحياة هي حظوظ"، جريدة الشّهاب، العدد87، 10 مارس 1927م
- في المجتمع الجزائري مأساة ومواساة، مجلّة هنا الجزائر، عدد 12، صفحة: 4، سنة 1952م.
- ثورات ضائعة، مجلّة هنا الجزائر، عدد:10، صفحة: 1، سنة 1953م.
- بين القديم والجديد، مجلّة هنا الجزائر، عدد12، صفحة: 1، سنة 1953م.
- التّفاتة إلى الماضي، مجلّة هنا الجزائر، عدد: 44، صفحة:3، سنة 1956م.
- القصائد الشّعريّة:
- قصيدة "على عتبة العام الجديد"، مجلّة هنا الجزائر، عدد:9، صفحة: 8 سنة 1953م.
- قصيدة "متيجة"، مجلّة هنا الجزائر، عدد: 32، صفحة: 9، سنة1955م.
- قصيدة " وجه الرّبيع"، مجلّة هنا الجزائر"، عدد 34، صفحة:4، سنة1955.
- قصيدة "رأس السّنة الهجري"، مجلّة هنا الجزائر، عدد:79، صفحة 5، سنة 1959م.
- ومقالات أخرى عديدة كلها ما بين عام 1926م و1928م.

يقول عنه زميله في التّعليم الأستاذ محمّد الصّالح رمضان: "الأستاذ محمّد الهادي السّنوسي الزّاهري: كاتب وشاعر وخطيب ممتاز...وبذ أقرإنه بذكائه وحرصه على الدّرس والتّحصيل والمطالعة الحرّة، فتمت معارفه وتفتحت مداركه... وقال الشّعر في صباه ونبغ فيه...وتلمح على شعره بصره بالأسلوب وامتلائه باللغة.

ويقول عن شاعريته الشّاعر التّونسي الشّاذلي خزندار: "

شاهدتكم في سجل الشّعر مهتديا
لصفوة النّجباء منكم بهاديها
لا غرو إن كنت في ظل الأخوة قد
أصبحت أحدو بأشعاري وأزجيها

أما السّائحي ناشر كتاب "محمّد الهادي السّنوسي الزّاهري فقد قال في تقديم الكتاب في شخص محمّد الهادي السّنوسي ما يلي: "هو أحد أوّلئك الرّواد الذين أضاؤوا بأدبهم الوهاج دروب الوطنيّة الموحشة إبان الاستعمّار، ودووا بأصواتهم المجلجلة وديانّها السّحيقة..."

"علم من أعلام الإصلاح وطود شامخ في سماء الأدب الجزائري ورائد من رواده، بل وأوّل جامع له- أو لبعضه- حين جمع مختارات من شعره وشعر معاصريه بين دفتي كتاب..."

أما عن زميله الأستاذ حمزة بكوشة فيقول فيه: "وهو من بواكير الحركة بالجزائر، وقد شارك فيها بأدبه، وشعره، وخطبه، فكان شاعرها العبقري، وخطيبها المصقع، وأديبها الألمعي، ومن أوائل معلمي مدارسها الحرّة، فكان المعلم النّاجح".

إن كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر، لا يقل أهميّة عن كتاب مبارك الميلي بالنّسبة لتراث الجزائر المطموس من طرف الآلة الاستعمّاريّة الفرنسيّة، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار فضل السّبق الذي كان من نصيب الزّاهري، الذي فضّل الاتكال على ذاته وإمكاناته، فله من الجزائر وكل الجزائريين، رغم التّأخر هذا كل آيات الشّكر والتّقدير والعرفان، ولو بعد زمن طويل.

أصيب السّنوسي بشلل نصفي، جعله حبيس المنزل لمدة أربع (4) سنوات، إلى أن وافاه أجله ليلة الجمعة الثّاني عشر من رمضان عام 1393هـ، الموافق للرابع من أكتوبر 1974م، وكان دفنه بمقبرة القبة بالعاصمة...عليه رحمة الله.

جميلة غريب

المصادر:

- عبد الله حمادي، محمّد الهادي الزّاهري السّنوسي-شعراء الجزائر في العصر الحاضر- ج+1ج2، دار بهاء الدّين للنشر والتّوزيع، قسنطينة، الجزائر2007م.
- عبد الحليم غنام، محمّد الهادي السّنوسي الزّاهري، منشورات السّائحي- الجزائر- الطّبعة الأوّلى، 2007م.

محمّد الصّالح رمضان، وشاهين، النّصوص الأدبيّة، النّهضة الجزائريّة، ط2، 1965م، ج1.

محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني
(1298هـ - 1880م/1381هـ - 1961م)



ولد محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني، يوم السّبت 22 شوال 1298هـ الموافق 1880م في منطقة أولاد نهار الشّراقة، نواحي سبدو بتلمسان، مرض سيدي الهاشمي النّهاري مرضا شديدا أقعده عن أعمال الدّعوة والعلم والتّربيّة، وكانت آخر وصاياه قبل الوفاة: عليكم بالكتاب والسّنة تشهد له بكمال وراثته، توفاه الله تعالى صباح يوم الثلاثاء 12 من رجب 1381هـ الموافق 19 كانون الأول 1961م (وبعضهم يقول في عام 1963م) وصُلّي عليه في الجامع الأموي ثم شَيَّعَتْه دمشق تحمله على الأكف إلى مقبرة الدّحداح، حيث وُورِي مثواه، وهو معروف ومُزَار، ودفن بجانب العالم الجليل أبي الخير الميداني، جميعا وأجزل لهم المثوبة وجمعنا بهم في أعلى فراديس الجنان مع

النّبيين والصّديقين والشّهداء والصّالحين تحت لواء سيد المرسلين سيدنا محمّد ﷺ.

كان الشّيخ سيدي محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني مقيما في نواحي سبدو، وتحديدا في بلدته (بأولاد نهار الشّراقة في وطنه الأم الجزائر)، بعد وفاة والده حوالي 1894م فتولى رعايّة إخوته؛ حيث كان أكبرهم، ولازم علماء منطقته فترة، سافر بعدها إلى تلمسان حاضرة العلم والثّقافة حوالي سنة 1896م ليجتمع بعلمائها وصلحائها، فجدّ واجتهد في البحث والأخذ عنهم، ينتمي شيخنا إلى قبيلة أولاد نهار التي تستوطن الجنوب الغربي لتلمسان؛ وهو ينحدر من فرقة (بطن) أولاد سيدي موسى (دفين بلديّة تيوت بولايّة النّعامة)، الأخ الشّقيق للولي الصالح والشّيخ النّاصح سيدي يحي بن صفيّة، (دفين المنطقة التي تحمل اسمه بحوض بوغدو بلديّة سيدي الجيلالي)، انتسب الشّيخ محمّد الهاشمي إلى الطّريقة الشّاذليّة الدرقاويّة، ثم أسس طريقة باسمه، تعرف بـ(الدّرقاويّة الهاشميّة) وفي هذا الصدد يقول المؤلف ابن الصباغ في الدور الكبير الذي لعبه سيدي محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني في نشر الطّريقة الشّاذليّة الدرقاويّة في ربوع الشّام مايلي: "وانتشرت الشّاذليّة في سوريّة منها (الشّاذليّة الدرقاويّة) التي أسسها العارف بالله الشّيخ محمّد الهاشمي".

كان والده الشّيخ أحمد بن الهاشمي عالما صالحا فاضلا يمتهن الفلاحة، ويقوم مقام القاضي والمرجع في الأحكام بالنّسبة لأهل عشيرته وقبيلته بمنطقة أولاد نهار وعموم سكان بلدته بتلمسان، اشترى الشّيخ أحمد مكتبة عامرة بكتب علوم العربيّة والتّفسير والفقه والحديث، كانت ملكا لأحد علماء تلمسان بعد وفاته.

تعلم الشّيخ سيدي محمّد الهاشمي ابتداء القراءة والكتابة وسائر العلوم على يدّ والده، وقد كانت مكتبة الوالد جنة أحلامه لا يكاد يغيب عنها، يرشف من رحيقها، ويستقي من معينها، حتى تكونت لديه ثقافة ومعرفة تؤهله للانتقال إلى تلمسان.

توفي والده حوالي 1894م فتولى رعايّة إخوته حيث كان أكبرهم، ولازم علماء منطقته فترة، سافر بعدها إلى تلمسان حاضرة العلّم والثّقافة حوالي سنة 1896م ليجتمع بعلمائها وصلحائها، فجدّ واجتهد في البحث والأخذ عنهم.

وبعد دخول سيدي محمّد الهاشمي تلمسان وُفِّقَ لشراء بيت بجوار المسجد الكبير وسط مدينة تلمسان، وما أن حطّ الشّيخ رحله واستقر به المقام حتى أخذ بالبحث عن العلماء الأجلاء في هذه المدينة، فأخذ عنهم علوم العربيّة وعلوم القرآن والتّفسير وعلم الحديث والفقه المالكي وعلم التّوحيد والسّيرة.

تعرّف سيدي محمّد الهاشمي لما استقر به المقام بتلمسان على الشّيخ بن يلّس فأخذ عنه علم التّصوف ومبادئ الطّريقة الشّاذليّة الدرقاويّة، وأذن له شيخه مع صغر سنه وقتها بالورد العام لصفاء قلبه وسعة علمه، وهمته العاليّة واستعداده، وبقي الشّيخ بن يلّس في تلمسان بعد وصول تلميذه خمس عشرة (15) سنة.

ولما هاجر إلى الشّام اجتمع الشّيخ الهاشمي بكبار علماء العصر، ومن المشايخ الأجلاء الذين حضر سيدي محمّد الهاشمي دروسهم واستفاد منهم وأفاد، نذكر:

محدّث الشّام الأكبر محمّد بدر الدين بن يوسف الحسني: قرأ عليه شيخنا الهاشمي بعض كتب السّنن وحضر دروسه العامة، وأجازه بالمعقول والمنقول من فروع وأصول، والأحاديث الشّريفة والآثار المنيفة. وكانت له خلوة معه لا يحضرها أحد. وقد شهد المحدّث الأكبر شهادة عظيمة في الشّيخ سيدي محمّد الهاشمي حين خَصَّهُ بالتّقريظ لكتابه (شرح عقيدة أهل السّنة)، ولم يُعرف عنه أنه قَرَّظَ لأحد غيره.

وعندما توفي الشّيخ القاضي تاج الدّين الحسني سنة 1943م ابن المحدّث الأكبر، وقد كان رئيسا للجمهوريّة السّوريّة، طلبت عائلة الشّيخ بدر الدين من الشّيخ محمّد الهاشمي أن يقوم بالإشراف على جنازة الشّيخ الرئيس تاج الدين من غسل وتكفين ودفن.

- عبد القادر الدوكالي (ت 1354هـ):

قرأ عليه سيدي محمّد الهاشمي علم الكلام والسّنوسيّة وشرحُ المصنف عليها، وكتاب أم البراهين، وأجازه الشّيخ عبد القادر في العلوم العقليّة والنّقليّة، ووهبه كتبه قبل وفاته. الشّيخ محمّد بن جعفر الكتاني (ت 1345هـ).

- توفيق الأيوبي (ت 1351هـ).

- محمّد نجيب كيوان (ت 1352هـ).

- محمّد أمين سويد (ت 1355هـ).

- محمود العطار (ت 1362هـ): درس عليه سيدي محمّد الهاشمي أصول الفقه.

- عبد المجيد الطّرابيشي (ت 1363هـ).

- محمّد بن يوسف الكافي (ت 1380هـ): درس عليه سيدي محمّد الهاشمي الفقه المالكي، وكان الشّيخ الكافي يحضر بعض دروس تلميذه الهاشمي في آخر حياته.

- عبد الحي الكتاني (ت 1382هـ).

سلك سيدي محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني سلوك التّصوف على يدّ شيخين جليلين، فاجتمعت له الحسنيين، حيث تعهده شيخه محمّد بن يلّس التّلمساني (ولد1264هـ/ 1847م توفي 1927م) أولا، ولم يتجاوز حينئذ العقد الثّاني من عمره، ثمّ تعهده شيخه أحمد بن مصطفى العلاوي لاحقا، أي بعد وفاة شيخه بن يلّس، يقول مريده ومحبه الشّيخ محمّد سعيد الكردي في هذا السّياق:

ومن أغرب الاتفاق الإلهي أن جمع لسيدي محمّد الهاشمي حسن تدبيره بين رجلين عظيمين من عظماء هذه الأمة المحمّديّة، وكلاهما كانا على جانب عظيم من العطاء الجزيل، ما شهدت به قرائن الأحوال وعلماء الزمان، إذ كان في أوّل سلوكه على يدّ الأستاذ المربي الشّيخ محمّد بن يلس، مازال تحت حضانته على أحسن سلوك وأتمّ سير وأصدق لهجة وأوضح محجة إلى أن منحه الله المعرفة الكبرى على يدّ أستاذه المذكور، وبعد وفاته أراد الله أن يتمّم له جميله وأن يجعله من الدّالين به عليه، فبعث إليه الوارث الأكبر لهذا المشرب العذب والمنهل الصّافي سيدي الشّيخ أحمد العلوي رضي الله عنه. فبلغ السّيد محمّد الهاشمي مقام التّلقين لاسم الله الأعظم، فيا لها من منحة ما أبركها!، وعطيّة على سوريا ما أدرها!

فقام الأستاذ الهاشمي بهذا الواجب الشّريف وفتح الله على يديه على كثير من أهل الشّام ودوائرها كما هو الآن أصبح مشهورا عند الخاصّ والعامّ، وقد دوّى هذا الصوت الجذاب في أقطار الأرض أجمع بدليل مواصلاته إلى أقاصي البلاد كالغرب واليمن ومصر وفلسطين وشرقي الأردن.

تتلمذَ عليه نخبةٌ طيّبةٌ صالحة من العلماء وطلاب العلم، ومن مختلف طبقات الأمّة يهتدون بإرشاداته، ويغترفون من علومه، ويقتبسون من إيمانه ومعارفه الذوقيّة، ويرجعون إليه في أُمورهم، وقد أذن للمستفيدين منهم بالدعوة والإرشاد، وبذا انتشرت هذه الطّاقة الرّوحيّة الكبرى في دمشق وحلب، وفي مختلف المدن السّوريّة والبلدان الإسلاميّة.

وقد أخذ عن سيدي محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني في مجال التّصوف كثيرٌ من العلماء وغيرهم لا يعلم عددهم إلا الله، وهكذا قضى الشّيخ الهاشمي حياته في جهاد وتعليم، يربي النّفوس، ويزكي القلوب الراغبة في التّعرف على مولاها، لا يعتريه ملّل ولا كسل، واستقامته على شريعة رسول ﷺ قولاً وعملاً وحالاً وعدلا وإحسانا.

ومن تلاميذ شيخنا الهاشمي ومريديه الشّيخ عبد القادر عيسى صاحب كتاب (حقائق التّصوف)، وقد أهدى كتابه هذا إلى شيخه الهاشمي، وأفرد له ترجمة مختصرة في ثنايا صفحاته، ومنهم الشّيخ محمّد رضا القهوجي، الذي أفرد له ترجمة خاصة في كتابه (العلامة محمّد الهاشمي مربي السّالكين)، ومنهم أيضا سيدي (محمّد سعيد الكردي) صاحب كتاب (الدر الفريد في ذريّة السّيد الجنيد)

خلّف الشّيخ محمّد الهاشمي مجموعة قيّمة من المؤلفات جلّها في علم التّوحيد الذي كان أستاذا فيه يعلّمه نظريا ويدلّ عليه سلوكا وذوقا، من أشهر هذه المؤلفات:

(مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السّنة) الذي تلقاه العلماء تدريسا وشرحا في الحلقات والمدارس الشّرعيّة.

- (الرسالة الموسومة بعقيدة أهل السّنة مع نظمها) هي شرح مبسط في أصول الدين، يُتْبعُها بنظمٍ من احد وخمسين بيتا.

- (سبيل السّعادة في معنى كلمتي الشّهادة مع نظمها) وهي رسالة في علم التّوحيد أتبعها بنظم من أربع وعشرين بيتا.

(القول الفصل القويم في بيان المراد من وصيّة الحكيم).

- (شرح شطرنج العارفين -المنسوب إلى الشّيخ الأكبر محي الدّين بن عربي الموسوم- أنيس الخائفين وسمير العاكفين في شرح شطرنج العارفين).

- (الدرر المنتشرة في أجوبة الأسئلة العشرة -الأجوبة الواقيّة الوفيّة على الأسئلة العراقيّة).

- (البحث الجامع والبرق اللامع فيما يتعلق بالصنعة والصانع).

كان للشيخ محمّد الهاشمي مساهمة في الشّعر، وهو من الشّعر التّعليمي، وكله مما يخدم علم التّوحيد والتّصوف، إلا قصيدة واحدة قالها في رثاء شيخه سيدي محمّد الحبيب البوزيدي، يقول في مطلعها:

لقد غاب بدرنا ونوره السّاطع
فأبكى النّجوم دمعا والأمر واقع
تبسمت الثّرى سرورا بما نالها
وقال لسان حالها لمن يسمع
فأهلا وسهلا ثم أهلا ومرحبا
بغوث الورى البوزيدي جاء يسارع

حرص الشّيخ محمّد الهاشمي أن يكون مثلا أعلى في السّلوك والعمل والتّطبيق مع التّواضع الفطري لا المصطنع، مما جعل الخَلْق كلهم يدينون له بالحبّ والولاء، فقد كان محبوبا من الشّخصيات السّياسيّة كلها ومن العلماء جميعا ومن عامّة الشّعب لتواضعه وحسن سيرته، وبعد استقرار الشّيخ محمّد الهاشمي بتلمسان واحتكاكه بعلمائها، افتتح مكتبة عمادها كتبه التي حملها معه من بلدته بأولاد نهار (ناحيّة سبدو)، وجعلها في متناول القراء للمطالعة الحرّة (فيما يشبه الآن المكتبات العامّة)، واتخذ بجانبها سبيا للمعيشة والاسترزاق، حيث افتتح كشكا لبيع الحلوى وآخر لبيع العطور، فأضحت المكتبة كسوق تجاري، رائحة عطرة وحلوة وكتبا للمطالعة، ولم يقتصر على ذلك؛ بل عمد إلى شراء الكتب من البلاد الإسلاميّة كمصر وغيرها لترويجها وإطلاع النّاس عليها، نشرا للوعي وللثقافة الإسلاميّة، كنوع من الجهاد العلمي في الجزائر التي كانت ترزح تحت الاستعمار الفرنسي الغاشم السّاعي إلى سياسة التّجهيل والتّفقير وطمس المعالم الحضاريّة للشعب الجزائري.

ضيقت السّلطات الاستعماريّة عليه، ومنعت كتبا علميّة من استيرادها، فاشترى سيدي محمّد الهاشمي (مطبعة حجريّة)، حيث قام بطبع كثير من

الكتب العلميّة والمصنفات النّادرة، ولما كثر الإقبال على مكتبته وسّعها وقسمها إلى ثلاثة أقسام: قسم للمكتبة، وقسم للمطالعة والقراءة، وقسم للطباعة.

لقد كان حريصا على أن يوفر لطلبة العلم ما يحتاجونه من كتب، وما لا يوجد في الأسواق عمد إلى طباعته، فكانت هذه المطبعة أوّل مطبعة دخلت تلمسان وربما الجزائر، وكانت تأتيه المراسلات لطباعة كتاب أو رسالة ما، وتوفيره للعلماء والطّلبة.

في هذه الفترة صدر قرار السّلطات الاستعماريّة بتجنيد الشّباب الجزائري لصالحها، فأصدر الشّيخ محمّد الهاشمي فتواه علنا، وكتبها بخطّ يده واضحا ظاهرا، جاء فيها: "كل من يجند نفسه للاستعمار الفرنسي فهو مرتد عن دين الله"، وعلّق هذه الفتوى على واجهة المكتبة ليراها النّاس جميعا، فذاع خبر هذه الفتوى وانتشر صيتها في سائر المغرب العربي، فأخذت السّلطات الاستعماريّة تلاحق الشّيخ وتكيد له، وتكرّر سجنه مرارا.

رأى شيخه محمّد بن يلّس أن يهاجر الشّيخ محمّد الهاشمي إلى بلاد الشّام وإلى دمشق تحديدا، لم ينس الشّيخ محمّد الهاشمي بعد الهجرة قضيته الوطنيّة (الجزائر التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي) حيث أسهم في الدعوة وتنظيم مؤتمر رابطة علماء سوريا بدمشق سنة 1957م لبحث أوضاع المسلمين القابعين تحت حكم الاستعمار الفرنسي؛ وخاصّة في بلده الجزائر، حيث صدر عن المؤتمر مقررات هامّة، منها:

- الاعتراف بجبهة التّحرير الوطني كممثل شرعي للجزائر، والحثّ على تقديم العون المادي والمعنوي لها من الدول العربيّة.
- تشكيل لجان لجمع التّبرعات وشرح القضيّة الجزائريّة.

وتمّ فيه أيضا بحث قضيّة المسلمين الأولى فلسطين، وضرورة دعم المجاهدين في فلسطين المحتلّة، غير أن شيخنا محمّد الهاشمي لم تكتمل عيناه برؤيّة الجزائر حرّة مستقلة، وكان يهتم بأحوال المسلمين ويتألم لما يصيبهم، وكان يحضر جمعيّة العلماء التي تقام في الجامع الأموي بدمشق، يبحث في أمور المسلمين ويحذّر من تفرقتهم، وقد طبع رسالة تبين سبب التّفرقة وضررها، وفائدة الاجتماع على الله والاعتصام بحبل الله سماها: (القول الفصل القويم في بيان المراد من وصيّة الحكيم).

ولما أرسل (هنري غورو) الجنرال الفرنسي إنذاره إلى دمشق، وهبّ الشّعب لقتال الجيش الفرنسي الزاحف من لبنان، تجند الجميع بقيادة الشّهيد البطل يوسف العظمة، كان شيخنا محمّد الهاشمي من جملة المقاتلين، ودهش القائد لوجوده، فكان جوابه:" لئن لم أُجِدْ استعمال السّلاح، أليس للمقاتلين المجاهدين نِعَال؟ أذهب معكم لأصلح نعالهم مجاهدا بعملي هذا"، وكان يكره الاستعمار بكل أساليبه، ومن ذلك، أنه لما نَدبتْ الحكومة السّوريّة الشّعب إلى التّدرُّب على الرمايّة، ونظَّمت المقاومة الشّعبيّة، على إثر العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م، سارع الشّيخ لتسجيل اسمه بالمقاومة الشّعبيّة مع الأحباب والمريدين، فكان يتدرب على أنواع الأسلحة مع ضعف جسمه ونحوله وكبر سنه (76 سنة)، وكان من المشاركين في تأسيس رابطة علماء دمشق، وكان نائب الرئيس فيها، حرص فيها على جمع كلمة علماء دمشق، وتوجيه النّاس إلى الصواب باعتبارهم مسؤولين عن الأمة، وكانت له اليدّ الطّولى في تأسيس هيئة أرباب الشّعائر الدينيّة.

كما أسهم في تأسيس مسجد الرّضوان قرب داره، وفي إنشاء زاويّة جوبر بدمشق التي زارها مرارا برفقة أحد كبار خلفائه، وهو سيدي الشّيخ محمّد سعيد البرهاني رضي الله عنه، كما أنشأ مجلس الصلاة على النّبي ﷺ في مسجد السّلطان نور الدّين الشّهيد، وكان بيته قبلة للعلماء والمتعلمين والزّوار، لا يضجر من مقابلتهم، ويقيم مع ضعف جسمه حلقات منظمة دوريّة للعلم والذكر في المساجد والبيوت، ويطوف في مساجد دمشق، يجمع النّاس على العلم وذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ.

وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى سيدي محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني في سياق حديثه عن بعض أعيان الجزائر المهاجرين إلى المشرق العربي في معلمته (تاريخ الجزائر الثقافي).

قويدر قيداري

المصادر:

- محمّد رضا القهوجي، العلامة محمّد الهاشمي مربي السّالكين، 2004.
- الشّيخ الحميري المعروف بابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ونسب وكرامات ودعوات سيدي أبو الحسن الشّاذلي، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة، دط، 2001.
- قويدر قيداري، أولاد نهار والولي الصالح والشّيخ النّاصح سيدي يحي بن صفيّة، سيرة وتراجم وتراث، مقاربات تاريخيّة وأنثروبولوجيّة وفنيّة، دار الأفق، الجزائر، 2019.

محمّد الوردي قصبايّة (الوردي سُليماني)
(1741هـ - 1925م/1438هـ - 2016م)

محمّد الوردي قصبايّة بن الحاج الغزالي بن العابد بن سليمان المعروف باسم (الشّيخ سي الوردي) وباسمه الثوري (الوردي سُليماني)، أمه فاطمة حيوني، ولد بتاريخ 15 جانفي 1925م بدوار (تاجموت) التابع حاليا لبلديّة مزيرعة، دائرة (زريبة الوادي)، ولايّة بسكرة.

نشأ وتربى في أحضان عائلة فلاحيّة تنتمي إلى قبيلة أولاد سي امحمّد بن عبد الله من عرش أولاد عبد الرحمان التي تقطن سفوح جبل أحمر خدو التابع لسلسلة جبال الأوراس، رباه والده الحاج الغزالي على حب العلم حيث حفظ القرآن الكريم كاملا وتعلم مبادئ اللغة العربيّة في سن مبكرة، كان يتمتع بذكاء وفطنة ورجاحة عقل، وكان خفيف الظل محبوبا لدى الجميع خاصة فئة الشّباب حتى لقب: شيخ الشّباب.

زاول تعليمه الابتدائي والثانوي بالزاويّة العثمانيّة بطولقة (ولايّة بسكرة)، ثم واصل تعليمه بمدينة بسكرة خلال الفترة الممتدة من سنة 1944 إلى غايّة سنة 1947م على يدّ المشايخ: نعيم النعيمي ومحمّد خير الدين وبلقاسم ميموني الغسيري وغيرهم، ليلتحق بعد ذلك بالمعهد الباديسي بقسنطينة، لكنه لم يوفق في إكمال مشواره العلمي بسبب المرض وقلة ذات اليد.

اشتغل في التعليم الحر التابع لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، فعمل في التعليم المسجدي - معلما إماما - بدايّة من بلديّة (الولجة) (ولايّة خنشلة)، انتهاء ببلديّة الحوش (ولايّة بسكرة)، عرف بحماسه الوطني الذي بثه في تلاميذه الذين شارك أغلبيتهم فيما بعد مشاركة فعالة في الثورة التحريريّة.

بدأ نشاطه السّياسي في الوقت الذي كان يمارس فيه مهنة التعليم - أواخر الأربعينيات - مع حزب الشّعب وجمعيّة العلماء المسلمين.

قبيل اندلاع الثورة ساهم الشّيخ سي الوردي في التحضير لها؛ حيث شارك مع أخيه المناضل سي إبراهيم في جمع الأسلحة الناريّة سرا، وعند اندلاعها أخذا في تجنيد بعض الشّباب من منطقتي سيدي عقبة والحوش للالتحاق بصفوف المجاهدين في جبل أحمر خدو، ليلتحقا بعد ذلك مع أسرتيهما إلى الجبل - سنة 1955م - بعدما اكتشفت السّلطات الفرنسيّة عملهما النظالي.

خلال سنة 1956 أصبح رسميا عضوا بجيش التحرير الوطني، وفي سنة 1957م تقلد رتبة عريف أول استعلامي بقسمة تاجموت التابعة لناحيّة كيمل (ولايّة الأوراس)، وفي سنة 1958م ترقى إلى رتبة ملازم أوّل بصفته مسؤولا استعلاميا استخباريا لناحيّة كيمل تحت قيادة الشّهيد البشير ورتان، المعروف باسم: سيدي حني، ليتحول إلى ناحيّة آريس في أواخر سنة 1958 بنفس الصفة تحت قيادة الملازم الثاني المجاهد امحمّد حابة.

بعدما مرض واشتدت عليه الآلام؛ إذ أصبح غير قادر على تأديّة واجبه كمسؤول استعلامي استخباري لناحيّة (آريس)، وبعد إذن من طرف قيادة الثورة في أواخر سنة 1959م عبر الخط الحدودي (حاجز الموت) المكهرب: موريس - شال إلى تونس للعلاج، وبعد مكوثه بها حوالي ثلاثة أشهر عاد إلى الصفوف لمواصلة مشواره الجهادي بالمنطقة الحدوديّة ضواحي سوق أهراس إلى غايّة الاستقلال.

بعد الاستقلال واصل نشاطه بصفوف الجيش الوطني الشّعبي وكان من المسؤولين على المحافظة السّياسيّة للناحيّة العسكريّة الرابعة بـ(ورقلة) حتى تقاعد برتبة ملازم أوّل في شهر أكتوبر سنة 1970م.

انتخب لعهدتين من سنة 1971م إلى غايّة سنة 1980م رئيسا لبلديّة (مشونش) - ولايّة بسكرة - فعضوا منتخبا بالمجلس الشّعبي الولائي لولايّة بسكرة، وعضوا دائما بالمنظمة الوطنيّة للمجاهدين، وقد انتخب عضوا بالمجلس الوطني للمنظمة وعضوا بالأمانة الولائيّة ببسكرة مكلفا بالثقافة والإعلام.

أسهم في تأسيس وعضويّة ورئاسة عدد من الجمعيات ذات الطابع التاريخي والثقافي والديني:

- جمعيّة أوّل نوفمبر لحمايّة وتخليد مآثر الثورة في ولايّة بسكرة.
- جمعيّة متحف العقيد سي الحواس بمشونش ولايّة بسكرة.
- الجمعيّة الخلدونيّة للأبحاث والدراسات التاريخيّة ببسكرة.
- جمعيّة فرغوس أكباش الثقافيّة ببلديّة مزيرعة ولايّة بسكرة.
- جمعيّة رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس بآريس ولايّة باتنة.

وقام بإلقاء الكثير من المحاضرات والدروس والندوات التي تخص تاريخ الثورة التحريريّة.

عمل على إحياء الذاكرة الوطنيّة من خلال تسجيل مسيرة مجموعة كبيرة من الشّهداء نشرت في الأجزاء الأربعة من كتاب (شهداء منطقة الأوراس) الصادر عن جمعيّة رواد مسيرة الثورة لمنطقة الأوراس بباتنة.

تسجيله لعدّة حصّص تاريخيّة بإذاعة بسكرة.

تسجيل مسيرته النضاليّة في كتاب تحت عنوان: مذكرات مجاهد من الأوراس - خلال ثورة أول نوفمبر 1954-1962 - صنف هذه المذكرات وأخرجها ابنه المهندس سليم قصبايّة، طبعت سنة 2017م، وكان الصحفي يحي باردو سباقا في نشرها على شكل سلسلة من 12 حلقة بجريدة الجمهوريّة سنة 1983م (نفس السّنة التي كتبت فيها)، كما نشرها الأستاذ أحمد بن السّايح في سلسلة من ست حلقات بجريدة صوت الأحرار سنة 2004م.

توفي المجاهد محمّد الوردي قصبايّة – الوردي سليماني – بتاريخ 16 أكتوبر 2016م، بعد تاريخ حافل بالنضال والكفاح ليبقى رمزا في حب الوطن والتضحيّة وقد أخلص جهاده في سبيل الله والوطن؛ إذ يعتبر المرحلة الثوريّة أعز وأغلى مرحلة في حياته، فكان من الذين صدق فيهم قول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

قال الأستاذ الأخضر رحموني في قصيدة ألقاها في تأبينيته (يوم 17 أكتوبر 2016م بمتحف المجاهد – بسكرة –) بعنوان (أوراس يشهد):

بأي لسان أصوغ رثائي
وأبكي المجاهد.. أي رثاء
سليل الأماجد..فخر الجهاد
حبيب القلوب.. سخي العطاء
أتى الموت سرا فعانق طودا
وأسكن (قصبايّة) في السّماء
وأطفأ سهم الردى بدر علم
قضى العمر يبني برغم العناء

سميحة كلفالي

المصادر:

- محمّد الوردي قصبايّة، مذكرات مجاهد من الأوراس، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، ط1، 2017.
- الأخضر رحموني: وقفة مع مذكرات مجاهد من الأوراس للشيخ محمّد الوردي قصبايّة، يوميّة الوسط، بتاريخ: 21/ 11/ 2020م، https: / / www.elwassat.com/

محمّد بايْ بَلْعالَمْ
(1348هـ - 1930م/1430هـ - 2009م)

وُلِدَ أبو عبد الله بن محمّد عبد القادر بن محمّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي سنة 1930م بقريّة ساهل التّابعة لبلديّة أقبلي، بدائرة أوْلف، ولايّة أدرار، وكان والده فقيهاً وإماماً ومعلّماً وربّى ابنه على حبّ العربيّة وإجادة استعمالها، وحفظ القرآن. تربّى الابن على الحفظ واستظهار المتون وحصلت له عدّة علميّة، وبخاصّة أيام التّلمذة على شيخين أثّرا في حياته العلمي: الوالد، محمّد عبد الكريم المغيلي. ثمّ ارتحل إلى زاويّة الشّيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السّباعي بمراكش، ومكث فيها سبع سنوات، قرأ فيها الفقه المالكي وأصوله، والنّحو، وهنا توسّعت مداركه العلميّة أكثر؛ وهو يستمع إلى مشايخ وعلماء آخرين، من مثل: الطّاهر بن عبد المعطي، الحاج أحمد الحسن، علي البودليمي، محمّد علوي مالكي المكّي. وبعد تلك المدّة عاد إلى قريته (أوْلف) وأسّس مدرسة (مصعب بن عمر الدّينيّة للعلوم الشّرعيّة ذات النّظام الخارجي) وأصبح إماماً خطيباً. وفي حقبة الاستدمار الفرنسي أُغلقت زاويته، وأعاد فتحها في بدايّة الاستقلال، وواصل مهام التّدريس سنة 1964م، ويصبح إماماً لدى الدّولة، وبدأ يكوّن نفسه عن طريق الدّروس بالمراسلة حتى نال شهادة تعادل مستوى



الليسانس في العلوم الشّرعيّة. ويبقى مداوماً في زاويته بالقيام بتوسعتها وإدخال إصلاحات على نظامها التّربويّ، ويفتح أقسام البنات، ونالتّ الزّاويّة شهرة كبيرة في غرب أفريقيا فقصدها طلاب من مختلف البلاد، ووفّر لهم الدّاخليّة وأخذوا العلم والإجازات.

حسب المقرّبين إليه، فإنّ الشّيخ قوّة خارقة، وله نشاط لا ينقطع، يسارع الوقت فينتصر عليه، وله مهام يوميّة يداوم عليها ويؤدّيها بانتظام، فهو ساعة مأمورة وجذوة متّقدة، يسهم في النّشاطات اليوميّة التي تقيمها الزّاويّة، ويبقى يتابع كلّ صغيرة، ويراجع البرنامج الدّراسي ويستقبل الطّلاب ويقضي مصالحهم، ويبحث لهم في المصادر، ويزيد من نصحهم وتوجيههم، كما يلتقي كلّ أسبوع أعيان (أوْلف) للنّظر في شؤون الجماعة والصّلح بين المتخاصمين، ويقيم مآدب الأكل للغرباء والفقراء، ويكون ممثّلاً للزّاويّة في المحافل الرّسميّة ويسافر للمحاضرات والملتقيات في داخل الوطن وخارجه، ويُحاضر في مختلف المساجد، دون الحديث عن تلك الخريطة التي يضعها بنفسها بخصوص إحياء ليالي رمضان، ومختلف المناسبات الدّينيّة والوطنيّة التي يجهزّ لها المطلوب بمعيّة المجلس العلميّ للزّاويّة. وهكذا يعكف كلّ سنة على تسطير برنامج ختم صحيح البخاري وتدريسه وتدريس موطّأ الإمام مالك، وشرح صحيح مسلم، كما يدرّس تفسير القرآن الكريم، وله في ذلك خمسة أيام في الأسبوع، ويقوم بتدريس المتون والكتب التي ألّفها. وفي كلّ هذا فهو دائم الحضور في الصّلاة الواجبة، وخلالها كان يلقي الدّروس في السّيرة النّبويّة الشّريفة، ويبقى آخر من يغادر المسجد وهو يستقبل المصلّين وعابري السّبيل، ومن له شكوى ظلامة، ومن انقطعت به الظّروف، فيُلاطف الجميع، ويسمع لهمومهم، ويعمل على جبر خواطرهم، ويعمل على إسداء فعل الخير بالضّيافة والمساعدّة والإيواء.

لقد كان الشّيخ من الأفاقين الرّاغبين في الاطلاع على أحوال العلماء في مختلف البلدان، فشدّ الرّحال إلى السّعوديّة في زيارات حجّ وعمرات كثيرات، ثمّ تونس والمغرب وليبيا ومصر ودمشق والأردن، وإلى بعض بلاد أفريقيا: النّيجر، مالي، نيجيريا... وفي تلك الرّحلات يجتمع مع العلماء، ويزورهم في حلقاتهم، ويستمع إليهم، ويدوّنها في كناشاته (الرّحلة العليّة) مع ما يصاحبها من أحوال وأفكار ومناقشات، وينقطع لبعض الرّحلات بالرّدّ (السّفر القاطع والرّد الرّادع لمن أجاز بالقروض المنافع) وهو يستمع لمن أفتى بجواز المعاملة مع البنوك الرّبويّة وفيه فوائد جمة في التّنديد بمن يفتي بغير علم. كما نجد ردّاً آخر في مسائل: كشف الجلباب عن جوهرة الطّلاب في علميْ الفروض والحساب... كشف الدّثار على تحفة الآثار... ضياء المعالم على ألفيّة الغريب لابن عالم... ردود علميّة من خلال سماعها في حلقات خارج الجزائر أو داخله وتشغله، وكان عليه أن يتدخّل بالرّد بالتّقويم والتّقييم، ولا مُجاملة في ذلك وهو يردّ من خلال: النّصّ/ السّيرة/ الإجماع.

ترك (بلعالم) مؤلّفات كثيرةً، ومال أكثر إلى علوم النّحو والقرآن والفقه وما له بالعقيدة ويمكن ذكر بعضها: اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم، كفايّة المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم، منحة الأتراب على ملحة الإعراب، الرّحيق المختوم شرح على نزهة الحلوم، التّحفة الوسيمة على الدّرة اليتيمة، عون القيوم على كشف الغموم، المعالم على ألفيّة الغريب لابن العالم (جزآن، المفتاح النّوراني على المدخل الرّبانيّ في الغريب القرآنيّ، كشف الدّثار على تحفة الآثار، كتاب الكوكب الزّهري نظم مختصر الأخضري، زاد السّالك شرح أسهل المسالك (جزآن)، فتح الرّحيم المالك في مذهب الإمام مالك، ملتقى الأدلّة الأصليّة والفرعيّة الموضّحة للسّالك شرح فتح الرّحيم المالك (4 أجزاء)، الجواهر الكنزيّة نظم متن العزيّة، الاستدلال بالكتاب والسّنة النّبويّة شرح على نثر العزيّة ونظمها الجواهر الكنزيّة، السّبائك الإبريزيّة شرح على الجواهر الكنزيّة، فتح الجواد على نظم العزيّة لابن بادي، الكوكب الزّهري نظم مختصر الأخضري، الإشراق البدريّ شرح الكوكب الزّهري، المباحث الفكريّة شرح على الأرجوزة البكريّة، أنوار الطّريق لمن يريد حجّ البيت العتيق، إقامة الحجّة بالدّليل شرح على نظم ابن بادي على مهمّات من مختصر خليل (4 أجزاء)، مرجع الفروع إلى التّأصيل من الكتاب والسّنة والإجماع الكفيل شرح على نظم الشّيخ خليفة بن حسن السّوفي الگماري على مختصر خليل المسمّى جواهر الإكليل (10 أجزاء)، كتاب الجواهر الكنزيّة، الدّرة السّنيّة في علم ما ترثه البريّة، الأصداف اليميّة شرح الدّرة السّنيّة، كشف الجلباب على جوهرة الطّلاب في علميْ الفروض والحساب، فواكه الخريف شرح بغيّة الشّريف في علم الفرائض المنيف، مركب الخائض على النّيل الفائض في علم الفرائض، ركائز الوصول شرح على منظومة العمريطي في علم الأصول، ميسّر الحصول شرح على سفينة الأصول، فتح المجيب على سيرة النّبي الحبيب، الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات (جزآن)، قبيلة فلان في الماضي الحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، الغصن الدّاني في حياة الشّيخ عبد الرّحمن بن عمر التّنلاني... إضافة إلى فتاوى شفهيّة وقصائد في الرّد على الألغاز، وتدوين مختلف الرّحلات... وبعضها شفاهيّ يُتداوّل الآن، وبعضها مطبوع بخطّ اليدّ... إلى جانب تلك المنظومات: تُحفة الولدان فيما يجب على الأعيان، الولدان في طلب الدّعاء من الرّحمن، حال أهل الوقت... ونرى أنّ (بلعالم) مكتبة متنقّلة تحمل دُرراً من المعارف، ولم نهتدِ للإفادة من أعماله بعد.

وقبل وفاته أوقف الكثير من كتبه على مكتبة الحرم النّبويّ، والعديد من المخطوطات إضافة إلى مكتبته الخاصّة التي وضعها في خدمة طلاب الزّاويّة، وفي 19 أفريل 2009م يموت الموسوعي الكبير، صاحب السّيرة الحافلة، ورجل العلم والتّأليف، وصاحب المنارة المشعّة، ويُدفن في مسقط رأسه (أوّلف) ورثاه أحد طلاّبه قائلاً:

ياصاحِ قفْ ألهبتَ قلبيَ بالخبر
وسقيتني جامَ المصيبةِ في الأثَر
وأسلتَ ماءَ العين حتى خِلتُه
مزن الفراق بمائه المرِّ إنّهمر
أو تَدرِ من ترثي إذِ انسلخَ الضّحى
أو تَدرِ من قد مات إذ قلتَ الخبَر
الشّيخُ (باي) ذو الوقار وذو التّقى
عَلَمُ الهدى شيخُ الشّريعة والأثَر
آمنتُ بالرّحمن جلَّ قضاؤه لله
شأن في القضاء وفي القدَر
لكنّني أبكي العلومَ شريفةً
أبكي يمينَ الصّدق واراها الحجَر
كنتَ الفقيهَ ملكتَه بزمامه شَهِدَت
تصانيفك الحسانُ بما خطَر
ربّاه هذا شيخُنا ضيفٌ أتى
أكرم منازلَه وبَوِّئهُ الحُجَر
واجمعْه في الفردوس مع خيْر الورى
وأَفِض عليه العفوَ شيخاً قد غبَر
ربّاه واجبِر كسرَنا في راحلٍ كان
الإمامَ الصّادقَ الشّهمَ الأغرّ

صالح بلعيد

محمّد بلقاسم بهلول
(1357هـ - 1939م/1439هـ/2018م)

محمّد بلقاسم بهلول المدعو حسن ابن علي ولد بتازمالتّ ولايّة بجايّة بتاريخ 14 ديسمبر 1939م، ينتسب إلى عائلة محافظة على القيم الدّينيّة والوطنيّة الاصيلة، أبوه فلاح سارع إلى تلبيّة نداء الفاتح من نوفمبر 1954 هو وابنه الأكبر صالح فاستشهدا في ميدان الشّرف فلا عجب من ذلك لأن تازمالتّ بيئة ثوريّة مناضلة وعريقة في النّضال والجهاد فكان مسؤول حوض الصّومام وما جاوره من تازمالتّ وهو المرحوم العربي أوّلبصير وإلى جانب الحركة الوطنيّة في تازمالتّ كانت منارة العلم والإصلاح بافتتاح مدرسة تابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين كان مديرها الشّهيد عبد المالك فضلاء الذي يعد أستاذ مترجمنا محمّد بلقاسم والذي تخرج من هذه المدرسة سنة 1955 بالشّهادة الابتدائيّة حين اجتاز الامتحان في مدينة الجزائر.

كما درس في المدرسة الفرنسيّة بتازمالتّ فلم يفوت على نفسه تعلم اللغة الفرنسيّة.

وفي سنة 1955 التّحق بمعهد الشّيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة وحين رجوعه من قسنطينة أرادت السّلطات الاستعمّاريّة الفرنسيّة الانتقام منه بسبب التّحاق ابيه وأخيه بالثّورة بالرّغم من عدم بلوغه سن الرّشد أي دون سن 18 فاقترح عليه استاذه الشّهيد عبد المالك فضلاء الذهاب إلى تونس بمعيّة مجموعة طلبة تازمالتّ لمواصلة الدّراسة وخوفا من أن يزگن مرة أخرى نظرا لالتّحاق ابيه وأخيه محمّد الصّالح بالمجاهدين سنة 1955.

فدرس في تونس بجامع الزّيتونة.

إن اعتماد الطّالب الجزائري في تغطيّة نفقات الاطعام والايواء واللوازم الدّراسيّة من الكتب وغيرها والمواصلات والكسوة لا يكون هذا الاعتماد إلا على الوالدّ ووالدّ مترجمنا مجاهد فشهيد.

فلقي مترجمنا ما ليقي من حرمان وحاجة ماسة إلى من يكون له سنداً مثله في ذلك مثل الكثير من الطّلبة الذين انقطعت بهم



سبل الاتّصال بذويهم فمنهم من التّحق بالثّورة ومنهم من سجن ومنهم من دمر بيته بفعل القنبلة المسلطة على القرى الآهلة بالسّكان فدمرت عن آخرها.

وفي هذه الظروف التي لم تغب عن القائد الملهم الشّهيد الرّمز العقيد سي عميروش قرر حين ذهب في مهمّة بل مهام تتصل بالثّورة وبالأخص التّسليح فقرر جمع الطّلبة سنة 1957 ورأى أن ينقد الطّلبة من الضياع ورأى أن يكون إطارات المستقبل فجمع الطّلبة المتواجدين في تونس بأن يضم اليهم آخرين من داخل الولايّة الثّالثّة من الذين حرمتهم الاعتداءات المتتاليّة بالطّائرات المقنبلة والمدافع الموجهة على القرى من متابعة دراستهم في الزّوايا والمساجد ومدارس الحركة الوطنيّة ومدارس جمعيّة العلماء وخاصّة منها المتواجدة في الأرياف والقرى فأرسل البعثات الكثيرة العدد رفقة المجاهدين الذين يتولون إدخال السّلاح إلى داخل الوطن وتولى القائد الرّمز سي عميروش الانفاق التّام على الطّلبة وأسند المسؤوليّة على متخصصين لمختلف الجوانب التّربويّة والتّعليمة والتّموينيّة والتّنظيميّة فكان المترجم له واحدا من المستفيدين من هذه المزايا التي تذكر للشهيد عميروش فيشكر ويثاب عليها في الاخرة بما يثاب على تقديم نفسه قربان لتحرير الوطن واسترجاع سيادته وحريته لأبنائه.

وفي سنة 1960 نال مترجمنا شهادة التّحصيل وقبلها شهادة الأهليّة ولأجل متابعة دراسته الجامعيّة أرسلته الحكومة المؤقتة للجمهوريّة الجزائريّة إلى مصر في سنة 1960–1961 فالتّحق بجامعة القاهرة بعد اجتياز امتحان الدّخول بامتياز للدراسة بقسم أو كليّة الاقتصاد وعن جرأته بل قل مغامرته في اختيار هذا التّخصص الذي لم يجرؤ أحد من زملائه الزّيتونيين ولوجه أو حتى التّفكير في ذلك فجل أو كل الطّلبة من زملائه أو الذين سبقوه من الزّيتونيين الذين تطغى على ثقافتهم اللغة العربيّة وآدابها والفلسفة وفروعها أو الاجتماعيات أو...

إلا أن مترجمنا شذ عن إخوانّه وزملائه ولابد إنّه لا يجهل المصاعب التي كانت محل تخوف الكثير من زملائه من هذا التّخصص الحديث.

فتخرج سنة 1956 بشهادة اللسانس في قسم الاقتصاد وعاد إلى أرض الوطن في نفس السّنة والتّحق بأسبوعيّة المجاهد ونظرا لأسلوبه الجيد وتكوينه القوى عين على رأس القسم الاقتصادي في الجريدة السّالفة الذكر فأثرى بمعارفه الغزيرة وعميق ابحاثه جريدة المجاهد بالمقالات التي أضحت مرجعاً مقيداً، وفي معهد العلوم السّياسة والإعلاميّة الذي التّحق به كأستاذ تخرج على يديه عديد الأساتذة والصّحفيين واستمرّ مثريا بذلك معارفه بفضل الدّروس والمحاضرات التي يقدمها باعتماده على المصادر والمراجع المتنوعة والتي ما فتئت تصدر تباعا في مجال العلوم الإعلاميّة والعلوم السّياسيّة.

وفي سنة 1957–1980 عين رئيس دائرة في كل من تقزيرت ثم عين الحمام ثم وادي زناني على التّوالي فكان رجل التّسّير والإدارة، كما كان رجل العلم والمعرفة في مدرجات الجامعة وفي قاعة التّحرير في الجريدة ولكونه أظهر الكفاءة في كل المهام والمسؤوليات التي أسندت اليه دعي لترقيته

مديرا مركزيا بوزارة الدّاخليّة والجماعات المحليّة.

ولم يفارق مترجمنا حب البحث الاكاديمي وشغف الاستزادة من المعارف والعلوم والسّعي الطّموح إلى نيل الدّرجة الاكاديميّة المرموقة في مجال تخصصه الذي اكتسب مفاتيحه من خلال البحث والتّعليم فحافظ على الحياة في الجو الاكاديمي فحضر شهادة الدّكتوراه في مجال تخصصه الاقتصادي والذي له فيه تأليف أفاد به الباحثين من الطّلاب والمدرسين فكانت لهم المرجع.

وأمّا بالنّسبة لشهادة الدّكتوراه الدّولة فقد كان المشرف عليه هو الدّكتور المصري المعروف محمّد دويدار.

من مؤلّفاته:

أصدر عدّة كتب في المجال الاقتصادي تعد مراجع لا يمكن الاستغناء عنها لدى الأساتذة كما لدى الطّلاب ومنها:

كتاب القطاع التّقليدي والتّناقضات الهيكليّة في الزّراعة بالجزائر طبعته الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع بالجزائر سنة 1976.

الطّبعة الثّانيّة لنفس الكتاب تحت عنوان: القطاع التّقليدي في الزّراعة بالجزائر 1985، وللكتاب أهميته في تحقيق الأمن الغذائي للوطن.

- الغزو الرّأسمالي الزّراعي للجزائر/ مبادئ إعادة تنظيم الاقتصاد الجزائري بعد الاستقلال، طبع المؤسّسة الجزائريّة للطباعة الجزائر 1984، ويعالج فيه المؤلف السّبل المثلى في انتقال الفلاحة من وضعيّة المستدمر إلى وضعيّة المستثمر الوطني.
- الاستثمارات وإشكاليّة التّوازن الجهوي مثال الجزائر المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر 1990، ويعالج فيه كيفيّة استفادة كل جهات الوطن من اقتصاديات البلاد.
- سياسة تخطيط التّنميّة في الجزائر 1976-1989 عن منشورات وجلب سنة 1993.

وعودة إلى نشاطاته الجمعويّة فلقد تقلّد مسؤوليّة التّنظيم بجمعيّة الاقتصاديين التّابعة لجزب جبهة التّحرير الوطني، وأهم اهداف وغايات هذا التّنظيم توفّير السّبل المثلى في حسن التّنسيق ونجاعته في تطوير الكفاءات لدى الإطارات القائمة على خدمة الاقتصاد الجزائري.

وأسّس مع مجموعة من الاقتصاديين الجزائريين جمعيّة عموميّة باسم الجمعيّة الوطنيّة للاقتصاديين الجزائريين كان لها صدى طيبا على المستوى المحلي والوطني.

أحرز على وسام المقاوم اثناء الثّورة التّحريريّة عام 1984، كما أسدى له وسام الإبداع الثّقافي سنة 1987.

ومثل الشّعب بعضويته في المجلس الشّعبي الوطني وكان رئيس لجنة فكان خير من مثل المواطن في هذا المجلس.

كان له كذلك ركن اقتصادي إذاعي في السّبعينات، كما كانت مقالاته في المجاهد الأسبوعي تنشر في عديد الصّحف العربيّة كمراجع حول تنميّة الاقتصاد الجزائري.

كان مناضلا مثابرا في جبهة التّحرير الوطني منذ التّحاقه بتونس عام 1956 إلى غايّة وفاته رغم بعض العروض الإغرائيّة التي إنّهالتّ عليه من بعض الأحزاب.

هذه باختصار شديد نبذة عن مسار حافل بالنّشاطات على مستويات مختلفة اجتماعيّة وسياسية وفكريّة وإداريّة أثرى فيها المرحوم المواقع التي كانت له فيها إسهاماته تلك الإيجابيّة ولئن توفاه القدر المحتوم بتاريخ 08 فيفري 2018 بعد مرض عضال فلقد خلف وراءه ذريّة صالحة من أبنائه وبناته الذين هم من صلبه كما كان له آخرون منهن قدمهم للوطن كإطارات ومختصين ومسؤولين ومشاركين في خدمة الوطن والمواطن قبل ان يوارى التّرى في قريّة الرّوضة بتازمالتّ بمسجد الشّيخ امحند ابهلول حيث دفن فيه أبوه الشّهيد رحمهم الله جميعا.

محمّد الصالح آيت علجت

المصادر:

- رحلة قرن، آيت علجت محمد الصالح، ط2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف 2016؛
حسن بهلول (ابن عم العلامة محمّد بلقاسم بهلول).

محمد بلقاسم زيناي البيضاوي
(1320هـ - 1903م/1388هـ - 1969م)

ولد الشّيخ زيناي محمد بلقاسم في شهر جانفي سنة 1903 بمنطقة هنشير الدوامس (واد نيني) البلدة القريبة من مدينة عين البيضاء التابعة لولايّة أم البواقي حاليا. وسط أسرة متواضعة متدينة محافظة، ونشأ على استقامة في الدين والأخلاق وكبر على حب الوطن وعشق الحريّة ورفض الاستعباد والظلم والقهر، أبوه سي الطاهر زيناي إلى جانب امتهانه للفلاحة كان معلما للقرآن الكريم بمدرسة القريّة التي ولد فيها الشّيخ بلقاسم وعلى يد والده حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة والدين، ليشتغل مع إخوته وأبناء عمومته بالفلاحة إلا أن طموحه في طلب العلم كان جامحا ورغم اعتراض والده الذي رفض سفره ومواصلته تعليمه إلا أنه تمكن من إقناعه ليلتحق بجامع الزيتونة المعمور أين تتلمذ هناك على يد مشايخه قبل أن يتنقل إلى الشّام وبالضّبط إلى دمشق أين واصل دراسته في العلوم الشّرعيّة واللغويّة واستغل فرصة تواجده بسوريا ليزور مدينة القدس بفلسطين أولى القبلتين وثالث الحرمين ويعرج إلى البقاع المقدسة أين أدى فريضة الحج، ليعود إلى مسقط رأسه في أواخر العشرينيات من القرن

الماضي متشبعا بالعلم والمعرفة وبضرورة التحرر من ربقة الاستدمار الذي عاث في أرض الجزائر فسادا.

عند عودته إلى أرض الوطن باشر رسالته في التربيّة والتعليم متخذا من محل لصاحبه الدغري – الذي تحول فيما بعد إلى مسجد يحمل اسم الصّحابي أبو ذر الغفاري – ناديا للشباب أين كان ينشر العلم ويبث الوعي وسط الشّباب والذي أغلق من قبل الاستعمار ثم أعيد فتحه بعد تدخل الشّيخ لدى محافظة قسنطينة، وانضم الشّيخ إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وكان ممثلها في منطقة عين البيضاء وكان له شرف فتح أول مدرسة حرة تابعة لها وعين الشّيخ علي شنتير رحمه الله معلما فيها وأسهم في تربيّة وتعليم جيل من الشّباب متشبعا بالروح الوطنيّة والدينيّة ومنهم الشّهيد البطل حيحي المكي.وكانت حياته حافلة بالتربيّة والتعليم على مستوى بلدته وما جاورها حيث عاش للعلم والوطن. كما أسهم في تأسيس فريقها الكروي حتى يربط الشّباب بقضيته ووطنه.تحركات الشّيخ المصلح لم تعجب الإدارة الاستدماريّة الفرنسيّة التي بدأت في مراقبة تحركاته عن كثب غير أن هذا لم يثن من عزيمته وطموحه الجامح من أجل وطنه وأبناء وطنه ورسالته كمرب ومعلم ومصلح.

إلى جانب نشاطه في ميدان تربيّة و تعليم أبناء الجزائر وإشرافه على المدارس والتكوين عرف الشّيخ بنشاطه النضالي ضد الاستدمار الفرنسي والذي بدأه مبكرا من خلال احتكاكه بحركة الأمير خالد الذي أقام مدة بمدينة عين البيضاء ثم انخراطه في حزب نجم شمال إفريقيا تحت قيادة الحاج مصالي الذي يعد من المقربين إليه ثم واصل مسيرته مع حزب الشّعب الجزائري الذي يعد أحد مؤسسيه وأبرز قاداته فكان مسؤولا عن المنطقة الشّرقيّة (département de constantine) من أبواب الحديد إلى أقصى شرق البلاد بالونزة وسوق اهراس وبعد حل حزب الشّعب الجزائري انضم لحركة الحريات الديمقراطيّة (mtld) فالحركة السّريّة (os) وكان همزة الوصل بينها وبين الحاج مصالي بالنظر لمكانته ومنزلته وعلاقاته المتينة بكل الأطراف وحنكته النضاليّة والسّياسيّة حيث كانت تربطه علاقات وطيدة مع الزعماء مصطفى بن بوالعيد وديدوش مراد وغيرهم من القادة وكان وسيطا بينها وبين مصالي الحاج. كما انه يعد من المخططين والمنظمين للثورة الجزائريّة وقد جمعه لقاء تاريخي برفيقه وصديقه مصطفى بن بوالعيد قبل انطلاق أول رصاصة في الفاتح من نوفمبر 1954 بمنطقة الأوراس، وأسهم بفعاليّة في أحداث الثامن ماي 1945 من خلال تعبئته للشعب وتهيئته للمطالبة بحقوقه في الحريّة والاستقلال حيث كان لا يكل ولا يمل في عمليّة التوعيّة والتحسيس والتربيّة والتعليم، هذا النشاط المكثف للشيخ بلقاسم البيضاوي جعل الإدارة الاستدماريّة تحسب له ألف حساب حيث وأمام هذا النشاط المكثف أقدمت السّلطة الفرنسيّة على اعتقاله عدة مرات واستنطاقه وتحويله إلى مدينة قسنطينة أين مورس في حقه شتى أنواع التعذيب وأبشعها غير أنه ظل متمسكا بمواقفه وآرائه التحرريّة، كما قامت بإغرائه وعرضت عليه مبالغ خياليّة من أجل التخلي عن مواقفه إلا أنه بقي صامدا لتلفق له تهمة التدبير والتخطيط لاغتيال شرطي جزائري عميل لها، وتم نفيه إلى مدينة فرندة بالجنوب الغربي وفيها أسس اول مسجد بالبلدة.وعند اندلاع الثورة وبعد عشرة أيام عاد إلى بلدته عين البيضاء التي غاب عليه أكثر من شهر بغرض توديع أهله وعائلته الكبيرة الوالدة والزوجة الأبناء وأبناء أخيه الذين كانوا تحت كفالته ويلتحق برفاقه في الجبال لمقاومة المستدمر خاصّة وان تحركاته كانت مراقبة ومتابعة من طرف السّلطة الاستعماريّة. وقد تم اعتقاله في ليلة 22 ديسمبر 1954 وهو قائم لصلاة الصّبح ومن هنا بدأت رحلته عبر السّجون والمعتقلات الكديّة والقصبة قسنطينة تازولت بباتنة وسجن سكيكدة ليطلق سراحه بعد توقيف القتال في مارس 1962 حيث عاد إلى مسقط رأسه عين البيضاء ليستقبل استقبال الأبطال من قبل المجاهدين والمناضلين الذين تكونوا على يده في موكب عظيم حيث نقل إلى مسجد المدينة وهنا ألقى خطبة تاريخيّة اهتزت لها الوفود الحاضرة.

نشاطه السّياسي والنضالي والتعليمي استمر وهو في السّجن فكان القائد والواعظ والمعلم حيث تتلمذ على يده الكثير من السّجناء وتعلموا قواعد اللغة والدين وحب الوطن والغيرة عليه فكان الإمام والمربي والقاضي والناصح والمجاهد والسّياسي.

بعد الاستقلال عرضت عليه عدة مناصب حكوميّة لكنه رفضها حيث عرض عليه الراحل أحمد توفيق المدني منصبا ساميا في وزارة الأوقاف والشّؤون الدينيّة إلا أنه رفضه.

وفضل القضاء الشّرعي بعين البيضاء أين تكفل بشؤون الشّهداء وأراملهم، ثم عمل مفتشا دينيا في الجنوب الشّرقي الجزائري وبعد التصحيح الثوري سنة 1965 قدم استقالته من وزارة الأوقاف والشّؤون الدينيّة ليشتغل في التربيّة والتعليم بمدينة قسنطينة أين التحق بثانويّة حيحي المكي مدرسا وأستاذا لمادة الادب واللغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة، وفي الفترة الممتدة من 1965الى 1969 فكان نعم المربي والمكون الذي تخرجت على يده الكثير من الإطارات.

الشّيخ بلقاسم البيضاوي وأمام غياب المساجد في حي باب القنطرة وضواحيه ومعاناة السّكان في تأديّة الصّلاة خاصة الجمع والأعياد فكر في تأسيس وتشيد مسجد يجمع المصلين ويقيهم التنقل إلى مساجد وسط المدينة ففكر في مكان بساحة الأمير عبد القادر القريبة من مقر سكناه ليصرف عنه النظر بسبب ضيق المكان ثم فكر في مكان آخر قريب من شركة سونلغاز ليستقر به المقام والتفكير في المكان الذي شيد المسجد الحامل لاسمه والذي كان ملعبا للكرة الحديديّة ونادي تابع لمنظمة الشّبيبة وحول المقهى إلى مصلى وبجانبه مدرسة قرآنيّة واختار الشّيخ عبد العزيز بوحجر كمعلم للقران وإمام للصلوات الخمس ليؤسّس أوّل جمعيّة دينيّة للمسجد التي كان من بين أعضائها غير الدائمين الشّيخ محمد الصّالح النيفر العالم والمرشد الديني التونسي الذي كان يقيم قريبا من مسكن الشّيخ وأطلق عليه اسم الأمير عبد القادر البطل الجزائري والعالم والأديب الجزائري وقام رفقة أعضائه بعمل جبار مع السّلطات الحزبيّة والبلديّة والولائيّة والعسكريّة هذه الأخيرة أسهمت كثيرا مع اللجنة وكانت حلقة وصل مع الرئيس الراحل هواري بومدين

عن طريق قائد الناحيّة العسكريّة الخامسة آنذاك المرحوم احمد عبد الغاني و قد طلب الرئيس الراحل عندما عرض عليه المشروع توسيعه إلى جامعة إسلاميّة على شاكلة الازهر والزيتونة والقرويين ونظرا لطبيعة المكان والأرضيّة فقد تم تحويله بأمواله إلى حي فيلالي أين شيد الصّرح الكبير الجامعة ومسجد الأمير عبد القادر.

وعلم الشّيخ بالحادثة فأمر بمواصلة العمل لتشييد المسجد الذي سهر على وضع لبناته الأولى حتى وهو على فراش الموت طلب من المقربين إليه من اللّجنة الكاتب العامّ وأمين المال إتمام المشروع من خلال الاجتهاد والاعتماد على مساعدات الميسورين والتبرعات وكان للشيخ ما أراد حيث نفذت وصيته وشيد المسجد الذي حمل اسمه. وكان الشّيخ بلقاسم البيضاوي يقدم دروسا في التّربيّة والتّعاليم الدينيّة قبل وفاته في المصلى الصّغير إلى أن التحق بالدار الآخرة يوم 27 مارس 1969 ودفن بمسقط رأسه بعين البيضاء في جو مهيب يليق بمكانته ومنزلته العلميّة والنضاليّة و السّياسيّة.

من مواقف الشّيخ بلقاسم البيضاوي أثناء فترة الاستدمار الفرنسي انه وفي ليلة الثاني والعشرين من شهر ديسمبر1954 أحاطت جيوش الاحتلال ببيته وداهمته وكان الشّيخ يؤدي صلاة الصّبح غير انه لم يقطع صلاته، ولما أراد الضّابط الفرنسي تفتيش مكتبه أين كان يخفي سلاحه ووثائقه السّياسيّة منعه من ذلك على أساس وجود مصاحف القران الكريم والتي لا يجوز له لمسها لأنه ناجس فامتنع الضّابط، وقال له: هل ذلك لأنني آكل لحم الخنزير ؟؟ونجح الشّيخ في هذا الامتحان وحمى نفسه وأهله من شر السّلطات الاستدماريّة وهو موقف بطولي وشجاع يدل على حنكة الشّيخ وبرودة أعصابه.

ومن مواقفه انه يوم مثوله أمام المحكمة العسكريّة بمدينة قسنطينة وعند النطق بالحكم عشر سنوات سجنا وعشر سنوات منفى وعشر سنوات منعا من الحقوق المدنيّة ابتسم الشّيخ واخرج مشطا من جيب قميصه وراح يمشط لحيته موجها كلامه لرئيس المحكمة قائلا: اوتظنون أن فرنسا ستظل أكثر من عشر سنوات بالجزائر... وان استقلت الجزائر هل ستتركونني هنا أم ستأخذونني معكم ؟؟؟ وهو ما جعل قاعة المحاكمة تهتز بالهتاف والزغاريد.

الغزالي بوحجر

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بلقايد الهبري
(1328هـ - 1911م/1418هـ - 1998م)

محمّد بلقايد الهبري الشّريف الحسنيّ الإدريسيّ، ولد في تلمسان لعائلة دينيّة عريقة، يتّصل نسبها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. حفظ القرآن ودرس في تلمسان على كبار العلماء مثل سيدي الإمام بوعروق، حسين النّجار، أحمد الخالدّي، ابن ناصر... وله في طلب العلم رحلات جاب فيها الجزائر والمغرب والمشرق، وأجازه كلّ من درس عليه، ومنهم العلّامة (عبد الحيّ الكتّاني، الحافظ أحمد بن الصّديق الغماري، عبد الفتّاح أبي عدّة، وتلقّى العلم بقراءة أمّات الكتب والبحوث. ولما بلغ به العمر مرحلة الشّباب دخل طريق التّصوّف الشّرعيّ، وتتلمذ على يدّ الإمام الصّالح سيدي (محمّد الهبري= الجدّ). وجلس إلى كبار العلماء يستمع ويتعلّم، ثمّ سافر إلى الشّام ليزيد علماً، وجلس إلى كبار العلماء، وتزوّد بعلم وفير. نشأ الفتى (محمّد) وسط جوّ صوفيّ، وكبر مع الفقراء، وكان مولعاً بطلب العلم، وبرعايّة أبيه؛ وبخاصّة جدّه (محمّد) الذي تأثّر به كثيراً لموقعه الصّوفي لدى ساكنة تلمسان، ويرى تلك المهابة التي تُطلق عليه من الأتباع، وكان النّاس يقولون: "ما فاتكم سيدي محمّد بلقايد (جدّ سيّدنا محمّد بلقايد) لا بصيام ولا بقيام ولا بكثرة ذكر، وإنّما فاتكم بشيء وقّر في قلبه ألا وهي الأحديّة، ألا وهي الأحديّة، ألا وهي الأحديّة". فتأثّر به كثيراً، وكان يقول فيه "سيدي محمّد بلقايد (الجدّ) غربال الأوّلياء؛ فلن يكون الوليّ وليّاً حتى يمرّ على طريقه. ونظراً للحظوة التي لقيها من الشّيخ؛ تحقّقت له الخلوة، فكان الوارث بحقّ في خلافة الطّريقة، وظلّ متستراً يأبى الظّهور حتى انتقل كلّ أبناء شيخه وحفدته إلى الرّفيق الأعلى فصدع بالخلافة واضطلع بالمهمّة، وباشر التّلقين، فأحيا الله على يدّه وبه الطّريقة وبعث دارسها فذاع صيتها وانتشر صداها. وهكذا يكون (محمّد) محيي الطّريق الذي سلكه جدّه بمواصلة تفعيل الزّاويّة الهبريّة بتلمسان وفتْح أبوابها لكلّ طالبي العلم، ولإيواء المساكين والفقراء، وكان الشّيخ واقفاً أمام تلك المصادرات التي وقفت وراءها فرنسا في نزع أملاك المواطنين، وظلّ معهم بالشّكوى ومقابلة المستدمرين وأحياناً بمعونة المتضرّرين من أملاكه الخاصّة.

قطب المشايخ الغوث سيدي محمّد بلقايد التّلمساني: إنّه شيخ المشايخ وقطب الاقطاب والغوث فى عصره، هكذا كان يُلقّب في المغرب والمشرق، وهو محيي الطّريقة الهبريّة الدّرقاويّة الشّاذليّة وقال فيه متولّي الشّعراوي:

طوّقتُ فى شرق البلاد وغربها
وبحثتُ مهدي عن إمام راشد
فهداني الوهّاب جلّ جلاله
حتى وجدتُ بتلمسان مقاصد
واليوم آخذ نورها عن شيخها
محي الطّريقة محمّد بلقايد

كانت بدايّة ظهور الإمام عيداً لمريديه، فبعد مضي فترة من الزّمن قضاها الشّيخ بلقايد في رحاب شيخه الهبري، يتغذّى أشرف العلوم، حتى غدا على قدم راسخ وعلو كعب راسخ، متّخذاً منهجياً ربّانياً يقوم على الصّفاء والجدّ في العمل، وأقام دعوته على التّوبة للوصول إلى مراقي درج صعوده في مقامات الرّقي والكمال، وهي من أهمّ الأعمال، وأعظمها أثراً. وقد اعتمد هذا المنهج باعتباره يقوم على العلم المتين، والحرز المكّين، والحصن الحصين. وكان هذا هو المنهج الذي بنى به الشّيخ دعوته وطريقه كأساس من أسس طريقته، ويدخل في هذا بناء نظامه التّربوي وسلوكه مع العامّة، فكان حريصاً كلّ الحرص على الإخلاص في العمل، وعدم إضاعة الوقت ومواصلة الذّكر والعبادة وصلة الرّحم، في عمل يوميّ دون ملل، إلى جانب تلك الرّعايّة الخاصّة لطلاب الزّاويّة، وعاش بهذا المنهج السّلوكي مثالاً في المعاملات اليوميّة الي جعلت المحيطين به يتأسّون به نموذجاً في بناء العلاقات البينيّة.

لما عظم أمر الزّاويّة، ونالتّ رضا السّاكنة، قصدها عامّة المسلمين، وكان لها نشاط في النّهار بتدريس الطّلاب، ونشاط دعويّ بلقاءات مع كبار العلماء الذين يفِدون إليها لنيل المقام، وإلقاء دروس مع أخْيَر الأنام، ويضاف إلى تلك الأوراد التي تقام كلّ جمعة وسبت، وما يتبع ذلك من أوراد تخصّ المناسبات الدّينيّة؛ وبخاصّة أيام رمضان، وفي المولد النّبويّ وعاشوراء... إلى جانب تلك الجلسات التّسترّيّة بخصوص دروس الدّين وهي تحوم حول التّجنيد وراء الحركات الوطنيّة. ومن وراء هذا، نالتّ الطّريقة الانتشار، وفتحت فروعاً على شكل نوادٍ علميّة يقام فيها الوعظ والوعي. وعرفت الطّريقة امتداداً من خلال صيتها الوطني والخارجي، ومن أوّلئك العلماء الوافدين إليها، وكأنّها تستعيد أيام مجد القرون الثّلاثة: الثّالثّ والرّابع والخامس عشر الهجري أيام كانت تعجّ بالعلماء. وكذلك نالتّ مواقع في معسكر، وسيدي- بلعبّاس والشّلف...

كما نعرف بأنّ (تلمسان) كانت مقرّ المقاوم الوطنيّ (مصالي) ولهذا، كانت الزّاويّة له تعضده بتلك التّوجيهات التي تقدّم للمواطنين في الدّفاع عن الوطنيّة في الحركة الوطنيّة التي ترفع شعار محاربة المستدمر، ونشر فضيلة الإسلام، والحفاظ على الأصالة العربيّة، وتعليم العربيّة، والدّعوة إلى مقاطعة السّلع الفرنسيّة... وحملت شعار (الحفاظ على بيضة الإسلام) وفي فترة الثّورة التّحريريّة زادت حدّتها في الوطنيّة، بأن جعلت الزّاويّة مقراً للمجاهدين حتى أغلقتها فرنسا لمّا علمت الأمر، ومع ذلك فقد كانت دعامّة للثّورة في التّوجيه وفي تخزين الأسلحة، وما يتبع ذلك من إيواء المسبّلين. وإنّ فضل هذه الزّاويّة كبير على شهداء المنطقة الذين كانوا طلاّبها ذات وقت، ولهم الفضل في نشر الفكر الوطنيّ، والثّورة التي أعادت لنا الاعتبار.

يمثّل الشّيخ في نظرهم قطباً دينياً له من المحاسن ما لا يعدّ، فهو صاحب المناقب الحميدة، الحامل لواء الإسلام بعقل رشيد، ويعتبر دعماً من دعائم العقيدة الإسلاميّة ونال صفة التّقديس، فيقول أحدهم "يا ربّ إنّك تعلم قبل أن أقر بقلمي ولساني أنّني لا أكتب عن شيخي وقدوتي (محمّد بلقايد) قدّس الله سرّه طمعاً لدرجة أصل إليها، غير أنّني أحببته، والمرء يحشر مع من أحبّ، أحببته لسرّ أنت تعلمه، ولهذا أحببت أن أشرك غيري في حبّه، وثانياً هو التّعريف من هو شيخي وقدوتي وسندي، شيخ المربّين وقدوة السّالكين (محمّد بلقايد) التّلمساني قدّس الله سرّه كيف لا وقد عشت معه بكل خواطري، عشت معه أيام قليلة في بيته، فكان فيض المعرفة وجوهرة التّوحيد، عشت معه في توجيهاته لنا، عشت معه في مجالسّ الذّكر وأعظم كرامة من عند الله أحسّها وأنا جالسّ مجلسه قدّس الله سرّه، مهما تكلّمنا أو كتبنا عنه ما أدينا حقّه إن أخطأت أو أسأت ففي عفوه مأوى للفضل والمنن". العبد الضّعيف راجي رحمته، علي بن محمّد بختاوي.

كما ينظر إليه على إنّه المربّي القطب والغوث، الدّاعي إلى الله بإذنه وسراج منير، حجّة الله في أرضه الذي حمل مشعل النّور في عصر الظّلام؛ فأشرقت الأرض بنور ربّها، فجدّد لهذه الأمّة بعدما أصابها من الأحداث، وسيطر على دفّة السّفينة وشراعها بعد أن أوشكت على الغرق فأوصلها إلى برّ الأمان، شيخ المشائخ في الشّريعة والطّريقة والحقيقة، هو بشارة حديث المصطفى "يبعث الله على كلّ رأس مئة سنة لهذه الأمّة من يُجدّد دينها".

كان الشّيخ يدعو ويلحّ على الجمع السّنوي، ويحثّ في كلّ اجتماع محمّدي على تبادل النّصائح والمواعظ، ويوصي بضرورة المذاكرة فهي روح الطّريق، وهكذا قال شيخه (محمّد بلقايد) الذي لا ينساه، يذكره بالتّعظيم، وينشر محاسن سيرته حتى يتصوّر إنّه سيدي الهبري. وهكذا أفنى حياته متمسّكاً بكتاب الله وسنّة رسوله، كما كان لا يفارقه شيخه؛ وهو المُريد الذي سلك طريقه وكان يُلتمس فيه الخير والصّلاح ودعوة الصّالحين من صفوف فقراء الطّريقة الهبريّة البلقايديّة وكان العامّة يترجوْن فيه الخير، وهو القادر عليه، ويقول:

يظنّون بي خيراً وما بي من خير
ولكنني عبداً ظلوماً كما تدرى
سترتَ عيوبي كلّها عن عيونهم
وألبستَني ثوباً جميلاً من السّتر
فصاروا يحبّوني وما أنا بالذي
يحبّ، ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحني في القيامة بينهم
وكنْ لي يا مولاي في موقف الحشر

مرض فترة زمنيّة تزيد عن ستّ سنوات، فاضطّر خلالها أن ينتقل إلى وهران، وظلّ هناك يواصل مشواره الدّعوي، إلى يوم الجمعة 28 ربيع الثّانيّة 1419هـ/ 21 أوت 1998م. وانتقلت روحه الزّكيّة إلى مثواها الأخير في مقبرة السّنوسي بتلمسان، وخلفه على رأس الطّريقة (محمّد بن عبد اللطيف).

صالح بلعيد

محمّد بلكبير
(1328هـ - 1911م/1418هـ - 2000م)

ولد الشّيخ سيدي الحاج (محمّد بن سيدي محمّد عبد الله بن الكبير) في قريّة بودة بجنوب أدرار سنة 1329 هـ/ 1911م. من أسرة عريقة في النّسب والجاه، أسرة متديّنة ومتصوّفة في دينها وأخلاقها، محبّة للعلم والعلماء، وكان ابن صحراء توات الصّافيّة صفاء قلوب أهلها، وابن قصر من قصور بودة القريّة المتواضعة. كان أبوه محبّاً للعلم والعلماء، وكان يشجّع على قراءة القرآن الكريم، ويستمع إليه كثيراً. وممّا يروى عنه أنّ يده لا تفارق جيبه من أجل مدّ الصّدقات لقرّاء القرآن، وأنّ ماله في خدمة الزّوايا منذ أن وعي معنى الدّين الإسلاميّ. وحفظ الطّفل الصّغير (محمّد) القرآن في زاويّة العائلة، إلى جانب متون الفقه والتّوحيد على يدّ عمّه الإمام (محمّد التّمنطيطي). ولما تمكّن من آليات هذه المواد، انتقل به والده عند البلوغ إلى مدينة تمنطيط والتي كانت عاصمة العلم آنذاك؛ حيث تلقّى فيها العلوم الشّرعيّة والعربيّة والفقه والتّصوّف والتّفسير والأدب والنّحو على يدّ العالم سيدي (أحمد ديدي) ومكث هناك ثلاث سنوات. وخلالها كان معلّمه يغدق عليه الثّناء وطلب الجاه له حباً فيه خصلتي: سرعة الحفظ، وقوة البديهة.

يشهد له كلّ المحيطين بالنّبوغ والذّكاء، كان بارعاً سريع الفهم، فذاً على غير أترابه، ممّا استقطب اهتمام شيخه (أحمد ديد) الذي رخّص له أن يجري اتّصالات علميّة بقضاة المنطقة وعلمائها، وكانت تلك الاتّصالات بمثابة التّفتيق الثّاني الذي أنار بصيرته في الأمور الدّينيّة والفكريّة والعلميّة، وحصل له زاد علميّ وفير؛ مكّنه من أن يكون مستشاراً لأستاذه الذّائع الصّيت ومندوبه في كثير من القضايا المستعصيّة. وبعد أن تحكّم في آليات حلّ الأمور الرّاهنة، استأذن شيخه في الانتقال إلى شيخ الطّريقة الكرزازيّة بتلمسان، فأذن له وأمدّه بالإجازة. وفي تلمسان تعلّم على يدّ شيوخ أفذاذ مثل (عبد الرّحمن بن بوفلجة) وهو شيخ فقيه وصوفيّ كبير. ولكنّه لم يمكث بها كثيراً، فغادرها إلى جامع القرويين بفاس الذي مكث فيه كثيراً، وأكسبه ذلك المكوث الطّويل والرّحلة العلميّة مكانة جادّة بين شيوخ كبّار، وهو عالم صغير سناً، مما جعل القائمين على مسجد فاس يجلسونه على كرسيّ التّربيّة؛ ليكون معلّم فقه وتوحيد ونحو، وسجلّ إبداعات فقهيّة مناسبة لعصره. ولما بلغ سنّ الأربعين عاد إلى مسقط رأسه، ولكنّه لم يجد الجوّ العلميّ الذي يساعده على إخراج علمه فقصد قصور تيميمون ليكون مدرّس صبيان في مدرسة أهليّة. وهناك نشط في أمر الدّعوة حتى ذاع صيته، فقصده الطّلاب من كلّ نواحي توات طالبين علمه. ويشهد له مريدوه بإنّه كان متفانياً في التّدريس، ومخلصاً للعلم حتى كوّن مدرسة كبيرة نالتّ شهرة عظيمة في الشّمال الأفريقيّ، وتخرّج منها وعلى يدّه علماء كبار أمثال:

- الحاج سالم بن إبراهيم ناظر الشّؤون الدّينيّة بولايّة أدرار.
- محمّد بن عومر التّقي الورعيّ المعروف بالمنطقة بفقهه وورعه.

عاد العالم (محمّد) إلى قريته ثانيّة، فشرع في التّدريس بمنزله، لكنّ المقام لم يلذ له، فغادرها إلى لغرست لنشر الدّعوة عن طريق المدرسة، ولم تدم إقامته كثيراً، وقصد المشريّة والتي لم يستقر فيها إلاّ أقلّ من أسبوع. وعاد مرّة ثالثة إلى مسقط رأسه راغباً الاستقرّار في مدرسة العائلة، لكنّ إلحاح أعيان منطقة أدرار بضرورة التّدريس في مدينة أدرار على اعتبار إنّها تشكّل مركز ثقل في النّاحيّة، وإنّ علم الشّيخ يجب أن يخرج من الدّوّار إلى المدينة، لكي يستقطب المريدين أكثر. فرح كثيراً بهذا المنصب في مسجد أدرار، وفيه تولّى الخطّابة والإمامة والتّدريس في الجامع الكبير بعد سيدي (سالم القاضي بن عبد الله البلبالي الكوسامي). ومع ما قدّم له الأهالي من مغريات الإمامة والوعظ والصّلح إلاّ إنّه ولم يرض بكلّ ذلك حتى ساعدوه على بناء مدرسة خاصّة بجانب المسجد، وأوقفوا أموالاً للتّوسّع. وفي ذلك الجوّ عمل على تحقيق مشروع بناء المدرسة، وأسهم بالوقف الشّخصيّ لأملاكه لفائدة هذه المدرسة وملحقاتها التي جُهزت في ظرف قياسيّ معتبر. وأعدّ فيها النّظام الدّاخليّ وبتسيير ذاتيّ متداوّل بين الطّلاب، وإشراف الأعيان.

لقد أعطى سكانُ المنطقة الشّيخَ كامل الثّقة في توسيع المسجد والمدرسة، وأعطى الشّيخ الأوّلويّة للمدرسة التي تَصَرّف في نظامها العامّ، وتطلّب منه ذلك جمع التّبرعات من أعيان المنطقة في المناسبات الدّينيّة؛ للعمل على التّوسّعة الدّائمة للمشروع الكبير الذي كان يطمح من خلاله أن تكون مدرسة زاويّة أفريقيّة كبيرة بمرافق كاملة.

ولقد كان لسمعته العلميّة وأخلاقه الحميدة، ونظام مدرسته المحكم صيتٌ كبير في أفريقيا، وقَصَدَه جمع غفير من طلاب العلم من ليبيا والسّينغال وتومبكتو والتّشاد ومالي والنّيجر... حتى ضاقت داخليّة المدرسة. وحمل ذلك الأهالي على توسيعها مرّات ومرّات. ولم يعجب ذلك المعمّرين/ الأعداء الذين حاوّلوا صدّه عن الدّعوة والتّدريس، لكنّه لم يرضخ لتهديداتهم، وواصل دعوته التي استقطبت انضمام زوايا كثيرة لطريقته. فكان يقيم أعياداً سنويّة يجمع فيها أعيان زوايا الجزائر، ومريدي تلك الزّوايا خارج الجزائر، وخاصّة من السّنغال.

وفي أثناء الحرب التّحريريّة حاوّلت فرنسا المسك على الشّيخ متلبساً وهو يدرّس ما يخلّ بالنّظام العامّ لفرنسا في المدرسة، لكنّ عيونه أقوى من فرنسا؛ بحيث كان يدرّس طلابه خفيّة، وما إن يقدم العدو فلا يجدونه إلاّ في المسجد متنسّكاً، وتارة يدرّس في الليل إذا خاف عيون فرنسا. وكان طلابه بَرِعين في التّمويه؛ حيث يخفون ما يدلّ عليهم في النّظام الدّاخليّ، وينصرفون كأنّهم عمال في المدينة أو الحقول، وإذا طالتّ الرّقابة على مدينة أدرار يلتقون في بعض القصور المجاورة للتّدارس والحضّ على الثّورة.

ومع كلّ ذلك؛ فإنّه واصل الإمامة والتّدريس والوعظ بنفس تقيّة، وصَرَفَ اللهُ مكر الكفّار عنه، وردّ كيدهم في نحرهم، رغم ما كان للمدرسة من نشر الوعيّ الدّينيّ والنّضال الوطنيّ والتّنديد الصّريح بولايّة الكافر، وما يجب على المسلم من القيام بواجب الجهاد لتطهير بلاد الإسلام من الكفرة وأذنابهم. وكان للشّيخ اتّصال سريّ بقادة الثّورة، ويعدّ الزّعيم الرّوحي الذي يُستشار في جمع الأموال ومساعدّة الثّورة والعمل على انتشارها وتوسيعها في المنطقة، وعمل بنفس راضيّة حتى الاستقلال.

وهكذا لم تمنعه هموم الدّعوة من تأسيس زاويّة كبيرة في مدينة أدرار، وكان لها امتداد في العمق الأفريقيّ منهجها الصّوفيّة العلميّة والعمليّة والتي تمزج بين العمل للدنيا دون هوادة، وطلب المغفرة؛ لأنّ الرّبّ غفّار رحيم. وترك الملذّات المخلّة بالإنسانيّة. والإنسان مخيّر، وعليه أن يختار الأفضل وهو منهج وطريق الصّواب الذي ارتضاه الإسلام.

كان الشّيخ بلكبير -رحمه الله- متواضعاً في لباسه، كبير النّفس، عالي الشّكيمة، ورِعاً في الدّين، مخلصاً في العمل، عادلاً في الحكم، محباً للدين، أباً لطلاب العلم، داره عامرة بالزّوّار، وكان مسجده حافلا بالمريدين، وطريقته ساطعة تتوسّع في السّهل الأفريقيّ، وتزداد يمناً وبركة.

أخلصَ الشّيخ لوطنه وطلابه وزاويته التي نالتّ الشّهرة العالميّة، وأخلصَ لمنطقته حتى وافاه أجله في سبتمبر من سنة 2000م، بعد معاناة كبيرة من المرض الذي عمل على شلله حوالي عامين. ونظراً لجهوده الدّينيّة في إعلاء صرح الإسلام أطلقت القيادة السّياسيّة اسمه على مطار توات الجهويّ (مطار بلكبير).

صالح بلعيد

محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الفهري (البجائي)
(ت: 612 هـ - 1215 م)

أحد العلماء الأعلام، بل هو أوّل الثّلاثة الكبار، من علماء الأصول، الذين أنجبتهم بجايّة، إلى جانب كل من أبي علي الزّواوي توفّي 770 هـ، وأحمد بن إدريس البجائي توفّي 760 هـ، لا نعرف شيئا عن صباه وشبابه، متى ولد؟ وأين تعلم؟ ومن هم شيوخه؟ وعمن أخذ؟ وكل ما نعرفه عنه هو ما أورده ابو العبّاس الغبريني، وهو بجائي مثله وقريب العهد به، قال إنّه "من أهل بجايّة"، والمتفق عليه هو إنّه شد الرّحال إلى المشرق، شأنّه في ذلك شأن أغلبيّة علماء الجزائر بصفة عامّة، والزّواويين بصفة خاصّة، والتّقى بعليّة المحدثين والجلة من العلماء، في المشرق ويؤكّد الأستاذ نويهض في كتابه (أعلام الجزائر)، إنّه لم يأخذ في مصر إلا يسيرا، وإذا صحت هذه المقولة، فإن أبا عبد الله، لم يذهب إلي المشرق للتعلم وإنما ليختبر نفسه ويحدد مكانته بين العلماء، ثم فضل العودة إلى بجايّة، ولم يستهوه المشرق، حتى أن بعض المؤرّخين قالوا إنّه لم يزر الأماكن المقدسة ولم يحج.

بعد هذه الرّحلة المشرقيّة، كمل عقله ونضج فكره واتسع أُفقُهُ وبرز بين الأقران وأصبح المرجع الذي يُرجع إليه.

يصفه الغبريني في عنوان الدّرايّة بـ"الشّيخ الفقيه، الأصولي، المتكلم، العالم المجتهد، النّبيل الفاضل الجليل، المشتهر بالأصولي، أما الإمام الذهبي" في كتابه.

(تاريخ الإسلام)، فيقول عنه نقلا عن ابن الأبار" كان عَلَمَ وقته علما، وكمالا، وتفننا، وتحقق في علم الكلام، وأصول الفقه"، وأما بابا أحمد التّنبكتي فيقول عنه في كتابه (نيل الإبتهاج)، بإنّه كان "عالما بالفقه والأصلين والخلاف والجدل".

إذ استنطقنا هذه النّصوص الثّلاثة التي أوردناها، وحللنها تحليلا علميا دقيقا، فسنكتشف بأننا أمام شخصيّة علميّة فذة وفريدة، استجمع أطراف العلوم المعروفة في زمنه، العقليّة منها والنّقليّة، فهو في الفقه المجتهد، وفي الأصول الأشهر، وفي الكلام المحقق، اما الخلاف والجدل وما يسمى في ذلك العهد بعلوم الأوائل، فهو صنْو ابن رشد، بل هو صفيه وزميله، في الدّرس، وفي المحنة، كما سيأتي، إذًا هو عَلَمُ وقته بالفعل ليس في العلم فحسب، وإنما في الكمال والفضل والمروءة والجلالة والجديّة والسّياسة، وقد أهّله كل ذلك، لاعتلاء كرسي القضاء في بجايّة ثلاث مرات، لم يصرف في الثّالثّة منها، إلا في سنة 608 هـ أي قبل وفاته بأربع سنوات، وكذلك تقلّد نفس المنصب، في عاصمة الخلافة الموحديّة مراكش، وفي مدن أندلسيّة عند ما حل بالأندلس، لعدّة مرات، منها مدينة مرسيّة.

وإلى جانب الصّفات العلميّة والخلقيّة التي أشرنا إليها سالفا، فقد أجمع مترجموه بأنّه كان قوي الشّكيمة، صلب المواقف، ذا اعتزاز في الرّأي، لا يخاف لومة لائم في قول الحقّ، ولا يأبه لجبروت أولي الأمر، بل كان شديدا عليهم أثناء توليته للقضاء ويقول الغبريني: "إنّه كان لا يسامحهم في شيء من أمورهم، ويجاهرهم بما يكرهون في حق الله، وفي حق المسلمين". وقد أورد في (عنوان الدّرايّة) أمثلة على ذلك منها "إذا حضر مجلس أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن المنصور، ثالثّ أمراء الموحدين، في مراكش، بعد ابن تومرت، ووالده، بُوَيعَ بالخلافة سنة 558 هـ، وتقع المذاكرة، بين يديه، يسامحه الحاضرون من الطّلبة في المذاكرة، وكان هو لا يسامحه في شيء، وكان أمير المؤمنين يجد منه في مجلسه، ويعرف له مع ذلك فضلا فلا ينقصه شيئا من حقه".

ومنها إنّه "قد جرى يوما بينه وبين والي بجايّة كلام فيه غلظة، فقال له الوالي: "والله لقد أصاب سيدنا أمير المؤمنين المنصور فيكم، فقال له، إن كان أصاب أمير المؤمنين المنصور، فقد أخطأ فينا أمير المؤمنين النّاصر، فأفحمه، ورجع فاسترضاه".

وإلى جانب كل ذلك كان معروفا بالكياسة، والطّرافة، وحسن المعاشرة، وله سلوك عجيب لحل بعض المشاكل، التي تحدث في الجلسات الخاصّة بين الأصدقاء، من ذلك ما رووي من إنّه في إحدى جلسات أمير المؤمنين مع خلصائه وأصفيائه وشيخنا منهم، أُحْضرت فيه لآلي نفيسة في طبق، وعرضت علي الحاضرين في المجلس واستحسنوها، فَعُدَتْ ففقدت منها واحدة، فهم أمير المؤمنين بتفتيش الحاضرين، فأشار عليه شيخنا بسوْق قلّةَ ماء مملوءة، ويدخل فيها كل إنسان يده سترا على الفاعل، فسيقت القلة وابتدئ بمن عن يمين أمير المؤمنين، وكان هو على يساره، فلما انتهت القلة إليه ليدخل يده فيها امتنع وقال: صبوها فإن وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي، فصبوها فوجدوها، فخلص من الشّك فيه، ويعلق الغبريني على ذلك فيقول وهذا من نبله وسياسته رحمه الله، وكان له سلوك عجيب مع طلبته في حلقاته الدّراسيّة، فهولا يسلك سُبُلَ شيوخ زمانّه، بتقريب من له فضل عليه أو ذا رتبة عنده، بل له ترتيب خاص في ذلك، فقد أورد الغبريني ما يلي قال: "أخبرني الفقيه أبو محمّد عبد الحق بن ربيع رحمه الله قال: كان الفقيه أبوعبد الله القاضي ابن إبراهيم الأصولي ينتابه من يتكرم عليه، ممن له رتبة عند خلو مجلسه من الطّلبة، فيجلس بإزائه، فإذا جاء طالب أفسح له بينه وبينه، ثم كلما أتي طالب فعل ذلك، حتي يعود الأحظى عنده، القريب المجلس عنده، أبعد النّاس مجلسا منه، فكان لايري الحضرة إلا للعلم".

لقد كانت بين الشّيخين أبي الوليد ابن رشد، وأبي عبد الله محمّد بن إبراهيم البجائي علاقة أخوة وصداقة متينة لُحُمتها الإخلاص والصّفاء والوفاء، نمت وترعرعت مع مرور الأيام، وخاصّة وإنّهما تجمعهما كثير من الصّفات الخلقيّة والعلميّة وتوحدهما الجذور الفكريّة والاهتمامات العلميّة، فكلاهما فقيه مجتهد، وكلاهما أصولي شهير، وكلاهما تصدى للدرس واعتلى كرسي القضاء، وكلاهما، وهذا هو الأهم اشتغل بالخلاف والجدل والنّظر في علم الأوائل، أي في الفلسفة، ومثل هؤلاء لابد أن يكثر حسادهم وخصماؤهم ومنافسوهم، خاصّة من أوّلئك الفقهاء أو أدعياء الفقه الجامدين الرّاكدين، أعداء كل تجديد وخصماء كل رأي لا يوافق ما يرونه بإنّه الحق المقدس، فاتهموهما وأصحابهما بالزّندقة، وهي تهمة يسهل الصّاقها في ذلك الزّمن، بكل من يحاوّل أن يتجرأ ويتجاوز الحدود الفكريّة، التي وضعها أوّلئك الفقهاء، كالاشتغال بالفلسفة أو ما شابه ذلك

مما يطلق عليه في مصطلحهم بعلم الأوائل، ونضيف إلى ذلك قضيّة أغفلها الدّارسون، وهوما قام به ابن رشد من نقضه ودحره لآراء الإمام الغزالي التي وردت في كتابه [تهافت الفلاسفة] بكتابه [تهافت التّهافت] لأننا نعلم ان المرجعيّة الدّينيّة، والفكريّة، وحتى السّياسيّة، عند الموحدين هو الإمام أبو حامد الغزالي، وخاصّة كتابه (إحياء علوم الدّين)، فلا غرابة إذا أن يتأجج حقد السّلطان عليه، فكانت المحنة، وفي هذه المحنة فصلان:

الأوّل، ما أورد الغبريني في (عنوان الدّرايّة)، يتمثل في الواقعة التي تكلم فيها أبو الوليد في كتابه (الحيوان) حيث قال: "رأيت الزّرافة عند ملك البربر"، وهمّ أمير المؤمنين بالفتك به، لم يكن سبب نجاته غيْرُهُ، ــ أي صديقه وصفيه محمّد بن إبراهيم البجائي ــ مع موافقة القدر، وتسبب في ذلك بوجهين، أحدهما كان جرى بمجلس أمير المؤمنين، ان منعوا العمل بالشّهادة على الخط، ولما وجد هذه القضيّة هم بالعمل بها، فحاج أمير المؤمنين، وقال له، منعتم الشّهادة على الخط في الدّينار والدّرهم، وتجيزونها في قتل مسلم؟ والوجه الثّاني إنّه قال إنما كُتبَ "رأيت الزّرافة عند ملك البريْن، وإنما جاء فيه زيادة ونقص وهذا أحسن" ويعلق الغبريني على هذا الدّفاع القوي والشّجاع، وبلا تردد ولا خوف، ولا وَجَل، فقال: "وكل ذلك من قوة الجأش"

الفصل الثّاني من هذه المحنة حدث في سنة 593 هـ، وهذا الفصل هو الأشد والأنكى على ابن رشد، وصاحبه البجائي، وبعض أصحابهما، منهم أبو جعفر الذهبي وتلامذتهما، ممن كانوا يشتغلون بالحكمة، وعلوم الأوائل، أُعفوا من مناصبهم، وصودرت أموالهم، وعذبوا، ثم أبعدوا من مدينتهم قرطبة، إلى القريّة اليهوديّة (أليسانه)، وأتلفت وأحرقت كتب ابن رشد، وقد أجمع المؤرّخون علي ثبوت جأش البجائي وصبره وتجلده في هذه المحنة، ومن الغريب، أن كثيرا من الباحثين، الذين كتبوا عن نكبة ابن رشد، لم يشيروا إلى البجائي والذهبي والآخرين.

والخليفة الذي أنزل هذه المحنة على ابن رشد وأصحابه هو المنصور أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، وقد عفا عنهم بعد توسط عدد من رجال العلم بالأندلس ولكن الموت عاجل ابن رشد، فتوفّي سنة 595 هـ.

مترجمنا، على خلاف صاحبه ابن رشد، لم يترك من الآثار المكتوبة سوى كتاب واحد هو "إصلاح المستصفي" للغزالي وكتاب في الموسيقى، فإنّه يدل دلالة واضحة على أن شيخنا قد تعدى مجال اهتماماته العلوم العقليّة منها والنّقليّة إلى الموسيقا.

توفّي في بجايّة سنة 612 هـ بين العيدين، الفطر والأضحى وقد كفّ بصره رحمه الله.

محمّد الصّغير بن لعلام

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن (ابن الامام أبو الفضل التّلمساني) (ت: 845هـ - 1441م)

محمّد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله ابن الإمام أبو الفضل التّلمساني وفي شجرة النّور أبو عبد الله. ولد ونشأ وتعلّم في) تلمسان(، ولم تذكر كتب التّراجم تاريخا لميلاده.

عالم بالتّفسير والفقه، ومشارك في علوم الأدب والطّب والتّصوف، ساعدته نشأته بـ(تلمسان) منارة العلم والعلماء أن ينهل من معين علمائها؛ حيث تتلمذ على (أبي عثمان سعيد بن محمّد بن محمّد العقباني التُّجِيبي التلمساني) (ت811هـ) الّذي بلغ مرتبة عالية في تحقيق العلوم، وصار من المنطقي أن يتخرّج به ثلّة من العلماء الّذين كانوا في زمانه وبعد ذلك أئمة وُصفوا بالمحقّقين والمجتهدين، بل وبمشايخ الإسلام، منهم الشيّخ (محمّد بن إبراهيم ابن الإمام أبو الفضل التّلمساني) وغيره.

ويعدّ من أقران الإمام (محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسي التّلمساني)، وكنيته أبو عبد الله (ت842) كما ذكر (ابن مريم) .

رحل إلى المشرق ولقي علماء أجلّة وأخذ عنهم، وحجّ، ودخل (القاهرة) و(بيت المقدس).

قال عنه المؤرّخ الكبير والعالم الشّهير (شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمّد السّخاوي) (ت902هـ) في (الضّوء اللاّمع في أعيان القرن التّاسع) (10/ 740) : "ارتحل في سنة عشر وثمانمائة فأقام بتونس شهرين ثمّ قدم القاهرة فحجّ منها وعاد إليها ثمّ سافر إلى الشّام، فزار القدس وتزاحم عليه النّاس بدمشق حين علموا فضله وأجلّوه".

وهو أوّل من أدخل (للمغرب) (شامل بهرام)، وشرحه على (مختصر خليل)، و(حواشي التفتازاني على العضد) و(ابن هلال على ابن الحاجب الفرعي)، وغيرها من الكتب الغريبة عن أهل (المغرب).

حكى عن شيخه (سعيد العقباني) أنّه سأله يهودي عن دليل عموم رسالة النّبي ﷺ قال: "قلت:بعثت للأحمر والأسود". فقال:

خبر آحاد لا يفيد إلاّ الظّن والمطلوب القطع.

فقلت له: قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ سورة سبأ.الآية28، فقال: هذا لايكون حجّة إلاّ على من يقول بصحّة تقدّم الحال على صاحبها المجرور وأنا لا أقول بصحته. وعلّق على ذلك أحمد بابا بقوله: الحجة القاطعة في ذلك قوله:﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ سورة الأعراف.الآية 158. فهو نص قطعي".

وتذكر كتب التّراجم اهتمام (أبي الفضل) بالطّب، حيث كانت مهنة الطّب متداولة بعناية في (تلمسان) خلال العهد (الزّياني)، وكان الأطبّاء والعلماء يقومون بتدريس العلوم الطبيّة، النّظرية والعمليّة للطلبة، في بعض مساجد (تلمسان) ومدارسها، وفي (البيمارستان) والّتي تحتوي على كراسي لتدريس هذا العلم، وقد حرص سلاطين (بني زيان) وذوي النّباهة من أبناء (تلمسان) وعلمائها على العناية بالطّب، إلى جانب عنايتهم بالعلوم الأخرى، الدّينية وبالآداب، والعمل على اقتناء نفائس كتبها، وتجميع مصادرها من (المغرب) و(الأندلس) و(المشرق)، وبذلك تعدّدت مصادر العلوم بخزائن (تلمسان) ومكتباتها في الطّب والصّيدلة والعلوم الطّبيعية والبيطرة وعلم النّبات وغيرها.

وعنه أخذ الشّيخ الحافظ (محمّد بن عبد الجليل أبو عبد الله التّنسي) (ت899هـ)، و(أبو الحسن علي بن محمّد بن علي القرشي البسطي) الشّهير (بالقلصادي) (ت891هـ)، والإمام العلاّمة (محمّد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسي التّلمساني) الشّهير بـ(الكفيف) (ت 901هـ)، و(أحمد بن محمّد بن محمّد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمّد بن خلف الله بن خليفة القسنطيني الإسكندري الشّمني الحنفي) (ت872هـ)، المكنّى (بأبي العبّاس)، والملقّب (بتقي الدّين)، ويُعرَف أكثر (بالشُّمَّني)) وهو نحويٌّ وعالم دين مصري من (الإسكندرية)، وغيرهم من أهل المشرق والمغرب.

مدحه علماء (تلمسان) وأثنوا عليه، كـ(القلصادي)، و(ابن مرزوق الكفيف)، و(الحافظ التّنسي)، والفقيه العالم العلاّمة (أبو العبّاس أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي) (ت914هـ)، و(المقريزي)، و(السّخّاوي) وغيرهم.

ذكره (القلصادي) في رحلته فقال: "حضرت مجلسه وكان فقيها إماما عالما بالمعقول".

أمّا (الحافظ التّنسي) فقد قال: "هو شيخنا صدر البلغاء وتاج العارفين وأعجوبة الزّمان أبو الفضل الشّهير بابن الإمام، من بيت علم وشهرة وجلالة".

وذكره المؤرّخ (أحمد بن علي المقريزي المعروف باسم (تقي الدّين المقريزي)) (ت845 هـ) في عقوده قال : "إنّه صاحب فنون عقلية ونقلية، قلّ علم إلاّ ويشارك فيه مشاركة جيّدة".

له أبحاث في التّفسير، قال الحافظ التّنسي: "له أبحاث في التّفسير تكلّم فيها مع المقري".

توفّي سنة (845هـ – 1441م).

نسيمة لوح

المصادر:

1 – معجم أعلام تلمسان،التيجيني بن عيسى،كنوز للإنتاج والنّشر والتّوزيع،تلمسان،الجزائر،2011م.

2 – التّفسير والمفسّرون في غرب أفريقيا،محمّد بن رزق بن عبد النّاصر بن طرهوني الكعبي السّلمي أبو الأرقم المصري المدني،أصل هذا الكتاب:رسالة دكتوراه دار ابن الجوزي للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعودية، ط1/ 1426 هـ.

محمّد بن أبي القاسم البوجليلي
(1242هـ - 1827م/1314هـ - 1898م)

محمّد بن أبي القاسم البوجليلي نسبة الى قريّة بوجليل بولايّة بجايّة الحسيني نسبة الى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما العبّاسي فأسرته أسرة علم ونسب شريف، واستناداً إلى الوثائق العائليّة فانّ جدّهم الأكبر أسّس زاويّة مازالتّ إلى الآن في القريّة الآنفة الذّكر للتّعليم وكان قدومهم من بني ورتيلان الدّائرة التّابعة لولايّة سطيف واستمرّت في التّعليم والإصلاح والذّكر الحكيم تحفيظاً وإقراءً طوال الأعوام المتواليّة ضعفاً وقوّةً.

ولد الشّيخ أبو القاسم سنة 1827 وحفظ القرآن على يدّ والده ثمّ بعث به إلى زاويّة سيدي عبد الرّحمن اليلولي ليدرس سنة 1845 على يدّ الشّيخ محمّد بن يحيى اليراثني وحينما أناب عنه تلميذه الشّيخ قدور الدّرعي فبدأ الدّراسة عليه فجمع القراءات في سنتين ثمّ انتقل الى الشّيخ العربي الاخداشي ثمّ قرا عند الشّيخ الجامع محمّد بن علي بن مالك فأتمّ عليه الختم الشّريف كما درس عليه النّحو والأجروميّة.

ثمّ انتقل إلى شيخ آخر هو الشّيخ محمّد الطّاهر الجنادي، وكان يدرس القراءات العشر فدرس عليه الألفيّة وختمة من القرآن بطرق نافع العشر كما اخذ عنه متن ابن غازي ومكث معه حوالي ثلاث سنوات وأمره أن يبدأ في دراسة الشّاطبيّة وفي ذلك الوقت توفّي والده فاستأذن من شيخه وعاد إلى منزله ومكث هناك سنة كاملة يعلم الصّبيان، ثمّ تاقت نفسه الى الطّلب مجدّداً فانتقل الى زاويّة صدّوق ببجايّة التي كان على راسها آنذاك العالم الكبير الشّيخ محمّد امزيّان بن الحدّاد وهناك تفرّغ لدراسة العربيّة والفقه بعد أن انتسب الى الطّريقة الرّحمنيّة التي انتهت رئاستها الى الشّيخ الحدّاد الذي كان يرى في تلميذه نبوغاً وطموحاً وصلاحاً فخصّه بالعنايّة والرّعايّة.

وقد أذن له بعد ان أتمّ دراسته بالعودة إلى قريّة بوجليل كإمام لمسجدها وإمام للقرآن في كتّاب أسرته وناشر للطّريقة الرّحمنيّة بأمر من شيخه.

وعندما أعلن الشّيخ المقراني الجهاد انضمّ اليه الشّيخ الحدّاد على رأس الرّحمنيّين إلى جانب شيخه كداعيّة وقاض للعسكر ومستشار للمقراني رحمه الله.

وبعد فشل الثّورة سيق الشّيخ الحدّاد وابناه الى السّجن، ومن داخله كتب لتلميذه رسالة يعيّنه فيها خليفة له ويعهد اليه برئاسة الطّريقة الرّحمنيّة وبتسيير أملاك زاويّة صدّوق فلم يكن ذلك ممكناً لإنّه لم تبق للزاويّة أملاك إذ صودرت كلّها ووزّعت على المعمّرين.

كان للشّيخ تلاميذ كثيرون بحكم تدريسه في زاويّة عبد الرّحمن اليلولي مدّة طويلة جداً والتي اشتهرت بين الطّلاّب بتطوّر التّعليم فيها حتّى شبّهها البعض بالزّيتونة كما اشتهرت بتعدّد تخصصاتها وتنوّعها وخصوصاً في علم القراءات والفقه واللغة العربيّة فكانت قبلة لهم وكان هو منارتهم حتى وصفه أحد تلاميذه وهو محمّد الصّالح القلّي بقوله:

يأتي اليه الطّالبون لعلمه

ولفضله ذا راكب ذا راجل

ومن بين تلاميذه:

- أوّلاده وأشهرهم أحمد الذي خلف أباه في التّدريس ومشيخة الطّريقة الرّحمنيّة بعد وفاته وكان فقيهاً فتقلصت في عهده علوم العربيّة قليلاً وازدهر الفقه وأحدث ما عرف بالدّراسة الموسميّة وكانت موجّهة خصوصاً لكبار السّنّ.
- الطّيّب شنتير البوجليلي.
- الحسين آل عيسى (عيسات).
- الشّريف الافلسي.
- محمّد السّعيد بن زكري.
- محمّد بن عمّارة الوزلاقي.
- السّعيد اليجري (علي بن سعيد).

لقد كرّس الشّيخ أكثر جهوده للتعليم فلقد جاء اليه طلاّب العلم من قريب ومن بعيد وبالرّغم من ذلك فإنّ اهتمامه بالتّأليف -بغيّة توسيع مجال الاستفادة- كان ملحّاً فعكف على اعداد ملخّصات لدروسه التي أعاد الطّلاّب كتابتها ومن اهمّ هذه الآثار:

- شرح شواهد أبي يعلى على الأجروميّة ولقد كان هذا الشّرح معتمداً في التّدريس في بلاد القبائل ويقع في 80 صفحة.
- مجموعة خطب منبريّة أبان فيها عن تمكين كبير في علوم البلاغة فجاءت مرصّعة بكلّ نوع من أنواع البيان والمعاني والبديع.
- التّبصرة في قراءة العشرة وهو المخطوط الذي نال الاهتمام مؤخّراً فاقبل الباحثون في علم القراءات على دراسته وتحقيقه من داخل وخارج الوطن وذلك بفضل تفضل
- أحفاد الشّيخ بتمكين الباحثين وكلّ الرّاغبين من المخطوط الأصلي أو المصوّر.
- النّور السّراجي في إعراب مقدّمة الصّنهاجي وهو كتاب في إعراب مثل الأجروميّة وتزيد صفحاته عن المائة
- وفي فوائد جليلة تدلّ على المام الشّيخ بعلم النّحو وذكر في نسخة التّبصرة إنّه شرح عجيب وكتاب غريب في بابه فريد تأليف الشّيخ البوجليلي.
- المبنيات وهو عبارة عن تقييدات في النّحو لا تتجاوز ثلاث ورقات ونصف.

كان الشّيخ محبّاً للعلم وأهله وكان ذا شخصيّة فذّة أبرز جوانبها الحلم والعلم والمرح والدّعابة وهو اجتماعي يشارك النّاس آلامهم وأفراحهم متذوّق للنّكتة حتى جرت فكاهته مضرب المثل في المنطقة وكان يأخذ نفسه بالقدر الضّروريّ من الرّياضة الرّوحيّة بدون تطرّف او تزمّت بل كان يمتّع نفسه بالمطعم الطّيّب والثّوب الجيّد ما وجد لذلك سبيلاً فهو ورع تقيّ قنوع يحفظ الحدود ويدرؤ الشّبهات يقدره الجميع الكبير والصّغير الرّفيع والوضيع يكرم زائريه، أوصى إذا حضرته الموت أن يدفن قرب مسجده الذي قضى فيه سطر حياته معلّماً ومربيّاً وداعيّاً اليه وأوصى ألّا يبنى على قبره.

تبوّأ البوجليلي مكانة مرموقة لشخصيته العلميّة القويّة ولمواقفه الثّابتة الرّاسخة تجاه قضايا الأمّة المصيريّة كقضيّة الاحتلال الفرنسيّ وموقفه من المقاومة الشّعبيّة فنال بذلك احترام العلماء وعامّة النّاس وعلى ذلك يشهد جميع الذين كتبوا عنه وتبقى مقولته التي استمرّ ذكرها الى اليوم تشهد

عن موقفه من الأعداء المحتلين وهي أنّ من صافح الأعداء نقض وضوءه ويذكر إنّه أقضى بحرمة تعلّم اللغة الفرنسيّة كما تشهد دعواته على المنبر بالنّصرة للخليفة العثمانيّ.

للشّيخ جهود مشكورة ومذكورة في هذا المجال الواسع والهامّ في استقرّار وأمن المجتمع بنا كان للشّيخ من مساع في ادخال الالفة وإيقاف الخصومة بين أفراد المجتمع الذي تبرز في أوساطهم الخلافات حول الميراث وحول الحدود وبين الزّوجين والسّاكنة المتجاورة فكلّ هؤلاء يلقون بمشاكلهم لدى الشّيخ فيجدون لديه حسن الاستقبال والقبول بما يحكم به الشّرع الحكيم من اصلاح يقضي الى التّراضي.

والذين شهدوا له بالمقام الرّفيع والمكانة العليا بين العلماء نذكر شيخه محمّد بن علي بن مالك بقوله بل هو أفضل منّي وقال الشّيخ محمّد امزيّان بلحدّاد: فمن أخذ عنه في ذلك كان كمن أخذ عني ومن خالفه فقد خالفني.

وقال الدّكتور أبو القاسم سعد الله عند الحديث عن زاويّة بوجليل: (وصاحبها يستحقّ الدّراسة فهو عالم ومقدّم الطّريقة ومؤلّف)

ويضيف سعد الله قوله: سمعت شخصيّاً تنويهاً كبيرا من قبل الشّيخ البشير الإبراهيمي الذي حدثني عنه عندما كنت طالباً في مصر.

وقال تلميذه محمّد الصّالح القلي مفتي بجايّة وعالمها وشيخها قصيدة في مدحه

وأبو جليل قد غدا متبصّرا
وتفجّرت لذوي الفهوم مناهل
حرس المهيمن ذو الجلال بفضله
دارا بها حفظ العلوم أفاضل
وتدارسوا أحكام مذهب مالك
فسمت لهم بين الرّجال منازل
ومحمّد القلي يمدح حزبكم
بلسانه وفؤاده يتمايل

محمد الصالح آيت علجت

المصادر:

كتاب التبصرة (تحقيق الأستاذ حسن وعليلي نشرته دار ابن عزم بالجزائر سنة 2013م.

محمّد بن أبي القاسم الهاملي (1240هـ - 1824م/1280هـ - 1897م)

أبو عبد الله محمّد بن أبي القاسم بن ربيح بن محمّد بن عبد الرّحيم بن سائب بن منصور بن عبد الرّحيم بن أيوب بن عبد الرّحيم بن علي بن رباح.... ولد في أوّل محرّم عام 1240هـ والموافق 26 جويليّة 1824م بالحامديّة جنوب الجزائر العاصمة، ونشأ وترعرع على محبّة العلم وتحصيله، وفي العام الذي اقتحم فيه العدو الغاشم، الاستدمار الفرنسي المحتلّ بدأ حفظ القرآن الكريم، وبعدها انتقل سنة 1253هـ/ 1837م إلى زاويّة علي الطّيار بمنطقة البيبان رفقة أخيه سيدي الحاج محمّد، لمواصلة التّعلم والاستزادة من طلب العلم، وفيها انكب بشغف على العلم والتّعلم، مما مكنه من معرفة وإتقان القراءات السّبع وفنّ التّجويد على يد أحد شيوخ الزّاويّة المسمى)سي الصّادق).

وفي عام 1260هـ الموفق لـ 1846م عقد العزم على الالتّحاق بصفوف المقاومة بجيش الأمير عبد القادر إلا أنّ الأمير عبد القادر رفض انتسابه للمقاومة بحكم إنّه في مجال العلم والمعرفة لما لاحظ عليه من علامات النّجابة والذكاء، بل والزّمه بضرورة مواصلة التّعلم، والنّهوض بمهمّة التّعليم والإرشاد والتّوجيه، وفي السّنة نفسها نزل بزاويّة سيدي السّعيد بن أبي داود بزواوة، لتعلم الفقه والنّحو وعلم الكلام والفرائض والمنطق وغيره، وبرزت مواهبه وقدراته وتفوق تفوقا ملفتا.

وفي السّنة الثّانيّة من إقامته بالزّاويّة كلفه شيخه بتدريس المبتدئين، لما لاحظ عليه من علامات النّجابة والمقدرة على تلقين المتعلمين بأسلوب ماتع ومقنع، وفي السّنة الرّابعة عينه مناوبا له في إعطاء الدّروس المنتظمة والتي عادة تقدم من قبل شيوخ ذوي صيت وسمعة، وفي السّنة الخامسة أمره شيخه بالتّدريس في زاويّة ابن أبي التّقى قرب برج بوعريريج، وقام بمهمته أحسن قيام، وترك هناك أثرا طيبا وذكرا حسنا في نفوس الطّلبة والمتلقين.

في نهايّة السّنة الخامسة اجتمع ثلاثة من أعيان أشراف الهامل هم: محمّد زيّان الشّريف، إبراهيم بن الحاج، السّيد أبو الأجدل بن عمر، بالشّيخ أحمد بن أبي داود، وطلبوا منه السّماح للطالب محمّد بن أبي القاسم الرّجوع معهم إلى قريتهم ومواصلة رسالتّه العلميّة، ونشر ما اكتسبه من معرفة وخبرة في التّدريس والتّلقين هناك، بإذن منهم فكان لهم ما أرادوا، وكتب الشّيخ أحمد بن داود جوابا للشيخ يأمره بالتّدريس ببلدته، وعاد الطّالب إلى بلده عام 1848م.

ومن أهم شيوخه في العلم والطّريقة، نذكر:

- محمّد بن عبد القادر: الملقب بـ(كريرش) وهو ابن عم الشّيخ، ويلتقي معه في جده ربيح، فهو محمّد بن عبد القادر بن ربيح، وكان من شعراء الملحون، له قصائد عدّة في مدح الشّيخ محمّد بن أبي القاسم.
- سي الصّادق: أحد شيوخ زاويّة سي علي الطّيار بمنطقة البيبان، لم نعثر على ترجمته إلا ما ذكره عنه الشّيخ محمّد بن الحاج محمّد في الزّهر الباسم نقلا عن الأستاذ، من أن سي الصّادق كان أصما إلا عن القرآن الكريم.
- الشّيخ أحمد بن أبي داود: (1235/ 1280 هـ1819/ 1861م). هو أحمد بن أبي القاسم بن السّعيد بن عبد الرّحمن بن محمّد وينتهي نسبه إلى سليمان بن أبي داود، ولذا عرف بـ(أحمد بن أبي داود)، أبو البركات، الذي سار صيته واشتهر علمه في الآفاق. ولد سنة 1235هـ، وأخذ العلم عن والده أبي القاسم بن أبي داود (ت 1255هـ/ 1838م). تولى التّدريس بزاويّة بن أبي داود وهو ابن عشرين

سنة، وظل مدرسا بها إلى وفاته، أي مدّة 25 سنة ينشر العلوم الشّرعيّة خصوصا الفقه والتّفسير والحديث. توفّي يوم 6 جمادى الأوّلى عام 1280هـ/ 1861م.

- الشّيخ المختار بن خليفة الجلالي وهو المختار بن عبد الرّحمن بن خليفة الإدريسي الخالدّي، ولد بقريّة سيدي خالدّ سنة 1201هـ/ 1784م، حفظ القرآن في سن مبكرة، وتفقه على يدي جلّة من العلماء وبرز في العقائد وعلم الكلام، أسس زاويّة أوّلاد جلال التي عرفت شهرة واسعة في ظرف وجيز، اشتهر بالورع ونشر العلم، كما اشتهر بقدرته في التّأثير على قلوب سامعيه، توفّي في 19 ذي الحجة من سنة 1277هـ / أكتوبر 1862م.

في السّنة التي عاد فيها محمّد بن أبي القاسم الهاملي من زاويّة الشّيخ بن أبي داود أي سنة 1265هـ/ 1848م شرع في التّدريس بمسجد الشّرفة المعروف بـ (الجامع الفوقاني)، أقام ثماني سنين لتعليم النّاس بالجامع الفوقاني، ولم يفارقه ليلا ولا نهارا إلى تمام سنة 1272هـ= أوت 1855م.

وفي سنة 1273هـ/ 1 سبتمبر 1856م انتقل إلى قطب وقته الشّيخ المختار بن عبد الرّحمن بن خليفه بزاويته المعلومة بأوّلاد جلال، ولازمه من أوّل سنة 1273هـ 1 سبتمبر 1856م إلى أوّل سنة 1278هـ 9 جويلية 1861م، وأقام بزاويته المذكورة بعد وفاته ما يقرب من تمام السّنة. وذلك سنة 1279هـ/ 29 جويليت 1862، ثم رجع بعدها إلى بلاده الهامل.

وفي سنة 1279هـ/ 1862م شرع في بناء زاويته المعمورة بقريّة الهامل، وأتمها أوّل محرّم 1280هـ/ 18 جويليّة 1863م.

ولم يكلّ ولم يملّ في توسيع البناء والتّاسيس لزوايا العلم والمعرفة إذ شرع عام 1864م في بناء مسجد للطّلبة والإخوان لتدريس الفقه وغيره، وذاعت شهرة الشّيخ في المناطق المجاورة، فقصد الزّاويّة الطّلبة من كلّ مكان من: المديّة، تيارت، شرشال، سطيف، المسيلة، الجلفة... وتوافد على الزّاويّة الأساتذة والعلماء من جميع الجهات، وتحولت إلى مركز إشعاع علمي، و لقاء بينهم ومنتدى علمي ثقافي يؤمه خيرة علماء البلد.

وصفها أحد الشّيوخ فقال:

"كانت الزّاويّة المعمورة محلا للعلماء العاملين". وكان يرتادها في هذه الفترة ما بين 200 و300 طالب سنويا. يدرسهم 19 أستاذا على رأسهم الأستاذ نفسه. اهتم رضي الله عنه بتعمير الأرض واستصلاحها وزراعتها، وذلك لتأمين مصدر رزق للزاويّة، فاستصلح عشرات الهكتارات بوادي الهامل والمناطق المجاورة له، كمرحلة أوّلى، وبنى به السّدود وشق السّواقي ورفعها، وجعل كل ذلك وقفا على الزّاويّة يستفيد منه الطّلبة والفقراء والمحتاجون، ثم بدأ في مرحلة ثانيّة بشراء الأراضي الزّراعيّة في المناطق الأخرى مثل المسيلة، والجلفة، وتيارت، والمديّة تيزي وزو وغيرها من المناطق، وجعلها أيضا وقفا على طلبة العلم من رواد زاويته.

أوقف أموالا وعقارات وبساتين على زوايا شيوخه في أوّلاد جلال، برج بن عزوز، آقبو، طولقة والجزائر العاصمة، على مقام محمّد بن عبد الرّحمن الأزهري، بل هو الذي بنى الحائط الذي يحمى المقبرة ويحيط بها.

ترك الشّيخ محمّد بن أبي القاسم الهاملي رسائل كثيرة منها:ـ رسالة في الهجرة، رسالة في تحريم الدّخان، رسالة في تفسير سورة القدر، وأخرى إلى بني ميزاب، رسالة في أن الطّريقة الرّحمنيّة والطّريقة الشّاذليّة طريقة واحدة، رسالة في مقامات الأنفس السّبعة. وله منظومة الأسماء الحسنى....وغيرها من الرّسائل.

ولقد تخرج على يديه الكثير من طلبة العلم ومريدي الطّريق، لعل من أشهرهم: محمّد المكّي بن عزوز البرجي، الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن الدّيسي، أحمد الأمين بن عزوز، أبو القاسم الحفناوي.... توفّي الشّيخ محمّد بن أبي القاسم أوّل محرّم الموافق لـ 2 جوان 1897، عن عمر يناهز 73 سنة.

باديس فوغالي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن أبي جمعة الوهراني
(ت: 929هـ - 1532م)

أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن بُوَجْمَعة المغراويّ الوَهْرانيّ الفَاسي، عرف بشقرون فاسمه محمّد وكنيته أبو عبد الله، وأحمد اسم أبيه وقد كان من أعلام وقته. وبوجمعة اسم جدّهو"المغراوي" نسبة إلى مغراوة وهي قبيلة من زناته، إحدى القبائل الكبار من برابرة المغرب، ومجالات زناته هي الجهة الغربيّة من المغرب الأوسط.

ومنه يفهم نسبته إلى وهران المدينة المعروفة، فإنّها تقع في مجالات مغراوة. والفاسي نسبة إلى فاس لأنه توفّي بها.

شقرون الوهراني شريف النّسب لأن بوجمعة جده هو ابن محمّد بن عمر الهوّاري دفين وهران. وقد وصلنا النّسب الشّريف للشيخ الهوّاري كاملاً ذكره محمّد بن يوسف الزيّاني. فنسب محمّد المغراوي هو: "محمّد بن أحمد بن بوجمعة بن الولي محمّد بن اعمر بن عثمان بن عياشة بن عكاشة بن سيدي النّاس بن أحمد بن محمّد بن علي بن الأمير أمغار ابن أبي عيسى بن محمّد بن موسى بن سليمان بن

موسى بن محمّد بن الحسن السّبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه.

لم يذكر أحد من المترجمين للشيخ شقرون تاريخ ولادته، إلا ما وصلنا نظمه في القراءات، وذكر إنّه نظمه في السّن العشرين من عمره. جاء فيه:

أقول لأستاذ يرى لي زلة
فيصلحها بالصّفح جوزيت أفضلا
وقل لعذول إن رآه بخطه
ألا لبني العشرين عذر تقبلا

وذكر أن الفراغ من تأليف نظمه كان عام تسعة وتسعين وثمانمائة (899هـ). قال:

وفي صفر تمامه عام تسعة وتسعين بعد الثّمانمائة ولا فالحاصل من طرح عدد الأعوام التي بلغها عند الفراغ من النّظم من عدد الأعوام التي مرت من الهجرة النّبويّة الشّريفة، هو العام الذي ولد فيه. وهو (879هـ)، وأما مكان ولادته فالظاهر إنّه وهران، لأنه منتسب

من شيوخه:

أحمد بن أبي جمعة المغراوي أبو العبّاس: هو والدّ صاحب التّرجمة، كان أحد أعلام وقته، وكان من أهل الفتوى، وأخذ أحمد بن أبي جمعة عن أعلام منهما الشّيخ غانم بن يوسف الغمري، وله "جامع جوامع الاختصار والتّبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصّبيان". توفّي في العشرة الثّالثة بعد المائة التّاسعة

أبو عبد الله محمّد بن غازي العثماني: أشهر مشاهير وقته في فاس حاضرة العلم بالمغرب الإسلامي آنئذ

أحمد بن محمّد بن يوسف الصّنهاجي الشّهير بالدّقون: قال فيه ابن القاضي: "الخطيب الأستاذ المحدث الرّاويّة. أخذ عن الإمام المواق والإمام محمّد بن غازي. وأخذ عنه أبو القاسم بن محمّد بن إبراهيم وأبو عبد الله بن أبي الشّريف، والمترجم له وأجازه.

يغلب على الظنّ أن شقرون ولد بوهران وانتقل منها إلى فاس حيث استقرّ إلى أن وافته المنيّة، ويبدو أن انتقاله إليها كان مع أبيه. وسبب سفره عن وهران بدء غارات الاسبان عليها، ويرجح أن يكون السّفر المذكور حصل قبل احتلال المرسى عام 911هـ..

علي بن يحيى أگادير السّلكيني التّلمساني (972هـ). جاء في تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرّحمن الجيلاني: "كان رحمه الله محققاً ذا درايّة فائقة في علوم الحساب والفرائض وعلم الكلام والفقه وفن الرّسم وضبط القرآن وتفسيره أخذ عن جماعة منهم الشّيخ أحمد بن ملوكة النّدرومي وشقرون أبي جمعة ومحمّد بن موسى الوجديجي...

وشقرون هو محمّد بن أحمد لأن من ذكر من العلماء الذين أخذ عنهم علي بن يحيى أگادير هم من طبقته بل إن فيهم واحداً من الذين واطؤوه على فتواه في صحة تقليد العوام وهو أحمد بن ملوكة. وقول عبد الرّحمن الجيلالي: (شقرون أبي جمعة) سقط منه كلمة ابن وصوابه (شقرون بن أبي جمعة) لأن شقرون الوهراني كان مشهوراً أيضاً بابن أبي جمعة

برع شقرون الوهراني في القراءات وعلم الكلام وله شعر. وألف في هذه العلوم مصنفات جلّها موجود في خزانات المخطوطات. وكتبه هي:

- تقريب النّافع في الطّرق العشر لنافع: وهو عبارة عن نظم في القراءات بيّن فيه طرق نافع العشر.
- تقييد على مورد الظمآن: وهو عبارة عن فوائد قيّدها مما تلقّاه عن شيوخه بفاس، من تقاريرهم على مورد الظمآن.
- الجيش الكمين لقتال من يكفر عامّة المسلمين: وهو عن كتاب لطيف كتبه في الجواب عن سؤال في تقليد العوام في العقائد.
- قصيدة طويلة في رثاء ابن غازي: وهي قصيدة وصفت بالمشهورة والعظيمة والطّويلة، قالها في رثاء شيخه ابن غازي وممن نسبها إليه أحمد باباوابن القاضي.
- فهرست: وهو مصنف ذكر فيه شيوخه وما رواه عنهم من فنون العلم. وهذا الفهرست حافل بذكر الشّيوخ دال على كثرة مجالسّته للعلماء، لأن أهل التّراجم قالوا عن هذا الفهرست إنّه يقع في جزء لطيف، ونسبه له ابن القاضي.
- المنظومة الشّقرونيّة: لا نعرف عن موضوع هذه المنظومة الموسومة بالشّقرونيّة سوى إنّها في المأكولات والمشروبات، هذه ما علمت من كتبه الموجودة والمفقودة. وقد يكون له كتب غيرها.

كان جليل القدر، ذا قدم راسخ في فنون العلم عقليها ونقليها مرجوعاً إليه في المسائل المشكلات. ويظهر من تتبع الألقاب التي أطلقها عليه المترجمون، ومن تقصي ما ترك من آثار إنّه برز في علم القراءات وعلم الكلام ونظم الشّعر.

فالمترجمون يصفونه بالمقرئ الحافظ الضابط المتكلم. ويدل على ضلوعه في الكلام كتابه الجيش الكمين، فإنّه أجاب فيه عن سؤال في التّقليد إجابة ذكر فيها ما للعلماء من أقوال وما لكل واحد منهم من الأدلة، بتحرير جمع فيه بين أدلة أصول الفقه وأدلة علم الكلام، ويدل على ضلوعه في القراءات إنّه نظم الطّرق العشر ولم يجاوز بعدُ العشرين من عمره. ويدل على ضلوعه في اللغة والشّعر المنظومات التي نظمها.

توفّي شقرون الوهراني عام (929هـ-1532م) جزم بهذا التّاريخ ابن مريم التّلمساني ابن محمّد مخلوف

بن الدّين بخولة

المصادر:

- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، الطبعة الأولى 1390هـ-1970م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، عن الطبعة الأولى 1349هـ.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1959م.

محمّد بن أبي شنب
(1285هـ - 1869م/1347هـ - 1929م)

وُلد محمّد بن العربي بن أبي شنب في (عين الذّهب) 26 أكتوبر 1869م بولاّية المديّة، ونشأ في أسرة ميسورة الحال؛ تعود أصولها إلى الكراغلة، وعنيت الأسرة بتربيّته تربيّة دينيّة، فألزمته حفظ القرآن، وتعلّم العربيّة، فقرأ آدابها وتاريخها، وتفقّه في كثير من علومها، والتّحق بالمدارس الفرنسيّة المزدوجة، وأخذ علماً جيداً باللغة الفرنسيّة، ونال درجة أهّلته ليدخل دار المعلّمين ببوزريعة، وأصبح معلّماً للغة الفرنسيّة في المديّة، ثمّ ارتحل إلى العاصمة ليكون كاتباً، فواصل أخذ العلوم، ودخل الجامعة ودرس على شيوخ: عبد الحليم بن سمايّة، ابن سديرة... ومن العاصمة يعيّن في المدرسة الكتّانيّة بقسنطينة مدرّساً لعلوم العربيّة، ومنها يعود إلى العاصمة ليحاضر في المدرسة الثّعالبيّة وفي ذات الوقت يكون مدرّساً للفقه في جامع (سفير) لتدريس صحيح البخاري، ويرتقي في الدّرجات العلميّة إلى غايّة حصوله على الدّكتوراه سنة 1920م، ويصبح أستاذاً في كليّة الآداب، وفي ذات السّنة يُسند له مجمع اللغة العربيّة بدمشق عضويّة المراسل، المجمع العلميّ الاستعماريّ عضواً عاملاً، هيأة إدارة مجلس الجمعيّة التّاريخيّة الفرنسيّة كاتباً عاماً لها. وممّا يسجّل عليه إنّه كان يفتخر وهو يرتدي ذلك الزّي العربيّ الذي لا يفارقه أبداً، وكلامه الدّائم بالعربيّة الفصيحة، عدا ما يستدعيه المقام من التّحدّث باللغات الأخرى من باب التّبليغ، أو عندما يدرّس للفرنسيين.

لم يكن ليحصل على هذه التّرقيات إلاّ بفضل الجهود العلميّة العصاميّة التي تحلّى بها، فقد أتقن العربيّة، التّركيّة، اللاتينيّة، الفرنسيّة، الإنكليزيّة. وكانت له درايّة بالإيطاليّة، الإسپانيّة، الألمانيّة، الفارسيّة، العبريّة، وبهذه اللغات كان همزة الوصل بين الحضارة الشّرقيّة والحضارة الغربيّة، وزاد في ذلك ما اكتسبه من علاقات علميّة كبيرة مع كبار العلماء والمستشرقين أمثال العلاّمة كراتشوفسكي، ومحاضراته العلميّة في كبرى المؤتمرات الدّوليّة في أكسفورد وغيرها من الجامعات التي لا تستقبل إلاّ الوزن الثّقيل، إضافة إلى حضوره العلميّ، وهو يرافع بمختلف اللغات مبدع ومترجم، وبأسلوب مقنع وبثقافة إسلاميّة عاليّة، جمع فيها بين الموسوعيّة والمقارنة وبلاغة اللسان، وجودة الكتابة، بما فُطر عليه من ذكاء وفضل التّحصيل. ولم يمنعه كلّ هذا أن يجمع بينو التّأصيل العلميّ إلى الإسهام في الكتابة في المجلات على غرار (المجلّة الأفريقيّة) التي يمدّها بأبحاث جادّة في الأدب المقارن (الأصول الإسلاميّة للكوميديا الإلهيّة لدانته) والألفاظ التّركيّة في لغة أهالي الجزائر... وكلّها من الأشياء الإبداعيّة التي تظهر يومياً، وكأنّ إنتاجه أكثر من وقته فأُنْعِمْ به من دكتور باحث! إنّه الباحث الذي أمضى حياته في التّنقيب ومتابعة الجديد، والنّشر في الدّوريات، فكانت له فهارس أسدى من خلالها للثّقافة العربيّة خدمة كبيرة بمنهج رصين، بزّ فيه أقرانه وفاقهم، وأصبح شيخهم الذي علّمهم ما كانوا يظنّون إنّهم يعلمونه، فأمامه لا يعلمون.

ما أصعب الظّرف الذي جاء فيه (ابن شنب) ظرف التّعليم النّخبويّ لفئة المستدمر، ظرف القحط الثّقافي، وفي بيئة بعيدة عن معالم التّمدّن، فما أصعب أن تثبت، ومع ذلك فقد ثبت بالعصاميّة والبحث اللذين أخرج بهما كنوز التّراث العربيّ من خباياها فحقّق أبحاثاً ميدانيّة تتطلّب فرقاً من البحثة، وفضلاً عن الجهاد في ميدان البحث هناك جهاد البحث عن الموقع أمام كبار العلماء، جهاد التّفكير في أرض مسلوبة، في صنّاع الدّمار ليس صعباً أن تثبت، ولكن أن تكون فريداً في زمانك وناجحاً هنا قمّة البرهان على قيمة الفرد فإنّه لا يموت بأن اصبح رمساً، فهو حيّ بما ترك من أبحاث. ويسجّل عليه التّاريخ إنّه ترك بعض المريدين أمثال (عبد الرّحمن الجيلالي) الذي أحيا بعض كتبه، والتي رأى فيها إنّها سلسلة لتلك المؤلّفات التي تلاحقت من جمع من أعيان الجزائر وعلمائها كالشّيخ محمّد السّعيد بن زكري، وعبد الرّحمن الدّيسي، والمجاوي... وتميّز عنهم (ابن شنب) بالفرادة في الاهتمام باللغة العربيّة دراسة وتأليفاً، إلى جانب التّحكّم في اللغات التي جعلت منه صورة العالم العالميّ المالك لإشراقات الغرب. كما أنّ مريديه في الخطّاب المسجدي كانوا أوفياء له بتقريبهم إياه إلى ضريح الوليّ الصّالح عبد الرّحمن الثّعالبي.

لقد كان (ابن شنب) صورة الباحث الدّيب والعالم المسلم الملتزم، مثالاً للأصالة الجامعة بين الماضي الأصيل، والحاضر الفضيل، فكان مثالاً في العلم والتّواضع والأخلاق، فكان لهن موقع في قلوب أصحابه من كبار الأكابر، فقال فيه شيخه (ابن سمايّة) "ما علمتُ في حياتي كلّها معلّماً يرجع إلى تلميذه غيري، وإنّني معترف له بالفضل والنّبوغ". وقال (أحمد راسم) "لقد كان معجماً لغوياً يمشي على وجه الأرض". وقال (مارتينو) عميد كلّة الآداب في جامعة الجزائر "إنْ كان أبو شنب قليل النّظر في الجزائر، فهو عديم المثال في فرنسا... وكانت حياته ممّا يضرب بها الأمثال لدى الحكومة الفرنسيّة"... وقال المستشرق الفرنسي Al-fred)/ ألفريد(كان ابن أبي شنب مخلصاً لدينه، ومتمسكا بلباسه التّقليديّ، ولكي لا يتنكر لتقاليده الإسلاميّة لم ير من الواجب أخذ الجنسيّة الفرنسيّة مما يُجبره على التّخلي عن الشّرائع الإسلاميّة وعن منزلته الشّخصيّة".

من الصّعوبة إحصاء مؤلّفات الدّكتور (ابن شنب) لتعدّدها؛ فقد تجاوزت كلّ التّقدير قياساً بذلك الزّمان الذي عزّ فيه الكتاب، فكانت المراجع نُدرة، وهنا نعرف بأنّ الكثير من أعماله هي إبداع، فما أصعب أن تبدع في عصر القحط العامّ، حيف تركيّ، استدمار ثقافيّ. ومع ذلك ترك الدّرر التي جمعنا عناوينها من المراجع؛ بعضها ترجمة، وبعضها مطبوع، وبعضها يأتيه الدّور: أبو دلاّمة وشعره، تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، شرح لمثلثات قطرب، الأمثال العاميّة الدّارجة في الجزائر وتونس والمغرب 3 أجزاء، الألفاظ الطّليانيّة الدّخيلة في لغة عامّة الجزائر، فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر، معجم بأسماء ما نشر في المغرب

الأقصى (فاس) من الكتب ونقدها، خرائد العقود في فرائد القيود، الكلمات التركيّة والفارسيّة المستعملة في اللهجة الجزائريّة، رسالة في المنطق، مجموع أمثال العوامّ في أرض الجزائر والمغرب، تعليقات: تعليق على وصايا الملوك وأبناء الملوك من أوّلاد الملك قحطان بن هود النّبي، طبقات علماء أفريقيّة لأبي ذرّ الخشني، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثّالث عشر للمسلمين مع الكفّار، الجمل تأليف الزّجاجي... ، تحقيقات في مؤلّفات أخرى: البستان في ذكر الأوّلياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التّلمساين، عنوان الدّرايّة فيمن عُرفَ من علماء المائة السّابعة في بجايّة للغبريني، الذّخيرة السّنيّة في تاريخ الدّولة المرينيّة، الفارسيّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة، شرح ديوان عروة بن الورد لابن السّكيت... إلى جانب نظمه للشّعر ومدحه لبلده الجزائر، وفي مديّة يقول:

بصحّة جوّ واعتدال هواء
للمديّة فضل على كلّ بلدة
بفاكهة طابت وأعذب ما
وما هي إلاّ جنّة قد تزخرفت

جاء يوم 5 فيفري 1929م، يعلن خبر وفاته، ويدفن في مقبرة سيدي عبد الرّحمن الثّعالبي، ويترك فراغاً كبيراً في الثّقافة المزدوجة، ثقافة العطاء، ثقافة أديب وعالم مسلم يعرف كيف يستفيد من الثّقافات الأخرى دون أن يفقد ثقافته وعاداته وأصالتّه وزهده وتواضعه.

صالح بلعيد

المصادر:

محمّد بن أبي شنب وآثاره، عبد الرّحمن الجيلالي.

محمّد بن أبي يعقوب يوسف بن شعيب الحسني التّلمسانيّ السّنوسيّ (832هـ - 1429م/895هـ - 1490م)

الإمام السّنوسيّ الحسنيّ التّلمساني الأشعريّ المالكيّ، ينتسب إلى قبيلة بني سنوس الأمازيغيّة من جهة والده، وإلى الحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أمّه، وإلى تلمسان باعتبار المولد والنّشأة، وهو إلى ذلك أشعريّ العقيدة، مالكيّ المذهب، من قبيلة بني سنوس بنواحي تلمسان، تخصّص في العقائد وعلم الكلام والمنطق والفقه والتّفسير.

درس الإمام السّنوسي على عدد من علماء عصره، وانتفع بكبار مشايخ تلمسان؛ على رأسهم:

- أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السّنوسي، وهو والده الذي قرأ عليه بعض القرآن الكريم في صغره.
- أبو الحسن عليّ بن محمّد السّنوسي الشّهير بالتّالوتي الأنصاري، وهو أخو السّنوسي لأمّه، أخذ عنه في صغره رسالة ابن أبي زيد القرواني.
- الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الرّاشدي، الشّهير بـ"أبركان"، لازمه السّنوسي في الصّغر.
- - أبو الحسن علي بن محمّد القرشي بالقلصادي، الرّحالة الشّهير، قرأ عليه الحساب والفرائض وأجازه القلصادي في جميع ما يرويه.
- محمّد بن أحمد المغيلي الشّهير
- بالجلاب، قرأ عليه المدوّنة في الفقه، وقيل إنّه ختمه عليه مرّتين.
- أبو زيد عبد الرّحمن الثّعالبي، قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث، وكتب له إجازة بخطّ يده.

لقد كان مجلس الإمام السّنوسي بتلمسان زاخراً بطلاب العلم، وذلك لِما في درسه من البيان بالتّلطّف وترقيق القلوب والصّدق والإخلاص وغيرها، ومن تلامذته الذين حفظت المصادر أسماءهم نذكر:

- محمّد بن عمر بن إبراهيم الملالي التّلمساني، وهو صاحب المواهب القدوسيّة في المناقب السّنوسيّة، الذي ترجم فيه لشيخه السّنوسي، ووضع شرحاً على العقيدة الصّغرى المعروفة بأم البراهين.
- محمّد بن محمّد بن العبّاس التّلمساني، الشّهير بأبي عبد الله، قال ابن مريم في البستان بإنّه كان ملازماً للإمام السّنوسي.
- محمّد بن صعد التّلمساني.
- محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي، صاحب منظومة (واسطة السّلوك) في العقائد، التي شرحها السّنوسي بطلب منه.
- بلقاسم بن محمّد الزّواوي، وهو كما أكابر أصحاب السّنوسي وقدمائهم، كا قال صاحب البستان.

الإمام السّنوسي من العلماء المكثرين في التّأليف، وتصانيفه مشهورة متداوّلة إلى يوم النّاس هذا، معظمها في التّوحيد والعقائد، وقد حظيت - لأهميتها وقيمتها العلميّة- بعنايّة المحققين فنشر الكثير منها، ومن هذه التّصانيف نذكر:

- عقيدة أهل التّوحيد المخرجة بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التّقليد المرغمة بفضل الله أنف كلّ مبتدع وعنيد، المعروفة بالعقيدة الكبرى. "طبعت"
- شرح العقيدة الكبرى، المسمّى عمدة أهل التّوفيق والتّسديد في شرح عقيدة أهل التّوحيد، "طبع".
- العقيدة الوسطى، وهي اختصار للعقيدة الكبرى مع بعض الزّيادات.
- شرح العقيدة الوسطى، وهي اختصار لشرح العقيدة الكبرى المتقدم، "طبع".
- العقيدة الصّغرى، المعروفة بأمّ البراهين، "طبعت".
- شرح العقيدة الصّغرى، "طبع".
- المقدّمات، وهي العقائد.
- شرح المقدّمات، "طبع".
- شرح أسماء الله الحسنى، "طبع".
- المنهج السّديد في شرح كفايّة المريد، وهو شرح على لاميّة أحمد بن عبد الله الزّواوي الجزائري في التّوحيد، "طبع"

- مختصر شرح صحيح مسلم للأبي المسمّى إكمال الإكمال، "طبع".
- شرح صحيح البخاري، لم يكمله وهو موجود في المكتبة الوطنيّة الجزائريّة رقم 2736.

كان إذا صلّى الصّبح قرأ وِرْدَهُ، ثمّ شرع في إلقاء الدّرس، ثمّ دخل بيته فصلّى الضحى، ثمّ أخذ في المطالعة إلى الظهر، ثمّ خرج فصلّى بالنّاس، ويتنفّلُ ما شاء الله تعالى، ثمّ يُقرِئ العلم إلى العصر، ثم يصلي العصر، وربّما خارج إلى داره فقرأ وِرْدًا له، ثمّ خرج لصلاة المغرب، فلا يعود إلاّ بعد صلاة العشاء، وربّما قرأ بعدها ما تيسّر، ثمّ يرجع إلى داره فينام ساعة، ثمّ يستيقظ فيشتغل بالمطالعة أو النّساخ ساعة، ثمّ يتوضّأ ويصلي، أو يذكر ربّه حتى مطلع الفجر. كان ذلك أكثر حاله رحمه الله تعالى.

لقد جمع الإمام السّنوسي بين العلم والتّربيّة، فكان شديد العنايّة بالعلم والفقه دراسة وتدريساً، كتابة وتحقيقاً، وهو إلى ذلك شديد العنايّة بتزكيّة النّفس وتهذيبها، فقد ذكر ابن مريم في البستان أنّ السّنوسيّ كان حليماً كثير الصّبر، ربما يسمع ما يكره فيتعافى عنه، ولا يؤثّر فيه بل يبتسم حينئذ، وهذا شأنه في كلّ ما يغضبه، لا يلقي له بالاً بوجهٍ، ولا يحقد على أحد، ولا يعبس في وجهه إذا لقيه، يُفاتح من تكلّم في عرضه بكلام طيّب وإعظام، ولا يلومه حتى يُعتقَد إنّه صديقه، ولمّا ألّف بعض عقائده أنكر عليه كثيرٌ من علماء وقته، وتكلموا بما لا يليق، فتغيّر لذلك كثيراً، ثم لان قلبه وعفا عن الجميع لرؤيا رآها.

أثنى على الإمام السّنوسي أجيالٌ من العلماء، نظراً لما قدّمه خدمة للإسلام في مجال العقائد والتّوحيد وسائر علوم الدّين، ومن هؤلاء العلماء نقتبس هذه الكلمات:

- وصفه تلميذه الملالي بـ"الشّيخ الإمام، حامل لواء شريعة الإسلام، الزّاهد العابد النّاسك، الولي الصّالح الوارع، النّاصح القطب العارف، الغوث المكاشف، إمام الطّريقة، الجامع بين الشّريعة والحقيقة"
- وقال ابن عسكر الشّفشاوني: "كان من أكابر الأوّلياء، وأعلام العلماء، وتآليفه تدلّ على تحقيقه وغزارة علمه، وعقائدُهُ الخمس وشروحها من أفضل ما ألّف في الإسلام".
- وقال ابن مريم التّلمساني: "كان -رحمه الله- آيّة في علمه وهديه وصلاحه وسيرته وزهده وورعه وتوقّيه"
- وحلاّه أحمد بابا التّنبكتي بـ"الإمام العلاّمة الوليّ الصّالح".
- واعتبره صاحب كتاب شجرة النّور الزّكيّة "عالم تلمسان وصالحها وفاضلها، العلاّمة المتكلّم المتفنّن، شيخ العلماء والزّهاد، والأساتذة العبّاد، العارف بالله، الجامع بين العلم والعمل".

يعتبر الشّيخ السّنوسي من العلماء الأكثر تأثيراً في مجال التّوحيد والعقائد وعلم الكلام، فقد ملأ الدّنيا وشغل النّاس، بما فتح الله عليه من التّآليف، التي أحسن عرضها وتبويبها، فقد أجاد في تصنيف المتون، وبرع في التّعامل معها شرحاً واختصاراً، بسطاً وإيجازاً، مع عمق الفكرة، ودقّة التّحرير، وحسن العرض، وجودة الأسلوب.

لقد استطاعت كتب السّنوسي أن تزاحم كتب كبار علماء العقائد، وصارت مقرّرة في المعاهد والمدارس والزّوايا، كالقرويين والزّيتونة والأزهر وجوامع الشّام وشنقيط والقوقاز والسّودان وغيرها، بل إنّه غطّى على الكثير من العلماء المتقدّمين نظراً لتميّز مؤلّفاته بالطّابع التّعليمي، مع الجرأة في الطّرح، تدلّ عليها تعقيباته على كبار المتكلّمين كالأشعريّ والباقلاني والجويني والرّازي وغيرهم. ولذلك انكبّ العلماء -مشرقاً ومغرباً- على كتب السّنوسي بالشّرح والتّحشيّة والتّعليق، بشكلٍ يندر وقوعه لشخصيّة علميّة واحدة.

قال تلميذه محمّد بن عمر الملالي: "وتوفّي يوم الأحد بعد العصر، الثّامن عشر من جمادى الآخرة من عام خمسة وتسعين بعد ثمانمائة (895هـ)، وأخبرتني والدّتي عن بنت الشّيخ إنّه شمّت المسك في البيت بنفس موت أبيها، وشمّته أيضاً في جسده، والله أعلم".

حبيب بوزوادة

المصادر:

- ابن مريم التّلمسان، البستان في ذكر الأوّلياء والعلماء بتلمسان.
- نزار حمادي (محقق)، شرح المقدّمات للسنوسي، (قسم الدّراسة).
- بلكرد بوكعبر (محقق)، شرح السّنوسيّة الكبرى، (قسم الدّراسة).

محمّد بن أحمد أبو عبد الله بن صعد الأنصاري التّلمساني
(ت: 901هـ - 1496م)

هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن ميمون بن سعيد بن صعد الأنصاري، أما صاحب دوحة الناشر فقد عرّفه بـ"أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد الأندلسي"، وورد اسمه في مقدمة مخطوطه النجم الثاقب أنه "محمّد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد الأنصاري". فهو إذن تلمساني الدار أندلسي الأصل، وكنيته أبو عبد الله، واشتهر بابن صَعَد الأنصاري.

أورد ابن صعد في الجزء الأول من "النجم الثاقب" إشارة لعلاقة أسرته بالشّيخ إبراهيم التّازي الذي كان يرسل له السّلام، حيث قال عنه "وَلِنَقْتَصِرْ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ أَخْبَارِ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ -رَحِمَهُ اللهُ- وفَوَائِدُهُ، وإِنْ فَاتَتْنِي بَرَكَةُ لِقَائِهِ فَلَمْ يَفُتْنِي صَالِحُ دُعَائِهِ. كَانَ يَكْتُبُ لِوَالِدِي ويُسَلِّمُ عَلَيَّ، ويَدْعُوا لِي بِمَا أَرْجُوا قُبُولَهُ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى ورَحْمَتِهِ..." (ابن صعد، ج.1، ص.28و). والمرجح أن ابن صعد ولد بعد منتصف القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

جمع ابن صعد وأسرته بين الشّرف والجاه والمال، مما جعلها تحظى بمكانة متميزة في المجتمع التّلمساني. ويتضح ذلك من خلال علاقتها بالسّلطان الزياني ومن تكليف السّلطان المتوكل على الله لابن صعد لتأليف كتاب "النجم الثاقب".

أما عن نشاط الأسرة ومصادر ثرائها، فالمرجح أنها كانت تشتغل بالتّجارة بناء على ذكر ابن صعد من خلال انتقاله إلى وهران ثاني مدينة اقتصاديّة بعد تلمسان (ابن صعد، ج.1، ص.17ظ). وتزداد هذه المكانة عندما تصاهر الأسرة أحد علماء تلمسان، وهو العالم الفرضي محمّد بن أحمد الحباك (ت867هـ/ 1462م) صاحب "بغيّة الطلاب في علم الإسطرلاب"، وهو خال ابن صعد، وإبراهيم التّازي الذي كانت علاقته وطيدة ومتينة بأسرة ابن صعد حيث كانت بينهما مراسلات ولقاءات نقلها ابن صعد في ترجمته لهذا الولي.

شهد عصره الصراع الأسري الزياني وسقوط الأندلس، وأصبح الخطر المسيحي يهدد المغرب الإسلامي، وأصبح الاقتصاد والثروة في يد اليهود والنصارى التّجار، وأصبح المجتمع يعاني من القلق والخوف وغلاء المعيشة وانتشار وباء الطاعون. فهذا الوضع المتأزم على جميع الأصعدة قريب من حديث الرسول ﷺ شؤم المعاصي- الذي قال:

((يَا مَعْشَرَ المُهاجِرِين خَمْسٌ إذا ابْتُلِيتُم بِهِنَّ، وأَعوذُ بِاللهِ أَن تُدرِكوهُنَّ: لَم تَظْهَرِ الفَاحشَةُ في قَومٍ قَطُّ حتَّى يُعلِنُوا بِهَا إلاَّ فَشَا فيهِم الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ التي لَم تَكُن مَضَت في أَسلاَفِهِم الذين مَضَوا ولَم يُنقِصُوا المِكْيَال والمِيزَان إلاَّ أُخِذُوا بِالسّنين وشِدَّةِ المَؤونَةِ وجُورِ السّلطَان عَلَيهِم، ولَم يَمنَعُوا زَكَاة أَموَالِهِم إلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السّمَاءِ ولَولاَ البَهائِم لَم يُمطِرُوا، ولَم يَنقُضُوا عَهْدَ اللهِ وعَهْدَ رَسُولِهِ إلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيهِم عَدُوًّا مِن غَيرِهِم فَأَخَذُوا بَعضَ مَا فِي أَيدِيهِم، ومَا لَم تَحْكُم أَئِمَّتُهم بِكِتَابِ اللهِ ويَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنزَلَ اللهُ إلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُم بَيْنَهُم)).

هكذا كان حال عصره ينطبق مع حديث الرسول ﷺ لذلك تصدى العلماء في صورة العقباني صاحب تحفة الناظر والسّنوسي في مؤلفاته وابن صعد وخاله وغيرهم في أخلقة المجتمع ومحاربة الفساد الخلقي والديني، وتربيّة المجتمع في ظل قيم الفضيلة والأخلاق الكريمة التي يسعى التيار الصوفي إلى تحقيقها وإنقاذ المجتمع من أزماته.

والحقيقة إن علماء تلمسان القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى جانب دورهم التّعليمي والتّأليف والوظائف - الإمامة - والقضاء-، فقد كانت لهم أدوار ومواقف أخرى تجاه قضايا عصرهم، فقد تعاونوا مع السّلطة في رد الزحف الحفصي على تلمسان، وكبح نفوذ اليهود في توات بإعلان الجهاد وتأميم ممتلكاتهم وأموالهم. والاستعداد لمواجهة الخطر المسيحي القادم. ولأن عصرهم كله أزمات أوجب دراسة مؤلفات عصره لا على أنها تقليديّة ولا على أنها تخرج عن نمط الشّروح والمختصرات، بل لكونها سعت لترسيخ العقيدة الإسلاميّة وتبسيطها وتسهيلها للعامة، ومن جهة أخرى لكونها رأيا معارضا وناقدا للأوضاع ومشرحا للأزمات المتعددة الجوانب، مما تساعد على إعادة بناء الواقع التّاريخي للمغرب الأوسط الزياني.

نذكر من شيوخه منهم محمّد بن عباس العبادي ومحمّد بن يوسف السّنوسي ومحمّد بن عبد الجليل التّنسي ومحمّد بن أحمد الحباك وإبراهيم بن قاسم بن سعيد بن العقباني وأبو عبد الله ابن مرزوق ومحمّد بن يحيى بن سعيد وأحمد بن الحسن بن عبد الرحمان بن يحيى الرياحي.

أحمد بن علي البلوي (ت938هـ/ 1531م) (التّنبكتي، 1989، ص.138) العالم الفقيه الحافظ الضابط الناثر البليغ جعفر بن علي بن أحمد البلوي الوادي أشي الغرناطي الأندلسي الشّهير بأبي داود. أخذ عن القلصادي بغرناطة، وفي تلمسان أخذ عن شيوخ ابن صعد أثناء إقامته بها ما بين (894-896هـ/ 1488-1490م). وأجازه ابن صعد في قصيدة "مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي ﷺ". ونفس الإجازة لأخيه أبي القاسم، شارك البلوي ابن صعد في جمع المصادر المعرّفة برجال مختصر ابن عرفة (نفسه، ص.417).

ومن مؤلفاته نذكر:

- شرح الخزرجيّة سنة 908هـ/ 1502م في العروض والقوافي لصاحبها ضياء الدين أبي محمّد عبد الله الخزرجي المالكي الأندلسي (نفسه، ص.(36-37) والثبت وهو فهرسه؛ يعرف فيه بشيوخه بالأندلس وتلمسان. وكانت وفاته سنة 938هـ/ 1531م.

- "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" في ثمن أسفار، وقد وصفه صاحب دوحة الناشر بأنه يوجد في أربع مجلدات، كتبت تراجمه بماء الذهب ورتبت على حروف المعجم بالتّرتيب الأبجدي المغاربي.

- "روضة النسرين في التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين" وهم سيدي الحسن أبركان وسيدي أحمد بن الحسن الغماري دفيني تلمسان، وسيدي محمّد الهواري وسيدي إبراهيم التّازي دفيني وهران. وهذا المؤلّف هو مقتطف من كتابه الأول النجم الثاقب.

- مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي -ص-"وهو نظم في مدح الرسول صل الله عليه وسلم، للمدائح النبويّة مكانة خاصة في المجتمع الزياني وسلطته وبلاد المغرب.

- التّعريف برجال "مختصر" الإمام أبي عبد الله محمّد بن عرفة في فقه مذهب مالك، لكنه لم يتمكن من إكماله بعد جمع مصادر التّعريف برجال مختصر ابن عرفة.

قال فيه البلوي: "الفقيه الإمام العلامة البارع المصنف المقيد المفيد التّاريخي المحصل المتفنن الفاضل الماجد النبيه الجماعة الجليل الحافل الجملة الفاضلة". أما صاحب دوحة الناشر فيقول عنه "كان فقيها خيرا فاضلا حافظا مطلعا". ويصفه التّنبكتي بـ"الفقيه العالم المحصل العلامة". وينقل لنا بيتين قالهما محمّد العربي الغرناطي في ابن صعد:

إذا جئت لتلمسان فقل علمك
لصناديدها ابن صعد
فاق كل علم
مجدك فاق كل مجد

توفي ابن صعد بمصر في رحلته العلميّة والحجيّة في رجب عام 901هـ/ أفريل 1496م.

الطاهر منزل

المصادر:

- ابن صعد (ت901هـ/ 1496م)، مخطوط النجم الثاقب، مخطوط الخزانة العامّة بالرباط، رقم: ك1292.
- البلوي (أحمد بن علي ت938هـ/ 1532م)، 1983، ثبت، دراسة وتحقيق: عبد الله العمراني، ط.1، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

حساني (مختار)، 2007، تاريخ الدولة الزيانيّة، ط.1، ج.1، دار الحضارة، الجزائر.

مُحَمّد بنُ أحمَد الهاشِميّ
(1298هـ - 1881م / 1381هـ - 1961م)

وُلد محمّد بن أحمد الهاشمي بن عبد الرّحمن بن بوجمعة الهاشميّ يوم السّبت 22 شوال 1298هـ/ 1881م في مدينة سبدو التّابعة لمدينة تلمسان، وكان والده من علمائها وقاضيها، فلمّا توفّي ترك أوّلاداً صغاراً، وكان محمّد أكبرهم سنّا.

بقي الشّيخُ مدّةً من الزّمن ملازماً للعلماء، قد انتظم في سلكهم جادّا في الازدياد من العلم، ثم هاجَر مع شيخه محمّد بن يلّس إلى بلاد الشّام احتجاجاً على قانون التّجنيد الإجباري الذّي فرضته فرنسا على الجزائريّين. يقولُ أبو القاسِم سعد الله "وكانت هجرته مع شيخه محمّد بن يلّس، أثناء الرّعب الذّي أصاب تلمسان، وكل الجزائر، من فرض التّجنيد الإجباري على الشّباب، وابن يلس هو شيخه في الطّريقة الدّرقاويّة".

وفي بلاد الشّام لم تكن علاقته طيّبة مع الدّولة العثمانيّة، فقد تمَّ نَفْيُهُ، وليس لدينا ما يوضح علاقته مع حكومة الملك فيصل التي جاءت بعدها، وأمّا علاقته مع الاحتلال الفرنسي فقد كانت متوترة إذ شارك الرّجل ضدّها في معركة ميسلون عام 1920.

أخذَ العلمَ عن أكابرِ علماءِ دمشق، ومن أشهرهم المحدِّث الكبير بَدر الدّين الحَسَني، والشّيخ أمين سويد والشّيخ



جعفر الكتّاني، والشّيخ نجيب كيوان، والشّيخ توفّيق الأيّوبي، والشّيخ مَحمود العطّار، والشّيخ محمّد بن يوسف المعروف بالكافي، وقد أجازه أشياخه بالعلوم العقليّة والنّقليّة.

أمّا من ناحيّة التّصوف فقد أذنَ له شيخُه محمّد بن يلّس بالورد العام، لما رأى من تفوّقه على تلامذته، ولما قدم المرشد الكبير أحمد بن مصطفى العلويّ من الجزائر لأداء فريضة الحج، نزل في دمشق ربيع 1930/ 1348هـ، وأذن له بالورد الخاص، تلقين الاسم الأعظم، والإرشاد العام ونشر الطّريقة الشّاذليّة الدّرقاويّة في سوريّة والعراق ولبنان وفلسطين والأردن حتى عرفت باسمه ووصلت إلى تركيا وأوروبا وأمريكا.

كان بيته قبلة للعلماء والمتعلّمين والزّوار، لا يضجر من مقابلتهم، ويقيم حلقات منتظمة دوريّة للعلم والذّكر في المساجد والبيوت، ويطوف في مساجد دمشق يجمع النّاس على العلم والذّكر، ولم يزل مثابرا على همّته ونشاطه ودعوته حتّى أيّامه الأخيرة.

اشترك محمّد الهاشِمي عام 1946 في تأسيسِ رابطةِ العلماء التي رأسها أبُو الخير الميداني وكان عضوَ مجلسِ شيوخِها وحين انتخب الشّيخ محمّد الكتّاني رئيساً لها انتخب الهاشمي نائباً للرّئيس وشارك في مؤتمرِ هذه الرّابطة عام 1957 الذّي عقد خصِّيصا لنُصرة الجزائر، وكانت له اليد الطّولَى في تأسيسِ دائرة أربابِ الشّعائر الدّينيّة التي لازالتْ قائمةً حتَّى اليوم وقد ترأّسها فترةً من الزّمن، كما سعى لبناء مسجد الرّضوان في حيّ المُهاجرين.

عايش الشّيخ الهاشمي ظروف سوريّة منذ الحرب العالميّة الأوّلى وهزيمة الدّولة العثمانيّة، والاحتلال الفرنسي 1920 الثّورة السّوريّة الكبرى 1925م–1927م والمقاومة الشّعبيّة السّياسيّة للاحتلال الفرنسي، استقلال سوريّة 1946 حرب فلسطين 1948، كما عايش الثّورة الجزائريّة 1954–1962 التي كانت مُحرِّكاً أساسيّاً للحياة السّياسيّة

الشّعبيّة في سوريّة وكان له دورٌ فعّال في جمع الأموالِ والمساعدات للثّورةِ.

كان للشّيخ محمّد الهاشِمي السّبْداوي التّلمساني تلاميذ كثر في بلاد الشّام، وفي تركيا وغيرهما ومن تلاميذه في سوريّة:

محمّد سعيد البرهاني، وعبد القادر عيسى الحلبي، ومحمّد النّبهان الحلبي، هاشم السّيّد الدّوماني، هاشم الخطيب، محمّد سعيد البرهاني، إبراهيم اليعقوبي، يحي يستنجي، مصطفي تركماني، وسعيد حوى، وغيرهم كثير من مشاهير العلماء والمتصوِّفة في بلاد الشّام وكل المنطقة، والعميد مُصطفى طَلاس الذّي تولّى وزارة الدّفاع في سُوريا وكان يَتمنَّى زيارة المدينة التي ولد فيها شيخه سيدي محمّد الهاشمي (سبدو). والهاشمي التّلمساني وهو ابنُ الشّيخ محمّد الهاشمي المذكور وُلدَ في سبدو عام 1909م (1327هـ) أي قبل هجرةِ والده إلى دمشق عام 1911. أَخَذَ عن والده الكثير وأخذ عن الشّيخ جعفر الكتّاني والشّيخ بدر الدّين الحسني.

من مؤلّفاته:

- مفتاح الجنّة في شرح عقيدة أهل السّنة؛
- الرّسالة الموسومة بعقيدة أهل السّنة مع نظمها؛
- البحثُ الجامعُ والبرقُ اللّامع والغيثُ الهامعُ فيما يتعلّق بالصّنعةِ والصّانع؛
- الرّسالةُ الموسومة بسبيل السّعادة في معنى كلمتي الشّهادة مع نظمها؛
- الدّرةُ البهيّة؛
- الحلُّ السّديدُ لما استشكله المريدُ من جوازِ الأخذ عن مرشدين؛
- القولُ الفصلُ القويم في بيان المراد من وصيّة الحكيم؛
- شرحُ شطرنج العرفين للشّيخ مُحي الدّين بن عَرَبي؛
- الأجوبة العشرة؛
- شرح نظم عقيدة أهل السّنة.

توفّي محمّد الهاشِمي يوم الثّلاثاء 12 من رجب 1381هـ الموافق 19 كانون الأوّل 1961م، وصُلّيَ عليه بالجامعِ الأمويّ ثم شيعتْه دِمَشْقُ تحمله على الأكتافِ إلى مقبرةِ الدّحداح، وبُني له قبرٌ خاصّ وُضعت عليه يافِطة تحمل عبارة مقام (الشّيخ محمّد الهاشمي).

بوعلي عبد الناصر

مصادر:

- أبُو القاسم سعد الله، تاريخُ الجزائر الثّقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1996.
- مَجلّة (أفكار وآفاق)، تصدرها جامعة الجزائر2، العدد03، السّنة2012.

مُحمّد عدنان، مُوسوعةُ الأسر الدّمشقيّة، دار الفكر، دِمشق، ط1، 2004.

محمّد بن أحمد بسكر
(1298هـ - 1880م/1361هـ - 1942م)

ولد الأديب محمّد بن أحمد بسكر (رحمه الله) بحي الموامين بمدينة بوسعادة سنة 1880م، وترعرع في كنف أسرة محافظة، وكأقرانه من الفتيان التحق بزاويّة الشّيخ سيّدي عطيّة بن بلقاسم الشّريف، فتلقّى على شيخه عثمان غربي القرآن الكريم ومبادئ العلوم، ثمّ انتقل إلى المسجد العتيق (جامع النّخلة)، وهو أقدم مسجد في (بوسعادة)، فانخرط في دروس الشّيخ أبي بكر بن حامد رحمه الله، شيخ الطّريقة الشّاذليّة ببوسعادة، فأخذ عنه الفقه والتوحيد واللّغة والتصوف، كما اتّصل بالأديب الشّاعر، الشّيخ محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن الدّيسي، فتعلّم بين يديه علمي العروض والقوافي، يقول الدكتور عبد المالك مرتاض:" ومن عجب أنّ هذا الشّاعر لم يتلقّ العلم في القرويين بفاس، ولا في الزّيتونة بتونس، ولا في الأزهر بالقاهرة، بل لم يزد من التحصيل على ما كان مشاعا من العلم في الزّوايا الجزائريّة ومراكزها الثقافيّة المحلّيّة على عهد الاستعمار الفرنسي، ممّا يدل على أنّه كان شاعرا عصاميا، التمس الثقافة في قراءاته الكثيرة للأدب وحفظ نصوصا من الشّعر، كمعظم الشّعراء الذين عاصروه، ممّن كانوا يعيشون في النّصف الأوّل من القرن العشرين ".

عُرف رحمه الله بنزعته الإصلاحيّة، ونشاطه في مجال الدّعوة والإصلاح الدّيني والاجتماعي، وقد وجد مبتغاه في حركة ابن باديس التي ظهرت ملامحها على السّاحة الجزائريّة بدايّة من سنة 1924م ولما تمّ تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين وبادر إلى الانضمام إليها والمشاركة في أوّل ملتقى تأسيسي لها، بنادي الترقي سنة 1931م، ممثّلا لمدينة بوسعادة ونواحيها، وفي سنة 1936م وسّعت جمعيّة العلماء من نشاطها، وكوّنت عدّة لجان وطنيّة ميدانيّة، تهتم بالشّؤون العلميّة والتّربويّة، والقضايا الاجتماعيّة والسّياسيّة، فاختاره المكتب الوطني ضمن لجنة الإصلاح الاجتماعي التي ترأسها الشّيخ الفضيل الورثيلاني، لما رأى فيه من أدب ومعرفة، ونشاط واسع.

آمن بمبادئ الجمعيّة، العلميّة والإصلاحيّة، فروّج لأفكارها في محيطه، وكان شديد الوطأة على المناهضين للإصلاح، من أصاحب المصالح السّياسيّة الضيقة أو من كبّلتهم مظاهر التّدين الكاذبة، ففي مقال نشره في جريدة البصائر – باسم مستعار)البوسعادي()حذار من الورع الغادر والسّخاء الماكر(، نبّه القارئ إلى مخاطر المظاهر الخدّاعة، والتديّن الزّائف، فقال: يتخذ اللّصوص لنيل أغراضهم السّافلة مصايد كثيرة متنوعة، ولكن أشدّها مكرا وأخبثها بالإنسان غدرا، هي مصائد الورع

والسّخاء الكاذبين، فهما بحقّ مصيدتان غادرتان من نوع العناوين الكاذبة. قال في حقه الشّيخ علي مرحوم، الذي ترجم له في مجلة الثقافة، ونشر نماذج من شعره:" عُرف الشّاعر بأنّه شديد الوطأة على أعداء الإصلاح ومناهضيه، لا تلين له قناة في مقاومتهم، وكشف ترهاتهم ودجلهم، وفضح استغلالهم باسم الدين السّذج والبسطاء من العوام، وخصوصا أولئك الذين ينتمون إلى بعض الطّرق والزّوايا "، وقد دفع شاعرنا ثمن مواقفه، فعزلته السّلطة الاستعماريّة من وظيفته ككاتب(خوجة)عند أحد (القيّاد)، وضيّقت عليه وحدّت من نشاطه، وخاصّة بعد الاستقبال العظيم الذي أعدّه مع أعيان بوسعادة للشيخ ابن باديس لمّا زار مدينتهم سنة 1932م.

لقد كانت وضعيّة المجتمع الجزائري المأساويّة بمعناها الواسع، التي اتسمت بالرّكود في المجال الثقافي، والانحطاط في المستوى التعليمي، والتدهور الاجتماعي، كلّ هذه الظّروف التي لمسها وأحس بها كغيره من العلماء، جعلت منه شاعرا إصلاحيا، مرهف الحسّ، يميل في قصائده إلى النّقد الاجتماعي، فلا يخلو شعره أو مقالاته من الحثّ على تقويم النّفس والنّهوض بها، ومقارعة البدع والخرافات التي كبّلت همم الشّباب، والدّعوة إلى إصلاح الفساد الواقع في المجتمع الجزائري.

ونشر معظم شعره في جريدة الإصلاح، ومجلة الشّهاب، وجريدة البصائر الأولى، وحملت قصائده عناوين مختلفة الأغراض، ففي جريدة الإصلاح نجد له قصيدة: عاد الذي فطموه قبل رضاعه، وزهرة عبثت يد النّون بها، وسوق عكاظ، والإصلاح والمصلحون. وفي مجلة الشّهاب نُشر له قصيدة: ما العلم إلا المشاع، عقد فريد، وفي جريدة البصائر له قصيدة: قصدنا طريق الحياة بجد، ورسالة الشّرك، وضعها تقريظا لكتاب الشّيخ مبارك الميلي (الشّرك ومظاهره).

ومن قصائده التي نشرها بمجلة الشّهاب، قصيدة (عاش الشّهاب)، قدّمتها إدارة الجريدة بكلمة جاء فيها:" جاءتنا هذه القصيدة البليغة في آخر رمضان، وقد تمت مواد المجلة فتأخرت إلى هذا الجزء، ثم قد ترددنا في نشرها لما فيها من ذكر شخص صاحب هذه المجلة، ولكن رأينا أنّ كلّ ما يقال فيه، إنّما هو موجه لفكرة الإصلاح والدّاعين إليها والقائمين بها، وما اسمه إلّا رمز لذلك، ولذلك سمحنا بنشرها، شاكرين لناظمها الأديب فضله وأدبه" ومن قصائده التي صدّرتها الشّهاب بكلمة رائقة، قصيدة (عقد فريد)، وجاء في نصّها:" أنشئت هذه القصيدة إجابة على اقتراح قدمه الأستاذ البشير الإبراهيمي لكافّة الشّعراء الحاضرين بمدينة الجزائر، يوم انعقاد جمعيّة العلماء بنادي الترقي بعدما نضم – حفظه الله – مطلعها وعجزها الأخير. وعلّق الأستاذ علي مرحوم على ذلك بقوله: " ومن أجلّ ما قيل من الشّعر فيها، قصيدة عصماء للشاعر محمّد العيد آل خليفة، وقصيدة غرّاء للشاعر الفطري الشّيخ محمّد بن بسكر بعنوان (عقد فريد)".

وآخر ما نشرته له جريدة الإصلاح قصيدة رثائيّة تحتوي سبع وعشرين بيتا،

تحت عنوان (**باديس مر نهاره يتألق**)، مطلعها:(هبوا إلى دار الإمام وحققوا...) نظمها بعدما وصله نبأ وفاة الشّيخ عبد الحميد ابن باديس، وافتتحها بكلمة نثريّة جيّاشة ومعبرة، جاء فيها: " الأستاذ الجليل الشّيخ الطّيب العقبي، سلاما واحتراما، أمّا بعد فستجدون داخل الكتاب مرثيّة في الأستاذ المرحوم، أرغب – من فضلكم – في نشرها في الإصلاح، ولقد شرعت فيها يوم نعته لنا البرقيات، ولكني لم أقدر على نظمها، فكلّما لفظت لفظة يغلبني البكاء، وتعذّر عليّ إتمامها حتّى يئست، وفي هذه الأيام فقط، وجدت نفسي قادرا على إتمامها، والله يعلم أنّ بكاءنا لم ينقطع، سدّد الله خطاكم، وبارك في أعمالكم، والسّلام عليكم".

محمّد بسكر

المصادر:

- جريدة البصائر الأسبوعيّة، العدد:706 رجب 3 شعبان1435هـ/ 26 ماي 1جوان 2014م.
- عبد المالك مرتاض، معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص81.
- جريدة البصائر الأسبوعيّة، السّنة 4، العدد 174، سنة 1358هـ/ 1939م.
- علي مرحوم: الشّاعر المرحوم محمّد بن بسكر، مجلة الثّقافة، العدد: 63/ 1981م.

محمّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (804هـ - 1416م/871هـ - 1499م)

هو أبو عبد الله بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني. وُلد بتلمسان ونشأ بها، وتلقّى معارفَه الأولى بأحيائها ومساجدها وظلّ يترقّى في العلم والجاه حتى بلغ ذروة مناصب القضاء، فوُلِيَ قضاء الجماعة بهذه المدينة.

تلقّى العلم على أيدي العديد من العلماء الأجلاّء: في طليعتهم جدّه الإمام قاسم العقباني، والعلاّمة الموسوعي اِبن مرزوق الحفيد، وغيرهما... وقد انعكست أستاذيّة مشاييخه على شخصيّته فتعدّدت تخصّصاته، ولاسيما في الفقه والتّصوف والحسبة.

التّاريخ الأدبي عن حياة العقباني ضنين بالكشف عمّن درّسهم، أو أفادوا من دروسه، ونقتصر على ذكر اسمين اثنين فقط، لكن عندما يُزاح النّقاب عن هذين الشّخصين قد نكتفي بهما لاثبات مكانته وذلك لما يتمتّعان به من شُهرة واسعة ويتميّزان به من غزارة علم، وحدّة ذكاء، ووفرة تأليف، وهما:

أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ).

الإمام أبو عبد الله التّنسي (ت 899 هـ).

توفي محمّد بن أحمد العقباني بتلمسان، ودُفن بدار الرّحمة قرب ضريح سيّدي ابن مرزوق الحفيد.

لم يترك العقباني آثاراً كثيرة، لأن المظان الّتي عنيت به لم تذكر له إلاّ مؤلّفاً واحداً هو "تحفة النّاظر وغنيّة الذّاكر في حفظ الشّعائر وتغيير المَناكر" لكن يضاف إلى هذا المصنّف ما تركه من فتاوى مبثوثة أوردها تلميذه الوفيّ الونشريسي.

نموذج من خطابه النّثري:

لم تصل إلى أيدينا نصوصٌ أدبيّة أو لغويّة للعقباني، وكلُّ ما وصلنا كان عبارة عن فتاوى، أو كان إسهاماً في الحسبة بصفته قاضي الجماعة وقد لاحظ خروقات قانونيّة، وتعدياً أخلاقياً ودينيا وإنسانيا على مصالح سكّان تلمسان خاصّة.

من فتاويه نذكر:

سُئل عمّن استُؤجِر على حصاد زرع بآصع معلومة منه فحصد منه نصفه فنزل عليه الجيش، فأجاحه كلّه، فهل لكلٍّ واحد منهما على صاحبه مطلب أو لا شيء له، لأنّها مصيبة نزلت بهما؟ وما ترون؟

فكان جواب الشّيخ مختصراً في صيغة قانونيّة: "هلاك ما حصد وما لم يحصد مصيبة نزلت بالأجير والمستأجر. والله أعلم".

أدعياءُ علم الطّب والاحتساب عليهم:

ومن المنكراتِ جرأة هؤلاء الجهلة على الفتوى... وكذلك ما يتعاطاه كثير من مدّعي علم الطبِّ ومعرفة الأدواء وصناعة اليد على جهل منهم لخفائه إلاّ لمحة وقفوا عليها، وإشارة نظروا إليها. وهذا الشّأن ممَّا تبطُن خفاياه، وتعظُم زواياه، فيسرعون في أجسام المسلمين بالإذابة القتّالة، والقطع والكيّ والعلاج المهلك على غير علم.

فيجب على كلّ حاكمٍ تفقّد هؤلاء وقمعهم ومنعهم من تعاطي علم الطّب ونحوه من الجلوس للنّاس، حتّى يحضر من يوثق به من الأطباء العلماء ويختبرونه بحضرته. ويصحّ عنهم أنّهم أهل للجلوس في ذلك الشّأن، فإنّ من اقتحم على شيء من ذلك بغير استحقاقٍ فقتل أحداً، أو أتلف له عضواً على غير مناهج الطب، فهو متعدّ يجب ضربه وسجنه ولزوم الدّيّة قيل في مالِه، وقيل على عائلته.

وقفة فنيّة عند خطابه الدّيني:

إنّ من أهمّ سمات الخطاب الدّيني بعامة إنّما هي الصّدق، والدّقة والوضوح، والدّليل والبرهان السّاطع، والحجّة الدّامغة. وذلكم ما راعاه القاضي العقباني في نصوصه المختلفة الّتي استشهدنا بها، فهو قد فصّل وأطنب في فتواه بالنّسبة للبيع بمكيال مجهول، ووقف شارحاً موضّحاً بل ومشجباً لما يُقدم عليه أدعياء الطبِّ والدّجالون لكنه أجاب إجابة مختصرة في قضيّة من استأجر على حصد زرع بقدر معلوم.

والملاحظ أنّ هذه النّماذج لا تخلو من الإحالة إلى القرآن الكريم، أو الحديث النّبوي الشّريف، ولكنّها تستشهد بمذاهب الأئمّة وتحرص على ذكر أسمائهم.

وأخيراً، فإن أسلوب الشّيخ يتّسم أحيانا بالالتواء والتّعقيد، وهو شيء بديهي لأنّه إزّاء مسألة هي نفسها تنطلق من فرضيّات تدلف من المنطق أو التخيّل في بعض الأحيان.

قال عنه الشّيخ زروق في كناشتِه: "كان فقيهاً عارفاً بالنّوازل، ذا ملكة في التّصوُّف"

وأثنى عليه من المعاصرين محمَّد الطمّار فقال: "أدلى العقباني دلوه مع دلاء الباحثين في الحسبة وجذبه مملوءا بفوائد اجتماعيّة لذلك العصر في تلمسان وغيرها".

وقال عنه محمَّد بن رمضان شاوش: "كان العقباني فقيهاً عارفاً بالنّوازل متقناً لها. له من التّأليف كتاب الحسبة لا يزال مخطوطاً وقد ترجمه إلى الفرنسيّة قبل وفاته المرحوم البشير كَلِّيل.

ونعته ابن مريم بخاتمة قضاة العدل بتلمسان كما ترجم له شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفرد الحافظ القدوة العلامة المجتهد العارف المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد القدوة الرّحلة الحاجّ ماتزال العديد من مؤلفاته تنتظر الطّبع والتّحقيق التي منها:

أرجوزته في فنّ التصوّف، ومصنف في أصول الدّين، وشرحه على قصيدة البردة، وكتاب في الفرائض، وشروح على الخليل، والمدونة مع حاشيّة التّعليق، بالإضافة إلى أجوبته الكثيرة المبثوثة في العديد من الكتب.

حضر جنازته سلطان تلمسان نفسه، وصلّى عليه مع جمع غفير من المشيّعين والمحبّين الوافدين من داخل تلمسان وخارجها. دفن إلى جوار ضريح ابن مرزوق بالجامع الأعظم بتلمسان.

عبدالنّاصر بوعلي

مصادر:

- الضُّوء اللّامع: السّخاوي، مصر 1353-1355هـ، 7/ 37؛
- هديّة العارفين: البغدادي، إستانبول 1951-1955م، 2/ 301.

محمّد بن أحمد بن محمّد الحرشوي النّدرومي (1241هـ - 1826م/1313هـ - 1896م)

الشّيخ محمّد بن أحمد بن محمّد بن أمحمّد بن عبد الرّحمن بن عبد الله الحرشوي أو الحرشاوي، نسبة إلى دار أحرشاو الّذي ولد به وفي بعض المراجع الخرشوفي، ولد بمدينة (ندرومة) سنة(1241هـ- 1826م)، بمكان يقع في حوض الرّمان، ويعرف بدار أحرشاو، من أسرة علمية شّهيرة، فجدّه كان فقيها، ووالده، وأبناء عمومته.

تتلمذ الحرشوي في مرحلة دراسته الأولى في (ندرومة) على يدي جدّه الفقيه العلاّمة (محمد الحرشوي)، وعليه ختم القرآن وقرأ المشيشية ونظّم الخراز في الحذف، ثمّ قرأ على والده الفقيه (أحمد بن محمّد) وعلى ابن عمّه الفقيه (بن أبي زيان)، كما قرأ القرآن تحقيقا وتصحيحا على الشّيخ (الجندوز بن عدّة) وعلى الفقيه (البشير بن البقال بن موسى النّدرومي) وغيرهم، كما

تتلمذ على الشّيخ الفقيه (العبّاس بن الرّحّال النّدرومي)، الّذي أخذ عنه نظم (ابن عاشر) في الفقه المالكي، والعقيدة الصّغرى للإمام (السّنوسي) وعلى السّيّد (محمّد رحمون)، والسّيّد (أحمد الزرهوني).



سافر لطلب العلم إلى (وجدة)، فقرأ على الشّيخ (جلوّل بورورو المستغانمي) مختصر الشّيخ خليل دراية، ثمّ قرأ على الشّيخ الفقيه الصّوفي (سيد أحمد بن عيسى المستغانمي) أيضا المختصر المذكور، وسافر من (وجدة) إلى (مازونة)، فقرأ بها المختصر على الشّيخ (أبو العبّاس أحمد بن هنّي المازوني)، وعلى ولده العلاّمة سيدي (محمّد بن أحمد بن هني)، وعلى الشّيخ السّيّد (عيسى ابن أمبارك)، وعلى الفقيه سيدي (أبي مدين بن التّهامي)، وأجازه سيدي (أحمد بن هني) وابنه المذكور. كما أخذ عن الشّيخ (عيسى المزبور)، و الفقيه (محمّد العربي المازوني)، وشيوخه من (بني وراغ)، كالشّيخ (الحاج محمّد بن الطيّب الوراغي)، والشّيخ (عبد القادر بن الطيّب)، وغيرهم من فقهاء العصر، وسافر إلى (فاس) فأخذ الفقه من مشايخ عدّة، منهم العلاّمة الشّيخ (محمّد بن عبد الرّحمن الفلالي الفاسي)، وأخذ أيضا على الشّيخ (أحمد بن أمحمّد المرنيسي الفاسي) علم الحديث إذ قرأ عليه صحيح البخاري والنّحو والتّوحيد، وأخذ الفقه عن الأخوين سيدي (الحاج عمر بن سودة) وسيدي (الحاج المهدي)، كما أخذ البيان والنّحو أيضا عن سيدي (الحاج المهدي)، وأخذ الفقه أيضا عن سيدي (محمّد الداودي التّلمساني)، والنّحو والتّوحيد، والمنطق والبيان، وقرأ الفقه أيضا عن الفقيه (أبو عبد الله محمّد بن محمّد التّازي) الملقّب (مسواك)، وأصول الفقه عن الشّيخ (عبد السّلام بغانم)، والنّحو عن الشّيخ (محمّد بن إدريس البقراوي)، والقاضي (محمّد المهدي بن الطالب بن سودة) صاحب الجلود، وعن سيدي (أحمد الغازي بن أحمد العربي المرابط)، أمّا التّفسير فعلى الشّيخ (أبو محمّد عبد الله المدعو الوليد العراقي)، وأخذ عن العلاّمة المشارك الميقاتي (محمّد بن الطاهر الحبابي)، الّذي كان ماهرا في الحساب والتّوقيت والتّعديل والفرائض، أخذ عنه شيئا من علم الكرة وجهاز الربع المجيب في الفلك، وكتب القلصادي، كما أخذ عن العالم المشارك (أبو غالب عبد السّلام بن الطّائع الشّريف الإدريسي)، رجز الفاسي في علم مصطلح الحديث، وعن الشّيخ المدرّس (محمّد بن الفقيه علي بن عبد الله المتيوي)، الّذي أخذ عنه الأرجومية، وعن العلاّمة (أبو بكر) ابن العلاّمة الكبير الشّيخ (الطّيب بن كيران)، أخذ عنه ألفية ابن مالك،و الشّيخ (عمر الزرهوني)، أخذ عنه رسالة الماردين في الربع المجيب.

تقلّد خطّة القضاء الشّرعي في (ندرومة) و(تلمسان)، ثمّ خطّة الإفتاء والتّدريس في الجامع الكبير (بتلمسان) في مختلف فروع الشّريعة الإسلامية، فأعطى للتّعليم جلّ وقته، فدرّس عدّة مؤلّفات مهجورة منها الشّمائل للتّرمذي، والأربعين النّووية في علم الحديث وفي العقائد، وأم البراهين للسّنوسي عدّة مرّات بشرح البيجوري، وفي النّحو الأجرومية والألفية، وفي الفقه المالكي المرشد المعين (لابن عاشر)، والعاصميّة في علم القضاء والرّسالة (لابن أبي زيد القيرواني)، ومختصر خليل وخاصّة علم الفرائض، وفي الثّقافة العامّة قصيدة (أبي عبد الله بن زكري) في العام الأعجمي، وغيرها من الكتب، زيادة على هذا فإنّ الشّيخ عندما كان ينتقل في ربوع القطر الجزائري، كان يلقي الدّروس العلمية على كبار الطّلبة، حتّى أنّ المفتين والقضاة كانوا يحضرون دروسه لمكانته العلمية وقدرته على تطبيق قواعد الدّراسة والتّعليم، ونفع الطّالب في مدّة قياسية.

تولّى الشّيخ التّدريس عندما كان طالبا بالقرويّين، ثمّ تولّى خطّة القضاء وتركها مفضّلا مهمّة التّدريس، وقد تخرّج على يديه الكثير من الطّلبة، حتّى أنّ بعض القضاة والمفتين كانوا يجلسون بين يديه في حلقات علمه بطلب منهم، وينهلون من معارفه المتنوّعة، ومن هؤلاء التّلاميذ:

- الفقيه (الحاج محمّد بن الحاج علال بن بلحسن بن الحاج علي بن محمّد بن يلس) الملقّب (بالشاوش)، أخذ عنه في الجامع الكبير (بتلمسان).
- الفقيه المدرّس (عبد الرّحمن بن أحمد زروق البليدي)، توجّه إلى (تلمسان) وأخذ عن الشيّخ.
- الشّيخ الفقيه (أبو عبد الله البوعبدلي البطوي)، كان يثني عليه كثيرا الشّيخ كلّما ذكره.
- (الحاج محمّد بن الحاج حمّو)، الّذي كان يحضر مجالس العلم بالأخص مجالس الشّيخ (محمد الحرشاوي)، والشّيخ (أحمد الدكالي).
- مقدّم الطّريقة الهبرية (الحاج عبد القادر بن محمّد وزين التّلمساني)، أخذ عن الشّيخ الشّريعة.
- (الحاج محمّد بلقايد)، و(أحمد الستوتي)، و(بوزيان بوشناق)، كانوا يواظبون على دروس الشّيخ في الجامع الكبير (بتلمسان).

ومن الطّلبة الّذين تأثّروا به تلميذه (محمّد بن محمّد بن علال الديلمي)، فكان يجلّه إجلالا، ولا يتصرّف في بعض المواقف إلاّ بإذنه، وممّا ذكره في شأن شيخه في تقييد آخر جمعه (العربي بن محمّد الحرشوي) قوله:

أقول للّذي أراد حكمة

وسرا باهرا وعلو همه

تمسك يا أخي بالحرشوي
فكل ما أردت تجده ثمه
ولازم درسه تنل علوما
وترجع حينا ممن ساد قومه
وتحظى بوصلك المولى وتنجى
من الجهل العميم وكل ظلمه
فقيه غظريف قمر منير
عديم الشّكل حرشوي ألنسبه «

للشّيخ الحرشوي مؤلّفات عدّة منها:

– المواهب المعطية في ذكر أجوبة المسائل الفقهيّة المنشأة عن الأسئلة المرضية، ويقع الكتاب في مجلّدين، وهو شرح على الأسئلة المرضية (لمحمّد الخروبي القلعي).

– النّهي الفائض في حلّ ألفاظ المختصر في الفرائض.

– حُلّة التّسديد فيما به الخروج من ربقة التّقليد، وهو نظم لخّص فيه صغرى (الإمام السنوسي).

– الرّكن الشّديد في حل ألفاظ حلّة التّسديد، وهو شرح وتوضيح لما جاء في حلّة التّسديد.

– شرح المرادية لإبراهيم التّازي، وهو شرح على النّظم بالمراد للشّيخ(إبراهيم التّازي).

– شرح على بردة المديح للبصيري.

تعليق على كتاب القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط.وأصل الكتاب للسّيّد (جورج دولفان Georges Delphin) (ت1340هـ – 1922 م) مدير المدرسة الثّعالبيّة (بالجزائر العاصمة)،والأستاذ السّابق للّغة العربيّة (بوهران)، الذي أرسل بمسوّدة كتابه هذا إلى الشيخ الحرشاوي لمراجعته والتعليق عليه. وقد استجاب هذا الأخير للاستكتاب فأثرى الكتاب بتعليق لا بأس به بخطه وقلمه على مواضع كثيرة من كتاب دلفان، تتبع ما أمكنه –كما صرح هو بعبارته– مسائل الكراريس وأمعن النظر في أسماء مَن فيها، منبها على أغلاط وقعت مصوبا

إياها، مصورا لنا الأجواء العلمية في الطلب والتحصيل والقراءة والتدريس بفاس وتلمسان في ذلك الوقت، وقد بعث الشّيخ برسالة اعتذار إلى دولفان مبينا فيها الأسباب الّتي حالت بينه وبين إتمام التّعليق.سنة (25نوفمبر1889م).

– كتاب تحفة الأكياس في الأجوبة عن كيفية التّدريس بفاس.

توفّي الشّيخ الحرشاوي (بتلمسان) في 27 رجب سنة (1313هـ) الموافق لـ24 يناير(1896م)، ودفن بالعباد.

نسيمة لوح

المصادر:

– تعريف الخلف برجال السّلف، حفناوي محمّد، تح: بطيخ عثمان، ابواجفان محمد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ج2،1982م.

تاريخ ندرومة علماء أقطاب وشخصيات، جمع وإعداد:أ.عز الدّين ميدون،مؤسّسة عبد القادر الياجوري وهران، عنوان المحاضرة الثّانية عشرة (الشّيخ الحرشاوي النّدرومي–حياته وأثاره)،أ.بليل حسني، سلسلة إصدارات جمعية الموحّديّة ندرومة، 2011م.

محمّد بن أحمد بن مرزوق (الحفيد)
(766هـ - 1364م/842هـ - 1439م)

محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسي التّلمساني، المكنى بأبي عبد الله، واشتهر بالحفيد، تمييزا له عن غيره من علماء آل مرزوق، ولد ليلة الاثنين 14 ربيع الأوّل 766هـ الموافق لـ10 ديسمبر 1364م بتلمسان ولقب العجيسي لأن عائلته كانت تنحدر من قبيلة عجيسة البربريّة من زناتة بتلمسان، سمي بالحفيد تمييزا له عن جده الخطيب ابن مرزوق الصّوفي المشهور صاحب المسند الصّحيح الحسن.يعد ابن مرزوق الحفيد فقيها بارزاً، وحجةً في المذهب المالكي، وهو أيضا عالم بالأصول، حافظ للحديث، مفسر، لغوي نحوي، ناظم، بارع في الخطّابة ونظم الشّعر أخذ عن علومه الأوّلى عن والده وعمه وجده وسعيد العقباني وغيرهم، توفّي العلّامة عشيّة الخميس 14 شعبّان 842هـ الموافق لـ 30 مارس 1439م.

نشأ ابن مرزوق الحفيد في بيت من بيوت تلمسان التي اشتهرت بالعلم والدّين، فتعلم على أبيه وعمّه العباد الخطيب، وأخذ الإجازة عن جده ابن مرزوق الخطيب المعروف عند المشارقة بـ"شمس الدّين الخطيب" (ت 781هـ)، كما أخذ عن جده لأمه العلّامة الجليل أبو العبّاس أحمد بن الحسين بن سعيد المديوني الفقيه المحدّث (ت768هـ).

اهتمّ ابن مزوق بالرّحلة في طلب العلم فسافر إلى الأمضار بعد أن أخذ العلم عن علماء بلده، ومنهم إبراهيم المصمودي والشّريف التّلمساني وابن قنفذ القسنطيني، وأثناء رحلته إلى الحج التّقى بتونس عالمها ابن عرفة فأخذ عنه وحضر مجالسّه ثمّ حجّ معه سنة 790هـ، فلقي أيضا جمعا من العلماء منهم ابن صديق الذي روى عنه صحيح البخاري والسّراج ابن الملقن والهيثمي، والنّور النّويري صاحب النّهايّة والدّماميني وأبي العبّاس القصار، وفي فاس أخذ عن ابن حياتي والمكودي، وبالقاهرة التّقى العلّامة ابن خلدون، والفيروز آبادي، ولي الدّين العراقي وبدر الدّين العيني وابن حجر العسقلاني وأخذ عنهم.

وتلا لنافع على عثمان بن رضوان بن عبد العزيز الصّالحي الوزروالي، وانتفع به في القراءات والعربيّة، وبجده وابن عرفه

في الفقه وغيره، وأجاز له أبو القسم محمّد بن محمّد بن الخشاب، ومحدث الأندلس محمّد بن علي بن محمّد الأنصاري الحفار، ومحمّد بن محمّد بن علي بن عمر الكناني القيجاطي، وعبد الله بن عمر الوانغلي، وآخرون. وحج ثانيّة سنة 819 هـ فلقي الإمام ابن حجر، والزّين رضوان بمكة، وقرأ عليه ثلاثيات البخاري بقراءته لها على ابن صديق.

ومن تلاميذه فقد أخذ عنه جماعة منهم: عبد الرّحمن الثّعالبي، والقاضي عمر القلشاني، وابن العبّاس، والعلّامة نصر الزّواوي، وسيدي الحسن أبركان، وابنه، وأبي البركات الغماري، وأبي الفضل المشدّالي، وقاضي غرناطة أبي العبّاس ابن أبي يحيى الشّريف، وإبراهيم ابن فائد، وأبي العبّاس النّدرومي، وابنه ابن مرزوق الكفيف، وسيدي علي بن ثابت، والشّهاب بن كحيل التّجاني، والعلّامة أحمد بن يونس القسنطيني، والعلّامة يحيى بن زيد، وأبي الحسن القلصادي، وعيسى بن سلامة البسكري، وابن زكري التّلمساني، وغيرهم، كالحافظ التّنسي التّلمساني.

من مؤلّفاته:

لابن مرزوق الحفيد كتب وشروح كثيرة، في العقيدة والفقه والحديث والتّفسير واللغة والحساب والميقات والسّيرة والمنطق نقتصر على ذكر بعض منها: المفاتيح المرزوقيّة لحل الأقفال، واستخراج خبايا الخزرجيّة، وأنواع الذراري في مكررات البخاري، ونور اليقين في شرح أوّلياء الله المتقين، وتفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء، وثلاثة شروح على البردة، والمتجر الرّبيح في شرح صحيح البخاري لم يكمل، وكان منه الجزءان الأوّل والثّاني بخطه في الجامع الجديد بالجزائر، ثمّ فقد الأوّل، والرّوضة رجز في علم الحديث، وأرجوزة في القراءات على نمط الشّاطبيّة، وأرجوزة نظم بها تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، وأرجوزة اختصر بها ألفيّة ابن مالك، وأرجوزة في الميقات، وشرح جمل الخونجي، والحديقة، واغتنام الفرصة في محادثات عالم قفصة، وإظهار صدق المودة في شرح البردة. قال المختار السّوسي: من شروحه للبردة شرحان أحدهما في مجلد ضخم في خزانة مسعود الوفقاوي، في قبيلة مسكينة بالسّوس، والثّاني صغير في خزانة الصّالحيين الإلغيين، وشرح مختصر خليل، وشرح الجمل، وبرنامج الشّوارد، وإسماع الصّم في إثبات الشّرف من جهة الأم في المكتبة الوطنيّة بالجزائر.

ومن كتبه التي لم يكملها: روضة الأريب في شرح التّهذيب، والمنزع النّبيل في شرح مختصر خليل، وإيضاح المسالك في شرح ألفيّة ابن مالك، وعقيدة أهل التّوحيد المخرجة من ظلمة التّقليد، والآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات، والدّليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الرّوم، وشرح صحيح البخاري المسمى بالمتجر الرّبيح، والمسعى الرّجيح، والمرحب الفسيح، والوجه الصّبيح، والخلق السّميح في شرح الجامع الصّحيح جزءان.

وصف ابن داود البلوي ابن مرزوق الحفيد بالشّيخ: الإمام علم الأعلام فخر خطباء الإسلام سلالة الأوّلياء وخلف الأتقياء المسند الرّاويّة المحدث العلّامة القدوة الحافل الكامل أبي عبد اللّه ابن سيدنا شيخ الإسلام خاتمة العلماء الأعلام الحبر البحر النّاقد النّافذ النّحرير المشاور العمدة الكبير، ذي التّصانيف العديدة والأنظار السّديدة أبي عبد اللّه بن مرزوق.

وقال ابن حجر عنه: "نعم الرّجل معرفة بالعربيّة والفنّون وحسن الخط والخلق والوقار والمعرفة والأدب التّام..". وقال عنه تلميذه ولي الله الثّعالبي: "أجمع النّاس من المغرب إلى الدّيار المصريّة على فضله، لا أعلم نظيره في وقته". ووصفه أحد تلامذته ـ وهو عبد الجليل التّنسي ـ برئيس علماء المغرب على الإطلاق.

وقال القلصادي في رحلته حول جنازته التي حضرها: "وكانت له جنازة عظيمة حضرها السّلطان فمن دونه، لم أر مثلها فيما قبل، جمعنا الله وإياه في دار كرامته، وأسف النّاس لفقده".

أمينة طيبي

المصادر:

- رحلة القلصادي، للقلصادي، دراسة وتحقيق محمّد أبو الأجفان، الشّركة التّونسيّة للتوزيع، تونس 1978م.
- نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، أحمد بن محمّد المقري التّلمساني، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، دط، 1968.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، بيروت، بنان، ط2، 1980.
- رحلة عبد الرّحمن الثّعالبي منشورة ضمن غنيمة الوافد، تحقيق محمّد شايب، دار ابن حزم، ط1.
- البستان في ذكر العلماء والأوّلياء بتلمسان، ابن مرمم المليتي المديوني، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله محمّد بن أبي شنب، طبع في المطبعة الثّعالبيّة لصاحبيها أحمد بن مراد وأخيه، 1908.

نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد التّكروري التّنبكتي، تحقيق عبد الحميد بن عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، ط2، 2000.

محمّد بن أحمد بن يحيى التّلمساني (الحبّاك)
(ت: 867هـ - 1463م)

محمّد بن أحمد بن يحيى أبو عبد الله التّلمساني واشتهر باسم الحبّاك من علماء تلمسان القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. ويعرفه ابن مريم بـ (سيدي محمّد بن أحمد بن أبي يحيى التّلمساني).

ولد ونشأ الحبّاك في حاضرة تلمسان عاصمة الزّيانيين، التي أمّها العديد من طالبي العلم على مختلف مشاربهم الدّينيّة والمذهبيّة، وأصبح صيتها وسمعتها يضاهي مكانة عواصم عصرها في القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي-، فاس، تونس، القاهرة، القدس وغيرها. إذ خصها أحد زائريها لطلب العلم القلصادي بقوله "تلمسان يالها من شان، ذات المحاسن الفائقة والأنهار الرّائقة والأشجار الباسقة والأثمار المحدقة، والنّاس الفضلاء الأكياس المخصوصين بكرم الطّباع والأنفاس، ولا ينكر وجود الفاذ -الشّاذ- من جميع الأجناس...".

هكذا هي تلمسان بجمال طبيعتها وأخلاق سكانها، الذين جمعوا بين الفضل والكرم والكياسة. فكانت عاصمة مفتوحة أمام الأجناس بتعدد لغاتهم وأديانهم، إذ تشكل نسيجها البشري من العرب والبربر السّكان الأصليين، واليهود والنّصارى وقد بلغ عدد سكانها ثلاثة عشر ألف أسرة.

شهد عصره الصّراع الأسري الّزياني ولا نعرف على من تتلمذ على يدّ الحبّاك بسبب شح المادة المعرفيّة، وأخذ عنه محمّد السّنوسي علم الإسطرلاب وشرح له أرجوزته المسماة (بغيّة الطّلاب في علم الإسطرلاب).

مؤلفاته:

- في الفلك منظومة موسومة بغيّة الطلاب في علم الإسطرلاب؛
- نظم رسالة الصفار في الإسطرلاب؛
- شرح تلخيص بن البناء؛
- شرح على الأرجوزة التّلمسانيّة في الفرائض.

تمتع محمّد الحبّاك بمكانة علميّة متميزة في عصره باعتباره العلامة الفقيه الفرضي العددي.

توفي محمّد الحبّاك سنة867هـ/ 1463م.

الطّاهر منزل

المصادر:

- التّنبكتي (أحمد بابا ت1036هـ/ 1617م)، 1989، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرافة، ط.1، كليّة الدعوة الإسلاميّة، طرابلس- ليبيا؛
- ابن القاضي (أبي العباس أحمد بن محمّد)، 1971، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرّجال، ط.2، ج.2، مطبعة السّنة، المحمّديّة؛
- ابن مريم (محمّد بن محمّد يحيى حيا 1019ه)، 1986، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر؛

الونشريسي (أحمد بن يحيى ت914هـ/ 1508م)، (د.ت)، الوفيّات، نشر ضمن ألف سنة من الوفيّات، تحقيق: محمّد حجي، دار التّأليف والتّرجمة والنّشر، الرّباط.

محمّد بن أعمارة الوزلاجي
(1258هـ - 1842م/1338هـ - 1921م)

اسمه محمّد بن أعمارة الوزلاجي، ويذكر عن أبيه الشّيخ أعمارة أنّه متصوّف، له مكتبة قيمة عامرة بأمهات الكتب التي هي مثار فخره واعتزازه، فهو ينتمي إلى عائلة الشّيخ أعمارة أموسى التي هي من العائلات العريقة في مجال التّربيّة والتّعليم والثّقافة في وادي الصومام، وهي من قريّة ثيمليوين الواقعة بعرش أوزلاقن بولايّة بجايّة، وقد خدم أبناؤها وطنهم ودينهم بالقلم واللسان، فكانت لهم إسهامات في نشر العلم ومحاربة البدع وإصلاح البين، وتحصين المجتمع بقيم التّصوّف السّني المؤسس على مبادئ التّقوى والإيثار ومحاربة النفس الأمارة بالسّوء.

ولد الشّيخ محمّد بن أعمارة بقريّة ثيمليوين عرش أوزلاقن عام(1842م)، وحظي في طفولته برعايّة والده الذي ساعده على تعلّم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ ما تيسر من سور القرآن القصار، ثم أدخله إلى كتّاب القريّة، وكان في الكتّاب يحفظ القرآن وفي البيت يتابع دروس اللغة والفقه، وكانت مواهبه الفطريّة ومخائل نجابته تحدد له مستقبلا وضيئا، وغدا مشرقا، مما جعل والده يتابعه بجديّة واهتمام ويراعيه بعنايّة زائدة، إلا أنّه لم يكتب لهذه الرعايّة أن تستمر، إذ توفي والده سنة (1854م) قبل أن يبلغ محمّد سن الرشد، فتكفلت به أمه (فاطمة) التي لم تقصّر في واجبها، وأرسلته إلى (زاويّة أحمد أويحي) بأمالو في حدود سنة (1855م)، أين زاول دراسته تحت رعايّة أخواله، أتمّ حفظ القرآن ترتيلا وتجويدا بالقراءات العشر، وأخذ ما تيسر له من علوم اللغة والفقه، ثم شدّ الرحال إلى زاويّة صدوق فواصل دراسته على يد الشّيخ الحداد الذي كان زميلا لوالده في الدراسة بزاويّة الشّيخ الصديق بن أعراب في بني يراثن، وكلّ هذا شرح قلب الولد، وزاده رغبة في الانتساب إلى هذه الزاويّة، فقد كان

الولد يبجل الشّيخ الحداد ويقدّره غايّة التّقدير، ويراه في منزلة والده وصورة له مما جعله يتخذه شيخا وقدوة.

وقد أخذ عنه الفقه والأصول والتّوحيد وعلم الفلك، كما أخذ الطريقة الرحمانيّة التي أخذها هو بدوره من المهدي بن عيسى، وأجازه فيما أخذ عنه ومما جاء في الإجازة قوله: " أمّا بعد فليعلم الواقف على كتابنا هذا من المؤمنين بالله ورسوله أننا أجزنا وقدّمنا حامله الشّيخ محمّد بن أعمارة الوزلاجي في كلّ ما فتح الله به على أيدينا من فقه وطريقة رحمانيّة، بل وجميع ما يؤذن فيه شرعا في حياتي، واستخلفته بعد ذلك في مماتي، فمن أخذ عنه في ذلك كمن أخذ عنّي، ومن خالفه فقد خالفني والله المسؤول أن ينفع به كما نفعه وأن يصلح به العباد، ويعمر به البلاد".

وبعد أن أنهى الشّيخ محمّد بن أعمارة دراسته وأجازه الشّيخ بلحداد تلك الإجازة كلّفه بالتّدريس في زاويته، حيث رأى أنّ طلبته أحق بالانتفاع بهذا الشّيخ قبل غيرهم، ولكنه اعتذر بعدم قدرته على التّدريس تواضعا منه، وتهيبا لشيخه غير أنّ شيخه الذي يعرف كفاءته ومقدرته على الإفادة ألزمه بالتّدريس وقال له: " إنك ستقوم بالمهمة وأنت لها أهل".

ولم يبق للشيخ بعد هذا إلا أن يستعد للمهمة، ويتصدى لها بكل ما أوتي من مؤهلات، فالتّف حوله الطلبة، وكلهم رغبة في التّحصيل، وتعطش إلى العلم والمعرفة، وكان الشّيخ شديد الشّغف بحب طلبته، ورغبته في التّغذيّة العلميّة، وما هي إلا فترة وجيزة من الجهاد العلمي الدائب حتى أخذت الثّمار تبدو وتعد بنتائج طيبة، وحصاد رفيع موفور وتحققت بذلك فراسة الشّيخ في تلميذه. وبإذن من شيخه حوّل داره إلى زاويّة لنشر العلم، ولمّا وضعت الحرب أوزارها كان الشّيخ محمّد ضمن قائمة المحكوم عليهم غيابيا بالسّجن أو النفي، وكان من حسن حظّه أنّه لجأ إلى زاويّة عين الفكرون فتنكر وتولى التّدريس فيها لمدة ثماني سنوات، وبعد عودته صار الشّيخ محل مراقبة من طرف الإدارة الفرنسيّة التي لم تخف قلقها من نشاطه، غير أنّ ذلك لم يفت من عضده، وبعد أن أفشلت فرنسا مشروعه القاضي بإعادة فتح زاويّة سيدي يونس بناحيّة "إغزر أمقران"، تفرغ لتدريس القرآن في زوايا وادي الصومام، وزاويّة "محمّد أبو القاسم البوجليلي بآث عباس"، وزاويّة "عبد الرحمن الإيلولي"، ثم بزاويّة "أحمد إدريس" التي مكث بها مدة خمس عشرة سنة.

وإزاء هذه المهمة التّربويّة الهامة التي كان يقوم بها الشّيخ، فقد كان أيضا مجاهدا يدافع عن وطنه، وعليه فقد عمل على تعبئة المواطنين وتجنيدهم لدعم صفوف الثّورة خاصة في نواحي أوزلاقن، وآث وغليس، وآث عباس، وشلاطة، إذ كان له دورا مهما في ذلك، فقد عايش الشّيخ محمّد بن أعمارة في طفولته وشبابه توسع الاستعمار الفرنسي بقيادة الماريشال "راندون" وغيره من الضباط، في منطقة وادي الصومام وما رافق ذلك من جرائم بشعة أصابت السّكان في أرواحهم وأرزاقهم وأملاكهم، خاصة وأنّ سكان أعراش أوزلاقن قد احتضنوا ثورة الشّريف بوبغلة، وبالنظر إلى العلاقة الحميمة التي تربط الشّيخ محمّد بن أعمارة بمعلّمه الشّيخ محمّد أمزيان بن حداد فمن الطبيعي أن يكون السّاعد الأيمن له في ثورة (1871م).

وقدّ شارك الشّيخ محمّد بن أعمارة في هذا السّياق إلى جانب الشّيخ عزيز بن الحداد في حصار مدينة بجايّة، ولمّا دارت الدوائر على الجزائريين بسبب ضعف التّنظيم وقلة التّسليح، أسرع محمّد بن أعمارة إلى إنقاذ مكتبة الشّيخ الحداد بعد أن قرر الضابط (بدي لاكروا) مصادرة أملاك عائلته، فنقل بصفة مؤقتة ما أمكنه من كتبه ووثائقه إلى قريّة ثيميلوين ليلتجئ بعد ذلك إلى (زاويّة عين الفكرون)، التي مكث بها بعيدا عن عيون فرنسا إلى سنة (1880م).

انتقل الشّيخ محمّد بن أعمارة إلى جوار ربّه سنة (1338هـ الموافق لـ 1921م) بعد أن قضى حوالي خمسين سنة مدرّسا في مختلف الزوايا، تخرّج على يده مئات الطلبة والعلماء أمثال الشّيخ عاشور الخنقي والشّيخ أحمد المقنيعاوي، والشّيخ سعيد اليجري... وكان موته خطبا جللا على أهل المنطقة، وعلى كلّ عارفي فضله ومكانته في كلّ مكان. وشيّعت جنازته في مشهد رهيب قلما عرف أهل المنطقة مثيلا له، حضره العلماء ومشائخ الزوايا والطلبة والمريدون، وجموع غفيرة من الناس جاءوا من مختلف الأنحاء، وأبنه جمع من العلماء تنافسوا في ذكر مناقبه ومآثره والتّنويه بجهاده العلمي والوطني والاجتماعي، وكلهم حثوا الحاضرين على الاقتداء به في كلّ جانب من جوانب حياته.

وقد ترك الشّيخ عدّة مؤلفات مخطوطة في التّاريخ، والنسب الشّريف والفقه، ونسخ من القرآن الكريم فهي لا تزال في حوزة حفيده (محمّد الصادق وعلي) ومنها:

- تاريخ المغرب الكبير
- عمود النسب: تناول فيه تاريخ الأشراف في منطقة القبائل عامة ووادي الصومام على وجه الخصوص.
- رسالة في التّصوف
- شروح وتعليقات في الفقه والفرائض
- وكتب بيده مصحفين، إذ كان له خط رائع.
- إضافة إلى عدّة فتاوى مشهورة في مجال المعاملات.

يقول الأستاذ (محمّد صادق وعلي) حفيد الشّيخ والمشرف على الخزانة حاليا في منطقة بجايّة إنّ داره التي لازالتّ تحتفظ بالعديد من المخطوطات النادرة جدّا في الجزائر، وتحتوي على آثار قيّمة بالنسبة لهم، كانت إلى وقت غير بعيد مفتوحة أمام جميع الباحثين والمهتمين بالمخطوطات في الجزائر، فهذه الخزانة ما هي إلا قسم مفتوح للمطالعة والاستنساخ في زاويّة الشّيخ محمّد بن أعمارة الوزلاجي، وتقع في قريّة ثيمليوين بعرش أوزلاقن وهي إحدى القرى التي شهدت مجموعة من جلسات قادة الثّورة أثناء انعقاد مؤتمر الصومام يوم (20 أوت 1956م)، كما شهدت من قبل زيارة الأمير عبد القادر (سنة 1837م) حين نزل الأمير ضيفا على أهالي العرش وأقام بسوق مروان أكثر من أسبوع تمكن من خلال ذلك من الاتصال بأعيان العرش وعلمائها وفي مقدمتهم الشّيخ وعمارة والد الشّيخ محمّد، والذي يعتبر المؤسس الأول للخزانة، إلا أنّ ابنه الشّيخ محمّد هو الذي أثراها وطورها، حتى جرى ذكرها على كل لسان، وقصدها العلماء والأئمة والطلبة في كلّ مكان، وحوت بين رفوفها ما يفوق الألف مخطوط من مختلف العلوم والفنون.

عاد بنا المتحدّث إلى الواقع الذي أصبحت عليه المخطوطات اليوم بخزانة محمّد بن

أعمارة الوزلاجي، أين تعرضت الخزانة التي تحوي أهم مخطوطات الشّيخ إلى التّلف من جراء الحريق الذي شبّ بالمكان، وكذلك النهب والسّرقة، كل ذلك أدى إلى ضياع أغلب المخطوطات.

ويقول المتحدث إنّ مئة وثلاثين سنة من الاحتلال كفيلة وحدها بإبادة كل ما يمت للإسلام واللغة العربيّة بصلة، فالحرب قد قضت على نسبة كبيرة جدّا من المخطوطات سواء عن طريق النهب والسّرقة أم عن طريق الإتلاف المتعمد كالحرق والتّمزيق.

وقد تعرضت خزانة الشّيخ محمّد بن أعمارة للإتلاف والتّخريب والإحراق من طرف جيوش الاستعمار مرات عديدة غير أنّ أكبر عمليات التّخريب التي أصابتها في الصميم هي ثلاثة:

– العمليّة الأولى كانت (سنة 1854م) إثر المعركة التي دارت رحاها بأزلاقن بين المجاهدين تحت قيادة "الشّريف بوبغلة" وبين جيش العدّو تحت قيادة الجنرالين "كامو وبوسكي"، وانتقاما من الأهالي أحرقوا الديار وأتلفوا الأرزاق، فكانت دار الشّيخ أعمارة والد الشّيخ محمّد هدفا للنهب والتّخريب من طرف الجنرالين، كما كانت خزانته للمخطوطات عرضة للتمزيق والإحراق، وخاصة وقد علموا أنّ صاحب الخزانة الشّيخ أعمارة واحد ممن شاركوا في المعركة التي أذاقتهم شر هزيمة.

– والمرة الثّانيّة التي تعرضت لها الخزانة للنهب والحرق كانت أثناء ثورة الشّيخ الحداد (سنة 1871م)، وهو الذي تتلمذ عليه الشّيخ محمّد بن أعمارة أجاز إجازتين إجازة علميّة فيما تلقاه عنه من علوم شرعيّة ولغويّة، وإجازة في الطريقة، وكان من المقربين للشيخ الحداد وأمين سرّه.

غير أن زاويته لم تسلم من النهب والتّخريب، وكانت خزانته الهدف الأساس لتلك العمليّة الوحشيّة انتقاما من صاحبها المجاهد الثّائر، وهذه المرة كانت عمليّة النهب على شقين، الشّق الأول يتمثل في السّطو والنصب على المخطوطات الثّمينة التي لا تقدر بثمن، حيث ملأ الضباط حقائبهم بتلك المخطوطات التي ستدر عليهم بأرباح معتبرة.

وهذا ما يفسر ظاهرة انتشار المخطوطات العربيّة في المكتبات العموميّة في أوروبا، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله:" وقد هاجرت الكتب إلى فرنسا في أوقات مختلفة في حقائب الضباط والمترجمين والعلماء واللصوص، فالجزائري الذي يريد أن يبحث عن حادثة أو شخصيّة أو ظاهرة اقتصاديّة عليه أن يحج إلى فرنسا وأن يقطع البحر لعلّه يحصل على معلومات عن أمر يتعلق ببلاده أو جرى في بلاده وقد لا يبيحون له الاطلاع عليه أصلا".

وقد أشار الباحثان كويولاني وأوكتاف ديبون في كتابهما (Les Confréries Religieuse) إلى ثلاث إجازات للشيخ محمّد بن أعمارة، كما قام بترجمتها ضابط الشّؤون الأهليّة جان ميرانت إلى اللغة الفرنسيّة وهذا يدل على حصول هذا الضابط على تلك الإجازات وطرق الحصول على المخطوطات من طرف أولئك الضباط معروفة.

أمّا العمليّة الثّالثة فكانت في جويليّة سنة 1958م حين نزل جنود الاستعمار الفرنسي كالصاعقة على عرش أوزلاقن وبعد عمليات التّعذيب والاستنطاق وانتهاك الحرمات والأعراض وقتل النفوس البريئة وإتلاف الأموال والأرزاق تلتها عمليّة إخلاء القرى من سكانها ثم هدمها عن آخرها حتى لا تقوم بعدها قائمة.

وكانت زاويّة الشّيخ ومن ثم خزانته عرضة للهدم والتّخريب، وقد ظلت أوراق الكتب والمخطوطات تتطاير في مهب الريح فامتلأت بها الطرقات وقد استطاعت كنة الشّيخ رحمها الله (والدة محمّد صادق وعلي) مع اثنتين من بنات عمه حمل بعض الكتب وإخفاء بعضها ريثما تحين فرصة نقلها إلى مكان أمين، وبذلك تم جمع حوالي ثلاث مئة مخطوط ووثيقة، ومجموعات من الأوراق من كتب مختلفة يتجاوز عددها الخمسمائة مجموعة كل مجموعة تضم عددا من الأوراق قد يصل عددها إلى أكثر من أربع مئة ورقة يصعب تحديد عناوين أصولها، إلا القليل منها فما هو معروف كالمصاحف وشروح مختصرة للألفيّة والأجروميّة وغيرها.

يبلغ رصيد الخزانة حاليا حوالي 300 مجلّد باللغة العربيّة التي يعود تاريخها إلى القرن الثّامن عشر، كما يرجع تاريخ نسخ أقدم مخطوط إلى حوالي 400 سنة، وتتنوع مواضيع المخطوطات بين القرآن والحديث والفقه والتّصوف والعقيدة وعلم الفلك والحساب وعلم الوراثة...

وختاما، فإنّ هذه الخزانة الغنيّة بهذه المخطوطات القيّمة تستحق منّا ومن كلّ باحث علمي الاهتمام والرعايّة والبحث والتّحقيق حتى تستمر حياتها، ولا ننسى أنها تحتوي على هذا الموروث الذي هو الأهم بالنسبة لنظرائنا المسلمين الذين يحجوّن سنويا إليه بغرض محاولة شراء بعض المخطوطات واستعراضها في متاحفهم.وعلى قدر أهميّة المخطوط في حفظ المعارف الإنسانيّة ونقلها إلى الأجيال تأتي الأهميّة في جمع هذه المخطوطات وفهرستها وجردها من أجل تسهيل تحقيقها وإخراجها من غياهب النسيان،وعاديات الدهر ليستفاد منها في شتى المعارف الإنسانيّة.

ولحول تسعديت

المصادر:

– محمّد الصالح الصديق (الشّيخ محمّد بن أعمارة الوزلاجي) جريدة البصائر صفحة شخصيات ومعالم، العدد 233، يوم 28 مارس – 04 أفريل 2005.

– محمّد أرزقي فراد (المآثر العلميّة لعائلة الشّيخ محمّد واعمارة الوزلاجي) جريدة الشّروق، صفحة رأي، العدد 2422، الاثنين 06 أكتوبر 2008.

– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، الجزء الخامس.

– Octave DEPONT et XAVIER COPPOLANI , Les Confréries religieuse, Paris

محمد بن الحاج أبي القاسم بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي (حمُّو والحاج)
(1045هـ - 1635م / 1129هـ - 1716م)

شيخ غرداية في العصر، نشأ بها من عائلة عريقة في العلم،أخذ العلم عن والده الشيخ أبي القاسم بن يحيى المصعبي، وهما حلقتان في سلسلة نسب الدين، وقد كان والده خير والدٍ وأستاذٍ، وقد صرّح بذلك في إحدى قصائده بالقول:

أخذت على أبي وقُدوة مذهبي
وشيخي وأستاذي أُخيّ العلم والعُلا

تدرّج في مستويات التعلّم المعمول بها في المنطقة، ولفطنته وذكائه أخذ فنون العلم بغزارة، وانخرط مبكراً في مجلس العزّابة عضوا، ثمَّ كلِّف بمهمَّة الإمامة في المسجد العتيق بغرداية، وبعدها تقلَّد وظيفة مشيخة الحلقة، وأخيرا رشِّح لمشيخة مجلس عمِّي سعيد يبّ في المسائل المستجدّة من نوازل فقهية وغيرها.

كانت له حلقة علم، تخرَّج فيها علماء قادوا الحركة العلميَّة في أمصارهم، فيهم الإباضيُّ وفيهم غير الإباضيِّ، لسعة علمه حظي بالتتلمذ على يده بعض الإخوان من المالكية الذين يأتون من بعيد، ونذكر من بينهم: الشيخ باسَّه بن موسى الوارجلاني، وبعمور بن الحاج مسعود المليكي، وباكة بن صالح العطفاوي... وغيرهم.

بالإضافة إلى إعداد الرجال، اشتغل بالتأليف والنسخ، يدلنا على ذلك ما ترك من كتابات تدّل على طول باعه في العلم، ورسوخ قدمه فيه، وتمكنه من فنونه شعراً ونثراً، في مختلف الفنون.

ومما عرف به من المنجزات في المجال الاجتماعي: إنشاؤه لنظام تقاسيم المياه ببساتين غرداية، والكثير ممَّا بقي إلى الآن من سواقي ومنافذ... شيِّد بتدبيره، وهو في عمومه دالٌّ على عبقرية فذَّة، لا زالت محلَّ بحث لدى الدارسين والمختصِّين في مجال الريِّ والفلاحة.

إذ كانت مياه سيل وادي "لعديرة" ووادي "لبيض" تحت تصرف مجموعة من الفلاحين في أعلى ناحية من مجرى الوادي، بنوا سداً على عرض الوادي لحجز المياه، يصل الماء إلاّ قليلاً لمن هم في أدنى الوادي، فخطرت للشيخ فكرة استغلال هذه المياه بالعدل.

إذ استئذن أصحاب السيل الذين هم في أعلاه لجرّ السيل وتوجيهه نحو باقي الجنان، فأذنوا له شرط أن يبقي لهم قسطاً لأجنتهم، فتراضوا بذلك.

كما قام ببناء ساقية بوشمجان التي توصل المياه إلى الجنان الجديدة يطرق هندسية بديعة.

قام ببناء جدار عند ملتقى الوادين السابقين مما يحدّد اتجاه السيل بدقة وعدل لكل بستان.

أعاد بناء ساقية الفلاحين الذي في أعلى مجرى السيل وأعطاهم قسمتهم كما وقع الاتفاق عليه.

قام بتقسيم المياه على الأجنان تقسيماً دقيقاً عادلاً لا نظير له، وما يزال مقصداً للسياح يتأملون فيه العبقرية في تقسيم مياه موسمية تجري لأيام معدودة خلال السنة ولكن خيرها يبقى شهوراً عديدة بعد ذلك.

كما قام أيضاً في مساجد غرداية بإحداث ما يُعرف بـ"المُنجيات"، والتي تُعرف عند العامة بـ"إدليلن" بالمزابية، وترتيبها، والأمر بتلاوتها في المساجد كل يوم بعد صلاة العصر، وفي الختمات والأعراس، وأوصى أهل البلد بالمحافظة عليها، والمداومة على تلاوتها ليرفع الله عنهم البلاء، وينصرهم على الأعداء، وهي تُتلى إلى يومنا هذا كما أوصى.

بعد جهاد طويل في خدمة العمل والدين والمجتمع، انتقل إلى جوار ربّه سنة 1129هـ/ 1716م عن عمر يناهز 84 عاماً، دفن بجوار والده في مقبرة الشيخ بابا صالح بغرداية، ورثاه تلميذه بعمُّور بن الحاج مسعود.

مؤلَّفاته في النثر:

1. "ردٌّ على طاعن من مزونة بالجزائر"، (مط).
2. "رسالة فقهيّة في نجاسة أبوال الحيوانات"، (مخ)
يقصد التي يؤكل لحمها، جواباً لأحد السائلين، كما ضمنها أسئلة تعجيزية لسائله.
3. "رسالة" أجاب فيها عن أسئلة تعجيزية، (مخ).
4. "جواب على كتاب ألّفه أحد حكّام وارجلان"، (مخ).
5. "نموذج عام للوصية"، (مخ).
6. "شرح قصيدة صلاة العيدين، وجزء من قصيدة الصوم من دعائم ابن النظر العماني"،(مخ).
7. "فتاوى وأجوبة فقهية"، (مخ).
8. "مراسلات" مع شخصيات وهيئات مختلفة، (مخ).

أمّا ما نظمه شعراً، فمنه:

9. قصيدة ميميّة مطوَّلة في مدح أهل عُمان، والسلطان ابن يوسف خاصة، (مخ).
10. قصيدة ميميّة أخرى مطوَّلة في الزهد والحكمة، (مخ).
11. قصيدة لامية ردٍّ بها على طاعنٍ، (مخ).
12. قصيدة ميميّة في الفقه، (مخ).
13. قصيدة لاميّة في نسب الدين، (مخ).
14. قصيدة لاميّة أخرى في مدح إمام من عُمان، (مخ).

وكان مهتمًّا - إضافة إلى التأليف - بنسخ المخطوطات النفيسة، وفي بعض مكتبات ميزاب منسوخات بخطٍّ يده.

حيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- حمو والحاج: ملفٌّ به مستنسخاته وأجوبته وقصائده ووثائق تتعلّق به (مخ) كلُّه حمو والحاج: جواب على أهل مزونة.
- أبو القاسم بن يحي: ملفٌّ به مستنسخاته ومؤلّفاته، ووثائق تتعلّق به (مخ) كلُّه.
- لعلي الحاج صالح: رفع اللبس عن شخصية حمو والحاج ووالده، ملحق بكتاب بشير الحاج موسى.

أبو اليقظان: ملحق السير (مخ) 1/ 47، 1/ 57.

محمّد بن الحاجّ حمو (1192هـ - 1778م/1284هـ - 1868م)

"محمّد بن الحاجّ حمو"، فقيه ومفتي جزائري، شارك في مقاومة الفرنسيين تحت إمارة الأمير عبد القادر الجزائري.

ولد حوالي سنة 1778م بمليانة في ولايّة عين الدّفلى، نشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وقرأ على مشايخها العلوم المتوفرة آنذاك، من أمثال سيدي الطّيب بن الحسين الذي قرأ عليه مختصر الشّيخ خليل، كما درس على يد آخرين العلوم العربيّة.

لما بلغ العشرين من عمره كان يتردد على العاصمة الجزائر، فأخذ صحيح البخاري على المفتي "علي بن الأمين" وقد كان من العلماء المبرّزين في ذلك الوقت، ولازم على المانجلاتي الذي كان هو المفتي المالكي وقت الاحتلال، كما قرأ على "حمودة المقياسي" و"مفتاح الدّين العجمي" و"مصطفى الحرار"، وقد درس في الجزائر الحديث وأصول الدّين والفقه والنّحو والمعاني والبيان والمنطق والعروض والفلك. وكان نموذجا للطالب النّاجح في ذلك الحين.

رجع إلى مدينة مليانى وتولى بها أمور الفتوى والتّعليم إلى أن حدثت كارثة الاحتلال الفرنسي.

كان عمره سنة 1830م حوالي 52 سنة. وقد اضطربت أحوال الجزائر عندئذ، ففكر أهلها في مناصرة سلطان اسطنبول لإنقاذهم من الاحتلال الفرنسي، ولكن هذا لم يستطع حمايتهم.

في حين فكر آخرون في إنقاذ سلطان المغرب لهم، وكانت النّاحيّة الغربيّة للجزائر قد عينت وفدا من أعيان العلماء للتوجه في تلك الفترة إلى سلطان المغرب، فكان من بينهم: الشّيخ "محمّد بن الحاجّ حمو"، الذي أطال البقاء في المغرب الأقصى وقابل السّلطان، وكان هذا الأخير يحب اختبار العلماء ويتبع طريقة آبائه في ذلك.

بعد أن سرحهم السّلطان وأمدهم بجيش وحاميّة وخليفة عنه، رجع الشّيخ "حمو" إلى الجزائر، ولكنه ظل يتراسل مع بعض المسؤولين المغاربة، مثل الوزير "محمّد بن ادريس".

بعد إعلان دولة الأمير "عبد القادر"، عيّنه أمينا على خزائن بيت المال، ومكلفا بالتّموين العسكري، وهي مهمة خطيرة تقوم مقام وزير الماليّة والتّسليح في وقتنا الحاضر، وكانت مليانة ضمن دولة الأمير وعليها "محي الدّين بن المبارك" خليفة عن الأمير قبل أن يتولاها "محمّد بن علال".

وأثناء هذه الوزارة الخطيرة كان الحاجّ "حمو" قد أقام تجارة واسعة مع أحد القناصل لشراء السّلاح والقماش والكبريت والرّصاص وأحجار الزّناد وورق النّحاس الخاص بضرب النّقود (السّكة) المحمّديّة، التي سكها الأمير، إلى غير ذلك مما يلزم العساكر من الأدوات الواجبة للقيام بهم.

كان الأمير يقدر "الحاجّ حمو" ويستشيره ويستمع إلى كلامه في أمور الدّولة، ولكن دولة الأمير قد دالتّ بسقوط الزّمالة سنة 1843م، على الرّغم من أنه ظل يكافح إلى نهايّة 1847م، وقد تفرق عنه الأنصار وكثر الخصوم، وجندت فرنسا ضده كثيرا مما كانوا أعوانا له في مختلف الوظائف، ومنها القضاء. وضاقت السّبل بالبعض فلم يدروا أين يتجهون، فالعدو قد سيطر والصّديق قد انهزم، فإلى أين النّجاة؟

فر الحاجّ "حمو" بنفسه إلى جبال المنيعة، جبال بني مناصر وأخذ أهله معه، كما أخذ كتبه ودفاتره، وبقي يتردد بين شعابها وأوديتها، والعساكر الفرنسيون يشنون الغارات على المهاجرين (الهاربين) فاحترقت كتبه ودفاتره، وضاعت ممتلكاته وأمواله، وما أشدها لحظات على عزيز النّفس.

فكر الحاجّ حمو في الحل فاتصل بصديق له، وهو "سليمان بن صيام" الذي عينه الفرنسيون على مليانة، كاتبه "الحاجّ حمو" يطلب تدخله للحصول على الأمان من عدو، فاتصل ابن صيام بالضّابط "سانت أرنو" "Saint Arnaud"، الذي كان مسؤولا على المنطقة، والذي كان المسؤول أيضا على مجزرة غار الظّهرة سنة 1845م. فوافق "سانت أرنو" على إعطائه الأمان.

ورجع الشّيخ "الحاجّ حمو" إلى أملاكه فوجد الفرنسيين قد صادروها كما فعلوا مع أملاك "ابن الحفاف" وغيره ممن انضموا للأمير.

ويقول المصدر الذي استقينا منه هذه المعلومات: "أن السّلطات الفرنسيّة قد أعلنت إعادة أملاكه وأعانته ببعض الثّيران والحبوب للزراعة". ولا ندري متى كان ذلك بالضّبط، ولكن نعلم أن الفرنسيين قد ولوه وظيفة القضاء سنة (1258هـ-1842م). وقد استمر على ذلك إلى سنة (1274هـ-1858م) حين تجاوز الثّمانين سنة، وتولى بعد ذلك خطة الإمامة والفتوى.

وكان الحاجّ "حمو" يتردد على العاصمة، وقد وصفه "حسن بن بريهمات" الذي أبّنه بأنه كان: حلو الفكاهة، حاضر الجواب، متضلعا في العلوم العقليّة والنّقليّة، كثير

الحفظ، وكان يحفظ مقامات الحريري، عارفا بالسّير والشّواهد والتّواريخ، وله باع طويل في فن الإنشاء، كما كان ينظم الشّعر، وله مشاركة في الموسيقى، وكان ينكر على المغالين في الدّين ويدعو إلى تعلم معارف الفرنسيين، ففي هذا النّطاق أدخل ابنه (عبد الحق) إلى المدرسة العربيّة الفرنسيّة (الكوليج) بالجزائر، ووقعت له مخاصمات مع بعض أقربائه حول الأرض، فأعيدت إليه عن طريق المحكمة العليا (محكمة الاستئناف الفرنسيّة).

بعد وفاته دفن بمليانة بالغا من العمر تسعين سنة.

يعلق أبو القاسم سعد الله على ما جرى للقاضي محمّد بن الحاجّ حمو من أحداث فيقول:" إن مصير محمّد بن الحاجّ حمو الملياني لم يكن منعزلا، فقد عاشه عدد آخر من القضاة بعد أن شردوا وتبدلت بهم الحياة غير الحياة الأولى، ولكن يبدو لنا أن هذا الشّيخ كان من أقوى معاصريه تكوينا وذكاء وإخلاصا، وكانت السّلطة الاستعماريّة تعرف من تجلب إلى خدمتها ومن ترفض، وقد اعتمدت على الكثيرين في بادئ الأمر من هذه العناصر الجيدة التي كانت مع الأمير ثم ضاقت بها السّبل فرجعت تخدم أعداءها وأعداءه، وقد رأينا معاملة ديلابورت لابن الحفاف بعد رجوعه إلى العاصمة إذ قال عنه إننا نعرف أنه عدو لنا ولكن الإدارة ستستفيد من خدمته، ذلك أن هذه الإدارة تريد من ورائه كسب المؤيدين له أو الذين يثقون فيه، وكان الحاجّ حمو خبيرا حقا في شؤون الدّين والقضاء واللغة، وكان أمثاله قليلين، سيما في فترة الخمسينات والسّتينات، وكثير من جيله قد انتهوا مشردين ومهاجرين ومنفيين، أما موقفه من سلب القضاء الفرنسي صلاحيات القضاء الإسلامي فقد عبر عنه في مشروعه الذي قدمه إلى السّلطات الفرنسيّة".

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011؛

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

محمد بن العابد بن السماتي الجَلالي
(1307هـ - 1890م/1386هـ - 1967م)

محمّد بن العابد بن عبد الله السّائح بن سيدي يوسف بن السّماتي. ولد سنة 1308 هـ الموافق لـ 1890م ببلدة أوّلاد جلال جنوب غرب بسكرة ولذلك غلب عليه لقب محمّد بن العابد الجَلاّلي. تعلم القرآن على يد والده الشّيخ العابد بن عبد الله الذي كان إماما وفقيها وشاعرا. وتلقى أصول الفقه والحديث والنّحو عن الشّيخ عبد الحفيظ بن الشّريف السّماتي، وأخذ دروس الأدب والبلاغة عن الشّيخ مصطفى مبروكي. كما استفاد من التّجربة الشّعريّة للشاعر عاشور الخنقي الذي التقى به. بعد أن شب وأخذ مبادئ علوم العربيّة والقرآن الكريم، انخرط في تعليم أبناء قريته القرآن. انتقل سنة 1920م، بعد انتهاء الحرب العالميّة الأوّلى، إلى قسنطينة حيث انتظم في الدّراسة على يد الشّيخ عبد الحميد بن باديس. وفي سنة 1925م انتدبه الشّيخ ابن باديس للتدريس بالمدرسة الحرّة بالعلمة من ولايّة سطيف، وكان ذلك أوّل نشاط يمارسه في التّعليم. وفي سنة 1930 تم اختياره ليكون ضمن الطّاقم التّعليمي لمدرسة التّربيّة والتّعليم الإسلاميّة الحرّة بقسنطينة، وامتد عمله بها حتى سنة 1943م.

عند تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، ردا على احتفال فرنسا بالذكرى المئويّة لاحتلال الجزائر سنة 1930م، انخرط الشّيخ محمّد بن العابد في نشاطاتها، وبعد وفاة الشّيخ ابن باديس سنة 1940م وعودة الشّيخ البشير الإبراهيمي من المنفى، كلفه الشّيخ البشير بمهمّة التّدريس في مدرسة التّربيّة والتّعليم ببسكرة، وبقي فيها أربع سنوات من 1943م إلى سنة 1947م. انتقل بعده إلى مدرسة عين مليلة التي كان يديرها الشّيخ محمّد العيد آل خليفة، وظل بها ما يقارب ست سنوات حتى سنة 1954م. بعد اندلاع ثورة التّحرير سنة 1954م، انخرط فيها الشّيخ محمّد بن العابد الجلالي، وما لبث أن ألقي القبض عليه بنواحي بلديّة الخروب قرب قسنطينة، وتم الحكم عليه بعشر سنوات سجنا من طرف المحكمة الاستعمّاريّة الفرنسيّة. وسجل أمام المحكمة عبارته المشهورة عندما سأله القاضي لماذا ترك التّعليم وحمل السّلاح، فقال: "لأني وجدت كل ذلك لا يجدي معكم". تم إيداعه بسجن الكديّة بقسنطينة في البدايّة ثم جرى نقله إلى سجن البرواگيّة. وبعد الاستقلال عاد إلى إدارة مدرسة عين مليلة لمدة ثلاث سنوات، ليتوقّف نشاطه الإصلاحي والتّربوي سنة 1965

كان الشّيخ محمّد بن العابد الجلالي شاعرا وأديبا، لكنّه مُقِلا في الشّعر والأدب. له كتاب مطبوع تحت عنوان (تقويم الأخلاق). ونشر مجموعة من القصص في جريدة الشّهاب التّابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين. ويعتبر من بين من أسسوا لفن القصة القصيرة بالجزائر في تلك الفترة كأحمد رضا حوحو وأحمد بنّاسي وغيرهم.

ونذكر من بين القصص التي نشرها في مجلّة الشّهاب، (في القطار) و(السّعادة البتراء) و(الصّائد في الفخّ) وغيرها. كما له مجموعة من المقالات التي تناوّل فيها مواضيع وطنيّة واجتماعيّة وتربويّة كان

ينشرها في جريدة الشّهاب وفي الجريدة الأدبيّة التي أسسها رفقة زميله أحمد بوشمال وأطلقا عليها اسم (أبو العجائب). وقد نشرت بعض تلك القصص في كتاب (فنون النّثر الأدبي في الجزائر) للأستاذ عبد المالك مرتاض. كما كتب الشّيخ محمّد بن عابد الجلالي في فن القصيدة العموديّة، فجدد في موضوعاتها وأساليبها. فمنها قصائد جاءت في شكل حوارات وأخرى صيغت في شكل أناشيد وطنيّة، وتضمّن بعضها قصصاً تربويّة وأخلاقيّة. لكن ظلت الأنشودة هي اللون الغالب على قصائده التي تبدو عليها النّزعة الوطنيّة والأخلاقيّة واضحة جليّة. وكانت في مجملها موجّهة للناشئين، ولذلك كان يكتبها في لغة سلسة وبأسلوب سهل بسيط.

ومن بين النّماذج الشّعريّة التي نظمها الشّيخ بن العابد الجلالي نذكر أبياتا من القصيدة التي نعى فيها الشّيخ عبد الحميد بن باديس تحت عنوان (يا أفق النّور):

يا أفق أين النّور من نجمه
وأين قطر الغيث من سُحْبه
وأين حسن البدر من وجهه
وأين فرع المجد من حسْبه
أعائد يوماً إلى قومه؟
رائدهم للعز في غربه
أضحى رهينَ القبر عبد الحميد
وهذه الذكرى صدى نعْيه

قال عنه الشّيخ البشير الإبراهيمي: "هو من قدماء تلامذة الأستاذ ابن باديس ومن بواكير النّهضة الأدبيّة، أديب مشرف على الكمال، كاتب جزل الأسلوب، متين التّراكيب، وفيّ للقواعد المقرّرة، مشرق الدّيباجة، سلس المعاني، وصّاف لخفايا النّفوس، ومساوي الاجتماع، شاعر رصين الشّعر على إقلاله منه، باشر التّعليم من سنين فحذق أساليبه وتمرّس به، فاكتسب الدّأب والصّبر والجلد، وله في تربيّة الصّغار وتحبيب العلم إلى نفوسهم طرائق نفيسة هو فيها نسيج وحده وهو الآن من الأعوان المعتمدين للشيخ ابن باديس على التّعليم". وقال عنه مالك بن نبي مذكرا بتعليمه له: "وكان لهذا الاتجاه أن يأخذ بي أبعد من ذلك، لولا دروس الشّيخ المولود بن الموهوب في التّوحيد والسّيرة النّبويّة وتلك التي للشيخ بن العابد في الفقه. فقد كانت هذه تذكرة قويّة تعود بروحي إلى الطّريق الصّحيح. وقال عنه عيسى كشيدة: "الشّيخ بن العابد السّماتي، رجل تقي محترم، عمل مدرسا في إحدى المدارس التي يشرف عليها حزب الشّعب ـ حركة الانتصار للحريّات الدّيمقراطيّة في عين مليلة، وكان بوضياف وبن مهيدي يزور أنّه في كل مرة يمرون على النّاحيّة. كانوا يكِنّون له احتراما كبيرا ويرِد ذكره في حديثهم أثناء إنجاز تقاريرهم الشّهريّة الموجهة للحزب. التّحق الشّيخ بالجبل رغم قرار مسؤولي جيش التّحرير للناحيّة الذين نصحوه بأن يلزم بيته، ويساعد الثّورة بطرق أخرى. لكنّه أصر على الصّعود وحمل البندقيّة لإخراج المستعمر".

توفّي الشّيخ محمّد بن العابد الجلالي سنة 1387هـ الموافق لـ 1967م بأوّلاد جلال مسقط رأسه وبه دفن في مقبرة أسلافه.

عامر بغدادي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن العبّاس التّلمساني
(789هـ - 1388م/871هـ - 1467م)

محمّد بن العبّاس بن محمّد بن عيسى العُبادي التّلمساني، ويكنى بأبي عبد الله وشهرته ابن العبّاس التّلمساني، فقيه ومفسر ونحوي تولى الإفتاء بتلمسان. عاش خلال القرن التّاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي في عهد دولة بني زيّان حيث ولد في أواخر القرن الثّامن الهجري، الرّابع عشر الميلادي في حدود سنة 790 هـ الموافق لـ 1388م بحي العُباد في تلمسان وبها نشأ وتلقى تعليمه. والده هو الشّيخ أبي الفضل العبّاس أخذ عليه وعلى غيره من علماء عصره كقاسم بن سعيد العُقباني وكان قاضي تلمسان، وابن مرزوق المكنى بالحفيد وهو حفيد محمّد بن مرزوق الملقب بالخطيب، وعبد الرّحمن بن أبي عبد الله المعروف بالشّريف التّلمساني. وكانت تلمسان تزخر بكوكبة من العلماء المنتمين إليها أو الوافدين عليها في عهد دولة بني زيّان بوصفها حاضرة المغرب الأوسط في ذلك العصر.

ولما تمكن من علوم عصره، انخرط في التّدريس فتخرج على يديه الكثير من رموز العلم في الجزائر خلال العصر الوسيط، نذكر من أبرزهم نجله أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن العبّاس، ومحمّد بن يوسف السّنوسي وعبد الله بن عبد الواحد الفاسي، وأبو زكرياء يحيى المازوني، وأبو العبّاس الونشريسي، وأحمد بن زكري التّلمساني، ومحمّد بن سعيد المعروف بابن صعد التّلمساني، وابن مرزوق الملقب بالكفيف وهو ابن الحفيد شيخ ابن العبّاس، وحفيد الحفيد وهو ابن أخت الكفيف ويلقب بسبط الحفيد، ويحي بن إيدير التّدلسي المعروف بالتّواتي نسبة إلى منطقة توات وعبد الباسط بن خليل المشهور بالمَلطي وغيرهم ممن عاشوا في تلمسان أو انتقلوا إليها طلبا للعلم والمعرفة.

وقد آلتّ إلى أبي عبد الله محمّد بن العبّاس رئاسة علماء تلمسان بعد وفاة شيخه

قاسم بن سعيد العُقباني، نظرا لما حازه من مكانة في العلم وما حظي به من سمعة أكسبته جملة من الأوصاف لا تجتمع إلا في شخصيّة نابغة. ساعده على ذلك إلمامه بعلوم عصره وسمعته وقوة شخصيته، وكان يطلق عليه وصف الإمام والخطيب والمفسر والنّحوي والمحقق والعلّامة وشيخ شيوخ زمانه. فقد مارس الإمامة والخطّابة بمسجد العُباد الذي كان يقدم فيه دروسه. كما كان يلقي الدّروس بمسجد أبي إسحاق المشهور بالطّيار وكذا بمساجد أخرى في تلمسان. وكانت دروسه تتمحور حول تفسير القرآن وعلومه والعربيّة وآدابها من نحو وبلاغة. كما تولى الإفتاء، وكان مقدّما في مجلس العلماء لدى السّلطان أحمد المعتصم بالله بن أبي حمو موسى الثّاني المعروف بالعاقل، وكذا السّلطان محمّد المتوكّل على الله بن أبي زيّان. وقد عرف عن سلاطين بني زيّان اهتمامهم بالعلم والعلماء وأقاموا مجالسّ للعلم تضم أبرز علماء ذلك العهد.

من أهم مصنفاته "تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لاميّة الأفعال" وهو كتاب في علم الصّرف حققه ونشره محمّد النّاصيري، كما كان موضوع دراسة لنيل رسالة الدّكتوراه من طرف الطّالبة آمال إبراهيم بن أحمد صديق. ولاميّة الأفعال هو كتاب للإمام جمال الدّين محمّد بن مالك الأندلسي نشرته المكتبة الأزهريّة للتراث. كما له كتاب "العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فريّة الإلقا"، و"الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف"، وذكره البعض بـ " الانصاف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف"، وله كذلك شرح جمل الخونجي وهو كتاب مختصر في المنطق، وعنوانه الكامل هو "الجمل في مختصر نهايّة الأمل في المنطق" ومؤلفه هو أفضل الدّين محمّد بن نامور الخونجي، وكان من الكتب الشّائعة في تلك الفترة حيث نال اهتمام الدّارسين في ذلك العصر وشرحه العديد من العلماء منهم أبو عبد الله الشّريف التّلمساني وسعيد العقباني ومحمّد بن يوسف السّنوسي ومحمّد بن عبد الكريم المغيلي.

كان لأبي عبد الله محمّد بن العبّاس حظوة كبرى لدى علماء عصره وتلاميذه فأشادوا به وبعلمه وقدروا مكانته بين أقرانه.

كان لأبي عبد الله محمّد بن العبّاس حظوة كبرى لدى علماء عصره وتلاميذه فأشادوا به وبعلمه وقدروا مكانته بين أقرانه.

فقد وصفه أحمد بابا التّنبكتي بأنّه من أكابر علماء تلمسان وأكبر أئمة وقته بها. ووصفه أبو العبّاس الونشريسي وقد تتلمذ عليه، بـ شيخ المفسرين والنّحاة، العالم على الإطلاق، شيخ شيوخنا، أبو عبد الله بن العبّاس. ووصفه أبو الحسن القلصادي الذي كان معاصرا له بالإمام الفقيه المتفنن في العلوم. أما تلميذه أبو زكريا يحي المازوني فوصفه بالإمام الحافظ. وقال فيه عبد الباسط بن خليل الرّحّالة المشهور وهو ممن أخذوا عنه: "ثم اجتمعت بسيدنا وشيخنا الامام العالم الكبير أبي عبد الله محمّد بن العبّاس، شيخ تلمسان وعالمها وخطيب جامع العُباد، فوجدته بحرا في العلوم الفنيّة آيّة في ذلك، فعاملني بمودة، ترددت بعد ذلك عليه وحضرت الكثير من دروسه الحافلة في شتّى الفنّون العلميّة".

وقال عنه عبد الله بن عبد الواحد الفاسي: "ومن شيوخي العالم المحقق أبو عبد الله بن العبّاس، قرأت عليه جملة صالحة من شرح التّسهيل وبعض جمل الخونجي وجالسّته في مهمات من مسائل الفقه فرأيت دخلته مملوءة الجراب". وقال عنه تلميذه ابن مرزوق حفيد الحفيد: "شيخنا ومفيدنا العالم المطلق الإمام الشّهير الكبير السّيد أبو عبد الله بن العبّاس".

توفّي أبو عبد الله محمّد بن العبّاس التّلمساني بوباء الطّاعون الذي اجتاح تلمسان في عصره، عن عمر فاق الثّمانين، وذلك في 18 ذي الحجة من سنة 871 هـ الموافق لـ 21 جويليّة 1467م، ودفن بالعُباد.

عامر بغدادي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن العربي
(1266هـ - 1850م/1358هـ - 1939م)

ولد «محمّد بن العربي» في شهر صفر1267هـ - كانون الأول- ديسمبر 1850م، بمدينة شرشال في ولايّة تيبازة حاليا بالسّاحل الجزائري، وهو من أسرة تنتمي في أرومتها إلى مسلمي الأندلس، تعلم في مسقط رأسه بشرشال حتى سن العاشرة، حيث تلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة والدّين والقرآن.

انتقل إلى مدينة الجزائر لإكمال دراسته حيث التّحق بصف تلاميذ المكتب (المدرسة الابتدائيّة) التي أسسها نابليون الثّالثّ خصيصا لابناء الأهالي.

واصل دراسته الجامعيّة بكليّة الطّب بجامعة الجزائر، ثم انتقل إلى باريس فأتم دراسته بجامعتها، وحاز فيها على شهادة الدّكتوراه بتفوق سنة 1884، وهي أول أطروحة في بابها، وصاحبها أول جزائري يحصل على الدّكتوراه في الطّب في العهد الفرنسي، اعترف بتفوقه رئيس لجنة الامتحان، وأكد له تفوق العرب على الغرب في العلوم الطّبيّة، قال له:« هانحن أرجعنا لكم ما كنا استلفنا من علوم أجدادكم...»؛ فقد كان عنوان أطروحته «الطّب العربي في ولايّة الجزائر»، وقد ترجم السّيد علي

بوشوشة (أصله من الجزائر) هذه الأطروحة إلى العربيّة ونشرها يونس سنة 1891.

يقول أبو القاسم سعد الله: «وقد اطلعنا على التّرجمة 1988 سوى قائمة من رجال العلم والثّقافة كانوا (حوالي سنة 1884) يتفاعلون في حياة الجزائر، وجاء ذكرهم في الأطروحة، وكذلك أسماء أعلام من الفرنسيين، مثل الشّاعر فيكتور هيغو والقاضي زيس، وفي 1988 نشرت جريدة جزائريّة دراسة لأحد الأطباء عن حياة وأطروحة الحكيم ابن العربي فأخذنا منها المعلومات التّاليّة:

بدأ ابن العربي أطروحة بحديث شريف مفاده إذا سألتم الله فاسألوه المغفرة والصّحة، فليس هناك أثمن من الصّحة. وفي مدخل الأطروحة خاطب فرنسا: هل من العدل أن ترفض للشعوب التي تستعمرها الاستفادة من المعارف النّافعة، وتنكر عليهم حق استخدام قواهم العقليّة، وتعاملهم معاملة البرابرة والسّلالات الدّنيا؟ وهو في ذلك يشير إلى ما كان يتردد على لسان الحاكم العام لويس تيرمان والكولون من أن عدم تعليم الأهالي أفضل لفرنسا، أو ليس هناك مال لتعليمهم.

وقد اختار موضوع أطروحته الأبحاث السّابقة في ميدان الطّب والصّيدلة عند العرب الجزائريين، وهي في نفس الوقت أبحاث مفيدة للفرنسيين أنفسهم وتخصصهم في الطّب، فهي مصدر ثمين لهم. ثم قسم الأطروحة إلى ثلاثة فصول، فجعل الفصل الأول في تاريخ الطّب العربي في المغرب والمشرق. فتناول أشهر الأطباء الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى الفرنسيّة، مثل عبد الرّزاق بن حمادوش، ومنها كتاباه: كشف الرّموز في الأعشاب والعقاقير، وتعديل المزاج بسبب قوانين العلاج

وفي الفصل الثّاني تناول ابن العربي الطّب الحديث أو المعاصر عند العرب الجزائريين، فوصف الإصابات والعلاجات الطّبيّة، وجاء من ذلك بأمثلة: فحب العرق علاجه بالبخار في الحمام وعصير الرّمان والحنا وعصير الطّماطم. كما جاء على حبة بسكرة التي تصيب الجلد، وعلاجها يكون برغوة الصّابون الأخضر والتّردد على المياه المعدنيّة. ثم الإصابة بعرق المدينة الذي ضرب أطراف الجسم، ثم الدّاء المعروف بداء الفيل وعلاجه. وفي هذا الفصل أيضا تحدث عن علم الجراحة عند العرب، وذكر أنهم كانوا يرفضون تقديم أجسامهم لعمليات جراحيّة (دمويّة) كبيرة وأنهم كانوا يفضلون الموت المؤكد والعاجل على البقاء بضع سنوات أخرى على حساب تبديد الجسم. ووصف عمليات الختان والحجامة ومعالجة الكسور بالجبيرة

وخصص ابن العربي الفصل الثّالث من أطروحته للنظافة، مقدما على ذلك سبع وصفات لتركيب الكحل، وتسع وصفات للحنا، كما وصف فوائد الاستحمام، ودافع عن التّلقيح ضد الجدري الذي قال إنه وجد منذ القديم في بلاد المغرب. كما وقف ابن العربي ضد ادعاء الفرنسيين بأن الجزائريين لهم أمراض عديدة كالزّهري. وقال إن الإحصاءات تثبت أن هذا المرض قدم إلى الجزائر مع الأوروبيين (وقد أشرنا إلى ذلك)، وهو ليس خاصا بالجزائريين. وتناول ابن العربي التّطبب بالأعشاب ومختلف النّباتات لأنها مفيدة، ثم إنها أدويّة تستخرج من البلاد نفسها فلها عندئذ جانب اقتصادي هام، فهي صناعة محليّة. ومن النّباتات التي ذكرها: الخروب، والرّمان، والعناب، وبونافع، وكرموس (التين) النّصارى، والنّخيل الذي عزا له وحده (النّخيل) إثنتي عشرة وصفة علاجيّة، من الإسهال إلى الضّعف الجنسي. ونلاحظ أن ابن العربي لم يهتم إلا بالطّب المقبول شرعا، وعقلا، أما الطّب السّحري والخرافي كالتّعاويذ والأحجبة فلم يهتم بها.

أما الفصل الرّابع والأخير فقد خصصه للطب الشّرعي. فتناول فيه مدة الحمل، وشكل المولود (الرّاقد) من الوجهة الفقهيّة والقانونيّة. وكان هذا الموضوع يثير جدلا كبيرا بين الفقهاء وأهل القانون. وتناول كذلك قضيّة المرأة الغائب عنها زوجها. ففي بعض الجهات كان عليها أن تنتظر أربع سنوات، وفي بعضها سبع سنوات أو عشرة. وكان هذا الموضوع يتصل بشرف العائلات، وكذلك يتصل بالطّب والشّرعيّة، ومسألة الأبوة، وشرعيّة الولادات، والميراث. وقد ذكر ابن العربي أيضا بعض الأمراض والعلاجات الأخرى مثل الرّمد وأمراض العيون بأنواع من العلاجات، إذا لم يشف المريض خلال ثمانيّة أيام. وذكر أيضا عمليّة ثقب (فتح) الرّأس التي كانت شائعة في الأوراس والآلات التي كانت تستعمل في ذلك. ولعل ذلك هو ما شجع بعض الأوروبيين، ومنهم الإنكليز، على التّعرف على هذه الطّريقة، ولو بالحيلة، كما فعل سيمسون وفريقه سنة 1913».

كان محل تقدير واحترام من قبل العلماء وعامة النّاس لعلمه وتواضعه، أمثال: الشّاعر الفرنسي «فيكتور هيجو» (VICTOR HUGO)، والشّيخ «محمّد سعيد الزّاهري».

فقد جمع إلى جانب الفرنسيّة معرفة قويّة باللغتين اليونانيّة واللاتينيّة.

اشتغل بعد عودته من باريس طبيبا في أنحاء مختلفة من القطر الجزائري، تعلق به أهل البلدة التي كان يشتغل بها، لكنه عاد إلى العاصمة،واستقر بمدينة الجزائر، وأقيم له حفل تكريم بالعاصمة اعتراف النشاط هوإخلاصه ووفائه.

اشتغل بالسّياسة الجزائريّة زمنا طويلا، لكنه لم يطمح إلى رئاسة أو إلى وسام، تولى النّيابة في المجلس البلدي في مدينة الجزائر منذ 1888.

مدحه الشّيخ «محمّد بوقندورة» مفتي الحنفيّة بالعاصمة، فنوه به وحث النّاس على مؤازرته.

كان من المعجبين بالأندلس وتاريخها المجيد، زارها سنة(1300هـ/ 1883م) مطلعا على الآثار الإسلاميّة، التي تزخر بها، مجددا لإسلامه هناك.

كانت له مواقف مشهودة في الانتصار لهويته وثقافته فحينما انتخب سنة 1888 عضوا بالمجلس الشّعبي البلدي، عارض السّلطات الفرنسيّةالتي أرادت تحطيم المسجدين، الكبير والجديد بالعاصمة وبناء فندقين جديدين مكانهما، وبذلك أسقط مخطط فرنسا الذي كان يرمي إلى تحطيم المقدسات الجزائريّة. كان يتابع

كل أعمال فرنسا في مجال الدّين الإسلامي في الجزائر. حاز على احترام المثقفين من الجزائريين والفرنسيين.

كما عارض سياسة فرنسا الهادفة إلى حذف المحاكم الشّرعيّة وتعويضها بمحاكم صلح سنة(1309هـ/ 1891م)، حيث أحدث ضجة في الصّحافة وفي المجالس النّيابيّة استنكارا لهذا الحدث. تحمل الدّفاع عن هذه القضيّة مع «ابن رحال» وقدم مطالب لفرنسا حول المعارف والتّعليم والعدليّة الإسلاميّة، واللغة العربيّة، والضّرائب ومواساة الفقراء، والملكيّة، والقانون الجزري الخاص بالأهالي، والتّجنيد الإجباري، والتّجنيس، والانتخابات، ونيابة الأهالي، ومجلس الشّورى والمجلس الجنائي، ومنح الغابات، والرّبا، ووظيفة الوالي.

توفي يوم السّبت6 رمضان1358هـ/ 20 أكتوبر 1939م.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عاشور شرفي: الكتاب الجزائريون قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر؛

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد بن العنابي
(1188هـ - 1775م/1267هـ - 1851م)

ولد "محمّد بن محمّد بن حسين العنابي الجزائري" في مدينة الجزائر، ويبدو أن أحد أجداده جاء من آسيا الصّغرى إلى الجزائر في العهد العثماني، وربما سكن جده حسين في مدينة عنابة فأخذ منها التّسميّة "ابن العنابي" أو "العنابي".

تلقى العلم على جده ووالده في مسقط رأسه، وعلى يد المفتي المالكي "عبد القادر بن الأمين".

كان ذا ثقافة عاليّة في علوم الدّين والدّنيا وكان من أسرة علم وجاه لها حظوة لدى دايات الجزائر منذ أوائل القرن الثّامن الميلادي.

تولى القضاء الحنفي في مدينة الجزائر في عهد الدّاي "أحمد باشا" (1220هـ1223-هـ) (1805م1808-م) وفي عهد "علي خوجة" (1817) والدّاي "حسين" 1818م.

وقد وظف ابن العنابي بالاسكندريّة وأصبح مفتي الأحناف بها، وطال عمره إلى 1853، وذلك بعد أن نفاه الاستعمار الفرنسي إليها متهما إياه بمعاداته وتأليب النّاس للثورة عليه.

كان "ابن العنابي" مجددا في فتاويه ومتطورا في المسائل التي لم يتعرض لها القدماء ويحتاج إليهما المجتمع الإسلامي الجديد مع ثورته على التّقاليد العقيمة. له آراء في الحضارة الغربيّة وضرورة أخذ المسلمين منها. فهو بذلك قد سبق "خير الدّين التّونسي" في الدّعوة للأخذ بالحضارة الحديثة.

يقول عنه أبو القاسم سعد الله:" والواقع أن ابن العنابي كان من أوائل الفقهاء الذين لم يكتفوا بنقد الجمود العقلي بل أضاف إلى نقده اللاذع الدّعوة إلى استعمال الاجتهاد والأخذ بأسباب الحضارة الغربيّة، والحد من نشاط الدّراويش الذين أضروا في نظره بالمجتمع الإسلامي. وكأن ابن العنابي قد جاء ليوضح ما دعا إليه الفكون. ففي كتابه (السّعي المحمود في نظام الجنود) نقد ابن العنابي معاصريه من الفقهاء بشدة وسخر من أفكارهم ومظهرهم، كما نادى بضرورة النّهضة الإسلاميّة على أساس المنافسة بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي والسّباق مع الحضارة الأوروبيّة والفوز عليها فيما تفننت فيه من أنواع الاختراعات والمبتكرات الصّناعيّة والتّقنيّة والحربيّة. وكان له رأي أيضا في الدّيمقراطيّة السّياسيّة وتوزيع الثّروة واختيار الأكفاء في الإدارة ونحو ذلك مما كان شبه محرم طرقه على الفقهاء قبله".

يمكن تقسيم دور ابن العنابي إلى دور سياسي وآخر ديني:

- يتمثل الدّور الأول: في صلته بدايات الجزائر وموقفه من الاحتلال الفرنسي للجزائري وإشادته بالدّولة العثمانيّة، فقد كان شديد المعارضة للسياسات الفرنسيّة، وخاصة تدخلها في الشّأن الدّيني، لذلك نفته السّلطات الاستعماريّة إلى مصر بدعوى أنه كان يتآمر لاستعادة الحكم الإسلامي إلى الجزائر، أي كان ينظم المقاومة ضد الفرنسيين.

- ويتمثل الدّور الثّاني: في الإفتاء والتّدريس ومنح تلاميذه إجازات في العلم.

كان من أوائل العلماء المسلمين الذين طرحوا قضيّة التّجديد في النّظم الإسلاميّة في مطالع القرن التّاسع عشر الميلادي، ومن الأوائل الذين طرقوا باب الاجتهاد الذي ظل مغلقا منذ القرن الرّابع هجري/ العاشر الميلادي، نتيجة التّأخر الفكري الذي كان عليه العالم الإسلامي. وكان يصر على الدّعوة إلى العلم وإلى تعلم الفرنسيّة باعتبارها لغة هذا العلم الجديد، والدّعوة إلى تعلم التّكنولوجيا الغربيّة الفرنسيّة، وفي الوقت نفسه كان يعارض الاحتلال والاعتداء على حرمات المساجد والبيوت والمكتبات والأراضي، فلم تكون دعوته إلى التّجديد وتعلم الفرنسيّة والعلوم الحديثة دعوة إلى التّقليد أو الاندماج، بل كانت دعوة من عالم فقيه معتز بدينه وثقافته ولغته إلى تطور قومه ومزاحمتهم للمحتلين في

معارفهم وعلومهم التي يتقنونها، فيُجمع للأمة معرفة الدّين والدّنيا، وهذا يدل على اتّزان في شخصيّة الشّيخ محمّد بن العنابي وتفتح في تفكيره، بل وبعد نظر وعمق تحليل للخلل الذي أصاب الأمة الإسلاميّة.

فكان الشّيخ محمّد بن العنابي وسطيا معتدلا، فلم يكن من أولئك الفقهاء الجامدين الذين لا يبرحون ما هم فيه من تخلف، مديرين ظهورهم لأي تقدم أو انفتاح، راضين أو مستسلمين لواقع الأمة الإسلاميّة، بل هم بعيدون كل البعد عن مواجهة هذا الواقع الأليم سواء بالتّشخيص لأمراضه وعلله والبحث بعد ذلك عن العلاج النّافع، أو التّمكين للعلماء الذين يقومون بذلك الواجب، فكثير منهم كان يحارب كل من رفع رايّة الاجتهاد ويسكت كل من علا صوته بالتّجديد. كما لم يكن -رحمه الله- من أولئك القوم الذين أغراهم التّقدم الدّنيوي للاستعمار الفرنسي، فكانوا لا يرون مخرجا ولا منجى للأمة الإسلاميّة إلا بالاحتذاء به حذو القذة بالقذة، والذوبان في حضارته والانصهار فيها انصهار النّحاس في النّار الحارقة، فتركوا لأجل ذلك هويتهم ودينهم ولغتهم ظانين أنّهم بذلك قد صاروا متقديمن متطورين.

نتاجه الفكري:

- "السّعي المحمود في نظام الجنود"، ربما يكون أول الكتب العربيّة التي عالجت موضوع التّجديد في النّظم الإسلاميّة عامة والنّظام العسكري خاصة، فهو كتاب هام في موضوعه وهو ضرورة منافسة الأوروبيين في تقدمهم الصّناعي والتّقني والعسكري والأخذ عنهم في ذلك وتجاوزهم فيه، وقد أكثر فيه من نقول العلماء واستعمل فيه القياس في مسائل عديدة، وطالب سلاطين آل عثمان بتجديد الدّولة وإصلاح النّظم، كما أيدهم في القضاء على الإنكشاريّة وهاجم الفقهاء المتزمتين.
- خاتمة وضعها بمناسبة ختمه لدرس عقيدة الإمام السّنوسي في التّوحيد.
- "الفتح القيومي بجوانب أسئلة الرّومي"، يوجد منها نسختان بدار الكتب الوطنيّة بتونس تحت رقم 194 ورقم 18002.
- "تأليف في علم تجويد القرآن الكريم".
- كتاب: "المقتطف" في الحديث، اقتبسه من صحيح ابن حبان.
- كتاب: "المنتقى" في علم الحديث، انتقاه أيضا من الصّحاح. وهو موجود بخطة في إحدى خزائن مكتبة أسطنبول بتركيا.
- "رسالة حول المرأة".
- مساهمات شعريّة في الدّعاء والصّلاة على النّبي (صلى الله عليه وسلم)، وسنن الرّواتب والابتهال.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد بن المحبوب
(1323هـ - 1906م/1407هـ - 1987م)

محمّد بن بلقاسم بن المحبوب الطّولقي، المولود في قريّة فرفار دائرة طولقة ولايّة بسكرة، والمتوفى فيها.

شرع في حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، وأتمّه في بلدة أولاد جلال عام 1920، بعد ذلك توجّه إلى تونس عام 1923 ودخل جامع الزّيتونة، وبعد حوالي سبع سنوات من الدّراسة تقدّم لامتحان التّطويع عام 1930، فحصل على شهادة التّدريس والكتابة.

بعدها رجع إلى وطنه الجزائر ليباشر مهمة التّربيّة والتّعليم، كما انضم إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها عام 1931، وقد كان رئيس شعبتها ببلدة طولقة وضواحيها، فأسس مدرسة بمسقط رأسه تقوم بتربيّة وتعليم النّاشئة علوم العربيّة وعلوم الدّين وفق نظرة جمعيّة العلماء المسلمين.

لقد اختاره أهل بلدته لما رأوا فيه من علم وخلق للقيام بأمورهم أمام سلطات الاحتلال الفرنسي عام 1944 ومكث في هذه المهمّة إلى عام 1952. حيث قدّم استقالته، وبعد قيام الثّورة التّحريريّة المباركة، انخرط في العمل الثّوري عضوًا في المنظمة السّريّة من عام 1955 حتى الاستقلال عام 1962.

إضافةً إلى هذا فقد اشتغل نائبًا مفتشًا لوزارة الأوقاف في الجهة الشّرقيّة للجنوب الجزائري منذ عام 1963. ثم عمل إمامًا وخطيبًا في أحد مساجد مدينة طولقة إلى غايّة عام 1968.

نتاجه الفكري:

- "تمرد القرآن على العصور" - المطبعة العربيّة - الجزائر 1956، "وهو ليس في موضوع التّفسير نفسه ولكنه محاولة لفهم القرآن فهما أدبيا خاصا. ويبدو أن المؤلف كان من الشّباب الثّائر المتحمس الذي تظهره الصّورة حاسر الرّأس وبلباسه الأروبي. وجاء في (المقصد) أن القرآن الكريم تطرق إلى جميع المواضيع التي تتصل بالحياة البشريّة، ثم رأى أن القرآن ليس خاصا بجيل دون آخر، ولا بزمن محدود وأنه كتاب مليء بالأسرار التي يكتشفها كل جيل حسب إمكاناته. ورأى في (المقدمة) أن تفسير القرآن حق مشاع بشرط ألا يتنافى تأويله مع القواعد اللغويّة. وقام المؤلف الشّاب ضد الذين احتكروا تفسير القرآن!، ورأى أن القرآن

ليس كتاب عبادة ودين فقط، ولكنه كتاب أدب وتاريخ وقانون، الخ. ومن الموضوعات التي طرقها المؤلف في فهمه وتأويله للقرآن هذه العناوين: القرآن والاختراع، القرآن والمأساة، القرآن والمنكوبون في الحب، القرآن والمذنبون، والدّبلوماسيّة في القرآن. وقد ضاق المؤلف، فيما يبدو، باحتكار فهم القرآن للفقهاء فقط، فرأى أن يسجل رأيه بحريّة ويحاول فهم القرآن فهما مباشرا بنفسه. ولكنه لا يذكر مراجع ولا يحيل على تفاسير أخرى".

– "المنظار" – مطبعة البعث – قسنطينة 1981.

وله عدد من القصص القصيرة والخواطر، والخطب الدّينيّة والاجتماعيّة المخطوطة.

نتاجه الأدبي:

لا تزال أشعاره إلى يومنا مخطوطة والمطبوع منها قليل لذلك على الدّارسين والباحثين أن يهتموا بهذا الشّاعر الثّوري المصلح والإمام المربي المرشد.

ما يمكن أن نلاحظه على المتاح من شعره هو أنه يتسم بالبساطة والوضوح فهو يقترب كثيرا من التّقريريّة وقد جاءت أغراض شعره تقليديّة معروفة لدى شعراء عصره، معبرة عن ثقافته التّراثيّة ونزعته الإصلاحيّة وتوجهه الوطني. وقد سار في بناء قصائده على نهج القدماء.

نماذج من شعره:

قدرة الله

إذا ما الإله لشعبٍ نظرْ
بعطفٍ وكان يرى محتقَرْ
هداه لنفضِ غبار الرّكود
وألهمَه ما به يفتخر
فقام يحطّم أغلاله
وقام يريد اقتحام الخطر
فمَنْ لم تعظه شُعوبٌ خلَتْ
رماها البغاة إلى المنحدر
ومن لم يحرِّكْه ماضي القرو
نام ولم يستمع للعبر
تهيأ للنيل من مجده
وحزنٍ يسبب فقْد البصر
وسوف تُداس كرامتُه
كأنْ لم يكن أمةً في البشرِ
وويلٌ له من عذابٍ مرير
وهمٍّ يُلازم طولَ العمُر

رجوع الصّقر: بمناسبة وصول رفات الأمير عبد القادر الجزائري إلى الجزائر

رجع الصّقرُ إلى أرض الوطنْ
من قديم ودَّ لو فيه دُفِنْ
يا رفاةً حلّقت طائرةٌ
بك في الأجواء تزهو وترنِ
لجديرٍ بك يا طائرةً
أن تنالي شرفًا لا يُمتَهَن
كنت في الشّام فما أكرمه!
بلد الأبطال في كلّ زمن
سجلَ الأعداء في تاريخهم
أنت في الحرب قناةٌ لم تَلِن
لم تكن في الدّهر إلا آيّة
نازلَ الأبطال ما كان يئن
قلتَ نثرًا قلتَ شعرًا رائعًا
لم تدعْ فرضًا ولم تترك سُنن
في الغزلْ، «قيسٌ» وفي العدل «عُمَرْ»
في الوغى «خالدٌ» يقسو ويحن
جئتنا مفتخرًا في يومنا
تلعب الأقدار ما ليس يُظَن
خانك الأقوام من جيرانا
حلّف الأوراسُ حربًا ستُشَن
ووفَى بالعهد لا يخشى الرّدى
ويرى في الموت كأسًا من لبن
ورأى الغازي اتحادًا مدهشًا
منه قد كادت فرنسا أن تُجَن
حطّم الشّعب الأبي كيدهم
بقيتْ ذكراهم تغزو الأذن
جهلوا أنا خلقنا صُلَّبًا
وركبنا فرسًا يدعَى المحن
وكذا الأبطال لا يفرحهم
مثل يوم فيه ضرب وطعن

لغة الضّاد علّموها

لغة الضّاد علّموها بنيكم
إنها نعمةٌ من الله فيكُمْ
أدب الضّاد ضمَّنَ الشّعرَ والفنْ
نَ! فَلَوْ يُوْلَ جهدَكم لقويتم
قَصَصٌ رائعٌ فلا ما يدانيـ
ـها بهاءً، وحكمةٌ تُحْيكم
قد تغنّت بها البلابل شدْوًا
آيّة الله هجْرها يرديكم
رُبَّ قومٍ لا ينتمون إليها
عَرَفوا سرَّها فلاموا عليكم
لغة الشّعب مجده علّموها
لغة الغُرْب رفعة لذويكم
في اِحْتقار اللسان وهن وضعف
فمن العار أنْ تهان لديكمْ

رابح دوب

المصادر:

- سجل جمعيّة العلماء المسلمين (قسنطينة)؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي – عالم المعرفة الجزائر 2011؛
- معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين – المجلد السّابع عشر – الكويت 2008؛

رابح دوب: موسوعة شعراء عصر النّهضة في المغرب العربي، الجزء الرّابع، دار بهاء الدّين، قسنطينة، الجزائر، 2014.

محمّد بن أمحمّد بن أحميد الأنصاري الزجلاوي (أبو عبد الله)
(ت: 1212هـ - 1797م)

شـهد إقليم تـوات نهضـة فكريّـة وعلميّة منذ القـرن التاسـع هجـري الخامـس عشـر ميـلادي إلـى غايّـة القـرن الثالـث عشـر هجـري التاسـع عشـر ميلادي، برز خلالها مجموعـة من الفقهاء والعلمـاء والمفتيـن داخـل تـوات وخارجهـا، وتعـدى صيتهـم ربوعهـا إلـى مختلـف حواضر المغرب الإسلامي، كما وفد على توات عدد كبير من علماء المغرب الإسلامي وقد كان لهؤلاء دور كبير في ازدهار العلوم والفتوى فيها، كما تتواجد في خزائنها ومكتباتها الكثير من كتب علمائها في الفتـوى والذين من أبرزهم الشّـيخ محمّد بلعالم الزجلاوي.

من آل سيدي علي بن حنيني الأنصاري نسبا، التواتي منشأً وداراً، ولد بزاجلو ولا يُعلم تاريخه، وأخذ العلم بها ثم انتقل إلى تنلان، أين أخذ عن شيوخها كعبد الرحمن بن التنلاني ووالده أمحمّد بن أحميد الأنصاري، الذي قرأ عليه القرآن والفقه وجل العلوم، وتتلمذ عليه خلق كثير كابنه الحسن بن محمّد بن أحميد الزجلاوي، وأخوه عبد الرحمن بن أحميد بلعالم الزجلاوي، وعبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الأموي التنلاني وعبد الرحمن بن إدريس الأموي.

كان من الأربعة الذين اعتدهم القاضي عبد الحق بن عبد الكريم في مجلس شوراه، وله من التصانيف: "ألفيّة الغريب" و"الوجيز شرح لمختصر الخليل"، و"شرح على التلمسانيّة في الفرائض"، و"كتاب النوازل" و"شرح الأخضري"، و"شرح المرشد المعين" وغيرها كثير.

أحـد أعـلام الديـار الصحراويّة ببـلاد توات، لقـب بمفتـي الأنـام، قائم على التفسـير تدريسـا وتأليفـا، حتـى قيـل عنه أن "مدرسـته يحـج إليها ويقصدها كل من يطلب العلم".

له في التفسـير ألفيّة، تعرف بـ"ألفيّة التفسير"، ولا يوجد من علـق عليها، ويظهر أنها منظومة في مسـائل التفسـير وعلومه وفنونه، وأنه أسـهب في بيان هذا العلم وفروعه كأسباب النزول والقراءات والناسـخ والمنسـوخ وطـرق التفسـير والتفسـير بالرأي والمأثور وغيرها من المسائل... وله "ألفيّة في غريب القرآن"، قال الشّـيخ محمّد باي بلعالم فـي وصفها، تشـتمل على ألـف بيت، وقـد مدح ألفيتـه هذه صديقه العلامة سـيدي عبد الكريم بن بابا حيدة التمنطيطي، فقال فيها في سنة 1183ه:

إِذَا رُمْتَ ذَوْقًا كَالعَسَلِ حَلَاوَةً
عَلَيْكَ بِنَظْمٍ كَالجَوَاهِرِ رُصِّعَا
وَهَذَا عَلَى التَّقْرِيبِ وَالحَقِّ أَنَّهُ
مِنَ الشَّهْدِ وَاليَاقُوتِ قَدْ بَانَ أَنْفَعَا
وَكَيْفَ وَقَدْ أَبْدَاهُ فِكْرُ ابْنُ عَالِمٍ
بِالشَّرْحِ فَبَيَّنَ لُبَّهُ بِالشَّرحِ تَبْرُعَا
وَقَدِ اسْتَمَالَ اللُّبَّ فِي صَنِيعِهْ
بِأَلْفِيَّةِ الغَرِيبِ لَا زِلْتُ مُولَعَا
فَلِلَّهِ دَرُّهُ وَعَلَيْهِ أَجْرُهْ
وَبِاللهِ أَرْقِيهِ لِعَافِيَّةٍ أَوْدِعَا

وقـد تتبع الإمـام الزجـلاوي غريـب القرآن الكريـم في هـذا النظـم فجعل لكل سـورة أبياتا يذكر فيها ألفـاظ الغريب، ومفرداتـه فيها، وكان أحيانا يمـزج بين السّـورة والسّـورتين والثلاث في أبيات واحدة كما فعل في مفردات الحواميم وسورة القتال والفتح وغيرها.

ويقوم بتفسير وشـرح المفردة غالبا بكلمات موجـزة وبشـرح لغـوي أدبي مـع إيـراده أحيانا لأوجـه الخلاف فيها – إن وجـد– بقوله: وقيل: كمـا هـو فـي سـورة الواقعـة إذ يقول فـي ألفاظ الغريـب التـي أحصاهـا فكانـت ثـلاث عشـرة مفردة، وهـي: مَوْضُونَةً، رَجًّـا، البَسُّ، مَخْضُودْ، ثُلَّةٌ، صداع، الطَّلْحْ، مَسْكُوب، العرب، اليَحْمُوم، الهِيم، الحِنْث، حيث يقول:

مَوْضُونَةً مَنْسُوجَةً بِالذَّهَبِ
وَالدُّرِ وَالياقُوتِ فِي التَّرَكُّبِ.
وَقِيلَ بَلْ مَصْفُوفَةً فِي الرُّتَبِ
رَجًّا تَحَرُّكًا لِوَقْعِ الغَضَبِ
وَالبَسُّ فَتُّ بِوُقُوعِ الزَّلْزَلَة
مَخْضُودٌ أَيْ لَا شَوْكَ فِيمَا حَمَلَهْ
وَثُلَّةٌ جَمَاعَةَ الأَشْيَاءِ
وَوَجَعُ الرَّأْسِ صُدَاعٌ جَائِي
وَالطَّلْحُ مَوزٌ جَائِمُ الإِثْمَارِ
وَوَصْفُ مَسْكُوبٍ بِمَعْنَى الجَارِ
وَالعَاشِقَاتُ العُرْبِ فِي التَّبَعُّلِ
المُتَحَجِّبَاتُ فِي التَّشَكُّلِ
ثُمَّ الدُّخَانُ الأَسْوَدُ اليَحْمُومُ
وَالإِبِلُ العِطَاشُ ذَاكَ الهِيم
وَالحِنْثُ هَاهُنَا ذُنُوبُ الكُفْرِ
مُقَوٍّ مِنَ القِوَى بِمَعْنَى الفَقْرِ

وقـد يجعـل الإمـام الزجلاوي صـدر البيت لشـرح مفردة غريبة في سـورة؛ وشـطره لمفردة أخرى من سورة أخرى كما في قوله:

مِنْ وُجْدِكُم سَعْيُكُمْ فِي المَالِ
وَالمَنْكَبُ الجَانِبُ فِي الأَحْوَالِ

ولفـظ "الوُجْدِ" فـي صدر البيـت الأول من قوله تعالـى: "أَسْـكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَـكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ" [سورة الطلاق]، ولفظ "المَنْكَبْ" في قوله تعالى في سورة الملك "فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورْ".

كما جعـل الإمام الزجلاوي في آخر ألفيـته أبياتا حول علم الوجوه والنظائر، فقال في فضل هذا العلم ومراده من إيراده:

مَعْرِفَةُ الوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ
نَتِيجَةَ اسْتِنَارَةِ البَصَائِرِ
إِذْ جَاءَ لَا يَبْلُغُ كُلَّ الفِقْهِ
حَتَّى يَرَى لِلَّفْظِ غَيْرَ وَجْهِ

إذ اشـترط فـي اسـتنارة البصائـر العلـم بهذا الفن، معتمـدا في ذلك على حديـث: "لا يكون الرجل فقيها كل الفقـه حتى يرى للقرآن وجوها كثيـرة"، ومعنـى يرى أي يعلـم أن اللفظ يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها.

ثم أتى على ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن مرتبا إياها ترتيبا أبجديا بدءا من سـورة البقرة إلى آخر الناس.

وقد شـرح الشّـيخ محمّد بـاي بلعالم رحمه الله هذا النظم، وسماه "ضياء المعالم شرح ألفيّة الغريب لابن العالم" جاء في جزءين.

عبد الكريم حمو

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن التّومي بوشوشة (الشّريف)
(2421هـ - 7281م/1921هـ - 5781م)

محمّد بن التّومي بن ابراهيم هو الاسم الحقيقي للفارس الذي اشتهر بلقب الشّريف بوشوشة وعُرف به لاحقا. فارس وثائر ومقاوم ضد الاستعمار الفرنسي. ولد بوشوشة في بلدة الغيشة وسط جبال العمور والتي تنسب إلى أبناء عمْرو بن عبد مناف، ولا يعرف بالضّبط تاريخ ميلاده ويرجح أن يكون ذلك في مطلع القرن التّاسع عشر لكن البعض يحدد سنة 1827م كتاريخ لميلاده. ظهر هذا الفارس المقاوم في الصّحراء الشّرقيّة ضمن المجموعات المحاربة التي عرفت بالمداقنة وهي حركة تضم في صفوفها مجموعات مقاتلة من الشّعانبة والتوارگ/ التّوار وتكون قد تأسّست في حدود سنة 1869 بصحراء تيديكلت. مارس في شبابه حياة الفروسيّة مما جعله يتصف بالشّجاعة. تشير المعلومات المتداولة بشأنه إلى أنه تعرض للسجن بمنطقة معسكر سنة 1862 بعد اتهامه بالسّرقة لكنه فر من السّجن سنة 1863 واتجه جنوبا إلى منطقة فكّيك/ فقيق الواقعة على الشّريط الحدودي الرّابط بين الجزائر والمغرب، ومن فكيك انتقل إلى منطقة توات حيث تجمع حوله الأنصار والأتباع. ومنذ تلك الفترة شكل الشّريف بوشوشة أحد قادة المقاومة الشّعبيّة التي قادها سكان مناطق الجنوب ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، أما القادة الآخرون فنذكر منهم الشّيخ بوعمامة وبن النّاصر بن شهرة ومحمّد بن عبد الله. استقر بوشوشة سنة 1869م مع أنصاره وأتباعه بمنطقة عين صالح، وهو اسم يطلق على موقع عين الماء التي أقامها صالح رايس سنة 1552م فنسبت له. وفي عين صالح أطلق محمّد بن التّومي على نفسه لقب الشّريف استعدادا لخوض المقاومة. فبايعه الشّعانبة المواضي سكان تلك المناطق. وفي السّنة الموالية امتدت حركته إلى مناطق أوسع حيث بايعته قبائل الشّعانبة والمخادمة في ورگلة، فاشتهر في تلك الرّبوع وتكاثر أتباعه ومشايعوه، وتوسعت حركة المقاومة ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في الجنوب الشّرقي. وفي أبريل 1870م هاجم مدينة المنيعة/ القليعة وفي مايو 1870 استولى على مدينة متليلي بعد حصار دام عدّة أيام. وابتداء من هذا التّاريخ برز يوشوشة كقائد للمقاومة الشّعبيّة في الجنوب. وفي أواخر سنة 1870 اتجه إلى نواحي الرّويسات قرب توگرت بهدف تحريرها من الحاميّة الفرنسيّة المستقرة بها لكن محاولته لم يكتب لها النّجاح. فانتقل سنة 1871م إلى منطقة وادي سوف ومنها توجه إلى ورگلة التي تمكن من دخولها بعد هزيمة حاميتها الفرنسيّة يوم 5 مارس 1871م وكان له أنصار ساعدوه في الاستيلاء عليها. وعين بن النّاصر بن شهرة خليفة له فيها. بعد النّجاح الذي حققه في ورگلة جعل منها مركزا لتحركاته وعاد مرة أخرى إلى منطقة وادي سوف لكنه لم يلق التّجاوب الذي كان يأمله نظراً لوقوف بعض النّافذين هناك ضده.

تحول بعدها إلى العمل التّوعَوِي حيث راسل شيوخ القبائل وذوي النّفوذ في مختلف مناطق الجنوب الشّرقي لاستمالتهم للمقاومة. وفي 13 مايو 1871م توجه إلى توگرت ففتحت له المدينة أبوابها ودخلها وسط هتافات الرّجال وزغاريد النّساء وطرد حاميتها. وبعد أن أصبحت له قاعدتان في الجنوب الشّرقي هما ورگلة وتوگرت عاد إلى عين صالح مركز انطلاق عملياته ليعيد تنظيم حركته وحشد الدّعم لها وتوفير المؤونة والمعدات اللازمة لمواصلة جهود المقاومة. وفي يوليو/ جويليّة 1871م عاد إلى توگرت ليحافظ على ولائها له. ووقف إلى جانبه المقاوم بن النّاصر بن شهرة. واهتم بوشوشة بعدها بشراء الأسلحة والذخائر التي نشطت تجارتها في تلك الفترة انطلاقا من تونس. لكن بعد مناوشات حدثت بين مناصريه والمعارضين له بالمنطقة توجه إلى العطف بنواحي وادي مزاب رفقة مناصريه من شعانبة بوروبة وقبائل السّحاري الذين وقفوا إلى جانبه يعضدون حركة المقاومة التي كان يقودها. وهناك التّقى بكل من الزّبير ولد بوبكر ولد سيدي الشّيخ مع مجموعة من مناصريه الذين ينحدرون من الشّعانبة المواضي وبرزقة أحمد بن أحمد قائد الشّعانبة الذي كانت له سمعة كبيرة بتلك الرّبوع. وتشير الرّوايات المتداولة إلى أن الزّبير ولد بوبكر صار صهرا له وهو ما دفع بوشوشة لينصبه آغا على ورگلة خلَفاً لبن شهرة. ولما عاد إلى ورگلة وجد في استقباله كلا من بن النّاصر بن شهرة ومحمّد بن عبد الله وعددا من زعماء أولاد خليفة بالشّريعة من أحواز تبسة حضروا لتهنئته على النّجاحات التي حققها. وفي نوفمبر 1871م انضم إلى انتفاضة بوشوشة مجموعات من أتباع المقراني الذين توجهوا للجنوب بعد عمليات القمع التي جوبهت بها ثورة المقراني من طرف القوات الاستعماريّة الفرنسيّة. وفي هذه الفترة أصيب بوشوشة بجروح خطيرة خلال مصادمات جرت بينه وبين أتباع بولخراس بن كانة الذي عينته فرنسا قائدا على المنطقة. فانسحب إلى حاسي بوروبة وبعد شفائه قسم القوات التّابعة له إلى خمس فِرق، تولى هو قيادة الفرقة الأولى رفقة الزّبير بن بوبكر، وتشكلت الفرقة الثّانيّة من الشّعانبة والفرقة الثّالثّة من المخادمة والفرقة الرّابعة من أنصار بن النّاصر بن شهرة والفرقة الخامسة من المقرانيين الذين انضموا إليه. ودخلت تلك الفرق في مواجهات مع القوات الفرنسيّة التي كانت تلاحقهم بقيادة دو لاكروا. وتمكن هذا الأخير في 2 يناير 1872 من استعادة السّيطرة الفرنسيّة على كل من ورگلة وتوگرت.

وفي 9 يناير 1872 تمكنت القوات الفرنسيّة من السّيطرة على زمالة بوشوشة بما فيها من نساء وأطفال ومؤونة. كما فقد الثّوار العديد من أنصارهم ونهبت أموالهم. وكان من بين من قتلوا حفيد بن النّاصر بن شهرة. كما تم اعتقال شخصيتين من المقرانيين هما عبد العزيز بن محمّد قاضي وادي السّاحل ومحمّد بن حمودة قاضي مجّانة وتم نهب أموال شخص ثالثٌ هو السّعيد

بن بوداود. وتعرض بوشوشة بعد هذه النّكبة إلى محاولة اغتيال، كما تفرق أتباعه حيث توجه بن النّاصر بن شهرة مع المقرانيين إلى داخل حدود تونس بينما انسحب أنصار الزّبير بن بوبكر إلى عين صالح وتوجه هو إلى الجنوب الغربي حيث استقر في كرزاز. وفي سنة 1873م دخل في مواجهات مع القبائل الموالية لفرنسا. وشرعت القوات الفرنسيّة ابتداء من سنة 1874م في ملاحقته، بعد أن ضعف صفه، وسلطت عليه أحد الموالين لها فخاض معه معارك طاحنة في شهر مارس 1874 تم خلالها الاستيلاء على زمالتّه بما فيها أمواله. وانتهت تلك المعركة غير المتكافئة بأسر الشّريف بوشوشة جنوب عين صالح في 13 مارس 1874 م، وتم اقتياده ومن معه إلى ورگلة ومن ورگلة تم ترحيله إلى قسنطينة. وبعد عدّة شهور من اعتقاله، قدم للمحاكمة حيث حكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم بمعسكر الزّيتون يوم 29 يونيو/ جوان 1875م. يصفه الدّكتور عمار بوحوش أستاذ العلوم السّياسيّة بجامعة الجزائر بـ (القائد العملاق من الرّجال الجزائريين). دامت حركة المقاومة التي قادها بوشوشة حوالي ست سنوات حيث امتدت من سنة 1869 إلى 1874م لكن نظرا لضعف الإمكانيات التي كانت بحوزته وكذلك اتساع رقعة المناطق التي كان يتنقل عبرها توفي دون أن يحقق ما كان يسعى إليه لكن بعض أنصاره واصلوا النّضال من بعده تحت اسم (المداقنة/ المداقنات) في نواحي الهُگار والصّحراء الكبرى.

عامر بغدادي

المصادر:

ـ ثورات الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، يحيى بوعزيز، دار البعث، 1980.

ـ التّاريخ السّياسي للجزائر، د. عمار بوحوش، دار الغرب الإسلامي.

محمّد بن بادي الكنتي (بادي) (1313هـ - 1811م/1388هـ - 1968)

هو الشّيخ العلامة محمّد بن المختار الملقب بـ(بادي) بن محمّد (باي) بن سيدي محمّد بن المختار الكبير الوافي الكنتي القرشي.

وعُرف الشّيخ محمّد بن بادي عند أهل التكرور والأزواد بـ(سيدي حَمْ) وكنيته: أبو عبد الله.

ينتسب الشّيخ إلى قبيلة كنته المشهورة بتوات (أدرار) والممّتدة فروعها بالصحراء الأفريقيّة الكبرى، ينتهي عمود نسبها إلى سيدنا عقبة بن نافع الفهري دفين بسكرة وفاتح أفريقيّة.

ولد الشّيخ محمّد بن بادي سنة 1313هـ/ 1897م بأغلي الواقعة بالشّمال الشّرقي لكيدال بمالي (على الحدود الجزائريّة الماليّة)؛ من أسرة تنتمي للدوحة الكنتيّة الفهريّة، أشهر الأسر العالمة في الصحراء الجزائريّة والسّودان الغربي بله الصحراء الإفريقيّة الكبرى، فالمؤلف حفيد حفيد الشّيخ سيد المختار الكنتي الكبير (ت 1226هـ/ 1811م) صاحب الصيت الذائع بأرض الأزواد وبلاد التكرور عموما، وكانت له امتدادات روحيّة بمالي، وموريتانيا، والمغرب الأقصى، نشأ الشّيخ محمّد بن بادي في كنف والده المختار (بادي) بن محمّد باي الذي عهد به إلى أحد الشّناقطة يحفظه القرآن الكريم؛ ثم انتقل بعد وفاة والده إلى وصايّة خاله الشّيخ العلامة باي بن عمر الكنتي (ت 1348هـ)، فلازمه ونهل من علومه، فقرأ عليه علوما عديدة، كالفقه على مذهب الإمام مالك بمتونه المشهورة: متن الشّيخ الخضري في العبادات، والمرشد المعين، والرسالة، ومختصر الشّيخ خليل، وأكثر العاصميّة في القضاء؛ إضافة إلى علم الأصول، وعلمي النحو والبلاغة؛ كما تلقى على الشّيخ باي بن عمر أكثر كتب السّنة والحديث قراءة وإقراء؛ وكان الشّيخ باي يقدّم تلميذه بن بادي ويُنيبُه عنه في الدرس، ثمّ أقعده محله في التدريس للطلبة قبل وفاته؛ حتى عمّ صيته الآفاق، وتصدّر للتعليم والافتاء، وكانت له مراسلات ومناظرات مع فقهاء عصره تنم عن مكانته العلميّة، كان رحمه الله أشعري المعتقد، مالكي المذهب، قادري المشرب على نهج أسلافه الكنتيين.

توفي رحمه الله سنة 1388هـ/ 1968م.

شيوخه: الشّيخ أحمد بن عيسى الشّنقيطي الذي حفظه القرآن الكريم، والشّيخ العلامة باي بن عمر الكنتي (1348هـ)؛ الذي لازمه حتى توفي، وهو عمدته في العلم وإليه ينتسب وله عنه إجازة عامة بجميع مروياته، وأجازه كذلك الشّيخ محمّد يحي بن سليم اليونسي الولاتي، والشّيخ حماد السّوقي وغيره.

كانت للشيخ رحلات إلى مدن العلم المشهورة كالمغرب وشنقيط ونيجيريا وبلاد الهقار بالجزائر، حيث تُوِّجت بإجازات علميّة وحديثيّة لا زالت محفوظة بخزانته الخاصة بتمنراست من الصحراء الجزائريّة كإجازة الشّيخ محمّد يحي بن سليم الولاتي (ت 1354هـ) وغيره.

أخذ عنه جمٌّ غفير، واستجازه كثير من العلماء والفقهاء والشّيوخ نذكر من أبرزهم: الشّيخ مولاي أحمد البريشي؛ و الشّيخ محمّد الأمين ابن الشّيخ باي بن عمر الكنتي، والشّيخ محمّد بن محمّد الفقي الشّظنهاري، والشّريف مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني البداوي؛ والشّيخ الحاج عبد القادر بن سالم المغيلي... وغيرهم.

مؤلفاته وآثاره: يُعَدُّ الشّيخ ابن بادي من أبرز العلماء الكنتيين وأغزرهم إنتاجا على الإطلاق بأرض الأزواد؛ فقد ترك مؤلفات عدة في شتى مجلات المعرفة، تربوا عن 80 مؤلّفا مابين كتاب، ورسالة، ونظم، وشرح، واختصار، من أهمّها:

– سبل السّلام لمصالح الأنام المختارة من مصباح الظلام على نيل المرام من أحاديث خير الأنام من الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير

- الشّموس الطوالع في ظلام ما أحدث عند القبور من المناكر والبدائع.
- شرح على البيقونيّة سماه: (قرة العيون).
- مقدم العي المصروم على نظم ابن أُبّ لمقدمة ابن آجرّوم.
- مراتع الخريف شرح بغيّة الشّريف في علم الفرائض المنيف.
- حقائق الإرشاد والتنبيه على فساد العقد قبل الحكم بفسخ المختلف فيه.

وغيرها من المؤلفات النافعة؛ إضافة لجملة كبيرة من المنظوماز في فنون عديدة ومواضيع متعددة من أبرزها:

نظم لمُهمّات الشّيخ خليل في الفقه؛ نظم في علم المصطلح من 44 بيتا؛ منظومة في الطب وأخرى في التشريح..

ثناء العلماء عليه: قال عنه الشّيخ محمّد العتيق بن سعد الدين السّوقي المعاصر له: "هو أحد العلماء النحارير، والسّادة المشاهير، وهو الشّيخ المعروف بين الحاضر والبادي... ".

وحلاّه تلميذه النجيب الشّيخ محمّد بن محمّد الفقي بقوله: "كان -رحمه الله- آيّة في كل فن من معقول ومنقول، وفروع وأصول، وتفسير، فلا تراه إلا منشغلا بعبادة عامة أو خاصة، كتدريس وتعليم، وكتابة وتأليف، مع ما جبل عليه من السّخاء والجود في الشّدّة، والقيام بنفع الضعفاء، كالآرامل واليتامى والأيامى، وما جبل عليه من الشّجاعة واتباع الحق بحيث لا تأخذه في الله لومة لائم".

مصطفى حاج قويدر

مصادر:

- كتاب: «من أعلام التراث الكنتي المخطوط: الشّيخ محمّد بن بادي الكنتي حياته وآثاره»، حاج أحمد الصدّيق، طبع بدار الغرب، وهران، 2007م.
- كتاب: «بغيّة المستفيد من تراجم العلماء وسلسلة المشايخ الفضلاء في التصوف والطريقة القادريّة»، الشّيخ بن محمّد بن بادي الكنتي، اعتناء مولاي التهامي غيتاوي، مؤسسة البلاغ، باب الزوار، الجزائر، 2003م.

محمّد بن باسعيد (عيسى)
(خلال: 1355هـ - 1936م/1409هـ - 1989م)

أحد المثقفين الأكاديميين البارزين بقصر بنورة ولايّة غردايّة، هو عيسى محمّد بن باسعيد بن الحاجّ إسماعيل بن باسعيد بن الحاجّ إسماعيل بن سليمان بن إبراهيم، وأمّه عيسى عائشة بنت باحمد بن الحاجّ إبراهيم، توفّيت أمه وعمره ستّ (6) سنوات.

دراسته:

- **المرحلة الابتدائيّة**: تلقّى تعليمه الأولي بمحضرة بنورة وفي المدرسة الرّسميّة الاستعماريّة في مسقط رأسه بنورة.
- **المرحلة المتوسّطة والثّانويّة**: انتقل إلى الگرارة ليواصل التّعلّم بها في معهد الحياة تحت إشراف الشّيخ إبراهيم بيّوض، حيث زاول تعلّمه المتوسّط والثّانويّ خلال سنوات 1953 و 1958.
- **المرحلة الجامعيّة**: لم تكن المرحلة الجامعيّة سهلة بالنّسبة له، حيث أنّ الشّهادة التي تلقّاها من معهد الحياة لم تسمحْ له بالدّخول في الجامعة الجزائريّة. وهنا تجلّت إرادته الفولاذيّة وطموحه الكبير في الاستزادة من العلوم، حيث بدأ رحلته العلميّة بين البلدان.
- **تونس**: حيث حضر بعض الحلقات التّعليميّة كمستمع حر في جامع الزّيتونة بدايّة من سنة 1958؛ وبعد رجوعه من تونس، اشتغل في الإذاعة الجزائريّة الفرنسيّة، ومن هناك تحصّل على جواز السّفر للانتقال إلى الخارج.
- **الكويت**: خلال 1959-1961 انضمّ إلى كليّة الشّوِيَّخ الثانويّة.
- **مصر**: التحق بجامعة القاهرة، وهناك تدرّج في المستويات العلميّة وتميز في التحصيل حتى نال جميع الشّهادات الجامعيّة العليا.
- شهادة اللّيسانس في الجغرافيا: عام 1969
- شهادة الماجستير في الجغرافيا: عام 1976
- شهادة الدّكتوراه في الجغرافيا: عام 1983، برسالة تحت عنوان: "سكّان الصّحراء الجزائريّة 1954 - 1977؛ دراسة في جغرافيّة السّكّان".

تدريسه في الجامعة:

درّس مادّة الجغرافيا وعلم الخرائط بالجامعات الآتيّة:

- **جامعة الجزائر**: حوالي ثلاث سنوات في بدايّة السّبعينيّات، مع الدكتور المصري عمر باشا، وكان الأستاذ عيسى محمد الأستاذ الجزائري الوحيد في علم الخرائط آنئذٍ.
- **الجامعة اللّيبيّة**، كلّيّة التّربيّة، جامعة طرابلس بين 1980 و1982م.
- **جامعة قسنطينة**، معهد علوم الأرض مدّة عامين من سنة 1982 إلى 1984م.
- **جامعة صنعاء**، بالجمهوريّة العربيّة اليمنيّة مدّة ثلاث سنوات: من 1984 إلى يوم وفاته بها سنة 1987.

وممّا يتميّز به الدّكتور عيسى محمد عن كثير من أقرانه، ولَعُه الشّديد بالسّياحة والأسفار، وذلك منذ ريعان شبابه، فقد زار على سبيل المثال سويسرا عام 1959 (وهو ابن 22 عاما) وطاف كثيرا من دول العالم الأوربيّة والآسيويّة والأمريكيّة، واطّلع على ثقافاتها وتقاليدها، ما أثّر في شخصيّته

وزاد من ثقافته الواسعة، وحبّه الشّديد للعلم والفنّ والثّقافة، وأسهم في دماثة أخلاقه، فجعلته محبوبا لدى الشّباب ولا يكاد يستطيع مفارقتَه كلّ من يعاشره.

لقد ترك الفقيد مكتبة غنيّة بالكتب في مختلف المجالات والفنون، جمعها خلال دراساته وأسفاره الكثيرة، وقد أوصى بوقفها لطلّبة العلم لكي يستفيد منها الباحثون والمهتمون، وقد وضعها ذووه في إحدى دور العشائر ببلدته بنورة.

سقط الدّكتور شهيدا للواجب أثناء أداء مهمّته وهو يدرّس في محاضرة أمام طلابه بجامعة صنعاء بسبب ارتفاع ضغط دمويّ مفاجئ، ونقل إلى مستشفى الكويت العام بصنعاء، أين لفظ أنفاسه الأخيرة يوم الخميس 19/ 02/ 1987، ثمّ نقل جثمانه إلى مسقط رأسه حيث وُري التّراب بعد أسبوع بمقبرة الشّيخ حمّو موسى ببونورة.

يحيى بن بهون حاجّ امحمد

المصدر:

- استمارات معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التراث، الگرارة – غرداية، 3صفحات مرقونة.
- نبذة عن الفقيد من تحرير من الأستاذ عيسى محمد بن عبد الرحمن، مرقونة.

محمّد بن بكر بن يوسف الفرسطائي (أبو عبد الله)
(345هـ - 956م/ 440هـ - 1049م)

دفين بلدة أعمر بتگرت، وأحد أقطاب الإباضيّة في المغرب، ومن أبرز المصلحين الدّينيين والاجتماعيين، وصفه الدّرجيني بقوله: "هو الطّود الذي تضاءلت دونه الأطواد، والبحر الذي لا تقاس به الثّماد"؛ وهو خضمٌّ عظيم من جلائل السّير والآثار، ولنتبيَّنَ معالم شخصيّة نصنُّفها إلى محطّات هي: ولد الشّيخ أبو عبد الله بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة، شرقي مدينة كَبَاو، من مديريّة الحرابة التّابعة للالوت؛ ولم تحدِّد كتب السّير تاريخ ميلاده، فيجعله الجعبيري في الرّبع الأخير من القرن الرّابع الهجري، أي ما بين 375 و400هـ، وهو تاريخ غير محتمل، لأنَّ أبا عبد الله تتلمذ على يد الشّيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل بالقيروان، ويبدو أنَّ ذلك كان أثناء إقامته بالحامة بين يدي المعزِّ الفاطمي، أي قبل رحيله إلى مصر سنة 362هـ. إلاّ أنَّ علي يحيى معمَّر وسالم بن يعقوب يحدِّدان تاريخ ميلاده بسنة 345هـ، وهو الرّاجح.

أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه فرسطاء، ثمَّ تنقَّل بين عدّة مدن للاستزاده من الفنّون على يد أكابر العلماء في زمانّه: القيروان، وجربة، والحامة. ففي الأوّلى نهل من معيّن اللغة العربيّة وعلوم الآلة، وفي الثّانيّة ارتوى من علوم الشّريعة عند الشّيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مِسوَر بالجامع الكبير، وفي الحامّة عند شيخه أبي نوح سعيد ابن زنغيل، فكان من تلاميذه المتقدِّمين كما يذكر الوسياني في سيره.

سافر بعدها إلى قصطيليّة بحثا عن الشّيخ أبي عمران موسى بن زكرياء، ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلاّ أنَّ وفدا من جربة اضطرُّوه إلى التّحوُّل من مرحلة التّعلُّم إلى مرحلة التّعليم وتأسيس حلقة العزَّابة.

اعتمد أبو عبد الله على نفسه في توفّير مصدر قوته، فلم يشغله العمل العلمي والاجتماعي عن السّعي لكسب الرّزق بكدِّ يمينه، فقد اتَّخذ لنفسه غنماً وماشيّة يتنقَّل بها بين عدّة مناطق، متتبِّعا مصدر الكلأ، مثل نفوسة، ووادي سوف، ووادي أريغ، ووادي ميزاب. كما كان يملك ضيعات كثيرة منها ما أشار إليه الوسياني بقوله: إنَّ بني ورتيزلن غرسوا له خمسمائة (500) فسيلة (وحيين كلُّهنَّ وبلَّغن العشور).

تميَّز أبو عبد الله بتأسيسه لنظام هو الآيّة بين النّظم الاجتماعيّة القديمة والحديثة: نظام حلقة العزَّابة.

أطنبت المصادر في ذكر تفاصيل تأسيس هذا النّظام، فقد كانت المبادرة لوفد من طلبة جربة، التّقوا بالشّيخ وهو في طريقه إلى قصطيليّة – كما ذكرنا – وبلَّغوا إليه وصيّة شيخهم وشيخه – من قبل – أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور بأن يطلبوا منه تأسيس حلقة للعلم، فأبى أوّل الأمر، وبعد إصرارهم وإلحاحهم الشّديد لم يتركوا له بدًّا من القبول؛ فاشترط عليهم مهلة أربعة أشهر ليرتِّب فيها نظاماً محكماً ودقيقا للتسيير الحسن للحلقة، فوافقوا. وساعده في التّنظير والتّخطيط أستاذه فصيل بن أبي مسور، ولذلك عرف هذا النّظام بـ "السّيرة المسوريّة البكريّة".

ثمَّ شرع في تطبيق مبادئ هذا النّظام في أوّل حلقة له بغار في "تين يسلي"، وهي "بَلْدَة اَعْمَر" بالقرب من مدينة تگرت – جنوب شرق الجزائر حاليا –، وذلك سنة 409هـ/ 1018م، وإلى هذا التّاريخ نسب هذا الغار، وسمي بـ"الغار التّسعي"، وقد حُفر وجهِّز ونظِّم خصيصا لهذا الغرض.

لم يحصر أبو عبد الله هدفه في مجرَّد التّعليم الدّيني النّظري فحسب، وإنَّما سعى إلى غرس مبادئ الإسلام في طلبته، على إنّه منهج حياة، لا فصل فيه بين العلم والعمل، ولا بين النّصِّ والواقع.

ولذلك كان الشّيخ كثير السّفر مع طلبته في المغرب الإسلامي، من نفوسة شرقا إلى وادي ميزاب غرباً، يتعلَّمون

ويعلّمون النّاس أمر دينهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ونذكر من بين المناطق الكثيرة التي استقرّ فيها بحلقته: تين يسلي، قصطيليّة، طرابلس، لمايّة، جربة، تفاجالتّ، وادي أريغ، وغلانة، قنطرارة، وارجلان، باديّة بني مصعب. ولهذا عرف الشّيخ عند العامّة بـ: (سيدي محمّد السّايح).

وقد ضبط قوانين وأنظمة صارمة لتسيير الحلقة، فقسّم العُزّاب - جمع عزّابي من العزوب عن الدّنيا، والإقبال على الآخرة، وخدمة الصّالح العامّ. ولا تعني العزوبة عن الزّواج - إلى ثلاث مجموعات هي بمثابة المراحل التّربويّة المعروفة في عصرنا:

- الأصاغر - المرحلة الابتدائيّة
- الأواسط - المرحلة الثّانويّة
- الأكابر - المرحلة الجامعيّة.

ويورد الوسياني تفاصيل أكثر بقوله: "وكان [أبو يعقوب محمّد ابن يدر الزّنزفي] في أمسنان [بجبل نفوسة] عادته يجلب العزّاب المبتدئين من أهاليهم، ويعلّمهم الأدب والسّير، فإذا وصلوا الشّيخ محمّد بن سُدرين الوسياني أقرأهم القرآن والإعراب والنّحو، وإذا وصلوا الشّيخ أبا عبد الله محمّد بن بكر علّمهم الدّين والعلم والأصول. فمثّلوا هؤلاء الثّلاثة في أريغ وقالوا: أبو يعقوب القاطع للأعواد من الجبل حزمات، والنّجّار أبو عبد الله محمّد بن سُدرين يقطع الحزمات ألواحا، ويركّبها الشّيخ أبو عبد الله محمّد ابن بكر - رحمة الله عليهم - ويصلحها ويسنّيها".

وقد نظّم الشّيخ مجلسا للنساء، يتعلّمن منه، ويستفتينه في أمور الدّين والحياة، ومن العالمات اللائي تخرّجن على يده: أمّ البخت وأختها.

ولم يكتف الشّيخ بالجانب العلمي، فقد كان بمثابة الإمام في جميع الأمور والأحكام، وفي أخصّ الأحوال الشّخصيّة والعائليّة والاجتماعيّة.

فعلّم تلاميذه الاعتناء بشؤون المجتمع، وتبعوه في سيرته، وورثوا مبادئ هذا النّظام المحكم وورّثوه للأجيال من بعدهم.

ولا يزال نظام الحلقة قائما إلى اليوم في جميع قرى وادي ميزاب ووارجلان، يدير شؤون المجتمع: الدّينيّة، والأخلاقيّة، والثّقافيّة، والاقتصاديّة، والسّياسيّة...

اتّبع الشّيخ أسلوب الأسفار والتّنقّلات، التي يتعرّض فيها الطّلبة للشدائد والمحن، ويبلون البلاء الحسن، ليعرف الغثّ من السّمين، والحجر من الإبريز، ويوجّه كلاً إلى ما يصلح له: فمنهم من يصلح للقيادة الدّينيّة، ومنهم من يخصّص للتعليم، ومنهم من لا يصلح إلاّ لنفسه.

كما كان الشّيخ يعتمد على أسلوب فريد للإقناع والحجّة، بالاستعانة بالأمثال الواقعيّة للإفهام والتّغيير. حفظت كتب السّير كثيرا منها:

- بناؤه لمسجد فرسطاء، ولا تزال آثاره باقيّة للعيان.
- إسكاته لفتنة الفرقة السّكاكيّة، التي سعى لإشعالها أباد الله السّكّاك.
- إصلاح قبيلة بني ورزمار.
- إقناع سكّان بلدة "أغرم نتلزضيت" بالمذهب الإباضي، وقد كانوا قبل على الاعتزال.

يعدُّ تلاميذ الشّيخ بالمئات، من بلدان شتّى، ولعلّ من أوائلهم: زكرياء ويونس ابنا أبي زكرياء. ومن أبرزهم ابنه أبو العبّاس أحمد، وأبو بكر بن يحيى، ويعقوب بن يعدل، ومصالة بن يحيى، وأبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي الذي كان رديفه في سلسلة نسب الدّين.

من تآليفه: أوّل من ذكر من كتّاب السّير بأنّ لأبي عبد الله تآليف هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، في قوله: "وله في كلّ فنٍّ تآليف كثيرة"، وتبعه في هذه المقولة الدّرجيني في طبقاته والشّماخي في السّير: "له في كلّ فنٍّ تآليف كثيرة، أكثرها في الحجج والبرهان، لأنّه كان فيها ركن الأركان، وله في الأخلاق حكم وأقوال".

غير إنّهم لم يوردوا لنا ولو عنوانا واحدا من كتبه، والنّاظر في التّراث الإباضي من كتب السّير والفقه والعقيدة، يجدها تعجُّ بآرائه وحكمه؛ ومن ثَمَّ يتّضح لنا أنّ أبا عبد الله لم يؤلّف كتبا لقصد التّأليف، وإنما جمع له تلامذته فتاويه وحكمه وأخذها عنهم المؤلّفون لتعرف فيما بعد بتآليف أبي عبد الله.

وأشمل كتاب يجمع آراء الشّيخ وعلمه هو "كتاب التّحف المخزونة" لتلميذه سليمان بن يخلف، في جزأين.

أطنبت المصادر في ذكر مناقبه وصفاته الخلقيّة، ولا بأس أن نورد أنموذجا لشهادة بعض معاصريه فيه:

قال عنه أبو محمّد ماكسن بن الخير: "مثل أبي عبد الله مثل من قال الله تعالى فيه: ﴿هذا نذيرٌ من النّذُر الأوّلى﴾".

وقال عنه محمّد بن أبي صالح النّفوسي: "فيه خمس خصال قليلة في غيره من أهل العصر: عالم، ورع، عابد، سخي، شجاع، من ذروة نفوسة".

أجمعت المصادر على أنّ وفاة الشّيخ كانت سنة (440هـ/ 1049م)، وقبره في مقبرة قدّام غاره بآجلو، إلاّ أنّ أبا زكرياء يقول إنّ أبا الخطّاب عبد السّلام نزل أريغ سنة 441 هـ/ 1050م، فوجد أبا عبد الله يحتضر؛ وانفراده بهذه المعلومة رغم قدمه، يجعلنا نرجّح أن يكون التّاريخ تصحيفا من بعض النّسّاخ.



روضة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي ببلدة تجنينت بوادي مزاب

اهتمّ العلماء والباحثون بشخصيّة أبي عبد الله اهتماما كبيرا، فأفردوا له ولنظام الحلقة مؤلّفات ورسائل جامعيّة خاصّة، فضلا عن الفصول المطوّلة في كتب السّير والتّاريخ، ونذكر من الكتب والبحوث:

"الإمام أبو عبد الله محمّد بن بكر": للشيخ أبي اليقظان إبراهيم (مخ).

"نظام العزّابة بجربة: للأستاذ فرحات الجعبيري"، رسالة لنيل دبلوم الدّراسات المعمّقة.

- "نظـام العزَّابـة": للشـيخ متيـاز الحـاج إبراهيـم.
- "حلقة العزَّابة": للدكتور محمّد ناصر.
- "نظـام العزَّابـة": للأسـتاذ صالـح سـماوي، رسـالة لنيـل دبلـوم الدّراسـات المعمَّقـة.
- "النّظـم الاجتماعيّـة والتّربويّـة عنـد الإبـاضِيّة فـي مرحلـة الكتمـان": للدكتور عـوض خليفـات.
- مذكـرة ليسـانس حـول "حلقـة العزَّابـة": للطالـب خواجـة عبـد العزيـز.

ومع ذلك تبقى جوانب عديدة من موضوع نظام العزَّابة تحتاج إلى المزيد من الدّراسات المتخصِّصـة، خاصّـة من المنظـور التّربوي، والفكري، والاجتماعي، والحضاري ...

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:
- أبو زكرياء: السّيرة، 1/ 218، 232...
- الوسياني: سير (مخ) 1/ 44، 47، 157...
- معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التّراث، المطبعة العربيّة - غرداية، ط1، 1999، ج4، ص772.

محمّد بن بكير (ابن أيوب)
(1392هـ - 1972م/ 1436هـ - 2015م)

ولد بالعطف بميزاب، سليل عائلة عريقة، وأسـرة ماجـدة فـي عـرش عشـيرة آل حريـز بالعطـف اشـتهرت بالـورع والتّقـوى، تدرج في مختلف أطواره التّعليميّة بمسـقط رأسـه، التّعليـم الحر في مدرسـة النّهضـة ومحضرة المسجد العتيق، والرّسمي في مدرسة الشّيخ ابراهيم بـن مناد بالعطف، وواصل تعليمه في المرحلة المتوسـطة بمؤسسـة الشّيخ ابراهيم حـاج ايـوب ابراهيم القـرادي بالعطـف، إلى أن أتـم التعليم الثانوي بملحقـة ثانوية مفدي زكريـاء بالعطـف وحصولـه علـى شـهادة البكالوريا دفعة جويلية 1993.

الشّهادات العلمية:

تحصل على شـهادة الليسانس اختصاص اللغـة والادب العربـي مـن جامعـة الجزائر، سبتمبر 1997 عنوان المذكرة: قراءة في قصيدة لمفـدي زكريـاء - ابـن زيـدون بيـن العظمة والحب - إشراف الدّكتور حواس برّي.

تحصل على شهادة الماجستير اختصاص الأدب وقضايـا النّقـد مـن جامعـة الجزائـر، أكتوبـر 2000، عنـوان رسـالته: تطبيق شـبكة القراءة على رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة.اشراف الدكتور واسيني الأعرج.

حاز على شـهادة الدكتوراه علـوم بدرجة مشـرف جـدا مـن كليـة الآداب واللغـات تخصـص قضايـا الادب ومناهج الدراسـات النّقديـة والمقارنـة، جامعـة الجزائـر يـوم 08 10--2009 عنـوان الأطروحـة: العالَـم



الروائـي عند عبـد الحميد بـن هدوقة، بحث في مكونات البنية السّـردية، إشـراف الدكتور واسيني الأعرج.

المسار المهني:

التحـق بالتدريس بالمركز الجامعي ورقلة برتبة أستاذ مساعد (أ) بتاريخ 17-11-2001؛

حصل على شـهادة التأهيل الجامعي سنة 2001؛

شغل منصب أستاذ محاضر قسم (أ): 08-10-2009؛

أشرف وناقش العديد من مذكرات التخرج (الليسانس -ماستر -ماجستير)؛

رئيـس فرقـة بحـث بمخبـر اللسـانيات وتحليل الخطاب بجامعة ورقلة؛

عضو اللجنة العلمية بقسـم اللغة والادب العربي جامعة غرداية.

عضو فريق البحث:

تعليميـة النّصـوص بهـدف التخصـص والبحـث فـي مجـال اللغـة والأدب العربييـن بجامعـة غردايـة.

رئيـس اللجنـة العلميـة للملتقـى الوطنـي والدولـي الطفـل والكتـاب مـن سـنة 2006 إلـى 2012.

كان رحمـه اللـه بصـدد التحضيـر لإيـداع ملـف الأسـتاذية نهايـة سـنة 2015.

المقالات المنشورة:

مشـاركة بمداخلـة: تطـور الخطـاب السّـردي عنـد عبـد الحميـد بـن هدوقـة فـي الملتقـى الدولـي فـي تحليـل الخطـاب جامعـة ورقلـة مـارس 2003؛

مشـاركة بمداخلـة: تطـور الخطـاب الاسـتهلالي فـي السّـرد العربـي القديـم. فـي الملتقـى الدولـي الثانـي فـي تحليـل الخطـاب، جامعـة ورقلـة مـارس 2005؛

مشـاركة بمداخلـة: مقولـة الزمـن فـي الخطـاب الروائـي العربـي المعاصـر. فـي الملتقـى الدولـي الثانـي فـي تحليـل الخطـاب، جامعـة ورقلـة فيفـري 2007؛

مشـاركة بمداخلـة: إشـكالية الراهـن فـي الروايـة الجزائريـة، فـي اليـوم الدراسـي حـول الآداب والمجتمـع مـن تنظيـم قسـم اللغـات الأجنبيـة، جامعـة ورقلـة، أفريـل 2004.

مشاركة دورية في الملتقى الدولي للرواية:

مشاركة بمداخلة: بنية الوقفة الوصفية في روايات بن هدوقة، في الملتقى الدولي الخامس للروايّة.برج بوعريريج نوفمبر 2001؛

مشاركة بمداخلة: آلية قراءة الصورة البصرية، في الملتقى الدولي الثامن للرواية. برج بوعريريج نوفمبر 2004

مشاركة بمداخلة في الملتقى الدولي العاشر للرواية. برج بوعريريج ديسمبر 2007؛

مشاركة بمداخلة:القصة المكتوبة للأطفال في الادب الجزائري: مصادر القصة المكتوبة للأطفال، الملتقى الوطني الثاني للطفل والكتاب لجمعية الطفولة السّعيدة، مارس 2008؛

مشاركة بمداخلة: القصة المكتوبة للأطفال في الادب الجزائري: قراءة في المصادر والمرجعيات. الملتقى المغاربي للطفل والكتاب بالشّراكة بين المركز الجامعي غرداية وجمعية الطفولة السّعيدة. مارس 2010؛

مشاركة بمداخلة في الملتقى الدولي للطفل والكتاب بالشّراكة بين كلية الآداب واللغات بجامعة غرداية وجمعية الطفولة السّعيدة بالعطف. مارس 2012.

المقاييس التي اضطلع بتدريسها:

- الأدب العربي الحديث؛
- النّثر العربي الحديث والمعاصر؛
- السّرديات العربية؛
- الأدب الجزائري الحديث؛
- النّثر العربي القديم؛
- الأدب الشّعبي العامّ؛
- الأدب الشّعبي الجزائريّ.

أعمال مخطوطة قيد الإعداد:

- نحو منهج قرائي في تعليمية النّص الروائي؛
- دراسة نقدية في مشروع مراكز المطالعة للأطفال.

النّشاط الثقافي والاجتماعي والرّياضي:

كان عضوا بارزا وفعالاً في العديد من النّوادي الكشفية والجمعيات الثقافية ببلدته العطفاء أبرزها:

فوج النّهضة للكشافة الإسلامية الجزائرية بالعطف.

مجموعة الفن والأدب الإسلامي بالعطف (فوج المسرح)، حيث شارك في عديد الأعمال المسرحية في أدوار كثيرة مسرحيات تاريخية بالعربية الفصحى وأخرى اجتماعية وفكاهية باللسان الأمازيغي المزابي.

عضو إدارة جمعية الطفولة السّعيدة لولاية غرداية.

كان رحمه الله عداءً بارزاً في صباه وقد تحصل على المرتبة الأولى في سباق العدو على المستوى الجهوي بولاية بشار سنة 1987، وتأهل للمشاركة في السّباق الوطني بولاية سيدي بلعباس.

كان رحمه الله عضواً بارزاً في إدارة عشيرة آل حريز، إذ يعدّ إحدى ركائز لجنة الثقافة العاملة من خلال مشاركاته واسهاماته وفي تنشيط المشهد الثقافي بالبلدة عموماً.

كان عضوا عاملاً في الرابطة المسوريّة التي تضم الأساتذة الباحثين الجامعيين على مستوى قرى وادي مزاب.

يشهد له بالأخلاق الرّفيعة وتواضعه وحسن المعشر، كما كان رحمه الله مثالاً في الصّبر رغم معاناته من عدة أمراض مزمنة (السّكري والفشل الكلوي)، إلاّ أنه كان مثالاً يحتذى في الصبر واليقين والإيمان بالله، وكان حريصا على عمارة المسجد ومجالسّ الذّكر.

انتقل الى رحمة الله يوم السّبت 10 جانفي 2015 الموافق لـ 19 ربيع الأول 1436هـ عن عمر يناهز 43 سنة، وشيعت جنازته بمقبرة باعبد الله بمسقط رأسه العطف غرداية بحضور جمع غفير من عائلته ومحبيه وزملائه في جامعة ورقلة.

يحيى بن بهون حاج امحمد

مصادر:

- سيرة ذاتية من وضع الفقيد، أعدها للترشح للأستاذية أواخر سنة 2014.
- شهادات وإثراء للترجمة من قبل إدارة جمعية الطفولة السّعيدة بالعطف، وهو أحد أعضائها البارزين.

محمّد بن بكير بن محمّد أرشوم (1383هـ - 1964م /1432هـ - 2011م)



ولد ببريان، بميزاب، نجل الشّيخ بكير بن محمد أرشوم، سليل عائلة علم ودين، أخذ مبادئ العلوم بمسقطِ رأسه بريان، في مدرسة الفتح القرآنية، والمدرسة الرسمية ببريان، ثمَّ انتقل إلى الگرارة حيث استظهر القرآن الكريم يوم: 3 ماي 1981م.انتقل إلى معهد الحياة في نفس السّنة، للدراسة وطلب العلم على يد أساتذته ومشايخه، أمثال الشّيخ الناصر المرموري، والشّيخ عدُّون، والشّيخ بالحاج محمَّد بن بابه (ابن الشّيخ)، والشّيخ باجو صالح، والشّيخ بالحاج بكير (باشعادل)، تخرج من معهد الحياة سنة 1984م، عازما على التوجُّه إلى خارج الوطن لمواصلة الدراسة؛ ولكن بعد وفاة الشّيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي رحمه الله، طلب منه والده الشّيخ بكير أرشوم رحمه الله

البقاءَ معه في البلدة، للتفرُّغ للعلم وتدريبه على قيادة المجتمع، فتكوَّن على يديه مدَّة إحدى عشرة سنة حتى صار فقيهاً باحثًا، ومؤلفاً، وداعية مصلحاً، وما انفك يوماً عن طلب العلم، ومجالسّة العلماء حتى وافته المنية، اشتغل معلماً بمدرسة الفتح منذ سنة 1985، وأستاذاً محاضراً بمعهد الفتح للبنات ببريان إلى غاية وفاته.

عضو فعال بجمعية الفتح منذ 1997م، وشغل فيها منصب أمين المال والمنسق العام بين الوظائف والمهام، عضو حلقة العزابة منذ أفريل 1997م.

عضو فعال ومؤسس لرابطة الوعاظ وخطباء المساجد ببلدة بريان، عمل في إدارة عشيرته أولاد بالناصر، منذ سن مبكرة من شبابه، وبعد وفاة والده تحمل مسؤولية أكبر وأثقل، رفقة ثلة من إخوانه، إلى أن وافته المنية، مرشد بعثة الحجاج إلى البقاع المقدسة، مدة 14 سنة. جدير بالذكر أن المرض فاجأه وهو في المسجد، أثناء إلقائه درس وعظٍ وإرشادٍ للحجاج القاصدين بيت الله الحرام، ونقل من المسجد إلى المستشفى مباشرة، يعدّ من أساتذة ندوة الشّيخ عبد الرحمن البكري منذ عهد مؤسسيها إلى وفاته، تحمَّلَ مسؤولية الإفتاء بعد وفاة والده، وجَلسَ على كرسي الوعظ والإرشاد داعية ومرشداً إلى سبيل ربه في مساجد بريان، ومختلف جهات الوطن، إلى قبيل وفاته، كان العضد الأيمن لوالده في تأليف كتبه المبسطة للفقه، والإشراف على طباعتها، وقد أعاد طباعتها طباعة أنيقة في سنواته الأخيرة، شارك في تنظيم بعض مكتبات المخطوطات في وادي مزاب، وكانت له جهود بارزة في تنظيم المكتبات وإحيائها في بريان، شارك في عدة ملتقيات علمية، وندوات فكرية، وأيام دراسية؛ داخل الوطن وخارجه. آخرها، مشاركته بمحاضرة بعنوان "الفتوى في وادي مزاب، واقعا وآفاقًا"، في الملتقى الدولي الذي انعقد في تلمسان شهر ماي 2011م، نظم ملتقى وطنياً عن حياة والده، الشّيخ بكير أرشوم، تحت الرعاية السّامية لرئاسة الجمهورية، كان من الأعضاء الشّرفيين المؤسسين للقناة الخامسة للقرآن الكريم، كان متابعاً ومشرفاً على أعمال بناء مركب الفتح الجديد ببريان، من أعيان البلدة ومشايخها، لا يغيب عن حضور المناسبات الدينية والوطنية، يشارك فيها وفي إنجاحها، مصلح اجتماعي، ومرشد ديني، يقصده القاصي والداني، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، من أجل إصلاح ذات البين، وحل الخلافات الأسرية والزوجية، كان داعيا إلى السّلم والمصالحة، فكانت له رفقة ثلة من إخوانه مساع حثيثة حينما دعا إليها فخامة رئيس الجمهورية، بالرغم أن عائلته كانت إحدى ضحايا المأساة الوطنية.

من آثاره:

- (الواضح في التاريخ) (كتاب مدرسي من خمسة أجزاء).
- (صفحات مشرقة) من حياة الشّيخ بكير أرشوم رحمه الله، (حول حياة والده).
- "نصائح للزوجين".
- "المقررات المدرسية"، مخطوطة في مسودات.
- (خطب الجمعة)، (مخ).
- (خطب ومحاضرات فكرية وأدبية)، (مخ).
- دروس ومحاضرات سمعية وبصرية.

- من مشاريعه العلمية التي تركها:
- (الواضح في الفقه والعقيدة"، وهو كتاب مدرسي (مخ).
- (حو زواج أسعد)، توجيهات للمقبلين على الزّواج (مخ).

كما ترك بصمات واضحة ونوعية في عدَّة أعمال ومشاريع خيّرة، إذ كان المحرك الأساسي لها، منها:

- العرس الجماعي في بريان؛
- تربص تعليم الصلاة للأبناء في عطلة الصيف؛
- مركب التعليم المهني للبنات التابع لمدرسة الفتح؛
- حلقات تحفيظ القرآن النسوية؛
- دار الإفتاء والاستشارات الفقهية والقانونية...

سعى جاهدا لتنشيط الحركة الاقتصادية وتفعيلها في بريان، وذلك بتشجيع الشّباب ومرافقتهم؛ بالنصح والمشورة والفتوى.

امتاز بخصال أهَّلته للقيادة، وجعلته مقصد الكثيرين، وبوَّأته تلك المكانة التي عرف بها، ومنها:

- سعة الصدر وتقبل النصح والآراء، مهما كانت ناقدة.
- لا يحمل الحقد لأحد، بل يصفح ويعفو وينطلق إلى الأمام، ويراعي المصلحة.
- يلقى إخوانه دائما بالبشاشة والترحاب، ويسبقهم إلى الدعابة والمرح، ويتذوق النكتة الظريفة، ولم تغادر البسمة شفتيه إلى يوم وفاته.
- امتاز بروح الشّجاعة والإقدام، فهو لا يعرف التراجع ولا الإحجام، بل دليله عقله الراجح، وقلبه الصافي، ومشورة إخوانه.
- كثير المراجعة والمحاسبة لنفسه، والتدقيق في خططه ومشاريعه، وتعرف ذلك من خلال معاشرته، ومن خلال دفاتره ومذكراته.
- يجلس لكل قاصد إليه، ويسمع باهتمام لمن قصده يشكو، أو يطلب رأيا أو مشورة. ولا يتوانى في تقديم العون قدر استطاعته.
- كريم جواد معطاء، لا يعرف البخل، ولا يمسك يده عن خير.
- يعرف قدر الرجال، ولا تسول له نفسه أن يسبق ذوي الفضل والمكانة في كل عمل يقدم عليه، وذلك باستشارة من سبقوه في الميدان، ليستنير برأيهم وتجربتهم.
- غيور شديد الغيرة على حرمات الله، وخاصة إذا تعلق الأمر بالعرض والشّرف، وقضايا المرأة بصفة عامة.
- يسعى ويعمل جاهداً على نشر الأخوة والوئام والصلح بين المسلمين وتجسيدها، وينبذ الفرقة والخلاف.
- محب لوطنه، معتز بالانتماء إليه، ينافح من أجل الدفاع على وحدته، والذود على مكتسباته.
- فقهه مبني على التيسير ورعاية المقاصد، وفهم روح الشّريعة.
- يشجع المبادرات، ويحفز المبدعين، ويدفع بمن يعمل معه إلى الحركية والنشاط دائما.

ظل مرابطًا في ميدان العلم والتعليم، والإصلاح والإرشاد، إلى أن ألم به

المرض فجأة، نقل على إثره إلى عيادة الواحات بغرداية، ومنها إلى عيادة رفاق الفتح بالعاصمة، حيث وافته المنية مساء يوم الاثنين 31 أكتوبر 2011م، بعد ثلاثة أسابيع من المرض والعلاج، عن عمر يناهز السّابعة والأربعين، وشيع جثمانه في مسقط رأسه بريان، في موكب جنائزي مهيب، حضرته جموع غفيرة من المشيعين، ومن مشايخ وعلماء وسلطات مدنية وعسكرية لولاية غرداية، وذلك صبيحة يوم الأربعاء 02 نوفمبر 2011م.

وهو أب لخمسة أبناء: أربعة ذكور، وبنت، وله من الإخوة ستة.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

ترجمة معدلة من ترجمة أصلية نشرها الأستاذ الواهج يوسف بن الحاج يحيى (مرقون).

محمّد بن حفري
(1333هـ - 1915م/1424هـ - 2004م)

هو محمّد بن حفري الملقب بـ محمّد الصغير، ولد سنة 1915م وقيل: سنة 1916م بالمدية استنادا إلى ما أورده عن والده الذي لجأ إلى تغيير تاريخ ميلاده للتحايل على القوانين الفرنسيّة التي كانت تلزم الجزائريين بالخدمة في الجيش الفرنسي الغاشم.

كان الشّيخ محمّد الصغير كبير إخوته الذكور والإناث، نشأ في حي الرمالي على حب خدمة الأرض والزّراعة فيها، لكنه كان ميالا أكثر إلى العلم والمعرفة، وهذا ما جعله يختلف مع والده الذي كان يتمنى أن يرى ولده البكر خليفة له في فلاحة الأرض وزراعتها، وتربيّة المواشي.

قرأ الشّيخ القرآن الكريم على يد الشّيخ "سي علي خاوة" وعند إتمامه لحفظه ذبح والده ثورا ووزعه على فقراء الحي، وعندما سمع أن هناك شيخا علامة في مدينة قسنطينة يدعى الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" غامر وذهب إلى قسنطينة للتلقي على يد الشّيخ عبد الحميد بن باديس، لكن الأمور جرت على عكس ما كان يريده الشّيخ محمّد، فقد تفاجأ بوالده قادما من المديّة ليرجعه إليها رغم كثرة توسله ورفضه للعودة إليها، وأنه لا يريد خدمة الأرض بل يريد التعلم والتّفقه في الدين، لكن والده أصر على إرجاعه بالقوة، فكانت هذه الحادثة نقطة سوداء في حياة الشّيخ محمّد.

ولم يكن يتصور والد الشّيخ محمّد أن ابنه سيختار طريقا أخرى غير الطّريق التي رسمها هو في تصوره، ولم يكن من أولئك الذين يقدرون العلم وفوائده بل كان يعتقد أن حفظ كتاب الله كاف لأن يكون الإنسان مطلعا وعارفا بأمور الدين والدنيا.

وبمرور أسابيع من رجوع محمّد من قسنطينة ظل يستجدي والده ويستعطفه ويحاول إقناعه للرجوع إليها مرة أخرى، لكن والده لم يقتنع بذلك وأصر على موقفه ورفض التنازل عن قراره مما جعل الشّيخ محمّدا يخطط للهروب مرة أخرى من بيت والده.

وفي إحدى الليالي كان الشّيخ محمّد نائما في غرفة والده فلما أتت والدته باكرا لتوقظه للذهاب إلى الحقل كالعادة لم تجده هناك ولم تجد الفراش أيضا، فأبلغت والده الذي سارع إلى الذهاب إلى المدينة ليستفسر عنه عند بعض المقربين منه، فأبلغوه أنه سافر إلى قسنطينة رفقة فلان، فعقد العزم على الذهاب إلى قسنطينة لإرغامه على الرجوع مرة أخرى، لكنه لم يفلح هذه المرة، لأن الشّيخ بلغه نبأ قدوم والده فاختفى عن الأنظار، فلم يجد والده من بد سوى الاتصال بالشّيخ عبد الحميد بن باديس في "المسجد الأخضر" وقدم له شكواه، لكن حكمة الشّيخ ابن باديس أثرت في والد الشّيخ محمّد الذي لم يجدا إلا الرضوخ لرغبة الشّيخ ابن باديس في ترك ابنه في قسنطينة لتحصيل العلم والمعرفة.

كانت فترة الدراسة في الجامع الأخضر بقسنطينة فترة حاسمة في حياة الشّيخ محمّد، فقد استطاع في وقت قصير أن يثير إعجاب الشّيخ ابن باديس الذي قربه منه كثيرا، فهو الذي يأتي له بالطّعام من البيت ويكلفه بمهام عند أهله فأخذ عنه الكثير من الخصال والمبادئ التي رافقته إلى نهايّة حياته مثل: حب الوطن والنّاس والصراحة وعدم التملق والكف عن الكلام في النّاس وعدم الإكثار من الحديث.

استطاع الشّيخ محمّد أن يحصل العلم في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاث سنوات أو أربع لكنها كانت كافيّة لتأهيله إلى مستوى المعلم، فعاد إلى المديّة وفي جعبته شهادة كانت تمنحها جمعيّة العلماء المسلمين، فعينته مدرسا في إحدى مدارسها بالعقيبة بالجزائر العاصمة إبان الحرب العالميّة الثانيّة.

ثم عيّن من طرف جمعيّة العلماء المسلمين مرة أخرى معلما في مدرسة بسيدي بلعباس فمكث هناك عشرة أشهر، وعاد إلى المديّة بعد مرض والده، فبعث إليه الشّيخ البشير الإبراهيمي رسالة يدعوه فيها إلى العودة إلى سيدي بلعباس فامتثل وعاد مرة أخرى. ثم رجع إلى المديّة بعد استفحال مرض أبيه الذي توفي عام 1949م، وبعد ذلك تكفل الشّيخ محمّد بأسرته فأعال كل إخوته من خلال التدريس بالمدرسة الزّبيريّة والعمل بالأرض والفلاحة.

عندما اندلعت الثورة التحريريّة عام 1954م دخل الشّيخ محمّد في النّضال فزيادة على تربيّة النّشء ظل الشّيخ مناضلا في جمعيّة العلماء المسلمين من خلال جمع التبرعات للثورة في بدايتها، والاتصال بين المجاهدين فصار مطاردا من قِبل الاستعمار وجنوده، فهرب إلى العاصمة لكنه لم يتمكن

من العودة إلى المديّة فهاجر إلى تونس مشيا على قدميه منطلقا من "أولاد بوعشرة" مع كثير من المجاهدين المعروفين من بينهم: "عبد القادر المازوني" و"محمّد بن تركيّة" ودامت الرحلة أكثر من شهرين عانى خلالها المجاهدون الأمرين من برد وتعب وجوع ليستقر بهم المقام في تونس العاصمة، ثم عين في مدرسة أبناء الشّهداء الجزائريين في "المرسى" بإحدى ضواحي العاصمة التونسيّة.

كان الشّيخ محمّد يفضل أن يكون مجاهدا يقاتل الجنود الفرنسيين، لكن قادة المجاهدين فضلوا أن يكون معلما يقدم خدمات تعليميّة نظرا لتقدمه في السّن فمكث في تونس من 1957م إلى 1960م لينتقل إلى العاصمة المغربيّة الرباط عن طريق روما ويلتقي هناك بالعديد من أبناء المديّة أمثال الشّيخ "حسين سليماني" و"محمّد بن تركيّة" الذي التقاه في بدايّة رحلته إلى تونس.

كان يوم 05 جويليّة 1962م حدثا بارزا في حياة الشّيخ محمّد بن حفري فقد عاد إلى وطنه وإلى أسرته، فعمل في مقهى منحته إياه جبهة التحرير الوطني بمشاركة عبد القادر المازوني وخليل بورويس، لكنه انسحب من المقهى وفضل العودة إلى التدريس بالمدرسة الزّبيريّة التي تقاعد منها عام 1976م ليتفرغ بعد ذلك للدروس في المساجد تطوعا ليعين بعد ذلك إماما بمسجد "إبراهيم بن دالي".

توفي رحمه الله في السّادس من شهر جويليّة عام 2004م.

رابح دوب

المصادر:

- عبد العزيز خليل الشّرفي، معجم أعلام المديّة، مؤسسة شيكو للطباعة والنّشر، الجزائر، دط، دت.

محمّد بن حواء المستغانمي
(ت: 1180هـ - 1767م)

محمّد بن محمّد الموفق (المشهور بأمه حواء) بن محمّد بن قدّار بن الجيلاني بن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن عمر بن عيسى التّوجيني نسباً، الراشديّ إقليماً، المستغانمي منشأً ودارًا. فهو ينتسب لـ(بني توجين) القبيلة البربريّة التي كانت تقطن بنواحي معسكر، ومن أعلامها (عيسى بن موسى التوجيني) صاحب منظومة الغوثيّة المتوفى سنة (962هـ/ 1555م)، ويرجع أصله إلى (بلاد الراشديّة) نسبة لمؤسسها راشد بن المرشد القرشي، ويطلق عليها اليوم اسم (معسكر)، وهو من مدينة (مستغانم) من حيث الميلاد والنشأة.

وصفه أبو القاسم الحفناوي في تعريف الخلف (2/ 202) بـ"الشّيخ الهمام، من ألقت إليه العلوم العربيّة زمامها، ونشرت عليه المعارف القدسيّة أعلامها، حتى تضلّع من عذب مواردها وارتوى، الولي الشّهير سيدي محمّد بن حواء. كان رحمه الله ورضي عنه ممن جمع الله له بين العلم والعمل، فنال بذلك عند الله الرتبة العليا والمقام الأمثل، وله يدٌ طولى وولوع بالمنظوم، فإذا نظم فخلّ عنك اللآلئ وزهر النجوم".

عاش (الشّيخ بن حواء) في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وقد شهد هذا القرن أحداثاً جساماً، أهمّها فتح مدينة وهران الأول على يد داي الجزائر (محمّد بكداش) سنة (1119هـ/ 1708م)، وقد كان حدثاً عظيماً احتفلت به الجزائر كلّها، إذ شهد طرد الإسبان من المدينة بعد احتلال دام قرنين من الزمان، وقد أبدع الشّعراء في وصف هذا الفتح وتخليد أحداثه، وتسابقوا في مدح (محمّد بكداش) قائد هذا الفتح والمخطط له، ومن الشّعراء الذين خلّدوا هذه الذكرى شاعرٌ من مستغانم اسمه (ابن عبد الله محمّد المستغانمي) بقصيدة عنوانها (الكوكب النائر في مدح أمير الجزائر) يقول في أوّلها:

أَطْلَعَةَ البَدْرِ قَدْ نُوئِيْتِ عَنْ نَظَرِي
فَهَلْ سَبِيْلاً لِرُؤْيَاكُمْ يَقِي ضَرَرِي
كَتَمْتُ دَمْعِي فَأَلْقَتْهُ مَحَاجِرُهُ
وَصُنْتُ سِرِّي فَأَبْدَتْهُ يَدُ القَدَرِ
فَلَمْ أَجِدْ لاكْتِتَامِ الدَّمْعِ مَمْلَكَةً
وَلَمْ أَجِدْ لِظَلامِ الحُبِّ مِنْ قَدَرِ
إِذَا بِرِيْحِ الصَّبَا هَبَّتْ وَقَدْ سَكَنَتْ
رِيْحُ الدَّبُورِ فَزَالُ الغَيْمُ عَنْ بَصَرِي

ولم يذكر (محمّد ابن ميمون) الذي روى هذه القصيدة في كتابه التحفة المرضيّة شيئاً عن صاحبها إذ اكتفى بذكر اسمه فقط، غير أنّ مؤلفي موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين (1/ 110) نسبوا هذه القصيدة للشيخ (محمّد بن حواء المستغانمي)، فهل هي له فعلاً أم هو مجرّد تشابه في الاسم بين شخصين مختلفين؟ خصوصاً أنّ الحفناوي لم يذكر القصيدة من جملة آثار الشّيخ (المستغانمي) وكذلك أبو القاسم سعد الله.

والذي يهمنا في هذه القصيدة هو التعبير عن أهميّة فتح وهران على الجزائر سكاناً وثقافةً وديناً، فالحدث جلل، يدعو إلى الفخر، خصوصاً أنّ مدينة مستغانم التي ينحدر منها (الشّيخ بن حواء) متاخمة لمدينة وهران، وقد عانت من قبل من غزو الإسبان الذين أمكن دحرهم بعد معارك ضاريّة، أهمّها معركة مزغران (965هـ- 1558م) التي انتصر فيها الأهالي، ولا شكّ أنّ المضايقات ظلّت مستمرة من الاحتلال الإسباني الذي تمكن من الاستلاء على وهران، ومن المؤكّد -أيضًا- أن شظايا المناوشات التي كانت تحدث من حين لآخر كانت تؤذي أهل مستغانم وتصيبهم، ومن المستيقن أن (الشّيخ بن حواء المستغانمي) تفاعل مع هذا التحوّل التاريخي الكبير، كما نتوقّع أنه تفاعل مع النكسة التي قوّضت هذه الجهود وقزّمت

الانتصار بعودة الإسبان مجدداً، واحتلالهم مدينة وهران سنة (1144هـ/ 1732م)، وهي كارثة عظمى جعلت المدافعين عن المدينة يفرّون باتجاه المدن المجاورة كمستغانم ومعسكر طلباً للسلامة، وفراراً بأنفسهم ودينهم من انتقام المحتلين.

وقد كان لهذا الحدث وقعه السّلبي على نفوس الجزائريين، وخصوصاً أهل المنطقة الغربيّة، الذين لم يهدأ لهم بال إلا بعد دحر الإسبان مجدّداً واجتثاثهم من وهران بعد وفاة الشّيخ (بن حواء المستغانمي) بنحو ربع قرن، عندما زحف نحوها (محمّد بن عثمان الكبير) باي معسكر سنة (1205هـ/ 1791م) وحاصرها عاماً كاملاً تُوّج بالنصر المؤزّر.

توفي الشّيخ (محمّد بن حواء المستغانمي) بمسقط رأسه في مدينة مستغانم سنة (1180هـ/ 1767م) كما صرّح بذلك أبو القاسم سعد الله، وقبره خارج السّور القديم للمدينة عليه قبة مشهورة في مقبرة تعرف باسمه إلى اليوم.

لقد ترك الشّيخ (بن حواء المستغانمي) العديد من المؤلفات، نذكر منها:

- منظومة في علم المواريث، فرغ من نظمها يوم الإثنين الفاتح من جمادى الأولى سنة (1142هـ/ 1729م).
- كتاب في فن الحكمة، ذكره الحفناوي وقال: "لم أقف عليه".
- أرجوزة الرّيحانة المروحة على القلوب المتقرحة، ونظمها سنة (1176هـ)، أدرجها المؤرخ أبو القاسم سعد الله ضمن شعر التصوّف والوعظ.
- منظومة الغوثيّة الكبرى، وتقع في أربعمائة (400) بيت، فرغ من نظمها سنة (1167هـ)، يقول في مطلعها:

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهِ العَفُوَّا
محمّد الشّهِيرُ ابْنُ حَوَّا
الحَمْدُ للهِ العَظِيْمِ الطَّوْلِ
الوَاسِعِ الجُودِ العَمِيْمِ الفَضْلِ
الصَّادِقِ الوَعْدِ اللَّطِيْفِ البَرِّ
المُسْتَجِيْبِ دَعْوَةَ المُضْطَرِّ

- سبيكة العقيان فيمن حلّ بمستغانم وأحوازها من الأعيان، وهي منظومة في مائة وواحد وستين (161) بيتاً يتحدّث فيها عن علماء مستغانم وصلحائها في مختلف العصور، وهي إجابة عمّن سأل عن علماء مستغانم، وردّ على من وصف سكانها بقلة العلم والمعرفة، يقول في بدايتها:

يَقُولُ عَبْدُ الكَرِيْمُ مُذْنِبُ
سَلِيْلٌ مِنَ الأُمِّ حَوَّاءَ يُنْسَبُ
مِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللهِ ذي الجَلالِ
سُبْحَانَهُ المُنْعِمِ ذي الأَفْضَالِ
ثُمَّ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ الخَاتِمِ
أَزْكَى الصَّلاةِ والسّلامِ الدَّائِمِ
فَهَا أَنَا مُنَاضِلٌ عَنْ وَطَنِي
وَمَوْلِدِي وَمَرْضَعِي وَمَسْكَنِي
بِالبَلَدِ المَحْرُوسَةِ مُسْتَغَانِمِ
وَحَوْزِهَا مِنْ سَادةٍ أَعَاظِمِ

حبيب بوزوادة

مصادر:

- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف (2/ 202).

عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ص397.

محمّد بن راس العين
(ت: 1057هـ - 1647م)

محمّد بن راس العين، ويعرف بالأندلسي، لأن عائلته تنحدر من النّازحين الأندلسيين إلى الجزائر، هو كاتب وشاعر ورحّالة جزائري، كان معروفا مع بدايات العهد العثماني، مما يعني أنه عاش في مدينة الجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري أي السّابع عشر الميلادي، لكن دون تحديد دقيق لتاريخ ميلاده أو وفاته. ونذكر من شيوخه الشّيخ علي الأنصاري بن عبد الواحد، وهو من أصول مغربية استوطن الجزائر وتوفي بها سنة 1057 هـ. وعرف عن محمّد بن راس العين أنه كان ينوب الشّيخ سعيد قدورة في صلاة الجمعة بالجامع الكبير، وعضوا فاعلا في جمعية أحباس اللاجئين الأندلسيين بالجزائر،



واشتغل لبعض الوقت كاتبا في ديوان باشا الجزائر مع منتصف القرن السّابع عشر. وصفه الشّيخ المهدي بوعبدلي بأنّه من أكبر علماء عهده، وأنّه من طليعة الكتاب والأدباء في العهد العثماني، بينما قال عنه أحمد بن محمّد المكناسي المعروف بابن القاضي صاحب كتاب (درة الحجال في أسماء الرّجال) بأنّه رجل جَوّاب ورحّالة من أهل الجزائر، وله مدائح في النّبيﷺ وله ديوان شعر ومقامات. ومما يروى عنه أنه يكون قد زار العراق في إحدى رحلاته.

لم يتعرض علماء التراجم والأنساب سواء من الجزائريين أو غيرهم لحياة محمّد بن راس العين إلا في النّادر، ولعل الشّيخ (المهدي بوعبدلي) هو من أشار إليه عبر الكشف عن الرسائل التي كان

يكتبها في عصره، وعلق عليها في إطار دراسته للحياة الثّقافيّة في العهد العثماني باعتبار تلك الرسائل من الأدب الرفيع. كما أن الكاتب الفرنسي Devoulx، الذي كان مكلفا بإدارة الأملاك بالجزائر مع بدايات الاحتلال الفرنسي، هو من أتى على ذكره في مؤلفه الذي خصّصه لتصنيف، وجمع وثائق الحبوس وسماه (المؤسسات الدينية في الجزائر/ institutions religieuses en Les Algérie). وجاء ذكر محمّد بن راس العين من طرف الكاتب الفرنسي المذكور في إطار حديثه عن تاريخ الجامع المالكي في الجزائر العاصمة خلال عهد الشّيخ سعيد قدورة مفتي المالكية في تلك الفترة وقال بشأنه إنّ الشّيخ قدورة كان ينوبه أربعة أئمة في صلاة الجمعة، وكان من بينهم الشّيخ محمّد بن راس العين.

وثّق الشّيخ المهدي بوعبدلي الرّسائل التي كتبها محمّد بن راس العين ووصف أسلوبها بأنّه بليغ وجعلها في طليعة رسائل النّثر الفنيّ خلال العهد العثماني. وكان بن راس العين يكتبها سواء بتوجيه من باشا الجزائر إلى أهل المدن والحواضر أو يوجهها هو نفسه إلى شخصيات أخرى في إطار مساجلات. ونورد فقرات من إحدى تلك الرسائل التي أرسلها باشا الجزائر إلى سكان تلمسان بعد أن وقع خلاف بينهم وبين المفتي المالكي الذي كان في الوقت نفسه ناظر الأحباس. يقول ابن راس العين في تلك الرّسالة: " الحمد لله الذي أسبغ روح إحساننا على الأنام، فكان الحظ الوافر منه لعلمائنا الأئمة الأعلام، وأفاض بحر عدلنا الوافر على الأول منهم والآخر، فلله الحمد سبحانه على ما أولانا إذ فضلنا على كثير من عباده وولاّنا، وجعل عموديْ بيت دولتنا السّعيدة عدلا وإحسانا، وجمع فيها القلوب، وألف بين المتنافرين من الصبا والجنوب، المتقاطعون في أيامها الرّشيدة إخوانا، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد المصطفى الكريم، الذي أنزل عليه ولا تستوي الحسنة والسّيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم...". ويقول في رسالة أخرى وجهها باسم سكان الجزائر إلى السّلطان العثماني حول ثورة الشّيخ أحمد بن الصّخري شيخ العرب الذّواودة التي جرت أحداثها في 12 جمادى الأول سنة 1048 هـ الموافق 20 سبتمبر 1638 م ضد مراد باي قسنطينة بعد أن قام بإعدام أخيه محمّد بن الصخري شيخ العرب وابنه ومجموعة من أعيان قبائل الذّواودة في صفر 1047 هـ الموافق لشهر يونيو/ جوان 1637 م. وتمّ في تلك الثّورة التي عمت الشّرق الجزائري هزيمة الباي مراد واضطراب الوضع في قسنطينة. ومن بين ما جاء في تلك الرّسالة: "...أهل بلد الجزائر أحاطها الله، وأريحيتهم كفيلة بنيل أمانيهم، وتشييد مبانيهم، أما بعد، أدام الله رفع بنودكم ونصر أعوانكم وجنودكم وخفق راياتكم، وظهور آياتكم، فبلدتنا هذه كانت قبل اليوم محطّ رحال، ومعدن جمال ومرسى جمال، ومقرّ مواكب ومجرى سوائق، ما بغى عليها باغية إلاّ خاصموه ولا طاغية إلاّ حاربوه فهزموه وفطموه...". وتعد تلك النّماذج صورة حيّة من أدب المراسلات، وأسلوبها البليغ جعل محررها محمّد بن راس العين في مصاف أئمة النّثر في عهده.

وبالإضافة إلى براعته في فن الرّسائل، كان بن راس العين شاعرا جزالا. ونورد في ما يلي نماذج مختصرة من شعره. قال معزيا نفسه في أبيات من الشّعر:

يا بن راس العين صبرا
قد أعيد الحلو مرا
ومضت تلك الليالي
وأعيد الوصل هجرا

وقال في رسالة وجهها للأديب محمّد بن الشّياح في عصره:

ابن شياح سيدي
يا حبّذاك ماجدا
عجبت من تصديق مثـ
لك اللعين الماردا
وإنه يُميل غص
نك النّظير المائدا
كونوا كما شئتم فما
العبد عليكم واجدا

عامر بغدادي

المصـــادر

الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ناصر الدّين سعيدوني والمهدي بوعبدلي.

محمّد بن رحال
(2712هـ - 1858م/1297هـ - 1928م)



هو محمّد بن حمزة بن بشير بن رحال، سليل أسرة عريقة تتمتّع بمكانة علميّة وسياسيّة متميّزة، فقد كان والده (حمزة بن رحال) من أكبر علماء بلاده وهذا ما جعل (الأمير عبد القادر) يعيّنه سنة (1839م) إماما وقاضيا على (ندرومة)، وثبّتته السّلطات الفرنسيّة في منصبه وعيّن آغا سنة (1858م)، ولد في الثّالث من شوّال 1227هـ/ 16 ماي1858م (بندرومة) (تلمسان).

اهتمّ والده بتربيته وتعليمه، فأدخله إلى المدرسة الرّسميّة الأولى المزدوجة اللّغة (بندرومة) الّتي فتحت أبوابها سنة (1865م)، كما كان يتردّد على كتّاب حيّه، فحفظ القرآن الكريم، كما تشرّب الثّقافة الصّوفيّة من محيطه الاجتماعي والزّاويّة

الدّرقاويّة، ثم انتقل إلى مدينة (الجزائر) لمواصلة تعليمه الثّانوي من سنة (1870م) إلى سنة (1874م)، وكان أوّل شاب جزائري تحصّل على شهادة الباكالوريا سنة(1874م) وسنّه لم يتجاوز 16 سنة، وقد مكّنه تكوينه الدّراسي من إتقان اللّغة الفرنسيّة واستيعاب ثقافتها، ممّا جعله يشارك في المعرض العالمي(بباريس)، حيث كان قامة ساميّة بثقافة مزدوجة ما جعله يتعرّف على مظاهر الحضارة الغربيّة، ومخالطة الأوساط السّياسيّة والثّقافيّة، فاغتنم هذه الفرصة للالتحاق بجامعة (السّوربون) ونال شهادة اللّيسانس في الآداب الفرنسيّة، لكن ذلك لم يجعل ابن رحال ينسلخ من هويّته رغم مواقفه الّتي دعت إلى التّفتح وهذا ما أكّده حين قال: " بالتّأكيد لا يجب أن نتقبّل ما تقدّمه الحضارة الغربيّة بأعين مغمضة ".

واتّفقت المصادر والمراجع على إتقانه للفرنسيّة بشكل راق حتّى تفوّق على الفرنسيين في الخطابة، وليس هنا الإشادة باللّغة الفرنسيّة لغة المستعمر وقتئذ، لكن ابن رحال استخدمها كسلاح في مشواره السّياسي أمام الإدارة الفرنسيّة.

تقلّد منصب خليفة الآغا سنة(1876م)، وبعدها تولّى وظيفة قائد (ندرومة) إثر استقالة أبيه عنها سنة(1878م)، ولكنّ نفسه ضاقت بهذا المنصب الفارغ من المحتوى فاستقال منه سنة (1884م)،ليتفرّغ للدّفاع عن مصالح الجزائريّين عندما أصبح متحدّثا عنهم و ممثّلا لهم أمام لجنة مجلس الشّيوخ لسنة (1891م)، وقد عاش (ابن رحال) عهد (لويس تيرمان)، ونشأة قانون الأهالي (الإنديجينا) البغيض، وتجريد القضاة المسلمين من صلاحياتهم، وتغيير الحالة المدنيّة، فرفع عقيرته أمام اللّجنة المذكورة، وجرّد قلمه للدّفاع عن حقوق الجزائريّين في التّعليم باللّغة العربيّة، وفي التّمثيل البرلماني، والمحافظة على تطبيق الشّريعة الإسلاميّة، ومن أجل ذلك سافر مع زميله الطّبيب (محمّد بن العربي) إلى (فرنسا) سنة (1894م) لتبليغ صوت الجزائريّين إلى السّلطات الفرنسيّة، فوضع تقريرا في شكل عريضة، ونددّ فيه بالاستبداد الممارس على الجزائريّين، وطالب بمجموعة من الإصلاحات الّتي تمس مجال الضّرائب والقضاء، وطالب بتوسيع وتنظيم التّعليم لدى الجزائريّين وضرورة إدخال اللّغة العربيّة في كلّ مراحل التّعليم، وتنظيم القروض في مجال الزّراعة، كما طالب في آخر هذا التّقرير بحق التّمثيل النّيابي للأهالي في البرلمان الفرنسي، ووجّه (محمّد بن رحال) عريضة للوزير(كومبس/ E. Combes) يطالب فيها بإعادة تنظيم التّعليم العربي في (الجزائر) واقترح تأسيس مدرسة عليا في (الجزائر).

سنة (1897م) شارك في (باريس) في مؤتمر المستشرقين وألقى محاضرة عن الإسلام، أكّد فيها إيمانه في نهضة حتميّة للعالم الإسلامي، فقد كان غيورا متّقدا متحمسا للإسلام، وكان يرى بأنّ تخلّف الجزائريّين والمسلمين عامّة يعود إلى عدم تمسّكهم بإسلامهم النّقي، و أكّد ذلك حين صرّح "أنّ المسلم الّذي كان على رأس الحضارة وأدخلها إلى أوربا يمكن أن يسترجع مكانته هذه إذا كانت الظّروف مواتيّة "، ونشر سنة (1901 م) مقالة بالفرنسيّة بعنوان (مستقبل الإسلام/ L'avenir de l'islam) في مجلة ذائعة اسمها (المسائل الدّبلوماسيّة والاستعماريّة)، ومع مطلع القرن العشرين دخل التّمثيل النّيابي للدّفاع عن قضايا الجزائريّين، فشغل من (1903م) إلى (1907م) منصب معاون مسلم في المجلس العام (لوهران)، وحظي بشرف إلقاء خطاب رسمي تضمّن 3 صفحات باللّغة الفرنسيّة بمناسبة استقبال رئيس الجمهوريّة الفرنسي (أيميل لوبي) (بتلمسان) في شهر أفريل سنة (1903 م)، وكان فحوى الخطاب يتمحور حول مطلب رئيسي وهو عدم الإدماج والمطالبة بتمثيل سياسي في البرلمان، وفي سنة (1912م) قاد وفدا من القطاع الوهراني إلى (باريس) للمطالبة بإلغاء مرسوم (ميسيمي/ Messimy) الخاص بتجنيد الجزائريّين، وفي (1920م) انتخب مستشارا عامّا على دائرة (الرّمشي)، ونائبا ماليا، ثمّ انتخب سنة (1925م) نائبا لرئيس المجلس العام (لوهران).

كانت له مساهمات فكريّة وعلميّة محلّيّة وخارجيّة، من خلال مشاركته في حركة اليقظة الثّقافيّة الّتي عرفتها (الجزائر)،حيث كتب في أعمدة الصّحف الجزائريّة الفتيّة كجريدة الحق، والإقدام، والتّقدم، كما شارك في نشر بعض المقالات في الصّحف الاستعماريّة مثل جريدة (صدى وهران/ l'Echo d'Oran) و(صدى الجزائر/ l'Echo d'Algér)، وله بعض المذكّرات الّتي كانت موجهّة للسّلطات الاستعماريّة تتناول تنظيم التّعليم العالي، وقدّم محاضرات في النّوادي الثّقافيّة الّتي تأسّست مطلع القرن العشرين وبخاصة الجمعيّة الرّشيديّة في مدينة (الجزائر)، والنّادي الإسلامي في (تلمسان) ويرى (عبد القادر جغلول) أنّ ابن رحال يختلف عن الكثير من معاصريه بسبب مطالبه الّتي تصنّف على أنّها ذات أفق واسع، بينما صنّفت السّلطات الاستعماريّة مطالبه بالمتطرّفة، فقد كان موقف السّلطات الفرنسيّة منها آنذاك سلبيّا لأنّها كانت ترفض أن تحاور النّخب الجزائريّة، والطّرف المحاور الوحيد الّذي تتقبّله هذه السّلطات هو قادة الجزائريّين المتعاونين مع الإدارة الفرنسيّة، وحسب تقدير الكثير من المصادر والمراجع الّتي تكلّمت عن النّخب الجزائريّة مطلع القرن العشرين، فإنّها تصنّف محمّد بن رحال ضمن الكتلة المحافظة الّتي ضمّت أسماء أخرى مثل (عمر بن قدّور الجزائري)، و(عبد الحليم بن سمايّة)، و(عبد القادر المجاوي) و(عمر راسم)، الّذين طالبوا السّلطات الفرنسيّة القيام بإصلاحات يستفيد منها الجزائريّون، ويقر (أبو القاسم سعد الله) أنّ أعضاء هذه الكتلة يشتركون في أنّهم كانوا معادين لفكرة التّجنّس والخدمة الوطنيّة تحت الرّايّة الفرنسيّة، وكان بن رحال من بين هؤلاء الّذين تصب مطالبهم في هذا المجال.

كما كان (ابن رحال) عضوا في الجمعيّة الآسيويّة وله العديد من الكتابات الّتي نشرت في نشرة

(الجمعيّة الجغرافيّة لمدينة وهران/ La societè gèographie d›Oran (Bulletin) منها بحث حول (السّودان) في القرن السّادس عشر، وهو بحث مترجم استخرجه من كتاب (نزهة الحادي) (للإفراني)،كما كتب محمّد بن رحال قصة (انتقام الشّيخ) ونشرها سنة (1891 م) في المجلّة الجزائريّة والتّونسيّة، قال عنه الشّيخ (البشير الإبراهيمي) الّذي شاهده سنة (1921م):"موقفه هالة من الجلال يبدو كأنّه قطعة من الثّلج، وجه جميل ولحيّة بيضاء وألبسة صوفيّة بيضاء... وهو ليّن هش يجمع الصّفات التي وردت في المؤمن ما لم يصل الأمر إلى الدّين، فإذا مسّ الدّين استحال ذلك الهدوء إلى غضبة لا يقوم لها شيء." وقال عنه (مصالي الحاج) ": كان رئيس عائلة كبيرة ومشهورة في الجزائر والمغرب، كان كبير القامة، طلق المحيّا، له ثقافة عربيّة وفرنسيّة واسعة، وقد كانت له أناقة رئيس عربي حقيقي، وكان يُعتقد في كل الأوساط بأنه عالم ووطني كبير".

صنّفه (مالك بن نبي) من أوائل رجال الفكرة الوطنيّة غربي الجزائر. وقال عنه (أبو القاسم سعد الله):"يعتبر محمّد بن رحال من أبرز عناصر هذا الجيل الّذي أراد الفرنسيّون أن يجعلوا منه وسيطا بينهم وبين الجزائريين، فجمع بين الثّقافتين وبين اللّغتين، وتوظّف عندهم، ولكنّه لم يتخلّ عن أصوله وتراثه الوطني والدّيني. فرغم الجاه العائلي والمكانة الاجتماعيّة كان ابن رحال صوت الجزائر العميقة وصوت التّاريخ، ولم ينسه الوظيف والاعتبار المعنوي لدى الفرنسيين الدّفاع عن الثّقافة واللّغة العربيّة والحضارة الإسلاميّة. ولم يكن في ذلك وحيد زمانه وإنّما كان أكثر معاصريه تعبيرا عمّا يجيش في صدور المواطنين من تطلّعات. كان يمكن أن يذوب في الثقافة الفرنسيّة وينبهر بالنظم والمخترعات الفرنسيّة، ولكن حصانته العربيّة الإسلاميّة وارتباطه بالجذور جعلته يدعو إلى التّطور وليس إلى الاندماج ويواجه الفرنسيين في مختلف المناسبات بمطالب هي من صميم الانعتاق للشعب."

توفّي (بندرومة) يوم06 أكتوبر(1928م).

نسيمة لوح

المصادر:

- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع- الجزائر،1981م.
- الحركة الوطنيّة الجزائريّة 1860-1900،أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،الجزائر.ج1.
- تاريخ الجزائر الحديث - دراسة سوسيولوجيّة-، عبد القادر جغلول، التر: فيصل عبّاس، مراجعة:خليل أحمد خليل،دار الحداثة للطّباعة والنّشر والتّوزيع،بيروت،ط1،ط1981م.
-
-
-

محمّد بن رمضان شاوش التّلمساني (9231ه-1191م/1141ه-1991م)

هو الأستاذ الحاج (محمّد بن رمضان شاوش بن الغوثي)، ولد يوم: (9جمادى الثّانيّة 1329هـ)؛ الموافق لـ (7جوان1911م) بمدينة (تلمسان)؛ تلقى دراساته الأوليّة بمسقط رأسه في الكتاتيب القرآنيّة؛ التي درس فيها خلال الفترة الممتدة من: (1919-1923م)، ثم انتقل بعدها للدراسة بمدرسة الأبلي؛ المعروفة باسم (ديسيو) سابقاً بمدينة (تلمسان)؛ حيث درس فيها ما بين سنوات: (1923-1928م)، ثم اتجه للدراسة في المدرسة الجديدة، وذلك خلال سنوات: (1928-1932م)؛ ثم سافر إلى (الجزائر العاصمة) من أجل متابعة دراساته العليا؛ حيث درس في المدرسة الثّعالبيّة العريقة بالجزائر العاصمة، وذلك خلال سنة: (1932م)، وتخرج منها عام: (1934م)، وبعدها انضم إلى سلك التّعليم؛ فدرّس اللّغة العربيّة ابتداء من عام: (1935م) في العديد من المدن الجزائريّة؛ في (وهران)، و(القل)، و(تيارت)، و(الغزوات)، وفي عام: (1946م) عمل أستاذاً للشريعة الإسلاميّة بمدرسة قسنطينة، وفي عام: (1953م) انتقل إلى مسقط رأسه بمدينة (تلمسان)، ودرّس الشّريعة الإسلاميّة في مدرسة تلمسان، وقد كان الشّيخ الحاج (محمّد بن رمضان شاوش بن الغوثي) أوّل مفتش للغة العربيّة في مدينة (تلمسان) بعد استقلال الجزائر عام: (1962م)، ثم واصل مهمته النّبيلة بصفته أستاذاً للغة العربيّة؛ فعمل بثانويّة الدّكتور ابن زرجب في تلمسان إلى غايّة سنة: (1972م)، وقد توفي يوم: (2رمضان1411هـ)؛ الموافق لـ(18مارس1991م) بمدينة (تلمسان) .

من أهم مؤلفات الشّيخ الحاج (محمّد بن رمضان شاوش بن الغوثي): "الدّرّ الوقّاد في شعر بكر بن حمّاد التّاهرتي (200-296ه) "؛ وقد طُبع هذا الكتاب النّفيس أوّل مرة بالمطبعة العلاويّة في مدينة (مستغانم)،

وقد ألّف هذا الكتاب رغبة منه في لفت الانتباه إلى قضايا تراثيّة أدبيّة تكتسي أهميّة كبرى، وتنبيه القراء والأدباء إلى شعر أحد أكبر شعراء الجزائر القدماء، وأول شاعر عربي أنجبته أرض الجزائر الطّاهرة، حيث يقول في مقدمته: " وبعد، فإنا نقدم إلى القراء عموماً، وللأدباء خصوصاً، ولأدباء الجزائر بصفة أخص أوّل شاعر عربي أنجبته أرض الجزائر منذ أحد عشر قرناً، وهذا الشّاعر الفحل هو أبو عبد الرّحمن بكر بن حمّاد الزّناتي أصلاً، التّاهرتي نشأة وداراً، مع ما أمكن جمعه من شعره الذي ضاع أكثره، ولم يبق منه إلا كميّة قليلة جداً متفرقة في كتب الأدب والتّاريخ؛ فبذلنا الجهد في البحث والتّنقيب عنها، وقد جمعناها في هذا الكُتيب الذي سميناه: الدّر الوقّاد من شعر بكر بن حمّاد، وقد شرحنا هذا الشّعر، وعلقنا عليه بتعاليق نرجو أن تكون مفيدة . هذا بعد أن قدمنا له بعدة فصول بيّنا فيها حالة المغرب وتاهرت؛ التي نشأ بها شاعرنا أثناء القرن الثّالثّ الهجري (التّاسع الميلادي)؛ وذلك من حيث الحضارة والرّقي الفكري والفني والأدبي في ذلك العصر الزّاهر؛ الذي كاد بطول الزّمان أن يقضي عليه التّغافل والنّسيان، ويدخل في خبر كان، كما جعلنا ترجمة مفصلة لحياة الشّاعر وآثاره الأدبيّة؛ حتى يكون القارئ على بصيرة من ذلك، بحيث يسهل عليه فهم شعره...

وقد حفزنا على القيام بهذا العمل الجريء حافزان اثنان:

أوّل هما: القيام بالواجب المقدس الذي يفرضه علينا الدّين واللُّغة والوطن.

وثانيهما: التّلبيّة لرغبة عالمنا الجليل ومؤرخنا الشّهير المرحوم الأستاذ الشّيخ مبارك الهلالي الميلي القائل في شأن هذا الشّاعر عندما تحدث عنه في كتابه تاريخ الجزائر: (وشعره كثير تناقله الرّواة شرقاً وغرباً، ومنه قطع مبعثرة في بطون الكتب يحتاج جمعها إلى عنايّة أدبيّة وغيرة قوميّة)".

ومن بين المؤلفات النّفيسة للشيخ الحاج (محمّد بن رمضان شاوش بن الغوثي) كتاب: "باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان "؛ وقد طُبع هذا الكتاب ضمن منشورات ديوان المطبوعات الجامعيّة بالجزائر، سنة: (1995م)، ومما جاء في تعريفه به من خلال المقدمة: "...يحتوي هذا الكتاب على الأقسام الآتيّة:

1 -القسم الجغرافي: أي بيان موقع تلمسان وتركيب أرضها، وذكر جبالها وسهولها وفصولها وأمطارها وأنهارها وحيوانها ونباتها ومعادنها وسكانها، وكل ما يتعلق بطبيعتها بصفة عامة.

2 -القسم التّاريخي: أي بيان الدّور الذي لعبته أثناء القرون الوسطى كقاعدة للمغرب الأوسط؛ منذ أن أسسها (بنو يفرن) من ملوك زناتة، ومن تلاهم من الأدارسة والمرابطين والموحدين؛ إلى أن جعلت منها قبيلة بني عبد الواد العتيدة عاصمة لها، وما جرى بينهم، وبين جيرانهم الحفصيين والمرينيين من حروب وغارات؛ مختصراً الكلام على الفتن الدّاخليّة، والحروب الخارجيّة التي من شأنها إزهاق الأرواح، وهدم الدّيار ...

3 -القسم الفني: أي بيان نشأة الفن العربي بالمشرق ونموه وازدهاره؛ ثم كيف تطور هذا الفن بالمغرب الإسلامي عموماً، وبتلمسان خصوصاً إلى أن بلغ الغايّة التي لا غايّة بعدها ثم كيف تقلص ظله شيئاً فشيئاً إلى أن اضمّحل تماماً، وصار أثراً بعد عين.

4 - القسم المعماري: أي وصف هياكلها التي لا تزال قائمة من مساجد وأضرحة وما بقي من مدارس مع ذكر ما انطمس منها، ومن القصور والدّيار الفخمة التي عفا رسمها، ولم يبق مذكوراً إلا اسمها في كتب التّاريخ، والتّراجم، والسّير.

5 -القسم الاقتصادي: أي بيان الدّور الذي قامت به تلمسان أثناء القرون الوسطى في ميادين الزّراعة والتّجارة والصّناعة، والذي لا تزال تقوم به إلى الآن.

6 -القسم الاجتماعي: أي بيان حال سكانها من حيث جنسهم ودينهم ولغتهم وعوائدهم وتقاليدهم، وغير ذلك من كل ماله صلة بالبيئة الاجتماعيّة.

7 - القسم الثّقافي: أي بيان أسباب ازدهار العلوم والآداب والفنون بها في جميع العصور بصفة عامة بصفة عامة...

8 -القسم العلمي: يشمل هذا القسم موجز تراجم العلماء، ومن إليهم من فقهاء ومحدثين سواء كانوا من أهل تلمسان، أو من الأفاقين مع بيان إنتاجهم العلمي الباقي والمندثر للدلالة على حصافة عقولهم، وسعة ثقافتهم.

9 -القسم الأدبي: يشمل هذا القسم كذلك موجز تراجم الأدباء، ومن إليهم من كتاب وشعراء وحكماء... ".

ومن بين ما جاء في وصف الأديب والباحث (الغوثي بن حمدان) لكتاب:«باقةالسّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان »للحاج(محمّد بن رمضان شاوش بن الغوثي)، قوله::«وإني على يقين أن هذا الكتاب سيدخل جميع ديار أهل تلمسان على الأخصّ، وستعتزّ به جميع خزاناتهم كما ستعتزّ به خزانات كلّ من يعشق الفنّ والجمال وكلّ من يُحب التّاريخ، وسيتناوله شبّانها كلّهم فيطّلعون بوضوح على المجد الذي بلغت إليه مدينتهم (جوهرة المغرب)، وسيكون له صدى وطنياً لما يحتوي على أخبار تاريخيّة تخصّ كذلك جميع أنحاء الوطن...».

مـن بيـن مؤلفـات الباحـث (محمّـد بـن رمضان شـاوش بـن الغوثـي) التـي حظيت باهتمـام واسـع مـن لـدن مختلـف الباحثين والدّارسـين، ولقيـت أصـداء طيبـة، كتاب: "إرشـاد الحائـر إلـى آثـار أدبـاء الجزائـر"؛ والـذي ألّفه بالاشـتراك مع الأسـتاذ الباحث (الغوثـي بـن حمـدان)، ومـن بيـن مـا جـاء فـي المقدمة التـي كتبها الأسـتاذ (محمّد بن رمضـان شـاوش) لهـذا الكتـاب: "..لقـد ظهـر بمغربنا العربي الكبيـر منذ ما يزيد على الثّلاثيـن سـنة كتابـان جليـلان فريـدان فـي موضوعهما:

أوّل همـا: (المنتخـب المدرسـي مـن الأدب التّونسـي) للأسـتاذ الكبيـر الشّـيخ حسـن حسـني عبـد الوهـاب الصّمادحـي التّونسي، وهو منتخب نصوص من نظم ونثر للأدباء التّونسـيّين مرتباً حسب أدوار الأدب مع ممّيزات كلّ عصر.

وثانيهمـا: (النّبـوغ المغربـي فـي الأدب العربـي) للأسـتاذ الشّـيخ عبـد اللـه كنـون الحسـني المغربـي؛ وهـذا الكتـاب علـى قسـمين:أحدهما يبحـث فـي تطـوّر الأدب بالقطـر المغربـي، والآخر يجمـع النّصوص الأدبيّة من منثور ومنظوم.

ومنـذ أن اطلعنـا علـى هذيـن الكتابيـن خامرتنـا فكـرة – ونحـن لا زلنا فـي عنفوان الشّـباب– وهي أن نجمع في كتاب آثار أدباء بلادنـا الجزائريّة كي نبيّن مسـاهمتها كذلك في بناء صـرح الأدب العربـي العظيم أوّل اً، وكـي نملأ الفراغ الـذي بقي خاليـاً في قلب المغـرب العربـي الكبير بعد ظهـور الكتابين المذكوريـن ثانيـاً؛ وقـد شـرعنا منـذ ذلـك الحيـن أي منذ ثلاثين سـنة تقريباً في البحث والتّنقيـب عـن آثـار أدبائنا في كتـب التّاريخ والأدب والتّراجـم والسّـير وغيرهـا، ولكن مهمّتنا كانت شاقة جداً؛ لأن كثيراً من الكتب التي يُمكن التّعويل عليها ضاعت، وتبدّدت، ولـم يبـق مذكـوراً فـي المجامـع التّاريخيّـة والأدبيّة إلاّ اسمها واسم مؤلفها.... ".

ومـن بيـن مؤلفـات الباحـث (محمّـد بـن رمضـان شـاوش) الأخـرى، كتـاب: "مجموعة أمثال وحكم وآراء شعبيّة باللهجة العربيّة الجزائريّة"، وكتاب "الأقوال السّائرة المنسـوبة إلـى سـيدي أحمـد بـن يوسـف الرّاشـدي دفيـن مليانة"، و"معجـم عواصم الغرب الإسلامي الباقيّة والدّارسة: المغرب الكبير صقليّة".

يقـول الأسـتاذ الباحـث (الغوثـي بـن حمـدان)، عـن الباحـث والمؤلف الأسـتاذ (محمّـد بـن رمضـان شـاوش التّلمسـاني): "كان الأسـتاذ محمّـد بـن رمضـان شـاوش –رحمة الله عليه– من أفذاذ رجال هذا العصر الذين خصّصهم الله بالعلوم والعرفان؛ فكان واسع المعلومات في الفقه والتّاريخ والأدب معاً، وكان ذا ذاكرة متينة فذّة وذا رأي سـديد قـوي أعطى لـه لـدى الجميع حرمـة ووقاراً ومحبّـة خاصّة؛ فما من أحد مـن تلاميذه رآه إلاّ وتوجّـه إليه فرحاً بلقاء أسـتاذه والتّحاور معه؛ فكـم من محاضـرة ألقاها فـي النّوادي والمسـاجد والزّوايا في عدّة مناسبات، وكم سـاعد في المشـاريع الدّينيّة، وأبدى مواقفه الدّينيّـة السّـديدة، وكم قدّم مـن توضيحات تاريخيّة على شاشة التّلفزة، وإرشادات غاليّة لمسـاعدة الباحثين الوافديـن عليه؛ فخروج المؤلف إلـى المعاش لم يصرفـه عن متابعة البحث والتّأليف؛ حتى لقي خالقه ".

محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة

المصادر:

1. الدّر الوقّاد من شعر بكر بن حمّاد التّاهرتي (200–296هـ)، جمع وشرح وتقديم: محمّد بن رمضان شاوش التّلمساني، منشورات دار البصائر للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط:02، 2011م.
2. الحاج محمّد بن رمضان شاوش: باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، منشورات ديوان المطبوعات الجزائريّة، الجزائر، 1995م.
3. محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: الأدب العربي الجزائري عبر النّصوص أو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، الأجزاء من:1إلى 4، منشورات مؤسسة داود بركيسي، تلمسان، الجزائر، ط:02، 1426هـ/ 2005م.

محمّد بن زعموم
(ت: 1837 هـ - 1252م)

" محمّـد بـن زعمـوم " أو "زعمـون" صوفي وسياسـي ومحارب جزائـري، وقائد لقبيلة "فليسـة" أو" أفليسـن أومليل" العريقة والكبيـرة حيـث تمتد مـن ذراع الميـزان إلى بـرج منايـل فـي الوسـط الشّـمالي للجزائر، فهـي تمتدد مـن الجبـال إلـى السّـهول على ضفتي واد سـيباو.

ومـما يذكر من صفاته الشّـخصيّة أنّه كان بارعـا فـي القتـال كمـا كان بارعـا أيضـا في الخطابـة والتّحفيـز والإقناع، فقـد جمع بين منطق القوّة وقوّة المنطق.

وهو مـن رواد المقاومـة الشّـعبيّة كان له ابنـان: الحسـين وحمـدان لعبـا أيضـا دورا فـي المقاومة الوطنيّـة، وقد بويـع من طرف المقاومة الشّـعبيّة في متيجـة ومنطقة القبائل والتيطري مباشرة بعد سـقوط مدينة الجزائر بتاريخ 5 جويليّة 1830م.

كان موقف ابن زعموم في أول الأمر بقاء الفرنسـيين في المدينة وتـرك أهل الرّيف في أوطانهـم دون التّدخل في شـؤونهم، لذلك كتـب إلـى "ديبرمـون" (DEBOURMONT)

يطلب منه عدم التّقدم إلا بعد توقيع معاهدة مع العرب تنظم العلاقة مع الفرنسيين، لكن "ديبرمون" (DEBOURMONT) قرر الذهاب إلى البليدة في 23 يوليو 1830 على رأس جيش من حوالي ألفي(2000) عسكري من المشاة.

عندما علمت القيادات في الرّيف بخروج "ديبرمون" (DEBOURMONT) نحو البليدة، اجتمعوا في مؤتمر في برج البحري يوم 23 يوليو 1830م، بحضور قواد ورؤساء الأوطان والقبائل في المنطقة، تقرر على إثر ذلك إعلان الحرب على العدو الفرنسي وعدم تركه يخترق أراضيهم.

وتنفيذا لمقررات الاجتماع المذكور هاجمت القوات الرّيفيّة جيش "ديبرمون" (DEBOURMONT) وألحقت به خسائر كبيرة.

لم يأبه دي بورمون لتلك التّحذيرات وتوجه نحو البليدة يوم 23 جويليّة (1830). حيث ادعى المارشال دي بورمن أن بعض البدو استولوا على مواشي بعثها باي التيطري لتموين الجيش الفرنسي ليقوم بحملة على مدينة البليدة.

فتقدم حوالي 1.200 من المشاة و300 من الفرسان مدعمين بالمدفعيّة، المعتقد الفرنسيون أنها نزهة أو جولة قصيرة يسطيرون معها على البليدة. فمرو عبر بوفاريك وفيها عقدوا إستراحة، ثم أكملوا المسير إلى البليدة ووصلوها مساء و إلى هذا الحين لم يتلقوا أي مقاومة.

والحقيقة أنّ سكان البليدة نظموا كمينا للجيش الفرنسي حيث تظاهروا بالاستسلام وسمحوا للفرنسيين بالدّخول دون مقاومة.

وفي صباح يوم 24 جويليّة 1830م استغلوا تراخي الجيش الفرنسي ليشنوا هجوما من سفوح جبال شريعة ومن السّهول المجاورة، وعلى حسب المصادر الفرنسيّة فإن الجنود الفرنسيين لم يتمكنوا من الخروج من "باب الجزائر" إلا منبطحين بعد أن خسروا 80 جنديا.

فكان ذلك درسا للفرنسيين، الذين لم يكرروا الخروج من العاصمة إلا في عهد "كلوزيل" (CLAUZEL)، الذي حاول القيام بحملة على البليدة في شهر نوفمبر 1830م، ولكن القوات الشّعبيّة بقيادة "الحسين بن زعموم" دخلت المدينة ودارت معركة حاميّة قتل من خلالها عدد كبير من الحاميّة الفرنسيّة.

كانت هذه أول ملحمة شعبيّة قادها ابن زعموم ضد الإجرام الفرنسي، وكانت بدايّة لسلسة طويلة من المعارك والحروب التي سيلمع فيها نجمه خاصة بعدما أستقوى بالحاج السّعدي الذي فر من العاصمة بعد سقوطها، ثم يشدد من معاركه بشكل أكبر.

ومما نذكره في هذا المجال أن "ديبرمون" ادّعى أنه يريد الخروج للنزهة والتّفرج ولا يريد القتال، فاستعان ببعض الشّيوخ والفقهاء يخبرهم أن يكتبوا وثيقة ويصدروا نداء للسكان بعدم مواجهتهم، فأصدر الفقهاء نداء مفاده "أن القائد الفرنسي سيتوجه إلى متيجة والمديّة دون نيّة له في الحرب ولكن للتعامل وشراء البضائع، وأن على السّكان ألا يواجهوه بالحرب، لأنه، إذا فعلوا ذلك، سيحاربهم دفاعا عن نفسه... وقد تبين أنهم كانوا مخطئين في قراءتهم لنوايا الفرنسيين، فهؤلاء كانوا ينوون الاطلاع على عورات المسلمين ونقاط ضعفهم وجلب المواد الغذائيّة، ومن ثمة معرفة القوة والضّعف لكي يتوسعوا بعد ذلك في الاحتلال"، لكنّ سكان متيجة والبليدة حاربوا القائد وجيشه لأنهم اعتبروا خروج القائد الفرنسي دون الاتفاق معهم حربا عليهم.

فخلال صيف 1831 هاجمت قوات ابن زعموم المراكز الفرنسيّة الأماميّة وأشعلت النّيران في حصاد المزرعة النّموذجيّة، وقد دار القتال عدة أيام حتى أصبحت العاصمة مهددة، مما جعل القائد العام "برتيزن" (BERTHEZENE) يخرج إلى المعركة بنفسه في جيش كبير، اضطرت بعد ذلك قوات "ابن زعموم" و "ابن السّعدي" إلى الانسحاب إلى الجبال المجاورة.

ثم في خريف 1831 انهزمت هذه القوات في بوفاريك وتفرقت بسبب سوء التّنظيم. قرر "ابن زعموم" بعدها الانسحاب إلى فليسة وعدم التّدخل في أي شيء.

أما عن علاقة ابن زعموم "بالأمير عبد القادر"، اتضح انه انضم وجميع قواته وقبيلة فليسة إلى "الأمير" سنة 1834، ورغم استمرار "ابن زعموم" في قيادة الجهاد حتى سنة 1837، فإن الفرنسيين ادعوا أنه كان يطلب منهم الصّلح وإبرام معاهدة معهم، وأخبرهم بأنه لم يرسل ابنه للأمير إلا ليطّلع على مدى قوته، وإن كان الحاج سيدي السّعدي الذي كان من رجال الأمير عبد القادر والذي عيّنه على منطقة تقع شرقي الجزائر مما جعله على قدم المساواة مع البايات، قد قاتل إلى جانب "ابن زعموم" في متيجة إلى حوالي 1837، كما قاتل إلى جانبه الشّيخ أحمد الطّيب بن سالم في السّنة نفسها، والشّيخ أحمد الطّيب بن سالم هو خليفة الأمير عبد القادر على زاويّة حمزة في مدينة البويرة، كما أنه من العلماء الذين كان يعتمد عليه الأمير عبد القادر بن محيي الدّين كثيرا ويثق فيه ثقة كبيرة، وكان الشّيخ أحمد الطّيب بن سالم في المقابل من أبرز رجال دولة الأمير عبد القادر الذين خدموا دولته بإخلاص.

والواقع أن الغموض مازال قائما حول هذه المسألة وحول نهايّة "ابن زعموم"، وقد ينكشف من خلال الدّراسات المعمقة لهذه الشّخصيّة.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد بن سليمان التّلمساني (ابن الصّائم)
(1014هـ - 1605م/1066هـ - 1656م)

هو محمّد بن سليمان الصّائم التّلمساني، وعرف بالجزولي تيمّنا وتبرّكا بالشّيخ الصّوفي المعروف (أبو عبد الله محمّد بن سليمان الجزولي) صاحب كتاب (دلائل الخيرات)، وذكر محمّد بن سليمان أنّ نسبه عربيّ حجازيّ أنصاري ويثبت نسبه كالآتي: "فكاتب هذا اسمه محمّد بن سليمان بن عبد الرّحمان بن مؤمن بن سعيد بن عثمان بن سلطان...الأنصاري".

لم تشر كتب التّراجم إلى هذا العلم، وقد توصّل بعض الباحثين إلى أنّ اسمه ورد مقرونا بكتاب (كعبة الطّائفين) دون ترجمة في كتاب (إيضاح المكنون)، وبالتّالي فإنّ الباحثين الّذين حاولوا التّرجمة له قد عادوا إلى كتابه (كعبة الطّائفين) وحاولوا جمع المعلومات الّتي جاءت مبثوثة فيه حول حياته، وقد ورد تاريخ ميلاد هذا العلم في كتابه (كعبة الطّائفين بأجزائه الثّلاثة) وذكر أنّه من مواليد سنة (1014هـ-1605م).

نشأ محمّد بن سليمان بتلمسان وكان والده ميسورا، فكان من الأغنياء الّذين يتّخذون لهم الخدم والحشم، وكان ممن ينتسبون لأهل العلم والتّصوّف، وقد لقّب بالصّائم بعد أن زهد في ثروته وجاهه وخالط أهل العلم والتّصوّف وكرّس حياته للقرآن والعلوم الدّينية، وكان منتسبا إلى الطّريقة الشّاذليّة وقد انتسب إليها ابنه محمّد بن سليمان أيضا، ويذكر أنّه نقل عنه كثيرا من الفوائد والحكم، والأذكار والتّوجيهات، وله قصائد شعبية ذكر بعضها في كتابه (كعبة الطّائفين).

لقد ذكر محمّد بن سليمان العديد من أسماء الشّيوخ والعلماء والصّلحاء، الّذين أخذ عنهم أو لازمهم زمنا أو التقى بهم عرضا أو أخذ عنهم بواسطة، ومن بينهم: الشّيخ (موسى بن علي اللاّلتي): وهو صاحب قصيدة (حزب العارفين) موضوع كتاب (كعبة الطّائفين)، وممّا قال فيه تلميذه محمّد بن سليمان واصفا إيّاه:

ثنيت إلى ثان الشّيوخ شريفهم
سمّي الكليم بالمدائح مولع

وهذا البيت مأخوذ من قصيدة له في مدح مناقب شيوخه، وقد أسبل محمّد بن سليمان على شيخه كثيرا من عبارات التّبجيل الّتي توحي بسموّ منزلته وعلوّ كعبه في التّصوّف.

والشّيخ (سيدي العبدلّي): وهو (سيدي محمّد بن علي بن عبد الرّحمان البوحيدي) المدعو (العبدلّي الوطّاسي)، دفين البلديّة الّتي تحمل اسمه الآن (بلديّة سيدي العبدلّي بتلمسان) ويخبر محمّد بن سليمان أنّ الشّيخ (العبدلّي) كان صهرا له متزوّجا من أخته، وكان يجمع بين العلم والتّصوّف، وأنّه أيضا بلغ القطبانية في التّصوّف، وكان يتصدّر الإمامة (بجامع الوزّان) الواقع (بباب الجياد) حاليا، وممّا يذكره عنه أنّه اضطلع بأدوار إصلاحية واجتماعية وجهادية في) تلمسان) وكان يسعى دائما لجمع النّاس على كلمة سواء.

والشّيخ (بلقاسم بن موسى بن صابر): وصفه محمّد بن سليمان ب(عروس الصّالحين) وقال عنه أنّه كان ملتزما بالكتاب والسّنّة في جميع حركاته وسكناته، مولعا بمطالعة كتب التّصوّف والحديث وعلوم القرآن متصدّرا لتدريس علم التّوحيد، وقد سخّر ماله للعلماء والمريدين والفقراء.

ذكر محمّد بن سليمان في كتابه (كعبة الطّائفين) معلومات مفصّلة عن تكوينه العلمي والثّقافي، لخّصها (د.محمّد قيداري) فيما يلي:

حفظ القرآن الكريم وهو في سن الثّامنة (8) في روايتي ورش وقالون رسما ورواية، وختمه ثمان(8) مرّات رسما وأداء.

انتقل بعد ذلك لدار العلم والتّقوى (بقرية مجّاجة)، فزاد هناك ختمة أخرى للقرآن الكريم، وقرأ عقائد السّنوسي الثّلاث، والآجرومية والقرطبيّة على الشّيخ (سيدي عمر أترار) وسنّه يومئذ أحد عشر (11) سنة.

رجع إلى (تلمسان) وسار يقرأ القرآن بروايتي ورش وقالون على الأستاذ (سيدي عمر بن يوسف) وعلى شيخه (سيدي الحسن الضراوي المغربي)، وحفظ الرّبع الأوّل من رسالة (ابن أبي زيد) بشرح (الفاكهاني) على الشّيخ (سيدي الحاج محمّد بن قاسم الموبل)، كما كان يحضر في مجلس إقراء (سيدي محمّد الغشوي) على الرّسالة وصحيح البخاري وتفسير القرآن للثّعالبي والسّيوطي، وحكم ابن عطاء بشرح ابن عبّاد النّفزي.

لقّبه الشّيخ (بلقاسم الدّرّاجي) في (تلمسان) (بمالك الصّغير) لشدّة نبوغه في الفقه المالكي.

قرأ مختصر ابن الحاجب على شيخه (سيدي محمّد بن رحمة)، وقرأ القرآن في الجامع العتيق (بأغادير)، ومختصر خليل والألفية والتّلمسانية والرّسالة والسّلم في المنطق والسّراج للشّيخ (سيدي عبد الرّحمان الأخضري) وقرأ صحيح البخاري على الشّيخ (أبي عبد الله سيدي محمّد بن علي أنكروف)، وحضر عنده في اللاّمية والزرجيّة، وكان ملازما لمجلس إقراء شيخه (العبدلّي) في الحديث والتّفسير والحكم العطائية ومختصر خليل.

سافر إلى (مستغانم) واحتكّ بطلبة العلم فيها وقرأ هنالك على يد خيرة علمائها، منهم الشّيخ (بلقاسم بن عثمان الولاّجي)، والشّيخ (محمّد الزّهري) وزار (المغرب الأقصى) حيث دخل (وجدة) وصاحب بعض مشايخها وصلحائها، كما دخل (فيجيج) ونزل بزاوية العبيد، وحضر مجلس إقراء الشّيخ (حدّوش بن موسى البرّيشي) و(سيدي محمّد الحاج السلاوي)، و(سيدي محمّد الشموري)، وغيرهم.

في كتاب (كعبة الطّائفين) عدّة مواقف لمحمّد بن سليمان في قضايا كانت سائدة في مجتمعه، سواء من النّاحية الدّينية أو الثّقافية أو الاجتماعية:

ففي المجال الدّيني قد نأى بنفسه عن التّصوّف البدعي المبني على الدّجل والخرافات، ودعا إلى التّصوّف الحقيقي القائم على العلم والعمل والوعي الاجتماعي، وكان محتكّا بأطياف مجتمعه علماء وصلحاء ومع عامّة النّاس، يسعى مع شيوخه إلى رفع الغبن عن النّاس، وتحسّس شواغلهم وهمومهم.

أمّا في الجانب السّياسي فتتجلّى مواقفه في الفتنتين (أو الثّورتين) اللّتين وقعتا بين أهالي (تلمسان) والحكّام (الأتراك)،

حيث ساهم رفقة شيخه العبدلّي في تهدئة الأوضاع العامّة وطمأنة النّفوس المروّعة من جهة وزجر القائد التّركي (محمّد بن سوري) في مقرّه بالمشور من جهة أخرى، ودخوله مع شيخه على القائد التّركي فيه دلالة على أنّه كان يتمتّع بسلطة روحيّة وعلميّة واجتماعيّة في المجتمع التّلمساني.

ومن أدواره ذات الطّابع الاجتماعي السّياسي مساهمته مع شيخه العبدلّي الّذي جعل سكناه بباب الجياد بمثابة زاوية يلجأ إليها المضطهدون، مسلمون وذمّيّون، خاصّة من جور الحكّام الأتراك و ظلمهم.

كما شارك الشّيخ محمّد بن سليمان شيخه العبدلّي رفقة والده الغزو مرارا لدحر (الإسبان) المحتلّين عن (وهران) والسّواحل الجزائريّة.

آثاره ومؤلّفاته:

له كتاب (كعبة الطّائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين)، وهو عبارة عن شرح لقصيدة (حزب العارفين) وهي قصيدة شعبيّة لشيخه (موسى بن علي اللاّلتي)، وضمّن كتابه هذا عدّة علوم ومعارف، ففيه الأخبار والأنساب والتّراجم والمناقب، والتّفسير والفقه والحديث، والأمثال والحكم، والشّعر الفصيح والشّعبي، والحكايات والنّوادر والطّرائف، والكرامات والرّؤى والاستطرادات المتنوّعة، لذلك جاء الكتاب في ثلاثة أجزاء.

وله شعر فصيح (في أركان بيت الولاية)، وتعرّض في الأبيات الأولى منها إلى الحاكم التّركي (محمّد بن سوري) الّذي أرهق ساكنة (تلمسان) بالظّلم والجور، يقول فيها:

ترقّب يوم موتك يا فلان
وراهقك الرّحيل عن الدّيار
ولم يعطاك ما جمعت فيها
فلا تنسى النّصيب مع الإيثار
ألم تسمع لقوله كلّ نفس
بكأس الموت ذائقة المرار
ولا تستبعدنّ له هجوما
عن بغتة حذار يا حذار
فلا تستأنس بما تراه
يفارقك الجليس مع المزوار
ولا يغني منك شيئا
من الإله ذي البطش القهّار

وله أيضا قصيدة قالها ساخطا على القبائل المتعاونة مع الغزاة (الإسپان) لمدينة (وهران)، منها هذه الأبيات:

فكيف يا قبائل العربان
عافاكم الله من الشّيطان
أتخدموا هارون في وهران
يهوديّا ملعونا في القرآن
مع دكيك كافر نصراني
يعبد يا ويلاه عود فان
تبايعونهم على الإثمان
نسيتم الله لدى الإحسان

وله كتاب آخر في التّصوّف سمّاه (حياة القلوب) وهو في الأوراد، ألّفه سنة ألف وستة وستون(1066هـ).

وفاته :

لا يعرف تاريخ وفاته بالتّحديد، لكن رجّح بعض الباحثين تاريخ وفاته إلى سنة (1066هـ- 1656م).

نسيمة لوح

المصادر:

- مجلّة الفضاء المغاربي، الشّيخ محمّد بن سليمان الصّائم التّلمساني (ق:11هـ/ 17م)، تصوّفه ومواقفه من قضايا عصره، قراءة في مخطوطة كعبة الطّائفين، د.قويدر قيداري،المجلّد3،العدد3.
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435هـ)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع-الجزائر،1981 م.

محمّد بن سليمان المطهري المليكي
(1333هـ - 1915م / 1419هـ - 1998م)

من مشايخ مليكة بميزاب، هو بامحمد بن الحاج سليمان بن بكير بن داود بن بكير بن الحاج أيوب من عشيرة بني مطهر نسبا، نشأ الابن امحمد في أحضان والدين صالحين وفي أسرة العلم والعلماء، علمته أمه مع لبانها السور القصار والأدعية والأذكار المسنونة، ثم أدخله والده كتاب القرية فبدأ حفظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة ، ثم التحق بالمدرسة القرآنية (دار العلم) التي كان أبوه من مؤسسيها الأوائل سنة 1921م/ 1339هـ.



عندما بلغ الطالب بامحمد من العمر (06) ست سنوات أصبح التعليم في المدرسة الفرنسية ملزما عليه وتفاديا لذلك عهده والده إلى الشيخ إبراهيم بن بنوح متياز أحد أصدقاءه فاصطحبه إلى الگرارة ليتم حفظه للقرآن الكريم في مدرسة الشيخ إبراهيم بن بكير حفار الگراري بمليكة.

فأتم حفظ القرآن الكريم و استظهره في الحادية عشرة من عمره على يد إمام المسجد ، وانضم إلى حلقة إروان،

لما أتم حفظ القرآن الكريم كان الطالب امحمد شغوفا بالعلم وأهله فكان يقصد حِلَقَ العلم والعلماء أين ما كانت، إذ لما انتقل الشيخ إبراهيم بن بكير حفار إلى بني يسجن وأسس بها المعهد الجابري إلى جانب مشائخها كالشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف ببانو، فكان الطالب امحمد من الطبقة العليا من الطلبة ومن المقربين من الشيخ حفار لما رأى فيه من شغف وحب للعلم فكان يطالع له بعض الكتب ليقوِّم لسانه العربي فشيخه لا يقبل اللحن في القراءة بتاتا فكان يعوِّده على ذلك فتكوَّن الطالب امحمد بهذه المطالعة كثيرا، إلى جانب تحصيله في علوم الشريعة الإسلامية

وفي سنة 1927م بعثه والده في سبيل طلب العلم إلى المدرسة الخلدونية بتونس، وفي سنة 1928م لما رجع إلى مسقط رأسه واصل دراساته في اللغة والشريعة الإسلامية، عند والده الحاج سليمان بن بكير مطهري خاصة الحديث الشريف وعلومه، نبغ في فنون العلم فعيّن بعد سنوات من الجد والاجتهاد قاضيا بمحكمة بريان سنة 1946، وفي سنة 1962م اختاره المجتمع عضوا في حلقة العزابة وهي المسؤولة عن الحياة الدينية والاجتماعية بواد مزاب ولا يختار لها إلا الأشخاص الأكفاء وقد تحمل مهمة الوعظ والإرشاد فقام بها أحسن قيام.

صار مرشداً بالمسجد العتيق بمليكة، وشرع في عقد حلقات علمية في التفسير وعلوم القرآن والفقه إلى أن اعتزل الحلقة سنة 1969م، ونظرا لتمكنه في مجال الوعظ والإرشاد وموسوعيته العلمية في العديد من العلوم والفنون وتفتحه عليها فقد تمكن من تنظيم حلقات في:

- تفسير القرآن الكريم.
- شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب
- شرح عقيدة التوحيد للشيخ عمرو بن جُميع
- شرح نونية الشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي في أصول الدين.
- شرح كتاب الوضع للجناوني
- شرح كتاب الذهب الخالص لقطب الأئمة الشيخ اطفيش
- حلقات في التاريخ الإباضي
- حلقات في علم الفرائض (الميراث)

افتتح داراً للعلم (مدرسة الرشاد القرآنية بناحية آنُو في أعالي مليكة)، وقد كانت له فيها حلقة نظامية خاصة في شهر رمضان المبارك فيستغل تلك الأجواء الإيمانية بتنظيم حلقات العلم والوعظ وتزكية النفوس.

يعظ العامة في المناسبات الدينية والاجتماعية كالأعراس والمآتم ويوجه المجتمع ويصحح التصورات.

آثاره:

وهب الله تعالى الشيخ الحاج امحمد قلما سيالاً لا يمل من الكتابة فترك تراثاً قيماً مطبوعاً وآخر مخطوط، ومما شجعه على ذلك مشائخه ومنهم والده الشيخ الحاج سليمان إذ لما أراد التوجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج أمر ابنه الحاج امحمد بكتابة رسالة عن مناسك الحج وهذا ليختبر ذكاءه وحفظه، فألفها وقدمها لوالده فاستحسنها وشكره على ذلك قائلا له: "جيد ومهم، وستكون شيخا" فتحققت فيه فراسة والده.

فكان تأليفه في مختلف العلوم والفنون كعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الإسلامي والتاريخ الإباضي وغيرها ومن بين إنتاجاته الفكرية هاته:

- الكتب المطبوعة:
- فتح المغيث في علوم الحديث، طبع سنة 1998م.
- رسائل المسائل الممتعة الواردة في صلاة الجمعة، طبع سنة 1971م.
- الكتب المخطوطة:
- إلهام الرحمن في علوم القرآن.
- شرح القصيدة البيقونية.
- فتح رب العرش في شرح قصيدة حرف ورش (القصيدة للقطب أطفيّش)
- الأجوبة الردود العلمية:
- أجوبة عن أسئلة في العقيدة للأستاذين: محمد بن موسى باباعمي ومصطفى شريفي.
- أجوبة وفتاوى عن الحج للشيخ عمر بن داود بومعقل الوارجلاني رحمه الله.
- تراجم المشائخ الذين ذكرهم الشيخ أبو ستة السدويكشي في حاشيته على ترتيب الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب.
- ترجمة عن الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل.
- ترجمة مختصرة عن والده العلامة الشيخ الحاج سليمان بن بكير مطهري بعث بها إلى جمعية التراث في إطار إعدادهم لمشروع معجم أعلام الإباضية.
- جواب عن نبذة مختصرة لتاريخ بلدة مليكة العليا.
- الرد العلمي حول "الحديث عند الإباضية" الذي كتبه إلى الأستاذ إبراهيم خليل مُلَّا خاطر الأستاذ بجامعة المدينة المنورة بسبب تشكيكه في الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب في الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي بتلمسان سنة 1982م (الجزائر).
- رسالة حول المجالس الدينية بواد مزاب.
- رسالة في حكم تلاوة "نواوير القرآن الكريم".
- مختصر في شرح نونية الشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي (مطبوع مع متن النونية).وغيرها من الرسائل والفتاوى والردود العلمية.
- المحاضرات:
- محاضرة بعنوان "الهدي المحمدي" التي ألقاها في نادي عمي سعيد بغرداية بمناسبة أسبوع المولد النبوي الشريف.
- محاضرة بعنوان "الختان في الإسلام".
- لقاءات مع جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم للتراث تسجيل عدة مواضيع كعلوم الحديث ومصطلحه والتاريخ الإباضي وغيرها، (12 لقاء مصورا بالصوت والصورة).
- رصيد مهم من الأشرطة السمعية لدروس الوعظ والإرشاد وهي حلقاته العلمية.

- بعد جهاد طويل شاء الله تعالى أن تنطفئ شمعة من شموع العلم وركيزة من ركائز المجتمع بوفاة الشيخ الحاج امحمد بعد أن أُبتلي بمرض الضعف والوهن، فكان انتقاله إلى الرفيق الأعلى يوم الإربعاء يوم 9 جمادى 1419 يوافقه 30 سبتمبر 1998م، وقد شيعت جنازته مساء يوم غد الخميس بحضور جمع غفير من علماء ومشائخ وأعضاء حلقات العزابة وأبنائه التلاميذ وجموع المسلمين.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن سليمان بن صالح اليزگني الميزابي (ابن ادريسو)
(1246هـ - 1831م/ 1313هـ - 1896م)

عالم ولد ببني يزگن بميزاب، ونشأ بها، أخذ العلم عن معاصريه من العلماء، وعلى رأسهم الشّيخ عبد العزيز الثميني (ت: 1223هـ/ 1808م)، ويبدو أنَّهُ لم يأخذ عنه كثيرا، لأنَّ الثمينيَّ توفِّي ولا يزال تلميذه صغير السّنِّ؛ كما أخذ عن الشّيخ عمر والحاج، ثمَّ في كبره كان يحضر حلقات قطب الأيمة الشّيخ امحمّد بن يوسف اطفيَّش، م تمنعه إصابته بالعمى من الاستزادة من العلم والتفوُّق فيه، والعمل به، فبعد تخرُّجه على يد أولئك الفطاحل من العلماء ناصر الحركة الإصلاحية، وساند القطبَ، وحارب الفساد والبدع، فكان ذلك سبب نفيه إلى بنورة مع القطب، وإيذائهما في الله، فتح ببنورة وهي تقابل بني يزجن في الضفة الأخرى من وادي مزاب معهدا للتعليم الشّرعيِّ يستقبل فيه التلاميذ، ثمَّ ينتقلون منه إلى معهد القطب، له أسلوبٌ مشوِّق في التعليم، تخرَّج على يده كثيرون، منهم: أولاده الثلاثة إبراهيم وسليمان وصالح، والشّيخ عمر بن حمّو بكلِّي من العطف، والحاج صالح بن عمر لَعْلِي، وحمّو بن مرزوق، كان مقتدراً على التأليف نثراً ونظماً؛ وما تزال آثاره مخطوطة

أبرز مُؤَلَّفَاته:

- تفسير القُرْآن الكريم، بعنوان: (اليُمن والبركة في تفسير والهدى والرّحمة)،
- منه نسخة غير كاملة عند أحد أحفاده، وأخرى بمكتبة الحاج صالح لَعلِي.
- فيه ثلاثة أحزاب فقط، (مخ).
- (الذّهب الخالص)، وهو مختصر لكتابي الطهارات والصّلاة من ديوان الأشياخ.
- شرح نونية أبي نصر في العقيدة، (مخ).
- (الفرات في إيضاح هدية الإخوان في الميراث)، (مخ).
- وهو نظم لمختصر المواريث للشيخ أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني ق6هـ
- (جنان الطلبة) شرح ألفية ابن مالك في النحو في 400 ورقة، (مخ).
- (شرح مختصر على المنظومة الرّائية) لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي ق7هـ في الصلاة، (مخ).
- (مسلك الذّهب في الجوهر والدرر المهذَّب)، وَهو نظم لكتاب النيل للشيخ
- عبد العزيز الثمينيِّ، ويقع هذا النظم الفريد في 3030 بيتاً، (مخ).
- (هديّة الإخوان في الميراث)، وَهو نظم لمختصر المواريث لأبي عمَّار عبد الكافي.
- (نظم متن الأجرومية) في النّحو، (مخ).
- (نظم كِتَاب الطهارات من ديوان الأشياخ)، (مخ).
- (شرح أسماء الله الحسنى) نظماً، (مخ).
- (نظم عقيدة التّوحيد) لعمرو ابن جُميع، في 198 بيتاً، (مخ).

بالإضافة إلى هذه المؤَلَّفَات ترك مكتبة ثرية تحوي مخطوطات عديدة نادرة في مختلف الفنون، والكثير منها من نسخ أبنائه. وَهذه المكتبة لا تزال موجودة في يد حفدته إلى اليوم، وقد وَضعت لها جمعية التراث فهرساً شاملاً.

من بين ما نظم الشّيخ محمّد بن سليمان ابن دريسو كتاب عقيدة التوحيد التي عربها عمرو بن جميع من المازيغية (مخ)، وقد أنشأ في افتتاحيتها ما يمكن أن يكون هذا الطلب جاء إجابة لدعوة شخص له إلى نظمها، فيقول في مطلعها:

الحمد لله الذّي سمك السّماء
بسوا عمد هل تراه سماك
والأرض سبعة والسّماوات سبعة
مسكت بقدرة قادر أنشاك
وبعد فاصغ أنجل أحمد للذي
شئت النظام من العقيدة تاك

نظم الشّيخ ابن دريسو الكتاب في (196) مائة وستة وتسعين بيتاً.

كما رصف الشّيخ محمّد بن سليمان ابن دريسو منظومة في الطهارات، وهي نظم لكتاب الطهارات من ديوان الأشياخ، وضعها في ثمانية عشر باباً، تسهيلا على الطلبة احتواء مادة هذا الكتاب المهم رجزاً، كما جاء في مطلعها وفي الأبيات الختامية:

الحمد لله الذّي قد أنزل
ماء طهورا نعمة مفضّلا
... إلى أن يقول:
وبعد فالمقصود في ذا النظم
ما سهل الله بفن العلم
طهارة الديوان واستعنت
بالله في تحصيل ما قصدت

وقد سمى الشّيخ هذه المنظومة "زمزم" كما أشار إلى ذلك في نهايتها، إضافة إلى عمره وسنة النظم.

سميته زمزم من يحج
غير الذّي بقلبه يمج

ثم شر وفا سنة وعمري
لأربعين [ك.غ.م] عاما فادري
لست عشرة مضت في الشّهر
ولد فيه المصطفى ذو القدر

لـم نهتـد إلـى ضبطهـا، وربما قصـد أنها سـنة شـديدة وممحلة، وعدد أبياتهـا (790) سبعمائة وتسعين بيتاً.

أمـا جنـان الطلبة؛ وهـو شـرحٌ لألفية ابن مالك في النحـو، معينا به الطلبة على احتواء قواعده مع فهمهـا، وزيادة التمكن في النحو والإعـراب، ولذلـك سـماه جنـان الطلبـة، فقـد كان منهج الشّـارح فيه الوقـوف في كل بيت مـن الألفية على ألفاظهـا وإعرابها لفظا وعبـارة، ثـم بيان القواعـد التي أفصـح عنها البيت، ودعم القواعد بعد شرحها والتفصيل فيها بالأمثلة المتعددة وخصوصا من الآيات القرآنية والمنتخبات الشّعرية.

وقـد اعتنـى الشّـيخ ابن دريسـو فـي هذا الشّـرح بحصـر المادة التـي تنفـع الطلبة في سـياقها الملائم، مما هو تكملة فوق القاعدة النحوية، فيفسـح المجال في بعض الأحيان لزيـادة التعقيـب فـي نهايـة شـروح بعـض الأبيات بالاسـتطراد في بعض الفوائد، منبها إلى ذلك بعبارة "فائدة"، ما يزال هذا الكتاب مخطوطاً ضمن آثار الشّيخ.

توفِّي ببني يسـجن يوم 12 جمـادى الثانية 1313هـ/ 1896م؛ وَقِيل سنة 1298هـ/ 1881م.

رثاه محمّد بن محمّد بن عيسى ازبار بقصيدة مخطوطة بمكتبة آل افضل ببني يسجن.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- محمّد باباعمي وآخرون: مدخل إلى حياة وآثار الشّيخ امحمّد بن سليمان ابن ادريسو (مرقون)، كلُّه.
- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ) 106، 133؛

دبوز: نهضة الجزائر، 1/ 285-286؛ 2/ 149.

محمّد بن سليمان بن عبد الله الكامل

محمّـد بن سـليمان بن عبد اللـه الكامل، والـده هـو سـليمان شـقيق إدريـس الأكبـر مؤسس الدولة الإدريسيّة بالمغرب الأقصى. وحسـب المؤرّخ عبد الرّحمن الجيلالي فإن تاريخ وجود محمّد بن سـليمان في تلمسـان يعـود إلـى أواخر القـرن الثانـي الهجري أي بدايات القرن التاسـع الميلادي. ويقول بهذا الشّـأن " في فاتح سنة 199هـ الموافق ل 814 م أحدثت طائفة الصفريّة ثورة بتلمسان عجز عاملهـا عن إخمادهـا وهو يومئـذ محمّد بن سـليمان بن عبد اللـه الكامل، فزحـف إليها إدريـس الثاني فقضى على الفتنة، ومكث بها مدة وجدد العهد لابن عمه محمّد على ولايّة تلمسـان". ويذكـر عبـد الرّحمـن الجيلالي أن ارتبـاط العلويـين بفـاس كان يقتصر على الدعـاء لهم في المنابر. وبشـأن سـليمان بن عبـد اللـه الكامل، يقـول ابن خلـدون "وأما سـليمان أخـو إدريـس الأكبـر فإنـه فـر إلى المغـرب أيـام العباسـيين فلحـق بجهـات تاهـرت بعد مهلك أخيـه إدريس وطلبه وُلاة الأغالبـة فلحـق بتلمسـان فملكهـا، وورث ملكـه ابنـه محمّـد علـى سُـنته". وهـو نفس مـا يذهـب إليه الشّـيخ مبـارك الميلـي بقوله "ولحـق بإدريس أخوه سـليمان، وكان ممن حضر وقعة فخ ونجا على الصحيح". وتذكر الرّوايـات المعاصـرة أن أبنـاء سـليمان بـن عبد الله الكامل اسـتقروا في البلدة المسماة اليـوم بعين الحـوت والتي كانـت تعرف في السّابق بقريّة الأشـراف العلويين، وهي بلدة تجـاور مدينـة تلمسـان وتبعد عنهـا بحوالي سـبعة كيلومترات في اتجاه الشّـمال. ويذكر أبو عبد الله التنسـي، في كتابه المشهور نظم الـدر والعقيان، أن "بنو سـليمان بن عبد الله الكامـل إخـوة الأدارسـة تملكـوا المغـرب الأوسط " أي الجزائر.

ويقول ابـن خلدون حـول أبناء سـليمان بن عبد الله الكامـل "وافترق بنوه على ثغور المغرب الأوسـط ونواحيه. فكانت تلمسان مـن بعـده لابنـه محمّـد، وكانـت أرشـكول لعيسـى بـن محمّـد بـن سـليمان وكانـت جـراوة لإدريـس بن محمّـد ثم لابنه عيسـى وكنيتـه أبو العيـش ووليها بعده ابنـه إبراهيم بن عيسـى ثم ابنه يحيى بـن إبراهيم ثم أخوه إدريـس بن إبراهيـم وكانت تنس بـن محمّد بن سـليمان ثم لابنه محمّد من بعده ثم لابنه يحيـى بـن محمّد ثـم لابنـه علي بـن يحيى، وكان من ولـد إبراهيم هذا أحمد بن عيسـى بـن إبراهيـم صاحب سـوق إبراهيـم. وكان من بنـي محمّـد بن سـليمان هـؤلاء بطّوش وحنّاش بن الحسـن بن محمّد بن سـليمان. بينما يشـير عبـد الرّحمـن الجيلالـي إلى أن الأدارسة يومئذ انتشروا بالمغرب العربي كله وأعقبوا فيه، ومنهم من استقل ببعض المدن الجزائريّـة، فحكم بعضهم أرشـقول شـمال تلمسـان، ومنهـم مـن سـكن تنـس، ومنهـم بترنانا قرب ندرومة، ومنهم بغيليزان ومدّكرة بنواحي مليانة، ومنهم من حل بسوق إبراهيم بنواحي شـهبونيّة والسّرسو حيث مصب نهر شلف وغيرها.

أما ورثة محمّد بن سـليمان فذكر التنسي أنه لما هلك محمّد بن سـليمان أمير تلمسان خلفـه ابنـه أحمـد ولي عهـده واختـص بَنُوه بـدار الملك، وبعد وفاته خلفه ابنه محمّد بن أحمد وتملك تلمسـان من بعده ابنه القاسم، وظهـر في عهده بنـو عُبيد وهـم الفاطميون. وأما الحسـن صاحب تاهـرت فإنه لما هلك خلفـه ابنـه حنّـاش فلمـا هلـك خلفـه ابنـه بطّوش. وغلب العُبيديون على بني سـليمان حين ملكوا المغرب الأوسط.

كما تناول الشّيخ مبارك الميلي وجود بني محمّد بن سـليمان في الجزائـر تحت عنوان "العلويـون بالمغـرب الأوسـط" ويقول نقلا عن ابن حـزم الأندلسـي: " إن بني محمّد بن سـليمان بالمغرب كثيـر جـداً، وكان لهم بها ممالـك، وقـد بطـل جميعهـا" بعد سـقوطها

على يد الفاطميين. وفي الحديث عن ممالك العلويين في الجزائر يتعرض من كل الميلي والجيلالي إلى إمارة هاز وإمارة متيجة. فبخصوص إمارة هاز يقولان نقلا على الجغرافي الإدريسي إنها كانت بين المسيلة وآشير. وآشير هذه كانت بنواحي عين بوسيف من ولايّة المديّة وليست آشير البرج. و"إنها تمتد من ناحيّة البويرة على مقربة من جرجرة إلى نواحي قصر البخاري ومنه إلى نواحي زاغز الشّرقي، فتشمل سهل حمزة الفسيح وبهذه الجهة من القرى اليوم عين بسام وسور الغزلان وسيدي عيسى وغيرها. وأن سهل حمزة سمي على حمزة بن الحسن صاحب هاز، وكانت البويرة تسمى سوق حمزة لأنه الباني لها". وذكر الميلي أن مملكة هاز استمرت لبني الحسن حتى ظهرت دعوة الشّيعة وأخذ بها زيري بن مناد فأجلب على مدينة هاز وخربها. بينما يقول الجيلالي بشأنها إنها تشمل سهل حمزة الفسيح المنسوب إلى حمزة بن الحسن بن سليمان الطالبي العلوي مؤسس مدينة البويرة، وبه أبناؤه أصحاب هذه الديار.

أما إمارة متيجة العلويّة فذكرها الميلي نقلا عن الجغرافي اليعقوبي الذي قال عن السّهل: " هو بلد زرع وعمارة تغلب فيه رجال من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب يقال لهم بنو محمّد بن جعفر". أما الجيلالي فيقول إن ولايّة متيجة كانت تحت إدارة وتصرف محمّد ابن جعفر عم إدريس الأول ومن نسله بوفاريك المسماة به ناحيّة بوفاريك الشّهيرة بسهل متيجة، وهو من ولد جعفر بن الحسن بن الحسين بن أبي طالب.

ويحدد المؤرخ عبد الرّحمن الجيلالي الجزائر الإدريسيّة بأنها تمتد من أرض الرّيف (بالمغرب) غربا إلى أرض الحضنة من عمالة قسنطينة شرقا ولا تتعدى من جهة الشّمال مدينة وهران ونهر الشّلف، ومن الجنوب سهول غريس بناحيّة معسكر. ويظهر مما تقدم أن العلويين بالجزائر أبناء محمّد بن سليمان بن عبد الله الكامل، أسسوا عدة إمارات بالجزائر خلال مدة وجودهم قبل الإطاحة بهم من طرف الفاطميين وأبرز تلك الإمارات، إمارة تلمسان وإمارة تنس وإمارة تيارت وإمارة متيجة وإمارة هاز. ولم تتعرض الرّوايات التاريخيّة والسّير لتاريخ وفاة محمّد بن سليمان، ولكن الفترة الزّمنيّة للإمارات التي أقامها العلويون في الجزائر تتجاوز المائة عام، إذ تمتد من بدايّة القرن التاسع إلى بدايّة القرن العاشر بظهور الدولة الفاطميّة سنة 909م.

عامر بغدادي

المصادر:

- كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر، عبد الرّحمن بن خلدون، ج 4، مؤسسة جمّال.
- تاريخ دولة الأدارسة، أبو عبد الله التنسي، تحقيق عبد الحميد حاجيات، 1984.

تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، ج2، المؤسسة الوطنيّة للكتاب.

محمّد بن سي أحمد بن شريف (1296هـ - 1879م/1340هـ - 1922م)

كاتب أوّل روايّة جزائريّة باللغة الفرنسيّة. ولد في 16 فيفري 1879 بالجلفة، من عرش (أوّلاد سي محمّد) بأوّلاد نايل بالهضاب العليا وجدّه هو (سي الشّريف بلحرش) خليفة (الأمير عبد القادر) حيث استخلفه ووضع مقاليد الحكم بين يديه، وزوّجه، بل ورشّحه ليكون حقيقا بالقيادة. مثلما يرى ذلك الكاتب والمترجم (أحمد حيرش) الذي استقينا المعلومات الخاصّة بسيرة (محمّد بن شريف) مما كتبه عنه.

كتب روايّة (أحمد بن مصطفى القومي/ Ahmed ben Mostapha، goumier) سنة (1920) أي قبل روايات مولود معمري ومحمّد ديب بما يقارب ثلاثين سنة، وكان من الجزائريين الذين تابعوا دراستهم في المدرسة الفرنسيّة آنذاك، حيث تابع دراسته الثّانويّة بالجزائر العاصمة. ثم واصل التّعليم العسكري وقد كان من زملاء الأمير خالدّ سنة 1897 في المدرسة العسكريّة ب)سان سير) بفرنسا. وتخرج منها برتبة ملازم سنة 1899.

عين محمّد بن شريف ملازما أوّل سنة 1905 على المجموعة الأوّلى ل (السّبايس) وقائدا لأوّلاد سي محمّد في 04 فيفري 1907 وقد تنقل بين الجزائر والمغرب وفرنسا فخاض فيها عدّة معارك، وتمّ أسره في مدينة (ليل) الفرنسيّة في 14 أكتوبر 1914، وأثناء أسره عانى من المرض كثيراً حتى حوّل إلى سويسرا واسترجع عافيته. وفي 1918 رقي إلى رتبة نقيب ليعود إلى مسقط رأسه قائداً لأوّلاد سي محمّد مرّة أخرى.

حارب في صفوف الفرنسيّين ضدّ الألمان، ولم يجعل منه انخراطه في صفوفهم مواطنا فرنسيا، بل إنّه ظلّ متعهّدا جزائريّا في صفوف الجيش الفرنسي، وهي ضرورة تاريخيّة شملت عددا كبيرا من الجزائريين آنذاك الذين تم تجنيدهم في صفوف الجيش الفرنسي.

ترك محمّد بن شريف أعمالا أدبيّة في مجال الرّوايّة السّيرة والرّحلة. فكتب أوّل روايّة هي شبه سيرة ذاتيّة لتقاطعها مع حياته في الجيش الفرنسي، فمثّل الجزائري الذي أراد أن يجرّب التّجنيد شخصيّا ويصبح أحد قادة الجيش الفرنسي ليكتشف من داخله السّياسة الاستعمّاريّة، يحكي فيها يوميات أحد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي، يعدّ أوّل نص روائي باللغة الفرنسيّة طبع بفرنسا سنة 1920، ترجمها إلى العربيّة الأستاذان الشّيخ شعثان وأحمد حيرش سنة 2007 وتصوّر الرّوايّة مشاهد للبطل أحمد بن مصطفى (القومي) أو الخيّال الذي يتعهد عسكريا مع مجموعته لدى الجيش الفرنسي للذهاب إلى المغرب بغيّة تحريره ونشر السّلام فيه، وبفضل

شـجاعته قاد الفيلق ونجح في مهمّته، ليجازيه القائـد العامّ بوسـام عسـكري ومنـه ينتقل إلى أهلـه بأوّلاد نائل ويحضّر مشـهد عـرس باديّة الجلفة، غير إنّه في الرّوايّة يقدّم تبريرات البطل لانخراطه في الجيش الفرنسـي، وحمل العلم الفرنسي، لإنّه علم يحميه، لإنّه يحمل في طياته العدالة والتّسـامح وحق الضعيف، وهو بذلك يجسـد رغبة جيل ما بين الحربيّة في الاندماج، ومحاوّلـة خلق علاقات طبيعيّة مع الفرنسـيين والتّعايـش مـع الآخـر، ومحاوّلة هـدم العلاقة مستعمر/ مسـتعمر، أمام الأفكار التّنويريّة التي تحملهـا الثّقافـة الفرنسـيّة، وهـو حلـم البطل الـذي توقع أن يحققـه بالدّفاع عن فرنسـا ضد الألمـان، لكنّه حلـم لم يدم طويلا، ليتمّ أسـره من الألمان الذين حأوّلوا استمالتّه إليهم، لكنّه يقـاوم بشـجاعة، ويصاب بمـرض يؤخذ على إثره إلى سويسـرا ليموت هناك وحيدا، قبل أن يتبادل رسائل مع صديقة فرنسيّة أغلبها لا يتلقى ردا عليها لتكون آخر اعتراف بعدم القدرة على الاندماج مع الفرنسيين وكان في الرّوايّة قد هيّأ لهـذا الأمر بإبقـاء اللقاء بيـن الثّقافتيـن العربيّة والفرنسـيّة علـى المسـتوى العسـكري دون التّطـرق إلى العلاقـة بين المعمرين والشّـعب الجزائـري التـي كان رافضـا لسياسـة الإدارة الاستعمّاريّة، ويكون بذلك قد رسم لنا نموذجا لبعض الجزائريين الذي سعوا إلى التّعايش مع الفرنسيين، لكنّه وجد نفسه في بلد البرد والثّلج محجوزا في صورة فشله التي جسدها في موت البطل.

كما ألّف أيضا كتاب (نحو المدن المقدسة فـي الإسـلام/ Aux villes saintes de l'Islam) سنة 1919 ويحكي فيه بما يشبه ما كتبه أصحاب الرّحـلات عن مكانة مكـة والمدينـة والقدس لدى المسلمين في كتابه.

من مآثر محمّد بن شـريف ما يروى عنه إنّه وهب عقارا بني على أرضيّته المستشفى القديم لمدينة الجلفة وآثر أن يخـدم بني جلدته بروح إنسـانيّة وقيم الهويّة العربيّة الإسـلاميّة الرّاقيّة، وقـد خلّـد اسـمه فـي تاريـخ المدينـة وذاكرة الإنسـانيّة وتـم تأسـيس جمعيّـة باسـمه سـنة 2012 لنشـاطات الشّـباب وهي جمعيّة شـبانيّة ولائيّة يشـترك المؤسّسـون والمنخرطون فيها في تسخير معارفهم ووسـائلهم بصفة تطوعيّة ولغـرض غيـر مربح من أجـل ترقيّة نشـاطات الشّـباب وتشـجيعهم في إطار الصّالـح العام. كما إنّها تعيـد الاعتبار لشـخصيّة وطنيّة وعلم من أعـلام الثّقافـة الجزائريّـة لما سـمّي بأدباء مـا بيـن الحربيّة الذيـن تـمّ تهميشـهم والتّنكر لعطاءاتهـم ردحا مـن الزّمن. فعلـى الرّغم من إنّهـم لم يجـدوا إلا اللغة الفرنسـيّة للكتابة بها إلا إنّهـا لـم تقف في وجـه انتمائهـم التّاريخي للأمة العربيّة والإسـلاميّة، وهو ما أكدته سيرته الرّوائيّـة التـي انتهـت بموت البطـل الذي آمن بفكـرة التّعايـش والاندماج ووصـل إلى أرقى الدّرجات العسـكريّة لكنّه وجد نفسه محاصرا بثقافـة أخـرى لـم تحسـن تقبّلـه، كإدانـة ذاتيّة لصوت الاندماج، ولذلـك نجده في الواقع قد عاد إلى مسـقط رأسـه، ولم يمنع جنس الرّوايّة محمّد بن شـريف من افتتاحها ببيت من الشّعر العربي القديم يقول:

وأطلقت المهند من يميني
فشق له من الظلماء فجرا

بـل إن فضـاء الرّوايّـة ذاتـه لـم يبـرح عالم الفروسـيّة، وتـمّ تأثيثـه بالفـارس والسّـيف والكـرم العربـي الأصيـل، فكانـت حنينـا إلى أرض الأجـداد في منطقـة أوّلاد نايل، ويذهب أحد الدّارسـين إلى أن جـدّة الرّوائي محمّد بن الشّـريف واسـمها (فاطنة العلجة) هي إسبانيّة اعتنقت الإسلام وقد أسـرها الأمير عبد القادر الجزائري رفقة أختها وزوجها من جدّ الرّوائي ويتساءل هل (دون كيشوته) هو خال ل (أحمد بن مصطفى) أم أنّ سـيرفانتس نفسـه لم يكتب الرّوايّـة، بل كتبها مؤلف غامض غير محقق قد يكون ناسخ مجهول مسلم كما يتساءل الرّوائي العالمـي كارلـوس فوينتيس؟ وذلـك للأجواء العربيّة التي بدت على روايّة سرفانتيس.

يذهب أحمـد حيرش أن أحمد بن شـريف وإن لـم يتـرك خلفـا لـه سـوى كتابيـن: روايّة "مصطفـى الخيّـال" وكتـاب "نحـو المـدن الإسـلاميّة المقدسـة"، غير أن الثّابـت إنّه ترك أواصـر وعلاقـات ربطتـه برجـال النّخبـة فـي عصـره كالأمير خالـدّ وكذلك مفتـي المالكيّة بالدّيـار الجزائريّـة الشّـيخ الفقيه "أبي القاسـم محمّـد الحفناوي الدّيسـي" صاحـب كتاب:) تعريف الخلف برجال السّلف).

فـي 22 مـارس 1922 توفّـي الرّوائي محمّد بن شـريف بمرض وبـاء (التّيفيـس/ typhus) الـذي اجتـاح الجلفـة وبعـض المناطـق مـن الوطن، ودفن في مسـقط رأسـه الجلفة، توفّي هـذا الرّجل الذي حارب الوباء وسـخّر نفسـه لخدمة البسـطاء والمعدمين فـكان يصرف من ماله عليهم ويقدّم لهم الغذاء جماعات وفرادى مع ارتفاع عدد المصابين الذين تأثّروا بالمرض والفقر والمجاعة وكان يطبب المرضى بنفسه، إلـى أن أصابتـه العـدوى فقضى بفعـل الوباء، ورحـل ليجسـد أسـمى قيـم الإنسـانيّة مؤمنـا بشرف القبيلة الذي تهاوت أمامه مثاليّة فرنسا.

لم يمهـل وبـاء التيفيس محمّد بن شـريف لكي يكـون محظوظا، ويشـهد ميـلاد الحركة الوطنيّـة المناهضة للاسـتعمّار ليكـون عنصرا فاعـلا فيهـا ومنفعـلا بهـا، كمـا كان الأمـر بالنّسـبة لزميلـه الأمير خالـدّ، ولذلـك هنـاك كثير مـن الحلقات المفقودة فـي حياة كثير من الشّخصيات والأعلام في تاريخ الجزائر.

آمنة بلّعلى

المصادر:

- محمد بن شريف، رواية أحمد بن مصطفى الخيّال. ترجمة الشيخ شعثان وأحمد حيرش 2007.
- مقالات أحمد حيرش والشيخ شعثان.

Ferenc hardi: discours idéologique et quête identitaire dans le roman algérien de l'entre deux guerres; 2003.

محمّد بن صالح بن يحيى بن عيسى (الثّميني)
(1314هـ - 1897م / 1390هـ - 1970م)

أحد أفذاذ مدينة بني يزگن بيزاب، ورجالها المخلصين، برز في ميادين عديدة، وساهم مساهمة فعَّالة في الحركات العلمية والاجتماعية والسياسية، ترك بصمات هامَّة في تاريخ ميزاب والجزائر وتونس، أخذ مبادئ العلم ببني يزگن عن الشّيخ إسماعيل زرقون، والشّيخ الحاج إبراهيم بن محمَّد ابن إدريسو، ثمَّ عن قطب الأيمة أمحمَّد ابن يوسف اطفيش.

وفي سنة 1917م سافر إلى تونس لاستكمال دراسته بجامع الزيتونة، وتخرَّج فيه على يد علمائه، ومنهم: العلاَّمة محمد الطاهر بن عاشور، والشّيخ أبو الحسن النجَّار، والشّيخ محمد بن يوسف، أسهم في الحركة العلمية والسياسية منذ لحاقه بتونس، إذ انضمَّ إلى البعثة العلمية الميزابية بها؛ وكان مساعداً للشيخ أبي اليقظان، والشّيخ أبي إسحاق اطفيش في تسيير شؤونها، ثمَّ تولَّى رئاستها بعد نفي فرنسا للشيخ أبي إسحاق إلى مصر سنة 1923م. فقاد الثميني البعثة خير قيادة، وخاض المعترك السياسي، بعد تعرُّفه على زعيم الحركة الوطنية التّونسية الشّيخ عبد العزيز الثعالبي، فوقف بجانبه، وكان عضوا بارزا في اللجنة التنفيذية للحزب الحرِّ الدستوري التونسي، وسعى بكلِّ جهوده لدعم الحزب ماليا، فكان يجمع التبرُّعات من التجَّار التونسيين والجزائريين، وكلَّفه ذلك عنتاً ومضايقة شديدة من المستعمر الفرنسي.

ومن أعماله أيضا أنَّه كان مبعوث الحكومة الجزائرية المؤقَّتة إلى أمريكا والمغرب، لخدمة القضية الوطنية، وكانت له جبهة أخرى للعمل الوطني، إذ ساهم في صحافة أبي اليقظان تخطيطا، وكتابة، وتصحيحاً، وإشرافا على طبعها في تونس.

قام بشؤون طباعة صحيفة (وادي ميزاب) أولى جرائد الشّيخ إبراهيم أبي اليقظان في تونس، بمساعدة الشّيخ قاسم بن الحاج عيسى، من 01 أكتوبر 1926م إلى 18 جانفي 1929م، وكان رئيس تحريرها، يقوم على شؤون الجريدة في تونس بعد أن تأتيه المادة من الجزائر فيطبعها ويعيدها إلى الجزائر في القطار مرّة كل 15 يوما، ولم تتخلف الجريدة عن الأكشاك طيلة تلك المدة.

قال عنه أبو اليقظان:

"من المفكّرين في وضع خطط عريضة لإنشاء جريدة وادي ميزاب... وعُهد إليه بتصحيح وتنسيق الجريدة [وادي ميزاب] بتونس إلى غاية آخر عدد سنة 1929م"،

شارك في إنشاء جمعية الاستقامة الخيريّة بمدينة گالمة شرق الجزائر، وتولَّى رئاستها وإدارة مدرستها سنة 1930م وكان عضوا في النادي الأدبي التونسي.

ومن رفقائه فيه: الشّيخ العربي الكباوي، والشّيخ محمد بلحسين.

لم تشغله كلُّ هذه النشاطات عن الميدان التجاري، فقد كان نشاطه الاقتصادي متمثِّلا في (مكتبة الاستقامة)، التي اتَّخذها همزة وصل بين تونس والجزائر، يبعث منها إلى قادة النهضة بميزاب بأنباء الحركة الوطنية بتونس، والمشرق، وما يصدر هناك من مطبوعات فكرية وأدبية، قامت هذه المكتبة بدور هامٍّ في حياة تونس السياسية، إذ كانت مجتمعا للأحرار من الوطنيين، وبخاصَّة أعضاء الحزب الدستوري التونسي، ولذلك ظلَّ الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة - بعد تولِّيه الرئاسة - يزور هذه المكتبة كلَّ سنة، عقب خروجه من إحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان بجامع الزيتونة، وهي بجوار الجامع، اعترافاً بجهود صاحبها وأياديه على تونس، ولم ينقطع عن تلك العادة حتى توفي صاحبها، وكان يقول عنها: "إنَّ هذه المكتبة كانت في أيام الحماية ملاذاً لكلِّ الوطنيين الأحرار".

اهتمَّ الشّيخ الثميني بمجال العلم فتولَّى طبع بعض كتب جدِّه الشّيخ عبد العزيز الثميني، منها:

- الورد البسّام في ريّاض الأحكام.
- التكميل بما أخلَّ به كتاب النيل، وصدَّره بترجمة وافية عن مؤلِّفه تعتبر من أهمِّ مصادر حياة الشّيخ عبد العزيز الثميني، يقول في آخرها:

"... وإذا كان لا بد لشباب كل أمة ناهض من أفراد فيها يعتز بذكرهم ويتخذ من حياتهم مثلا يحتذيها ويقيم من أعمالهم في طريق سيره مناراً يهتدي به، فالشّيخ عبد العزيز من الأفراد الذين يخلق بشبابنا أن يعتزوا بذكرهم ويتخذوا من حياتهم مثلا ويقيموا من أعمالهم مناراً".

- حرَّر فصولاً تاريخية، ومقالات اجتماعية، وله قلم يتَّقد وطنية وبغضاً للمستعمر، من أهمِّها سلسلة مقالات في مجلَّة العرب لزين العابدين السنوسي، بعنوان: (حقائق عن وادي ميزاب).
- تخرَّج على يديه ثلَّة من الأدباء والوطنيين، من أبرزهم:
- الشّيخ عبد العزيز الثميني (الحفيد).
- شاعر الثورة الجزائرية: مفدي زكرياء.
- الشّاعر الثائر: رمضان حمود.
- المصلح الوطني: الكاملي عبد الله بوراس.
- الشّاعر الأديب: صالح خرفي.
- الكاتب الوطني: سليمان بوجناح (الفرقد).

كانت له صداقة وطيدة بشيخه محمَّد الطاهر بن عاشور، صاحب تفسير (التّحرير والتّنوير)، وكذا مع معظم علماء جامع الزيتونة.

قال شاعر لخضراء محمد الشّاذلي خزندار عن مكتبة الإستقامة:

لله مكتبة بها
سوق المعارف منفقه
قد فتحت أكمامها
فوق الغصون المورقه
ترسو على الخضرا بها
سفن العلوم الموسقه
راحٌ حلالٌ فاشربوا
منها الكؤوس معتقه
كنزٌ (ثمينٌ) حوله
كلّ النفوس محلّقه
شمس تلألأ نورها
جلا الوجوه الشّيقه
في 34 ابن العروس محلّها
حيث السعادة محدقه

بشرى لها قد واجهت
بيت الإله موفقه
(الاستقامة) سمّيت
مذ أرّخوها مشوّقه

توفي بتونس يوم 13 أكتوبر 1970م، ثمَّ نُقلت كنوز مكتبته إلى الجزائر سنة 1990م، وتعرف اليوم باسم (مكتبة الاستقامة)، في بني يزگن، ومن أهمِّ محتوياتها مؤلَّفات جدِّه الشّيخ عبد العزيز بخطِّ يده، وغيرها من كنوز الثقافة العربية والإسلامية، المخطوط منها والمطبوع وهي مفهرسة ومتاحة للباحثين.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- أبو اليقظان: الثميني كما أعرفه (مخ) 20 صفحة أبو اليقظان: أبو إسحاق اطفيش (مخ) 9، أبو اليقظان: ملحق السير (مخ) 3/ 242، 451 أبو اليقظان: نشأتي (مخ) 30 أبو اليقظان: أهدافي العليا (مخ) 25 أبو اليقظان: أرشيفه، وفيه مراسلات مع الثميني، ورسائل أخرى
- محمد الثميني: رسائل إلى أبي اليقظان، ث13
- دبوز: نهضة الجزائر، 1/ 289.

محمّد بن عبد الجبار الفجيجي (الثجيجي) (ت: 950هـ - 1543م)

محمّد بن عبد الجبّار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي نسبة إلى فجيج الواقعة بجنوب (المغرب الأقصى).

أخذ الشّيخ محمّد بن عبد الجبّار عن (أحمد بن يوسف الرّاشدي) و(محمّد بن عبد الرّحمن الكفيف) و(أحمد الحاج النمّيش العامري)، و (أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي).

ومن تلامذته (أحمد الغماري التّلمساني) فقيه موحّد، كان شاعرا ماهرا في النّظم، و(محمّد بن سليمان السماحي) الفقيه الصّوفي مؤسّس الطّريقة (الشّيخية)، والشّيخ (عبد القادر بن محمّد بن سليمان بن أبي سماحة) (ولد سنة 940هـ – 1533م) ويُدعى ويُعرف ب (سيدي الشّيخ) الّذي أخذ عنه العلوم الشّرعية والسّلوك الصوفية، والفقيه المدرّس (محمّد بن أحمد بن داود العطافي التّلمساني).

تذكر كتب التّراجم أنّ الشّيخ (محمّد بن عبد الجبّار الفيجيجي التّلمساني) كان شاعرا صوفيا وصاحب كرامات، له منظومة في مدح الرّسول ﷺ في مجلّد كبير، ويحتمل أن يكون قد وقف على قصيدة شيخه (أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي) في مدح النّبي صلّ الله عليه وسلّم، فاستلهم منها.

قال (ابن مريم) في البستان: "له زاوية في وطنه، المعروف بحدّوش من تاسالة، وكان قد بنى مسجدا على عين وبيتا للفقراء المريدين الذّاكرين الله على الدّوام لا يفترون عن القراءة والذّكر حتّى صار قطبا يأتيه الزّوار من كلّ بلد".

وكان الشّيخ محمد بن عبد الجبار يُنفق على مريدي زاويته وزوّارها ويموّلهم، بعدما باع جميع ما له من الأرض، وأنفقها عليهم.

كان الشّيخ محمّد بن عبد الجبّار فاضلا نزيها، خيّرا، صاحب كرامات، محبّا للفقراء، مكثرا للصّدقات، وقد تأثّر بشيخه (المغيلي) ويظهر هذا التّأثير من حيث التّأليف، وانتهاجه طريقته في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ويذكر (أبو القاسم سعد الله) أنّ الشّيخ محمّد بن عبد الجبّار كان صديقا حميما (لأحمد بن يوسف الملياني) المتصوّف، ويذكر أيضا أنّه كان على علاقة طيّبة بالعثمانيين.

وذكر (ابن مريم) أنّه توفّي في العام الّذي أخذ فيه النّصارى (تلمسان) أي في سنة 950هـ.

نسيمة لوح

المصادر:

- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان،ابن مريم المليتي المديوني التّلمساني،تح:أ.د.عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان.
- مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر،عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثقافية للتأليف والتّرجمة والنّشر،بيروت،لبنان الطبعة: الثانية،(1400هـ – 1980م).
- تاريخ الجزائر الثقافي،أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)،الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع– الجزائر،1981 م.

محمّد بن عبد الجليل أبو عبد الله التّنسي التّلمساني (820هـ - 899هـ/1418م - 1494م)

ولد بمدينة)تنس) لذلك كنّي بالتّنسي ونشأ (بتلمسان) فكُنّي بالتّلمساني، لم تورد كتب التّراجم تاريخ ميلاده بالتّحديد، لكن ورد في تحقيق كتابه (نظم الدّر والعقيان) للباحث (محمود بوعياد) إنّه يرجّح تاريخ ميلاده إلى سنة (820هـ–1418م) معتمدا على ما جاء في كتاب (الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع) للسّخاوي، نشأ أبو عبد الله التّنسي (بتلمسان)، وتتلمذ على يد علمائها،

فأخذ عن)محمّد بن مرزوق الحفيد) (842هـ- 1438م) التّفسير والفقه وأصول الفقه والحديث، وأخذ عن)أحمد بن زاغو التّلمساني) (845هـ- 1414م) العلوم الدّينيّة كالفقه والتّفسير والتّصوف والحديث، وأخذ عن)الحسن بن مخلوف أبركان) التّصوّف والفقه والحديث، كما أخذ عن)محمّد أبو الفضل بن إبراهيم بن الإمام) (846هـ- 1442م) الّذي نبغ في البيان والتّصوّف والأدبيات والشّعر والطّب، كما أخذ عن) قاسم العقباني) و(محمّد بن العبّاس).

كان التّنسي يدرّس بالجامع الأعظم (بتلمسان) وفي مدارسها المشهورة كالتّاشفينيّة واليعقوبيّة، كما كان لا يغيب عن مجالسّ السّلاطين العلميّة التي تميّزت بمناظرات بين العلماء ومنافسات شعريّة، فتتلمذ على يده عدد كبير من العلماء نذكر منهم:

- (أحمد البرنسي برزوق) (889هـ- 1484م): أخذ عن التّنسي في التّصوّف والحديث.

- (أحمد بن داود الأندلسي): وهو فقيه وكاتب ارتحل مع والده (علي القلصادي) صاحب (الرّحلة من غرناطة إلى تلمسان بعد سنة (890هـ- 1485م)، فأخذ عن شيوخها ومنهم التّنسي.

- (محمّد بن صعد) (901هـ- 1496م): صاحب كتاب (النّجم الثّاقب فيما لأوّلياء الله من المناقب) و (روضة النّسرين).

- (محمّد بن العبّاس الصّغير): الفقيه المتصوّف الّذي برع في العلوم معقولها ومنقولها، الّذي قال عن التّنسي: "لازمت مجلس الفقيه العالم الشّهير سيدي التّنسي عشرة أعوام، وحضرت إقراءه تفسيرا وحديثا وفقها وعربيّة وغيرها".

كانت للشّيخ التّنسي مكانة مرموقة بين معاصريه، إذ وصفه تلميذه (أحمد بن داود الأندلسي) بـ: "بقيّة الحفّاظ وقدوة الأدباء"، وقال فيه لمّا كان خارجا من تلمسان وسُئل عن علمائها: "العلم مع التّنسي والصّلاح مع السّنوسي والرّئاسة مع ابن زكري"، ووصفه (أحمد بن يحي الونشريسي) في وفيّاته: "بالفقيه التّاريخي الحافظ الأديب الشّاعر"، أمّا (المقري)صاحب (نفح الطّيب) فقد أشار إليه بقوله: "شيخ شيوخنا"، ووصفه بحافظ عصره.

لقد نبغ التّنسي في عدّة علوم فأثرى الحركة العلميّة بعدّة مؤلّفات ذكرتها كتب التّراجم، أهمّها:

- كتاب (نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيّان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزّمان)،

ويعد هذا المؤلّف من أهم ما وصلنا من القرن التّاسع الهجري، والّذي عالج فيه صاحبه سبعين (70) سنة من تاريخ المغرب الأوسط (الجزائر)، خاصّة تاريخ الدّولة الزّيّانيّة وذلك من سنة (764هـ-1363م) إلى غايّة سنة (868هـ- 1464م).

ومن دوافع تأليف التّنسي لهذا الكتاب، فهو تقديمه إلى السّلطان (محمّد المتوكّل) الّذي حكم من سنة (866هـ إلى873ه)، الّذي كان يكنّ له الاحترام والتّقدير لما كان لهذا الأخير من خصال الحزم والشّجاعة والكرم والعنايّة بالعلم والعلماء، وقد أثبت ذلك في مقدّمة مؤلّفه قائلا:

"...ولمّا كنت من جملة ما غمرته آلاؤه وتواترت عليه نعماؤه وألبست منها حللا صافيّة، وأوردت منها مشارع صافيّة نهضت في خدمته بقدر طاقتي، واستعملت في ذلك ما رجوت أن يكون نافقا من بضاعتي، جاهدا في مرضاته خاطري ولساني، وأعملت فيما يزلف لديه ناظري وشأني، جاهدا في ذلك بما في الوسع لدي، عسى أن أقوم ببعض واجب حقّه علي...".

وقد قسّم التّنسي مؤلّفه إلى خمسة أجزاء وقسّم كلّ جزء إلى أبواب، وتناوّل في هذه الأجزاء الخمسة ما يلي:

- القسم الأوّل: عرّف فيه المؤلّف بنسب السّلطان الزّياني (محمّد المتوكّل)، كما تطرّق بالذّكر لأسلافه وبيّن شرفهم المنتهي إلى آل البيت خاصّة فرع الأدارسة الأشراف.

- القسم الثّاني: وعالج فيه ما يتفرّد من الخصال وما يليق به من السّيرة الحسنة والأخلاق الحميدة.

- القسم الثّالثّ: ذكر فيه الملح والنّوادر المستطرفة التي رويت عن الأقوام المختلفة.

- القسم الرّابع: تناوّل فيه محاسن الكلام المستعملة في النّثر والنّظم.

- القسم الخامس: خصّه لذكر المواعظ والحكم الواردة في مختلف الأمم.

ثمّ ختم التّنسي كتابه برسالة في أصل العرب وبسبع قصائد للسّلطان (أبي حمّو).

- (رسالة في القراءات) وهو تأليف في علم القراءات.

- كتاب (الطّراز في شرح ضبط الخرّاز)

وهو شرح لأرجوزة نظمها (عبد الله بن إبراهيم الشّريشي) المعروف بالخرّاز سنة (703هـ- 1303م)، والموسومة ب: (مورد الظّمآن في رسم أحرف القرآن)، وتتكوّن من (608) بيتا في ضبط القرآن ورسمه، خصّص منها الخرّاز (454) بيتا في رسم أحرف القرآن و (154) بيتا للضّبط، وقد اعتنى التّنسي بشرح الجزء الخاص بالضّبط، وذكر الباعث على هذا التّأليف قائلا: "وبعد...فإنّي كما رأيت من تكلّم على ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشّريشي الشّهير بالخرّاز، وجدتهم بين مختصر اختصارا مخلاّ، ومطوّل تطويلا مملاّ، فتاقت نفسي إلى أن أضع عليه شرحا متوسّطا يكون أبسط لقارئيه، وأقرب لفهم طالبيه، فشرعت فيه مستعينا بالله تعالى وسمّيته الطّراز في شرح ضبط الخرّاز".

- كتاب (شرح نبذة من أحاديث الرّسول ﷺ) وهو كتاب في الحديث.

وكتب التّنسي كذلك في علم الفقه، فتذكر كتب التّراجم أنّ له تأليفا بعنوان (تعليق على مختصر ابن الحاجب)، كما له فتوى (جواب في قضيّة يهود توات) وهي عبارة عن فتوى استفتاه فيها الشّيخ (أبو عبد الله محمّد بن عبد الكريم المغيلي)، القاضيّة بتهديم بِيَع وكنائس اليهود التي أحدثوها في منطقة توات، والتي تصدّى له فيها خصمه القاضي (أبو محمّد عبد الله بن أبي بكر العصنوني) (قاضي تمنطيط)، وقد انقسم علماء بلاد المغرب العربي: (تلمسان) و (فاس) و (تونس) إلى قسمين إزاء هذه القضيّة آنذاك، فمنهم من أيّد المغيلي وآزره ومنهم من أيّد خصمه العصنوني، أمّا الشّيخ التّنسي فقد انتصر في هذه الرّسالة وشاطر المغيلي الّذي لم يتخذ

ذلك الموقف إلاّ بعد أن رأى ما عليه اليهود (من التّعالي والطّغيان والتّمرّد على الأحكام الشّرعيّة بتوليّة أرباب الشّوكة وخدمة السّلطان)، فالمسألة إذن ليست دينيّة كما فهمها من أراد المس بالدّين الإسلامي وبأهله لرميهم بالتّعصب وضيق الأفق ولكنّها مسألة سياسيّة بالدّرجة الأوّلى، ذلك أنّ اليهود (وأهل الذّمّة عامّة) اغتنموا فرصة الضّعف السّياسي والاقتصادي للدّولة وراحوا يستعملون حيلهم ونفوذهم للتّدخل في شؤون المسلمين وفي صميم الحكم نفسه.

كان التّنسي من كبار كتّاب عصره وشعرائه، فترك بصمته بتأليف كتاب اشتمل شعر من سبقه، خاصّة السّلطان الزيّاني (أبو حمو موسى الثّاني) والّذي سمّاه (راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشّعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حساب الاقتراح).

توفّي (محمّد بن عبد الجليل التّنسي) في جمادى الأوّلى سنة (899هـ-1494م).

نسيمة لوح

المصادر:

- الحياة الثّقافية بالجزائر جوانب من الحياة الثّقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن (10هـ- 13هـ)، المهدي البو عبدلي،جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدّولية للنّشر والتّوزيع،الجزائر،2013م.
- الفقيه التّاريخي محمد بن عبد الله التّنسي (ت899هـ- 1494م)، أ.محمد بوشقيف، مجلّة عصور الجديدة، العدد3-4، 1432هـ - 2011م / 1433هـ- 2012م.

تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)،الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع- الجزائر،1981 م.

محمّد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري التّلمساني (536هـ 1141م / 625هـ 1228م)

محمّد بن عبد الحق بن سليمان أبو عبد الله الكومي اليعفري التّلمساني، وقد كثرت كناه في بعض كتب التّراجم: أبو عبد الله بن سليمان: القاضي، اليفرني، اليعمري، الكومي، البطّيوي، النّدرومي، البربري، المالكي.

ولد(بتلمسان) سنة (536هـ-1141م) وبها نشأ، وكان والده من أشرف أهلها إذ كان يتولّى القضاء بها.

تفنّن (أبو عبد الله التّلمساني) في علوم جمّة، فكان مشاركا في الفقه عارفا براويته بصيرا بعلم الكلام، فقيها، مقرئا، حافظا، بارعا في الخطّ جمّاعا للكتب الجليلة.

سمع محمّد بن عبد الحق من أبيه وتفقّه على يديه، وأخذ القراءات والنّحو في سنة (551هـ) عن (أبي علي بن الخرّاز النّحوي) وأخذ عن (أبي بكر بن عصفور) و(أبي بكر اللّقتني) و(أبي الحسن بن أبي قنون) ولم يكتف محمّد بن عبد الحق بطلب العلم في بلده بل قام برحلة لقي فيها كثيرا من أهل العلم والدّين والزّهد وأخذ عنهم (بفاس و(مراكش)و(سبتة)و(إشبيليّة) ففي مدينة (فاس) سمع من (أبي الحسن بن حنين) و(أبي عبد الله بن الرّمّامة) و(أبي محمّد قاسم بن الزّقاق) ولقِيَ بها (أبا الحُسَين اللّوَاتيَّ) وأجاز له، و(بمَرّاكُشَ) أخذ عن (أبي الحسن مجُاهد) و(أبي عبد الله بن خليل) و(وأبي عبد الله بن الفَخّار) و(أبي القاسم بن حُبَيْش) و(أبي القاسم السّهَيْليّ) و(بسبتة) أخذ عن (أبي محمّد بن عبيد الله) وصحب بها (أبا الصّبر أيوب) ولقي بها (أبا الحسين بن الصّائغ) و(أبا عبد الله بن حميد) و(أبا محمّد عبد المنعم بن الفرس) و(بإشبيليّة)أخذ عن (أبي بكر بن الجَدّ) و(أبي جعفرِ بن مَضَاء) و(أبي الحَسَن نَجَبةَ) ولقِيَ بها (أبا عِمرانَ الزّاهد) وأجاز له (أبو الحسن بن هذيل) و(أبو طاهر السّلفي) و(ابن عمران التّليدي) وغيرهم من علماء المشرق والأندلس، كما صحب الوليين الزّاهدين (أبا مدين شعيب بن الحسين) و(أبا عبد الله محمّد بن مجبر الهواري).

روى عنه (ابن مسدي) فأكثر عنه، وروى عنه (علي بن عبد الله بن إبراهيم أبو الحسن الباهلي المالقي) الأديب، الشّاعر، (ت 670 هـ) لقيه (بتلمسان) وقرأ عليه، وروى عنه (أبو الحجاج بن محمّد بن علي الأسدي) و(أبو زكرياء بن أبي بكر بن عصفور) و(أبو عبد الله بن أبي بكر البري) و(أبو عبد الله بن علي بن حماد) و(أبو العبّاس المورواري) و(أبو العيش محمّد بن عبد الرّحيم الأنصاري) و(أبو موسى بن يوسف بن تامحجلت).

وحدّث عنه بالإجازة (أبو الحسن الرّعيني) و(أبو علي الماقري) و(أبو عبد الرّحمن عبد الله بن القاسم بن زغبوش) وغيرهم.

المناصب التي شغلها: ولي قضاء (تلمسان) مرّتين فحمدت سيرته، وعرف بالعدل، والإنصاف، والجزالة.

لأبي عبد الله تصانيف كثيرة أجلّها:

- (المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار) في عشرين (20) سفرا وثلاثة آلاف (3000) ورقة وقد جمع فيه بين كتاب (المنتقى) للقاضي (أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي)
- وكتاب (التّمهيد والاستذكار) (لأبي عمر بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن البر النّمري)
- وله أيضا (غريب الموطّأ وإعرابه)

- و(التّسلي عن الرّزيّة والتّحلّي بالرّضا بقضاء باري البريّة)
- و(نظم العقود ورقم الحلل والبرود) فرغ منه سنة (588هـ)
- و(لباب الإعراب)
- و(فرقان الفرقان وميزان القرآن)
- و(الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم)
- و(إرشاد المسترشد وبغيّة المريد المستبصر المجتهد)
- و(الإقناع في كيفيّة الإسماع) الّذي ذكر فيه من أخذ عنهم وكيفيّة تلقّيه عنهم، سواء في رحلته العلميّة أو ممّن لقيهم في بلاده ومن أجاز له من بلاد المشرق،
- وله كذلك (نفثة ذي الضراء ومسلاته برثاء الآباء للأبناء)
- و(التّذكرة للنواد المتخيرة وفصل المقال في مناقل أحوال غزوة أهل الإلحاد والضلال إلى طليطلة)

وغيرها من المؤلّفات.

ومن نظمه، هذين البيتين في عدد أحاديث (البخاري) رحمه الله:

جميع أحاديث الصّحيح الّذي روى
البخاري خمسة وسبعون في العدّ
وسبعة آلاف تضاف وما بقي (مضى)
إلى مئتين عدّ ذاك أوّلو الجدّ.

كان أبو عبد الله مكرّما وجيها عند الأمراء والملوك والسّلاطين، قال عنه (الحافظ الذّهبي): "وكان من أهل التّقشّف والتّصنيفِ، فصيحا، لَسِنًا...كان إماما متفنّنا جميل السّيرة معظما في النّفوس كثير الكتب"، وقال (ابن الأبار): "كان حميد السّيرة، مشاركا في الفقه وعلم الكلام معتنيا بالحديث وروايته، جوادا، واسع المروءة، فقيها، حافظا متكلّما، متفنّنا في علوم جمّة، بارع الكتابة، حسن الخط، جمّاعة للكتب الجليلة، مغاليا في أثمانها، إحتوت خزانته على ما لم يجتمع لأحد من أبناء جنسه كثرة ونفاسة، وكتب بخطّه الكثير، وعني بتصحيح كتبه ... معظما عند الخاصّة وحدّث ودرّس..."، وقال عنه (ابن الزّبير) إنّه: "كان حافظا من أهل الضّبط والتّقييد ..وكان فصيحا لسنا، شاعرا كاتبا مشاركا".

توفّي (بتلمسان) سنة (625هـ- 1228م).

نسيمة لوح

المصادر:

- غايّة النّهايّة في طبقات القراء . شمس الدّين أبو الخير ابن الجزري، محمّد بن محمّد بن يوسف (ت: 833هـ) مكتبة ابن تيميّة «: عني بنشره لأوّل مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر .
- تاريخ ندرومة علماء أقطاب وشخصيات، جمع وإعداد:أ.عز الدّين ميدون، مساهمة البربر في الحركة العلميّة الثّقافيّة في الأندلس (عالمان من ندرومة نموذجا) د.عبد القادر بوبايّة، سلسلة إصدارات جمعيّة الموحّديّة ندرومة، 2011م.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التّفسير والإقراء والنّحو واللغة «من القرن الأوّل إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزّبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمّد البغدادي، مجلّة الحكمة، مانشستر - بريطانيا ط-1 1424 هـ / 2003م.

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748ه) تح: الدّكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1-2003م.

محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي التّلمساني
(ت: 910هـ - 1505م)

هو محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي أبو عبد الله التّلمساني، وورد في (شجرة نور الزكية) أنّ اسمه محمّد بن عبد الرّحمن الحضرمي عوض الحوضي، ولد بمدينة)تلمسان (ونشأ بها، ولم تذكر كتب التّراجم تاريخا لميلاده.

مجالات نبوغه: تفوّق أبو عبد الله الحوضي في الأصول والفقه والأدب وخاصّة في نظم الأشعار، فاشتهر بشعر المدح والشّعر الدّيني.

آثاره ومؤلّفاته:

درس الحوضي على يد ثلّة من علماء) تلمسان (ورفع ذكر اسمه في المعيار، له نظم في العقائد سمّاه (واسطة السّلوك) شرحه الإمام (محمّد بن يوسف السّنوسي) كما قام (محمد بن قاسم دحمان الغساني) بشرحه كذلك وأسماه (شرح الحوضية) في العقائد، وقد بدأ الحوضي نظمه بقوله:

الحمد لله الّذي دلّ عليه
إيجادنا ثم افتقارنا
وبعد فالتّوحيد أشرف العلوم
وهو أساسها الّذي به تقوم

ويشير الحوضي في رجزه إلى سبب وضعه له وهو إفادة الطلاّب في المدارس وفتح طريق النّظر أمام القارئ بدل التّقليد، بل أنّه كان يطمح إلى أن تكون (واسطة السّلوك) مفيدة للأساتذة لاختصارها ووضوح عباراتها :

وقد سألت الله في تيسير
أرجوزة مفهومة التّعبير
قريبة المأخذ والمطالب
يقرأها الصّبيان في المكاتب

يخرج قاريها من التّقليد
ضرورة بنظر سديد
ورب منصف من الكبار
بها اكتفى من أجل الاختصار

وقد أشـار إلى تسميتها (واسطة السّلوك) لأنّها تبيّن سلوك الإنسان المسلم الصّحيح:

سمّيتها (واسطة السلوك)
إذ بينت كيفية السلوك

وقد قسّـم الحوضي أرجوزته إلى فصول، فـكان هنـاك فعل في حكـم العقـل وآخر في الصّفـات وثالث فـي ما يجوز مـن أفعال الله تعالى ورابع في بعث الرّسل، وهكذا، وأحيانا كان عنوان الفصل بيتا من الأرجوزة.

وللحوضـي أيضا كتاب في التّصوّف سـمّاه (الوسـائل العظمى للمقصد الأسمى)، وهو في الصّلاة على النّبي (صلّ الله عليه وسـلّم)،وهو الكتـاب الّذي اسـتوحاه كما قال مـن كتاب في نفس المعنى)لأبي عبد الله أبي البركات (، وقد رتّب الحوضي كتابه على حروف المعجم وبدأ بمقدّمة ذكـر فيها ما جاء عن الحديث الوارد في الصّلاة على النّبي والمواضع الّتي تجب فيها أو تسـتحب والفوائد الّتي يجنيها المصلّي، وقسّم الكتـاب بعد ذلك إلـى مجموعة من الوسـائل، فهنـاك (وسـيلة البـاء) وتبـدأ ب (اللّهـم صـلّ وسلّم على سـيّدنا محمّد النّبي الأمّي الهاشمي المجتبا) ولكل وسـيلة عنوان يناسـبها ويناسب الحرف الموضوع لها، فحرف الدّال هو (وسيلة نافعة في الحال والاسـتقبال، منوعة على حرف الدال)، أمّا بالنسـبة لحرف الظّاء (فوسيلة رفيعة الحظي، منجيـة من لظى، منوعة علـى حرف الظاء)، وهكذا.

وللحوضي قصيدة لامية ومرثية في الإمام (السّنوسـي) ولـه أشـعار فـي أغـراض كثيرة كالغزل والرّثاء والتّصوّف، وله أيضا تخميس قصيدة (أبي مدين شعيب)، الّتي مطلعها:

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا
ارحم عبيدا أكف الفقر قد بسطوا

ومـن شـعره في مـدح السّـلطان (الزّياني أبي عبد الله الزّياني) قوله:

أصبح المزن من عطائك يعطي
يوم تفخر الأنام عطاء
كيف يدعي لك الغمام شبيها
ولقد فقته سنا وسناء
أنت تعطي إذا تقصر مالا
وهو يعطي إذا تطول ماء

وقولـه في مدح الرّسـول (صـلّ الله عليه وسلّم):

لا تسل عن غرام قيس وليلى
واستمع سورة الهدى كيف تتلى
آية الحبّ في المحبّين وجد
معه لا ترى الحياة بأولى
أنا صبّ متيّم مستهام
لم يدع لي من أحبّه عقلا
قد سرى حبّه بكلّي وبعضي
كيف أسلو وكيف لي أتسلّى

ومـن شـعره في الغـزل هـذه الأبيات من قصيدته (الطنانة):

أرذاذ المزن من عيني نزل
أم دموع الشوق إذ رق الغزل
أبعيني دمعة وكافة
أم شعيب للنّوى منها انتزل
لا بكت عيني ولا أبكى البكا
ضوءها عن فعلها أن لم تزل
دع عذولي اللّوم إني شائق رقّ
طبعي دون صنعي في الأزل
أو ينسى العهد قلب دنف
والهوى قبل النّوى عنه نزل
لا تلمني دون علم عاذلي
فسمعي صمم عمن عذل
إنّ في نار هواكم جنّتي
لو علمت الحبل منكم يتّصل
آمنوا روعة قلبي باللّقا
فانتظار الوعد قرب أن حصل

ومن شـعره فـي الرّثـاء، قوله فـي قصيدة طويلـة رثـا فيهـا شـيخه (محمد بن يوسـف السّنوسي):

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها
والأرض رجت حين خاب رجاؤها
وأتى عليها النقص من أطرافها
وتراكمت وتعاطفت أرزاؤها
رزء عظيم خطبه ومصيبة ل
م ندر يا للقوم كيف عزاؤها
فقد السنوسي الإمام محمد
وهو ابن يوسف هد منه علاؤها
قد كان بحرا للمعارف زاخرا
فانزاح عنها حين بث غطاؤها

مكانته العلمية :

وصفـه صاحـب (نيـل الابتهـاج) بالفقيه الأصولي التّلمسـاني العالم الشّاعر المكثر، وممّـا قيـل فـي شـعره قـول (أبـي حامـد المشـرفي) في قصيدته الغزليّة (الطنانة) أنّها قصيدة تفتـح الشّـهيّة، ووصفه (أبو القاسـم سـعد اللـه) بشـاعر القصـر وشـاعر الحـبّ النّبوي في نفس الوقت.

توفّي محمّـد بن عبد الرّحمـن الحوضي التّلمسـاني، (بتلمسـان) فـي ذي القعـدة من سنة (910هـ – 1505م).

نسيمة لوح

المصادر:

- الأعلام،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس،الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط-15 أيار / مايو 2002م.
- تاريخ الجزائر الثقافي،أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع-الجزائر، 1981 م.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت: 1036 هـ) عناية وتقديم: الدّكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط 2 – 2000 م.

محمّد بن عبد الرحمن الدّيسي
(1270هـ - 1854م/1339هـ - 1921م)

ولد الشّيخ محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن الطّيب السّلاميّ الدّيسيّ الهاملي في قرية الدّيس قرب بوسعادة، من سلالة الوليّ الصّالح (سيدي إبراهيم) تربّى يتيماً، وذاق مرارة كفّ البصر وهو صغير، ومع ذلك عمل على تحدّي الإعاقة؛ بأن حفظ القرآن الكريم على شيوخ قريته، وفي زاوية (السّعيد بن أبي داود) ومن قريته انتقل إلى زاويّة الشّيخ (السّعيد بن أبي داود) بمنطقة القبائل في أقبو، ولاية بجاية حالياً. ودرس النّحو والفقه والتّوحيد، ثمّ ارتحل إلى (قسنطينة) ودرس على (حمدان لونيسي).

وفي هذه الرّحلة العلميّة قعد مستمعاً متعلّماً ساكتاً ناظراً ببصيرته إلى شيوخه وهم:

- محمّد بن أبي القاسم الهاملي
- حمدان لونيسي
- دحمان بن السّنوسي بن الفضيل الدّيسي
- ابن أبي القاسم بن الصّغير المعروف بابن عروس
- محمّد الصّديق بن محمد بن سليمان الدّيسي

ومن ثمّ استفاد من علمه طلابه:

- بومرزاق الونوي بن أحمد،
- محمّد العاصمي...

وعاد إلى الدّيس حاملاً زاداً معرفياً من المتون أهّله ليكون مدرّساً بزاوية الهامل.

وقد عرف الدّيسي بقوة حفظه وحافظته، كما عرف بسرعة فهمه وإدراكه، إضافة إلى شغفه **المجالس العلميّة والبحوث**، حيث كانت مجالسه كلّها عبارة عن مناقشات ومباحثات ومدارسات لا تخلو من فائدة، وكانت دروسه عبارة عن مناظرات علمية بحتة، ما حبّب ذلك إلى نفوس الطّلبة، واكتسبت دروسه بذلك شهرة واسعة لدى الأوساط العلمية، وأصبح من المفسّرين المحدثين المحقّقين، كما أصبح فقيهاً حاذقاً لمهنته بعصاميّة خاصّة، واستطاع أن يكوّن نفسه بثقافة واسعة جعلت أمثال (عبد الحميد بن باديس) يستشيره في بعض القضايا ذات العلاقة بالدّين والدّنيا، كما اختلفا في بعض المسائل المعاصرة التي يراها كلّ طرف معاكسة للآخر، وهو خلاف بين تيارين يتجاذبان آنذاك الاختلاف في أمور الصّناعات الحديثة مع الحكم الفرنسي: فريق يقرب إلى الطّرقين؛ ينشد العلم الأخروي ويعدّ (الدّيسي) منهم، ولكنّه يميل إلى المنطق، وهو الذي يقول: "... ومعلوم أنّ المجريات إحدى اليقينيات السّت التي يتألّف منها البرهان". وفريق مُصلح سلفي ينشد العلم الدّنيويّ؛ أي يريد العصرنة باسم التّفتح وبجناح السّلف الصّالح. ويشتدّ الصّراع وتقوى الإفتاءات للوصول إلى الحلّ الوسط، فكان الاختلاف ولم يحصل الخلاف.

ومع هذا فللشّيخ (الدّيسي) الوقار والاحترام العلمي لما يملكه من علم واسع، وقال فيه (الحفناوي) "من أجلّ المشايخ المعتبرين متخلّقاً بالأخلاق الرّائقة والأحوال الفائقة علماً وعملاً وزهداً وورعاً ومحبّة في الله وأهله، ووقوفاً مع الكتاب والسّنة، يقول كلّ من عاشره ووزنه بالميزان الشّرعي أنّ جزءاً من أحواله لا يخرج عن الشّرع". كما قال عنه:"... وكان يحب الخمول ويكره المحمدة والظّهور، ليّن الجانب صبوراً غيوراً على الدّين صاحب حزم واجتهاد منذ خلق ما نطق بفحش ولا ضبطنا عنه ساعة هو غافل فيها عن دينه... "جيّد النّظم سهل العبارة في التّعليم والتّأليف، ذكي الفهم غواصاً في المعاني الدّقيقة جبل علم، محاججاً، وكان في درسه رحمه الله يجمع لتلامذته من مسائل العلم على سبيل التّسهيل النّظائر والضّوابط".

مؤلّفاته:

لم يمنعه كفّ بصره عن المشاركة في التّأليف مستعيناً في ذلك بأخصّ تلامذته ومن كان يلوذ به من نجباء الطّلبة، فكان يملي عليهم، فاجتمع له بذلك عدد لا بأس به من مؤلّفاته نظماً ونثراً. وهو الذي ينطبق عليه:

إذا أبصرَ المرءُ المروءةَ واتّقى
وإن عمى العينانِ فهو بصيرُ
أن يأخذ اللهُ من عيني نورَهما
ففي لساني وسمعي منهما نورُ
قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسّيف مشهورُ

ومع هذا، فإنّه ألّف في شتّى العلوم، فنراه من خلال مؤلّفاته الكثيرة في الإنتاج العلميّ والأدبيّ يصدق عليه قول الوزير الأديب (أحمد بن الحسين الباخرزي) في وصف أبي العلاء (الكفيف): "هو ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف، ومحجوب خصمه الألدّ محجوج..."

ولا يسعنا المقام لذكر تلك المؤلّفات، المجالات التي كتب فيها: علم التّوحيد، علم الحديث، السّيرة النّبويّة، التّصوّف، الفقه وأصوله، التّراجم، علم النّحو، علم البلاغة، الرّدود، الدّواوين، الإجازات. ومع ذلك نشير إلى بعض المطبوع، دون الحديث عمّا هو مخطوط وهو في خزائن مكتبة زاوية الهامل:

- فوز الغانم في شرح ورد الشّيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي؛
- الزّهرة المقتطفة وهو نظم في اللغة شرحه بشرح أسماه القهوة المرتشفة، وجعل على الشّرح حاشية سمّاها الحديقة المزخرفة. القهوة المرتشفة في شرح الباقة المزركشة من ديوان منّة الحنان المنّان؛
- عقد الجيد منظومة في العقائد وشرحها بشرح سمّاه الموجز المفيد؛
- العقيدة الفريدة منظومة في العقائد مختصرة شرحها الشّيخ الكافي التّونسي، مطبوعة بتونس؛
- البديعية منظومة رجزية ضمّنها مدح شيخه الأستاذ الأكبر، وشرحها بشرح سماه "تحفة الإخوان ".
- المشرب الرّاوي على منظومة الشّبراوي في النّحو؛
- سلّم الوصول وهو نظم الورقات في الأصول وشرحه بشرح سماه النّصح المبذول؛

- ديوان منّة الحنان المنّان؛
- توهين القول المتين في الرد على الشّامخي الإباضي؛
- بذل الكرامة لقراء المقامة شرح المناظرة بين العلم والجهل؛
- إبراز الدّقائق على كنوز الحقائق في الحديث للمناوي؛
- تنوير الألباب شرح أحاديث الشّهاب؛
- فتح القدوس العلام على صلاة ابن مشيش عبد السّلام؛
- إفحام الطّاعن برد المطاعن؛
- خاتمة على قول ابن مالك.

وغني عن البيان أنّ تاريخ الجزائر العلمي مليء بالمئات من العلماء، والشّيوخ والفقهاء والصّوفية، وغيرهم من أهل الفكر، والمعرفة الذين أسهموا بعلومهم ودراساتهم في تنوير المجتمع بما قدّموه من دفع عجلة الحركة العلميّة إلى الأمام. ومن وجود عباقرة مغمورين في شتّى المعارف ومنهم الشّيخ الصّالح (الدّيسي) الذي لم ينقطع فضله، وهو الآن رمس ولم يعمّر كثيراً، ودفين القبة التي في مسجد الهامل، ويشار له بالبنان، ومن هنا يفرض علينا الواجب والاهتمام بالتّراث الجزائريّ اللامادي بتحقيقه ودراسته وتحيينه، ووضعه في أيدي الباحثين ليكون موضع الكشف عن زخمه الكبير، ومواصلة منجز السّلف على ضوء الدّرس الحديث، ويعني مواصلة للحضارة التي يبنيها اللاحق عن السّابق. ويتوفّى الشّيخ بجسده، لكن يبقى فكره الإنسانيّ العلميّ من الذّاكرة الجماعيّة للأمّة الجزائريّة، فكان علينا الحفر فيها لمعرفة أثره الكبير، ويكون مفخرة هذا العمل الذي تَقْدُمُ عليه مؤسّسةُ الدّولةِ الجزائريّةِ في تخليد علمائها.

صالح بلعيد

المصادر:

تعريف الخَلَف بِرِجال السّلف. الحفناوي.

محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي زيان القندوسي (القنادسي بوزيان) (1062هـ - 1650م/1145هـ - 1733م)

ولد الشّيخ ابن أبي زيان حوالي (1062 هـ / 1650م) بقصر بربي بالقرب من 'واحة تاغيت) (80 كلم جنوب ولاية بشار)، عاش طفولة صعبة بعد أن توفّي والداه، فكفله عمّه الحاج (إبراهيم ابن الحاج عبد الرّحمن) الّذي كان موجودا بالزّاوية الّتي كانت تنسب إلى الشّيخ عبد الرّحمن بن أحمد والمسماة آنذاك (الزّاوية الرّحمانية)(بالقنادسة).

تكفّل عمّه بمصاريف رحلته وأرسله طلبا للعلم إلى سجلماسة (تافيلالت) (بالمغرب)، فقصد زاوية الشّيخ (أبو عبد الله مبارك بن عبد العزيز بن عزي الغرفي العنبري السجلماسي) المعروف بـ (سيدي مبارك بن عزي العنبري الغرفي) أحد أشهر علماء تلك الفترة، (بسجلماسة)، بدشرة (العنبري) بمقاطعة (الغرفة) بإقليم (تافيلالت) بجنوب (المغرب الأقصى)،على مسافة 180 كلم تقريبا من (القنادسة)، وبقي بن أبي زيان ملازما شيخه مدّة عشرين (20) عاما إلى حدود سنة (1089هـ)، وهي السّنة الّتي وصل فيها الطّاعون (بسجلماسة) وكان من بين ضحاياه الأوائل الشّيخ (مبارك بن عزي) الذي توفي عام (1090 هـ / 1679م)، وقد سئل وهو في النّزع الأخير عمن يتولّى غسل جسده الطّاهر فقال:" (محمد بن أبي زيان) ليعلم بذلك من حضر من الأخوان إنّه هو الوارث لسره"، إلاّ أنّ ظهور بعض القلاقل في المنطقة جعلته يغادر (سجلماسة)، وخرج قاصدا مدينة العلم (فاس) لإثراء معارفه، فاستقرّ بمدرسة سيدي مصباح الّتي كانت تعد من أشهر مدارس (فاس) آنذاك والّتي أقام بها ثمانية (8) أعوام من (1089هـ – 1678م) إلى (1097هـ – 1689م)، فكان ينهل من حلقات العلم والفقه الّتي كان ينشّطها علماء كبار أمثال الشّيخ (عبد القادر الفاسي)، الّذي لقّنه الحكم العطائية (لابن عطاء السكندري) والشّيخ (عبد السّلام بن أحمد أوحمدون قسوس) الذي وصفه ابن أبي زيان بأنه شيخ الطريقة وبحر الحقيقة،والشّيخ (أحمد بن العربي المعروف بابن الحاج) توفي أوّل ربيع الأول سنة (1109هـ))وكان يدرّس ألفية ابن مالك، وشمائل الترمذي وموطأ الإمام مالك والشفا للقاضي عياض،والشّيخ (أحمد اليمنى) توفي (1113هـ)، وتحدّث ابن أبي زيان عن صاحبيه في العشرة والدّراسة والعبادة العارفين بأحواله، (سيدي أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي) والشّيخ (علي بن تيرس) الّذي كان يلازمه ويأمره بالكتمان، وبعد أن أتمّ دراسته بهذه المدرسة توجّه إلى أداء فريضة الحجّ فمكث (بالمدينة المنوّرة) لطلب العلم أيضا ثم (مكّة المكرّمة)، وعند رجوعه بعد إتمام فريضة الحج عرج على الأزهر وأكمل دراسته في الزيتونة (بتونس) ومنها رجع إلى (القنادسة).

عاد الشّيخ ابن أبي زيان إلى (القنادسة) عام (1098 هـ – 1686م) بعد جمع رصيد وافر من العلم الشّرعي والتّصوّف السّني ناهيك عن الخبرات والتّجارب، وقرّر الإقامة بها وشرع في تأسيس طريقته الشّهيرة (الزيّانية) على النّظام الصّوفي الشّاذلي بعد أدائه لمناسك الحجّ، وشيّد بها زاويته المشهورة الّتي استقبلت الألوف من الزّوار من كل الأنحاء (الجزائر، المغرب، تونس، وهران، تلمسان، زواوة الترك، الحجاز،...) والّتي تحوّلت إلى مركز علمي لتدريس الشّريعة الإسلامية والتّربية الصّوفية وتقديم الخدمة الاجتماعية والسّلم الاجتماعي، من خلال تعيين شيخها لقاضي يتولّى صلاحيات واسعة من أهمّها الإشراف على تحرير وتوثيق عقود مختلف المعاملات، من شراء ورهن وتوثيق ملك عقاري وإيجار وكتابة دين، كما كان للزّاوية هيئة خاصّة تنظر في الأحوال الشّخصية، ناهيك عن الدّور السّياسي الّذي كانت تضطلع به.

وكان الشّيخ (ابن أبي زيان) يلقن أوراد طريقته الّتي أخذها عن شيخه (أبي عبد الله سيدي مبارك بن عزي) والّذي أخذها بدوره عن شيخه (أبي عبد اللـه مَحمد بن ناصر الدرعي) صاحب زاوية تمكروت (بوادي درعة) بجنوب (المغرب) المتوفى بها عام (1085 هـ – 1674م)، فهي طريقة يوسفية ملیانية زروقية شاذلية، وقد اشتهر الشّيخ بزهده في الدّنيا وكراماته وتمسّكه بالسّنة وكراهيته للبدعة وأهلها.

تمكّن الشّيخ (محمد بن أبي زيان) من استقطاب عدد كبير من التّلاميذ والأتباع والمريدين الّذين وفدوا إليه لطلب العلم ونيل البركة من كل حدب وصوب، وأولى الشّيخ عناية بالغة لتحفيظ القرآن وتعليمه، حيث قام ببناء مدرسة وجامع وأنجز كثيرا من البيوت لإيواء الوافدين من مناطق بعيدة وتكفّل بإطعامهم وسهر على تفقّد أحوالهم، وتذكر المراجع في الجانب الاجتماعي للطريقة الزّيانية فيما يخص خدمة الزائرين والضيوف، فقد كانت تشرف على تغطيته السيدة الفاضلة زوجة الشّيخ والّتي يقول عنها صاحب (فتح المنان): " وكانت أم الأولاد الكرام السّيدة الفاضلة أم كلثوم صالحة عارفة بأمور الضّيافة وكانت رضي الله عنها رفيقة وملجأ للأيتام وكانت تصل الرّحم".

ومن تلامذته (عبد الرّحمن اليعقوبي) و(الشريف إدريس محمّد المنجرة الكبير الفاسي) المتوفى عام (1137هـ).

وقد أسندت مهام الزّاوية بعد وفاته إلى ابنه الشّيخ (محمّد لعرج) بعد موافقة كل أهالي البلدة والقبائل المجاورة.

تركت هذه الشّخصية آثارا كبرى في مختلف مجالات الحياة، وتركت جيلا كبيرا من الأتباع والمريدين والمحبّين، الذين حاولوا نشر منهجه وتعاليمه المستمدّة من شريعة رسول الله صلّ الله عليه وسلم، منتهجين طريقته ومقتفين لآثاره، فقد أشاد بفضله تلميذه العلاّمة الشّريف (إدريس محمّد المنجرة الكبير الفاسي) المتوفّى عام (1137هـ)، الّذي قال فيه عندما زاره (بالقنادسة)عام (1136هـ – 1723م):"ومنهم الشّيخ الفقيه الإمام أبو الإقبال الحاج الأبر صاحب الكرامات سيدي مَحمّد بن عبد الرحمان بن أبي زيان المراكشي نزيل الصحراء قرب جبل بشار، له أحوال وكرامات يبوح بها ويفشيها ويحب ذكرها وله حال في التصريف. لقيته ببلده واستفدت منه ولقنني وواعدني وصرح لي بما أرجو الله في حصوله وأكثر وكاتبني ووقعت بيني وبينه أشياء لا تفشى وهو في قيد الحياة إلى الآن عام (1136هـ – 1723م)".

ويقول العلاّمة (محمّد بن الطّيب القادري) المتوفّى عام (1187هـ – 1773م) في كتابه (نشر المثاني): "ومنهم الشّيخ الكثير التلامذة والأتباع أبو عبد الله مَحمد-بالفتح- ابن بوزيان القندوسي والقنادسة بلاد ذات نخيل بالصّحراء على مسيرة يوم من فيجيج. يحدث عنه أصحابه بكرامات وحسن السيرة... إلى أن توفي في العشرة السادسة وخلف أولادا يسلكون طريقه...".

توفّي يوم 11 رمضان (1145هـ – 1733م)، ودفن في مدينة (القنادسة).

نسيمة لوح

المصادر:

- مجلّة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ،العدد11 ديسمبر2016م،امحمّد بن أبي زيان القندوسي طريقته الصّوفية والأدوار المتعدّدة لزاويته،د.علي نابتي،جامعة سعيدة.
- من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن ساسي، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرّغاية،الجزائر،2011م.
- الرّحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم، دار هومة الجزائر،طبعة 2005، ج 2 .

محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر التّنلاني
(1151هـ - 1739م/1233هـ - 1818م)

عبد الرّحمن أبو زيد بن عمر بن محمّد بن معروف التّنلاني التّواتي، يكاد يتفق المترجمون للشيخ محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر التّنلاني التّواتي، على أنه ولد في منتصف القرن 12 هـ وذلك سنة 1151 هـ. وتقع تنلان شمال مدينة أدرار، وتبعد عن مقر الولايّة بـ 02 كم.

شيوخه:

- الحبيب السّجلماسي اللمطي، قرأ عليه القرآن وأجازه إجازة مطلقة، مسندة إلى الرسول ﷺ.
- عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التّنلاني.
- عبد الرّحمن بن إبراهيم الجنتوري.
- محمّد بن أُبَّ المزّمّري.
- عمر بن محمّد بن مصطفى الرقادي الكنتي.
- أحمد بن عبد العزيز الهلالي.
- عبد الرّحمن بن محمّد التّواتي.
- صالح بن محمّد الغماري السّجلماسي.
- محمّد المكي.
- أبو عبد الله سيدي محمّد بن علي بن محمّد بن إبراهيم الدّرعي.
- الشّيخ طالبن بن القاضي سيد الوافي.
- أبو العباس أحمد بن صالح السّوقي التّكروري.

تلاميذه:

- أبو عبد الله محمّد بن عبد الرّحمن البلبالي المعروف بسيدي الحاج، لازمه فأخذ عنه علما جما.
- عبد الحق بن عبد الكريم البكري
- صنوه عبد الله.

- محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر التّنلاني، نجل المترجم له.
- عبد الله بن عبد الرّحمن بن عمر التّنلاني، نجل المترجم له.
- عمر التّنلاني المعروف بعمر الأصغر.
- محمّد بن العالم الزجلاوي.
- عبد الرّحمن بن العالم الزجلاوي.
- محمّد بن مالك القبلاوي.
- محمّد بن المبروك البداوي.
- عبد الكريم بن حيدة.
- أبو مدين بن أبي بكر، أخذ عنه التّجويد.
- محمّد بن العالم الفلاني.

مؤلفاته:

- مختصر الدر المصون للسمين في إعراب الكتاب المبين اقتصر فيه على الإعراب واللغة والتّصريف وألغى البيان.
- مختصر النوادر.
- الفهرست جمع فيها مروياته، ومراحل حياته، وذكر فيها شيوخه، والإجازات التي تلقاها منهم.
- كانت آخر مؤلفاته ومسك ختامه "ورحلته لحج بيت الله وفتاوى مختلفة. (الرحلة ج1 ص 222). وقد ساقها كاملة في الغصن الداني
- الدر الأغر
- وله فتاوى ومقيدات.
- السّراج في الفلك.
- خلف قصائد شعريّة متنوعة.

تلقى الشّيخ سيدي عبد الرّحمن إجازات عديدة من طرف شيوخه أمثال:

- الشّيخ عبد الرّحمن الجنتوري.
- ابن أب المزمري.
- طالبن، بن سيد الوافي،
- الشّيخ أحمد بن صالح الغماري.
- محمّد بن على بن محمّد بن إبراهيم،
- أحمد بن العزيز الهلالي الذي أجازه إجازة شاملة وجامعة تشمل على 33 صفحة بالكتابة الدقيقة.

ومن شيوخه المغاربة الشّيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي الذي أجازه إجازة شاملة وجامعة تشتمل على 33 صفحة بالكتابة الدقيقة ومنهم الشّيخ السّيد صالح بن محمّد الغماري السّجلماسي، والشّيخ سيدي محمّد المكي بن الشّيخ صالح السّجلماسي، والشّيخ أبو عبد الله سيدي محمّد بن على بن محمّد بن إبراهيم الدرعي.

اتفق المترجمون للشيخ محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر التّنلاني التّواتي بأنه توفي سنة 1233 هـ، وقال صاحب الدرة الفاخرة: "توفي في شهر صفر بعد أن مضت منه تسعة وعشرون يوما من. عام 1233 هـ"

قال صاحب جوهرة المعاني: توفي بعد مغرب يوم الاثنين لست بقين من صفر عام 1233 هـ. وكذلك كل من نقل عن هذين المصدرين، أو من ألف بعدهم، يذكرون هذا التّاريخ، كصاحب كتاب (قطف الزهرات)، والشّيخ محمّد باي بلعالم في (الغصن الداني) وغيرهم.

بن الدين بخولة

المصادر:

- الغصن الداني، في ترجمة وحياة الشّيخ عبدالرّحمن بن عمر التّنلاني محمّد باي بلعالم مطبعة دار هومة
- النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبدالحميد بكري، مطبعة الطباعة العصريّة، الجزائر، 2010م.
- قطف الزهرات من أخبار علماء توات، محمّد عبدالعزيز سيدي عمر، مطبعة دار هومة، 2002 م.

الدر الثمين والمورد المعين، شرح محمّد بن أحمد ميارة على نظم الم رشد المعين، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط 1373 هـ 1954م.

محمّد بن عبد القادر الحسيني الجزائري
(1254هـ - 1838م/1326هـ - 1908م)

محمّد باشا الحسني مؤرّخ وأديب ومحارب جزائري وهو أكبر أنجال الأمير "عبد القادر" الجزائري، وبقيّة إخوانه هم: محيي الدّين، والهاشمي، وإبراهيم، وأحمد، وعبد الله، وعلي، وعمر، وعبد المالك، وعبد الرّزاق، ولد عام (1254هـ/ 1838م) في "القيطنة" بضواحي مدينة معسكر من بايلك وهران في الغرب الجزائري، مقر أجداده منذ القدم.

نشأ في بيئة دينيّة ثقافيّة متميزة ودرس في معهد القيطنة، الذي كانت تربطه روابط قويّة وعلاقات علميّة مع معاهد البلاد الإسلاميّة كجامع الأزهر في القاهرة، وجامع القرويين بفاس وجامع الزّيتونة بتونس وغيرها.كان للميزات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة في العصر، الذي عاش فيه تأثير كبير في تكوين شخصيته المتميزة.

اشتهر بفضله ومكانته الأدبيّة والعلميّة داخل الجزائر وخارجها، شارك والدّه الأمير "عبد القادر" في أكثر من معركة وهو صغير السّن في ميادين القتال ضد الفرنسيين، وذاق مرارة الأسر والسّجن في (أمبواز) بفرنسا مع عائلته مدة خمس سنوات كاملة.

كان يحمل رتبة فريق في الجيش العثماني.

هاجر مع والدّه إلى المشرق وأقام معه في كل من "بورصة" و"دمشق". وكان أول من تسلم منصبا مرموقا، وحمل لقب باشا من ابناء الأمير "عبد القادر" في بلاد الشّام. في اليوم الثّاني من وفاة والدّه (24 من أيار- ماي 1883)، اجتمع أفراد عائلة الأمير"عبد القادر" للمذاكرة بشأن من يخلف الوالدّ ويشرف على أمور الأسرة والمهاجرين الجزائريين إلى بلاد الشّام، وتكون له الكلمة المسموعة والمؤثرة في الجميع، فاجتمعت كلمة جميع الحاضرين على انتخاب "محمّد باشا" عميدا للأسرة ورئيسا لها،

وذلك في يوم الحادي والعشرين من شهر رجب 1300هـ - 1883م.

وقد كانت له مكانة كبيرة واحترام خاص ومنزلة رفيعة لدى المشرقيين؛ لما كان يتمتع به من ثقافة واسعة وتاريخ عريق وعلاقات متميزة.

عندما قامت الدّولة العثمانيّة 1885 بتقديم مشروع إحصاء السّكان، طلب الأمير "محمّد باشا" تسجيل جميع المهاجرين الجزائريين في السّجلات العثمانيّة بدل السّجلات الفرنسيّة، وهذا ما كانت تسعى إليه الدّولة العثمانيّة وحتى أولئك الذين كانوا قد سجلوا أنفسهم في القنصليات الفرنسيّة أعادوا تسجيلهم في السّجلات العثمانيّة، مما أزعج الحكومة الفرنسيّة، وجعلها تقدم احتجاجا وتطلب تفسيرا من الدّولة العثمانيّة عام 1885.

نتاجه الفكري:

من مؤلفات محمّد باشا الجزائري:

- كتاب "تحفة الزّائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"،

وهو سفر ضخم في جزئين ولكنه صدر أول مرة في مجلد واحد، أصبح مرجعا للباحثين والعلماء والمؤرّخين، ألف محمّد باشا الكتاب سبع سنوات بعد وفاة والدّه. ويبدو أن المشروع كان قائما منذ كان الأمير عبد القادر حيا. ذلك أن الأمير هو الذي مكن ابنه من الوثائق العائليّة ومن الرّسائل والآراء والصّلات بينه وبين غيره، أصبح هذا الكتاب الذي تميز بأسلوب علمي ميداني، مصدرا موسوعيا في ماحواه من وقائع حربيّة واحداث سياسيّة وتاريخيّة وأدبيّة، مع تفاصيل جغرافيّة عن القطر الجزائري، وقد ساعده في هذا المجال أنه قضى شطرا من حياته في سن مبكر في الجزائر إلى جانب والدّه.

فقد جعل الجزء الأول خاصا بالتّرجمة لحياة الأمير أثناء المقاومة، مع أولياته ونهايّة نضاله، والثّاني يتناول حياة الأمير الدّينيّة والأدبيّة، أي أثناء وجوده في السّجن والمنفى، وفي الكتاب تاريخ للجزائر في العهود السّابقة للاحتلال ولكن باختصار، وتعتبر حياة الأمير إلى 1847 هي حياة الجزائر أيضا، ولذلك يمكن اعتبار الجزء الأول تاريخا للجزائر كلها بين 1830 - 1847. وقد ضم الكتاب وثائق كثيرة ومصادر فرنسيّة وأخرى عربيّة وبعض الصّور. ولكنه يذكر ذلك عرضا ولا يفردها بقائمة مرتبة، وليس في الكتاب تعاليق. وصدر الكتاب أثناء حياة المؤلف. وعندما طبع مرة أخرى، أضاف إليه ناشره بعض التّعاليق الطّفيفة.

- كتاب عن الخيول العربيّة بعنوان "نخبة عقد الأجياد في أصناف الجياد"

يتكون من مقدمة وستة أبواب وخاتمة، والذي أتم تأليفه في عام (1323هـ - 1905م). وكان موضوعه الخيل العربيّة، وأصولها والآداب المتصلة بها ودورها في حياة المجتمع. وربما كان محمّد متأثرا أيضا بآثار والدّه في الفروسيّة والحرب وفي الأدب وإجاباته الفرنسيين عن طبائع الخيل.

- و"عقد الاجياد في الصّافنات الجياد"

وهو في أوصاف الخيل وأنواعها وآدابها. وهذا هو الكتاب المطول الذي ضمنه المؤلف رصيدا وافرا من كتب التّراث حول الخيل دلت على تمكنه في الأدب والتّاريخ والمنوعات الثّقافيّة، هو أقرب إلى أن يكون كتاب أدب وإمتاع منه كتاب حرب وفروسيّة.

- و"ثلاث رسائل" الاولى "ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الاسلام للعقل":

وهذا الكتاب يقع في حوالي مائة صفحة (99 صفحة). وقد رتبه على مقدمة وسبعة عقود (وليس فصولا) وتتمة وخاتمة. وقد جعل المقدمة في أسرار وضع الشّريعة في العالم. وافتتحها بنص طويل من محيي الدّين بن عربي الذي تأثر به الأمير عبد القادر، أخذه من كتاب الفتوحات المكيّة، وهو نص يتعلق بأمل الأديان الذي قال ابن عربي انه واحد، ولكن الشّرائع مختلفة، كما نقل محمّد عن والدّه في (ذكرى العاقل) من كون أصل الدّين واحدا والتّفاصيل مختلفة، وكون الدّين واحدا والأنبياء متعددين مثل مجموعة من الرّجال أبوهم واحد وأمهاتهم شتى. وإن تكذيب بعضهم أو جميعهم أو تصديق البعض فقط قصور.

- والثّانيّة " كشف النّقاب عن أسرار الاحتجاب"

درس فيها موضوع المرأة والحجاب الذي تناولته الصّحف والكتب عندئذ (أوائل هذا القرن). وقد رتب الرّسالة على مقدمة ومطلبين وخاتمة.

- والثّالثّة: " الفاروق والتّرياق في تعدد الزّوجات والطّلاق "

وقد رأى من الحكمة أن الله أباح تعدد الزّوجات واستعمال السّراري (لمن لا تكفيه زوجة واحدة لقوة بنيته وكثرة شبقه كي لا يرتكب فعل الزّنى المحرم). كما أنه من الحكمة إباحة الطّلاق وحل عقدة النّكاح لمن حصلت بينه وبين زوجته نفرة ولم يجدا علاجا لها حتى لا يكون أحد الزّوجين مكرها على الصّبر، وقد أنكر البعض نفع تعدد الزّوجات وإباحة الطّلاق وذلك لحصول الضّرر منهما، فكان غرض المؤلف الرّد على صاحب هذا الرّأي.

قسم هذه الرّسالة إلى مقدمة وبحثين (فصلين) وتتمة وخاتمة.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثّقافيّة للتأليف والتّرجمة والنّشر، ط2، بيروت، 1980؛

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد بن عبد الكريم البكري
(1300هـ - 1882م/1374هـ - 1954م)

محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري الأدراري، العلّامة والفقيه الشّهير. كان إماما مُقدَّما عارفا زاهدا سخيا متواضعا.

وهو المؤرّخ الكبير والقاضي العدل. قال عنه محمّد العالم البكراوي نزيل المنيعة: إنّه كان عالما بالتّاريخ والأنساب، وفقيها مدقّقا، وباحثا مجتهدا، ونحويّا متضلّعا، وأديبا متمكّنا، ولغويّا قادرا، والحاصل إنّه كان موسوعة علميّة بالمعنى الكامل.

فقيه، إمام، أديب، لغوي، نحوي،مؤرّخ باحث وقاض، له درايّة بالتّاريخ والأنساب، ولد بتمنطيط عام 1300هـ،1882م، درس بمسقط رأسه على يد والده عبد الكريم، وحفظ القران على الشّيخ عبد الواحد، ثم انتقل الى (كوسام) وتتلمذ على يدّ الشّيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي، حفظ المختصر، والعاصميّة، والالفيّة وصحيح البخاري، وجلس للتدريس وكان لا يحب المتكاسلين ولا العابثين، اخذ عنه اخوه عبد الحق بن عبدالكريم بن عبد الحق، وخلف عبد الرّحمن الحبيب في مجلس القضاء بتيمي، وفي سنة 1932م تولى قضاء الجماعة بتوات،و كان يميل إلى التّخفيف ويبتعد عن التّشدد، حج سنة 1368 هـ– 1948م، ولما وصل إلى المدينة المنوّرة ولاحت له انوار المصطفى ﷺ سقط مغشيا عليه، ولما افاق قال: "صدق البصيري لما قال:

وذهلنا عند اللقاء وكم أذهل صبا من الحبيب لقاء.

من مؤلّفاته:

– (الكواكب البهيّة في المناقب الكريّة) مخطوط عند الشّيخ محمّد بن الكبير بمدينة إدرار.

– (الدّرة البهيّة في الشّجرة البكريّة) مخطوط بخزانة الشّيخ أحمد ديدي بتنمطيط.

– (جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثّاني) (مخطوط أيضا عند الشّيخ بن الكبير).

– (درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام) تناول فيها أخبار الفتح العربي للمغرب.

– (حاشيّة على شرح السّيوطي لألفيّة ابن مالك).

كما له تقاييد مفيدة وعدّة قصائد، منها: (مرثيّة رثا بها شيخه عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي) جاء فيها:

شجاني فراق من اسنى فؤادي
وضقت ذرعا بالذي دهاني
يلاحظني الهوى لمعاني برق
ونار الشّوق ضاءت بامتحاني

له مخطوط محتفظ به عند الشّيخ محمّد بالكبير، بمدينة أدرار الجزائر، وتوجد نسخة أخرى بالمكتبة التّونسيّة رقم 5528 .

وتوجد نسخة منه بخطّ المؤلّف، بخزانة القاضي سيدي محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق، وفي خزانة الشّيخ سيدي أحمد ديدي نسخة أيضا بخطّ المؤلف.

ابتدأه بقوله: "الحمد لله أبدع الإنسان مِن سلالة من طين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14] وأشهدُ أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، إله العالمين، وأشهد أن سيدنا محمّد عبده ورسوله إمام الأنبياء والمرسلين، الذي وُجدَت الأشياء مِن نوره في أحقاب الغابرين، صلى الله عليه وعلى آله الطّاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، ورضي الله تعالى عن سادتنا أصحاب رسول الله أجمعين، وعن الخلفاء الرّاشدين، وعن المهاجرين والأنصار، وعن التّابعين وتابعي التّابعين، خصوصا منهم الأئمة المجتهدين، وعن سائر العلماء المسلمين، ومَن تبِعَهُم بإحسان إلى يوم الدّين، وبعد: فيقول أفقر الورى إلى مولاه، الغني به عن ما سواه، محمّد..."

– جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لديَّ من علماء الألف الثّاني، مخطوط أيضا عند الشّيخ بالكبير. وتوجد نسخة منه بخطّ مترجَمنا بخزانة الشّيخ سيدي أحمد ديدي.

ذكره عبد الحميد بكري، في كتابه النّبذة، ضمن قائمة مراجعه، وأفاد إنّه مخطوط بخزانة أحمد ديديّ، وخزانة القاضي سيدي بن عبد الكريم بن عبد الحقّ بتمنطيط.

– درّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام،

تناوّل فيها أخبار الفتح العربي للمغرب، مخطوط عند الشّيخ محمّد بالكبير، أدرار الجامع الأعظم.

وذكر الصّديق الحاج أحمد، في قائمة مراجعه في كتابه: التّاريخ الثّقافي: إنّه مخطوط بخزانة أبناء عبد الكبير المطارفة ولايّة أدرار.

ذكره عبد الحميد بكري في كتابه النّبذة ضمن قائمة مراجعه، وأفاد إنّه مخطوط بخزانة أحمد ديدي، وخزانة القاضي سيدي محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحقّ بتمنطيط.

– حاشيّة على شرح السّيوطي لألفيّة بن مالك،

توجد نسخة مخطوطة منه بخزانة القاضي، وأخرى بخطّ آخر بخزانة سيدي أحمد البكري.

– مرثيّة رثا بها شيخه عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي،

جاء فيها:

شجاني فراق من أسنى فؤادي
وضقت ذرعا بالذي دهاني
يلاحظني الهوى لمعاني برق
ونار الشّوق ضاءت بامتحاني

– له العديد مِن الأشعار والقصائد والتّقاييد المفيدة النّفيسة.

– الدّرة البهيّة في الشّجرة البكريّة.

مخطوط ذكره عبد الحميد بكري ضمن قائمة مراجعه، وقال: زاد عليه الحسن بن سعيد، ثم زيادة الحاج محمّد العالم بكراوي، مخطوط بخزانة الشّيخ أحمد ديدي بتمنطيط.

قلّد خطّة القضاء بـ "تيمي" 1351هـ – 1932م، بعد وفاة القاضي أبي زيد عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد الحبيب، ولا زال قائما به إلى أن قبضه الله.

قال الشّيخ باي: ومِمَّن عرفته من المشايخ، وجلست معه أثناء زيارتنا لتمنطيط، الشّيخ محمّد بن عبد الكريم القاضي، وذكر مؤلّفاته: إلى أن قال: ولقد تلاقيت معه مرارا، وآخر ملاقاتي معه في زاويّة الرّقاني.

هو ابن عمّ أحمد ديدي، وهذا الأخير ولد قبل مترجَمنا بسنة.

وكانت فترة تولّيه القضاء من سنة 1354هـ – 1935م، إلى غايّة سنة 1374هـ – 1954م.

نشأ بتمنطيط، وفيها حفظ كتاب الله عز وجل، وشيئا من المنظومات الفقهيّة والنّحويّة، ولَمَّا اشتدّ عُودُه، وظهرت نجابته، فكّر والده في أمره، وتحيّر في حاله، فما كان منه إلاّ أن أرسله للفقيه سيدي محمّد، والدّ سيدي الحاج محمّد العالم، السّاكن بالمنيعة وشاوره في أمر ابنه محمّد، هل يرسله في طلب العلم، أمْ يوجّهه لأمر الدّنيا، كي يُعينه فيها، فخاطبه سيدي محمّد بقوله: أمّا أمر الدّنيا فيُعينك الله عليه، وأمّا مُشاورتك لي في ولدك فالظّاهر عندي أن توجّهه نحو طلب العلم والمعرفة، فهو نِعْمَ الزّاد. فأخذ بنصيحته ووجّهه نحو المدينة العامرة، والزّهرة الخالدّة كوسام، حيث كان الفقهاء والجهابذة، وتحديدا عند شيخه العالم العلّامة سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب.

كان رحمه الله حافظا نابغة، ما عرفت المنطقة أعلم منه ولا أحفظ، فلقد حفظ المختصر والدّردير في 16 شهرا، وختم ألفيّة ابن مالك بشروحها في مدّة قصيرة جدّا، حتى كان فقيها نحويا وعالما متبحّرا، ميسّرا على العامّة وآخِذا بالأصول من الدّين.

كان رحمه الله في كوسام ذلك الطّالب المجتهد، المكدّ المحصّل، والفتى السّميدع، يحفظ كلّ ما سمع؛ بشهادة أقرانه وزملائه، صاحب الفهم الثّاقب.

وممّا يروى عنه في كوسان أنّ شيخه سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب كان بعضُ الأعراب قد وضعوا عنده بعض الأغراض ولكن ضاع بعضها، بفعل فاعل، وحضر أهلها وهُم ألوا بأس وشدّة فتحيّر الشّيخ رحمه الله، وبقي على حاله تلك مدّة مِن الزّمن، ولم يخرج حتى لمجلس درسه، فاستغرب الطّلبة لذلك وكان من عادة مُترجَمنا الذّهاب إليه، والجلوس معه، ولكن وجده في حال غير الحال، فسأل عن تغير الشّيخ فأجابوه، فما كان منه إلا أن توجه نحو أبيه سيدي عبد الكريم وذكر له حال الشّيخ مع أوّلئك الأعراب، فقال له: يصبح الصّباح، ويفتح الله، فقال له: يا أبي أريد الفتح الآن، فأرسله إلى الخادم القائم على أموره، وطلب منه الأشياء التي يحتاجها الشّيخ، فما طلع الصّبح إلّا وهو في كوسان، ومعه خروف وسَمن، ومقدار مِن المال يقضي حاجة الشّيخ وزيادة، فدخل على الشّيخ فوجده لا يزال في حاله، فقال له: يا سيدي لقد علِمت بالكائن، وجميع مرغوب هؤلاء وزيادة هو داخل الدّار، فما كان منه إلّا أن وقف مستقبِلا القبلة، وقال: وعظّمتُ الله وعظّمت الله، وعظّمت الله، لئن كان العلم يؤخذ مِن الرّؤوس؛ فإنّي اعطيه لك مِن رأسك ورجلك، فحمِد الله وشكره، فنال مترجَمُنا ببركة دعاء شيخه العلم وثمرته، وبقي في كوسام مدّة ثماني سنوات، فكان مِن العاملين العالمين، ومِن الزّهاد العابدين، ومِن الأخيار المتّقين.

أجازه شيخُه سيدي عبد الله البلبالي

ومِمّا ميز مسيرته في القضاء إنّه كان يميل إلى التّخفيف، ويبتعد عن التّشديد والتّزمُّت.

كان يحفظ المختصر والعاصميّة والألفيّة وصحيح البخاري، وغيره من الكتب المعتمدة في الفقه والنّحو، فضلا عن علوم أخرى، كان السّامع يتحيّر من أين له بها.

كان إذا بدأ مجلس درسه لا يحبّ أن يرى متكاسلا ولا ساهيا، وإنّما حضور معه بالعقل الكامل فكان إذا رأى غير هذا يُلغي المجلس.

سافر رحمه الله إلى البيت الحرام سنة 1368هـ – 1948م، وسافر معه الحاج محمّد بَابَا، وهذا الأخير ذكر إنّه لَمَّا وصل مترجَمُنا إلى المدينة المنوّرة؛ ولاحت له أنوار المصطفى ﷺ سقط مغشيّا عليه، ولَمَّا أفاق قال: صَدَقَ البوصيري لَمَّا قال:

وَذهلنا عند اللّقاء وكم
أذهل صَبًّا مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ

تاريخ ومكان الوفاة:

توفّي ظهر يوم الأحد 25 مِن ذي الحجّة سنة 1374هـ – 1954م بتمنطيط أدرار.

قبل وفاته دعا ابنه أحمد الحاج، وبحضور الطّالب محمّد البداوي، وبدأ لهم سورة يس ولَمَّا أتوا لقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 58] صعدت رُوحه الشّريفة لبارئها.

ملاحظة:

ذكر (جعفري بن أبّ حياته وآثاره ص 318): إنّه توفّي سنة 1372هـ – 1952م.

باديس فوغالي

المصادر:

- ترجم له عبد الحق حميش ومحفوظ بوكراع في موسوعة تراجم علماء الجزائر (تلمسان وتوات) ص 334.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الأوّل، ص 332، 333 .

الموقع: http: / /islamchabeb2.ucoz.ae/ .

محمّد بن عبد الكريم الزّموري الجزائريّ
(1342هـ - 1924م/1433هـ - 2012م)

محمّـد بن عبد الكريم مـن مواليد 25 أفريل 1924م ببـرج بوعريريـج، نشـأ وترعـرع فـي أحضان بلدة زمور المشـهورة بكثرة المسـاجد ووفـرة دور العلم والكتاتيـب والزّوايا، توفّيت أمه وهو رضيع، ثم توفّي والده وهو لم يتجاوز السّادسـة مـن عمـره. تربـى يتيما فـي أحضان قريته منطقة (زمورة) حيث بدأ دراسـته الأوّلى في مسـجد ابن فرج أين حفـظ ربع القرآن على يـدّ الشّـيخ العربي كشـاط وابنه الشّـيخ محمّد كشاط.

بـدأ دراسـة العلوم بمسـجد أبـي حيدوس على يد الشّـيخ علـي بوبكر، أخذ عنـه العقيدة بمتـن الجوهـرة، والنّحـو بمتـن الأجروميّـة، ليتتلمذ بعـد ذلك على العلّامة الجليل عمر أبو حفص الزّموري، وقد أبصر الشّـيخ في تلميذه النّبوغ والذكاء فاصطفاه وقربه، كما تتلمذ على يد الشّـيخ عبد القادر بن داود، درس عنه علوم البلاغة والسّيرة والتّفسير، وقد عرف منذ صباه بذلاقة لسانه وفصاحة بيانه وقوته في المجادلة والحجاج .

وقـد اضطرّتـه الفاقـة إلـى مغـادرة حلقات الدّرس في حداثة عمـره، وانصرف إلى الحياة العمليّة بسـبب الفقر والحاجة، حيث اتّجه إلى العمل من أجل كسـب القوت، حيث التّجأ إلى امتهـان مختلف الحـرف المتاحة لمثلـه آنذاك منها: التّجارة، وصباغة الصّوف والإتجار فيها، ثم بعـد ذلك تدريـس الصّبيان، قبـل أن يتزوج زيجتـه الأوّلى من أعيـان بلدته، ومع اسـتلامه مقاليـد المسـؤوليّة العائليّـة زادت الصّعوبات ففكـر فـي الهجـرة حلمـه القديم وكانـت هذه المرة بغيّة تحقيق حلمه القديم وهو السّـفر في رحلـة علميّـة إلـى الزّيتونة أو القرويـين أو إلى الأزهر الشّريف.

سـافر فـي حـدود سـنة 1952م إلـى تونـس لإكمـال دراسـته بمعهـد منزلـة ميم وهـو أحد فروع جامع الزّيتونة، حيث مكث هناك حوالي سـنة، ودرس على يد العديد من الشّـيوخ على غـرار كل مـن الشّـيخ محمّـد العابد، والشّـيخ الفاضـل بـن عاشـور. ومـع أن إقامتـه لـم تدم طويلا إلا إنّه قد ألم بعلوم المعهد الصّادقي من أطرافها في فترة وجيزة، وكان يعزي سبب هذا



الفتح إلى رؤيته المباركة التي رأى فيها الرّسول ﷺ في المنام يعطيـه قضيبا من نور، فأصبحت هـذه الرّؤيـا عبارة عن فـأل خير وبركـة لازمته طيلـة حياتـه، وكانـت عودتـه من تونـس تمثّل هذه الرّحلة مرحلة الثّانيّة وهي مرحلة حاسـمة وهامـة حيـث أظهـر نضجـه الفكـري وتعلقـه بالعلم، ومطالعة كتب الفقه والأدب والتّاريخ، وحـرص فيهـا علـى التّواصـل مـع العلمـاء، ومجالسّـة رجالات الدّيـن والثّقافـة والتّراث، تنقـل إلى أماكـن عديـدة ودرس علوما شـتّى، ومنهـا إلى زمـورة مواصـلا رحلته الدّراسـيّة، فـدرس بهـا ابن عاشـر فـي الفقـه والقطـر في النّحو، ثم توجه إلى مدرسـة التّوفّيق في السّيدة الأفريقيّة حيث درس بها مدة عامين.

في عام 1956م توجّه إلى مدينة ليون بفرنسا، وبعد 3 سنوات وبالتّحديد في 11 فيفري 1959م اقتحمت الشّـرطة الفرنسـيّة حجرته في الفنّدق الـذي يقيم فيه، تعـرض أثناء ذلك لشـتّى أنوع القهـر والضـرب، وتمـت مصـادرة الكتـب والوثائـق التي كانت بحجرتـه حيث قام رئيس الشّـرطة بفرز تلك الكتب وتمييـز مخطوطها، وكان مـن بينهـا كتابـان مـن تأليفـه، أحدهمـا بعنـوان: (دمعة الجزائـر) يحتوي على أشـعار وطنيّـة أنشـدها مـا بيـن سـنتي 1952–1959م، ومـا تبقـى من الكتـاب يحتـوي علـى روايات وتمثيليـات قـد مثـل جلهـا أيـام كان مدرّسـا بالجزائر، وثانيهما بعنـوان: الإلهامات الرّبانيّة إلى معنـى الأجروميّة، وهو شـرح لمقدمة ابن أجروم انتهـج فيه محمّد بن عبد الكريم سـبيل التّصوف مـن حيث التّفسـير الباطنـي لمدلول الألفـاظ الوضعيّة، فقد أحرقت الشّـرطة هذين الكتابيـن فـي مركـز (لافيـلات La Villette/) بعـد اسـتنطاقه، وطـال الإحـراق وثائـق كثيرة منها قصيدة رثى بها الشّـيخ عبد القادر بن داود الزّموري المتوفى يوم16 أكتوبر 1954م؛

حيث يقول في ديوانّه عن هذه الكتب:

أَيَحْرِقُ الِاسْتِعْمَار كُتُبِي مَكِيدَةً
وَمَا دُمْتُ قَيْدَ الْعَيْشِ فِكْرِي مُلَازِمِي
وَمَا دُمْتُ رَهْنَ الْعُمْرِ أَكْتُبُ غَيْرَهَا
وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَرَبِي رَاحِمِي

زُج بمحمّـد بـن عبـد الكريـم في السّـجن مـدة أربعة أشـهر تعـرض خلالها لأشـدّ أنواع التّعذيـب، صـور حالـه فـي السّـجن بقصيـدة شـعريّة بعشـرين (20) بيتـا. من شـدة التّعذيب الـذي تعرض لـه نقـل إلى مستشـفى السّـجن وقضـى بـه ثمانيّـة عشـر شـهرا بعدما اشـتدّ به المـرض فكتـب رسـالة إلـى وزيـر الدّاخليّـة الفرنسي آنذاك الذي أطلق سراحه.

فـي 23 سـبتمبر 1963م اسـتقل الطّائـرة من مطـار أورلـي عائـدا إلـى الجزائر، وفـي اليوم التّالي قصـد زمورة وما إن وصـل إليها وإقامته كتـب عدّة قصائد شـعريّة مـن بينهـا: فأنت أبو الثّـوار فيك المثال، 15 بيتا، حماك الله يا وطني بشعب ... 20 بيتا (سنة 1963م).

انخرط في سـلك التّعليم الرّسمي وتحديدا يـوم 15 10 1963م، أمـا التّعليم الحر فبدأه سـنة 1948م، حـاز علـى شـهادة الكفـاءة للتعليـم الثّانـوي سـنة 1965م، وبمقتضاهـا ارتقـى إلـى رتبة أسـتاذ مجاز مرسـم فـي التّعليـم الثّانوي، وقد قضى به مدة طويلة، درّس في مدرسة أميرا ببلكور بالجزائر العاصمة، وفي مدرسـة أشبال الثّـورة بالقليعـة (مدة أربعـة أيام)، وفـي ثانويّة النّخيل بوهران مدة عامين (1965 – 1966) وفي سنة 1967م أسند له منصب في مصلحة الوثائق الوطنيّة بدار الولايّة، وفي شـهر أكتوبر من سنة 1968م توجـه إلى تركيا مـن أجل تحضير دبلوم في علـم الوثائق وفـن المكتبـات، حيث طاف على مكتبات اسـطنبول وقد قـدم لمحة موجزة عن المكتبات المتواجدة هناك وعددها وطبيعة الكتب الثّريّة بها، ثـم أهم المكتبات التي زارها وعمل على جـرد المخطوطات المتواجدة بها: فيقول في مقدمة كتابـه: (... وجملة المكتبات

المركزيّة الموجودة الآن باسطنبول احدى عشر مكتبة وهي مكتبة جامعة اسطنبول، مكتبة توب كابي سراي، مكتبة كابرلو، مكتبة البلديّة، مكتبة ملت، مكتبة مراد مولا، مكتبة راغب باشا، مكتبة نور عثمان، مكتبة باي يزيد، مكتبة السّليمانيّة، ومكتبة سليم آغا (بإسطنبول الشّرقيّة، وقد طبعت هذه الدّراسة في كتاب بعنوان مخطوطات جزائريّة بمكتبات اسطنبول (تركيا)) تحصل على شهادة الدّراسات العليا في التّاريخ الحديث في أواخر ستينات القرن الماضي بموضوع (التّحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة) موضوعها تحقيق مخطوط، حيث أشرف على الرّسالة الدّكتور مولاي بلحميسي، ويظهر من خلال توطئته إنّه انتهى من تحرير الرّسالة: يوم 11 شعبّان 1389هـ الموافق ل 23 أكتوبر 1969م، نال خلالها درجة جيد بعد المناقشة وكان تاريخ مناقشته للرسالة يوم 19 ديسمبر 1969م.

فبعدما عاد من تركيا سنة 1969م، وجد منصبه بمصلحة الوثائق الوطنيّة الموجودة بدار الولايّة قد شغله شخص آخر، وبعد شكاوى عديدة رفعها إلى المسؤولين وانتظار دام ثمانيّة أشهر وصلته رسالة من وزير التّربيّة الوطنيّة تشير إلى تعيينه في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنيّة، والتّحق به رابح بونار وجلول البدوي، وكان أوّل عمل قاموا به إعداد فهرست لجميع المخطوطات الموجودة بالمكتبة الوطنيّة، وفي التّاسع من شهر مارس 1970م عزل من منصبه وأخرج بطريقة تعسفيّة.

وفي هذه السّنة نظم قصيدة ينتقد فيها انتهاج السّلطة آنذاك النّظام الاشتراكي عنونها ب:

هَذِي (اشْتِرَاكِيّة) وَالمُحْتَوَى كِيّة !!

يقول فيها:

هُمْ فَرَّقُونَا وَبِالتّفْرِيقِ قَدْ سَادُوا
هُمْ جَهَّلُونَا وَبِالتّجْهِيلِ قَدْ قَادُوا
هُمْ جَوَعُونَا وَبِالتّجْوِيعِ صِرْنَا لَهُمْ
مِثْلَ الكِلاَبِ لِمَنْ جَوَّعَ تَنْقَادُوا
هُمْ خَدَّرُونَا وَبِالتّخْدِيرِ أَمْكَنَهُمْ
أَنْ يَسْتَبِدُّوا، وَفِينَا الحِيفُ يَزْدَادُ
هَذِي « اشْتِرَاكِيّة» وَالمُحْتَوَى كِيّة
بِهَا اكْتَوَى جِيلُنَا، وَالجَمْرُ وَقَّادُ
قَدْ أَوْقَدَ الجَمرَ أَفْكَارٌ مُسَخَّرَةٌ
لِوَحْيِ « لِينِينَ » وَالأَنَامُ أَشْهَادُ
فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا نَحْنُ نَشْقَى بِهِ
قَوْلاً وَفِعْلاً عَلَى الإِطْلاَقِ إِلْحَادُ
لَمْ يَبْقَ فِينَا مِنَ المَأْمولِ نَسْلُو بِهِ
إِلَّا ابْتِهَالٌ وَفِينَا الصّبْرُ مُعْتَادُ

وفي هذه السّنة حضر أطروحة الدّكتوراه حول (المقري وكتابه نفح الطّيب).

كما درّس في مدرسة الخروبة للبنات سنة 1976م.، والثّانويّة التّقنيّة بحي العناصر وفي هذه الفترة نظم عديد القصائد من بينها: (لغة الضاد خذي العهد منا ....، ولما استقل القطر كلت مواهبي، أضعت علما، هذي اشتراكيّة والمحتوى كيّة، !!، تعاليت يا كتاب عن نقد ناقد) أمّا فيما يخصّ حادثة انتقاله للثانويّة التّقنيّة بالعناصر بعد الحادثة التي وقعت له مع مديرة ثانويّة حسيبة بن بوعلي، فبعد أحداث سبقت وأحداث لحقت أضرت بالدّكتور محمّد بن عبد الكريم ما جعله يترك التّعليم ويشتغل أمينا لمكتبة ثانويّة العناصر منذ سنة 1975 حيث نلحظ ذلك من خلال ما خلفه في ديوانه كشف السّتار حينما نظّم قصيدة بعد سنة فقط عنونها ب (كفاني من التّعليم) من بين ما قال فيها:

أَيَا مِهْنَةَ التّعْلِيمِ إِنَّكِ طَالِقُ
وَإِنِّي لِحُسْنِ الحَظِّ قَلْبِي مُفَارِقُ

كان يفترض بعد حصوله على الدّكتوراه أن يلتحق بالجامعة، وسعى لتحقيق هذه الأمنيّة بمراسلة الجهات المختصة ولكن دون نتيجة وحتى الشّفعاء الذين توسّط بهم باءت محولاتهم بالفشل.

بقي ابن عبد الكريم مرتبطا بالتّعليم الثّانوي إلى أن وقعت له واقعة بالثّانويّة التّقنيّة بحي العناصر بالعاصمة سنة 1977م سببت له متاعب صحيّة واضطرابات نفسيّة، فالمدير منعه من توقيع محضر التّنصيب دون تقديم المبررات القانونيّة، يقول الأستاذ: وقد سبّب لي هذا التّصرف المشؤوم إنهيارا في أعصابي وتدهورا في صحتي فعرضت نفسي على طبيب اختصاصي في الأمراض العقليّة (يونس بوشاك) فأعطاني دواء وكتب لي شهادة طبّيّة مضمونها أن حالتي الصّحيّة تستوجب لزوم راحة مدّتها لا تقلّ عن ستّة أشهر متواليّة...

وقد سافر إلى المغرب حيث عرض عليه وزير التّربيّة والتّعليم أن يشغل منصب أستاذ في الأدب العربي بجامعة محمّد الخامس ولكن جرت الرّياح بما لا تشتهيه السّفن، فلم يستقرّ بالمغرب وهو الذي كان يرغب في ذلك حتى يكون على مقربة من نفائس المخطوطات التي تزخر بها المكتبات الخاصّة والعامّة. وفي مارس 1978م توجه إلى ليبيا للمحاسبة في كتابيه (بدائع السّلك) و(الغنيّة)، وقد نظم أبياتا يصف ما حدث له بخصوص بتر بعض النّصوص من الكتابين فيقول:

وَقَفْتُ مُحْتَارًا ..... !!
قَلَّبْتُ كَفِّي ثُمَّ صَاتَتْ زُفْرَتِي
لَمَّا صُدِمْتُ بِبَتْرِ أَسْمَى فِكْرَتِي

عُرض عليه منصب داعيّة بفرنسا، من قبل جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة الليبيّة، فاستجاب للعرض وانتقل إلى باريس ليستمر نشاطه الدّعوي إحدى وثلاثين سنة زار خلالها العديد من الدّول الأوربيّة والإفريقيّة. أمام تلك الصّعوبات وبعدما عرض عليه ذلك المنصب قرر الدّكتور محمّد بن عبد الكريم الهجرة من وطنه الذي لم يستصغ مفارقته وبيَّن شدّة تعلقه بأهله وبوطنه حيث صور حالة فراقه بقصيدة بيّن فيها معاناته، كما وعد بالرّجوع للوطن ليسقي النّشء الذي طالما كان يأنس في الحرص على هذه الرّسالة الشّريفة فيقول في قصيدته ما يلي:

وَدَاعًا وَدَاعًا يَا بِلاَدَ الجَزَائِرِ
وَيَا مَنْ بِهَا قَلْبِي وَكُلُّ شَوَاعِرِي

عايش العديد من الأحداث السّياسيّة وتأثّر بها في المدّة التي عاشها في أوربا على رأس (جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة الليبيّة العالميّة)؛ كأحداث حرب الخليج، والعشريّة السّوداء بالجزائر وغيرها، حيث كتب عديد المؤلّفات خلال هذه الفترة في الدّين وفي السّياسة والشّعر، فدوَّن عن حرب الخليج عدّة قصائد من بينها: قصيدة (حرب الخليج رسمت رسم تفرقتنا، وقصيدة هذا العراق له علي تزكيّة) .

كما كتب في القضايا الدّينيّة والفقهيّة والقضايا المصيريّة للأمة ومن بين المؤلّفات التي كتبها ما بين سنتي 1980 و2000:

- الدّين الإسلامي عقيدة وشريعة.
- لغة كل أمة روح ثقافتها.

– تبديل الجنسيّة ردة وخيانة.
– الحكم الشّرعي لرؤيّة الهلال بالأبصار وإبطال نظريّة الحساب الفلكي في الصّوم والإفطار.
– حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائريّة (تحقيق).
– رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الخليفة هارون الرّشيد (تحقيق).

وقد سبق هذا الإنتاج العلمي في فترة السّتينات والسّبعينات رصيد لا يستهان به أيضا في مجال التّحقيق، والتّأليف خصوصا العشر سنوات الأوّلى من استرجاع الجزائر لسيادتها منها:

– التّحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة لمحمّد بن ميمون (رسالة ديبلوم الدّراسات العليا في التّاريخ الحديث).
– إتحاف المنصفين والأدباء لحمدان بن عثمان خوجة.
– السّعي المحمود في نظام الجنود لمحمّد بن العنابي.
– رحلة الباي محمّد الكبير لأحمد بن هطال.
– الاكتراث في حقوق الإناث لمحمّد بن خوجة الجزائري.
– الغنيّة للقاضي عياض المغربي.
– بهجة النّاظر لعبد القادر المشرفي الجزائري.
– حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة "ليس في الإمكان أبدع" لحمدان بن عثمان خوجة.
– وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمّدي الغالب لقدور بن ارويلة.
– بدائع السّلك في طبائع الملك لمحمّد بن الأزرق الأندلسي ج1–2.
– مذكرات حمدان بن عثمان خوجة (تعريب).
– 12 كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة (تعريب).

بعد عودته إلى الجزائر استقرّ في مدينة سطيف (كتب خلالها قصائد حول السّياسة) حول الحكام والسّاسة، حول فلسطين ومع طول غربته في فرنسا وتجواله بالدّول الإفريقيّة داعيا مصلحا اشتاق لبلدة أجداده فأنشدها في قصيدة كتبها في 21 أفريل 1997م من ثلاثين بيتا بعنوان: لم يبق في الذكرى سوى (زمورة)؛ صور فيها ما كانت عليه وما أصبحت فيه، من بين ما قال فيها:

شَرَّفْتَ أَوْ غَرَّبْتَ فِي المَعْمُورَه
لَمْ يَبْقَ فِي الذِّكْرَى سِوَى زَمورَهْ
مَهْدُ الفَضِيلَةِ وَالوَفَاءِ نَزَاهَةً
سَلْوَى قَنَاعَتِهَا بِهَا مَسْتُورَهْ

الاشتياق والحنين إلى الاستقرّار لم يكن يراه إلا بالرّجوع إلى مسقط رأسه وهو ما نظمه بسوسة في تونس، وكانت القصيدة بعنوان:

– فأمسيت ك (الحلزون) أحمل مسكني!!...

يقول فيها:

مَتى يَا بِلادِي استقرّ وَأَنْزِلُ
وَأُلْقِي عَصَا التّرْحَالِ لَا أَتَحَوَّلُ؟
أُعَلِّلُ بالتّسويف نفسي ترجيا
فرحت به أسلو ولا أتوصل

توفّي الشّيخ العلّامة الدّكتور محمّد بن عبد الكريم يوم الجمعة 9 نوفمبر 2012، عن عمر ناهز 88 سنة بمنزله المتواجد بحي المعبودة بمدينة سطيف، إثر معاناته الطّويلة مع مرض الرّبو، الذي أقعده الفراش لسنوات طوال، حتى غادر الحياة في صمت.

بوبكر الصّديق صابري

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائريّ
(1228هـ - 1813م/1283هـ - 1866م)

ولد محمّد بن عبد الله الخالدي في جبل (هلالة) (بالجزائر) سنة (1228هـ – 1813م) نشأ الفقيه والعالم المفسر المضطلع بالحديث محمّد بن عبد الله الخالدي بجبل (هلالة) وبها قرأ القرآن على يدّ والده، وكان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً، تقيّاً فاضلاً، فلمّا حفظ القرآن وأتقنه مجوّداً، توجّه إلى بلدتي (مازونة) ثمّ (قسنطينة) وذلك بين سنتي ألف ومائتين واثنتين وأربعين (1242هـ) وألف ومائتين وخمس وأربعين (1245هـ)، حيث اشتغل بالعلوم الشّرعية، وحفظ متن الشّيخ (خليل) في مذهب الإمام (مالك) وقرأ بعض شروحه (بمازونة)، وطلب (بقسنطينة) لعلوم الّتي ترام، وأخذ عن علمائها الأعلام، وفي سنة ألف ومائتين وست وأربعين (1246هـ) رجع إلى مسقط رأسه، واشتغل بنشر العلوم وفصل القضايا بين النّاس، كما كان ذلك دأب والده.

وفي سنة ألف ومائتين واثنتين وخمسين (1252هـ) توجّه إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحجّ الشريف، وجاور في (المدينة المنورة) سنتين، ثمّ قدم إلى (مصر) (القاهرة) للمجاورة في جامعها الأزهر، فأخذ عن أكابر علمائها المحقّقين كشيخ الإسلام العلاّمة الشّيخ (إبراهيم الباجوري) والشّيخ (محمّد عليش المالكي)والشّيخ (السقا) والشّيخ (المبلط) وغيرهم، وأخذ القراءة عرضا عن الفقيه (إسماعيل القسط)، وأجازه كل منهم بما حواه ثبت الشّيخ (محمّد الأمير) أو صحّت له روايته عن غيره إجازة عامّة، وفي عام ألف ومائتين وثمانية وستين (1268هـ) قصد (دمشق) (الشّام) وجعلها له دار مقام، وعكف على التّدريس في مدرسة دار الحديث، في المنقول والمعقول، وتصدّر للإفتاء، وفصل القضايا بين المهاجرين من المغاربة بأمر من (الأمير عبد القادر الجزائري) الّذي استقرّ (بدمشق) بعد مغادرته (بروسة بتركيا) الّتي استقرّ بها بعد مجيئه من منفاه بقصر (أمبواز بفرنسا)، وكان (محمّد بن عبد الله الخالدي) مرافقا (للأمير عبد القادر)، وكان الخالدي من قبل قد أخذ الطّريقة الخلوتية، وصاحب جملة من أهلها منهم الشّيخ (سيدي علي بن عيسى البكري الخلوتي) في بلاد (المغرب)، ولما توجّه إلى (مكّة) المشرّفة تلقّن الطّريقة السّنوسية الإدريسية على الشّيخ (محمّد السنوسي)، وفي الدّيار (الشامية) لازم الشّيخ

(محمّد المبارك البكري الخلوتي) حتّى توفّي، ثم اشتغل بالطريقة الشّاذلية وصحب بعض أهلها (كالأمير عبد القادر الجزائري)، ولم يصده الاشتغال بالعلم الظّاهر عن المجاهدة في علم الله تعالى، قال (البيطار): «وكان لي معه حضور واجتماع، ومذاكرة وملاطفة وعشرة قويّة، ومحبّة كثيرة وتودّد غزير، وكان عابداً صالحاً تقيّاً فالحاً، مكبّاً على العلم والعمل، وكان مقيماً في مدرسة دار الحديث في العصرونية من (دمشق) المحمية، في الصّف الشّرقي من الطبقة السفلى، وكان كثير العزلة عن الناس مقيماً على المجاهدة والإقبال على ما يعنيه، إلى أن خطبته المنية لدار نوال الأمنية، في أواخر جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين في دمشق ودفن بها».

ويذكر الباحث (سهيل الخالدي)في كتابه «الإشعاع المغربي في المشرق»، أن الشّيخ (محمد بن عبد الله الخالدي) قد هاجر إلى (دمشق) في هجرة الجزائريين الأولى، حيث قسّم هجرة الجزائريين إلى أربع موجات تبدأ أوّلها سنة (1847م) وآخرها سنة (1914م)،وفي هذه الموجة الأولى الّتي تميّزت بهجرة الشّيخ (الخالدي) إضافة إلى (أحمد بن سالم خليفة الأمير) وشيخ الطّريقة الرّحمانية (محمّد المهدي السكلاوي) و(المبارك الطيب).

وقد كان للشّيخ الخالدي دور في الحياة الثقافية (بسوريا) خاصّة في حقل التّعليم، إذ برز الكثير من الجزائريّين وخاصّة من عائلة الأمير وأتباعه في هذا المجال، درسوا ودرّسوا وساهموا في إنشاء المدارس وتخرّج منها وعلى أيديهم العديد من العلماء وكبار المفكّرين الشّاميّين، ومن بين هذه الشّخصيات الهامّة في هذا الحقل رفقة الشّيخ الخالدي نجد كل من (الأمير أحمد بن محي الدّين) و(الأمير محمّد بن عبد القادر) و(أحمد بن محمّد التّلمساني) و(أحمد الغريسي الجزائري) و(محمّد المبارك) و(أبو يعلى الزواوي) و(أحمد جودت الهاشمي) و(أحمد زروق وصالح السمعوني)، كما كان للشّيخ محمّد الخالدي الفضل في بناء مدرسة والمسجد الجزائري في بلدة (تليل الحسينية) (بفلسطين) وذلك قبيل وفاة (الأمير عبد القادر)، والّتي كانت تسكنها جالية جزائرية محافظة على التّواصل مع بقية الجزائريين في (الشام)، لا سيما مع (الأمير عبد القادر الجزائري) وأبنائه والتّنسيق معهم في عدد من القضايا، حيث كان (موسى الحاج حسين الكُبِيرْ) أحد أعيانهم وأغنيائهم ومثقّفيهم، الوسيط بينهم وبين صديقه الأمير الجزائري الّذي كانوا يُكِنُّون له احترامًا كبيرا ويُعوِّلون عليه كُلَّما تعرَّضوا إلى تحديات ومشاكل تفوق مواجهتُها قدراتِ القرية ورجالَها، وهي القرية الّتي بلغ عدد سكّانها، آنذاك، المئات، بل فاقوا الـ (500) حسب وثائق بريطانية، وكانوا يُقيمون في عشرات المنازل.

روى الحروف عنه الفقيه (عبد الوهاب بن فليح)، ومن تلامذته أيضا السّيد (محيي الدّين باشا) و(الهاشمي) ابني (الأمير عبد القادر الحسني الجزائري)، فقرأ عليه (محيي الدّين باشا) فقه مالك، كما أخذ عنه العالم الصّوفي (أحمد بن محي الدّين الحسني الجزائري) شقيق (الأمير عبد القادر).

توفّي في أواخر جمادى الثّانية سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين (1283هـ – 1866م) في (دمشق) (سوريا) ودفن بها.

نسيمة لوح

المصادر:

- حلية البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر، عبد الرزّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: 1335هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية،دار صادر، بيروت،لبنان،ط:2، 1413 هـ – 1993 م.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد مجموعة من الأساتذة، تقديم: أ.د.محمد الأمين بلغيث، إشراف: أ.رابح خدوسي، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر،ج1، الطبعة2014م
- مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت،لبنان،ط:2،

محمّد بن عبد الله بن أيوب أبو عبد الله (المنور التّلمساني)

(ت : 1173هـ - 1760م)

هو العلاّمة الأديب المحدث المسند الرّحّالة محمّد بن عبد الله بن أيوب، أبو عبد الله، المعروف بالمنور التّلمساني، نسبة إلى مدينة (تلمسان)، ولد (بتلمسان) ولم تورد كتب التّراجم تاريخ مولده وبها نشأ.

نشأ المنور التّلمساني في (تلمسان) منارة العلم والعلماء وبها تتلمذ ونهل من علمائها، ومن شيوخه في (الجزائر) الشّيخ الفقيه (أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي) الّذي أخذ عنه الفقه، و(أبي علي الرّحال)، والشّيخ (سيدي امحمّد بن أبي زيان القندوسي) الّذي أخذ عنه الطّريقة الشّاذلية، رحل في طلب العلم، فأخذ عن كثير من علماء المشرق وأجازه آخرون فقد ذكر منهم (عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني) (أبا عبد الله محمّد المسناوي) وكان ذلك سنة (1133هـ)، وقد حصل (الكتّاني) على معظم إجازات المنور، كما أخذ الشّيخ المنور التّلمساني عن (أبي العبّاس أحمد بن مبارك اللّمطي) و(أحمد الحبيب الفيلالي) الّذي درس عليه الكبرى (للشيخ السنوسي) و(أحمد المجيري الملوي) (ت1181هـ) وكان ذلك سنة (1168هـ) و(أبي عبد الله محمّد بن عبد الرّحمن بن زكري الفاسي) المجاز من (محمّد بن أبي السعود الفاسي) و(أحمد بن العربي ابن الحاج) و(محمّد العربي بن أحمد بردلة) و(المسناوي) و(محمّد القسنطيني) وغيرهم.

ومن (أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد الحاج)، كما أجاز له هو (محمّد العربي بن أحمد بردلة) و(أبي عبد الله محمّد المسناوي) و(ميارة الحفيد) و(عبد السّلام جسوس) و(ابن زكري) و(ابن حمدون بناني) وغيرهم، ومن (محمّد بن محمّد بن حمدون بناني)،كما أجاز له هو (محمّد بن عبد القادر الفاسي) وولده (محمّد الطيّب) ومن (حمّد الكمّاد) و(بردلة) و(التّجموعتي) و(علي بركة) و(عبد السّلام القادري) و(محمّد بن أحمد الحريشي) وغيرهم.

ومن المعمر العلاّمة القاضي (محمّد العربي بن أحمد بردلة) ولعلّه أعلى شيوخه إسنادا لأنّه شارك (أبا سالم) في أشياخ رحلته الثّالثة.

ومن العارف (أبي عبد الله محمّد الصالح بن المعطي الشّرقاوي البجعدي) (ت1092هـ) عامة، كما أجيز هو من (أبي علي اليوسي) و(أبي العبّاس ابن ناصر) و(أبي عيسى المهدي بن أحمد الفاسي)، وصافحه كما يروي المصافحة عن والده (محمّد المعطي) عن (ابن سعيد المرغتي) عن (مولاي عبد الله بن علي) عن (المنور) بأسانيده، وشابكه كما شابكه (أبو العبّاس ابن ناصر) عن (أبي مهدي الثعالبي) بأسانيده.

ومن (أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي) عامّة، كما أجازه (أبو السّعود الفاسي) وغيره، ومن صاحب المنح (أبي عبد الله محمّد بن عبد الرّحمن الفاسي).

تولّى التّدريس بالجامع الأزهر، فكان يدرّس (كبرى السنوسي) و(أم البراهين) في رواق (المغاربة) وكان يجتمع عليه خلق كثير، وأخذ عنه أعلام منهم: الشّيخ (محمّد بن عبد الرّحمن الأزهري) منشئ الطريقة الرّحمانية، و(أحمد بن عمار) صاحب (الرحلة) المشهورة و(لواء النّصر في فضلاء العصر) وأخذ عنه عهد الطريقة الشّاذلية وأورادها، و(عبد القادر المشرفي)، كما أخذ عنه (محمّد سعيد الزواوي) صاحب زاوية (آقبو) وأجاز (لعلي بن محمّد الجزائري) المعروف (بابن الترجمان) (ت1185هـ) والشّيخ (أحمد بن الحسن بن محمد المعروف بالورشان الملقب بالمكودي) و(الحافظ مرتضى الزبيدي) الّذي ذكره في (ألفية السند) الّتي ألّفها عام (1198هـ)،وقال عنه: «العالم الفاقد» للأشباه الجهبذ البارع في الفنون، عالم قطر المغرب الميمون:

لقيته بمصر لما وردا
أجازني ونلت منه المددا»

والأوصاف الّتي أطلقت على هذا الشّيخ تدلّ على باعه الطّويل في علم الحديث والسّند.

يقول (الدّكتور أبو القاسم سعد الله): "لعلّ هذا الإعجاب بالشّيخ المنور يعود إلى كونه من الّذين أجازوا (الزّبيدي) أيضا، وقد ترجم له الحافظ مرتضى في قصيدته الّتي ألّفها عام (1198 هـ) والّتي اشتملت على ألف وخمسمائة (1500) بيت، شرحها ناظمها في نحو عشر (10) كراريس افتتحها ببيان أنواع الحديث ونقله وأنواع الإجازة".

له مجموعة في إجازاته ومشايخه، ويؤكّد (الكتّاني) أنّ علماء (الجزائر) في وقته كانوا يروون مرويات المنور التّلمساني في الحديث،يقول (عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني): «نتصل به في جميع ما له من المرويات من طريق الحافظ مرتضى عنه، قال في ألفيته:

لقيته بمصر لما وردا
أجازني ونلت منه المددا

ونتّصل به من طريق أهل الجزائر وذلك عن علامة القطر ومفخرته الشّمس (محمّد بن عبد الرّحمن الديسي البوسعادي الجزائري) والشّيخ (الحاج محمّد بن أبي القاسم الهاملي)، كلاهما عن عم الأخير (العارف أبي عبد الله محمّد بن أبي القاسم) صاحب (زاوية الهامل) عن شيخه العارف (أبي محمّد المختار بن عبد الرّحمن الجلالي) عن (أبي الحسن علي بن عمر الطولكي) عن الشّيخ (أبي عبد الله محمد بن عزوز البرجي) عن الشّيخ (سيدي عبد الرّحمن بن أحمد تارزي) عن الشّيخ سيدي (محمّد بن عبد الرّحمن الزواوي) عن (محمّد بن عبد الله بن أيّوب) المترجم إجازة عامّة».

توفّي المنور (بمصر) في12شوّال سنة (1173هـ– 1760 م) أثناء عودته من الحجّ وبها دفن حسبما أورده (مرتضى الزّبيدي) في (تاج العروس)، وفي كتاب (تاريخ الجزائر الثّقافي) يذكر الدّكتور: (أبو القاسم سعد اللهـ) أنّه توفّي عام (1172هـ).

نسيمة لوح

المصادر:

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات،عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني، تح: د.إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط2/ / 1402هـ – 1982م.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد مجموعة من الأساتذة، تقديم: أ.د.محمد الأمين بلغيث، إشراف: أ.رابح خدوسي، منشورات الحضارة، بئرتوتة، الجزائر، ج1، الطبعة2014م.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435هـ)،الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع– الجزائر،1981م.
- الحياة الثّقافية بالجزائر جوانب من الحياة الثّقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن (10هـ – 13هـ)، المهدي البوعبدلي، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدّولية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013 م.

محمّد بن علي بن شبيرة

محمّد بن شبيرة قائد ثورة 1849م ببوسعادة وما جاورها، يصعب الحديث عن سيرته الذّاتيّة وتاريخه النّضالي لقلّة المصادر التي تناولت حياته، وما نعرفه عنه أنّه من شيوخ العلم والصّلاح، تولّى إمامة المسجد العتيق بحيّ القصر، وهو ينحدر من نسل (سليمان بن ربيعة البوزيدي)، أخذ تعليمه عن الشّيخ عمر بن علي بزاويّة طولقة وتأثر بالدعوة السّنوسيّة أيام إقامة الشّيخ محمّد بن علي السّنوسي ببوسعادة سنة 1824م، وإن كان الثامري في كتابه (رماح الإشراف) يرى بأنّ محمّد بن شبيرة رحماني الطّريقة، لأنّ دراسته وتحصيله المعرفي كان بزاويّة طولقة، وأمّا شقيقه أحمد بن شبيرة، فيقول: إنّ شيخه في الطّريقة ابن السّنوسي، وحسب شهادة الفرنسي كوفي فإنّ محمّد بن شبيرة كان بعد انتقال السّنوسي إلى المشرق، هو مقدم الطّريقة السّنوسيّة وزعيمها الرّوحي، حيث قال: «...وقد ترك هذا الأخير المقدم سي محمّد بن شبيرة الذي حرّض المدينة عام 1849م، ومن جهة أخرى كانت هناك حركات مدروسة نسجت خيوطها في شمال غرب طرابلس، تحضيرا لحركات تمرد نتج عنها ثورة الزّعاطشة ».

لا نعرف الفترة التي بقي فيها محمّد بن علي السّنوسي ببوسعادة، وحسب الدراسات التي ألّفت حوله، فإنّ خروجه من مدينة فاس المغربيّة كانت سنة 1235هـ - 1819م، وأثناء سفره إلى المشرق مرّ على الأغواط ومكث فيها مدّة، ومنها انتقل إلى مسعد ثم بوسعادة، ويذكر أبو القاسم سعد الله أنّه تزوج امرأة من جبل امساعد، وهو في أثناء رحلته يطالع ويقوم بالتدريس، ويؤكد محمّد فؤاد شكري في كتابه (السّنوسيّة، دين ودولة)، أنّ السّنوسي عندما احتل الفرنسيون الجزائر سنة 1830م كان ببوسعادة، أي أنه لم يخرج منها سنة 1824م كما أشارت إلى ذلك بعض الدّراسات، وفي جواب حفيده الملك إدريس السّنوسي الذي نقله الدجاني في تأليفه (الحركة السّنوسيّة في القرن التاسع عشر)، أنّه نزل عند عرب أولاد نائل وبنى عندهم زاويّة.

وبقيام ثورة الزّعاطشة بالزّيبان بقيادة أحمد بوزيان سنة 1849م، أحس البوسعاديون أنّ الفرنسيين يسعون لاحتلال مدينتهم، فاستغل ابن شبيرة هذا الحدث ليعلن الجهاد ضدهم، وقد أيّده في ذلك قومه، وتعاون معه أولاد نائل، معلوماتنا عن ثورته شحيحة جدا، والذين كتبوا عنها من الباحثين في التاريخ، اعتمدوا على وثائق الأرشيف الفرنسي، أو ما خطّه الفرنسيون في مؤلفاتهم، فلا توجد وثائق محليّة أو نصوص لمؤرّخين جزائريين معاصرين لهذه الثورة، كما نجهل كيف اتّصل به الشّيخ أحمد بوزيان، ورتّب معه انتفاضة بوسعادة، ويذكر الأستاذ مزاري الحاج: أنّه «مهد لهذه الثورة بمراسلات شخصيّة مع زعيم الزّعاطشة، الذي أكّد له ضرورة القيام بهذه الثورة، فكان أن سارع للإعداد لها، وقد تحولت بذلك منازل المدينة وشوارعها إلى مكان معتاد لصناعة البارود «، وسبق أن أرسل الشّيخ ابن شبيرة نجدة للشيخ بوزيان مع بدايّة ثورته لمّا حاصر العدو الفرنسي واحة الزّعاطشة، والتي كانت تفد إليها تعزيزات كثيرة من جهات مختلفة حتى اضطر العدو أن يقيم فرقا خاصّة في ثلاثة اتجاهات لسّد الطّريق أمام النّجدات الآتيّة من بوسعادة وأولاد جلال وباتنة والأوراس وطولقة..الخ.

حاصر ثوار منطقة بوسعادة بقيادة محمّد بن شبيرة الحاميّة الفرنسيّة التي احتمت بالجدار الفاصل بين حي القصر والموامين، قريبا من زاويّة سيدي عطيّة بجانب الجامع الكبير (الموامين) بتاريخ 19 أكتوبر 1849م، وخلال نشوب هذه الأحداث بمنطقة بوسعادة مرّ بها أحمد بن عمر العيساوي الخليفة السّابق للأمير عبد القادر بمجانة، فقدّم مساعدة للثوار ضد الفرنسيين، كما مرّ بها الشّريف موسى الأغواطي، وبصحبته حوالي مائة رجل وعشرة فرسان، وهو في طريقه إلى الزّعاطشة لمساعدة الشّيخ بوزيان، واستقبله عرش أولاد فرج ورحبوا به، غير أنّه لم يقدم المساعدة لابن شبيرة لاستعجاله للوصول إلى واحة الزّعاطشة المحاصرة. ورغم أنّ ثورة ابن شبيرة كانت معزولة إلّا أنّ الفرنسيين تخوّفوا منها، وجنّدوا ضدّها قوات كبيرة من البرج، والمديّة، وسور الغزلان، بقيادة النّقيب (بان) الذي وصلت قواته إلى بوسعادة قادمة من برج بوعريريج، ودخلت من حي الموامين من باب الجزائر، وتدعمت بوصول قوات من (القوم) عددها 400 فارس يقودها الضابط بوبريت(Beaupretteّ))، كما وصلت في اليوم الموالي قوات أخرى بقيادة (صورات/ (saurre، كلّ هذه الجموع العسكريّة كانت تحت إشراف وقيادة الكولونيل (دوماس / (Dumas الذي نجح بتاريخ 14 نوفمبر 1849م في فك الحصار وإنقاذ الحاميّة الفرنسيّة المحتميّة بالجامع الكبير (جامع الموامين)، واستطاع السّيطرة على البلدة بعد قصف مركز على مواقع الثوار وأحياء البلدة القديمة، خلّف الكثير من الضحايا.

لا توجد معلومات تؤرّخ لعدد القتلى من الطّرفين، وما نعرفه أنّه سقط شهيدا في هذه المعركة) العمري بن الشّيهب وابنه)، ودفنا في الجامع العتيق، وجاء في أحد التقارير التي تؤرّخ لأحمد باي: أنّ عدد القتلى من (القوم) وصل إلى 18 رجلا ما بين العرب وأهل بوسعادة، ومن الفرنسيين عدد معروف.

سقطت بوسعادة كغيرها من المدن الجزائريّة في قبضة الاستعمار الفرنسي، وعان سكانها من ويلاته، ففرضت عليهم الغرامات الماليّة، ونهبت مواشيهم وأموالهم، وكان من

نتائج هذه الثورة أن شُردت أسرة ابن شبيرة وفرّ جميع أفردها إلى تونس، وصودرت أموالهم وممتلكاتهم، والتي من بينها جنان عين النّخلة شرق العليق حيث كان مقرّ عائلة سي أحمد، كما تمّ الاستيلاء على أراضيهم الموجودة بالقعدة الظّهراويّة، وبحصبايّة القبطان، والصفصاف، ومعذر بوضياف.

محمّد بسكر

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.
- أحمد صدقي الدجاني، الحركة السّنوسيّة في القرن التاسع عشر، ص 65، القاهرة 1967م.
- يحيي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق.
- إبراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر.

محمّد بن علي دبـّوز
(1337هـ - 1919م/1402هـ - 1981م)

ولد الشّيخ محمّد علي دبـّوز بمدينة بريان، وتلقّى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه على الأستاذ المقرئ الشّيخ صالح بن يوسف ابسيس، ثمّ انتقل إلى الگرارة ليلتحق بالبعثة العلمية في أوائل الثلاثينيات، ويزاول دراسته الثانوية بمعهد الشّباب – معهد الحياة – في أواخر الثلاثينيات، ومن أساتذته في هذه المرحلة: الشّيخ بيوض، والشّيخ شريفي سعيد (الشّيخ عدّون)... وغيرهم من أقطاب الإصلاح ورجالاته، وبعدما أنهى دراسته بالگرارة سافر مع البعثة الميزابية إلى تونس، والتحق بجامع الزيتونة حوالي 1942م، وفي سنة 1944م والحرب العالمية على أشدّها، قام بمغامرة السفر إلى القاهرة، عبر حدود ليبيا، واضطرّ إلى قطعها مشيا على قدميه، متنكّرا في زيّ أعرابيٍّ، فرارا من الإنجليزي، وبعد نجاحه، رابط بدار الكتب المصرية قارئا، والتحق بجامعة القاهرة مستمعا، إذ لم يكن يمتلك الشّهادة التي تخوّل له الالتحاق بها رسميا، وفتحت القاهرة أمامه آفاقا علمية رحيبة، فتخصّص في دراسة: التاريخ، والأدب، وعلم النفس. وتعرّف على الأدباء المصريين أمثال محمّد عطية الأبراشي، وأنور الجندي. وحضر محاضراتهم وندواتهم الفكرية، وفي سنة 1948م عاد إلى وادي ميزاب، والتحق بمعهد الحياة معلّما، فاستُقبل باحتفال عظيم، باعتباره من بواكير معهد الحياة الذين طرقوا أبواب الجامعات، وإن لم يتحصّل على شهادة رسمية، قام بدور كبير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد، وأدخل موادّ جديدة، مثل: علم النفس



والتربية، سعى سعيا حثيثا للتعريف بالمعهد داخل الوطن وخارجه، وكابد من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد، فتمّ له ذلك بعد عدّة محاولات مضنية في شهر جانفي 1963م.

تخرّجت على يده أفواج من الطلبة والباحثين، ممّن كان له شأو كبير في المجالات الفكرية والسياسية، خارج الوطن وداخله، أمثال: الدكتور مُحَمَّد ناصر، والأستاذ بابهون بكير، الدكتور محمّد ناصر بوحجام، وفي مجال التأليف برز الشّيخ وسطع نجمه، ومن أعماله:

– أولاً: مشاركته بقلمه الأصيل في نشر عدّة مقالات في جريدة البصائر، لاسيما ما بين 1948–1955م. وقد نشر الدكتور محمّد ناصر نماذج من هذه المقالات في كتابه: "الشّيخ محمّد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ".

– ثانياً: عكف على كتابة تاريخ المغرب الكبير، بأسلوب جديد، وقام بجولات عبر الوطن وخارجه لجمع المادّة الخبرية، من المكتبات العامة والخاصة، ومن أفواه العلماء بصفة خاصّة، وفي سنة 1962م –وبعد الاستقلال مباشرة – بدأ في نشر كتبه.

أبرز آثاره الفكرية:

– (تاريخ المغرب الكبير)، في ثلاثة أجزاء.

– وهو أوّل كتاب في التاريخ يصدر باللغة العربية في الجزائر بعد الاستقلال. قال عنه المفكّر أنور الجندي: "تعدُّ موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدلالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حين يقوم مؤرّخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من خمسة آلاف صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال، مراجعا كلّ ما كتب في هذا الصدد، كاشفا عن عشرات من الحقائق التي شوّهها المؤرّخون والكتب..."؛ ويقول محمّد عطية الأبراشي: "هذا أوّل كتاب صفّى تاريخ المغرب من زيف السياسة القديمة والاستعمار اللاتيني".

– (نهضة الجزائر الحديثة)، في ثلاثة أجزاء. (مط).

– (أعلام الإصلاح في الجزائر)، (مط) في خمسة أجزاء.

وقد ترك مكتبة ثرية، غنية بمختلف الوثائق المصوّرة والمسجّلة، حافلة

بالدراسات والمقالات المخطوطة، تنتظر الدارسَ الجادَّ ليواصل إخراج تراث الشّيخ إلى الوجود، تتضمن:
- مقالات أدبية (مخطوطة).
- 20 قصة ومسرحية (مخطوطة).
- خطب أدبية وخطب جمعة (مخطوطة).
- تقارير أدبية عن معهد الحياة بالگرارة (مخطوطة).
- خواطر أدبية (مخطوطة).
- مئات الرسائل في الإخوانيات (مخطوطة).
- ديوان شعر (مخطوط).
- مذكرات ويوميات (مخطوطة).
- تراجم كثيرة لأعلام جزائريين في الفكر والأدب والتاريخ... (مخطوطة).
- كتاب "البعثات العلمية وشباب النهضة في ميزاب" (مخطوط).
- محاضرات مسموعة أصلية بصوت المؤلف (مسجلة بماسكة الصوت).
- آلاف الوثائق التاريخية والصور والخرائط الجغرافية...

من آثاره التربوية:
- المنهج التربوي للتدريس، (مخ).
- المبادئ العامة في منهج التعليم، (مخ).
- معهد الحياة للتربية والتعليم، (مخ).
- توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإداراتنا، (مخ).
- نظام تدريس الأدب في معهد الحياة، (مخ).
- منهج المواد وتوجيهات، (مخ).
- النظافة والنظام في معهد الحياة، (مخ).

آثاره الأدبية:
- الجهاد الأكبر، مسرحية أدبية تاريخية، في 9 فصول، (مخ).
- الشّيخ الحاج عمر بن يحيى، مسرحية تاريخية، من 12 فصلاً، (مخ).
- الأبناء الثلاثة، مسرحية أدبية اجتماعية، من 4 فصول، (مخ).
- الإصلاح والمصلحون، مسرحية اجتماعية، (مخ).
- مسرحية اجتماعية، دون عنوان، من 7 فصول، (مخ).
- مقامات أدبية، (مخ).
- رسائل الصفاء إلى شيخ الظرفاء، رسائل أدبية، (مخ).
- مقالات أدبية، (مخ)، بمجلة الشّباب بمعهد الحياة.

تعد مكتبته العامرة «مكتبة الصفاء» مركز إشعاع علمي ببريان يقوم بإدارتها بعد وافته أنجاله الكرام، وهي قبلة الطلبة والباحثين.

انتابه مرض عضال، وانتقل إلى رحمة الله بمسقط رأسه بريان، فدفن بها.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:
- محمد علي دبوز، حياته وآثاره، مقدمة وضعها ابنه بيوض إبراهيم، تسبق كتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، نشر عالم المعرفة، الجزائر، ط2، 2013،
- دبوز: تاريخ المغرب الكبير، خاصَّة المقدِّمة *دبوز: نهضة الجزائر *دبوز: أعلام الإصلاح *محمد ناصر: محمَّد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ
أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، 309، 311 *أنور الجندي: مفكرون أدباء، 248

محمّد بن عمر الهواري
(751هـ - 1350م/843هـ - 1439م)

يعد محمّد بْنُ عُمُر الهواري من أهم أقطاب التّصوّف في المغرب الإسلامي عامة، وفي وهران بخاصّة؛ إذ ما يزال ينال حظوةً كبيرةً لدى أهالي هذه المدينة وغيرها إلى الآن. واسمه هو محمّد أبو عبد الله بن عمر الهواري، المشهور بسيّدي الهواري؛ نسبة إلى قبيلة (هَوَّارَة) التي تربّى فيها، وهي كما يذكر ابن خلدون قبيلةٌ من بطون البرانس، تنتسب إلى هوار بن أوريغ بن برنس، وبطون هوارة كثيرة، كانت مواطنهم في منطقة طرابلس وبرقة، ومنهم من سكن أقاصي الصحراء فيما يلي بلاد كوكو من السّودان.

وينسب أيضا إلى قبيلة (مَغْرَاوَة)؛ وهي قبيلةٌ من زناتة، وإنّما كانت له هذه النسبة المزدوجة؛ لأنّ الشّيخ محمّد الهواري كما يذكر محمّد بن يوسف الزيّاني نشأ في مغراوة، وتربّى في هوارة، فقيل مرّة المغراوي، وأخرى الهواري وهي الأشهر، فالأولى على الأصليّة، والثانيّة على الوطنيّة.

وُلِدَ محمّد أبو عبد الله بن عمر الهواري ب (هَوَّارَةَ)؛ ما يسمّى اليوم بلديّة (القَلْعَة) (قلعة بني راشد) التّابعة لدائرة (يَلَّل) ولايّة غليزان، في سنة (751هـ - 1350م)، تربّى بين أهله وعشيرته، وتلقّى مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم في كتّاب القريّة على يد الشّيخ علي بن عيسى. ثم انتقل إلى (كليميتو)، المعروفة اليوم ببلديّة (السّور) التّابعة لدائرة (عين تادلس)، شرق ولايّة مستغانم، وهو لا يتجاوز العاشرة من عمره، حيث لازم وليًا صالحًا لمدّةٍ من الزمن، ولم يغادره حتى نال سِرّه، وأخذ عنه طريقته التي اعتمدها في مدرسته الصوفيّة، بحي (سيدي الهواري) حاليا بوهران. وفي سنّ السّادسة عشر ارتحل إلى الواحات ومدن الصحراء، وركب البحر، وعندما ارتوى مِمَّا شاهده وسمعه في الصحاري والجبال، والبحر وجزره، انتهى إلى مدينة بجايّة حيث أخذ عن أحمد بن إدريس

البجائي وشيخه عبد الرحمن الوغليسي، فحَفِظ كتاب التّهذيب للبراذعي، إلى باب (الصيد)، وهو من أهم كتب الفقه المالكي التي تم التّعويل عليها في بجايّة وغيرها في حِلَق التّدريس. ثمّ عاد إلى مسقط رأسه (هَوَّارَة)، مرورا بالجزائر العاصمة وغيرها من المدن الهامّة في وقتها، وقد استقر لبعض الوقت في (مَازُونَة). ثم سافر إلى (فاس) حيث أخذ عن موسى بن محمّد بن معطي العبدوسي، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب، فأتمّ حفظ (التّهذيب)، وغيره من الكتب التي أهّلته لأن يكون على مستوى عالٍ في مختلف العلوم الدينيّة من فقه وحديث وعقيدة وتفسير وتصوّف، ولأن يكون مدرّسا لها أيضاً.

وقد غادر الشّيخ سيدي الهواري فاس متّجها إلى الشّرق قصد أداء فريضة الحج، مرورا بتلمسان ووهران ومستغانم، وهوارة بلدته، ومازونة، والجزائر، وبجايّة حيث زار أصدقاءه وأساتذته، ثم تونس، وليبيا، ثم القاهرة ليستقرّ في جامعها الأزهر مدة من الزمن حيث انضمّ كعادته إلى الحلق العلميّة، ليغرف من علوم الأزهر المختلفة. ثمّ توجّه نحو الحجاز فأدّى فريضة الحجّ، ولكنه لم يكتف بالشّعائر الدينيّة هناك بل انضمَّ إلى حلقات العلم المعروفة التي تقام في بيت الله الحرام بمكة المكرّمة مستفيدا من علمائها، ومفيداً بتقديم مجموعة من الدروس المتنوّعة في الفقه والعقيدة وغير ذلك.

ثمّ انتقل الإمام إلى المدينة المنوّرة، فزار الرّوضة المشرّفة، وقبر النبي محمّد ﷺ وقد انضم أيضا إلى حلقات العلم المختلفة في المسجد النبوي، ومكوّناً في الوقت نفسه حلقات علميّة للطلبة وغيرهم. وقد مكّنته هذه الرحلة من الاستزادة في العلوم الدينيّة، مستفيداً من العلماء الذين لقيهم بمكة المكرّمة والمدينة المنوّرة، ومن المخطوطات المهمة التي اطّلع عليها في خزائن الحرم المكي المسجد النبوي.

وثم زار الشّيخ محمّد بن عمر الهواري بيت المقدس ليصلّي في المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشّريفين، مؤدِّياً بذلك ما أمرت به الشّريعة المطهّرة، ومنتفعاً بعلم العلماء الموجودين بهذا المسجد وآدابهم. فانتقل إلى بلاد الشّام مستقرّاً في دمشق، حيث انضمّ كعادته إلى حلقات العلم والمعرفة في المسجد الأموي، ليغترف من العلوم المختلفة التي تُدرّس هناك، ويكوِّن لنفسه حلقةَ درسٍ للطلبة، قدّم لهم دروساً ومعارفَ خاصّة عن الشّمال الإفريقي وتاريخه وحضارته وحواضره العلميّة وعلمائه ومؤلفاتهم، موظِّفا مجمل المعارف التي تلقاها من مختلف الأمصار التي تعلّم فيها وزارها غرباً وشرقاً.

عاد سيدي الهواري إلى بلده، حيث جاور بدايّة ضريحَ سيدي بومدين الغوث شعيب بن الحسن الأندلسي بتلمسان، ليختار لنفسه مكاناً قريباً من الضريح، حيث شرع هناك داخل مسجد عرف ب (مسجد سيدي الهواري) في تكوين مجموعة من الطّلبة في علوم الدين والدنيا. وبعد مضايقة حكام تلمسان وأعوانهم، أمر طلابه بالرحيل قاصدين مدينة وهران حيث فضّل الإمام الاستقرار بها، وهذا لعدّة أسباب منها؛ أنّها كانت مدينة عمرانيّة اقتصاديّة نشطت فيها أشكال التّجارة؛ كونها مدينة ساحليّة على شاطئ البحر. كما ازدهرت فيها الثقافة والصناعة، حيث احتوت الكثير من العلماء والحرفيين الذين وفدوا إليها من الأندلس. ثمّ إنّ الشّيخ سيدي الهواري قدّ تزوّج إحدى بنات هذه المدينة وهو شريف عظيم لها، فاستقرّ بها، وأسّس زاويّة ليدرِّس فيها مختلف العلوم الدينيّة، ويعظ الناس، ويدعوهم إلى التّوبة والعمل الصالح والزهد عن ملذّات الدنيا، والتّمسّك بحبل الله المتين.

توفي الشّيخ محمّد بن عمر الهواري بوهران في يوم السّبت الثاني من ربيع الثاني سنة (843هـ)، الموافق ليوم 12 سبتمبر 1439م، وعمره (92) سنة. ودفن بأسفل حي القصبة العتيق، وبُني على قبره ضريح ومسجد ما يزالان قائمين إلى اليوم، وبه تشتهر وهران وتنسب إليه.

آثاره ومؤلفاته:

– قبل الحديث عن آثار الشّيخ محمّد بن عمر الهواري من الضروري أن نشير إلى أنّه قدّ حرص على أمرين أساسيين: الأول: هو التّحصيل المعرفي أينما حلّ وارتحل من العلماء مباشرة، ومن خزائن الكتب المختلفة؛ من مسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم، إلى بجايّة وفاس والأزهر والحرم المكي والمدينة المنورة والمسجد الأقصى والمسجد الأموي، ووصولا إلى وهران حتى وفته المنيّة.

– الأمر الثاني: العمل على نشر العلم والمعرفة منذ أن اشتدّ عوده، وغزرت معارفه، عبر كل هذه الحواضر، مع الجميع، حتى الصبيان حيث ألّف لهم كتابا في مستواهم الثقافي والفكري موسوماً (السّهو في أحكام الطّهارة والصلاة)، وسمّاها في بعض كلامه بالمؤانس، وقد شرحه بكتابه الذي سمّاه (التّنبيه).

وقد جمع الشّيخ سيدي الهواري في كتاب (السّهو) ما له صلة بالصلاة والطّهارة، في منظومة سهلة باللسان العربي الفصيح واللهجة المحليّة في وقتها، ومنها لهجة هوارة التي ينتمي إليها الإمام، يقول في فاتحتها:

–الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْوَاحِدْ،
لاَ يَنْبَغِي الْحَمْدُ لِغَيْرِ الصَّمَدْ،
سُبْحَانَهُ يُبْدِئُ وَيُعِيدْ،
وَيَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يُرِيدْ،
وَلاَ لَهُ ضِدٌّ وَلاَ مُعَانِدْ،
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ محمّد،
وَالرِّضَى عَنْ أَصْحَابِهِ الأَجْوَادْ،
مِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللهِ يَا إِخْوَانْ،
هَذَا النِّظَامُ لِتَعْلِيمِ الصِّبْيَانْ،
رَجَّزْتُهُ عَلَى السّهْوِ يَا إِخْوَانْ،
نَرْجُو بِهِ الْعَفْوَ مِنَ الرَّحْمَانْ،
تَبْصِرَةً وَتَذْرِيجًا لِلصِّبْيَانْ،
في السّهْوِ وَالْفَرْضِ مَعَ الْمَسْنُونْ،
نظَمَهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْبَارِي،
اِبْنُ عُمَر محمّد الهَوَّارِي.
بَابُ فِي السّهْوِ؛
وَالسّهْوُ يَنْقَسِمُ عَلَى قِسْمَيْنْ؛
أَوَّلُهَا الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانْ،

وَالثَّانِي فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالْ.
فَهَؤُلاَءِ فَرْضٌ بِلاَ إِشْكَالْ
إِذْ فَرْضٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانْ
أَنْ يَعْرِفُوا الْفَرْضَ مِنَ الْمَسْنُونْ
وَلاَ بُدَّ لِلرِّجَالِ وَالنِّسْوَانْ
أَنْ يَعْرِفُوا الزِّيَادَةَ مِنَ النُّقْصَانْ

وقد أخذ أبو زيد عبد الرحمن مقلاش كتاب (السّهو)، وأصلح فيه أشياء وزناً وإعراباً، وأتى به للشّيخ، فقال له: سيّدي إنّي أصلحت سهوك، فقال له الشّيخ: هذا السّهو يقال له (سهو مقلاش)، أما سهوي فهو سهو الفقراء، يبقى على ما هو عليه، إنما يُنظر فيه إلى المعنى.

وبقي أن نشير إلى إن ما تعلّمه الشّيخ محمّد الهواري من خلال رحلاته في حواضر العلم والمعرفة في المغرب والمشرق العربيين، ثم تجربته في التّدريس في هذه المدن، قد أفاد من كلّ هذه المعارف والتّجارب ليكوّن مدرسة هواريّة وهرانيّة خاصّة به، لتكون منارة للعلم والمعرفة، ويرفع مظاهر الجهل عن النّاس، ويعظهم ويرشدهم لما فيه الخير، ويعرفهم بأمور دينهم ودنياهم، وبخاصّة ما له صلة بالطّهارة والصلاة والعبادات المختلفة، والمعاملات الدينيّة والدنيويّة، وبثّ الروح الدينيّة في كلّ فرد من أفراد الأمة.

وقد حقّق الله تعالى له ما أراد حيث تخرّج من مدرسته تلاميذ نجباء، صاروا علماء أجلاّء منهم؛ الشّيخ عبد الرحمن مقلاش، والشّيخ إبراهيم التّازي الذي صار خليفته في المشيخة والتّدريس، وسيدي لحسن أبركان دفين تلمسان وأحد سادتها العيان دون منازع، وسيدي بختي دفين قريّة سيدي بختي ببلاد غمرة شمال قريّة حمو بوتليليس.

ثم إنّ الشّيخ محمّد بن عمر الهواري استطاع أن يؤدّي وظيفة الإمامة في مجتمعه على أحسن وجه، من خلال القيام بالصلوات الخمس وصلاة الجمعة، وقيام الليل، والتّراويح، كما كان الحكم العدل العادل الذي يلجأ إليه المطيع والعاصي، والظالم والرئيس والمرؤوس وكل أطياف المجتمع. ثم عمل على ردّ مظالم الناس، سواء كانت هذه المظالم قد أُرتكِبت من عامّة الناس، أم من خاصّتها، وقد خصّ الإفتاء والقضاء جزءاً كبيراً من وقته، لما لهما من دور هام في حياة الأفراد والجماعات وبناء المجتمع ككل.

ومن جملة من ترجم للشيخ الهواري ابن الصعد الأنصاري في «روضة النّسرين في التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين»، ومحمّد بن يوسف الزياني، في «دليل الحيران وأنيس السّهران في اخبار مدينة وهران»، وأحمد بن سحنون الراشدي في «الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ويحيى بوعزيز في أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، وعبد الحميد حاجيات في مقاله «سيدي محمّد الهواري شخصيته وتصوّفه» (مجلة الثقافة).

بن عيسى عبد الحليم

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن عمر بن خميس الحميري الحجري الرَّعِيني
(650هـ - 1254م - / 708هـ - 1309م)

أبو عبد الله محمّد بن عمر بن محمّد بن خميس الحميري الحجري الرَّعِيني نسبة إلى حجر ذي رعين، وهو أبو قبيلة يمنيّة. أمّا كنيته فهي أبو عبد الله وكان يعرف عند معاصريه بابن خميس التّلمساني. ولد بتلمسان (سنة 650هـ – 1254م / 708هـ – 1309م)، كاتب، وشاعر وناثر، وعالم بالعربيّة، ومن أعيان تلمسان.

عاش فقيرا إذ أنّ مسكنه كان بيت فندق، كما كان فراشه من سلايخ الضّأن دون غيرها، وهو ما يقوله صاحب (بغيّة الرواد)، وأشار هو نفسه إلى ذلك في أبيات؛ حيث قال:

الفَقْر عندي لفْظٌ دقّ معناه م
َن رامه من ذوي الغايات عنّاه
كم من غبيٍّ بعيد عن تصوّره
أراد كشْفَ معْماه فعمّاه

تعلّم كما يتعلّم أبناء جيله، حفظ القرآن، في أحد الكتاتيب أو المساجد في المرحلة الأولى من تعليمه أو من حياته، وفي المرحلة الثّانيّة أقبل على دراسة النّحو واللغة والأدب والفقه، ويذكر المرحلة من تعلّمه في قوله:

تلمسانُ لو أنّ الزّمان يسخو
مُنى النّفس لا دار السّلام ولا الكرخ

إلى أن يقول:

وعَهْدي بها والعمر في عنفوانه
وماء شبابي لا أجينٌ ولا مطخُ
معاهدُ أُنسٍ عُطِّلتْ فكأنّها
ظواهِرُ ألفاظٍ تعمّدها النسخُ
وأُرْبعُ ألأَفٍ عفا بعض آيِها
كما كان يعزو بعض ألواحنا اللطخُ

كان عالما بالمعارف القديمة، مضطلعا بتفاريق النِّحل قائما على صناعة العربيّة وباع في الشّعر وفحل الأوزان من المطوّل، أقدر النّاس على اجتلاب الغريب»... كان أديبا فاضلا حافظا لأشعار العرب وعارفا بأخبارهم وأقوالهم، وله مشاركة في العقليّات واستشراف على الطبّ. قال في حقّه ابن خلدون:»كان لا يجارَى في البلاغة والشّعر».

عاش في عصر ملوك بني عبد الواد، وأمراء بني العزفي في سبتة فمدحهم، وبعض سلطان وزراء غرناطة منهم محمّد الثّالث المسمّى المخلوع. وعاش في عصر بني زيّان ومدح أبا زّيان بن عثمان الأوّل: وممّا قاله:

أرّق عيني بارقٌ من أثال
كأنّه في جُنْح ليلي ذبال
لولا (بنو زيان) ما لذّ لي العَيْ
شُ ولا هانت علي الليال
هم خوّفوا الدهر وهم خفّفوا
على بني الدّنيا خطاه الثقال

خذها (أبا زيّان) من شاعر
مستعذب النّزعة عذب المقال
يتلفّظ الألفاظ لفظ النّوى
وينظّم الآلاء نُظْم اللآل

وهو بهذه القصيدة يعارض قصيدة مهيار الديلمي التي مطلعها:

ما كنت لولا طمعي في الخيال
أنشدُ ليلى بين طول الليال

كان أبو عنان كثير العناية بشعر ابن خميس، فبقي في كنف الوزير ابن الحكيم إلى أن توفّي بغرناطة قتيلا ضحوة يوم عيد الفطر سنة708هـ – 14 آذار 1309م إثر انقلاب حكوميّ أودى بصديقه ابن الحكيم.

أنّه كان نسيج وحده زهدا، وانقباضا وهمّة، أي في حال انزواء وتقلّل من الدّنيا. كان حسن الشّيبة، جميل الهيأة، سليم الصّدر، قليل التّصنّع، بعيدا عن الرّياء، عاملا على السّياحة والعزلة.

لا تشير المصادر إلى أساتذته، ويدلّ هذا على أنّه كان عصاميّا. ولا شكّ أنّه درس حفظ القرآن ودرس في الكتّاب علوّم العربيّة الأولى، كما أسهم المحيط الثّقافي الذي ترعرع فيه من حلقات علميّة وتنافس وزهد في تكوين الشّاعر، ومن هؤلاء:

أبو إسحاق بن يخلف التّنسي، وأبو الحسن شقيق أبي إسحاق، وأبي عبد الله محمّد بن أبي بكر بن مرزوق التّلمساني (ت631هـ) تلميذ أبي إسحاق التّنسي الزّاهد والمتبتّل. ولا يستبعد أن يكون قد أخذ عن أبي بكر بن داود بن خطاب الغافقي الأديب الكبير والكاتب البارع والشّاعر المجيد كاتب السّلطان يغمراسن بن زيّان المتوفّى سنة 688هـ، والذي كان يجيد العلوم الدّينيّة والأدبيّة كالفقه والجدل والتّصوّف والتّاريخ. وكذا أبو الحسن الخزاعي. ترك ابن خميس نثرا ولكن شعره أحسن من نثره. وله شعر كثير كلّه حسنات ولطائف، وبراعات وطرائف، قد جمعه ودوّنه القاضي بو عبد الله محمّد ابن إبراهيم الحضرمي، في جزء سمّاه (الدرّ النّفيس من شعر ابن خميس). وقد نشر الكثير منه عبد الوهّاب بن منصور الحسني تحت عنوان: (المنتخب النّفيس من شعر أبي عبيد الله بن خميس).

قعد الشّاعر في الأندلس لإقراء العربيّة بحضرة غرناطة أواخر سنة 703هـ – 1304م) فطار بها صيته وضمّه الوزير ابن الحكيم إلى مجلسه، وأغدق عليه من نعمه، فخلع عليه ابن خميس بدوره أثواب نثره وشعره.

جال ابن خميس في الأندلس ومال إلى التّصوّف، عمل كاتبا لعثمان الأوّل بن يغمراسن سنة (681هـ – 1282م) ثمّ رغب عن الوظيف، وقرّر السّفر لأنّه كالدّم بطبعه يتحرّك في كلّ ربيع.

غادر بلدته تلمسان أثناء الحصار الطّويل سنة (693هـ – 1294م) نحو المغرب الأقصى فزار عواصمه العلميّة، ونزل بسبتة، ومن ثمّ أبحر قاصدا الدّيار الأندلسيّة، فدخل المريّة سنة (702هـ – 1303م)، ونزل فيها في كنف القائد أبي الحسن بن كمّاشة من خدّام الوزير ابن الحكيم فأكرم وفادته وآثره، وقال فيه قصيدته التي مطلعها:

العشي تعيا والنّوابغ عن
شكر أنعمك السّوابغ

وقدم غرناطة في أواخر 703هـ. وفي ذات السّنة رغب في العودة إلى تلمسان بعد نجاتها من خطر الحرب، غير أنّه مات في السّنة نفسها قبل أن يحقّق هذه الأمنية.

مكانة شعر ابن خميس عند النقّاد:

وصفه ابن خاتمة بالشّاعر المجيد، وقال في كتابه: (مزيّة المريّة على غيرها من البلاد الأندلسيّة): (كان من فحول الشّعراء وأعلام البلغاء، يركب مستصعبات القوافي، ويطير في القريض مطار ذي القوادم الباسقة والخوافي، حافظا لأشعار العرب).

وقال فيه ابن خطّاب شعرا يبرز مكانته الأدبيّة جاء فيه:

رقّت حواشي طبعك ابن خميس
فهفا قريضك لي وهاج رسيسي
ولمثله يصبو الحليم ويمتري
ماء الشؤون به وسير العيس
لكن في البلاغة، والبلاغة بعض ما
تحويه من أثر، محلّ رئيسي
نظم ونثر لا تبارى فيهما
عزّزت ذاك وذا بعلم طوسي

ويقصد بالطّوسي أبا حامد الغزالي.

واجتمع في شعره صوت المتنبّي وقوّة ألفاظه، وألوان البحتري أصباغه، وجناس أبي تمّام، وكان ينعته أهل الأدب والفكر بشيخ الأدباء وفحل الشّعراء.

أحمد عزوز

المصادر:

- المقري، نفح الطّيب؛
- بغيّة الروّاد في ذكر ملوك من بني عبد الواد؛
- محمّد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجزائريّة، الجزائر؛
- محمّد الطمّار، الرّوابط الثقافيّة بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعيّة، سنة 2007، الجزائر؛
- طاهر توات، ابن خميس–شعره ونثره – ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط:2، سنة 2012، الجزائر؛
- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكريّة بتلمسان في عهد بني زيّان، مجلّة الأصالة، العدد 26، جويليّة–أوت 1975. الجزائر.

محمّد بن عمر لعساكر
(1347هـ - 1928م/1438هـ - 2017م)

محمّد بن عمر لعساكر من مواليد مدينة بريان ولاية غرداية، بدأ دراسته الابتدائيّة في مدرسة الفتح القرآنية (الفتح حاليا) سنة 1942م، ثمَّ انتقل بعدها إلى معهد الحياة بالگرارة، ثمَّ منه إلى تونس لمواصلة الدّراسة في معاهد تونس وجامع الزّيتونة سنة 1949م إلى سنة 1955م.

وتحمَّل خلال دراسته بتونس مسؤوليّة الرّئاسة والإدارة والاشراف على دار البعثات المزابيّة بالخضراء من سنة 1951م إلى سنة 1961م، وكان همزة وصل بين الطلبة والمشايخ في مزاب، كما صار بذلك أحد الاطارات السّاميّة في وزارة الثّقافة بالحكومة المؤقتة الجزائريّة بتونس، وكان قد احتك برجالات ثورية بارزة، أمثال المؤرّخ أحمّد توفيق المديني الذي كان آنذاك وزيرا للثقافة، وبلعيد عبد السّلام وعبد الحميد مهري، وفرحات عباس... وغيرهم .

وبعد الاستقلال واصل مساره العلمي وتحصَّل على:

– ليسانس في الحقوق من جامعة دمشق بدرجة جيِّد سنة 1964م؛

– دبلوم الدّراسات العليا في القانون العام من جامعة القاهرة بدرجة جيِّد سنة 1971م؛

– دكتوراه دولة في القانون من جامعة الجزائر بمرتبة الشّرف الأولى سنة 1978م.

المناصب والمهام التي تقلّدها:

– تقلَّد منصب متصرِّف مدني بالأمانة العامَّة للحكومة الجزائرية سنة 1966م؛

– أُلحق بهذه الصّفة بوزارة التّربيّة سنة 1969م، ثمَّ وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي؛

– عُيّن أستاذا مساعدا ونائباً لعميد كلِّية الحقوق بجامعة الجزائر سنة 1973م؛

– تمَّت ترقيته إلى رتبة أستاذ سنة 1993م.

– أسهم في إدارة مجالسّ ولجان كلِّية وجامعة الجزائر وكذا الوزارة الوصيّة، كلجنة إصلاح التّعليم ولجنة المعادلات بالوزارة واللجنة الوطنيّة لترقية الأساتذة؛

– مثَّل الجامعة الجزائريّة في مؤسّسات



وطنيّة ومغاربيّة؛

– عضو في المجلس الأعلى للقضاء بگرار من رئيس الجمهورية 1989م لمدَّة ثلاث سنوات، وتمَّ تجديدها عند نهاية كلِّ فترة إلى غاية 2004م؛

– عضو بالهيئة القضائية المغاربية بگرار من رئيس الجمهورية سنة 1989م إلى غاية 2002م؛

– مترشِّح حرٌّ عن الدّائرة الانتخابية لبريان في الانتخابات التشريعية سنة 1991م؛

– عضو باللجنة الوطنية لإصلاح العدالة سنة 1999م2000–م المشكَّلة من قِبل رئيس الجمهورية؛

– يعدّ من بين مؤسِّسي اتِّحاد الطلبة الجزائريين قبل انضمامه إلى الاتحاد العامّ للطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1957م؛

– كان مناضلا ومكلَّفا من قِبل السّيد إبراهيم مزهودي بتونس بالاتصال بين نظام جبهة التحرير بتونس وقيادة الجبهة بالجزائر العاصمة سنة 1956م؛

– وكان مسؤولا للناحيّة السّابعة الخاصَّة بالطلبة الجزائريين بالمنطقة الأولى بتونس 1958م – 1959م؛

– ومسؤولا على قسم الطلبة الجزائريين بتونس لدى وزارة الشّؤون الاجتماعيّة والثّقافيّة بالحكومتين الثّانيّة والثّالثّة من 1959م إلى 1961م.

إنتاجه الفكري:

– ضمانات حقوق الأفراد في التشريع الجنائي الإسلامي (بحث أعدَّه لندوة الدّفاع الاجتماعي والسّياسة الجنائية في التشريع الجنائي الإسلامي المنعقدة بالرّباط في ماي 1981م)، منشور بمجلَّة كلِّية الحقوق عدد سبتمبر 1982م.

– حقوق المجنيِّ عليه ومبادئ التعويض في الشّريعة الإسلامية مقارنة بالقانون الوضعي (بحث ألقي في الملتقى الدّولي لحماية الضحايا المنعقدة بباتنة في شهر ماي 1989م)، منشور في العدد الأوَّل من مجلَّة كلِّية الحقوق سنة 1990م.

– تعليق على گرار من محكمة جنايات البليدة، منشور بمجلَّة كلِّية الحقوق جوان 1990م.

– المجلس الأعلى للقضاء ودوره في حماية استقلال القاضي، منشور في الرّسالة القانونية العدد 18 أكتوبر 1994م.

– دبَّج افتتاحية المجلَّة المغاربية للقانون بتونس.

– المشاركة في فرقة بحث في موضوع جنوح الأحداث خلال سنتي 1981م1982–م.

– قصائد شعرية عديدة، نشرها في اليوميات والدّوريات العربية المختلفة بتونس والجزائر.

– أناشيد وطنية عديدة، لازالت تنشد إلى اليوم من قبل المجموعات الصّوتية الإنشاديّة.

قال عنه الدّكتور إبراهيم بن يوسف (جامعة la val / مونتريال كندا)

– *"لقد كان للمرحوم لعساكر محمّد شرف إدارة البعثات العلمية المزابية بتونس، ولازم رواد الحركة الوطنية الطلابيّة الجزائريّة أسهم بدور رائد في اتحاد الطلبة الجزائريين بجانب المرحوم بلعيد عبد السّلام وباتصال وتنسيق مع الحكومة المؤقتة آنذاك، وقد أعجب المرحوم الشّهيد اعميروش بذلك التّنظيم والرّوح الوطنيّة المتقدة حين زيارته التفقدية للبعثة في 1956.*

وقد ترعرع المرحوم في جو الوطنيّة وأدبياته وقد ألّف نشيد (يا شباب أحمّد) الذي كنا نردده وقوداً لشعلة الوطنيّة.

يا شباب أحمّد

يا شباب أحمّد لوذوا بالإله
اسلوا النّصر المؤبد منه لا سواه
نحن بنوا الجزائر ودِيننا الاسلام
فليخس كلّ ناكر سيّء الظنون

شارك بعد الاستقلال في بناء الجزائر المستقلة وكان من مؤسسي الجريدة الرّسمية في طبعتها الجديدة بعد الاستقلال مع المرحوم الشّيخ عبد الحميد بن أشنهو وواصل في جامعة الجزائر بكلية الحقوق ثم مستشارا بالمجلس الاعلى للقضاء.

كان يمتاز المرحوم بخلقه الحسن فما كان يخرج من فمه إلاّ الطيب وما كان وجهه لا يوحي إلا بالبشاشة والطلاقة وبالحكمة والرّزانة.

جمعتنا باريس عام 1975 حيث كنت طالبا وقد قدم اليها المرحوم لتحضير الدّكتورة فاستمتعت بجلساته الملهمة وحديثه الشّيق والثّري واحتفظ بذكريات رائعة وملهمة».

وافته المنية يوم 02 جويلية 2017م بمسقط رأسه بريان.

يحيى بن بهون حاج أمحمّد

المصادر:

- ترجمة حياة العلم، حرَّرها ابن المترجم له، الأستاذ: عمر بن محمّد لعساكر؛
- باقة الأناشيد، نشر جمعية الإصلاح بغرداية، تضم أناشيد من تأليف المترجم له.

كتب عنه أحمّد توفيق المدني في مذكراته (حياة كفاح): «أمَّا بالخارج فللوزارة ممثِّل بتونس، الأستاذ محمّد العساكر، يرعى شؤون سبعمائة طالب موزعين بين مختلف درجات التعليم، ويقوم بالمساعي من أجلهم مع مختلف الوزارات ومع دواليب الحكومة التّونسيّة، وذلك إمَّا مباشرة فيما يتعلَّق بالمسائل الصّغيرة، أو بواسطة وزارة شؤون المغرب العربي فيما يتعلَّق بالأمور العامَّة، وله الإشراف والتوجيه كذلك على مسائل المطعم الطلابي وقضايا السّكن وحلِّ مشاكل الطلبة اليوميّة وما أكثرها. وهو إلى جانب كل ذلك المسؤول المالي والمتصرِّف الشّخصي في ميزانية الوزارة بتونس وضابط حساباتها».

محمّد بن عيسى (عيسى وموسى)
(1358هـ - 1939م/1440هـ - 2019م)

ولد بالگرارة، (غردايّة، الجزائر) يوم 14 نوفمبر 1939، نشأ في عائلة محافظة متواضعة، كان لأمه دورٌ كبيرٌ في تنشئته وتربيته على الأخلاق الكريمة، وكان الوالد يطيل الغياب بحكم عمله في التجارة بمدينة (باتنة) فكان بحكم ظروف ذلك الزمن قليلا ما يمكث مع أهله وأبنائه، بينما تتحمَّل الأم أعباء جُلَّ التربيّة ومشاقِّها، تلقى تعليمه الأوَّل في مدرسة الحياة والمدرسة الرسميّة بالگرارة، وحفظ القرآن الكريم واستظهره كاملا وهو في الخامسة عشرة (15) من العمر، ما أهَّله للالتحاق بمعهد الحياة طالبا مجدًّا مجتهدًا، تخرَّج من معهد الحياة في أواخر الخمسينيات، وانتقل بطلب من أستاذه الشّيخ عدُّون للتدريس في المدرسة الحرَّة في مدينة «العلمة» قرب «سطيف»، فقضى هناك سنوات.

تحمَّل المسؤوليّة العائليّة مبكِّرًا بعد وفاة والده سنة 1961م، فقام وهو في الثالثة والعشرين (23) من العمر بأعباء أخيه



وأخواته الصغار ومتابعة شؤون تربيتهم وتعليمهم، بالإضافة إلى عمله مدرِّسًا في مدينة العلمة.

أوقدت فيه بعثات الطلبة إلى المشرق شعلة طلب العلم والاستزادة منه، فانتقل إلى العراق ضمن البعثة المزابيّة الجزائريّة ليزاول دراسته العليا بجامعة بغداد، وتحصَّل منها على شهادة الليسانس في اللغة العربيّة سنة 1970 بتفوُّق وامتياز.

بعد عودته من العراق تقدم إلى مسابقة للالتحاق موظفا بالمكتبة الوطنيّة، ونجح فيها قرر في والوقت نفسه تلبيّة نداء واجب الخدمة الوطنيّة العسكريّة، فأدَّاها في الأكاديميّة العسكريّة لمختلف الأسلحة بشرشال.

انتقل إلى فرنسا ليعمِّق معارفه في علم المكتبات، وهناك تصحَّل على دبلوم «المكتبيِّين العلمي» من المدرسة الوطنيّة العليا للمكتبيِّين بمدينة (ليون) سنة 1978م.

عاد إلى وطنه وسجَّل في جامعة الجزائر أطروحته للدكتوراه الدرجة الثالثة في معهد اللغة والأدب العربي، بموضوع عنوانه: «ابن عبد ربه وشعره (دراسة وتحليل)» بإشراف الدكتور زكريا صيام، وتمت مناقشتها سنة 1986م.

ومنذ منتصف الثمانينيات، اشتغل بالإضافة إلى عمله في المكتبة الوطنيّة أستاذًا محاضرًا في «قسم علم المكتبات والتوثيق» بكليّة الآداب بجامعة الجزائر، وكان رئيس فرقة بحث ضمن مخبر للمخطوطات بالجامعة، وعلى يده تخرج عددٌ كبيرٌ من الطلبة والباحثين.

عُين رئيسًا لقسم الدوريات في المكتبة الوطنيّة الجزائريّة، ثم نائبًا لمديرها، ثمّ مديرًا عامًّا للمكتبة بدايّة من سنة 1992م، وقد تمَّ على يديه تحوُّل المكتبة من مقرها القديم في أعالي العاصمة الجزائر إلى مقرها الحالي الجديد بالحامَّة، وظلَّ في هذا المنصب إلى تقاعده الرسمي سنة 2000م.

كان عضواً مؤسِّسا للمجمع الجزائري للُّغة العربيّة ونائباً لرئيسه.

كان عضواً بالمجلس الأعلى للغة العربيّة التابع لرئاسة الجمهوريّة، ومن مؤسِّسيه الأوائل.

كان نائباً لرئيس مؤسسة مفدي زكريا، ثم رئيسها لها لمدَّة أربع سنوات.

كان من النشطاء الأوائل البارزين في «جمعيّة التراث» منذ تأسيسها الرسمي سنة 1989، وممن له فيها أعمال جليلة وعظيمة.

ترأَّس فرع العاصمة «لكليّة المنار للعلوم الإنسانيّة» بالجزائر العاصمة بعد أن كان من مؤسِّسيها، وكرس وقته وجهده لها إلى آخر حياته مشرفًا على تكوين الطلبة والطالبات.

عُرف عنه جدُّه وانضباطُه وحرصُه على إتقان عمله والتفاني فيه، فكان رغم تعرُّضه للتهديد إبان العشريّة السوداء بسبب منصبه على رأس المكتبة الوطنيّة لا يتخلَّف عن عمله، حتى أنه كان يحضر بعض جلسات جمعيّة التراث أو بعض المناسبات في مزاب فيضطر للعودة في اليوم نفسه للعاصمة ليكون حاضرًا في عمله لا يتخلَّف عنه، فكان أوَّل من يلتحق بمكتبه صباحًا وآخر من يُغادر مبنى المكتبة في آخر المساء، وقد شهد له بهذا الانضباط والجديّة المسؤولون والموظفون على السواء.

توفي بعد صراع مع المرض عن ثمانين سنة، صبيحة يوم السبت 27 جمادى الأولى 1440هـ - 02 فيفري 2019م على الساعة 04:15 بالعاصمة الجزائر، وكانت جنازته في اليوم الموالي بمقبرة الشّيخ المؤذِّن بالگرارة، وحضر الجنازة جمعٌ غفير من طلبته ومحبِّيه ومعاشريه.

خلَّف الدكتور محمّد عيسى وموسى عدّة مؤلفات بين التأليف والتحقيق وبحوث في مجالات التراث والتاريخ والأدب، ومن أبرزها:

- ابن عبد ربِّه وشعره (دراسة وتحليل)
- أطروحته للدكتوراه بإشراف الدكتور زكريا صيام، تمَّت مناقشتها سنة 1986م،
- بمعهد اللغة والأدب العربي، بجامعة الجزائر، وهي في 480 صفحة (لم تنشر).
- إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء: ضبطها وأضاف إليها كشَّافًا بالأسماء والأماكن، ووضع لها مقدِّمة بالتعاون مع المرحوم الدكتور محمّد بن سمينة، وأخرجها في طبعة فاخرة مصحوبةٍ بلوحات فنِّيّة لفنانين جزائريين. (نشرته مؤسَّسة مفدي زكرياء سنة 2003م).
- كلمات مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنيّة: (من بواكير مشروعه حول ملفات مزاب في الصحافة الوطنيّة) قام فيه بعرض المقالات التي تحدَّثت عن مفدي زكرياء بين سنتي 1985 وسنة 1995. (نشرته مؤسسة مفدي زكرياء 2003م).
- آخر أعماله المطبوعة جمعُ وتحقيق كتاب: «معجم الغريب: مفردات الألفاظ والتعابير من القرآن والسنة والأثر» للعلامة عبد الرحمان الثعالبي، (منشورات الدار الجزائريّة/ 2015م)
- أمَّا آثاره غير المنشورة كالبحوث التي شارك بها في الملتقيات الوطنيّة والدوليّة، ومقالاته المنشورة في الصحف والمجلات، فكثيرة وتحتاج إلى جرد وإحصاء ودراسة مستقلة.

من مهامه ومشاريعه العمليّة مع فريق جمعيّة التراث (من 1989 إلى 2019):

أشرف سنة 1989 ـ وقد كان على رأس لجنة التوثيق والمكتبات في الجمعيّة ـ على «أوَّل ملتقى تكوينيٍّ من تنظيم جمعيّة التراث لأمناء مكتبات المخطوطات وادي ميزاب» حول فهرسة المكتبات وفق آليات وتقنيات علميّة حديثة. عُقد الملتقى في تاجنينت (العطف) برعايّة أب الباحثين الشّيخ إبراهيم الحاج أيوب (الشّيخ القرادي)، وتمخَّضت عن هذا الملتقى أوَّل استمارة موحَّدة لجمع البيانات لإعداد «دليل مكتبات وادي ميزاب».

أطلق سنة 1989 «مشروع الملفات الصحفيّة حول مزاب والإباضيّة»، وأشرف عليه شخصيًّا بحيث تولَّى بنفسه جمع كلِّ ما يُنشر عن مزاب والإباضيّة في الصحافة الجزائريّة العربيّة والفرنسيّة، وكوَّن بذلك مادَّة أرشيفيّة تاريخيّة ضخمة، استفاد منها الباحثون وما يزالون إلى اليوم.

أشرف سنة 1989 على مشروع «ببليوغرافيا الدراسات والأبحاث حول الإباضيّة»، فقام رحمه الله بإعداد فهرس لما جمعته جمعيّة التراث ـ حتَّى شهر ماي 1989 ـ من دراسات وأبحاث حول الإباضيّة ووادي مزاب باللغات المختلفة، فوضع لكل دراسةٍ ملخَّصًا مختصرًا باللغة العربيّة، وضمَّ الفهرس 180 دراسة وبحثًا، وطبع العمل في نفس السنة طبعة أوَّليّة وُزِّعت على المكتبات المتخصِّصة في الوطن وخارجه.

خصَّص سنة 1991م شقَّته الصغيرة قرب قصر الحكومة بقلب العاصمة الجزائر لتكون أوَّل مقر للجمعيّة خارج مزاب، ومركزًا للأرشيف، وخليّة نحلٍ لتكوين الطلبة الجامعيين والباحثين في مجال التراث.

قدم سنة 1991 مقترحًا مفصَّلا باسم جمعيّة التراث لإنجاز «مركز للتوثيق والأرشيف» لحفظ كلِّ ما يتعلَّق بمزاب والإباضيّة في الجزائر تصويرًا ضوئيًّا أو رقميًّا، ولكن هذه الأمنيّة التي ظلت تراوده لسنوات طويلة لم تتحقق بسبب قلَّة الإمكانيات وعدم اقتناع بعض الجمعيات والمكتبات والأطراف الفاعلة في الساحة بأهميّة المشروع وأبعاده الاستراتيجيّة.

أشرف سنة 1992 على إطلاق مشروع تصوير مخطوطات وادي ميزاب بـ«الميكروفيلم» و«الميكروفيش» بعد أن تكفَّلت جمعيّة التراث بمسألة الأجهزة

والمستلزمات، فقد كان هذا المشروع طفرة نادرة في الجزائر آنذاك، وتم تكليف محمّد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات) لمتابعته، وقدّمت الجمعيّة باكورة هذا المشروع بعد أقل من 3 أشهر بتصوير مكتبة آل يدّر ببني يزجن بـ«الميكروفيلم» و«الميكروفيش».

في مطلع سنة 1993 وضع الدكتور عيسى وموسى رفقة المهندس يحيى مقنين برنامجًا حاسوبيًّا خاصا بجمعيّة التراث، فريدًا من نوعه في الجزائر، وهو برنامج مخصَّص لإدخال مادة «دليل مخطوطات وادي مزاب» للكمبيوتر، بحيث يسهِّل الوصول إلى المعلومة في وقت وجيز ومن مداخل متعدِّدة.

وقد قام بين سنتي 1992 و1994 بسحب طبعة محدودة من موضوعات مشروع الملفات الصحفيّة، وأطلق عليها اسم «وادي ميزاب في معرض الصحافة (1985–1992)» على شكل ملازم بحجم كبير وفي عدَّة أجزاء، كما قام بجمع ما نُشر في الصحافة الوطنيّة عن شاعر الثورة فأخرجه ضمن هذه السلسة في جزء بعنوان «مفدي زكرياء في الصحافة الوطنيّة (1985–1992)». وقامت جمعيّة التراث آنذاك بتوزيع هذه النسخ على بعض المكتبات والجهات المهتمة في مزاب وخارجه.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر

محمّد أحمد جهلان، مقال، مجلة الحياة، نشر جمعيّة التراث، المطبعة العربيّة – غرداية، العدد 24، ماي 2019، ص71.

محمّد بن عيسى البركاني (ت: 1259هـ - 1843م)

ولد محمّد بن عيسى البركاني وسط عائلة عريقة سكنت شرشال وبني مناصر وبني بوصلاح ولها صيت في النّاحية كلها،فهي عائلة مشهورة بالدين والعلم والتقوى، كما كانت لها مكانة مرموقة محفوظة في منطقتها، وتتواجد قبيلة بني مناصر التي ينتمي إليها «محمّد بن عيسى البركاني» وعائلة البراكنة في رقعة جغرافية تمتد وقتها من شرق مستغانم وبني حواء والشّلف غربا وملیانة وشمال المدية جنوبا وشرشال شمالا وغرب العاصمة شرق، وكانت هذه القبيلة من القبائل الأولى التي رفعت لواء المقاومة في وجه الاستعمار الفرنسي وتصدرت مشهد المقاومة بالمنطقة، وكانت قاطرة تقود باقي عروش وعائلات المنطقة، لا تذكر المصادر تاريخ ميلاد «محمّد بن عيسى البركاني»، لكنها تذكر أنه من أشهر رجال قبيلة بني مناصر، وأحد قادتها الكبار الذّي بنوا لها مجدا عظيما، كما أنه كان من أشهر رجال زاوية البراكنة أو سيدي البركاني التي تقع في عرش بني مناصر ناحية شرشال، وهي زاوية مشهورة في ذلك الوقت، وكانت أحد الأسباب في تمكين قبيلة بني مناصر على بقية القبائل، لما كانت تمثله من سلطة علمية وروحية قوية، فقد كانت إحدى الحواضر العلمية في الجزائر، لكنها اختفت نتيجة للاحتلال والإهمال ومصادرة الأوقاف وهجرة العلماء أو نفيهم.

كان (محمّد بن عيسى البركاني) من المتعلمين المثقفين والمتفقهين، وكان أيضا من المدرسين وممن تولوا مهمة القضاء في منطقته، كما كان (البركاني) مشهورا بأعماله الصالحة وبفعل الخير والصلح بين النّاس والوقوف على شؤونهم، وكانت له شعبية كبيرة بين القبائل البربرية غرب العاصمة، وهذا كله أعطاه أهلية ورفعة في قومه، كما حاز بهذا الأمر ثقة الأمير عبد القادر، لأن الأمير لم يكن يعين في منصب الخليفة إلا المثقفين والمتفقهين والوجهاء.

وقد تولى (محمّد بن عيسى البركاني) قيادة قبيلة بني مناصر، وجعل منها نتيجة لتنظيمه المحكم لها قوة عظيمة، عرفت ب (اتحادية بني مناصر)، وهي عبارة عن قوة عسكرية تضم قبائل الظهرة والونشريس وسهل الشّلف والمتيجة وتيسمسيلت تعنى بحماية وتأمين النّاحية الشّرقية للجزائر العاصمة آنذاك أو دار السّلطان إبان التواجد العثماني.

تذكر بعض المصادر الفرنسية إلى أنّ: (البركاني عزله النّاس في شرشال سنة 1833)، فاستظهر للفرنسيين بوثيقة «مزورة» على أن أهلها يؤيدونه قائدا عليهم، فأرسل الحاكم العام (الكونت ديرلون/ Le Conte D'erlon) من يحقق في الأمر فجاءه تقرير يخالف ما زعمه (البركاني)، لم يكن (البركاني) في الواقع يأمل دعم الفرنسيين له الذّي أصبحوا لا يثقون فيه خاصة بعد لقائه في سنة (1834–1833) في البليدة بالحاج (موسى)، الذّي طلب منه تعبئة عرب الصحراء لتقوية صفوف المجاهدين وتوسيع الجهاد. ربط (البركاني) بعد ذلك علاقات وطيدة بالحاج محي الدين، مرابط القليعة الذّي تولّى وظيفة آغا العرب ثم تنحى عنها والتحق بالأمير (عبد القادر) في ملیانة. اتصل محي الدين بالبركاني ووجه إليه رسائل باسم الأمير يدعوه فيها للانضمام إلى صف المقاومة. عند وصول الأمير (عبد القادر) إلى ملیانة في سنة 1836، التحق به «البركاني» وانضم تحت لوائه، وقد ارتاح له الأمير عبد القادر ارتياحا كبيرا، فقام بتعيينه خليفة له على مقاطعة المدية في 22 أفريل 1834، بعد انضمام (البركاني) للأمير أصبح عضده الأيمن.

يعدّ (البركاني) من أبرز خلفاء الأمير، وكان معروفا عنه الولاء للأمير والقدرة الإدارية والشّجاعة في الحرب والتدّين.

فقد اتصل بزعماء متيجة وحرّضهم على جمع الشّمل وتكثير المجاهدين لمحاربة

الفرنسيين، وجاء معه بمحاربين شجعان من شرشال ومن بني مناصر وحجوط. وعمل أيضا على تنظيم جيشه؛ حيث قسمه إلى أربع كتائب: كتيبة تراقب المدينة، وكتيبة تجمع المعونة وتقوم بالتجنيد، وكتيبة تعمل في مصنع البارود والأسلحة، وكتيبة تقوم بمحاصرة الفرنسيين وتطويقهم غرب مليانة، كما كلّفه الأمير بمهمة الإشراف على إنجاز حصن (بوغار) جنوب شرق مدينة المدية، فأنشئت فيه مخبزة وورشة لنسيج البرانس، ومخزن للحديد والكبريت الخام، كما أنشئت فيه مطامير كبيرة، كما كان ينوب الأمير عبد القادر في تنظيم المناطق وتنصيب الخلفاء؛ فهو الذّي قام بتنظيم منطقة «الزّيبان» بسكرة والمدن المحيطة بها، كما نصب خليفة منطقة بوسعادة (الحسن بن عزوز)، حارب مع الأمير في معارك عديدة منها: معركة قنطاس سنة 1940 التي ألحقت خسائر كبيرة بالفرنسيين، وكانت في جبال قنطاس بناحية مليانة. ومعركة غابة الزّيتون سنة 1940 التي هزم فيها جيش الأمير، كما حارب معه ضد خصمه (أي الأمير) الحاج موسى الدرقاوي (بوحمار). وبعد طرد الأمير من المدية حارب معه حربا لا هوادة، وكان قبل ذلك قد شارك مع الحاج موسى في أثناء مقاومة «متيجة» واتّفق معه على تنظيم الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، لكن إصرار الحاج موسى على مواجهة الأمير عبد القادر والاستيلاء على المدية جعله يغيّر من موقفه.

وقد كانت سنة 1942 سنة مأساوية بالنّسبة لمحمّد بن عيسى البركاني، حيث استسلمت معظم القبائل المحيطة بالمدية، فقد نجحت السّياسة الفرنسية في تقسيمها وإضعافها مما أجبرها على الاستسلام، فوجد الخليفة البركاني نفسه وحده مع أفراد عائلته وبعض الجنود، حيث هربوا إلى جبال الونشريس، وظل الخليفة هاربا عند الخليفة محمّد بن علال حتى استشهاد هذا الأخير سنة 1843. وبعدها التحق بالأمير عبد القادر إلى الحدود المغربية وظل معه في الأيام الأخيرة للمقاومة، وكان معه في الوفد الأخير الذّي ناقش شروط إنهاء القتال في ديسمبر 1847، وبعد هجرة الأمير عبد القادر فضل الخليفة البركاني البقاء في المغرب في مدينة فاس تحديدا. وقد توفي رحمه الله بمدينة فاس سنة 1860.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد بن فيّالة
(1242هـ - 1827م/1288هـ - 1871م)

محمّد بن فيّالة وُلِدَ في منطقة (بني حبيبي) بجيجل سنة 1827م، من عائلة مُحافظة، ودخل الكُتّاب وهو صغير ليحفظ أجزاءً من القرآن الكريم، ويتعلّم العربيّة، ولكن استهواه ركوبُ الخيل (الفروسيّة) ويشبّ وهو يحبّ المبارزة والقتال، إلى جانب إتقانه فنّ استعمال الأسلحة النّاريّة التّقليديّة، وهذا بما له من مؤهّلات لأن يكون الرّجل القائد، وهو الذي كان في قريته صغيراً يقود مجموعات من الرّفاق لتمثيل المقاومة. نشأ صغيراً مُحبّاً للخير، وضدّ الظّلم أياً كان، وكان يقوم على خدمة زوّار الزّاويّة منذ صغره، فنشأ مُحبّاً لفعل الخير، كارهاً للظّلم. وكان إلى جانب هذا مُحترماً من السّاكنة لما لعائلته من مَقام عالٍ بحُكم ميولها الدّينيّة المتوارثة، ولمقام زاويّة العائلة التي تُعلي من مقام الإسلام والأخلاق، واحترام الأولياء الصّالحين.

في فترة الشّباب كان (محمّد بن فيّالة) يقوم بأشغال زاوية العائلة، ويميل إلى مُساعدة المحتاجين ويحجّ البيت الحرام وعمره لم يتجاوز العشرين سنة. ولدى عودته من مكّة يتفرّغ للزّاوية ولعمل الخير، ويقوم على توسيع مدارك مريدي الزّاوية بضرورة التّكاتف من أجل رفع ظلم فرنسا على الجزائريين. ويخرج ضدّ فرنسا يُباغتها وحيداً في مُعسكراتها، وأحياناً يجمع بعض الأصحاب لمهاجمتها في عقر دارها، فصارت له القيادة، ولقّب بـ(القائد). وممّا أثار غيضه تلك المعاملات التي لحقت مجاهدي ثورة المقراني والحدّاد، فساند الثّوار المجاهدين، وجمع لهم أفراد للجهاد، ومن حينها شكّل مجموعات جهاديّة مؤمنة بضرورة محاربة وطرد المسيح الفرنسي الغازي، وتطهير أرض الإسلام من الغزاة.

لقد شكّل (محمّد بن فيّالة) مَجموعات من المُحاربين يعملون على تخريب مُنشآت المُعمّرين وحرق مَحاصيلهم، وإثارة الرّعب وجعْلِهم يتراجعون عن المُعاملات اللاإنسانيّة، وأصبح شخصيّة مُهمّة أقضت مَضاجعهم، ومن ثمّ كان مَحلّ بحث لدى الفرنسيين حيّاً أو ميّتاً، فباغتت القوات الفرنسيّة زاويته يوم 21 أوت 1871م، وتمكّنت بمساعدة الخونة من إلقاء القبض عليه، واقتيدَ أسيراً إلى سجونها. وذكر المُؤرّخ (علي خنوف) في كتابه (تاريخ مَنطقة جيجل قديماً وحديثاً) قائلاً: «سي محمّد بن فيّالة: تقول عنه التّقارير الفرنسيّة إنّه أخطر ثائر في المنطقة الشّرقيّة، وقد ذكر اسمه في كلّ المُحاكمات التي جرَت بعد فشل الثّورة، وهو مُقدّم زاوية سيدي وارث قرب سوق الجمعة كما عمل قاضياً لعرش بني حبيبي».

محمّد بن فيّالة قائد ثورة منطقة جيجل:

تعتبر منطقة جيجل/ الشّمال القسنطيني امتداداً لمنطقة القبائل، وقد مسّها الضّر كما مسّ باقي المناطق التي ثارت مع المقراني والحدّاد، وكان (محمّد بن فيّالة) من رموز المقاومة الشّعبيّة في جيجل. ولمّا اندلعت ثورة المقراني، وتدعّمت بإعلان الشّيخ الحدّاد والإخوان الرّحمانيين الجهاد في 8 أفريل 1871م، انتشرت هذه الثّورة بشكل سريع في مختلف مناطق الشّرق الجزائريّ، فكان لا بدّ لمحمّد بن فيّالة أن يكون حامل لواء هذه الثّورة في مناطق الشّمال القسنطيني، فأعلن انضمامه، وبدأ في تشكيل ثوّاره واتّصل بشيوخ المنطقة وأعلنوا التّأييد المطلق، وقدّموا له المساعدات المطلوبة، فتكونّ له رصيد مُعتبر من السّلاح، وبدأ في مُهاجمات جهاديّة ضدّ فرنسا، وكال لها الخسائر الكبيرة. وفي نفس الوقت يُصعّد المُقاومة لتنتشر في (الميليّة) وينقل خطاب الثّورة إلى مُختلف المَناطق التي تعمل على تحفيزه وتجهيزه. وما يُسجّل عليه أنّه هاجم قافلة عسكريّة في 4 جويلية 1971م، وألحق بها خسائر بشرية ومادية معتبرة ومنها انتقلت الانتفاضة إلى شمال منطقة الميليّة «وقام إثرها الثّوار بالهجوم على القوّات الفرنسيّة المرابطة فيها. بعد ذلك بدأت عملية التّوعيّة بضرورة توسيع المقاومة إلى مناطق أخرى، فمن سكان عشيش وبني قايد العقيبة، إلى بني تليلان بالماء الأبيض». كما تشير مصادر أخرى بأنّ (محمّد بن فيّالة) راسلَ شيوخ وسكان هذه المناطق لحثّهم على حمل السّلاح وتخريب المنشآت الاقتصاديّة التي أقامها العدو الفرنسيّ؛ حيث تمّ تخريب السّكة الحديدية الرّابطة بين منطقة سكيكدة وقسنطينة وتعرّضت القرى التي أنشأها المعمّرون بدورها إلى الحرق والتّخريب، وفي ذات السّنة في 27 جويلية 1871م، خاض القائد (محمّد بن فيّالة) مع (الحسين بن أحمد) معركة كبيرة ضد قوّات العدو الفرنسي؛ هاجموا خلالها منطقة ميلة، وأتلفوا مزارع المعمّرين... وفي مسقط رأسه لم يترك عين الفرنسيّ تغطّ في سباتها، فأتى على حرق مزارع المعمّرين، وخاض حروب الهجوم والتّراجع مع الجنرال (دو لا كروا/ De La Croix) وينقل انتفاضته إلى فجّ ببان، وجبل سيدي معروف وجبل غوفي.

إنّ هذه الشّخصيّة المناضلة جديرة بأن يُحتفى بها، وشخصيّة لا تقلّ عن أولئك الثّوّار الرّحمانيين الجهاديين الذين ثاروا ضدّ فرنسا المتغطرسة، وقالوا لها: «سنرمي بفرنسا إلى البحر كما نرمي بهذه العصا على الأرض» هي شخصيّة أسهمت في ثورة 1871م في منطقة جيجل والشّمال القسنطيني وتحتاج أن تكون من أقطاب الثّورة. وكان علينا أن نبعثها لعموم النّاس؛ ليكونوا على دراية بما للجزائر من أبطال يتوارثون الجهاد تلو الآخر. وهي مقاومات كانت محدودة، ولكنّها تجمّعت وتعمّقت في المجتمع الجزائريّ المقاوم، وخرجت ببيان **ثورة نوفمبر الخالدة** التي قالت للعدو «ستخرجُ رغمَ أنفك».

وفاته:

لما أُلقيَ عليه القبض في يوم 21 أوت1871 م، وأصبح أسير حرب، عملت فرنسا على قطع كلّ أشكال التّواصل، فلم يعلم عنه شيء، إلاّ أنّ أخباراً غير مؤكّدة تُشير بأنّه حُكم عليه بالإعدام، لكنّه توفي في السّجن قبل تنفيذ الحكم. وهذه بعض مقاطع قصيدة رثائيّة نُظّمت في القائد (محمّد بن فيّالة) بعد اعتقاله:

يبكيوْ أحمد وإبراهم والغربية معاهمْ
يا ربي تكونْ معاهمْ والنّاسْ لملاحْ
يبكيو على باباهمْ في ألحبَسْ ألتاحْ
غزالة يا الزّينة وقفتْ فالْبابْ
والحرقة دي الغزالة كي دي الكبادْ
الله الله ربّي واللوحْ المحفوظْ
يبكيو على باباهم فالجنة محطوطْ
تبكي يا الشّريفة على باهي الصّفة
وسيدي محمّد والسّرجْ والقطيفة
تبكي يا عيشوشْ وخلخالك منقوشْ
بالفضّة مَرْشوشْ للكعبة ينادي
تبكي يا زينبْ على زين المَرْكابْ
وسيدي محمّد على قشّو يرْطابْ.

صالح بلعيد

محمّد بن محمّد أبو عبد الله الكوميّ النّدروميّ (التّلمسانيّ)
(ت: 777هـ أو775هـ - 1376م أو1374م)

هو محمّد بن محمّد بن يحيي أبو عبد الله الكوميّ، المكنّى بالنّدروميّ والتّلمسانيّ والمغربيّ، ويكنّى كذلك بأبي عبد الله الكوميّ النّدروميّ المقدسيّ نسبة إلى القدس الشّريف الّذي ارتحل إليه وبقي فيه فترة من الزّمن .

تاريخ ولادته مجهول، أمّا وفاته فكانت في حدود (777هـ – 1376م) كما جاء في معجم أعلام الجزائر أو (775ه)، حسب الزركلي)،فقد عاش في القرن الثّامن الهجري، وهو فقيه مالكي من أهل مدينة ندرومة .

رحل إلى المشرق طلبا للعلم، فزار القدس ومكث بها ما بين (751هـ – 1350م/ 767هـ– 1366م)، وحجّ سنة (757هـ – 1374م)، مرّ بمصر سنة (758هـ – 1357م)، وكان في دمشق سنة (785هـ – 1374م). وأخذ من علمائها علم الحديث.

ومن بين المشايخ الّذين قرأ عليهم أو سمع منهم أبو عبد الله النّدرومي وذكرهم في الثبت:

– الشّيخ العلاّمة (مجد الدّين أبو عبد الله محمّد بن الشّيخ الإمام تقي الدّين يعقوب بن أبي عبد الله محمّد الشيرازيّ الشّافعيّ)،

قرأ عليه كتاب (جامع الأصول) لابن الأثير في اليوم التّاسع والعشرين من شهر رمضان المعظّم سنة (766هـ).

– الشيخان (شمس الدّين محمّد بن عبد الله الصفويّ الساعاتيّ)، و(أبو العباس أحمد بن علي بن جماز الحلبيّ)،

– سمع عليهما (ثلاثيات الدّارميّ)، وكان السّماع في المسجد الأموي بدمشق في ثامن عشر من صفر المبارك (سنة 755 هـ).

– الشّيخ العالم القدوة (شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن سليمان بن علي الزهريّ).

– سمع عليه شيء من (كتاب الحجة)، وكان السّماع (سنة 753هـ).

– الإمام الحافظ (أبو عبد الله محمّد بن الإمام الحافظ محب الدّين عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله المقدسيّ)،

– سمع منه قطعة من (صحيح ابن خزيمة)، وهو الجزء الرابع بكماله، وقراءة (المحدث محمّد بن محمود الحلبيّ)، وكان السّماع بدار الحديث – المدرسة الضيائية – بالصّالحيّة في دمشق .

– القاضي (محمّد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المالكيّ المسلاتي) قاضي قضاة المالكية يومئذ بالشّام

– سمع عليه أغلب (كتاب الدعاء) (للحافظ الحسين بن إسماعيل بن محمّد العتبي المحاملي.) وكان السّماع بمكة يوم الأربعاء، سادس شهر ذي الحجة (سنة757هـ).

– (محمّد ابن الشيخ الإمام العالم شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن زين الدّين أبي القاسم الأمويّ الإسكندريّ عرف بابن البوري الشّافعيّ)

سمع منه جزءا من أحاديث (جامع الترمذيّ) من (الرّباعيات) من الجزء الأوّل منه، بقراءة الشيخ الحافظ (تقيّ الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن عوام القرشيّ الشّافعيّ)، وذلك في سابع جمادى الأولى (سنة 758هـ).

– (أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمود،أبو العبّاس ابن الجوخي)، ويقال له: (ابن زقاق)،

– قرأ عليه المعاد الأخير من (صحيح البخاري)، بقراءة (علاء الدين القدسيّ)، في يوم الجمعة تاسع عشر من شهر رمضان المبارك (سنة 747هـ)بالقدس الشّريف.

– قاضي القضاة (شمس الدّين محمّد بن عبد المعطي بن سالم الشافعيّ)، الشهير (بابن السّبع)،

– قرأ عليه (ثلاثيات البخاري)، قرأه بحرم سيدنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– في الحادي والعشرين من ذي الحجة (سنة 757هـ) .

– الشّيخ الإمام العلاّمة الحافظ علاء الدّين أبو الحسن علي بن أيّوب بن منصور بن وزير بن راشد بن معن بن عبد العالي بن محمّد بن إبراهيم الخواصي،

– سمع عليه المعاد الأخير من (الجامع الصّحيح للبخاري) وكان السّماع بالمسجد الأقصى في شهر رمضان المعظّم (سنة 747هـ).

وقد تتلمذ على يده في بيت المقدس (عبد الرّحيم بن عبد الكريم أبي عبد الله بن سعد الدّين بن الخطيب جمال الدّين القرشيّ البكريّ الصديقيّ) و(أحمد بن محمّد بن محمّد الشّهاب أبو العبّاس بن الشّمس بن القاضي الشّمس الأنصاريّ القدسيّ الشّافعيّ).

ومن آثاره المخطوطة (ثبت النّدروميّ) الّذي يتألّف من واحد وخمسين (51) ورقة، كل ورقة تشمل على صفحتين متقابلتين، حيث ترجم في هذا المخطوط بإيجاز للعلماء والمحدّثين الّذين أخذ عنهم وتتلمذ على أيديهم، وقد اشتمل على إجازات بخطوط بعض العلماء ك (صلاح الدّين العلائيّ الدّمشقيّ)

و(محمّد بن غازي الحنفي) و(محمّد بن محمّد الرّبيعي) و(سليمان بن سالم الغزيّ) و(الإمام إسماعيل بن عمر ابن كثير الدّمشقيّ) وآخرين.

ومنهج المؤلّف في هذا المخطوط، هو البدء بذكر سماعه لكتاب معيّن ويذكر ممّن سمعه من المشايخ، ومن قرأه في مجلس السّماع، وبعض من حضره من العلماء، ويؤرّخ لذلك السّماع بذكر اليوم والسّنة والمكان، ويصرّح بإجازة الشّيخ له، وبثبوت سماع ذلك عنه، ويذكر في بعض الأحيان تاريخ وفاة الشّيخ الّذي أجازه قراءة هذا الكتاب أو ذاك.

جاء في معجم أعلام الجزائر أنّ وفاته كانت في حدود (777هـ – 1376م) أمّا في الأعلام للزّركلي فكانت (سنة775هـ) .

نسيمة لوح

المصادر:

– عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجايَة. أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمّد، أبو العباس الغِبْرِيني (ت: 714هـ)، حقّقه وعلّق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط2/ 1979 م ج1 ص15.

– معجم أعلام تلمسان. الدكتور التيجيني بن عيسى، كنوز للإنتاج والنّشر والتّوزيع تلمسان، الجزائر 2011 ص354.

محمّد بن محمّد السّنباوي المازوني (1154هـ - 1741م/1232هـ - 1816م)

الشّيخ محمّد بن محمّد السّنباوي المازوني الأصل، الأزهري التحصيل والعطاء، الفقيه المالكي، عالم بالعربيّة والتفسير، اشتهر بالأمير لأن جده أحمد له امرأة في الصعيد، ولد سنة 1154هـ في ناحيّة سنبو من أعمال منفلوط بمصر، توفي سنة 1232هـ، برع في الحديث وجميع فنون العلوم، وانتهت إليه الرحلة، وحاز الرئاسة والسّياسة بدوام الدراسة، وقصده الأكابر وخطباء المنابر، فكان رحمه الله محط الرجال لا يخلو منهم في كل حال أتاه الرفاق من كل الآفاق وطار صيته في

المغرب والشّام والعراق»، أخذ عن شيوخ أعلام كمحمّد البليدي وهو أعلى شيوخه إسنادا والتاودي ابن سودة، وعبد الرحمن العيد روس وغيرهم.

وقد جمع بعض تلاميذه أسماء مؤلفاته في جزء لطيف سماه «إرشاد أمل العرفان لأسماء مؤلفات الأمير الحسان».

ذكر الإمام في ثبته مجموعة من مشايخه وطريقه في التفسير إليهم، وإجازاتهم له، فذكر طريقه لتفسير ابن عطيّة، ثم الزمخشري ثم البيضاوي، ثم ابن جرير وسائر مؤلفاته، ثم تفسير الثعلبي وسائر مؤلفاته، ثم تفسير الواحدي وسائر مصنفاته، ثم تفاسير أبي حيان، ثم تفسير الماوردي وسائر مصنفاته، ثم «حقائق التفسير» للسلمي وسائر مصنفاته، بهذا الترتيب المذكور، وهو شيخ أبي راس الناصري الذي حلاه بالقول: « إن أخذ في التفسير كلّ عنه»

وأكثر كتبه حواش وشروح، أشهرها «حاشيّة على مغني اللبيب» لابن هشام، ومنها «الإكليل شرح مختصر خليل» في فقه المالكيّة، وحاشيّة على شرح الزرقاني»، و»حاشيّة على شرح ابن تركي على العشماويّة" و"المجموع"، و"ضوء الشّموع على شرح المجموع"، و»حاشيّة على شرح الشّيخ خالد على الأزهريّة» في النحو، و»تفسير المعوذتين»، و"تفسير سورة القدر"، و»حاشيّة على شرح عبد السّلام لجوهرة التوحيد»، وله ثبت في «أسماء شيوخه ونبذ من تراجمهم وتراجم من أخذوا عنهم».

وصفه صاحب شجرة النور الزكيّة بأزكى الأوصاف فقال: «هو الأستاذ العالم العلامة العمدة الفاضل الفهامة صاحب التحقيقات الرائقة والتآليف البارعة الفائقة شيخ شيوخ أهل العلم وصدر صدور أهل الفهم المتفنن في العلوم كلها نقليّها وعقليّها وأدبيّها، إليه انتهت الرئاسة في العلوم بالديار المصريّة وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهيّة، واستنبط الفروع من الأصول، واستخرج نفائس الدرر من نخور المنقول والمعقول، وأودع الطروس فوائد وقلدها عوائد فوائد».

ثم يضيف الحديث عن جهوده العلميّة من تدريس وتكوين لطلبة العلم قائلا: «ومهر وأنجب وتصدر لإلقاء الدروس في حياة شيوخه ونما أمره واشتهر فضله وذكره في الآفاق خصوصا بلاد المغرب... ووفد عليه الطالبون وأخذ عنه من لا يعد كثرة منهم ابنه محمّد وأجازه إجازة عامّة بما في فهرسته والشّيخ الدسوقي وعلي الزروالي المهدوي، وصالح بن عبد الجبار الفرشيشي والشّيخ مصطفى العقباوي، وأحمد الصاوي والشّيخ حسن الأبطحي، والشّيخ حجازي، والشّيخ علي بن عبد الحق القوصي..، والشّيخ أحمد منة الله، وتوجه لدار السّلطنة وألقى هناك دروسا حضره فيها علماءهم وشهدوا بفضله واستجازوه وأجازهم...».

لم يفسر الإمام السّنباوي القرآن الكريم كاملا، بل فسر بعض السّور فقط، ولعله اكتفى بتفسير «الكشاف» وبعض كتب التفسير تدريسا وفي حلقاته.

ويندرج تفسيره ضمن التفسير بالرأي وهو ما يظهر في تفسيره لسورة القدر، فقد كان مقلا من النقول الأثريّة ومن الآيات والأحاديث، معتمدا على رأيه وتوجيهاته كصنيعه في تفسيره لهذه السّورة في قوله تعالى: «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرْ»، إذ يقول: « أي ذات سامة من الآفات لا يقدّر فيها إلا الخير، والتوقّع بأن يقع فيها آفات لابدّ من تقديرها مردود بما علمت أنّ التقدير اللازم العام أزلي، والمراد هنا إظهار المقادير في مواكب الملإ الأعلى، وجاز تخصيصه بأنواع النّعم والخيرات وبدائع التّفضّل وعظائم النّفحات.

ويحتمل ربط «هي» بما بعده وربط «سلام» بما قبله .

وتفسيره لقوله تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ» -القمر-2، إذ يقول: أي ما مقدار شرفها، بدليل ما بعدها لا ما حقيقتها، فإنّ حقيقتها مدّة مخصوصة من الزمن وفي حقيقة الزّمن خلاف مشهور».

كما امتاز تفسيره بقلة اعتماده على بقيّة التفاسير والحواشي، وهو في طريقته في التفسير يبتدئ بذكر المكي والمدني في السّورة، فبين أنها مدنيّة النزول، ثمّ أورد الخلاف وذكر القول بمكيتها، دون أن يورد أصحاب تلك الأقوال وأدلّتهم، ثمّ نقل تفسير آيّة البسملة، وهو بصنيعه هذا يعتدّ بها كآيّة قرآنيّة من كلّ سورة، وذكر في أوّل تفسيرها أنّه يُؤتى بها للتّأكيد ردّا على منكر وشاكٍّ».

وكما يذكر القراءات ويتعرض للأحكام الفقهيّة المتعلقة بالسّورة، مقللا من ذكر الفوائد النحويّة واللغويّة والبلاغيّة ذاكرا لها بقدر الحاجة دون توسع فيها، كما يتطرق لذكر المسائل العقائديّة والكلاميّة، معرجا على ذكر بعض المسائل في علوم القرآن مثل إنزال القرآن الكريم وكيفيته ونزوله، ومسالة المجاز. كما اتسم منهجه بالاستدلال بالأحاديث النبويّة بإيرادها دون سند ولا راو. «ويمثل الإمام السّنباوي بتفسيره هذا استمرارا للمدرسة التقليديّة التفسيريّة التي لم تمارس التجديد في طرحها، بل اصطبغ تفسيره بالنسق العام الذي تمثلته ورسمته كل التفاسير السّالفة، دون الخروج عن مألوف المدرسة التقليديّة إلا ما كان من عدم اعتماده على مشهور الحواشي وكتب التفسير والتقيد بآرائها واختياراتها بل وتوجيهاتها».

عبد الكريم حمو

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن محمّد القبّاطي
(1338هـ - 1907م / 1431هـ - 2010م)

ولد القبّاطي محمّد بن محمّد في19/ 12/ 1907م بالغزوات ولاية تلمسان من أسرة عريقة، يعلو نسبُها إلى سيّدي دحّو دفين معسكر، عُرفت بالعلم، فأبوهُ الشّيخ محمّد القبّاطي عالم جليل ومصلح كبير، حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم وفكرة الإصلاح عن والدّه الشّيخ محمّد القبّاطي. ثمّ انتقل إلى مدينة وهران وأخذ علوم النّحو والصّرف والبلاغة على يد الشّيخ طيّب مهاجي، وتعلّم اللغة الفرنسيّة في المدارس الحكوميّة فحذقها جيّداً. سافر إلى المغرب الأقصى وانتسب إلى جامع القرويّين بفاس، وقضى به سبع سنوات في الدّراسة تحصّل في نهايتها على شهادة نهاية الدّروس سنة 1938م.

ومن أساتذته هناك: الشّيخ عبّاس البنّاني، والشّيخ حسين العراقي، والشّيخ حسن الزّرهوني.

عاد إلى الجزائر وانضمَّ إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين. شدّدت السّلطات الفرنسية الخناق على آل القبّاطي، فما كان من الشّيخ محمّد وشقيقه الأخضر إلّا محاولة الفرار نحو اسبانيا، ومن ثمّ متابعة الطّريق نحو مصر لمواصلة الدّراسة بجامع الأزهر لكنّ محاولتهما لم تنجح، ففُرضت عليهما بعد ذلك الإقامة الجبريّة بتيارت وأطلق سراحهما سنة 1943م. أشاد به الشّيخ عبد الحميد بن باديس عند زيارته لمدينة الغزوات عام 1932 بمناسبة ترسيم شعبة الجمعيّة فقال:» يوجَد في القطر الجزائريّ ثمانيَّة رجال من مِثلِهِ».

أسّس مدرسة التّربية والتّعليم في مدينة مغنيّة، ولكن الإدارة الفرنسيّة ضايقته وحاربته وغرمته فدافع عنه البَاش آغا بن سالم، وتحمل مسؤوليته فسمح له



بمزاولة نشاطه في التّعليم والإرشاد في عدة مدارس، وسجن أكثر من مرة. ونفي إلى منطقة تيارت.

مارس التّعليم بطلب من جبهة التّحرير الوطني. ثم أسندت له سنة 1961م مهمّة القيام بأعمال القنصلية الجزائريّة بعمالة (تِطوان) بالمغرب الأقصى، ومثّل فدرالية جبهة التّحرير الوطني بالعرائش، وكان له نشاط كبير في جمع المال وتقديم الدّعم للمجاهدين إلى غاية الاستقلال.

نشر سنة 1937 قصيدة على صفحات جريدة البصائر في عددها 91 بتاريخ 27/ 12/ 1937 ومما ورد فيها:

حرِّكوا الشَّوقَ إلى العلياءِ
فما مَنْ حادَ سادَ
وارفعوا الجورَ من الأرضِ
إلى السّبع الشِّداد
وتنادوا أيُّها القومُ
فما هذا الرقادُ
إنَّ بالبابِ ناساً
دأبهم ظلم العبادِ
دأبهم أنْ يسلبوا الأُمَّة من خيرٍ وزادِ

التّحق بالتّعليم الثّانوي ودرَّس في العديد من الثّانويات في الجزائر خصوصاً في مدينة سيدي بلعبَّاس، والتّي مازالتّ تذكر نشاطه وتحيي ذكرياته، إلى أن أحيل على التّقاعد سنة 1983م.

عين في 06/ 17/ 1966م عضواً في المجلس الإسلاميّ الأعلى. وعضواً في اتِّحاد الكتَّاب الجزائريّين.

كانت له سمعة طيّبة عند الجمعيات والجمهور، وصار من الشّخصيات المحترمة أثناء الثّورة الجزائرية التّحريريَّة المسلحة. كرّس حياته بنشر الخير مرشداً في زمن ضعُفت فيه القيم وطغت عليه الماديّة والأنانية معتمداً على الثقافة الإسلامية.

كان وفياً للمثل العليا التّي آمن بها، والرّسالة التّي نذر نفسه لخدمتها، وعرف بالصّراحة والوضوح حتى في أدقّ الأمور وأكثرها حساسيّة، فهو من الدّعاة للوقوف على أسرار الدّين وحقيقته وله مخزون علميّ ومسار نضالي وتراث فكريّ، وهو إمام وخطيب وفقيه ومؤلِّف وهو ما شهد به الشّيخ أبو عمران رئيس المجلس الإسلاميّ الأعلى ومحمّد بورغام السّفير السّابق.

خلّف الشّيخ القبَّاطي محمّد بن محمّد مؤلّفات علميّة قيّمة نذكرُ منها:

- اقتصاديات الوطن العربي، بالاشتراك مع بعض سفراء الدّول العربية في الجزائر؛
- الإنسانُ خليفة الله في الأرضِ؛
- المقام الكريم للإنسانيّة؛
- عِظاتٌ من التّاريخ.

عبد النّاصر بوعلي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن محمّد بن العباس (الأقوجيلي)
(ت: 1080هـ - 1669م)

عاش في مدينة الجزائر متعلمًا ومعلّماً وتوفي فيها، ولا نعرف شيئا عن أوليات حياته، وقد نسبه يحيى بوعزيز في أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة إلى بلدة (البرج) بنواحي (معسكر)، حيث يوجد عرش (القواجيل) وتحمل الكثير من العوائل هناك لقب (القوجيلي).

كان إمام مسجد الشّماعين (الدياسين)، وقاضي المالكيّة، ومفتي الجزائر.

لدى الأقوجيلي مكتبة تحتوي على مصنفات قيمة، ومخطوطات عظيمة النفع، وكتبٍ وكراريس بلغ عددها عشرين مخطوطاً، وقد اشترى الإمام الأقوجيلي كتاب (فتح الباري) من شيخه العلاّمة المفتي الكبير (سعيد قدّورة) وسجّل في ذلك هذه الأبيات:

الحمدُ للمهيمن المعينِ
على أداء ثِقَلِ الدّيون
وصلواته على المكرَّمِ
معيذه من مأثمٍ ومغرمِ
وبعدُ فالقصدُ بذي الأبياتِ
تذكرةٌ خَشْيّة أَمْرٍ يأتي
في ذمّتي لشيخنا العلاّمه
حاوي العلوم صاحب الإمامه
بالجامع الأعظم بالجزائرِ
عمّ نداها ثاوياً معْ زائرِ
وهو سعيدٌ نجلُ إبراهيمَ
لا زال في سعادةٍ مقيما
ستون بيضاً من كبار ما ضُرِبْ
بِصُنعِ رومٍ للريال تنتسبْ
ترتّبتْ عليّ باختياري
من اشترائي منه فتح الباري
وأجّل الدّراهم المذكوره
إلى انقضاءِ سنةٍ موفوره

كانت مدينة الجزائر التي سكن بها الإمام الأقوجيلي من الحواضر العلميّة المهمّة في بلاد المغرب، تضاهي معاهدها الجامعات الكبرى بل تفوقها أحياناً، فمجلس الشّيخ أبي الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري الجزائريّ في دراسة صحيح البخاري بشروح ابن حجر والقسطلانيّ والزركشيّ والسّيوطي... دامت أربع عشرة سنة متّصلة، رتع في رياضها الشّيخ الأقوجيلي، واستفاد من فوائدها ودررها، وخلّد ذلك في قصيدة مديحيّة يقول فيها:

إمامٌ بهت حيا علومٌ تضعضعتْ
جوانبُها فاختلّ منها رسومُ
فشمّرَ يُحييها وصمّمَ عزمَهُ
ومقصِدَهُ لله وهو عليم
تصدّى لتفسير الحديثِ وفقهِهِ
فصرّف منْ نحوِ المعاني علومُ

ومن المشايخ الكبار الذين عاصره الأقوجيلي واستفاد منهم العلاّمة سعيد قدورة أحد الفقهاء البارزين يومئذ، الذي استفاد منه الأقوجيلي استفادة كبيرة.

وعرف عن الشّيخ الأقوجيلي ولعه الشّديد بالكتب، فقد اقترض المال كما ذكرنا ذلك من أجل اقتناء (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، وكان ينسخ الكتب بنفسه مثلما ذكر ذلك الشّيخ المهدي البوعبدلي: "وجدتُ مجموعة من كتب ورسائل تأليف العلاّمة جلال الدين السّيوطي رحمه الله بخط الإمام الأقوجيلي؛ منها (حسن التسليك في حكم التشبيك) يقول عند تمامه: كمل بحمد الله وحسن عونه، يوم الثلاثاء، الخامس من شوال، عام تسعة وخمسين وألف (1059هـ) على يد كاتبه لنفسه تعالى، محمّد بن محمّد بن علي بن يسعد بن سعيد من عبد الواحد بن يحيى بن العباس، المعروف بالأقوجيلي، بوادي مزفران من أحواش الجزائر المعمور بذكر الله تعالى»

رحل الأقوجيلي إلى تونس؛ ومكث فيها عدة مدارس فيها، وجلس مع الكثير من علمائها ومحدّثيها، وكان معه بعض الكتب، ونسخ كتباً أخرى هناك، كما سافر إلى الحرمين لأداء مناسك الحج (1053هـ)، ولقاء أهل العلم، ومن أدبه الجم أنّه استأذن شيخه سعيد قدورة في أبياتٍ منها قوله:

فامْنُنْ عليّ -سيّدي- بالإذنِ
وَزِدْ وكَثِّر في الدُّعا بالأمنِ

كما رحل إلى إسطنبول سنة (1065هـ) وكان يومئذ قاضي المالكيّة، لملاقاة أهل السّلطة والعلم للتباحث في شأن الأهوال التي مرّت بها الجزائر.

قال المؤرّخ محمّد بن ميمون في التحفة المرضيّة «وله تصانيف في العلوم ألّف فيها ما ألّف، وتقدّم فيها وما تخلّف»، ولكنّها -للأسف الشّديد- امتدّت إليها يد الضياع فلا يعرف منها الآن سوى منظومته (عقد الجمان اللامع من قعر بحر الجامع) في ذكر الصحابة الذين رووا عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في كتاب (الجامع الصحيح) الشّهير بصحيح البخاري، مع ذكر سنوات وفياتهم، وإحصاء الأحاديث التي رواها كلّ صحابيّ، مرتّبة على حروف المعجم، كقوله:

ثِنْتَيْنِ يَروي جابرةُ بنُ سَمُرهْ
في ثالثِ السّبعين حلَّ المقبرهْ

أثنى على الشّيخ الأقوجيلي عدد من العلماء وكتّاب التراجم والسّير القدامى والمتأخرين نذكر منها على سبيل التمثيل:

المؤرخّ محمّد بن ميمون الجزائري صاحب التحفة المرضيّة: «إذا نثر رأيت البحر الزّاخر، وإذا نظم قلّد الأجياد درًّا تباهى به وتفاخر، كأن أوّل من بدأ في الجزائر وظهر، وتسمّى ببحر القريض واشتهر».

وقال العلامة محمّد الطّبني: "يا من رقى كالهلال ونال كلّ المعال، وحاز من كلّ فن عيونه لا يبال، وحلّ من كل شكلٍ عويصه عقال، فأنت غيثٌ وغوثٌ ومفزع للرجال، ولا زلت كهفاً منيعاً وعروة للوصال، وعنصراً للفنون ومعدناً للخصال».

وقال أبو زيد عبد الرحمن الجامعي: «قال العالم العلاّمة أبو عبد الله سيدي محمّد الأقوجيلي الجزائري رحمه الله يخاطب أمير الجزائر لذلك العهد السّيد أحمد باشا رحمه الله..»

وقال عنه الزّركلي: «فاضلٌ من المشتغلين في الحديث».

وقال المهدي البوعبدلي: "هو العلامة الأديب محمّد بن محمّد بن علي الجزائري، عُرف بالأقوجيلي، هكذا وجدته بخطّه رحمه الله في الإجازة التي التمس بها الإذن من شيخه العلامة سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة»

ويصفه المؤرخ أبو القاسم سعد الله: «الشّاعر البارع محمّد بن محمّد بن علي المعروف الأقوجيلي...».

توفي في شهر شعبان آخر ثلث الليل، بعد نداء الصبح من ليلة الجمعة سنة ثمانين وألف (1080هـ)، ودفن خارج باب الوادي، أحد أبواب الجزائر يوم الجمعة.

حبيب بوزوادة

المصدر:

- عيد عبد الله الصيفي في مقدمة (عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع) للأمام الأقوجيلي، دار ابن حزم، بيروت، 1440هـ / 2019م.

محمّد بن محمّد بن عبد الصمد (أبو الفضل المشدالي)
(820هـ - 1417م/860هـ - 1459م)

قال عنه السيوطي: هو أحد أذكياء العالم، وقال عنه تلميذه البقاعي: من لم يحضر دروسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب ولا رأى الناس بل ولا خرج إلى الوجود. وقال عنه ابن عذيبة: إنه أوحد الأرض وأنه عديم النظير في جنس بني آدم.

إنه محمّد بن محمّد بن بلقاسم بن عبد الصمد المشدالي الزواوي، العالم العلامة،الموسوعي، التقي، الزاهد، المنقطع للعلم وللإفادة والاستفادة، المحيط بعلوم زمانه والمستوعب لها. ابن العلاّمة الوَرع شيخ بجايّة في زمانه، المفتي محمّد بن بلقاسم، نشأ في بيئة علميّة خالصة، فأبوه كان شيخ بجايّة، وجده كان كذلك، وأخوه أيضا كان كذلك، فهو محاط بالعلماء، وهو الحلقة الوسطى في ذاك العقد الفريد.

ولد أبو الفضل في ليلة النصف من رجب سنة 820 هـ ببجايّة، وبدأ كما نقل عنه تلميذه البقاعي، في حفظ القرآن، وهو في الخامسة من عمره، فأكمل حفظه في سنتين ونصف، وبعد أن حفظ القرآن حفظا جيدا، قرأ على أبيه القراءات السبع، وكذلك على الشّيخ الولي الصالح، كما يقول السخاوي أبي عبد الله محمّد ابن أبي رافع، وقرأ على الشّيخين هرون المجاهد، وأبي عثمان سعيد العيسوي، لنافع فقط، وهكذا كما رأينا فقد أخذ القراءات السبع، على مجموعة من الشّيوخ، يفوق الأربعة، وبعد أن حفظ القرآن، واستوعب القراءات السبع، تفرغ للعلوم المختلفة، المعروفة في زمانه، ولكن قبل أن يشرع في دراسة هذه العلوم، بدأ يزود ذاكرته بمجموعة من الأمهات، في الأصلين، وفي الفقه، واللغة، فحفظ الشّاطبتين، ورجز الخرازي في الرسم، والكافيّة الشّافيّة، ولاميّة الأفعال، لابن مالك، في النحو والصرف، وغالب التسهيل، وجميع ألفيّة ابن مالك، ومختصر ابن الحاجب، ورسالة ابن أبي زيد، وأرجوزة التلمساني في الفرائض، وجزءا كبيرا من مدونة سحنون، وطلائع الأنوار في أصول الدين للقاضي البيضاوي، وجمل الخونجي، والخزرجيّة في العروض، وتلخيص ابن البناء في الحساب، وتلخيص المفتاح، وديوان كل من امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير ابن أبي سُلمى، وعلقمة الفحل، وطرفة ابن العبد. وعندما نتفحص هذه القائمة الطويلة، من الكتب والشّروح والدواوين، كما أوردها السخاوي، في كتابه (الضوء اللاّمع)، التي استوعبها أبو الفضل، وهو في بدايّة شبابه، ندرك أننا أمام شخص غير عادي، بل هو شخص، وهبه الله قَدَرًا من الذاكرة والعقل والفطنة وحدة الذهن، ما لم يُوهب إلا لقلة قليلة، ممن هيأهم الله لحمل رسالة العلم، والمعرفة، والإدراك .

وبعد الحفظ لابد من الدرس، والفهم والتفهم، فطرق أبواب شيوخ زمانه وعلماء دهره في بجايّة، فأخذ عن عشرة منهم. فاستوعب ما عند هؤلاء الشّيوخ الأعلام، ووعي صدره ما أملته عليه قرائحهم، ففتح الله عليه بفضل أولئك الأساتذة الأفذاذ، آفاقا من العلم والمعرفة لا حدود لها، أنارت دربه، ووسعت أفقه، وشحذت ذهنه، وصقلت قريحته، فرأى أن ذلك، ما كان ليقعده أو يمنعه من الاستزادة من هذه الأنوار الربانيّة، التي تجعل من صاحبها كلما، اتسعت معارفه إلا وطلب المزيد، لأن العلم لا حدود له «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

فقرر السفر إلى مركز علمي آخر هنا في الجزائر الذي كان يعج بالعلماء الأفذاذ، الذين كانوا سادة العلم في زمانهم، هذا المركز هو (تلمسان) فشد الرحال إليها سنة 840 هـ، ولمّا يتجاوز العشرين من عمره، وكان من أشهر علماء تلمسان آنذاك ابن مرزوق الحفيد، والعقباني، وبن زاغو... فدرس عن عشرة منهم، بل تباحث مع عشرة منهم، لأنه جاء من بجايّة وهو عالم، وإنما ذهب إلى تلمسان، للاستزادة ولترسيخ ما عنده، مما أخذه من شيوخه البجائيين.

وقد عاد أدراجه إلى بجايّة، بعد أربع سنوات من الدرس والأخذ، على أولائك العلماء الأعلام، وبرع في مختلف العلوم المعروفة في زمانه واتسعت دائرة معارفه، وبرز على أقرانه، بل على شيوخه، إذ كتب العلامة ابن مرزوق إلى أبيه بلقاسم المشدالي «إنه قدم إلينا، وكنا نظن أن به حاجة إلينا، فاحتجنا إليه أكثر» وقد حدث البقاعي عن بعض فضلاء المغاربة، أن ابن مرزوق قال:» ما عرفت العلم حتى قدم علينا هذا الشّاب، فقيل كيف؟ قال لأني كنت أقول فيُسلم كلامي، فلما جاء هذا الشّاب، شرع ينازعني، فسرت أتحرى وانفتحت لي أبواب المعارف، أو نحو ذلك».

ونقل البسطي عن ابن مرزوق، أنه إن عاش، كان عالم المسلمين، وأنه كان لا يضاهي أبا الفضل في تلمسان، إلاّ الشّريف أحمد ابن أبي يحيي، ولم يكن يثبت له في النحو سواه، وهما كفرسي رهان، غير أن أبا الفضل أسدى كلاما، وأشد تحقيقا، وأنفذ نظرا، وأوسع دائرة في فنون العلم، مع أن أبا الفضل في سن ولد الشّريف بن يحي «نقلٌ عن الضوء اللامع عن البسطي»

وإذا تتبعنا المراحل التعليميّة التي قطعها أبو الفضل، وجدناها ثلاثة:

– المرحلة الأولى: بدأها وهو في سن السادسة في حفظ القرآن وفي إتقان القراءات السبع عن أبيه، ثم الإتيان على أمهات الكتب، من متون وشروح، ثم حفظ دواوين فُحُول العصر الجاهلي، ودامت هذه المرحلة حوالي 6 سنوات.

– المرحلة الثانيّة: مرحلة الدرس والفهم والإدراك، وكان ذلك عن مجموعة من شيوخ بجايّة، وقد استغرقت أيضا حوالي 6 سنوات.

– المرحلة الثالثة: مرحلة التعمق في الفهم، وسبر غور مجاهل هذه العلوم، واستيعاب علوم جديدة، لم يأخذها من قبل مثل الطب والجبر، والحساب والهندسة والمقابلة والهيئة وجر الأثقال والتقاويم والميقات والاسطرلابات والموسيقى وعلم المرايا والمناظر ...الخ، تلك العلوم التي أشرنا إليها آنفا وقد بلغ مجموع تلك العلوم التي أتقنها وبرع فيها وفاق فيها أقرانه بل شيوخه 28 علما.

وفور وصوله إلى بجايّة، تصدر للتدريس والإقراء، ولكن مكثه ببجايّة لم يكن طويلا، بل سرعان ما عزم على الرحيل مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت الوجهة نحو المشرق، وفي نفس السنة التي قدم إليها من تلمسان أي سنة 844هـ، فكانت المحطة الأولى له هي قسنطينة، ثم عنابة، وفي سنة 845 دخل تونس ومكث فيها حوالي سنة، وحضر حلقات علمائها في جامع الزيتونة، ثم قرر الترحال مرة أخرى، وكانت وجهته مصر، أما وسيلة السفر فكانت الباخرة، إذا استقل ظهر باخرة لـ (نصارى جنوة)، فأرسل الله رياحا عاصفة، رمت بالباخرة إلى (جزيرة قبرص)، إلى مدينة (ليما صول)، ورأى أن ما وقع له وللباخرة التي سافر على ظهرها، منة من الله عليه، ليكتشف عالما كان يجهله، فقطع الجزيرة برا على رجليه، إى أن وصل إلى عاصمة ملكها، ورأى فيها ما رأى، وناظر بعض أساقفتها، ثم رحل من قبرص إلى بيروت، ومن بيروت إلى دمشق، ثم إلى طرابلس الشّام، ثم إلى حماة، ثم استقر به المقام في القدس الشّريف.

وعن هذه الفترة الشّاميّة يقول ابن عذيبة « شهد له الأئمة ببلادنا القدس ودمشق ومصر وطرابلس الشّام، أنه أوحد الأرض، وأنه عديم النظير في جنس بني آدم، فملأ ذكره الأسماع، وطول العلماء في وصفه وسعة علمه، وإحاطته بالعلوم» عن مجلة (التاريخ العربي).

وبعد الإقامة في ثالث الحرمين الشّريفين، تاقت نفسه إلى بيت الله، فجد جده، وعزم على أداء فريضة الحج، وذلك في سنة 849هـ، وبعد أدائه لفريضة الحج ومجاورته لقبر رسول الله صلي الله عليه وسلم، اصطحب معه أحد كبار الدولة في مصر، وهو الكمال ابن البارزي، إلى القاهرة، وكانت سمعته قد سبقته، فزادت عند أهل المملكة وأركان الدولة، سيما الكمال، وصهره الجمال، كما يقول شمس الدين السخاوي، فدرس للناس في عدة فنون، فبهر العقول وأدهش الألباب (فكان يقرأ القارئ بين يديه ورقة أو أكثر ثم ما تتضمنه من تصور المسائل، ويستوفي كلام أهل المذهب إن كان فقها، وكلام الشّارحين إن كان غير ذلك، ثم يتبع ذلك بأبحاث تتعلق بتلك المسائل، كل ذلك في أسلوب غريب، ونمط عجيب بعبارة جزلة، وطلاقة كأنها السيل، وتحرز بديع، بحيث يكون جهد الفاضل البحاث عند غيره، أن يفهم ما يلقيه ويدرك بعض إدراك ما يجليه).

ومن أغرب ما يروى عنه، أن طلبته قالوا له تنزّل لنا في العبارة فإنا لا نفهم جميع ما تقول، فقال شيئا يكاد يكون كشفا، كما يذكر مترجموه «لا تنزلوني إليكم ودعوني أرقيكم إليّ، فبعد كذا وكذا لمدة حددها تصلون إلى فهم كلامي»، فكان الأمر كما قال، وكان طلبته يجدُّون في تهيئة دروسهم، ويجتهدون في ذلك أيما اجتهاد، حتى يخيل لأحدهم أنه يفوق أستاذه، وعند الدرس يُظهر لهم من المباحث ومن خفايا الدرس، ما لم يخطر لهم بالبال، وإن أخاله كان يقرأ عليه في بعض العلوم فيجتهد في المطالعة، حتى يتوهم أنه يتفوق عليه، فإذا وقع الدرس أوقفه على مباحث وإشكالات ما خطرت له.

وقال السخاوي «حصلت بيننا اجتماعات وصحبة، ورأيت منه من حدة الذهن، وذكاء الخاطر، وصفاء الفكر، وسرعة الإدراك، وقوة الفهم وسعة الحفظ، وتوقد القريحة، واعتدال المزاج، وسداد الرأي، واستقامة النظر، وقوة العقل، وطلاقة اللسان، وبلاغة القول، ورصانة الجواب، وغزارة العلم، وحلاوة الشّكل، وخفة الروح، وعذوبة المنطق، ما لم أره عند أحد، وقد أخبرت أن أباه أمره بمطالعة غزوة بدر، وإلقائها في الميعاد فحفظها برمتها في سيرة ابن إسحاق، بما فيها من الأشعار، وحاضر فيها من العشاء إلى نحو نصف الليل، وأصبح فساقها حتى أبهر بها الحاضرين».

ومن القصص الطريفة التي رواها السخاوي والتي تدل على علو همة أبي الفضل، وطول باعه في العلم، ما وقع بينه وبين الإمام ابن حجر بدمشق، إذ أن أبا الفضل تحبب للشيخ ابن حجر، أيما تحبب، لعلمه الغزير ولسمعته التي عمت الآفاق، ولأنه أكبر سنا، فذهب إليه في بيته فلم ينصفه، ولم يستقبله استقبالا حسنا، فظن أبو الفضل بأن كل ما سمعه من الإشادة بفضائل الشّيخ، ما هي إلاّ إشاعات، أو سوء تقدير، ممن لا نباهة لهم، فترفع حينئذ عن التردد إليه، مع توقعه أن يراه في بيوت بعض الأكابر، فيريه من أنظاره ورقة فكره، ما يعلي عنده قدره، ويقول السخاوي:» قد اجتهدت من الجانبين، في الاجتماع على وجه جميل، فلم أستطع، فأراد الله أن مرض ابن حجر، بأمراض منها ضيق النفس، في نحو نصف ذي الحجة سنة 852هـ وطال مرضه، فذكره له الكمال (والكمال هذا هو الذي أتى بأبي الفضل من مكة إلى القاهرة)، والشّرف ابن العطار، وأنه يتعين أن ينظره أي أبو الفضل، ليشخص مرضه، وينظر علاجه، فإنه في الطب واحد عصره، وفريد دهره، وقد تكرر

على سمعه من معارفه، وعظّمته الأكابر، وعقله وسياسته ورزانته ما قرر عنده أمره، وملأ صدره، حتى اشتهى أن يراه، ولو نظرة، فطلبه منهما، وألح عليهما، فكلماه، فامتنع لكراهته أن يشتهر بالطب، ولما تقدم من عدم إنصافه فلم يزالا يتلطفان ويترافقان إلى أن أجاب، فعاده في يوم الأحد في منتصف ذي الحجة وهو في أشد المرض فابتهج به ابتهاجا كثيرا وعظمه تعظيما كبيرا.

ولقد كرس أبو الفضل حياته للعلم، وللعلم فقط، يُدرّس، ويلقن ويناظر، أينما حل وحيثما وجد، حتى في قبرص المسيحيّة، فلم تكن له أسرة مثل بقيّة الناس ولم يتزوج ولم يرض لنفسه أن يشغله عن العلم شيء، حتى المناصب التي عرضت عليه من الدولة كالقضاء رفضها، وقد تخرج عليه كثير من العلماء، ولكنني هنا سأقتصر على ذكر واحد من هؤلاء الأفذاذ الذين تخرجوا عليه وهو (الإمام أبو الحسن برهان الدين البقاعي)، صاحب كتاب» نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، طبق فيه القاعدة الكليّة في تناسب الآيات والسور في القرآن الكريم، التي وضعها شيخه أبو الفضل، وحسب علمي المتواضع يكون أبو الفضل أول من اهتدى إلى هذه القاعدة، أو على الأقل هو الذي قعدها، وأعطاها شكلها النهائي والتي لخصها أبو الفضل، كما يلي (الأمر الكلي المفيد، لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت إليه السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات، في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات، إلى ما يستتبعه من إشراف نفس السامع، إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي، المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلت تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم متصلا بين كل آيّة وآيّة في كل سورة وبين كل سورة وسورة).

لقد اتفقت كلمة كتب السير والطبقات، على أن أبا الفضل المشدالي، كان وحيد عصره وفريد دهره، وأنه علاّمة، أحاط بعلوم زمانه النقليّة منها والعقليّة، وأنه الحجة البالغة في الأصليين، والفقه، والأصول وعلوم الشّرع، وعلوم العربيّة، بمختلف أنواعها أما العلوم العقليّة فلا يضاهيه أحد في زمانه، فهو المبتدي وهو المنتهي فيها، حتى أنه يكره أن يظهر براعته فيها.

و كان ابو الفضل معجبا ببلاد الشّام، فلم يترك مدينة او قريّة ومر بها، الى ان وافته منيته في (عنتاب) بضواحي حلب، سنة 864هـ من شهر شوال، وهو في ريعان شبابه رحمه الله.

محمّد الصغير بن لعلام.

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد بن مسعود خطّاب (الفرقاني)
(1322هـ - 1904م/1384هـ - 1964م)

محمّد بن مسعود خطّاب، والصّافيّة درويش، وُلد يوم: (21شعبّان1322هـ)، الموافق: (30أكتوبر1904م)، في منطقة (بني فرقان)، شمال بلديّة (الميليّة) بولاّيّة (جيجل)، عاش في ظروف متوسّطة، وتأثّر تأثّراً كبيراً بشخصيّة شقيقه (رابح) ؛ الذي كان مُتشبعاً بالحس الوطني، تعلم في كُتاب قريّة (بني فرقان) مبادئ اللغة العربيّة، كما حفظ ما تيسر من القرآن الكريم ؛ ثمّ درس بالمدرسة القرآنيّة في (الميليّة)، وانتقل في مرحلة أخرى إلى (مدرسة الأهالي) في المنطقة نفسها، وبعدها عمل في مقهى أحد أقاربه بالمنطقة، وفي سنة: (1338هـ – 1920م)، سافر إلى المغرب الأقصى، واستقرّ بمدينة (فاس)؛التي كان يعمل بها شقيقه الأكبر (رابح)، وهناك أخذ ينشط في التّجارة، فعمل تاجراً مُتنقلاً في عدّة مدن مغربيّة، من بينها مدينة (مراكش)، وفي عام: (1343هـ – 1925م)، عمل بصفته مُحاسباً في شركة فرنسيّة للإيجار الزّراعي، في منطقة (حد كورت) بالمغرب الأقصى، وبعدها تم تأجير نسبة كبيرة من أراضي تلك الشّركة لمحمّد خطّاب، وانتقل إلى عدّة مدن مغربيّة وعمل في مجموعة من الشّركات والمؤسّسات، واشتغل بالزّراعة، وحقق نجاحات كبيرة، وامتلك ثروة ضخمة ؛و أضحى (محمّد خطّاب الفرقاني) أحد أبرز الدّاعمين لثورة التّحرير الجزائريّة في المغرب الأقصى، وفي مختلف المدن الجزائريّة، وكذلك الشّأن بالنّسبة إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين؛ حيث أنفق بسخاء كبير لتعليم أبناء الجزائر، وسائر أقطار المغرب العربي، وقام ببناء عشرات المدارس والمساجد خدمة للحركة التّعليميّة في الجزائر في عدّة مدن جزائريّة بوهران، وقسنطينة، ومعسكر، والجزائر العاصمة، والميليّة؛ كما موّل بشكل منقطع النّظير البعثات التّعليميّة الجزائريّة في جميع دول المغرب العربي، وفي مصر، وقدم عشرات المنح الدّراسيّة، واشترى دور الإقامة للطلبة، وقدم دعماً سخياً لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، ولممثلي الثّورة الجزائريّة في مختلف الأقطار؛ فقد كرس ثروته وممتلكاته وعلاقاته الاقتصاديّة والسّياسيّة خدمة لثورة التّحرير الجزائريّة، كما خصص منتجات شركاته التّجاريّة والزّراعيّة في المغرب الأقصى لفائدة جبهة التّحرير الوطني، وجيش التّحرير الجزائري، وتكفل بأسفار قادة الثّورة الجزائريّة، ووضع أمواله تحت تصرفهم، كما وضع حساباته الماليّة في أوروبا خدمة للثورة الجزائريّة

وقادتها، وأنشأ عدّة مصانع في المغرب الأقصى للسلاح لفائدة جيش التّحرير الوطني، وبإشراف المجاهد (عبد الحفيظ بو الصّوف)، وقد توفّي الرّجل الخيّر، والفذ (محمّد خطّاب الفرقاني) يوم: (15ربيع الآخر1384هـ)، الموافق: (22أغسطس-أوت1964م) .

من أهم الكُتب التي تطرقت إلى جهوده، وإنجازاته العظيمة، كتاب: «سي محمّد خطّاب الفرقاني: المُبشر ببناء المغرب العربي» للدكتور فاروق بن عطيّة؛ مدير المدرسة الوطنيّة للإدارة في الفترة الممتدة ما بين (1970-1967م).وفي يوم:-20 2016-2م، نظمت المكتبة البلديّة بمدينة (الميليّة) ندوة علميّة عن جهوده الفذة في خدمة ثورة التّحرير الجزائريّة، ودعم جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، بعنوان: (محمّد خطّاب الفرقاني: الشّخصيّة والإسهامات) ؛ وهذه الشّخصيّة النّبيلة ما تزال تستحق الإشادة والبحث والتّنويه؛ فقد قدم الرّجل الخيّر (محمّد خطّاب الفرقاني)، خدمات جليلة للثورة الجزائريّة، ولجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وللحركة التّعليميّة في المغرب العربي، وكان الشّيخ العلّامة (محمّد البشير الإبراهيمي) يُثني عليه أيما ثناء في مقالاته بجريدة (البصائر)؛ ويصفه بالرّجل المنقطع النّظير البار بأمته ووطنه، ويؤكّد على إنّه نابغة من نوابغ المحسنين من طراز خاص يقل وجوده في الأمم، وكان يُطلق عليه الشّاعر الكبير (مفدي زكريا) اسم بطل الفلاحة إمام المحسنين، وقد كتب عدّة قصائد يثني فيها على جهوده وأعماله الإنسانيّة والخيريّة التي قدمها للثورة الجزائريّة، وقد ذكر في ديوانه: (من وحي الأطلس) أن محمّد خطّاب لُقب (بعاشق الأرض)؛ لإنّه ضرب الرّقم القياسي في إحياء الأرض وتوفّير الإنتاج، ومن بين القصائد التي كتبها (مفدي زكريا) في مدح (محمّد خطّاب الفرقاني) قصيدة موسومة ب: «فتى عرف المكارم فابتغاها»، ومن بين ما جاء فيها قوله:

وسجل في جبن الدّهر ذكراً
لخطّاب به الدّنيا تُغني
فتى عرف المكارم فابتغاها
وحلق في سماء المجد يبني
وقام بها عصامياً يُعاني
متاعبها بلا كسل ووهن

وأعجب العلّامة (محمّد البشير الإبراهيمي) أيما إعجاب بجهوده في خدمة الكتاتيب والمدارس القرآنيّة واللُّغة العربيّة؛ من خلال دعمه للمدارس الحرّة، وقد شكره عدّة مرات نظير جهوده في دعم الكتاتيب القرآنيّة التي لعبت دوراً منقطع النّظير في الرّفاه اللغوي ؛ حيث نلفيه (العلّامة محمّد البشير الإبراهيمي) يُبرز جهود هذا الرّجل المُحسن (محمّد خطّاب الفرقاني) في مجموعة من المقالات التي كتبها في جريدة (البصائر)، ومن بينها ما كتبه يوم: (29أوت1947م)، بعنوان: (محمّد خطّاب الفرقاني)، حيث يقول: » هذا الرّجل من أبناء الجزائر الذين رفعوا رأس الجزائر، ومن أبناء هذا الشّمال الذين أوسعوه براً وتكرمة وجعلوا من مالهم ومواهبهم وسائل لغرس الأخوة بين أبنائه، ولم يعيشوا لأنفسهم، بل عاشوا لإخوانّهم وأوطانهم، وما أقل هذا الصّنف من الرّجال فينا ويا للأسف... ولد السّيد محمّد خطّاب في جبال (الميليّة) الشّماء، ونشأ بين صخورها الصّماء، وفتح عينيه على آثار من الشّمم والهمم والعزة والكرم، وعلى عصاميّة في الحياة امتاز بها أبناء الجبال، فكان لذلك كله في حياته وتكوينه أثر غير قليل، ثم هاجر إلى المغرب سنة أربع وعشرين ميلاديّة بعد هجرة أخيه الأديب الكاتب الأستاذ (رابح الفرقاني) المترجم الحر بفاس، واتخذ الأخوان من المغرب وطناً ثانياً لهما وكونا بكرم أخلاقهما ولطف شمائلهما مكانة ممتازة بين أهله. والسّيد محمّد خطّاب عصامي النّفس عربي النّزعة لا يسير في الحياة إلا على وحي الفطرة وهدايّة الاستعداد ومسايرة القوميّة، لذلك اختار الفلاحة حرفة فنجح فيها وبارك الله في أعماله، فتأثل منها ثروة عريضة رأى من شكر الله عليها أن يفيء بجزء منها على المشاريع العلميّة النّافعة لوطنه الكبير، وللسيد محمّد خطّاب في مبراته العلميّة ومكارمه رأي هو فيه نسيج وحده، فهو يرى تمام المكرمة وكمالها أن تكون على يد جمعيّة العلماء، وله في جمعيّة العلماء اعتقاد مصمم وله بها صلة وثيقة الأسباب تمتد أوائلها إلى أوائل الحركة التّعليميّة بقسنطينة، وله ولأخيه الأديب علائق متينة مرعيّة بإمام النّهضة المرحوم عبد الحميد بن باديس، وكان لهما في حياته اشتراك مالي سنوي مقرر في كل مشاريع جمعيّة العلماء المسلمين من جرائدها إلى صندوق الطّلبة إلى مدرسة التّربيّة والتّعليم. وفي السّنة الماضيّة قرر السّيد محمّد خطّاب مبرتين ماليتين يدفعهما مساهمة على يدّ جمعيّة العلماء... وللسيد محمّد خطّاب ميزة ثالثة خاصّة بمسقط رأسه (الميليّة) وهي مدرسة خطّاب إحدى المدارس التي تديرها جمعيّة العلماء، بناها بماله منذ سنوات ورأى الآن إنّها لا تكفي أبناء القريّة، ففوض إلى جمعيّة العلماء أن تتولى توسيعها أو تجديدها من ماله الخاص بالغة ما بلغت النّفقات....".

وفي سنة: (1949م)، كتب العلّامة (محمّد البشير الإبراهيمي) يُثني على دوره في خدمة اللغة العربيّة ودعم الكتاتيب القرآنيّة، والإسهام في تعليم اللغة العربيّة وبث روح الانتماء للأمة الجزائريّة، فنجده يقول:» ...ولأخينا خطّاب في إحسانّه إلى التّعليم فلسفة دقيقة تزيد في قيمته، وهي إنّه لا يضع إحسانّه إلا حيث يعتقد إنّه يفيد وينفع، ولا يضعه إلا في الأيدي التي تُحسن تصريفه، احتياطاً للإحسان أن يضيع في غير مفيد للأمة ...وقد طلب هذا المحسن الكبير من رئيس جمعيّة العلماء أن يضع له قائمة جديدة بالمشاريع التي تدخل في المبرة للسنة المقبلة، فوقع الاتفاق بينهما على المشاريع الآتيّة: مدرسة الفلاح بوهران، مدرسة (الأمير عبد القادر النّاشئة بمعسكر)، (مدرسة قنزات) مدرسة وجامع حيّ (سانت أوچين) بالجزائر، مدرسة وجامع حي (بلكور) بالجزائر، وسينال كل مشروع حظّه من المبرة... ولا يفوتنا تسجيل منقبة جديدة للأخ خطّاب. فقد جرى-أيام زيارته لنا بالجزائر في الشّهر الماضي-ذكر (مدرسة ندرومة) العظيمة التي شيّدت في هذه السّنة بمساعي رئيس جمعيّة العلماء، وجهّزت منها خمسة أقسام، والعزائم معقودة على تشييد عشرة أقسام أخرى في

السّنتين الآتيتين. فذكر رئيس الجمعيّة داراً ملاصقة للمدرسة، يملكها رجلٌ ندَّرومي مقيم في (المغرب)، تصلح أن تضاف إلى المدرسة وتخصص للبنات. فهزّت الأريحيّة هذا المُحسن الأصيل، وتعهّد أن يشتريها من صاحبها-وهو صديقه- ويدفع ثمنها من ماله، ويهبها للمدرسة، مشاركة لأهل ندرومة الكرام فيما بنوا للعلم وشادوا».

يقول الرّئيس الرّاحل (هواري بومدين) عن (محمّد خطّاب الفرقاني): «ستبقى الجزائر إلى الأبد تعترف لك بما قدمته من أجلها؛ فالشّعب الجزائري لن ينسى أبداً».

ويقول عنه المجاهد الرّئيس (بن يوسف بن خدة): «كان سي خطّاب رجلاً نشيطاً ومتطوعاً، سمعتُ عنه وعن تبرعاته من قبل، عن التّزامه وعن وطنيته قبل أن أتعرف إليه في المغرب.أجهل شخصياً جزءاً كبيراً من عمله نظراً للتداخل الذي كان سائداً».

ويقول عنه المناضل (عمر بوداود): «رجل عظيم جداً، تمكن بوساطة عمله من تكوين ثروة ضخمة، لقد بقي مُحافظاً على وطنيته كما كان في مستوى الثّقة التي وُضعت فيه، وكان على استعداد للقيام بكل ما نطلبه منه، رجل جد متفتح ودافئ العواطف وجد متواضع».

ويصفه المجاهد الفذّ ووزير الشّؤون الخارجيّة في الحكومة الجزائريّة المؤقتة (سعد دحلب) بأنّه: «أكبر خادم للأمّة الجزائريّة في المغرب، وكان مُخلصاً لوطنه روحاً وجسداً، سخّر جميع الإمكانيات التي يتوفّر عليها في خدمة تحرير المغرب العربي (ممتلكاته وعلاقاته وشخصه) كان مقرّباً جدّاً من السّلطان محمّد الخامس، وكان يتدخّل في غالب الأحيان لخدمة جيش التّحرير الوطني والحكومة المؤقّتة للجمهوريّة الجزائريّة... وفي بدايّة سنة: (1963م) عُيّنت سفيراً في الرّباط وكان هو من يتولّى تسهيل مهمّتي في الأوساط المغربيّة. رجل ذكيّ ومتعاون ومحسن للجميع، رجل عصريّ وتقليديّ في الوقت نفسه، كان شديد الحفاوة وصديقاً وفياً ومثابراً في صداقته، ولم يكن أسيراً للمال، لكنّه يعرف كيف يفيد به من يستحقونه».

ويقول عنه السّلطان (محمّد الخامس): «عندما يظهر سي خطّاب في القصر، أدرك سلفاً إنّه جاء من أجل التّدخل لفائدة ثورة التّحرير الجزائريّة».

ويصفه المجاهد (عبد الحفيظ بو الصّوف) بالقول: «من يستطيع نسيان سي محمّد خطّاب الذي أعطى للمغرب العربي كل شيء، لقد فقدنا فيه دعامّة الثّورة».

ويؤكّد العقيد المجاهد (أعمر أوعمران) على عظمة شخصيّة (محمّد خطّاب الفرقاني) فيقول: «لقد أنفق الفقيد سي محمّد خطّاب جزءاً كبيراً من ثروته من أجل تحرير الجزائر: (بواخر الأسلحة، مزارع تحت تصرف جيش التّحرير الوطني، تبرّعات، الدّفاع عن المصالح العليا للجزائريّين في المغرب وحمايتها)».

وفي السّياق نفسه يؤكّد المجاهد (فرحات عبّاس) ؛أوّل رئيس للحكومة الجزائريّة المؤقتة، على أنّ (محمّد خطّاب الفرقاني) شخصيّة استثنائيّة، فيقول: «لقد فقدت الجزائر في شخصه منشطاً كبيراً لحرب التّحرير الجزائريّة، لقد كان سي محمّد خطّاب رجلاً فعّالاً وثميناً على المستوى اللوجستي ونقل الأسلحة والمساهمة الحاسمة».

كما أشاد بجهوده الكبيرة في دعم ثورة التّحرير الجزائريّة الأستاذ (أحمد توفّيق المدني) في الجزء الثّالث من كتابه: «حياة كفاح:مع ركب الثّورة التّحريريّة»؛ فكلما كان يحل بالمغرب الأقصى يستقبله (محمّد خطّاب الفرقاني)، ويُقدم له الدّعم المالي للثورة الجزائريّة، ويُقربه إلى العائلة المالكة من أجل خدمة أبناء الجزائر في المغرب الأقصى أثناء ثورة التّحرير المظفرة ضد الاستدمار الفرنسي.

ويقول المجاهد (علي منجلي)، عنه: (أعظم شخصيّة عرفتها الثّورة الجزائريّة في المغرب شخصيّة محمّد خطّاب).

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- د.فاروق بن عطيّة:سي محمّد خطّاب الفرقاني:المُبّشر ببناء المغرب العربي، ترجمة: مسعود جناح، منشورات ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2016م.
- محمّد البشير الإبراهيمي:محمّد خطّاب الفرقاني، جريدة البصائر:لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، العدد:-4السّنة الأوّلى من السّلسلة الثّانيّة29-أوت1947م، نقلاً عن آثار محمّد البشير الإبراهيمي، ط:01، الجزء الثّالثّ، منشورات الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م.
- محمّد البشير الإبراهيمي:محمّد خطّاب، جريدة البصائر:لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، العدد:86، 1949م، نقلاً عن:عيون البصائر: مجموع المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر الخاصّة، منشورات الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، د، ت.

محمد بن يوسف الثّغري القيسي

أبو عبد الله محمد بن يوسف الثّغري القيسي التّلمساني (الثّغري) لم تذكر المصادر العربيّة زمن مولده، ولكن المرجح انه ولد بتلمسان وهذا ما تشير اليه جل المصادر، غير انه يمكن أن نستنتج فترة عيشه عبر تتبع بعض قصائده التي أشارت المصادر إلى تواريخ نظمها، مثل كتاب نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار، الذي أورد قصيدة نظمها الثّغري سنة 761هـ في ذكرى المولد النبوي إما وفاة الثّغري، فإن بعض الباحثين حاولوا تحديد تاريخ وفاته بالنظر إلى تواريخ نظم قصائده في مدح سلاطين بني زيان، ومنه

قـول حاجيات (لم ينقطع أبو عبد الله الثّغري عند مدح أبي حمو الثّاني، ثم ابنه أبي تاشفين وأبي زيان، ولعله توفي في أوائل القرن التّاسع هجري)، ويقول شـوقي ضيف أن اكبر الظن انـه توفـي أواخر القـرن الثّامـن أو فـي أوائل القرن التّاسع الهجري .

يعرف بالقيسـي نسـبة الى القبيلـة العربيّة قيـس، وعـرف بالثّغري لـورود كلمـة (ثغر) وترددها كثيرا في اشعاره .

يعـدّ من أشـهر شـعراء تلمسـان وأدبائها، كتـب الثّغـري فـي فنـون واغـراض محدودة وعلـى راسـها ارتباطـه بالبـلاط ومجالـس الامراء .

مـع العلـم ان حـكام الدولـة العبـد واديه التّزمـت بإحيائهم ذكرى المولد النبوي الشّـريف، وكان الشّعراء يتبارون وفي هذا المجال، فنظمـوا العديـد مـن النبويـات والمولديات، والتـي تنتقل مـن المديـح النبـوي، الى مدح السّلطان الحاكم الذي اعطى للاحتفاء بمولد النبي الكريم اهميّة قصوى وعنايّة خاصّة.

عايـش فالثّقـري القيسـي الزيانييـن فـي النصـف الثّاني من القـرن الثّامن هجري، أما نشـأته فكانـت بتلمسـان حيث خلد اسـمها وتغنـى بجمالهـا، عاش فـي الدولـة الزيانيّة مقدما لدى السّلطان أبي حمو موسى الثّاني. ولعلاقتـه الوثيقـة بابي حمـو موسـى الثّاني وابنيه ابي تاشـفين الثّاني، وأبي زيان محمد، اعتبـر شـاعر البلاط بـلا منازع، حيـث اثبت حضـوره في هـذا البلاط منـذ إحيـاء الدولة الزيانيّـة على يدّ موسـى الثّاني عـام 760 هـ، ثم عصر ابي تاشـفين الثّانـي 791هـ – 796هـ هـو زمن اب زيان محمـد . عاش الثّغري في كنـف السّـلطان أيب محـو وكان هـذا وكان أديبـا كما كان شـاعرا كبيـرا، 796/ صاحب 801 هــ، فـكان الثّغري خـلال هـذه العهود المتواليّـة صاحب حظ وحظوة غبطه عليهما الكثير من اهل صنعته .

نشأ الثّغري في تلمسـان وتلقى علومه في جوامعها ومدارسـها وتتلمذ على يد علمائها وفقهائها، ولعل أشـهر مدرس له هو الشّريف التّلمسـاني الذي كان على قدر كبير من العلم والفقه، وكان أحد أبرز علماء بتلمسـان، وقد تتلمذ على يده أشـهر علماء تلمسـان وأدبائه مثـل إبراهيـم المصمـودي، ومحمـد علـي المديوني وابي اسحاق الشّاطيب وابن زمرك، وابن السّكاك، وعبد الرّحمن بن خلدون.

تتلمذ على يـده الكثير من الطلبة الوافدين مـن الاندلـس الـى تلمسـان، كاب عبـد الله المجاري، الذي يذكر اساتذته ومنهم الثّغري (الشّـيخ الفقيه العددي الفرضي الكاتب البار ع ابو عبد الله محمد الشّـهير بالثّغري، قرأت عليه كتاب أو قليدس في الهندسة من أوله إلى نصف العاشـر منه بلفظي تصورا، وسـمعت عليه بقـراءة غيري تلخيص ابن البناء، وكتاب الجبر والمقابلة لابن الياسمين تصورا).

لـه العديـد من القصائـد مبثوثة فـي كتابي أزهـار الريـاض للمقري وبغيّة الـرواد ليحيى بن خلدون. وأجودها ما نظمه ليالي الاحتفال بالمولـد النبـوي. كل مـا جمـع للثغـري هو مجموعـة نصـوص تصل الـى ثمانيّ عشـرة قصيدة تضم ما يقـارب ألف بيت، متناثرة هنا وهناك، وقد جمع نوار بوحلاسّة هذه القصائد في ديوان منشور.

وصفـه المقـري بالعلامـة الناظـم الناثـر، وكان مقدما لدى سـلاطين تلمسـان لبلاغته، وكان له الاثر الواضح في تميز فن المولديات عن باقي الفنون الشّـعريّة والذي شكل مدونة شعريّة مغربيّة خالصّة.

أحمد موساوي

المصادر:

- معجم أعلام الجزائر .عادل نويهض.
- بغيّة الرواد. ج 1. يحى بن خلدون.
- أزهار الرياض المقري.
- رحلة ابن عمار.

نفح الطيب ج 7 المقري.

محمّد بن يوسف المصعبي المليكي الجربي (أبو عبد الله)
(ت: 1207هـ - 1792م)

محمّـد بـن يوسـف المصعبـي المليكي أصلا بوادي ميزاب، عاش بجربّة وبها توفي. أخذ العلـم عن والده العالـم، وعن غيره من مشايخ عصره، كان من الأقطاب الذين تدور عليهم أمور عصرهم في جربة، تولّى منصب والده فـي جميع المهامّ بالجزيرة من رئاسـة مجالـسّ التعليـم، والحكـم، والتدريـس، والفتـوى بالجامـع الكبيـر. اختـاره مجلس الشّـورى بجربّـة رئيسـاً للوفـد الذي أرسـل للدّفـاع عـن المذهـب، ولمناظـرة علمـاء تونس بحضـرة الباي الجربي، وكانت بينهما مراسلات في الفقه والتّوحيد والأحكام.

له خطٌّ جميل نسـخ بـه كثيراً مـن أمَّهات الكتب؛

من آثاره الفكريّة:

– شـرح لقصيدة تحريض الطلبة، لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، (مخ).

– حاشـيّة على الإجارات، المنسوب ليحيى الجناوني، (مخ).

– حاشـيّة علـى كتـاب تبييـن أفعـال العبـاد، للشـيخ أبي العباس أحمد بن محمّد بن بكر، لم يكملها، (مخ).

– رسـائل وفتـاوى وأجوبـة، فـي مختلـف الفنون الشّرعيّة، (مخ).

– حاشـيّة علـى كتـاب الفرائـض للشّـيخ إسماعيل الجيطالي، (مخ).

كما تولّى التدريس بمدرسة الجامع الكبير بجربة، وتخرَّج على يديه ثلّة من العلماء منهم:

- أبو الأعناق داود بن أبي بكر المصعبي الغرداوي نسباً، الجربي مسكناً؛
- إبراهيم بن صالح المصعبي؛
- قاسم بن أحمد المثني؛
- محمّد بن يحيى القلالي؛
- موسى بن علي الباروني؛
- أحمد بن عمر البغطوري؛
- بو العباس أحمد بن محمّد بن يوسف المصعبي؛
- سليمان بن محمّد الباروني؛
- سليمان بن محمّد الشّماخي.

وبموته أخذ نظام العزّابة في الاندثار بجزيرة جربة. لقد أوثر عنه أن باي تونس حمودة باشا الحسيني بعث إلى علماء جربة طالبا منهم أن يوفدوا عليه جماعة من أهل العلم، ليختبرهم لوشايّة قام بها علماء تونس عند الباي، يذمونهم ويعتبرونهم خالين من العلم وانهم أهل بدعة وليسوا من السّنة في شيء.

فاختار مجلس الشّورى بجربة الشّيخ محمّد المصعبي ليكون رئيساً للوفد، ولما وصل الوفد تونس أكرمه الباي وفي الغد أو بعده ركب الباي وسار قاصداً زاويّة بلحسن ومدينة تونس أراضي زراعيّة، فشقّ الباي تلك المزارع بخيله فتتبعه سائر النّاس وكانوا آلافاً يدوسون تلك المزارع، ولكن الوفد الجربي لم يتّبع الباي بل دار متّبعاً الفواصل التي بين الزّروع حتى وصل مكان وقوف الباي فقال للوفد منبئاً عليه لماذا خالفتموني واتخذتم طريقاً غير التي سرت أنا فيه؛ أعصيتموني؟ قال كبيرهم الشّيخ محمّد: «لا لم نعصك ولكن أشفقنا على الزّرع لم نرض أن ندوسه بأقدامنا لقوله ﷺ: "لا يدخل الزّرع إلاّ ثلاثة: واقيه وساقيه وناقيه"، وأنت واقيه، فعلم حينئذٍ مقدرا تورّعهم وآدابهم وأنهم عاملون بما عملوا، ورجع الباي بالأئمة على الذين اتبعوه وهمّشوا مزارع النّاس وانّ هم لا يخافون الله ولا يراقبونه إنما يتقربون إلى الأمراء.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- ابن تعاريت: رسالة في تراجم علماء جربة (مخ) 8،9 ؛
- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ) 65؛
- علي معمر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، ح2/ 200-201؛
- سالم بن يعقوب: تاريخ جزيرة جربة، 135-138؛
- الجعبيري: نظام العزابة، 228-231، 274، 284، 231-310؛
- الجعبيري: ملامح عن الحركة الإباضيّة، 16؛
- ابن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، 240؛

جمعيّة التّراث: دليل المخطوطات، فهرس آل يدّر، مج 43 -فهرس القطب.

محمّد بنعزوز الحسني القاسمي
(1324هـ - 1906م/1404هـ - 1984م)

ولد الشّيخ (محمّد بنعزوز القاسمي) رحمه الله ببلدة الهامل، في بدايّة القرن العشرين، وهي الفترة التي توقّفت فيها حركات المقاومة الشّعبيّة ضدّ الاستعمار الفرنسي، وشهد الوضع الدّاخليّ للجزائر ركوداً وجموداً شديدين على مختلف الأصعدة، باستثناء ما كانت تقدّمه الزوايا الدينيّة من تعليم تقليدي، سمح بالحفاظ على بقيّة من الأمل الضئيل في الحياة العلميّة والثقافيّة الجزائريّة، على غرار ما كانت تقدّمه (زاويّة الهامل) التي ينتمي إليها (بنعزوز القاسمي)، فهو ابن عائلة علميّة عريقة، ما تزال تتوارث مشيخة الزاويّة إلى الآن.

فقد كان والده (الحاج المختار بن الحاج محمّد الهامليّ) من أهل العلم والفقه والزّهد، تولّى مشيخة الزّاويّة إلى أن وافته المنيّة سنة (1915م)، وترك ولده صغيرا في رعايّة أعمامه وأخيه الشّيخ (محمّد المكيّ)، وظهر نبوغ الولد (بنعزّوز) مبكرا، إذ لم يتم العقد الأول من عمره حتّى حفظ القرآن وأتقن تجويده ورسمه، وهو ما هيّأه لأن يكون طالب علم متميّزاً يشار إليه بالبنان، على يد كبار علماء بلدته، وخصوصاً شيخ الجماعة بالزاويّة القاسميّة (محمّد بن عبد الرحمن الديسيّ)، شيخ والده، وهو صاحب التأثير الكبير عليه.

سافر الشّيخ القاسمي -على عاد طلاب العلم يومئذ- إلى مدينة الجزائر سنة (1917م)، حيث التقى في الجامع الكبير بمفتي المالكيّة الشّيخ (أبي القاسم الحفناوي) واستفاد منه،ثمّ عاد إلى (الزاويّة القاسميّة) بالهامل طالباً مجتهداً ثمّ أستاذاً بها زميلاً لمشايخه في سن الثامنة عشرة. ليغادر مرّة أخرى إلى الديار التونسيّة، طالباً في (جامع الزيتونة) سنة (1345هـ - 1926م)، وهناك التقى بالعديد من المشايخ الأجلاء، منهم (الشّيخ محمّد الزغواني المالكيّ)، و(الشّيخ محمّد الهادي العلانيّ)، و(الشّيخ عثمان الخوجة الحنفيّ)، و(الشّيخ معاويّة التميميّ) وغيرهم من مشايخ الزيتونة الفضلاء.

وعقب حصول الشّيخ (القاسمي) على الإجازات العلميّة من مشايخ في تونس عادة في صائفة (1346هـ - 1927م) إلى (زاويّة الهامل)، واستقرّ بها مدرّساً، رفقة ثلة من كبار مشايخ الزاويّة أمثال (الشّيخ بن السّنوسي الديسيّ)، و(الشّيخ أحمد بن

الأخضر الشّريف)، و(الشّيخ عبد العزيز بن أحمد الفاطميّ) وغيرهم.

كان الشّيخ بنعزوز القاسمي الحسني رحمه الله يبدأ يومه العلميّ بعد صلاة الصبح، فيشرع في تدريس علوم القرآن: من تفسير معانيه، وأسباب النزول، ومعه علم الحديث روايّة ودرايّة، وإذا طلعت الشّمس يبدأ بدرس التوحيد والعقيدة، واللّغة والنحو، وبعد العصر السّنوسي الحساب والجوهر المكنون. إلاّ أن الذي اشتهر به الشّيخ هو تخصّصه في الفقه المالكي، وعكوفه على تدريس كتبه، وبخاصة مختصر خليل وشروحه، وكان درسه الفقهيَّ نموذجيا، لكونه لا يعتمد على الحفظ وحده، بل كان يرجع إلى المصادر والمراجع محاولا استخراج الأحكام الفقهيّة من الكتاب والسّنَّة، مستنبطا محاورا مناظرا. ممَّا جعل حلقته تتَّسع أكثر فأكثر، عاما بعد عام، وكان يختم مختصر خليل كل سنَّة، ويحضر مجلسه جمع من العلماء، ويحتفل بيوم الختم.

رغم ارتباط (الشّيخ بنعزوز) بالتدريس في الزاويّة إلاّ أنّه كان منخرطاً في أنشطة أخرى خارجها، منها مشاركته في تأسيس «جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين»، وشارك في الاجتماع التأسيسي بنادي الترّقي بمدينة الجزائر، وكان من أعضاء الجمعيّة العامَّة، لكنّه انسحب من الجمعيّة لأسباب خاصة. كما انتقل بعد الاستقلال إلى مدينة (عين وسارة)، حيث أقام هناك بطلب من أهلها، وقضى سنواته الأولى بها مدرساً لبعض العلوم من فقه وتفسير وحديث، لمختلف طبقات الشّعب، وفي السّنوات الأخيرة لمّا شعر بنوع من الإعياء، قصر التدريس على النخبة من الأئمة والأساتذة، وكان يقضي شهور الصيف بمدينة (الجلفة)، حيث يستقبله أهلها ويقضي معهم فترة الصيف في تدارس أمور الفقه والفتوى، وفي هذه الفترة –فترة الإقامة بعين وسارة– زار البقاع المقدّسة مرتين لأداء مناسك الحج.

تولى (الشّيخ بنعزوز) التدريس لأكثر من نصف قرن، ومنذ شبابه لم يعرف مهنة أخرى غير العلم والتعليم، وتخرج على يديه كثير من الطلبة والأئمة والفقهاء يتجاوز عددهم ثلاثة آلاف طالب. ومن أبرز تلامذته: الشّيخ عبد الحفيظ القاسمي، الشّيخ معمر حاشي، الشّيخ خليل القاسمي الحسني، الشّيخ محمّد الأزهري القاسمي الحسني...

نظراً لأولويّة التدريس بالنسبة لـ (لشيخ القاسمي) فإنّه انشغل به عن الكتابة، وكان رصيده من المؤلفات قليلا، نذكر منها:

– شرح الصدر بإعراب آيّ القطر.

– فهرست موضوعات ومصادر ومراجع اليواقيت الثمينة في الأشباه والنظائر الفقهيّة على مذهب مالك، لعليّ بن عبد الواحد السّجلماسي.

– تحقيق كتاب الكواكب العرفانيّة والإشراقات الأنسيّة في شرح القدسيّة للشيخ الرّحالة الحسين لورتيلانيّ.

– رسائل وكتيبات صغيرة مثل: مناسك الحج، رسالة التقوى، استعمال جلود الميتة، الزكاة.

– تقييدات في الفقه والتفسير والحديث على معظم كتبه.

– عدد كبير من الفتاوى يفوق الثلاثمائة فتوى.

كان الشّيخ القاسمي محبًا للمطالعة، شغوفاً بالكتب، مولعاً بجمع المخطوطات، فأقدم على شراء الكثير منها من أبناء العلماء الذين وضعوا هذه الكنوز للبيع، وكان يبذل الغالي والنفيس في سبيل الحصول على مخطوطة أو كتاب هام، إلى أن أصبحت تضمّ آلاف الكتب المطبوعة وحوالي 700 مخطوط، وهو ما جعل زاويته محطّ العلماء ومقصد الباحثين عن المخطوطات النادرة، فقد زارها في حياة (الشّيخ القاسمي) من العالم المغربي الكبير (الشّيخ عبد الحي الكتاني) مراراً، و(الشّيخ محمّد الحجوي) وزير المعارف المغربي، وشاعر المدينة المنورة (الشّيخ عمر بري)، وقاضي مدينة قفصة التونسيّة (الحسين بن المفتي) وغيرهم.

توفي– رحمه الله – ليلة 21 رمضان 1404 هـ الموافق لـ 21 جوان 1984م بمدينة البليدة بعد مرض ألزمه الفراش مدة طويلة، ودفن بمسقط رأسه الهامل، بجوار أستاذه الشّيخ محمّد بن عبد الرحمن الديسي بمقبرة الأسرة القاسميّة، في يوم مشهود، وشيعه جمع غفير في موكب مهيب غشيه حزن وأسى على فقد علم بارز من أعلام الجزائر وأبّنه غير واحد.

حبيب بوزوادة

المصدر:

د.عبد المنعم القاسمي الحسني، صفحات مجهولة في حياة العالم محمّد بنعزوز القاسمي الجزائري، موقع إسلام أون لاين (https: / /islamonline.net /2410)

محمّد بوبغلة
(1223هـ - 1809م/1270هـ - 1854م)

محمّد بوبغلة ثائر من الثّوار الجزائريين الذي لعبوا دورا حاسما وبطوليا في مقاومة الطغيان الفرنسي في بدايّة عهده بالجزائر بوسائل متواضعة استطاع ومقاوموه الأشاوس تلقين الفرنسيين المدججين بأعتى الأسلحة آنذاك درسا سجل من ذهب في تاريخ الثّورات الجزائريّة.

تشير بعض المصادر أنه جاء من الغرب، أما اسمه الحقيقي فهو محمّد الأمجد بن عبد المالك المدعو الشّريف بوبغلة.

استقر في سور الغزلان قادما إليها من النّواحي الغربيّة معلما القرآن الكريم للأطفال، ومن هناك انتقل إلى بني مليكش في حوض وادي السّاحل الغربي، وأعلن الجهاد على الاحتلال الفرنسي في عام

1851، وكان مصحوبا في تنقلاته الكثيرة ببغلة رماديّة، فسمي بالشّريف بوبغلة.

ولسمعته في أوساط سكان منطقة الزّواوة، وطلابها الذين كانوا يقيمون في زاويّة ازواواة استطاع أن يؤثر فيهم بحكمته، وورعه، وحبه لزرع الخير، وغريزته التي تعودت على فعل الخير لصالح البلاد والعباد، وحين أعلن الجهاد في سبيل نصرة الله وتحرير البلاد من الطغيان الأجنبي الغاشم لم يجد صعوبة في أن ينضم إلى دعوته أهل الزواوة، وطلبة الزوايا، الذين نهضوا بالدعوة إلى مناصرته ومؤازرته، وقد كان إلى حنكته العسكريّة، وقدرته على التعبئة، وامتلاك مهارة عاليّة في كيفيّة تنظيم جيش المقاومة، كان خطيبا مصقعا ومحدثا بارعا، وملسنا في خطاباته وخطبه حتى أنه أعلن بأنه رجل السّاعة، الذي بعثه الخالق ليخلص المسلمين من الكفار، حتى يؤثر في مؤيديه، فيمتلئوا حماسة وإقداما على خوض المعارك ببسالة وشجاعة وإيمان راسخ، وقد استطاع أن يجمع مناصرين مقتنعين بهدفه وهو تحرير المسلمين من ظلم وجور الكفار الوافدين الغازين.

تشبع بروح المقاومة ونبذ الظلم كيفما كان، وتكون سياسيا وعسكريا في مدرسة الأمير عبد القادر، وكان عمره آنذاك أربعين سنة، وقد شارك في معارك الأمير، واطلع على مجريات الأمور، وقد كان جريئا، وشجاعا، وفارسا مغوارا لا يتسلل الخنوع أو الخمول إلى وجدانه، واكتسب خبرة قتاليّة أهلته لأن ينظم مقاومة في منطقته، واستطاع بحنكته وسياسيّة أن يضم إليه المقاومين القدامى، أي الذين شاركوا في المقاومات التي سبقته.

استطاع في ظرف خمس سنوات أن يكيل العدو خسائر فادحة في العدة والأرواح والعتاد، وقد وجد في المقاومة لالا انسومر مؤازرة وقوة معنويّة، وروح عاليّة في القتال والاستماتة لأجل رد الطغيان وعدم الرضا بالظلم والهوان، وفي سوق الثلاثاء ببني إيجار عقد بوبغلة اجتماعا كبيرا للمبايعة وإعلان الجهاد جماعيا،، حيث كانت لالا فاطمة انسومر من الذين آزروه بالولاء، بحكم سمعتها لكونها كانت مقدمة زاويّة ورعة، وقد استطاع أن يجمع حوله قرابة ثلاثة ألاف مقاتل، وخاض بهم عدة معارك، بطوليّة وامتدت ثورته إلى بجايّة، والقل، وجيجل، ومن البابور هاجم الموالين للاحتلال الفرنسي، وعلى رأسهم ابن الشّريف الزعيم الأكثر تأثيرا بوادي السّاحل، وأخذ يطرد القياد، والشّيوخ التابعين، والموالين للفرنسين، ويستبدلهم بمن يرى فيهم الإخلاص والوفاء للمقاومة والوطن، وفي الوقت الذي كان يحقّق فيه هذا التّقدم كان يرسل مبعوثين يعملون على تعبئة سكان المديّة، وملیانة والشّلف للمقاومة والجهاد.

وهكذا استطاع بفضل استراتيجيته العسكريّة والمهارة التي اكتسبها من خبرة الأمير عبد القادر العسكريّة أن تنتشر دعوته للجهاد وتحظى بالقبول لدى الأهالي أينما حلّ وارتحل.



تشير بعض المصادر إلى أن بدايّة نشاطه تعود إلى مطلع عام 1851، عندما ارتابت فيه السّلطات الاستعماريّة، فترك منطقة سور الغزلان وانتقل إلى قلعة بني عباس وأخفى شخصيته وأهدافه واتصل بشيوخ بني مليكيش، ومنها أخذ يراسل الشّخصيات البارزة في المنطقة وسكان جبال البابور والحضنة والمديّة وملیانة وجبال جرجرة يدعوهم إلى الانضمام إليه لمحاربة الفرنسيين، وقد دعمه في ثورته سي قويدر التيطراوي والد الشّريف بوحمارة .

ثار بوبغلة لحوالي خمس سنوات جعل بلاد الزواوة خلالها مقبرة للعديد من ضباط وجنودالجيش الفرنسي، كما أخرج الناحيّة كلها من عزلتها الجبليّة، وقد ذاق طعم الانتصار، كما ذاق طعم الهزيمة لفترات عديدة ولم يكل، أو تنهار عزيمته مصمما على الجاهد ببسالة وشجاعة وروح عاليّة ومؤمنة بالنصر بإرادة الله، وإذا كان قد خسر حليفا قويا وهو سي الجودي، الذي قبل مؤقتا التعاون مع الاحتلال الفرنسي وذلك في أفريل عام 1852، فإنه وجد في لالة فطيمة انسومر قوة معنويّة هائلة، وسيبدو أن بوبغلة لم يكتف بمؤازرتها له معنويا، بل طلبها للزواج حتى يتعزز موقفه بأتباعها، لكنها اعتذرت لكونها مازالت آنذاك في عصمة زوجها الذي نفرت منه، فعمد إلى عدم تطليقها حتى لاتتزوج غيره على الرغم من أنها كانت تعيش في زاويتها مع أتباعها بعيدة عنه.

تنقل من منطقة لأخرى يجمع الأتباع ويدعو لحركته حتى امتدت إلى حوضي بجايّة ومنطقة البابور، قاد خلالها عدة معارك ضد الفرنسيين منها معركة أوزلاقن شهر جوان 1851 حيث اصطدم بقوات العقيد دي ونجيDE WENGI وأعوانه قتل أثناءها عدد كبير من الطرفين.

استمات الشّريف بوبغلة في الدفاع عن منطقة جرجرة وجند الكثير من أبنائها رغم القوات الفرنسيّة الكبيرة، سيما تلك التي قادها كبار الضباط من أمثال الحاكم العام الماريشال راندون، وماك ماهون والعقيد بوبريط والجنرال ميسات إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على المقاومة التي اتسعت رقعتها بانضمام لالة فاطمة انسومر إلى قيادتها .

بعد معارك داميّة بين بوبغلة والقوات الفرنسيّة في منطقة القبائل، وفي هجوم شنه على الفرنسيين ليلة 26 سبتمبر 1854 جرح، وألقي عليه القبض، فنكلوا بجثته، وفصلوا

رأسه عن جسده، وعلقوه على عمود يوم26 ديسمبر من نفس السّنة تاركا زوجتين هما : تاسعديت، وآمنة، وطفلين وبنت.

وأخذت فرنسا رأس الشّريف إلى متاحفها في باريس ووضع مع رؤوس أماجد آخرين في علب، لقد استكثرت عليه أن يدفن رحمه الله، لكن بعد تولي السّيد عبد المجيد تبون رئاسة الجمهوريّة أعيد رفات وجماجم أبطال ورجال المقاومات الشّعبيّة في الجزائر وكان الشّريف بوبغلة في مقدمة التوابيت التي استقبلها وفد رسمي بمباركة الرئيس ورعايته وصليت عليهم صلاة الجنازة اعترافا بتضحياتهم الجسيمة واستشهادهم من أجل تحرير الجزائر من ربق الاستدمار الفرنسي. ودفنوا في تربة الجزائر السّخيّة في يوم 05 جويليّة 2020، بعد أن علقت أرواحهم ردحا من الزمن.

باديس فوغالي

المصادر:

- موقع عيون البصائر التعليمي، شخصيات جزائريّة تاريخيّة مشهورة.
- معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزء الأول، ص 258، 260.

محمّد بوختاش

ينتمي محمّد بوختاش إلى أولاد رحاب، وهم إحدى الفرق المتميّة للبراكْتيّة إحدى العشائر المنضويّة تحت التجمع القبلي المعروف في الحضنة بأولاد دراج، وحسبما تواتر من روايات تاريخيّة؛ فإن أولاد رحاب يوصفون بأنهم أشراف أولاد دراج. عاش بوختاش خلال القرن التاسع عشر دون تحديد دقيق لتاريخ ميلاده أو وفاته، ويبدو أنه كان على علم كامل بما يدور من أحداث في عصره. كان محمّد بوختاش هو المبادر والقائد والمنظم لحركة المقاومة الشّعبيّة التي وقعت في ربيع سنة 1860 بمنطقة الحضنة، وعبأت كل أعراش المنطقة في مواجهة الغزو الفرنسي، وذلك ضمن الانتفاضات الشّعبيّة المتلاحقة التي قادها الجزائريون خلال القرن التاسع عشر. فبعد توقف حركة الجهاد التي كان يقودها الأمير عبد القادر، اندلعت العديد من حركات المقاومة الشّعبيّة ضد الوجود الاستعماري الفرنسي.

ولعل أبرز الانتفاضات الشّعبيّة التي وقعت في محيط منطقة الحضنة وكانت جزءا منها فأثرت فيها وتأثرت بها، هي الانتفاضة الشّعبيّة التي قادها الشّيخ بوزيان بواحة الزّعاطشة سنة 1849م وانتفاضة الشّيخ الصادق بالحاج بمنطقة الزّاب الشّرقي وسفوح الأوراس الجنوبيّة سنة 1859. وقد قمعتهما القوات الاستعماريّة الفرنسيّة بعنف. وكان لتلك المجابهات بين السّكان العُزّل والقوات الفرنسيّة المدجّجة بالسّلاح أثرها البالغ في دفع سكان الحضنة إلى التعبئة ومواجهة القوات الفرنسيّة. ويقول المؤرخ يحيى بوعزيز بهذا الشّأن: «لقد كان لحركة سي الصادق في منطقة بسكرة تأثير سيء لدى سكان الواحات والهضاب العليا لأن الفرنسيين واجهوها بقسوة بالغة». وضمن هذا الجو العام المشحون بالعداء للقوات الفرنسيّة الغازيّة، برز الشّيخ محمّد بوختاش كمبادر وقائد لانتفاضة شعبيّة بالحضنة. وكما قال الشّيخ عبد الرحمن الجيلالي فإنه لا ينتهي لهيب ثورة في منطقة ما حتى تندلع ثورات أخرى عبر مناطق مختلفة من الجزائر، وذلك طيلة النصف الثّاني من القرن التاسع عشر. ويقول بشأن انتفاضة الحضنة: «لم يمض عام واحد على حركة الصادق بالحاج حتى اندلعت حركة مسلحة أخرى بغرب المنطقة التي كانت مسرحا لحركة الصادق، أي في المسيلة وجبال الحضنة شمال الهضاب العليا الشّرقيّة، وكانت بزعامة محمّد بوختاش من أحفاد سيدي رحاب المعروفين بالبراكتيّة، وذلك سنة 1860 م».

أما المؤرخ يحي بوعزيز فقد وصف حركة الشّيخ بوختاش بأنها «حركة مسلحة تحريريّة ذات أهداف وطنيّة، وإن التبرير الجدير بالاعتبار، لنُشوب تلك الحركة هو رفض السّكان المستمر للسيطرة الفرنسيّة وتأثرهم بحركة سي الصادق وما قبلها من الثّورات المسلحة». ويقول عن قائد تلك الحركة محمّد بوختاش بأنه قدم نفسه للسكان على أنه «مبعوث من أجل تحرير بلاد الجزائر من الاحتلال الفرنسي، ولذلك توافد عليه الناس من كل الجهات. وكان الكثير منهم من ذوي السّمعة والنفوذ والتأثير، كالعلماء ورجال الدين والقضاة والطلبة، مما جعل حركته أهم وأخطر من حركة الصادق بالحاج في بسكرة والخنقة، وأكثر امتدادا وانتشارا وتأثيرا». فقد التف النّاس حوله من مختلف جهات الحضنة، من أولاد منصور غربا إلى بريكة شرقا وامتدت لتشمل معظم المناطق الواقعة بين سطيف شمالا والحضنة جنوبا. وكان من أبرز مساعديه سي العربي باش عدل، أي قاضي، أولاد سحنون بمدينة بريكة وسي أحمد باي من أولاد منصور، ولعب هذان الشّخصان دورا مؤثرا في أحداث تلك الثّورة.

جمع محمّد بوختاش ورفاقه حوالي ثمانمائة رجل جاهز للقتال، وتمركزوا على ضفتيْ واد ذراع البيضاء استعدادا لمواجهة الفرنسيين. ولما علم الفرنسيون بذلك جهزوا قوات ضخمة لمواجهة انتفاضة الشّيخ بوختاش، فتوجه الجنرال نيم ديمارست Nèmes–Démarest من سطيف على رأس قوات كبيرة عسكر بها بالقرب من مكان احتشاد الثّوار، وتوجه العقيد (بان / Pein) من بريكة بعدد معتبر من القوات المشكلة من القناصة والرماة والصبايحيّة. وجرت معركة ضاريّة استخدم فيها كل طرف ما يملك من سلاح، وذلك يوم 25 مارس سنة 1860 بالمنطقة المعروفة ب (خنق أم حمام). وانتهت المعركة التي استخدم فيها حتى الأسلحة البيضاء بالقبض

على الشّيخ بوختتاش ومساعده سي أحمد باي واستشهاد سي العربي وعدد كبير من المجاهدين. وقامت القوات الفرنسيّة بتخريب الممتلكات وتدمير المساكن وتشريد السّكان، ومارست أسلوب الأرض المحروقة انتقاما من الأهالي الذين ناصروا الشّيخ بوختتاش.

وقد سجل الشّعر الشّعبي بالحضنة تلك المعركة التي بقيت خالدة في المخيلة الشّعبيّة، نورد منها في ما يلي بعض الأبيات:

يا راعي الملجوم رِضْ امْهل ليّ
وعودك من لَبْعاد جا عرقو يقطرْ
تَعلمني ما صار لي في الحُضنيّة
فيما بين الناصْرة وأولاد غْمُرْ
خبر جاني مع النجوع الحقْ ليّ
وحُرمة الابطال عامت على البَرْ
فتنة «خنق أم حمام" قعدت محكيّة
يا مَعْتاه نهار في جَر أم عمرْ
ضاعوا لي سادات طُلْبة سنيّة
ذريّة رحّاب شريف من النّبي الطاهر
محمّد درغام أسد البراكتيّة
واللّبّة سوداء تْصاحبه تتْكركرْ

والمقصود براعي الملجوم؛ هو الفارس ورِضْ من تريّض أي تمهّل، والحُضنيّة نسبة لسكان الحضنة أما الناصْرة فالمقصود بهم النصارى، ومَعْتاه من العُتو أي ما أكبره، واللبّة بالتخفيف، وليس التفخيم، تعني هنا اللحيّة المنسدلة على الصدر تشبيها لمحمّد بوختتاش بالأسد. واللبّة في لسان العرب هي موضع القلادة من الصدر.

ولقد كان الحماس الوطني الفياض والشّعور الديني العميق اللذان يملآن قلوب السّكان هما السّلاح الذي واجه به الثّوار القوات الفرنسيّة في المعركة، وبالرغم من قضاء الفرنسيين على حركة الشّيخ بوختتاش إلا أن الإحساس بالثّورة ضد الاستعمار الفرنسي ظل قائما في النفوس حتى قيام ثورة أول نوفمبر.

عامر بغدادي

المصدر:

- ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، يحي بوعزيز، دار البعث قسنطينة، الطبعة الأولى، 1400 هـ - 1980م.
- تاريخ الجزائر العامّ، عبد الرحمن الجيلالي، ج 4، دار الثّقافة بيروت، 1983

محمّد بوراس
(1326هـ - 1908م/1360هـ - 1941م)

وُلِد (محمّد بوراس) مؤسّس الكشّافة الإسلاميّة في 26 فيفري سنة 1908م، بمدينة مليانة من عائلة فقيرة، ودخل المدرسة القرآنيّة في أوّلى مراحل عمره، ثمّ التّحَقَ بمدرسة ابتدائيّة فرنسيّة تُدرّس الفرنسيّة فقط، ولم يطل به الوقت وتمّ طردُه. والتّحَقَ بعد ذلك بمدرسة الفلاح لإتمام دروسه بالعربيّة؛ وفيها يجد جواً آخر بأن ينظمّ إلى فريق ألعاب القوى، ثمّ فريق لعبة القدم، ويظهر عليه بعض علامات النّجبة؛ وبخاصّة أثناء عمله في جبل زكّار؛ حيث يعيش آهات العمّال وعذابات المسؤولين، ويرى كيف يرسل تراب الجزائر إلى فرنسا لتحويله حديداً يستفيدون منه، والجزائر تعيش المجاعة. وفي سنة 1926م ينتقل إلى الجزائر العاصمة ويعمل في مطاحن الحبوب بصورة مؤقّتة، ويدخل بعض الأنديّة الرّياضيّة، ثمّ يجد وظيفة شبه دائمة في البحريّة العسكريّة. وبعد مدّة أصبح يعيش جوّ الحركة الوطنيّة؛ حيث يرتاد التّجمعات السّياسيّة، ويحضر محاضرات التّنوير في (نادي التّرقي) ويبدأ في



التّحضير لفوج وطنيّ تطوّعيّ باسم (فوج الفلاح). وكان ذلك الفوج لبنة لتنظيم وطنيّ يولَد سنة 1939م، بمُسمّى (الكشّافة الإسلاميّة الجزائريّة) في الحرّاش، ويُنتخَب بوراس رئيساً للتّنظيم. وتذكر المراجع أنّ فكرة هذا التّنظيم كان من وحي حدث»... فقد حدث ذات مرّة عام 1930 أن كان (محمّد بوراس) يتجوّل مع صديقه (الفول) -وهو من مليانة- بالعاصمة؛ فإذا بهما يتوجّهان نحو حشد كبير من الشّباب كان يضمّ حوالي 3000 كشّاف اجتمعوا بحيّ (الثّغريين/ tagarin) لعقد مؤتمر كشفيّ احتفالاً بمرور مئة (100) سنة على احتلال الجزائر 1830/ 1930 فاستوحى منها كلّ من (محمّد بوراس وصادق الفول) فكرة تأسيس فوج كشفيّ جزائريّ، فتمّ ذلك بمليانة؛ حيث تشكّل أوّل فوج كشفيّ مكوّن من عشرة عناصر، وكان يحمل اسم -ابن خلدون- لكنّ لإدارة الفرنسيّة أحسّت بالخطر، فاستعملتْ كلّ الوسائل لزعزعة كيانّه، ونسف نتائجه، ولم يتواصل التّنظيم في مليانة خلال الفترة التّدميريّة...» .

ما يُعرف عن الكشّافة الإسلاميّة الجزائريّة إنّها تنظيم تربويّ إنسانيّ؛ هدفها تنميّة الشّباب بدنياً وثقافياً، تأسّست في العاصمة برئيس شرفيّ (عبد الحميد بن باديس) ونصّبت فروعاً في مختلف مناطق

الوطن، وحملت مبادئ: الواجب نحو الله ثمّ الوطن، الواجب نحو الآخرين، الواجب نحو الذّات. وتستمدّ برامجها من الدّين الإسلاميّ، القانون الكشفي الوطنيّ، البرامج الكشفيّة العالميّة. بشعار وطنيّ ثلاثيّ: زهرة الياسمين (رمز لأركان الإسلام الخمسة)، الهلال، اللافتة البيضاء. والكلّ في درع أحمر يرمز لدمّ الشّهداء. وهكذا بدأت تشتغل بمنهجيّة التّطوّع والاستعداد للتّغيير، والاختلاط بالشّعب لزرع وعي التّربيّة وُصولاً إلى التّغيير، وكان من وراء ذلك ظهور سبعة عشر (17) كشّافاً كانوا من مجموعة الاثنين والعشرين (22) الذين خطّطوا لثورة أوّل نوفمبر 1954م. وتكون الكشّافة نبراساً للنّضال الوطنيّ، ويكون مؤسّسها من الشّباب الذين تَرَبّوا على الإخلاص والوفاء وحبّ الآخرين، فقدّم نفسه فداءً للوطن وللشّباب الذين ينتظر منهم الوطن التّضحيات، وقد حمل (بوراس) مشعل الحريّة، ورفع صوته من أجل أن تحيا الجزائر.

ولقد عرف (محمّد بوراس) بإخلاصه الكبير وإيمانه الرّاسخ ووطنيته وقناعته بأنّ الكفاح من أجل الحريّة لا يكون إلاّ عن طريق تربيّة النّشء وتوعيّة الشّعب «كان بوراس شديد الحرص على التّعلم؛ لإنّه كان يدرك أيّما إدراك بأنّ المخرج الوحيد للمحنة التي كان يكابدها الشّعب الجزائريّ سبيله العلم، فكان كثير التّردّد على نادي التّرقي للأخذ عن مشايخ جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وفي مقدّمتهم الشّيخ العلاّمة (عبد الحميد بن باديس) كما عرف (محمّد بوراس) بشدّة عطفه وحنانه وبحبّه لعمل الخير في سبيل إسعاد الآخرين، لقد تحمل مسؤوليّة تربيّة أبنائه وإخوانه على حدّ سواء وبخاصّة بعد وفاة والده عامّ 1936م، وقد عمل (محمّد بوراس) إلى غرس روح الوطنيّة، وقيم الدّين الإسلاميّ في أبنائه السّتّة، كما كان شديد الحرص على تعليمهم وتربيتهم تربيّة صحيحة؛ قوامها الأخلاق والتّشبّث بعادات وقيَم وتقاليد هذا الوطن».

إنّ التّفكير في تأسيس منظّمة وطنيّة شبانيّة تحمل أهداف الاستعداد (كن مستعدّاً) وتستكشف مهام ما وراء التّأسيس، وهي تربيّة الجيل للذّود عن الوطن الذي جعله المُستدمِر الفرنسيّ إقطاعيّة لفرنسا يدرّ عليه الخيرات، ويمنع منها المواطن الجزائريّ. إنّ بوراس في نفسه شيء من ضرورة الخروج من الوضع الذي تتحكّم فيه فرنسا، ولا بدّ من قيام الثّورة، ولكن كيف تكون الثّورة دون سلاح؟ هنا العُقدة، ويعمل (بوراس) على التّواصل مع الألمان لتحقيق ذلك، وألمانيا تجهّز نفسها لدخول باريس بالمجان. ولكن (بوراس) رأى أنّ لقضاء مصالحه من العدوّ لا بدّ من مداهنته في البدايّة، ودعوته للاعتراف بالكشّافة الإسلاميّة كمنظّمة كشفيّة قائمة بأهداف وطنيّة وإنسانيّة، على غرار الكشّافة الفرنسيّة، والقصد من وراء ذلك التّوصّل إلى التّعارف على الكشافة الألمانيّة بغرض طلب إمدادها بالسّلاح، ولكن دون جدوى. ولم يكن ذلك غائباً عن مخابرات فرنسا، وبدأت في مضايقته في كلّ نشاط يقوم به، ممّا جعله يُعلن استقالتّه سنة 1940، ويبقى يعمل من وراء السّتار.

إنّ الوضع الاجتماعي الذي تعيشه العاصمة سنوات الثّلاثينات كانت في صالح بوراس؛ ليعيش فكر الرّأي المضاد، وفكر التّنوير الذي تزرعه جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين عبر نواديها الثّقافيّة وفي كثير من التّجمعات؛ إضافة إلى انعقاد المؤتمر الإسلاميّ في سنة 1936 بحضور (عبد الحميد بن باديس) وظهور الخلافات المنهجيّة بين زعماء الإدماج ومصالي الحاج وما تعجّ به إرهاصات الحرب العالميّة الثّانيّة القادمة، كلّ ذلك جعلت فكر بوراس يشحذ بمعطيات وطنيّة؛ مطالبة بتربيّة شباب يقومون على التّغيير. ولقد كانت العاصمة بالنّسبة له فرصة الاحتكاك بالسّياسيين ورؤساء الأحزاب الوطنيّة، فاستغلّ معطيات لم تكن في بيئته الأوّلى، وخلقت منه شخصاً سياسيّاً يحمل أفكار الوعي التي تنطق بما فيه. وكان لا بدّ من توعيّة الشّعب عن طريق الاستثمار في الشّباب المنظمّ؛ ليكون وقوداً للوعي الشّعبيّ العامّ. وهذا وعي الرّجل الوطنيّ السّياسيّ الذي ضحّى بحياته لتنظيم ودعم الكشّافة الإسلاميّة الجزائريّة، ويكون أوّل شهيد في الكشّافة، وكان نموذجاً في التّضحيّة على غرار الأتباع من الشّهداء: بوزيد سعال، مراد ديدوش، العربي بن مهيدي، بوجمعة سويداني، محمّد بوقرة، مختار باجي... ولما أحسّ العدوّ خطورة هذا المناضل الوطني السّياسيّ، كان عليه أن يُصفيه جسدياً، ويأتي يوم القدر وهو 27 ماي 1941م، ويُساق مع صديقه (محمّد شويرب) إلى ساحة الخروبة «إذ سيقا إلى حتفهما مُكبّلَيْن بالأغلال، وعند الوصول إلى المكان المخصّص لهما، حضر إمام المسجد الكبير، وأراد أن يشهد لبوراس قبل قتله فرفض (محمّد) ذلك وطلب من جلاديه أن يمنحوه وقتاً للصّلاة، فكان له ما أراد... وحسب روايّة عمّي مراد -أخّ الشّهيد محمّد بوراس- فإنّ الضّابط الذي كان أمامه، قال له بعد تأديته الصّلاة التي أطال فيها: لقد أطلتَ في صلاتك كأنّك تخاف الموت؟ فردّ البطلُ بوراس بابتسامة عريضة ارتسمتْ على مُحياه: اعْلَمْ أنّني أخاف الله وليس العبدَ. كما رفضَ أن يُكبّلَ أو تُغطّى عيناه، وردّد بعد أن شهِد: الله أكبر تحيا الجزائر، الموتُ واحد».

صالح بلعيد

محمّد بوسليماني
(1360هـ - 1941م/1414هـ - 1994م)

تعلّم القرآن الكريم والمبادئ الإسلاميّة واللغة العربيّة بمدرسة الإرشاد التّابعة للحركة الوطنيّة، ينتسب إلى عائلة ثوريّة، قدّمت أسرته 12 شهيداً خلال الاحتلال الفرنسي، منهم أخوه الوحيد أحمد بوسليماني سنة 1956م. وقد كان بيت زوج أخته الكبرى مركزاً للقاءات رجال الثّورة التّحريريّة، ولذلك كان انخراط (محمّد بوسليماني) في النّهج الثّوري تطوّراً طبيعياً في مسيرته، فانخرط في صفوف الثّورة وهو دون السّادسة عشرة من عمره، وفي سنة (1957م) كان مسؤولا عن مجموعة من الفدائيين، وكان بيت العائلة نقطة التّقاء وموئلا للمجاهدين، كما كان يشرف على بعض الشّباب انتقاء وتنظيما وتجنيدا لصالح الثّورة وتوعيّة بالقضيّة الوطنيّة، وكان أيضا يساهم في حمل المؤونة وإرسالها إلى المجاهدين ونقل الأدويّة والألبسة وتوزيع المنشورات.

عيّن بعد الاستقلال على رأس اللجنة الثّقافيّة بقسمة جبهة التّحرير الوطني بالبليدة، ثمّ أبعد عن الإشراف عليها نظرا لنشاطه الثّقافي البعيد عن الخطّ الأيديولوجي الاشتراكي

اشتغل – بعد الاستقلال– معلّما بالتّعليم الابتدائي سنة 1962م.

عمل مديراً بالمدرسة (1965م1966–م) وكانت أوّل مدرسة معرّبة على مستوى القطر الجزائري.

واصل دراسته الجامعيّة في كليّة الآداب بالمدرسة العليا للأساتذة (1968م1972–م) حيث حصل على شهادة الليسانس.

عمل بعد التّخرّج أستاذاً بثانويّة الفتح للبنات.

تعرّض للاعتقال بسبب رفضه الخيار الاشتراكي للسّلطة، ومعارضته الميثاق الوطني ودستور (1976م) عندما حرر وزملاؤه بيانا يطالب بتبنّي الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، ليطلق سراحه بعد ثلاث سنوات في جوان/ يونيو (1979م)



أمضاها في سجني البرواقيّة وبوفاريك، وبعد خروجه من السّجن قال: «لم نكن نادمين على جهادنا من أجل تحرير الوطن، ولكنّها كانت ساعات عصيبة مررنا بها عندما وجدنا أنّ الوطن الذي حرّرناه من أجل حريّة الإنسان له زنازين يوضع فيها ويعذّب فيها المجاهدون».

شارك في تحرير بيان تجمّع الجامعة المركزيّة (1982م) الذي أعلن فيه رموز العمل الإسلامي معارضتهم لسياسات السّلطة.

ساهم في تهدئة الأوضاع المتوترة في أحداث أكتوبر 1988 ونبه إلى مخاطر الفتنة، كما كان أحد المساهمين في إنشاء رابطة الدّعوة الإسلاميّة

كان أحد الفاعلين الأساسيين في المسيرة المليونيّة النّسويّة للدّفاع عن أصالة قانون الأسرة سنة 1989م.

ساهم في كثير من الحوارات السّياسيّة مع الأحزاب والفعاليات والسّلطة أثناء الأزمة السّياسيّة الجزائريّة وقبلها.

شارك في تأسيس رابطة الدّعوة الإسلاميّة في الجزائر، سنة 1990م، التي كان يرأسها الشّيخ أحمد سحنون، وانضوت تحتها معظم تيارات العمل الإسلامي.

كان أحد مؤسّسي حركة المجتمع الإسلامي (حماس) سنة 1991م وهو أوّل نائب لرئيسها

كان شديد الاهتمام بالأقليات الإسلاميّة في بلاد الغرب، إذ كان يزورها ويدعمها لتتمسك بهويتها ودينها، وفي سنة 1993 زار مع وفد له البوسنة والهرسك ودامت زيارته إحدى عشر يوما زار فيها مخيّمات اللاجئين رغم صعوبة الأوضاع وخطورتها.

ترأس جمعيّة الإرشاد والإصلاح الوطنيّة سنة 1991م خلفا للشيخ محفوظ نحناح، وكان دائم التّنقل والزّيارة للولايات، مشجّعا لطواقم الجمعيّة محليّا، حاثّا إيّاهم على بذل أقصى الجهود لتحقيق مشاريعها الحضاريّة .

فقد اهتمّ بالشّباب في التّربيّة والتّوجيه، فأقام المخيمات الصّيفيّة للترفيه والتّكوين والتّثقيف، كما كان بيته قبلة للعديد منهم طلبا للاستشارة في أمور الدّين والحياة. كما ساهم بنشاطه الخيري في تزويج الشّباب للقضاء على العزوبيّة والعنوسة، لما ينجر عنهما من أثار سلبيّة على المجتمع وبنيته.

كما وضع مشاريع عديدة ضمن النّشاط المستقبلي للجمعيّة لتساهم في حل مشاكل الشّباب في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

حارب الآفات الاجتماعيّة عامّة، والآفات التي تفتك بالشّباب خاصّة، كالخمر والمخدرات، وشجع النّشاطات الرّياضيّة والأعمال الفنيّة الهادفة وكرم بعضا من أهلها. كما بذل جهدا كبيرا في توجيه الطّلبة والطّالبات والعنايّة بهم.

إنّ إهتمام محمّد بوسليماني بالجزائر وأبنائها لم يمنعه من المشاركة الوجدانيّة والميدانيّة لأبناء الأمّة العربيّة والإسلاميّة، وعلى رأسها قضيّة فلسطين التي كان يعتبرها القضيّة العقيديّة والمركزيّة لأمة العرب والمسلمين. والأقليات الإسلاميّة في بلاد الغرب، فكان يزورها ويدعمها لتثبيت عقيدتها ودينها، مثل الأقليّة الكشميريّة في الهند.

كان الأستاذ محمّد بوسليماني شديد التّأثّر بما وقع للجزائر في محنتها، فلم يترك مجلسا إلا ودعا فيه إلى الصّلح بين أبناء الجزائر، مقتنعا أن الخلاف بين أبناء الوطن الواحد

والدّين الواحد لا يحلّ بالعنف، بل بالحوار والمحبة والتّراحم، وقد دعا باسم الجمعيّة جميع أبناء الجزائر إلى الحوار الهادئ منذ أوّل بيان صدر عن الجمعيّة، إلا أن هذا النّهج لم يعجب بعض مخالفيه من الغلاة، فلم يراعوا في الرّجل جهاده ولا إمامته ولا ريادته الدّعويّة ولا رمزيته الوطنيّة والعالميّة.

خلال العشريّة الدّمويّة التي مرّت بها الجزائر، وقف الشّيخ محمّد بوسليماني ضدّ خيار العنف، ودعا إلى السّلميّة والحوار في حلّ المشكلات، لكنّ الجماعات المسلّحة كانت تريد منه موقفاً آخر، يزكّي أعمالها، ويبارك خيارها بحمل السّلاح، فعمدت إلى اختطافه من بيته يوم الجمعة 26 ديسمبر 1993م بعد أن صلّى الفجر وانشغل بقراءة ورده من القرآن الكريم، وبعد الاختطاف بستّ وثلاثين (36) ساعة اتّصل هاتفيّا بمقرّ جمعيّة الإرشاد والإصلاح التي كان يرأسها، ليعلن هويّة خاطفيه الذين طالبوه بذلك (الجماعة الإسلاميّة المسلحة)، ليعثر عليه لاحقاً مذبوحاً ومدفوناً بمنطقة العفرون بالبليدة يوم 28 يناير 1994م، ونقل جثمانه إلى المستشفى، حيث تعرّفت عليه الأجهزة الأمنيّة، وألقت عائلته وأصدقاؤه في جمعيّة الإرشاد والإصلاح النّظرة الأخيرة، وتمّ دفن الجثمان في مقبرة الدّردارة بالبليدة يوم الأحد 30 جانفي 1994م.

حبيب بوزوادة

المصادر:

- موقع البناء 2014/ elbinaa.com/ / :https/ 01/ 12/ bouslimani/
- مجلّة الإرشاد، العدد الثّاني، ربيع الثّاني -1436 فبراير 2015م.

محمّد بوضياف
(1337هـ - 1919م/1412هـ - 1992م)

ولد (محمّد بوضياف) يوم 23 يناير 1919 في أوّلاد ماضي بولايّة المسيلة، من عائلة كبيرة معروفة في المنطقة، زاول دراسته مدرسة Louis Chalon)/ لويس شالون) ببوسعادة، ثمّ اشتغل بمصلحة تحصيل الضرائب بولايّة جيجل، ليشارك خلال الحرب العالميّة الثّانيّة (1939م- 1945م) في القتال في صفوف الجيش الفرنسي، حيث خَبِر الحرب عن قرب، وأدرك مدى ضعف الفرنسيين في مواجهة النّازيّة، وكان شاهداً على خديعة الفرنسيين للمجنّدين الجزائريين الذين شاركوا إلى جانبهم بنيّة نيل الاستقلال بعد هزيمة الألمان وتحرير فرنسا من قبضة النّازيّة، وهو ما لم يحصل، بل تمت تصفيّة 45 ألف شهيد بدم بارد في 08 ماي 1945م بولايات سطيف وقالمة وخراطة، وهو ما غيّر بشكلٍ جذريّ مسيرة محمّد بوضياف والكثير من أبناء جيله، الذين انتقلوا إلى النّضال في سبيل تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي.

التّحق (محمّد بوضياف) بالحركة الوطنيّة الجزائريّة مبكراً، فانخرطَ أوّلا في حزب الشّعب الجزائري (P.P.A) الذي كان يتزعمه مصالي الحاج، ثمّ انتسب إلى حركة الانتصار من أجل الحريات الدّيمقراطيّة (M.T.LD)، وهو الحزب الثّاني الذي أسّسه الزّعيم مصالي الحاج بعد حظر حزب الشّعب. لكنّ



الحركة شهدت العديد من الصّراعات بين مكوّناتها،

وبعد تأسيس المنظمة الخاصة سنة 1947، تمّ تكليف محمّد بوضياف بتكوين خليّة تابعة للمنظمة الخاصّة في قسنطينة، لكنّ السّلطات الفرنسيّة تمكّنت من كشف المنظمة الخاصّة سنة 1950م، وطاردت أعضاءها.

وفي 23 مارس 1954م تأسست اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل (C.R.U.A) وأسندت رئاستها إلى (محمّد بوضياف) بهدف جمع شمل المناضلين المؤمنين بفكرة الاستقلال، والمحافظة على المبادئ الثّوريّة والعمل على تحقيق سيادة الشّعب واستقلاله عن فرنسا.

شكلّت سنة 1954م منعطفاً هامًّا في تاريخ (محمّد بوضياف)، وفي تاريخ الجزائر الحديث، ففي 23/ 06/ 1954 اجتمع اثنان وعشرون مناضلاً وطرحوا لأوّل مرة فكرة القيام بثورة وطنيّة شاملة ضدّ الاستعمّار الفرنسي، عرفت تاريخياً باسم (مجموعة 22)، برئاسة الشّهيد مصطفى بن بولعيد، التي قام فيها محمّد بوضياف بدورٍ محوريّ، وتولى التّحضير لقيام الثّورة المسلحة، وهو ما أفضى لاحقاً إلى تعيينه منسقاً للثورة التي انطلقت شرارتها يوم الفاتح نوفمبر 1954م.

انتُخب محمّد بوضياف عضوا في المجلس الثّوري للثورة الجزائريّة خلال أشغال مؤتمر الصّومام في صيف 1956، وفي أكتوبر من نفس العام أوقف -ومعه أحمد بن بلة ومحمّد خيضر وحسين آيت أحمد ومصطفى الأشرف- بعد قرصنة طائرتهم من الجيش الفرنسي خلال رحلة بين الرّباط وتونس، ليفرج عنهم بموجب إجراءات حسن النّيّة المرتبطة باتفاقيات إيفيان التي أفضت إلى استقلال الجزائر سنة 1962م، وفي سنة 1961م عيّن نائبا لرئيس الحكومة الجزائريّة المؤقتة (G.P.R.A) بن يوسف بن خدّة.

بعد حصول الجزائر على استقلالها في (05/ 07/ 1962)، انتخب (محمّد بوضياف) في سبتمبر من العام نفسه في انتخابات المجلس التّأسيسي عن دائرة سطيف، غير أنّ الخلافات سرعان ما نشبت بين قادة الثّورة، وكان موقف بوضياف أنّ مهمّة جبهة التّحرير الوطني قد انتهت بالحصول على الاستقلال، وإنّه يجب فتح المجال أمام التّعدديّة السّياسيّة، ليعلن في سبتمبر 1962م عن تأسيس حزب الثّورة الاشتراكيّة.

وفي يونيو1963 تم توقيفه وحكم عليه بالإعدام بتهمة التّآمر على أمن الدّولة، ولكن الحكم لم ينفذ فيه نظراً لتدخل عدد من الوسطاء ونظراً لسجله الوطني، فتمّ إطلاق سراحه بعد ثلاثة شهور قضاها في أحد السّجون بجنوب الجزائر، انتقل بعدها إلى باريس وسويسرا، ومنها إلى المغرب، ليعلن سنة 1979م بعد وفاة الرّئيس هواري بومدين عن حلّ حزبه والتّفرّغ لنشاطه الاقتصادي إذ كان يدير مصنعا للآجر بمدينة القنيطرة في المغرب.

عقب شغور منصب رئيس الجمهوريّة باستقالة الرّئيس (الشّاذلي بن جديد) في يناير 1992م، دخلت الجزائر في أزمة سياسيّة بسبب الفراغ الدّستوري الذي لا ينصّ صراحة على انتقال السّلطة في حال استقالة الرّئيس، ونتيجة لهذه الحالة غير المتوقّعة اقترح بعض كبار المسؤولين في الدّولة أن تسند إدارة البلد إلى شخصيّة ثوريّة تكون على قدرٍ كبيرٍ من الاحترام والنّزاهة، ووقع الاختيار على (سي الطّيب الوطني) وهو الاسم الثّوري لمحمّد بوضياف، فزاره في منفاه الاختياري بالمغرب صديقه عليّ هارون، الذي تمكّن من إقناعه بالعرض، وعندما وطئت قدماه أرض الجزائر بعد غياب دام 28 سنة صرح قائلا: «جئتكم اليوم لإنقاذكم وإنقاذ الجزائر وأستعد بكل ما أوتيت من قوة وصلاحيّة أن ألغي الفساد وأحارب الرّشوة والمحسوبيّة وأهلها وأحقق العدالة الاجتماعيّة من خلال مساعدتكم ومساندتكم التي هي سرّ وجودي بينكم اليوم وغايتي التي تمنيّتها دائما». ثم وقع تنصيبه رئيسا للمجلس الأعلى للدولة في 16 يناير 1992المجابهة أزمة غياب الشّرعيّة الدّستوريّة للسلطة نظراً لنتائج الدّور الأوّل من الانتخابات التّشريعيّة، واستقالة رئيس الجمهوريّة الشّاذلي بن جديد، وكان له برنامج سياسي يعتمد فيه على التّغيير السّياسي الذي يقوم على إعادة الجزائر إلى شبابها، وأنّ مرحلة شباب الثّورة (مرحلة الشّرعيّة الثّوريّة) انتهت، ولكن كان ذلك من الأمل الذي لم يكتب له أن ينال المقام.

بينما كان رئيس المجلس الأعلى للدّولة (محمّد بوضياف) يلقي خطّاباً بدار الثّقافة في مدينة عنابة يوم 29 يونيو 1992، فإذا بوابل من الرّصاص يوجّه إليه من الخلف، أرداه قتيلاً على الفور، أثبتت التّحقيقات فيما بعد إنّه أصيب برشقة من رشاش ملازمٍ في قوّات التّدخّل السّريع يدعى (مبارك بومعرافي)، الذي حُكم عليه بالإعدام.

حبيب بوزوادة

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

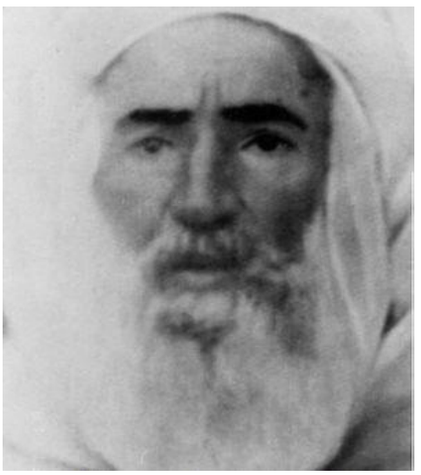
محمّد بوعمامة
(1255هـ - 1840م/1326هـ 1908م)

ولد «محمّد العربي البوشيخي» البكري المعروف باسم «بوعمامة» بقصر الحمام وهو زعيم ديني وثائر جزائري، قاوم الفرنسيين تسعة وعشرين سنة (1875-1904).

ينتمي بوعمامة إلى قبيلة أولاد سيدي الشّيخ بالجنوب الغربي الجزائري لمنطقة البيض من إقليم عين الصّفراء.

ربط بوعمامة قدرته على الخوارق بأعمال سياسيّة وطنيّة، فالتفت حوله القبائل وبدأ نجمه يسطع بين سكان المناطق الصّحراويّة جنوب غرب الجزائر.

انتقل في سنة 1292هـ - 1875م إلى سكنة قريّة (مغرار) بولايّة عين الصّفراء، وأخذ يرسل أتباعه للإغارة على القوافل



عبر الطّريق الصّحراوي وعلى المراكز الفرنسيّة المتقدمة في جنوب عمالة وهران، وفي الأرض المغربيّة التي احتلها الفرنسيون، فاتجهت إليه الأنظار وسارت بأخباره الرّكبان، كزعيم نهض ليؤدي واجب الجهاد، ويسعى لتحرير رقاب المسلمين من استعباد الفرنسيين الكافرين.

بعد القضاء على أفراد بعثة تبشيريّة إلى المناطق الصّحراويّة بقيادة الكولونيل «بول فلاتر» « Paul Flater»، سنة 1881م ب»بير الغرامة»، نادى بوعمامة بالجهاد الأكبر في السّنة نفسها، وأذاع بين النّاس قرب نهايّة الوجود الفرنسي في الجزائر، فأيدته القبائل وتطور مقاومة على المستعمرين.

قاد الفرنسيون ضده حملة عسكريّة بقيادة الملازم الأول «وينبر نير» «Winber Nir» وقد تم القضاء عليها من قبل الثّائرين

واتخذت المقاومة شكلا خطيرا، واتقدت نار العصيان في جهات كثيرة، تم أثناءها إتلاف المحاصيل الزّراعيّة في الجلفة وقتل المستخدمين والفرنسيين في معظم حقولها ومعاملها.

قررت السّلطات الفرنسيّة بعد تفاقم الأوضاع واشتداد أوزار الثّورة، مواجهة بوعمامة بقوة عسكريّة مهولة، وخرج العقيد «إينو ساني» «Ino Sany» يوم 14 أفريل سنة 1881 من البيض، والتّقى الجمعان في طريق «شلالة»، ووقعت بين الطّرفين معركة حاميّة الوطيس خسر الفرنسيون خلالها ستين (60) قتيلا واثنين وعشرين (22) جريحا، مما زاد في حماس الشّيخ « محمّد بوعمامة» وأتباعه من الثّوار.

أعاد الفرنسيون تنظيم وحداتهم العسكريّة بعد الهزيمة وطاردوا بوعمامة وجنده، الذين عادوا إلى ديارهم يحملون الغنائم في نشوة من الانتصار الذي حققوه ضد الفرنسيين، وقد تمكن الفرنسيون هذه المرة بقيادة الجنرال (هنري لابرين/ Henry Laprrine) والرّقيب (شارل دو فوكو/ Charles de foucauld) المنصر المشهور، من اللحاق بهم بقريّة الخنصر يوم 9 جويليّة 1881، والانتصار عليهم.

تزايد غضب الجنرال الفرنسي بعد المعارك التي لم تهدأ مع بوعمامة، وأمر بنبش قبر «سيدي الشّيخ» أحد أجداد بوعمامة من زاويّة البيض، ونقل رفاته إلى قبر بالقرب من إحدى الثّكنات الفرنسيّة وتدمير القبة التي كان مدفونا تحتها.

أخذ نجم بوعمامة بالأفول منذ أن قبل أحد مساعديه وهو «سليمان بن قدور» رئيس أولاد سيدي الشّيخ الشّراقة التّعامل مع فرنسا حيث فقد بفقدانه حليفا قويا.

تنتهي المرحلة الأولى من مقاومة «بوعمامة» في سنة 1883م.

أما المرحلة الثّانيّة الجهاديّة فكانت تطبعها الرّغبة الجامحة في إنشاء حكم أو ملك داخل حدود المغرب الأقصى، بعد ضعف قوة المغرب وسلطة المخزن، وذلك بتعاون مع «محمّد العربي المدغري» بناحيّة «قيلاليّة»، دون أن يتخلى عن الإغارة على المراكز الفرنسيّة داخل التّراب الجزائري، ونهب القبائل المتعاونة مع السّلطات الفرنسيّة.

أسس سنة 1301هـ – 1884م «زاويّة بالوادي الحي» قرب عين الرّهينة بدوار «أولاد سيدي الشّيخ» على بعد 17 كلم من قريّة «عين بني مظهر»، وفي هاته الزّاويّة التّف حوله المجاهدون والمريدون والأتباع والأنصار.

يذكر «عبد الوهاب بن منصور» صاحب معجم «أعلام المغرب»، أن «بوعمامة» انتقل من قريّة «عين بني مظهر» إلى «كورارة» بإقليم «توات»، وهناك أقام مسكنا محترما، أحيطت به الحدائق الغناء، والحرس، وكان به الجند والخدم... الخ، ومن هناك أخذ يرسل الحملات من أتباعه على مراكز الجيش الفرنسي والقرى الخاضعة لنفوذ الاستعمار، وقد استهوت عمليات الجهاد هذه كثيرا من سكان الصّحراء، وخاصة الشّعانبة الذين انضموا إلى حركته، وقد وصلت حركته إلى منطقة وادي سوف بالجنوب الشّرقي للجزائر.

تعاون مع أحد الثّائرين المتصوفة في إقليم «تافيلالت» بالمغرب الأقصى، وهو «محمّد العربي العلوي المدغري»، الذي كان على خلاف مع السّلطان «السّجن الأول» الذي كان يصف المدغري بأنه كبير المجرمين.

استطاع «بوعمامة» و«العلوي المدغري» أن يجندا القبائل الضّاربة بين وادي «زيزر»، ووادي «زوسفانة».

حاول «بوعمامة» إقامة حلف مع مولاي الحسن الأول، وطلب منه تزويد مقاومته بالرّجال والأموال ضد العدو الفرنسي المشترك، الذي أخذ يرنو إلى الاستيلاء على المغرب الأقصى، غير أن سلطان المغرب لم يكن في مستوى الأحداث، واعتقد أن عدم الدّخول في حرب مع فرنسا قد يجنب بلاده الوقوع تحت الاحتلال الفرنسي، ورفض التّعاون مع ذلك الثّائر والمقاوم الجزائري.

ونحن نعتقد أن مبادرة الشّيخ «بوعمامة» لتوحيد المقاومة ضد الفرنسيين، كانت مبادرة واعيّة ومتقدمة عن عصرها. بعد استيلاء الفرنسيين على إقليم «توات»، وموت الحسن الأول في العقد الأخير من القرن التّاسع عشر انتقل «بوعمامة» إلى ناحيّة (فگيگ) حيث ضرب خيامه، وأقام زاويّة في مكان قريب من واحاتها في الشّمال الغربي من كديّة (تاغلة) وظلّ يقاوم من هناك حتى سنة 1904م.

تقدم السّن بالشّيخ «بوعمامة» فتوقف عن الجهاد لمدة أربع سنوات (1904–1908)، وتذكر بعض المراجع أنه كان متأثرا بحركة «جمال الدّين الأفغاني»، و«محمّد عبده» والتي كانت تدعو العالم الإسلامي، للفكرة المعروفة باسم «الجامعة الإسلاميّة»، كما كان متأثرا بالحركة السّنوسيّة الدّاعيّة للجهاد، والتي كانت قد أعلنت الجهاد ضد كل من الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمد بوديّة
(3105هـ -1923م/3139هـ -1937م)

وُلد بوديّة في 42 فيفري 3291 في حي باب الجديد بأعالي العاصمة، تأثر منذ صباه بالتيار الوطني واهتمّ بالمسرح، فالتّحق بالمركز الجهوي للفنون الدّراميّة عام 5491، وساعده احتكاكه المبكّر بمواطنه مصطفى غريبي على الاندماج في عالم المراكحات، حيث حضر بقوة في عدة أعمال مثل نحو النّور، أولاد القصبة، الخالدّون، وغيرها.

بالتّزامن، أسهم تشبع الفقيد بالرّوح الوطنيّة منذ نعومة أظافره، في انخراطه مبكّرا في العمل الثّوري ضدّ المحتل الفرنـ



ابن حي القصبة الشّهير حضوره في المنظمة المدنيّة لجبهة التّحرير بالجزائر العام 1955، قبل أن يُصبح عضواً دائماً في اتحاديّة فرنسا لجبهة التّحرير الوطني، حيث مارس مهمات نضاليّة عديدة في باريس ومرسيليا سنة 1957، وشارك في عدة عمليات فدائيّة جُرح في إحداها، وكانت أكثر عملياته شهرة هي تفجير أنابيب النّفط في مارسيليا (52 أوت 5891) التي اعتقل على اثرها وأدين بالحبس 20 عاماً. وأسّس بوديّة فرقة مسرحيّة في سجنه بباريس، قبل أن ينجح في الهرب من السّجن عام 6191، ويلجأ إلى تونس، كما عمل في فرقة المسرح التّابعة لجبهة التّحرير الوطني.

وفي جانفي 6391 أصبح متصرفا اداريا بالمسرح الوطني الجزائري، وكان من الموقّعين على البيان التّأسيسي الشّهير، بالتّزامن، أسّس بوديّة جريدتي نوفمبر والجزائر هذا المساء، كما أطلق مسرح الشّباب مع مجموعة من الفنانين بشارع الحريشات وسط العاصمة، أين اهتمّ بتنميّة مسار التّنشيط المسرحي، مثلما تولى إدارة معهد الفنون الدّراميّة ببرج الكيفان الذي ساهم في تأسيسه رفقه صديقه مصطفى كاتب، إذ أعدّ الثّنائي الكثير من الأعمال الفكريّة التي منحت زخماً هائلاً استفاد منه ناشطوا الفن الرّابع لاحقا.

ولا يمكن الحديث عن بوديّة، دون التّنويه بأدواره في تفعيل الرّعيل المسرحي الأول في أواسط خمسينات القرن الماضي، حينما أسهم في اكتشاف عدة فنانين خدمة للقضيّة الجزائريّة الأمّ، ولعب دورا بارزا ومهمّا في التّعريف بالقضيّة الجزائريّة وبمعاناة الشّعب الجزائري ابان فترة الاستعمار وايصالها الى كل بقاع العالم.

وقاد بوديّة الفرقة الفنيّة لجبهة التّحرير الوطني، التي جابت دولاً عربيّة وغربيّة، وضمّت آنذاك كبار رجالات الخشبة في مقدمتهم مصطفى كاتب وسيد علي كويرات، وعبد الحليم رايس، يحيى بن مبروك وغيرهم.

ويعدّ محمد بوديّة مسرحيا فذا اغتاله الموساد بعد مسيرة طويلة أبدع فيها الرّجل بنضالات مازج فيها بين الثّقافة والسّياسة، وزاوج بين المسرح والثّورة في قالب فريد، ما جعل منه فنانا نادرا مهد بكفاحاته للمسرح الطّليعي

بوديّة الذي كتب مسرحيتي الزّيتونة والميلاد، ارتضى عدم الاكتفاء بدور المكافح على الخشبة، حيث نفذ عدّة عمليات لخدمة القضيّة الفلسطينيّة التي آمن بها وتشبّع بتعاليمها، لذا لم يتردد في التّضحيّة بالنّفس والنّفيس، وتلقين العالم أروع عبارات الدّفاع عن الأمّة الفلسطينيّة والذود عن حريتها، على نحو جعل جهاز المخابرات الإسرائيليّة الموساد يتعقبه باستمرار إلى غايّة اغتياله في مخطط غادر، حيث جرى تفجير سيارة محمد بوديّة بوسط مدينة باريس صباح 28 جوان 1973.

وفي جانفي 1963 أصبح متصرفا اداريا بالمسرح الوطني الجزائري، وكان من الموقّعين على البيان التّأسيسي الشّهير، بالتّزامن، أسّس بوديّة جريدتي نوفمبر والجزائر هذا المساء، كما أطلق مسرح الشّباب مع مجموعة من الفنانين بشارع الحريشات وسط العاصمة، أين اهتمّ بتنميّة مسار التّنشيط المسرحي، مثلما تولى إدارة معهد الفنون الدّراميّة ببرج الكيفان الذي ساهم في تأسيسه رفقه صديقه مصطفى كاتب، إذ أعدّ الثّنائي الكثير من الأعمال الفكريّة التي منحت زخماً هائلاً استفاد منه ناشطوا الفن الرّابع لاحقا.

ولا يمكن الحديث عن بوديّة، دون التّنويه بأدواره في تفعيل الرّعيل المسرحي الأول في أواسط خمسينات القرن الماضي، حينما أسهم في اكتشاف عدة فنانين خدمة للقضيّة الجزائريّة الأمّ، ولعب دورا بارزا ومهمّا في التّعريف بالقضيّة الجزائريّة وبمعاناة الشّعب الجزائري ابان فترة الاستعمار وايصالها الى كل بقاع العالم.

وقاد بوديّة الفرقة الفنيّة لجبهة التّحرير الوطني، التي جابت دولاً عربيّة وغربيّة، وضمّت آنذاك كبار رجالات الخشبة في مقدمتهم مصطفى كاتب وسيد علي كويرات، وعبد الحليم رايس، يحيى بن مبروك وغيرهم.

ويعدّ محمد بوديّة مسرحيا فذا اغتاله الموساد بعد مسيرة طويلة أبدع فيها الرّجل بنضالات مازج فيها بين الثّقافة والسّياسة، وزاوج بين المسرح والثّورة في قالب فريد، ما جعل منه فنانا نادرا مهد بكفاحاته للمسرح الطّليعي

بوديّة الذي كتب مسرحيتي الزّيتونة والميلاد، ارتضى عدم الاكتفاء بدور المكافح على الخشبة، حيث نفذ عدّة

عمليات لخدمة القضيّة الفلسطينيّة التي آمن بها وتشبّع بتعاليمها، لذا لم يتردد في التّضحيّة بالنّفس والنّفيس، وتلقين العالم أروع عبارات الدّفاع عن الأمّة الفلسطينيّة والذود عن حريتها، على نحو جعل جهاز المخابرات الإسرائيليّة الموساد يتعقبه باستمرار إلى غايّة اغتياله في مخطط غادر، حيث جرى تفجير سيارة محمد بوديّة بوسط مدينة باريس صباح 28 جوان 1973.

سناء رمضاني

المصادر:

- موقع المسرح الوطني الجزائري tna.dz

محمّد بوشحيط
(3126هـ -1934م/4171هـ -1996م)

هو هو(محمّد بوشحيط)؛ وُلد يوم: (05 صفر1362هـ)، الموافق لـ(11فيفري1943م)؛ بقريّة (شحايط) قرب منطقة (أولاد عطيّة)؛ التّابعة إلى دائرة (القل)، بولايّة (سكيكدة)، حفظ القرآن الكريم بالمدرسة القرآنيّة في قريّة (شحايط)، وعمره لا يتعدى تسع سنوات، وقد كان الباحث والنّاقد(محمّد بوشحيط) عصامياً مُعتمداً على نفسه؛ وجميع عناصر الشّخصيّة العصاميّة توافق شخصيته، وتنطبق عليها؛ فالعصامي هو الشّخص الذي يعتمد على نفسه، ويعتمد على قدراته الذاتيّة لكي يصل إلى أسمى المراتب، ويُجمع عُلماء النّفس على أن أهم سمّة من بين سمات الشّخصيّة العصاميّة هي (صنع الذات والاعتماد على القدرات الذاتيّة واستثمار الطّاقات والمواهب الكامنة فيها، والاستفادة القصوى من الفرص المتوفرة في البيئة المحيطة لتحقيق الأهداف التي يسعى إليها الإنسان؛ فالشّخصيات العصاميّة لم يصنعها المجد، وإنما هي التي تصنع المجد، ولم ترث العلم والفكر، ولم تعتمد على تعليم المدرسة وشهادات الجامعة، وإنما اكتسبت العلم بجهدها واجتهادها)، فعند اندلاع ثورة نوفمبر المظفرة عام: (1373هـ/ 1954م)، سرعان ما التّحق بصفوف جيش التّحرير الوطني، على الرّغم من صغر سنه، وفي عام: (1378هـ/ 1959م)انتقل إلى(تونس) مع مجموعة من المجاهدين في مهمة ثوريّة لخدمة جيش التّحرير الوطني، بعد اجتياز خط (موريس)بصعوبة كبيرة ، وأرسل بعدها إلى (ليبيا)، ومكث بها إلى غايّة الإعلان عن استقلال الجزائر عام:(1381هـ/ 1962م)، ورغبة منه في إتمام دراسته رجع إلى (ليبيا) من جديد بعد أشهر قليلة من عودته إلى الجزائر، وذلك عام: (1381هـ/ 1962م)؛ حيث درسبمدرسة(بنغازي المتوسطة) إلى غايّة سنة: (1383هـ/ 1964م)؛ حيث انتقل إلى دولة (الكويت)من أجل إنهاءتعليمه الثّانوي، ولكنه لم يتمكن من إتمام دراسته الثّانويّة في دولة (الكويت)، وغادرها سنة: (1385هـ/ 1966م)؛ فانتقل إلى جمهوريّة مصر العربيّة، ودرس في (القاهرة) فنال بتفوق شهادة (البكالوريا)في (مصر)، وذلك عام: (1386هـ/ 1967م)، وقد كان يطمح لإتمام دراسته بجامعة القاهرة؛ فسجّل في (قسم اللّغة العربيّة وآدابها بكليّة دار العلوم)، وبعد عودته إلى الجزائر خلال عطلة مطولة منع من الدّخول إلى مصر؛ مما جعله يُغيّر الوجهة، ويتوّجه للدراسة في (جامعة دمشق) ضمن بعثة تعليميّة جزائريّة أرسلت إلى (سوريا)، ولكنه ترك مقاعد الدّراسة بجامعة (دمشق)، والتّحق بصفوف المقاومة الفلسطينيّة في مدينة (بيروت)، وبعدها انتقل ليعيش في (بغداد) بالعراق، وفي (مدريد) بإسبانيا، وفي (باريس) بفرنسا؛ التي كان يعمل فيها مراسلاً لبعض الجرائد العربيّة، وقد اشتغل لسنوات طويلة بالعديد من وسائل الإعلام، وكتب عشرات المقالات في العديد من الجرائد والمجلات الجزائريّة، والعربيّة خلال فترة دراسته، وعمله، وإقامته خارج الوطن، ما بين سنوات: (1390هـ/ 1971م)، و(1399هـ/ 1980م)، ومن بين الصّحف والمجلات التي كتب فيها خلال تلك المرحلة، نذكر: (الشّعب)، و(النّصر)، و(المجاهد)، و(اليوم)، و(السّفير العربي والدّولي) بيروت، و(آفاق مغربيّة)، و(الجمهوريّة)، و(المساء)، و(المسار المغاربي).



وبعد أن عاد إلى الجزائر عام: (1399هـ/ 1980م)، كثف من أنشطته الثّقافيّة، وكتاباته النّقديّة؛ فكتب العديد من الأعمال، والقراءات النّقديّة، وكان واحداً من أنشط الأقلام التي تكتب في القسم الثّقافي والأدبي بجريدتي : (الشّعب)، و(النّصر)، وفي عام: (1401هـ/ 1982م)، عُيّن مسؤولاً عن وكالة مدينة(سكيكدة) التّابعة للمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، وبعد سنوات من خدمته في المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، أصبح رئيساً لمصلحة التّموين والتّخزين بوحدة الشّرق، وقد كان الباحث والنّاقد (محمّد بوشحيط) عضواً فاعلاً في اتّحاد الكتّاب الجزائريين، وشارك في العديد من الملتقيات الأدبيّة، وحاضر في مؤتمر اتّحاد الكتّاب العرب الثّامن، الذي نظم

بالجزائر العاصمة، عام: (1403هـ/ 1984م)، وكان من بين الأعضاء الذين أسّسوا ملتقى: (الأدب والثّورة) في مدينة: (سكيكدة)، وقد نال جائزة الدّولة التّقديريّة في النّقد، خلال عام: (1406هـ/ 1987م)، وكان عضواً بمجلّة (الرّوايّة) الجزائريّة، وفي عام: (1417هـ / 1996م)انتسب إلى معهد اللغة العربيّة وآدابها بجامعة منتوري في (قسنطينة)، وذلك لنيل شهادة الإجازة، ولكنه توفي يوم: (08شعبان1417هـ)، الموافق لـ (19ديسمبر1996م)بمستشفى مدينة(سكيكدة)، بعد تعرضه لأزمة قلبيّة.

وقد صدر للأديب والباحث (محمّد بوشحيط)، كتاب: (الكتابة في لحظة وعي) عن منشورات المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، عام:(1403هـ/ 1984م)، وبعد وفاته جمع بعض أصدقائه كتاباته المتناثرة في مختلف الصّحف والمجلات، وطبعت ضمن كتاب يحمل عنوان: (دراسات في الأدب والسّياسة)، وقد طبع، عام: (1433هـ/ 2012م).

يقول عنه الباحث (شريبط أحمد شريبط): (وقد أثيرت تساؤلات عديدة بين المثقفين الجزائريين والعرب عن أسباب وفاته، ومن بين هذه الأسباب أنه وجد نفسه بطالاً بعد أن سرحت المؤسّسة الوطنيّة للكتاب جميع عمالها، وذلك في إطار عمليّة التّصفيّة والاندثار، ورغم أن المرحوم (محمّد بوشحيط) بذل جهوداً مضنيّة من أجل الحصول على منصب عمل ينقذه من مغبة شبح الحاجة والعوز، إلا أنه لم يوفق لذلك، وقد عزت عليه نفسه كثيراً، وبدأ يفكر بعمق في مصير أسرته الصّغيرة، وأشهد أن هذا الأمر شغله كثيراً، كما أزعجه كثيراً، ونزل عليه مثلما تنزل الصّاعقة القويّة على الأشجار والمساكين...).

يقول عنه صديقه الباحث والأديب (إدريس بودية): (...وللفقيد اطلاع واسع على واقع السّياسات العربيّة، وتناقضاتها ويكاد أن يكون مختصّا في الشّأن الفلسطيني الذي يعرف كل أطواره ورجالاته. ومن الذكريات التي ما زلت محتفظا بها أننا كنا بمدينة سكيكدة في إحدى الملتقيات الأدبيّة سنة 1984، بحضور الفقيد الشّاعر الفلسطيني الكبير عز الدّين المناصرة، ومجموعة من الأدباء أذكر من بينهم محمّدزتيلي، مصطفى نطور، لزهر عطيّة، صالح زايد، عبد القادر نطور وغيرهم... ودار نقاش جادّ حول المقاومة الفلسطينيّة بين "المناصرة"و"بوشحيط"، وكان هذا الأخير أكثر دقة في إنارة بعض الجوانب التي أذهلت المناصرة. ومما أذكر أيضا أننا كنّا ذات مرة نسير على شاطئ البحر باتجاه ميناء سطورة، بعد تردّد سالته قل لي بربّك يا محمّد كيف تركت الدّراسة الجامعيّة وأنت في السّنة الأخيرة لتلتحق بالمقاومة؟ بعد صمت أجابني باقتضاب: كان لي إيمان راسخ أن انتصار الثّورة الفلسطينيّة هو الحلّ الوحيد لإسقاط الأنظمة العربيّة المتهالكة، وعندها سينتصر العمال ويستولون على السّلطة لبناء دولة العدل والمساواة، وبذلك فأنا لست في حاجة لأي شهادة جامعيّة، سالتّحق عن طواعيّة بأيّ مصنع لأكون واحدا من الطّبقة العاملة. قال هذا بهدوء وثقة دونما تأفّف أو تعبير عن النّدم. أمّا أنا فقد لذت بالصّمت مندهشا لهذه الطّوباويّة والتّطهر الأقرب ما يكون لبراءة الأطفال ونقاء الأنبياء .يساريّة (بوشحيط) هي حالة خاصّة مشكّلة من عدّة فلسفات وأفكار، فهو لا يحتمل الأنظمة الشّموليّة والعسكريّة، يكره القوميين العرب وينتقد"ستالين" و(تروتسكي)، معجب بالمنظّر اللاّسلطوي ميخائيل باكونين وبالفوضويّين الأسبان، كان مهوُوسا ببعض الأدباء والمتصوّفة أمثال الحلاّج، إبن عربي، أبوحيّانالتّوحيدي، المتنبي، علي عبدالرّازق، الجواهري، نجيب محفوظ، حنة مينه، العفيف لخضر، نجيب سرّور، حسين مروة، وكان لا يحبّ أدونيس والبيّاتي ...

فبعد أن عبر (بوشحيط)كل تلك المحطّات شرقا وغربا، بما فيها من فرح ونكَد وحبّ وفقدان، يعود إلى الجزائر ومن حسن الصّدف أن كان على رأس المؤسّسة الوطنيّة للكتاب في الثّمانينيات الأديب الرّوائي الكبير "خلاّص جيلالي" الذي وقف إلى جانبه ليوظفه كرئيس لفرع المؤسّسة بمدينة سكيكدة، وكان سعيدا بهذا التّعيين، وبعد فترة تحصل على سكن وتزوج وعرف بعض الإستقرار والطّمأنينة، واستقطب بحضوره العديد من الأدباء الذين يزورونه في المكتبة لاقتناء المراجع والمجلات المدعمة من طرف الدّولة والتي كانت تباع بمبالغ زهيدة جدًا.و في هذه المرحلة أيضًا توطدت علاقته بمثقفي المدينة، وخاصّة الصّحفي الفقيد(صالح زايد) الذي تعلق به ويناديه باسم (مولاي محمّد)، ولعله كان يرى فيه صورة المثقف المتصالح مع ذاته الذي وفّق بين القناعات النّظريّة والممارسات الميدانيّة.غير أن استراحة المحارب لم تدم طويلاً، فقد صدر قرار بغلق المؤسّسة الوطنيّة للكتاب وتصفيتها بزعم اقتصاد السّوق والخصّخصة وغيرها من المبرّرات التي حطّمت نهائيا منظومة التّوزيع في الجزائر والتي كانت نموذجا ناجحا لإيصال الكتب، والمجلاّت إلى أقصى المدن والقرى.كانت الصّدمة عاتيّة، لكأنّما قد تخطّفته الأقدار إلى نفق مظلم أكثر قسوة وأشدّ اغترابا من ذي قبل، ضاقت الرّؤى، وارتطمت الأقدام بكبرياء الأحلام المفجوعة، لم يتصور أبدًا أن يجد نفسه مُحالاً على البطالة، محروماً من بريق الاطمئنان الذي صار هشّا ومعتما، ومع ذلك ظلّ متمسكا بكل ما يملك من شجاعة للدفاع عن المؤسّسة كي لا يبتلعها عرّابُو الليبيراليّة المتوحشة، لقد فوضّه عمّال الشّرق لتمثيلهم في الدّفاع عنهم، فكان ينتقل بانتظام للجزائر العاصمة، ولكن القرار قد اتخذ ودخل حيّز التّنفيذ، فالأبواب جميعها قد أُوصدت وأصبح كل شيئ في ذمّة التّاريخ.

كانت رحلته الأخيرة إلى العاصمة في منتصف ديسمبر من شتاء 1996، ليركب القطار الليلي ذهابا وايابا من أجل التّفاوض على شيء لم يعد موجودا، هذه المرّة لم يمكث طويلا، قرّر أن يعود في الرّحلة الليليّة إلى سكيكدة، متلهفّا لرؤية زوجته وأطفاله الثّلاث، عند الوصول إلى البيت في الصّباح البارد، أحسّ بألم في صدره وبوعكة مفاجئة، ظنها من أثر البرد الشّديد

داخل مقصورة القطار، ولكن الألم ازداد ليتوقف قلب (التّروبادور) عن النّبض مرتّلا أغنيّة الوداع الأخير في الغسق من ليلة 19 ديسمبر 1996. وهكذا رحل (محمّد) والنّواوس البيضاء تسيّج اليدين بالدّفاتر والأقلام والكتب، وانكسر قوس العلاقة بين البدايّة والنّهايّة، ولكن القلب ظلّ موصولاً بمواعيده الأبديّة. الصّمت يحطّ فوت العيون الباكيّة، والمطر يسقط فوق "الجاكيت" الجلدي الأسود، والبرد يقضم الوجوه في المحطّات الآهلةبالانتظار).

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1. شريبط أحمد شريبط : مُعجم أعلام النّقد العربي في القرن العشرين، منشورات مؤسّسة بونة للبحوث والدّراسات، عنابة، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.
2. د.عبد الله حمّادي: نفاضة الجراب-تأملات في الأدب والسّياسة-، منشورات ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2008م.

محمّد جريدي
(ت: 1381هـ - 1962م)

محمّد جريدي الكاتب والشّاعر الجزائري الذي توفي سنة استقلال الجزائر، ولم تحدد لنا المصادر تاريخ ولادته ولا المكان الذي ازداد فيه وتربى فيه، فعلى الرّغم من كتاباته وأشعاره الجيّدة فإن الدّارسين والنّقاد لم يدونوا لنا سيرته الذاتيّة والعلميّة، وكل ما نملك من معلومات حوله هو أنه كان ينشر في جريدة البصائر السّلسلة الثّانيّة في النّصف الثّاني من أربعينات القرن العشرين حينما كان الشّيخ العلامة البشير الإبراهيمي يرأس تحريرها.

نشرت له قصائد في جريدة البصائر الثّانيّة، كما نشر له صالح خرفي بعض القصائد في كتابه «الشّعر الجزائري الحديث».

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو أنه في عمومه شعر محافظ وقد كرّسه للدعوة والإصلاح، كما دعا إلى النّهوض والتّخلّص من الجهل والتّخلف واللحاق بركب الأمم المتقدمة بالعلم.

كما أنه خصص قصائد لمدح الرّسول ﷺ داعيًا إلى إتباع منهجه والاقتداء به.

أمّا لغته فهي سهلة واضحة وأسلوبه متين محكم مع ميله إلى الخطابة والتّقريريّة نظرًا لاعتماده على التّوجيه والإرشاد، في حين أنّ صوره قد جاءت جزئيّة يعتمد فيها أساسًا على التّراث الشّعري القديم.



نماذج من شعره:

يا رسول السّلام

قد أقاموا لذكرِه ما أقاموا
وقليلٌ في حقِّهِ ما يُقامُ
فهْو أسمى من أن يُقام لهُ الحف
لُوتعلو بذكرِهِ الأنغام
ولكم عدّدوا الفضائلَ منهُ
فانقضتْ دون عدّها الأرقام
رام إحصاءها فطاحلُ شعرٍ
وبيانٍ فعزَّ عنها المرام
كيف تُحصى فضائلٌ يتحلى
بحُلاها، مَن شرعُهُ الإسلام؟
فهوَ المنطوي على كلِّ كنزٍ
وهو السّعد، لو حذته الأنام
وهو سرُّ الحياة، وهُو أساسُ الْ
أمن، وهو الدّستورُ، وهْو النّظام
ذلكم أحمد الهمامُ الذي لي
سَ يدانيه في الكمالِ همام
يا رسولَ الأخلاق قم طهِّر الأرْ
ضَ فقد شان وجهَها الآثام
عكَّرتْ صفوَها مآثمُ قومٍ
لم يكنْ عندهم يراعَى الذِّمام
جلَّ يومٌ أشْرقْتُ فيه على القو
مِ منارًا فانجاب عنه الظّلام
جلَّ يومٌ نشيد فيه بذكرا
كَ وتعلو بهِ لك الأعلام
ذاك يومٌ سما على كلِّ يومٍ
وغدا فيه للزَّمانِ ابتسام
قد تجلّيتَ فيه نورًا فأضحتْ
بتجلّيك، تنجلي الأوهام
ونشرتَ السّلامَ والأمنَ والعدْ
لَ فسادَ الهنا وبادَ الخِصام
ورأيتَ الذِّيادَ عن دعوة الحقْ
قِ وجوبًا، فقام منك الحسام
أين من عصرك السّعيدِ عصورٌ
عمَّ فيها العدوانُ والانتِقام؟
يا رسول السّلام لو قمت يومًا
لتري العالمين كيف السّلام
عجزوا عن حمايّة الأمن، حتى
«مجلس الأمنِ» وهْو فيهم إمام
كلُّهم يدَّعي السّلام وكلٌّ
لأعالي بنائِهِ هدَّام
أين قومٌ تزلزلت بهم الدّن
يا وأرسو كأنّهم أعلام
دوّخوا العالمين شرقًا وغربًا
واطمأنّوا، فأقعدوا وأقاموا
هم بناةُ الإسلامِ، هم قومُك الغُرْ

رُ همُ الأسبقون فيما يرام
يا لقوم من بعدهم ضيّعوا ما
خلّفوهُ، وضعضعوا ما أقاموا
أيّها القومُ والخطابُ إليكم
أنطقتنا به الخطوبُ الجسام
«كنتمُ خير أمّةٍ أُخرِجتْ للنْ
نَاسِ» ماذا دهاكمُ أن تضاموا؟
وحّدوا الصّفَ، أيّها القوم وامضوا
قُدمًا حيث يستميتُ الكرام
زاحموا العالمين في كلِّ شيءٍ
نافعٍ، إنّما الحياةُ زحام
واتركوا الفخرَ بالجدودِ وجدّوا
فهْو في دين العالمينَ حرام
كلُّ فخرٍ بالجَدِّ يُودي بجِدٍّ
إنّما الفخرُ همّةٌ واعتزام
لا تقولوا كُنّا وكان وكانوا
تلك دعوى يهذي بها الانهزام
إن عصرَ الحديدِ والنّار، يأبى
أن يرى من يروعه الاضطرام
من أراد الحياة كان لهيبًا
أو أبى، فهْو للّهيبِ حطام
هذهِ هذه الحياة، فماذا
رأيكم فيها أيّها الأقوام؟
اجعلوا العقل رائدًا، إن بحثتم
ينكشفْ عن سنا الصّواب الغمام
ذاك معنى الإسلام عقلا ودينًا
فافقهوا ما يوحي به الإسلام
واحذقوهُ فإنّه عربي
و لم يكدِّرْ صَفَاءَهُ إعجام
أخرجوا منه للورى معجزاتٍ
فمن الخزي أن يقولَ الأنام:
جهل العُرْبَ معربَ القولِ حتى
عرّفَتهم بسرِّه الأعجام
قد كوانا بناره الدّهر لمّا
ساد فينا الخِذلان والأوهام
تلك شكوى نبثُّها من قلوبٍ
في مقامٍ لا يعتليهِ مقام
علّها بالقبولِ تحظى، وعلّ الْ
همّ يودَى فيستريح الأنام
وعليك السّلام مني ختامًا
وسلامي عليك نعم الختام

من السّماء وإليها

سماؤك – يا ربي – محاسنها تسبي
وتبني، ولكن لست أدري بما تبني
فلا أدّعي علم الذي أنا جاهلٌ
بأسرارِهِ، فالله أعلمُ بالغيب
ولست أحبّ الشّهبَ أبغي تكهّنًا
ولستُ أنا من يطلب الغيبَ في الشّهب
ولكنَّ قلبي بالمحاسنِ شاعرٌ
وقد ملكت هذي السّماءُ هوى قلبي
سلبتِ فؤادي يا سماءُ وإنّني
لأشكو ولكنْ لستُ أشكو من السّلب
وكيف إذَا أشكو فؤادًا سلبتِهِ
ومثلُكِ مَن يُهْوَى ومثلك من يسبي
جمالُكِ خلابٌ، وسحركِ فاتنٌ
وسِرُّكِ يستهوي الفؤادَ، فيستصبي
وحسنُكِ لا يذوي، وعمرُك كلّهُ
شبابٌ، فلا تعدو عليه يدُ الشّيب
تمنَّتْ حسانُ الأرضِ لو كنتِ خدرَها
فصافحتِ الأقمارَ باليدِ والقلب
فقد ضاقت الدّنيا عليها، ولم يعدْ
يروقُ لها غير الفراقِدِ والقطب
فداؤك روحي يا سماءُ، وهل أرا
كِ أبقيتِ غير الرّوح في الجسدِ المسبي
وقلتُ لمن قد لامني فيك: إنّ لي
شعورًا ولم أُخلَق من الحجرِ الصّلب
ولم أتلقَّ الحبَّ إلا من السّما
وإن السّما حبي، وأقمارَها حبي
دعوني وحبي للسَّماء فإنَّني
ملأتُ بها قلبي، وحسبي بها حسبي
عيونُ السّما فيها أرى عبراتِها
تشير إلى روحي تقول: ألا هبي
وها هي مثل القلبِ تخفِقُ بالهوى
ولولا الرّقيبُ البدرُ هبَّتْ إلى قلبي
فيا بدرُ رفقًا بالتي هي مهجتي
وخفقة قلبي لا تعقها عن الهرب
فلم تمتلك عرشَ الجمالِ لتعتدي
ولكنْ لتعطي الحبّ حريّة الحبِّ

رابح دوب

- صالح خرفي: الشّعر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنيّة للكتاب الجزائر 1984؛
- البصائر (الثّانيّة): العدد 142، والعدد 150؛
- معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين – المجلد السّابع عشر – الكويت 2008.

محمّد حاج عيسى (الطّالب عمر)
(1271هـ - 1854م /1330هـ - 1912م)

من أسرة بلدة تجنينت العطف بميزاب ولد عمر بن إبراهيم أو عمر بن بلحاجّ، كما اشتهر بهذا الاسم في بلدته العطف سنة 1854م، من عائلة آل حاجّ عيسى، عشيرة آل الحجاج. ويعتبر من أوائل الملاّك العطفاويين في مدينة الجلفة ابتداءً من النّصف الثّاني من القرن 19م، وقد اشتهر محلّه في وسط المدينة باسم (الطّالب عمر)، وهو يحمل هذه التّسميّة إلى اليوم، أما لقب «الطالب» فقد اشتهر به لحبّه العلم والعلماء، فقد كانت له علاقة وثيقة بالشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيّش القطب، تجسّدت في طلب كتابة وصايا، ومراسلات حول مسائل فقهيّة. أسهم بماله في طبع العديد من الكتب بالحروف العربيّة والطّباعة الحجريّة، وجلّها للشّيخ أطفيّش القطب الذي كان يجلّه ويقدره، ومجموع الكتب هي:

- جواب لأهل زوارة.
- جامع حرف ورش.
- ترتيب التّرتيب.
- شرح الأحاديث الأربعين.
- شرح العقيدة.
- شرح الدّعائم لابن النّظر العُماني.
- كتاب في معجزات سيد الأولين للشيخ يوسف بن عدّون اليسجني.

وأنفق الحاج عمر جلّ ماله لأجل طباعة كتاب (تيسير التّفسير) الذي يعتبر من أضخم مؤلفات الشّيخ أطفيّش، طبعها في ستّ مجلدات ضخمة في طبعة حجريّة، ولأنّ المسؤوليّة كبيرة، عقد شراكة مع شريك من بني يزگن يدعى الحاج محمّد بن الحاج صالح عشّو، لكي يتولّى مباشرة أمور الطبع. واستمرت هذه الشّراكة من 1905 إلى 1910م. وقلّ أن تشهد الجزائر في بدايّة القرن العشرين، إنشاء شركات مؤقتة في مجال الاهتمام بالكتاب العربي ونسخه وطبعه وتوثيق ذلك بالعقود والمواثيق، وهي بمثابة مقاومة ثقافيّة تقف أمام محاولات الإدماج الفرنسي.كما أسهم الخطّاط الجزائري المعروف محمّد شرّادي السّفطي في كتابة أجزاء من التفسير، وهو الذي خطّ القرآن الكريم المشهور لدى أجيال من الجزائريّين، والذي طبعته المطبعة الثّعالبيّة بروايّة ورش، وكان هذا الخطّاط يتخذ من مكتب في مسجد سيدي رمضان بالقصبة مقراً لعمله. وقد يكون الحاجّ عمر تكبّد أموالاً طائلة في سبيل الالتزام بعمليّة طبع الكتب، لكن الشّيخ اطفيّش كان يشجّعه ويدعو له بالخير والبركة، مقابل الجهد الذي كان يبذله بماله ووقته في سبيل طبع الكتب.

توفيّ الحاجّ عمر سنة 1912م، وترك ذريّة صالحة، منهم ابنه صالح بن الحاج عمر الذي ورث عن والده حب العلم والعلماء، فإذا كان والده قد أسهم بماله في طبع الحرف العربي في زمن الاستعمار، فإن ابنه صالح كان من أشدّ المناصرين لتيار الإصلاح والمصلحين في مزاب، كانت له زيارات ومراسلات مع زعيم الإصلاح الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، ولم يثنه ذلك من عدم الالتزام بأوامر السّلطات الاستعماريّة وقيامه بزيارة الشّيخ بيوض أثناء إقامته الجبريّة سنة 1941م بال گرارة، وعند اكتشاف أمر زيارته للشّيخ فرضت عليه الإقامة الجبريّة في بلدته لمدّة سنة كاملة. ومنها مراسلة من الشّيخ بيوض يشكره فيها على تهنئته بفوزه في انتخابات 1947م، وفي ختامها، قوله: «دمت محفوظا للراجي لك كل خير، أخيك بيوض إبراهيم».

وقد قضى السّيد الحاجّ عمر بن بلحاج على تجارته الرّائجة بالجلفة باعتباره المساهم الوحيد بماله، إذ رهن أملاكه أو بعضها، من أجل أن يحقّق ما التزم به من تمويل لعمليّة الطبع. وسبّب له ذلك إفلاسا ماليا. لكن ما حقّقه من مجد وفخر في سبيل حبّه للعلم والعلماء، ولكن حاز تقدير الشّيخ أطفيش القطب للجهود الذي بذله فنجد في رسائله عبارات: الورع؛ الكامل؛ الثّقه؛ الكريم؛ المعظّم؛ الفاضل؛ الأديب؛ الكامل، والتي حظي بها من قبل الشّيخ اطفيّش.

إلياس حاج عيسى

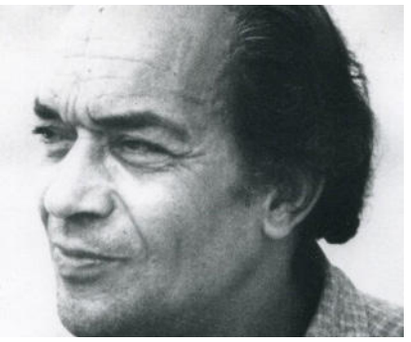
المصادر:

- أطفيّش. أمحمد بن يوسف، أجوبة الشّيخ أطفيّش، الجواب 147: إلى عمر بن أبي الحاج بن أمحمد.
- أطفيّش. أمحمد بن يوسف، وصيّة الحاج إبراهيم بن محمّد العطفاوي، أوائل جمادى الآخرة 1303هـ – 1885م (خزانة مكتبة النّهضة–العطف–غردايّة)
- اتفاق طبع كتاب التّيسير وكتاب شرح عقيدة التّوحيد، 18 ربيع الأول 1323هـ – 1905م.

محمّد خدّة
(1348هـ - 1930م/1410هـ - 1990م)

ولد محمّد خدّة يوم (14 مارس 1930) بمدينة (مستغانم)، وفيها عاش طفولة بائسة في ظلّ الاستعمّار الفرنسي، في أسرة فقيرة، دخل سنة (1936م) إلى مدرسة الأهالي (وهو اللقب الذي كانت تطلقه السّلطات الاستعمّاريّة على الجزائريين) الواقعة بالحي العربي المسمّى (تيجديت)، ليغادر مع أسرته الفقيرة إلى مدينة (تيارت) سيراً على الأقدام، هرباً من الجوع والبؤس للإقامة عند إحدى قريباته؛ التي لم تكن بأحسن حالاً، ممّا ألجأه وأسرته إلى العودة باتجاه (مستغانم) مجدّداً، بعد ثلاثة أشهر.

وفي سنة (1943م) حصل على الشّهادة الابتدائيّة، ليصبح الطّفل في نظر



والده قادراً على العمل، ومجبراً على إعالة والدّيه المكفوفين، فاشتغل في إحدى المطابع بدوام كامل، وفي المساء يمضي وقته في القراءة والمطالعة، فقرأ بشغب أشعار (عمر الخيام) وبعض كتب (طه حسين) و(محمّد عبده) و(أندري جيد)، و(جان كوكتو) وأخرين، وقد سمحت له المطبعة بأن يكون قريباً من عالم الحبر، والورق، والألوان، والخطوط، وتنسيق الكتابة..

وبعد تعرّفه على الفنّان (عبد الله بن عنتر) سنة (1947م) كانت بدايّة علاقته بالفنّ والرّسم الواقعي، حيث بدأ في رسم أوّلى لوحاته وهو في سنّ السّابعة عشرة، ثمّ سجّل في مدرسة خاصّة لتعلّم الرّسم بالمراسلة، وفي سنة (1948م) زار رفقة (بن عنتر) صديقاً لهما بالمستشفى في مدينة (الجزائر)، وفي طريقهما عرّجا على متحف الفنّون الجميلة، ما سمح له باكتشاف لوحات كبار الرّسامين أمثال (دولاكروا)، و(فرومونتان)، (إيتيان دينيه)، وتماثيل (رودان).

تنامى الوعي الوطني لدى (محمّد خدّة) فانخرط في الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) بزعامّة فرحات عبّاس، وفي عام (1953م) سافر (محمّد خدة) وصديقه (عبد الله بن عنتر) إلى (فرنسا)، حيث زارا المتاحف وصالات العرض الباريسيّة، ممّا سمح له بتطوير مهاراته، وتشكيل رؤيته الفنّيّة، وإثراء تجربته بعناصر فنيّة جديدة، ليتوّج هذهالمرحلة من حياته الفنّيّة بالمشاركة في أوّل معرض فني بـ (باريس) سنة (1955م). ليتمكّن سنة (1961م) من تنظيم معرض خاصٍ بأعماله للمرة الأوّلى سنة (1961م)

عاد (محمّد خدة) إلى بلاده سنة بعد الاستقلال، ليشارك في تنشيط المشهد الفنّي في (الجزائر)، فنظّم سنة (1963م) معرضاً بعنوان (السّلام الضائع)، كما كانت له أنشطة لاحقة في سبيل تأطير الحركة الفنّيّة الجزائريّة تحت كيان قانوني فشارك سنة (1964م) في تأسيس (الاتّحاد الوطني للفنون التّشكيليّة) الذي كان كاتباً عاماً له ما بين (1972م- 1975م).

ونظراً لجهوده في النّهوض بالحركة الفنّيّة في الجزائر، ولقيمة منجزاته الفنّيّة تمّ إلحاقه بوزارة الثّقافة، والمجلس الأعلى للفنون الجميلة، بالإضافة إلى المدرسة العليا للفنون الجميلة، وبعيداً عن العمل الرّسمي أسّس (محمّد خدة) رفقة كوكبة من الفنّانين الآخرين مجموعة (أوشام) في سنوات السّبيعينيات من القرن العشرين، كما أقام العديد من المعارض الجماعيّة، منها المعرض الافتتاحي للمجموعات الدّائمة بمعهد العالم العربي ب (باريس) سنة (1986م)، وآخر معرض نظّمه كان في (قصر رياس البحر) سنة (1990م)، عاماً واحداً قبل وفاته.

كان قريباً من الأديب الجزائري (محمّد ديب) الذي وصفه ب (المُنَجِّم الذي يفك طلاسم الرّموز لإعادة إحياء رونق جوهر في لوحات خالدّة يلتقي فيها الماضي بالحاضر والمستقبل)

استمرّت مسيرة الفنّان (محمّد خدّة) أكثر من أربعين عاما، قدّم خلالها العشرات من اللوحات الفنّيّة، معظمها محفوظٌ بالمتحف الوطني للفنون الجميلة في مدينة (الجزائر)، والمتحف الوطني أحمد زبانة في مدينة (وهران)، ولدى الاتحاد الوطني للفنون الثّقافيّة، وقد تميّزت لوحاته بالمزج بين التّراث الإفريقي والأنماط الغربيّة، لقد مثّل نوعاً جديداً من الفنّانين الجزائريين، وهو يعتبر من مؤسّسي الرّسم الجزائري المعاصر، استخدم الحرف العربي بذكاء، بشكل فيه الكثير من الإبداع، قال في أحد تصريحاته: (لم أستعمل الحرف أبداً من أجل الحرف نفسه، في أعمالي أشكال حروف، كأنني أرفض أن أستعمل الحرف التّقليدي كما هو، إنّها حروف ترقص بالألوان، فتقول ما لا يقول نصه بنيته من حروف).

وبالإضافة إلى اللوحات الفنّيّة التّي رسمها (محمّد خدّة) فإنّه ترك إرثاً يبعث على الفخر، ويخلّد مسيرته كواحد من أهم رسامي الجزائر خلال القرن العشرين، من خلال الأعمال التّاليّة:

- مجموعة من المنحوتات والرّسومات الجداريّة، منها منحوتته (نصب الشّهداء) في مدينة (المسيلة)، بحجم (9م × 25م).
- تصميم السّجّاد، مثل تلك التي تزيّن مطار الملك خالدّ الدّولي في (الرّياض) عاصمة المملكة العربيّة السّعوديّة.
- تصميم أغلفة الكتب وتزيينها؛ فقد تزيّن أغلفة العديد من المؤلّفاته بلوحاته وتصاميمه، منها (ديوان الوردة) للكاتب الفرنسي (جان سيناك)، سنة (1964م)، وروايّة (من أجل إغلاق نوافذ الحلم) للكاتب الجزائري (رشيد بوجدرة) سنة (1965م)، وروايّة (العصفور المعدني) للصحافي الجزائري (طاهر جعوط) سنة (1982م)، بالإضافة إلى كتب للفرنسي جون ميشال وجورج برنارد.
- تصميم ديكور بعض الأعمال المسرحيّة، على مستوى مسرح (وهران) مع الممثّل والمخرج (عبد القادر علولة)، كما صمّم ديكور مسرحيّة بني كلبون ل (عبد الرّحمن ولد كاكي) سنة (1974م)، وصمّم ملابس وديكور مسرحيّة (الشّهداء يعودون هذا الأسبوع) للمخرج (زيّاني شريف عياد) المقتبسة عن روايّة بالعنوان النّفسه للكاتب (طاهر وطار).

فقد نشر (محمّد خدة) العديد من المقالات، والكتابات النّقديّة في الصّحف والمجلّات المتخصّص، باللسان الفرنسي، كما بعض الكتب ذات العلاقة بفنّ الرّسم وهي:

- عناصر من أجل فن جديد (Éléments pour un art nouveau) أصدره بالاشتراك مع آنا غريكي سنة (1966م).
- بيت التّوائم - شعر (La maison des jumeaux) المسيلة، سنة (1980م).
- أوراق مبعثرة ومجتمعة (Feuillets épars liés)، الجزائر سنة (1983م).
- نصوص ورسوم إيضاحيّة للفنان (Textes et illustrations de l›artiste) الجزائر، سنة (1987م).

توفّي الفنّان (محمّد خدة) في (04 ماي 1991) بـ (الجزائر العاصمة)عن عمر الحاديّة والسّتين، إثر صراع مع سرطان الرّئة.

حبيب بوزوادة

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد خزار
(1364هـ - 1945م/1428هـ - 2007م)

ولد الأستاذ الدكتور محمد خزار في بلديّة وادي الشعبة بولايّة باتنة في 31/ 12/ 1945 في أسرة ثوريّة شريفة أصيلة، وادي الشعبة من أشهر بلديات ولايّة باتنة يحدها من الشمال بلديّة وادي الماء ومن الشمال الشرقي بلديّة باتنة، ومن الجنوب الشرقي بلديتي تازولت وبني فضالة، ومن الجنوب الغربي بلديّة عين التوتة، ومن الغرب حيدوسة.

بدأ مشواره الدّراسي في أحد الكتاتيب القرآنيّة بالقريّة، ثم تابع دراسته في مدرسة (النشء الجديد) التابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين بباتنة، وهي تعتبر ول مدرسة عصريّة عربيّة اللسان تشيد في مدينة (باتنة) لتعليم أبناء الجزائريين مختلف العلوم بلغة وطنهم، وقد ساهم سكان مدينة (باتنة) وضواحيها بأموالهم التي اقتطعوها من خبز أبنائهم، وفي يوم تدشينها الذي جرى في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر من سنة 1954م، أي قبيل اندلاع الثورة التحريريّة المجيدة بفاصل زمني يقل عن شهرين، حضرت وفود من مختلف مدن وقرى القطر الجزائري، وسموه يوم: (باتنة العظيم)، كما دعاه الشاعر المغرد محمد العيد آل خليفة.

غداة الاستقلال؛ التحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة لتعميق معارفه، عاد بعد ذلك إلى ثانويّة الشهيد عباس لغرور بباتنة، غير أنّ مُقامه بها لم يكن طويلا، إذ ما لبِث أن انتقل إلى المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ضمن البعثات التعليميّة المُوفَدة من وزارة التربيّة الوطنيّة لاستكمال الدراسة الثانويّة.

أُلقي عليه القبض من طرف قوات الاحتلال الصهيوني بمعيّة جمعٍ من الطلاب الجزائريين في مدينة نابلس، فاقتادوه سجيناً إلى القدس، فلبِث فيه أشهراً، وبعد الإفراج عنه انتقل إلى الكويت، وهناك تحصّل على شهادة البكالوريا، ليواصل بعد ذلك الدّراسة الجامعيّة في سوريا، حيث تحصّل على شهادة اللّيسانس في الاقتصاد.

بعد عودته إلى الجزائر لبّى نداء الواجب الوطني، فالتحق بصفوف المجنّدين لأداء الخدمة الوطنيّة من سنة 1973 إلى سنة 1975.

بعد ذلك التحق رحمه الله بمعهد العلوم الاقتصاديّة بجامعة قسنطينة أستاذاً، ثمّ رئيساً لدائرة القسم العربي، وكان له الشرف في فتح أوّل دفعة للدّراسات العليا (المعرّبة) بمعهد العلوم الاقتصاديّة في 1980/ 1981.

ولسُمعته الطّيبة وتفانيه في العمل وحِنكته الإداريّة؛ بوّأه زملاؤه رحمه الله نائباً لمدير المعهد مكلّفاً بالبيداغوجيا، ثمّ مديراً للمعهد خلال عهدتين كاملتين.

وفي خضمّ هذه المسؤوليات لم تفتُر همّته عن البحث والدّراسة، فناقش رسالة الماجستير سنة 1984 بجامعة قسنطينة، لينتقل بعد ذلك إلى تحضير رسالة دكتوراه الدّولة بالقاهرة، ولظروف اجتماعيّة عاد إلى أرض الوطن ليناقشها في سنة 1998.

في بدايّة السنة الجامعيّة 1994-1995 لبّى نداء الواجب مرّة أخرى، بعد استشهاد الدّكتور الطاهر حليس، مدير المعهد الوطني للتعليم العالي في العلوم الإسلاميّة بباتنة، ليتولّى إدارته مواصلا المسيرة والدرب دون تردّد، فكان له الفضل مع المرحوم العقيد الحاج لخضر في تشييد قلعة الإسلام أوّل نوفمبر، حيث بدأت فكرة إنشاء المعهد في 3 جويليّة 1980 بمبادرة من بعض المواطنين الذين تقدموا بطلب إلى السلطات المعنيّة للولايّة لإنشاء جمعيّة دينيّة تشرف على بناء مسجد أول نوفمبر 1954 وتمت الموافقة على تكوين هذه الجمعيّة ضمت جميع الفئات الاجتماعيّة، تحت رئاسة العقيد المؤمن المتشبع بالروح الإسلاميّة السيد: عبيدي محمد الطاهر المدعو "الحاج لخضر" أحد مفجري ثورة نوفمبر الخالدة وهو من أصحاب الفكرة ويرجع إليه الفضل في إنشاء المعهد وتنشيطه.

وبعد وفاة المرحوم الحاج لخضر، واصل المسيرة ليصبح رئيساً للجمعيّة الدّينيّة لمسجد أول نوفمبر بباتنة لمدة تسع سنوات، فجهّز قلعة أوّل نوفمبر بكل المرافق الحيويّة، وهيأها برفقة زملائه في الجمعيّة لتصبح منارة تشعّ بالهدايّة وتقوم بدورها التربوي والاجتماعي.

في سنة 2000 تولّى مهام رئاسة جامعة الحاج لخضر بباتنة، فكان نِعم المسيّر ونِعم المدير، وقد عرَفت الجامعة في عهده استقراراً ونماءً، وأرسى تقاليد حكيمة في التسيير وإدارة المؤسّسة في جو تطبعه الحكمة والتشاور وفتح باب الحوار مع الأساتذة والطلبة والعمال، ممّا أكسبه رحمه الله احتراماً من طرف الجميع، وأضحى ملاذهم في علاج المشكلات وحل القضايا العالقة.

من آثاره العلميّة:

- كتاب بعنوان: (مبادئ الإحصاء)، منشورات جامعة باتنة، 1996م.
- بحث بعنوان: استخدام أسلوب التثليث في ترتيب ومقارنة فروع الاقتصاد الوطني من خلال جدول المدخلات - المخرجات (1989-1979)، مجلة العلوم الإنسانيّة، جامعة بسكرة، 2001م.
- بحث بعنوان: قضايا التنميّة والبحث العلمي الجامعي من خلال تفعيل الدراسات العليا، مجلة الإحياء، جامعة باتنة، جوان 2002م.

وبعد مرض عضال ألمّ به في آخر حياته، رحل يوم الجمعة 16/ 03/ 2007.

طارق ثابت

المصادر:
الموقع الالكتروني لكليّة العلوم الإسلاميّة بجامعة باتنة01.

محمد خوجة (بكداش)

مـن الألقـاب التي عـرف بها هـذا الدّاي لقـب باكداش، وهـذا البيت من الشّـعر يبيّن ذلك:

محمد اسـمه "بكداش" خوجة: له لقبان من خير الفخام

والبيـت الشّـعري مأخـوذ مـن قصيـدة أرسـلها إليـه أحـد محدّثـي عنابة، وهـو ابن الشّـيخ الـذي تتلمـذ علـى يـده هـذا الـدّاي واحتضنـه عنـد مجيئـه إلـى الجزائـر، وابنه صاحـب القصيـدة، و يتعلّـق الأمر بالشّـيخ المحدّث أبو العباس سيدي أحمد بن الشّيخ سـيدي قاسـم الملقب بابن ساسـي البوني، والمقصـود بكداش أو باكـداش أو باكتاش، الشّائع أنّها كلمة تركيّة تعني الحجر القاسي. أما عن نسـبه فهو محمد بـن علي بن محمد، الشّـريف، الحسـيني النكداني وهذا ما أشار له محمدبن ميمـون بقوله: " وهو نور الدّين أبو الحسـن علي بن محمد القرشي النسب، العربـي الإقليـم، النكدانـي الدّار والمنشـأ، وبهـا توفـي، وعليـه فهـذا الـدّاي ذو أصـل عربي".

و يعـد الـدّاي محمد خوجة مـن الدّايات القلائـل إن لـم نقـل الوحيـد، الـذي تناولته أقـلام علماء ذلـك العصر، بإسـهاب بين نثر وشعر، تمدحه وتعدّد خصاله وتسرد سيرته، صوّرته كتابـات هؤلاء على أنّه رجل سـيف وقلـم يحمـل كل صفـات النبـل والكمـال، قـال عنـه صاحـب كتـاب "الثغـر الجمانـي فـي ابتسـام الثغـر الوهرانـي" : " وباكداش هو الإمـام العلامـة الناظم الناثر مقيم رسـم الجهـاد الدّاثـر الملـك العظيم المسـتوجب غايّـة الإجـلال والتعظيـم "، ولعـل هـذه الصّفـات هـي التي قرّبتـه من علمـاء عصره مـن أمثـال عبـد الرحمـان الجامعي شـارح أرجوزة الحفناوي فـي فتح وهران، ومحمد بن يوسف، ومحمد بن عبد المؤمن ومحمد بـن محمد بـن آقوجيـل، وأبـي عبـد الله بن محمـد بن أحمد البونـي، ومحمد بن ميمون الجزائـري الـذي وصفه بــ: " أبيـض اللون طويل القامة، معتدل الهامة، أشـهل العينين، خفيف السّاقين ".

كان أول عهـده بالجزائـر سـنة 1086هــ/ 1675م، حيـث أقـام بمدينـة عنابة يتعلّم على يد أحد شيوخها، وهو أبو العباس أحمد بن قاسـم بـن محمد، المعـروف بابن ساسـي البونـي صاحـب "الـدّرة المصونة، فـي علمـاء وصلحاء بونـة"، ولـه غيرها من التآليـف مـا يربو علـى المائة، حسـبما ذكره عبد الرحمن الجمعي في رحلته. توفي سـنة 1139هــ (1727–1726م) ، هـذا العالـم كان معجبًـا بتلميـذه محمد بكـداش لدرجـة أنّه كتب فيه موال طويل منه قولـه :

قلبي إليكم صَبا والحبُّ في جاشي
والسّرُّ مني سَرَى في سِرِّ "بَكْدَاشِي"
يالائمي في هوى الفتى النّـاشي
اقصـر مـلامك إنّ خيره فـاشي.

ليتقلّـد بعـد ذلـك عـدّة مناصب شـرعيّة وأخـرى عسـكريّة منهـا: تولـى إمـارة لـواء العسـكر سـنة 1107هــ– 1695م، ثـم تولـى تقسـيم خبز العسـكر سـنة 1112هـ – 1700م حيـث نـادى الاجنـاد والشّـواش بتوليّـة بكـداش، تقلّد فـي عهد هـذا الأخير منصب دفتـردار، فـذاع صيتـه، وكثـر حسـاده، ممّـا تسـبّب في سـجنه ونفيه إلى طرابلس، ليعود إلـى الجزائر بمسـاعدة حاكم تونـس، وهذه المـرة افتك منصـب الـدّاي، وارتبط اسـمه بفتـح وهـران سـنة 1707م، أكّـد أحمـد بـن سـحنون الراشـدي: "أنّ فتح وهران ينسب إلـى باكـداش، عكس مـا درج عليـه البعض مـن نسـب هـذا الفتـح للبـاي مصطفـى أبي الشّـلاغم، حيـث اعتبر هـذا الأخيـر مأمورًا بالغزو بأمر باكداش، الذي انفق على الجهاد ما لا يحصي له احـد عددا....فوجب بذلك ان ينسب له الفتح ويعد أبا الشّلاغم من نوابه المأمورين بأمره"

لـم يطـل حكـم الـدّاي بكـداش لإيالـة الجزائـر، فهـروب أحـد بايـات قسـنطينة، بدنوش سنة

1709م، كان بدايّـة لنهايتـه، حيث تسـبّب لـه ذلك فـي صعوبـات ماليّة، لـم تمكنه من دفـع رواتـب الجند، ممّـا أدّى إلـى حدوث ثـورة، انتهت بقتله في قصره. مثّل هذا الدّاي استثناءً في الكتابات المحليّة، وهذه الصّورة المشـرقة التي ظهر بها لـم تضمنها له أعماله فقط، بـل أيضًـا تقريبـه لعلماء ذلـك العصر واهتمامـه بكتابة سـيرته. لكـنّ نهايتـه تؤكّد أنّ تأمين رواتب الإنكشـاريّة أهم عمل على الدّاي ضمانه.

عاصـر محمـد بكـداش، ملشـوردي أفيلانيدا حاكـم وهران العام،الـذي هزم من قبل الباي بوشلاغم باي بايليك الغرب، كما عاصر علي بن حمودة باي 1708م، وحسـين شـاوش بـاي 1709م، الـذي فـر إلـى تونس بأموال الدّنوش وتسبب في عدم دفع رواتب الانكشاريّة ومقتل الدّاي بكداش.

وقد أرخ له كذلك محمد بن ميمون الزواوي الجزائري وخصّه في مخطوط أطلق عليه عنوان " التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائـر المحميّة"، قدمـه وحقق فيـه الدّكتور محمـد بن عبـد الكريم، وذكـر فيـه، 16 مقامةً، صنّف فيها سيرة الدّاي محمد بكداش، أخلاقه، تصوّفه وجهاده، ومن عاشروه وذكروا خصاله.

صرهودة يوسفي

المصادر:

- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط.1، الشّركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تقديم وتحقيق: المهدي بوعبدلي، دط، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشّؤون الدّينيّة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973م.

محمّد خير الدّين
(1319هـ -1902م/1414هـ -1993م)

محمّد بن خير الدّين بن محمّد بن أبي جمليْن. رجل من رجالات الإصلاح في الجزائر وأحد أقطاب جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ومندوب جبهة التّحرير الوطني بالمغرب خلال ثورة التّحرير. ولد الشّيخ محمّد ببلدة فرفار من أحواز بسكرة في شهر ديسمبر من سنة 1902م في عائلة تنحدر من يعقوب بن علي الرّياحي أبرز قادة الذواودة خلال القرن الرّابع عشر الميلادي. كان والده خير الدّين من حَفظة القرآن الكريم وأحد المقربين من شيخ الطّريقة الرّحمانيّة بزاويّة الشّيخ علي بن عُمر بطولقة، فتلقى الشّيخ محمّد تعليمه الأولي على يد والده الذي ربى أبناءه تربيّة دينيّة. ويقول عن نفسه: "بعدما حفظت القرآن كنت أتطلع إلى تعلم العلم، ولما لم يكن في بلدتي من يدرِّسه، فكرت في الرّحلة لطلبه في أي مكان". فارتحل سنة 1916م إلى قسنطينة بترتيب من والده حيث انتسب إلى مسجد "الأربعين شريفا" وكان إمامه الشّيخ الطّاهر بن زكوطة الذي احتضن الشّاب محمّد وأشرف على تعليمه. كانت مدينة قسنطينة في ذلك العهد مدينة العلم والعلماء تُشد لها الرّحال من كل حدب وصوب طلباً للعلم. كان مسجد الأربعين شريفا أحد المساجد الثّلاثة المشهورة بمدينة قسنطينة وهي "الجامع الأخضر" حيث يدرّس الشّيخ عبد الحميد بن باديس، و(جامع الكتاني) حيث يدرس الشّيخ أحمد الحبيباتني والمسجد المذكور أعلاه. والشّيخ الطّاهر هو حفيد الشّيخ عمار بن زكوطة الذي قاد قوات المدافعين عن مدينة قسنطينة ضد زحف القوات الاستعماريّة الفرنسيّة عليها سنة 1837 م. تلقى الشّيخ محمّد خير الدّين معارفه الأولى في اللغة والفقه بجامع الأربعين شريفا على يد الشّيخ الطّاهر، ودامت دراسته بقسنطينة مدة سنتيْن ثم انتقل إلى تونس سنة 1918م حيث جاور جامع الزّيتونة وانتظم للدراسة فيه لمدة سبع سنوات وتخرج منه سنة 1925 بعد حصوله على الشّهادة النّهائيّة للدراسة فيه وهي (شهادة التّطويع). كان من أبرز الشّيوخ الذين درس عليهم الصّادق النّيفر وعثمان بالخوجة. كما كان من بين زملائه في الدّراسة الشّيوخ مبارك الميلي والعربي التّبسي والسّعيد الزّاهري. خلال وجوده بتونس، اجتذبت الشّاب محمّد الحياة السّياسيّة التي كانت تطبع تلك البلاد. وقد مكنته تلك التّجربة السّياسيّة من الانخراط في الحياة السّياسيّة بعد رجوعه للجزائر. في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر المعاصر، كانت البلاد تمر بمرحلة مخاض حيث وُضعت في تلك الفترة أسّس الحركة الوطنيّة وكان الشّيخ خير الدّين من بين من ساهموا في عمليّة التّأسيس. وفي سنة 1928م كان الشّيخ خير الدّين من بين الرّواد الذي التّقوا في اجتماع دعا إليه الشّيخ عبد الحميد بن باديس رائد حركة الإصلاح الوطني. ضم ذلك الاجتماع إلى جانب الشّيخ عبد الحميد بن باديس كلا من محمّد خير الدّين والبشير الإبراهيمي ومبارك الميلي والعربي التّبسي والطّيب العقبي والسّعيد الزّاهري وكان ذلك هو المنطلق لتأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في شهر مايو من سنة 1931 م.

عاد الشّيخ محمّد خير الدّين بعد ذلك الاجتماع إلى مسقط رأسه واتخذ من مسجد بلدة فرفار مكانا للدعوة إلى الإصلاح وهو ما دفع بالسّلطات الاستعماريّة للتضييق عليه فانتقل إلى مدينة بسكرة ليواصل نشاطه الإصلاحي. وكانأوّل عمل قام به رفقة زملائه من رواد الحركة الإصلاحيّة شراء مطبعة لإصدار جريدة الإصلاح التي أسندت إدارتها للشيخ الطّيب العقبي. كما تم تأسيس جمعيّة محليّة تحت مسمى الإخاء وإقامة مدرسة حرة تحمل نفس الاسم وذلك في 1350 هـ/ 1931م.

كان الشّيخ محمّد خير الدّين من بين من حضروا الاجتماع التّأسيسي لجمعيّة العلماء المسلمين الذي انعقد بنادي التّرقي بالعاصمة يوم الثّلاثاء 17 ذي الحجة 1349هـ/ 5 مايو 1931م بحضور 72 عالما من مختلف أنحاء الجزائر. وقال في مذكراته إن الاجتماع انبثقت عنه لجنة موسعة يعهد إليها بانتخاب رئيس ومسؤولي مختلف الصّالح. وتتكون هده اللجنة من الشّيوخ: عبد الحميد بن باديس، محمّد البشير الابراهيمي، الطّيب العقبي، محمّد الأمين العمودي، مبارك الميلي، المولود الحافظي، مولاي بن الشّريف، الطّيب المهاجي، السّعيد اليجري، حسن الطّرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمّد الفضيل الورتلاني. وانتحب الشّيخ محمّد خير الدّين في ذلك الاجتماع التّأسيسي أمينا للمال والشّيخ إبراهيم بيوض مساعدا له، بينما تم انتخابه في الاجتماع الموالي من ضمن مستشاري الجمعيّة أو مراقبا عاما لها. ونظرا لنشاطه الإصلاحي، نفته السّلطات الاستعماريّة من بسكرة إلى مجّانة، ومنها زار مختلف مناطق الجزائر ممثلا لجمعيّة العلماء.

خلال مرحلة الثّورة، حاز الشّيخ خير الدّين عضويّة المجلس الوطني للثورة وتم تكليفه بفتح مكتب للثورة بالمغرب، وساعده في إدارة المكتب الدّبلوماسي عبد القادر بوسَلهام، وبهذه الصّفة حضر أشغال مؤتمر طنجة سنة 1958م الذي جمع قيادات الحركات السّياسيّة في كل من الجزائر وتونس

والمغرب. كما شارك في عضويّة الوفد الجزائري الذي حضر أشغال مؤتمر الدّول الأفريقيّة الذي عقد بالرّباط في نفس السّنة. ظل الشّيخ خير الدّين في منصبه حتى الإعلان عن الاستقلال. وبعد الاستقلال، انتخب عضوا فيأوّل مجلس نيابي جزائري، ولكنه ما لبث أن عارض توجهات الرّئيس أحمد بن بلة ولذلك كان من مؤيدي حركة 19 يونيو/ جوان 1965 خاصّة وأنه كان ممن تعرفوا على العقيد هواري بومدين من موقعه كممثل لجبهة التّحرير الوطني بالمغرب. وعين سنة 1966م عضوا فيأوّل مجلس إسلامي أعلى، وبعد وفاة الشّيخ الابراهيمي سنة 1965 تم تعيينه رئيسا شرفيا لجمعيّة العلماء المسلمين. لكنه ما لبث أن عارض توجهات الرّئيس هواري بومدين ووجه له في سنة 1969 رسالة "نصح وتوجيه" كما سماها عبر فيها عن موقفه من نظام الحكم. ومما يؤخذ عليه، أنه خلال منتصف السّبعينات، وجه نداء مع شخصيات أخرى كعباس فرحات وبن يوسف بن خدة والحسين لحول بدا كدعوة للتمرد خاصّة وأن الجزائر كانت تعيش مرحلة حاسمة من تاريخها. من أبرز آثاره كتابه الذي يتكون من جزأيْن وجمع فيه مذكراته. كما ترك مكتبة زاخرة تبرع بها لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة وأسّس خلال ثمانينات القرن العشرين مسجد السّنة في بسكرة. توفي الشّيخ محمّد خير الدّين بالجزائر العاصمة في 26 جمادي الثّانيّة سنة 1414 ه/ 10 ديسمبر 1993م ودفن بمقبرة البخاري في بسكرة.

عامر بغدادي

المصادر:

ـ مذكرات الشّيخ محمّد خير الدّين، ج 1، مؤسّسة الضّحى، الطّبعة الثّانيّة، 2002

محمد دماغ
(1348هـ - 1930م/1439هـ - 2018م)

نحات جزائري، ولد في 4 جويلية 1930 بمدينة باتنة، كان مجاهدا بالولاية التاريخية أوراس النمامشة ووجها بارزا في مجال فن النحت بالجزائر. وقد نال محمد دماغ عديد الجوائز الشهيرة من بينها جائزة باناف 1969 من خلال عمليه الشهيرين "الاندهاش" و"الأم والطفل" (L'Etonnement et La mère et l'enfant) ويعد عمله بعنوان "نابالم" (Napalm) من بين أشهر إبداعاته كما كان محمد دماغ مقربا جدا من كل من الكاتب الجزائري الراحل كاتب ياسين والفنان التشكيلي محمد ايسياخم.

وكان أحد أعضاء مجموعة الكومندو ال17 الذين كانوا ينشطون في صفوف جيش التحرير الوطني بجبال هذه المنطقة، وقد كان فنانا عصاميا يستلهم أعماله من الطبيعة، ومن مشاهد من الحياة، وموهبته النحتية مكنته من بلوغ العلى والتتويج بجوائز كثيرة منها جائزة"باناف" في المهرجان الإفريقي للنحت سنة 1969 المقام بالجزائر



عن إحدى روائعه النحتية الموسومة "التعجب" و"الأم والطفل" والتي نالت صيتا عالميا جعل منه فنان النحت الأول بالجزائر بامتياز.

كانت ورشته التي تتوسط مدينة باتنة مكانا لالتقاء الفنانين، وقد كان مولعا بالنحت ويعرف كيف يعبر عن حيويته بفنه الذي كان يعرضه في الهواء الطلق ليثير الكثير من المعجبين، وكان محمد دماغ يقول دائما أن فن النحت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفنون الأخرى، حيث أنها تتصل مع بعضها البعض من أجل الوصول إلى الشكل النهائي الذي تصل إليه، حيث أن النحات يستخدم فن الرسم من أجل وضع الخطوط العريضة للشكل النهائي للمجسم، ويستخدم فن الهندسة من أجل قياس الأبعاد الثلاثية للموضوع، ويتم استخدام فن التصوير من أجل التنبؤ بالشكل والطابع التصويري للمجسم، وكان يقول أن النحت فن قديم من بين العديد من الفنون التي برع فيها القدماء. ومن أهم الأمور التي يتم مراعاتها في علم النحت برأيه أمرين هما الحجم الطبيعي للمجسم، فبعض التماثيل يتم نحتها لتكون بنفس الحجم الحقيقي للأمر المراد النحت عنه، ومن أهم الأمور التي يجسدها هذا الأمر هو تمثال أبو الهول، والذي كان واحداً من أكبر إنجازات الحضارة الفرعونية المصرية القديمة، وبعضها الآخر يعتمد على تصغير الأبعاد ليتم عمل تمثال صغير الحجم، ولكن أن يحتوي على نفس التفاصيل، ومنها التماثيل الصغيرة التي كان يقوم بها المصريون الفراعنة القدماء.

وينتمي محمد دماغ إلى مدرسة النحت البارز وهو النحت على سطح مستو بحيث يكون الشكل الناتج بارزاً عن السطح، وأيضا مدرسة النحت الغائر وهو نحت من سطح مستو بحيث يكون الشكل المراد نحته غائراً عن السطح، كما جرب محمد دماغ أحيانا ما يسمى بالنحت الميداني وهو النحت كما نعرفه بشكله الأشهر وهي التماثيل بأنواعها كما نعرفها ونراها بالميادين والمتاحف وقد سمي بالنحت الميداني لإمكانية رؤيته من جميع الاتجاهات .

محمد دماغ كان يعتمد في نحته على أنواع متعددة من الحفر، الحفر على الخشب (الطباعة عن طريق الحفر على القالب الخشبي)، والحفر على المعدن (وتتم الطباعة من المعدن باستخدام آلات ضغط)، وأيضا الحفر على الحجر (بالليثوجراف).

ودماغ قامة إبداعية متميّزة اتسمت بالمهارة وروح الخلق الفني، عاش حرا عاشقا لفن النحت مولعا بحب الجزائر، عفويا في تصرفاته بسيطا في طباعه، لا تفارقه الابتسامة ولا يلتفت للجدال، همه الوحيد هو التواصل مع منحوتاته التي حكى من خلاله حب الوطن، نشر قيم التسامح وقبول الأخر.

تميز منذ اقتحامه عالم فن النحت بتخصيص اكبر وقته لأعماله التي لقيت صدى واسعا داخل معارض الجزائر وخارجها، يتذكره الجميع بلباسه الساحر الغريب الذي يوحي لكل من يراه بأنه أمام فيلسوف كبير.

أختار أن يقضي السنوات الأخيرة من عمره بين أحضان الجبال في غابة باتنة الشامخة، متحررا من ضغوط الحياة ويومياتها المليئة بالضوضاء والضجر، يستغرق وقتا طويلا بين الأشجار وفي حضن الطبيعة المتوحشة بتنوع ناعم برئ يحكي حكمة الله في مخلوقاته وإبداعه في خلقه.

عاصر دماغ حسب رفيق دربه الفنان التشكيلي حسين هوارة، الذي رافقه إلى مثواه الأخير بمقبرة بوزوران بوسط مدينة باتنة، كلا من العظماء كاتب ياسين، محمد زينات، اسياخم، زياد، ، وغيرهم ممن وهبوا حياتهم للفن وحب الجزائر.

وفي أحد حواراته أكد محمد دماغ أن النحات يعاني دوما من مشاكل في إنتاج إبداعاته فالمواد الأولية للنحت غالية مثل البرونز والحديد والحجر بأنواعه والمرمر وحتى الذهب والفظة، وأكد انه عمل تماثيل بكل المواد الموجودة مثل الطين والجص والحجر والخشب والبرونز والألمنيوم والحديد، وأن النحت بحد ذاته عملية معقدة ويبدأ بتخطيط الفكرة على الورق لينتهي في أحد مصاهر الحديد او البرونز أو في أحد الجبال حيث المحاجر وأنواع الصخور.

كان من الفنانين العصاميين الذين كانت أعمالهم تستلهم من نبض الحياة ومن روح الطبيعة، جمعت ورشته بباتنة كل محبي فن النحت بالجزائر.

ترك محمد دماغ وراءه قصصا شجاعة وبطولة وموهبة وإنسانية لا تمحى، فالأنامل التي اعتادت على تشكيل اللوح والخشب وبعث الجمال فيها من خلال الحفر والنقر على الخشب يردد صداه (التعجب والأمومة والطفل والنابالم)هذه الأعمال التي لم يسمع بها رواد المدارس والثانويات والمعاهد في الجزائر، ولكنها حلقت وشرفت الوطن بجوائز حفرت في ذاكرة العالم أفراح محمد دماغ واسم فن النحت بالجزائر.

توفي النحات محمد دماغ عن عمر88 سنة في شهر أوت سنة2018 ووري الثرى بمقبرة بوزوران بباتنة بحضور جمع غفير من المقربين والفنانين والمواطنين.

طارق ثابت

المصادر:

"قاموس الفنانين الجزائريين" 1917 2006–م، للكاتب عبروس منصور، دار النشرl'Harmattan.

محمّد ديب
(1338هـ - 1920م/1423هـ - 2003م)



من مواليد مدينة تلمسان في الغرب الجزائري من عائلة بورجوازيّة مفلسة، زاول دراسته القاعديّة في مسقط رأسه، توفّي والده في 1931، ورغم الظّروف المعيشيّة السّيئة فإنّ ديب واصل تعليمه بعد انتقاله إلى مدينة وجدة المغربيّة، لكنّه عاد إلى الجزائر قاصدا ولايّة وهران لينتسب إلى مدرسة المعلمين، واستطاع أن يتقن اللغتين الإنكيزيّة والفرنسيّة.

بدأ ديب حياته المهنيّة وعمره لا يتجاوز 12 سنة، وبعد أن عاش فترة قصيرة بمدينة وجدة المغربيّة عاد إلى الجزائر عام 1939 لممارسة التّعليم في قريّة (زوج بغال) على الحدود الجزائريّة المغربيّة.

التّحق 1942 بالعمل في مؤسّسة للسكك الحديديّة، ولكونه يتقن الإنكليزيّة والفرنسيّة فقد عمل محاسبا ثم مترجما لجيش الحلفاء خلال الحرب العالميّة الثّانيّة، وتحول بعد ذلك

إلى مصمّم ديكورات ورسوم سجاد خلال 1945-1948 بولايّة تلمسان.

اشتغل في 1948 بالصّحافة فعمل في جريدة (الجزائر الجمهوريّة)، كما أسهم في يوميّة (الحريّة) لسان حال الحزب الشّيوعي الجزائري، فنفته الشّرطة الفرنسيّة بسبب كتاباته المناهضة للاستعمّار الفرنسي للجزائر.

رغم الظروف القاسيّة التي مرّ بها ديب خلال فترات حياته المختلفة، فإنّه انكب على اغناء رصيده المعرفي بمطالعة الأدب الفرنسي قديمه وحديثه، كما ساهم احتكاكه بكبار كتاب عصره (أمثال ألبير كامو وجان سيناك ولويس جيو، وابن بلده مولود فرعون) في تكوين شخصيّته الأدبيّة المتميّزة، وبات يعدّ من أشهر كتاب الرّوايّة الجزائريّة بتأسيسه لنمط جديد في الكتابة الإبداعيّة.

زار بعد ذلك عدّة دول بدءا بفرنسا فإيطاليا وصولا إلى أميركا وفنلندا ودول بأوروبا الشّرقيّة، ثمّ اختار بعد ذلك الاستقرّار في المغرب عام 1960، وبعد استقلال الجزائر 1962 عاد إلى وطنه، لكنّه سافر مرة أخرى إلى فرنسا مفضلا الاستقرّار فيها إلى حين وفاته.

حاز اطلاعا واسعا على الأشكال التّعبيريّة في الرّوايّة الجديدة والفلسفة الحديثة وعلى التّراث الإسلامي، وأسهم نشاطه السّياسي في الحزب الشّيوعي الجزائري في تكوينه عبر انتقاده اللاذع للظاهرة الاستعمّاريّة.

وفي عام 1950 التّحق بالصّحافة فعمل في جريدة (الجزائر الجمهوريّة) إلى جانب كاتب ياسين، وقد اتهمته الشّرطة الفرنسيّة بالوطنيّة المتهورة والمغالاة في الدّفاع عن الجزائر فأبعدته إلى فرنسا، بعد ذلك جاب محمّد ديب بلدان كثيرة فمن باريس إلى روما، ومن هلنسكي إلى عواصم أوروبا الشّرقيّة.

شارك ديب في عدّة ورشات وندوات بجامعات عالميّة مهتمّة بالأدب المغاربي بصفة خاصّة، وألقى فيها سلسلة من المحاضرات عن أعماله.

كان أوّل كاتب مغاربي يحصل على جائزة الفرنكوفونيّة عام 1994 احتفاءً بأعماله السّرديّة والشّعريّة، وتسلمها من الأكاديميّة الفرنسيّة. كما فاز بجائزة "مالارميه" عام 1998.

نال الجائزة الدّوليّة التّقديريّة للآداب رفقة الشّاعر الجزائري محمّد العيد آل خليفة عام 1963، وتبرع بقيمتها لدور العجزة والمعدمين ومعطوبي الحرب.

بعد ثمانين سنة حافلة بالكتابة والإبداع توفّي بسانكلو إحدى ضواحي باريس يوم 02 ماي 2003.

لقب (الأب المؤسّس) للأدب المغاربي المكتوب بالفرنسيّة، وصفته وزارة الثّقافة الفرنسيّة -في بيان نعته فيه- بإنّه "كان صلة الوصل الرّوحيّة بين الجزائر وفرنسا، في (زقاق المدق) و(القاهرة الجديدة)، وعلى حنة مينة في (المصابيح الزّرق)، وعلى غائب طعمة في (النّخلة والجيران)، فكل هذه الرّوايات صدرت في أوقات متقاربة وتعالج موضوع الحرب العالميّة الثّانيّة ومشكلاتها".

أضاف وطار "لقد اكتشفتُ تفوق محمّد ديب على الآخرين، وإنّه أكثر أصالة كعربي وجزائري ومسلم من زملائه في التّعبير عن أزمة الإنسان العربي".

ألف ضمن ثلاثيّة الجزائر الأوّلى: "الحريق" (1954)، "النّول" (1957)، وضمن ثلاثيّة الجزائر الثّانيّة: "من يتذكر البحر" (1962)، "الجري على الضفة المتوحشة" (1964)، "رقصة الملك" (1968).

تواصلت تجاربه السّرديّة خلال 1970-1977 بنشر ثلاث روايات هي "إله وسط الوحشيّة" (1970)، "سيد القنص" (1973)، "هابيل" (1977)، كما ألف في ثلاثيّة الشّمال: "شرفات أورسول" (1985)، "إعفاء حواء" (1989)، "ثلوج من رخام" (1990).

أصدر في القصة ثلاث مجموعات هي: "في المقهى" (1957)، "تلمسان" (1966)، "الليلة المتوحشة" (1995)، وله مسرحيّة منشورة في كتاب "ألف صيحة لمومس" (1980)، كما كتب في الشّعر ثمانيّة دواوين أشهرها: "حارسة الظلال" (1961)، "تلك النّار الجميلة" (1979)، و"طفل الجاز" (1998).

جمع طائفة من الحكايات التّراثيّة المتداوّلة في بلدان المغرب العربي ضمن أربعة إصدارات، هي: "بابا فكران" (1959)، "حكايّة القط الممتنع عن الكلام" (1974)، "سالم والمشعوذ" (2000)، "حكايّة الخرتيت الذي كان يعتقد إنّه قبيح الشّكل". وغيرها من الأعمال.

توفّي الأديب محمّد ديب يوم 2 مايو 2003 في العاصمة الفرنسيّة باريس.

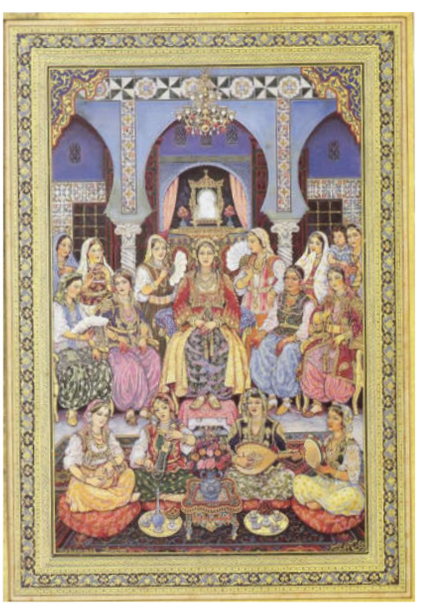
باديس فوغالي

المصادر:

- يوسف الأطرش / روايّة "هابيل" لمحمّد ديب. مجلّة المساءلة، العدد الأوّل، 1991. اتحاد الكتاب الجزائريين. من ص 195 إلى 209.
- محمّد بوشحيط/ الكتابة لحظة وعي. المؤسّسة الوطنيّة للكتاب. الجزائر 1984. ضمن فصل " قراءات انطباعيّة في الرّوايّة الجزائريّة الحديثة" من ص 75 إلى 93.
- سعاد محمّد خضر/ الأدب الجزائري المعاصر. منشورات المكتبة العصريّة، صيدا، بيروتو 1967. من ص 150 إلى 170.
- عبد الله الرّكيبي/ القصة الجزائريّة القصيرة... من ص 252. إلى 273.
- أبو القاسم سعد الله/ دراسات في الأدب الجزائري الحديث... من ص 98 إلى 100.
- أحلام مستغانمي / محمّد ديب. . سيأتون حتما لتقل رماد غربتك، الحوار المتمدن العدد 482.

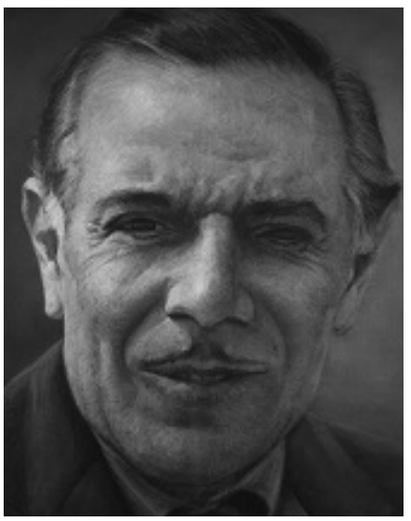
محمّد راسم
(1313هـ - 1896م/1394هـ - 1975م)

ولـد الفنّـان محمّد راسـم في جوان سـنة 1896 بالجزائـر، حـيّ القصبـة، فـي عائلـة حرفيّيـن، من أصـول تركيّة، عـاش أعضاؤها وعملـوا فـي حـيّ القصبـة، كان والـد علـي راسـم يعمل في الحفر على الخشـب وطرق النّحاس، فـي حين زاوّل عمـه محمّد النّقش على أحجار شـواهد القبور، أمّا شقيقه الأكبر عمر راسم، فكان خطّاطاً كرّس جزءاً كبيراً من حياته للدين والسّياسـة، وقـد اهتم منذ نعومة أظافـره بفـن المنمنمات متمكّنا منها بسـرعة مذهلـة، كرّس محمّد راسـم جـل حياته لهذا الفنّ الذي أسهم بقدر كبير في ذيوع صيته .



لوحة (سهرة عاصميّة نسويّة)
للفنّان محمّد راسم

عنـد سـن الرّابعـة عشـر، بعد حصولـه على شهادة الدّراسة الابتدائيّة، يلتحق بمكتب الرّسم للتعليـم المهني حيـث يدرس فن الرّسـم ويهتم بالمنمنمات وأكمل تعليمه سـنة 1910، ثم عمل رسـاماً في مكتب الرّسـم التّابـع لمديريّة الفنّون الأهليّة الذي كان يشرف عليه (Prosper Ricard/ بروسـبر ريكارد)، مفتّش التّعليم الفنّيّ والمهنيّ في الجزائر حينذاك، والذي لاحظ أعمال محمّد راسـم الفريـدة، وكان في مكتب الرّسـم هذا أن اكتشف محمّد راسـم المنمنمات الفارسيّة التي شكّلت قاعدّة إنتاجه طوال مسيرته الفنّيّة، خلال



محاوّلاته الأوّلى في الرّسم، وفي سنة 1915 قدم له المستشرق الفرنسي نصر الدّين دينيه، التّشجيع وكلفه بمهمّـة تزيين خمس عشـرة (15) صحفة كاملة من الكتابـات القرآنيّة المنقوشـة بالألوان فـي كتاب (حياة محمّـد ﷺ) وكان دينيه قد ألفه بالاشتراك مع سليمان بن إبراهيم.

عـرض محمّـد راسـم سـنة 1917 أوّل منمنمـة تحت عنوان (حياة شـاعر) كما حصل على منحـة (كازا فلاسـكاز) التي سـمحت له بزيـارة إسـپانيا، والتّعرف علـى المخطوطات والمنمنمـات العربيّـة الإسـلاميّة، ومتحـف البحريّة حيث درس الهندسة البحريّة.

نظـم أوّل معـرض لـه سـنة 1919 بالجزائـر بعنوان (إسـپانيا الأندلسـيّة والجزائر القديمة) كمـا عرض محمّـد راسـم أعماله فـي صالون جمعيّـة الفنّانيـن الجزائرييـن والمستشـرقين فـي 1923، وحصـل في نفس العـام على منحة مـن بلديّـة الجزائر العاصمة. أمضـى بعد ذلك ثماني سنوات في پاريس (1924 – 1932) حيث أكمل تزيين صفحات كتاب ألف ليلة وليلة في إثنـي عشـر (12) مجلـداً، وفي 24 مـاي 1932، يتزوج محمّد راسـم بالآنسـة كارين بوندسون السّـويديّة، ثمّ يعود إلى الجزائر، تمكّن محمّد راسـم بواسـطة عبقريّته وتحريّاتـه العلميّة من إثـراء هـذا التّـراث الفنّـيّ مـن دون المسـاس بأصالتـه، وذلـك مـع الحفـاظ علـى التّقنيات الجماليّة الخاصّة بفن المنمنمات وقد اتسمت الأعمـال التـي قـام بهـا محمّـد راسـم، بالدّقة والصّبـر وثبـات اليد فـي التّنفيذ، وبالشّـاعريّة والحسّ الجمالي في التّعبير إضافة إلى حسـن اختيار الألوان وكان أوّل جزائري يفوز بالجائزة الفنّيّـة الجزائريّة الكبرى في سـنة 1933، إضافة إلـى وسـام جمعيّـة الرّسـامين المستشـرقين الفرنسيين في پاريس، عرضت أعماله في كافة أنحاء المعمورة حيث تم اقتناء العديد منها من طرف عدّة متاحف ذات شهرة عالميّة مؤكّدة.

يعيـن سـنة 1934 أسـتاذا بمدرسـة الفنّـون الجميلـة بالجزائـر العاصمـة، وقـد جمعـت منمنماتـه فـي عـدّة مؤلّفـات، منهـا (الحيـاة الإسلاميّة في الماضي) سنة 1960، كما عرضت أعماله بالجناح بالمعرض الدّولي الجزائري سنة 1937، وقـد كان له الفضل في تكوين العديد من أجيـال التّلاميـذ الحاملين لفنـه، وارتقى محمّد راسـم بعالم المنمنمة فأعطاهـا خصائص لوحة التّشـكيل الفنّـي الحديـث وفق قواعـد المنظور الأوروبي وتقنيات النّظريّة حيث أسـس مدرسة المنمنمـات الجزائريّـة. لكـن توقّف عن رسـم المنمنمات في 1955 بسبب مشاكل في الرّؤيّة.

وفي سـنة 1950 ينتخب محمّد راسم عضوا شـرفيّا في المؤسّسـة الملكيّة لرسـامي وفناني المنمنمات لإنگلترا.

بعد اسـتقلال الجزائر في سنة 1962، جرى تعيينه مستشـاراً لوزير الثّقافـة. عرضت أعماله فـي كافـة أنحـاء العالم، فـي پاريـس والقاهرة وروما وبوخارسـت وسـتوكهولم وكوبنهاغن وتونس، والقسـم الأكبـر من مجموعـة الفنّان الشّـخصيّة محفـوظ الآن فـي متحـف الفنّون الجميلة في الجزائر العاصمة.

مزج محمّد راسـم في لوحاته طريقة الرّسم التّقليديّـة للمنمنمـات الفارسـيّة والمغوليّـة وتقنياتها، التي لم تكن تمارس إلاّ نادراً في بلاد المغرب، مع المنظور الغربي، وعبّرت لوحاته عن جزائر ما قبل الاستعمّار

وفـي الفترة الأخيـرة من مسـيرته الفنّيّة قال في وصفه لأعماله إنّه أراد ترسيخ ذاكرة الثّقافة العربيّة التي كان الاسـتعمّار الفرنسـي يُحرفها بشكل متسارع.

توفّـي محمّـد راسـم وزوجتـه بالأبيـار، فـي يـوم 30 مـارس 1975، في ظـروف أليمة

وغامضة لم يتمّ توضيحها لحدّ السّاعة، فقد سقط ضحيّة اغتيال بشع فكان، آخر لوحة في مسيرته، استوى بها على عرش تراجيديا الفنّ، والتّضحيّة، عن عمر 79 سنة.

وصفته مجلّة (الرّسالة) المصريّة الذائعة الصّيت سنة 1937 بقولها: (... والواقع أن الفنّ العربي لم يفقد شيئا من طرافته، ولا أوضاعه التّقليديّة، بل ولا رونقه وتفوقه، فما قول سادتنا المتفرنجين، الذين ينكرون على الفنّ الإسلامي كل فضائله ومزاياه، بعدما شاهدوه من نبوغ محمّد أفندي راسم) وكتبت (السّعادة) الصّادرة بالرّباط بالمغرب الأقصى، في نفس السّنة 1937 تثني عليه وتمدحه بقولها: (... إن السّيد محمّد راسم، أصبح اليوم يأتي بالأعمال العجيبة، حتى أن صوره، إذا عرضت بأحد المعارض، تحرز الأسبقيّة على غيرها ...)

وعلّقت على اعماله صحيفة (النّجاح) الصّادرة بالجزائر بمدينة قسنطينة، في نفس السّنة أيضا 1937 بأنه: (... قد عرف النّاس نبوغ السّيد محمّد راسم الفنّي، وافتخر الوطن الجزائري زخارف الصّناعة الحيّة، الدّالة على دقة الذوق وكمال العقل ...)

وحتى لا نذكر إلّا آراء العرب فيه فحسب، فإنّ راسم انتزع اعجاب الجميع، من العرب والفرنجة، على اختلاف جنسياتهم، وثقافاتهم، ولغاتهم، فكتبوا فيه الكثير وقالوا، حتى غدا مرجعا في فنّ الرّسم التّصغيري.

سناء رمضاني

المصادر:

الصادق بخوش: التدليس على الجمال.

محمّد سعيد الحسيني الجزائري
(1300هـ - 1883م/ 1390هـ 1970م)

محمّد سعيد الأمير بن علي بن عبد القادر بن محي الدّين الحسني الجزائري ولد هذا الأمير الجزائري لأسرة جزائريّة مقيمة في دمشق منذ خمسينيات القرن التاسع عشر، وكان جده المجاهد الأمير عبد القادر الجزائري، قائد الثّورة الجزائريّة ضد الاستعمار الفرنسي التي دامت سبعة عشر عاماً من عام 1830 حتى عام 1847. احتجز جده في السّجون الفرنسيّة حيث تعرض لتعذيب شديد، قبل إطلاق سراحة ونفيه إلى دمشق عام 1855. استقرت عائلة الجزائري في زقاق النّقيب بحي العمارة، خلف الجامع الأموي، حيث ولد الأمير محمّد سعيد عام 1881، وقيل سنة 1885، وقيل سنة 1883، سنة وفاة جده الأمير عبد القادر، تعلّم في دمشق بالمدرسة الريحانيّة التي أنشأها الشّيخ محمّد المبارك والشّيخ عبد الجليل الدّرا وبالمدرسة السّلطانيّة (مكتب عنبر). وسافر إلى إسطانبول فدخل المدرسة العليا بغلطة سراي. وحصل من هناك على إجازة مدرسة الحقوق، وفي عام 1915 أسس جمعيّة مهاجري إفريقيّة، وترأسها، وترأس جمعيات الخلافة بسوريّة ولبنان، كما ترأس لجنة الدّفاع عن الخط الحديدي الحجازي، لم يشارك الأمير محمّد سعيد بالثّورة العربيّة الكبرى التي أعلنت ضد الدّولة العثمانيّة عام 1916، بقيادة الشّريف حسين بن علي، وحافظ على ولائه لنظام الحكم القائم حتى خريف العام 1918، عندما وصلت طلائع الثّوار إلى مشارف مدينة دمشق. استدعي الأمير محمّد سعيد إلى مقر الحكم العثماني المؤقت في فندق فيكتوريا على ضفاف نهر بردى، وعُقد اجتماع بينه وبين جمال باشا المرسيني، الذي طلب من الأمير تأمين حمايّة للجنود العثمانيين المنسحبين من دمشق. كان الأمير سعيد يأتمر على قوة عسكريّة من الجنود الجزائريين الموالين لأسرته، والذين جاؤوا مع جده إلى دمشق، وكان عددهم حوالي اثني عشر ألف جندي، فأمرهم بتوفير حمايّة للجنود المنسحبين ولأحياء المدينة المنكوبة من أي عمليات سرقة أو شغب.

لما خرج العثمانيون منها سنة 1917، قلدوه وكالة المباشر لسوريّة على أن يقوم أهلها بالدّفاع عنها وتكون مستقلة، ذات سيادة، لها الحق في أن تختار أيّة دولة تسعفها على نهضتها. سلمه القائد التّركي جمال باشا الصّغير بندقيّة لاستعمالها في المحافظة على الأمن، ومما قال له الأمير محمّد سعيد: «إنني كجدي عبد القادر العظيم، أرغب في المحافظة على الأرواح، ومنع الاعتداء على النّساء والأطفال والوقوف دون السّلب والنّهب، وما قد يحدث بين الطّوائف المختلفة من أناس لا خلاق لهم»، فأعلن استقلال سوريّة قبل دخول الجيشين العربيين والبريطاني، وأعلن نفسه حاكما عليها، وألف حكومة وطنيّة مؤقتة، ومن أول قراراته تغيير اسم جريدة (الشّرق) التي كانت تصدرها السّلطات العثمانيّة باللغة العربيّة وإعادة تسميتها ب (الاستقلال العربي)، وقد صدر منها عدد يتيم واحد فقط، لم تعش حكومته المؤقتة طويلاً، ففور وصول القوات البريطانيّة إلى دمشق، برفقة الأمير فيصل بن الحسين يوم 3 تشرين الأول 1918، قام الضابط توماس لورنس بعزل الأمير سعيد عن منصبه، وأمر باعتقال شقيقه الأمير عبد القادر الجزائري الحفيد، معتبراً أن في تسلمهم للحكم تجاوزا صريحا لمكانة بريطانيا العظمى ومخططاتها في الشّرق الأوسط. سلّم الأمير سعيد مقاليد الحكم ومفاتيح السّراي، منهياً بذلك أقصر فترة حكم عرفته مدينة دمشق في تاريخها المعاصر. تسلم الحكم بعدها الأمير فيصل بن الحسين بعد أن بايعه الدّمشقيون ملكا عليهم في الثّامن من مارس سنة 1920. لكنّ التاريخ كتب أن الأمير

محمّد سعيد أول حاكم عربي لسوريّة بعد أربعة قرون من الحكم العثماني.

نفاه الإنكليز إلى مصر.

عاد إلى دمشق بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1920، حيث استقدمه الفرنسيون إلى بلاده وطالبوه بالهدوء، وكان مرشحاً لعرش سوريّة بعد الملك فيصل، إلا أن فتنة أثير فيها أولاده عرقلت ترشيحه، كان الأمير سعيد يظهر بين فينةٍ وأخرى في سنوات الانتداب الفرنسي، بصفته حاكماً سابقاً ووريثاً للأمير عبد القادر الجزائري. عاد إلى دمشق بعد منفى قصير في مدينة حيفا دام حتى سنة 1924، ليؤسس جمعيّة الخلافة السّوريّة في دمشق، رداً على إلغاء منصب الخليفة من جمهوريّة كمال أتاتورك العلمانيّة، وتفرّغ لإعادة خليفة صالح للمسلمين، عارضاً نفسه لهذا المنصب، بشرعيّة نسبه الشّريف إلى الرسول. وعندما قصف الفرنسيون دمشق إبان الثّورة السّوريّة الكبرى في 18 أكتوبر 1925، ظهر الأمير سعيد مجدداً، وسافر إلى بيروت لمقابلة المفوض السّامي موريس ساراي، باسم أهالي مدينة دمشق، للتفاوض على وقف إطلاق النّار وشروط الهدنة. كما كان ضمن السّياسيين المؤسسين لتنظيم الكتلة الوطنيّة، وهو أبرز تجمع سياسي مناهض للانتداب، عقد مؤتمره التأسيسي في بيروت في 19 تشرين الأول 1927 بحضور الأمير سعيد وبرئاسة هاشم الأتاسي وعضويّة عدد من الأعيان كان من بينهم عبد الرحمن الكيالي ممثلاً عن حلب ونجيب البرازي ممثلاً عن حماة وعبد الحميد كرامي، ممثلاً عن طرابلس الشّام.

لما نقل جثمان جده الأمير عبد القادر من دمشق إلى الجزائر سنة 1966 رافق الجثمان واستقر فيها إلى أن توفي ودفن بمعسكر.

نتاجه الفكري:

أشرف على تصنيف كتاب عن والدّه سمي "تاريخ الأمير علي الجزائري".

كتب مذكراته تحت عنوان "مذكراتي" ونشرت في الجزائر عام 1968، وأعيد طبعها بدمشق عام 2015. "وقد أقامها على طريقة المذكرات التي أصبحت معروفة في البلاد العربيّة. تحدث الأمير محمّد سعيد فيها عن نشأته وعن محيطه حيث تيار الجامعة الإسلاميّة، ثم ثورة جمعيّة تركيا الفتاة. وقد انتقل بعد ذلك للحديث عن بعض الأطراف كالسّنوسيين وأحوال الجزائر، ثم رجع إلى الجاليّة المغاربيّة في الشّام ودور عائلة الأمير عبد القادر. وكان التركيز بعد ذلك على أحداث الحرب العالميّة الأولى وما شهدته من تطورات بالنّسبة للعرب والترك. وما شهدته سوريّة بالذات من تقلبات من الحكومة الهاشميّة إلى الانتداب الفرنسي، ودور الأمير محمّد سعيد وأخيه وأبيه في كل ذلك، من طموح واعتقال، ومن علاقات مع الملك عبد الله ومسألة الخلافة، ومسألة فلسطين، ومسألة الخط الحجازي، وأخيرا المسألة الجزائريّة، (ثورة نوفمبر)، وقلق الأمير سعيد بوطنه الأول. والكتاب مزود بالصّور الشّخصيّة وبعض الوثائق الهامة كالمراسلات مع عدد من أعيان العرب المعاصرين".

رابح دوب

المصادر:

- سامي مبيض: تاريخ دمشق المنسي، أربع حكايات 1916–1936، دار رياض نجيب الريس، ط1، بيروت، سنة 2016؛
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

محمّد سي فضيل
(1352هـ - 1934م/1440هـ - 2019م)

ماذا يقول القلم عن واحد من أصحاب القلم في الجزائر، إنه المجاهد والإعلامي والأديب الأستاذ محمّد سي فضيل، الجزائري الأصيل، العروبي الصميم والأمازيغي الحر، الذي لازم الخط النضالي شابا يافعا وحتى آخر رمق من حياته، روضته سنون الثورة التحريرية ثم حنكته الصحافة، التي مارسها هاويا وعاشقا في صباه وأصبح أحد أساتذتها البارزين في جزائر الاستقلال والسيادة، ممارسا ومدرسا في الجامعة.

وماذا عساه يقول القلم عن سيرة حياة محمّد سي فضيل، المناضل والكاتب



المبدع، صاحب القلم الرشيق والمهذب، الذي جمع موهبة الكتابة والتعبير الجميل، والذي حمل قضايا وطنه وأمته في قلبه، معبرا عنها بالكلمة الصادقة، التي تفيض عشقا للجزائر واللغة العربية.

الأستاذ محمّد سي فضيل، ابن جرجرة الشماء، حمل راية جيل مخضرم، الجيل الذي اكتوى بنار الاستعمار وارتوى بقيم الوطنية الصادقة واحترق بهوى ثورة نوفمبر المجيدة، ففي يوم من شهر ديسمبر 1934، شهد بيت سي عمر في قرية آيت يوسف وعلي، مولد محمّد، وترعرع في هذه القرية

الكائنة بدائرة إيفرحونن ولاية تيزي-وزو، في أعالي جبال جرجرة الشامخة، التي احتضنت أبطالا، سجلهم التاريخ في سفر الخلود، أمثال لالا فاطمة نسومر والشهيد العقيد عميروش وغيرهما من أشاوس الجزائر وأبطالها الأفذاذ.

وحقق هذا الابن المتطلع للتفوق حلم والده، الذي كان إماما، بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولما يتجاوز الثانية عشرة (12) من عمره، وكانت أوّل لبنة شيدها في حصن طلب العلم، فقد أكرمه الله وسدد خطاه في التحصيل العلمي.

شهدت قرية آيت يوسف وعلي يوما سعيدا بإنشاء أوّل مدرسة نظامية ومسجد على يد أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تتلمذ فيها سي محمّد مع خيرة أبناء القرية على رأسهم سي العربي سي لحسن، على يد سي محمّد أبو القاسم سي صغير، أحد أعلام التدريس وواحد من النخبة المتعلمة.

أحرز على شهادة الأهلية من معهد ابن باديس، بتفوق عام 1956 مما أهله للالتحاق بجامع الزيتونة على نفقة والده الذي ترك لما سافر العقيد عميروش إلى تونس في مهمة سنة 1957 وجد الطلاب الجزائريين هناك يعانون من ضائقة مالية خانقة بسبب الثورة فتنبه ببصيرته إلى التكفل بهم ووضع استراتيجية للتكوين والإعداد للمستقبل فعرض الفكرة على ممثلي الولايات بتونس فلما لم يجد مقترحه آذانا صاغية قرر جمع طلاب ولايته وأوكل أمر القيام بشؤونهم إلى النقيب أحمد أورمضان وكان من ضمنهم محمّد سي فضيل، توطئة لإرسال بعثات طلابية من ولايته ابتداء من صائفة 1957 مع الكتائب المكلفة بجلب السلاح من تونس.

وتألق سي محمّد بنفس الكفاءة في دراسته الثانوية، بالحصول على شهادة التحصيل عام 1959 فأرسلته الثورة إلى مصر حيث درس في جامعة القاهرة في قسم علم النفس والفلسفة، وكان شديد الاعتزاز بأستاذه الكبير الدكتور زكي نجيب محمود وبغيره من الأساتذة، وكان سي محمّد مثالا للطالب النجيب المتفوق، ونال شهادة الليسانس بدرجة ممتاز جدا وكان الأول على الدفعة موثقا في القائمة بالحبر الأحمر عام 1963، وتشاء الأقدار أن يقف محمّد سي فضيل في جويلية 1962 خطيبا، ليعلن عن استقلال الجزائر، من منبر الجامعة أمام الطلبة والأساتذة في القاهرة، وتم نقل فعاليات الحفل على المباشر في إذاعة مصر للعالم.

في سنة 1963 عاد الأستاذ محمّد سي فضيل إلى الوطن بذخيرة من العلم والثقافة، ليساهم ورفاقه في بناء الجزائر المستقلة، فكانت الجامعة محرابه الأول، حيث قام بالتدريس في المدرسة الوطنية العليا للصحافة، لكن المقام لم يكن طويلا، حيث غادر الأستاذ مدرجات الجامعة إلى محراب الصحافة، التي قاده إليها صدق الكلمة وتعلقه بقيم الحرية والكرامة للإنسان والسحر الجذاب لصاحبة الجلالة.

محمّد سي فضيل اسم لامع في الصحافة الوطنية، بل يعتبر من روادها وطلائعها الأولى، تأسيسا وترسيخا وتميزا، وهذا ما يتجلى في كتاباته، التي تنوعت بين المقالة السياسية والأدبية وكل الأنواع الصحفية، كما مثل، من خلال إنتاجه الصحفي والثقافي والأدبي، ومرافقته للمئات من الأقلام الصحفية الواعدة، مدرسة، تلقى فيها طلبة الإعلام والمتخرجين من الجامعة، أبجديات الكتابة الصحفية، بقواعدها المهنية وأسلوبها الراقي ولغتها الجميلة.

وتتلمذ على يد الأستاذ محمّد سي فضيل طلبة جزائريون وعرب، شكلوا النواة الأولى للصحافة في الجزائر المستقلة، ثم انتقل للعمل الصحفي رئيسا للتحرير في صحيفة " المجاهد الأسبوعي" فمديرا عاما لها لمدة أربع عشرة سنة (14)، تلك الصحيفة التي احتضنت خيرة الأقلام ورواد الصحافة الجزائرية، وظل سي محمّد على مدى سنوات طوال، يدبج افتتاحية هذه الصحيفة الرائدة، ولا يضع اسمه على رأس مقاله ولا في آخره، إلى أن جاء يوم سأل فيه الرئيس هواري بومدين عن صاحب هذا القلم، فقيل له إنه فلان، واكتفى عندئذ، بأن صافحه في مقر الرئاسة وقال له: شكرا، ما عليك سوى أن تستمر. وقد رافق الأستاذ محمّد سي فضيل، مديرا وأستاذا، عديد الأسماء التي نبغت في عالم الصحافة، حتى أن صحيفة " المجاهد الأسبوعي" وملحقها الثقافي، كانت تعتبر مدرسة للصحافة الجزائرية، إذ احتضنت كتابا كبارا، نذكر منهم: محمّد الميلي، د. محمّد العربي ولد خليفة، محيي الدين عميمور، عبد المجيد بن حديد، بالإضافة إلى أقلام عربية بارزة: سعد زهران، حسين عبد الرازق وغيرهما.

كما احتضنت الصحيفة، في عهد الأستاذ محمّد سي فضيل عددا كبيرا من الأقلام الصحفية، التي تتلمذت على يديه ووجدت لديه الدعم والسند، ونذكر من هؤلاء: سعد بوعقبة، محمّد عباس، علاء الدين مكي، أحمد حمدي، آيت عبد الرحمان، محمّد الأغواطي، عبد القادر برهومي، مرزاق بقطاش، نذير بولقرون، الطاهر بوعنيقة، جمال بن حمودة، مشري بن خليفة، عمار بن يونس، أزراج عمر وغيرهم.

ولأن محمّد سي فضيل، الإنسان، المناضل، الصحفي والكاتب المبدع، نبت في حضن أسرة أصيلة متدينة، وترعرع في عرين الإصلاح الوطني وتربى في مدرسة جبهة التحرير الوطني، فقد كان مسكونا بقلق متفجر بالأفكار وبهموم الوطن والأمة، ولذلك كان قلمه سيالا، محاربا في سبيل القضايا الوطنية، مدافعا عن اللغة العربية، التي تحتل فيه القلب، ومتمترسا في خندق الشعب الواحد، بهويته الوطنية الثابتة وشخصيته الحضارية الراسخة.

إن سيطرة روح الثورة التحريرية على محمّد سي فضيل امتدت إلى ثورة فلسطين وآمالها، وهكذا كانت القضية الفلسطينية بالنسبة له هي أم القضايا، فدبج آلاف المقالات، التي تقطر حبا وحزنا، وكانت له إسهامات بارزة في الحوار الفلسطيني-الفلسطيني، من خلال علاقاته الوطيدة مع قادة فلسطين ومثقفيها وكتابها البارزين، كما كانت له عديد الحوارات الصحفية مع صديقه القائد الراحل ياسر عرفات ومع عدد من قادة العالم.

وكان الأستاذ محمّد سي فضيل، طيلة مساره الإعلامي، في امتحان دائم مع نفسه، يحرص على انتقاء الأجود من الكلمات والعبارات والأفكار، وكانت المنافسة ذاتية،

في الجمع بين الأدب والصحافة، وقد نجح أيما نجاح، وكانت له عديد الإصدارات الأدبية القيمة، منها (الرماد الدافئ)، (لقاء مع شهود العصر)، (رسالة إلى والدي)، (ورقات من كتاب العصر).

وتحصل سي محمّد على عدة جوائز وطنية، منها جائزة من الرئيس الراحل هواري بومدين في الثالث من يوليو من عام 1972 لامتيازه في تحرير المقالات والربورتاجات، وتحصل في الخامس من يوليو عام 1987 على جائزة أحسن انتاج ثقافي من طرف الرئيس الشاذلي بن جديد، عمل سي محمّد في فترة التسعينات مستشارا في مختلف هيئات الدولة كما أنه عضو بمجلة المجلس الأعلى للغة العربية، كما ساهم في تأسيس جريدة (صوت الأحرار)، التي كان رئيس مجلس إدارتها وأحد أقلامها البارزين، وتشهد سيرة محمّد سي فضيل بأنه كان مجاهدا في سبيل افتكاك اللغة العربية في منطقة القبائل وفي معهد ابن باديس، وقد برع في خدمة هذه اللغة، في كتاباته الصحفية وإنتاجه الأدبي وحواراته المتألقة، التي أجراها مع كبار الكتاب والأدباء، من أمثال: توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، محمود أمين العالم وزكي نجيب محمود، كما كانت له إسهامات قيمة في الأدب الأمازيغي، منها قراءاته المميزة في شعر محند أومحند وترجمته من الأمازيغية إلى العربية.

ولم تكن السياسة التي مارسها محمّد سي فضيل في صفوف جبهة التحرير الوطني، مناضلا وقياديا، سلطوية أو انتهازية، بل كانت صادقة، لأنه كان متشبعا بقيم رموز الثورة، وقد عاش طيلة حياته ممتنا للشهيد البطل عميروش، الذي كان له الفضل في توجيهه لطلب العلم وفي أن تصبح الكتابة في مسيرته نوعا من الحياة وتجسيدا لصراع الحياة المتطلع دوما نحو الأفضل للإنسان.

اختار المولى أن يأخذ الأستاذ محمّد سي فضيل إلى جواره، في خريف 2019، تاركا وراءه اسما محترما ورصيدا ثقافيا قيما وأقلاما صحفية تكن له خالص التقدير والعرفان، وذرية صالحة، فقد كان جميلا، خلقا وخلقة وذوقا، وكان نموذجا للإنسان الصبور والمتواضع، رغم تفوقه في كل أعماله توفيقا من الله، ويكفي الأستاذ محمّد سي فضيل فخرا أن قلمه كان من ذهب وأن هذا القلم الجميل كان صوتا يصدح بحب الجزائر.

نذير بولقرون

المصادر:

- رحلت قرن، آيت علجت محمّد الصالح.
- معلومات مأخوذة ممن عاشوا وعملوا معه، وعائلة المعنيّ.

محمّد شارف
(1326هـ - 1908م/1432هـ - 2011م)

هو (محمّد شارف بن عبد القادر بن الحاج بن عبد القادر بن الحاج المدني بن الحاج بن حليمة) ؛ من مواليد مدينة (مليانة) التّابعة لولايّة (عين الدفلى) في الغرب الجزائري، ولد سنة: (1326هـ/ 1908م)؛ وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، بفضل ذاكرته القويّة، وتلقى مبادئ علوم الفقه واللغة العربيّة في مدينة (مليانة)، وبعض ضواحيها، ثم سافر سنة: (1351هـ/ 1932م) إلى (الجزائر العاصمة)، وواصل تحصيله العلمي بها، وخلال هذه السّنة تفوق في دراسته بالجزائر العاصمة، ونال الجائزة الدراسيّة بالمدرسة الثعالبيّة بالعاصمة، وفي عام: (1355هـ/ 1936م) تحصل على رتبة (الإمامة)، بعد نجاحه في امتحان كتابي، وشفهي، بيد أنه لم يتمكن من وظيفة الإمامة إلا بعد عام: (1364هـ/ 1945م)، وذلك بسبب تجنيده إجباريا من قبل سلطات الاستدمار الفرنسي أثناء الحرب العالميّة الثانيّة؛ فوقع تحت أسر الألمان خلال الفترة



الممتدة من: (1358هـ/ 1939م)، وإلى غايّة: (1363هـ/ 1944م)، ثم ظل تحت سلطة القوات الفرنسيّة، وبعد عودته إلى الجزائر عُيِّن مؤذناً في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة، ثم أصبح إماماً في جامع (سيدي رمضان) بالقصبة، وفي الجامع الكبير، وبعد استقلال الجزائر عمل الشّيخ (محمّد شارف) في الإمامة، وكان خطيباً متميزاً في عدد من المساجد في الجزائر العاصمة، مثل: جامع كتشاوة، وجامع المدرسة في سيدي امحمّد ببلوزداد، وعمل في مسجد أبي فارس بالقصبة، وفي عام: (1408هـ/ 1987م)، تقاعد من وظيفة الإمامة، ولكنه بقي يقدم دروس الوعظ والإرشاد في مختلف مساجد العاصمة الجزائريّة إلى غايّة عام: (1408هـ/ 2002م)، وقد كان الشّيخ (محمّد شارف) ينشط في مختلف المؤسسات الدينيّة والعلميّة التي تهتم بشؤون الثقافة الإسلاميّة، فكان عضواً ضمن لجنة الفتوى في وزارة الشّؤون الدينيّة خلال سنوات السّتينيات من القرن المنصرم، وعين خلال سنوات الثمانينيات من القرن المنصرم رئيساً للجنة الفتوى التّابعة لنظارة الشّؤون الدينيّة في الجزائر، وكان عضواً في اللجنة العلميّة لنظارة الشّؤون الدينيّة في الجزائر العاصمة إلى آخر أيام حياته.

إن الشّيخ (محمّد شارف) يعد واحداً من كبار العلماء الجزائريين، الذين عُرفوا بخدمتهم للفكر الإسلامي، جالسّ وحاور رواد النّهضة الجزائريّة، وقد أعجبوا به أيما إعجاب، وأثنوا عليه أيما ثناء، أمثال رائد النّهضة الجزائريّة الشّيخ (عبد الحميد بن باديس)، الذي جالسّه وحاوره عدة مرات، وكذلك الشّيخ (محمّد البشير الإبراهيمي)، والعلاّمة (الطيب العقبي)، وقد كان الشّيخ (محمّد شارف) أحد أبرز من أسهموا في النّهضة الدينيّة، والفكريّة الجزائريّة بعد الاستقلال، بفضل الجهود التي بذلها من خلال وزارة الشّؤون الدينيّة والأوقاف الجزائريّة، فهو من المثقفين الموسوعيين، يعتبر بحق رائداً من رواد الفكر الإسلامي الجزائري المعاصر، فقد شغل عدة مناصب مهمة أبرزها: رئاسته للمجلس العلمي لولايّة الجزائر، كما عمل إماماً للجامع الكبير بالجزائر، كما درّس الفقه المالكي وأصوله، وكان عالماً في اللغة العربيّة تتلمذ على يديه عدد كبير من العلماء الجزائريين، والعرب، ومن مختلف الدول الإفريقيّة، والآسيويّة.

والجدير بالذكر أن الشّيخ (محمّد شارف) وأثناء مكوثه في المحتشدات كان يُلقي دروسه على عدد كبير من المسلمين العرب، والأفارقة فتتلمذ عليه في تلك المرحلة العديد من الطلبة، وأفادوا من علمه، ولاسيما في الفقه الإسلامي، وروايّة الحديث، والنّحو العربي، وبعد استقلال الجزائر، شارك في عدة أنشطة، وقدم خدمات جليلة في ميدان الفقه الإسلامي من خلال عمله في وزارة الشّؤون الدينيّة والأوقاف، كما عيّن في رتبة إمام خطيب، وقام بعدة رحلات بغرض نشر الفكر الإسلامي، والإسهام في تعليم اللغة العربيّة، كما كان عضواً نشيطاً في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وشارك في عدة أنشطة علميّة في هذه الجمعيّة، من خلال المساهمة في إعداد النّدوات العلميّة، وتقديم الكثير من المحاضرات العلميّة، والإسهام في تعليم اللغة العربيّة، وعمل في الكثير من مساجد الجزائر العاصمة العريقة، وشارك في تقديم بعض البرامج الإذاعيّة الدينيّة، والحصص التّلفزيونيّة مع الشّيخ الراحل (أحمد حماني)، وقد توفي الشّيخ محمّد شارف، سنة: (1432هـ/ 2011م).

ومن أبرز شيوخه الذين درّسوه: والده الحاج (عبد القادر بن الحاج المدني)، والشّيخ الحاج (ابن سهادة)، والشّيخ (احسين بلحاج بوغرقة)، والشّيخ (محمّد وكال المعسكري الأزهري)، والشّيخ (بن عودة)، والشّيخ (عبد القادر مساعديّة)، والشّيخ (عبد الله الدراجي)، والشّيخ (نور الدين عبد القادر البسكري)، والشّيخ (كحول المعروف باسم محمود بن دالي) .

ومن أبرز تلامذته:

الدكتور (كمال بوزيدي)، والدكتور (نور الدين عباسي)، والدكتور (عمار جيدل)، والدكتور (محمّد دراجي)، والدكتور (الطاهر عامر)، والدكتور (مبروك المصري)، والدكتور (موسى إسماعيل)، والدكتور (محمّد إيدير مشنان)، والدكتور (زين الدين العربي)، والدكتور (إلياس آيت سي العربي) .

ومن أهم مؤلفات الشّيخ (محمّد شارف) :

"الفتاوى"، و"الأمانة وأنواعها"، و"مناسك الحج والعمرة"، و"لغة العرب في القرآن"، و"رسالة في السّدل والقبض في الصلاة"، و"رسالة في القراءات القرآنيّة"، و"مذكرات أسير".

يقول عنه الدكتور (محند إيدير مشنان) : "تضافرت جملة من العوامل التي ساهمت في نشأة الشّيخ محمّد شارف وتحصيله العلمي، ومنها:

– استعداده الفطري وملكته، وقد أعجب شيوخه بذكائه، وتفرسوا فيه النّبوغ والتّفوق، وخاصة والده عبد القادر، والشّيخ بوغرقة، والشّيخ ابن سهادة، والشّيخ محمّد وكال المعسكري.

– حرصه الشّديد على طلب العلم، فقد كان الشّيخ في مرحلة التّحصيل يأخذ عن شيوخه ما تيسر له، حتى إذا اختلى بنفسه أعاد كل ما أخذه عن شيوخه، ثم استرسل في مسائل أخرى لم يذكرها شيوخه في المجلس، ولم يكن يكتفي بما يأخذه عن شيوخه من فنون العلم، بل كان يطرق فنوناً وعلوماً أخرى بدراسة كتبها، والتّدقيق فيها، وكان يُكرر المسائل المستعصيّة ويعيدها ويذاكرها مرات حتى يستوعبها تمام الاستيعاب ويحصل عليها تمام التّحصيل، ويتمكن منها كل التّمكن، وهكذا كان دأبه في طلب العلم، وطريقته في تحصيله.

– الأسرة التي نشأ فيها، فقد كانت متوسطة الحال، مكتفيّة بذاتها، قادرة على توفير جو التّعلم لأفرادها المؤهلين من ذلك، إضافة إلى أن أفرادها كانوا مهتمين بالعلم، مشاركين في فنونه...

– انتقاله وسفره إلى الجزائر العاصمة للإقامة فيها، إذ يسّر له هذا السّفر التّلقي عن شيوخ آخرين استفاد منهم كثيراً[1].

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

– د. محند أويدير مشنان:الشّيخ محمّد شارف، مجلة الثقافة الإسلاميّة، مجلة محكمة نصف سنويّة تعنى بقضايا الفكر والتّراث الإسلامي تصدر عن وزارة الشّؤون الدينيّة والأوقاف الجزائريّة، الجزائر، ، العدد:08، 2012م، ص:189 وما بعدها.

– أحمد حماني: صراع بين السّنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام عبد الحميد بن باديس، الجزء الأول والثاني، منشورات دار البعث للطباعة والنّشر والتّوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط:01، 1405هـ/ 1984م.

د. محمّد سيف الإسلام بوفلاقة:بحوث وقراءات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 1437هـ/ 2016م.

محمّد شعباني
(1353هـ - 1934م/ 1383هـ - 1964م)

الطّاهر شعبان، لكن غلب عليه الاسم الحركي الذي عرف به في الثورة التحريريّة وهو محمد شعباني. مجاهد وقائد ثوري وعقيد في جيش التحرير الوطني الذي تشكل مع الاعلان عن انطلاق الثورة الجزائريّة ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في أول نوفمبر 1954، وقاد الثورة حتى الإعلان عن الاستقلال وتحول في 1962 إلى الجيش الوطني الشعبي. ولد العقيد محمد شعباني، وكان أصغر عقيد في جيش التحرير، في 4 سبتمبر سنة 1934 م بنزلة الشعابنة في بلدة أوماش قرب بسكرة من أسرة تنحدر من عشيرة هَل بن علي التي تعود في نسبها إلى يعقوب بن علي الرياحي شيخ الذواودة في عهد ابن خلدون. تلقى تعليمه الأساسي بمسقط رأسه في أوماش حيث نال قسطا وافرا من التعليم، وحفظ القرآن الكريم حتى صار يؤم الناس في الصلاة وهو في العاشرة من عمره. ثم انتقل إلى بسكرة حيث التحق بالمدرسة المحمديّة التابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ومكث بها قرابة خمس سنوات. خلال هذه الفترة المبكرة من حياته تلقى تعليمه على يد مجموعة من المشايخ المشهود لهم بالعلم، ومنهم الشيخ محمد الغسيري والشيخ خلاف والشيخ أحمد الصغيّر والشيخ فرحات البريكي والشيخ أحمد الوهراني.

ولما شب توجه إلى قسنطينة فأكمل تعليمه بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس التابع لجمعيّة العلماء، حيث درس على يد الشيخ مبارك الميلي والشيخ العربي التبسي والشيخ أحمد حماني والشيخ عبد الرحمن شيبان والشيخ نعيم النعيمي والشيخ رضا حوحو والشيخ محمد الحفناوي. وخلال دراسته بقسنطينة نما وعيه السياسي من خلال اندماجه في النشاط الذي كانت تشهده مدينة قسنطينة على يد الأحزاب السياسيّة التي كانت تموج بها الحياة الوطنيّة في سبيل تخليص الجزائر من نير الاستعمار الفرنسي. وقد أكسبته دراسته في مدارس جمعيّة العلماء توجها وطنيا عربيا إسلاميا.



وفي هذه المرحلة تم تجنيد الشاب محمد شعباني على يد المناضل القدير الأخضر رمضاني وهو منخرط قديم في حزب الشعب وأحد أعضاء المنظمة الخاصة. وتم إلحاقه بخليّة نور الدين مناني في 1955، وهي إحدى الخلايا التي انتشرت حينئذ في بسكرة، وكانت هذه الخليّة تحضر لعمليّة نوعيّة لضرب قطاع السكك الحديديّة، وتركت تلك العمليّة بعد تنفيذها صدى كبيرا في المنطقة. وشارك في تنفيذها مناضلون أصبح بعضهم من كبار قادة الولايّة السادسة التاريخيّة وهم نور الدين مناني ومحمد جغابة وأحمد خبزي وعلوي حفناوي ومحمد شعباني وصديق شعباني وسعيد بن الشايب. ولما وجهت جبهة التحرير الوطني نداء للطلبة للالتحاق بالثورة في منتصف سنة 1956 لبى محمد شعباني النداء والتحق بصفوف جيش التحرير بمنطقة بسكرة خاصة وأنه عبر بالملموس عن استعداده للتضحيّة في سبيل الوطن عبر مشاركته في عمليّة السكك الحديديّة، فتم إلحاقه مباشرة بمكتب العقيد أحمد بن عبد الرزاق المعروف سي الحواس قائد الولايّة السادسة التاريخيّة نظرا لمستواه الثقافي المميز واستعداده للعمل الميداني. وصار كاتبا مساعدا للعقيد سي الحواس، ورقي إلى رتبة ملازم. وفي شهر أبريل سنة 1958 م أصبح ضابط أول سياسي. وفي سنة 1959 م تم تعيينه على رأس المنطقة الثالثة، ضمن الولايّة السادسة، والتي كان مركزها مدينة بوسعادة.

كان استشهاد العقيد سي الحواس رفقة العقيد عميروش قائد الولايّة الثالثة التاريخيّة، في 29 مارس 1959 بمنطقة جبل ثامر قرب عين الملح جنوب مدينة بوسعادة، ضربة كبرى للكفاح المسلح في الولايّة السادسة. فقد استشهد في نفس الوقت العديد من الضباط الكبار في الولايّة كالرائد عمر إدريس الذي كان نائبا لسي الحواس وكذا الرائد محمد العربي بعرير والرائد محمد الشريف بن عكشة وغيرهم. وبعدها ببضعة أشهر استشهد الرائد سي الطيب الجغلالي الذي عين على رأس الولايّة خلفا للعقيد سي الحواس. فكان لزاما أن يتحمل جيل من القادة الشباب المسؤوليّة وتم تكوين مجلس رباعي لقيادة الولايّة يضم الضابط الثاني علي بن المسعود قائد المنطقة الأولى والضابط الثاني سليمان لكحل قائد المنطقة الثانيّة والضابط الثاني محمد نشر الدكتور (محمّد صوالح) نصّ القصيدة باللغة العربيّة، ثمّ ترجمها إلى اللغة الفرنسيّة وكتب عليها تعليقات، وذكر أنّها بعثت إلى السّلطان بايزيد العثماني بقصد الاستغاثة، غير أنّه لم يهتد أيضا إلى قائلها، فكتب أسئلة متعلّقة بها، وأرسلها إلى الأدباء وبعض المستشرقين في تلمسان والجزائر وفاس والرّباط وتونس، يطلب منهم العون في التّعرف عن قائلها، وقد نشر أحد أصدقائه مجموع الأسئلة المرسلة ونتفا من القصيدة مجاملة له في مجلة الزّهراء التونسيّة، وطلب من القرّاء موافاته بمعلومات عن صاحبها غير أنّه لم ينل طائلا، وخمد الموضوع مع قيام الحرب العالميّة الأولى، واشتغال النّاس بآثارها،

وبعد اثنين وعشرين سنة أرسل الأديب عبد الرّحمن حجي المغربي القصيدة إلى مجلة الرّسالة فنشرتها في عددها 131 بتاريخ 11شوال 1354هـ الموافق 6 يناير 1936م، تحت عنوان (رثاء الأندلس لشاعر أندلسي مجهول)، وقدّم لها بقوله: "قصيدة بليغة من الأدب الأندلسي الرّائع، تصف أحسن وصف المأساة الأندلسيّة".

أشرتُ إلى هذه الشّخصيّة العلميّة المغمور تاريخها، كأنموذج للدلالة على أنّ هذه الفئة من النّخب الوسيطة، تتمتّع بقدر كبير من الثقافة والتعليم، وإن استفاد المستعمر من قدراتها واستغلّها لصالحه، فهذا لا يعني أن نتعسف في الحكم عليها؛ لأنّ جزءا منها يرى أنّ تحقيق أي مكسب من الاحتلال، إنّما يتمثل في استغلال أدواته المتاحة، وخاصة وسائل النّشر ومراكز التعليم، بغيّة إحياء التراث الجزائري والتعريف به.

شعباني قائد المنطقة الثالثة والضابط الثاني محمد بوصبيعات قائد المنطقة الرابعة، وعهد بقيادة هذا المجلس للضابط الثاني محمد شعباني. وفي سنة 1961 م تم إسناد قيادة الولاّية السادسة إلى محمد شعباني مع ترقيته إلى رتبة عقيد في جيش التحرير الوطني، وذلك بتوجيه من كريم بلقاسم بوصفه وزير القوات المسلحة في الحكومة المؤقتة. وخلال توليه قيادة الولاّية السادسة تم توسيع رقعة العمليات العسكريّة ضد الوجود الاستعماري الفرنسي إلى الجنوب الكبير بالتوازي مع التصدي للحركة المناوئة التي قادها محمد بلونيس في الولاّية، سيما وأن هذه المنطقة كانت تسعى فرنسا لفصلها عن الجزائر بعد اكتشاف ما تختزنه من ثروة هائلة من النفط والغاز، وهو ما جعلها تشكل نقطة حساسة ضمن المفاوضات التي أدت إلى استقلال الجزائر.

وبوصفه قائدا للولاّية السادسة التاريخيّة وقف العقيد شعباني إلى جانب أحمد بن بلة في مؤتمر طرابلس وبتلك الصفة، أشرف على تنظيم الاجتماع الذي عقد ببوسعادة في 30 أوت 1962م، بحضور العقيد هواري بومدين قائد الأركان، لتوحيد قوات الجيش.

وبعد الاستقلال، برزت العديد من الخلافات كان العقيد شعباني طرفا فاعلا فيها. وكان من أبرز القضايا التي زادت من حدة تلك الخلافات هي ما يعرف بقضيّة "الفارين من الجيش الفرنسي"، حيث رافع شعباني أمام المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني المنعقد في الفترة من 16 إلى 21 أبريل 1964 م ضد منحهم مسؤوليات ساميّة في الجيش الوطني الشعبي ودعا إلى "تطهير صفوف الجيش الوطني الشعبي" منهم وهو ما لم يتقبله العقيد هواري بومدين وزير الدفاع الوطني بوصفه هو من يتحمل مسؤوليّة وضعهم في المراتب القياديّة. كما كان إنشاء هيئة أركان الجيش الوطني الشعبي في 4 مارس 1964 م والذي تم بموجبه إعادة هيكلة النواحي العسكريّة وتقسيم البلاد إلى خمس مناطق عسكريّة وتعيين قادة جدد على رأس المناطق المستحدثة بديلا للولايات التاريخيّة، حيث أدمجت الولاّية السادسة ضمن الناحيّة العسكريّة الرابعة وصار مقرها ورقلة، وعين على رأسها الرائد عمار ملاّح.

على خلفيّة الصراعات التي كانت تطبع جزائر ما بعد الاستقلال، عاد العقيد محمد شعباني إلى بسكرة واعتزل بمسكنه، وهو ما نُظِر إليه كتمرد عن أوامر القيادة العليا. وفي 8 جويليّة 1964 تم اعتقاله بمنطقة الخبانة شرق بوسعادة بعد توجيه العديد من التهم له من بينها "التمرد" و"الخيانة". وتم تسليمه لقوات الدرك الوطني الذي كانت تحت قيادة العقيد أحمد بن الشريف أحد أعضاء المحكمة العسكريّة التي شكلت لمحاكمته، فتم نقله إلى وهران حيث مقر المحكمة الثوريّة التي حكمت عليه بالإعدام. وفي يوم بلوغه الثلاثين سنة من عمره في 3 سبتمبر 1964 م، تم تنفيذ الحكم فيه ودفن بوهران. ثم نقل جثمانه إلى مربع الشهداء بمقبرة العاليّة بعد أن أصدر الرئيس الشاذلي بن جديد في بدايّة الثمانينات قرارا يعيد له الاعتبار. وتخليدا لجهاده في سبيل الجزائر، تم تسميّة العديد من أحياء المدن والمؤسسات المدرسيّة باسمه كما أطلق اسمه على أحد الشوارع الرئيسيّة في العاصمة.

عامر بغدادي

المصـــادر:

- التقرير الجهوي للولاّية السادسة التاريخيّة،
- أسرار الكولونيل شعباني، فاروق معزوزي، الشروق نيوز. 2017

colonel chaabani kamel chehrit alger– livre éditions

محمّد صوالح
(1358هـ -1940م/1430هـ -2009م)

ولد الدكتور محمّد صوالح في بلدة (فرندة) ولاّية تيارت، وهو من الفئة المثقفة التي أخذت حظّها من التكوين في المدرسة الفرنسيّة، وفي الغالب أنّه من تلامذة محمّد بن أبي شنب، وحدود المعلومات المتوفرة عنه لا تمثل إلّا شذرات قليلة، استخلصها الدكتور أبو القاسم سعد الله من خلال تتبعه لآثاره في المجلة الإفريقيّة، فلا نعرف تاريخ مولده أو وفاته، فهو من أستاذة مدرسة ترشيح المعلمين، ومن الكتّاب الأساسيين الذين استعانت بهم الجمعيّة العلميّة الفرنسيّة في إعداد الدراسات التي كانت تصدرها المجلة الإفريقيّة، ورتّبه الدكتور أبو القاسم في فئة الماسونيين، أمثال إسماعيل حامد وأحمد بن بريهمات وابن التهامي، وحكم عليه حكما قاسيا مقارنة مع غيره، فقال: " إنّ كتاباته تدل على أنّه أقرب إلى الاستشراق منه إلى مؤلّف مسلم.. ومؤلفاته تصب في تعريف الفرنسيين

بخواص وخصائص المجتمع من تقاليد ودين وعقائد"، كان الدكتور محمّد صوالح) يميل إلى العمل في إحياء التراث الجزائري والتعريف به بلسان المستعمر كأستاذه ابن أبي شنب، وألّف بعض الكتب في طرائق التعليم، منها كتاب (مدرسي تعليمي) بالاشتراك مع فلوري، وآخر بعنوان (طريقة عمليّة لتعليم العربيّة الفصحى)، وله مؤلّف عن حياة إبراهيم بن سهل، ونشر عدّة دراسات في المجلة الإفريقيّة تخص المجتمع الأهلي والشّعر الشّعبي.

لم يشر الدكتور أبو القاسم إلى قصيدة هامّة اعتنى بها الدكتور محمّد صوالح، وهي مرثيّة شعريّة أندلسيّة انتشلها من الضياع، تتكون من مائة وأربع وأربعين بيتا، ومطلعها: " سلامٌ كريمٌ دائمٌ متجددٌ... أخصُ به مولاي خير الخليفة "، قالها شاعر موريسكي مجهول، كَظَّ الغَيظُ صدره بعد أن تهاوت دويلات الأندلس وانفراط عقدها تِباعًا، فهي تمثل تراجيديا تلخص مأساة هذه المدن التي سقطت في أيدي المسيحيين في مرحلة الاسترجاع كما سمّاها المؤرّخون الإسبان، وأرسل قصيدته إلى شمال إفريقيا مع شخص يدعى (داود)، وفي ضمنها رسالة يطلب فيها مساعدة المسلمين وتخليصهم من معاناتهم، غير أنّ الإسبان اعتقلوا (داود) وأخذوا ما يحمله من وثائق، اختفت المرثيّة لتظهر ترجمة نثريّة لها في كتاب) وقائع ثورة الموريسكيين (تأليف لويس مارمول كارباخال، ثمّ قام (فون شاك) بنقل نصّها النّثري في كتابه (الفنّ العربي في إسبانيا وصقليّة)، وقال : " ربما كانت آخر قصيدة شعريّة عربيّة ولدت على أرض إسبانيا ".

نشر الدكتور (محمّد صوالح) نصّ القصيدة باللغة العربيّة، ثمّ ترجمها إلى اللغة الفرنسيّة وكتب عليها تعليقات، وذكر أنّها بعثت إلى السّلطان بايزيد العثماني بقصد الاستغاثة، غير أنّه لم يهتد أيضا إلى قائلها، فكتب أسئلة متعلّقة بها، وأرسلها إلى الأدباء وبعض المستشرقين في تلمسان والجزائر وفاس والرّباط وتونس، يطلب منهم العون في التّعرف عن قائلها، وقد نشر أحد أصدقائه مجموع الأسئلة المرسلة ونفا من القصيدة مجاملة له في مجلة الزّهراء التونسيّة، وطلب من القرّاء موافاته بمعلومات عن صاحبها غير أنّه لم ينل طائلا، وخمد الموضوع مع قيام الحرب العالميّة الأولى، واشتغال النّاس بآثارها، وبعد اثنين وعشرين سنة أرسل الأديب عبد الرّحمن حجي المغربي القصيدة إلى مجلة الرّسالة فنشرتها في عددها 131 بتاريخ 11شوال 1354ه الموافق 6 يناير 1936م، تحت عنوان(رثاء الأندلس لشاعر أندلسي مجهول)، وقدّم لها بقوله: " قصيدة بليغة من الأدب الأندلسي الرّائع، تصف أحسن وصف المأساة الأندلسيّة ".

أشرتُ إلى هذه الشّخصيّة العلميّة المغمور تاريخها، كأنموذج للدلالة على أنّ هذه الفئة من النّخب الوسيطة، تتمتّع بقدر كبير من الثقافة والتعليم، وإن استفاد المستعمر من قدراتها واستغلّها لصالحه، فهذا لا يعني أن نتعسف في الحكم عليها؛ لأنّ جزءا منها يرى أنّ تحقيق أي مكسب من الاحتلال، إنّما يتمثل في استغلال أدواته المتاحة، وخاصة وسائل النّشر ومراكز التعليم، بغيّة إحياء التراث الجزائري والتعريف به.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1. د.محمّد صالح الجابري: التّواصل الثّقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:01، 1990م.
2. د.محمّد صالح الجابري: الأدب الجزائري في تونس، منشورات المؤسّسة الوطنيّة للترجمة والتّحقيق والدّراسات، (بيت الحكمة)، تونس، 1991م.

محمّد صالح الجابري
(1358هـ -1940م/1430هـ -2009م)

هو (محمّد صالح الجابري)؛ وُلد سنة: (1358هـ/ 1940م) بمدينة (توزر) بالجنوب التّونسي، ودخل الكتاب في سن مبكر، وبدأ تعليمه كبقيّة الأطفال في مدينته في الكُتّاب فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة الابتدائيّة بمسقط رأسه سنة: (1365هـ/ 1947م)؛ فتابع دراسته بمدرسة (ابن شباط) الابتدائيّة بمدينة (توزر) إلى غايّة سنة: (1372هـ/ 1953م)؛ حيث واصل الدّراسة بالمعهد الثّانوي بمدينة (توزر)، وتخرّج منه عام: (1376هـ/ 1957م)؛ ثم انتقل إلى تونس العاصمة لمواصلة دراسته بالزّيتونة، وحصل على شهادة التّحصيل، وبعدها اشتغل مدرّساً في الابتدائي لعدّة سنوات، والتّحق بمعهد ابن خلدون بالعاصمة التّونسيّة، وتخرج منه سنة : (1381هـ/ 1962م)، وفي السّنة نفسها انخرط في سلك التّعليم الثّانوي؛ فعمل في كل من مدينتي:(توزر)، و(تونس العاصمة)، وقد عُرف الرّجل بكفاحه وصبره وعصاميته؛ فقد تحمل مشاق السّفر بمفرده إلى (بغداد) طلباً للعلم والمعرفة؛ حيث سافر إلى بغداد سنة : (1386هـ/ 1967م)للدراسة الجامعيّة، على حسابه الخاص، والتّحق بكليّة الآداب في السّنة نفسها، وتخرّج منها مُجازاً في الأدب العربي سنة: (1390هـ/ 1971م)؛ عاد إلى وطنه(تونس)، وعمل أستاذاً للغة العربيّة وآدابها بثانويّة (المنستير)؛ثم طمحت نفسه لاستكمال الدّراسة الجامعيّة، فالتّحق بمعهد اللُّغة العربيّة وآدابهابجامعة الجزائر سنة : (1396هـ/ 1977م)، وسجل موضوع الدّكتوراه

عن: (محمود بيرم التّونسي)، بإشراف الباحث الجزائري الدّكتور(عبد الله ركيبي)، وناقشه سنة : (1399هـ/ 1980م)؛حيث حصل على شهادة الدّكتوراه من الجزائر، وقد انتدب الدّكتور (محمّد صالح الجابري) إلى وزارة الثّقافة بتونس، لإدارة مصلحة الآداب، ثم عُيّن مديراً للمركز الثّقافي التّونسي بطرابلس الغرب، وعند انتقال الجامعة العربيّة من(القاهرة) إلى (تونس)، التّحق الجابري بالمنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم (الالسّكو)؛حيث أشرف على إدارة الثّقافة، وظل يعمل فيها باحثاً بارزاً إلى أن وافته المنيّة يوم : الجمعة (26جمادى الآخرة1430هـ)، الموافق لـ(19يونيو-جوان2009م).

ومن أهم دراساته النّقديّة، نذكر: (الشّعر التّونسي المعاصر خلال قرن)، و(محمود بيرم التّونسي في المنفى: حياته وآثاره)، و(القصة التّونسيّة أوائلها وروادها)، و(رحلات الأدباء التّونسيين إلى الجزائر)، و(ديوان الشّعر التّونسي الحديث)، و(دراسات في الأدب التّونسي الحديث)، و(يوميات الجهاد الليبي في الصّحافة التّونسيّة)، و(النّشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس)، ومن إسهاماته الإبداعيّة:روايات (يوم من أيام زمرا)، و(البحر ينشر ألواحه)، و(ليلة السّنوات العشر)، وقصص (إنه الخريف يا حبيبتي)، و(الرّخ يجول في الرّقعة)، ومسرحيّة (كيف لا أحب النّهار).

والمتأمل في أعمال الجابري الإبداعيّة يخرج بجملة من الملاحظاتوالأحكام، من بينها أنه رائد من رواد الواقعيّة في التّجربة السّرديّة في المغرب العربي؛ فأغلب أعماله مستوحاة من تجاربه الخاصة، وشخصياته مستمدة من النّاس الذين خامرهم في حياته، ونُلفت الانتباه إلى عمل جبار ومشروع ضخم أشرف عليه الرّاحل، وهو: (موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين)، والذي أشرف عليه في إطار أبحاثه لفائدة المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم (الألكسو)، فقضى من أجله ما يزيد عن ثلاثين عاماً في البحث والتّنقيب، خدمة للثقافة العربيّة، وقد صدر منه لحد الآن تسعة عشر مجلداً، ومن المهام التي تولاها الفقيد:كاتب عام لرابطة القلم الجديد، وعضو في جمعيّة القصة والرّوايّة لاتّحاد الكتاب التّونسيينواتّحاد الكتاب العرب.

إن الأديب والباحث الأكاديمي الدّكتور(محمّد صالح الجابري) واحد من المثقفين، والباحثين الذين قدموا خدمات جليلة للثقافة العربيّة في المغرب العربي، وللأدب الجزائري، والثّقافة الجزائريّة؛فقد كان شُعلةً وضاءة لا تخبو، وجذوة مُتوقدة لا تنطفئ، وقامة سامقة من قامات العلم والمعرفة، وجسراً من جسور التّواصل الثّقافي بين أقطار المغرب العربي؛ يتضح ذلك جلياً عندما نرى نشاطاته الجمة، وأعماله الكثيرة، وإنتاجه الغزير المتلاحق؛فهو وجه مشرق من وجوه الثّقافة التّونسيّة المشرقة، وملمح ناضر من ملامحها النّاضرة؛ حيث إنه كان واحداً منالمثقفين الموسوعيين؛ يُعدّ بحق رائداً من الرّواد، وعلماً من الأعلام الجادين الذين جمعوا بين شغف البحث العلمي، وجماليات الإبداع الفني، وعمق الرّؤيّة الفكريّة، ومن يرغب في إدراج الجابري وتصنيفه فإنه سيُدرجه ضمن أولئك الكُتاب القلائل الذينتستهويهم الثّقافة الموسوعيّة، فلم يجعل يراعه حكراً على جنس أدبي معين؛فقد ألف الكثير من الدّراسات النّقديّة، وكتب القصة والرّوايّة والمسرحيّة، وثابر بكل جد وجهد وعلو همة، من أجل خدمة الثّقافة الجزائريّة ، وإذاعة صيتها في مختلف الأقطار العربيّة، ومن آثاره الهامة التي تشهد على حُبه وعشقه للأدب الجزائري؛ كتابه الموسوم ب: (الأدب الجزائري في تونس)، الذي هو بمنزلة موسوعة شاملة، بذل من خلالها الباحث جهداً علمياً كبيراً، لا ينهض به إلا أصحاب الهمم العاليّة، فقد ألف ذلك الكتاب الموسوعة مُقدماً من خلاله خدمة جليلة للباحثين والدّارسين الجزائريين، مُعبداً لهم الدّروب، وفاتحاً لهم الآفاق، وقد أثنى على ذلك الكتاب الكثير من كبار الأدباء والنّقاد الجزائريين، فكتبوا منوهين بمستواه العلمي، وعمقه الفكري، ومن بينهم الدّكتور عبد الله ركيبي الذي أصدر قراراً وتوصيّة بدعم طباعته، وتعميمه على كل الجامعات، والمعاهد العليا في الجزائر، فلا يُمكن لأي دارسٍ للأدب الجزائري، أن يتجاوز تلك الموسوعة الشّاملة، والتي ألفها الأديب الرّاحل بسبب حبه وإعجابه بالأدب الجزائري، ورغبةً منه في خدمته، والإعلاء من شأنه، وكي يُلملم شتاته المتناثر في شتى الصّحف والمجلات القديمة، ويذكر لنا أسباب تأليفه لذلك الكتاب، وما بذله من جهود في سبيله بقوله: (وإن السّبب في إنجاز هذه الدّراسة يعود أساساً إلى غايتين، أولاهما أن أساعد الدّارسين الجزائريين المتطلعين إلى استيفاء مصادر أدبهم، على الكشف عن بعض الصّفحات المجهولة حقا من أدبهم، وُأنصف أولئك المبدعين الذين كان لهم شرف إرساء المعالم الأولى للأدب الجزائري الحديث، في صمت وفي ظروف عويصة مفعمة بالإحباط والخيبة، والحرمان، والعنت، وشظف العيش، وثانيهما إعجاب شخصي بهذا التّراث الأدبي الذي لم يُركز على تناول قضايا الجزائر في تلك المرحلة الحرجة فحسب، وقد كانت الجزائر أحوج ما تكون إلى من يُعرّف بها وبقضيتها، ولكنه كان يحمل قضيّة المغرب العربي بكل تبعاتها وأوزارها، وقضيّة العروبة بمشاغلها ومشاكلها، وقضيّة الأمة الإسلاميّة بما فيها من أحزان ويأس وتشتت....وما من شك في أن المصدر الأوحد لهذا التّراث الأدبي هو الصّحافة والمجلات، على وفرتها وتعددها، مما اضطرني إلى متابعة مئات الصّحف، وتصفح بضعة آلاف من الصّفحات، ومع كل ما يعانيه أي باحث قدّر عليه أن يتصيد مصادره من المجهول فإنني أعتبر نفسي محظوظاً إذ أُتيت بهذا الحصاد الأدبي الوفير، ولقد تعاظمت سعادتي حين أدركت أن الكثير من هذا الأدب الذي استفدتُ منه في وضع هذه الدّراسة لم يكن معروفاً لدى الباحثين، كما لم يكن من اليسير بلوغه من مظانه التّونسيّة المتشعبة والمبعثرة بين عدد من المكتبات، ودور التّوثيق، والدّور الخاصة، ولربما ساعد ظهور هذا الإنتاج الأدبي الجزائري على إعادة النّظر إلى بعض الدّراسات، التي لم تتوفر لها كل المصادر عن هذا الأدب، وخاصة المصادر التّونسيّةالتي يمكن التّأكيد بأنها على جانب لا يُستهان به

من الأهميّة، وباعتبار أن هذا التّراث الأدبي يؤلف في مجاله الزّمني، وفي حدود المرحلة التّاريخيّةالتي تأثر بها وتناولها وعايشها وأسهم في معالجة قضاياها صورة متكاملة عن واقع تلك المرحلة، فقد قمت بدراسة هذا التّراث في إطار تلك المرحلة، دون أن أغفل الاستفادة مما أتيح لي العثور عليه من مصادر أدبيّة حديثة تناولت الأدب الجزائري أو الفكر الجزائري بصورة عامة، أو تناولت الشّخصيات التي عاشت هذه الحقبة الزّمنيّة، على أني لمست حقيقة ثابتة لابد من إبرازها وهي أن القضايا والمشكلات التي عالجها هذا الأدب في مرحلة المحنة الاستعماريّة ما تزال متجددة في الأدب الجزائري الذي تلا مرحلة الأساس هذه، وهو ما يُوحي بأن المقومات الفكريّة للشخصيّةالثّقافيّة الجزائريّة ظلت مؤسّسة على حب الوطن، والإخلاص له، والاعتزاز بالانتماء إلى العروبة والإسلام، وأنه لولا هذه الثّوابت من المقومات، ولولا أولئك الرّجال الأفذاذ الذين نذروا أقلامهم، وكرسوا حياتهم للدفاع عن الشّخصيّة الجزائريّة، وجذورها العربيّة الإسلاميّة، لما أمكن لهذا الجيل الأدبي الجديد أن يقفز قفزته الحاليّة ليكون في مستوى ما يكتبه أدباء الأقطار العربيّة الأخرى الذين لم يعانوا مثل المحنة الجزائريّة نفسها).

وفي ختام هذا البحث الذي تناول (الأدب الجزائري في تونس) من سنة: (1900–1962 م)، استخلص الباحث (محمّد صالح الجابري) العديد من النّتائج، من بينها:

(أن الدّافع الأساسي الذي حذا بالكتاب الجزائريين إلى أن ينشروا إنتاجهم في الصّحف التّونسيّة هو الرّقابة الصّارمة التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الصّحافة الجزائريّة، وعلى الإنتاج الأدبي الجزائري الذي كان يناهض الاستعمار، فوجد الكتّاب الجزائريون–سواء منهم الذين كانوا يقيمون بالجزائر ويراسلون الصّحف التّونسيّة أو الذين كانوا يقيمون بتونس لغرض الدّراسة والتّعلم– في الصّحافة التّونسيّة متنفساً مكّنهم من أن يعبّروا عن آرائهم شعراً ونثراً، ويتوجهوا بها إلى القارئ الجزائري والتّونسي على السّواءالذي كان على صلة بهذه الصّحافة.

ثانياً: أن هذا الإنتاج ظل متواصلاً منذ صدورأوّلمقالة فكريّة في سنة1907إلى سنة1962 م، سنة استقلال الجزائر بدون انقطاع مع تنوّع وتطور، فمن المقالة السّياسيّة إلى البحث الأدبي والفكري، إلى العطاء الإبداعي من شعر وقصّة وروايّة.

ولم يتأثر هذا التّواصل إلا في الفترات التي تعرضت فيها الصّحافة التّونسيّة إلى التّعطيل من قبل السّلطات الاستعماريّة، وفي فترتي الحربين العالميتين حيث احتجبت الصّحافة ردحاً من الزّمن.

كما أن هذا الإنتاج كان متعدد المصادر حيث لم يلتزم الكتّاب الجزائريون نشر إنتاجهم في صحيفة أو مجلّة واحدة، وإنما نشروا في معظم الصّحف والمجلات التي ظهرت طيلة هذه الفترة، باستثناء الصّحف والمجلات المشبوهة التي كانت توالي الاستعمار.

ثالثاً: التّزم هذا الإنتاج منذ ظهوره التّعبير عن واقع الجزائر ومحنتها وبؤسها وتوقها وطموحها، فصوّر لنا في جميع ما نشر منه حالة الشّعب الجزائري الاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة، كما حمل الدّعوة إلى الاستنهاض والتّثوير، وتخليد الذكريات الوطنيّة، والتّنويه بالمواقف البطوليّةالتي وقفها هذا الشّعب.

كما التّزم في مرحلة اندلاع الثّورة مساندة هذه الثّورة، واستلهم من بطولاتها وأحداثها معظم القصائد والقصص والمسرحيات والرّوايات، للتعريف بهذا الكفاح الجماعي البطولي الذي خاضه الشّعب الجزائري في القرى والمدن وشعاب الجبال.مثلماالتّزم هذا الإنتاج التّعبير عن واقع الحركة الوطنيّةالتّونسيّة، وكان مثلاً للوفاء والعرفان، وكان صورة صادقة من نفسيّةالجزائري، وشعوره بالإخاء وبالتّضامن مع محنة أشقائه التّونسيين رغم ما كان يتعرض إليه في تلك الظّروف القاسيّة من اضطهاد وبطش واجتثاث على يد المستعمر الفرنسي.

رابعاً:انطلق هذا الإنتاج منذ ظهوره منطلقاً وطنياً وقومياً وإسلامياً لتأكيد انتساب الجزائر إلى العروبة والإسلام، ومقاسمتها المحنة والآلام مع شقيقاتها الدّول العربيّة والإسلاميّة، فكانت لهذا الإنتاج مواقف من حروب التّحرير التي خاضتها الأمة العربيّة على امتداد رقعتها الجغرافيّة، وخاصة الأقطار المغربيّةالتي كانت تعاني نفس المحنة، وتتعرض لنفس البلاء الاستعماري.

ومن بين كتب الباحث الدّكتور (محمّد صالح الجابري) المتميزة، كتاب: (التّواصل الثّقافي بين الجزائر وتونس)، الذي يُعد من أهم الأسفار التي تناولت العلاقات الثّقافيّة بين البلدينبالدّرس والتّحليل، والرّصد الشّامل، ومن أهم الدّراسات التي ضمها هذا الكتاب الثّمين بين دفتيه: أصداء جهاد الأمير عبد القادر في الصّحافة التّونسيّة، ورحلات الأدباء التّونسيين إلى الجزائر، ومبارك الميلي والصّحافة التّونسيّة، واحتفالات تونس بذكرى الشّيخ عبد الحميد بن باديس.

.

محمّد بسكر

المصادر:

- مفهوم الإصلاح بين الأفغاني وعبده، خير الدّين حمادي، جريدة الشّعب، العدد: 5619، بتاريخ 22 نوفمبر 1981م.
- محمّد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده.

المدرسة الإصلاحيّة والتجديد: مجلة البيان، العدد 10، ص09.

محمّد عبد الرّحمن السّكوتي
(1285هـ - 1865م / 1333هـ - 1912م)

الشّيخ محمّد عبد الرّحمن السّكوتي الملايخافي من القبيلة الشّهيرة بأولاد ملايخاف.

ولد سنة (1285هـ/ 1865م) بقريّة (ساهل) في (أقبلي) (بأولف) ولايّة (أدرار)، توفّي أبوه فتربّى في كنف أخواله، في عائلة علم وقرآن. قرأ القرآن على مشايخ القريّة وحفظه في صباه، وحضر مجالس العلماء والمشايخ الّذين كانت تزخر بهم بلاد توات، فلزم خاله الفقيه العالم (الحاجّ حمزة بن الحاج أحمد) الّذي يعد عميد علماء تلك النّاحيّة متعلّما الفقه والحديث وعلوم اللّغة والفرائض والحساب حتى أصبح من العلماء الأعلام، وقد كتب له شيخه (حمزة) إجازة شاملة، كما أجازه الشّيخ (عمر بن عثمان) الّذي أخذ عنه الحديث والفقه والتّفسير.

بعد رحلته العلميّة الأولى التي طاف خلالها قصور (ساهل) وما حولها، اضطرّته الظّروف ليجمع بين التّجارة وتبليغ العلم، فساقه القدر إلى بلدة (الرّويسات) في قلب (ورگلة) التي مرّ بها في طريق تجارته نحو (الجريد التّونسي) فكان أوّل نزوله عند عرش (أولاد إبراهيم)، وحين قابله (علي بن إبراهيم بن ساسي) في قصر الرّويسات توسّم فيه خيرا ودعاه للبقاء عنده إماما معلّما مرشدا، ورغم إصرار الشّيخ (علي بن إبراهيم) فإنّ الشّيخ السّكوتي اعتذر ووعده بالعودة بعد إتمام مهمّته التّجاريّة واستئذان أمّه وأخواله في العودة إلى (ورگلة)، وقد تمّ ذلك في حدود سنة (1907م)، وفي (الرّويسات) وجد ترحابا وإقبالا كبيرين، وكعربون للمحبّة والإكرام فقد أهداه (الحاج علي بن إبراهيم) سطرين من النّخيل في غابة بين (الرّويسات) و(بني ثور)، وسرعان ما أخذت تلك الغابة اسم (عين السّكوتي) حين تفجّرت بها مياه السّقي والشّرب سنة، (1924م)، ولم تطلّ إقامته (بالرّويسات) ليتحوّل إلى قصور مدينة (ورگلة) لحاجة المنطقة له، وهناك كان يبعث أنوار علمه وفكره محاربا بدعا كثيرة وانحرافات خطيرة بروح علميّة إصلاحيّة.

تتلمذ على يدي الشّيخ (عبد الرّحمن السّكوتي) جيل من العلماء في أماكن كثيرة صاروا بعده أساطين علم ودعوة وإرشاد خصوصا في (ورگلة) التي طالتّ إقامته بها، فقد أخذ عنه (الحاج علي بن إبراهيم) الّذي آواه وأكرمه حين قدومه لورگلة، و(سليمان بن إبراهيم) و(الشّيخ محمّد ناجي قريشي) و(الطّالب النّوّي حقيقة) والرّحّالة (الحاج عمر حقيقة) وغيرهم، وحين انتقل إلى قصر (ورگلة) اتّصل به الشّيخ (محمّد بن الحاج عيسى) مباشرة بعد توجّه شيخه (عبد القادر بن الحاج النّعيمي) من (الرّويسات) إلى كلّ من (القرارة) و(الأغواط) كما حضر مجالس علمه كل من الشّيخ (دادنة) والشّيخ (بريقش) والشّيخ (بحوص بونوة) والحاج (إبراهيم المخدمي) وكذا الشّيخ الإمام (قريشي النّقوسي) والحاج (قدّور خيراني)، كما أخذ عنه العلوم والمعارف ابن بلدته الشّيخ (محمّد عبد القادر بلعالم) والد الشّيخ (محمّد باي بلعالم) وآخرون.

لقد قام العلاّمة (السّكوتي) بدعوة إصلاحيّة (بورگلة) ضد الخرافات التي كانت آنذاك سائدة في تلك المنطقة وخصوصا في القصر، وقد أيّده على نصرّة الحقّ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر تلامذته الأبرار، وعلى رأسهم (الحاج علي بن إبراهيم) وإخوانه، وتلميذه الفقيه الشّيخ (السّيد الحاجّ محمّد بن الحاج عيسى) وجماعة من (الرّويسات) و(بني ثور) و(ورگلة) و(القصر) و(عجاجة) و(أنقوسة)، وبفضله انتصر الحق على الباطل، والعلم على الجهل، والنّور على الظّلمة، ولقد وجد في أهل (ورگلة) من التّأييد والمحبّة لدين الله ما لا يكاد يوجد في أيّ ناحيّة من نواحي الجنوب.

لقد ترك الشّيخ السّكّوتي علما زاخرا، ومن أبرز ما كتب كتابه القيّم في علم المنطق الذي لا يزال ضائعا إلى اليوم، كما ترجم الشّيخ علومه ومعارفه إلى أراجيز ومنظومات شعريّة بليغة أهمّها:

أرجوزة في علم الفرائض سمّاها (جوهرة الطّالب في علمي الفروض والحساب)، مطلعها:

باسم الاله والصّلاة والسّلام
على النّبي والآل والصّحب الكرام
وبعد حمد وارث الأرض ومن
له البقا وليس يفنيه زمن
فأجدر العلوم علم الإرث
بالنّظر السّديد أو بالبحث
حضّ على تعليمه خير الورى
للنّاس بعد علمه بلا امترا
سمّيته جوهرة الطّلاّب
في علم الفرائض والحساب

وعدد أبياتها (180) بيتا، تولّى شرحها العلاّمة الشّيخ (محمّد باي بلعالم) رحمه الله في مؤلّف بديع سمّاه (كشف الجلباب على جوهرة الطّلاّب) وهو من مؤلّفات الشّيخ باي المطبوعة.

قصيدة رائعة للرّد على منكري علم التّجويد والطّعن في أهل المغرب يقول فيها:

فإنّ لحوم أهل العلم سمّ
لآكلها مجلبة العذاب
وأهل الغرب قام الدّين حقّا
بهم وحموه من أهل التّباب
كفى جهلا وتوبيخا لمن لم
يكن يدري لتجويد الكتاب
ورتّل مع لتقرأه على مكث
دليل ظهر دون ارتياب

وله قصيدة في مدح أهل (إينّغر) (بعين صالح) غداة انتصارهم على المستدمر الفرنسي الّذي حاول غزو ديارهم، وعدد أبياتها (30) بيتا:

يا أهل إينغر للسّماء مجدكم
سما وصيتكم يعلو وينتشر
لله درّكم بعتم نفوسكم
من الإله بجنّة لها خضر
فحبّذا ذلك من بيع وعاقده
وحبّذا ثمن قد ساقه القدر
جاهدتم بنفوسكم وأموالكم
لامسكم أذى ولا ضرر

كما جمعته عدّة مراسلات علميّة وتوجيهيّة مع كثير من المعارف منها ما بعثه لعلماء (كسام) في موضوع مسألة غصب، يقول:

إلى علمـاء كسـام أبلـغ مجلّتي
مغلغلـة واقرأ عليهم تحيّتـي
أخص بها القاضي محمّد سيدي
ونخبته محمّدا ذا الفتوّة
ومن عطف عليهمـا ببديهة بلا نظر في
الحكم أو دون فكرة
وموجب ذا من إبله غصبت وقد
شراها لغير غاصـب بعـد مدّة

وله قصيدة نظّم فيها أسماء الله الحسنى، قال في مستهلّها:

أدعوك يا ربّ الورى ربّ الورى
الله والرّحمن أرجو أن أرى
أوّل مـن نظّم هذا الدّررا
من السّلوك الغرّ في اثني عشرا
تسعـا وتسعون بنظم زاه
في عـدّة الشّهـور عنـد الله

وله قصيدة أرسلها لصديقه (الحاج بشير):

لحضرة الأكرم الحاج بشير الرّضى
أخي وخلّي الأجل السّيّد السّامي
أزكى السّـلام وأنمـاه وأكمـاه
يتلـو التّحيّة مقرونا بإعظـام

وله رسالة إلى علماء (أبي جبيهة) (بأزواد) الّذيـن كانت لـه علاقة بهـم، تجديـدا للعهد واسـتعطافا لهـم واسـتقطابا للدّعـاء الصّالح منهم، وهذه الرّسـالة مختومـة بأبيات ولكنّها تلاشت وتقطّعت وهي تمثّل عشر صفحات.

توفي أثناء رجوعه من الدّيار المقدّسة بعد أداء الحـج وزيـارة مدينة رسـول الله ﷺ في (ينبـوع النّخيل) بيـن (مكّة) و(المدينة) سـنة (1333هـ – 1912م)، ووري الثّرى هناك.

نسيمة لوح

المصادر:

من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن ساسي، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة الرّغايّة، الجزائر، 2011م.

الفرقد النّائر في تراجم علماء أدرار المالكيّة الأكابر، محفوظ بن ساعد بوكراع السّطيفي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

محمّد عبد الكبير البكري
(1339هـ -1912م/1434هـ -2013م)

الشّيخ محمّد عبد الكبير البكري بن الشّيخ الفقيـه الحـاج محمّد بن عبد الكبيـر البكري من مواليد مدينة مشـريّة سـنة 2191م، والدّته هي شـقيقة الدّكتور تقي الدّيـن الهلالي، هو واحـد مـن الوجـوه العلميّـة الكبيـرة بمدينة مشريّة وأحد فقهائها الفضلاء.

شـرع فـي حفـظ القـرآن الكريـم على يد المرحـوم الشّـيخ عبـد الرّحمان بـن التهامي مغربـي الأصل من مدينة تافيلالت، تَعلّم عنه كثيرون من أبناء المدينة اللّغة والفقه

توفـي الشّـيخ بـن التهامـي رحمـه الله بعد الاستقلال بمدينة وهران. ولما بلغ العاشرة من عمره بعث به أبوه إلى مدينة المديّة تابع دراسته العربيّة والفرنسـيّة لمدة أربع سـنوات، وبعدها درس الشّـيخ محمّـد عبد الكبير علـى المغفور له بـإذن الله سـيدي محمّـد بلكبير الفقـه اللّغة والنّحـو، ثمّ بعد ذلك ذهب بـه والدّه إلى مدينة مازونـة فبقى هناك ما يقرب ثمانيّة عشـر شـهراً تَلقى فيهـا شـروح مُختصـر خليل عن الشّـيخ سيدي أحمد هني، وبعد اشتداد عوده وتمكنه، وظهـور ميوله نحـو العِلم والتعلم شـدّ الرّحال مُتجهاً إلـى العاصمة تونس، وهو حامل للقرآن الكريم حيث زاول دراسته بجامعة الزّيتونة التي تَلقى فيها العلوم الإسلاميّة.

وبعدمـا اكتسـب العلـم والمَعرفة ودرس الشّـريعة وأصـول الدّيـن رجـع إلـى الدّيـار فاسـتلم مِشـعل العِلـم ونـور الفقـه من بعد وفاة والـدّه؛ تولـى المرحـوم الشّـيخ محمّد عبد الكبير رحمه الله أمانة التعليم والإرشـاد والإصـلاح وذلـك بفتح أوّل مدرسـة لتعليم اللغـة العربيّـة والفقـه وأصـول الدّيـن فـي زمـن الاسـتعمار بمُباركـة جمعيّـة العُلمـاء المسـلمين الجزائريين سنة 4791م، المدرسة الحُـرة في نشـأتها كانت مُتواجدة بشـارع بن زرجـب حالياً التـي وضعها تحـت تصرفهم المرحـوم زيـان الحـاج الطّاهر رحمـه الله، ثمَّ تحولت إلى شـارع بوشـريط حالياً، كانت هذه المدرسـة الحُرة بمثابة أوّل شعاع فكري وعلمي بمدينة مشريّة.

وبعـد انـدلاع الثـورة ألقـى الاسـتعمار الفرنسـي القبض على الشّـيخ فـي 13 مارس مـن سـنة 1957م فسـجنوه قرابـة سـنة رفقـة العديـد مـن الوطنيين نذكـر منهم السّـيد بن زلاط سـليمان، المرحـوم قاسـي سـعيد، المرحوم الشّهيد أغا الحاج دحمان والشّهيد عاشور محمّد والسّيد شومان عبد المالك.

وبعـد خروجـه من السّـجن وضـع تحت الإقامـة الجبريّـة وبمجـرد رفعهـا عنه سـافر الشّـيخ الفاضـل إلى عـدّة دول من المشـرق العربـي، منها العراق حيـث كان يَتواجد خاله الدّكتـور العلامة تقي الدّين الهلالي تَعرف هناك على العديد من الشّـخصيات السّياسـيّة والعُلمـاء منهم الشّـيخ محـي الدّيـن القليبي التونسي والأمير محمّد عبد الكريم الخطابي، المرحوم الشّـيخ البشـير الإبراهيمي وآخرين أمثـال بهجـت البيطـار مـن دمشـق والمفتي الحسـين مفتـي القـدس والأسـتاذ سـعيد رمضان. كمـا زار بعض الـدّول الأوربيّة منها فرنسـا فالتقـى هناك بالأسـتاذ علال الفاسـي الذي سـبق وأن تَعرف عليه سنة 5291م اقترح عليـه هذا الأخيـر أن يلتحق بالرّبـاط عاصمة المغرب توظف كإطار سـامٍ بوزارة الشّـؤون الإسلاميّة.

مـن الأعمـال التي تولاهـا السّـيد محمّد الكبيـر زيادةً على عمله الإداري هو إشـرافه علـى تحريـر مجلـة (الإرشـاد) التـي كانت الوزارة تصدرها شهرياً، كان واعظاً ومُرشداً في أوروبا خلال شـهر رمضان الكريم ابتداء من سـنة 6791م إلى غايّة سـنة 1891م. علاوةً علـى مكانتـه العلميّـة والسّياسـيّة وبراعـة خطه بالعربيّة والفرنسـيّة، كان شـاعراً مُجيداً ويكفيه فخراً أنه حقق كتاباً من 22 جزء تحت عنـوان (التمهيد لما في الموطـا من المعاني والأسـانيد) لمؤلفه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النّمري.

توفي الشّيخ في 62 فيفري من سنة 3102م بمدينة الفرنسـيّة (/ ROUENروان) عن عمر يناهز 29 سنة.

من بعض كتاباته: (نجم أفـل) في ذكرى وفـاة خالـه المرحـوم تقـي الدّيـن الهلالي، (دمعـة علـى فقيـد العلـم والأدب) عـن المرحوم الشّيخ البشير الإبراهيمي ألفها سنة 6791م، (رثـاء) فـي شـيخه بجامعـة الزّيتونة المرحـوم محمّد الطّاهر بن عاشـور، (رثاء) فـي المرحوم بوديّـة المحفوظ سـنة 8891م. (رثاء) في المرحوم بوديّة عبد القادر، عمل فكري تحـت عنـوان (العصاميـون الأربعة) في حقّ الحاج البشـير زوجي وإخوته سـنة 2991م.

عبد الرّحمان بداوي

المصادر:

- السّيد عبد القادر بكري.

محمّد عبدلي (محمّد الاوراسي) (1347هـ - 1929م/ 14155هـ - 1995م)

ولـد المؤلـف، الملحـن والمطـرب محمّد عبدلي المعروف باسمه الفني محمّد الأوراسي يوم 23 نوفمبر 1929م بـ كيمل التّابع حاليا لولايّة باتنة. كان ميلاده وسـط عائلـة محافظة، تمتهن الفلاحـة وتربيّـة المواشـي كأغلـب العائـلات الجزائيّة.

بعـد حيـاة حافلة فـي خدمـة التّـراث الفني للمنطقة، ألم بـ محمّد عبدلي المعروف باسـمه الفني محمّد الأوراسي مرض عضال أدى بوفاته بمدينة باتنة يوم 05 أفريل 1995م، ودفن بمقبرتها المعروفة باسم بوزوران.

لمـا أصبح قـادرا على تلقـي العلـوم أدخله والده المدرسة القرآنيّة لحفظ ما تيسر من القرآن الكريـم وتعلم مبـادئ اللغة العربيّـة. بقي هكذا لغايّـة عـام 1939م أيـن توفـي والده وعمـره لم يتجاوز العشر سنوات، فكان لزاما عليه الانقطاع عـن الدراسـة، لإعالـة العائلـة المكونـة وقتهـا لإضافـة إليه من الوالدة وأخويـه، فانتقل للحياة العمليّة. ضمَّه أحـد أقاربه وعلَّمه مهنة الصّياغة الشّائعة وقتها بالمنطقة، وبعد ان أتقنها أنطلق في ممارستها.

نشـأ الطفـل محمّد وترعـرع في وسـط كان بالمنطقة فنانين أشـتهرا دون منازع، يتعلق الأمر بـ:

عيسـى الجرمونـي (1303هــ/ 1364هــ - 1886م/ 1946م) الـذي كان يتربـع علـى عـرش



الطرب الأوراسي دون منازع وذلك منذ ظهوره، ومـا يزال بعـد وفاتـه. كان يتميَّز بصوتـه القوي وتـرك تسـجيلات خلَّدتـه. كان الشّـاب محمّد يستمع لأغانيه بكل جوارحه،

والفنـان علـي الخنشـلي(1916م - 2004م) الذي عشـقه الشّـاب محمّد عبدلي. هكذا مهد هذان المطربان الكبيران له الدرب الفني.

توفيت والدته في عـام 1959م تاركة له كامل المسـؤوليّة العائليّة، فقرر التّوقف عن ممارسـة مهنة الصّياغة والانتقال للاسـتقرار بمدينة باتنة للتفرغ كليا لممارسة الفن.

أنشـأ رفقة موسـيقيين آخرين فرقـة أحيا بها عدة حفلات دينيّة وأعراس. تميَّز مسـاره الفني أنـه خـلال الفتـرة 1950م - 1960م رسـم طريقه ونمطـه الموسـيقي المتميز بالمزيج من عيسـى الجرموني وعلي الخنشلي.

أصـدر عـام 1962م أغنيّـة بعنوان: أنـا خويا المجاهـد، التّـي لاقت رواجا ونجاحـا كبيرين، بعدها اتبعها بأغنيّة: يا زرزورة، فكان بالنسـبة له التّكريس وتثبيت نمطه، واسمه بالسّاحة الفنيّة.

وفي عـام 1964م أنشـأ فرقة موسـيقيّة تحت اسـم: "نجـوم الأوراس" رفقـة صديقـه رحال الجمعي الذي أوكل له قيادة الجوق.

شـارك المطرب محمّد عبدلـي الذي أصبح معروما باسـم "محمّد الأوراسي" بمهرجانات وطنيّة نذكر منها:

المهرجان الوطني الأول للفلكلور بالعاصمة –عام 1966م،

المهرجان الوطني للغناء الشّعبي بالعاصمة، عـام 1969م وكان مصحوبا إضافة للموسـيقيين مـن فرقـة رقـص اسـتعراضيّة، عكسـت بأدائها تقاليد منطقة الأوراس.

الأعمال الفنيّة:

نظـرا لتميـز صـوت المطـرب محمّـد الأوراسـي فقد عمل مـع ملحنين نذكـر منهم: معطـي بشـير، عبـد الله كريـو، رحـال جمعي وجومانـي عمّار، كمـا غني من كلمـات كتاب الأغانـي منهم : عبد الـرّزاق جبايلي، مصطفى تومي، عبد الله قاسم.

تـرك المطـرب محمّـد الأوراسـي للخزانة الفنيّة الجزائريّة أعمالا نذكر منها:

- أنا خويا المجاهد –عام 1962م،
- يا زرزورة،
- جينا من عين أمليلة،
- جنان يا ممي،
- يا قصبتي،
- يا مجاهد.

تنوعت نشاطات الفنان محمّد الأوراسي، حيث لم يقتصر نشاطه على الغناء بل تنوع ليصل للتمثيل، حيث شارك عام 1978م في فيلم: المفيد، قصة وإخراج عمار العسكري، سيناريو مصطفى تومي/ عمار العسكري، بطولة: رويشد، عبد الحليم رايس، محمّد شويخ، محمّد ناصف، نعيمة زويوش، حوريّة، لخضر بلحاج، محمّد الأوراسي وآخرون.

كتب أيضا عدَّة سيناريوهات تيلفزيونيّة وسينمائيّة منها: أفراح الأوراس –عام 1969م من إخراج الحبيب فوغالي،

وفي عام 1982م كتب منوعة غنائيّة، بمناسبة الذكرى الـ 20 لاستقلال الجزائر، تعكس أحداثها الأحوال الاجتماعيّة بمنطقة الأوراس خلال الثّورة التّحريريّة. العمل من إخراج: محمّد حويدق، ومشاركة نخبة من الممثلين منهم: نوال زعتر، بوزيد شعيب، محمّد بوشعير، سليم العربي. نال هذا العمل الفني نجاحا باهرا لدى المشاهدين.

كان المطرب محمّد عبدلي المعروف بـ (محمّد الأوراسي) – بحق– الوريث الطبيعي والمستحق للفنانين الرّاحل عيسى الجرموني، وعلي الخنشلي في حمل والمحافظة على إرث المنطقة، فأصبح بذلك مرجعا للفنانين الرّاغبين في الاغتراف من الينابيع الفنيّة الأصيلة.

نجيب بن لمبارك

المصادر:

- لقاءات مع السّيد بلقاسم بن لمبارك (1936م– 2001م) مسؤول قطاع الغابات بشليا،
- القناة الإذاعيّة الوطنيّة الثّالثة الناطقة باللغة الفرنسيّة، برنامج الأصوات الخالدة، خصصت لحياة المطرب الرّاحل محمّد الأوراسي، الثّلاثاء 06 أكتوبر 2015م.

محمّد عبدون
(1331هـ - 1913م/1417هـ - 1997م)

ولد المناضل محمود عبدون بدلس سنة 1913، وفي منتصف الثلاثينات بعد تلقي قدر من التعليم، خرج الشّاب محمود عبدون إلى معترك الحياة العامّة كعامل بمصلحه الضرائب في العاصمة. وهو ميدان بعيد نسبيا عن السّياسة لكن الشّاب محمود عبدون كان مختلفا، فعمله لم يشغله عن الاهتمام بالسّياسة، ويومئذ كانت أحزاب اليسار الفرنسي المتعاونة في إطار جبهة شعبيّة على أبواب قصر الإليزي الذي ما لبثت أن اقتحمت أبوابه فعلا في منتصف 1936.

ومن الأحداث الهامة التي ساقت الشّاب محمود للحياة النّضاليّة مظاهرة 14 جويليّة 1937 التي رفع فيها العلم الوطني لأول مرة بالجزائر وكان يتقدمها الحاج مصالي رفقة أعضاء الأمانة التنفيذيّة لحزب الشّعب الجزائري بالجزائر، وسارت من ساحة الفاتح ماي إلى ساحة الشّهداء.

ولم يمض أكثر من شهر حتى ألقي القبض على مصالي وأعضاء الأمانة التنفيذيّة: مفدي زكريا، حسين لحول، خليفه بن عمار، ابراهيم غرافة.

وزجّ بهم في البدايّة بسجن بربروس (سركاجي)، ولم يكن يتوفر على جناح خاصّ بالمساجين السّياسيين، فشنوا إضراب الجوع مطالبين بالنّظام السّياسي، فاستجابت إدارة الاحتلال لمطلبهم، فنقلوا إلى سجن الحراش في نظام شبيه بالنّظام السّياسي.

وقد مكن هذا النّظام قيادة "حزب الشّعب" في الجزائر من مواصلة تسيير الأمور من داخل السّجن، وهي وضعيّة مثاليه بالنّسبة للنضال، وكان عبدون يتردد كثيرا على القيادة ويأتيها بالطّعام وأنواع الصحف، باستثناء الصحف الصادرة باللغة العربيّة لأنها كانت تعتبر لغة أجنبيّة.

و كان مرخصا لمصالي ورفاقه استقبال 35 زائرا في الأسبوع، فاستغل هذا الترخيص لعقد اجتماعات القيادة داخل السّجن بطريقه عاديه تماما.

وقد هبت قيادة الحزب بفرنسا إلى نجدة مناضلي العاصمة فأرسلت عبد الله فيلالي لهذا الغرض، ثمّ ما لبث أن خلفه كحال أرزقي.

وفي أواخر السّنة جاء المناضل رشيد وعمارة من فرنسا، وكلف مناضلا يدعى معروف بجس نبض مصالي في مسألة الاتصال بالألمان، وطلب مساعدتهم في سبيل استقلال الجزائر، وكان رد فعل مصالي فوريا فقد فهم لتوه أن الأمر يتجاوز جس النّبض إلى الاتصال الفعلي بالألمان، فقام بفصل تلك العناصر وكان من بين المفصولين عناصر قياديّة بارزة أمثال رشيد وعمارة ومحمّد طالب وعمر حمزة وغيرهم.

وكان محمود عبدون متعاطفا مع هذه الجماعة من الحزب، فقرر الانسحاب منه تضامنا معهم.

غير أنّ قرار الفصل لم يمنع الجماعة من مواصلة الاتصال بالألمان في إطار لجنه العمل الثوري لشمال إفريقيا (لوكارنا) التي كانت ترسل من الجزائر وفرنسا أفواجا من المناضلين يتدربون على الأسلحة في ألمانيا.

وفي صيف 1939 جاء دور محمّد عبدون للذهاب، غير أنّ الفوج العائد من ألمانيا كان يحمل رسالة محددة من الألمان: "توقفوا عن إرسال مناضلين".

ومع ظهور حركه بيان الشّعب الجزائري في أفريل 1944، أصدرت هذه الجماعة باسم "لجنة العمل الثوري" نشرة سريّة باسم (العمل الجزائري)، كان لها دور كبير في إذكاء جذوة النّضال، وتوعيه المناضلين، وقد شغل السّي محمود عبدون منصب أمين تحرير النّشرة، بينما كان حسين عسلة، يتولى رئاسة تحريرها، ومن الأقلام المعروفة التي كانت تساهم في الكتابة: محمّد طالب (من الجماعة)، وحسين لحول، وقدور ساطور،

وبن علي بوقرط. . ، وكان المناضلون الوطنيون يتلقفون هذه النّشرة، ويتداولونها في مختلف أنحاء الجزائر.

وفيه 23 اكتوبر 1943 استطاعت جماعة اللوكارنا تنظيم مظاهرة صاخبة بعد صلاة عيد الأضحى، احتجاجا على وقف مصالي الحاج من جديد، ووضعه تحت الإقامة الجبريّة.

هذه النّشاطات وغيرها من نشاطات لجنة العمل الثوري هي التي دفعت بعض المناضلين أمثال الشّاذلي المكي إلى الاتصال برئيس حزب الشّعب، والسّعي من أجل الترخيص للجماعة بالعودة إلى الصفوف، وفعلا تمّ ذلك في بدايّة سنة 1944.

وبعد هذه العودة استأنف سي محمود عمله بإدارة الحزب كمسؤول ماليّة، هذه الماليّة التي لم يبق منها إلا القليل بعد أحداث 8 ماي 1945 الرهيبة، إذ أنفقت معظم الميزانيّة لمساعدة الجرحى والمساجين. ولم يعط مصالي هذا المنصب إلى السّي عبدون حتى عرف مدى إيمانه بالقضيّة الوطنيّة وانضباطه كمناضل واستعداده للتضحيّة، وذلك بعد اختباره عن طريق توبيخه أمام جماعة من المناضلين لينظر ردة فعله، فلما رأى مصالي مواصلة عبدون لنضاله بصورة عاديّة، أسند إليه تلك المهمة.

وبعد مؤتمر فبراير 1947 انسحب السّي عبدون من قيادة الحزب لأنّ النّظام الجديد للحزب يشترط التفرغ.

وفي أزمة الحزب 1953–1954 انحاز فيها السّي محمود إلى المركزيين ضد المصاليين، وبقي في ركابهم حتى التحقوا بجبهة التحرير الوطني في سبتمبر 1955، فالتحق بهم وكانت المهمة التي كلف بها السّي محمود بعد انضمامه لجبهة التحرير الوطني تتماشى مع وظيفته كموظف بمصالح الضرائب، فقد كلّفه ابن يوسف بن خدة بوضع نظام ضرائب للجبهة، فوضعه بمساعدة عبد المالك تمام وبوعياد، ولم يكتف بوضع هذا النّظام، بل كان السّباق إلى تطبيقه، فقد استطاع أن يسلّم إلى بن خدة في نهايّة ديسمبر 56 مبلغ 200 مليون فرنك قديم.

وفي مطلع سنة 1957 تمكنت إدارة الاحتلال من اكتشاف نسخة من نظام الضرائب المرمز بمكتب مناضل يعمل مع السّي محمود في مصلحة الضرائب، وكان هذا المناضل يدعى محمّد آيت بلقاسم وقد كان مساعدا مباشرا لمدير المصلحة وصادف ان احتاج هذا المدير إلى وثيقة، فبعث كاتبه الخاصّ للبحث عنها في مكتب سي عبدون أثناء غيابه.

وهكذا تم العثور على تلك الوثيقة المشبوهة، فلما سلمها إلى المدير أثارت شكوكه، فسلمها بدوره للشرطة المختصة التي سارعت بالقبض على المناضل المذكور، ليصلوا بعد قليل إلى السّي محمود وكان ذلك بالضبط في 8 فيفري 1957.

ثم ألصق محمود التهمة ببن خدة الذي دخل الحياة السّريّة حسب تعليمات الجبهة يومئذ، وكان متابعا من إدارة الاحتلال، ولكن هذا لم ينجي السّي عبدون من السّجن لمدة خمس سنوات كاملة فلم يطلق سراحه إلا في 20 يناير 1962.

وقد توفي "محمّد عبدون" في 20 أوت سنة 1997 في الأبيار بالعاصمة الجزائر.

رابح دوب

المصادر:

– محمّد عباس: رواد الوطنيّة، الكتاب الثاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

محمّد عوشيش
(1334هـ -1916م/1432هـ -2011م)

ولد الدّكتور محمّد عوشيش أوّل طبيب متخصّص في جراحة العيون حائز على لقب الأستاذيّة بالجزائر عام 1916 بمدينة برج بوعريريج التي تلقى فيها تعليمه الابتدائي والثانوي مبرزا تفوّقا في المواد العلميّة، ورغبة كبيرة في ولوج مجال الطب بهدف الإسهام في تطوير المنظومة الصحيّة في وطنه المكلوم، وبعد مسار علمي مشرّف بالجزائر، مُنِح محمّد عوشيش فرصة الالتحاق بالجامعة بفرنسا فتحدى كل الظروف وفرض نفسه بين طلبة الطب الأوروبيين، الذي تفوّق على الكثيرين منهم في مسابقة التخصص ثم الممارسة بمستشفيات مرسيليا، أين أحرز على عدة شهادات مهمة وكسب خبرة صنعت منه جراحا ممتازا في طبّ العيون.

رفع محمّد عوشيش التحدي منذ بدأ دراسة الطب، ونجح في إتمام أطروحة الدّكتوراه في الطب سنة 1944 وارتقى بفضل عزيمته وجدّه إلى رتبة رئيس عيادة طبّ العيون الفخريّة عام 1946، مما شجعه وزاده إصرارا على طلب رتب أسمى وبالفعل تمكن من نيل لقب الاستاذيّة بعد مشاركته في مسابقة التأهيل لدرجة الأستاذيّة في طبّ العيون المنظم في العاصمة الفرنسيّة باريس في أكتوبر 1958، فكان بذلك أول طبيب جزائري حامل للقب بروفيسور، فكان فخرا لأبناء مدينته والجزائر عامة، ومثالا يحتذى به في الإرادة والهمّة.

تحديات محمّد عوشيش لم تتوّقف عند نيل الشهادات وتقلّد الرتب بل كان يصبو للارتقاء بمهنة طبّ العيون بالجزائر والقارة الإفريقيّة، وكان في مستوى تطلّعاته، حيث تمكن سنة 1959 من فتح أول مصلحة لطب العيون بغرب إفريقيا وبالضبط بداكار (السنغال).

مغامرته في غرب أفريقيا استمرت لمدة سنتين سيّر فيها المصلحة ودرّب فيها الأطباء والممرضين لتمكينهم من حمل المشعل بعد عودته إلى وطنه فجر عيد الاستقلال، لأن الجزائر كانت بحاجة إلى خبرات وكفاءات بثقل الطبيب المتميّز عوشيش الذي لم ينساه السنغاليون إلى يومنا هذا ولا زالوا يحتفظون له بصورة معلّقة بالمستشفى الجامعي (آريستيد ليدانتيك) بداكار.

نداء الواجب نحو وطنه حمله للتخلي عن كل ما بدأه من نقطة الصفر وتعب لأجل

تجسيده، يقوده في ذلك رغبة لرؤيّة وبناء جزائر قويّة، وبمجرّد وصوله تم اختياره رئيسا على عيادة طبّ وجراحة العيون بالمستشفى الجامعي بالجزائر العاصمة، فأشرف بكل ثقة على تلك المهمة التي لم تكن سهلة غداة الاستقلال، غير أن تعاونه مع نخبة من الأطباء والكفاءات المحليّة صنعت المستحيل في المنظومة الصحيّة الجزائريّة وبأبسط الإمكانيات.

تعامل الدّكتور عوشيش مع ألمع الأطباء نذكر منهم على سبيل المثال الدّكتور جيناس، سماتي، مارجيلان، وغيرهم من الأطباء الذين حاولوا الحفاظ على جودة الخدمات على مستوى كل المصالح الاستشفائيّة التي بقيت شاغرة بعد مغادرة الأطباء الفرنسيين.

واصل الطبيب المكافح ومثال الإرادة الصلبة إنجازاته المهمة في مجال طبّ العيون، وتضاعفت مسؤولياته مع تعيينه مديرا لمعهد التراخوما لمكافحة هذا المرض الخطير المعدي المتسبب في آلاف حالات العمى سيّما في دول العالم الثالث، وبعدها بفترة قصيرة استلم كرسي أستاذ جامعي في تخصص طبّ وجراحة العيون بالبلدان الواقعة على خط الاستواء، بالإضافة إلى العديد من الرتب والألقاب الشرفيّة المسداة إليه عرفانا وتقديرا لإنجازاته وتفانيه في العمل والبحث العلمي وتنشيط المؤتمرات والملتقيات الطبيّة المتخصصة.

كما ساهم الدّكتور عوشيش في استحداث مصلحة جديدة بخدمات متطورة في جراحة العيون بالمستشفى الجامعي والتي أشرف على تسييرها بين سنتي 1962 و1992والتي دمج فيها وحدة للبحث في أمراض الرمد الحبيبي. وكان أيضا أول عميد لكليّة الطب والصيدلة المختلطة في الجزائر العاصمة بين سنتي 1963 و1971م.

يتذكر زملاؤه في المهنة حسب شهادات بعضهم، كيف أن قوة عزيمته وإصراره على النجاح فتحت الأبواب أمامه لتحقيق نجاحات متتاليّة، حيث توّج بفضل تفانيه اللامحدود في العمل بالعديد من التكريمات ونيل العضويّة في العديد من الجمعيات والمنظمات الدّوليّة لطب العيون. ففي سنة 1964، تم قبوله كعضو في اللجنة الدّائمة للمؤتمر الأفرو آسيوي لطب العيون، فضلا على انتخابه في عام 1968 عضوا في مجلس إدارة الرابطة الدّوليّة لمكافحة التراخوما... وتحّصل على ميداليّة شيبريت الذهبيّة لمرض التراخوما عام 1973. كما أدرجت منظمة الصحة العالميّة اسمه في قائمة خبراء التراخوما عام 1974.

لم تنته إسهامات الدّكتور عوشيش عند هذا الحد، بل استمرت لسنوات طويلة أخرى بادر خلالها إلى تأسيس الجمعيّة الجزائريّة لطبّ العيون التي بقي على رأسها منذ سنة تأسيسها 1976 وإلى غايّة 1984. ناهيك عن انتخابه رئيسا للجمعيّة الإفريقيّة لطبّ العيون سنة 1978، ثم رئيسا للرابطة الإفريقيّة لمكافحة الجلوكوما سنة 1980. فضلا على عضويته في مجلس إدارة الجمعيّة الفرنسيّة لطبّ العيون منذ سنة 1962.

أثرى الأب الرّوحي لجراحة العيون بالجزائر المكتبة الوطنيّة والدّوليّة بعديد المقالات العلميّة والطبيّة القيّمة ووقّع ما يقارب المائتي مقال خصّص أغلبها لمرض التراخوما، وقدّم من خلالها عصارة دراساته وأبحاثه الجادة باعتباره أحد أفضل المتخصّصين في هذا المجال على الصعيد الدّولي. كما قام بنشر مقالات عديدة حول الجلوكوما والظفرة وواقع أمراض العيون عامة في المغرب العربي.

وقد أشاد أحد طلبته وزميله في المهنة الدّكتور (بن نيّة) في مقال خصه به بعد وفاته عام 2011 نشر بعدة صحف وطنيّة ومجلات علميّة منها (SanteMaghreb)، بإنجازات الدّكتور عوشيش والتضحيات الكثيرة التي قدمها هو وطاقمه بعد المغادرة الجماعيّة للأطباء الفرنسيين لمستشفيات الجزائر بعد الاستقلال ومن أهم التحديات:

– التكفل بالمرضى مع تطوير بروتوكولات العلاج الحديث المتلائم مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبلاد.

– تدريب الطلاب والمتخصصين في طبّ وجراحة العيون الذين لم يتجاوز عددهم آنذاك العشرة أطباء.

– إعداد دراسات معمقة حول أمراض العيون الأكثر انتشارا وتسجيلا ببلادنا، سواء من الناحيّة الوبائيّة أو من حيث التشخيص والعلاج والوقايّة.

– المساهمة في البحث الوطني والدّولي من خلال الدّراسة المتعمقة لبعض هذه الأمراض، مع خلق شهادة في أمراض الرمد الحبيبي والتي ستمكن العديد من الممارسين العامين من تعويض النقص المسجل في عدد المتخصصين في طبّ العيون.

شارك عوشيش في عدد لا يحصى من المؤتمرات والملتقيات الطبيّة الدّوليّة والعربيّة وصاغ الكثير من التقارير منها (تشريح التصالب البصري) (الجمعيّة الفرنسيّة لطب العيون)، (الجلوكوما عند مرضى التراخوما) (الرابطة الدّوليّة لمكافحة التراخوما)، أورام حجاج العين لدى الأطفال (المؤتمر الآفرو أسيوي بطوكيو 1972)

وتقارير أخرى مهمة لا يمكن حصرها في هذا المقال.

بعد سنوات طويلة من العطاء المتواصل قرّر الدّكتور عوشيش أخذ قسط من الراحة أخيرا واختار التقاعد بعد بلوغه سن الـ76 تاركا المشعل لطلبته، غير أن روح المغامرة لم تبرحه، و كانت وجهته هذه المرة الولايات المتحدة الأمريكيّة التي استقر فيها إلى جانب ابنه الطبيب المرموق في تخصص جراحة العيون كوالدّه، و عاش هناك إلى أن وافته المنيّة يوم 30جوان 2011 عن عمر ناهز 95سنة و دفن في المساحة المخصصة للمسلمين بمقبرة "فورت مايرز" بفلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكيّة.

مريم بحشاشي

المصادر:

تسجيل خلال المؤتمر الـ34 للشركة الجزائريّة لطب و جراحة العيون في نوفمبر 2019

■ محمّد قنطاري
(1631هـ -2491م/2441هـ -1202م)

وهو المجاهد والباحث المؤرّخ البروفيسور محمّد قنطاري؛ وُلد سنة: (1361هـ/ 1942م) بمنطقة (الخميس) ببني سنوس، في مدينة (تلمسان) ؛ ويصف البلديّة التي وُلد فيها بأنها بلديّة الألف شهيد، وقد نشأ، وترعرع في فترة صعبة في ظلّ وجود الاستدمار الفرنسي بمدينة (تلمسان) الجزائريّة العريقة ، وجثومه على مختلف ربوع (الجزائر) ومدينة (تلمسان) التي نشأ بها الباحث والمؤرّخ (محمّد قنطاري) واحدة من أهم المدن الجزائريّة، والعربيّة الزّاهرة؛ حيث إنها تحظى بقيمة تراثيّة، ومعنويّة كبيرة، وتتميز بتاريخها العريق، ومآثرها الحضاريّة، وتوصف (تلمسان) بجوهرة المغرب العربي، حيث إنها تحتل موقعاً في غايّة الرّوعة، وهذا ما جعل (الخطيب بن مرزوق) يقول عنها: "يكفيك ماؤها وهواؤها"؛ تُشرف على هضبة صخريّة واسعة، وتتوسط أوديّة التّافنة، والصّفصاف، وعلى شمالها نجد الكثير من السّهول الخصبة الخضراء، ومن الجنوب يحيط بها طوق (لالاسيتي)؛ الذي هو بمثابة حصن يحميها من هجمات الأعداء، إضافة إلى مجموعة من الأسوار، والحصون العريقة، ويجمع الدّارسون-أو يكادون- على أن (تلمسان) قد بلغت أوج ازدهارها العلمي والأدبي في عهد الدّولة الزّيانيّة.

ينتمي المجاهد والباحث الأستاذ الدّكتور (محمّد قنطاري) إلى أسرة وطنيّة متواضعة، ارتكبت في حقها جرائم فظيعة من قبل قوات الاستدمار الفرنسي؛ فبعد قصف القوات الفرنسيّة لمنزله، وتخريبه، وحرقه يوم : (20رجب1375هـ) الموافق لـ:03مارس1956م، وذلك في منطقة (بني عشير) ؛ التّابعة إلى مدينة (تلمسان) ، ترك دراسته في الكتاتيب والمدارس القرآنيّة، والتّحق بصفوف ثورة التّحرير الجزائريّة المظفرة، وبعد سنوات عمل محافظاً سياسياً لجيش التّحرير الوطني، وأصبح عضواً بمجلس المنطقة الأولى للعمليات الحربيّة بالولايّة الخامسة؛ مما مكّنه من أن يعيش أحداث الثّورة ميدانياً؛ إذ يحمل جروح المعارك القتاليّة مع العدو، وهو مجاهد، وابن مجاهد، وجده شهيد في ثورة التّحرير الوطني، ويذكر المجاهد والمؤرخ (محمّد قنطاري) أنه منذ اندلاع الثّورة الجزائريّة أضحت منطقة (بني سنوس) في (تلمسان) منطقة مُحرمة، ومُلغمة من طرف الجيش الفرنسي، فاضطر رجالها، ونساؤها إلى الالتّحاق بصفوف المجاهدين من جيش التّحرير الوطني في جبال المنطقة، ومن تخلف عن الالتّحاق، والإسراع بالرّكب، فقد أودع من قبل القوات الفرنسيّة في المعتقلات، والمحتشدات، والسّجون، وأحيطوا بما يزيد عن أربعة آلاف جندي فرنسي من رجال الكمندوس، والمظلات، واللفيف الأجنبي من شتى الجنسيات، كما تدرب بجبالها قادة الحركات التّحريريّة الإفريقيّة، ومن بين الذين ذكرهم المؤلف على سبيل المثال: أنغولا، والموزنبيق، والجزر الخضر، والتّشاد، وجنوب إفريقيا، وعلى رأسهم نلسن منديلا، حيث كانت إقامتهم بمعسكر (مغنيّة) .

درس الباحث والمجاهد (محمّد قنطاري) بالجزائر، والمغرب، ثم بمصر، وأخيراً بفرنسا التي درس فيها التّاريخ، والقانون ، ونال عدة شهادات بالتّدرج :الباكالوريا، ثم الإجازة في التّاريخ، والإجازة في القانون ، كما نال دبلوم الدّراسات المعمقة والعليا في التّاريخ العسكري في المنازعات الدّوليّة، والقانونيّة، وقد كرس الباحث الدّكتور (محمّد قنطاري) ما يزيد عن عشر سنوات، وذلك خلال الفترة الممتدة من : (1400-1410هـ) الموافق لـ(1980-1990م) للإقامة العلميّة، وإنجاز الدّراسات، والأبحاث بفرنسا عن الثّورة الجزائريّة؛ حيث حصل على دكتوراه دولة من جامعة مونبللي بفرنسا بعنوان : (التّنظيم السّياسي الإداري، والعسكري للثورة الجزائريّة من 1954-1962م) "، وبعدها بدأ يتعمق، ويتخصص في التّاريخ العسكري، وفي مجال دراسات الدّفاع الوطني، وفي الدّراسات الاستراتيجية، وقد تقلد الباحث الدّكتور (محمّد قنطاري) عدة مناصب جامعيّة، من بينها :متصرف مدني بالجامعة، ونائب رئيس جامعة وهران للدراسات الجامعيّة، والعلاقات الخارجيّة، ومستشار لدى وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، وتدرج من رتبة أستاذ مساعد إلى أستاذ محاضر، وأستاذ التّعليم العالي والبحث العلمي في العلوم السّياسيّة، والقانون، ووقد كان عضواً بالمجلس الوطني للبحث العلمي بالجزائر وفرنسا، كما عُيّن عضواً مُقرراً بمجلس الولايّة الخامسة التّاريخيّة (الغرب الجزائر) وانتخب نائباً لرئيس المجلس الشّعبي البلدي لمدينة وهران. وبعدها عمل في سلك المحاماة، ولاسيما في المجلس القضائي بمدينة وهران، وكان عضواً بالمجلس الأعلى للقضاء، وانتخب نائباً بالبرلمان (المجلس الشّعبي الوطني) على رأس قائمة ولايّة تلمسان، وعمل لفترة طويلة بجامعة وهران، ورأس عدة وحدات بحث عن الثّورة الجزائريّة، وقواعدها الخلفيّة، وقد كرم في عدة مناسبات، من بينها تكريمه بوسام الاستحقاق بجيش التّحرير الوطني من طرف فخامة رئيس الجمهوريّة الجزائريّة السّابق، وقد توفي الأستاذ الدّكتور (محمّد قنطاري) ، يوم الثّلاثاء: (13جُمادى الثّانيّة1442هـ) المُوافق لـ(26جانفي2021م) . وقد نشر الباحث الدّكتور (محمّد قنطاري) عدة كتب، ومقالات عن الثّورة الجزائريّة، والمقاومة في دول المغرب العربي، وفي مجال الدّراسات الاستراتيجية الشّاملة، وشارك في عدة ملتقيات ومؤتمرات في الجزائر وخارجها، ومن أهم مؤلفاته: (قاموس شهداء الجزائر من: 1954-1962م -ولايّة تلمسان نموذجاً-"، و(تلمسان خلال ثورة التّحرير)، و(وهران خلال ثورة التّحرير)، و(التّنظيم السّياسي والإداري والعسكري للثورة الجزائريّة)، ومن بين مؤلفاته التي حظيت بعنايّة فائقة من لدن الباحثين والدّارسين، كتاب :(من بطولات المرأة

الجزائريّة في الثّورة وجرائم الاستعمار الفرنسي)، وهو من بين الكتب المهمة الجديرة بالإشادة، والتّنويه، والتي قدمت صُورة وافيّة عن جوانب متنوعة من نضال، وجهاد، وتضحيات المرأة الجزائريّة، ومن عنوان الكتاب يتضح أن المؤلف يسعى إلى تمجيد بطولات المرأة الجزائريّة، وتخليد مآثرها، وكفاحها ضد المستعمر الفرنسي من جانب، ومن جانب آخر يرمي إلى كشف النّقاب، وإماطة اللثام عن الجرائم المرتكبة من قبل جيش الاستدمار الفرنسي في حق المرأة الجزائريّة، وسائر أفراد المجتمع الجزائري، ويتجلى للقارئ من خلال توزيع مادة الكتاب المتنوعة، والمدعمة بالشّهادات ، والوثائق والحقائق التي اكتشفها الدّكتور (محمّد قنطاري) نتيجة جولاته، وتحقيقاته الميدانيّة، أنه لم يوفر جهداً في سبيل البحث، والتّنقيب للإفادة من مختلف المصادر، والوثائق، والشّهادات، حيث إنه قام بزيارات ميدانيّة، واستقى معلوماته من المجاهدين، والمجاهدات اللذين عاشوا الأحداث، كما أنه بذل جهوداً مضنيّة من أجل الوصول إلى المعلومات التّاريخيّة، ثم في تدقيقها، وتمحيصها، وتقديمها إلى القراء في أسلوب سائغ، ومبسط؛ ففي القسم الأول من الكتاب تحدث بإسهاب عن قصة المجاهدة البطلة (فاطمة خليف)؛ التي تعدّ رمزاً من رموز الثّورة الجزائريّة المظفرة، وأطلق عليها اسم الشّهيدة التي لم تمت، وقد وصف ملحمتها وصفاً دقيقاً، وأكد على أنها واحدة من البطلات الخالدّات، إذ جاء في بدايّة عرضه:(فاطمة خليف، المجاهدة الجزائريّة العربيّة المسلمة تعد واحدة من أبطال، وبطلات الشّعب الجزائري المجاهد، شبت منذ صغرها على حب وطنها الجزائر، وعلى أصالتّها العربيّة الإسلاميّة، فانخرطت هي وعائلتها في صفوف المجاهدين. تلقت فاطمة كل صنوف التّعذيب الوحشي على أيدي الكفار الجنود الفرنسيين، فقطعوا يديها، وهي تنظر، وأودعوها سجناً معلقاً بين السّماء، والأرض، ووضعت حملها فيه، ويداها مقطوعتان، وثدييها مشوهان بوسائل التّعذيب الجهنميّة. قد يتخيل البعض أن هذه القصة لا تعدو أن تكون شبحاً خيالياً جامعاً. ولكن الذين عايشوا أحداث الثّورة، وذاقوا مرارة المعاناة اضطهدوا بنارها، لا شك أنهم يقرون حقيقتها، كهذه القصة الواقعيّة باختصار للمجاهدة المرأة الجزائريّة المسلمة لتكون عبرة لفتيات الأمة العربيّة في وطنيتها، وجهادها، وصمودها أمام الشّدائد، والمحن، وأنواع التّعذيب، لأنها اختارت طريق الكرامة، والعزة، والشّرف، كنموذج للمرأة العربيّة المسلمة في سبيل الله، والوطن".

وفي القسم الثّاني من الكتاب توقف الباحث الدّكتور (محمّد قنطاري) مع طرائق ووسائل التّعذيب الفرنسي في ثورة التّحرير، وذكر في البدء أن التّعذيب ينقسم إلى قسمين:



التّعذيب الجسدي، والتّعذيب النّفسي أو المعنوي؛ فالتّعذيب الجسدي بلغ خلال ثورة التّحرير الوطني أشنع، وأفتك صور التّعذيب الوحشي الذي عرفته الإنسانيّة في القرن العشرين ضد المعتقلين والمساجين والأسرى والمناضلين الوطنيين؛ فالسّلطات الفرنسيّة مدنيّة وعسكريّة أقامت مراكز ومدارس متخصصة في فنون التّعذيب الجسدي والمعنوي بشتى وسائله البدائيّة أو التّقليديّة، وأجهزة العلم التّكنولوجيّة الحديثة، ومن أنواع التّعذيب التي ذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

(-يقوم المجاهد أو المناضل المعذب بحفر حفرة إلى غايّة العنق أي الرّقبة، فيرمى عليه التّراب إلى العنق فيموت موتاً بطيئاً.

-تقوم القوات الفرنسيّة ورجال الأمن بإلقاء البنزين على المعذب أمام الجمهور في المحتشدات أو المعتقلات أو الأسواق أمام العامة فيحرق أمامهم ليكون عبرة للآخرين.

-تقوم القوات الفرنسيّة بوضع المجاهدين أو المناضلين في الصّفوف الأولى والوسطى، وفي الأخير كدروع بشريّة عند التّمشيط أو تنقل القوات الفرنسيّة في الطّرقات من جهة إلى أخرى تفادياً لمفاجأتها في كمائن أو معارك مع المجاهدين.

- تقوم القوات الفرنسيّة وأجهزتها الأمنيّة بإقحام المجاهدين أو المدنيين في مناطق الألغام أو تفجيرهم بالمفرقعات.

التّعذيب المعنوي النّفسي: ذكر الدّكتور (محمّد قنطاري) حينما تعرض إلى هذا الأسلوب أن المناضلين والمجاهدين عرفوا أنواعاً كثيرة من فنون التّعذيب المعنوي أو النّفسي، وهي أكبر وأشنع من التّعذيب الجسدي؛ فالتّعذيب المعنوي يترك آثاراً نفسيّة أو معنويّة عميقة في الشّخص إلى غايّة وفاته، ومن بين الأساليب التي انتهجها الاستدمار الفرنسي على سبيل الذكر لا الحصر:

- (تجريد أفراد الأسرة أو العائلة في مكان واحد من جميع ثيابهم كما ولدوا وهم يتفرجون ويتلذذون عليهم بالمس والضّرب للتخويف والتّرهيب...

- تنتهك العساكر الفرنسيّة والعملاء الأعراض ويتم اغتصاب أفراد الأسرة أمام عيون الجميع...).

يقول عنه الأستاذ (إبراهيم بن ساسي) : "هذا هو المجاهد سي محمّد قنطاري، عرفته الجزائر مجاهداً وباحثاً مميّزاً، وأستاذاً مُحاضراً، وأديباً كاتباً وإعلامياً بارزاً ومثقفاً واعياً، وجهلته أجيال كثيرة عاصرته فحُرمت من عطاءاته لغياب التّواصل، وترابط الأجيال، والزّهد في هذه المفاخر والطّاقات... لقد ألفيته شخصيّة جامعة بين العلم والثّقافة، وتجارب الحياة، ملمّا بتاريخ الجزائر، له علاقة بصُناع القرار قبل وبعد الاستقلال؛ ساير المجاهد الحاج محمّد قنطاري أحداث الثّورة وما بعدها، وهو شخصيّة هادئة متواضع ولطيف، يُحدّثك عن الثّورة وتضحيات الشّهداء والمجاهدين بتأثر بالغ يُحاول كلّ مرّة أن يربط

سامعه بتواريخ الأحداث والظروف المُحيطة بها في عبارات سلسة لا تكلّف فيها...".

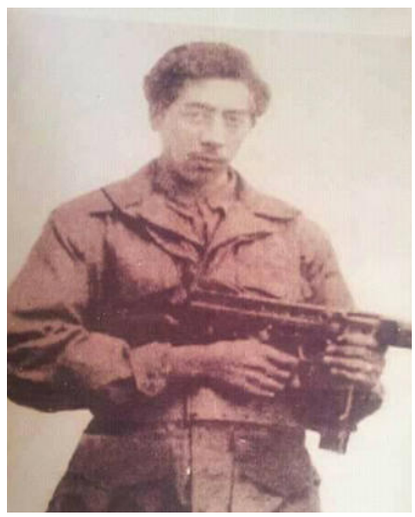
ويصفه العلاّمة الشّيخ (محمّد الصّالح الصّديق)؛ الملقب بعمدة المؤلفين الجزائريين، بقوله: "ويبرز في هذا الميدان صاحب هذا الكتاب (من بطولات المرأة الجزائريّة في الثّورة وجرائم الاستعمار الفرنسي) الأستاذ الدّكتور (محمّد قنطاري) مجاهد، وباحث بجامعة وهران، وأحد المحافظين السّياسيين بجيش التّحرير الوطني، الذي لم يألُ جهداً منذ سنوات في التّنويه ببطولة جيش التّحرير الوطني، والإشادة بصمود المناضلين الأحرار، الذين يقعون بين أيدي الجلادين الاستعماريين، ويصبرون على التّعذيب الفظيع الذي يمارس ضدهم حتى يموتوا أو يفشل زبانيّة التّعذيب في انتزاع الاعتراف منهم، فيطلقونهم بين الموت والحياة، ليعيشوا بقيّة حياتهم محطمين، أو معوقين، أو على عتبة الموت ينتظرون الرّحيل بين حين وآخر، وكتابه القيم الموسوعي المسمى (التّنظيم السّياسي الإداري، والعسكري للثورة الجزائريّة من:1954 إلى1962) بجزءيه الأول والثّاني خير دليل على ما لهذا الرّجل المناضل من حب لوطنه، ووفاء له. ويتقاضانا واجب الوفاء أن نلاحظ أن كل من ساهم-ويساهم-بعمل فكري في هذا الميدان، وهدفه ما ذكرنا جدير بكل احترام وتقدير، واعتراف له بالفضل، ونعتبر عمله شعلة مضيئة في الطّريق، وصورة للاتجاه الصّحيح، الذي يجب أن يتجه كل مواطن صالح، ومواطنة صالحة في الجزائر، وخطوة رائدة في طريق التّحدي والمصارعة، من أجل إحقاق الحق، وإبطال الباطل. ولكن عندما يكون هذا العمل الفكري من رجل كالدّكتور (محمّد قنطاري) وطنيّة ووفاءً، ونضالاً وجهاداً، وعلماً وثقافةً، واكتواءً بنار التّعذيب، ومعايشة لمن جربت أفظع وأقذر الأساليب، فإنه يكتسي أهميّة متميزة، وخاصة عندما يكون هذا العمل عن المرأة التي كانت توصف بأنها (رئة معطلة) ولكنها في ثورتنا بالخصوص، أثبتت بأنها لا تقل عن أخيها الرّجل: شجاعة، وبطولة، ومقاومة، وتحدياً وصموداً، وفداءً"

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

تد.محمّد قنطاري:من بطولات المرأة الجزائريّة في الثّورة وجرائم الاستعمار الفرنسي، منشورات دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران، الجزائر، 2009م.

محمّد ليتيم (بتي)
(3531هـ-4391م/9731هـ-0691م)



ولد المؤلف، الملحن وهو الشّهيد البطل (محمّد بن إبراهيم ليتيم) و(ملوكة درماني)، ولد يوم: (26شعبان1353هـ)؛ الموافق لـ(04ديسمبر1934م) في منطقة (غجاتة)؛ قرب بلديّة (جندل)، ومدينة (عزابة) بولايّة (سكيكدة)؛ نشأ وترعرع في عائلة معروفة بأصالتها، وتضحياتها من أجل الوطن، ومحافظتها على تقاليدها العربيّة والإسلاميّة؛ وترجع أصولها إلى منطقة (الأوراس) الأشم، وقد عرف (محمّد ليتيم) مظاهر الذل والحرمان مثل أبناء جيله من قبل سلطات الاستدمار الفرنسي؛ التي كانت تُمارس أعمالاً فظيعة وغير إنسانيّة ضد أبناء قريته أثناء فترة ليل الاستعمار الطّويل للجزائر؛ فقد كانت أسرته تشتغل في الفلاحة والتّجارة؛ ولكن قوات الاحتلال الفرنسي انتزعت الأرض التي كانت ملكاً لعائلته، ومنحتها للمعمرين الذين وفدوا من شتى المناطق من أوروبا، ونهبوا خيرات أبناء البلد، وبسبب الفقر المدقع وحياة البؤس التي عاشها الشّهيد البطل (محمّد بن إبراهيم ليتيم)؛ فإنه لم يتمكن من مزاولة دراسته، ومنذ شبابه تشبع بالأفكار الوطنيّة، ورفض التّجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، والتّحق للنضال في صفوف (حزب الشّعب الجزائري)؛ الذي تأسس يوم: (06شعبان1340هـ)؛ الموافق لـ(11مارس1937م)، وذلك بعد حظر سلطات الاحتلال الفرنسي لنشاط (نجم شمال أفريقيا)، وبسبب رفضه التّجنيد ارتكبت قوات الاحتلال الفرنسي العديد من المظالم في حق عائلة الشّهيد، وفي حق والدّه (إبراهيم ليتيم)؛ الذي صادرت سلطات الاستدمار الفرنسي جميع ممتلكاته، وممتلكات عائلته وأبنائه، كما وضعت عائلة الشّهيد البطل (محمّد ليتيم) في القائمة السّوداء؛ أي من المشتبه فيهم بالقيام بأعمال عدائيّة ضد سلطات الاحتلال الفرنسي؛ التي كانت تُحقق في كل فرصة تسنح لها تحقيقات دقيقة مع أفراد العائلة، ولم تستثن منها الأطفال الصّغار الذين خضعوا إلى عدّة استجوابات، وبعد أشهر قليلة من اندلاع ثورة التّحرير المظفرة؛ التّحق الشّهيد البطل (محمّد ليتيم) بصفوفها، وذلك مع بدايّة عام: (1955م)؛ فكان من أبرز المُقربين من قادة الولايّة التّاريخيّة الثّانيّة؛ حيث شارك في عدّة عمليات وهجومات وتحضيرات مع الشّهيد

البطل (زيغود يوسف)، والمجاهد الكبير (علي كافي)، والمجاهد البطل (علي منجلي)، وغيرهم، وقد أعجبوا بذكائه، وبطولاته، وأثنوا على العمليات النّاجحة التي شارك فيها، وقادها في شتى مناطق الولايّة التّاريخيّة الثّانيّة؛ فأسندت له عدّة مسؤوليات من بينها: رئيس الفرق الفدائيّة لجيش التّحرير الوطني في العديد من المناطق بالولايّة التّاريخيّة الثّانيّة؛ حيث أشرف وقام بعدة عمليات فدائيّة ناجحة جداً ضد سلطات الاستدمار الفرنسي، ونظراً للنجاحات الكبيرة التي حققها أصبح من أبرز المطلوبين عند سلطات الاحتلال الفرنسي على مستوى ولايّة (سكيكدة)، كما عُرف الشّهيد البطل (محمّد ليتيم)، والمدعو (بتي) لدى المواطنين وأبناء الشّعب الجزائري على مستوى عدّة مناطق في ولايّة (سكيكدة) بأنه يُشكل مصدراً للرعب لدى السّلطات الاستعماريّة الفرنسيّة، وكان أبناء ولايّة (سكيكدة) يفتخرون ببطولاته وعملياته الفدائيّة؛ وقد اشتهر كذلك بإشرافه على فرق الفداء التي رأسها، وقاد عدّة عمليات عبور لقوافل المجاهدين التي كانت تستقدم الأسلحة من (تونس)؛ حيث كانت فرقه تتولى حراسة جبال (مليلة)، ونواحي منطقة (عزابة)، ولاسيما منطقة (عين شرشار)، وجبال دباغ بنواحي منطقة (گالمة)، كما توّجه الشّهيد البطل (محمّد ليتيم) في عدّة مناسبات إلى الحدود التّونسيّة الجزائريّة لجلب الأسلحة، وكانت له اتصالات وثيقة بالمجاهدين في (القاعدة الشّرقيّة)؛ التي يصفها المجاهد (محمّد معارفيّة) بأنها (تمتد من القالة شمالاً إلى حدود الونزة جنوباً؛ يحدها وادي سيبوس، والطّرق الرّابطة بين مدن المشروحة- لا فردور سابقاً-، تيفاش، مداوروش لكبيرات، عنابة-القالة، عنابة-سوق أهراس، والشّريط السّاحلي المحاذي للبحر من عنابة إلى القالة...، وقد تعاقب على قيادتها قبل أن تسمى (القاعدة الشّرقيّة) : باجي مختار، وجبار أعمر، والوردي قتال، وأخيراً عمارة العسكري المدعو: بوقلاز منذ تحولت إلى القاعدة الشّرقيّة) . ويتحدث الرّئيس الجزائري الأسبق (الشّاذلي بن جديد) عن (القاعدة الشّرقيّة)، التي كان يعمل بها، ويُبرز ظروف تأسيسها في مذكراته، حيث يقول: (هكذا ظهرت رسمياً القاعدة الشّرقيّة في نهايّة1956م؛ لكن قرار لجنة التّنفيذ والتّنسيق جاء ليكرّس واقعاً موجوداً في الميدان قبل ذلك بأشهر عديدة، وينبغي التّأكيد هنا على أن الرّهانات الحقيقيّة التي أحاطت بظروف إنشاء القاعدة الشّرقيّة سببها الأهميّة الإستراتيجيّة لهذه الرّقعة الجغرافيّة...؛فهي معبر حقيقي من الحدود التّونسيّة نحو الدّاخل، ويتميز بتضاريس وعرة تصلح لإخفاء السّلاح وإقامة مراكز القيادة، وبها غابات كثيفة وجبال شامخة يصعب على العدو دخولها؛ مثل جبال المسيد، وكاف الشّهبة، والدّير والكرسي وجبال بني صالح وأولاد بشيح...إلخ. ولقد أدركت قيادة الثّورة هذه الأهميّة وأولتها اهتماماً خاصاً؛ وهو ما يُفسر حدة الصّراعات التي جرت حول إنشائها؛ كما أدرك الجيش الفرنسي، هو الآخر، أهميتها كقاعدة دعم لولايات الدّاخل؛ لذلك خطط لإنشاء خط موريس، ومن بعده شال لمنع دخول قوافل السّلاح والتّموين...) . لقد شارك الشّهيد البطل (محمّد ليتيم) رفقة العديد من المجاهدين في إدخال وتمرير الأموال، والسّلاح إلى العديد من الولايات التّاريخيّة أثناء ثورة التّحرير المظفرة؛ على الرّغم من الحصار، وصعوبة العبور على (خط موريس) الرّهيب؛ الذي يصفه المجاهد (علي كافي)، بالقول: (طوله حوالي خمسمائة 500 متر يمتد على طول الحدود التّونسيّة- الجزائريّة (ومثله على الحدود المغربيّة) من البحر إلى الصّحراء، علو أسلاكه (متران وخمسون وطاقته الكهربائيّة ألف فولط يفصل بين الخطين المكهربين حوالي 150 متراً من أرض ملغمة، على طريقة خط ماجينو أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة). وعلى طول الخط هناك متابعة دقيقة من دوريات عسكريّة مدججة بالسّلاح؛ تنير طريقها ليلاً كاشفات للنور، والخطان مزودان بمنبهات إلكترونيّة تحدد بالضّبط المكان الذي تتم فيه عمليّة القص للسلك المكهرب، وعندما تنطق المنبهات الصّوتيّة تطلق المدافع الثّقيلة آلياً نيرانها صوب المكان الذي تمت فيه العمليّة، والإضاءات الأوتوماتيكيّة دائريّة يدوم عشر دقائق بالنّسبة إلى مرور دوريات (هالف تراك) -المزنجرات، وعندما تصرخ المنبهات الصّوتيّة تدوي مدافع105 الثّقيلة التي توجه نيرانها نحو المكان المخرب، يحمي الخط 80 ألف جندي؛ منها وحدات ممكننة ومصفحات، وأربعة فيالق من المظليين وفيلق الطّليعة التّابع للعقيد جان بيار، وعدد كبير من طائرات الهيلوكبتر في حالة استنفار دائم في مناطق گالمة، والمطار العسكري في عنابة؛ الذي يُغطي تقريباً الشّرق القسنطيني، وامتداداً إلى (قاعدة بنزرت) بتونس...) . ونظراً للجهود الكبيرة التي بذلها الشّهيد البطل (محمّد ليتيم)؛ فقد عُيّن مسؤولاً عسكرياً على شرق وجنوب منطقة (سكيكدة)، وذلك عام: (1377هـ/ 1957م)، كما عُيّن مسؤولاً عسكرياً على عدّة مناطق واسعة من (عزابة) إلى (مليلة) إلى (أم النّحل قندول) إلى غايّة حدود منطقة (گالمة)، وقد خاض عدّة معارك عسكريّة ضخمة، وشارك في أعمال فدائيّة ناجحة، من بينها: قتل محافظ الشّرطة بسدراتة، وقتل العديد من مفتشي الشّرطة العسكريّة في منطقة (سكيكدة)، والهجوم على المحتشد العسكري بمنطقة (الرّكنيّة)؛ الذي كبّد قوات الاحتلال الفرنسي خسائر فادحة، والهجوم على حافلة عسكريّة بمنطقة (عين شرشار)، وقيادة عمليّة (قندولة) المشهورة في منطقة (سكيكدة)؛ والتي أدت إلى مقتل كتيبة كاملة للعدو الفرنسي، وكانت آخر معركة يُشارك فيها، ويستشهد معركة (مليلة) بمنطقة

(أم المدافع)، وقد وقعت في جبال منطقة (مليلة)؛ حيث شارك فيها مع عدّة فرق بإشرافه، ودامت ساعات طويلة جداً إلى غايّة غروب الشّمس، وقد استشهد الشّهيد البطل (محمّد ليتيم) بعد منتصف النّهار، وذلك يوم: (06رمضان 1379هـ)؛ الموافق لـ (04 مارس1960م)، وبعد استشهاده قام جنود الاحتلال الفرنسي بحمل جثته، والتّجول بها في عدّة مدن وقرى بولايّة (سكيكدة)؛ كونه كان مطلوباً لدى سلطات الاحتلال الفرنسي على مدى أكثر من خمس سنوات، كما قاموا بوضع جثة الشّهيد البطل (محمّد ليتيم) في منطقة: (عين شرشار) بولايّة (سكيكدة) في ساحة كبيرة، وقاموا باستخدام مكبرات الصّوت ومناداة النّاس للتفرج على جثة أحد أبطال ثورة التّحرير الجزائريّة؛ الذي دوّخ جنرالات العدو الفرنسي، كما كتبت جريدة (لا ديباش دو كونستنطين) مقالاً مُطولاً عن الشّهيد البطل (محمّد ليتيم)، ووضعت فيه صورته، ووصفت استشهاده بأنه نجاح كبير لسلطات الاحتلال الفرنسي

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1. تراجم ذاتيّة وشهادات حيّة حول معارك التّحرير بولايّة سكيكدة، منشورات مديريّة المجاهدين بولايّة سكيكدة، وزارة المجاهدين، الجزائر، صفر1426هـ/ أفريل2005م.
2. من أبطال ورموز نوفمبر1954م بولايّة سكيكدة، من إعداد: مصلحة التّراث التّاريخي والثّقافي منشورات مديريّة المجاهدين بولايّة سكيكدة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2018م.
3. عائشة ليتيم:زمن الأبطال والبطولات:صور خالدّة من بطولات نمور الشّمال القسنطيني، منشورات دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015م.

■ محمّد فارح
(1348هـ - 1930م/1434هـ - 2012م)

ولد محمّد فارح سنة: (1348هـ/ 1930م)، بقريّة رزور ببلديّة الميليّة، بدأ دراسته بالكتاتيب على يد جده، فحفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى زاويّة (الشّيخ الحسين)، ببلديّة سيدي خليفة في ولايّة ميلة، وهي من الزّوايا العتيقة في الجزائر، وقد لعبت دورا مهما في الحفاظ على الثّقافة الإسلاميّة والعربيّة، منذ تأسيسها على يد (الشّيخ الحسين) في نهايّة القرن الثّامن عشر، في عهد الحكم العثماني للجزائر، وعائلة (الشّيخ الحسين) تنتمي إلى الأدارسة الذين حكموا المغرب الأقصى والجهة الغربيّة من المغرب الأوسط، وتابع (محمّد فارح)دراسته بمعهد الإمام ابن باديس بقسنطينة، الذي تحوّل له سنة: (1369هـ/ 1950م)، حيث حصل على الشّهادة الأهليّة، وكان واحدًا من أنجب التّلاميذ بشهادة جميع الأساتذة الذين درّسوه، وبعد تفوّقه ذهب للدراسة بجامع الزّيتونة في تونس سنة: (1374هـ/ 1955م)، ثم سافر إلى العراق، بعد أن نال شهادة التّحصيل بتفوق، وقد انخرط في صفوف جمعيّة الطّلبة الجزائريين، ثم في اتحاد الطّلبة المسلمين الجزائريين، وأصبح بعدها عضواً في اللجنة العليا المكلفة بشؤون الطّلبة في جبهة التّحرير الوطني.

وبعد اندلاع ثورة التّحرير الجزائريّة عمل مناضلاً في صفوفها، وكتب عدّة مقالات تُشيد بها، وشارك بقوة في النّضال ضد الاستعمّار الفرنسي، إذ تؤكد الوثائق والشّهادات الواردة عن المناضلين القادة في جبهة التّحرير الوطني أن محمّد فارح قد انخرط في تنظيمها منذ البداية، وكُلف بعدّة مسؤوليات تتوافق مع مؤهلاته الفكريّة والثّقافيّة، حيث رأس الأمانة العامّة لاتحاد الطّلبة الجزائريين بالمشرق العربي، وكان عضواً بارزاً في التّنظيم الإعلامي لجبهة التّحرير الوطني الجزائريّة، وقد واصل (محمّد فارح) دراسته بجامعة بغداد وتخرج من قسم الآداب سنة: (1381هـ/ 1962م)، بشهادة الإجازة في اللغة والأدب العربي، وبعد استقلال الجزائر عمل أستاذاً بمدينة سطيف، وكان من بين المؤسّسين الأوائل للصحافة الجزائريّة الصّادرة باللغة العربيّة، حيث كان يعمل بجريدة (الشّعب) العريقة، كما عمل في مؤسّسة الإذاعة والتّلفزيون الجزائريّة مع بدايات انطلاقتها، واشتغل أستاذاً بالمدرسة العليا لتكوين أساتذة التّعليم الثّانوي، وفي كليّة العلوم الإسلاميّة، ومعهد الفلسفة في الجزائر، وكان عضواً نشيطاً في كثير من المؤسّسات العلميّة والثّقافيّة مثل: مديريّة الدّراسات بالأمانة العامّة للحكومة الجزائريّة، والمجلس الإسلامي الأعلى.

لقد كان (محمّد فارح) صاحب ثقافة موسُوعيّة، ترك بصمات واضحة في شتّى الميادين العلميّة، عُرف بنشاطاته المتنوعة في مختلف وسائل الإعلام، وأسهم إسهاماً كبيراً في تنشيط الحركة الثّقافيّة في الجزائر، كانت حياته شعلة من النّشاط والحيويّة في ميادين عدّة، وخاصّة في مجال الدّراسات اللغويّة والإسلاميّة.

وقد أشرف على صياغة مجموعة من النّصوص والقوانين الصّادرة عن رئاسة الجمهوريّة الجزائريّة في مرحلة السّبعينيات من القرن المنصرم، وعُيّن مستشاراً تقنياً برئاسة الجمهوريّة، حيث كان يقوم بالمراجعة اللُّغويّة لخطّابات الرّئيس الجزائري الرّاحل (هواري بومدين)، ومن بعده (الشّاذلي بن جديد).

وقد كان الرّئيس (هواري بومدين) يثني عليه أيما ثناء، ويصفه بالرّجل الرّائد الذي قدم خدمات جليلة للتعريب في الجزائر، وطوال مسيرته لم يبتعد (محمّد فارح) عن أجواء الحياة الثّقافيّة والأدبيّة والإعلاميّة الجزائريّة، وكانت له نشاطات مكثفة داخل الجزائر، ومن أهم البرامج الثّقافيّة التي قدمها في مؤسّسة الإذاعة الجزائريّة: (لغتنا الجميلة)، و(مفاهيم جديدة)، و(رجال الفكر والأدب)، و(الأدب العربي بين القديم والجديد)، و(رجال ومواقف ثورة نوفمبر)، و(جوانب من شخصيّة الأمير عبد القادر الجزائري)، و(الشّيخ العلّامة محمّد البشير الإبراهيمي).

وكانت له مجموعة من الأركان اليوميّة الثّابتة في الصّحافة الجزائريّة، من بينها: (قُل ولا تقُل)، و(الخطأ والصّواب)، و(الثّقافة للجميع)، و(لقاء الخميس)، و(رياض الإسلام)، و(في رحاب رمضان).

وقد خسرت الثّقافة العربيّة في الجزائر برحيله سنة: (1434هـ/ 2012م)، أحد فرسانها الأفذاذ، وأحد كبار العلماء الأجلاء، الذين قدموا خدمات جليلة للغتنا العربيّة، فاللُّغوي (محمّد فارح) يعد قامة سامقة من قامات العلم والمعرفة، وأحد كبار علماء المغرب العربي الشّوامخ الذين عشقوا اللغة العربيّة، وأفنوا حياتهم في خدمتها ودراستها، وسبر أغوارها، والدّفاع عنها.

يقول عنه الأستاذ الباحث محمّد الهادي الحسني: "إنّ الأستاذ (محمّد فارح) هو أحد الذين قامت على كواهلهم المدرسة الجزائريّة الأصيلة، حيث بدأ بالتّدريس في بداية استعادة الاستقلال في مدينة سطيف، ثمّ انتقل إلى الجزائر العاصمة، وقد درّس في كلّ من المدرسة العليا للأساتذة، والمعهد الوطني العالي لأصول الدّين بمدينة الجزائر. وهو أيضاً أحد الذين قامت على كواهلهم الصّحافة الوطنيّة ذات اللسان العربي، ابتداء بجريدة (الشّعب)أم الجرائد الوطنيّة بعد استرجاع الاستقلال... وهو متأثّر بفلسفة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين التي تحرص على تقويم النّفوس بالأخلاق قبل تعليمها العلم...".

ويُشير الباحث الدّكتور (صالح بلعيد) إلى أن الأستاذ (محمّد فارح) هو: "صيّاد الأخطاء، وباحث عن الصّواب، نال شهرة في سبعينيات القرن الماضي، حتى لُقّب بسيبويه الجزائر/ جبذ اللُّغة العربيّة. عمل ما وسعه الجهد في توجيه الإعلاميين، والقُرّاء، والباحثين إلى البحث عن جمال استعمال اللّغة العربيّة، بتقديم بعض البرامج الإذاعيّة التي تعمل على حُسن الأداء اللغويّ الفصيح والمُتقعّر... يُصنف في خانة المتشدّدين من أمثال البطليوسي وثعلب صاحب الفصيح، والزّبيدي صاحب لحن العامّة، والحريري صاحب درّة الغوّاص، وابن الجوزي صاحب تقويم اللسان...".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- صالح بلعيد: مناسبة وكلمة، الجزء الثّاني، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر، 2018م.
- محمّد سيف الإسلام بوفلاقة: رحيل العلّامة محمّد فارح... شيخ اللغويين الجزائريين خادم اللغة العربيّة، مقال منشور في مجلّة العربي، مجلّة شهريّة ثقافيّة تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:652، ربيع الآخر 1434هـ/ مارس2013م.

■ محمّد كتو
(1333هـ/1915م - 1417هـ/1999م)

حمّد كتو الشّيخ الإعلامي الفقيه، عالم ومقرئ وفقيه مفتي، ومدرس واعظ وداعيّة جزائري، ابن الشّيخ أحمد بن محمّد بن الحاج السعيد من تفريت ناث الحاج بأزفون، هاجر والده لاجئا إلى تونس في 1890 فرارا من التجنيد العسكري للاحتلال الفرنسي، فاستقر بقريّة باجة بضواحي تونس، ولد محمّد بتونس في 15 ديسمبر 1915 (1333هـ)، تلقى تعليمه الأولي عند والده الشّيخ حتى حفظ عليه القرآن الكريم وبعض المتون وعمره11 سنة، وأخذ منه مبادئ اللغة والفقه، ثم التحق بجامع الزيتونة ليواصل دراسته في تخصص "القراءات والتجويد" الذي ولع بهما، عند شيوخه هناك منهم "عبد الواحد المرغني، الشّاذلي النيفر،



البيجاني زفزون، علي التريكي، صالح الكسراوي والشّيخ الطاهر بن عاشور..."، وقد اجازه علماء أجلاء من تونس والجزائر بعد أن خبروه وامتحنوه في كل مروياته، أجيز في القراءات السبع من جامع الزيتونة، فأجازه علي بن خوجة مفتي الديار التونسيّة بروايّة صحيح البخاري، وبالجزائر أجازه أهم شيوخه محمّد بابا عمر مفتي الجزائر بالصحيحين وموطأ الإمام مالك عام 1972، رغم استقرار الأسرة في تونس آثر ان يعود إلى مسقط رأسه، وقد لقى إقبالا بعد تقديمه درسا بزاويّة القريّة باللغة العربيّة الفصحى، حيث دخل الإذاعة سنة 1946، وأسس عائلته الصغيرة أنجب 10 أولاد منهم 7 بنات علمهن أحسن تعليم، وكان مذيعا يقرأ ويجود القرآن الكريم، صباحا ومساء، وبقي فيها بعد الاستقلال إلى غايّة أيامه الأخيرة، حيث كان ينتظره عشاقه مباشرة بعد صوت فلسطين، وبعد سنوات انتقل للقراءة الصباحيّة فقط، فارتبط اسمه بالنشيد الوطني كل صباح على الساعة السابعة، ولم يرتبط اسمه بالإذاعة فقط، حيث كان يقدم كل يوم اثنين وجمعة نفس برنامجه الإذاعي بالتلفزيون الجزائري في نصف ساعة بعنوان "الحديث الديني"، بأسلوب جذاب، وبسيط وبلغة يفهما العامة، فكان من القلة التي

حافظ عليها الجزائريون للتفقه والتزود بأمور دينهم ودنياهم، فكان يفيد بعلمه داخل هاتين المؤسستين، يصحح لبعضهم الجانب الديني في حصصهم المختلفة ويعطي لهم نصائح وإرشادات، ويجيب على تساؤلات يتلقاها من مقدمي البرامج، فقد تنوعت اهتماماته لكن جلها انحصر في مجال النشاط الديني من افتاء ووعظ وإرشاد وتدريس في المساجد والمصليات عبر الجزائر، ودرس علم القراءات والتجويد بمعهد تكوين الأئمة بمفتاح أنذاك، كما كان يتنقل بين مساجد الوطن كل صلاة جمعة ليؤم مصليها، وهي السنة التي مشى عليها طيلة حياته، وكانت خطبه منقولة على المباشر في الإذاعة الوطنيّة، والتي تميزت حسب مقربيه ومن عاصروه بالبسيطة والمتوغلة في عمق المجتمع وبصراحته فيما يقول وينصح به المصلين، كما أكدت عائلته أنه فتح بيته لطلبة العلم من ربوع الوطن، ليصل أحيانا حتى 60 طالبا، يدرسهم ويسهر على تعليمهم فن القراءات وتحفيظهم القرآن بالمجان، جعلته الظروف يتعلم اللغة الفرنسيّة حتى الإتقان، شارك بصفة شخصيّة أو ممثلا للجزائر في المحافل الدوليّة، وكُرّم في العديد منها مؤتمرات وندوات وكذا مسابقات دينيّة عبر الدول الإسلاميّة، كما اختير عضو بالرابطة العالميّة الإسلاميّة للقراء والمجودين، وكسفير للجزائر في مسابقات الحفظ الدوليّة، بماليزيا، ليبيا، مصر، فرنسا، وبلدان أخرى التي كرم بها، كتكريمه من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، كما يحتفظ الشّيخ في رصيده تكريمات تليق بمكانته الدوليّة في الحفظ والقراءة، ما أهله لأن يُختار ضمن أحسن القراء العشرة في الوطن العربي، مسار 60 سنة من العطاء داخل وخارج الوطن، منها 53 سنة عملا إذاعيا وتلفزيونيا، جالس العلماء فاستفاد وأفاد، نشر علمه على أرض الجزائر وكرس بيته لتدريس الطلبة، وعرف ببساطته في التعامل وشفافيّة رأيه، ويشهد له بأخلاقه الرفيعة، ظل كذلك حتى أقعده المرض فلزم بيته بالمراديّة بالعاصمة إلى وفاته في 30 أكتوبر 1999 (1417هـ)، وعمره يناهز 84 سنة، وشيعت جنازته إلى مقبرة سيدي يحي، بحضور عدد كبير من العلماء، تاركا وراءه إرثا وأثرا لن تمحوه السنون، يرحمه الله. ويُجمع كل من عرفه بسمو أخلاقه، فقد عُرف بحلمه لأبعد الحدود حتى مع من أساؤوا له، بر بعائلته، يحسن التعامل داخل وخارج الوطن، يجيب دعوة أي محتاج لفتوة، أو طلب معرفة، فيقول الجيران "لقد كان أبانا جميعا، وقدوتنا في التعامل، لم يرد أحدا فينا حين يسأله في أي وقت"، وذكر الوزير الأسبق لمين بشيشي بأنه "كان يشرف على النقل المباشر لصلاة العيد في الإذاعة الوطنيّة"، وأضاف "أن المسؤولين السعوديين انتبهوا إلى أنه كان أفضل المراسلين الإذاعيين القادمين من البلدان الإسلاميّة توفيقا في تغطيّة مناسك الحج، فقرروا أن يكون إمام المراسلين في الصلاة"، وقال الأستاذ محمّد كمال التارزي المدير العام للشعائر الدينيّة بتونس في زمن بورقيبة بأنه "كان يستمد موضوع خطبة ودرس الجمعة من الحديث الديني الصباحي للشيخ بالإذاعة الجزائريّة"، وفي إحدى المرات حل وفد مصري من المقرئين بالجزائر وكان من ضمنهم الشّيخ الحصري، سجل معهم بالإذاعة، مساء أخذهم إلى المسجد الكبير، فلم ترق لهم قراءة مقرئ المسجد، فقال أحدهم: لماذا لا يغيرونه، فرد عليه آخر: لا داعي فكلهم متشابهون، فأغتاظ الشّيخ ورد: "هذه الورقة فيها 22 خطأ ارتكبتها في التلاوة أثناء تسجيلك بالإذاعة"، فغضب المقرئ، فحُكِم الشّيخ الحصري الذي أقر بصدق الشّيخ كتو، وذكرت ابنة أخته الوزيرة السابقة سعيدة بن حبيلس "في التسعينيات دخل إلى مسجد وإذا بشاب ملتح بعد الصلاة يقول له ارتكبت الكبيرة يا شيخ لأنك لم تطلق لحيتك، فرد عليه أين تعمل؟ قال الشّاب: في سوناطراك، رد الشّيخ: تتركون أعمالكم التي فيها مصالح الناس، وتتعلقون بما لا يعنيكم، فما كان على الشّاب سوى الانصراف"

محمّد طيب

المصادر:
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمود الشّريف
(1330هـ - 1912م/1407هـ - 1987م)

الشّيخ محمّد عبد الكبير البكري بن الشّيخ الهو (محمود بن علي بن محمّد علي بن الشّريف)؛ وُلد سنة (1330هـ/ 1912م) في منطقة (الشّريعة) بولايّة (تبسة)؛ التي هي مركز قبيلة (النّمامشة) الكبيرة؛ ينتمي (محمود الشّريف) إلى أسرة معروفة باشتغالها في مجال الفلاحة، وقد كان والدّه (علي) من أعيان منطقة (الشّريعة)؛ التي عُرفت بوجود الكثير من الأنشطة التّجاريّة فيها خلال سنوات العشرينيات والثّلاثينيات من القرن المنصرم، وقد عمل والدّه لعدّة سنوات في صفوف الجيش الفرنسي، كما عُرف كذلك بوطنيته، وإسهاماته في صفوف الحركة الوطنيّة الجزائريّة.

نشأ (محمود الشّريف) في عائلة غنيّة مقارنة بالعائلات الجزائريّة خلال تلك المرحلة؛ التي كانت تعيش في فقر مدقع، ودرس المرحلة الابتدائيّة من تعليمه في مدرسة فرنسيّة؛ وقد

ساعده على هذا الأمر تجند والدّه في صفوف الجيش الفرنسي، فأكمل دراسته الإكماليّة بمدينة (تبسة)، وبعدها انضم إلى الجيش الفرنسي من أجل الحصول على راتب شهري؛ فالتّحق (محمود الشّريف) بالكليّة العسكريّة للضباط في منطقة (بوسعادة) عندما بلغ من العمر ثمانيّة عشر (18)عاماً، وبعد أن تخرج من الكليّة العسكريّة برتبة ملازمأوّل شارك في الحرب العالميّة الثّانيّة، وسافر ضمن صفوف القوات المشاركة في الحملة على (إيطاليا)، وخاض معركة (نابل)، ومعركة (كازينو)، وكان من بين المساهمين في حملة الدّخول لتحرير (فرنسا)، وبعد مجازر 8ماي1945م الفظيعة؛ التي وصفها المناضل الكبير (فرحات عبّاس) بأنها؛ قد عادت بالجزائر إلى القرون الوسطى، والحروب الصّليبيّة، بل وإلى أخطر من ذلك فيما يخص فرنسيي الجزائر، حيث رأينا أن فئة من نخبتهم تُعذّب، ويُنكل بها، وكيف أن الأبرياء قتلوا على مدار أسابيع عدّة ببرودة، ووحشيّة، والاستدمار الفرنسي ارتكب هذه الجرائم الفظيعة، لأنه ينظر إلى الجزائري على أنه شخص حقير، وعدو لدود، وإنسان منحط، انسحب (محمود الشّريف) من الجيش الفرنسي؛ وذلك بناء على طلبه بالخروج من صفوفه نهائياً، وانتمى إلى حزب : (الاتّحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري)، وفي عام: (1374هـ/ 1955م)، انضم إلى صفوف ثورة التّحرير الجزائريّة المظفرة، بعد اتّصالات مكثفة مع عدد غير قليل من كبار المجاهدين بمنطقة (الشّريعة) بولايّة (تبسة)، وبفضل الخبرات التي اكتسبها في صفوف الجيش الفرنسي؛ كوّن (محمود الشّريف) مجموعة من الفدائيين (كوموندوس) أثاروا الرّعب في صفوف قوات الاحتلال الفرنسي بمنطقة (تبسة)، وبعد معركة ضاريّة في إحدى مناطق (تبسة) جُرح المجاهد (محمود الشّريف)، ونُقل للعلاج في (تونس)، خلال عام: (1375هـ/ 1956م)، وفي يوم: (7 أفريل1957م)، تمّ تعيّين (محمود الشّريف) قائداً للولايّة التّاريخيّة الأولى (أوراس النّمامشة)، وذلك بإيعاز من المجاهد الكبير (إبراهيم مزهودي)؛ الذي يذكر الباحث الدّكتور (عبد الله مقلاتي) أسباب اختياره لشخصيّة المجاهد (محمود الشّريف) من أجل قيادة الولايّة الأولى، ويختصرها في عدّة أسباب موضوعيّة، من بينها:

-أنه كان من بين قادة النّمامشة الذين حضروا في تونس، واكتشف المجاهد (إبراهيم مزهودي) مواهبه من خلال اللقاءات والاجتماعات به، ولعل (صالح بن علي) السّياسي المحنك هو من أقنع مزهودي بأهليته.

-أنه لم يكن طرفاً في الخلاف النّاسب بين النّمامشة والأوراس؛ فهو لم يكن قيادياً في الميدان، ولم يحضر اجتماعاتهم العاصفة، وهي صفة تعطيه صفة الحياديّة، وتفتح المجال لتقبل مجموعات المجاهدين لقيادته.

- إنه العسكري المؤهل بصرامته لإخضاع قادة مجموعات المجاهدين المتنافسين عشائرياً من أجل السّلطة؛ فقد كان مزهودي العارف بتركيبة المنطقة وعقليّة السّكان يدرك أن مرحلة نشر النّظام، وإنهاء الفرقة والخلافات تتطلب عسكرياً صارماً مثل: (محمود الشّريف).

-إنه كان إلى جانب خبرته العسكريّة متمرساً بالسّياسة؛ فهو قادر على فهم الأبعاد السّياسيّة التي جاءت بها قرارات الصّومام، وبإمكانه مخاطبة قادة الصّومام ومناورة مخططاتهم، وهو بُعد كان مزهودي يضعه في الاعتبار.

- إنه كان مناضلاً في حزب (فرحات عباس) القريب في خطه السّياسي من توجه جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين التي ينتمي إليها (إبراهيم مزهودي)، وكان ضابطاً في الجيش الفرنسي، وكان على الثّورة التّحريريّة أن تحتوي كل التيارات داخلها، وتصقلهم في بو تقة واحدة.

وبعد اجتماع دورة المجلس الوطني للثورة الجزائريّة يوم: (30محرم1377هـ)، الموافق لـ (27 أوت1957م) أصبح المجاهد (محمود الشّريف) عضواً في لجنة التّنسيق والتّنفيذ، وتولى بعدها مصلحة الشّؤون الماليّة، وبعد تشكيلأوّل حكومة جزائريّة مؤقتة أصبح وزير التّسليح والتّموين خلال الفترة الممتدة من: (1958-1960م)، وقد توفي المجاهد (محمود الشّريف)، عام: (1407هـ/ 1987م)، ودفن بمسقط رأسه في مدينة (الشّريعة) بولايّة (تبسة).

يقول عنه الباحث الدّكتور (عبد الله مقلاتي): (إن محمود الشّريف، وعلى الرّغم من أنه لم يكن منتمياً إلى الحزب الثّوري-حزب الشّعب/ حركة الانتصار للحريات قراطيّة، ولا من مفجري ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م؛ الدّيمقراطيّة، ولا من مفجري ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م؛ فقد برز قيادياً شجاعاً ومخططاً خبيراً في العمل الفدائي وحرب العصابات، وقد اختير من بين قادة النّمامشة لتولي مسؤوليّة المنطقة السّادسة، وكان الاختيار موفقاً إلى حد بعيد؛ حيث تبيّن أن الرّجل الخبير والمتمرس كان مؤهلاً لتولي هذه المسؤوليّة الهامة والحساسة في تلك الظّروف الخاصة؛ إذ حوّل مجموعات المجاهدين المشتتة إلى جيش منظم أعطى للمنطقة قوة وفاعليّة، ومكانة بين المناطق الأخرى، واستطاع أن يفرض كلمته، وأن يبرز المؤهل الأول لقيادة الولايّة الأولى.

- إنه وعلى الرّغم مما قيل عن الرّجل من أنه ليس أهلاً لقيادة ولايّة مثل ولايّة الأوراس، إلا أنه سرعان ما تبددت تلك الأقاويل؛ لقد قاد محمود الولايّة وأعادها إلى مكانتها التّنظيميّة واستقرارها الذي تبدد باستشهاد مصطفى بن بولعيد، وأن فضله في تنظيم الولايّة وتفعيل دورها لا ينكره إلا جاحد، وقد ساقه القدر في تلك الظّروف لتولي مسؤوليات جسام، ومواجهة معضلات كبرى، ونجح في ذلك بفضل حسن تدبيره ومهارته في التّسيير وخبرته العسكريّة.

- إن الجهود التي بذلها محمود الشّريف كانت مضنيّة، وقد وفق في تأديّة واجباته، وذلك بفضل خبرته وثقافته

وصرامته، وإن تلك النّجاحات المتواليّة أهلته لتولي مسؤوليات عليا في قيادة الثّورة، ومنها تكليفه بتسيير مديريّة الماليّة، ووزارة التّسليح والتّموين، وفي كل ذلك كان يبدي مواقف سياسيّة حكيمة تصب في أغلبها في خدمة المصلحة العليا للوطن؛ فهو لم يسع لإقامة تحالفات نخبويّة ...) .

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

1. محمّد الصّالح رمضان: سوانح وارتسامات عابر سبيل رحلة إلى مهرجان الشّباب والطّلاب العالمي في فرصوفيا سنة:1955م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر، الجزائر، 2004م.
2. د.عبد الله مقلاتي: محمود الشّريف :قائد الولايّة الأولى ووزير التّسليح إبان الثّورة الجزائريّة، منشورات مدار العلم والمعرفة، ووزارة المجاهدين، الجزائر، 2013م.

معـمَّر أبو العالية البَكْرِي الصدِّيقي (ت: 822هـ1420-م)

اختلفت الرّوايات حول مولد الشّيخ معمر بن سليمان أبو العاليّة وعصره، وقد نركز ههنا على روايتين أساسيتين؛ الأوّلى إنّه وُلد حوالي (731هـ- 1330م) بتونس، فنشأ بها وتعلّم القُرآن الكريم والفقه المالكي، وكذا علوم النّقل والعقل، وذلك خلال العهد الحفصي، ثم هاجر سنة (772هـ - 1370م) تقريباً، ودخل غرب جبال جرجرة بسهل متيجة، وبعد بضع عشر سنة ارتحل غرباً جنوب غرب تلمسان، وانتهى في "ارْبَا" في وادي القليته في الجنوب الغربي الجزائري، حيث لقي سيدي معمر حفاوة الاستقبال من طرف قبيلة بني عامر القويّة آنذاك وقبيلة حميان، هو ومن هاجر معه في هذه الرّحلة "رزين وعكرمة وزياد"؛ وهم أجداد قبائل الرّزاينة، وكذلك أوّلاد زياد، وأوّلاد عبد الكريم.

والرّوايّة الثّانيّة تذكر إنّه عاش عصر نهايّة الدّولة الموحديّة وانقسامها إلى دويلات، حيث استقلّ أبو زكريا (627هـ- 1229م) بإفريقيّة (تونس)، ويغمراسن الثّاني بإمارة المغرب الأوسط سنة (633هـ- 1235م). فسيدي معمّر أبو العاليّة عاش ما بين (622هـ- 1225م) إلى منتصف القرن الثّامن الهجري؛ أي حوالي (750هـ- 1349م) على الأرجح، وهو ما رجّحه عبد الله بحوص.

وقد عُرِفَ سيدي معمّر بلقب أبو "العاليّة"، "واختلف المترجمون حول ذلك؛ فمنهم من يذكر أنّ هذا اللقب اكتسبه نظراً لاحتدامه في المعارك، حيث إنّ الرّوايّة الشّفهيّة تُخبر أنّ رمحه كان في المعارك فوق كل الرّماح. ومنهم من يذكر أنّ "العاليّة" هي جدّته، ومعروف أنّ العرب تسمي بهذا الاسم الأنثى، فوالدّة الإمام مالك رحمه الله هي العاليّة بنت شريك بن عبد الرّحمن الأزديّة، وقد تسمي به مناطق أو مدن ما، مثل قلعة العاليّة بتونس العاصمة، وغير ذلك.

نشأ سيدي معمر وترعرع بتونس حيث تعلّم القرآن الكريم والفقه المالكي ومختلف علوم النّقل والعقل على يد كبار العلماء الذين اشتهروا في عصره، ثم باشر بعد هجرته مع القبائل العربيّة إلى الجنوب الغربي من المغرب الأوسط عمله الإصلاحي والتّربوي من أجل نشر المذهب المالكي والعقيدة الصّحيحة والاقتداء برسول الله ﷺ، والاهتداء بنبراسه.

وعُرِفَ الشّيخ معمر أبو العاليّة بجدّ البوبكريّة في المغرب الأوسط، فنال بذلك الحظوة والتّقدير لدى الأهالي، كما عمل على الإصلاح الدّيني من خلال تصحيح عقائد النّاس، فأضحى لدى أهل الجنوب الجزائري مرجعاً وشيخاً لهم، لعلمه وتقواه وكراماته التي كانت تدل على صدقه وصلاحه؛ إذ كرّس كل وقته لتعليم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة وتثبيت العقيدة الصّحيحة، ومحاربة بقايا التّشيّع.

توفّي سيدي معمَّر أبو العاليّة البكري في أرجح الرّوايات سنة (822هـ - 1420م)، في قريّة "ارْبَا"، وهذا الضريح موجود فوق ربوة تطل على مجرى واد ارباوت.

وقد أعقب سيدي معمر بن سليمان أبناؤه؛ محمّد وعيسى وأحمد وغثير، أما السّيّد محمّد بن معمر فقد رجع إلى تونس، والسّيّد أحمد بن معمر أعقابه يُعرفون بالكرافتة، والسّيّد غثير بن معمر يُغرف أعقابه بالغياثرة، وقد التّزم عيسى بن معمر طريق أبيه، وقام مقامه بعد وفاته. وقد سار أوّلاد سيدي معمر بلعاليّة وأحفاده على منهجه المستقيم اقتداءً بجدِّهم الخليفة الأوّل لرسول الله ﷺ سيّدنا أبو بكر الصّدّيق "رضي الله عنه"، في تقوى الله عزّ وجلّ حقّ تقاته، والجهاد في سبيل الله، والعمل على تعليم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة، وغرس العقيدة الصّحيحة في الأنفس، وإطعام الطّعام في سبيل الله، والسّعي إلى إصلاح ذات البين، والعمل على ما فيه خير البلاد والعباد. فكان منهم العلماء والأوّلياء الصّالحون مثل سليمان بن أبي سماحة، وسيدي أبو العبّاس أحمد المجدوب، وسيدي عبد القادر بن محمّد سليمان بن أبي سماحة الملقّب بسيدي الشّيخ مؤسّس "الأبيض".

ولسيدي معمر بلعاليّة الأثر الكبير لدى أهالي كل المناطق التي حلّ بها بالجزائر، يحترمونه ويتبرّكون به في حفلاتهم وزواجهم ضمن تقاليد خاصّة، ويذكرونه حتى في أهازيجهم الشّعبيّة؛ منها ما ورد في إحداها: "يَا عَلَايْتِي سِيدِي مْعَمَّرْ يَا عَلَّايَتْ السّادَاتْ، يَا عَلَّايْتِي بُومُكُّحْلَة حَرْمَاتْ خُمِيسِيَاتْ،

سِيدِي وسِيدْ خَوَاتَاتُو والعَالِيَا الِّي رَبَّاتُو، والعَالِيَا الِّي رَبَّاتُو مَرْوَانْ يَا مَرْوَانْ، سِيدِي مْعَمَّرْ يَا بَابَا، يَالِّي خْصَايْلَكْ رَهَّابَه، يَامُولْ البُرْهَانْ سِيدِي مَعَمَّرْ وَانْتَ يَا نُورْ عُيُونِي، يَا عَلَّايَتْ السّاداتْ".

وردت ترجمة سدي معمر بلعاليّة في: معجم الأعلام البكريين الصّديقيين طواهريّة عبد الله، والسّلالة البكريّة الصّديقيّة لأحمد عبد النّبي فرغل الدّعبّاسي، وأوّلاد سيدي الشّيخ الشّراقة والغرابة لمحمّد بن الطّيب البوشيخي، وتذكرة الخلان في مناقب العلّامة سدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصّدّيقي لعبد الله طواهريّة.

عبد الحليم بن عيسى

المصادر:

- معجم الأعلام البكريين الصديقيين، طواهريّة عبد الله؛
- السّلالة البكريّة الصديقيّة، أحمد عبد النبي فرغل العباسي؛
- الخلاف في مناقب العلامة سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي ، عبد الله طواهريّة.

■ محمّد مرزوقي
(1345هـ - 1927م/1429هـ - 2008م)

محمّد مرزوقي من مواليد 04-11-1927م بقصر البخاري ولايّة المديّة وبقي هناك لفترة تناهز العشر سنوات تلقّى خلالها قسطا من التّعليم، ليعود بعدها إلى العاصمة؛ حيث واصل دراسته الإبتدائيّة بنهج قامبيطة (سور السّتارة) إلى أن تحصّل على الشّهادة الإبتدائيّة التي تفتح أمام صاحبها العمل بالإدارة بدل الأشغال اليدويّة. بعد ذلك دخل مرزوقي مسابقة الإنتساب إلى الثّانويّة التّقنيّة بالعناصر والتي درس بها إلى غايّة 1942م، استولى الحلفاء على كلّ المدارس فانقطع عن الدّراسة ليلتحق في السّنة الموالية 1943م بعالم التّشغيل في الإدارة الفرنسيّة بالمديريّة العامّة للبريد والمواصلات لدى الحكومة العامّة.

في 1944م انتمى مرزوقي للحركة الوطنيّة ضمن صفوف حزب الشّعب الجزائريّ ببلكور وفي نفس السّنة أصبح مسؤول فوج، ومن الذين ناضل معهم يتذكّر أسماء: أحمد بودة، ولخضر رباح، أحمد بوقرة (العقيد) وكان مسؤول النّظام في الحركة الوطنيّة آنذاك ريجيمي الجيلالي.

قبل الفاتح ماي 45 كانت عدّة أحزاب مثل الحركة الوطنيّة (سريّة) أحباب البيان والحريّة الذي كوّنه فرحات عباس، الحزب الشّيوعي وجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين. وقد اندمج أحباب البيان والحريّة والحركة الوطنيّة في تنظيم جديد يدعى أحباب الحريّة والدّيمقراطيّة وتحت هذه التّسميّة انطلقت مظاهرات الفاتح ماي 1945م التي شارك فيها محمّد مرزوقي التي انطلقت من نقطتين ساحة الشّهداء والقصبة للإلتقاء عند مدخل نهج بن مهيدي من ناحيّة دبيح الشّريف والتّوجه نحو البريد المركزي وهناك وقّعت حوادث داميّة سقط إثرها أربعة شهداء برصاص الشّرطة الفرنسيّة.

بعد الحرب العالميّة الثّانيّة خرجت الحركة الوطنيّة من السّريّة لتحمل اسم حركة انتصار الحريّات الدّيمقراطيّة المعتمدة ونظرا للانسداد السّياسي خاصّة بعد انتخابات 1946م المزوّرة فقد تمّ عقد اجتماع 1947م في معمل المشروبات الغازيّة لصاحبه مولود ميلانين وهو مناضل قديم. وفي هذا الاجتماع كوّنت الحركة المنظّمة العسكريّة L'OS التي كان مسؤولا عنها محمّد بلوزداد، وقد تمّ اختيار أفضل المناضلين لتكوين هذا النّظام الجديد الذي انضمّ إليه مرزوقي في 1948م وفيه تعرّف على الزّبير بوعجاج مسؤول النّاحيّة. وقد تميّز هذا التّنظيم بالسّريّة التامّة؛ حيث مناضل الخليّة لا يعرف إلّا المسؤول المباشر، كما تلقّى مناضلو المنظّمة السّريّة التّدريبات العسكريّة على استخدام الأسلحة والذّخيرة وكذا تركيب وتفكيك السّلاح وبعد ذلك صناعة المتفجّرات وكانت الأسلحة مخبّأة في البيوت وقد اشترت المنظّمة السّريّة الأسلحة التي أشرف عليها محمّد بلوزداد وقامت بتخزين قسم كبير منها بمنطقة الأوراس عند مصطفى بن بولعيد ونقل القسط الثّاني إلى منطقة القبائل أمّا الحصّة الثّالثة فبقيت في العاصمة وتمّ تخزينها عند مصطفى زرقاوي بالقصبة.

عند اكتشاف المنظّمة السّريّة في مارس 1950م اتّصل مسؤول التّنظيم التّومي بمحمّد مرزوقي ليلا وأعلمه بذلك كما قاما بالاتّصال ببقيّة المناضلين بغيّة حرق بعض الوثائق وتخبئة البعض الآخر في أماكن آمنة، وفي العاصمة لم يلق القبض على أيّ مناضل في المنظّمة السّريّة.

في 1951م تعرّف محمّد مرزوقي على ديدوش بواسطة الزّبير بوعجاج وقد أثّر هؤلاء على مرزوقي ليعود مرّة ثانيّة للعمل السّياسي وتمّ تكليفه بمسؤوليّة فرع الشّباب ببلكور، بعد ذلك بفترة أعيد إحياء التّنظيم العسكري ولكن بعدد قليل من المناضلين وبصرامة أكبر؛ حيث يتمّ معاقبة وتأديب المناضلين الخارجين عن الطّريق السّويّ.

في مارس 1954م وصلت رسالة من مصالي الحاج تقرّ أنّه نزع الثّقة من اللجنة المركزيّة وتطلب تجميد الأرصدة الماليّة الموجودة في حوزة المسؤولين وطبقا لذلك عقد مرزوقي اجتماعا عاما للمناضلين شرح لهم فيه أوامر مصالي. وبعد العودة من الاجتماع الذي انعقد بمقرّ الحزب لشرح الخلاف الحاصل بين مصالي الحاجّ واللجنة المركزيّة والإعلان بأنّ مصالي موجود في الخارج وبالتّالي لا يمكنه تسيير الحزب عقد مرزوقي اجتماعا عاما آخر لمناضليه

شرح لهم فيه أوجه الخلاف القائمة بين الطّرفين واقترح عليهم التزام موقف الحياد إلى أن تتّضح الأمور أكثر. في هذه الأثناء إتّصل مرزوقي بالزّبير بوعجاج وأطلعه على الانشقاق الحاصل وموقف الحياد الذي التزمه فرع الشّباب ونفس الإنشغال نقله إلى أمحمّد بوقرة عندما التقاه.

بعد عدّة اتّصالات ومشاورات أنشئت اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل والتي كان من بين أعضائها مرزوقي ولم يكن الهدف منها إنشاء حزب جديد وإنّما التّوحيد بين المناضلين بعد الانشقاق الحاصل بين المصاليّين والمركزيّين وتمّ الإتّصال بالطّرفين قصد الانضمام للجنة المركزيّة الذين رحّبوا بالفكرة. بعد تكوين اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل أصدرت هذه الأخيرة نشريّة (الوطني) (LE PATRIOT) التي طبعت منها سبعة أعداد ثمّ توقّفت. وعلى مستوى العاصمة كانت اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل تضمّ محمّد مرزوقي (بلكور)، زيوي (حسين داي)، قصاب نذير (القبة)، الهادي باش جراح (العناصر)، بن واضح (الحراش)، قسميّة عبد القادر (لارودوت)، سعدون (قسمة الشّباب بالجزائر).

في جويليّة 54 عقد مصالي الحاج اجتماع هونو (بلجيكا) واتخذ موقفا تمثل في استعادة كل ممتلكات الحزب من سيارات ومقرات وأن مصالي رئيس مدى الحياة وتم طرد أعضاء اللجنة المركزيّة مثل: لحول، بن خدة، كيوان، بودة.

عندما وصلت الأمور إلى هذه الدّرجة وقع الانشقاق الذي لا توحيد بعده. وأجريت عدّة اتّصالات ولقاءات ثنائيّة وجماعيّة إلى أن تمّ الاتّفاق على عقد اجتماع الـ 22 الذي وقع حسب مرزوقي في أواخر شهر جويليّة 54 وقد تدارس الحاضرون باجتماع المدنيّة ثلاث نقاط هي:

- هل نقوم (بحركة) منفصلين عن النّظام أو عن طريق الإتّحاد مع القاعدة؟
- الإنتخابات لتعيين مسؤولي الثّورة؛
- هل تكون الثّورة مؤقتة أم مستمرة؟

كما تناول الاجتماع أيضا الوضعيّة السّياسيّة بالنّواحي، وفي اجتماع المدنيّة تمّ الإتّفاق على توحيد القاعدة النّضاليّة لأنّ الخلاف موجود بين المسؤولين ولا دخل للمناضلين فيه ثمّ تقرّر أن تكون الثّورة مستمرة حتّى تحقيق الهدف النّهائي وهو الإستقلال وأخيرا تمّ انتخاب المسؤول سريّا وبالأرقام فقط.

بعد انتهاء الاجتماع تكفّلت جماعة العاصمة بالقادمين من داخل الوطن وهكذا استضاف جعفر (محمّد مرزوقي) كلّا من بن طوبال، بن عودة وزيغود للمبيت عنده وفي الصّباح أوصلهم إلى ديدوش مراد.

كان مرزوقي يعرف مناضلا في فرع الشّباب يؤدّي الخدمة العسكريّة في ثكنة بالبليدة وهو محلّ ثقة فسأله عن كيفيّة الدّخول إلى الثّكنة لأخذ بعض الأسلحة، وقد زاره مرزوقي في الثّكنة ولكنّه منع من الدّخول. ولهذا تقرّر أن يلتقيا في منزل ذلك الشّاب كلما أخذ إجازة وشرعا في رسم مخطّط الثّكنة وأماكن نوم العساكر ومخزن الأسلحة وغير ذلك. وقد تطلّب منهما ذلك العمل مدّة شهر كامل، كما أحضر ذلك المناضل كلّ أماكن تواجد مخازن البارود بالمتّيجة، لأنّ مرزوقي كان يريد أن ينفّذ عمليّة الهجوم ليلة أوّل نوفمبر على هذه الثّكنة لكن ديدوش مراد ارتأى أن يقوم بها سويداني بوجمعة. وهكذا التقى هذا الأخير مع مرزوقي الذي سلّمه قفّة تضمّ كلّ أوراق المخطّط بالإضافة إلى مسدّس.

وعندما اقترب الموعد طلب من بعض المناضلين القيام بتربّص للتّدريب وكان ذلك بمزرعة قدور الهجيم بالخرايسيّة وضمّ: محمّد مرزوقي، مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، رابح بيطاط، الحاج بن علة، بن عبد المالك رمضان، كوليني ناصر، قاسي عبد الله عبد الرحمان، قاسي عبد الله مختار، عثمان بلوزداد والزبير بوعجاج وتمّ خلال هذا التّربّص التّدريب على تلحيم القنابل وهي نوعان: قنابل ناريّة ومفجّرة.

وفي شهر أكتوبر 54 التقى مرزوقي، بيطاط وبن مهيدي في عدّة اجتماعات وفي الإجتماع الأخير الذي عقد عند قسميّة عبد القادر بلارودوت تقرّرت مهمّة كلّ واحد من الجماعة واختار كلّ واحد الهدف الذي سيطرحه في اليوم الموعود. وهكذا اختار محمّد مرزوقي راديو الجزائر النّاطق بالفرنسيّة والواقع بنهج هوش HOCHE وقد كان مسؤولا عن الفوج الذي يضمّ: عبد القادر شعال، عبد الرّحمن توجين، عبّاسي مدني، عمر بوتوش ومحمّد بليمان.

وبعد حوالي شهرين من انطلاق الثّورة تمّ إلقاء القبض على العديد من مفجّري الثّورة ومنهم محمّد مرزوقي، وبعد الإستنطاق تحت التّعذيب الشّديد حكم عليه بالسّجن إلى غايّة الإستقلال حيث تنقّل بين سجون سركاجي (17 شهرا) الحراش، لامبيز (حوالي أربع سنوات)، وبعد ظهور المنظّمة المسلحة السّريّة نقل مرزوقي إلى سجون فرنسا (ماتس، لابومين، ديجون وغيرها) حتّى تمّ إطلاق سراحه بعد وقف إطلاق النّار حيث تفرّغ للعمل المدني.

نبيل دادوة

المصادر:
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

محمّد مساس الإبراهيمي
(1312هـ - 1895م/1397هـ - 1977م)

الشّيخ محمّد مساس الإبراهيمي (1895–1977)، وأحد من رجالات جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين وأحد رجالاتها في الشّرق الجزائري، يعود نسبه إلى قبيلة (أوّلاد إبراهيم)، المتمركزة ببلديّة أوّلاد إبراهم التّابعة للولايّة المنتدبة رأس الوادي، ويلتقي في نسبه مع محمّد البشير الإبراهيمي (1889–1965)، وقد عُرفت البيوتات العلميّة الرّيفيّة في المنطقة ببساطة معيشتها وطهارة سلوكها ومتانة أخلاقها، فكانت مقصدا للطلاب من مختلف الأقاليم المجاورة، وبرز فيها العديد من العلماء والمشايخ، أمثال الشّيخ محمّد الشّريف العمري الإبراهيمي، والشّيخ المبارك الإبراهيمي، والشّيخ القريشي الإبراهيمي، وسي حمو بن عرّاس بن ساعو الإبراهيمي...

في هذه البيئة ولد محمّد مساس الإبراهيمي ابن (سي علي) ربيع سنة 1895، بأولاد أبراهم، ولما بلغ ثلاث سنوات من عمره شرع في حفظ القرآن، ليلتحق بعدها بزاويّة سي الحواس بأوّلاد سي أحمد، أين أحاط بمبادئ علوم العربيّة والشّريعة. ثم انتقل إلى زاويّة بن علي الشّريف بشلاطة (قرب آقبو)، حيث مكث بها أربع سنوات، وبعد وفاة والده سنة 1907 تكفل به محمّد البشير الإبراهيمي، وموازاة مع النّشاط التّجاري الذي كان يمارسه بمتجره تلقى محمّد مساس بعض الدّروس على يد الشّيخ بالعيساوي صاحب زاويّة في رأس الوادي.

ولأنّ طموحه العلمي كان أكبر، انتقل إلى الجامع الأخضر بقسنطينة أين استزاد في العلوم الشّرعيّة واللغويّة، وتتلمذ على يد الشّيخ عبد الحميد بن باديس (مسعي، م. 2009–2010: 32).

وبعد أن أصبح محمّد مساس مؤهلا للتدريس والخطّابة والإفتاء التّحق بزاويّة القرابصيّة بقريّة "أوّلاد ونداج" قرب عين مليلة بولايّة أم البواقي حاليا، وبقي فيها بين (1926–1929)، ليعود إلى أوّلاد ابراهم، أين تزوج واستقرّ لسنتين بين (1929–1930) استغلها في التّعليم والإرشاد والتّوجيه لأبناء



منطقته. ثم عاد مجددا إلى عين مليلة، وقد كان لرحلته الحجيّة إلى الحجاز سنة 1938 دورا مهما في إتمام صقل معالم شخصيته وبلورتها.

علاقة الشّيخ محمّد مساس بمحمّد البشير الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس كانت سابقة لتأسيس الجمعيّة، لذلك فما إن أُعلن عن هذا المولود سنة 1931، حتى بادر رئيسها عبد الحميد بن باديس بتكليف محمّد مساس بتأسيس شعبة لها في عين مليلة، فاستجاب للنداء وعمل على تنشيط الجمعيات الدّينيّة والخيريّة والنّوادي، وتطبيق برنامج الجمعيّة وفق منهجها الإصلاحي (مسعي، م. 2009 – 2010: 35).

كان للشيخ محمّد مساس دور فعال في تنشيط العمل الإصلاحي بالمنطقة وبناء المرافق الدّينيّة وتأطيرها، فقد عمل على جمع التّبرعات من المحسنين واشترى قطعة أرضيّة وبنى فيها مسجد المدينة، كما أمّ النّاس وعمل على تعليم الطّلبة أحكام التّلاوة والتّجويد والعلوم الدّينيّة، إضافة إلى اضطلاعه بمهمّة الإفتاء والإصلاح بين المتخاصمين، والحث على تشييد المدارس الحرّة، كمدرسة العرفان التي كانت له جهود هامة في تشييدها، والتي بدأت تستقبل الطّلبة منذ افتتاحها سنة 1945.

وقد شغلت باله الكثير من القضايا الاجتماعيّة والدّينيّة والسّياسيّة، وتصدّى للكثير من الانحرافات الفكريّة، فقد كان يحذّر من خطورة مطالبة البعض بالاندماج، ويدعو إلى ضرورة المحافظة على الشّخصيّة الوطنيّة، وأوّلى للشباب أهميّة كبيرة في برنامجه الإصلاحي، كما تميز باعتداله ووسطيته.

في إطار عمله الإصلاحي كان محمّد مساس دائم التّواصل مع رجال الجمعيّة كابن باديس ومحمّد البشير الإبراهيمي الذي كان يتردّد على بيته في عين مليلة، حيث يتناقشان في أمور الجمعيّة وواقع الحركة الإصلاحيّة، ويتبادلان النّصح والنّكت، وكان سكان المدينة يستغلون فرصة قدوم الإبراهيمي لدعوته إلى بيوتهم والاحتفاء به رفقة الشّيخ محمّد مساس (بن ساعو، ق. 2014).

فضلا عن التحاق الكثير من طلبته وخريجي مدرسة العرفان إلى الثّورة، يمكن رصد مساهمته في هذا الفعل التّحرري من خلال:

كان للشيخ محمّد مساس دور كبير في تحسيس النّاس وتوعيتهم ودعوتهم إلى وحدة الصّف، وقد أحسن توظيف النّصوص الدّينيّة بذكاء وحكمة لخدمة القضيّة الوطنيّة، وربما يرجع هذا الوعي العميق إلى احتكاكه بقادة الجمعيّة، خاصّة محمّد البشير الإبراهيمي الذي كان يفتح معه النّقاش في القضيّة الوطنيّة في جلساتهم.

عند اندلاع الثّورة التّحريريّة بدأ التّواصل بينه وبين المجاهدين الأوائل في المنطقة، حيث انتقل في سنة 1955 إلى دشرة "بوهجة بوالصّوف" ومركز "القرابصيّة" قرب عين مليلة، أين اجتمع بالسّكان وحرّضهم على الانخراط في الثّورة ودعاهم للالتّحاق بصفوفها، فالتّحق الكثير من طلبته ورواد المسجد وابنيه عبد الله ومحمّد علي بالثّورة التّحريريّة (مسعي، م. 2009–2010: 53).

نظرا لعلمه وتجاوبه مع نداء الوطن، كان محمّد مساس محلّ تقدير من طرف قادة الثّورة في المنطقة، فأصبحوا يستفتونه في مختلف الأقضيّة الطّارئة، كحكم الخائن الذي خان الأمّة وكشف الأسرار للعدوّ، وحكم الانتحار حفاظا على أسرار الثّورة،

وحكم حجز أموال الأثرياء الذين يرفضون دعم الثّورة، ... ، ولهذا الغرض كان على اتّصال دائم بالمسؤول السّياسي لناحيّة عين مليلة المجاهد الشّهيد (الحاج شعبّان لوز)، ومسؤول الأخبار (الحاج بوجمعة)، وتعدّى نشاطه في هذا المجال حدود عين مليلة، حيث أصبحت طلبات الفتوى تأتيه من مناطق أخرى.

عمل محمّد مساس على ضمان الاتّصال بين المجاهدين والمناضلين داخل المسجد وخارجه، ففضلا عن اتّصالاته العديدة مع مسؤولي الثّورة في المنطقة، فقد كان يمثّل همزة وصل بين المدنيين والمجاهدين، حيث ينقل انشغالات المدنيين للجبهة وفي المقابل يبلّغهم بتعليمات الثّوار والمناضلين بخصوص العمل السّياسي والإعلامي والتّنظيمي، وكان جريئا وذكيا في نفس الوقت.

ونظرا لنشاطه الوطني ضيّقت عليه السّلطات الاستعمّاريّة وأغلقت مدرسة العرفان التي كان يشرف عليها سنة 1955، وحولتها إلى مقر للمكتب الثّاني، ووجد الشّيخ نفسه مرات عديدة مستجوبا ومستنطقا من طرف السّلطات الاستعمّاريّة، وكان محلّ متابعة ومراقبة من طرف الفرنسيّين.

واصل محمّد مساس نشاطه الثّوري في الظلّ إلى أن نالتّ الجزائر استقلالها صائفة 1962، وتقديرا للمجهودات التي قام بها في خدمة الثّورة التّحريريّة والقضيّة الوطنيّة منحته منظمة المجاهدين بعين مليلة شهادة شرفيّة، وعيّن إماما بمسجد سيدي لخضر بقسنطينة، يؤم النّاس ويقدم دروس الوعظ ويفتي في مختلف القضايا، ولكن بسبب تقدم سنه طلب التّحويل إلى عين مليلة، أين واصل نشاطه هناك، إلى أن وافته المنيّة في 17 مارس 1977 وله من العمر 82 سنة، ودفن بمقبرة المدينة وسط حضور شعبي كبير.

ومن أهم آثاره ما تركه من خطب ومواعظ مخطوطة، تنوعت في مواضيعها، حيث شملت المواعظ الدّينيّة والخطب الاجتماعيّة والسّياسيّة، إضافة إلى كلمات ترحيبيّة وبحوث فقهيّة وفتاوى شرعيّة، أما ما هو منشور من أعماله فلا يتعدّى ثلاث مقالات نشرت كلّها في الشّهاب (العدد 15-87-97)، فرغم إنّه أدرك أهميّة الكتابة كوسيلة في خدمة الحركة الإصلاحيّة، إلّا أنّ الظّروف التي كان يعيشها أمام صعوبة المهمّة وعظم المسؤوليّة التي كانت على عاتقه لم تسعفه في ترك رصيد مكتوب.

محمّد بن ساعو

المصادر:
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

■ محمّد مشاطي
(1339هـ - 1921م/1435هـ - 2014م)

من مواليد 4 مارس 1921 بقسنطينة وسط عائلة فقيرة، كان أبوه يمتهن حرفة (بلاغجي). عندما بلغ الثامنة من عمره توفي أبوه فتكفلت والدته بتنشئته، فأرسل إلى المدرسة القرآنيّة ثم المدرسة الإبتدائيّة لكنه طرد من هذه الأخيرة في 1935 وذلك بسنة قبل بلوغ مستوى الشّهادة الإبتدائيّة لتجاوزه السّن القانوني. ونظرا للوضعيّة المزريّة التي كان يعيشها كأغلب الجزائريين، فقد التحق بمدرسة للتكوين المهني حيث تعلم النقش على النحاس وبعض الحرف ثم دخل مدرسة أخرى لتعلم (الإحكام) AJUSTAGE إلى غايّة 1938 حيث وجد نفسه في الشّارع عرضة لكل الإنزلاقات خاصة في غياب رعايّة الوالدين. وهكذا حاول الإنخراط في البحريّة لكنه رفض لعدم بلوغه 18 سنة، بينما قبل ضمن الرماة.

في هذا السّلاح عمل مشاطي في اللاسلكي. وبعد اندلاع الحرب العالميّة الثانيّة وجد نفسه على الجبهة في تونس ضد الإيطاليين، وبعد سقوط فرنسا نقل إلى الجزائر. وعند نزول الحلفاء في 1942 عاد ثانيّة إلى تونس ومنها إلى وهران حيث جهز الجيش ليرسل في ديسمبر 1943 إلى إيطاليا على عدة جبهات، ليعيش النزول ثم تحرير عدة مناطق فرنسيّة إلى غايّة 8 ماي 1945. وفي مرسيليا علم من أحد الفرنسيين بأحداث 8 ماي 1945 في الجزائر. وعند عودة وحدته إلى الجزائر لم ترسل إلى حاميتها الموجودة بسطيف وقسنطينة وإنما خيمت في عين طايّة أين بدأت حملة شرح ما جرى.

وخلال شهر العطلة الذي منح له اطلع مشاطي من طرف قريب له على حقيقة الحوادث التي وقعت وعلى النظام السّري الموجود وكذا حركة أحباب البيان والحريّة. بعد انتهاء العطلة عاد إلى وحدته العسكريّة ليقدم استقالته النهائيّة من الجيش الفرنسي. وفي هذه الأثناء كان قد انخرط ضمن خليّة لحزب الشّعب الجزائري السّري. ومن هنا بدأ نضاله الكامل والواعي. وفد تدرج في المسؤوليّة. واضطر إلى الدخول في السّريّة، وقام الحزب بإرساله إلى قسنطينة لإعادة بناء حزب الشّعب. ولذلك كان في حاجة إلى عناصر قادرة وكفؤة لربط الإتصال ونقل الرسائل، ومن هنا جاء اختياره لـ: عبد الرحمان قراس، محمّد مشاطي، عبد السّلام حباشي للقيام بالمهام السّريّة جدا مثل تلقي المناشير القادمة من العاصمة لتوزيعها بشرق البلاد مثل عنابة، سطيف، تبسة، سكيكدة، عين البيضاء وبسكرة.

ثم جاء قرار تكوين المنظمة السّريّة في 1947 التي عين على رأسها محمّد بلوزداد كقائد لهيئة الأركان وحسين آيت أحمد نائب قائد الأركان ومسؤول عمالة القبائل بمعيّة قادة أربع عمالات هي: قسنطينة، الجزائر1، الجزائر2 ووهران. وقد تم التركيز للإنخراط في هذه المنظمة على ذوي الخبرة العسكريّة خاصة في الهيئة المسيرة. وقد اختير مشاطي طبقا لخبرته العسكريّة وإيمانه بالقضيّة وارتقى سريعا درجات المسؤوليّة ليصبح قائد فصيلة SECTION.

وفي ديسمبر 1949 تقرر تعيين محمّد بوضياف مسؤول عمالة قسنطينة ضمن عضويّة هيئة الأركان الوطنيّة للمنظمة السّريّة، ولهذا استخلفه محمّد العربي بن مهيدي على رأس هذه العمالة. وهكذا ارتأى بوضياف أن يحضر معه إلى الجزائر مشاطي من أجل إقامة جهاز إرسال، ونظرا لعدم تأهيله لذلك كلف بالتنظيم ابتداء من سبتمبر 1949 واستخلف جيلالي ريغيمي على رأس منطقة واسعة تمتد من بئر خادم، بودواو، الأخضريّة، المديّة، البرواگيّة إلى قصر الشّلالة. ولتفقد كل هذه المدن والوقوف على وضعيّة التنظيم بها كان الأمر يتطلب منه شهرا كاملا ثم يعود بعدها إلى الجزائر ليقدم تقريره لرئيسه المباشر محمّد بوضياف. وقبل اكتشاف المنظمة السّريّة بقليل نجا مشاطي من التوقيف بأعجوبة حيث كان يقضي ليلته في وكالة عقاريّة هي في الحقيقة مركز بريد للمنظمة، عندما داهمت الشّرطة المكان دون أن تقتحمه.

وبعد اكتشاف المنظمة السّريّة في مارس 1950 بقي مشاطي في العاصمة حيث آوته رفقة سويداني بوجمعة عائلة الإخوة (قويقح) ببودواو والتي كانت تملك مزرعة صغيرة ملاصقة لمزرعة رئيس بلديّة بودواو. وكان سويداني يعمل في الأرض عند هؤلاء الإخوة وقد حصلت وشايّة وحوصر مكان تواجدهما في السّاعة الثانيّة صباحا حيث تفطن سويداني لذلك وأيقظ مشاطي ولكن الوقت كان قد فات وحصل الإشتباك. وهكذا قتل سويداني شرطيا وجرح محافظ الشّرطة واستطاع سويداني ومشاطي من الفرار كل من طريق مختلف. وبعد مسيرة صعبة وشاقة مشيا على الأقدام عبر الحقول عاد مشاطي إلى القولف ومر أمام مخبزة عائلة ديدوش مراد الملاصقة للمنزل وقد لاحظه أخو ديدوش فأرسل قاسي عبد الله عبد الرحمان للإستفسار في شأنه. وبعد التعارف وأخذ الإحتياط قضى مشاطي ليلته في غرفة صغيرة بحديقة شقيق ذبيح شريف بالغولف. وفي الغد أخذوه إلى منزل مراد بوقشورة أين وجد بن مهيدي، عبد الرحمان قراس وديدوش مراد وقد ظل في منزل بوقشورة عدة شهور إلى أن توقفت عمليات البحث والتفتيش. ونظرا للوضعيّة التي أصبح عليها الحزب الذي اتخذ قرارا سياسيا بعدم الإعتراف بالمنظمة السّريّة معتبرا العمليّة من تدبير الإدارة الفرنسيّة لتحطيم حركة انتصار الحريات الديمقراطيّة بغيّة حلها. وبعد ذلك توجيه عناصر المنظمة السّريّة للعمل السّياسي وأرسلت مجموعة من هؤلاء إلى منطقة وهران مثل بن مهيدي، مشاطي، بن عبد المالك، بوصوف وقراس للعمل هناك كرؤساء دوائر. وقد كلف مشاطي بدائرة معسكر التي كانت تضم سعيدة، مشريّة، عين الصفراء، البيض، بني ونيف، بشار وقنادسة. ولزيارة كل هذه المناطق كان ذلك يتطلب منه شهرا كاملا حيث كان يجتمع ليلا بالشّباب خاصة الثانويين وكذلك المناضليين.

وبعد الأزمة التي مر بها الحزب ومن ثم الإنشقاق الذي حصل فقدت الثقة التي كانت موجودة بين المناضليين نظرا للموقف الذي اتخذه مصالي. وفي بدايّة 1954 عاد محمّد بوضياف رفقة ديدوش إلى الجزائر بعد أن كان الحزب قد أرسلهم مع قراس إلى فرنسا بعد اكتشاف المنظمة السّريّة، ولذلك تم تكوين اللجنة الثوريّة للوحدة والعمل التي ضمت أربعة عناصر هم: دخلي بشير وبوشبوبة رمضان عن اللجنة المركز يّة ومحمّد بوضياف ومصطفى بن بولعيد عن المنظمة السّريّة. وكان الهدف منها إقامة الصلح بين المصاليين والمركزيين لكن العمليّة فشلت لتعنت الطرفين. وعندما اختار محمّد بوضياف الـ21 مناضلا لحضور الإجتماع التاريخي وقع اختلاف بين عناصر قسنطينة ومنهم مشاطي مع محمّد بوضياف وذلك على المستوى التنظيمي لأن هؤلاء كانوا يريدون حضور مسؤولي المنظمة السّريّة عبر كامل التراب الوطني غير أن بوضياف كان مستعجلا ولهذا كانت أغلبيّة أعضاء مجموعة الـ22 من قسنطينة.

في أواخر سبتمبر 1954 هاجر مشاطي إلى فرنسا واستقر في مدينة ليون حيث دخل إلى المستشفى للعلاج، وهناك زارته الشّرطة لإلقاء القبض عليه لكنه كان مريضا جدا. وبعد خروجه من المستشفى اتصل به عبد الرحمان قراس ليناضل في جنوب فرنسا. وبعد شهر التقى في باريس كل من: عبد الرحمان قراس، فضيل بن سالم، أحمد دوم ومحمّد مشاطي وتم تقسيم التراب الفرنسي إلى أربع مناطق أهمها على الإطلاق منطقة باريس. وإثر إلقاء القبض على طربوش، زروقي وماضي كلف الأربعة بإنشاء فيدراليّة جبهة التحرير الوطني بفرنسا تطبيقا لأوامر محمّد بوضياف. وقد كلف محمّد مشاطي بشرق فرنسا، قراس عبد الرحمان بالجنوب الغربي، فضيل بن سالم بالشّمال وأحمد دوم بباريس، وشرع في العمل بالمقاهي عن طريق إجراء مواجهات بين المناضلين (مناضلو حركة مصالي ومناضلو جبهة التحرير) الذين يعرفون بعضهم جيدا والتأكيد على أن الثورة ستقوم بها جبهة التحرير الوطني وليس مصالي أواللجنة المركزيّة.

وقد تمت هيكلة جبهة التحرير الوطني بفرنسا على نفس نسق حركة انتصار الحريات الديمقراطيّة أي عن طريق لجان القسمات. وكانت المسؤوليّة جماعيّة. وتم القيام بعمل جبار لجلب المصاليين إلى الجبهة. وعندما بدأت هذه العمليّة الصعبة تعطي ثمارها تم إلقاء القبض على مشاطي لأن أسماءهما وجدت ضمن وثائق أحمد بن بلة بعد اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956 وقد صرح مشاطي ودوم لقاضي التحقيق العسكري بأنهما لا يعترفان بالعدالة الفرنسيّة. وفي السّجن واصلا نضالهما السّياسي إلى غايّة إعلان وقف إطلاق النار.

وعشية عيد الاستقلال، توفي المجاهد محمد مشاطي، بإحدى المستشفيات بجنيف عن عمر يناهز 93 سنة، بتاريخ 03 جويلية 2014.

نبيل داودة

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

■ محمّد مصايف
(1341هـ - 1923م/1406هـ - 1986م)

وُلد محمّد مصايف في بلدة مغنيّة بالغرب الجزائريّ في سنة 1923م، في ظروف صعبة شحيحة الحال، وحفظ القرآن بمسقط رأسه، ولم يتلقَ العلوم الأخرى حتى سنّ العشرين؛ حيث انتمى إلى مدرسة التّربيّة والتّعليم التّابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة مغنيّة. وبعدها رحل في طلب العلم قاصداً فاس بالمغرب فحلّ بالجامع القرويين، ومكث يدرس علوم الأدب ثلاث سنوات. ولما أحسّ بأنّه مطارد من السّلطات الفرنسيّة في المغرب لانتمائه لحزب الشّعب الجزائريّ، غادرها براً إلى تونس سنة 1949م؛ فقصد جامع الزّيتونة وبقي ينهل العلم على مشايخ كبار إلى أواخر عام 1951م، ويعود في شتاء سنة 1951 إلى مغنيّة التي وجد فيها بعض المدارس الحرّة تتأسّس، فينشئ مدرسة خاصّة لتعليم الصّبيان باسم (مدرسة التّقدّم) تيمّنا بالرّقيّ والتّغيير والتّطوّر. ولقد بدأ في مزاولة التّدريس ببلدته، وكان يزاوج بين التّدريس والنّشاط السّياسيّ، ولما اكتشفت فرنسا ذلك اعتقلته ليلة أول نوفمبر 1954م وأغلقت مدرسته وشرّدت طلاّبها. ومكث في السّجن شهوراً، ولما أطلق سراحه قصد فرنسا، وفيها وزّع نشاطه على جبهتين: النّهار للدّراسة والليل للنّضال والتّوعيّة السّياسيّة.

وغداة استقلال الجزائر يعود إلى الوطن، ويلتحق بسلك التّعليم مدرّساً في الابتدائي، ثمّ ينتسب إلى جامعة الجزائر سنة 1965م، ويناقش دكتوراه الحلقة الثّالثة سنة 1972م، بعنوان: جماعة الدّيوان في النّقد. ويرتحل مرّة أخرى إلى مصر لأعداد أطروحة الدّولة في جامعة القاهرة بعنوان: النّقد الأدبّي الحديث في المغرب العربيّ، بإشراف الأستاذة سهير القلماوي. ويعود إلى جامعة الجزائر لتدريس مادة النّقد الأدبيّ الحديث والمعاصر في معهد اللغة العربيّة وآدابها، وينشط على عدّة مستويات ثقافيّة:

– البرامج الإذاعيّة: يعدّ برنامجاً أسبوعياً محوره (الصحافة الأدبيّة في أسبوع): دام هذا البرنامج أكثر من ثلاث سنوات.

– الكتابة في الصّحف الوطنيّة: يكتب باستمرار لجريدة الشّعب، والشّعب الثّقافيّ، والمجاهد الأسبوعيّ وداوم على الكتابة الصّحفيّة أكثر من عشر سنوات دون ملل ولا كلل.

– الملتقيات العلميّة: أخذت منه الجهد الكبير، حيث لم يترك ملتقى علميا وطنياً أو عربياً إلا وشارك فيه بمقالة متخصّصة، وقد زار خلالها معظم الدّول العربيّة وكان يمثل الجزائر في كثير منها.

ولقد أنهكه ذلك العمل الجادّ، إلى جانب المهام التّربويّة كأستاذ في الجامعة ومدير معهد الآداب، والمهام السّياسيّة الأخرى، وأثر على صحّته التي اعتلّت سنة 1986م وفي أواخر هذه السّنة فارق الحياة تاركاً مجموعة معتبرة من الكتب الأصيلة والمقالات الأدبيّة والمترجمة.

وأما الكتب التي تركها، فهي الشّاهدة على نشاطه الأدبيّ، ولا تزال الأبحاث الأكاديميّة تستقى منها الأفكار النيّرة، وتعدّ مراجع مهمّة في النّقد الأدبيّ، وهي:

– في الثّورة والتّعريب. الشّركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، 1973م.

– فصول في النّقد الأدبيّ الجزائريّ الحديث (دراسات ووثائق). الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع 1974م.

– جماعة الدّيوان في النّقد. مطبعة البعث بقسنطينة 1974م.

– القصّة القصيرة العربيّة الجزائريّة في عهد الاستقلال. الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع 1983م.

– النّثر الجزائريّ الحديث: المؤسّسة الوطنيّة للكتاب 1983م.

– الرّوايّة العربيّة الجزائريّة الحديثة بين الواقعيّة والالتزام. الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع والدّار العربيّة للنّشر 1983م.

– المؤامرة (قصّة) المؤسّسة الوطنيّة للكتاب 1983م.

– النّقد الأدبيّ الحديث في المغرب العربيّ، جامعة القاهرة 1984م.

– دراسات في النّقد والأدب. المؤسّسة الوطنيّة للكتاب 1988م.

كما "يترك لنا 154 مقالة تتناول مختلف أوجه النّشاط العلميّ منها: السّياسيّة والتّعريبيّة والاجتماعيّة والنّقديّة والفلسفيّة وعرض كتب... الخ. وإضافة إلى هذا فإنّه أسهم في دفع حركة التّرجمة إلى الإمام بترجماته المعتبرة التي نشر معظمها في جريدة الشّعب، إلى جانب الحوارات واللقاءات العلميّة التي يقيمها في التّلفاز والإذاعة".

ويعدّ محمّد مصايف من الجيل الذي حافظ على الهويّة الوطنيّة والثّقافة العربيّة في الجزائر ومن الرّعيل الأوّل الذي عمل على تعريب الجامعة الجزائريّة، وكان خلال ذلك من المدافعين عن البُعد التّاريخيّ للشّخصيّة الوطنيّة المتمثّلة في التّقاليد العربيّة الإسلاميّة والقيم الاجتماعيّة الموروثة عن الأجداد، إضافة إلى البُعد المعرفيّ العامّ. وتمحوَر نشاطه في هذا الميدان على الجبهات التّاليّة:

– أولاً– الشّخصيّة الوطنيّة:

رأى أنّ العمود الأساس في هذه الشّخصيّة هي اللغة وجعل منها أبرز مقوم للشّخصيّة الوطنيّة لأنّها وسيلة التعبير عن مشاعر الأفراد والجماعات وأداة التفاهم بين أفراد الوطن الواحد، ولذلك كان يؤكّد في مقالاته التّعريبيّة أنّ أبرز مقوّم للشّخصيّة الوطنيّة هي اللغة العربيّة التي تعلو فوق كلّ اعتبار. ولذلك كان يدافع بحماس فيّاض في لجان إصلاح التّعليم على أن تعود مكانة العربيّة إلى وضعها الطّبيعيّ الذي فقدته بحكم الاستعمار، ويرى أنّ اختيار اللغة العربيّة لغة أساسيّة أولى في التّعليم هو من الواجب الثّوريّ المفروض على جميع الجزائريين.

– ثانياً– الحملات التعريبيّة:

كان من المشاركين في الحملات التّعريبيّة ومن الأعضاء الفاعلين والبارزين الذين دافعوا عن تعميم استعمال اللغة العربيّة في الجزائر، وقد كثّف نشاطه من أجل ذلك على عديد من المستويات: منها الكتابة في الجرائد الوطنيّة،

وإقامة وتنشيط النّدوات التّعريبيّة، والمشاركة في كل ملتقيات تخصّ التّعريب. وخلال هذا العمل الوطنيّ كان يلحّ على العمل بكلّ إيمان وتضحيّة من أجل أن تنتشر العربيّة في كلّ قرى الجزائر وتمسّ كلّ الفئات الاجتماعيّة، وأكّد أنّ باب التّعريب هو الإدارة. وخصّ اللهجات العربيّة بكثير من المقالات، فدعا إلى الرّقيّ بها، والعمل على تفصيحها، وهي مستوى من مستويات اللغة العربيّة. وأما اللهجات المحليّة غير العربيّة؛ فالأحرى بها أن تكون لغة معاملات يوميّة فقط.

- ثالثاً- الجهود النّقديّة:

تبيّن لنا كتبه النّقديّة أنّ موقفه النّقديّ هو الوسط والموضوعيّة والاعتدال في كلّ الآراء، وحتى في اللغة التي لا يستحسن المقعّرة منها، ويفضل دائماً اللغة البسيطة العبارة والفصيحة التي تسمح به القواعد اللغويّة، وهو الذي يقول: من الأمور المستحبّة في الأديان والمرغوب فيها في الفلسفة مسألة الاعتدال، والاعتدال كما هو مطلوب في الأكل واللباس والنّفقة والضّحك والكلام، هو مستحب أيضاً في التّفكير وفي التّعبير عن التّفكير. ولذا نراه يبتعد عن التّطرّف في الأحكام النّقديّة وإطلاقها عنوة، وهذا ما جعله غير هجوميّ في مؤلّفاته، ونجده مسالماً وهو يردّ على خصومه. كما أنّه يميل إلى الموضوعيّة التي تبديها له آراؤه الخاصّة التي يعتدّ بها أيّما اعتداد.

- رابعا: الخصوصيّة:

يعتبر مصايف المؤسّس الفعليّ للحركة النّقديّة في الجزائر، وهذا ما أدّى به إلى أن ينفرد ببعض الآراء، وأن يعتدّ ببعضها أيّما اعتداد، وخاصّة عند توظيفه لمصطلحات أدبيّة خاصّة لم تستعملها المدارس السّابقة. وهذا ما جعل النقّاد الذين تناولوا أعماله بالدّراسة يقولون إنّه انطباعيّ، ولم يكن دقيقاً في استعمال المصطلحات النّقديّة.

لقد كان الأستاذ فاضلاً في أخلاقه ومعاملاته العلميّة والأخلاقيّة، وذلك ما أكسبه الصّفوة من الطلاب الذين تتلمذوا على يده وأصبحوا الآن نقاداً لهم باع كبير في النقد الأدبي الحديث في الجزائر وفي الخارج. وبتلك الخصال العلميّة المؤثّرة يترك مدرسة عربيّة في النّقد الأدبيّ لها اتّجاهها ومميّزاتها المعتدلة الدّاعيّة إلى الموضوعيّة، ممّا دفع بكثير من طلابه إلى انتحائها والعمل ضمنها من أجل توسيع دائرة النّقد الأدبيّ في الجزائر، وإخراجه من النّقد الهدّام إلى النّقد البنّاء.

صالح بلعيد.

المصادر:

- ساري محمّد، النّقد الأدبيّ مناهجه وتطبيقاته عند الدّكتور محمّد مصايف. بحث ماجستير، نوقش بجامعة الجزائر 1993م.

محمّد منصوري العُقْبي
(1307 هـ - 1889م/1372 هـ - 1952م)

محمّد بن صالح بن منصوري العُقْبي، المولود في بلدة سيدي عقبة ولايّة بسكرة في الجنوب الجزائري، والمتوفى في بلدة برج منايل ولايّة بومرداس في وسط الجزائر.

قضى حياته في وطنه الجزائر وفي الحجاز.

حفظ القرآن الكريم بالكُتّاب في مسقط رأسه، وهناك تلقى مبادئ اللغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة.

في عام 1907 هاجر مع أسرته إلى الحجاز من أجل طلب العلم والاستزادة منه، ثم رجع إلى وطنه عام 1925.

اشتغل مدرّسًا بمسجد سيدي عقبة، وفي عام 1931 انتقل إلى بلدة برج منايل ليكون أوّل إمام لمسجدها، وقد مكث هنالك حتى وافاه أجله.

لقد كان عضوًا في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين منذ عام 1935، كما كان عضوًا في جمعيّة الشّباب العقبي النّاهض، بالإضافة إلى هذا فقد نال عضويّة المجلس الإداري لجمعيّة العلماء المسلمين.

نتاجه الأدبي:

له مجموعة من القصائد في كتاب "سيرة وأعمال العلامة محمّد منصوري العقبي": كما أنّ له قصائد منشورة في صحف ومجلات عصره.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو أنه يتمحور حول مدح الرّسول ﷺ. وله أيضًا شِعر وطني يحثّ فيه الشّباب منسابة وخياله نشطًا لذلك كانت صوره ذات إيحاءات دلاليّة مكثفة.

نماذج من شعره:

من قصيدة: بمديح أحمد تظهر الأسرار

بمديح أحمد تظهرُ الأسرارُ
وتلوح في أرض النّهى أنوارُ
ويزول عن فكرٍ توجّه نحوَه
كدَرٌ ويُمحَى الذنب والأوزار
وبه تُنال من الكريم مواهبٌ
ومراتبٌ مِنْ دونها الأقمار
فيه ترنَّمْ لا تخفْ من لائمٍ
وبه تقدَّمْ أيها المحتار
واسبحْ بفكرِك في بحار مديحه
حتى تجرَّكَ للحمى أقدار
فهناك تنظر جنةَ الفردوسِ قد
حُفَّتْ بنورٍ تحتها أنهار
فيها النّبي الهاشمي محمّد
ذاك الرّسول الطّاهر المختار
كنزُ الوجود وعينُ أعيان الوَرى
كهفُ الوفود وصحبُه أبرار
لاذوا به متمسِّكين بهَدْيه
فبدَتْ لهم شمسٌ وزال ستار
قد بثَّ فيهم فكرهُ فتحقَّقوا
أنْ ليس إلا الواحدُ القهّار
فدعَوا لتوحيدِ الإله بما دعا

وأراهُم النّهجَ القويمَ فساروا
ساروا وشمسُ الشّرع نُصبَ عيونهم
فهمُ هداةُ الدّين والأنصار
بذلوا نفوسَهمُ ابتغاءَ الله والْـ
أجْرِ العظيم وهُمْ همُ الأحرار
ما منهمُ مَنْ يستكين إذا اعترى
خطْبٌ ولا من يزدريه الجار
هذا وما في الكون مثلُ محمّد
قبلا وبعدًا ما لذا إنكار
من خُصَّ بالإسراء وهو الشّمسُ فَوْ
قَ النّيراتِ فلَيْلُه أنوار
ورقَى إلى أن قد رأى من ربِّه
ما لا يرى فبدتْ له أسرار

من قصيدة: اللهُ أكبرُ

اللهُ أكبر هذا النّورُ قد سطَعا
لمّا أتى مَن لدين الله قد شرعا
وأشرقَ الكونُ إشراقًا بطلْعتِه
ومنه إيوانُ كسرى انشقَّ وانصَدعا
ونارُ فُرْسٍ لذاك النّور قد خمَدتْ
ما كان ظنُّهمُ يومًا بأن يقعا
وجاء مُظْهرُ دين الله تحرسُه
عنايّة الله مولودًا ومُرْتَضعا
وجاءت السّحْب بالأمطار هاميّة
فسُرَّ إذ ذاك زَرّاعٌ وما زرعا
واهتزتِ الأرض مما عاينَتْ فرحًا
وأُلبِستْ سُندسًا بالنّور قد رُصِعا
وذاك من بعد محْلٍ شانَ هيئَتَها
واغتال غَلّتَها وخيرها قطعا
إن السّعيد إذا ما نورُ طلعتِه
قد أشرقَتْ بمكانٍ طاب وانتفعا
وكان منشأ خيراتٍ ومزرعةً
ثمارُها بلذيذ الطّعم قد يَنعا
أحيا القلوب بنورِ العلم جاء به
وصارع الباطلَ المُمْقوتَ فانصَرَعا

بني وطني

بني وطني سيروا على عجلٍ إلى
سبيل العُلا نهجِ الجدودِ الأوائلِ
فقد شيَّدوا صرحًا من المجد قد علا
مُنوَّرةٌ أركانُه بالأفاضل
وقد أورَثُوكم أيَّ عزٍّ وأسّسوا
لكم أيَّ فخرٍ بين تلك القبائل
وآثارُهم فوق البسيطةِ شاهدٌ
على أنهم أهلُ النّهى والفضائل
إلى مثلهم يرنو الحكيم تعَشُّقًا
ويصبو إلى أوطانهم والمنازل
على مثل ذاك المجد يا عينُ فاسكبي
دمًا املَئي روضَ العلا والجداول
ولا تسأمي إن البكاء فضيلةٌ
على مثل ذاك الأمر عذبُ المناهل
همُ القومَ حدِّثْ عنهمُ كلَّ معشرٍ
وجادلْ عليهم بالظّبَا والمناصِل
على نهجهم سِرْ وادْعُ وانْهَ ولا تخلْ
أخا العقل إلا قابلا خير قابل
ولا تركننْ نحو الخمول فإنه
طريقٌ وخيمٌ شيمة المتنازل
ولا تعبأنْ بالمبطلين فإنهم
على زعمهم أهل الهدى والوسائل
فعارٌ على من ينسبنْ نفسه إلى
أولئك أن يرضى بتلك الرّذائل
هلموا بنا نحو الشّبيبة إذ همُ
إلى طرق الإرشاد أقرُب مائل
لنشر علومٍ واكتساب معارفٍ
بصائب آراءٍ وحسن تعامل
وصلِّ إلهي كلّ وقتٍ وساعةٍ
على المصطفى المختار أعدلِ عادل
وآله والصّحب الألى عَمَّ نفعُهم
بعلمٍ وآداب وإرشادِ سائل

رابح دوب

المصادر:

- سجل مؤتمر جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين – دار الكتب الجزائر 1982؛
- سميّة منصوري: سيرة وأعمال العلامة محمّد منصوري العقبي – دار هومة – الجزائر؛
- عبد الله ركيبي: الشّعر الدّيني الجزائري الحديث – دار الكتاب العربي الجزائر 2011؛
- محمّد ناصر: الشّعر الجزائري الحديث – دار الغرب الإسلامي بيروت 1985؛
- معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين، المجلد التّاسع عشر – الكويت 2008؛

رابح دوب: موسوعة شعراء عصر النّهضة في المغرب العربي، الجزء الرّابع، دار بهاء الدّين، قسنطينة، الجزائر، 2014.

■ محمّد مهري
(1351هـ - 1932م/1440هـ - 2019م)



هو محمّد مهري بن علي ولد سنة 1932 م في قريّة (لولاش) التابعة لقريّة (مشونش) جنوب الأوراس، التابعة اليوم لولايّة بسكرة، أدخله والده كتاب القريّة سنة 1939 م، فقد كانت قريّة مشونش تعاني الفقر والتخلف والتجهيل بسبب سياسة المستعمر، وسادت فيها بعض العادات السّيئة، فسعى مصلحو القريّة إلى استقدام العلماء والوعاظ والمربين من أجل إصلاح المجتمع وتعليمه، فتعاقب عليها الكثير من العلماء والمصلحين، وفي سنة 1944 سطع نجم في سماء مشونش وبدد ظلمتها بقدوم الشّيخ أحمد السّرحاني تلميذ الشّيخ ابن باديس، وكان له تأثير كبير على تلامذته،

وقد يحضر معهم أولياؤهم للمشاركة في تلقي الدروس، وفي وقت قياسي ألحقت المدرسة بالمدارس الحرة لجمعيّة العلماء المسلمين، حيث توجه التلاميذ النّجباء إلى معهد ابن باديس بقسنطينة، فكان محمّد مهري من بين هؤلاء الملتحقين خلال سنة 1949 – 1950 م، وكانت مدة الدراسة في المعهد أربع سنوات أصيب خلالها بمرض السّل فسافر إلى فرنسا للعلاج وذلك سنة 1952 وبقي هناك سنة ونصف حتى تماثل للشفاء بعد تجربة فذة عاشها في الأخطار والآلام والعمليات الجراحيّة، وفي سنة 1953 عاد إلى قريته بوعي جديد حيث صار أكثر درايّة وخبرة بشؤون الحياة وتطور وعيه السّياسي، وبعد مدة قصيرة عاد لإكمال دراسته في جمعيّة العلماء، التي بدأت في إرسال بعثات نحو مدارس وجامعات المشرق لإتمام الدراسة، وبدأ يتهيأ للسفر إلى المشرق، وفي أثناء ذلك اندلعت ثورة 1 نوفمبر 1954، وعندما سأل أحد المشايخ عن هذه الأحداث أجابه: أنه جهاد مقدس وعلى الشّعب أن يشارك فيها ولا يتردد، وأن لا يفوت هذه الفرصة على نفسه، فقرر محمّد مهري العودة إلى موطنه (مشونش) للالتحاق بالمجاهدين، فمنعه بعض المشايخ وقالوا له: ما ينقصنا هو التعليم والتخصص وأنت على أبواب السّفر للتعلم فلا تفوت الفرصة، أنت أيضا في جهاد والقضيّة الوطنيّة تحتاج إلى إطارات للتسيير، وفي بدايّة شهر ديسمبر 1954 سافر إلى القاهرة مع دفعته من الطلبة قاصدا معاهد العلم وقلاع المعرفة، وبعد أيام من وصوله إلى القاهرة كلفه الشّيخ البشير الابراهيمي بأن يتولى مسؤوليّة البعثة الموجودة في سوريا من الطلبة فسافر إلى سوريا وفي سنة 1956 تحصل محمّد مهري على بكالوريا اجتماعيات من مدرسة البنين باللاذقيّة والتي تؤهله للالتحاق بالكليّة العسكريّة، ثم التحق بكليّة الحقوق، وفي سنة 1957 انتخب محمّد مهري أمين عام لرابطة طلاب المغرب العربي في سوريا، ثم طلب من مسؤولي الإذاعة السّوريّة أن تمنح لهم حصة فوافقوا على طلبهم فجند بعض الطلبة من أفراد البعثة هناك للقيام بهذا العمل ومنهم محمّد أبو القاسم خمار والهاشمي قدوري ومحمّد أبو عروج وغلام الله بو عبد الله فتكون منهم مكتبا صحفيا داخل جبهة التحرير وكانت مدتها نصف ساعة تقدم خلالها التعاليق على الأحداث وعلى سير الثورة، وفي صائفة عام 1960 اتصل محمّد مهري بالسّيد محمّد يزيد في الحكومة المؤقتة وعرض عليه أن يرسلهم إلى وحدات جيش جبهة التحرير في الحدود التونسيّة وتزويدهم بالمنيطوفون لتسجيل بعض الأشرطة من هذه الوحدات لبثها في الإذاعات فوافق الوزير على هذا الطلب ووصل محمّد مهري وبعض رفاقه إلى الحدود التونسيّة واستقبلهم المحافظ السّياسي وبرمجة إقامتهم وتنقلاتهم لإنجاز مهامهم.

وفي جوان سنة 1962 استدعي محمّد مهري من طرف المكتب السّياسي، للعودة إلى الجزائر للتكفل بالإذاعة مع الأخ عيسى مسعودي، ثم ذهب إلى الإذاعة واستلم المهام من مديرها الفرنسي، وبدأ وضع خطة للعمل مع صاحبه، ثم بعد ذلك سافر إلى موطنه مشونش بعد أن غاب عنها لمدة ثمان سنوات، وكان الاستقبال حارا من طرف الأهل وأفراد العائلة والمجاهدين وأهل القريّة كلهم.

ثم عاد محمّد مهري إلى الجزائر العاصمة وبدأ في إدخال بعض التوجيهات الجديدة على البرامج الإذاعيّة، وبدأ في تقديم تعليق بعد نشرة الواحدة حول السّلطة التشريعيّة، لأن البلاد كانت بصدد التحضير لانتخاب المجلس التأسيسي، وفي أثناء ذلك استدعي محمّد مهري من طرف عبد الرّحمن شيبان ومحمود الواعي، وطلبوا منه أن يكون مساعدا لوزير الأوقاف، لأن الحكومة سوف تعلن بعد يوم أو يومين، وسوف تسند إلى أحمد توفيق مدني، وهو في حاجة إلى حقوقي ليساعد الوزير على هيكلتها، فالتحقت بوزارة الأوقاف وعينت مديرا للشؤون الدينيّة، التي بدأنا تأسيسها بإنشاء مفتشيات، واستعادت المساجد المغتصبة المحولة إلى كنائس، وترميم وبناء المساجد وتأثيثها، وحصر ممتلكاتها وتسييرها وتزويد الأئمة بالمنشورات، التي تدعم معارفهم وتسهل لهم تأديّة مهامهم، وإنشاء مجلة للبحوث العلميّة، والاشتراك في البرامج الإذاعيّة، وإحياء المناسبات الدينيّة وتنظيم الدروس وإنشاء المعاهد الإسلاميّة، واستقدام العلماء الأكفاء من المشرق للتعليم ولتكوين الإطارات المتخصصة لبعث القيم الإسلاميّة، وحمايتها من التدجيل والتزييف وضبط مسار المجتمع الجزائري وفقا لمعايير وتوجيهات إسلاميّة، لأن الاستعمار الفرنسي مارس المسخ للقيم والمبادئ وتجهيل الشّعب.

وقد شارك محمّد مهري في كثير من المؤتمرات الدوليّة المتعلقة بالشّؤون الإسلاميّة منها: مؤتمر دمشق في 1963 ومؤتمر باندونغ في 1965 في أندونيسيا تحت رئاسة مالك بن نبي.

وفي سنة 1964 التقى محمّد مهري بخليل الوزير (أبو جهاد) الفلسطيني وساعده في التواصل مع المسؤولين الجزائريين السّيد محمّد الصالح يحياوي رفقة ياسر عرفات (أبو عمار) مسؤول منظمة فتح، وتضمن الاتفاق تأييد حزب جبهة التحرير ومساندته لهذه الحركة مستفيدة من تجربة الثورة التحريريّة الجزائريّة وإنشاء مراكز لتدريب الفلسطينيين وتزويدهم بأسلحة تناسب العمل الفدائي، وكان اللقاء في منزل العقيد الطاهر الزّبيري رئيس الأركان، وكانت الانطلاقة الجادة لمنظمة فتح قد ابتدأت من الجزائر.

وفي سنة 1966 بعد الانقلاب تغيرت الأشخاص والوزارات، فانسحب محمّد مهري من وظيفته متجها إلى المحاماة، وبدأ في الاتصال بقصر العدالة، ليجد أن الحرف العربي غريب فيه لا يكتب ولا يقرأ ولا يتحدث، وهو تعليمه معرب، وعند ذلك تأكد له أنه لا مناص من تعلم اللغة الفرنسيّة، فقرر إعداد الدكتوراه من فرنسا، فتقدم بطلب منحة من وزارة التعليم العالي لتحقيق ذلك، فَقُبِل طلبه مع التكليف ببعض المهام الحزبيّة في إطار ودادية المهاجرين، وانتقل إلى باريس سنة 1966 م والتحق بالودادية

ليشرف على جريدة الجزائري في أوروبا الصادرة بالعربيّة، ويشرف أيضا على تأسيس تعليم العربيّة للمهاجرين وأبنائهم.

أنهى محمّد مهري إجراءات التسجيل في قسم الدكتوراه بكليّة الحقوق للعام الدراسي 1966-1967م لإعداد دبلوم الدراسات القانونيّة العليا في العلوم الجنائيّة وكان من بين أساتذته لوفاسور وفوان، وكانت أول صعوبة واجهته هي اللغة الفرنسيّة لأنه لم يسبق له أن درسها، ولمواجهة هذه العقبة انخرط في أفواج الطلبة الأجانب في الكليّة ثم التحق أيضا بمعهد الرّابطة الفرنسيّة وهو من أهم المؤسسات التعليميّة للأجانب في اللغة الفرنسيّة.

وفي خريف 1968 عاد محمّد مهري إلى الجزائر وكان عليه أن يقدم ملفه قبل نهايّة العام، وكذلك كان الأمر وبعد أدائه لليمين بتاريخ 08 - 01 - 1969م استلم وظيفته في مجلس قضاء المديّة، وأصبح يحمل اسم المحامي، فالتشريع الجزائري جعل المحامي مساعدا للعدالة فكانت القوانين المنظمة لممارسة هذه المهنة تعدل دوريا، ولقد كان لمحمّد مهري شرف المساهمة في صياغة هذه التشريعات بالمشاركة مع الأستاذين علي بن فليس وحمادي محمّد. وبعد آدائه لليمين القانونيّة توجب عليه زيارة مجاملة لجميع قضاة المحاكم ومجلس القضاء بالمديّة، خاصة أنه كان يرافع باللغة العربيّة بينما الفرنسيّة هي التي كانت تسود القضاء، فقد سأله أحد القاضاة مستغربا هل أنت محام؟ فأجابه بنعم، وذلك القاضي كان كاتب ضبط، ورقي إلى قاضي بعد الاستقلال لحاجة البلاد إلى إطارات القضاة وها هو يتعالى على العربيّة.

وعندما كنت أرافع بالعربيّة كان البعض يعتقد أنني محام مصري، وكان البعض يأتي إلى مجلس القضاء بالمديّة للاستماع إلى هذا المحامي المصري، خاصة أن المجتمع بالمديّة يمتاز بالتقدير للمقومات الوطنيّة وقد تلقيت منهم الشّكر والتقدير، ولقد اجتهد محمّد مهري في مهنته وكان يستشير الأستاذ أحمد يحيي حسين في العاصمة الذي يتمتع بخبرة واسعة وتجربة عريقة حتى يتعلم منه أكثر، وفي مرة من المرات سأله إن كان مارس القضاء من قبل فأجابه بالنّفي، فقال له: أقدر إمكانياتك بما يعادل خدمة عشر سنوات في القضاء. وكان يشارك في المؤتمرات والملتقيات الدوليّة للمحامين العرب وفي عام 1977 انتخب نقيب جهوي لنقابة المحامين. وكان له الفضل في تأسيس رابطة حقوق الإنسان.

ومع أحداث أكتوبر 1988 وانفتاح البلاد على التعدديّة الحزبيّة بدأ التفكير في الأحزاب، وفي يوم كلمني أحد الأصدقاء من باريس وبلغ لي تحيّة الرّئيس أحمد بن بلة، ورغبته في أن نلتقي في فيينا فذهبت إليه وقضينا يوما كاملا واتفقنا على تأسيس حزب (الحركة من أجل الديمقراطيّة)، ولكنه لم ينجح فانسحب منه.

أما مؤلفاته فقد ترك المرحوم محمّد مهري مذكرات بعنوان: (ومضات من دروب الحياة) وكتابا حول حقوق الإنسان باللغتين العربيّة والفرنسيّة، وكتابا بعنوان: (مساهمات ثقافيّة).

وظلّ في سلك المحاماة الى أن وافاه الأجل في يوم 7 جويليّة 2019 ودفن رحمة الله عليه بمقبرة المديّة، لقد كانت حياته حافلة بالحركة والكفاح وطلب العلم وخدمة الوطن، فجزاه الله خيرا على ما قدم وتلقاه الله بسابغ الرّحمة والمغفرة.

محمّد مدور

المصادر:

- محمّد مهري، ومضات من دروب الحياة، منشورات السّائحي، الجزائر، 2013.
- شهادات حيّة قدمها زميل المرحوم محمّد مهري السّيد مدور محمّد الصالح.
- موقع الخبر الإلكتروني 08 - 07 - 2019 م.
- موقع الشّروق الالكتروني. جويليّة 2019.

محمّد ولد الكرد
(1302هـ - 1885م/1370هـ - 1951م)

فنّان أندلسي من عنابة، واسمه الحقيقي محمّد بن عمّارة ولد الكرد، من عمالقة الطرب الأندلسي خلال النّصف الأول من القرن العشرين ولد في 2 أوت عام 1885م بالمدينة القديمة لعنابة وهو حي شعبي له تاريخه ورجالاته. عاش يتيما وفي حيه الشّعبي التّحق بالكتاتيب وبالضبط في مسجد أبي مروان الشّريف.

بدأ محمّد ولد الكرد حياته الفنّيّة سنة 1925م عندما تشبع بالحفلات والأعراس التي كان يحضرها ويأخذ من شيوخها مثل الشّيخ محمّد بن خمار والشّيخ محمّد فرجيوي



والشّيخ محمّد بن لوصيف، كما أخذ عن أبيه الذي كان ينتمي إلى فرقة عيساويّة، فكان ولد الكرد يصاحب أباه وينهل من الموسيقى والطّبوع الأندلسيّة. أما اتقانه لآلات العزف فقد بدأ بالنّاي أو ما يسمى بالفحل أو الزّرنة، ثم تحول إلى آلات البيانو والعود، كل هذه الآلات أعطت لصوته الدافئ قوة في الموسيقى وتفاوتا في نبرات الصوت والأداء، وذكرت لنا مصادر أن محمّد ولد الكرد التّقى بعمالقة الفنّ الشّرقي خاصّة الفنّان القدير محمّد عبدالوهاب، وفي المشرق أخذ ولد الكرد أغلب الطّبوع والموشحات من سوريا، كما سافر إلى تركيا في

إطار تجنيده الإجباري وتأثّر بالفنّ التّركي كثيرا وأعجب بآلات العزف عندهم، كما التّقى بكبار الفنّانين الجزائريين كالشّيخ حمادة والجرموني والعنقا وغيرهم كثير. ويذكر محمّد لخضر بوبكر أحد المتخصّصين في المالوف العنابي ورئيس جمعيّة أحباب وتلاميذ حسان العنابي أن ولد الكرد عندما عاد إلى مدينة عنابة بعد تجنيده الإجباري في المشرق؛ أسس جوقه الخاص مع بعض أصدقائه مثل عبد العزيز ميمون على الإيقاع، سيفي حسن الملقب بالشّيخ سفيان على آلة الكمان، مشيشي محمّد على آلة العود، وسي محمّد بن دندان على آلة الطّار، غير أنّ هذا الجوق لم يكن في المستوى المطلوب، فكثيرا ما كان يدخل عليه بعض التّغييرات مثل آلة الكمان، آلة العود، النّفخ والطّار. وكان للشيخ الكرد صوت شجي مكنه من الولوج في عالم الفنّ الأندلسي وبمختلف مقاماته، حتى استطاع أن يجمع حوله جمهورا تجاوز مدينة عنابة حيث كان يأتي إلى حفلاته جمهور كبير من المناطق المجاورة.

وذكر عاشور شرفي صاحب قاموس الموسيقيين والمطربين الجزائريين أن ولد الكرد كان يتمتع بشخصيّة قويّة وحضور وأناقة في السّلوك والتّعامل والهندام، حتى أنّ النّساء كانت تتهاتف بالزّغاريد عندما يمر في شوارع مدينة عنابة.

سجّل محمّد ولد الكرد أكثر من ستين أسطوانة وذلك منذ سنة 1934م، وأغلب أعماله سجلتها شركة بيضا فون فرنسيّة.

لمحمّد ولد الكرد أعمال فنيّة كثيرة أهمها:

- عيون الحبارة وهي من أشهر أغانيه التي تكاد تتحول إلى أسطورة فنيّة إذ لا زال كثير من فناني المالوف يرددونها إلى اليوم.
- فارقوني.
- حرمت بك نعاسي.
- صالح باي.
- بنات البهجة.
- ظالمة.
- من فراق غزالي.
- بالله يا حمامي.

وأغلب هذه الأغاني تم تعديلها وتحسينها ليغنيها أكبر رجالات المالوف الجزائريين خاصّة الفرقاني وحمدي بناني.

وقد ذكره المؤرّخ احسن دردور في كتابه حول تاريخ عنابة.

توفّي الشّيخ محمّد ولد الكرد في مدينة عنابة يوم 17/ 10/ 1951م عن عمر يناهز 66 سنة بعد مرض عضال.

نوار **عبيدي**

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

■ محمّد يحياتن
(1372هـ - 1953م/1433هـ - 2012م)

ولد (محمّد يحياتن) بمدينة قصر الشّلالة (ولايّة تيارت) سنة (1953م)، لأسرة ثوريّة، فقد استشهد والده خلال الثّورة التّحريريّة، ثمّ انتقل رفقة عائلته إلى (الجزائر العاصمة) عام (1966م)، وبالضبط في شارع القديس أوغسطين في أعالي القصبة.

لقد كان (محمّد) عصاميّاً، شغوفاً بالمعرفة، فقد زاوّل دراسته لبضع سنين في معهد خاص تابع لجمعيّة العلماء لدراسة اللغة الفرنسيّة ثمّ ترشح للبكالوريا في قائمة المترشحين الأحرار، فنال الشّهادة بجدارة سنة (1975م) ليلتحق مباشرة بجامعة الجزائر في قسم الفلسفة، ليتخرج فيها بشهادة الليسانس في عام (1978م)، وقدم رسالة الدّراسات المعمقة حول فلسفة التّمرد عند ألبير كامو

ليتخلى بعد ذلك عن دراسة الفلسفة ويحوّل وجهته نحو الدّراسات اللسانيّة، بفضل الأستاذ (طاهر ميلة) الذي تعرّف عليه في حيّ القصبة، حيث التّحق بمعهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة في الأبيار (أو معهد الحاج صالح مثلما كان يسمى)، فقد كان أستاذ الدّراسات اللغويّة واللسانيّة عبد الرّحمن الحاج صالح مديره الذي يشرف عليه، ليتحصّل (يحياتن) سنة (1986م) على شهادة الماجستير في موضوع تعليم اللغة العربيّة في الثّانوي

التّحق محمّد يحياتن سنة (1988م) بجامعة تيزي وزو للتدريس في قسم اللغة العربيّة وآدابها، ليستفيد بعد ذلك من منحة دراسيّة لتحضير الدّكتوراه في جامعة غرونبل (فرنسا)، في موضوع التّعريب في الجزائر، وقد ناقشها في 10 أكتوبر 1997م.

وفي سنة (2000م) انتقل إلى قسم التّرجمة بجامعة الجزائر على أمل الانتقال النّهائي من مدينة تيزي وزو إلى العاصمة التي قضى فيها شبابه، وبعد سنة واحدة انتُخِب رئيسا للجنة العلميّة لقسم التّرجمة، وكان الذهاب والإياب اليومي من تيزي وزو إلى العاصمة مرهقا، وهو ما أجبره على العودة إلى جامعة تيزي وزو، بعد ثماني سنوات قضاها في جامعة الجزائر.

وفي جامعة تيزي وزو كلّف بتسيير قسم التّرجمة حديث النّشأة، ثمّ أسندت إليه رئاسة المجلس العلمي لكليّة الآداب واللغات

وفي (2009م) استفاد من سنة سبْتيّة إلى (فرنسا) ليجدّد معارفه ويثري علمه بما جدّ هناك فكان في كل مرة يأتي مزودا بالكتب الجديدة في مجالات الأدب والنّقد والدّراسات الأدبيّة والمناهج المستحدثة. فكان بحق مثالا ونموذجا للأستاذ الباحث الدّؤوب على الحفر المعرفي والنّقش الأدبي المتواصلين.

موازاة مع العمل الجامعي، اهتم الدّكتور (محمّد يحياتن) بالتّرجمة، فعكف على إثراء المكتبة الجامعيّة بنصوص نقديّة وعلميّة في مجالات اللسانيات والنّقد الأدبي وتحليل الخطّاب كما ترجم كتبا أدبيّة وسياسيّة عامّة مثل كتاب "الأمير عبد القادر، فارس الإيمان" لمحمّد شريف ساحلي، و"الحرب الأهليّة في الجزائر" للويز مارتيناز، وروايات "وردة في الهاويّة" لعيسى خلادي و"إدريس لعلي الحمامي، و"لا مكان في منزل أبي" لآسيا جبار

كان محبا للأدب وشغوفا بالكتاب وترقيته، مما دفعه إلى المبادرة إلى تأسيس جمعيّة "أحباب الكتاب" بمعيّة مجموعة من أساتذة جامعة تيزي وزو سنة، 1997 وقامت الجمعيّة بإقامة نشاطات أدبيّة وفكريّة عديدة منها اللقاء التّاريخي مع رضا مالك حول كتابه "التّراث والحداثة" في القاعة الكبرى لدار الثّقافة مولود معمري بتيزي وزو كما أصدرت الجمعيّة مجلّة أدبيّة بعنوان "أحباب الكتاب" وصدر منها عددان، شهد لها الكثير بالجديّة والتّعدّد الفكري واللغوي وكان ينشر المقالات الأدبيّة والصّحفيّة في الجرائد والمجلات، خاصّة في ملحق "الأثر" لجريدة "الجزائر نيوز" كما كلّفه المجلس الأعلى للغة العربيّة بالإشراف على مجلّة "معالم" المختصة في مجال التّرجمة

وفيما يلي القائمة المؤقتة للكتب والدّراسات التي نشرها المرحوم محمّد يحياتن:

– الكتب التي ترجمها إلى العربيّة:

– جل أوستين: القول من حيث هو فعل، دار عالم الكتب، تيزي وزو، ط2010،

- 2J. L. Austin, Quand dire c›est faire, Seuil, Paris,1970

– لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006

- L. J. Calvet, Sociolinguistique, Que-Sais-Je, PUF, Paris, 1993

– لويس جان كالفي: السّياسات اللغويّة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الاختلاف، 2009

- L. J. Calvet,Les politiques linguistiques, Que-Sais-Je, PUF, Paris,1999

– جوئيل رضوان، موسوعة التّرجمة، مخبر الممارسات اللغويّة، جامعة تيزي وزو، 2010

- J. Redouane, Encyclopédie de la traduction, OPU, Alger, s. d

– دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطّاب، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الاختلاف، 2008

- D. Maingueneau, Les termes clés de l'analyse de discours, Seuil, Paris, 1996

– خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغويّة، دار الحكمة، الجزائر، 2007

- Khaoula taleb Ibrahimi, Les Algériens et leur (s) langue (s), Editions El-Hikma, 2ème éd. Alger, 1997

– علي مراد، الحركة الإصلاحيّة الإسلاميّة في الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، 2007

- Ali Merad, Le réformisme musulman en Algérie, Editions El-Hikma, 2ème éd., Alger, 1999.

– فيليب لوكا وجان كلود فاتان، جزائر الأنتروبولوجيين، دار القصبة، الجزائر 2002

- J. C. Vatin et P. Lucas, L'Algérie des anthropologues, La Découverte, paris, 1982

– علي الحمامي، إدريس، منشورات ANEP، الجزائر، 2008

– Ali Hammamy, Idriss, ENAG, Alger, 2006.

– محمّد الشّريف ساحلي، الأمير عبد القادر، فارس الإيمان، منشورات ذخء، الجزائر، 2008

- Mohamed Chérif Sahli, Abdelkader, chevalier de la foi, ANEP, Alger, 2006

– عيسى خلادي، وردة الهاويّة، روايّة، منشورات مرسى، الجزائر، 2006

– Aissa Khelladi, Rose d'abîme, roman, Seuil, Paris, 1998

– جلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التّأويليّة ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر . 1992

- Introduction à la pragmatique linguistique: Djillali Delache OPU 1985.

(ب) الدّراسات:

– محمّد يحياتن: من أجل تجديد النّظر في مناهج تدريس اللغات الأجنبيّة في معاهد اللغة العربيّة وآدابهامجلّة الخطّاب معهد الآداب واللغة العربيّة جامعة مولود معمري تيزي وزو عدد1، 1996م.

– الحب الأوّل هو الحب الأخير دائما: الطّاهر بن جلون ترجمة محمّد يحياتن. مجلة االقصة تصدرها جمعيّة الجاحظيّة عدد1، 1996، ص 36 / . 37

صبيحة الأربعاء 16 ماي 2012م، توفّي الأستاذ الجامعي والمترجم الدّكتور (محمّد يحياتن) إثر سكتة قلبيّة مباغتة، ودفن في اليوم التّالي بمقبرة ذراع بن خدة بـ (تيزي وزو). نزل الخبر حزينا ومؤلما على عائلته وزملائه وطلبته في جامعات تيزي وزو والعاصمة والبويرة (وفيما بعد على زملائه وطلبته وقرائه في جامعات جزائريّة أخرى)، إذ كان في أوج نشاطه العلمي، يشرف على الرّسائل الجامعيّة ويناقشها بحيويّة ومرح وجديّة، وقد عُرف المرحوم بأخلاقه العاليّة في علاقاته مع زملائه وطلبته، وسخيا في العطاء العلمي والمادي، متسامحا فكريا ومحبا للأدب والثّقافة والكتاب.

حبيب بوزوادة

المصادر:

– مقال محمّد ساري بعنوان (في سيرة الرّاحل محمّد يحياتن) في موقع (الجزائر نيوز) يوم 28 – 05 – 2012

الرّابط: https: / /www. djazairess. com /djazairnews /39366

محمد يكن الغسيري
(1334هـ - 1915م/ 1394هـ - 1974م)

المجاهد الأديب هو محمد بن أحمد يكن المنصوري الغسيري من سلالة عرش بني منصور في منطقة غسيرة التابعة لدائرة تكوت بولاية باتنة، ولد حوالي سنة 1915 وفي سن السابعة التحق بالكتّاب لتعلم المبادئ الأولى للقراءة، والكتابة وحفظ كتاب الله إلى سنة 1927، أين التحق بزاوية الشيخ بن الصادق بأولاد ميمون، هناك أنعم الله عليه بإتمام حفظ كتابه جيدا سنة1931، لتبدأ رحلته في عروس الزيبان بسكرة أين التحق بزاوية الشيخ محمد الصغير الجوادي، ثم انخرط سنة 1932 في صف تلاميذ مدرسة الإخاء للشيخ محمد خير الدين التي كانت قد تأسست في تلك السنة، وهناك تلقى العلم على عدد من معلميها، منهم: الشيخ الطرابلسي الميزابي، الشيخ محمد خير الدين، الشيخ عمر البسكري، الشيخ بلقاسم الغسيري، وغيرهم من أفاضل العلماء. وكان يقيم في زاوية سيدي الجوادي مع الطلبة الجوالة فترة، ثم تكفل به يتولى الغسيري تحفيظ القرآن الكريم لابنيه وابن أخيه، وبعد ذلك توجه إلى مدينة قسنطينة التي استقر بها في حلقة شيخ العلماء والمصلحين عبد الحميد بن باديس الذي أطال الجلوس بين يديه واستلهم أصول العلم من منبعه فتعلم أسس الدين والخطابة وكان من أمهر تلاميذه، ومما يرويه الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله في هذا الصدد؛ أنه في نفس السنة التي التحق فيها الغسيري بقسنطينة، أي سنة 1933، كان الأستاذ الفضيل الورتلاني أحد عرفاء الطلبة قد سن سنة حميدة بتوجيه من الإمام ابن باديس، وهي جمع طلبة الجامع الأخضر مرة في كل أسبوع في مكان أسموه (المأوى)، وهو عبارة عن مرأب كبير استؤجر لفائدة الطلبة، فكانوا يتدربون فيه على فنون الخطابة والحديث، وذات مرة فاجأ الأستاذ الفضيل الطالب الجديد محمد الغسيري وطلب منه أن يقف ليلقي خطبة، فارتبك الغسيري ووقف يرتعد من الخجل لا يدري ما يقول، وسكت وطال صمته، ثم قال له الأستاذ الفضيل: تكلم عنك، اذكر اسمك وبلدك وأين تعلمت، ولماذا جئت إلى هنا؟ فقال: أنا محمد المنصوري الغسيري، ولدت بغسيرة، حفظت القرآن الكريم، وتعلمت في مدرسة الإخاء ببسكرة، وجئت إلى قسنطينة لأتحصل على العلم والمعرفة لدى الأستاذ عبد الحميد بن باديس، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كانت هذه المفاجأة المربكة سببا لأن ينطلق لسان الغسيري بعد ذلك ويصدح بالخطب البليغة والأحاديث الممتعة، ويبوئ صاحبه مكانة الخطيب المِصْقَع بين خطباء جمعية العلماء.

انخرط في أوائل الأربعينيات في الكشافة الإسلامية الجزائرية، أين شغل منصب مرشد لفوج الإقبال بقسنطينة سنوات، وبعد استشهاد محمد بوراس التحق بالقيادة العامة، بالعاصمة، ليكون مرشدا عاما وعضوا فعالا في جناح شبيبة الكشافة الإسلامية الجزائرية، وقد ترك العديد من النصوص التي كتبها لفائدة المنظمة منها التقرير الديني والأخلاقي للكشاف سنة 1943، وكذلك لائحة المرشدين المقدمة للقيادة العامة في مخيم تلمسان سنة 1944.

بعد مجازر الثامن ماي 1945 بأسبوع، تم اعتقاله، وأودع السجن المدني بقسنطينة في السادس عشر من ماي 1945، ثم نقل إلى سجن الحراش بالجزائر العاصمة ومنه إلى معتقل جنان بورزق بين بشار وعين الصفراء قبل أن ينقل إلى معتقل المشرية، أين تعرض لأبشع أنواع التعذيب والتنكيل إلى غاية صدور العفو بحقه، لكنه وضع رهن الإقامة الجبرية بـ(فيلا لارد)، ولم يطلق سراحه إلا في السابع والعشرين مارس 1946.

بعد عودته إلى قسنطينة تم تعيينه كنائب في لجنة التعليم العليا التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي ذات السنة أوكلت إليه عدة مهام، منها مفتش عام لجميع مدارس الجمعية على المستوى الوطني، أين أدى هذه المهمة بكفاءة عالية واقتدار باعتراف الجميع، إلى غاية سنة 1949، وهي السنة التي عيّن فيها مندوبا خاصا لزيارة الطلبة الجزائريين وتفقد أحوالهم في تونس ومصر.

في سنة 1951 قاد وفدا هاما من الكشافة الإسلامية إلى فرنسا، ومنها انتقل إلى النمسا حيث حضر المؤتمر العالمي للكشاف، وما إن عاد إلى الجزائر حتى كلف بمهمة زيارة المسؤولين السياسيين عن حزب الاستقلال المغربي في بلادهم فمزج الشيخ بين العمل الإداري والتعليمي والتربوي مع النضال والعمل السياسي.

وفي سنة 1953 ترأس وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية الذي كان متوجها إلى مصر لحضور إحياء الذكرى الأولى لثورة جويلية 1952، استجابة لدعوة من الكشافة المصرية، وهناك التقى بالقائد عبد الكريم الخطابي وتعرف عليه، وبعدها سافر إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج رفقة الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورتلاني، وبعد انتهائه من مناسك الحج، زار سوريا ولبنان، حيث تعرف على رجال الفكر والثقافة وعلماء الدين.

رجع إلى الجزائر ليدّون رحلته في جريدة البصائر في سلسلة مقالات من 19 حلقة تحت عنوان: "عدت من الشرق" تميزت هذه المقالات بالكتابة الأصيلة، والموهبة المعبرة والروح الجمالية حيث جمع ملاحظاته وانطباعاته ومشاعره ومواقفه حول أحوال أهالي المواطن العربية التي زارها بدءا من تونس إلى لبنان مرورا بليبيا، مصر، السعودية، العراق، الأردن وسوريا.

تعددت رحلات الشيخ في دول المشرق العربي متنقلا بين حلق العلم ومجالسا لأكبر علماء عصره مدارسا إياهم تعاليم الدين ومعرفا بقضية الجزائر، رافعا رايتها عاليا إلى أن جاءه التكليف من قيادة جبهة التحرير الوطني، سنة 1956، بالتنقل من القاهرة إلى دمشق، أين عين ممثلا لها وعمل بالشام مساعدا للأستاذ عبد الحميد

مهري، فكان كله عزم وإصرار على شحذ الهمم وحشد الدعم والتعريف بثورة المليون شهيد.

أشرف شخصيا على الحصص الإذاعية من دمشق، والتي كانت تتناول قضية الجزائر وحربها ضد المستدمر الفرنسي، إلى غاية الاستقلال حيث عُيّن من قبل حكومة الجزائر كأول سفير لها بالمملكة بالكويت وممثلا لها باليمن الجنوبية والإمارات العربية المتحدة.

ومن بين آثاره ماهو مطبوع ومخطوط مثل:

- مجموعة مقالات حول رحلته إلى الحج سنة 1953، نشرها المجلس الإسلامي الأعلى سنة 2008 مجموعة في كتاب مستقل يحمل العنوان الرئيس الذي وضعه لها كاتبها، وهو (عدت من الشرق).
- كتاب (خلاصة الدروس الفقهية) التي قررتها لجنة التعليم العليا لمدارسها وطبعتها في شكل منشور تم توزيعه على المدارس.

في صائفة عام 1974 عاد الشيخ الغسيري إلى وطنه الأم في عطلته السنوية ليقوم بزيارة منبته وقريته التي تشرفت بمقدمه، ولكن الأقدار شاءت أن تكون زيارة مودّع حيث سبق عليه الأجل في الرابع والعشرين جويلية ليسلم الروح إلى بارئها وليدفن بمقبرة العالية بالعاصمة، تاركا رصيدا زاخرا من العلم والمعرفة ونضالا كبيرا في سبيل الوطن والدين الحنيف.

طارق ثابت

المصادر:

- كتاب معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر.
- مسعود فلوسي، ترجمة الأديب الدبلوماسي محمد يكن الغسيري الجزائري

محمود آغا بوعيّاد
(1346هـ - 1928م/1437هـ - 2016م)

محمود آغا بوعيّاد من عمالقة المثقّفين المكتبيّين المعاصرين في الجزائر وُلد سنة 1928م في مدينة العلم والعلماء تلمسان تحديداً باب الحديد نشأ وترعرع في كنف عائلة عريقة سليلة الدّين والعلم تشبّع بمبادئها وأفكارها والتي ترجمها في مشواره الثّقافيّ الحافل بالإنجازات والمحفوف بالمخاطر وذلك على مدار 78 عاماً حاملاً نصب عينيه صون الوطن وترقيّة المشهد الثّقافيّ في الجزائر.

تأثّر محمود آغا بوعياد بأفكار جدّه الذي كان من أوائل المدرّسين الجزائريّين في الحقبة الاستعمّاريّة الممتدّة من نهايّة القرن التّاسع عشر وبدايّة القرن العشرين وكذا بوالده التّرجمان الأستاذ عبد الحميد بوعيّاد الذي لقّنه أصول ومبادئ المدرسة الدّينيّة القادريّة القائمة على ركائز إسلاميّة متينة.

دخل محمود الطّفل الكتّاب (المدرسة القرآنيّة) سنة 1932 وسنّه لم يتجاوز الرّابعة ليلتحق بعدها بالمدرسة الابتدائيّة ثمّ الثّانويّة الخاضعة للتّعليم العموميّ الفرنسيّ وكذا مدرسة دار الحديث الشّهيرة التي أشرفت عليها آنذاك جمعيّة العلماء المسلمين. عُرف محمود آغا بوعيّاد بازدواجيّة اللغة حيث أتقن اللغة العربيّة والفرنسيّة وكذا الاسبانيّة وكان لهذا الزّخم اللغويّ تأثيراً واضحاً في تحصيله العلميّ وتكوينه الأكاديميّ المتنوّع إذ تحصّل على شهادات عديدة في تخصّصات مختلفة منها: ديبلوم جامعة القرويّين بفاس المغربيّة سنة 1949، وديبلوم الدّراسات العليا المغربيّة بالرّباط في 1948–1949، وكذا ليسانس كلّيّة الآداب بالجزائر العاصمة في 1953، وفي ذات السّياق تمكّن محمود بوعياد من النّجاح بجدارة في مسابقة للمكتبين المختّصين في المخطوطات التي جرت في 1953 بباريس، وديبلوم معهد الدّراسات الإسلاميّة العليا من جامعة الجزائر في 1954.

كما عُرف بشغفه العلميّ وتوسيع آفاقه العلميّة فشارك في تربّص خاصّ في دراسة علم المكتبات في البلدان العربيّة الذي أقامته منظّمة اليونيسكو في سنة 1959. ليختتم هذه التّكوينات بتحصّله على شهادة الدّكتوراه الدّرجة الثّالثّة في التّاريخ بتفوّق سنة 1975 بالجزائر العاصمة.

شغفه بطلب العلم لم يثنيه عن تلبيّة نداء الوطن فقد كان عضواً بارزاً في المنظّمة المدنيّة لجبهة التّحرير الوطنيّ منذ 1955م وذلك بجانب أهمّ الزّعماء والقادة منهم الدّكتور بن يوسف بن خدّة الرّئيس السّابق للحكومة الجزائريّة المؤقّتة، الشّهيد العربي بن مهيدي، عبد المالك تمّام وآخرون... فجعل من قلمه وفكره سلاحاً قويّاً يُعتمد عليه في جبهة التّحرير المعروفة بنضالها السّياسيّ لينبثق عن ذلك تأسيس الجريدة النّضاليّة المعروفة ب (المجاهد)، والذي كان من أوائل مؤسّسيها والمحّررين فيها سنة 1956م.

عُرف مسار محمود آغا بوعياد المهنيّ بالنّجاح حيث تقلّد مناصب عديدة وشارك في بناء روابط متينة بين الكتّاب والشّباب من خلال إنشاء في مطلع الثّلاثينات بتلمسان جمعيّة أصدقاء الكتّاب بهدف تمكين الشّباب من التّعلّم والتّحصيل المعرفيّ حيث ساهمت هذه الأخيرة في بزوغ عدد من الطّلبة المرتادين عليها للمطالعة والكتابة ومنهم: محمود آغا بوعياد المُساهم الكبير في تحصيل هذا المكسب الثّقافيّ المُشرّف للجزائر.

أمّا سنة 1953 كانت حافلة بالأحداث لمحمود آغا بوعياد حيث أصبح المكتبيّ الجزائريّ الوحيد على مستوى المكتبة الوطنيّة الجزائريّة والكائن مقرّها بالقصبة السّفلى. وكُلّف بإدارة قسم المؤلّفات الشّرقيّة والمخطوطات نظراً لتمكّنه من اللغة العربيّة واطّلاعه على تاريخ الحضارة العربيّة إلى غايّة 1957. وفي ذات السّنة سُجن من طرف الاستعمّار الفرنسيّ لعدّة أشهر ثمّ

أُطلق سراحه ليتمّ البحث عنه من جديد وهذا ما دفعه للّجوء إلى المغرب ليشغل أيضاً عدّة مناصب هامّة منها محافظ بمكتبة كلّيّة الأداب بالرّباط وأستاذ محاضر بنفس الكليّة من 1958 1961- ليرتحل بعدها إلى السّنغال ثمّ موريتانيا كمدرّس للّغة العربيّة في الثّانويّات متخفّياً تحت اسم مستعار.

ونظراً لمساره النّاجح في الجزائر وخارجها تمّ تعيينه كأوّل مدير عام للمكتبة الوطنيّة الجزائريّة ومدير المكتبات وأرشيف جامعة الجزائر ورئيساً للّجنة الدّوليّة لإعادة بناء مكتبة جامعة الجزائر كما كُلّف في ذات السّنة من قبل منظّمة اليونيسكو بإعداد دراسة حول وضعيّة الكتّاب والمطالعة في بلدان المغرب العربيّ كما عمل كمستشار لمؤسّسة الملك فيصل بالرّياض (السّعوديّة) وعمل أيضاً لدى منظّمة اليونيسكو كمستشار لتقديم برامج لترقيّة الكتّاب والمطالعة في الدّول العربيّة، وهو البرنامج الذي اعتمد وثيقة عمل للاستشارة الجماعيّة فيما يخصّ التّوجّهات التي ينبغي العمل بها في الدّول العربيّة وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر العالميّ للكتاب سنة 1984.

عُيّن محمود آغا بوعيّاد في سنة 1992 مستشاراً لدى وزير الاتّصال والثّقافة ثمّ مستشاراً لدى المجلس الإسلاميّ الأعلى في عام 1999 مواصلا في الوقت ذاته تلقين تاريخ الكتاب والمكتبات بجامعة الجزائر. ليتمّ بعدها تعيين هذا الرّجل المحبّ للثّقافة والكتاب مستشارا للشّؤون الثّقافيّة من قبل رئيس الجمهوريّة. وظلّ يشغل هذا المنصب إلى أن وافته المنيّة في جوان 2006.

من مؤلّفاته: نذكر من بينها:

- المكتبة الوطنيّة الجزائريّة: وضع محمود آغا بوعياد وصفاً للمكتبة الوطنيّة، وما الذي تعنيه؟ وماذا نجد فيها؟ وكيف يتمّ الاستفادة منها؟

- المكتبة عبر الشّريط: تجربة المكتبة الوطنيّة الجزائريّة، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع-الجزائر1974-

- تاريخ بني زيّان: ملوك تلمسان-الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع-الجزائر 1985

- الكتاب والمطالعة في الجزائر: باريس، اليونيسكو، 1985

- الرّحلة العجيبة لنسخة من مصحف الخليفة عثمان في أرجاء المغرب والأندلس -الجزائر2004- المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة.

توفّي عميد المكتبيّين محمود آغا بوعيّاد عن عمر ناهز 78 سنة تاركاً وراءه سجلّاً علميّاً وثقافيّاً مشرّفاً للجزائر، ووُري الثّرى بمقبرة العاليا بحضور كبار الشّخصيّات الجزائريّة من مثقّفين ووزراء وضبّاط سامون في الجيش الشّعبيّ الوطنيّ وممثّلو المجتمع المدني وأمّ المصلّين الأستاذ الشّيخ أبو عبد السّلام أحد الإطارات السّاميّة بوزارة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف وقام بتأبينه سماحة الشّيخ عبد الرّحمن شيبان رئيس جمعيّة العلماء المسلمين.

أمال روابح

المصادر:

ذكرى وفاة محمود آغا بوعيّاد، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، العدد 06، جوان 2007، الجزائر.

محمود بن حمودة
(1367هـ - 1948م/1436هـ - 2015م)

محمود بن حمودة، شاعر وأديب والإطار في الشّؤون الدينيّة، ولد محمود بن حمودة ابن صالح والبهجة عمورة في جيملة بولايّة جيجل، وذلك في الرابع والعشرين (24) من سبتمبر سنة 1948، وهو الابن الوحيد لوالديه بعد وفاة إخوته الثمانيّة. والشّاعر محمود بن حمودة هو أب لتسعة (9) من الأبناء، سبع (7) بنات، وولدان.

بدأ بن حمودة تعليمه في مسقط رأسه، فحفظ القرآن الكريم على يد والده الذي كان معلّما للقرآن في الكتاتيب، وكان ذلك في الفترة الاستعماريّة التي ذاق فيها "بن حمودة" مع عائلته حياة الفقر والبؤس والحرمان والقمع من طرف الاستعمار الفرنسي، بعد الاستقلال سافر "بن حمودة" إلى قسنطينة، وكان قد تزوج آنذاك في سنّ التاسعة عشر (19)، وكانت رحلته هذه بغرض إتمام تعليمه الذي حرم منه، فسجل نفسه بقسم الكبار إلى أن نال الشّهادة الابتدائيّة سنة 1971، وكان آنذاك أبا لطفلين، ثم تابع دراسته في المرحلتين المتوسطة والثانويّة في معهد التعليم الأصلي في قسنطينة، وكان يعمل في الوقت نفسه حلّاقا، وواصل تعليمه حتى نال شهادة الباكالوريا سنة 1977، فالتحق بمعهد تكوين أساتذة التعليم المتوسط أين تخرّج أستاذا للتعليم المتوسط، وعيّن مباشرة في متوسطة بلال والبنات ببلديّة الطّاهير في ولايّة جيجل من سنة 1977 إلى سنة 1985. لكنّ حلمه بالالتحاق بالجامعة الذي أجّله لظروفه المعيشيّة عاد للبزوغ مرّة أخرى، فالتحق بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة في مدينة قسنطينة، وتخرج منها سنة 1989 بشهادة الليسانس في تخصص الدراسات القرآنيّة، وكان آنذاك أبا لسبعة من الأبناء، عمل بعدها أستاذا للعلوم الشّرعيّة بمتقن وثانويّة رمضان ناصري في الطّاهير إلى غايّة 1992، أين عيّن ناظرا للشؤون الدينيّة لولايّة جيجل إلى أن أحيل على التقاعد سنة 2002. فتعدّ هذه الحياة مضرب المثل في الإصرار والتفاني والنّجاح.

وإذا تقاعد الأستاذ "محمود بن حمودة" عن الوظائف الرسميّة إلا أنّه لم يتقاعد عن الوظيفة الرساليّة التي كان يعيش من أجلها، فعمل بعد تقاعده الرسمي عضوا في المجلس العلمي بمديريّة الشّؤون الدينيّة لولايّة جيجل، وتقلّد في آخر حياته إمامة مسجد أولاد فاضل ببلديّة الطّاهير، وكان أستاذا منتدبا في كليّة الآداب في جامعة محمّد الصديق بن يحيى

في ولايّة جيجل. كما عمل عضوا في المجلس العلمي لمديريّة المجاهدين، وعضوا في جمعيّة 20 أوت 1955. وكان دائم الحضور في الملتقيات والنّدوات العلميّة المحليّة والوطنيّة، حريصا على النّشاط الثقافي، ساعيا لإحيائه وبعثه، فأسس جمعيّة "إبداع وأصالة" الثقافيّة وترأسها، كما ترأس فرع جيجل لاتّحاد الكتاب الجزائريين وكان عضو مجلسه الوطني والمنسق بين ولايات الشّرق فيه، كما ترأس فرع النّادي الثقافي الجاحظيّة لولايّة جيجل وكان عضو مجلسه الوطني، كما كانت له إسهامات في حصص إذاعيّة، وأسهم في كتابة بعض أمجاد جيجل الثوريّة تحت إشراف مديريّة المجاهدين. وهكذا نجد أن الأستاذ "بن حمودة" كان في وظيفته الرسالّية جامعا بين النّشاط الديني والوطني والثقافي، وقلّ أن تجتمع هذه الثلاثة في شخصيّة واحدة.

وكما جمع في نشاطه الرسالي بين أبعاد مختلفة، فقد جمع في إبداعه الأدبي بين أجناس متعددة، فكان شاعرا وروائيا وخطيبا وكاتبا. كان "من بين الشّعراء الجزائريين البارزين على السّاحة الوطنيّة، المتشبعين بالثقافة العربيّة الإسلاميّة، ينظم الشّعر الحرّ والشّعر العموديّ". كما كان له وزنه الروائي تشهد بذلك الجوائز التي نالها تقديرا لرواياته، حيث نال الجائزة الأولى للروايّة العربيّة من مديريّة الثقافة لولايّة قسنطينة سنة 1985، ونال جوائز من وزارة المجاهدين لأعماله الروائيّة سنوات 1992 و2008 و2011 و2014. وقد فسحت كثير من الجرائد اليوميّة له لنشر مقالاته فيها والكتابة في صفحاتها لجودة كتابته ورقيّها.

ظلّ الأستاذ "محمود بن حمودة" بهذه الحيويّة والعزيمة إلى أن وافاه أجله في الحادي عشر من رمضان سنة 1436 هـ، الموافق 28 جوان 2015، بمستشفى الصديق بن يحيى بولايّة جيجل.

من آثاره:

ترك الأستاذ محمّد بن حمود عدّة آثار أغلبها أدبي، ما بين ديوان شعر وروايّة، ومنها المطبوع والخطوط. ومن آثاره:

- رياح العودة (ديوان شعري)، سنة 1991.
- العذاب (روايّة)، سنة 2000.
- حرائق الأفئدة (ديوان شعري)، سنة 2004.
- في الطّريق إلى المرج(روايّة)، سنة 2007.
- خواطر مجروحة(روايّة)، سنة 2008.
- دهشة المجيئ (ديوان شعري)، سنة 2011.
- إرهاصات مقص(روايّة)، سنة 2019.
- مواقف من السّيرة.

وترك مخطوطات كثيرة منها: قصائد، وروايات، ومحاضرات، ومقالات، ودروس وخطب الجمعة التي كان يقوم بإلقائها كل يوم جمعة، وبحوث حول مسائل فقهيّة.

وقد كانت رواياته ودواينه محل دراسة في كثير من الرسائل الجامعيّة في عدّة جامعات جزائريّة، كجامعة جيجل وجامعة الجزائر وجامعة بسكرة.

نماذج من شعره:

قصيدة "هذا نوفمبر"

حياتك من زمن فؤادي من هنا
حيّ الملاحم في ذرى الصومام
هذا نوفمبر فاكتبوه على جيد
وانشروا ذكراه في الأقوام
السّيف يروي والبنادق أعلنت
وتعود مجد الشّعب بعد خصام
وطني يريد لنا السّلام ويقتضي
هذا لنا خلق كفى بسلامي
وطني هفا قلبي إليك تطلعا
فارو الحديث إذن عن الإقدام

قصيدة "فلسطين لله درّك أمّا"

أبي سوف أذرف دمع الثكالى
دما من جفوني على وجنتيا
وأمضي إلى القدس تدفعني
مجازر لم تنس يا قدسيا
سأمضي وأحمل ذكرى الرغيف
بيانا يذاع على شفتيا
فلسطين لله درّك أمّا
هفا القلب يا قدس فافتح يديا

رابح دوب

المصادر:

- الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشّعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- جميلة بن حمودة ابنة الأستاذ محمود، كلمة ألقتها عن حياة والدها في دار الثقافة لولايّة جيجل يوم 30/ 12/ 2017، بمناسبة تكريم كتّاب وشعراء جيجل الراحلون.

محمود بن دويدة
(1322هـ - 1905م/1395هـ - 1975م)

محمود بن أحمد محمود بن أحمد محمود بن أحمد بن محمّد المشهور بلقب دويدة، المولود في بلدة الطّاهير ولايّة جيجل، والمتوفى فيها. قضى حياته في وطنه الجزائر.

حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة والفقه والتّفسير والتّوحيد على يد والدّه الذي كان قاضيًا ببلدة الميليّة.

ثمّ تولّى بنفسه تثقيف نفسه بالمطالعة الجادّة وتعلّم اللغة الفرنسيّة، فقد طالع دواوين الشّعراء المحدثين.

أمثال: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومعروف الرّصافي وخليل مطران وغيرهم فتشبع بالثّقافة الشّعريّة العربيّة الأصليّة.

ولمّا انتقلت أسرته من الطّاهير إلى الميليّة لأنّ والدّه عيّن هناك قاضيًا، اشتغل بمدينة الميليّة في التّدريس طوال حياته.

لقد كان عضوًا في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين فشارك ضمن الجمعيّة في الإصلاح السّياسي والثّقافي.

نتاجه الأدبي:

أورد له كتاب: "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" قصيدتين هما: "أطلال العرب" و"تكريم أمير الشّعراء أحمد شوقي بك". وقد تحدّث كثيرا الأستاذ صالح خرفي في كتابه: "الشّعر الجزائري الحديث". عن الشّاعر ابن دويدة وأنّه من ضمن الشّعراء الذين وقفوا وبكوا الأطلال لكنه للأسف الشّديد لم يقدّم لنا نماذج من شعره تثبت ذلك.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو أنه منظوم على الوزن والقافيّة بالسّليقة لأنه لم يتعلّم العروض كما جاء في ترجمته في كتاب "شعراء الجزائر" للسنوسي وقد حافظ على شكل القصيدة التّقليديّة، لكننا نلمس تجديدًا في موضوعاته، بحيث واكب بشعره متغيرات عصره واهتمّ كثيرا بقضايا مجتمعه وقد تميز شعره بنزعة إصلاحيّة، استطاع أن يوفق إلى حد بعيد بين الأصالة والمعاصرة. أمّا لغته فهي سهلة واضحة وعباراته متدفقة وأسلوبه محكم سلس وخياله فيه نشاط، لذلك جاءت بعض صوره الشّعريّة ذات كثافة دلاليّة متميزة.

نماذج من شعره:

أطلال العرب

نشرت هاته القصيدة في تقويم المنصور سنة 1926م ونقلتها عنه جريدة الشّهاب

وَقَفْتُ بِرسْمِ العُرْبِ وَقْفَةَ خَاضِعٍ
وَقُلْتُ ضَيَاعًا مَا نَظَمْتُمْ مِنَ الدّرَرِ
مَعَاهِدٌ كَانَت والوَرَى في جَهَالَة
مَحَطَّ رِحَالِ العِلْمِ والعزّ والنّصْرِ
فللّهِ رَبْعًا كَمْ حَبَا الغَرْبُ سُؤدَدًا
وَمجْدًا يَحَارُ فِيه عَقْلُ فَتى الشّعْرِ
يَقُولُ انْظُرُوا مَا شيَّدَت يَد عِلْمِهِم
عَلَى الرّغْم ممَّا غَيرتْهُ يَدُ الدّهْرِ
وَيَنْدُبُ بَدرَ العِلْمِ إذ كَانَ سَاطِعًا
بِبَغْدَادَ بِيراسُ الحَقَائِقِ والفَخْر
ويَبْكِي ويَسْتَبْكِي فيرسِلُ أَبحُرًا
من الدّمْعِ حَتى فَاضَ دَمْعِي عَلَى صَدْرِي
خَلِيلِي دَعْ عَنْكَ المَلامَ فإنّني
كَئِيبٌ وسَمْعِي عن عِتَابِكَ فِي وَقْر
سلبي على قوم هُم أَنْجُم العُلَى
بهم يَهْتَدِي في ظُلْمَة الذّل والأَسْر
وضَحُّوْا نُفُوسًا في سَبيل حَضَارَة
بها كتبوا مَجْدًا على جَبْهَةِ الدّهر
وقد سَبروا غور الحَقِيقَة فانْجَلَى
لهم سَاطع العِرْفَان يَبْسَم عن ثغر
وشَادُوا مَنَار الدّين بالحَزْمِ والحَجَا
وألقوا دُجَى الأَوْثَان من شَاهِق القَصر
وقَالُوا هُوَ الإسْلامُ دِين تَسَامُح
نَهى عن غُلُوٍّ فِيه في مُحْكَم الذِّكْر
كَأَنَّا خُلِقْنَا للجُمُودِ فَلَمْ نَزِلْ
نَرَى سَعْي ذِي الإصْلاحِ ضَرْبًا مِنَ الكُفْرِ
عَكَفْنَا عَلَى الأَوْهَامِ جَهْلا وإنّنَا
لَنَزْعُمُ أنَّ الدّين جَاءَ بِذَا الخُسْرِ
ونُعْرِضُ عن هَذِي الحَيَاة تَوَكُّلا
وَنَمْلأُ رُحْبَ الأَرْضِ شَكْوَى مِنَ الفَقْرِ
خَضَعْنَا لِرَهْطِ الجامِدِينَ تَعَبُّدًا
وَصحنَا جِهَارًا فَلْيَمُتْ طَاهِرُ الفِكْرِ
وَفَرّقَنَا أَهْلُ الطّرَائِقِ شِيَعًا
فأَصْبَحَ كُلُّ مِنْ أخِيه عَلَى جَمْرِ
جَهِلْنَا حَيَاة العِلْمِ والأُمَمُ انْبرت
تُسَخِّرُ هَذَا الكَوْنَ فِي البر والبَحْرِ
وعِشْنَا بِدَاءِ الجَهْلِ عَيْشَ تَعَاسَة
وسَوْفَ نُلاقِي الذُّل في الحَشْرِ والنّشْرِ
نُفَاخِرُ بالعُرْب الذِين تَقَدَّمُوا
وَهيهَاتَ هَلْ يُجْدِي التّفَاخُرُ بالقَبر
نُهُوضًا إلى العُلْيَا بَني الضّادِ ويْحَكُمْ
فَغَارٌ عَلَيْنَا أَنْ نَنَامَ بِذَا العَصْرِ
إلام نَلُوم الدّهر وهو مُعانِد
ويَا ويْحَ مَنْ أَضْحَى يَلُومُ عَلَى الدّهْرِ
لنَعْلَم ونَعْمَل باتّحَاد وعَزْمَةٍ
فَنَبْلُغَ مَا نَصْبُو إلَيْهِ مِنَ اليُسْرِ

تكريم أمير الشّعراء أحمد شوقي بك

الشّعْرُ خَير كَفِيلٍ بالرّقيّ إلى
أُفُقِ الكَمَالِ وَصِرْحِ العزِّ، والرّتب
الشّعْرُ وحي الشّعُورِ الحَيِّ تَحْمِلُهُ
رُسْل الحَمَاسَةِ، والأَخْلاقِ والأَدبِ
الشّعْرُ يَبْسُطُ أيدِي البَخِيلِ إلَى
إنْفَاقِ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ مِنْ نُشَبِ
كم كَهْرَبَ الشّعْرُ مَغلوبًا عَلَى وَطَن
فجرَّدَ السّيْفَ يَتْلُو آيَة الغَلَبِ
يا حبَّذا الشّعر لولا ما بُلينا به
من الزّمَان الذي يَقْضِي على الأرب
الشّعر كالرّوح مهما قام واثبه
فِي القَلبِ حرَّكَ فيه نَشْوَةَ الطّرَب
كم أمَّة قام فيها شاعر فَطِن
يُجدّد المجد فاستعلى على الشّهب
فانظر إلى الشّرقِ في إبّان نَهضتِهِ
تلقى فَتى الشّعْرِ يَحْدُو الشّرْقَ في الطّلَبِ
يُحرّك الجَامِدَ الوَاهِي عَلَى كَسَلٍ
حتى يَهُونَ عَلَى الوَاهِي لَظَى اللّهَبِ
ولن تجِدَ مثل «شوقي» حين تُنْصِفُهُ
شِعْرًا، وَلَوْ بين غَير الغَرْبِ والعرَب
العبقريَّ الذي في النّيل آيته
تَعْلُو عَلَى آيَة الكُتَّابِ في الكُتُب
الشّاعِرَ الفرد في مرقى بدائِعِهِ،
الطّائرَ الصّيتِ في الأجْيَال والحقَبِ
النّادب الشّرق يوم الرّوع يُوقظه،
النّاظم الشّعر في الميدان والحرب
المحْيي اللّغة الفُصحى، وقد فقدت
ما كان فيها من الإعجاز والعجب
الحائز السّبق في الأقران من زمنٍ
لكِنَّه لم يزل في السّبق ذا دَأب
الشّرْق أوجَدَهُ مِن بَعْد نَكْبَتِهِ
لكنَّها بَعدَه جدَّت إلى الهَرَب
الشّرق أوجده في خير مُجتمع
راعى له ذِمَّة الأخيار في النّسب
«شوقي» إليك، وإن قصَّرْت في كَلِمي
أهدي تحيّة شعْب لُجَّ في نصب
شعْب توالى ع ليه الخَطب يفجعه
في كلّ يوم بأنواع من العطب
فلم يزل، وصُرُوف الدّهر تُؤلمه
بين المَخَاوِف يشكو حَمْلَة الغلب
شعبٌ بَكَى حِينَ لا يُجْدِيه مِنْ أَحَدٍ
عَطْفٌ، ولا زالَ دَمْعُ العَيْن في صَبَبِ
فَلا تَلُمْني إذا مَا قُلْتُ مُعْتَذِرًا
إنّي امرُؤٌ غَالَهُ المَقْدُورِ فِي حَسَبِي
حَسْبي من الشّعْرِ أن أُسْدي إليكَ به
شِعْرًا يَصِير بِهِ فِي خَير مُنْتَصَبِ
فلو كَفَتْه اللّيالي شَرَّ نَازِلهَا
لجَاءَكُمُ نَفَرٌ من أهله النّجُب
علَّ اللّيالي التي أَوْدَت بِنَا عَرَضًا
تؤدي بن عاقَنَا في شرّ مُنْقلب
والدّهرُ لَم يَصْطَحِبْ في النّاسِ مِنْ أَحَدٍ
إلا لِيَعْرِفَ كَيْفَ الأَخْذُ فِي الحَرَب

رابح دوب

المصادر:
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي عالم المعرفة الجزائر 2011؛
- صالح خرفي: الشّعر الجزائري الحديث - المؤسسة الوطنيّة للكتاب - الجزائر 1984؛
معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين المجلد التّاسع عشر - الكويت 2008.

محي الدّين الحسيني الجزائري
(1259هـ - 1843م/1372هـ - 1918م)

محي الدّين الحسيني الجزائري هو الابن الثّاني للأمير (عبد القادر)، كان مولده في الثّالثّ من ربيع الثّاني عام 1259 للهجرة في منطقة "سرسو" قرب "حصن داكدت" (الجزائر). درس القرآن والتّفسير، وقبل أن يبلغ العشرة من العمر. عاش حياة الأسر خمس سنوات مع أهله في قصر"أمبوزا" بفرنسا. تفتح برعم شبابه في بورصة المدينة الجميلة، التي تشبه مدينة تلمسان، بعد أن أنهى"نابليون" الثّالثّ أسر والدّه مع جميع أهله، وسارت قافلتهم كمهاجرين إلى الدّولة الإسلاميّة في المشرق العربي من حصن أمبواز إلى مرسيليا في 28 من شهر صفر- عام 1269هـ، ثم أبحرت بهم السّفينة نحو جزيرة صقليّة الايطاليّة مرورا بعدد من مدن تلك الجزيرة، وأثرت في نفسه تلك المناظر الفنيّة من مساجد وقصور وحصون.

في شهر ديسمبر سنة 1853 رست الباخرة بميناء(الاستانة) فاستقبلوا من طرف السّلطان العثماني"عبد الحميد خان"، الذي عرض عليهم عددا من المدن ليختاروا أحداها لإقامتهم الدّائمة، فاختار أبوه مدينة "بورصة"، وذلك لما سمعه عنها من جمال الطّبيعة وعذوبة مياهها.

قوي عود مترجمنا في هذه المدينة، وفي تلك الفترة من حياته كان الشّعر هو أداة تعبيره عن مكنونات نفسه وأحزانه وطموحاته. عندما دخل مع عائلته "دمشق"، عاش في كنف والدّه وتلقى معظم علومه على يد الشّيخ "محمّد مبارك"، الذي كان من النّوابغ في اللغة والأدب، فاندفع أكثر إلى كتابة الشّعر.

بدأ الأمير محي الدّين في أوائل عام 1869، التّخطيط الجدي لدخول الجزائر سرا، ففي إحدى الجلسات مع أستاذه العلامة الكبير الشّيخ "طاهر الجزائري"، وبعض كبار المسؤولين العثمانيين طرحت على بساط البحث فكرة القيام بانتفاضه في القطر الجزائري ضد المستعمرين الفرنسيين، فلمس تأييدا من الباب العالي لمثل هذه الفكرة، وكان الأمير "محي الدّين" يحتل مركزا مهما في الدّولة العثمانيّة، لكن على الرّغم من ذلك لم ينتظر الرّد، ولم يخبر أحدا بخططه حتى والدّه.

غادر على إثر ذلك متوجها إلى مصر، دون أن يعلم أحدا بنواياه، وعندما وصل إلى الاسكندريّة أبحر منها إلى تونس بقصد الزّيارة، واستطاع من هناك الاتصال بزعماء القبائل في الجزائر بواسطة إخوانه المهاجرين الجزائريين في تونس ممن جاءوا للترحيب به.

أخذ الأمير "محي الدّين" يحرر الرّسائل، التي بعثها إلى زعماء القبائل في الجزائر وإلى أقربائه الذين لم يهاجروا مع عائلته، يحثهم على الاستعداد للجهاد في سبيل نصرة الاسلام.

وقد وجد في انشغال فرنسا في حرب مع بروسيا في ذلك الحين فرصة ذهبيّة، فأخذ يتابع الأخبار وهو في تونس، ولما لمس تجاوبا من بني قومه عقد العزم وودع الباشا مظهرا الرّغبة في العودة إلى بلاد الشّام، وتوجه إلى مالطّا ومنها تابع الخطة التي رسمها فتنكر في زي الدّراويش، ثم انطلق إلى طرابلس ومنها اتجه نحو مقر المحارب الليبيّة الجزائريّة في نواحي منطقة (سوف)، دخل بعدها إلى قريّة (مسكيانة)، ثم اتجه نحو مدينة تبسة، فشعر المستوطنون بالخطر فتحصنوا في المدينة.

بعد وصوله إلى منطقة الشّريعة التّف حوله المتطوعون من جميع انحاء البلاد، وتمت الاستعدادات لمواجهة العدو، وأرسل كتبا عليها توقيعه، إلى عدد من القبائل يدعوها للتحرك تأييدا له في طرد الفرنسيين.

علمت السّلطات الفرنسيّة في تونس من بعض السّياح الأجانب القادمين من طرابلس بأن كل المغاربة بالمدينة سيلتحقون بالأمير "محي الدّين"، فعمدت إلى تشديد الرّقابة ومحاصرة الحدود بدقة.

وفي أوائل 1871 تحصن الأمير "محي الدّين" بالشّريعة بسبب موقعها المرتفع وفي التّاسع من شهر آذار- مارس من نفس السّنة، شن هجوما على المواقع الفرنسيّة في شمال" مسكيانة"، فكلفت السّلطات الفرنسيّة على إثر ذلك بعض الجنرالات لقيادة حملات ضد تحركات الأمير المسلحة.

في أواخر شهر آذار- مارس أراد المجاهدون التّسلل من الشّريعة بقيادة ثكنات الجيش الفرنسي ومهاجمة جنوده تمهيدا لتطهير بعض المناطق والدّخول إلى مدينة تبسة، والتّمركز فيها في انتظار نجدات من الثّوار من أماكن أخرى. شعر العدو بتحركات المجاهدين، فوجه إليهم نيران مدافعه مما جعلهم يتقدمون بسرعة نحو وادي الحميمة، وقنابل المدفعيّة تنفجر حولهم. وقد اطلع العدو في غضون ذلك على بعض الرّسائل المكتوبة بخط الأمير "محي الدّين" وتوقيعه، فأرسل احتجاجا إلى الأمير"عبد القادر" عن طريق وزير العدل الفرنسي(المسيو كرميو) "Monsieur Crémiou" يخبره بأن بعض هذه الرّسائل كان يحمل خاتم الأمير نفسه.

بدأ بعد ذلك الموقف يسوء، وانتقل الأمير "محي الدّين" من الهجوم إلى الدّفاع لأن القوات، التي كان يواجهها الثّوار كانت

أقوى من قدراتهم العسكريّة، وسار كل شيء عكس على ما كان يتوقع خاصة بعد الأخبار التي وصلته، بأن الصّدر الأعظم "مصطفى فاضل" باشا، وزير الماليّة كان مريضا وأن "علي" باشا قد أعفى من منصبه، وكان هذان المسؤولان قد وعداه بمساعدة الباب العالي للثورة ماليا وعسكريا.

وفي التّاسع والعشرين من شهر مارس عام 1872 تعرض الأمير (محي الدّين) وقواته لهجوم كبير شنته عليه القوات الفرنسيّة بقيادة كبار الضّباط، وخاض معركة داميّة في سفوح جبال "الدّخان"، فأصيب فيها ببعض الجروح.

بعد هذه المعركة التي وصفها المؤرّخون بأنها أهم المعارك التي خاضها الأمير (محي الدّين) من حيث الخطورة، فتسلم رسالة من والدّه الأمير (عبد القادر) يأمره فيها بالعودة إلى أرض الهجرة ويحذره من الوقوع أسيرا في أيدي الفرنسيين، فأخذت آماله وأحلامه تتبخر، وعاد الأمير (محي الدّين) متخفيا كما جاء إلى بلاد الشّام، وكانت المخابرات الفرنسيّة في تونس تتابع أخباره، فأصدرت السّلطات التّونسيّة أوامرها لولاة الأقاليم في القطر باعتقاله، لكنه استطاع الإفلات منها بمساعدة المخلصين من أبناء الوطن، ووصل إلى بلاد الشّام سالما.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

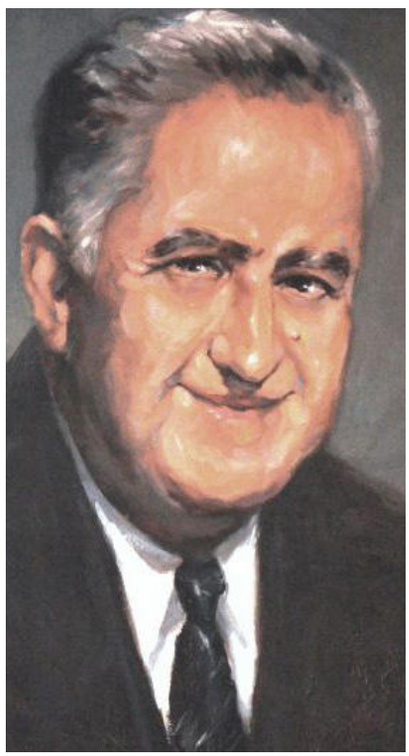
محي الدّين باش تارزي
(1315هـ - 1897م/1406هـ - 1986م)

محي الدّين باش تارزي أو باشطارزي، من مواليد القصبة بالجزائر العاصمة في 5 ديسمبر عام 1897، وتوفي في 6 فبراير عام 1986 بالجزائر العاصمة، هو عَلَمٌ من أعلام المسرح الجزائري، ومطرب تخصّصَ في الغناء والطّرب الأندلسي، وهو أحد شخصيات التّراث الثّقافي الجزائري.

بدأ حياته (حَزَّابًا)، في الجامع الحنفي بالجزائر العاصمة، (والحزّاب هو شخص يلازم المسجد ويقرأ من القرآن الكريم حزبين كاملين يوميا بمعية جماعة من الحزّابين مثله، وهي عادة أهل الجزائر، سادت إلى غاية زمن الاستقلال في كل جوامعها). وشارك مع طلبة المدارس الإسلامية في تمثيل عدّة مسرحيات ثم انضَمَّ إلى المجالس الغنائية للفنّ الأندلسي، فلمع نجمه بين مطربي زمانه ونال شهرة واسعة وتميّز بصوته الصدّاح. وظلّ إلى سنة 1932 منشغلا بالغناء وحده، ولاسيما الغناء الأندلسي منه.

عاصر باش تارزي فترة زمنية عرفت أحداثا تاريخية فارقة في حياة الجزائر، وهي الاستعمار الفرنسي، والحرب العالمية الأولى والثّانية، والثّورة التّحريرية، والاستقلال، وفترة ما بعد الاستقلال.

أخذ علوم القرآن واللّغة العربية عن الشّيخ المفتي بوقندورة أحد أعلام الجزائر



العاصمة، وتعلّم الغناء الأندلسي على يد رئيس جمعية المطربية (ناطال إدمون يافيل). ومن خلال تتبّع مراحل تدرّجه في المسرح يبدو أنّه أخذ عن علي سلالي المعروف بـ: (علالو)، على أساس أنّ الأخير سبقه في تأليف المسرحيات، فمسرحية (الصّياد والعفريت)، التي شارك في تمثيلها، ألّفها علالو سنة 1928، وأنّ محي الدّين باش تارزي لم يباشر مهّمة التّأليف المسرحي إلاّ بعد سنة 1932. ويمكن أن يكون قد تأثّر أيضا بمسرح جورج أبيض، ويوسف بيك وهبي، ونجيب الرّيحاني، إثر زيارتهم للجزائر منذ1925.

ألف العديد من المسرحيات، من بينها: (جهلاء مدعون بالعلم)، و(بني وِي وِي)، و(على النّيف)، و(الخدّاعين)، كما كتب مذكّراته، التي أرّخت للمسرح الجزائري منذ عام 1919 إلى غاية 1974، في ثلاثة أجزاء صدرت تباعا أعوام 1969 و1984 و1986. وكانت هذه المذكرات سببا في أن يكون باش تارزي أوفر حظا من غيره، من أمثال علي سلالي(علالو) وبلخضر رشيد (رشيد قسنطيني)، في الحفاظ على مخطوطات مسرحياته وتوثيقه إيّاها.

أسّس محي الدّين باش تارزي للمسرح الجزائري، وذلك بإنشائه فرقا مسرحية عديدة، وتكوينه لجيل مسرحي ومن ثمة تركه لتراث مسرحي ضخم، إذ أصبح سجلا تاريخيا وثّق للحركة المسرحية الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين. ومن مظاهر تأثيره، إثارة وعي الأهالي، كما كان يطلق عليهم إبان الاستعمار الفرنسي، الأمر الذي يدخله في خانة الشخصيات التي كان لها تأثير على الحركة التّحررية الجزائرية، فقد طرح العديد

من القضايا الشّعبية من خلال المسرح، الأمر الذي أورثه حبّ الجماهير وتقديرها لمسرحه.

أسّس محي الدين باش تارزي لمشروع إبداعي فنّي، لُبّه التمييز بين الخصوصية وهي بناء شخصية متميزة، مستلهمة من معطيات الحاضر التي هي أيضا من نتاج الماضي التي لا يستطيع المرء أن ينفيها حسب إرادته. والأصالة أي الإبقاء على نمط اجتماعي سلوكي ... كان أصلا لمسيرتنا ولم يعد صالحا للظروف الحالية لأنه لا وجود لظاهرة ثابتة في التاريخ. وقد جسّد هذه الرؤية الواعية عندما بادر إلى فكرة ريادية تمثلت في التنقل بفرقة (المطربية) وبرمجة عروضها عبر المدن والقرى الجزائرية للخروج من مركزية العاصمة. وتزامنت هذه المبادرة مع موعد تاريخي هام جدا وحراك سياسي، نتج عن مشروع قانون (بلوم فيولات) الذي يمنح حق الانتخاب لبعض من شرائح الفئات المسلمة، ومواجهة اليمين الفرنسي والمتشدّدين من البرلمانيين باحتجاج شديد اللّهجة لهذا المشروع. وتصدّت (وهران الصّباح) و(صدى وهران)، وهما جريدتان تمثلان اليمين الفرنسي للتصعيد من لهجة التخويف إذا ما تمكن مسلمو الجزائر من حق الانتخاب والمساواة في الحقوق السّياسية.

وعلى الرغم من اختيار مسرح باش تارزي أن يؤسّس لقناعات مناصرة لقيم أكثر انفتاحا وأقل تسلطا، من خلال الكوميديا الشعبية المطعمة بالأمثال والأغاني سّهلة الحفظ بمنأى عن الأفكار والممارسات السّياسية الفظة التي تولد شعورا بعدم الأمان والأمل، وترعب الأفراد. إلاّ أن السلطات الفرنسية تفطّنت إلى أنه ليس مسرحا يريد أن ينعش واقع الأهالي بمتخيل جماعي مدهش وأقوال شعبية وأغاني وأهازيج وأحلام فقط، بل هو مسرح يطرح مشاكلهم في إطارها السّياسي والاجتماعي، كقضية المزاحمة القائمة بين الكولون وكبار الملّاك المسلمين، وكذلك البؤس المتزايد الذي يتخبّط فيه الفلاح الجزائري الصّغير، وبروز طبقة من البرجوازيين الصّغار من الموظّفين، وكذلّك الزّواج المختلط، وشرب الخمر، وغيرها من الموضوعات الاجتماعية التي انجرت عن الاستعمار، وكتحصيل حاصل ينبغي القضاء على هذا المستعمر. وعموما فباش تارزي ابن بيئته بحق؛ تفاعل مع ثقافته العربية والإسلامية، فمثل المثقف الجزائري بحق.

بدأ باش تارزي مهمّة التّأليف المسرحي بعد سنة 1932، وتجدر الإشارة إلى أنّ بداياته الأولى في التّأليف المسرحي كانت مع صديق له فرنسي الجنسية يهودي الأصل، هو لويس شابور، فألّف معه ثلاث مسرحيات. وأسّس الفرقة المسرحية المسمّاة (المطربية)، وقدّم أعمالا مسرحية مع مجموعة من الهواة، وكانت هذه الأعمال مزيجا من التمّثيل والغناء والرّقص. وأنشأ عام 1947 فرقة المسرح العربي بدار الأوبرا، وبعد الاستقلال عيّن مديرا للمعهد البلدي للموسيقى. وكانت له مشاركات في العديد من الأعمال في السنيما، كفيلم: كنزة، وحسان طيرو، والأفيون والعصا، والوصية. وأشرف أيضا على تسيير عدّة فرق موسيقية ومسرحية، كفرقة (زاهية) التي أسّسها (علالو). ولم يقف عند حدّ التّأليف المسرحي والتمّثيل والإخراج بل كوّن جيلا مسرحيا جزائريا.

كما تجدر الإشارة إلى أن مسرح باش تارزي انحصر بين عامي 1934/ 1939 قدم خلالهما عشرين مسرحية ناجحة، ويرجّح أن يكون سبب نجاحها هو قيامه بالأدوار الرّئيسية فيها، معتمدا على الغناء بالدّرجة الأولى والفكاهة بمشاركة بعض الممثلين (كرشيد قسنطيني) و(ماري سوزان). وهناك سبب آخر هو كثرة تنقّله خارج العاصمة.

كثّف باش تارزي من الرّحلات الثّقافية والفنّية داخل الوطن وخارجه لعرض مسرحياته لفترات زمنية طويلة، كرحلة أفريل سنة (1934) لثماني مدن جزائرية، ورحلة ديسمبر من السّنة نفسها لسبع مدن جزائرية أخرى. ثم جولة أفريل 1935 إلى فرنسا، وفي جولة أخرى داخل الوطن في شهر فيفري سنة1937، انطلقت من العاصمة إلى البليدة فالبرواقية، البويرة، سطيف، قسنطينة، بسكرة باتنة، خنشلة، تبسة، عين البيضاء، عنابة، فسكيكدة. وفي يوم 24 فيفري كانت الفرقة في مدينة القلّ، ثم في جيجل، وبجاية، ثم تيزي وزو، فالجزائر العاصمة . وقد دامت هذه الجولة قرابة الشّهر، تمّ خلالها عرض مسرحية (الخداعين).

إنّ الدّليل القاطع على أنّ مسرح باش تارزي كان يشكّل خطرا على التّواجد الفرنسي في الجزائر، أنّه عُثر على وثائق مسرّبة من فرنسا بعد الاستقلال، تدلّ على تتبّع الإدارة الفرنسية لمسرح باش تارزي، وتهتمّ بأقل تفاصيل تحركاته بل نوعية الحضور ومن منه يجلس في الصف الأول، ومدى انسجامه مع العرض. أمّا ما أضعف فنّ باش تارزي وحطّم فرقته معاداة الإدارة الفرنسية لنشاطه وملاحقته في كل مكان، بعدما تأكّد لها أن للرّجل ميول سياسية واضحة معادية للتّواجد الفرنسي في الجزائر، ولابدّ من ذكر عامل آخر وهو إفلاسه إلى درجة أنه لم يتمكّن من الإنفاق على عياله وأفراد فرقته، وكان ذلك في فترة الحرب العالمية الثّانية.

فاطمة الزهراء حبيب زحماني

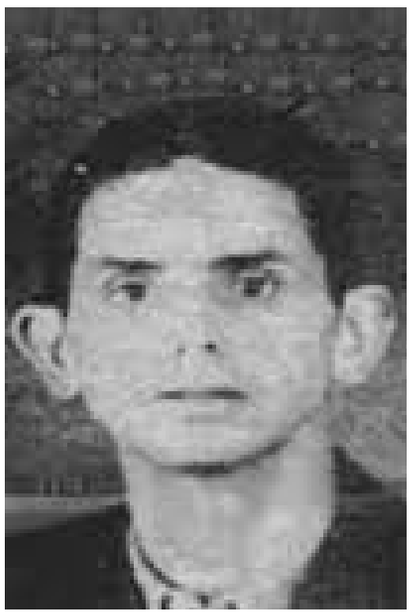
المصادر:
- تاريخ الجزائر الثقافي، بلقاسم سعد الله.
- دراسات في المسرح1 المسرح في الجزائر النشأة والرواد والنصوص، صالح لمباركية.
- قراءات في المسرح الجزائري، مسرحية «بني وي وي» لمحي الدين باشطارزي، طامر أنوال.
موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة.

■ مختار باجي
(1337هـ - 1919م/1374هـ - 1954م)

مختار باجي من قادة الثّورة البارزين الذين استشهدوا في بدايّة اندلاعها، ولد مختار باجي في مدينة عنابة في 17 أفريل1919، وتربى في أحضان عائلته المتواضعة على مكارم الأخلاق والوطنيّة الصّادقة، انتقلت عائلته إلى سوق أهراس فوالدّه كان موظفا حكوميا في مدينة سوق أهراس، فعاش في هذه المدينة وفيها نشأ، ودرس (باجي مختار) في المدارس الابتدائيّة والثّانويّة في مدينة سوق أهراس، فتحصل على الشّهادة الابتدائيّة والتحق بالثّانويّة، لكنه لم يواصل دراسته لما كان يعانيه من التمييز العنصري الذي لحق بأطفال المدارس الجزائريين من قبل النّظام الاستعماري، فترك المدرسة سنة 1935 عن عمر يناهز السّادسة عشر 16 عامًا.

لكنّ مغادرته للمدرسة لم تكن عائقا أمام تفتح وعيه ومعرفته بقضايا مجتمعه، فقد كانت أفكار جمعيّة العلماء المسلمين تنتشر في الجزائر وخاصة في المناطق الشّرقيّة القريبة من قسنطينة انتشارا واسعا، وكان لها صدى واضح عند الشّعب الجزائري بكل فئاته المختلفة، وخاصة الشّبابيّة منها، فكان مدركا تمام الإدراك لهويته العربيّة الإسلاميّة وكان يرفض بشكل قاطع أي فكرة عن الاندماج. كما كان يشاهد التمييز الواضح الذي تتعامل به السّلطات الفرنسيّة مع الشّعب الجزائري، حيث كانت تسعى إلى تفقيره من خلال حرمانه من ممتلكاته، وتجهيله من خلال وضع العراقيل في طريق تعلّمه. كل تلك الأمور صنعت من (مختار باجي) شابّا ناضجا يعرف أين يجب أن يمضي ويسير.

فقرّر أن يمضي في طريق النّضال والعمل من أجل وطنه وأمته، فكانت أولى خطواته التحاقه في عام 1936 بصفوف الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة، وكانت في ذلك الوقت مدرسة للوطنيّة والنّضال وإعداد القادة، وترقى في صفوفها إلى أن أصبح رئيسا لفوج الفلاح



في مدينة سوق أهراس. وفي عام 1940 قرّر أن يدخل ميدان النّضال السّياسي، فكان ذلك من خلال تبني أفكار مصالي الحاج فانضم إلى حزب الشّعب، وأنشأ باجي مختار مع مجموعة من النّشطاء الشّباب في سوق أهراس، أول خليّة شبابيّة لحزب الشّعب الجزائري، وكان من أنشط عناصر حزب الشّعب بالمنطقة. في عام 1944، وبفضل خدعة هرب باجي مختار من الخدمة العسكريّة الإجباريّة في الجيش الاستعماري. وبصومه لعدة أسابيع متتاليّة، خفف وزنه بشكل كبير إلى درجة إقناع السّلطات العسكريّة الاستعماريّة بإعفائه من هذا الكدح، الذي يعتبر كذلك لأن الشّاب مختار لم يكن يعتبر نفسه فرنسيًا وفي هذه الحالة لم تكن فرنسا مدينة فلا يدخل في خدمتها.

وقد أثرت عليه أحداث الثّامن ماي 1945 أيما تأثير، فازداد عزمه على النّضال وتصميمه على الذهاب فيه إلى أبعد حدّ، وكانت قد أنشأت في ذلك الوقت " حركة أصدقاء البيان والحريّة" بقيادة عباس فرحات ومباركة كلّ من الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي ومصالي الحاج، فانضم إليها وعمل في صفوفها، ثم انضم بعد ذلك إلى "حركة انتصار الحريات والدّيمقراطيات" بعد إنشائها عام 1946، وقد ترشح في سنة 1947 للانتخابات البلديّة ضمن قائمة حركة الانتصار الحريات الدّيمقراطيّة، فنجح في الانتخابات لكنه لم يطق العمل مع المنتخبين المستوطنين فتفرغ للنضال. وهكذا نرى أن البطل الشّهيد كان شديد العزم على النّضال فلم يسمع بحركة وطنيّة نضاليّة إلا وعمل معها وانخرط فيها وشاركها نشاطاتها، فقد كان شعلة في الهمة والنّشاط.

وسنجده بعد ذلك ينضم إلى المنظمة الخاصة التي كانت تؤمن بالعمل المسلّح ضد المستعمر الفرنسي وكانت تحضّر لذلك، وكان باجي مختار ممثلها ورئيسها في سوق أهراس منذ عام 1947 فعمل على تكوين الشّباب وإعدادهم للثورة. وفي 1 أبريل 1950، اعتقل من قبل جهاز القمع الاستعماري في أعقاب حملة قمع ضد مسؤولي المنظمة الخاصة، وقد تعرض للتعذيب ثم حكمت عليه محكمة گالمة بالسّجن ثلاث سنوات. وكان هذا السّجن حدث سعيد للثورة الجزائريّة. ف خلال سجنه في سجني الأصنام (الشّلف) والبليدة، التقى بالقادة الرئيسيين للتنظيم الخاص المسجونين معه، كأحمد بن بلة (الرئيس المستقبلي للجمهوريّة الجزائريّة) وأحمد محساس وغيرهما، وقد أقنعته هذه الاتصالات والتبادلات التي أجراها مع هذه الشّخصيات البارزة بشكل قاطع ويقيني بضرورة الكفاح المسلح إلى جانب العمل السّياسي، لتحرير الشّعب الجزائري من الاضطهاد الاستعماري، وبعد الإفراج عنه واصل نضاله وكان من أشد المؤمنين بحتميّة اللجوء إلى الخيار العسكري، انضم إلى اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل CRUAوشارك في إنشائها. وقد حضر اجتماع الاثنين والعشرين التاريخي.

عاد إلى سوق أهراس وانكب على تهيئة الظروف وتدريب الشّباب استعداد لتفجير

الثّورة، أشرف على تفجير عدة عمليات عسكريّة، فخلال الاستعدادات للمعارك الأولى، أشرف باجي مختار بمساعدة ملازمه محمّد بوخنونة (المعروف باسم سي حمة) في قطاع سوق أهراس على تدريب المسلحين وتوريد الأسلحة والذخيرة للمقاتلين الأوائل. كما قاد العمليات العسكريّة الأولى ضد المصالح الاستعماريّة في ليلة 1 نوفمبر 1954 وما بعدها. في قيادة قطاع سوق أهراس، ووجه الضربات الشّديدة الأولى للمصالح الاستعماريّة.

استشهد (مختار باجي) مبكرا في التاسع عشر من شهر نوفمبر سنة 1954، وذلك إثر هجوم القوات الفرنسيّة على غابة بني صالح التي كان يتواجد بها رفقة عدد من المجاهدين، حيث حاصره الجيش الفرنسي، وقد خاض معركة حاميّة الوطيس إلى أن سقط شهيدا في ميدان الشّرف في منطقة مجاز الصّفا بقالمة في 19 نوفمبر 1954.

ففقدت فيه الثّورة رجلا شهما وثوريا مخلصا وقائدا محنكا، وما أن حازت الجزائر على استقلالها حتى هب سكان مدينة سوق أهراس يوم 2 ديسمبر 1962 للاحتفاء، وإعادة دفن رفاته بمقبرة المدينة في جو من الاعتزاز بالبطل والغبطة بالاستقلال.

رابح دوب

المصادر:

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

■ مختار فيلالي
(1332هـ - 1941م/1434هـ - 2012م)

الأستاذ مختار فيلالي ولد يوم 23 أكتوبر سنة 1941 بدوار المسيل أو أولاد سلام في ولاية باتنة ونشأ في عالية متوسطة الحال تمتهن الزراعة وكان والده المجاهد الشيخ الطاهر محبا للتجول والتنقل من أجل ممارسة التجارة وعن مساره الدراسي خلال مرحلة الإستعمار وفترة الثورة التحريرية فقد إنطلق الفقيد مختار بن الطاهر فيلالي في دراسته باللغة الفرنسية بعد أن بلغ 9 سنوات من عمره في قرية أم العجول بولاية سطيف وقضى بها 3 مواسم دراسية من سنة 1950 إلى غاية 1953، واظطرته أسباب عديدة على مغادرتها بعدها توجه لحفظ القرآن الكريم في مشتى عين تانوت التابعة لبلدية أولاد سلام وجلس في حلقات الحفظ بالكتاب القرآني مواضبا وملتزما بين سنتي 1953 و1955 واستطاع أن يستوعب حفظا ما تيسر له من المصحف الشريف، تابع دراسته في مجال العلوم اللغوية وتعلم المواد الشرعية في زاوية سيدي الصديق بن شافع في بلدية الرحبات لمدة تقارب 2 عامين في ظروف من الأهوال والمداهمات والرعب والتخويف بسبب الثورة التحريرية.

ورغم سنه الصغير وهو لم يتجاوز ال17 سنة إلتحق الفقيد العالم والمفكر والزاهد الأستاذ مختار بن الطاهر فيلالي بصفوف الثورة سنة 1958، وظل نشطا في صفوفها لغاية سنة 1962، وقد تعرض للسجن والإعتقال والتعذيب في سجونها وبعد الإستقلال واصل دراسته في مدينة باتنة في المدارس الحرة من 1963-1967، وحصل على شهادة الأهلية، وفاز بشهادة الكفاءة في جزئين سنة 1996 1970، والتحق بجامعة قسنطينة سنة 1970 بقسم التاريخ معهد العلوم الإجتماعية، وتحصل على شهادة الليسانس في مجال التاريخ سنة 1975 بدرجة إمتياز، كما حاز على شهادة المنهجية بدرجة إمتياز وشهادة دبلوم الدراسات المعمقة بدرجة جيد جدا برسالته حول " رحلة الورثلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ وألخبار سنة 1978، وبعد أن سجل في شهادة الدكتوراه درجة ثالثة تفرغ الفقيد للعمل السياسي وعن مساره جاء في زوايا الكتاب مدرس في مدرسة الثورة 1960-1961، مدرس إبتدائي ثم متوسط 1962 1974، أستاذ جامعي بقسم التاريخ معهد العلوم الإجتماعية جامعة قسنطينة 1975 1993، أستاذ جامعي متقاعد وأستاذ مشارك بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة باتنة 2012.

وبخصوص نشاطه السياسي جاء فقد تقلد منصب عضو المحافظة للحزب بولاية باتنة مكلف بالشؤون الإجتماعية والإقتصادية 1978-1988، عضو اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني 1988-1998، عضو اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني 2004-2012، ثم عضو اللجنة المركزية لجزب جبهة التحرير الوطني 2010-2012

كان له نشاط دؤوب في إطار المنظمات والجمعيات على غرار رئاسته لجمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، مدير مجلة التراث ما بين 1985-2012، عضو المكتب الولائي للمجاهدين مكلف بالتاريخ والتراث عضو اللجنة المديرة لإتحاد الكتاب الجزائريين، عضو لجنة إتحاد المؤرخين الجزائريين ثم عظوا للأمانة الوطنية، عضو المجلس العلمي للمتحف الوطني المجاهد فرع باتنة، عضوية المجلس العلمي لمؤسسة الأمير عبد القادر، أمين عام الإتحاد الوطني للزوايا، وعضوية كل من مؤسسة القدس بالجزائر مؤسسة مولود قاسم نايت بلقاسم، مؤسسة المقراني مؤسسة سيدي مختار بلعيش.

ترأس جمعية "التاريخ والتراث الأثري" لولاية باتنة، والتي عُرفت فيما بعد، ولظروف خاصة، باسم جمعية "التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس"، ظهرت إلى الوجود في العشرين ماي من سنة 1985م

وهي جمعية علمية ثقافية تعتني بالتاريخ الوطني في كل عصوره ودهوره، وتهتم برافده المتين المتمثل في التراث الأثري بكل ما يزخر به من كنوز أثرية ومواقع تاريخية شاهدة ومعالم سياحية وإرث مادي مرئي أو مخبوء تحت الثرى. وإضافة إلى النشاطات المختلفة التي كانت الجمعية تشارك فيها كمبادراتها أو حضورها في إحياء المناسبات الوطنية الممجِّدة لذاكرة الأمة، ومساهمتها في الملتقيات المحلية والجهوية، أنشأت مجلة دعتها: "التراث".

ترأس الأستاذ مختار فيلالي مجلة "التراث" التي صدر منها سبع عشرة عددا. وبرز أول عدد، في شهر جويلية 1986م. في حين، أخرِج عددُها الأخير إلى جمهور القراء في شهر ديسمبر 2011م. أي أنها عمّرت في طورها الأول ربع قرن من الزمن. واختلفت هذه الأعداد في أبعادها قليلا، وتباينت من حيث حجومها وعدد صفحاتها؛ فقد بلغ أقلّها سبعين صفحة في عددها الخامس الصادر في شهر فيفري 1992م. وأما أكبر أعدادها ضخامة، فهو العدد الرابع الصادر في شهر ديسمبر 1989م، إذا غطت مواده المنشورة فيه 276 صفحة.

يقول عنه الأستاذ نوار لمباركية:" مختار فيلالي... رجل نحيف ـ والنحافة من مزايا العظماء، أفما نظرت إلى صوّر الشيوخ عبد الحميد بن باديس وأبي اليقظان وأحمد تيمقلين السرحاني وصورة الملك فيصل بن عبد العزيز، رحمهم الله جميعا، وصورة "صاحب النفس السامية" كما يلقبه أهله "المهاتما غاندي"... وغيرهم ـ. وهو ذو وجه ناصع ومشوّق تغمره سحنات بهية، وقدّ ممشوق، وطلعة مهيبة. وشيمته الأرفع مسايرة التواضع إلى حدود أقصى أقاصيه. وفي عينيه الصافيتين علامات من الطيبة الفطرية لا تخفت ولا تغرب شمسها، وفي قلبه طاقة فكرية عارمة لا تتوقف عن تسطير سبل الجمع والوحدة والتعاون وفعل الخير. وله حضور متعدد في كل دروب الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية والسياسية الوطنية يعجز أن يسدد واجباتها جمع من الناس ولو اجتمعوا متآلفين وواضعين اليد في اليد، ويقول أيضا:" يُعرف عن الأستاذ مختار فيلالي أنه رجلٌ دقيقُ الملاحظة، قوي المعاينة، ولا يمكن لصغائر الأخطاء أن تمر أمام عينيه من دون إدراكها. ولست أدري أسباب الغفلة التي أحاطت به، ولم تمكنه من التفطن إلى صدور العدد الثالث من المجلة من دون تدوين لتاريخ ظهوره على غلافه الأول؟. ولكن استدراك هذه الهفوة نجده في تاريخ كتابة افتتاحيته الذي صادف الثاني والعشرين من أفريل 1988م، ما يعني أنه أخرج إلى القراء في الثلاثي الثاني من نفس السنة المذكورة؛ لأن من عادات الأستاذ مختار فيلالي التي وقفنا عليها عن معايشة طويلة هو أنه يجعل من كتابة افتتاحيات المجلة هو آخر ما يخطه قلمه.

من أهم إصداراته ودراساته وأبحاثه: كتاب نشأة المرابطين والطرق الصوفية وآثارهما في الجزائر خلال العهد العثماني، كتاب الشهيد مصطفى بن بولعيد.

توفي في شهر اكتوبر سنة 2012 ودفن بمقبرة أولاد سلام بولاية باتنة.

طارق ثابت

المصادر:

- كتاب فعاليات تأبينية وأربعينية ووقفة الوفاء والتذكر للمربي والأستاذ مختار بن الطاهر فيلالي منشورات دار المختارة للطباعة والنشر والتوزيع، باتنة.

■ مدني القريشي
(1343هـ - 1925م/1421هـ - 2000م)

وُلد الشّيخ القريشي مدني سنة (1925) بدوار (بن اذياب) التّابع إقليميا لدائرة (قجّال) بولاية (سطيف حاليا). تربّى يتيما؛ حيث توفّي والده)عمر بن القريشي بن المدني بن محمّد بن القديدي (وهو ابن عامين، فكفله عمّه (الشّيخ الصّحراوي) وحرص على تنشئته تنشئةً دينيّة؛ فأودعه عند معلم القرآن بدوار بن اذياب؛ الشّيخ (النّواري عشاش)، حفظ القرآن الكريم في سنٍّ العاشرة من عمره، يقول الشّيخ (المدني القريشي) عن تنشئته:)ذهبت معه إلى الزّاويّة ودخلت المسجد لأوّل مرة، فوجدت عدّة طلاّب، ومعهم الشّيخ عبد الرّحمن حمادوش، نجل الشّيخ الطّيب حمادوش، فسلّمت على الجميع وجلست؛ وإذا بالأستاذ عبد الحميد أقبل علينا، فسلّمت عليه هو الآخر، فسألني عن نسبي وسكني فأجبته ثم قال: ما الذي جاء بك إلى هنا؟ وما تريد؟ قلت له: رغبتي في التّعلُّم في هذه الزّاويّة. فقال: هل تحفظ القرآن؟ قلت: نعم أحفظه. فقال لي: أمكث الليلة عندنا وغدًا سيأتي سيدي محمّد، وسأكون في عونك بحول الله وقوته. وفي صباح الغد، بينما كنت أقرأ القرآن مع الطّلبة، جاء الأستاذ عبد الحميد وقال: هيا، الشّيخ محمّد الصّديق يناديك فذهبت معه إلى دار الضيوف فسلّمت عليه وجلست بجانبه فقال لي: تريد التّعلّم حقيقة! ولما لم يأتِّ أبوك معك. فقلت: أبي توفّي وأنا رضيع، وليس لي أحد يكفلني، ويرعى مصالحي التّعليميّة واغرورقت عيناي بالدّموع فتدخّل الأستاذ عبد الحميد في الموضوع قائلا: سيدي محمّد الصّديق هذا النّوع يستحق العنايّة لسببين: أوّلا ليتمه وثانيا لرغبته في التّعلم، ولو بقي هكذا لعاش محروما من العلم والمعرفة وضاع طول حياته).

وفي سنة (1943) انتقل إلى زاويّة (قجال) ليتلقّى أوّلى دروسه في الفقه والنّحو من الشّيخ (المختار بن الشّيخ)، وبعد عام من الدّراسة التّحق بمدينة (سطيف) ودرس فيها سنتين على يد كل من الشّيخ (البشير السّي حمدي) والشّيخ (رابح بن مدور) والشّيخ (محمّد عادل) رحمهم الله.

ولما توقّفت الدّراسة بسبب مظاهرات الثّامن من ماي 1945 عاد الشّيخ (القريشي مدني) إلى (زاويّة قجّال) للقيام بالتّعليم القرآني وإمامة المصلّين بمسجد الزّاويّة خلفا للشيخ (الأخضر الحسناوي)

تفقّه الشّيخ (القريشي مدني) على يد الأستاذ الشّهيد (عبد الحميد حمادوش) وكان من أبرز طلبته، حيث برع في علوم الدّين؛ وعلوم اللغة العربيّة؛ وعلم الحساب؛ والتّفسير. وبقدر ما كان حريصا على طلب العلم كان أكثر حرصا على القيام بدوره في تعليم القرآن فتخرج على يده العديد من حفظة القرآن الكريم وقد قامت بينه وبين أفراد عائلة (حمادوش) بدءا من شيوخها، وانتهاء بأطفالها، كل وشائج المحبة والثّقة والاحترام والتّقدير؛ فصار الشّيخ (القريشي مدني) كانه واحد من أفراد العائلة، يرافق الشّيخ (محمّد الصّديق حماوش) والأستاذ (عبد الحميد حمادوش) في الحلّ والتّرحال، كما تعرف على العلماء وجالسّ الأعيان، فأكسبه ذلك أدبا وعلما وتجربة في الحياة، ومن العلماء الذين تشرّف بمعرفتهم إمام الحرمين الشّريفين الشّيخ (محمّد العربي التّبّاني) والشّيخ (محمّد البشير الإبراهيمي) والشّيخ (المسعود بن سالم) وغيرهم كثير.

في بدايّة ثورة التّحرير الجزائريّة تعاون الشّيخ مع أستاذه الشّيخ (عبد الحميد حمادوش) في جمع الأسلحة والتّبرعات لفائدة الثّورة التّحريريّة المجيدة، وفي سنة (1956) ترك التّعليم بزاويّة (قجال) سابقا، والتّحق بالعمل الثّوري المسلح، فعمل عضوا في لجنة (بن ذياب)، ليلقي عليه الاستدمار الفرنسي الغاشم القبض يوم (17 مارس1960) حيث تعرّض لأقصى أنواع لتعذيب أثناء استنطاقه، ومكث في سجن (العلمة/ سطيف) خمسة أشهر ونصف الشّهر. لينقل بعدها إلى معتقل (تيفشون) ببلديّة خميستي، ولايّة (تيبازة) حاليا، وهذا ما عبر عنه بقوله: (وفي يوم الأربعاء 02 سبتمبر1960 سار بنا العدو مبكرا إلى معتقل)تيفشُّون ومن ذلك الوقت لا أعرف عن الأستاذ عبد الحميد شيئا ولا يعرف هو عني شيئا . وبعد أكثر من عام زارني أحد الأصدقاء في المعتقل وأخبرني بما جرى وما يجري في السّاحة التي نشأت فيها، ثم أخبرني بأن الأستاذ عبد الحميد قد استشهد وفاضت روحه إلى بارئها، فأظلمت الدّنيا بين عيني، وسالتّ عبراتي على وجنتي، ثم تنفست الصّعداء وكفكفت دمعي المهراق، وتذكرت قول الأستاذ عبد الحميد: إن الثّورة ستنتصر وإن الجزائر ستستقلّ لا محالة)

أطلق سراح الشّيخ (القريشي مدني) يوم (15 جانفي 1961)، ليعود إلى العمل الثّوري من جديد كمسؤول بدوار (بن ذياب) بمنطقة (قجال) بولايّة (سطيف)، حتى تاريخ استقلال الجزائر (05 جويلة 1962) حيث تفرغ بعدها للعمل الدّيني والتّربوي.

استطاع الشّيخ بعد استقلال الجزائر أن يعيد بعث زاويّة (قجال) التي تخرّج منها، وعمل بها كمدرّس للقرآن، رفقة كل من الشّيخ (إسماعيل زروق) والإخوة الأساتذة من فلسطين (تيسير)، و(يعقوب)، و(ذيب)، واللجنة العلميّة المسيرة للزاويّة والمتكوّنة من شيخ الزّاويّة؛ (الشّيخ المربي محمّد الصّديق حمادوش)، والشّيخ (البشير قزوط)، والشّيخ (لحسن بودرافة)، والشّيخ (البشير فلاحي)، والشّيخ (بوزيد هيشور) وغيرهم، تحت مسمى جديد؛ حيث أصبح يطلق عليها اسم مدرسة الشّهيد (عبد الحميد حمادوش)، التي أدّت دورا رائدا في تعليم أبناء المنطقة وتلقينهم أصول الدّين ومبادئ الفقه منقذة بذلك أجيالا كاملة من ظلام الجهل ومآسي الأميّة، جاعلة منهم رجال تربيّة وتعليم .

اشتغل (القرشي مدني) بالتّدريس حتى سنة (1982)، ليتقاعد بعدها، ويتفرّغ للنّشاط الدّعوي والتّربوي بمسجد زاويّة (قجال)، حيث اعتلى المنبر لأوّل مرة سنة (1982) بعد قرابة قرن من الانقطاع التّربوي في الزّاويّة – كانت آخر خطبة بها للشيخ الصّديق حمادوش بين سنوات (1862 – 1882) كما تطوّع (القريشي مدني) لتقديم دروس في اللغة العربيّة، والفقه والتّفسير، والنّحو، والشّعر العربي، لسنوات عدّة في أكثر من موقع للطلبة والأئمة، كما جعل بيته مزارا علميا لطالبي العلم والمعرفة حتى أيام مرضه.

توقّفت زاويّة (قجال) مجددا عن نشاطها، وفي سنة 1992 تم إحياء الزّاويّة العلميّة بقجال مجدّدا، تحت اسم زاويّة (الشّهيد عبد الحميد حمادوش)، بعد حفل تأسيس كبير حضر فيه جمع غفير من الأساتذة، والمعلمين، وعلماء الدّين، والأعيان، والمسؤولين وغيرهم، وكان الشّيخ القريشي مدني ضمن الجمعيّة التّأسيسيّة للزاويّة.

توفّي الشّيخ (القرشي مدني) يوم 2فيفري 2000، تاركا وراءه أجيالا من طلبة العلم ورجال التّربيّة والتّعليم.

محمد الأمين لعلاونة

المصادر:

- منبر قجال، مطبوعة دورية تصدر عن الجمعية الدينية للمسجد الجامع عبد الله بن الزبير –قجال– العدد 2، 2002.
- الشّيخ الزبير حمادوش، موقع زاوية بن حمادوش، قجال.

■ مراد ديدوش
(1345هـ - 1927م/1374هـ - 1955م)

ولد ولد الشّهيد مراد ديدوش عام 1927 بمدينة الجزائر، وهو من أسرة ثريّة هاجر أبوه أحمد من عزازگة بمنطقة القبائل بعد الحرب العالميّة الأوّلى، وأسهمت هذه الأسرة في إعالة الكثير من المجاهدين الفقراء والمطاردين من البوليس الإستعماري ومنهم رابح بيطاط والعربي بن مهيدي وغيرهما. ونشأ الطّفل مراد على حبّ الوطن والدّين والحقد على

الإستعمار، وكان يسمع من أمه قصّص النّهب والسّلب والقتل الذي مارسه الرّومي على الجزائريّين، وقصت عليه مقاومة لالا



فاطمة نسومر في منطقة القبائل مثلما سمعتها على لسان جدتها التي عايشت تلك الأحداث. دخل الطّفل مراد المدّرسة القرآنيّة لحفظ القرآن الكريم كغيره من الأطفال الجزائريين آنذاك، وعندما بلغ السّادسة من عمره دخل المدّرسة الابتدائيّة الفرنسيّة فكان المعلم الإستعماري يقول لهم بأن فرنسا أتت بالحضارة إلى الجزائر فيقارن مراد ديدوش ذلك بما سمعه على لسان أمه عن الهمجيّة والبربريّة التي ارتكبها الإستعمار في حق الشّعب الجزائريّ، وبما كان يلاحظه من بشاعة الاستغلال الذي كان يمارسه المعمر الأوروبي على الجزائريين الذين كانوا يتخبطون في البؤس والجهل والتّخلف وأمّا ثرواتهم وأراضيهم فكان يستمتع بها المعمرون الأوربيون. أظهر الطّفل مراد ديدوش ذكاء عاليا في المدّرسة فتحصل على الشّهادة الابتدائيّة عام 1939م، ثم الشّهادة الأهليّة عام 1943م، إلا أنّ الاستعمار اكتشف فيه بوادر الرّوح الوطنيّة والدّينيّة التي حاول إخفاءها عنه كي لا يعرقله عن مواصلة الدّراسة، فطرد الاستعمار الشّاب مراد ديدوش من المدّرسة.

لكن هيهات للاستعمار أن يوقف عجلة التّاريخ، طالما كان الشّعب الجزائريّ يعتمد على نفسه في إيجاد الوسائل والإمكانيات والأساليب التي ستسمح له بقهر الطّغاة الاستعماريين، فبنى بأمواله المدّارس الحرة، أسّس الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة التي كانت بمثابة المدّرسة الحقيقيّة للجزائريّين، وكان الطّفل الجزائريّ يتلقى فيها تربيّة وطنيّة ودينيّة لتصنع منه رجلا قادرا على قهر الاستعمار. فقد تربى الطفل مراد ديدوش في حضن الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة مثله مثل أغلب الشّبان الجزائريّين الذين هبوا كرجل واحد ليلة أول نوفمبر من عام 1954م من أجل تحرير الوطن الجريح من الجبروت والظّلم والقهر والفساد الذي نشره الإستعمار الفرنسي في كل مكان.

واعتنى مراد ديدوش بجسمه لأن (العقل السّليم في الجسم السّليم) فكان رياضيا إذ مارس لعبة كرة القدم في نادي مولوديّة العاصمة وقد كانت مختلف النّوادي الرّياضيّة التي أنشأتها الحركة الوطنيّة كمولوديّة الجزائر واتحاد بسكرة ومولوديّة قسنطينة إحدى وسائل نشر الفكرة الوطنيّة في صفوف الشّباب الجزائريّ، مما جعل أغلب الرّياضيّين المنتمين إلى مختلف هاته النّوادي يلتحقون بالثّورة عند اندلاعها ليلة أول نوفمبر من عام 1954م.

إنّ التّربيّة الوطنيّة والدّينيّة والعقليّة والبدنيّة التي تلقاها الشّاب مراد ديدوش صنعت منه رجلا محبا لوطنه ودينه إلى درجة التّضحيّة بحياته من أجلهما، وأكسبته أخلاقا عاليّة جدا كالصبر ومواجهة الشّدائد والإيثار والصّدق والإخلاص والوفاء بالعهد وخدمة الآخرين لأنّ خادم النّاس سيدهم، مثلما اكتسب من ممارسة الرّياضة حيويّة ونشاطا ورباطة الجأش والتّحكم في الأعصاب فيُروى عنه أنه حاصرته في يوم من الأيام دوريّة للبوليس الإستعماري داخل مقهى بقسنطينة، وعندما طلب منه البوليس إظهار بطاقته الشّخصيّة بقي هادئا ليخرج مسدسه بدل الوثيقة المطلوبة فيطلب من أعضاء الدّوريّة رفع أيديهم وتسليم مسدساتهم لينسحب في هدوء أمام مرأى وإعجاب الحاضرين.

انخرط مراد ديدوش في حزب الشّعب الجزائري وعمره لا يتجاوز ست عشرة سنة، فأصبح عنصرا بارزا في (اللجنة المركزيّة للشباب) وهو تنظيم شباني تابع للحزب على مستوى أحياء العاصمة، ومن أعضائه البارزين محمّد بلوزداد وأحمد محساس ومحمّد يوسفي وعبد القادر بودة وغيرهم من الشّبان، وقام أعضاء هذا التّنظيم بنشر الفكرة الوطنيّة في صفوف شباب العاصمة وتوزيع صحف ومنشورات حزب الشّعب الجزائريّ ودعوة الشّبان إلى الالتزام بالأخلاق الفاضلة ومحاربة المجون والفساد والخلاعة التي كان ينشرها الإستعمار الفرنسي في وسط الشّباب الجزائريّ كي يجعله ضعيفا ومريضا ومنقادا للإستعمار، وكان أعضاء هذا التّنظيم الشّباني يسرقون الأسلحة من المستعمر ويخفونها استعدادا لليوم الموعود.

ولعب تنظيم اللجنة المركزيّة للشباب دورا بارزا في أحداث ماي 1945م فنظموا مظاهرات حاشدة في العاصمة في فاتح ماي 1945م وكللت هذه المظاهرات بالنّجاح بعد ما لجأ أعضاء التّنظيم إلى مغالطة البوليس الإستعماري بنشر إشاعة تقول بأن المظاهرة ستنطلق من ساحة أول ماي، فتوجه حوالي خمسون شابا إلى هناك فتجمع البوليس والجيش الإستعماري لقمع المظاهرة إلا أنه في الحقيقة انطلقت المظاهرات من باب جديد وساحة الشّهداء ليلتقي الجمع في شارع العربي ابن مهيدي الذي كان يُدعى آنذاك شارع إيزلي مهللين مكبرين صائحين بتحيا الجزائر رافعين الرّايات الوطنيّة فسقط الكثير من الشّهداء في هذه المظاهرات. فاكتشف الإستعمار الفرنسي مدى الخطورة التي كانت تمثلها (اللجنة المركزيّة للشباب) بالعاصمة بقيادة محمّد بلوزداد فاعتقل الكثير من أعضائها ودخل البعض الآخر في السّريّة.

أمام ضغط مختلف هذه التّنظيمات الشّبانيّة المتحمسة للكفاح المسلح اضطر حزب الشّعب الجزائريّ الذي غير اسمه إلى حزب حركة الانتصار للحريات الدّيموقراطيّة إلى إنشاء المنظمة الخاصة في فيفري 1947م وهي منظمة شبه عسكريّة هدفها التّحضير للثّورة المسلحة بتدريب

المجاهدين عسكريا وجمع الأسلحة والمؤن والأدويّة لليوم الموعود. وعُين محمّد بلوزداد على رأس هذه المنظمة وعين بدوره مراد ديدوش كمسؤول لها في عنابة؛ تحت قيادة محمّد بوضياف مسؤول المنظمة الخاصة في الشّرق الجزائري، وهناك تعرف مراد ديدوش على رجال عظام أمثال العربي بن مهيدي، ومصطفى بن بولعيد، ومحمّد بوضياف، وزيغود يوسف، وبن طوبال، وعمار بن عودة... وغيرهم من الأبطال الذين ضحوا بالنّفس والنّفيس من أجل أن تحيا الجزائر حرة كريمة.

واكتشف البوليس الإستعماري سر المنظمة الخاصّة في مارس 1950م فاعتقل الكثير من أعضائها كما دخل الكثير منهم في السّريّة ومنهم البطل مراد ديدوش الذي عاد إلى العاصمة، وكاد أن يقع في يدّ البوليس الإستعماري عندما داهم بيت عائلته في إحدى ليالي شهر أفريل من عام 1950م إلا أنّه أفلت منهم بأعجوبة بفضل هدوئه وقدرته الفائقة على التّحكم في الأعصاب لأنّه من يمتلك هذه الصّفة مثل مراد ديدوش تسمح له بالتّصرف السّليم والصّحيح عكس المتوتر الأعصاب الذي يتصرف بعشوائيّة فيقع في ما لا تحمد عقباه.

وأصبح مراد ديدوش مطاردا من البوليس الاستعماري فاضطر للتّنقل من مكان لآخر؛ تحت لقب سري هو (سي عبد القادر) وبأقنعة وتمويهات مختلفة لأن البوليس كان يملك صورته، فصاحب كثيرا أثناء وجوده في السّريّة العربي بن مهيدي ومحمّد بوضياف.

وهاجر متخفيا إلى فرنسا في عام 1952م ليتولى هناك مسؤوليّة حزب حركة الانتصار للحريات الدّيموقراطيّة في المهجر كنائب لمحمّد بوضياف، فتنقل من منطقة إلى أخرى بهدف تنظيم المجاهدين هناك.

في عام 1953 نشب صراع داخل حزب حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطيّة بين المصاليين وهم أنصار زعيم الحزب مصالي الحاج، والمركزيين الذين أرادوا تحديد صلاحيّات زعيم الحزب، وانتقل الصّراع إلى كل المناضلين في الكثير من الأماكن، فقلق مراد ديدوش ومحمّد بوضياف على مصير الحزب الوطني، فاضطرا إلى العودة إلى أرض الوطن والاتصال بمختلف المجاهدين، فأنشأوا اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل في مارس 1954م، وهدفها الإصلاح بين الطّرفين المتصارعين داخل الحزب، ثم إشعال نار الثّورة المسلحة ضد الإستعمار، وباءت محاولات الإصلاح كلها بالفشل، فاضطر أعضاء اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل إلى الاجتماع في جوان 1954م بالعاصمة والتّفكير في كيفيّة إشعال نار الثّورة، وكان مراد ديدوش أحد منظمي هذا الاجتماع بالإضافة إلى محمّد بوضياف والعربي بن مهيدي ومصطفى بن بولعيد، وانبثق عن هذا الاجتماع لجنة ثوريّة تضم كلا من محمّد بوضياف ومصطفى بن بولعيد والعربي بن مهيدي ورابح بيطاط ومراد ديدوش لينضم إليهم كريم بلقاسم فيما بعد من منطقة القبائل، وكُلفت هذه اللجنة بالتّحضير للثّورة.

وكثرت تنقلات وأسفار مراد ديدوش إلى مختلف مناطق الوطن وإلى الخارج سعيا وراء جمع الأسلحة والأموال وضم الرّجال للثّورة وطالب عائلته الغنيّة بحقه في الميراث ليضعه تحت تصرف الثّورة، فضحى بماله قبل التّضحيّة بروحه الزكيّة في سبيل الدّين والوطن.

إنّ الرّجال الذين حضروا للثّورة المسلحة في أول نوفمبر 1954م لم يكونوا معروفين لدى الشّعب، فاضطرت لجنة السّتة إلى البحث عن رجل معروف لتزعم الثّورة مما يسهل إقناع الشّعب وضمه إليها، .

وتخلت لجنة السّتة عن فكرة البحث عن زعيم للثورة واقتنعت بما قاله ابن مهيدي "ارموا بالثّورة إلى الشّارع يحتضنها الشّعب"، والتزمت بفكرة القيادة الجماعيّة للثّورة وتم الاتفاق على ليلة أول نوفمبر 1954م كتاريخ لإشعال نارها، وكان مراد ديدوش وراء اختيار هذا التّاريخ عندما قال لأعضاء اللجنة أن أول نوفمبر هو أول يوم في الشّهر وهو عيد للمسيحيين، وهو أيضا يوم مولد الرسول ﷺ فهو يوم اثنين، ونعلم أن يومي الاثنين والخميس من أفضل الأيام عند الله سبحانه وتعالى ولهذا يصومهما المسلم، فاقتنع الجميع برأي البطل مراد ديدوش.

وكلّفت لجنة السّتة مراد ديدوش إلى جانب محمّد بوضياف بصياغة بيان أوّل نوفمبر 1954م لرجاحة عقله وثقافته العاليّة واطلاعه وفهمه العميق لمبادئ الحركة الوطنيّة واحتكاكه الكبير بالشّعب وتحسس تطلعاته وآماله ورغباته، وسطر البيان الذي صاغه كل من مراد ديدوش ومحمّد بوضياف هدف الثورة بالقول:

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

إقامة الدولة الجزائريّة الديمقراطيّة والاجتماعيّة ذات السّيادة ضمن إطار المبادئ الإسلاميّة.

احترام جميع الحريات الأساسيّة دون تمييز عرقي أو ديني ".

ومعناه إقامة دولة جزائريّة مستقلة استقلالا تاما تُحترم فيها الحريات كلها دون أي تمييز عرقي أو ديني، وتسودها الديمقراطيّة والعدالة الاجتماعيّة، وتكون المبادئ الإسلاميّة هي مرجعها الأعلى.

وبعدما تم الاتفاق على بيان الثورة وتحديد تاريخ إعلانها عاد مراد ديدوش إلى منطقة الشّمال القسنطيني ينتظر تلك الليلة الخالدة التي ستكون نقطة الانطلاق للجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وتحقيق ذلك الهدف السّامي الذي سطرته الثورة في بيان أول نوفمبر التاريخي.

والطواغيت والجبابرة وأعداء الحريّة والإنسانيّة، إلا أنّ مراد ديدوش كان يوصي دائما المجاهدين بأن لا يغتروا ويستصغروا الأمر، وكان يقول لهم أن الوصول إلى الأهداف يتطلب منا سنوات عديدة من الجهاد والتضحيّة لأن الاستعمار سيعمل كل ما بوسعه للقضاء على الثورة وما المجاهدون إلا رجال من هذا الوطن يغذونه بدمائهم كي يعيش حرا كريما وطاهرا من الظلم والجبروت والاستغلال.

ازداد عدد المجاهدين بقيادة مراد ديدوش في الشّمال القسنطيني بعدما عرف الشّعب حقيقة الثورة، فتكثفت العمليات العسكريّة ضد الجيش الاستعماري، واستشهد الكثير من المجاهدين في المنطقة

على رأسهم باجي مختار، وفي صباح 18 جانفي 1955 انتقل مراد ديدوش على رأس مجموعة تتكون من 17 مجاهدا لتعريف الشّعب بحقيقة الثورة، وعندما وصل إلى وادي بوكركر اكتشف الجيش الاستعماري المجموعة الصغيرة فحاصرها بأكثر من 500 جندي من كل الجهات، فلم يبق أمام الشّهيد ورفقائه إلا الاستسلام إلا أن مراد ديدوش قال لهم إننا إذا استسلمنا نكون قد حطمنا معنويات الشّعب وأظهرنا أنفسنا ضعفاء، فعلينا بالجهاد والصمود والثبات فإما النّصر أو الشّهادة، فهبّ كل مجاهد يدافع عن المجموعة بحماس وصبر وثبات، ودامت المعركة من الثامنة صباحا حتى الواحدة ظهرا فاستشهدوا جميعهم ومنهم البطل مراد ديدوش، فردد الشّعب كله بطولات هؤلاء وصمودهم وإيمانهم بالدين والوطن وتحول قبر الشّهيد مراد ديدوش في مقبرة سمندو (زيغود يوسف اليوم) مزارا للشعب، فاضطر الاستعمار إلى منع النّاس من زيارة المقبرة، وأصبح منذئذ يمنع الشّعب من معرفة قبور الشّهداء الأبرار الذين صنعوا باستشهادهم حياة للشعب.

نبيل دادوة

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

■ مرزاق بقطاش
(1364هـ - 1945م/1442هـ - 2021م)

ولد في يوم 13 جوان 1945 م في حي العين الباردة fanténe fréche بمدينة الجزائر، تعلم اللغة العربيّة في المدارس الحرة التي كانت تشرف عليها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وتعلم الفرنسيّة في المدارس الرسميّة الفرنسيّة النظاميّة، وجاء شغفه بالأدب عن طريق الرسم والموسيقى والمسرح، وكان يرى أن: "اللغة أقدر بكثير على التعبير عن خوالج النفس وصخب الحياة من الأدوات الفنيّة الأخرى، لذلك رسى في ميناء الأدب".

تفتح على الثقافة الإنسانيّة بمختلف تجلياتها العربيّة الإسلاميّة والأجنبيّة، فقرأ القرآن الكريم والحديث الشّريف، والآثار الأدبيّة، كما قرأ الكتاب الفرنسيين وخاصة أدباء القرن 19، وشعراء الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن، وقرأ العديد من الكتاب باللغة الإنجليزيّة، وعلى رأسهم الروائي الأمريكي "ارنست همنغواي"، قال عنه الطاهر وطار "إنني آمل أن أرى في أعماله القادمة كاتباً بناء لروح الإنسان التي حطمها يأس قرون طويلة من الاستغلال والقهر، بناء لنظرة واثقة في المستقبل وكاتباً مهدّماً أيضاً، مهدماً لكل المفاهيم الخاطئة".

عمل في الصحافة الجزائريّة باللغتين العربيّة والفرنسيّة منذ سنة 1962م، ومن الصحف التي كتب فيها جريدة الشّعب



والمجاهد والوطن وفي المحلات الوطنيّة ألوان وآمال والثقافة وفي أثناء ذلك واصل دراسته الجامعيّة في جامعة الجزائر، فحصل شهادة الليسانس في الترجمة (عربي فرنسي إنجليزي). انتدب للعمل في وزارة الإعلام عدة سنوات ثم عين نائباً لرئيس تحرير مجلة (المجاهد)، وكان عضوا في اتحاد الكتاب الجزائريين.

كما كان عضوًا في المجلس الأعلى للإعلام، وعضوًا في المجلس الأعلى للّغة العربيّة، وعضوًا في المجلس الأعلى للتّربيّة، وممثلا للصّحافة المكتوبة، وعضوًا في المجلس الاستشاري الوطني عام 1992، وتخلى عن عضويته لهذا المجلس بعد تعرضه لمحاولة اغتيال سنة 1993 من جماعة ارهابيّة.

كان مرزاق بقطاش مدافعا قويا عن اللّغة العربيّة، ويحبّ استعمال الكنايات والاستعارات والمجازات، ويحلو له اللّعب مع الكلمات الجميلة، ومسايرتها كلعبه بنوطات البيانو، وعن علاقته باللغة العربيّة ارتباطه بها؛ يقول: " إنني أحب كل اللغات أستعمل كل اللّغات التّي أتقنها: اللّغة البربريّة، لغتي الأمّ، واللّغة العربيّة الكلاسيكيّة، والفرنسيّة والإنجليزيّة. أنا مولع باللّغة العربيّة في المقام الأوّل، لأنّها هي أساسًا كلّ ما تربطني بالثّقافة الإسلاميّة العظيمة والدّين والأدب الكلاسيكي. هذا يسمح لي القول بأنّ الكلمة في حدّ ذاتها تشكّل المضمون نفسه، إنّها الحالة النّفسيّة للحيّز الجغرافي الذّي طورته على عتبة بابه. تكفيني كلمة واحدة، إيقاع واحد منها لأنشئ قصيدة نثريّة أو قصّة أو روايّة. أنا في الأساس شخص كان يعطي دائمًا الأولويّة للكلمة، ولهذا السّبب فأنا شغوف بكلّ المخطوطات أو بكلّ ما هو خطّي، إن صحّ التعبير، فأنا طفل ينتمي إلى حضارة خاصة، إلى حضارة انقرضت منذ أكثر من ألف سنة، إلى تلك الحضارة التّي منحت لغتها المكانة الأولى والأخيرة في مجال التّعبير الفنّي والأدبي . "

كتب مرزاق بقطاش الكثير من الرّوايات والقصص سواء باللّغة العربيّة أو الفرنسيّة، ومن بينها:

- طيور الظهيرة
- رقصة في الهواء الطلق
- جراد البحر
- عزوز دحمان

- بقايا قرصان
- دار الزّليج
- دم الغزال
- مومس البحر
- الرطب واليابس
- جاحظيات
- وداعاً بسمة
- أغنيّة البعث والموت
- الفيرا

يقول في مسألة الديمقراطيّة:

"الديمقراطيّة هي في المقام الأوّل نوع من البستنة؛ لا بدّ القيام بالحفر، والحرث، والسّقي، والقيام بالتّعشيب المتواصل. وهذا ما لا يوجد عندنا لحدّ الآن. إنّ أيّ حزب سياسي ليس إلا جملة من الأفكار والمشاريع ذات أهداف معيّنة. هناك نوع منها ما هو يساري وما هو يميني لكن هذا غير كاف. كما أنّ أغلب الشّباب السّياسيين يقومون بالمغالاة لا غير".

أما في موضوع حريّة التّعبير، فيقول:

"أعتقد أنّ اللّعبة السّياسيّة قامت على أساسها منذ سنوات التسعين. هذه الحريّة في التّعبير هي أمر حقيقي، لأنّ الصّحافيين على غرار التّجمعات والرّابطات الاجتماعيّة الأخرى دفعوا الثّمن غاليًا، أوّلا بدمائهم وكذلك بشجاعتهم وثمّ بمثابرتهم، ولا مجال للرّجوع إلى الوراء في هذا الميدان".

يقول الناقد مخلوف عامر. في الروائي والإعلامي مرزاق بقطاش: " مرزاق بقطاش كاتب ظل على بعد مسافات، من الأضواء والحضور شبه اليومي الذي يصر عليه الكثير من الكُتاب، كما ظل بعيدا عن الضجيج وعن مآدب الملتقيات والمهرجانات والمؤتمرات، ونادرا ما يسجل حضوره في مناسبة أدبيّة أو ثقافيّة. يفضل أن يشتغل في صمت، وأن ينشر أعماله بكثير من الهدوء".

كما يقول فيه: "إنه الكاتب الذي واكب تحولات الجزائر وعرفها، وأبى إلا أن يجرد قلمه ليستخلص من المؤقت الزائل ما يمكث في الأرض، وهو لم يتنصّل يوما من كتاباته في السّياسة والفكر أو يتنكّر للواقع، بل إن ذلك كله يقع في صلب أعماله"

ويقول فيه الناقد السّعيد بوطاجين: "بقطاش نموذج فعلي للمثقف، للأخلاق والتواضع واحترام الذات والكرامة البشريّة. إنه مرجع حقيقي، سواء اتفقنا معه في طريقته السّرديّة أو لم نتفق، لكنه سيظل دائما قيمة لا يمكن تجاوزها في المشهد الأدبي والثقافي في الجزائر".

مضيفا بأن له معرفة موسوعيّة لافتة، متشعبة ودقيقة وممنهجة وعقلانيّة، لكنه لا يحب الظهور كثيرا، وقد يعود ذلك إلى السّياق الثقافي العام الذي يشهده البلد، وإلى هذا الخلط الكبير في ظل انهيار القيم الفنيّة والجماليّة وهيمنة الزيف والجماعات الضاغطة التي مسخت الثقافة والكتابة وأصبحت المبتدأ والخبر".

أما الروائي والكاتب محمّد مفلاح. فيقدم فيه شهادة يؤكد من خلالها أن مرزاق بقطاش: "يُعد من المثقفين المتصوفة الذين آمنوا بالكلمة الصادقة وخدموها بإخلاص وتحملوا مشاقها بصبر كبير". أما القاص والناقد مصطفى فاسي، فيقول عن صاحب "طيور في الظهيرة"، بأنه: "يؤمن بأن الكتابة الإبداعيّة ينبغي أن تنبع من حياة الأديب وتجربته ومن محيطه الذي يعرفه جيدا وقد جاءت أعماله معبرة عن هذا الإطار ".

إن سيرة المثقف والكاتب مرزاق بقطاش حافلة بالانجازات، وتجربته في الكتابة والإبداع متميزة وغنيّة، فقد كتب في القصة والروايّة والصحافة والترجمة والسّيناريو والمسرح، وهو المنتصر للغة العربيّة والمنحاز لها، من خلال إصراره الدائم على الكتابة والإبداع بها رغم إجادته وإتقانه عدة لغات.

إن مرزاق بقطاش يكتب بوعي وطني حاد، والكتابة بالنسبة إليه ليست تمثل كيانه ووجوده، وهي مجاله الحيوي وسر بقائه،

ورد في شهادة القاص والناقد مصطفى فاسي عن مرزاق بقطاش أنه :" ظل يطور تجربته بهدوء بعيدا عن التجريب والمغامرة فنضج أدبه على نار هادئة

أول لقاء لي مع "بقطاش مرزاق" كان ذات يوم من سنة 1969 عن طريق قصته "عندما يجوع البشر"، الحائزة على جائزة رضا حوحو، وتعرفت عليه شخصيا بعد ذلك، ثم تكررت اللقاءات من خلال القراءة على الخصوص، لأن اللقاءات الفعليّة كانت قليلة نسبيا بفعل اختلاف وظيفة كل منا، أنا بالجامعة التي التحقت بها سنة 1973 وبقطاش بالصحافة والإعلام. ولكنني ظللت أتابع وأقرأ ما ينشره في مجال القصة على الخصوص، وهو آنذاك من الكُتاب الشّباب الذين يأتون على رأس جيل السّبعينيات، إلى أن قرأت له سنة 1976 روايّة، "طيور في الظهيرة"، وهو أول كِتاب نشره على ما أعرف حتى قبل أن ينشر مجموعته القصصيّة الأولى بعنوان "جراد البحر"، سنة 1978.

وقد كانت هذه الروايّة ناضجة مثلما كانت قصته الأولى، وقدم لها الطاهر وطار الذي أعجب بها، وقال عنها إنها ولدت قويّة تعبر عن قوة صاحبها، الفنيّة، أو بالأصح عن أصالة ملكته، أو موهبته، أو عبقريته، وأن التجربة ستجعل بقطاش أحد الكُتاب الجزائريين المحترمين. كما قال عن بقطاش أيضا إنه كالمحارب، اللفظة بالنسبة إليه عيار ناري، مستقل بذاته، هدفه المعنى الواضح كما هو، والصورة الفنيّة كما هي، حتى أن الإنسان وهو يمضي في القراءة لا يتمالك من القول، إن التعبير باللغة العربيّة في الجزائر لم يعد مغامرة خطيرة، كما يلاحظ وطار بحق أن بقطاش هو الوحيد من بين كُتاب هذه المرحلة الذي ينتمي إلى المدينة، فهو مولود بالعاصمة، ولذلك يكتب عنها بمعرفة.

وظل الرجل يواصل الكتابة، ومع الممارسة تنضج التجربة، وقد جمع بين الإبداع قصةً، فنشر عبر مسيرته مجموعات قصصيّة جادة وجميلة تعبر عن تجربة ناضجة ابتداء من أول قصة له. وروايّة بحيث بلغت نصوصه في هذا المجال عدة روايات، كما كتب مسلسلات للإذاعة والتلفزة قُدمت في الجزائر وخارجها، وقام بترجمة عدة أعمال أدبيّة منها في مجال الروايّة لرشيد بوجدرة وفي القصة ترجم مجموعة "التفاحة الحمراء"، المختارة بذوق رفيع من عدة كُتاب عالميين، وهو خريج قسم الترجمة، اختصاص العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة، وفي علمي أنه كتب بعض إبداعاته باللغتين

الفرنسيّة والانجليزيّة أيضا، إلا أن إبداعه بالعربيّة التي أحبها أكثر من غيرها قد طغى على الباقي. وظل إلى جانب ذلك كله ينشر المقالات الثقافيّة والأدبيّة في الجزائر وبعض البلدان العربيّة في المشرق، هذه المقالات التي تنم عن إطلاع واسع على الثقافة العربيّة والعالميّة قديما وحديثا.

فمع كون "بقطاش" إعلاميا من الناحيّة المهنيّة فإنه ظل طوال مسيرته مخلصا لمجال الثقافة والأدب، روايّة وقصةً ومسلسلات ومقالات ثقافيّة وأدبيّة، وقد ظل لحوالي نصف قرن يطور تجربته المتسمة بالهدوء والاتزان والعمق، بعيدا عن التجريب والمغامرة، فنضج أدبه على نار هادئة، وتميز أدبه بحضور الأسلوب الرصين، واللغة الجميلة مما جعل الدارسين يلتفتون إليه، ويقدمون عن رواياته وقصصه عدة رسائل جامعيّة، ماجستير ودكتوراه، بمختلف جامعات الوطن. يؤمن "بقطاش" أن الكتابة الإبداعيّة ينبغي أن تنبع من حياة الأديب وتجربته، ومن محيطه الذي يعرفه جيدا، وقد جاءت أعماله معبرة عن هذا الإطار، فكانت، مثلا، روايته الأولى، "طيور في الظهيرة" 1976 تصور جوانب من طفولة الكاتب زمن ثورة التحرير، وقدمت روايّة "عزوز الكابران" 1989 صورة معبرة فيها كثير من السّخريّة والكاريكاتير عن تعفن النظام السّياسي والإداري وعن النفاق والزيف المتسم بهما في مرحلة من مراحل هذا النظام، وترحل روايّة "خويا دحمان" 2000، بالقارئ عبر زمنها المركز إلى الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، ومن خلال أحداثها وشخصياتها الحيّة تقدم تجربة غايّة في العمق والأهميّة، وتقدم روايّة "دم الغزال" 2002، التجربة المريرة والفريدة التي مر بها الكاتب والمتمثلة في محاولة اغتياله في جويليّة 1993، وإذا كان القدر قد شاء له أن ينجو من الموت، فإن جرح هذه التجربة سوف يبقى، ويبقى عميقا. ثم تأتي روايّة "رقصة في الهواء الطلق" 2011، تعمل على تعريّة واقع متعفن يتعايش فيه الإرهاب والسّياسة والمافيا وتضارب المصالح، مصالح الكبار، والخلاصة أنها تقدم عالما يسوده التعفن والتخلف.

نورالدين السّد

المصادر :

- موقع ويكيبيديا.
- مجلة العربي الكويتيّة.

■ مريم بن (1347هـ - 1928م/1422هـ - 2001م)

مريم بن هي مناضلة وكاتبة وروائيّة وفنانة، اسمها الحقيقي مارليز بن حاييم، ولدت في 10 أكتوبر 1928 في باب الواد بمدينة الجزائر العاصمة، وتنحدر من قبيلة بن موشي، اعتنقت الدّيانة اليهوديّة بقسنطينة، أجدادها من الأب أوّل من غادر قسنطينة خلال احتلال (المسيحيين) للمدينة، وكان أجدادها من أمها من الذين طردتهم إيزابيل المعروفة باسم الكاثوليكيّة من مملكة قشتالة قد جلبوا الموسيقى الأندلسيّة إلى العاصمة الجزائريّة، فأمها من عائلة سطورا، من يهود عرب الأندلس، تنحدر من عائلة موسيقيين من الأندلس ميجوراتشيم الذي كان سلفه موسى بن ميمون.

عندما ولدت مارليز، أرادتها جدتها أن تحمل اسم مريم أو لويزا. رفضت الإدارة الاستعماريّة ذلك وكتبتها "مارليز"، لكن صارت تنادى بعد بذلك (مريم).

عاشت طفولتها وشبابها وسط حضارة العرب. وتربت في أسرة تتحدّث العربيّة والفرنسيّة، يهوديّة لكنّها لم تكن متدينة، فلم تكن تعرف (مريم) أنها يهوديّة إلا في سنّ السّابع عشر، كان أبوها يعمل في بدايّة أمره مترجما، ثم صار محاسبا قانونيا دون أن تكون له شهادة في ذلك، ومما عزز مكانته عند السّلطات الفرنسيّة تأديته للخدمة العسكريّة مع الزّواف خلال حرب عام 1914، وقد خابت آمالها عند دخولها المدرسة الفرنسيّة بحي باب الواد، عندما اكتشفت عنصريّة الفرنسيين وعدم انسجام المجتمع الكولونيالي بخبثه ونفاقه، بعد المرحلة الابتدائيّة تابعت مريم بن تعليمها الثّانوي بثانويّة (فرومنتان) بين سنة 1940 و1947 . وقد خضعت عام 1941 لتطبيق قانون (فيشي) الذي ألغى مرسوم كريمو في القرن التاسع عشر، مما حرم اليهود الجزائريين من الجنسيّة، ففصلت من الثّانويّة مع ثلاث فتيات أخريات في المدرسة الثّانويّة بسبب ديانتهم اليهوديّة وبقيت أياما تعاني المرض. درست لفترة وجيزة في مدرسة يهوديّة سنة 1943، لكنها أكملت تعليمها في المنزل بسبب معارضة والدّها للصهيونيّة، حيث كانت المدرسة تحث اليهود على الهجرة.

في هذه الظروف العصيبة عبرت عن ميولها الفنيّة نحو الموسيقى، وكانت (مارليز بنهايم) تعزف على البيانو بصحبة صديقة طفولتها ماري سوسان التي ستتزوج رجل المسرح رشيد قسنطيني وستكون موسيقيّة، وقد استاءت والدّتها لهذه الرغبة وعارضتها، وبعد نزول جنود التحالف إلى الجزائر رجعت مريم بن إلى الثّانويّة من جديد لتكمل دراستها. ثم واصلت تدريبها كمعلمة، بينما كانت تواصل دراستها في الفلسفة في جامعة الجزائر.

تغير منظور ميريام بن بعد عام 1943، وأصبحت مدافعة قويّة عن حقوق ما يسمى بالسّكان الأصليين الفقراء. بينما كان أصدقاؤها وأقاربها جميعًا مسجلين في الجيش الفرنسي، اختارت ميريام بن البقاء في الجزائر، وفي هذه الفترة انخرطت في صفوف الشّبيبة الراديكاليّة، التي يسميها الجميع بالشّباب الشّيوعي، ووجدت نفسها عام 1954 ضمن الشّباب المناضلين والمناصرين لاستقلال الجزائر. التقيت سنة 1945 بكاتب ياسين والمناضل هنري مايو وفرناند إيفتون الأوربي الوحيد

الذي نفذ فيه حكم الاعدام عام 1957 بسبب مساندته وانتمائه لجبهة التّحرير الوطني.

كانت "مريم بن" خلال دراستها بالجامعة، تعمل كمدرسة في العديد من القرى، وفي أيام العطل كانت تتدرب على العمل الصّحفي في جريدة الحزب الشّيوعي "الجزائر – الجمهوريّة". ساعدت طلابها الفقراء في الحصول على الأحذيّة والملابس حتى يتمكنوا من الذهاب إلى الدّراسة، وفي مقابلة نشرت في أوائل الثّمانينيات، أوضحت معنى التدريس في الجزائر فقالت: " جيلنا من المعلمين الشّباب، كانت مهنتنا لا تنفصل عن نضال الشّعب الجزائري ضد الظلم"، لقد حددت هي وزملاؤها لأنفسهم هدفًا يتمثل في توعيّة طلابهم المسلمين بوعيهم السّياسي وتشجيعهم على فهم تاريخهم.

شاركت سنة 1953 بصفتها شيوعيّة في المؤتمر الطّلابي في بوخارست. وخلال صائفة 1956، طاردتها قوات الأمن الفرنسي بتهمة العمل مع المجاهدين، دخلت في العمل السّري بعد الحكم عليها غيابيا بعشرين سنة سجنا مع الأعمال الشّاقة. وعاشت في السّريّة التامة إلى غايّة استقلال الجزائر. وغادرت عائلة مريم بن الجزائر اتجاه مرسيليا لكن مريم رفضت الرحيل مع عائلتها واختارت البقاء في الجزائر لتشارك في وضع أسس التربيّة الوطنيّة، في البدايّة عملت أستاذة مطبقة بمدرسة بوزريعة للأساتذة ثم مستشارة تربويّة. غير أن ظروفها الصّحيّة لم تسمح لها بمواصلة عملها، فطلبت عام 1964 عطلة مرضيّة طويلة المدى لتعالج في فرنسا من مرض الربو (1964 – 1974). خلال هذه الفترة بدأت الكتابة والرسم وناقشت رسالة الدّكتوراه بجامعة السّوربون. في عام 1967 قرأ مسرحيتها (ليلى) المسرحي الكبير (حمد بوديا). ونشت العديد من قصصها في مجلات مختلفة منها – مجلة "الأزمنة الحديثة "التي كان يديرها "جون بول سارتر. ".

عادت إلى الجزائر عام 1974 ودرست في الجامعة المركزيّة إلى غايّة تقاعدها عام 1986، وتولت إدارة قسم التدريب على اللغة والعلوم الإنسانيّة في معهد بومرداس للمواد الهيدروكربونيّة. أقامت بمدينة بومرداس. وناضلت في صفوف حزب الطّليعة الاشتراكيّة، واعتقلت وأطلق سراحها عام 1988 بعد أحداث 5 أكتوبر. رحلت إلى فرنسا عام 1990 حيث واصلت الكتابة ورسم اللوحات.

نتاجها الأدبي:

تركت (مريم بن) عدة مؤلفات أدبيّة منها:

– الشّمس المقتولة (شعر) 2002؛

– على مفترق التضحيات (شعر) 2000؛

– عند تزوير الكروت (مذكرات) 2000؛

– صابرينا، لقد سرقوا حياتك، 1992 (روايّة)؛

– في طريق خطواتنا 1984 (شعر)؛

– روح صابرينا 2001 (قصة)؛

أثارت روايتها " صابرينا، لقد سرقوا حياتك" الجدل في الجزائر بسبب إدانتها لتقليد الأسرة الذي يثقل كاهل زوجين شابين.

غادرت الحياة يوم 30 نوفمبر 2001 ودفنت في الجزائر رغبة منها وتلبيّة لوصيتها.

رابح دوب

المصادر:

– عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015؛

– René Gallissot :KREA Henri nom de plume de CACHIN Henri maitron. fr.

مريم بنت عبد العزيز (عبد العزيز) (1356هـ - 1937م/1376هـ - 1957م)

شهيدة من شهداء الثّورة التّحريريّة الجزائريّة المباركة، وهي من بني يزگن بميزاب، نشأت مريم عبد العزيز بين أحضان عائلتها التي انتقلت للإقامة بالجزائر العاصمة، وكانت وضعيتها الماديّة بعد الأزمة الاقتصاديّة العالميّة قد ازدادت سوءًا كحال السّواد الأعظم من الأسر الجزائريّة، ونظرا لتلك الظروف العسيرة انقطعت مريم عن الدراسة لما بلغت الشّهادة الابتدائيّة، والتّحقت بمدرسة (بيجي/ bigi) الخاصة بتعليم الضّرب على الآلة الرّاقنة، وعندما تحصلت على الشّهادة فيها صارت تنتقل بين المؤسسات والإدارات الاستعماريّة علّها تجد عملا



تُعين به عائلتها الفقيرة، وكانت تُواجَه بالرفض التّام لكونها جزائريّة، فالتّحقت بمدرسة الممرضات وهي عيادة الصليب الأحمر لصاحبتها الآنسة (لونك/ lonk) الأوربيّة، بحي (salembier) سابقًا، (المدنيّة) حالياً، أين تحصلت على شهادة ممرضة.

ثم حولتها الآنسة (لونك) إلى عيادة (فيردان/ ver daine)، إيديير عيسات حالياً، أين باشرت عملها بجد ونشاط، يحذوها أمل كبير مثلما كانت آمال كل الوطنيين الأحرار، ثم انتقلت بعد ذلك إلى المستشفى الجامعي الكبير، ثم إلى مستشفى القطّار الذي بقيت فيه ثلاث سنواتباشرت مهمّتها في المستشفى الجامعي بالجزائر العاصمة، ثمّ في مستشفى القطّار.

عملها الثّوري قبل التّحاقها بصفوف جيش التّحرير الوطني:

ذكر والدها في شهادات حيّة عن نضال مريم ومساهماتها قبل التّحاقها بالعمل الثّوري المسلح: أنها طلبت من والدها أثناء فترة تربصها بعيادة (فيردان) أن يشتري لها آلة راقنة، كي تواصل تدريبها عليها في المنزل، فأصبحت تشتغل كل أوقات فراغها في كتابة الوثائق بالآلة الراقنة مدّعيّة لعائلتها أنّ تلك الوثائق للزملاء الذين يشتغلون معها في المستشفى.

وكانت تتأخر من حين إلى آخر عن الدخول إلى المنزل في المساء، وتدّعي لعائلتها أنها تخلفت في الشّغل أو زارت إحدى صديقاتها، ومع تكرار تغيّبها وتأخر دخولها إلى المنزل، بدأ الشّك يتسرب إلى نفوس أفراد عائلتها، وكانت تأخذ من المنزل المرّة تلو المرّة كميّة من المواد الغذائيّة، وتزعم أنها ستذهب بها إلى مرضى مستشفى القطّار من المساكين.

وبعد اندلاع ثورة التّحرير 1954 وطدت مريم اتصالاتها مع إخوانها المجاهدين، إذ مما لفت انتباه عائلة مريم إلى تصرّفاتها الغريبة هو أنها قامت في أواخر عام 1955، بتوزيع نسخ من صورتها على كل أفراد عائلتها، ثم جمعت ثيابها في حقيبة مدّعيّة أنها ستبقى مدة في المستشفى للمناوبة، ولكن الذي أدهش والديها هو ابتياعها كنزة صوفيّة (بيلوفير) وصبغ معطفها الأحمر بلون مُغاير.

التّحاقها بصفوف جيش التّحرير الوطني:

عندما تغيبت مريم عن المنزل يومين كاملين، انتاب عائلتها القلق والخوف رغم اطلاعها إياهم على غيابها عن المنزل بضعة أيّام، وفي اليوم الثّالث من تغيّبها أسرع والدها إلى مقر عملها واستفسر عنها مسؤول المستشفى الذي ردّ عليه بأنها تغيبت عن العمل خلال اليومين المذكورين.

بخير، وبذلك تأكد لعائلتها بأنها قد حققت حلمها الغالي المتمثّل في الالتّحاق بإخوانها المجاهدين من جهة ومشاركتها في مواجهة جنود العدوّ في الميدان من جهة أخرى.

شهادات رفقاء الشّهيدة في السّلاح:

تقول المجاهدة زهيّة مباركة تتحدث عن الظروف التي عرفت فيها مريم عبد العزيز قبل أن تلتحق بالعمل المسلح وبعد التّحاقها تقول: "لقد تعرّفت على الأخت مريم عبد العزيز في فترة تربصي بمستشفى القطّار، وكانت مريم تعمل فيه ممرضة آنذاك، وفي نوفمبر 1956 التّحقت بصفوف جيش التّحرير، فأرسلتني الثّورة مباشرة إلى ناحيّة المنطقة الأولى وهناك فوجئت بوجود الأخت مريم عبد العزيز التي سعدت أيما سعادة بلقائها، إذ لم يخطر ببالي إطلاقًا أن أجدها أمامي حيث لم يسبق لي أن عرفت أنها تنتمي إلى صفوف المجاهدين في جبهة التّحرير الوطني، وكما علمت منها فيما بعد أنها التّحقت بصفوف جيش التّحرير في جانفي 1957".

وتقول الآنسة زهور كاوُوش: "لقد التّقيت بالأخت مريم عبد العزيز بالناحيّة الأولى المنطقة الأولى من الولايّة الأولى أي (ببرهوم) (بالحضنة) وذلك على إثر اجتماع مؤتمر الصومام حيث كُنّا في استقبال بعض قادة الثّورة العائدين من منطقة الصومام، وقد افترقنا بعد ذلك التّجمع التّاريخي حيث ذهبت كل ممرضتين اثنتين إلى المنطقة الخاصة بهما، وكانت (مريم عبد العزيز) و(فتيحة إراتني) مكلفتين بمنطقة (مسيلة)، وكانتا عبارة عن شُعلة من النشاط، فهما بجانب القيام بمهمّة العلاج، تشاركان إخوانهما المجاهدين في العمليات العسكريّة، وتعالجان المدنيين، بحيث شاركتا في عدة اشتباكات ضدّ قوات العدو في ناحيّة المسيلة".

حادثة استشهادها:

يقول الأستاذ المجاهد الدكتور عبد الرحمن بوضياف عن واقعة استشهادها ما يأتي:

"في مطلع فيفري 1957 كلّفت قيادة ناحيّة المسيلة الأختين (مريم عبد العزيز) و(فتيحة إراتني) بالقيام بمهمّة، فتوجهتا في الحال رفقة الشّهيدين الهاشمي وبوضياف الصديق، من جبل المعاضيد إلى الحُضنة في (هضبة الحدرة) وبالتّحديد (دوّار بوحماد) بالولاّية الأولى، وفي 26 فيفري من نفس السّنة وقع اشتباك بين مجموعة (مريم) وقوات العدو بالدوار المذكور، وقد دام هذا الاشتباك عدة ساعات، سقط فيها عدد كبير من جنود العدو، واستشهد الأخ الهاشمي والأخت (فتيحة إراتني)، وأصيبت الأخت عبد العزيز مريم بجروح خطيرة، وقد أسرها العدوّ ثم نقلها إلى مستشفى سطيف، وتوفيت فيه متأثرة بجروحها وهي معتزة بإيمانها الراسخ في تخليص الوطن من براثن الاستعمار الفرنسي".

قالتّ الشّهيدة مريم لأبيها في مستشفى سطيف قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة:

"إن جروحي يا أبي لم تؤثّر عليَّ كثيرا، ولكن الشّيء الذي آلمني وصرت أشعر من جرائه أن جسدي يتقطع إربًا إربًا هي الضربات العنيفة التي أنزلها جنود العدو على رأسي بأخمص البندقيات".

وقد نقلت رفاتها إلى مقبرة سيدي بنور للإباضيّة بأعالي باب الواد بالجزائر العاصمة، وتخليداً لذكراها سمي جناح المستشفى بني مسوس باسمها، وسمي نهج (فِيي/ feuillet) بباب الواد، باسمها بالعاصمة.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

مصادر:

- حمو عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار البعث قسنطينة، ج4.
- معجم أعلام الإباضيّة، نشر جمعيّة التّراث، المطبعة العربيّة غردايّة، ط1، 1999، ج4.
- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، م. و. ك الجزائر، ط2، 1991.
- محمّد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وتورثها المباركة، المطبعة العربيّة، ط1، 1971، ج2.
- مجلة 1 نوفمبر، وزارة الثّقافة، الجزائر، عدد 69، سنة 1984.

■ مريم بوعتورة
(1404هـ - 1983م/1380هـ - 1960م)

مريم بوعتورة مناضلة وشهيدة من شهداء الثّورة التّحريريّة، ولدت البطلة الشّهيد (مريم بوعتورة) في 17 من شهر جانفي سنة 1938، بمدينة نگاوس ولايّة باتنة، نشأت في ميسورة الحال، فقد كان أبوها (عبد القادر) يملك مزرعة فيها كثير من الأغنام والأبقار والخيول، وكانت أمها ((يمين)" تقوم على شؤونها هي وإخوتها السّتة: ليلى، وحوريّة، وجانينة، ونور الدّين، وصلاح الدّين، ومحمّد العيد، وكانت "مريم" أحب إخوتها إلى أبيها.

بدأت مريم دراستها بين أحضان الكتّاب، حيث عانقت اللوح وتلطخت بالصّمغ، وحفظت ما تيسر لها أن تحفظ من سور القرآن الكريم، وتعلمت الكتابة والقراءة، ثم التحقت بالمدرسة الابتدائيّة بمنطقتها، وقد كان أبوها حريصا على تعليمها هي وإخوتها، فكانوا كلهم محبين للعلم، مثابرين عليه، وهو ما كلل بعد ذلك بنجاحهم، فقرر الأب أن يغير مقرّ إقامته ليقترب من مقرّ تعليمهم، فأخذ أسرته إلى مدينة سطيف، وكان سنّ الشّهيدة البطلة آنذلك عشر سنين.

استطاع الأب أن يؤمّن لأبنائه مصدر رزق في سطيف، حيث فتح محلا لبيع الملابس، وصار بعد ذلك من أثرياء المدينة، وأسكن عائلته بأحد أحياء سطيف الراقيّة، في حي يسمى شومينو، وهناك زاولت الشّهيدة البطلة دراستها الثّانويّة، في ثانويّة يوجين ألبيرتيني (محمّد كرواني حاليا)، واستطاعت في هذه الثّانويّة أن تنافس أقرانها من الفرنسيين، وأن تتخرج منها بنجاح باهر.

كانت الشّهيدة الشّابة في ذلك الوقت تزداد جمالا واكتمالا، وصارت أعين المعجبين تلاحقها، وتلميحات الخطّاب تصل إليها وإلى عائلتها، فألحّت عليها أمّها أن تتزوج وتستقرّ، لكنّها كانت ترفض بإصرار وحزم، فقد كانت الشّهيدة البطلة تنتظر خاطبا لا يردّ، ولا يمكن أن يضاهيه أحد، وهو "الوطن"، كانت الشّهيدة



البطلة تريد أن تزّف شهيدة تسمع زغردات جميع الحرائر من النّساء وتكبيرات جميع الأحرار من الرجال، فكانت الشّهيدة ترد على أمّها بقولها: " لن أتزوج... سأنضم إلى ثورة التّحرير... وأدافع عن بلدي".

تأثّرت الشّهيدة البطلة في ذلك الوقت بعدة مناضلين، أسهموا في تشكيل وعيها، وانفتاح بصيرتها الوطنيّة، منهم: محمّد الصّديق بن يحيى، عبد السّلام بلعيد، كاتب ياسين، أحمد طالب الإبراهيمي، بشير بومعزة، عبد المالك بن حبيلس، عبد المجيد علاهم، وغيرهم، كما تعلقت بالأفكار التي كانت تنشرها حركة انتصار الحريات الدّيموقراطيّة، وأحباب البيان وغيرهما.

وفي شهر ديسمبر 1956 التحقت بصفوف المجاهدين، وكانت منذ اندلاع الثّورة تعمل على التوعيّة بها بين صفوف الطّالبات، لكنّ إضراب الطّلبة في 19 ماي 1956 كان الحدث الفاصل في عزمها على اللحاق بالثّورة وترك مقاعد الدّراسة، ومما حفزها في ذلك التحاق أخيها محمّد العيد في جبال الأوراس، وكذلك خالها الدّراجي الذي كان طبيب جيش التّحرير الوطني، فأصرّت على خالها أن يأخذها معه إلى الجبال حتى تكون مساعدة له في مهمة العلاج والتمريض، فكان لها ما أرادت.

وقد استقرت بعض الوقت في مستشفى الولايّة الثّانيّة بمنطقة (وادي الزّهور)، حيث كانت تعالج المرضى وتضمد الجراح إلى جانب الأخوين المجاهدين الدّكتور (الأمين خان) والممرض (عبد القادر بوشريط)، وعدد من الأخوات المجاهدات من بينهن (فاطمة طرودي) و(عائشة قنيفي) و(فطيمة بن عجيلة) و(مسيكة بن زيزة) و(لويزة) من مدينة سكيكدة و(حوريّة مصطفاوي) و(خضرة بلامي) و(فاطمة بن سمر) و(خيرة وزبيدة زروقي) و(مايسة) والشّهيدة (مليكة خرشي).

وهناك في وادي الزّهور أخذت دروسا في التمريض والإرشاد والتوجيه من قبل الدّكتور (خان) وغيره.

وبعد أنْ تمكّنت من قواعد التمريض تحت إشراف الدّكتور خان، أُسنِدت لها مسؤوليّة تسيير منزل سرّي لاستقبال جرحى جيش التّحرير بناحيّة القلّ في المنطقة الثّالثّة.

لما تشكلت المنطقة الخامسة عينت عضوا فيها داخل مدينة قسنطينة.

اتصلت ببعض المجاهدين المسؤولين عن النّظام بقسنطينة منهم: البشير بورغود، محمّد كشود، الشّهيد حملاوي، وهذه الجماعة وغيرها من المجاهدين كانت تنشط كثيرا بأحياء قسنطينة، فإلى جانب جمع الأموال والأدويّة كانت الجماعة تقوم بتنظيم العمل الفدائي الذي كان يستهدف الخونة وغلاة الاستعمار بقيادة حملاوي.

لما اكتشف العدو مكان تواجدهم، بعد نجاة أحد الخونة من محاولة قتل نفذها المجاهدون وكان قد عرف أسماءهم وأشخاصهم، فبلغ السّلطات الاستعماريّة، فحاصرتهم بالمدافع وأسقطت عليهم عشرات القنابل فأصيبت "مريم بوعتورة" بجروح بليغة سقطت على إثرها شهيدة رفقة حملاوي. وكان ذلك في في 08 جوان 1958.

قبل أن تفارق الحياة وتسقط شهيدة في ميدان الشّرف كانت ترفع عقيرتها مدويّة في كل مكان: (تحيا الجزائر ويسقط الاستعمار).

وهكذا ختمت سجل حياتها بالشّهادة، ليسجل اسمها في سجل الخالدّين مع الشّهداء والأنبياء والصّديقين.

بعد استرجاع الاستقلال الوطني صار اسم (مريم بوعتورة) يقرأ في كل مكان: لافتات على المؤسسات التربويّة والشّوارع الفسيحة والمراكز الصّحيّة، يذكر اسمها في كل مناسبة ويضرب بها المثل في الشّهامة والكرامة والبطولة والفدى، لتكون عبرة وقدوة لبنات الجزائر على مدى الأجيال والقرون.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015؛

عبد المالك بورزام: عذراء الأوراس والجلاد، الشّهيدة مريم بوعتورة، من التمريض بالجبال إلى حرب الشّوارع والمدن بالشّمال، دار النّعمان للنشر والطّباعة والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.

■ مريم سعدان
(1350هـ - 1932م/1377هـ - 1958م)

مريم سعدان، فتاة جزائريّة متعلمة ممرّضة ناضلت وجاهدت واستشهدت في الثّورة ولدت سنة 1932 بقريّة "واد الماء" بلدة مروانة ولايّة باتنة حاليا.

ضربت في الأرض صبيّة، قبل استقرارها رفقة الأسرة تارة وطلبا للعلم والعمل تارة أخرى، اختارت "سيرتا" الصّامدة ميدان جهادها وبين أسوارها محط استشهادها، اختارت سبيل الشّهيد وللشهيد غايتان "نيل المنى أونيل الشّهادتين".

كانت واحدة من بنات جلدتها وجيلها اللائي فسحت لهن الثّورة الآفاق ورفعت بسواعدهن العلم الوطني خفّاقا، فرحن بمعيّة أخيهن الرّجل يمارسن العمل الثّوري ويشاطرنه أعباء الكفاح، ولم تتردّد ابنة الجزائر أن تضحي بزهرة شبابها وسحر جمالها ووردية أحلامها، لأجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة، ويعيش شعبها سيدا كريما، فلم يبارح قلبها الحلم طوال سنوات الثّورة في أن ترى الجزائر ذات يوم تنعم بنعم الحريّة وأنوار الكرامة، فظلت خلال النّصف الأول من سنوات الثّورة جذوة محرقة في جسم العدو ونبراسا نيّرا في طريق الثّورة.

إنها البطلة الشّهيدة مرين سعدان، التي ولدت ببلديّة "وادي الماء" دائرة "مروانة" ولايّة باتنة يوم 14 يوليو-جويليّة 1932، من أب اسمه محمّد الصّالح سعدان بن العربي محاميا، وأم اسمها خديجة شطاب. ثم انتقلت إلى عين مليلة مع عائلتها التي لم تقم فيها إلا أربع سنوات، وغادرتها بسبب حادثة وقعت لوالدّها المحامي، مع قاضي محكمة عين مليلة الذي أصدر حكما جائرا في حق بعض القصر، فاعتزل مهنة المحاماة وانتقل إلى قصر البخاري، وهناك تولى التّدريس بمدرسة أهليّة تابعة لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وظل هناك إلى أن اختطفته يد المنون عام 1940م.

فغادرت العائلة المكونة من أم لثلاث بنات مدينة قصر البخاري في اتجاه بلدة "الحروش" ضواحي مدينة قسنطينة، وهناك التّحقت مريم بإحدى المدارس النّظاميّة (Vrin) بشارع جورج كليمنصو، فأظهرت تفوقا في التّحصيل والاستيعاب، ثم انتقلت إلى المدرسة العصريّة للبنات "الأختين فضيلة ومريم سعدان" حاليا، مما جعلها تجتاز المرحلة الإبتدائيّة بنجاح، ثم انتقلت إلى مدينة قسنطينة لمتابعة دراستها المتوسطة التي توجتها في عام 1949م بحصولها على الشّهادة الأهليّة "Brevet "، وبعدها فضلت الشّهيدة الالتّحاق بمدرسة التّمريض في المدينة فتخرجت منها عام 1951م بدبلوم الدّولة في التّمريض العام، وتم تعيينها مباشرة في سنة 1953م ممرضة بمستشفى قسنطينة.

هذا كل ما يتعلق بمسيرة "مريم" الطّفلة والتّلميذة النّاجحة في دراستها حسب ما كانت تسمح به الإدارة الاستعماريّة.

أما عن "مريم" المناضلة والثّائرة في وجه مخططات العدو الاستعماري وآلياته الجهنميّة، فإننا ما زلنا حتى الآن لا نعرف شيئا عن كيفيّة انخراطها في صفوف جبهة التّحرير الوطني.

غير أنه من المرجح أن تكون قد بدأت النّشاط الثّوري مع بدايّة الثّورة المسلحة، وقد يكون قبل ذلك أو بعده بقليل، وحسب ما أكدته أخت الشّهيدة السّيدة عزيزة سعدان (بلهايس) أنها التّحقت بصفوف الثّورة سنة 1955، لأن مريم المثقفة والمنحدرة من عائلة يمارس جل أفرادها العمل السّياسي لا يمكن أن تكون بمعزل عن تلك التّأثيرات، فوالدّها رجل بارز من رجالات جمعيّة العلماء المسلمين، وعمّها الدّكتور سعدان الذي يرتبط اسمه اليوم بأحد شوارع العاصمة وبثانويّة في بسكرة، وبمؤسسات صحيّة وتربويّة أخرى رجل سياسة ونضال، أختها فضيلة التي تصغرها بست سنوات بدأت النّشاط السّياسي في 1956، وربما ماتت قبل ذلك لأن المؤكد لدينا أن فضيلة حبست بسجن (الكديّة) في نوفمبر 1956، بيد أننا لا نعرف عن نشاطات الشّهيدة مريم سوى أنها كانت في غضون عام 1956 مناضلة في صفوف النّقابة، تقوم بتوعيّة العمال وبشحذ هممهم رفقة إخوان لها في النّضال كـ"مصطفى خلف الله"، "أحمد بن منقودة" و"رمضان حركاتي" (رئيس

الخليّة) وظلت الفتاة المناضلة على تلك الوتيرة من العمل النّشيط حتى التّقطت آذان الاستعمار نبأ نضالها، فتم القبض عليها في جانفي 1958 وزج بها في مركز الاستنطاق والتّعذيب الكائن بحي "مزيان" (بودراع صالح حاليا)، وقد مكثت به مدة أسبوعين، حولت بعده إلى مركز آخر أكثر منه قسوة وهمجيّة في التّعذيب بـ(حامة بوزيان)، وهناك تعرضت لكل ألوان التّعذيب النّفسي والجسدي على يد رجال المظليين التّابعين للسفاح "بيجار"، حتى إذا كان آخر شهر شباط-فيفري من العام نفسه أخلي سبيلها فعادت إلى عملها الأول بالمستشفى، ولم تزدها أساليب التّعذيب التي ابتكرها الجلادون الفرنسيون إلا عزما وتصميما على مواصلة الدّرب ومضاعفة الجهد من أجل تقديم أكبر قدر ممكن من الخدمات إلى الثّورة المسلحة ... وهكذا فقد كثفت من نشاطها وجعلت شغلها الشّاغل: إسعاف معطوبي الحرب وعلاج عائلات الشّهداء والمجاهدين، وتزويد الثّورة بالأدويّة اللازمة ثم التّرويج لها في وسط العمال.

ألقي عليها القبض يوم 20 ماي 1958 للمرة الثّانيّة مع مجموعة من العاملين معها بمستشفى قسنطينة، ويرجع سبب هذا الاعتقال المفاجئ الذي تعرّضت له خليّة الشّهيدة في المستشفى إلى سقوط المناضل "بن خباب عمر" شهيدا إثر كمين نُصب له، وكان مكلفا بالاتصالات الدّاخليّة والخارجيّة مع نظام الثّورة، وبحوزته مجموعة من الرّسائل الخاصة بالتّنظيم، وقد استولى عليها جنود العدو وتمكنوا من اكتشاف السّلسلة فقامت السّلطات الاستعماريّة مباشرة بإلقاء القبض على المجموعة وأودع جميع عناصرها في مركز الاستنطاق بحي "مزيان" ثم نقلوا إلى مركز "حامة بوزيان" الجهنمي، حيث سلطت عليهم كل أشكال التّعذيب وفنون التّنكيل من قبل جنود السّفاح بيجار، وأدى ذلك إلى سقوط الكثير منهم شهداء تحت رحمة سوط أولئك الجلادين، فكان يوم 22 جوان 1958 هو اليوم الذي لفظت فيه المجاهدة أنفاسها الأخيرة شهيدة على مذبح الحريّة والانعتاق، تاركة وراءها صرخة مدويّة ظلت ترن في آذان الثّوار حتى انجلت جحافل الظّلام، وسطعت شمس الحريّة على ربوع هذه الأرض الأبيّة، التي رُويت بدماء الشّهداء الزّكيّة، واضيف اسم مريم إلى قائمة قوافل الشّهيدات الجزائريات اللائي ما يزلن يُضرب بهن المثل في البطولة والشّجاعة والفداء. وهي تنام الآن في مكان مجهول لا أحد يعرف عنه شيء.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

مسعود العيد
(4413هـ - 1926م/1419هـ - 1999م)

مسعود العيد، أستاذ جامعي ومؤرّخ جزائري، ولد سنة 1926 ببلدة أولاد جلال ولايّة بسكرة جنوب شرق الجزائر، ينحدر من أسرة متوسطة الحال، تعمل بالتّجارة والفلاحة، تعود أصولها إلى عشيرة الغول بقريّة "الدّيس"، دائرة بوسعادة وبذلك يكون الأستاذ "العيد مسعود" ذا قرابة بالشّيخ "عبد الرّحمن الدّيس" صاحب الآثار العلميّة المشهورة، وكذا بالعالم الجليل الشّيخ "الحفناوي" صاحب كتاب "تعريف الخلف برجال السّلف" إذ ينحدر كل منهما من "عشيرة الغول" ببلدة "الدّيس".

بدأ دراسته بمسقط رأسه أولاد جلال، فكان يقرأ القرآن الكريم في كتاتيب القريّة وفي الوقت نفسه كان يتابع دراسته بالمدرسة الفرنسيّة.

التّحق بمدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين بقسنطينة في عام 1937م، وبعد تخرجه من مدرسة التّربيّة والتّعليم التي قضى بها ثلاث سنوات 1940م، وبعد وفاة الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" انتقل إلى مدينة تبسة لمتابعة تعليمه على يد الشّيخ "العربي التّبسي" وغيره من شيوخ جمعيّة العلماء.

بعد عام من الدّراسة في تبسة عاد الأستاذ "مسعود العيد" إلى مسقط رأسه لمشاركة أسرته في عملها بالفلاحة والتّجارة، إلا أن هاجس العلم عاوده، فحنّ من جديد للدراسة وتأكد أن تعلقه بالعلم والسّياسة أكبر من العمل بالتّجارة والفلاحة، فقرر القيام برحلة نحو المشرق.

توجه في سنة 1944م إلى تونس، حيث درس بجامع الزّيتونة مدّة سنة، وكان طموحه أكبر من الدّراسة بالزّيتونة، فعقد العزم على مواصلة رحلته إلى القاهرة، فدخل جامع الأزهر وحصل على شهادة ليسانس في أصول الدّين عام 1953م.

كما حصل على شهادة الدّيبلوم العالي في كليّة اللغة العربيّة سنة 1956، ثم حاز على دبلوم في التّرجمة من الفرنسيّة إلى العربيّة عام 1959 من نفس الكليّة.

ثم حاز على ديبلوم في التّاريخ والجغرافيا من معهد البحوث والدّراسات العربيّة في عام 1964م، وانتهى به المطاف في عالم الشّهادات إلى حصوله على شهادة الماجستير في التّاريخ العثماني بإمتياز من جامعة القاهرة سنة 1975م.

كان الأستاذ "العيد مسعود" من مؤسسي اتحاد طلبة شمال إفريقيا بالقاهرة سنة 1948 وأمين الصّندوق بمجلس إدارة الإتحاد وكذا المشرف على نادي الإتحاد بشارع الشّواربي، حيث كانت الوظيفة الأساسيّة لهذا الإتحاد هي جمع شمل الطّلبة الجزائريين في المناسبات الرّسميّة في مصر. بعد تخرجه من الجامعات المصريّة

بشهادات عليا مارس الأستاذ "العيد مسعود" التّعليم في عدد من الثّانويات بالمملكة العربيّة السّعوديّة في الفترة الممتدة بين سنة 1954-1958، وكان يواكب نشاطه التّعليمي نشاطا آخر سياسي، يتمثل في التّعريف بالقضيّة الجزائريّة والتّشهير بفضائح الاستعمار الفرنسي، وذلك من خلال المحاضرات التي كان يلقيها هناك.

طلب منه الأستاذ "إبراهيم مزهودي" - العضو البارز في أجهزة الحكومة المؤقتة- في صيف 1958 البقاء في القاهرة للمشاركة في تحرير كلمة الجزائر، التي كانت تبث من إذاعة صوت العرب من القاهرة، وقد رحب بالطّلب وشارك في تحرير كلمة الجزائر طيلة أكثر من سنة كما قام بنشاطات مختلفة في مجال الإعلام، وذلك في إطار وزارة الإعلام التي كان يرأسها السّيد "محمّد يزيد".

عاد الأستاذ "العيد" إلى أرض الوطن بعد الاستقلال مجندا نفسه للمساهمة في خدمة الحياة الثّقافيّة في الجزائر المستقلة، ولكفائته العلميّة والسّياسيّة قلدته الدّولة عدة مناصب هامة، منها:

- مدير المدرسة العليا للآداب بقسنطينة من 1967م إلى 1969م.
- عميد كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة من 1969م إلى 1972م.
- مدير معهد العلوم الاجتماعيّة من 1978 إلى 1979.
- مدير معهد العلوم الاجتماعيّة للمرة الثّانيّة من 1985م إلى 1991

كما عين سنة 1971 عضوا بلجنة الإصلاح الجامعي على مستوى وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، وفي السّنة نفسها عين عضوا في لجنة التّعريب.

في عام 1970م كلف بالسّفر إلى القاهرة لاختيار أحسن الأساتذة والتّعاقد معهم للتدريس بالجامعات الجزائريّة: (قسنطينة، الجزائر، وهران)، فعاد بأربعين أستاذا في مختلف التّخصصات، لعبوا الدّور الأكبر في عمليّة تعريب التّعليم العالي بالجزائر.

على الرّغم من توليه مناصب ومسؤوليات مختلفة في مجال التّعليم العالي، لم يتخل الأستاذ "العيد" عن مهنته الأساسيّة وهي التّعليم، فكوّن أجيالا من طلبة الليسانس وطلبة الماجستير في التّاريخ كما أشرف على العديد من الرّسائل الجامعيّة ومناقشتها في جامعتي قسنطينة والجزائر العاصمة.

تعاون مع ديوان المطبوعات الجامعيّة في تقييم عدد من المخطوطات المرشحة للطبع، ثم عين سنة 1978 بمرسوم وزاري عضوا بلجنة التّوجيه لهذا الدّيوان.

أسس سنة 1978 بالاشتراك مع الأستاذ "محمّد الصّالح مرمول" مجلة سيرتا بمعهد العلوم الاجتماعيّة بقسنطينة صدر منها عشرة أعداد في المرحلة الأولى قبل أن تتوقف سنة 1988م، وقد عادت إلى الظّهور سنة 1999، بعد انقطاع دام عشر سنوات.

مثل جامعة قسنطينة سنة 1983م في اتحاد الجامعات العربيّة وعين عضوا في لجنة تحرير كتاب "دراسات في المجتمع العربي".

لا يمكن بأي حال من الأحوال اختزال أعمال الشّيخ "العيد" في هذه الإنجازات، لأن إخلاصه في تكوين الأجيال ورفع مستوى التّعليم بجامعة قسنطينة، لا يمكن تقديره فما من طالب في التّاريخ إلا وكان الشّيخ "العيد" وراء نجاحه في السّلكين "التّدرج" و"ما بعد التّدرج"، حتى إننا لا نكاد نجد رسالة ماجستير أو دراسات معمقة أنجزت خلال الثّمانينات في معهد العلوم الاجتماعيّة بقسنطينة، إلا وبها إشارة تقدير وعرفان لهذا الرّجل على مساعداته، التي كان يقدمها للطالب الباحث.

وفي مطلع التّسعينات من القرن العشرين، بدأت حالة مترجمنا الصّحيّة والنّفسيّة تتدهور، فقدم طلب الاستقالة من مديريّة المعهد والإحالة على التّقاعد من التّدريس.

فأقام له معهد العلوم الاجتماعيّة الذي كان يرأسه الدّكتور عبد الكريم بوصفصاف حفلا تكريميا بجامعة قسنطينة في أواخر السّنة الجامعيّة 1992-1993م بمناسبة إحالته على المعاش، ألقيت فيه كلمات التّكريم والتّقدير للأستاذ على خدماته الجليلة في ميدان التّعليم والبحث العلمي في الجامعة.

وعلى الرّغم من الإمكانات المتواضعة ومعارضة الحسّاد فقد بذل السّيد مدير المعهد آنذاك الدّكتور "عبد الكريم بوصفصاف" جهدا معتبرا في تأليف كتاب بعنوان: " تفاني الرّجال في جلائل الأعمال- للأستاذ العيد مسعود سبعة وعشرون عاما في خدمة الجامعة"، وهو عبارة عن مقالات كتبها أساتذة جامعيون تكريما للأستاذ "العيد"، وهو كتاب مرقون لم يجد طريقه إلى النّشر حتى الآن.

بعد الإحالة على المعاش فضل الأستاذ "العيد مسعود" العودة إلى مسقط رأسه أولاد جلال لينعم بصفاء الجو والرّوح، ولم يكن يغادر بيته إلا نادرا، إلى أن وافته المنيّة في يوم الثّامن من آب- أوت سنة 1999، عن عمر يناهز الثّالثّة والسّبعين سنة (73 سنة).

من أهم خصاله: العفة والكرم والحلم والاعتزاز بالنّفس، وصفاء السّريرة والتّرفع عن مباهج الدّنيا ومغرياتها.

نتاجه الفكري:

- بحث بعنوان: "المجتمع الجزائري في العهد العثماني"، 1975م، وهو بحث قيم حصل به على شهادة الماجستير، تقرر تدريسه في برامج التّاريخ بالمؤسسات التّربويّة في السّبعينات والثّمانينات على الرّغم من أنه لم ينشر.
- مجموعة من الأبحاث المطولة، نشرت في الأعداد المختلفة لمجلة سيرتا.
- مجموعة من الدّراسات في جريدة الشّعب، 1966-1967م، منها:
- خطورة الإقطاع والبرجوازيّة على وحدة الفكر والسّلوك للشعب الجزائري.
- العربيّة والفرنسيّة في الميزان.
- فوضى المصطلحات في اللغة العربيّة.
- التّعريب ضرورة وطنيّة وقويمة.
- كما ألقى العديد من المحاضرات في مختلف المناسبات، منها:
- "الثّقافة العربيّة الإسلاميّة ماضيا وحاضرا"، ألقاها في كليّة الشّعب (المركز الثّقافي عبد الحميد بن باديس) بقسنطينة، سنة 1967م بمناسبة افتتاح الجامعة رسميا.

- "الشّيخ الخضر بن الحسين الطّولقي شيخ جامع الأزهر"، ألقيت بملتقى طولقة، سنة 1985م.
- "دور الزّوايا في الصّحراء خلال العهد العثماني"، ألقيت في ملتقى طولقة، سنة 1986م.
- "حركة التّعليم والتّأليف في ظل حكم صالح باي، والباي محمّد الكبير باي معسكر"، ألقيت في المركب الثّقافي محمّد العيد آل خليفة بقسنطينة، سنة 1986م.
- "جيجل قاعدة الفتوحات وقلعة المقاومة"، ألقيت في جيجل، سنة 1988م.
- "الفضيل الورتلاني ودوره في التّعريف بالقضيّة الجزائريّة في المشرق العربي"، ألقيت بدائرة بوقاعة ولايّة سطيف، سنة 1988م.
- "أحداث 20 أوت 1955، أسبابها ونتائجها"، ألقيت باسم جبهة التّحرير الوطني في مدينة سكيكدة.

رابح دوب

المصادر:
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.

مسعود بوجريو (سي مسعود)
(1348هـ - 1930م/1380هـ - 1961م)

المجاهد الشّهيد "مسعود بوجريو" المدعو "سي مسعود" القسنطيني ولد بمنطقة عين كرمة (بلديّة مسعود بوجريو حاليا) دائرة ابن زياد ولايّة قسنطينة، وهو الابن البكر لأبويه عمار بوجريو والزّهرة علواش.

لقد شاءت الأقدار أن يكون ميلاد هذا الشّهيد مصادفا للذكرى المائويّة (1930) لاغتصاب وطنه من طرف الغزاة الفرنسيين.

نشأ "بوجريو" على حبّ الوطن والشّجاعة لافتدائه، وهذا نتيجة لما كان يراه من تعسف وظلم من قبل الاستعمار الفرنسي، إذ لما بلغ الخامسة من عمره أُرغم أبوه على الرّحيل بأفراد العائلة من بلدته "عين كرمة" جرّاء المضايقات، التي أصبح يتعرض لها من قبل القوات الاستعماريّة، لينتقل إلى مدينة قسنطينة، حيث استقر في حي "سيدي مبروك".

وفي هذا الحي العتيق، دخل "مسعود" المدرسة وكلّه أمل في رؤيّة غد أفضل، غير أن سياسة التّجهيل التي اعتمدتها السّلطات الاستعماريّة ضد ابناء الجزائر حالتْ دون المبتغى، فَحُرم "مسعود بوجريو" كبقيّة ابناء وطنه المخلصين من مواصلة الدّراسة. إلا أن هذه السّياسة الاستعماريّة التي كانت تقوم على الإقصاء والتّشريد والتّجويع والحرمان في الجزائر، قد ولّدت لدى "مسعود بوجريو" أحاسيس فيّاضة بالعداء للمستعمر الفرنسي جعلت منه ذلك الرّجل الشّجاع الذي سار



منذ طفولته ضد التيار الإدماجي، الذي حاولت فرنسا أن تفرضه على الجزائريين.

وبتشجيع من والدّيه عمل على تدعيم تحصيله العلمي عن طريق الدّروس المسائيّة وعلى إثر مجازر 8 ماي 1945 الأليمة أيقن الطّفل الرّجل بأن الغزاة لا يفهمون سوى سياسة العصا الغليظة، التي ستجبرهم حتما على مغادرة الجزائر ذات يوم كما دخلوها وتركها مكرهين لأهلها.

وفي سنة 1946 انخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة كمناضل في الخليّة الأولى بحي سيدي مبروك، ثم أصبح مسؤولا فيها سنة 1948، وتضم أحياء (سيدي مبروك الأسفل والأعلى الصّنوبر، الكلم الرّابع، القماص، وجبل الوحش) وفي نفس الوقت كان يشرف على أفواج الكشافة الإسلاميّة بحي سيدي مبروك والمدينة القديمة وفي أفريل 1953 تم ترشيحه إلى الانتخابات البلديّة.

وفي ظل كل هذه التّفاعلات السّياسيّة والصّراع مع السّلطات الاستعماريّة زاد نشاط المناضل "مسعود بوجريو" فأصبح عضوا فعالا في صفوف اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل التي ظهرت في 23 مارس 1954 على إثر الخلاف السّياسي الذي وقع بين زعيم حزب انتصار الحريات الدّيمقراطيّة (مصالي الحاج) واللجنة المركزيّة للحزب، فكان من الرّعيل الأول. الذي شارك في إشعال فتيل الثّورة التّحريريّة المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954.

نتيجة لمعرفته الجيدة لمدينة قسنطينة ودرايته بأزقتها وخفاياها وشجاعته الفائقة فقد كان له الشّرف في أن كلفته الثّورة بإنشاء خلايا ثوريّة في مدينة قسنطينة والتّنسيق فيما بينها وبين ما هو خارج المدينة من تنظيمات بمساعدة إخوة له منهم (عواطي، مصطفى، زيغات، إسماعيل، عمر طلاعة، زعموش عمر المدعو "علي"... إلخ) وفي فترة وجيزة تم تنظيم المدينة وتقسيمها إلى إحدى عشر (11) قسما هي(سيدي مسيد، باب القنطرة، المنظر الجميل الأول، المنظر الجميل الثّاني، سان جان "بلوزداد"، المدينة القديمة، عوينة الفول، باردو، فوبور لامي "حي الأمير عبد القادر" حاليا، حي

مزيـان، وسـيدي مبروك). وفـي نفس الوقت تم تشـكيل خلايـا مـن الفدائيين تعمـل بدقة متناهيّـة تخضـع لنظام ثلاثي، بحيـث لا يزيد عـدد أفـراد الخليّة عـن ثلاثة أفراد (مسـؤول ومسـاعدان له). ويكون مسؤول الخليّة على علاقـة بمسـؤول أعلى وهـو بدوره مسـؤول على ثلاث خلايا وهكذا... هذا التّنظيم الذي أدخـل الرّعب والهلـع في نفـوس المعمرين وأتباعهم، فكانت البدايّة بمقتل مفتش شرطة الاسـتعلامات والعمليّة الفدائيّـة التي قام بها المجاهد "أحمد بن مزداد" المدعو "زينزن" في ماي 1955 بسينما الكازينو.

علـى إثر هذا التّصعيد في العمليات الفدائيّة ضـد المعمريـن ومصالحهم بمدينة قسـنطينة، وبعـد معرفـة السّـلطات الاسـتعماريّة بالرّأس المدبر لهـذه العمليات (مسـعود بوجريو) كان عليـه أن يغيـر المكان فأسـتقر به الحـال بجبل الوحش بمعيّة إخوان له من المجاهدين، حيث كان يسـتقبل هنـاك القائـد "زيغـود يوسـف"، وفـي هـذا المقـر الجديـد ركـزّ الجميـع علـى التّفكير في كيفيّة تحضير الضّربة التّاريخيّة ضد العدو الفرنسـي، والتي تمثلت فـي الهجومات الشّاملة والكاسـحة على مراكز العدو بالشّمال القسـنطيني يـوم 20 أوت 1955، وكان "سـي مسـعود القسنطيني "أحد المقربين من "زيغود يوسـف" الذيـن خططوا ونفـذوا هـذا الهجوم التّاريخي الذي أفقد العدو صوابه ودفع بالثّورة إلى نقطة اللاّرجوع.

لا شـك أن شـجاعة "مسـعود" وإقدامـه جعله يكسـب ثقة مسـؤوليّة واحتـرام زملائه فأسـندت إليه مهـام قيادته في أواخـر 1956، حيث أسـندت إليه مسـؤوليّة ناحيّة قسـنطينة (قسـنطينة الهريّـة، ابـن زيـاد، عيـن كرمـة) خلفـا لسـابقه السّـيد "صالـح بوبنيـدر" المدعو(صوت العرب)، ثم مسؤولا سياسيا بالمنطقة الثّانيّة من الولايّة الثّانيّة سـنة 1958، ونظرا لنشاطه المميز في تنظيم وتنفيذ العديد من العمليات العسـكريّة النّاجحة والمرجعة ضد قوات العدو ومصالحه أُسندت إليه قيادة المنطقة الخامسة (مدينة قسنطينة) من الولايّة الثّانيّة، وقبل استشهاده رقي إلى رتبة رائد في صفـوف جيـش التّحرير الوطنـي، حيث كان عضـوا بـارزا فـي الولايّـة الثّانيّة باعتبـاره قد جمع بين الصّفتين العسكريّة والسّياسيّة.

فـي 28 من شـهر أفريـل 1961، وبالمكان المسمى "الدّرادر مشتى تاغورة" دوار "الدّنايـرة" دائـرة " أم الطّـوب" ولايّـة سـكيكدة شاء القدر أن يكون هو آخر يوم في حياة البطل "مسعود القسنطيني" رفقة زميليه المجاهديـن "كمال" و"مباركـة لوصيف" المدعـوة "طيطومـة" بعد أن خـاض معركة ضاربـة ضد قوات الغزاة فـداءا لوطنه وحريّة شعبه.

هكـذا كان هـذا المجاهـد الشّـهيد الذي كّـرس حياته لخدمة وطنه وشـعبه، قد رفض الذل والاستكانة للاستعمار البغيض وخاض المعـارك الضّاربة ضـده وأصابـه بالضّربات الموجعـة فـي أكثـر من موقـع، حتـى أصبح بمثابة الشّبح الذي يطارد رجالاته العسكريين قبـل السّياسـيين في حلهـم وترحالهـم أينما كانـوا فراحـوا يصـدون فـي حقـه البيانـات والإعلانـات الكاذبة تارة بالإعدام (19 جوان 1956، 23 مـارس1957، 1959)وتـارة أخـرى بالوفاء (معركة سـطارة في أواخر شـهر ماي 1958)، فـكان رحمه الله في كل مرة يرد على هـذه الإدعاءات بتوجيه ضربات أكثر قوة تهز كيان العدو وتفقـده صوابه، إلى أن جاء اليوم الذي استشهد فيه البطل "مسعود".

وقـد كرّمتـه بلدتـه "عيـن كرمـة" بعـد الاسـتقلال، بإطـلاق اسـمه عليهـا منذ سـنة 1984.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

مسعود بوقادوم (سي الحواس)
(1328هـ - 1910م/1428هـ - 2007م)



مـن مواليـد 05 أكتوبـر 1910 بالحـروش، يعـد من الطّلبـة الأوائـل الذين التّحقـوا بركب الحركـة الوطنيّـة الثّوريّة، كان ذلـك في صائفة 1935 بباريـس، حيـث كان يتابـع دراسـته فـي مدرسـة الكهربـاء والميكانيـكا منـذ الموسـم الجامعـي 1933-1934، فقـد التّقـى يومئـذ بالمناضـل الكبيـر بلقاسـم راجـف العضـو القيـادي فـي حركـة (نجـم شـمال إفريقيـا) الـذي كان يسـعى آنـذاك لتجسـيد فكـرة انفتـاح الحركـة علـى عالـم الطّلبـة، فلاحـظ اسـتعداده فجنّـده علـى الفـور، كان الطّالـب يومئـذ مـا يـزال يشـعر بمـرارة المظلمـة التـي أفسـدت عليـه سـنته الثّانيّـة: لقـد رفضـت مصالـح الخدمـة العسـكريّة الإجباريّـة طلـب التّأجيـل مـرة أخـرى بسـبب الدّراسـة، فدعته إلـى الالتّحـاق الفـوري بالثّكنة، وهكـذا وجد نفسـه مطلـع 1935 تحـت العلم الفرنسـي على الحـدود الألمانيّـة. صـدم الطّالب بهـذا القرار المفاجـئ فأصـرّ علـى رفضـه إذ راح يشـتكي وينتحـل الأعذار لتسـريحه متعلـلا بمرض في عينـه خاصـة، وأمام إصـراره لـم تجـد الإدارة العسـكريّة مـن حل سـوى تسـريحه، لكن بعد حوالي سـتة أشهر وإفساد موسـمه الأكاديمي، فلـم يلبـث الطّالـب المجتهـد الـذي كان يتقن

اللغة العربيّة أيضا أن وجد نفسه في أجواء النّضال الوطني بفضل الاحتكاك بمناضلين رواد أمثال سي الجيلاني، وعمّار أمعاش فضلا عن الاحتكاك برواد العمل النّضالي من الطّلبة التّونسيين والمغاربة في إطار (جمعيّة الطّلبة المسلمين لشمال إفريقيا)، وإلى جانب هذا الاحتكاك المباشر كان يتابع باهتمام كبير نشاط الأمير شكيب أرسلان الذي كان يصدر يومئذ مجلة (الأمة العربيّة)، وبعد فترة وجيزة أصبح سي الحواس – بفضل تفانيه واستقامته – عنصرا قياديا في (نجم شمال إفريقيا) الذي ما لبثت حكومة الجبهة الشّعبيّة أن قررت حلّه في يناير 1937، ورفض الحاج مصالي ورفاقه هذا القرار، وردّوا عليه بتأسيس (حزب الشّعب الجزائري) بعد أقل من شهرين (11 مارس 1937)، وكان المناضل الطّالب من أعضاء الهيئة القياديّة للحزب الجديد.

في صائفة 1938، عاد الطّالب إلى مسقط رأسه بالحروش فوجد والدّه مريضا، فطلب منه البقاء إلى جانبه للتكفّل بأمور العائلة. . استأنف نضاله في الجزائر انطلاقا من قسمة الحروش، ثم في إدارة الحزب بالعاصمة إلى أن بادرت إدارة الاحتلال الفرنسي الغاشم ظل السّريّة، رغم الزّج بأهم العناصر القياديّة في السّجون والمحتشدات، وتشكلت إدارة جديدة للحزب أواخر 1941، كان على رأسها الدّكتور الأمين دباغين، وكان المرحوم محمّد بلوزداد من أبرز مساعديه، وقد لعبت هذه القيادة التي كان مسعود بوقادوم من أعضائها البارزين دورا هاما في إعداد (بيان الشّعب الجزائري) الذي قدمه فرحات عباس إلى الحلفاء في مارس 1943، ثم في حركة (أحباب االبيان والحريّة) التي أسست حوله في شبه ائتلاف بين الوطنيين الثّوريين والإصلاحيين (جماعة عباس وجمعيّة العلماء)، وغداة أحداث 08 ماي 1945 حلّت إدارة الاحتلال هذه الحركة الجماهيريّة وزجّت بمئات المناضلين في السّجون والمحتشدات. . وقد سجن سي الحواس بدوره وحبس بالكديّة (قسنطينة) أين عذّب عذابا أليما، وقد مكث بالمعتقل قرابة السّنة قبل الإفراج عنه بعد إجراء العفو العام الصّادر في ربيع السّنة الموليّة. ويقدّر الله أن ينتخب في خريف السّنة نفسها نائبا بالمجلس الوطني الفرنسي (عن حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة) فيعود إلى باريس من بوابة قصر (السّوربون)، ولمدة خمس سنوات كاملة، تولى النّائب الوطني في هذه الهيئة التّشريعيّة ملف الشّؤون الثّقافيّة، فكان كثيرا ما يندد بمحاولات الفرنسة والتّنصير، وفي منتصف فيفري 1947، عقدت حركة الانتصار مؤتمرها الأوّل الذي كان من أهمّ قراراته: إنشاء (المنظّمة الخاصّة)، لكنّه مع الأمين دبّاغين اصطدم مع بقيّة أعضاء القيادة الذين كانوا يرون أنّ الوقت لم يحن لإعلان الثّورة، وقد أدّى ذلك إلى انسحابهما من القيادة أواخر 1949.

ومن القصص التي يرويها عبد الرّزّاق بوحارة عن المناضل سي الحواس، أنّ أحد القادة الفرنسيين أخذه إلى الثّكنة العسكريّة، وأراد هذا القائد العسكري إذلاله، فطلب منه أن ينتظره في ساحة العلم تحت وهج الشّمس الحار، فمكث سي الحواس ينتظره مدة طويلة حتى طال الأمد وأثّرت أشعة الشّمس فيه، فبحث عن مكان يستظل به من لفح الشّمس، فلم يجد إلّا أن يقف مستندا إلى السّاريّة محاولا الاستظلال بالعلم الذي كان يرفرف فلا يستقر ظل له، وعندما رأى منه القائد الفرنسي ذلك أطلّ عليه وقال له: " ها قد لجأت أخيرا إلى العلم الفرنسي ليظلّك من أشعة الشّمس الحارقة"، فأجابه سي الحوّاس على البديهة إجابة مفحمة قائلا: " أيها القائد لقد كان هذا العلم يظلّل نصف العالم ولقد صار لا يستطيع حتّى أن يظلل رأسي المسكين !!" فغضب القائد الفرنسي لهذا الجواب القاطع وأمر بإخراجه من الثّكنة.

ثمّ استأنف سي الحواس بعد ذلك دوره القيادي لكن ليس بالحماس والإيمان السّابق نفسه، وعاش في هذا الإطار أزمة المنظّمة الخاصة ثمّ أزمة الانقسام سنة 1954. وعندما اتّصل بوضياف ورفاقه بالدّكتور الأمين دبّاغين في إطار مساعيهم الرّاميّة إلى توفير تغطيّة سياسيّة ملائمة للثورة المباركة، وفي أواخر أوت 1954، استشار صديقه سي الحواس، وأحضره معه في موعده بهم في العاصمة في سبتمبر الموالي، حيث التّقى مسعود بوقادوم رفقة الدّكتور الأمين دباغين بكل من " بن بولعيد، وكريم" ووقع نقاش عميق حول القضايا المصيريّة لمستقبل الشّعب الجزائري، وبعد فترة قصيرة من اندلاع الثّورة التّحريريّة اتّصل به مسؤول النّاحيّة الشّهيد يوسف زيغود وطلب إليه أن يلازم مكانه بالحروش في انتظار الإشارة الخضراء، لكنّ إدارة الاحتلال كانت أسرع إجراء فسبقت باعتقاله وحبسه في ربيع 1955، ولم يتم الإفراج عنه من سجن (سان لو) بوهران إلا في أواخر ديسمبر 1956، وفي طريق العودة إلى الحروش صادف بالعاصمة المناضل النّقابي الجلالي مبارك، فضرب له موعدا مع بن يوسف بن خدة، عضو لجنة التّنسيق والتّنفيذ، الذي طلب إليه الالتّحاق بالخارج فورا، فالتّحق بصديقه الدّكتور الأمين دباغين في القاهرة قبل زيارة عائلته، وكان هذا الأخير مسؤول الوفد الخارجي بعد حادثة اختطاف الطّائرة في 22 أكتوبر من السّنة ذاتها، وعيّن سي الحواس في البدايّة ممثلا للجبهة في إسبانيا، والتي كانت نقطة عبور هامة للرجال والسّلاح انطلاقا من مدينة برشلونة، وسان سيباستيان خاصة، وغداة تشكيل الحكومة المؤقتة الأولى، عيّن أمينا عاما لوزارة الخارجيّة التي كان على رأسها الدّكتور الأمين دباغين، وغداة تشكيل الحكومة المؤقتة الثّانيّة في يناير 1960، عيّن رئيسا لبعثتها في بلغراد، وكانت تعليمات وزير الخارجيّة الجديد كريم بلقاسم له، ائتنا باعتراف يوغسلافيا وسنبقيك سفيرا بها، وفعلا أسهم رئيس البعثة في توطيد العلاقات إلى أن توّج ذلك باعتراف بلغراد الصّريح في أفريل 1961، وشكّلت أزمة التّسابق على السّلطة

بعد وقف القتال في 19 ماي 1962 صدمة جديدة لهذا المناضل الذي ظلّ يحمل صورة مشرقة عن السّياسة وأساليب تعاطيها.

وفي أواخر 1962 استدعي سي الحواس إلى العاصمة ليعيّن سفيرا بداكار، لكن بعد فترة قصيرة عاد غاضبا راميا قفّاز الدّبلوماسيّة، وقد استقرّ بعض الوقت بسكيكدة كمستشار بمركب سونطراك قبل أن يعود إلى الفلاحة.

منحه الرّئيس السّابق (اليمين زروال) وسام الأثير من مصاف الاستحقاق الوطني تقديرا لمجهوداته الوطنيّة والثّوريّة.

وبعد مشوار طويل حافل بالتّضحيات الوطنيّة وافته المنيّة بتاريخ 25 ديسمبر 2007، فرحمه الله رحمة واسعة.

رابح دوب

المصادر:

- سيرة خاصة من مديريّة المجاهدين لولايّة سكيكدة؛

محمّد عباس: رواد الوطنيّة، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

مسعود زڤار (زگار)
(1344هـ - 1926م/ 1407هـ - 1987م)

ولد ونشأ مسعود زقار في 08 ديسمبر 1926 بمدينة العلمة ولاية سطيف حاليا، في أسرة فقيرة معدمة، وقد دفعته الظروف الاجتماعية القاهرة إلى العمل مبكر وعمره لم يتجاوز العاشرة (10)، فلم ينعم بطفولته كالأطفال العاديين شأنه شأن الغالبية العظمى من أطفال الجزائر الذين دفعتهم الفاقة إلى تجاوز طفولتهم والعمل في ظروف لا تناسب أعمارهم، وقد دفعته هذه الظروف القاسية أين كانت تعيش عائلته الفقيرة كان رجلا بسيطا فقد أرغم الطفل على تحمل مسؤولية العائلة بكاملها والغريب أن سعيه لكسب القوت يدفع به إلى المغامرة والهجرة إلى فرنسا وعمره لم يتجاوز العاشرة إلى الهجرة إلى فرنسا في سن مبكرة للعمل وإعالة أسرته المعدمة، ونظرا لنضجه البدني والنفسي ارتأى والده أن يزوجه وهو بالكاد يبلغ الثالثة عشر لما لاحظ ذكاءه وفطنته وقدرته على تحمل المسؤولية لكونه كان يعيل أسرته وهو صبي غرير، غير أن الصبي لم يألف حياة الزوجية فانفصل عن زوجته لأن القدر كان يخطط له آفاقا أخرى أسهمت في خدمة الجزائر إبان الثورة التحريرية المظفرة وما بعد الاستقلال، وجرب ممارسة التجارة بمعية ابن عمه وفي ظرف قصير تحولا من بيع الحلوى إلى تصنيعها في مستودع، وتوليا تسويقها لتجار العلمة وخارجه، من هنا شق طريقه نحو



التجارة والأعمال، حتى أصبح من الأثرياء الذين يعمل لهم ألف حساب، فقد كانت له مؤسسة للطيران وبئر نفط في التكساس، وعلاقات نافذة مع زعماء وشخصيات وقادة أوربيين وأمريكيين، واستغل كل هذه العلاقات لصالح الثورة، وذلك بما كان يزودها بالمعلومات الضرورية وتدعيمها بمختلف المعدات والأسلحة كما استغل معارفه، وعلاقاته وبعض أمواله لصالح الثور التحريرية المظفرة، إذ كان يرى أن الثورة لكي تنجح من جميع النواحي لابد لها تموين عكري ولوجيستي، ومعلومات سرية تحت ما يسمى الجوسسة كي تتفادي ضربات او تتجاوز مخططات، أو تسعى إلى تصفية أشخاص أو جماعات، وهو الأمر الذي أدركه إدراك عمليا قبل أن يعيه وعيا عميقا بالتنسيق مع قيادات ثورية مشبعة بالروح الوطنية، وهو الأسلوب العملي الذي نفده في أرض الواقع، إذ زود الثورة بمعلومات سرية عالية وثقة كبيرة، وروح قتالية عالية عن طريق ليس إمدادها بالمعلومات الأمنية والاستخباراتية فحسب، بل بشحنات الأسلحة التي كان يجلبها من بلدان عربية وأوروبية بفضل علاقاته النافذة، يقول الباحث في الشؤون الأمنية والاستراتيجية سمير محمود قديح في هذه المسألة : (أستطاع يقصد مسعود زقار أن ينشئ مصنعا للأسلحة بالمغرب وكان ذلك في مكان ما بالقرب من منطقة الناظور... . لا أحد يعلم الموقع بالضبط إلا مسعود وقلة ممن معه وحتى هذه القلة كانت إذا غادرت المكان لا تكاد تعرف طريق العودة إليه، إلا بتوجيه من رشيد كازا فلا ملك المغرب ولا أي شخص مغربي كان يعلم شيئا عن هذه المؤسسة النادرة في الوطن العربي فظاهريا المصنع يبدو مختصا في صنع الملاعق والشوكات، يعمل به عمال أجانب من دولة المجر لكن في المستودعات الخفية المكان مخصص لصنع ما يدعى بـ (البازوكا) وبما أن مسعود كان حريصا على سرية النشاط فلم يوظف فيه إلا المقربين إليه بعضهم من أفراد العائلة وكلهم تقريبا من أبناء المنطقة أي من مدينة العلمة... وقد كان هؤلاء يشرفون على عمليات التركيب لمختلف قطع الغيار التي كان يستقدمها زقار من أمريكا بطريقته الخاصة التي لا يعلمها إلا

هو والتي ظلّت غامضة ومجهولة إلى يومنا هذا وحتى المقربين إليه لا يعلمون كيف كان زقار يُدخِل مختلف القطع إلى المغرب خاصة تلك التي تبدو من خلال شكلها بأنها مخصصة لصنع القذائف وأما بعض القطع فقد كانت تدخل علانية على أساس أنها موجّهة لصنع الملاعق والشوكات وحتى العمال المغاربة الذين تم تشغيلهم لم يكونوا على دراية بطبيعة المصنع الذي يعملون به...)

وبفضل إتقانه للانكليزية، واختراقه للقاعدة الأمريكية بالمغرب، وتوظيف أحد معارفه كان يعمل بها، والذي كان يزوده بمختلف المعلومات الحربية كما نجح في الحصول على أسلحة وأجهزة اتصال بالتواطؤ مع بعض الضباط في الحصول على جهاز إرسال متطور يستعمل في تجهيز البواخر وهو الجهاز الذي أدخلت عليه بعض التعديلات وأصبح يستعمل في البث الإذاعي لـ (صوت الجزائر) بالناظور حيث شرعت هذه الإذاعة السرية في البث بتاريخ 16 ديسمبر 1956.

كما خدم الثورة التحريرية المظفرة خدمة جليلة حين أخبر ان عميلا فرنسيا اخترق أجهزة الحكومة المؤقتة وكان بومدين على علم بها، وأما الحقيقة التي أبهر بها الجميع كما يقول سمير محمود قديح : (فتلك المتعلقة بإنقاذ الجزائر من هجوم أمريكي وشيك وكان ذلك سنة 1967 خلال الحرب العربية الاسرائلية ففي الوقت الذي كانت الجيوش العربية في مواجهة مع الاسرائيليين كان الأسطول السادس لأمريكا يحوم في البحر الأبيض المتوسط وبالضبط في نواحي شرشال، وبفضل التحركات التي قام بها زقار مع القيادة الأمريكية غادر الأسطول المكان وتم تجنب الكارثة بسلام...)

في تاريخ 8 جانفي 1983 يصدر مجلس المحاسبة قرارا بالتحقيق مع وزير الخارجية آنذاك السيد عبد العزيز بوتفليقة، وهو اليوم نفسه الذي تداهم قوات الأمن العسكري بيته الكائن بشارع البشير الإبراهيمي فيفاجأ برجال، يقومون بتفتيش المنزل ويأمرونه بإتباعهم، ويقتاد إلى وجهة مجهولة، ثم يحول إلى ثكنة للأمن العسكري بالبليدة. ويتهم أثناء بثلاث تهم عظمي وهي:الخيانة، المسا بأمن البلاد، والمساس بالاقتصاد والدفاع الوطنيين.

وأثناء المحاكمة التي استغرقت ستة (6) أيام قدم أدلة دامغة بأن علاقاته بشخصيات أمريكية وفرنسية نافدة كان لصالح الثورة الجزائرية وكل الوثائق كانت مدموغة بموافقة وأوامر بمهمة وترخيصات خاصّة وجوازات سفر دبلوماسية كلها ممضية بيد الرئيس الراحل هواري بومدين أو الأمين العام للرئاسة، كما بين زقار بأنه هو الذي كان يستغل الأمريكان لخدمة وطنه وليس العكس، وكان ذلك منذ ثورة التحرير الكبرى.

وحين جاء دور الشهود كانت كل التدخلات لصالح مسعود زقار المدعو رشيد كازا، فأكد الجميع أقواله ولم يتردد البعض في وصفه بأحد صانعي القرار في الجزائر، ومن بين الشهادات التي لفتت الانتباه كانت شهادة قاصدي مرباح، مدير الأمن العسكري في عهد الرئيس الراحل، حيث قال: كان بومدين يكلفه بمهام بالولايات المتحدة الأمريكية وبالمغرب وهذا في الوقت الذي كانت العلاقة مع هذين البلدين مقطوعة". وأما سليمان هوفمان، الرئيس السابق للديوان بوزارة الدفاع، فقد كانت شهادته مثيرة، ولما تقدم إلى العارضة استدار ناحية زقار وقدم له التحية العسكرية، وقال لرئيس الجلسة "اسمحوا لي سيدي الرئيس أن أحيي السلطة الرابعة في البلاد (يقصد زقار)، وقد جاء في تصريحه بأن زقار قدم خدمات جليلة لبلاده.

شاهد آخر هو عبد المجيد أوشيش الوزير السابق للسكن، صرح أن زقار أعلن التزامه بقضايا شعبه منذ نعومة أظافره في وقت لم يكن هذا الاختيار مألوفا ولا سهلا. وأن زقار لم يكن يخلط بين نشاطاته العمومية والخاصة، بدليل انه لم يتبوأ مناصب رسمية بعد الاستقلال.

وأما المجاهد عبد الله شنقريحة، وهو من رجال المالية في مصالح الأمن إبان الثورة، فيقول بأن مشاريع زقار بالخارج كانت غطاء لبعض المعاملات المالية الأمنية لفائدة حركات تحرير عربية وافريقي

وفي شهادة أخرى يقول الدكتور محمد أمير، الأمين العام السابق لرئاسة الجمهورية في عهد بومدين، بأن زقار قدم خدمات كبيرة للبلاد، ولما سئل من طرف القاضي إن كان زقار يزور بومدين بمقر الرئاسة، أجاب أمير: لا، سيادة الرئيس، بل إن بومدين هو الذي كان يزور زقار في بيته الكائن بالأبيار.

أما عميمور فقد لخص شهادته في الاعتراف بصفة المجاهد الكبير لمسعود زقار وأنه بريئ من تهم قبض عمولات من الأمريكان، وأكد بأنه هو من كان يدفع لأجل مصلحة الثورة.

وبناء على تلك الأدلة والشهادات أصدرت المحكمة بتاريخ 4 أكتوبر 1985 حكما ببراءته ليستأنف بعدها حياته العادية، توفي مسعود زقار في 21 نوفمبر 1987 بالعاصمة الإسبانية مدريد ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بالعلمة ولاية سطيف، وقد شيعت جنازته شخصيات وطنية ثورية وعسكرية وسياسية إلى جانب وفود قدمت من أقطار عربية وأوربية إلى جانب شخصيات أمريكية.

باديس فوغالي

مصادر:

- www. arwikipedia. org/ مسعود زقار
- جريدة الخبر عدد 11/ 12/ 2009.

مسعودة مريم باج
(1352هـ - 1933م/1379هـ - 1959م)

مسعودة مريم باج ممرضة ومجاهدة ومرشدة في جيش التّحرير الوطني إبان الثّورة التّحريريّة.

ولدت في 7 مايو 1933 في ولايّة الأصنام (الشّلف حاليا)، وتربت وسط عائلة محافظة ميسورة الحال، وقد نشأت بين خمسة أولاد، سجلتها عائلتها في المدرسة الابتدائيّة الفرنسيّة (مدرسة البنات) بالمدينة، وكان ذلك نادرًا جدًا في ذلك الوقت وخاصة في منطقتها حيث كانت قلة من العائلات التي تسعى إلى تعليم بناتها، كانت مسعودة تلميذة نجيبة، كما كانت تتحلى بأخلاق حميدة، ورغم الفوارق الاجتماعيّة بين الجزائريين والفرنسيين، والتمييز الذي كانت تمارسه السّلطات الفرنسيّة، وكذلك سياسة التجهيل التي كانت تنتهجها بحرمان أغلبيّة الجزائريين من حق التعلّم، فإنها كانت مصرّة على مجابهة هذا الواقع وإتمام تعليمها وكسب مكانة لائقة في هذا المجتمع الطّبقي، فاجتازت الصّف السّادس ونجحت في مسابقة الدّخول للسنة الأولى متوسط، وانتقلت بعد ذلك إلى ثانويّة الفتح بالبليدة، ونجدها في عام 1945 عندما كانت طالبة في المدرسة الثّانويّة قد علمت بالأحداث الدّمويّة التي وقعت في الثّامن من ماي 1945 في سطيف وقالمة وخراطة. فتغيّر منذ ذلك الوقت توجّهها ومسارها، فلم تعد الشّابة وشغلها كيف تسهم في تحرير وطنها والتخلص من هذا الاحتلال المجرم، وكان لهذا التوجه الجديد في مسارها تداعيات على نتائج دراستها، فضعف تحصيلها العلمي، ومع ذلك واصلت دراستها حتى السّنة الأخيرة حيث رسبت في امتحان البكالوريا في جوان 1953.

خلال صيف عام 1953، وخلال زيارة أحد أقاربها في المستشفى في عدة مناسبات، كانت معجبة بعمل الممرضات الذين تقدر قيمتهنّ المهنيّة، كما أعجبها منظرهنّ وهن يرتدين مآزرهن البيضاء، فصممت الشّهيدة أن تلتحق بهنّ وتصبح ممرضة مثلهنّ، فسألت إحداهن عن السّبيل الموصل لممارسة مهنة التمريض، فأخبرتها بوجود مدرسة لتكوين الممرضين باب جديد، مستشفى الصّليب الأحمر، مستشفى آيت إيدير حاليا بالعاصمة، وبعد أخذ موافقة والدّيها، عملت على مراسلة المؤسسة المذكورة، فجاءها الرد بالقبول بعد خمسة عشر 15 يوما، رافقها والدّاها إلى المدرسة، بحيث سجّلت في بدايّة سبتمبر 1953 لتبدأ تكوينها المهني في إطار نظام داخلي يلزمها المداومة كبقيّة زملائها والقيام بالمناوبة بالمستشفى ليلتين كل أسبوع. وبعد السّنة الأولى لها في مدرسة تكوين الممرضين تعرفت على صديقتها حوريّة، قائدة قسم كشفي في باب الواد في الجزائر العاصمة، وهي التي حفزّتها على أن تنضم إلى الكشافة الإسلاميّة.

ومن المواقف البطوليّة للشهيدة أنه عندما ضرب زلزال مدينتها الشّلف، في التاسع من شهر سبتمبر عام 1954، وكان زلزالا قويّا بلغت شدته حسب تقرير السّلطات الفرنسيّة سبع درجات على سلم ريختر، وقد أدى إلى مقتل حوالي ألف وخمسمائة 1500 شخص معظمهم من المعمرين الأوربيين، وأعداد كبيرة من الجرحى، وتحطم الكثير من البنايات والمنشئات العموميّة. أجلّت عودتها إلى الجزائر العاصمة، وشاركت بكل بسالة في عمليات الإنقاذ، ولم تفرّق في ذلك بين الجزائريين والفرنسيين، بل كانت تنظر إلى الضحايا بعين واحدة، فطبّقت ما تعلمته في مدرسة تكوين الممرضين في أرض الواقع، وقامت بعملها بإخلاص وتفانٍ، وقد أكسبتها شجاعتها وكفاءتها وسام الاستحقاق الذي منحه لها محافظ المدينة. وبعد انتهاء عمليات الإنقاذ عادت إلى الجزائر العاصمة لمتابعة دراستها.

ولما اندلعت الثّورة التّحريريّة في الفاتح من نوفمبر سنة 1954، أي بعد شهرين فقط من تلك حادثة زلزال الأصنام، كانت الشّابة مسعودة تتابع الأحداث باهتمام كبير بفضل الحركة الكشفيّة التي كانت تنتمي إليها، وتحمسّت للثورة تحمسا كبيرا، وعندما عادت إلى الشّلف خلال صيف عام 1955 لتقضي إجازتها، لم تفوت فرصة شرح أسباب وأهداف الثّورة الجزائريّة للأسر التي كانت تزورها. كما كانت تعرفهم بالوجه الحقيقي للاستعمار.

عادت الشّهيدة البطلة لاحقًا إلى الجزائر العاصمة لإكمال سنتها الثّالثّة والأخيرة من دراسات التمريض، لكن قبل شهر من انتهاء تدريبها، أطلق الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين UGEMA في 19 مايو 1956 دعوته لإضراب مفتوح عن الدّراسة والالتحاق بجيش التّحرير الوطني الجزائري للمشاركة في ملحمة الثّورة الجزائريّة. فقررت الشّابة مسعودة الاستجابة لتلك الدّعوة، فشاركت في ذلك الإضراب والتحقت مباشرة بالثّورة التّحريريّة.

فقررت الانضمام إلى خلاياها السّريّة بصفوف جيش التّحرير الوطني لتقدم خدماتها، والتحقت بجبل تمزگيدة في ماي 1956. باشرت عملها كممرضة ومرشدة اجتماعيّة، وتولت مسؤوليّة المركز الصّحي الأول في الولايّة الرابعة رفقة حسن الخطيب، وتنقلت بين عدة مناطق من الولايّة الرابعة حيث أسست مراكز صحيّة فيها، كما انتقلت كذلك إلى المنطقة السّابعة من الولايّة الخامسة، واستقرت أخيرا في المراكز الصّحيّة للثورة بالونشريس.

ومن المعارك التي خاضتها، معركة غابة "بيسا" بجبال الظهرة ناحيّة تنس، حيث جرت معارك طاحنة استمرت أياما استعمل خلالها الجيش الفرنسي كل أسلحته الثّقيلة من مدرعات وعربات مجنزرة إلى جانب الطّائرات الحربيّة، غير أنّه عندما لم يستطع اكتساح المنطقة لجأ إلى استعمال الأسلحة المحرمة دوليا مثل النّابلم، وعندما اشتد الوضع وتفاقمت خطورته نظرا لكثرة الجرحى انتقلت "مريم" لعلاجهم في الميدان، فقدّمت لهم الإسعافات الأوليّة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

انضمت إليها أختها الصّغيرة سنة 1959، وفي تلك السّنة اختيرت الشّهيدة

من قبل قيادة الثّورة، لتكون ممثلة لصوت المجاهدات بالخارج ولتتابع دراساتها الطّبيّة كذلك، وفي الطّريق إلى الحدود الغربيّة سقطت شهيدة في إحدى المعارك نهايّة سنة 1959، وقد واصلت أختها باج العاليّة جهادها إلى غايّة أن استشهدت كذلك في بدايّة سنة 1960، وكانت الأختان نموذجا للنساء اللاّتي قدمن التضحيات الجسام من أجل حريّة وعزة هذا الوطن.

بعد الاستقلال، تم تسميّة مدرسة ابتدائيّة في مسقط رأسها على اسم الأخوات باج، لكنّ هذه المؤسسة دمرت خلال زلزال الأصنام عام 1980. وبعد ذلك سمي باسمها هي وأختها مستشفى ولايّة الشّلف، وهو مستشفى الأخوات باج.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.
- الشّهيدة مسعودة باج -مريم-، من أمجاد الجزائر، سلسلة تاريخيّة ثقافيّة تصدر عن وزارة المجاهدين.

مصطفى الأشرف
(1336هـ - 1917م/1428هـ - 2007م)

ولد في ولايّة المديّة في 7 مارس 1917م، وهو من بلديّة شلالة العذاورة، وتوفّي في 13 جانفي 2007م. درس في بلديته المبادئ الأوّلى باللغة الفرنسيّة والعربيّة، ويستعمل الفرنسيّة في تواصله الدّائم. كان أبوه موظّفاً في جهاز العدالة، الأمر الذي مكّنه من مزاوّلة تعليمه في مدينة الجزائر بثانويّة بن عكنون والمدرسة الثّعالبيّة، ليواصل بعدها دراسته العليا في جامعة السّربون بفرنسا. وعقب تخرّجه، مارس التّعليم في العديد من الثّانويات. ولقد ركبه هوس حبّ الوطن، فانضمّ إلى حزب الشّعب في أوائل الأربعينيات، وأصبح مناضلاً في القضيّة الوطنيّة، وكانت له مشاركات واسعة متميّزة في الصّحافة النّضاليّة مكّنته من التّنقيب عن العديد من الأصول التّاريخيّة الجزائريّة ومن تكوين رؤيّة نضاليّة مرتبطة أشدّ الارتباط بنضال الشّعب الجزائريّ عامّة. أُلقي عليه القبض في حادثة قرصنة الطّائرة الشّهيرة التي أقلعت من المغرب في اتّجاه تونس، وتمّ إنزالها في وهران ليقبض عليه برفقه الزّعماء: أحمد بن بلّة، آيت أحمد، محمّد بوضياف، محمّد خيضر، رابح بيطاط، ويقتادون إلى السّجن. وفي أوّل دولة الاستقلال يكون عضواً في صياغة برنامج طرابلس ومن ثمّ عضواً في المجلس الوطني للثّورة، وقد شغل مناصب عديدة من بينها مستشار لدى الرّئيس (هواري بومدين) ثمّ وزيراً للتّربيّة في الحكومة الرّابعة للرّئيس



(هواري بومدين) ثم يُعيّن سفيراً في أمريكا اللاتينيّة.

كان يهوى القراءة والكتابة، وأصبح مختصّاً في علم الاجتماع، وحمل قضيّة الدّفاع عن القضيّة الوطنيّة عبر كتاباته الصّحافيّة، فأبدع في الدّفاع عن حقّ الطّلبة في إضرابهم سنة 1965 تضامناً مع النّداء الوطني، وبذلك نال شهرة كبيرة في كتابته الوطنيّة، ونال شهرة عبر الجرائد التي تصدر آنذاك بالفرنسيّة، وهي: La dépêche algérienne و L'action algérienne و le quotidien d'Alger التّابعة لحزب الشّعب الجزائريّ، كما كتب عدّة مقالات حول بعض الكتب والرّوايات الصّادرة آنذاك، وهي تدافعه عن المسألة الوطنيّة كما نشرت مقالاته في عدّة جرائد ومجلات أدبيّة، وقد تعدّدت المقالات التي كان يكتبها في مختلف المنشورات. كما نشر بعض الكتب، من مثل: Petits poèmes d Alger وهي مجموعة Chansons de jeunes filles arabes وكان أوّل كتاب له Colonialisme et féodalités، indigènes en Algérie في إطار الفكر الاجتماعيّ، والذي كان طرحاً ومحاوّلة لشرح كلّ هذه العناصر في المجتمع الجزائريّ في تلك الفترة. وعلى العموم يمكن أن نقول: إنّ تلك الكتابات الوطنيّة تدخل في علم الاجتماع التّاريخي، وهي امتداد للفكر التّحرّري الوطني، وقد توّج ذلك بكتاب جيّد عنوانه (الجزائر أمّة ومجتمع) حيث نال سجالات كثيرة من النّقد والرّدود التي أزعجته، كما أزعجت الطّبقة الجزائريّة المثقّفة باللغة العربيّة؛ لما يحمل من مضمون ينافي في الطّرح بعض القضايا الاجتماعيّة للمجتمع الجزائريّ. وإن كان قد استدرك بعض الهنات في كتابه التّاريخ الثّقافة والمجتمع. وفي سنة 1982م، يُصدر كتاباً في سياق الفكر الاجتماعيّ عنوانه (Algérie et tiers-monde) ومن ثمّ يُصدر كتاباً آخر (Littérature de combat، essais d introduction) وذلك عام1991. وفي كلّ هذا نراه عبر مسيرته العلميّة يُبدع في التّحليل وفي كتابة السّيرة الذّاتيّة من خلال كتابه (Des noms et des lieux، mémoire d une Algérie oubliée) وكان ذلك سنة 1998م، وترجم الكتاب إلى العربيّة نظراً للسّرد العلميّ الذي تناوّل بعض الأحداث التي عرفتها الجزائر. ويأتي كتاب (القطيعة والنّسيان/ Les ruptures et l' oubli) وكان عبارة عن دراسة تحليليّة للإديولوجيات الماضويّة التي عرفتها الجزائر في العشريّة السّوداء (1990 – 2000).

هي مسيرة رجل سياسيّ مناضل كافح بلسان قلمه أيام فتوّته، كما قدّم نفسه فداءً للوطن وهو صغير، ولكن هي مسيرة الجهد المضني في خدمة الوطن في حرب التّحرير أو في حرب البناء. فيشهد له أصحابه بوطنيّته وجهاده، وحمله لشعار العقلنة التي تؤسّس لدولة المستقبل. دولة يشعر فيها المواطن إنّه يؤدّي الواجب قبل المطالبة بالحقّ، وهذا ما كان يتصوّره الأشرف، وهو ينظر إلى مستقبل الجيل الجديد. وما يعزوه النّاقدون أنّ حديثه كان ضعيفاً في مجال الهويّة، ولم يربط اللغة العربيّة ربطاً واضحاً في مسألة الأمّة والهويّة، وقد مرّ سريعاً، في الوقت الذي تحدّث عن تاريخ الجزائر، لكن لم يفصّل في أمر المتغيّرات التي أحدثها الإسلام، في الوقت الذي استفاض الحديث في الفكر السّياسيّ التّحرريّ. ولكن لا ننكر أنّ له مقامات النّقد تجاه مظالم الاستعمّار الفرنسي، والفصل العنصريّ بين الأهالي في التّعليم وفي العمل، وفي تلك المعاملات البشعة التي يجابه بها أهل الحقّ، وهم الجزائريون، فانتصر الأشرف لهم أيّما انتصار، وأدّت كتاباته دوراً لا يُستهان بها في بعث الشّعور الوطنيّ لدى الجزائريين في الدّاخل وفي الخارج، كما كان ينير الرّأي الفرنسي بما يقوم به المُستدمر من محو هويّة أمّة تريد الانعتاق من القيد، وذلك ما أكسبه سمعة وطنيّة عندما انتقل إلى النّضال في فرنسا؛ حيث أسهم في نشر أفكار حزب الشّعب عبر صحافة (النّجم الجزائريّ) التي تولّى رئاستها في وقت من الأوقات.

صالح بلعيد

مصطفى الرّماصي
(ت: 1136هـ - 1724م)

أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرّماصي، فقيه من فقهاء المالكيّة، وقد يدعى عند بعضهم بأبي عبد الله محمّد بدل مصطفى، ولكنّه خلاف الجاري على السّنن العلماء، وهو ينحدر من بلدة رمّاصة، إحدى قرى ولايّة مستغانم بالغرب الجزائري، واسمه من بين الأسماء العلميّة اللاّمعة في القطر الجزائري إبّان الحكم العثماني، ومع إنّه من الوجوه الذائعة الصّيت منتصف القرن الثّاني عشر، وأن شهرته فاقت حدود بلده شرقا وغربا، لشيوع ذكره بين علماء المذهب المالكي، فإن الوقوف على جوانب سيرته العلميّة والاجتماعيّة يبقى بعيد المنال، لقلّة المراجع المتحدثة عنه. فكتب التّراجم لم تعطنا تعريفا مفصلا عن هذه الشّخصيّة البارزة في الفقه المالكي، وما نقلته بعض المراجع مثل: "شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة" لمحمّد مخلوف، و"معجم أعلام الجزائر" لا يزيد عن كونه من قريّة رمّاصة، وإنّه صاحب الحاشيّة الشّهيرة على شرح التّتائي، وهي تعتمد في النّقل على ما ورد في تعريف الخلف للشيخ الحفناوي.

تلقى الشّيخ الرّماصي علومه على يد شيوخ زاويّة مازونة الواقعة بالغرب الجزائري، وهي زاويّة تصدرت لفترة طويلة نشر العلم بالغرب الجزائري، واشتهرت بتخريج العلماء والفقهاء، فكانت معهدا علميا يرتاده الطّلبة من مختلف أنحاء المغرب العربي، ثم سافر إلى القاهرة لاستكمال تحصيله العلمي، حيث تتلمذ على يدّ شيوخ **المالكيّة**، وخاصّة تلامذة الشّيخ نور الدّين الأجهوري، ثم عاد الشّيخ الرّماصي إلى بلده، واستقرّ في مدينة معسكر، فبدأ ممارسة نشاطه في نشر العلوم والمعارف. توفّي في عام 1136هـ/ 1724م.

لعلّ ندرة ما ورد في كتب التّراجم حول هذه الشّخصيّة لا يمكّن من الوقوف على قائمة شيوخه الذين أخذ عنهم بزاويّة مازونة، وممن وقفت عليه المصادر اسم شيخه عمرو التّراري بن أحمد المشرفِيّ، وما ذاك إلا لأن الرّماصي خصّه بقصيدة رثائيّة.

أما عن شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم في رحلته العلميّة بالقاهرة فنذكر منهم:

- الشّيخ أبو محمّد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزّرقاني (ت1099هـ/ 1687م)، صاحب شرح المختصر،
- الشّيخ إبراهيم بن مرعي بن عطيّة الشّبرخيتي (ت 1106هـ/ 1689م)

- بعدما عاد الشّيخ الرّماصي إلى بلده واستقرّ في مدينة معسكر بدأ ممارسة نشاطه في نشر العلوم والمعارف، في رباط بناه بجهده الخاص، وقد تخرَّج على يديه جمع كثير من العلماء من بينهم:
- الشّيخ محمّد بن عبد الله بن أيوب المعروف بالمنور التّلمساني دفين مصر،
- الشّيخ محمّد بن علي الشّريف الجعدي،
- الشّيخ أبو عبد الله بن عبد الرّحمن الفاسي.

ما تركه الشّيخ الرّماصي من مؤلّفات يعد زهيدا مقارنة بمكانته العلميّة التي تبوءها، وشهرته التي تجاوزت حدود بلده، ولعلّ قلّة مؤلّفاته تعود إلى عامل ذاتي، كونه رحمه الله لا يميل إلى التّأليف وإنما يهتم بالتّدريس وتكوين العلماء كمعظم علماء الجزائر، إذ اشتهروا بالتّبحر في شتّى العلوم، مع إقلالٍ في التّأليف والتّصنيف، واكتفاء بالتّدريس ونقل المعارف، وقد انعكس أثر ذلك في مخزون تراث الجزائر الثّقافي، فطالتّ لائحة أسمائهم في كتب التّراجم، بينما قلّ إنتاجهم المكتوب مقارنة مع غيرهم.

وما نقلته كتب التّراجم عن مؤلّفات الرّماصي لا يزيد عن مؤلفين هامّين أحدهما

فـي العقيـدة والآخـر فـي الفقه، إضافـة إلى بعض الرّسـائل. ومن أهم آثاره التي تناقلتها كتب الفهارس:

– حاشيته على شرح التّتائي لمختصر خليل، وهي أهم مؤلّفاته وبها اشتهر شرقا وغربا.

– كفايّة المريد في شرح عقيدة التّوحيد، فرغ منه سنة 1124هـ، شـرح فيه متن السّنوسي أم البراهين. ومنه نسخة مخطوطة بتونس أشار إليها بروكلمان في تاريخه 7/ 470.

– رسـالة فـي العتـاب بخصـوص مسـائل فقهيّـة، أوّلهـا: "الحمـد للـه، هـذا مـا كتبـه الشّـيخ المصطفـى الرّماصي لسـيدي أحمد بـن عامـر"، وتقـع فـي ورقتيـن، وتاريـخ نسـخها يعود إلى سـنة 1254هـ، ومنها نسخة مخطوطة بالمسـجد الأعظم بتـازة بالمغرب الأقصى رقم 371/ 3، ومنها نسـخة بالخزانة العامّة بالرّباط تحت رقم ك 2499.

– أجوبـة أبـي الخيـرات محمّـد المصطفى الرّماصـي (في الفقـه المالكي توجد نسـخة منه في خزانة القرويين).

– أجوبة فقهيّة تقع في 21 ورقة، أوّلها: "هذا ذكر ما وقع التّشكيك فيه لبعض من قصر باعه وندر اطلاعه مـن كلام صاحب المختصر"، أجـاب فيها عن أسـئلة عالـم تطوان الشّـيخ سـيدي علي بركة، وعن مسـائل في مختصر الشّـيخ خليل. منها نسـخة مخطوطة بمكتبة المسـجد الأعظم بتـازة تحت رقـم 371/ 2، تاريخ نسخها يعود إلى سنة 1253 هـ.

– شـرح أم البراهيـن (فـي العقائـد، توجـد نسخة منه في دار الوثائق القوميّة النّيجيريّة).

– قصيـدة رثائيّـة قالهـا فـي شـيخه عمـرو التّراري بن أحمد المشرفي تحتوي 150 بيتا.

– تأليـف فـي المنطق، نسـبه إليه الشّـيخ أبو رأس في كتابه فتح الإله ومنته، ص54.

علـى الرّغـم مـن شـح النّصـوص التـي تعرّضت لترجمـة مصطفى الرّماصي إلا إنّها قد أسفرت عن إطراء كبير وإعجاب واضح؛ ومن المصادر القديمة التي تناوّلت ترجمته: مـا ذكـره الشّـيخ عبـد الرّحمـن الجامعـي أثنـاء شـرحه لأرجـوزة الحلفـاوي إذ قـال فـي حقه: "العلّامـة الدّرّاكة الفهامـة الدّرايّة النّاقـد، سـراج التّحقيق الوقاد منهـل العلوم الأصفـى"، ووَصَفَه عبد الرّحمـن الجامعي الفاسـي بـ" حامـل رايّـة الفقـه المالكي في عصره ومصـره"، وخصّه الشّـيخ الحفناوي الدّيسـي فـي كتابـه تعريف الخلـف بترجمة من صفحتين، ومما قاله في شـإنّه: "العلّامة المتفنن والجهبذ النّاقد المحقق، من أذعنت لـه في وقتـه الأقران ولـم يختلف فـي فضله وسـعة علمه اثنان"، ووصف قدراته العلميّة بقولـه: "ممـن اشـتهر بالتّحقيـق والتّحريـر والمتانة في الدّين".

الطّيب دبّة

المصادر:

– أبو القاسم محمّد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث أبوظبي، ج2، ص567؛

– عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، بيروت– لبنان، 1980، ط2، ص51–52؛

– رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. منشورات الحضارة، بئر توت– الجزائر، 2014، الجزء الثّاني، من حرف الدّال إلى حرف الياء، ص61–62.

مصطفي الوزناجي

يعرف مصطفـي الوزناجي، باسـم صانع البارود (صانـع المتفجرات) ويبيعه بالوزنة، وهو اللقب الـذي أطلق عليه كذكرى لمهنته القديمة يحمل ختمه تاريخ 1209هـ– 1795م مـع عبـارة مصطفى بـن سـليمان، أصله من الأتراك مولود بمدينـة، الجزائر وقد كان بايا للمديّـة لمـدّة عشـرين (20) عامـا، يوصف بأنّـه رجـل قصيـر القامة كثيـر الشّـعر، يربط شـنبه غوق رأسـه بغير خيط، وكان شجاعاً، تـزوج عـام 1782م ولـه بنـت وحيـدة وهـي السّيدة خديجة، وهذا الباي كان ينتظر أولادا فخصهم بالاستحقاق من الوقف الأهلي في الوقـت نفسـه الذي خـص فيه مـن وجد من أحفاده من ابنته الوحيد، زامن تعين مصطفى الوزناجـي فـي بايليـك التيطـري (–1775 1794م) إعـادة تنظيـم حـدود البايليـك ودار السّـلطان وكان أوّل البايات الذين أقاموا في المديّة إلى جانب حاكم المديّة، كما يعود له الفضـل في حيـازة معظم أراضـي الدولة في بايليك التيطري.

وأسـهم مصطفى الوزناجي في اسـتقرار والأمن فـي بايليك التيطري، كما شـارك في الدفاع عن مدينـة الجزائر ضد حملة أوريلي الإسـپانيّة التـي كانـت فـي بدايّـة جمـادي الأولـى 1189هـ/ جويليّـة 1775م، بجيـش قوامه عشـرة ألف محارب، والذي حقّق إلى جانب دار السّـلطان بقيادة علـي آغا وجيش صالـح بـاي قسـنطينة وخليفة بـاي وهران. وتمكنوا من ردّ أورلي حاملا خسـارة بشريّة قـدرت بأربعـة آلاف قتيـلا. والقـوات التـي جمعها الوزناجـي لحمايّة مؤخرة المدافعين والمبادرة بالهجوم في حالة الضّرورة عددها 40 ألفا رجل، وهذه القوات من سـهل متيجة إلى غايّة تامنفوست(البرج البحري حاليا).

كما اهتـم بما يقـوى البايليـك من خلال تنظيمه مخـزن عبيد الدوائـر ومضاعفة عدد القوات النّظاميّة، كما اسـتبدل حوش عثمان بمؤسّسة عسـكريّة أقامها في البروكيّة والتي كان لهـا أهميّة اقتصاديّة فـي تخزين المؤونة الخاصّة الحبوب.

وجه مصطفـى الوزناجي(1794–1775م) حملـة ضد قبيلـة أولاد سـيدهم أحـد فروع أولاد نايـل، وبعـد أن تمكـن مـن إخضاعها أكمل إخضاع كلّ قبائل أولاد نايل.

صدر أمر بقتله من الداي حسن غير أنه تمكن من النّجاة بنفسه بفراره إلى قبة سيدي عبد الرّحمن الثّعالبي، ولعلّ تراكم المشاكل في بايليك التّيطري وعجز الباي الوزناجي عن حلّها هي التي جعلت الداي حسن يعزله سنة 1792م، ليعين قائدا على سباو 1793م.

ليصبح مصطفى الوزناجي بايا لبايليك الشّرق 1795م إلى 1798م، كان نتيجة تجربة طويلة، لقد ظهر في منصب باي قسنطينة كحاكم صارم، ومقاتل شجاع، ولكن مقاتلا تقاس قيمته بكميّة الدماء التي يريقها، استقدم معه شخصا يدعى الحاج حميدة اسند له مهام الباش كاتب، وأسند منصب آغا الدايرة لبن فريخي، وقايد الدار لرضوان، ورغم تقدمه في السّن استطاع الوزناجي أن يجعل كامل اقليم الشّرق يشعر بقبضته الحديديّة، فقد واجه:

اتحاد الحراكتة والنّمامشة سنة 1797م الذين تمردوا على النّظام المركزي في بايليك الشّرق إلا أنّ مصطفى الوزناجي تمكن من هزمهم.

كما وجه هجماته أساساً ضدّ الجبايليّة الذين كانوا مستعدين دوما للعصيان إذ ناهض أخمير، الذين بحكم موقعهم البعيد عن الحدود التّونسيّة بقوا مستقلين، كانوا أول من تعرض لمظاهر روحه القتاليّة. حيث غزاهم وسلب ماشيتهم وتوغل إلى القالة وهدم بها عدة بيوت، ومنها توجه إلى قبيلة زردازة التي أخذ منها كلّ ما أراد ووضع على رأسها الشّيخ الأكحل.

كان حكم الوزناجي كسيد يعرف كيف يفرض الخشيّة، وفي الوقت نفسه كان يتدخل في سياسة الإيالة وذلك على النّحو الأتي: شاطر مولاه بابا حسن في رفض تموين شركة أفريقيا في القالة بالقمح خلافا للاتفاقيات المبرمة سابقا، والتي صادق عليها بابا حسن.

كان تأثير اليهود قويا على الداي حسين والباي مصطفى الوزناجي الذي منحهم احتكار تصدير الحبوب فأصبحت الوكالة عاجزة عن تزويد الحكومة الفرنسيّة لمطالبهم دون وساطة يهوديّة.

والعلاقة بين الباي مصطفي واليهود تطوّرت حتي أن الباي بعد أن ذهب إلى مدينة الجزائر وأراد أن يقدّم هديّة إلى زوجة الداي، يذكر حمدان خوجه عن ذلك: "أنّه عندما قرر هذا الباي تقديم هديّة ثمينة لزوجة الداي حسين باشا توجه إلى اليهودي يدعى نفتالي بوجناح شريك بكري لشراء حليّة نفيسة فأحضر له سرماطا مرصعا بالماس تقدر قيمته بستين (60) ألف بياستر فاشتراه، وبما أنه لم يكن يملك المبلغ نقدا فقد تعهد بان يدفع بدلا من تلك القيمة كيلات من القمح يقدر ثمن الواحدة أربعة (4) فرنكات، وتزن أربعين (40) كلغ، وبعد الحصاد أرسل البكريون مراكب تشحن كميّة القمح قدرها 75 ألف كيلة نقلوها لفرنسا وكان ذلك اثناء الحصار الإنجليزي، فباعوا بخمسين فرنكا للكيلة الواحدة التي لم تكلفهم سوى اربعة فرنكات، وبذلك حققت هذه الصّفقة ربحا قدره بثلاثة ملايين و750 ألف فرنك. " عرفت هذه الصّفقة في المراجع ب: (صفقة الجوهرة) والتي يقال إنها صنعت في باريس ولا يبلغ سعرها إلا ثلاثون ألف فرنك.

وبرئيّة الوزناجي للوكالة على حافة الانهيار حظر عنها مرةً أخرى التّموين بالقمح، ولكن هذا التّصرف المتنافي مع الاتفاقيات، لم يكن إلا سببا في تسريع سقوطه فقنصل فرنسا (جان بون سانت أندري) الذي خلف (فالبير)، كان قدّ شكاه إلى الداي، فاصدر الأمر إلى قسنطينة بقتل الباي. وانتهى الوزناجي مخنوقا بعد سنتين من الحكم، وعين إنكليز باي لخلافته.

صرهودة يوسفي

المصادر:

- ابن عثمان حمدان خوجة : المرآة، تحقيق محمّد العربي الزّبيري، ط2، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر.
- اوجان فايسات، تاريخ بايات قسنطينة خلال الفترة العثمانيّة 1517-1837م، ترجمة أحمد سيساوي، ط1، كنوز نوميديا للنشر والتّوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019م.
- بوغفالة ودان، المديّة وملياّنة في العهد العثماني، مكتبة الرّشاد للطباعة، الجزائر، 2009م.

مصطفى بن إبراهيم
(1215هـ - 1800م/1284هـ - 1867م)

شاعر الأغنيّة البدويّة الجزائريّة مصطفى بن إبراهيم، من مواليد 1800م/ 1214ه بوجبهة سفيزف ولايّة سيدي بلعبّاس هو شاعر فذّ جمع شعره عبد القادر بن عزّة في ديوان سماه باسمه، حتى وافته المنيّة سنة 1867م/ 1283هـ، وقد سميت إحدى بلديات الولايّة باسمه.

وُلد ونشأ الشّاعر مصطفى بن إبراهيم في أسرة متديّنة، لأبٍ معلّم كتّاب أو كما كان يسمّى في المنطقة الدّرار، يلقن الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن، حيث حفظ شاعرنا القرآن الكريم في صغر، واشتغل بالتّعليم بعد ذلك، ليمارس القضاء في كهولته، وكان ذلك في فترة ثورة الأمير عبد القادر، كما ذكر هو ذلك في حكم قضائي أصدره سنة 1846م- 1262هـ.

اتصف مصطفى بن إبراهيم بعزة نفس وعلو همّة وانضباط في العمل، ما جعله مميزا في قريته، محبوباً ومحترماً، أضف إلى ذلك قرضه للشعر الشّعبي والفروسيّة.

إن المكانة التي احتلها الشّاعر في منطقته جعلت فرنسا تختاره ليكون خليفة (نائب القائد) على أوّلاد سليمان من بني عامر في بوجبهة، وهي رتبة كانت تعطيها لمقربيها سرعان ما تحولت إلى قائد، لتصير سيرته أشهر بعد ذلك وأرقى بين قومه بني عامر.

غيـر أن ولاءه لمنصبـه (القائد)جعله ينحاز إلـى العمل مع فرنسـا مخالفـا بذلـك قومه بنو عامـر الذين بايعـوا الأمير وحاربـوا إلى جانبه، حيـث ألقى القبـض على مجاهديـن من جيش الأمير وسلّمهم إلى فرنسا، منهم بوسيف محمّد بن عبو سـنة 1848م، كذلك إفشـاله ثـورة أوّلاد سيدي الشّيخ 1864م.

كان مصطفـى بـن إبراهيـم شـاعرا فـذا في الملحون، تغنى بالوطن والقبيلة، وأرّخ للعديد من الأحداث التي عايشـها، كان فصيح اللسان والقـول، جـوادا معتـزا بقبيلتـه، كمـا ذكـر أبو القاسم سعد الله، وقد بقي شعره منقولا شفويا، انتشـر وذاع في كل الغرب الجزائـري، تغنى به أهـل الحواضـر وسـكان البـوادي ي حفلاتهم وجلسات سمرهم، لذلك سهُل جمعه فيما بعد على يدّ عبد القادر عزة.

رحـل مصطفـى بـن إبراهيـم إلـى فـاس، ومكـث فيها خمـس سـنوات، عاد بعدهـا إلى مسـقط رأسـه، غير إنّه لـم يكن عزيـز أهله هذه المرة، حيث عاش ما بقي له من أيام في سكون وهدوء إلـى أن توفّي سـنة 1867م، ويكون بهذا قـد عاصر فترتيـن هامتين فـي تاريـخ الجزائر، الأوّلى التّواجد العثماني في الجزائري، والثّاني التّواجد الفرنسي وثورة الأمير عبد القادر.

انقسـم الباحثون حول مصطفـى بن إبراهيم بين متهم له بالخيانة، ومدافع عن حميّة الشّاعر القبليّـة، كونـه تغنـى كثيـرا بالوطـن والمدينـة والقبيلـة، حتى مـع تواجده في قبلة المسـلمين آنذاك فاس، غير إنّه كن يشـعر بالعزلة والحنين إلى الوطن، وكل هذا موجود في شعره.

نماذج من شعره:

قلـبي تفكر لَوطان والهـــــــالة
راني مْهَوَّل مانيش في حالي
قلـبي تخبّل بالوَحش تخبـــالة
وعلاه يا مرو غريب تلغى لي
نوبة نجالسّ شي ناس عقالة
ونقول ذا لّول خير من التّالي
نوبة نتفكّر يا لمشـــالة
ويثور جرح المحنة ويربى لي
ومن بعد ما كنت عزيز في حالة ماني
شي باخس بسومتي غالي
شاني مع الطّلبة شعت بمسالة
ونآمر الجن وعلاش يهوى لي
ولّيت قاضي عندي العدالـــــــة
ونفكّ بين الشّرّاع بفصالي
اعييت قايد بطبول زعالـــــــة
والحكم يظلم ما درت بفعالي
اهلي وناسي في الشّوم رجّآلة
اشحال من فجّ هداوه خالي

أمينة طيبي

المصادر:

- DJeghloul Abdel kader, Eléments d'histoire culturelle Algerienne, Enal, Alger -1984.
- Abdelkader Azza, MESTEFA BEN BRAHIM de l'oranais et chantre des beni ameur, Alger, S. N. E. D 1997.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دا الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- مقال بعنوان: (العرش والقبيلة في منظومة الشّعر الملحون لمصطفى بن إبراهيم) أ/ د هلايلي حنيفي.

مصطفى بن أحمد (ابن التّهامي)
(1205هـ - 1788م/1283هـ - 1866م)

نشـأ الشّـيخ (مصطفـى ابـن التّهامي) في بيئـة علميّة راقيّـة، فقد كانت مدينة معسـكر فـي العهد العثمانـي مقصد العلمـاء، وموئل المثقفيـن وطـلاّب المعرفة، بسـبب انتشـار الكتاتيـب القرآنيّـة، وكثرة الزوايـا والمعاهد ذات المسـتوى العالـي، وهـو مـا أسـهم في تشـكيل شـخصيّة (التّهامـي) وسـاعد علـى نبوغـه، فقد حفـظ القـرآن الكريم، ثـمّ تعلّم أصول الدين والفقه واللغة والأدب والمنطق على والـده مفتي وهران فـي العهد العثماني ولاحقاً رئيس مجلس شورى الأمير (الشّيخ أحمـد ابـن التّهامـي) واسـتفاد مـن علمـاء معسـكر الكبـار، كمـا عاصـر شـيخ علمـاء معسـكر يومئذ العلاّمة (أبـا راس الناصري) المتوفـى سـنة (1238هــ/ 1823م)، والتّقـى المؤرّخ النسابة (أبا حامد المشرفي) المتوفى سـنة (1313هــ/ 1895م)، كمـا زامـل فـي المقاومـة القائد العسـكريّ الفذ البوحميدي الولهاصي المتوفى سنة (1263هـ– 1847م).

عـاش (ابـن التّهامي) في زمـن مضطربٍ سياسـيا، متـردٍ ثقافيـاً، زمـن ضعـف الدولة العثماني وأفولها، مع ما رافق ذلك من تغوّل الاحتـلال الفرنسـي–البريطاني وانقضاضـه علـى البلدان العربيّة، وشـهد (ابـن التّهامي) بـأمّ عينيـه القـوات الفرنسـيّة الغازيّـة وهـي تقتحـم بـلاده وتسـتبيحها، بالقـوة والقهـر، وهو ما أثّر فيه شخصيا، فتحوّل –وهو الفقيه الشّـاعر– إلـى مقـاوم عسـكريّ يـذب عـن وطنـه ببندقيته، يقود المعـارك رفقة ابن خاله وصهره (الأمير عبد القادر بن محيي الدين)، إلى أن انكسـرت شـوكة المقاومة بعد سبعة عشر سنة من النضال المتواصل.

لا تتوفّـر المعلومات الكافيّة عـن بدايات الشّـيخ (ابن التّهامـي) العلميّة، فلا نعرف من أسماء مشـايخه سوى اسـمٍ واحد وهو والدُهُ العلامة (أحمـد ابن التّهاميً) الملقب بشـيخ الجماعـة لا نعرف الكثير عن تلامذة الشّـيخ (مصطفى ابـن التّهامي)، وقصارى ما وصلنا إليه هؤلاء الأعلام:

– أبـو حامـد العربـي المشـرفي المتوفى سنة (1313هـ/ 1895)، الذي أخذ عنه الفقه.

– الطيّب بن المختار بن البشير الغريسي، قاضي غريس ومعسكر.

– محمّـد بـن الأميـر عبـد القـادر مؤلّف كتاب تحفة الزّائر في مآثر الأمير عبد القادر

– محيي الدين بن الأمير عبد القادر
– محمّد المرتضى بن محمّد السعيد بن محيي الدين (وهو ابن أخي الأمير عبد القادر).

وعقب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة (1830م) كان من أوائل المبايعين للأمير عبد القادر، وانضمّ إلى المقاومة المسلّحة، وكان من قادتها الفاعلين، مشاركاً في مراحل الجهاد كافة، من انطلاق الشّرارة الأولى إلى غايّة انهزام الأمير واستسلامه، ثمّ سجنه وهجرته إلى الشّام إلى أن توفي فيه سنة (1283هـ/ 1866م) ودفن في مقبرة الدحدح بدمشق.

لقد اكتسب الشّيخ (مصطفى ابن التّهامي) ثقة الأمير عبد القادر، فقرّبه منه، وعيّنه رئيساً لديوان الإنشاء في حكومته، ثمّ خليفة له على إقليم معسكر، كما ولاّه قيادة الجيش في العديد من الجبهات؛ كالمديّة، والجلفة، وبوسعادة، والمسيلة، ومجانة، وسطيف، وعين تاغروط، وبسكرة، ومعارك أخرى في التّل والهضاب والصحراء.

وإلى جانب دوره العسكريّ البارز كان (مصطفى ابن التّهامي) مفاوضاً بارعاً، فقد كلّفه الأمير عبد القادر بمفاوضة المتمرّدين من أتباع الطريقة التّجانيّة في (عين ماضي) بتاريخ 17 نوفمبر 1838م، فتمكّن من عقد الاتفاق السلام الذي يحفظ حقوق الطرفين.

كان الشّيخ (مصطفى ابن التّهامي) ضمن الثّلة المتبقيّة من المقاومين وعائلاتهم، الذين بقوا مع الأمير عبد القادر إلى غايّة انهزامه واستسلامه في (ديسمبر 1847م)، فسجن معه في قصر أمبواز الفرنسي (1848م– 1852م) وهناك قضى أيامه في المطالعة، وتدريس أبناء الأمير عبد القادر العلوم الدين واللغة وغيرها من المعارف، وربّما استغل أوقاته في كتابة الشّعر والتّأليف، إلى أن غادر رفقة الأمير وباقي العائلات إلى بورصة التّركيّة، ومنها إلى بلاد الشّام منفاه الأخير.

عاش (مصطفى ابن التّهامي) في دمشق حياة كريمة تليق بمكانته العلميّة والدينيّة العسكريّة، منذ أن وطئها رفقة رفيق دربه (الأمير عبد القادر)، فتصدّر لتدريس البلاغة والتّفسير بجامع بني أميّة الكبير، كما تولّى –أيضاً– وظيفة الإفتاء على المذهب المالكي، وكان يحضر مجالس (الأمير عبد القادر) التي يقيمها في قصره، مع الدّخول –أحيانا– في مناظرات مع علماء الشّام، وقد أبدى تفوّقاً في الفقه وعلوم اللغة العربيّة.

يبدو أنّ الشّيخ (مصطفى ابن التّهامي) انشغل بالسياسة والجهاد، ووهب زهرة شبابه للنضال، واكتفى لاحقاً بالدروس والمحاضرات التي كان يلقيها في مساجد الشّام، ولم ينشغل بالتّأليف كصديقه الأمير، فذكر مترجموه أنّ له أثرين مكتوبين وهما:

– سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، وقد طبع بتحقيق يحيى بوعزيز، ونشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة (1998م)، ودار البصائر بالجزائر سنة (2009م).

– غوثيّة مصطفى ابن التّهامي؛ وهي منظومة طويلة على بحر الرّجز، كتبها في سجن أمبواز الفرنسي يشكو فيها حاله، مستغيثاً بالله من الكرب الذي حلّ به، متوسلاً بالأنبياء والصحابة والتّابعين والأولياء الصالحين، وبدأها بقطعة نثريّة جاء فيها: "وممّا قلته مع الرضا والتّسليم للقضاء والقدر، متوسّلا متضرّعاً معترفاً مفصّلاً في الوسائل تارة، ومرّة مجُمْلِا، راجياً النّفعَ لي، ولكلّ من دعا بها مبتذلاً ومؤمّلاً حصولَ كشف الكرب والفرج، ورفع الشّدة عن الدّاعي. . " ثمّ ينطلق في نظم طويل بلغت أبياته خمسمائة واثنين وعشرين بيتاً (522)، قال فيها:

يا رَبِّ يا مَوْلايَ إنّي سَائِلٌ
ما في سِواكَ تُبْتَغَى المسائِلُ
يا رَبِّ يا مَوْلايَ إنّي طَالِبٌ
لا يَنْبَغي في غَيْرِكَ المَطالِبُ
يا رَبِّ يا مَوْلايَ إنّي ضَارِعٌ
قَدْ كانَ منّي جازعٌ وضَارِعٌ
يا رَبِّ يا مَوْلايَ إنّي هَارِبٌ
يَأتي لِـمَنْعِكَ اللّدُودُ الهَارِبُ
يا رَبِّ يا مَوْلايَ إنّي خاضِعٌ
وما إلى الدَّواءِ مِنْكَ مَوْضِعٌ
يا رَبِّ يا مَوْلايَ إنّي تَائِبٌ
إنْ ما عَفَوْتَ عنّي إنّي ذائِبٌ
إنْ كَذَبَ الدَّاعي فَسَامِحْ واعْفُ
ولا تُؤاخِذْ كالذين يقفو
فامْنُنْ عليَّ بصلاحِ الحالِ
وأنْقِذْنا مِنْ شِدّة المحال

وصفه تلميذه العربي المشرفي بأنّه "شفيه سيبويه في النحويات، له الفهم الثّاقب، والرّأي الصّائب، لا يُجارى في علم العروض ولا في المعقولات"

– قال عنه الجاسوس الفرنسي ليون روش (*Léon* Roches): "إنّ طبعه هادئ وصارم في نفس الوقت، يحب النظام، عينه تشبه عين الأمير عبد القادر، قليلاً ما يتكلّم؛ وإذا تكلّم لا يرفع عينيه، يحب السلام والراحة، كان مخلصاً للأمير في السراء والضراء، وكان يعتمد عليه خصوصاً في شؤون تسيير الدّولة لسداد رأيه، وهو يعد من كبار العلماء والكتاب في عصره".

– قال المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "تميّز بالعلم والأدب والحكمة أكثر من القدرة على الإدارة، رغم أنّه كان محارباً شجاعاً"، ويقول عنه أيضاً بأنّ "الكتب لم تكن تفارقه أبدا".

حبيب بوزوادة

مصادر:
– مصطفى ابن التّهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، بتحقيق يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
– إبراهيم لونيسي، مصطفى ابن التّهامي العالم ورجل الدّولة، مجلة عصور، العدد03، جوان 2003م.

مصطفى بن الكبابطي
(8911هـ - 1775م/1277هـ - 1861م)

مصطفى بن الكبابطي، عالم وفقيه جزائري رفض السّياسة الفرنسيّة الرّاميّة الى مصادرة الأوقاف في الجزائر ولد "ابن الكبابطي" بمدينة الجزائر في شهر شوال 1189هـ، في الوقت الذي كانت فيه هذه المدينة تشهد تكالب الدّول الأوروبيّة على تجارتها وموانيها، وتعود عائلة الكبابطي إلى أصول أندلسيّة، وهي من العوائل التي قلدها العثمانيون مناصب كثيرة.

من أشهر شيوخ مترجمنا بمدينة الجزائر: "علي بن عبد القادر" المعروف "بابن الأمين"، الذي تولى فتوى المالكيّة مدة طويلة بالمدينة المذكورة، والذي كان قد حصل على ثقافة واسعة بالأزهر الشّريف. والظّاهر أن الكبابطي قد قصد فاس للتعلم أيضا.

وقد يكون انتهى من تعليمه حوالي سنة 1227هـ.

وكان الشّيخ مصطفى الكبابطي قد تحول من القضاء إلى الإفتاء في العهد الفرنسي، وكان عالما بالحديث والتّفسير، وكان يقرض الشّعر، وقد عارض الهجرة كما سنعرف، وعارض كذلك الإجراءات الفرنسيّة في الجامع الكبير فحكمت عليه بالنّفي، "ومن ثمة نرى أن الجامع الكبير بالعاصمة ظل في وضع استثنائي منذ الاحتلال، وكان يمكنه أن يلعب دورا استثنائيا أيضا في الحياة العلميّة والدّينيّة للبلاد لو أنه وجد علماء يقدرون ذلك ويعرفون مكانته ومكانتهم في التّاريخ، ولكنه أصيب بموظفين خنعوا للضغط وطمعوا في المنصب، فكان حال الجامع كحال بقيّة المساجد بدون استثناء، وكان حالهم كحال بقيّة الموظفين في المساجد الأخرى".

أما مسألة الهجرة "قد دارت مناقشات ساخنة بين العلماء حول مشروعيّة الهجرة، فأفتى بعضهم مثل قدور بن رويلة وعلي بن الحفاف بضرورة الهجرة من الجزائر ما دام العدو قد تغلب عليها، وأفتى آخرون بضرورة البقاء محافظة على الدّين وتعليم العامة ما دام العدو قد ترك المسلمين يتعبدون ويقيمون شعائرهم الدّينيّة، ومن هؤلاء مصطفى الكبابطي ومحمّد بن الشّاهد

لعل كاتب الأمير، ابن رويلة، هو الذي فجر الموضوع بدعوى العلماء للهجرة واحتجاجه بفتوى أحمد الونشريسي في كتاب المعيار، والمعروفة بعنوانها (أسنى المتاجر). والغالب على الظّن أن ابن رويلة لم يكتب ما كتب إلا بموافقة الأمير. وقد تولى المفتي الكبابطي الرّد عليه وتبرير عدم الهجرة بكون الفرنسيين لم يمنعوا المسلمين من العبادة وكون العامة في حاجة إلى العلماء ليعلموهم مبادئ الدّين.

دارت عدة مراسلات في هذا الشّأن بين الطّرفين، ووصلت أحيانا، إلى حد الاتهامات الشّخصيّة بدل الاحتجاج الدّيني. وتدل المراسلات على معرفة سابقة بين المفتي الكبابطي وابن رويلة. وهذا ليس غريبا. لأن الكبابطي كان قاضيا ثم مفتيا منذ الاحتلال، وكان معروفا لابن روميلة قبل التّحاقه بخدمة الأمير. ومن ذلك التّنابز أن المفتي عاتب ابن رويلة على استعماله عبارة (المعظم الأمجد) في مخاطبة رؤساء الفرنسيين. وقد رد ابن رويلة على ذلك بأنه فعلا كان يكتب ذلك قبل أربع سنوات، وكان يكتب ما كتب باسم الأمير، إلى أن نهاه الأمير عن استعمال عبارات مثل هذه في مراسلات، (فتاب) ولم يرجع إليها، وتحداه أن يجد عنده عبارة أخرى غير (إلى عظيم الجنرالات . .) منذ ذلك الحين، وقد رد ابن رويلة بعد ذلك على لائميه ردا حاسما بذكره عشرة نقاط كل واحدة منها تدل على خضوع العلماء.

ورغم تمسك الكبابطي بعدم الهجرة فإنه قد وجد نفسه مجبرا عليها سنة 1843، أي بعد حوالي سبع سنوات من دفاعه القوي على البقاء ما دام الفرنسيون قد سمحوا بالعبادة. ويبدو أنه كان مقتنعا بالبقاء والمقاومة بمختلف الوسائل، وكان يعرف ما حصل لأهل الأندلس، وهو منهم، الذين لم يهاجروا. وأثناء مقاومته لتدخلات الفرنسيين في الشّؤون الدّينيّة واستيلائهم على الأحباس وإدخالهم اللغة الفرنسيّة في الكتاتيب القرآنيّة، اصطدم مع إدارة المارشال بوجو، فحكم عليه بالنّفي إلى جزيرة سان مرغريت (فرنسا)، ثم سمح له بالإقامة في مصر، من عجائب الزّمن أن ابن رويلة أيضا. قد مات في المنفى".

كان يدرس لتلاميذه علوم: الفقه، الحديث، النّحو، المنطق وبعض المتون، وقد اشتهر بين معاصريه بروايّة حديث الصّحاح. وقد ذكر تلميذه ومترجمه "عبد الحميد بك"، أن أغلب علماء الاسكندريّة رووا عنه صحيح البخاري ومسلم.

بدأ نشاطه في الوظائف الإداريّة منذ سنة 1243هـ، ففي هذه السّنة تولى منصب القضاء على المذهب المالكي بتعيين من الدّاي الحسين باشا، آخر دايات الجزائر. وقد استمر في منصب القضاء خلال السّنة الأولى من الاحتلال(1246هـ/ 1830م) وهي السّنة التي حكمت السّلطات الفرنسيّة فيها بالنّفي على المفتي الحنفي "محمّد ابن العنابي" الذي سينزل الكبابطي عنده بالإسكندريّة بعد أن حكم عليه الفرنسيون بالنّفي هو أيضا. وقد كان ابن العنابي يشغل حينئذ وظيفة مفتي الحنفيّة بالإسكندريّة.

ظهر الكبابطي سنة 1833 أمام اللجنة الإفريقيّة التي أرسلتها الحكومة الفرنسيّة إلى الجزائر للتحقيق، وقد استجوبه رئيس اللجنة وأدلى برأيه فيما يخص الأحوال الشّخصيّة والقضاء.

انفجرت الأزمة بين مفتي المالكيّة عنذئذ مصطفى الكبابطي والفرنسيين على جبهتين: جبهة دينيّة (الأوقاف) وجبهة علميّة (اللغة)، ففي المجال الدّيني عارض الكبابطي قرار ضم مؤسسات الأوقاف إلى أملاك الدّولة الصّادر في 23 أذار- مارس 1843، فاتهم بالمقاومة المكشوفة لأوامر الحكومة الفرنسيّة، التي فسرت هذا الموقف بأنه تمرد وعصيان وعداء لها.

أما في المجال العلمي فقد رفض المفتي تعليمة وزير الحربيّة التي تفرض اللغة الفرنسيّة على أبناء الجزائريين المسلمين

المتمدرسين في الكتاتيب، ونقل المفتي لوزير الحربيّة معارضة تامة لأي إجراء يشغل أطفال المسلمين عن تعلم القرآن الكريم وعن التّعليم العربي.

وقد اعتبرت معارضة المفتي للقرار الفرنسي في الحالتين المذكورتين -الذي رأى فيه جُورا وتعديا على حرمة النّاس- عصيانا لأمر وزير الحربيّة ومخالفة للفرنسيين في سياستهم الاستعماريّة الهادفة إلى القضاء على الشّخصيّة الجزائريّة، فأصدر القائد العام في الجزائر الجنرال الفرنسي "بيجو" (Bugeaud) على إثر ذلك أمر بنفيه وولده وابن أخيه إلى سان مرغريت فنقلوا إلى مارسيليا تمهيدا لنقلهم إلى منفاهم وذلك في شهر ماي 1843 ولكن سلطات باريس سمحت له بناء على طلب المفتي بالتّوجه إلى الإسكندريّة التي حضر إليها في سنة 1259هـ.

وصل الكبابطي الإسكندريّة في 24 تموز جويليّة 1843، فاشتغل بروايّة الحديث على روايّة البخاري ومسلم في جامع تربانة على الميناء الشّرقي، وكان كثير الفتوى على مذهب مالك، وقد توفي في سنة 1277هـ.

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011.
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

مصطفى بن المختار الغريسي (ت: 1212هـ - 1797م)

هو مصطفى بن المختار المعروف بالغريسي نسبة إلى منطقة غريس التي نشأ فيها وهي سهل يحيط بمدينة معسكر. ونجله هو السيد محيّ الدين الذي أنجب الأمير عبد القادر، فهو جد الأمير. عرف عنه أنه فقيه وصوفي وعالم لغوي. لا يوجد تاريخ محدد لسنة ميلاده لكنه عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري أي الثامن عشر الميلادي حيث توفي مع بدايات القرن الثالث عشر الهجري. تلقى تعليمه على يد الشّيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، فأخذ عنه علوم العربيّة والعلوم الإسلاميّة من فقه وتوحيد وتفسير وحديث. كما أخذ عنه الطريقة القادريّة. وعندما توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، زار بغداد حيث جدد أخذ الطريقة على يدي مقدم القادريّة الذي ألبسه الخرقة، وتمثل رمز الانتماء للطريقة. ولذلك يعتبر الشّيخ المختار هو مؤسس الطريقة القادريّة بالجزائر، ويحدد بومدين بوزيد تاريخ تأسيسها بسنة 1200 للهجرة أي حوالي 1785 م وهو ما نعتمده في هذه الترجمة. وقد ساهم الشّيخ ابن المختار بماله في توسعة مقام ضريح الشّيخ عبد القادر الجيلاني، وعرفت تلك التوسعة بزيادة الشّيخ مصطفى المغربي.

وتنسب الطريقة القادريّة إلى مؤسّسها الشّيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد والمتوفي سنة 561 هـ الموافق لـ 1166م. وهي من أقدم الطرق الصوفيّة في العالم الإسلامي وأوسعها انتشارا. ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن السّادس الهجري، الثاني عشر الميلادي. ويعتبر أبو مدين شعيب الأندلسي المعروف بالغوث ودفين تلمسان المتوفي في أواخر القرن السّادس الهجري، أوّل عالم صوفي ساهم في نشر مبادئ الطريقة القادريّة بالجزائر وعموم بلاد المغرب. وترسخ وجودها خلال العهد العثماني فقد كان الولاة العثمانيون يولونها أهميّة على ما سواها من الطرق الصوفيّة.

من أبرز تلامذة الشّيخ مصطفى بن المختار نجله محي الدين الذي أخذ مكانه في مشيخة الزاويّة وإدارة معهد القيطنة بعد وفاة والده، والباي محمّد بن عثمان الملقب بالكبير والمؤرخ محمّد أبو راس الناصر وغيرهم. وظلّ ابنه الشّيخ محي الدين في منصب المشيخة إلى أن سلم العهدة إلى ابنه الأمير عبد القادر.

ومن أهم مآثره تأسيسه لمسجد القيطنة في أواخر القرن الثاني عشر. وأدخلت عليه توسعة فيما بعد ليكون مقرا للزاويّة ومعهدا للدراسة. وأسند الشّيخ مصطفى أمر تسييره والاشراف على التدريس فيه إلى شيخه عبد القادر بن عبد الله المشرفي. وقد قام الباي محمّد بن عثمان الملقب بمحمّد الكبير وهو أحد تلامذة الشّيخ مصطفى بن المختار بتجديد المعهد بتاريخ 1206 هـ كما يذكر ذلك الشّيخ المهدي بوعبدلي. ويقول إن ذلك هو تاريخ التجديد وليس تاريخ التأسيس، فتأسيس معهد القيطنة يعود إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري وليس إلى بدايّة القرن الثالث عشر كما تشير مختلف المصادر التي تناولت سيرة الأمير عبد القادر ومنها تحفة الزائر الذي كتبه محمّد بن الأمير وخصصه لسيرة والده. ويستدل الشّيخ المهدي بوعبدلي على ذلك بأن الشّيخ عبد القادر المشرفي والذي كان قيّما على المعهد كانت وفاته سنة 1192 هـ أي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

وقدّ تحوّل المسجد مع الوقت إلى معهد والذي تخرّج منه الأمير عبد القادر والعديد من العلماء والشّيوخ. وكان أبوراس الناصر شاهدا على تأسيسه ويذكر ذلك بقوله: "وقد ذهبت للقيطنة ذات يوم ووقفت بباب الجامع فإذا هو نُوالة كبيرة بمحرابها، وعن يمينه بيت الشّيخ المشرفي، فرأيت الشّيخ مصطفى بن المختار أحد تلامذة الشّيخ المذكور يدرس في الأول من المختصر، ثم رجعت بعد ساعة فرأيت الشّيخ يدرس في الثاني". وكتاب المختصر أي مختصر خليل أو "سيدي خليل" يعتبر من أكثر كتب الفقه شيوعا في التدريس، ومؤلفه هو الفقيه

المالكـي المصري الخليل بن إسـحاق الذي توفي سنة 776 هـ.

ويصف المهدي بوعبدلي الشّيخ مصطفى بن المختار بأنه كان من كبار علماء عهده فقها ولغـة وحديثا. كمـا وصفه تلميـذه محمّد أبو راس الناصـر بأنـه رئيس أهل العلـم والدرايّة والفقـه والتفسـير والولايّـة. ويقـول عنه بأن لـه درايّـة واسـعة بالعقيـدة الصغـرى " فقيـه نبيـه، جيد النظر، سـديد الفهم، لـه لكل علم وصـول من حديـث... طار صيتـه حتى صار نخبة أهل العصر، راسـخ القـدم في الأصول والعلـل". ويصفه بعض من كتبوا عن سـيرته بشـيخ الشّـريعة والحقيقـة، إذ كان يجمع بين العلم والتصوف، فلم ينطو ضمن عالم الزهد والتصـوف ولكـن مـارس التدريـس ونشـر العلم والعمل به فـي الوقت الذي كان التدين الصوفـي هو الغالب على الحيـاة الاجتماعيّة لسـكان الجزائر وعموم منطقة بلاد المغرب. وقد شاع التصوف في العصر الوسيط وتوسع خـلال العهـد العثمانـي، وكان الـولاة وقادة الجيـش يتقربـون مـن المرابطيـن ويأخذون برأيهم في بعض مسائل الحرب نظرا لنفوذهم الروحي وسط السكان، ولذلك اعتنوا بالزوايا والأضرحـة والمشـاهد والقبـب والوقـوف عليهـا وتجديدهـا. وكان البعـض منهم يلجأ إلى المرابطين أو أضرحتهم للاحتماء بها ضد منافسيهم عندما تشتد الصراعات على النفوذ.

توفـي الشّـيخ مصطفـى بـن المختـار الغريسـي سـنة 1212هـ أي حوالي سنة 1797 م ببرقـة فـي طريـق عودتـه مـن أداء الحجـة الرابعـة، ودفن بمنطقة عين غزال قرب مدينة درنة بإقليم بنغازي في ليبيا.

عامر بغدادي

المصـــادر

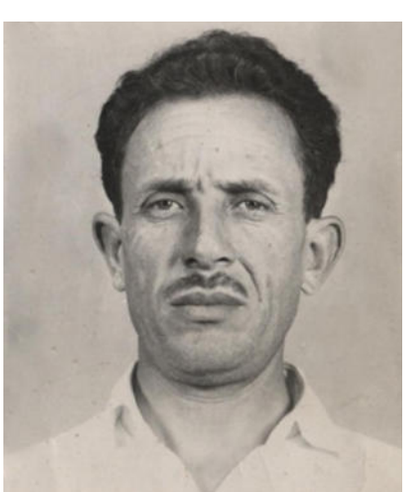
- الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي
- من تاريخ الطريقة القادريّة في منطقة غليزان وضواحيها، محمّد مفلاح
- التشيع والتصوف، بومدين بوزيد، جريدة الخبر الصادرة في 25/ 07/ 2014

مصطفى بن بولعيد
(1336هـ - 1917م/1375هـ - 1956م)

مصطفـى بـن بولعيد من مواليـد 5 فيفري 1917 بقريّـة (اينركـب) بأريـس ولايّـة باتنـة مـن عائلة متواضعة ومتوسّـطة. تلقى تعليمه الأوّلـي علـى أيـدي شـيوخ منطقتـه فحفظ مـا تيسـر لـه مـن القـرآن الكريـم وبعـد هذا التّحصيـل تحول إلـى مدينة باتنـة للالتّحاق بمدرسة الأهالي الابتدائيّة لمواصلة دراسته، ثم انتقل إلى الطّور الإعدادي.

الـزّم بن بولعيـد لأداء الخدمة العسـكريّة الإجباريّـة وتـمّ تسـريحه فـي 1942 نتيجـة الجروح التي أصيـب بها، ثم تمّ تجنبده ثانيّة ما بين سنتي 1943 و1944 بخنشلة.

بعـد تسـريحه نهائيـا برتبـة مسـاعد عـاد إلـى الحيـاة المدنيّـة وتحصل علـى رخصة لاستغلال خطّ نقل بواسطة الحافلات يربط بين أريـس وباتنـة. وفي هذه الأثنـاء انخرط بـن بولعيد في صفوف حزب الشّـعب تحت قيـادة مسـعود بلعقـون وقـد عـرف بالقدرة الكبيرة على التّنظيم والنّشاط الفائق مما دفع بالحزب إلى ترشـيحه لانتخابـات المجلس الجزائـري في 4-04-1948 والتي فاز بالدّور الأوّل منهـا لكـن الإدارة الفرنسـيّة لجـأت إلى التّزويـر كعادتهـا لتزكيّة أحـد المواليين لسياستها.



يعـد بـن بولعيـد مـن الطّلائـع الأوّلـى التـي انضمـت إلى المنظمـة السّـريّة بمنطقة الأوراس كمـا كان مـن الـرّواد الأوائـل الذيـن أنيطـت بهـم مهمّـة تكوين نـواة هذه المنظمـة فـي الأوراس التـي ضمـت آنـذاك خمسـة خلايـا نشـيطة واختيـار العناصـر القـادرة علـى جمـع الأسـلحة والتّـدرب عليهـا والقيـام بدوريـات اسـتطلاعيّة للتعـرف علـى تضاريـس الأرض مـن جهـة ومـن جهـة ثانيّـة تدبـر إمكانيّـة إدخـال الأسـلحة عـن طريـق الصّحـراء.

بعـد اكتشـاف المنظمـة السّـريّة مـن قبـل السّـلطات الاسـتعمّاريّة فـي مـارس 1950 برز دور بـن بولعيـد بقـوة لمـا أخـذ علـى عاتقـه التّكفـل بإيـواء بعـض المناضليـن المطاردين وإخفائهـم عن أعين العـدو وأجهزتـه الأمنيّة، وقـد أعقـب اكتشـاف المنظمـة حملة واسـعة من عمليات التّمشـيط والاعتقال والاستنطاق الوحشـي بمنطقـة الأوراس علـى غـرار باقـي مناطـق الوطن. ، ولكـن وعلى الرّغـم من كل المطـاردات والمضايقات وحمـلات التّفتيش والمداهمـة تمكـن بـن بولعيـد بفضـل حنكته وتجربتـه مـن الإبقـاء علـى المنظمـة الخاصّة واسـتمرّارها في النّشاط على مستوى المنطقة. وبالمـوازاة مـع هـذا النّشـاط المكثـف بـذل مصطفى بـن بولعيد كل ما في وسـعه من أجل احتـواء الأزمـة بصفته عضو قيادي فـي اللجنة المركزيّة للحزب. وقـد كلّف بالاتصال بزعيم الحـزب مصالي الحـاج الذي كان قـد نفي في 14 مـاي 1954 إلى فرنسـا ووضع تحت الإقامة الجبريّة، وذلك في محاولة لإيجاد حل وسطي يرضي المركزيين والمصاليين.

وبعـد ذلك توصـل أنصـار العمـل الثّوري المسـلح وفـي طليعتهم بـن بولعيد إلـى فكرة إنشـاء "اللجنـة الثّوريّـة للوحـدة والعمـل"

والإعلان عنها في 06 مارس 1954 من أجل تضييق الهوة التي تفصل بين المصاليين والمركزيين من جهة وتوحيد العمل والالتّفاف حول فكرة العمل الثّوري من جهة ثانيّة.

تم عقد اللقاء التّاريخي لمجموعة الـ22 بحي المدنيّة في 24 جوان 1954 الذي حسم الموقف لصالح تفجير الثّورة المسلحة لاسترجاع السّيادة الوطنيّة المغتصبة منذ أكثر من قرن مضى.

ونظرا للمكانة التي يحظى بها بن بولعيد فقد أسندت إليه بالإجماع رئاسة اللقاء الذي انجر عنه تقسيم البلاد إلى مناطق خمس وعين على كل منطقة مسؤول وقد عين مصطفى بن بولعيد على رأس المنطقة الأوّلى: الأوراس كما كان أحد أعضاء لجنة (السّتة) (بوضياف، ديدوش، بن بولعيد، بيطاط، بن مهيدي، كريم). ومن أجل توفّير كل شروط النّجاح والاستمرّاريّة للثورة المزمع تفجيرها، تنقل بن بولعيد رفقة: ديدوش مراد، محمّد بوضياف ومحمّد العربي ين مهيدي إلى سويسرا خلال شهر جويليّة 1954 بغيّة ربط الاتصال بأعضاء الوفد الخارجي (بن بلة، خيضر وآيت أحمد) لتبليغهم بنتائج اجتماع مجموعة الـ22 من جهة وتكليفهم بمهمّة الإشراف على الدّعايّة لصالح الثّورة. ومع اقتراب الموعد المحدد لتفجير الثّورة تكثفت نشاطات بن بولعيد من أجل ضبط كل كبيرة وصغيرة لإنجاح هذا المشروع الضخم، وفي هذا الإطار تنقل بن بولعيد إلى ميلة بمعيّة كل من محمّد بوضياف وديدوش مراد للاجتماع في ضيعة تابعة لعائلة بن طوبال وذلك في سبتمبر 1954 بغرض متابعة النّتائج المتوصل إليها في التّحضير الجاد لإعلان الثّورة المسلحة ودراسة احتياجات كل منطقة من عتاد الحرب كأسلحة والذخيرة. وفي 10 أكتوبر 1954 التّقى بن بولعيد، كريم بلقاسم ورابح بيطاط في منزل مراد بوقشورة بالرّايس حميدو وأثناء هذا الاجتماع تم الاتفاق على:

1 – إعلان الثّورة المسلحة باسم جبهة التّحرير الوطني.

2– إعداد مشروع بيان أوّل نوفمبر 1954.

3–تحديد يوم 22 أكتوبر 1954 موعدا لاجتماع مجموعة السّتة لمراجعة مشروع بيان أوّل نوفمبر وإقراره. 4– تحديد منتصف ليلة الاثنين أوّل نوفمبر 1954 موعدا لانطلاق الثّورة المسلحة. .

اجتمع والجماعة التي ضمت: بن بولعيد، بوضياف، بيطاط، بن مهيدي، ديدوش وكريم بمنزل مراد بوقشورة أين تم الاتفاق على النّص النّهائي لبيان أوّل نوفمبر 54 والاتفاق على السّاعة الصّفر من ليلة فاتح نوفمبر 54 لتفجير الثّورة المباركة .

في 24 جانفي 1955 غادر بن بولعيد الأوراس باتجاه المشرق.

وعند وصوله إلى (أرديف) المدينة المنجميّة التّونسيّة، التي كان يعمل بها الكثير من الجزائريين، اتصل ببعض هؤلاء المنخرطين في صفوف الحركة الوطنيّة، وكان قد تعرف عليهم عند سفره إلى ليبيا في منتصف أوت 1954، وذلك لرسم خطة تمكن من إدخال الأسلحة، الذخيرة والأموال إلى الجزائر عبر وادي سوف.

وقد تمّ اعتقاله 11 فيفري 1955. ، بعد مطاردة، ومواجهة مع شرطة بن كردان الحدوديّة.

في 3 مارس 1955 قدم للمحكمة العسكريّة الفرنسيّة بتونس التي أصدرت يوم 28 ماي 1955 حكما بالأشغال الشّاقة المؤبدة بعدها نقل إلى قسنطينة لتعاد محاكمته من جديد أمام المحكمة العسكريّة في 21 جوان 1955 وبعد محاكمة مهزلة أصدرت الحكم عليه بالإعدام.

ونقل إلى سجن الكديّة الحصين، أين واصل بن بولعيد مهمته النّضاليّة بالرّفع من معنويات المجاهدين ومحاربة الضعف واليأس من جهة والتّفكير الجدي في الهروب من جهة ثانيّة. وبعد تفكير متمعن تم التّوصل إلى فكرة الهروب عن طريق حفر نفق يصلها بمخزن من البناء الاصطناعي وبوسائل جدّ بدائيّة، استغرقت 28 يوما من الحفر.

وقد تمكّن من الفرار من هذا السّجن الحصين والمرعب كل من مصطفى بن بولعيد، محمّد العيفة، الطّاهر الزّبيري، لخضر مشري، علي حفطاوي، إبراهيم طايبي، رشيد أحمد بوشمال، حمادي كرومة، محمّد بزيّان، سليمان زايدي وحسين عريف.

وفي طريق العودة إلى مقر قيادته انتقل إلى كيمل حيث عقد سلسلة من اللقاءات مع إطارات الثّورة ومسؤوليها بالنّاحيّة، كما قام بجولة تفقديّة إلى العديد من الأقسام للوقوف على الوضعيّة النّظاميّة والعسكريّة بالمنطقة الأوّلى "الأوراس". وقد تخلل هذه الجولة إشراف بن بولعيد على قيادة بعض أفواج جيش التّحرير الوطني التي خاضت معارك ضاريّة ضد قوّات العدو وأهمها: معركة إيفري البلح يوم 13–01–1956 ودامت يومين كاملين والثّانيّة وقعت بجبل أحمر خدو يوم 18–01–1956. وقد عقد آخر اجتماع له قبل استشهاده يوم 22 مارس 1956 بالجبل الأزرق بحضور إطارات الثّورة بالمنطقة الأوّلى وبعض مسؤولي جيش التّحرير الوطني بمنطقة الصّحراء. ومساء اليوم نفسه أحضر إلى مكان الاجتماع مذياع الذي كان ملغما الذي ألقته قوّات العدوّ (الاستعمّار الفرنسي) وعند محاولة تشغيله انفجر مخلفا استشهاد قائد المنطقة الأوّلى مصطفى بن بولعيد وخمسة من رفاقه.

باديس فوغالي

المصادر:

منتديات الجزائر التّعليميّة، صفحة خاصّة عن شخصيات وطنيّة.

مصطفى بن صالح بن يحيى (الشّيخ)
(1345هـ - 1927م/1431هـ - 2010)

المجاهد الفذّ مصطفى بن صالح بن يحي الشّيخ أصيل بني يزگن بميزاب، خبير حسابات منذ أيام الثورة إلى حينة وفاته، وله مكتب مشهور باسمه في ساحة الأمير عبد القادر بالعاصمة، وهو نجل الوطني الهمام صالح بن يحيى الشّيخ أحد أقطاب الحزب الحرّ الدستوري التونسي القديم 1920.

ولد بتونس لما كان والده تاجراً مهاجراً بها، كما كان أحد سَرَاتها ورجالها الوطنيين البارزين.

لم يذكر بالضبط متى عاد إلى الجزائر والراجح أنه في سن مبكرة، علما بأن والده توفي بتونس سنة 1948، إلاّ أنه ترعرع في كنف خاله المجاهد والوطني الهمام إبراهيم حجوط الذي كان تاجراً مرموقاً للأقمشة في العاصمة الجزائر، وكان يقيم في مدينة المديّة (80كلم جنوب العاصمة)، فكان يتردد بينهما، وعند خاله تعلم فنّ الحساب وبرع فيه فصار محاسب الشّركة، أما خاله الشّهيد إبراهيم حجوط، فقد كان أحد المساهمين في تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين سنة 1956، وكان قبل ذلك قد ترأس "جمعيّة التعاون العام" سنة 1937 أسّست هذه الجمعيّة من أجل الدفاع عن مصالح التجار المزابيين بالعاصمة والحد من احتكار التجار اليهود لمختلف الأسواق...

ظلّ تحت أعين البوليس الفرنسي طيلة زمن الثورة التحريريّة، حتى استشهد قبيل الاستقلال بقليل إذ نكل العساكر الفرنسيون بجثته بأن سحبوها بسيارة عسكريّة (jeep) على طول شارع لالير (أحمد بوزرينة) وعلى طول هذا الشّارع يتواجد أكبر تجمع للتجار المزابيين بالعاصمة آنذاك، وذلك ليخوفوهم من ملاقاة نفس المصير إن هم مدوا يد المساعدة للثوار أو للفدائيين، وقد سمي بعد الاستقلال نهج في شارع لالير باسمه تخليدًا لذكراه.

ومن هنا يمكن أن ندرك مصدر التنشئة الوطنيّة التي تمتع بها مصطفى الشّيخ إذا عرفنا تنوع منابعها، فعن والده صالح بن يحيى أخذ الدروس الأولى في الوطنيّة والنضال السّياسي، وعن خاله أخذ دروس الكفاح والثورة.

كما ذكر لي بعد ذلك بأن والده صالح بن يحيى لم يغذ فقط الحرب الطرابلسيّة التي قادها سليمان باشا البارونى الليبي ضد الاستعمار الإيطالي لليبيا، بل ساهم بالإضافة إلى نشاطه المنقطع النظير في دعم الحزب الحر الدستوري التونسي بالمال والرأي، ساهم في تغذيّة ثورة الريف بالمغرب الأقصى والتي قادها الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي ضد الاستعمار الفرنسي، فقد توجه إلى الغرب الجزائري وبالضبط تلمسان حيث التقى بوفد من الريف المغربي متنكرين في زيّ الصوفيّة اجتمع بهم في الزاويّة الهبريّة في تلمسان ومدهم بما استطاع جمعه من مال وسلاح... بالإضافة إلى مساندته لحركة الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري، هذا الأخير الذي شارك في الحرب العالميّة الأولى وفي الصفوف الأماميّة وكان برتبة قبطان، بعد نهايّة الحرب دخل الجزائر وأسس جريدة "الإقدام" الوطنيّة وكان يطالب فيها بالحقوق التي وعدت بها فرنسا كل من شارك إلى جانبها في الحرب، فصار يناشدهم تطبيق مبادئ "وِلْسُونْ" ومنها حق الشّعوب في تقرير مصيرها، ولكن مطالب الأمير خالد انتهت بنفيه سنة 1923 من الجزائر إلى مصر.

من آثاره الوطنيّة:

ورد في كتاب يضم شهادات المؤسسين والمشاركين في بعث نشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين، نشر مؤخرًا بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين (19562006) ويضم الكاتب من الصفحة 29 إلى الصفحة 33 شهادة مصطفى الشّيخ في مشاركته في "سنوات العمل السّري للاتحاد 1956 - 1957" (كما عنونها هو) حيث أسس أول نقابة لعمال المكاتب تابعة للاتحاد العام للعمال الجزائريين، رفقة عروة علي، وحاج علي علي، وتفاجيرة نور الدين، ونفاع سليمان، وياسف يحيى وآخرين، وكان يجتمع مع رفاقه في مستودع للأقمشة الذي كان يملكه خاله الشّهيد إبراهيم حجوط في نهج بشارع لالير بالعاصمة، حيث كان مصطفى شيخ يعمل محاسباً في تلك الشّركة.

ولم يذخر طيلة سنوات الحرب جهدا في خدمة الاتحاد رغم الملاحقات الكثيرة له فكان اسمه الحركي في زمن الثورة التحريريّة هو (كمال)، وكان يجمع المعلومات ويكتب التقارير السّريّة للثورة، ولما تعرض مقر الاتحاد للتفجير من قبل المستعمر، عمل مع مجموعة من أصدقاءه على جمع بيانات المنخرطين في الاتحاد، وتجديد بطاقاتهم وكتابة التقارير وإرسالها إلى الخارج لفضح الأساليب القمعيّة الفرنسيّة...

استدعي مرّات لتكوين نقابيي الإدارة والاقتصاد، وألقي عليه القبض في أواخر جانفي 1957 لترأسه إضراب الثماني أيام، ثم أخلي سبيله، ليقوم بتحرير وتوزيع مناشير الاتحاد العام للعمال الجزائريين ليوم 1 ماي 1957، وهذه آخر مظاهرات ينشط فيها ضمن الاتحاد في الجزائر، ليشتغل بعدها بتأمين خروج بعض القادة الثوريين إلى خارج الوطن وبالتحديد إلى بلجيكا، ألقي عليه القبض يوم 31 ماي 1957 وعذّب وحكم عليه بعد أن قضى مدة في مستشفى مصطفى باشا، ثم عاد إلى سجن باربروس ليقف بعدها أمام المحكمة العسكريّة يومي 12 و13 جانفي 1959 ليحاكم فيما أسموه قضيّة UGTA، وبعد أكثر من عامين أطلق سراحه ليعود إلى العمل الثوري السّري، ولما كان محلّ متابعة دقيقة، فقد فرّ إلى المغرب بطريقة سرّيّة في أوائل ديسمبر 1961 لنضمّ إلى

نقابيي المنظمة الخارجيّة لاتحاد العمال الجزائريين بالدار البيضاء، وعند وقف إطلاق النار عاد إلى أرض الوطن.

بعد الاستقلال الوطني عين رئيسًا لبلديّة سيدي امحمد خلال سنوات 1971 - 1974 قدم فيها الكثير لوطنه

ثم عاد إلى فتح مكتب الحسابات المعتمد إلى تقاعده بل إلى وفاته.

تربطه علاقات قويّة مع كبار رجال الحركة الوطنيّة وبكثير من المثقفين، كان يجتمع بهم في مكتبة العالم الثالث في ساحة الأمير عبد القادر بالعاصمة في مائدة أدبيّة مستديرة كل يوم إربعاء لمطالعة الكتب وتبادل

الأفكار... لبى نداء ربه بعد مرض خفيف يوم 18/ 12/ 2010 وصلي عليه بعد الظهر في مسجد الإباضيّة ببلكور ودفن في مقبرة سيدي امحمد إلى جانب زوجته الراحلة قبل سنوات، وكان قد أوصى بذلك قبل رحليه.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

commémoration du 50éme anniversaire de la création de l'UGTA 19562006/ organisation nationale des moudjahidine

- مقابلة مسجلة مع الفقيد، في مكتبه بالعاصمة، أفريل 2008م.
- استمارة معجم أعلام الإباضيّة، قيد الإنجاز، صفحتين، مخطوطة.

مصطفى بن عزوز
(1219هـ - 1805م/1282هـ - 1866م)

الشّيخ مصطفى بن محمّد بن عزوز الشّريف الحسني الإدريسي المالكي، والده هو الشّيخ العالم الزاهد محمّد بن عزوز شيخ الطريقة الرحمانيّة في الجنوب الجزائري وفي الجريد التونسي، أنشأ والد الشّيخ مصطفى زاويّة في قريّة البرج بالقرب من طولقة ولايّة بسكرة أصبحت هذه القريّة تنسب إليه، فيقال: قريّة برج بن عزوز، وقد تتلمذ على الشّيخ محمّد بن عزوز معظم مشائخ وزوايا الطريقة الرحمانيّة في الجنوب الشّرقي الجزائري والأوراس، وطولقة، وأولاد جلال، وسيدي خالد، وخنقة سيدي ناجي وغيرها...

نشأ الشّيخ مصطفى بن عزوز في رعايّة أبيه، الذي أشرف على تربيته، وسلوكه طريق الفضيلة والكمال، فحفظ القرآن وجوده، وتعلم في الزاويّة العزوزيّة علوم اللغة والدين، وما أن بلغ سنه 14 عاما حتى توفي والده، فأخذه الشّيخ علي بن عمر الطولقي تلميذ والده وشيخ زاويّة طولقة –وتكفل بإتمام تربيته ليؤهله للإشراف على زاويّة والده كما أوصى والده الشّيخ محمّد بن عزوز .

استلم الشّيخ مصطفى مشيخة زاويّة طولقة بعد وفاة شيخه علي بن عمر وأشرف عليها ستة شهور، وترك إكمال المهمة لنجل الشّيخ علي بن عمر لما آنس منه الأهليّة والاستعداد، وانتقل إلى زاويّة أبيه ببرج بن عزوز ليتولى الإشراف عليها.

كانت الزاويّة العزوزيّة في عهد الشّيخ مصطفى متحالفة مع الأمير عبد القادر كما كانت معظم الزوايا الرحمانيّة فكانت له سندا ودعما، وقد قام الأمير عبد القادر بتعيين الشّيخ حسين بن عزوز أخ الشّيخ مصطفى خليفة على الزاب الشّرقي، وكانت لهذا الأخير جولات وصولات مع الاستعمار انتهت بإلقاء القبض عليه ونفيه إلى جزيرة "سانت مرغريت"، ثم تمت إعادته إلى عنابة ومات سجينا هناك، ولم يقف عند هذا بل أصبحت تضيق على أفراد الأسرة وانتهى الأمر بإغلاق الزاويّة، عند ذلك لم يجد الشّيخ مصطفى بدا من الهجرة إلى تونس لحمايّة الأسرة من جهة ولبناء زاويّة تكون بعيدة عن تأثير الاستعمار، فاستقر رأيه على" نفطة" التونسيّة لقربها من الجزائر بضعة كيلومترات من الحدود، ولسهولة الانتقال إليها ولأهداف أخرى بعيدة، منها مساعدة المجاهدين الجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي لتكون ملجأ للفارين من ظلمه.

بنى الشّيخ الزاويّة وأنشأ فيها مدرسة لتعليم القرآن وتحفيظه، وتدريس العلوم اللغويّة والشّرعيّة والعقليّة، وبنى بيوتا لطلبة العلم المتفرغين، واستقدم العلماء من مناطق تونس، إضافة إلى علماء الأسرة العزوزيّة، ومن العلماء الذين كانوا في زاويته: الشّيخ محمّد المدني بن عزوز، وأبو العباس بن عزوز أخو الشّيخ مصطفى، والشّيخ محمّد الصالح حمادي، والشّيخ التارزي بن عزوز، والشّيخ أحمد الأمين بن عزوز، والشّيخ إبراهيم بوعلاق التوزري، والشّيخ أحمد السّنوسي بن عبد الرحمن القفصي، وغيرهم.

وقد كان لزاويّة الشّيخ مصطفى أدوار هامة للجزائريين والتونسيين الذين يقصدونها للتعلم أو لسلوك الطريق أو اللاجئين إليها المتابعين من الاستعمار، مثل المجاهد بن ناصر بن شهرة الذي كان يفيئ إليها ليلتقط أنفاسه ويخفّ الطلب إليه ثم يستأنف القتال من جديد، وكذلك شريف بن عبد الله، شريف ورگلة...

كما كان لها دور كبير في الشّان العام التونسي للمكانة التي يحتلها الشّيخ مصطفى بن عزوز في نفوس التونسيين، شعبا وسلطة، فقد كان باي تونس يجله وكذا من دونه من السّاسة، وكثيرا ما كانوا يطلبون تدخله ووساطته من ذلك مثلا سعيه لإطفاء نار الفتنة التي تأججت في تونس المعروفة بفتنة (علي بن غذاهم) سنة 1280ه، فتوسط بين الثائرين وبين السّلطة لمكانته عند الطرفين وتمكن من تهدئة النفوس وإخماد الفتنة، وفي هذا قال المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف : " إن ما قام به الشّيخ مصطفى بن عزوز يشبه إلى حد كبير ما قام به بطل

الجهاد والمقاومة الأمير عبد القادر رحمه اللهفي الشّام من مساع وما بذل من جهد في سبيل التوفيق والصلح في الفتنة التي شبت في بلاد الشّام بين أبناء الوطن الواحد" .

وقد أنشأ الشّيخ عدّة زوايا أخرى في تونس وليبيا، منها زاويّة القصرين، وزاويّة توزر، وزاويّة جرجيس، وزاويّة جندوبة...

مشايخه: والده الشّيخ محمّد بن عزوز البرجي، والشّيخ علي بن عمر الطولقي، أخذ عنه مبادئ الطريقة الرحمانيّة والسّلوك، والشّيخ محمّد بن الأمير وهو من الأزهر الشّريف، والشّيخ إبراهيم الباجوري المصري، والشّيخ محمّد بن علي السّنوسي.

تلاميذه: نجله محمّد المكي بن عزوز وهو من أكابر علماء العالم الإسلامي المتوفى بالأستانة، ومجموعة من كبار العلماء درسوا في زاويته ولم يعلم هل درسوا عليه مباشرة أم لا نذكر منهم: حفيده لأمه الشّيخ العلامة محمّد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وأستاذ الشّيخ عبد الحميد بن باديس، والشّيخ حسن الخنقي، والشّيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين.

مؤلفاته: لم يترك الشّيخ مؤلفات في العلوم اللغويّة أو الشّرعيّة وإن ترك مصنفات في التصوف والطريقة الرحمانيّة وهي:

- روضة الشّائقين.
- روضة الأنوار للعارفين.
- رسالة السّلوك إلى الطريقة الخلوتيّة.
- رسالة في مناقب شيخه علي بن عمر الطولقي.

قال عنه العلامة الفاضل بن عاشور: "إن شهرة الشّيخ مصطفى بن عزوز ملأت الأصقاع، وإن مناطق نفوذه الديني غير محدودة، وذلك بما كوّن حوله من عصبة متينة من الأتباع قائمة إلى الزوايا المنسوبة إلى الطريقة الرّحمانيّة المتفرعة في القطرين الجزائري والتونسي".

توفيق جعمات

المصادر:

- الموسوعة التونسيّة المفتوحة: www. mawsouaa. tn /wiki/
- رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانيّة الخلوتيّة، (ترجمة وتحقيق محمّد مأمون القاسمي الحسني).

مصطفى بن عودة
(1344هـ - 1925م/1439هـ - 2018م)

هو بن مصطفى بن عودة، وعرف خلال مرحلة الكفاح المسلح باسم عمار بن عودة، وهو الاسم الذي لازمه فيما بعد. مناضل سياسي ومقاوم من أجل الحرية ومجاهد من الرعيل الأول وأحد أعضاء مجموعة الـ 22 التاريخية التي يعود لها الفضل في التحضير لثورة أول نوفمبر 1954. كانت هذه المجموعة قد التقت في اجتماع سري بالجزائر في 24 يونيو/ جوان 1954 واختارت خمسة من بين أعضائها للتحضير للثورة والذين اتصلوا بالمجاهد كريم بلقاسم ليصبح العضو السادس. وهؤلاء الستة هم الذين حددوا موعد انطلاق الثورة ووضعوا بيان أول نوفمبر بوصفه البيان المؤسس للدولة الجزائرية المعاصرة.

ولد بن مصطفى بن عودة في 27 سبتمبر 1925 م بعنابة، في وقت كانت فيه النخبة الوطنية تتهيأ لمواجهة الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر، وكانت هذه المرحلة من أهم مراحل مسيرة الجزائر المعاصرة، ففيها ظهرت بوادر تأسيس الحركة الوطنية وبدأت النخبة الجزائرية بمختلف مشاربها الثقافية



والسياسية تنخرط في النضال من أجل استقلال الجزائر.

مع منتصف الثلاثينات من القرن العشرين، انضم إلى فوج "المنى" بالكشافة الإسلامية الجزائرية وأصبح في الوقت نفسه عضوا نشطا في حزب الشعب الجزائري الذي أسسه الزعيم الوطني مصالي الحاج في 11 مارس سنة 1937 م بعد أن حظرت السلطات الاستعمارية الفرنسية حركة نجم شمال أفريقيا. وتذكر الروايات التي تناولت سيرته أنه شارك في مظاهرة شعبية جرت في ذلك اليوم ورفع خلال تلك المظاهرة الراية الوطنية. خلال الحرب العالمية الثانية، انخرط في العمل السري كبقية مناضلي حزب الشعب بعد حظر الحزب من طرف الإدارة الاستعمارية. وفي سنة 1944 م تم إلقاء القبض عليه وأصدرت المحكمة في حقه حكما بالسجن لمدة سنتين مع دفع غرامة مالية تقدر بستين ألف فرنك فرنسي وهو مبلغ ضخم في تلك الفترة إضافة إلى خمس سنوات كمنع للإقامة. وبعد انقضاء فترة سجنه، اتصل به المناضلون في وقت كان يجري فيه الاعداد لتأسيس المنظمة الخاصة والتي كانت بمثابة الجناح العسكري للحزب، وتم اختياره ليكون مسؤولا عن التنظيم بمدينة عنابة تحت إشراف المناضل حسن بن زعيم بوصفه مسؤولا على منطقة عنابة.

بعد اكتشاف المنظمة الخاصة من طرف مصالح الأمن الفرنسي سنة 1950 م، تم إلقاء القبض عليه وجز به في السجن مع الكثير من المناضلين وبقي في السجن لمدة أكثر من سنة، حيث فر منه سنة 1951 م.

بعد فراره من السجن رفقة مجموعة من رفاقه منهم عبد الحق بخوش وسليمان بركات وزيغود يوسف الذي صار فيما بعد قائدا للولاية الثانية التاريخية خلال مرحلة الكفاح

المسلح، أقام بمنطقة أريس في قلب الأوراس حوالي سنتين حيث واصل نشاطه السري وعند الإعلان عن تشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس سنة 1954 كان مقربا من أعضائها. وجاء تأسيس هذه اللجنة كمحاولة أخيرة لحل الصراعات التي كانت تسود بين قيادة حزب الشعب/ حركة الانتصار من جهة وغالبية أعضاء اللجنة المركزية من جهة أخرى والتي أدت إلى حالة من الانشقاق داخل حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية. وبعد فشل جهود اللجنة الثورية توجه المناضلون المتحمسون للعمل المسلح إلى تنظيم اجتماع بالجزائر العاصمة في 24 يونيو/ جوان 1954م، عرف بمجموعة الـ22 التاريخية التي مهدت لإعلان الثورة ضد الوجود الاستعماري الفرنسي، وكان بن مصطفى بن عودة من بين أعضائها.

بعد الإعلان عن انطلاق ثورة أول نوفمبر 1954م، انخرط بن مصطفى بن عودة في الكفاح المسلح كمجاهد في جيش التحرير الوطني، الجناح العسكري لجبهة التحرير الوطني التي أعلنت الثورة. وترقى، خلال مساره العملي، ليصبح عقيدا وكان من بين القادة المؤثرين في الولاية الثانية التاريخية والتي تشمل منطقة قسنطينة وما جاورها شمالا. كما كان له دور فعال في هجومات 20 أوت 1955 بشمال قسنطينة والتي شكلت منعطفا حاسما في مسيرة الثورة، حيث عممت الثورة وخففت ضغوط القوات الاستعمارية على منطقة الأوراس أو الولاية الأولى التاريخية. وشارك في اجتماعات مؤتمر الصومام التي انعقدت في 20 غشت/ أوت 1956 بمنطقة إيفري أوزلاقن، ضمن وفد الولاية الثانية التاريخية إلى جانب زيغود يوسف ولخضر بن طوبال.

بعد مؤتمر الصومام تقرر أن يتوجه عمار بن عودة إلى تونس لحل مشكلة نقص السلاح التي تواجه الثورة. وعند انعقاد الدورة الأولى للمجلس الوطني للثورة في 28 غشت/ أوت 1957 م بالقاهرة، وهو هيئة تم تأسيسها بموجب قرارات مؤتمر الصومام، تم تعيينه عضوا بالمجلس الوطني. وفي 1958 عين عضوا في لجنة التنظيم العسكري بالمنطقة الشرقية.

من تونس، تم توجيهه إلى لبنان حيث استقر بها لمدة قصيرة وواصل نشاطه النضالي ضمن الجالية الجزائرية المتواجدة في تلك الفترة بلبنان. ومع عودته إلى تونس مجددا، عين كمسؤول ضمن دائرة التسليح والاتصالات العامة.

وعند انطلاق المفاوضات مع الحكومة الفرنسية، شارك العقيد بن مصطفى بن عودة، بوصفه ممثلا لجيش التحرير الوطني، في الوفد الجزائري خلال المرحلة الثانية والأخيرة من المفاوضات والتي انتهت بتوقيع اتفاقيات إيفيان والاعلان عن وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962.

مع استرجاع الجزائر لسيادتها والاعلان عن الاستقلال في 5 يولي/ جويلية 1962م، ساهم العقيد بن مصطفى بن عودة في مرحلة بناء الدولة كمعظم الإطارات التي انخرطت في الثورة. وشارك في مختلف المراحل التي مرت بها الجزائر بعد الاستقلال، وكانت أبرز المهام التي كلف بها هي تعيينه ملحقا عسكريا على مستوى سفارات الجزائر بباريس والقاهرة وتونس على التوالي. وفي 1979م تم تعيينه سفيرا للجزائر لدى ليبيا. بعد انتخاب العقيد الشاذلي بن جديد رئيسا للجمهورية خلفا للرئيس هواري بومدين، تم تعيينه من طرف المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطني رئيسا للجنة الانضباط بالحزب. وكان آخر منصب سياسي شغله هو رئيس مجلس مصف الاستحقاق الوطني، وهو هيئة رسمية أُحدثت سنة 1984 م، تقدم أوسمة استحقاق تمنحها الدولة لمن قدم خدمات جليلة للوطن. وقد أسديت له الدولة وسام الاستحقاق الوطني من درجة عميد سنة 1984م.

توفي المجاهد بن مصطفى بن عودة خلال رحلة علاج خارج الجزائر في 5 فبراير 2018 عن عمر ناهز 93 عاما، وتم إعادة رفاته ودفنه بمسقط رأسه في عنابة.

عامر بغدادي

المصادر

التاريخ السياسي للجزائر، عمار بوحوش، دار الغرب الإسلامي. بيروت

مصطفى بن قارة المستغانمي
(1280هـ 1862م/1324هـ - 1956م)

عبد القادر بن مصطفى بن عُودة بن محمّد بن قارة المستغانمي، ويكنى بمصطفى الشّريف الحسني. ولد بمدينة مستغانم سنة 1280 هـ الموافق لـ1862م وإليها ينسب. وترفع الرّوايات المتداولة نسبه إلى سيدي عفيف وهو ولي صالح من مستغانم. كان محدثا وفقيها يغلب عليه الميل إلى عالم التّصوف، كما مارس مهنة الإفتاء لمدة طويلة وله إلمام بنظم الشّعر. أخذ تعليمه على والده الشّيخ مصطفى بن عُودة وكان متدينا حافظا للقرآن فتعلم ابنه عنه حيث وجهه إلى حفظ القرآن وهو ما يزال صغيرا. ولما توفى والده ارتحل إلى غليزان ليعيش تحت كفالة عمه الشّيخ سيدي بن عودة الذي كان يقيم بغليزان فاستقرّ بها لمدة ثلاث سنوات حيث نشأ وتلقى معظم العلوم الإسلاميّة كالتّفسير والحديث والفقه وأخذ علوم العربيّة كالنّحو والصّرف والبلاغة على الشّيخ ابن عبد الله وكان شيخ زاويّة. ثم عاد إلى مستغانم لكن لم يطل به المقام فانتقل، طلبا للعلم، إلى وهران وتلمسان وقصر البخاري.

وحسب المصادر التي تناولت سيرته، كان من بين شيوخه سيدي أحمد المختار

والشّيخ الطّاهر بن عمّار والشّيخ المدني والشّيخ لخضر بن ميمون والشّيخ العربي الفقيقي (نسبة إلى واحة فقيق). ومن الشّيوخ الذين لازمهم خلال رحلته إلى وهران أبو الحسن علي بن عبد الرّحمن وكان مفتي وهران وعالمها، توفّي سنة 1324هـ. وخلال رحلته إلى قصر البخاري أخذ عن الشّيخ العربي بلقاسم بزاويّة الشّيخ الميسوم (الموسوم). ومن الذين أجازوه بتلمسان القاضي أبو بكر بن شعيب بن علي الجليلي التّلمساني وقال عنه: "وقد أجازني إجازة عامّة مفصلة"، وتعتبر الإجازة بمثابة امتحان ومن نجح فيه أمام شيخه ينال الإجازة.

كما أخذ الطّريقة الشّاذليّة على الشّيخ قدور بن سليمان المستغانمي، وهي طريقة صوفيّة واسعة الانتشار أسسها الصّوفي الشّهير أبو الحسن الشّاذلي المنسوب لقريّة شاذلة بتونس سنة 656 هـ الموافق لـ1258م، والذي استقرّ به المقام في فاس حيث أسس هذه الطّريقة فانتشرت في معظم أنحاء بلاد المغرب وعبر العديد من البلدان الإسلاميّة. كما لقيت انتشارا واسعا في منطقة غرب الجزائر، وتفرع عنها العديد من الطّرق الصّوفيّة كالدّرقاويّة والهبريّة والطّيبيّة والعلاويّة والعدويّة واليشروطيّة والبوعبدليّة.

ولما عاد إلى مسقط رأسه، حوالي سنة 1885م، وعمره لم يتجاوز الرّابعة والعشرين تولى التّدريس بجامعها الأعظم وكذا الاشراف على حلقات العلم التي كانت تُنظم به. فتولى تعليم القرآن الكريم والحديث النّبوي والفقه والتّوحيد وكذا علوم العربيّة كالنّحو والصّرف وخلافه. وكانت الدّروس التي يقدمها تتناوّل قراءة كتاب الشّيخ خليل ومتن ابن عاشر في الفقه والسّنوسيّة في التّوحيد وصحيح البخاري والموطأ والأربعين النّوويّة في الحديث، إلى جانب الكتب المعروفة في تدريس اللغة العربيّة وآدابها. أخذ عنه العديد من طلاب العلم كنجله ولد البشير والقاضي الطّاهر بن شهيدة اليحياوي والفقيه يوسف المجاهري والشّيخ أحمد بن مصطفى العلاوي أحد رجالات الصّوفيّة بمنطقة مستغانم ومؤسّس الطّريقة العلاويّة بها.

تسلم، بعدها، الشّيخ مصطفى بن قارة منصب الفتوى بمستغانم وبقي في منصبه هذا قرابة نصف قرن، حتى عزلته الإدارة الاستعمّاريّة الفرنسيّة سنة 1362 هـ الموافق لـ1943م حيث تم إحالتّه على التّقاعد ولقبه البعض بمفتي مستغانم، وصار خلال تلك الفترة من أبرز العلماء وقادة الرّأي والمشورة فيها.

وصفه المعاصرون له بالعالم الجليل والمصلح البارز الذي قل نظيره. وذكر تلميذه الطّاهر بن شهيدة إنّه كان محل اهتمام أهل المنطقة. وتقول الباحثة فاطمة الزّهرة بن ناصر في الأطروحة الجامعيّة التي أعدتها عن مساهمة "علماء مستغانم في الأدب والحضارة" بإنّه عالم جليل ومفتي الجامع الأعظم. ووصفه عبد القادر بن عيسى في كتابه مستغانم وأحوازها عبر العصور بـ "العلّامة عبد القادر بن قارة مصطفى أخذ علمه على عدّة مشايخ ثم وظف بوظيفة مفتي مستغانم حتى تقاعد سنة 1362 هـ".

من أبرز آثاره منظومة شعريّة تتكون من 124 بيتا سماها "قرة الأعيان في أدب تلاوة القرآن"، وقد حققها نبيل صابري في بحث منشور له، و"حتميّة الأنوار المحمّديّة النّبهانيّة ومختصر المواهب اللدنيّة السّلطانيّة" وهو مختصر لكتاب "الأنوار المحمّديّة من المواهب اللدنيّة" الذي يتنل سيرة وشمائل الرّسول ﷺ، وألفه الشّيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني المتوفّي سنة 1932م، و"نيل الأمان في شرح عقد الجمان لنظم فتح الرّحمن" وهو شرح لكتاب "عِقد الجُمان النّفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس" لمؤلفه عبد الرّحمن بن عبد الله التّوجيني. وقد شرح هذا الكتاب بعض معاصريه كأبي راس النّاصر ومحمّد بن محمّد الرّاشدي الذي شرحه في منظومة سماها "فتح الرّحمن في شرح عِقد الجمان". ونذكر من المخطوطات التي تركها الشّيخ عبد القادر بن قارة "رسالة في جواز إعطاء الزّكاة لآل البيت"، و"إرشاد الخلق إلى الحق"، إضافة إلى مجموعة من الرّسائل في فنون عديدة تتناول الفقه والتّوحيد والوعظ والإرشاد واللغة.

توفّي الشّيخ عبد القادر بن قارة المستغانمي بمسقط رأسه سنة 1375 هـ الموافق لـ1956م ودفن بمقبرة سيدي قدور بن سليمان.

عامر بغدادي

المصادر

- علماء مستغانم في الأدب والحضارة، فاطمة الزّهرة بن ناصر، رسالة جامعيّة؛
- من تاريخ الطّريقة الشّاذليّة، محمّد مفلاح. دار القدس العربي؛ مصطفى بن قارة المستغانمي، جريدة الرّائد، العدد الصّادر في 14/ 04/ 2013.

مصطفى بن محمّد القاسمي
(1315هـ - 1897م/1390هـ - 1970م)

مصطفى بن محمّد بن الحاج محمّد القاسمي الحسني، ولد سنة 1315 هـ الموافق لـ 1897م بالهامل مسقط رأس أسرته بالقرب من مدينة بوسعادة. وتستمد الأسرة لقب القاسمي من الشّيخ محمّد بن أبي القاسم بينما تعود كُنيّة الحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. نشأ وسط أسرة متمسكة بتعاليم الإسلام، تسهر على نشر التّربيّة والتّعليم عبر تحفيظ القرآن الكريم ونشر مبادئ العلوم الإسلاميّة من توحيد وتفسير وفقه وحديث، وتعليم اللغة العربيّة وآدابها بالزّاويّة التي

أسسها جده الشّيخ محمّد بن أبي القاسم وتنسب إلى بلدة الهامل التي تقع فيها. تلقى تعليمه، وفق معارف عصره، بالزّاويّة على يد مشايخها وكان في مقدمتهم والده الشّيخ محمّد بن الحاج محمّد والشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن الدّيسي وكان من كبار المشايخ الذين تولوا التّدريس فيها وبها توفّي ودفن. كما قام الشّيخ مصطفى برحلات خارج الجزائر في وقت مبكر من حياته، فقد زار مصر سنة 1935م واتصل بعلمائها وهو في رحلته إلى أداء فريضة الحج، كما التّقى بعلماء الحجاز في تلك الرّحلة.

يعتبر الشّيخ مصطفى الشّخصيّة السّادسة في ترتيب من تولوا مشيخة الزّاويّة القاسميّة بالهامل بعد مؤسّسها، فقد تولّى رئاسة الزّاويّة منذ سنة 1928 وظل بها أطول فترة حتى وفاته سنة 1970، ونجله هو الشّيخ خليل الذي كان على رأس مشيخة الزّاويّة من 1987 إلى 1994م. وبصفته شيخ زاويّة الهامل، كان من بين الأعضاء المؤسّسين لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 5 مايو 1931م على يد الشّيخ عبد الحميد بن باديس. كما شارك في تأسيس جمعيّة علماء السّنة سنة 1932م والتي انتظم فيها مشايخ الطّرق الصّوفيّة في تلك الفترة والبعض منهم أحس بالتّهميش في جمعيّة العلماء بينما لم يكن البعض الآخر راضيا على نهج الجمعيّة. وكان من مؤسّسي رابطة أو جامعة زوايا شمال أفريقيا التي تشكلت رسميا سنة 1948م وعين رئيسا لها. يعود الفضل للشيخ مصطفى بن محمّد القاسمي في تجديد زاويّة الهامل وإدخال برامج تعليميّة متطورة في الدّراسة بها بما يتماشى وروح العصر. يقول عنه محمّد مفلاح صاحب كتاب من تاريخ الطّريقة الرّحمنيّة: "كان له دور مؤثر جدا في نشر مختلف العلوم إلى جانب تعاليم الطّريقة الرّحمنيّة، وكانت له علاقات متينة بالمشايخ المتخرجين من الهامل".

وتأسّست الزّاويّة القاسميّة بالهامل سنة 1279 هـ الموافق لـ 1862م على يد الشّيخ محمّد بن أبي القاسم، وباشرت التّعليم ابتداء من أوّل محرّم سنة 1280 هـ الموافق لـ 18 يوليو/ جويليّة 1863م. وبعد وفاته خلفته ابنته السّيدة زينب التي تسلمت المشيخة لمدة ثماني سنوات وكانت سيدة عالمة، حاذقة، أدارت الزّاويّة بكفاءة عاليّة.

وعقب وفاتها في أوائل القرن العشرين خلفها الشّيخ محمّد ابن شقيق الشّيخ محمّد بن أبي القاسم، ثم خلفه شقيقه الشّيخ المختار خلال الحرب العالميّة الأوّلى وجاء من بعده الشّيخ أبي القاسم بن محمّد ثم شقيقه أحمد الذي كانت فترة مشيخته قصيرة وهو الذي خلفه الشّيخ مصطفى. وقامت الزّاويّة القاسميّة، وهي تسير على منهج الطّريقة الرّحمنيّة، منذ تأسيسها بدور رائد في التّعليم سواء خلال العهد الاستعمّاري أو بعد استرجاع السّيادة الوطنيّة. كانت مركز إسناد للثورة التّحريريّة ومصدر إشعاع ثقافي ومنارة من منارات العلم في تلك الجهات من الجزائر. فمنذ تأسيسها توافد عليها طلاب العلم والمعرفة، وظل هذا العدد في تصاعد حتى بلغ خلال السّبعينات من القرن العشرين حوالي 1500 طالب عندما تم إلحاق الزّاويّة بنظام التّعليم الأصلي الذي كان تحت إشراف وزارة الشّؤون الدّينيّة. ومنذ تلك الفترة أصبح البرنامج التّعليمي الذي تقدمه الزّاويّة مماثلا لبرنامج التّعليم العام المعتمد وطنيا، مع المحافظة على تعزيز البرامج الدّينيّة في برنامجها العام. وما تزال تواصل هذه الرّسالة حيث يتخرج منها سنويا عشرات الطّلاب الذين يقصدونها كل عام للدراسة من مختلف مناطق الوطن. كما حافظت على رسالتها الاصلاحيّة والاجتماعيّة حيث ظلت مقصدا لفئة من الطّلاب المعوزين الذين تتكفل بنفقة تعليمهم وإيوائهم. وتخرج منها على مر السّنين إطارات وعلماء ومثقفون لهم حضورهم في الحياة الثّقافيّة والعلميّة في الجزائر المعاصرة. كما تعتبر الزّاويّة القاسميّة بالهامل مقرا للرابطة الرّحمنيّة للزوايا العلميّة التي تأسست في شهر أوت من سنة 1989م، وشيخ الزّاويّة المأمون بن مصطفى القاسمي هو رئيس هذه الرّابطة. ويسعى القائمون على أمر الزّاويّة إلى العمل على بعث مشروع معهد أعلى للعلوم الشّرعيّة بالتّوازي مع مواصلة تطوير نظام التّعليم الأساسي بها.

أما الطّريقة الرّحمنيّة، التي تلتزم زاويّة الهامل بنهجها في التّصوف، فتنسب للشيخ محمّد بن عبد الرّحمن الجرجري الشّهير بالزّواوي نسبة لمنطقة زواوة والأزهري نسبة للأزهر الذي تخرج منه، والمعروف لدى العامّة بسيدي محمّد بوقَبريْن دفين الحامّة بالجزائر. ويعود تأسيس هذه الطّريقة إلى سنة 1208 هـ الموافق لـ 1794م وقد أخذت في البدايّة اسم الطّريقة الخَلوتيّة الرّحمنيّة التي أخذها الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن خلال إقامته في مصر، والتي دامت أكثر من ثلاثين سنة، على الشّيخ محمّد بن سالم الحفناوي شيخ الطّريقة الخلوتيّة بمصر في عصره. ومع مرور الزّمن اقتصرت التّسميّة على عبارة الرّحمنيّة فشاعت وعُرفت الطّريقة بها.

توفّي الشّيخ مصطفى بن محمّد بن الحاج محمّد القاسمي الحسني سنة 1370 هـ الموافق لـ 1970م ودفن بمسقط رأسه في الرّوضة القاسميّة.

عامر بغدادي

المصادر:

- من تاريخ الطّريقة الرّحمنيّة، محمّد مفلاح، دار القدس العربي.
- ثورات رجال الزّوايا والطّرقيّة في الجزائر خلال العهد العثماني، محمّد مكحلي.
- وثائق تاريخيّة من المكتبة القاسميّة، محمّد فؤاد القاسمي.

مصطفى بن محمّد بن عزوز البرجي
(1220هـ - 1805م/1282هـ - 1865م)

مصطفى بن محمّد بن عزوز البرجي، نسبة لبلدة البرج الواقعة بالقرب من مدينة طولقة في نواحي بسكرة. وتنسب البلدة إلى والده الشّيخ محمّد بن عزوز الذي أسس زاويّة بتلك الجهة. يعرف بالقدوة وصفوة الصالحين. ولد في حدود سنة 1220 هـ أي حوالي 1805م وسط أسرة متدينة، ملتزمة بتعاليم الإسلام الحنيف وتأخذ بالمنهج الصوفي للطريقة الرّحمانيّة. أخذ الشّاب مصطفى تعليمه بمسقط رأسه على يد والده الشّيخ محمّد بن عزوز وكان مربيا فاضلا راسخا في العلم، عرف عنه الورع والتقوى. فحفظ ابنه القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته. وتذكر المصادر التي أوردت سيرته أنه تلقى مبادئ العلوم الإسلاميّة من توحيد وفقه وتفسير وحديث وتعلم قواعد اللغة العربيّة وآدابها على عدد من المشايخ منهم الشّيخ محمّد بن علي السّنوسي وإبراهيم الباجوري المصري ومحمّد الأمير أحد شيوخ الأزهر.

وبعد وفاة والده بوباء الطاعون الذي أصاب المنطقة وهو لم يبلغ الرّابعة عشر من عمره كفله الشّيخ علي بن عُمُر فأخذ عنه مبادئ الطريقة الرّحمانيّة. وكان الشّيخ علي بن عمر قد تتلمذ على الشّيخ محمّد بن عزوز وخلفه على رأس الزاويّة. ولما تهيأت الظروف للشيخ مصطفى، خلف والده على رأس الزاويّة العزوزيّة حيث انتصب للتدريس والفتوى بها. وفي منتصف أربعينات القرن التاسع عشر مع بدايات الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب وبتوجيه من شيخه علي بن عُمر انتقل إلى الجنوب التونسي ليؤسس فيه زاويّة نظرا لقربه من منطقة الزاب. فاستقر به المقام ببلدة نفطة بالجنوب الغربي لتونس قرب الحدود الجزائريّة. وشرع في تأسيس تلك الزاويّة لكن لم يطل به المقام حيث رجع إلى طولقة لزيارة أهله، فتصادفت زيارته مع وفاة شيخه علي بن عُمر فتولى مشيخة الزاويّة لمدة قصيرة حتى تأكد من قيام نجله الشّيخ علي بن عثمان بخلافة والده على رأس الزاويّة فعهد إليه بأمور المشيخة، وعاد إلى نفطة ليتم إنجاز ما أوصاه به شيخه.

وسجل الكاتب التونسي إبراهيم خُريّف تلك المرحلة من حياة الشّيخ مصطفى بن محمّد بن عزوز في كتابه المعروف "المنهج السّديد في التعريف بقطر الجريد" بقوله: "ورد على بلدة نفطة من بلاد الزاب مهاجرا، القدوة المرشد، صفوة البررة، وخلاصة الصالحين الخيرة، صاحب المآثر العديدة والأخلاق الحميدة، الشّيخ سيدي مصطفى بن عزوز البرجي، فاستوطن مع عائلته وعدد كبير من أتباعه وأشياعه، فأقبلت إليه البلاد وهرعت إليه العباد، يلتمسون بركته ويستمدون فُيوضاته. ثم أحدث زاويته المشهورة المشتملة على عدد كبير من المساكن لإيواء الواردين عليه من كل صقع".

ولما فرغ من تأسيس الزاويّة، جعلها منارة من منارات العلم وقلعة من قلاع المعرفة بعد أن تولى التدريس بها مجموعة من الشّيوخ الأجلاء. فقصدها الطلاب من كل الجهات. ونذكر من هؤلاء العلماء الشّيخ أبو العباس بن محمّد بن عزوز وهو شقيق الشّيخ مصطفى، والشّيخ أحمد الأمين بن عزوز والشّيخ محمّد المدني بن عزوز والشّيخ التارزي بن عزوز والشّيخ أحمد السّنوسي القفصي والشّيخ إبراهيم بوعلاق التوزري والشّيخ محمّد بن حمادي. وكان من عائلة بوعلاق هذه من دعم جهود الشّيخ مصطفى لإيواء الثوار والمقاومين الجزائريين خلال ثورات القرن التاسع عشر ضد الاحتلال الفرنسي.

فقد كانت زاويّة نفطة بتونس في عهد الشّيخ المؤسس لها مصطفى بن محمّد بن عزوز معقلا للثوار الجزائريين خلال المقاومة الشّعبيّة وواصلت ذلك المجهود المحمود خلال الثورة التحريريّة. فخلال المقاومة الشّعبيّة في القرن التاسع عشر، كانت الزاويّة ملجأ للثائر بن ناصر بن شهرة ورفاقه وللمجاهد محي الدين بن الأمير عبد القادر وأبناء البطل الشّعانبي بوطيبة بن عمران، وجميعهم كان في ضيافة الشّيخ مصطفى وبتأييد منه وتنسيق معه. وكانت هذه الزاويّة مصدر معظم الرّسائل التي وجهها المقاومون إلى داخل التراب الجزائري خاصة منطقة الجنوب الشّرقي الذي له ارتباط جغرافي بمنطقة نفطة بتونس. وتذكر المصادر المهتمة بسيرته أن بالطريقة الرّحمانيّة في مدن توزر والقصرين وجرجيس وجندوبة وكذا غدامس بليبيا. ومن آثاره رسالة في مناقب الشّيخ علي بن عمر الطولقي، ورسالة في التوسل بأسماء الله الحسنى، وبهجة الشّائقين.

تعتبر الزاويّة التي أسسها الشّيخ محمّد بن عزوز بالبرج هي الزاويّة الأم لزاويّة علي بن عمر في طولقة وزاويّة مصطفى بن عزوز في نفطة بتونس. وكان الشّيخ محمّد بن عزوز من بين التلاميذ الذين أخذوا الطريقة الخلوتيّة الرّحمانيّة على يد الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن الجرجري الأزهري، مثل الشّيخ عبد الرّحمن باش ترزي صاحب المنظومة الرّحمانيّة الذي نشر الطريقة الرّحمانيّة بمنطقة قسنطينة وشرق الجزائر والشّيخ محمّد المنوّر اليحياوي الذي نشر الطريقة الرّحمانيّة بمنطقة غرب الجزائر والشّيخ بلقاسم بن محمّد المعاتقي والشّيخ العابد بن عبد الأعلى الشّرشالي وغيرهم. وكان للزاويّة الرّحمانيّة انتشار ملموس في مختلف مناطق الجنوب الجزائري، فقد تأسست بالجنوب الجزائري العديد من الزوايا تعتبر فروعا للزاويّة الأم، كزاويّة الشّيخ محمّد بن أبي القاسم بالهامل قرب بوسعادة وزاويّة الشّيخ محمّد بن عزوز قرب طولقة وزاويّة الشّيخ علي

بن عْمُرو بطولقة وزاويّة الشّيخ المختار بن عبد الرّحمن بأولاد جلال جنوب غرب بسكرة وزاويّة سيدي عبد الحفيظ الخنقي بخنقة سيدي ناجي وزاويّة سيدي سالم بوادي سوف. وتوفي الشّيخ مصطفى بن عزوز سنة 1282 هـ الموافق لـ 1865 م بمدينة نفطة بتونس ودفن بمقر زاويته بتلك البلدة.

عامر بغدادي

المصادر

- تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 4، دار الثقافة، بيروت.
- من تاريخ الطريقة الرّحمانيّة، محمّد مفلاح، دار القدس العربي.
- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمّد الخضر حسين، نسخة إلكترونيّة.

مصطفى بوشلاغم
(ت: 1146 هـ - 1734م)

هو مصطفى بن يوسف بن محمد بن إسحاق محي الدين، ويكنى بوشلاغم. ينحدر من أسرة تولى العديد من أبنائها حكم مقاطعة وهران. تولى قيادة بايلك الغرب في 1686 ويعود تأسيس أول مركز قيادة ثابت لبايلك الغرب إلى سنة 1701م أي مع بدايّة القرن الثامن عشر، حيث كانت مدينة مازونة أول مدينة يتخذها العثمانيون مركزا ثابتا لإدارة منطقة غرب الجزائر، وكان الباي مصطفى بن يوسف على رأس تلك المقاطعة عندما كانت وهران خاضعة للاحتلال الاسباني وكانت تلمسان ما تزال رهينة قلاقل ما بعد سقوط حكم بني زيان. وفي سنة 1704 م نقل الباي مصطفى بوشلاغم مقر بايلك الغرب من مازونة إلى معسكر حيث اتخذها مركزا لتلك الجهة، واستمرت كذلك إلى غايّة التحرير النهائي لوهران من الوجود الاسباني سنة 1792م. فكان بذلك أول باي لمعسكر. وعندما نقل إليها مركز قيادة المقاطعة، أقام فيها مجموعة من المؤسّسات الحكوميّة حيث استحدث مقر الحكم وثكنه للجيش كما أحاط نفسه بمجموعة من العلماء بما بشيه الديوان والذين كانت تزخر بهم معسكر. ويعود له الفضل في تحديث مدينة معسكر وتهيئتها وتمصيرها وجعلها قطبا جهويا بعد أن نقل إليها مقر إيالة الغرب من مازونة. فبرزت منذ تلك الفترة كحاضرة إداريّة وثقافيّة، وبدأ في الاستعداد لتحرير وهران عبر الجهاد كرد على الاحتلال الاسباني الذي تم تحت رايّة الصليب.

كانت وهران قد تعرضت للاحتلال الاسباني منذ 1508م، وسخرت إسبانيا كل الإمكانيات للتمسك بها على غرار مقاطعتيْ سبتة ومليليّة. وجرت حرب طويلة ومريرة بين الجزائر وإسبانيا حول وهران دامت قرابة ثلاثة قرون. بدأت في 1508 وانتهت في 1792م. وفي عهد الباي مصطفى بن يوسف جرت ثلاث محاولات لتحريرها، وتعتبر المعركة التي قادها في 1708م هي الرابعة لكنها كانت هي الفاصلة. إذ تم تحريرها في 26 شوال 1119 هـ الموافق لـ 20 يناير 1708 م بعد أن ظلت تحت الاحتلال الاسباني لمدّة تزيد عن قرنيْن كاملين. وبعد تحريرها تم نقل مقرّ حكم مقاطعة الغرب من معسكر إليها. جرت المعركة تحت الإشراف المباشر للباشا محمّد بكداش الذي جهز الجنود برا وبحرا ووضعهم تحت مسؤوليّة صهره ووزيره حسن أوزن. انتهت المعركة لصالح المقاومين الجزائريين بعد حصار دام قرابة خمسة أشهر، فبعدما تم دك الحصون جرى الاستيلاء على المدينة. كانت قبلها قد جرت سلسلة من المعارك والهجومات المتفرقة التي لم تتوقف طيلة أربع سنوات.

كان مصطفى بن يوسف أوّل باي استقر بوهران بعد تحريرها من الاحتلال الاسباني فجمع بذلك كل حواضر غرب الجزائر تحت قيادته، وارتبط تحريرها للمرة الأولى بعهده، بينما يعود التحرير النهائي لها إلى الباي محمّد بن عثمان الملقب بالكبير.

وبعد تحريرها من قبضة الاسبان جددها وأعاد تهيئتها وابتنى بها الأقواس التي في (البلاصة) اليوم، وسجل عليها تاريخ بنائها بما نصه "الحمد لله وحده والصلاة والسّلام على من لا نبيء بعده، أمر ببناء هذه الأقواس المجاهد في سبيل الله السّيد مصطفى بن يوسف عام 1138 هـ". ودامت تحت حكمه مدّة أربع وعشرين سنة. فقد أعاد الاسبان احتلالها سنة 1044 هـ الموافق لـ 1732م، فانتقل الباي مصطفى إلى مستغانم للإقامة بها وجعلها مقر تصريف شؤون منطقة الغرب، وعبأ المجهود الحربي لإعادة تحريرها وجهز لذلك جشيا قوامه أربعة آلاف مقاتل لكنهم لم يتمكنوا من طرد الاسبان الذين ظلوا بها، فتحول إلى الإقامة بمعسكر.

تجددت الحرب بين الجزائر وإسبانيا حول وهران واستمرت مدّة ستين سنة. وكانت آخر معركة هي التي قادها الباي محمّد الكبير المعروف بالفاتح انطلاقا من مقر إقامته بمعسكر. وتم تحريرها نهائيا، بعد احتلال دام 268 سنة، في الخامس من شهر رجب 1206 هـ الموافق لـ 29 فبراير 1792 م. وتشير الروايات التاريخيّة إلى أن جيشا من الطلاب المتطوعين ساهموا في عمليّة التحرير وكان همهم الدفاع عن الدين والوطن استجابة لنداء الباي إلى الجهاد. وهو جيش يضم المتطوعين من طلبة مختلف الزوايا والمعاهد الدينيّة يقودهم علماء ومشايخ رفعوا السّلاح بصفة تلقائيّة ضد المحتل الاسباني، وكان الطلبة تحت قيادة الشّيخ محمد بن المولود الغريسي. وتكونت نواة جيش الطلاب المتطوعين بمنطقة معسكر وما جاورها ثم عم منطقة غرب الجزائر ومنذ تلك الفترة ترسخت ثقافة المقاومة لدى طلاب العلم،

فقد كانت مساهمة الطلاب بارزة في ثورة أوّل نوفمبر1954م. ونتج عن عمليّة تحريرها استشهاد حوالي 7500 مقاوم ومقتل حوالي 15 ألف جندي إسباني إلى جانب أسر خمسة آلاف آخرين.

دامت مدّة ولايّة مصطفى بوشلاغم على بايلك الغرب حوالي 46 عاما قضاها في البناء والتحرير، وتوفي سنة 1146 هـ الموافق لـ 1734 م ودفن بمستغانم التي سبق له أن ابتنى بها قبة في شهر شعبان من سنة 1126 للهجرة، خصّصها لدفن موتى عائلته. وكتب عليها اسمه وتاريخ بنائها بما نصه "حبس هذه القبة المباركة والروضة المرونقة أمير المؤمنين العاشق المحب في سيد المرسلين، الباي مصطفى بن يوسف محي الدين رزقه الله كمال اليقين وأفاض عليه من كرامات الصالحين، على عقبه وعقب عقبه بأن لا يدفن فيها غيرهم ومن بدل أو غير فالله حسبه ويتولى الانتقام منه"، وقد تحققت رغبته في دفنه بمستغانم.

عامر بغدادي

المصـــادر:

- طلوع سعد السّعود، الآغا بن عودة المزاري، تحقيق يحيى بوعزيز
- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، ج 3.
- دور جيش الطلبة في تحرير وهران، زاوي جيلالي، جريدة الجمهوريّة.

مصطفى بوغابة
(3451هـ – 1926م/1440هـ – 2018م)

مصطفى بوغابة عالم ومجاهد ومناضل ومثقف جزائري، ولد في 23 ديسمبر 1926 م في مدينة قسنطينة عاصمة الشّرق الجزائري ومدينة العلم والعلماء، اسم أبيه الطّاهر، أما الأم فهي فاطمة بطيطش المدعوة وناسة. وقد نشأ في عائلة تتكون من ثمانية أبناء، أربعة ذكور، وأربع بنات من بينهم الشّهيد عمر بوغابة.

بدأ الشّيخ تعليمه، كأبناء جيله، في الكتّاب، حيث حفظ ما تيسّر من القرآن الكريم ببعض كتاتيب قسنطينة بحي المنية تحديدا، كما تلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة، وبعد أن أتمّ ذلك أضحى ممكنا من الارتقاء إلى مراحل أعلى، فالتحق سنة 1937 بمدرسة التربية والتعليم الإسلامية التي أنشأها الشّيخ الإمام عبد الحميد بن باديس سنة 1349 هـ/ 1930 م، وذلك بوساطة من والد الشّهيد صالح بوذراع الحاج أحمد بوذراع المعروف ب (بن حيمود) الذّي أقنع والده بمنحه فرصة التعلم في المدرسة، وهي من المدارس الحرة، وقد أنشئت من أجل التعليم العربي والإسلامي بطريقة عصرية مستفيدة من تجارب الشّرق في المحتوى والفكر وتجارب الفرنسيين في المنهج والبناء والإدارة، وكانت هذه المدرسة ومثيلاتها "تنافس المدرسة الفرنسية والمزدوجة، فكان الطّفل يجمع بين التعليم الوطني والتعليم الفرنسي بطريقة تثير الدهشة والإعجاب؛ إذ كان يختلس له معلمو المدارس العربية الأوقات التي لا يكون فيها في المدرسة الفرنسية، فيعلمونه فيها. بالإضافة إلى أن هناك من تفرغ منهم للتعليم العربي فقط".

وقد قضى الشّيخ مصطفى بوغابة فيها أربع سنوات متتاليات من سنة 1937 إلى سنة 1941، تعلم فيها جملة من العلوم التي كانت تدرس فيها، ومنها: القرآن الكريم، واللغة العربية، والنّحو والصرف، ومبادئ العلوم الدينية، والجغرافية، والحساب، ومبادئ علم الصحة وغيرها، وأخذ فيها العلم عن مجموعة من المعلمين الأحرار أبرزهم الشّيخ محمّد الصالح رمضان والشّيخ محمّد العابد الجلاّلي رحمهم الله جميعا. كما كان يحضر الدروس الليلية للشيخ عبد الحميد بن باديس في مسجد سيدي لخضر، وكان الشّيخ مصطفى من المتفوقين والنّجباء في هذه المدرسة، ولذلك اختير رفقة ثلاثة طلبة آخرين من الجمعية لمتابعة دراستهم بجامع الزّيتونة المعمور سنة 1941 م، غير أنه لم يلتحق بها إلا في سنة 1944 م بسبب الحرب العالمية الثّانية، والتي احتل فيها الألمان تونس في تلك الفترة، فتحصل على شهادة الأهلية، ثم شهادة التحصيل، وكان ينشط - إلى جانب الدراسة في إطار البعثة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقفل راجعا إلى الجزائر سنة 1951.

بعد عودة الشّيخ مصطفى من تونس حاملا للعلم النّافع، لم يألُ جهدا في تعميم هذا النّفع لأبناء وطنه، فجاء وكله عزم على إكمال مسيرة المصلحين والعلماء والمشاركة في الحركة الإصلاحية التعليمة التي أججتها جمعية العلماء المسلمين، فالتحق معلما بمدارس جمعية العلماء؛ حيث عمل معلما بمدرسة الفتح بسطيف سنة 1951/ 1952، وهي من مدارس الجمعية، ثم عاد بعدها إلى قسنطينة ليلتحق بجمعية التربية والتعليم الإسلامية المدرسة الأم للشيخ ومورده العلمي سنة 1952/ 1953. ثم عيّن بعد ذلك أستاذا بمعهد عبد الحميد بن باديس من سنة 53/ 1954 إلى جوان 1956، وهذا التعيين دليل تميزه، إذ لم يكن يعين في هذا المعهد الذّي يعتبر أرقى مؤسسة تعليمية لجمعية العلماء إلا الخيرة من الأساتذة. وقد كان معهد عبد الحميد بن باديس مقرا للعلم والنّضال معا؛ فبعد أن اندلعت الثّورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر سنة 1954، جعل هذا المعهد خلية اتصال وإعلام وتموين للثورة، لكنّ السّلطات الاستعمارية كشفت هذا النّشاط الثّوري فألقي القبض على عدد من شيوخ المعهد منهم: الشّيخ أحمد حماني، والشّيخ الصادق مخلوف، واغتالت آخرين منهم: الشّيخ محمّد العدوي والشّيخ أحمد رضا حوحو، والشّيخ العربي التبسي وغيرهم من الأساتذة والتلاميذ، والتحق الباقون بمراكز الثّورة بالحدود الشّرقية والغربية عبر الجبال،

وكان الشّيخ مصطفى بوغابة من هؤلاء؛ حيث التحق بجيش التحرير الوطني بالولاية الثّانية (الشّمال القسنطيني) في 06/ 11/ 1956.

ولم يكن الشّيخ مصطفى بوغابة حديث عهد بالنّضال، فقد كان قبل الثّورة مناضلا بسيطا - كما يصف نفسه في الحزب الثّوري الذّي أسسه الشّهيدان صالح بوذراع، ومحمّد الزّاهي، والمرحوم يوسف عليوط، مع غيرهم من الشّباب المتحمس وقتئذ لإشعال الثّورة والإعلان عنها محليا بولاية قسنطينة يوم 16 أفريل 1943 م في الذّكري الثّالثة لوفاة الإمام عبد الحميد بن باديس لكن ظروفا طرأت فلم يتم تحقيق ذلك.

تزوج الشّيخ مصطفى من السّيدة رقية وهي ابنة أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر الشّيخ العربي التبسي، والذّي كان سببا في هذه المصاهرة رفيقه المجاهد محمّد الميلي الذّي ارتبط هو أيضا بزينب ابنة الشّيخ العربي التبسي، وكان الشّيخ مصطفى كثير الإشادة بنبل أخلاق زوجته ووطنيتها.

وقد تقلّد الشّيخ بعد الاستقلال عدّة مناصب منها:

- عضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني من 1965/ 63م؛
- نائب محافظ وطني لجبهة التحرير الوطني بولاية قسنطينة قبل أن تقسم إلى سبع ولايات من 1963 إلى 1972؛
- عضو المجلس الشّعبي البلدي بقسنطينة (من 1967 إلى 1971) متتاليتين لفترتين؛
- عضو المجلس الشّعبي الولائي بقسنطينة لفترتين مفصولتين (1969/ 5/ 25م و1979/ 12/ 14) وقد دامتا عشر سنوات؛
- رئيس جمعية جيل نوفمبر لحماية وتخليد مآثر الثّورة التحريرية التابعة ملنظم المجاهدين الخاصة بولاية قسنطينة (1989/ 1993)؛
- عضو مجلس الولاية التاريخية الثّانية (الشّمال القسنطيني) وأحد مقرريها منذ نشأتها في 1996/ 1990م؛
- عضو مؤسسة الشّيخ عبد الحميد بن باديس منذ تأسيسها في 5/ 12/ 1999 حتى وفاته.

كما اشتغل

- أستاذا للغة العربية وآدابها بثانوية أحمد رضا حوحو بقسنطينة،
- ثم مديرا للدراسات بنفس الثّانوية من 62 إلى 1975،
- فمديرا للمعهد التكنولوجي (ذكور) الإخوة بسكري بقسنطينة لتكوين أساتذة التعليم المتوسط،
- فمديرا لثانوية أحمد باي بقسنطينة من 1978 إلى 1988.
- وفي جزء من هذه الفترة من 1984 إلى 1988 انتدب لأشراف على النّشاط الثّقافي بمسجد باريس بفرنسا، والذّي كان مسؤولا عن تسييره الشّيخ العباس بن الشّيخ الحسين رحمه الله.

وكان الشّيخ مصطفى بوغابة قد تبرع بمكتبته العامرة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وهي الآن ضمن اثنين وعشرين (22) مكتبة من مكتبات الشّيوخ.

وقد توفي الشّيخ مصطفى بوغابة في الرّابع من سبتمبر سنة 2018، ووري جثمانه، بعد عصر يوم الأربعاء (5) سبتمبر 2018 بمقبرة قسنطينة المركزية.

وقد نظم المجلس الشّعبي الولائي لولاية قسنطينة أربعينية المجاهد مصطفى بوغابة، بحضور مجاهدين وأساتذة جامعيين وباحثين وممثلين عن المنظمات الوطنية، احتضنتها دار الثّقافة محمّد العيد آل خليفة.

رابح دوب

المصادر:

- ترجمة الأستاذ مصطفى بوغابة بخط يده، نُشرت في موقع عبد الحميد بن باديس؛
- حوار مع الأستاذ مصطفى بوغابة، جريدة النّصر يوم 09 03 2013؛
- محمّد الهادي الحسني: الأستاذ مصطفى بوغابة في ذمة الله، جريدة الشّروق اليومي، في 13/ 09/ 2018؛
المجلس الشّعبي لولاية قسنطينة.

مصطفى شريط الزّريبي
(1303هـ - 1886م/1378هـ - 1959م)

مصطفى بن محمّد بن الصّادق المنحدر من أسرة شُريّط، ويكني بالزّريبي نسبة لبلدة زريبة الوادي. إمام وفقيه وأديب وعلم من أعلام منطقة بسكرة. كان عصامي التّكوين. تولى القضاء والفتوى ونبغ في نظم الشّعر، وكان من رجال الوعظ والإصلاح. ولد سنة 1886م ببلدة زريبة الوادي إلى الشّرق من مدينة بسكرة ولذلك ينسب إليها. تلقى مبادئ العلوم بمسقط رأسه، حيث حفظ القرآن الكريم ببلدته في سن مبكرة من حياته. ولما شب التّحق بزاويّة ليانة وهي من أحواز زريبة الوادي، وكانت ليانة قلعة من قلاع العلم والمعرفة بتلك الرّبوع خلال العهد الاستعمّاري. فأخذ على شيوخها ومنهم العالم الجليل حامد العبيدي الذي تنحدر أسرته من ليبيا. ودرس بها العلوم الإسلاميّة كالتّوحيد والفقه والتّفسير والسّيرة والحديث ونبغ في اللغة العربيّة وآدابها ومال إلى الشّعر فلمع نجمه فيه وعُدّ من شعراء منطقة بسكرة. كما تعرف ليانة بإنّها تحتضن معهد سيدي الوردي وزاويّة سيدي بوسبع حجات وتزخر بمساجد تاريخيّة ومزارات للأوّلياء الصّالحين، كمقام سيدي بوزاهر ومقام سيدي عيسى. وتعتبر حاضرة من حواضر الثّقافة والعلم بنواحي بسكرة. فلما إنّهى دراسته بها عاد إلى مسقط رأسه فتطوع للعمل كإمام بالمسجد ثم عمل في

سلك القضاء الشّرعي، وتصدى للفتوى، وتحمل عبء مهام الوعظ والإصلاح الدّيني والاجتماعي.

وهذا في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تتهيأ لانبعاث الحركة الوطنيّة المناهضة للوجود الاستعمّاري، فواكبها الشّيخ مصطفى شريط معبرا عن الرّوح الوطنيّة التي كانت تعتمل في النّفوس في تلك الفترة من تاريخ الجزائر خلال القرن العشرين. وقد لعبت زريبة الوادي دورا مهما في المقاومة الشّعبيّة وخلال الثّورة التّحريريّة، حيث كانت مستودعا للأسلحة الواردة من ليبيا وتونس، ومقرا للذخيرة المهربة من البلدين إلى الجزائر. فكانت بذلك مصدرا رئيسيا لتزويد منطقة بسكرة والأوراس بتلك المعدات الحربيّة التي كانت الثّورة في أمس الحاجة إليها.

وبحكم نبوغه الفكري، ساهم الشّيخ مصطفى شريط الزّريبي في تنشيط الحركة الثّقافيّة التي سادت منطقة بسكرة ووادي سوف وما جاورهما. فقد ساهم في مناظرات فكريّة مع الشّيخ عبد المجيد حبّة العالم المعروف أصيل بلدة المْغير، وهو صديق له، حول كتاب "تأسيس التّقديس" لفخر الدّين الرّازي، مؤلف كتاب مفاتيح الغيب وهو كتاب ضخم في التّفسير. ولعل مشاركته في تلك المناظرات التي تدخل ضمن مجال علم الكلام والذي يتأوّل مسائل العقيدة، تبرز بجلاء لا لبس فيه المستوى الفكري المتميز الذي وصله الشّيخ مصطفى شريط الزّريبي. يجدر التّذكير هنا أن كتاب تأسيس التّقديس الذي ألفه فخر الدّين الرّازي، وهو من فقهاء الشّافعيّة، عالج فيه الخلاف مع الحنابلة مقلدي الامام أحمد بن حنبل حول ما يعرف في علم الكلام بالتّجسيم والتّشبيه وغيرهما، وهي مسائل تتعلق بعلم العقيدة وتمس جوهر الذات الإلهيّة. وقد رد الامام أحمد بن تيميّة على الامام فخر الدّين الرّازي بكتاب سماه بيان تلبيس الجهميّة، ذلك الجدل الذي جرى في عصر الشّيخيْن الرّازي وابن تيميّة أحياه الشّيخان الزّريبي وحبة في التّاريخ المعاصر لكن في إطار البحث العلمي.

وصفه الشّيخ عبد المجيد حبة، وهو عالم معروف وصاحب تآليف عديدة، بمصطفى الأخلاق وفخر الجزائر وهو قمين بذلك. كما وصفه بعض من كتبوا سيرته بالعالم الجليل والرّجل المصلح.

للشيخ مصطفى شريط قصائد شعريّة تمس مختلف جوانب الحياة، فقد قال عن العلم:

أبى العلم إلا أن يكون رهيبًا
وإن قلّ أنصارًا وصار غريبا

وتكلم حول الاكتشافات والتّطور المعاصر في مجال الاتصالات والهاتف، فقال:

نَزِّه فؤادك فالتّقدم بادي
والبرق يهتف ناطقا بمرادي

ويسعى أحفاده لجمع قصائده وتوثيقها وإصدارها في كتاب حفاظا على الموروث الثّقافي بمنطقة بسكرة.

أكمل الشّيخ مصطفى شريط الزّريبي حياته المهنيّة في التّدريس والقضاء والفتوى والإصلاح الاجتماعي إلى أن توفّي سنة 1959م وكانت الجزائر التي حملها في قلبه على وشك التّحرر من الاستعمّار الفرنسي.

عامر بغدادي

المصـــادر

موقع اتحاد الكتاب الجزائريين بولايّة بسكرة.

مصطفى عواطي
(1346هـ - 1927م/1377هـ - 1958م)

عواطي مصطفى بن مسعود بن براهم وبن صالحة بنت أحمد بن كحول، شهيد من شهداء ثورة الفاتح من تشرين الثّاني-نوفمبر 1954 الجزائرية، ولد في 08 أكتوبر سنة 1927 بحي القطن داشرة بوشقوف ولاية گالمة في الشّرق الجزائري.

كان كشافا، مناضلا حيويا، صقلته الظروف وحنكته المحن، ارتوى من ينابيع سيرتا الأبية، وتشبع بمبادئ الوطنية السّوية، لم يكن من طلائع الفتح، ولكن كان من شهداء الثّورة القوية، ينحدر من عائلة متوسطة الحال، زاول التعليم الفرنسي بمسقط رأسه حتى حاز على الشّهادة الابتدائية، ولكنه غادر مقاعد الدراسة كغيره من أبناء الشّعب الجزائري إبان العهد الاستعماري، لأنه لم يكن يسمح للأهالي المسلمين بمتابعة دراستهم العليا إلا لأبناء الأسر التي كانت تتمتع بنفوذ سياسي أو إداري أو اقتصادي لدى سلطات الاحتلال، أو تلك العوائل التي آثرت أن تسير في ركاب المستعمر الفرنسي.

وبعد نهاية الحرب الكونية الثّانية، وفي تاريخ غير معروف انضم الشّهيد (مصطفى عواطي) لفريق الكشافة الإسلامية، وقد كانت الكشافة الإسلامية نشطة ولها انتشار واسع، وكانت تمثل توجها وطنيا تعبر عنه في بياناتها وآراء قادتها والأناشيد التي كانت تلقنها لأعضائها، ثم الشّبيبة الجزائرية التابعة لحزب "حركة انتصار الحريات الديمقراطية"، وفي خلال هذه الحقبة أظهر الشّهيد نبوغا وأصالة ثورية متدفقة، عازما على المضي قدما في سبيل المبادئ والمثل العليا التي تخدم القضية الوطنية المقدسة، وبسبب ما أظهره الشّهيد من روح النّضال والأخلاق الثّورية حاز على ثقة المسؤولين بالحزب، فمنحوه حق العضوية في الحركة، وبعد اكتشاف المنظمة السّرية في عام 1950 غادر المناضل أرض الوطن وتوجه إلى فرنسا للاختفاء هناك فرارا من ملاحقات المباحث الاستعمارية حتى يهدأ المرجل وتتبخر حممه، حيث مكث هناك حوالي عامين ونصف، ليعود بعدها إلى أرض الوطن سنة 1952م قاصدا

مدينة قسنطينة، وفور وصوله استأنف عملية الاتصال مع المناضلين وتدرج هذا الاتصال بصورة مرضية ليتمخض عن انضمام عناصر أخرى ذات مقدرة وكفاءة عاليتين لصفوف الحزب، مما أكسبه مهابة واحتراما، ولما حدث الانقسام في صفوف حزب الشّعب عام 1953م، وانشطر أعضاؤه إلى جناحين جناح مصالي الحاج وجناح المعارضين والمناوئين له، انحاز الشّهيد مصطفى عواطي إلى جانب زعيم الحزب (مصالي الحاج) -بتأثير من أخيهواستمر على هذا الحال إلى ما بعد قيام الثّورة وانتشارها إلى شتى أنحاء الوطن.

وبعد أربعة أشهر من اندلاع الشّرارة الأولى للثورة اهتدى المناضل "مصطفى" إلى الحقيقة وتخلى بمحض إرادته عن المعتقدات السّياسية السّابقة التي ترسخت بالقوة في أعماق المناضلين المنحازين إلى مصالي الحاجّ، وفهد الأبعاد الجوهرية للثورة، التي لابد وأن تكون هي الشّغل الشّاغل لكل مواطن مهما كان انتماؤه السّياسي، فانضم إلى صفوف الثّورة ليبرهن بالعمل الخلاق عن أصالته الثّورية وتمسكه الشّديد بالمثل العليا للثورة، وبناءً على الشّهادات التي أدلى بها رفاقه في الكفاح، فإن الاتصال الذّي قام به الشّهيد عندما قرر الانضمام إلى ركب الثّورة، كان مع الشّهيد "مسعود بوجريو"، وقد أسندت إليه الثّورة بعد أن قدم من الدليل العملي، ما يؤهله لذلك مسؤولية الميدان السّياسي والمالي، وقد برهن فيما بعد على هذه الثّقة التي منحتها إياه الثّورة، واستطاع الشّهيد من خلال مدة قصيرة أن يقوم بدور ريادي في ميدان تعبئة الجماهير الشّعبية داخل مدينة قسنطينة، وخاصة فئات الشّباب الذّي بفضله عززت صفوف الثّورة داخل المدينة وخارجها، وتقوت ضرباتها في مختلف الجبهات، كما شارك إلى جانب الشّهيد زيغود يوسف بجبل الوحش أثناء هجومات 20 أوت 1955. وقد شكلت تلك الهجمات منعرجا حاسما في تعزيز ودعم مسيرة كفاح الشّعب الجزائري، إذ قدم عبرها الشّمال القسنطيني جوابه الفعال على صرخات الأوراس الأشم المحاصر منذ أشهر معدودات بعد اندلاع شعلة الثّورة التحريرية في أول نوفمبر 1954.

وظل يؤدي دوره بكل جسارة وإقدام، فقد دخل الثّورة بكل صدق وحماس، بذل فيها ما استطاع أن يبذله من تضحيات وبطولات، شهد له بها رفقاء دربه وأصدقاء مسيرته، وظلّ على ذلك العهد لا يحول ولا يزول إلى أن تمّ اكتشاف خليته واعتقال عناصرها، وذلك في 28 نوفمبر1955 وذلك بعد أن وقع أحد الفدائيين تحت الأسر والتّعذيب الشّديد فأخبر عن الخلية وأعضائها، وعلى إثر ذلك ألقي عليه القبض أثناء عودته من بسكرة إلى قسنطينة، وبعد عدّة أيام من التّعذيب تمت محاكمته هو ورفاقه بالمحكمة العسكرية الدائمة بقسنطينة لمدة أسبوع أي من 18 إلى 24 فيفري 1956، حيث حكم على خمسة منهم بالإعدام وهم: عواطي مصطفى، زعموش عمر، بلقاسم منتوري، بن عباس السّعيد، ابن مزداد أحمد لكن هذا الأخير استفاد من العفو لأنه لم يبلغ بعد سن الرّشد، أما البقية فقد نفذ فيهم الحكم يوم 08 جانفي 1958، وكان مصطفى عواطي واحدا من هؤلاء الذّين قدموا أرواحهم قربانا على مذبح الحرية وبعث الجزائر مستقلة من جديد وقد استجاب الله لتضحياتهم وكللها بالانتصار العظيم الفريد من نوعه في نتائج حركات التحرر الوطنية في العالم الثّالثّ آنذاك، فكانوا بحق من الذّين قال الله فيه: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيْلا﴾ [سورة الأحزاب، الآية 23].

ومن الأعمال المخلّدة للشهيد مصطفى عواطي فيلم وثائقي بعنوان (أمام المقصلة، يرون شمس جويلية) لصورايا عمور كاتبة للفيلم ومخرجة له، ويحكي هذا الوثائقي في ساعة وعشر دقائق المسار البطولي للشهيد مصطفى عواطي الذّي استشهد مع رفاقه زعموش وبلقاسم منتوري وبن عباس السّعيد بالمقصلة بعد أن تعرض لأبشع ممارسات التعذيب بالمحكمة العسكرية بقصبة قسنطينة.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015؛
- المتحف الجهوي للمجاهد بولاية سكيكدة.

مصطفى فخار
(1310هـ - 1892م/1399هـ - 1979م)

ولد الشّيخ مصطفى فخار بن حميدة بن علال بن محمّد في مارس 1892م الموافق لـ 1310هـ في حي عين الذهب.

ترعرع في بيت الدين والطّاعة لله ورسوله، من أسرة كريمة الأصل والفصل عريقة الحسب والنّسب، فأبوه حميدة فخار أو بالفخار، كان مفتيا، وابن المفتي علال بالفخار، في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فيما كان يعرف-قديما بجامع الباي أو الجامع المالكي، أو الوسطاني، وقد رفع مكانه جامع جديد وهوالمسمى اليوم بجامع الإمام مالك رضي الله عنه"

لما بلغ سن الرشد أدخله والده إلى الكتّاب لحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة على يدي الشّيخ بن يلس معتمدا في ذلك على موهبة الذكاء

وسرعة الحفظالتي امتاز بها على جل الطّلبة، فحقق الابن ماكان يرغب فيه والده، فحفظ القرآن العظيم، وتلقى مبادئ اللغة العربيّة والنّحو والصرف، وحفظ شيئا من الحديث وعددا من المتون، مثل الأجروميّة والقطر والبردة والبيقونيّة في مصطلح الحديث، ومختصر خليل في الفقه، وألفيّة بن مالك، والسّمقمقيّة، والرحبيّة في الفرائض وما يتصل بها من حساب وكسور...



وكان يحضر مع الطّلبة دروس والده في الجامع، التي كان يلقي بعضها على العموم، والبعض الآخر على بعض الطّلبة دون عامّة النّاس، وقد أخذ الفقه ودرس مدونة وموطأ الإمام مالك، وشرح الإمام القسطلاني والتفسير عن عالم جليل آخر، من علماء المديّة وهو المرحوم الشّيخ" ابن الحصيني"-وقد كانت للشيخ بالحصيني ذاك أياد بيضاء، ومنة وفضل على كثير من مثقفي المديّة، وكان هذا العالم الصوفي الفاضل، يدرس لوجه الله في الجامع، للعامّة وللطلبة.

ومما زاد في توسيع مداركه العلميّة رفوف مكتبة أبيه التي ورثها عنه فانكب على قراءة جل كتبها التي كانت تشتمل على مصنفات الحديث للبخاري ومسلم والنّحو والصرف والتاريخ والتصوف والأدب والبلاغة والتفسير، فكان معلما ومتعلما في الوقت نفسه، وكان خطيبا ومرشدا ومفتيا، وكانت له دروس كل يوم بعد الصلوات الخمس بمسجده لعدد كبير من الطّلبة، وأما ليالي رمضان فكان يحيي أوقاتها بدروس في السّيرة النّبويّة العطرة.

وكان من أعز أصدقائه وقرنائه الشّيخ الفضيل اسكندر بن رمضان، مفتي الحنفيّة بالمديّة الذي يصغره سنا بتسع سنوات والمتوفى سنة 1982م، والذي لم يكد يفارقه يوما، فكانت بينهما المناقشات الطّويلة والحوار عن مختلف القضايا الشّرعيّة عند الحنفيّة والمالكيّة وقد سافرا معا في جولة علميّة وسياحيّة سنة 1936م إلى تونس، وهناك زار جامع الزّيتونة وزار الشّيخ الطّاهر بن عاشور شيخ جامع الزّيتونة، وهو بمثابة عميد الجامعة في أيامنا فامتحنه، فأجازه في الحديث والفقه والتفسير والعربيّة، وأمهات الكتب والفنون العربيّة، على عادة القدامى، امتحنه في الفنون الإسلاميّة والعربيّة وفي أمهات كتبها، مذكورة بأسمائها وأصحابها، ومنحه شهادة بالعلم أمضاها بخط يده.

وفي أثناء الثورة التحريريّة تعرض لعدة ضغوطات، ومنها أن الجنرال الفرنسي في المنطقة أن يخطب على المنبر داعيا المجاهدين إلى العودة إلى أهاليهم لأنه كانت له سمعة طيبة عند أهل المديّة، ومنها أيضا تعرضه للتفتيش المستمر من طرف الأمن الفرنسي جراء التحاق ولده عبد الكريم بصفوف المجاهدين، ولما قتل ربّيٌّ يهودي ثارت عرقيّة اليهود وأرادوا الثأر من أحد الأئمة المسلمين وخاصّة الشّيخ مصطفى فخار لأن ابنه كان من المجاهدين فنصحه أحد أعوان الأمن الفرنسي بالخروج من الجزائر فلجأ الشّيخ إلى المغرب.

حظي الشّيخ بحفاوة استقبال وتكريم من السّلطة المغربيّة والجاليّة الجزائريّة، فراح يقيم النّدوات ويلقي الدروس ويشرح المتون في مساجد الدار البيضاء والرباط، حيث عين مدرسا وخطيبا في أحد المساجد، وطلب منه أن يتزوج فأبى ذلك لأن أبناء وطنه تحت وطأة المستعمر يعانون وينزفون.

وبعد الاستقلال عاد إلى أرض الوطن وبدأ نشاطه بإلقاء الدروس والخطابة في المسجد المالكي، وعين عضوا في لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف مع زميله الشّيخ الحنفي محمّد الفضيل إسكندر .

عرض عليه منصب الإفتاء فرفضه وفضل البقاء في مسجده المالكي الصغير المتواضع مع أهل المديّة الذين أحبوه في الله وغرس محبة الله في قلوبهم، وعرف لهم العلماء المجتهدين كالإمام مالك وأبي حنيفة والشّافعي وأحمد والبخاري ومسلم والغزالي، ولقد كانت للشيخ أياد بيضاء على أغلبيّة المثقفين بالعربيّة أو بالعربيّة والفرنسيّة من أهل المديّة، إذ أخذ عنه المئات، وربما الآلاف من أهل المديّة وغيرها، وربما كل ثقافتهم العربيّة والإسلاميّة من حضورهم دروسه في النّحو والصرف والفقه والتوحيد والتفسير والتجويد، بل وكانوا يسمعون أو يشاركون في تلاوة البخاري ومسلم، ويحضرون ختمهما في ليلة السّابع والعشرين وليلة الثامن والعشرين من رمضان، حين كان يحتفل به في الجامع الجديد وهو الواقع إلى جانب مجلس القضاء اليوم، وكان يحضر الحفل المهيب والبهيج الشّيخ محمود اسطنبولي مفتي البليدةوهو من آل إسنطنبولي من المديّة .

وكان الشّيخ يتصل بدواوين الإدارة ليطلعهم على أحوال الشّعب وما يعانيه من الاحتياجات، ويتصل برئيس البلديّة وكثيرا ماكان يحثه ويرشده بأن يكون في خدمة الشّعب وقضاء مصالحه، لأنه انتخبهم ليكونوا سندا له في أوقات المحن والشّدائد، وكانت جل نصائحه لأصحاب الدواوين تدور حول مساعدة الضعفاء والفقراء وفي صالح البلاد والعباد.

وقد عاش الشّيخ مصطفى فخار حياته كلها حر الفكر والضمير، حر القلم واللسان، فلم يبع ضميره ولا قلمه لمخلوق، ولم يعبد أحدا إلا الله عز وجل، وكم حاول أصحاب المال

والجاه والسّلطان أن يشتروه فلم يقدروا على ذلك.

وللشيخ مصطفى فخار مخطوط في مناسك الحج بخط يده، وآلاف المذكرات في كل الدروس والخطب التي ألقاها على مدى نيف ونصف قرن أو يزيد.

توفي رحمه الله في صيف 1979م وشيعه إلى مثواه الأخير جمع غفير من سكان المديّة وعلى وجوههم آثار الحزن والأسى لفراق هذا العالم الكبير.

رابح دوب

المصادر:

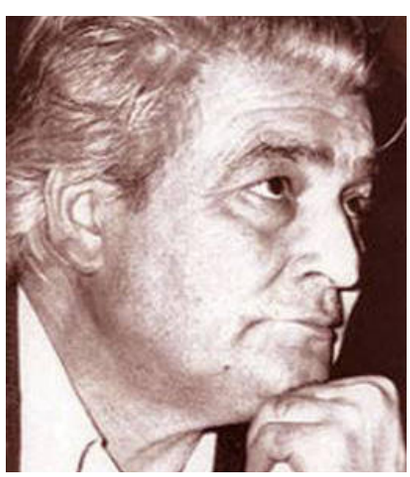
- عبد العزيز خليل الشّرفي، معجم أعلام المديّة، مؤسسة شيكو للطباعة والنّشر، الجزائر، دط، دت.
- أبو محمّد سعيد هرماس، طبقات المالكيّة الجزائريين خلال المئة الهجريّة الأخيرة، دار صبحي للطباعة والنّشر، غارداية الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013م.

مصطفى كاتب
(1338هـ - 1920م/1406هـ - 1986م)

ولد مصطفى كاتب بن عبد العزيز في الثّامن (8) جويليّة 1920، بسوق أهراس، على بعد خطوات من المسرح البلدي الذي دُشّن في 18 ماي 1931، لعائلة عريقة من قبيلة الحنانشة الذي كان لأبنائها دور كبير في المقاومة الأوّلى ضد الفرنسيين، والده عبد العزيز كان يتقن اللغة الفرنسيّة والعربيّة، بل كان شاعرا ومترجما. معالم طفولته هي زيتونة القديس أوغستين، ومسجد الشّيخ سيدي مسعود بن أبي بكر الفاروقي، زأوّل دراسته الابتدائيّة بمدرسة باستور بسوق أهراس ثم انتقل مع عائلته إلى عنابة، ليغادرها إلى قسنطينة، قبل أن يستقر بالجزائر العاصمة سنة 1939، فانخرط في فرقة (المطربيّة) لصاحبها محي الدّين بشطارزي، وشارك في أعمال كثيرة هناك بصفته ممثلا. بعد ذلك أسس نواة الفرقة المسرحيّة الأوّلى والتي تحمل اسم (ألف باء) برفقة كل من علال المحب، عبد الله نقلي، وسيد علي فرناندیل...

أعدّ وأخرج كاتب عدّة مسرحيات هي: (ولد الليل الكاهنة)، (عطيل)، (الأكاذيب)، (عدو الشّعب)، (دون جوان)، (عنتر بن شداد)، (عثمان في الصّين)، (دار لمهابل)، (ساري)، (بوبصلة)، (عمّارة العدل)، (يا حسرة)، (في سبيل الوطن)، (توباز)، (السّحور ومونصير).

تمّ تجنيد مصطفى في الخدمة العسكريّة الإجباريّة غداة نشوب الحرب



العالميّة الثّانيّة، لينضمّ بعدها إلى فرقة المسرح العربي رفقة بشطارزي (1947-1951) وشغل عدّة مناصب: منسق عام، مخرج وممثل، وضع مصطفى كاتب يده على الجرح من أوّل الطّريق وعرف أن النّجاح الحقيقي لن يكون إلا بواسطة التّكوين، وعلى هذا الأساس أنشأ فرقته الخاصّة المسماة (المسرح الجزائري) وجعلها عبارة عن ورشة حقيقيّة لتعليم أصول هذا الفنّ الدّرامي لعدد من الشّبان، وكافة الوجوه الشّابة آنذاك أخذت مبادئها الأوّلى من هذه الفرقة، التي شاركت في المهرجان العالمي للشباب في 1951 ببرلين، بوخاريست 1953، وموسكو 1955، بالإضافة إلى ذلك شاركت فرقته في جولات بفرنسا كما ساندت جبهة التّحرير الوطني سنتي 1956 و1957، ولقد جعل كاتب من هذه الأخيرة ورشة تكوين حقيقيّة لتعليم أصول الفنّ الرّابع والتّحق بها فنانون مشهورون مثل سيد علي كويرات ويحي بن مبروك.

في نهايّة سنة 1957، رحل مصطفى كاتب إلى فرنسا، حيث مارس هناك المسرح الملتزم بين عاميّ 1956 و1958 لكنّه تعرّض إلى مضايقات، فسافر إلى تونس ولبّى نداء جبهة التّحرير الوطني التي دعت الفنّانين الجزائريين لتكوين فرقة فنيّة قادها كاتب، نجحت هذه الفرقة في ايصال صدى الثّورة إلى عديد الدّول عن طريق أعمال مسرحيّة أخرجها مصطفى، عين رئيسا للفرقة الفنيّة التي أنشأتها جبهة التّحرير الوطني في تونس برفقة مصطفى تومي، حيث لعبت هذه الفرقة دورا رائدا في مجال التّعريف بالقضيّة الجزائريّة للرأي العام العربي والدّولي، ودشنت حراكها بعرض من اعداده واخراجه بعنوان (نحو النّور)، ثم تلتها مسرحيات (عبد الحميد رايس)، (أبناء القصبة)، (الخالدّون)، (العهد) و(دم الأحرار).

بعد الاستقلال، أسندت إلى مصطفى كاتب إدارة المسرح الوطني الجزائري في السّابع (07) جانفي 1963، وجمع مصطفى بين التّمثيل، الإخراج والتّدريس.

امتلك الرّاحل تصورا مختلفا حول التّكوين الذي اعتبره الرّكيزة الأساسيّة للنهوض بالمسرح في الجزائر فأسس مدرسة برج الكيفان للمسرح والرّقص الشّعبي بالجزائر العاصمة في 1964 (حاليا المعهد العالي لمهن فنون العرض والسّمعي البصري).

ولعب مصطفى كاتب دورا كبيرا في تنشيط الحركة المسرحيّة المغاربيّة، وعلى مدار عشر سنوات، قدّم 40 مسرحيّة جلّها مستوحاة من مصادر مختلفة: جزائريّة، عربيّة وعالميّة كمسرحيّة (الرّجل صاحب النّعل المطاط) لكاتب ياسين والتي أشادت بنضال الشّعب الفيتنامي.

في نهايّة سنة 1972، عين مستشارا مكلفا بالثّقافة في وزارة العليم العالي والبحث العلمي، حمل مصطفى كاتب هواجس المسرح إلى الجامعة، وأحيا النّشاط الثّقافي الجامعي من خلال ندوات ومحاضرات كانت تقام في قاعة نفق جامعة الجزائر، جمع حوله عددا كبيرا من المثقفين الجزائريين، ونظم مهرجانا سنويا للقصة القصيرة والشّعر، وملتقى الأدب والثّورة. كما نظم دورات تدريبيّة للطلبة في مجال الفنّ الدّرامي، وبهذا يرجع إليه الفضل في اكتشاف مواهب أدبيّة صارت اليوم قامات الأدب الجزائري مثل واسيني الأعرج، أمين الزّاوي، أحلام مستغانمي، عبد الحميد بواريو، الهاشمي سعيداني... وآخرون، حتى قيل إن رئيس الجمهوريّة قال لوزير الثّقافة آنذاك: (الثّقافة راهي عند التّعليم العالي وأنت ماذا تفعل؟؟).

هذا الدّور الفذ الذي أسس فعليا لمسرح الجامعة في الجزائر كان وراءه رجل عظيم هو مصطفى كاتب... دون نسيان أن الذي انتدبه من وزارة الاعلام والثّقافة إلى وزارة التّعليم هو الوزير الأسبق محمّد بن يحي لما انتقل من وزارة الاعلام الثّقافة إلى وزارة التّعليم العالي من صائفة 1970.

عام 1976، أنشأ مصطفى كاتب مجلتين مهمتين هما (الحلقة) تعنى بشؤون المسرح، و(الثّورة والثّقافة) تعنى بشؤون الفكر والثّقافة، ونظّم دورات تدريبيّة للطلبة في مجال الفنّ الدّرامي، أما في سنة 1985 حظي مصطفى كاتب بعضويّة المجلس الشّعبي لمدينة الجزائر وتولى مهمّة تنشيط الحياة الثّقافيّة فيه، وأسهم في بعث المعهد البلدي للموسيقى والمسرح، إضافة إلى خمسة مركّبات ثقافيّة بكل من حسين داي، القبة، حيدرة، الأبيار ووادي قريش، كما نظّم الملتقى الدّولي (العالم الثّالث في مواجهة التّحديات التّكنولوجيّة المعاصرة) حيث تمكن من فرض تصوره الثّقافي الذي جاء بمعهد التّعليم الموسيقي لمدينة الجزائر.

ومن أهم أعمال مصطفى كاتب المسرحيّة تمثيلا وإخراجا: (أبناء القصبة)، (الحياة حلم)، (دون جوان)، (عنبسة)، (الخالدّون)، (الجثة المطوقة)، (احمرار الفجر)، (دائرة الطّباشير القوقازيّة)، (ابليس لعور كاين منو)، (البوابون)، (جحا باع احمارو)، و(بايع راسو في قرطاسو (.

في السّينما، أخرج كاتب فيلم (اللي فات مات) عن مسرحيّة (الغولة) لرويشد، كما قدّم مسلسل (آسيا) للتلفزيون، بالتّزامن، عرفت السّينما أداء مصطفى كاتب لعدّة أدوار، اعتبارا من تأديته شخصيّة الحاكم المدني في فيلم (الليل يخاف من الشّمس) سنة 1965 لمصطفى بديع، وشقيق (كلثوم) في (ريح الأوراس) سنة 1965 لمحمّد الأخضر حمينة، كما شارك في أفلام: (حسان طيرو)، (الأفيون والعصا) سنة 1971، (علي في بلاد السّراب)، و(حسان نيّة) 1989.

في سبتمبر 1988، عاد مصطفى كاتب لتسيير المسرح الوطني الجزائري حاملا مشروعا كبيرا لبعث الحركة المسرحيّة، لكن شاء القدر أن يرحل الرّجل الذي وهب حياته كاملة لخدمة فنه الرّاقي وجمهوره المسرحي قبل تحقيق كل تطلعاته، حيث وافته المنيّة في 28 أكتوبر 1989، وهو نفس اليوم الذي رحل فيه ابن عمه الرّوائي والمسرحي كاتب ياسين.

قال مصطفى كاتب: (اللغة... إنّها قضيّة مزيفة، وأرى إنّه لا ينبغي الوقوف هنا، في الوقت الرّاهن يعبر مسرحنا باللغة الدّارجة، لكن هذا لا يعني القول إنّه سيظل كذلك دائما، جمهور اليوم لن يكون هو نفسه في عشر سنوات مثلا، ففي ذلك اليوم يمكن للمسرح أن يمثل بالعربيّة الأدبيّة)

سناء رمضاني

المصادر:

موقع المسرح الوطني الجزائري http: / /www. tna. dz

مصطفى مبروكي
(1279هـ - 1863م/1364هـ - 1945م)

هو العلامة مصطفى مبروكي، ابن محمد بن قويدر بن المبروك، ارتحلت عائلته قبل مولده من بلدة عين الملح، لتتّخذ من بلدة أولاد جلال سكنا ومقاما، وبهذه البلدة ولد سي مصطفى سنة 1863م وسط بيئة محافظة، ومحيط كان يشكل قطبا دينيا وعلميا بوجود الزاويّة المختاريّة التي كانت مقصد الطّلبة والعلماء. رغم الوضع العام البائس الذي فرضه وجود الاحتلال، تعلّم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ كتاب الله بالطّريقة التقليديّة في الكتاتيب المنتشرة آنذاك في البلدة، ثم انتسب طالبا لكل من الزاويتين المختاريّة بأولاد جلال والزاويّة القاسميّة بالهامل، بعد حفظه لكتاب الله، انكبّ على حفظ المتون الفقهيّة وشروحها وحواشيها، كما اهتم بعلوم اللغة وفنونها والعلوم الأخرى كالحديث وعلم المنطق، ليصبح عالما مجازا من خيرة علماء عصره، وأصبح أحد أعمدة العلم والتدريس بكل من زاويتي الهامل وأولاد جلال.

كان من أخص تلاميذ وأصحاب العلامة عبد الرحمان الدّيسي، حيث لازمه طالبا متعلما حتى أجازه للتدريس، ثم لازمه صاحبا ومُساجلا في الشّعر، فكانت بينهما

مُلح شعريّة وجلسات علميّة مشهودة، لما للرجلين من المقدرة العلميّة والأدبيّة، ولعلّ مما ألّف بين قلبيهما أنها تشاركا فقدان نعمة البصر، فقد كان كلاهما ضريرا منذ الصّغر، غير أن ذلك لم يفقدهما البصيرة التي جعلت من كليهما منارة للعلم في عصره، بل كان حافزا لهما على التفوق عن أقرانهما من الأصحاء المبصرين.

والى جانب الشّيخ عبد الرحمن الدّيسي، أخذ سي مصطفى عن الشّيخ بن الرحمن السّنوسي، وعلماء آخرين كبار لازمهم واكتسب معارفه منهم، حتى صار موسوعة علميّة في شتى علوم الدّين من تفسير ونحو وصرف وفقه وأصول وحديث، كما صار حجّة في اللغة، مع بعض اهتمام منه بعلوم الكلام والمنطق والفلك والحساب.

ولم يكتف بذلك فقط، بل برز وبرع كشاعر، فكان موهوبا في ذلك، تجود قريحته ارتجالا في شتى الأحوال والظروف، وقد ترك رصيدا شعريا موزعا بين مخطوطاته يكفي لو جمع ليكون ديوانا جامعا لتراثه الشّعري.

وحين تولى التدريس في الزاويّة المختاريّة، كتب إليه العلامة الشّيخ محمد بن عبد الرحمن الدّيسي مهنئا:

ليهنأك يا مصطفى المنصب
جزاء لمن في العلا ينصب
خدمت العلوم فنلت المنى
وأثمر مغرسك الأطيب
فخير المتاجر هذا الذي
اتّجرت وقد ربح المكسب
وها قد أجزناك يا منتقى
بما قد أجزنا كما يجب
فدم سالما مكرما ترتقي
إلى الأوج ما صعد الكوكب

ومما تقرّرعند أهل العلم أن العالم لا يعرف إلا بشهادة العلماء، فقد قال فيه تلميذه الشّيخ النّعيمي احد أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين: ((يمتاز الشّيخ مصطفى بن قويدر بغزارة العلم والتمكن البالغ من المعارف الدّينيّة واللغويّة والورع الشّديد والتعبد الدّائم))

وقال عنه أيضا: "كنا نقرأ القرآن على الطّريقة التقليديّة (المحمول)، والشّيخ مصطفى هو أول من علمنا طريقة الترتيل والتجويد بالأحكام".

وقد ظل الشّيخ النّعيمي يذكر شيخه وأستاذه العلامة مصطفى بن قويدر بكثير من الإجلال والتعظيم.

كما ذكره القاضي حشلاف في كتابه سلسلة الأصول في شجرة ابناء الرسول ﷺ في سياق ذكره لأعلم عصره بقوله: "ومنهم الفاضل الأجل والجهبذ المبّجل الشّيخ مصطفى بن قويدر مفتي أولاد جلال - لا فضذ الله فاه-"

وأورد له في كتابه قصيدة من قصائده بعنوان (هذا مقام النّور والايمان).

كما ذكره تلميذه مفتي أولاد جلال الشّيخ فرّاح معيوف بقوله: "إن الشّيخ مصطفى بن قويدر من كبار المشايخ والعلماء الكبار الذين أخذ منهم الشّعب الجزائري سرّ قوته الروحيّة والدّينيّة، عرفناه من أكثر العلماء حفظا للأحاديث النّبويّة بأسانيدها ورواياتها لا يدانيه أحد في ذلك، وهو الملقّب بيننا بشيخ الشّيوخ لعلمه الظاهري والباطني وتقواه".

كما كان للشيخ العلامة سي مصطفى اتصال بالحركة التجديديّة (جمعيّة العلماء المسلمين) حيث كان ابن باديس على اتصال دائم بعلماء ومشايخ الزاويّة المختاريّة، وكانوا يلجأون إليه كلما استشكل عليهم أمر.

اشتغل بتدريس العلوم الشّرعيّة المختلفة وعلوم اللغة وفنونها فأجاد وأفاد، وقد ترك العديد من المخطوطات والرسائل هي الآن محفوظة وموزعة بين أهله وذويه وتلاميذه في كل من المغير، بسكرة، الهامل، أولاد جلال، بوسعادة، عين الملح، الجلفة...

وممن درسوا عنده وتخرجوا على يديه، نذكر:

- الشّيخ السّماتي محمد بن العابد الجلالي
- الشّيخ مسعودي عطيّة مفتي ولايّة الجلفة.
- الشّيخ نعيم النّعيمي احد أعضاء جمعيّة علماء المسلمين.
- الشّيخ حرزلي الربيع من أشهر علماء منطقة بوسعادة.
- الشّيخ لبقع التي تولى التدريس والإفتاء بالجلفة.
- الشّيخ الحاج يحي مفتي عين الملح وضواحيها.

الدّكتور عبد المجيد بن حبة أحد أبرز علماء ودكاترة الجزائر في التاريخ المعاصر.

والى جانب اشتغاله بالتدريس والتأليف، فقد كان رحمه الله كريما سخيا، لا يتوانى عن إغاثة النّاس والمساهمة في الأعمال الخيريّة، ومما يذكر له مثالا لا حصرا مساهمته المعتبرة في بناء مسجد (نجل أحمد زيرق).

وردت بعض أشعاره في ديوان الحنان المنان للعلامة عبد الرحمن الدّيسي، ضمن السّجالات الشّعريّة التي كانت بينهما. . كما أورد له القاضي حشلاف قصيدة في كتابه سلسلة الأصول، وقصيدة أخرى في مجموع (عطر الأكوان) لأفضل القصائد في مدح خير البريّة ﷺ .

وقد اخترنا مقتطفات من شعره، منها قوله في الإمام الشّيخ عبد الحميد بن باديس:

قد فاح من روض الأحبة رنده
ولاح للعبد الضّعيف رشده
فليحمد المولى الكريم مؤديا
شكرا كبيرا ليس يحصر عدّه

وقال في رثاء أحد طلبته النّجباء:

أقول ودمعي بالخدود يسيل
وحزني على فقد الحبيب طويل
على طالب قد كان غرّة تربه
وكان له ذكر لدينا جميل

كما قال عن مخطوطه عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان:

كم كريم يريد نيل مناه
فتزلُّ دون المنى قدماه
ولئيم يأتيه من كل فج
قصده، بل ينال فوق مناه

رحم الله الفقيد الشّيخ سي مصطفى بن قويدر مبروكي.

توفي رحمه الله سنة 1945م، عن عمر ناهز 82 سنة، ولما بلغ خبر وفاته للشيخ نعيم النّعيمي رثاه بأبيات شعريّة يقول في مطلعها:

حلف الزمان ليأتين بمثله
حنثت يمينك يا زمان فكفّر

وقد خلّف أبناء وأحفادا أصبحوا أئمة منهم: عبد الله، الطّيب عبد الحفيظ، الشّيخ عمر، كمال، المختار الجلالي. ومنهم أيضا أساتذة في الطّب وقضاة وضباط سامون في الجيش ومثقفون في شتى المجالات.

عبد الكريم قذيفة

المصادر:

- نص محاضرة للباحث والنّسابة الأستاذ لخضر بشر.
- ديوان (منّة الحنان المنان) للعلامة عبد الرحمن الدّيسي، نشر الجمعيّة الثقافيّة للعلامة عبد الرحمن الدّيسي، 2008.
- اسماتي محمد بن العابد الجلالي، المعلم الأديب والمجاهد العنيد حياته وآثاره، للروائيّة والباحثة عتيقة سماتي.

مصطفى نطور
(1369هـ - 1950م/1432هـ - 2011م)

هو مصطفى بن الحُسين نطور؛ وُلد يوم:(9ربيع الأول1370هـ)، المُوفق لـ (18ديسمبر1950م)، في قريّة(سيدي علي شارف) ببلديّة(بني زيد) قرب (القُل) في ولايّة (سكيكدة) بالشّرق الجزائري؛ بدأ تعليمه، كبقيّة الأطفال في بلدته، في الكتاب بمسقط رأسه، فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، وتعلم فيها مبادئ العربيّة، وينتمي(مصطفى نطور) إلى أسرة مُناضلة ومُجاهدة وأغلب أفرادها استشهدوا أثناء ثورة التحرير الجزائريّة المظفرة؛ ومن بينهم والده(الحُسين نطور)؛ الذي استشهد سنة: (1380هـ/ 1961م)، وتنتمي عائلته إلى عرش من(بني تفوت)؛ الذين هم من قبيلة (كُتامة)؛ و(بني تفوت) تعني أبناء الشّمس، وهي قبيلة كبيرة تتوزع في مناطق جغرافيّة شتى، من الجبال الواقعة في الطريق بين(ميلة) و(جيجل) من جانب، و(قسنطينة) و(سكيكدة) من جهة أخرى، وقد تعددت الرؤى بالنسبة إلى بنيتها القبليّة؛ وتذكر بعض المصادر أنها " كنفدراليّة مُشكلة من بقايا قديمة جداً لقبيلة ملّوسة الكتاميّة، وبعض بقايا فروع القبائل العربيّة التي مرت بالمنطقة، وفرع (تيفوت) الذي ذكره (ابن خلدون) في قبائل (زواغة) البربريّة، واجتمعت هذه الروافد جميعاً مُشكلة كياناً سياسياً اسمه (بني تفوت)". ويذكر الباحث (سفيان عبد اللطيف) أن قبيلة (بني تفوت) تتكون من ثلاثة فروع رئيسة، هي: (بني زيد)، و(آل زقار)، و(الولجة)، وفي موضع آخر لهم فرع (بني تفوت الدكاريّة) في منطقة القلعة، ولهم جميعاً فروع كثيرة، ومواطن أشهرها اليوم: (عين قشرة)، و(حجر مفروش)، و(بو البلوط)، و(الزاويّة)، و(بودوخة)، و(تمالوس)، و(بين الويدان)... وغيرها فروع كثيرة، ورئاستهم مستقلة منذ زمن العثمانيين.

انضم (مصطفى نطور) سنة: (1382هـ/ 1963م) إلى مدارس أشبال ثورة التحرير الجزائريّة، وهي مدارس خاصة بأبناء الشّهداء، وانتقل بعدها إلى مدينة(قسنطينة)، وزاول دراسته بها، وتابع مختلف المراحل التعليميّة بمدينة (قسنطينة) التي نال بها مجموعة من الشّهادات؛ كما أنه خريج المعهد التكنولوجي لأساتذة التعليم المُتوسط بقسنطينة في شهر(جمادى الأول1394هـ) الموافق لـ(جوان1974م)، وكان عضواً باتحاد الكتّاب الجزائريين، وقد كُرّم في عدة مناسبات، ومُنح وسام الاستحقاق للدولة الجزائريّة، سنة: (1404هـ/ 1984م)؛ تقديراً لجهوده في الإبداع الأدبي؛ إذ انطلق في كتابة القصة القصيرة منذ مطلع السّبعينيات من القرن المنصرم، وقد عمل في جريدة:"النصر"بالقسم الثقافي فيها، وكانت أغلب كتاباته تُركز على الحركة الأدبيّة والثقافيّة في الجزائر، وقد أسهم إسهاماً فاعلاً في الحركة الإعلاميّة خلال سنوات التسعينيات من القرن المُنصرم، وكان من بين مؤسسي جريدة: "جسور"، و"الشّرق الجزائري"، و"المسمار"، وبعد عمله لسنوات الطويلة في مجال التربيّة والتعليم والصحافة والإعلام، عُيّن مديراً للثقافة في ولايّة تيهرت (تيارت)، سنة: (1424هـ/ 2003م)، وفي عام: (1428هـ/ 2007م) عمل مديراً للثقافة بمدينة(قسنطينة)، وعُيّن مُحافظاً للمهرجان الوطني لموسيقى المالوف، سنة: (1428هـ/ 2007م)، كما تمّ تعيينه مُحافظاً للمهرجان الدولي للإنشاد، سنة: (1430هـ/ 2009م)، وقد كرّمه ملتقى أوراق سكيكدة الأدبيّة سنة: (1433هـ/ 2011م) بدراسة أعماله في ندوة علميّة متميزة، وقد تُوفي الأديب(مُصطفى نطور) يوم: (23محرم1433هـ)، الموافق لـ(06 ديسمبر 2011م).

إن كل من يُتابع الكتابات الأدبيّة القصصيّة الجزائريّة في مرحلة السّبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم، يجد أن اسم الأديب (مصطفى نطور) يقف شامخًا؛ فقد كتب القصة القصيرة بعشق، وبأسلوبٍ شائق بيّنٍ، وعالج فيها مختلف شؤون الحياة الاجتماعيّة، والسّياسيّة، وقد أجاد في القصة أيما إجادة، وهو أديب مقتدر، ومطبوع.

من مؤلفاته:

"لوجهها غوايات أخرى-مجموعة قصصيّة-"، و"من فيض الرحلة-مجموعة قصصيّة-"، و"أحلام الجياد المفجوعة-مجموعة قصصيّة-"؛ وقد صدرت هذه المجموعة القصصيّة عن المؤسسة الوطنيّة

للكتاب بالجزائر، سنة: (1405هـ/ 1985م)، ونالت إعجاب عدد غير قليل من النقاد الجزائريين، وقد صمم غلافها الخارجي الفنان(الطاهر ومان)، وبالنسبة إلى الأسلوب الذي وظفه الأديب (مصطفى نطور)، فقد انسجمت اللغة المنسوبة إلى الشّخصيات، مع المستوى الثقافي، فقد وُفق إلى أبعد الحدود في توظيفه لمستويات اللغة، واستعماله لأسلوب ينسجم، ويتوافق مع السّرد القصصي ؛ وذلك نظراً لمعرفته العميقة بخصوصيات اللهجة العاميّة الجزائريّة، وإدراكه العميق لأبعاد حوار العامة في الجزائر ؛ فنجد في محطات لغة راقيّة، وجميلة، وفي أحايين أخرى لا حظنا وجود لغة بسيطة تصل إلى درجة العاميّة، توافقاً مع مُستوى الشّخصيّة، وقد استخدم الكاتب في مجموعته القصصيّة مزيجا من الأساليب الفصيحة، والعاميّة، وقد ضم العمل الأدبي"أحلام الجياد المفجوعة" مجموعة من القصص المتميزة، هي: "ليلة بذاكرة الحلم"، و"الشّفاه اليابسة تغيّر جلدتها"، و"الرحيل إلى المرافئ الباردة"، و"المنبع"، و"الضفة الأخرى"، و"البحث عن أزمنة للقيء"، و"عُسر الولادة"، و"الانهيار"، و"امتدادات غافيّة"، و"ماتت الملكة"، و"مُحاكمة عمّار"، و"المواجهة".

وقد صدرت للأديب (مصطفى نطور) أول روايّة عام: (1428هـ/ 2007م) بعنوان: "عام الحبل"ضمن منشورات الجزائر عاصمة للثقافة العربيّة؛ وقد حظيت الروايّة باهتمام واسع من لدن مختلف الباحثين والدارسين الجزائريين، يقول عنها الباحث(محمّد ياسين رحمة): "(عام الحبل)من أقوى الأعمال التي تفتخر بها الروايّة الجزائريّة؛ فقد التقى في(عام الحبل)الحكي الشّعبي بالأركيولوجيا، والإسقاط التاريخي والقراءة السّياسيّة، وزمن البدايات، وأزمنة الاشتراكيّة، وما بعدها، ويعتبر كثير من الدارسين أن(عام الحبل)هي روايّة لا شرقيّة، ولا غربيّة، بل هي جزائريّة خالصة".

وتذكر الباحثة(نسيمة علوي)أن الروائي الجزائري(مصطفى نطور) قدم عالماً حكائياً مُثيراً للدهشة يعود إلى زمن البايات؛ غير أن السّارد أحدث إسقاطاً لهذه الفترة على عالم الحكايات الشّعبيّة؛ وهذا ما شكل تداخلاً أجناسياً بين الحكايّة الشّعبيّة، والروايّة الجديدة، وذلك من حيث اشتغال الكاتب على تقنيّة تسريد القصة الشّفويّة، وتحويلها إلى متن قصصي؛ يستعمل عناصر المحكي الكلاسيكي، وقد أدى التخيل في روايّة(عام الحبل)دوراً مُهماً في إحياء الحكايّة الشّعبيّة، وإعادة بعث طرائق سردها في الروايّة الجزائريّة المُعاصرة.

ويقول الأستاذ (سليم بوفنداسة) عن روايّة (عام الحبل): " مصطفى نطور الذي عرفناه قاصاً منذ ثلاثة عقود لا يُوقع بهذه الروايّة ميلاده الروائي؛ ولكنه يضع علامة فارقة في تاريخ الروايّة الجزائريّة".

وقد قام الكاتب (سليم سُوهالي) باقتباس روايّة (عام الحبل) للأديب (مصطفى نطور)، وتحويلها إلى مسرحيّة؛ وقد قُدمت على الرُكح، ونالت إعجاب الجمهور من حيث الموضوع، وطريقة الأداء الدرامي.

ومن بين الدراسات التي أنجزت عن أعمال الأديب (مصطفى نطور): "جماليّة الكتابة القصصيّة عند مصطفى نطور"، للباحثة آمال نيني، و"الموروث الثقافي ودوره في خدمة المجتمع -مسرحيّة عام الحبل أنموذجاًلمصطفى النطور"، للباحث الطاهر بوفنش.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- مصطفى نطور: أحلام الجياد المفجوعة-قصص-، منشورات المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985م.
- نسيمة علوي: توظيف الحكايّة الشّعبيّة في روايّة(عام الحبل)لمصطفى نطور، مجلة منتدى الأستاذ؛ دوريّة أكاديميّة محكمة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة، الجزائر، العدد:11، نوفمبر2011م، ص:111.
- د. سفيان عبد اللطيف:أصول فبائل منطقة جيجل من خلال المصادر، منشورات مطبوعات جمعيّة الوفاء والتواصل لمدينة جيجل، ط:01، جيجل، الجزائر، 1440هـ/ 2019م.
- أحمد بلقاضي: القل عروس جبال الرحمن: إطلالة على المنطقة، منشورات دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2015م.

■ مـطـوس (ت: 238 ق م)

يعدّ مطوس أحد الزّعماء الأمازيغ الذين وقفوا في وجه الظّلم، وقد توفّي عامّ (238 قبل الميلاد)، فبعد أن كان قائداً عسكرياً في جيش قرطاج، وكان أحد القوّاد المأجورّين من أجل دعم حكومة قرطاج في الحرب البونيّة الأولى التي كانت بين الفترة الممتدّة من (264-241 قبل الميلاد)، وكانت ضدّ الرّومان، فبعد مشاركته في الحرب ضدّ الرّومان، تزعّم ثورة ضدّ الدّولة القرطاجيّة بعد أن عجزت عن دفع أجور الجيش الأمازيغيّ؛ حينما أنهكتها الحرب.

تذكر المصادر أنّه مع انهزام الملك اليونانيّ (بيرهوس) جنوب شبه الجزيرة الإيطاليّة على يدّ الجيوش الرّومانيّة سنة (278 قبل الميلاد)، خلا مجال البحر لقوّتين كبيرتين هما: روما، وقرطاج، وبعد أن تمكّن القائد الرّومانيّ (روجولوس) من

تحقيق إنزال في مدينة (تونس) استغلّت بعض القبائل الأمازيغيّة هذا الوضع، وثارت على قرطاج بسبب سوء تصرّف الحكّام القرطاجيّين إزاء الجنود البربر في جيوشهم، وقد كان هذا الشّعور ينسجم مع النّزعة الأمازيغيّة التّواقة إلى التّحرّر والاستقلال، والتّخلّص من النّفوذ القرطاجيّ واليونانيّ، والرّومانيّ، ويقع الإجماع على أنّ العلاقة بين القرطاجيّين والأمازيغ في البداية كانت مُسالمة للغاية، وذلك منذ استقرار الفينيقيّين واندماجهم معهم في المغرب، بيد أنّ المُعاملة السّيئة والقاسيّة التي عُومل بها الجنود الأمازيغ في بعض المواقف، وهم الذين تطوّعوا في الحرب، وكذلك التّأخر في دفع أجورهم قد أثار الغيض في نفوسهم، وجعلهم يتحفّزون للاحتجاج ضدّ القرطاجيّين، وقد سمّيت الحرب التي قادها الزّعيم (مطوس) بحرب المستأجرين، ويصف المؤرّخ (أحمد توفيق المدني) الظّروف التي سبقت هذه الحرب بأنّ الجنود رجعوا وهم يجرّون أذيال الخيبة، وطلبوا من الحكومة دفع الأجور التي قاتلوا من أجلها، ولكنّ خزينة قرطاجنة كانت خاوية، وقد التهمت الحرب جميع ما بها، ممّا جعلها تتماطل، وبعد طول انتظار أخذ الجنود الأمازيغ يهدّدون، فرأت الحكومة بوادر الخطر، فدفعت إلى كلّ جنديّ قطعة ذهبيّة، وطلبت منهم الرّحيل إلى مدينة سيكا (الكاف)؛ حيث ستتمّ محاسبتهم، وبعد انتظار طويل جاءهم القائد القرطاجنيّ (حنون)؛ الذي كان سفيراً للحكومة، وأخبرهم على لسانها بأنّها لا تستطيع أن تدفع لهم المنح الماليّة المتّفق عليها، وتطلب منهم التّخفيض؛ وهذا ما أدّى إلى تأجيج غضبهم، وزيادة غيظهم واشتداده، وقد دفعت (قرطاجنة) إلى الجنود بعض المؤن والأقوات، ووعدت بتسديد المستحقّات الماليّة، بيد أنّ الثّوار طلبوا دفع ثمن الخيول التي فقدوها في الحرب البونيّة، وقد اقترحت حكومة (قرطاجنة) انتخاب حكم يرضاه الجميع، فانتخبوا (جيسكون القرطاجنيّ)، ويصف المؤرّخ (أحمد توفيق المدني) هذه المرحلة من المشاورات بالقول: "جاء هذا الحكم (جيسكون القرطاجني) إلى المعسكر يحمل معه الأموال، وابتدأ بمحاسبة الجنود والدّفع لهم، وما كان ذلك ليروق في عينيّ روّاد الفتنة الطّامعين في النّهب والسّلب، وحتّى في الملك والزّعامة، وزعيم هؤلاء (مطوس) الإفريقيّ، و(ساندیفوس) اليونانيّ، فكانا يذكيان نيران الفتنة حتّى آل الأمر إلى التّقاتل، وحاول الحكم تهدئة الأفكار فلم يُفلح، وأخذ الجند يُشدّد في مطالبه، فطلب التّعويض لا عن الخيول فحسب؛ بل طلب ثمن الأقوات التي اشتراها، فنفذ صبر الحكم (جيسكون القرطاجني)، وصاح مغاضباً أطلبوا ثمن ذلك من مطوس، فانقضوا على الحكم المسكين وأوثقوه كتافاً، ثمّ انقسم الثّائرون إلى فرقتين: أولاهما سارت إلى مدينة أوتيكة فنصبت عليها الحصار، وذهبت الثّانيّة فحاصرت هيبوزارتيوس (بنزرت)، وقد انضمّ إلى هؤلاء الثّائرين جموع أخرى من البربر، سواء من محبّي النّهب والسّلب، أو من المغاضبين الذي أثقلت الضّرائب كاهلهم... ".

ويصف الباحث (أحمد صفر) الثّورة التي تزعّمها (مطوس) بأنّها كانت من نتائج الحرب البونيقيّة الأولى، فأضحى الكفاح للتّخلّص من الاستعمار؛ حيث يقول عن(مطوس)، والثّورة التي تزعّمها "... أصبحت حكومة قرطاج عاجزة عن دفع ديونها، والوفاء بوعودها، فأدّى ذلك إلى ثورة الجند المأجور، ولكنّ هذه الثّورة لم تقتصر على الجند؛ بل هزّت، وحركت كافة الشّغالين والفلّاحين من الليبيّين والنّوميديّين، فاندمجوا في صفوفهم نساء ورجالاً، وأصبحت قرطاج أمام قوّة عظيمة زاخرة تتركّب من المأجورين المطالبين بدفع أجورهم القديمة والجديدة، ومن أبناء البلاد الذين كانوا يئنّون ويتألّمون تحت نير الاستعمار، وكان الذي تزعّم هذه الحركة التّحريريّة البطل (مطوس) فكان يعقد الاجتماعات، ويُدبّر المكائد والمؤامرات، ويخطب في الجماهير مُشجّعاً، ومُحمّساً، وحاثاً على المقاومة بثبات وعزيمة، وكان (مطوس) يقود الثّورة مع اثنين من أعضائه اشتهروا بالإقدام والثّبات، والحزم، هما: (اسبندیوس) وكان عبداً عند الرّومانيين، ففرّ هارباً والتحق بصفوف أعدائهم، و(أوطاريت) الغالي، وكان له تأثير كبير في المجالس، لأنّه كان يُحسن التّكلم باللغة البونيقيّة التي يفهمها الكثير من النّاس، فكانوا يستصوبون آراءه، ويستحسنون كلامه، ويُقاطعونه بعواصف من التّصفيق... . وهكذا أصبحت هذه الجموع في شدّة هيجانها وغليانها وتدفّقها كالبركان النّاريّ يتّقد غضباً وحماساً، وأوفد (مطوس) رسلاً إلى المدن والقرى الإفريقيّة، والقبائل النّوميديّة يدعوهم إلى الكفاح والمشاركة في المقاومة، فلبّوا نداءه ودخلوا تحت لوائه... ".

وتُجمع مختلف المصادر التي تحدثّت عن نهاية (مطوس) على أنّها كانت نهاية مأساويّة، وذلك على يدّ القائد القرطاجني (عملكرض)؛ الذي اختير لمواجهة هذه الثّورة، فقد تمكّن بفضل عزيمته من تأليف جند منظّم، وجيش قويّ، وبعد أن اشتعلت معركة هائلة أسفرت عن دمار جيش (مطوس) بأكمله، وهلاك الجند الثّائر هلاكاً تامّاً استسلم(مطوس) بعد أن تحصّن في(تونس) وقد نكّل به جيش قرطاجنة تنكيلاً فظيعاً، ومزّقوه يوم النّصر، وهكذا انتهى (مطوس) نهاية فظيعة سنة: (238 قبل الميلاد)، وقد استمرّت ثورته ثلاثة أعوام، وتسعة أشهر.

يصف المؤرّخ والأديب والباحث الجزائريّ الدّكتور(عثمان سعدي) الثّورة التي قام بها (مطوس)، بالقول: "... كنتيجة لسوء تصرّف القرطاجيّين إزاء البربر، قامت ثورة بربريّة ضدّ قرطاج، فقد استطاع أحد الجنود المرتزقة الهروب من الجيش القرطاجي، واسمه(مطوس)، ومعه عبد آبق، واسمه (سبندیوس)، ودفع البربر نحو الثّورة، واستفحل أمر

هـذه الثّـورة لدرجـة أنّ الثّـوار سـيطروا علـى البـلاد القرطاجيّـة، فاضطـرّ القرطاجيّـون إلـى الانسـحاب نحـو المـدن والتّحصّـن بأسـوارها، لكـنّ حامـي القـارّ تمكّـن مـن إخمـاد هـذه الثّـورة، وقـد سـاعده علـى ذلك بقـاء معظـم القبائـل البربريّـة أوفيـاء للتّجانس مـع القرطاجيّيـن، وعلـى رأسـهم الزّعيـم البربـريّ (نافـاراس)".

محمّد اسلام بوفلاقة

المصادر:

- أحمد صفر: مدينة المغرب العربي في التّاريخ، منشورات دار بوسلامة للنّشر والتّوزيع، تونس، 1959م؛
- أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلاميّ، منشورات المؤسّسة الوطنيّة للكتّاب، الجزائر، 1986م؛
- د. عثمان سعدي: الجزائر في التّاريخ، منشورات دار الأمّة للطّباعة والنّشر، الجزائر، ط:01، 2011 م.

■ مفتاح بشير
(1369هـ - 1950م/1434هـ-2013م)

ولـد الشّـاعر والمربـي الفاضـل مفتـاح لخضـر المدعو بشـير بمدينة بوسـعادة سـنة 1950م، التّحـق فـي صبـاه بالكتّـاب، حيـث حفـظ كتـاب اللـه كامـلا علـى يـد شـيخه (شميسـة بلقاسـم)، كما حفظ بعض المتون منهـا (متن بـن عاشـر، الأجروميـة، جوهرة التّوحيـد)، ثمّ التّحـق بالمدرسـة الابتدائيّة، فـي مدرسـة سـيدي ثامـر حاليـا (شـالون سـابقا) أين تعـرف على اللغة الفرنسـيّة التي أحبها، لكن ذلك لم يسـلبه حبّه للغة العربيّة التـي تعلق بهـا في الكتـاب، وقرض الشّـعر بهـا فـي سـن مبكـرة، فقـد والديه وسـنه لم يتجـاوز 15 سـنة، فكفلته أختـه الكبرى التي حرصـت على توفيـر كل الظّـروف الممكنة لأخيها حتـى يواصل تعليمه، أكمل دراسـته إلـى غاية المرحلة الثّانويـة، أين التّحق (بدار المعلمين/ (École normale التي تخرج منها معلما للغة الفرنسـيّة، وفي تلك المرحلة بدأ كتابة الشّعر باللّغة الفرنسيّة.

عـاد إلـى مدينتـه بوسـعادة، أيـن درّس اللغة الفرنسـية، وبعـد حصوله على شـهادة الباكالوريا التحق بالمدرسـة العليا للأساتذة ببوزريعة، وتخرج منها أستاذا في الأدب سنة 1973م، إلى جانب الشّـعر والمسـرح، كانت له هواية الرّسـم والنّحت التي كان يلجأ إليها بين الحين والآخر، وأعماله فيهما موزعة بين أهلـه وأصدقائه، ولعل من اللافت في سـيرة الشّـاعر مفتاح بشـير أنه جمع في شـخصيّته بين حبّه للأدب وكتابة الشّعر، وبين الرّياضة التي كانت بالنّسـبة له هواية ونمط حياة، فقد كان أحـد الرّياضيّيـن المعروفّيـن محليا في رياضتي كمال الأجسـام والجيـدو، كما كان ممـارس الرّياضـة اليوغـا، ولاعبـا بارعا في كـرة اليد، وقد مارسـها لاعبا لفتـرة في فريق أولمبي المدية لكرة اليد.

عين أسـتاذا لـلأدب العربي فـي الجزائر العاصمـة لفتـرة، ثـم انتـدب ضمـن بعثـة للتّدريس في فرنسـا، حيث أمضى بها خمس سنوات أستاذا بمدينة مرسيليا.

تـزوج سـنة 1974م بإحـدى بنـات بلدته، وقد رزق منها بأربعة بنات وولدين.

قضـى سـنوات عمـره فـي سـلك التّربيّة والتّعليـم، أسـتاذا ثـم مديـرا لمتوسـطة إلى غاية حصوله على التّقاعد سنة 2002م، وبعد تقاعـده، بقـي قريبا من المحيـط الذي قضى سـنوات شـبابه وكهولته فيه، ورغم المرض والإرهـاق، إلا أنـه ظل حاضرا فـي مختلف التّظاهـرات التّربويـة والثّقافيّـة، شـاعرا ومحاضرا ومسـاهما بأوجه عديـدة في إثراء تلك الأنشطة.

انتمى إلـى العديد مـن الهيئـات الثّقافيّة، كاتحـاد الكتـاب الجزائرييـن الـذي أصبـح عضـوا فيـه منذ عـام 1981م، ثم نـال عضوية الدّيوان الوطني لحقـوق المؤلف والحقوق المجاورة، وعضوية الإتحاد الوطني للفنون الثّقافيّـة، حظـي بفرصـة تمثيل الجزائر سـنة 2002م فـي قافلـة ثقافيـة للسّـلام جابت كل من سـوريا والعراق ومصر، أمـا محليا، فقد وجـد ضالته فـي جمعية بسـكر لثقافة الطّفل ببوسعادة، والتي تقاطعت أهدافها مع ما نذر حياته لأجله، المساهمة في التّربيّة والتّكوين وتهذيب سـلوك الفـرد والمجتمـع، برع في كتابة الشّعر الوطني والتّربوي، فتغنى بأمجاد الجزائر، وكتب للطّفولة والطّبيعة، وتعددت في ذلـك لغات كتاباته، فإلـى جانب اللغتين العربيّة والفرنسيّة كما ذكرنا آنفا، كتب الشّعر الشّعبي أيضا وأجاد فيه.

وقـد تلقـف أسـاتذة الموسـيقى كلماته، فلحنوهـا وأدوهـا رفقـة التّلاميـذ فـي كل المناسـبات الدّينيّـة والوطنيّـة، سـواء داخل المؤسسـات التربويـة أو خارجهـا، كمـا اعتمـدت بعـض نصوصـه ضمـن مناهـج وزارة التربيـة، أسـهم بمبادرة منـه في تأليف العديـد مـن الأناشـيد الهادفـة، وتعـاون في تلحينهـا مـع نخبـة الفنانيـن المحلييـن مـن أمثـال الفنان مصطفـى زميرلي الذي شـكل معـه ثنائيـا فنيـا ناجحـا، والفنـان محمّـد لعـراف وغيرهـم، كمـا ألـف العديـد مـن الأوبيـرات الغنائيـة والنّصـوص المسـرحيّة والسّكاتشـات، قدم معظمها في النّشـاطات والمسـابقات المدرسـيّة التـي كانـت تقـام محليـا وولائيـا، وقـد حظيت معظـم أعماله بإشـادات مـن المسـؤولين عامّـة وأهـل التّربيّـة بصفـة خاصّـة، وألـف فـي الشّـعر العمـودي عـدة مجموعـات مـن بينهـا: (إشـارات)، (غـلال مـن أرض النّضـال)، (ظـواهر وطبـاع). وله في الشّـعر الشّـعبي مجموعتـان شـعريتان، سـجلت بعـض قصائدهمـا كأغانـي فـي الإذاعـة الوطنيّـة. وألـف باللغـة الفرنسـيّة مجموعتيـن شـعريتين نشـرتا بفرنسـا، الأولـى بعنـوان ((Sentiments versifié والثّانيّـة حملـت عنـوان (Mélodies).

كما قام بترجمة وتعريب 24 نصا شعريا أجنبيا لكبار كتاب العالم من أمثال: (لافونتين-فكتور هوجو، سولي بريدوم، والشّاعر الإنجليزي كيبلينغ. .) ضمنها مجموعة شعريّة موجهة للأطفال.

ومما قاله فيه أصدقاؤه وتلاميذه:

سعيد حبيشي (مربي ومهتم بالثّقافة):

عشت معه الطّفولة بنفس الحي، كان منذ صغره شغوفا بالشّعر وباللغة العربيّة، حافظا لكل نص باللغتين خاصة في المسرح، كان مرحا يحب اللعب والتّمثيل أثناء اللعب، كان مثقفا موسوعة، منكرا لذاته، ولمصالحه الخاصّة، ولعل من أجمل وأثمن ما تركه لنا كتابه باللغة العربيّة (رجمة قصائد لافونتان) الموجه للأطفال. رحمه الله.

ابراهيم صالحي (شاعر وأستاذ جامعي):

تتلمذت على يديه سنة 1981/ 1980م، كان من أحبّ الأساتذة إلى قلبي، طيّب القلب، يبثّ في تلاميذه حيويّة غريبة وحماسا في التّعامل مع المعلومة، وكان ذا مَلَكَة فريدة في قول الشّعر، يجري على لسانه عذبا سلسا، وقد عرفتُ أول ما عرفتُ معنى الارتجال في الشّعر لديه... أذكر مرّة أنّ فتاة غنّت بصوت عذب جميل على رأس فرقة في قاعة الشّيخ النّعيمي القديمة، وبمجرد انتهائها، أمسك الميكروفون وخاطبها مرتجلا:

صبيّة مثلها ماكان في نظري صوت أحنّ
على سمعي من الوتر
سلوا قلوبكم هل هزّها نغم أم هل تبقّى
لها بالصدر من أثر
فإنّ لحنا كذا قد هزّ سامعه تهتزّ أفئدة
أقسى من الحجر

كان من حفظة كتاب الله، يؤم النّاس في صلاة التّراويح، كما كان رياضيا ماهرا يحمل الحزام الأسود في رياضة الجيدو، وقد عرفت لاحقا أنه يجيد كتابة الشّعر بالفرنسيّة، فكتب بذلك قصائد لحّنها الملحّنون وغنّاها من غنّاها.

محمّد بن حوحو (إطار متقاعد وناشط ثقافي):

كان مربيا متميزا ومثقفا ناشطا وشاعرا ملتزما، من طينة المُلهَمين، حارب الجهل ببسالة وزرع البسمة عند الصّغار والكبار، كما صارع المرض بصمت وثبات، هو أول من ترجم (حكايات لافونتان) الفرنسي إلى اللغة العربيّة، فقدنا فيه قامة معطاء في الاجتهاد التعليمي والتثقيفي، خاصة في مجال ثقافة الطّفل.

نور الدين العبادي (رئيس جمعية بسكر لثقافة الطّفل):

عرفته منذ 1972، كان أستاذا متميزا مزدوج اللغة، يتمتع بكفاءة تربوية عالية، ملتزما ومثابرا يجهد نفسه في إيصال المعرفة لتلاميذه، متطوعا في كل النّشاطات الثّقافيّة والتّرفيهيّة داخل وخارج المؤسّسة، وبعد تقاعده أصبح مؤطرا لجمعية عيسى بسكر أين نشط ورشة المسرح. وقد قدم عدة أعمال مسرحية للأطفال. كان عطوفا سخيا على أسرته يحب الخير للآخر، برحيله فقدت المدينة أحد أعمدتها، ورائدا من رواد الشّعر فيها.

توفي بتاريخ 22 فيفري 2013م بعد معاناة ومقاومة طويلة لمرض السّرطان الذي لم يهزمه ولم يوقفه عن نشاطه إلا أياما قليلة قبل وفاته.

عبد الكريم قذيفة

المصادر:

- سيرة الشّاعر، تضمنها ديوانه (نبض الصّور)؛
- شهادات عائلته وزملائه؛
- لقاء خاصّ أجريته معه في بيته سنة 2006م.

■ مفدي زكريا
(1326هـ - 1908م/1397هـ - 1977م)

زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشّيخ سليمان، آل الشّيخ، الشّهير (مفدي زكرياء) شاعر الثّورة الجزائريّة. ومن ألمع أقطاب الأدب الجزائري والعربي في العصر الحديث، ولد في بني يزگن بميزاب، ابتدأ مشواره العلمي بأخذ المبادئ الأولى في مسقط رأسه، ولمّا بلغ السّابعة (7) من عمره، واصل دراسته بمدينة عنّابة، حيث أتمَّ حفظ القرآن الكريم.

وفي سنة 1343هـ/ 1924م انتقل إلى تونس ضمن بعثة علميّة طلاّبيّة ميزابيّة، وتعلّم في مدرسة السّلام القرآنيّة، والمدرسة الخلدونيّة، وجامع الزيتونة؛ حيث تفتّقت



مواهبه الأدبيّة والسّياسيّة، لاحتكاكه بأعلام ورواد الحركة الوطنيّة آنذاك، مثل: الشّيخ أبي اليقظان إبراهيم، وأبي إسحاق إبراهيم اطفيش، وعمّه الشّيخ صالح ابن يحيى، وزعيم الحزب الدستوري التونسي عبد العزيز الثعالبي وغيرهم...

وفي عام 1345هـ/ 1926م رجع إلى الجزائر، وشارك بدور فعّال في الحركة الوطنيّة، إذ عمل في حزب نجم شمال أفريقيا، الذي نظم له نشيده الرسمي عام 1355هـ/ 1936م، ثمَّ في حزب الشّعب فكان من أبرز رجاله، تولّى رئاسة تحرير جريدة الشّعب لسان حال الحزب.

ورغم ممارسته للتجارة بالعاصمة في بدايّة الثورة، لم يتوان عن المشاركة في الثورة منذ انطلاقها، مادّيا ومعنويا، سواء في الداخل أم الخارج.

وقد ذاق بسبب عمله الثوري مرارة ويلات المستعمر شأنه شأن رفقائه وسجن بين سنة 1354-1356هـ / 1935-1937م، وبين سنة 1376-1379هـ / 1956-1959م، وفرَّ منه إلى المغرب ثمَّ إلى تونس. ثمَّ رجع إلى الجزائر بعد الإستقلال؛ ولكن لم يستقر به المقام في بلده، فاختار المغرب وتونس مسرحا لنشاطاته.

ترك تراثا أدبيا ضخما منه ما لم ير النور بعدُ، نذكر من إنتاجه ما يلي:

- "النشيد الوطني الجزائري"، وهو لا يزال النّشيد الرسمي. مطلعه:

قسما بالنازلات الماحقات
والدماء الزّاكيات الدافقات
والبنود اللامعات الخافقات
في الجبال الشّامخات الشّاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات
وعقدنا العزم أن تحي الجزائر
فاشهدوا فاشهدوا فاشهدوا

- "إلياذة الجزائر" (مط)، في ألف بيت وبيت،

ضاهى بها إلياذة هوميروس، فيها برع في عرض تاريخ الجزائر بأسلوب أدبي رفيع، نظمها بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال الجزائر، وألقاها في مؤتمر الفكر الإسلامي بالجزائر، مطلعها:

جزائر يا مطلع المعجزات
ويا حجَّة الله في الكائنات

- ديوان "اللهب المقدَّس"، (مط) عدَّة مرَّات؛ حول النضال في الجزائر.

- ديوان "تحت ظلال الزيتون"، (مط)، وهو حول النضال التونسي.

- ديوان "من وحي الأطلس"، (مط)، وهو حول النضال فب المغرب الأقصى.

بالإضافة إلى أعمال كثيرة أغلبها لم ينشر بعد، منه ما يلي:

- "الخافق المعذَّب".
- "الانطلاقة".
- "الأدب العربي بالجزائر عبر التاريخ".
- "الثورة الكبرى"، (أوبيرات).
- "حوار المغرب العربي الكبير في معركة التحرير".
- "تاريخ الأدب العربي عبر القرون".
- "أضواء على وادي ميزاب"، نحو مجتمع أفضل.
- "تاريخ الصحافة العربيّة الجزائريّة".
- "الفلكلور الجزائري".
- "ديوان محاولة الطفولة".
- "قاموس المغرب العربي الكبير"، في اللهجات العربيّة.
- "العادات والتقاليد في المغرب العربي الموحَّد".
- "الزحف المقدَّس".
- "إلياذة المغرب العربي".
- "عقيدة التوحيد: في الوحدة المغربيّة".

ونشر مؤخراً الدكتور مصطفى حمودة دراستين قيّمتين عنه هما:

ديوان "أمجادنا تتكلم، وقصائد أخرى"؛ جمعها من أرشيف مفدي المخطوط، وكراريسه في صباه، ومجلة خطيّة كان مفدي قد نسخها في صباه أيضاً، ومن الدوريات الجزائريّة والتونسيّة والمغربيّة والمشرقيّة، وأشرطة سمعيّة من أرشيف الإذاعة التونسيّة، ويضمّ الديوان 77 قصيدة ومقطوعة.

"مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي إلى قيام الحرب العالميّة الثانيّة"، أطروحة دكتوراه، طبعها في مجلدين (من 1050صفحة)، تعد أعمق دراسة جمعت الآثار الفكريّة والأدبيّة لمفدي زكرياء، قسمها إلى خمسة أبواب (النشأة والتكوين، وفترة النضال الوطني والسّياسي، وفترة السّجن 1937 1939، والبدايات 1921 1931، والتأكيد والتألق 1932 1939).

دون أن ننسى المقالات والمحاضرات التي لم تجمع بعد، والتي كان ينشرها ويلقيها في أسفاره الكثيرة، وفي الملتقيات التي كان يحضرها.

وقد تميَّز شعره ونثره بالقوَّة والصيّاغة المحكمة، هادفا إلى تحريك النفوس، للثورة ضدَّ الإستعمار، وإلى الوحدة الإسلاميّة والعربيّة والمغربيّة والوطنيّة.

شارك في جلِّ ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، كما تولَّى إدارة معهد الحسن الدّاخل بالمغرب الأقصى عام 1389هـ/ 1969م؛ فنال من عاهل المغرب وسام الكفاءة الفكريّة من الدرجة الأولى، فضلاً عن أوسمة أخرى لزعماء آخرين.

توفِّي بتونس في شهر رَمَضَان المعظَّم سنة 1397هـ/ 1977م، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ببني يزگن بميزاب الجزائر.

وقد أجريت حوله عدَّة دراسات وبحوث أكاديميّة، خاصَّة منها ما أنجزه كلٌّ من: الدكتور محمّد ناصر، والدكتور الشّيخ صالح يحيى، والأستاذ حوَّاس برّي...

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- مفدي زكرياء: ديوان اللهب المقدَّس، وديوان من وحي الأطلس.
- ناصر محمّد: مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، وانظر مصادره.

الشّيخ صالح يحيى: شعر الثورة عند مفدي زكرياء.

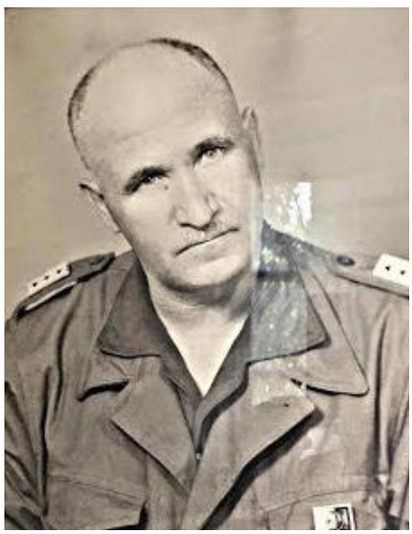
مقران أكلي (العقيد أولحاج)
(1329هـ - 1911م/1392هـ - 1972م)

مقران أكلي، مجاهد في جيش التّحرير الوطني إبان ثورة أوّل نوفمبر 1954 وقائد بالولايّة الثّالثّة.

ولد مترجمنا بقريّة بوزقان بأكفادو، ولايّة تيزي وزو، منطقة القبائل الكبرى، في 07 مارس سنة 1911، وهو الابن الوحيد لأبيه سعيد وأمه فاطمة حباس، درس في المدرسة القرآنيّة وفي ابتدائيّة آث يخلف قرب مسقط رأسه، ثم انتقل إلى عين الحمام (ميشلي) أين تحصل على شهادة الدّراسة (certificat d'étud) وذلك سنة 1926، بعد أن حصل على الشّهادة الابتدائيّة، اضطر إلى العمل لمساعدة والدّه في ورشة للحدادة، فقد كانت عائلته تعيش ظروفا ماديّة صعبة، وبعد سنوات توفي أبوه وذلك في سنة 1932، مما اضطر الشّاب أكلي إلى الهجرة إلى فرنسا من أجل العمل في المصانع الفرنسيّة ليعيل أسرته ويأمن لها عيشا محترما، لكنه لم يستطع التأقلم مع الأجواء هناك بسبب حبه الشّديد لعائلته ولأرض أجداده فعاد إلى الوطن سنة 1936.

عاد إلى أرض الوطن سنة 1936، وقرر أكلي رفقة ابني عمه أمزيان وحميش الذهاب إلى سطيف من أجل العمل، وهناك بدأ حياته النّضاليّة في سطيف، حيث انضم إلى حركة فرحات عباس سنة 1943، ومن الأحداث التي أثّرت فيه تأثيرا كبيرا وزادت من قناعته النّضاليّة أحداث الثّامن من ماي 1945، وعندما حل بالعاصمة للعمل كمراقب للأشغال بمصنع (صوشينا/ sochina) بجسر قسنطينة ازداد نشاطه السّياسي، فانضوى تحت رايّة حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة وشهد انتصار هذا الحزب في انتخابات عام 1947، ثم عين مسؤولا عن منطقة أكفادو.

كان الفرنسيون قد ألقوا القبض على ابني عمه أمزيان وحميش عقب أحداث 8 ماي 1945، مما أجبر أكلي على العودة إلى بوزگن سنة 1947 للتكفل بإجراءات الدّفاع عنهما، وبالفعل أطلق سراحهما سنة 1948.



وبعد استقراره في بلدته امتهن التجارة في مواد البناء بـ (اغيل بوماس) بوزگن حاليا، وكان مؤثرا في بلدته، يقف إلى جانب أبناء قومه، يساعدهم في تحسين معيشتهم والتخفيف من آلامهم جراء التسلط والقمع الفرنسي، فأصبح أكلي شخصيّة مشهورة في المنطقة بسبب حكمته، وتقواه، وذكائه ووطنيته، فانتخب أمغار (شيخ) ثاجماعت منطقة أكفادو (رئيسا للجنة دوار أكفادو)، وأصبح منذ ذلك التاريخ يكنى بلقب: أمغار (الشّيخ، الحكيم)، وعمد إلى الاتصال بالمحضرين لثورة التّحرير الجزائريّة في تلك الفترة.

وبعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، دعاه كريم بلقاسم وكلفه بنشر أفكار الثّورة، ثم طلب منه في أفريل 1955 انشاء فرع لجبهة التّحرير الوطني بمنطقة أكفادو، فتجند رفقة زوجته وأبنائه الثّلاثة في جيش التّحرير الوطني، وتصدق بكل ثروته الشّخصيّة للثورة التّحريريّة، وقد كانت تقدر آنذاك ب 7 ملايين فرنك فرنسي، وقد دفعت هذه الأمور إلى حنق الاستعمار عليه مما دفعهم إلى تعذيب أسرته وحرق وتدمير منزليه العائليين.

تولى العديد من المسؤوليات؛ ففي عام 1955 كلف بتنظيم لجان جبهة التّحرير بناحيّة (بني إيجار)، ثم عين قائدا لـ(منطقة عزازقة) النّاحيّة الرابعة في شهر سبتمبر 1956، ثم عضوا في قيادة الولايّة مكلف بالجانب السّياسي نهايّة عام 1957 برتبة (نقيب)، وفي أفريل 1958 رقي إلى رتبة (رائد محافظ سياسي للولايّة الثّالثّة)، وأثناء الاجتماع المنعقد في مارس 1959 بحضور إطارات الولايّة الثّالثّة التاريخيّة بإشراف العقيد عميروش آيت حمودة، عين برتبة (عقيد) قائدا بالنّيابة للولايّة التاريخيّة، بدل العقيد عميروش الذي كان يزمع الالتحاق بتونس، وقد كان يمثل اليد اليمنى للعقيد، غير أن العقيد عميروش استشهد مع العقيد سي الحواس في جبل (ثامر) بنواحي بوسعادة يوم 29 مارس 1959، وقد عينته الحكومة المؤقتة رسميا في هذا المنصب عام 1960بعد استشهاد عبد الرحمان ميرة يوم 6 نوفمبر 1959 الذي كان قد عينه العقيد عميروش قائدا للولايّة الثّالثّة برسالة أرسلها.

وقد كان لاستشهاد العقيد عميروش أثر كبير في نفوس المجاهدين وأبناء الشّعب غير أن العقيد سي محند والحاج وبحكمته المعروفة بادر إلى توزيع مناشير عبر منطقة القبائل تدعو إلى الهدوء قائلا: "مات العقيد عميروش لكننا نحن جميعا عميروش"، وهذا ما هدأ النّفوس وغليانها وأعاد الأمور إلى نصابها والأوضاع إلى سكينتها، وقد واجه بحزم وشجاعة مخططات العدو الفرنسي العسكريّة، وشهد بمهارته وقدراته جنرالاته الجيش الفرنسي الذين سموه "الثّعلب الشّبح". وقد دبروا له عدة محاولات اغتيال لكنهم لم يفلحوا في ذلك، من ذلك أنهم قاموا بمساعدة بعض الخونة بتفجير مذياع ملغم استشهد إثره ثلاثة جنود وجرح أولحاج جروحا بليغة، وبعد الاستفتاء على استقلال الجزائر، تنقل في ذلك اليوم قادة وأبطال الولايتين الثّالثّة والرابعة التاريخيتين إلى سيدي فرج غرب العاصمة، المكان الذي دخل منه الفرنسيون لاستعمار بلدنا سنة 1830، أين قرروا رفع العلم الوطني، وقد أجمع القادة أن يعطوا شرف رفع العلم للبطل سي محند أولحاج،

وقف عشيّة الاستقلال إلى جانب الحكومة الشّرعيّة وكان في صف كريم بلقاسم، كما قاد رفقة حسين آيت أحمد تمرداً برفقة خمسة آلاف مجاهد، ضد حكم أحمد بن بلة، ثم ما لبث أن انتهى التمرد بسبب نشوب أزمة بين الجزائر والمغرب فيما يسمى بحرب الرمال، واستجاب لنداء ابن بلة الدّاعي إلى مواجهة العدوان المغربي على الحدود، تقلد سي محند أولحاج عدة مناصب بعد الاستقلال منها: كان قائدا للناحيّة العسكريّة السّابعة من عام 1962 إلى 1963. كان مسؤول التنظيم في أمانة جبهة التّحرير الوطني الجزائريّة من 1964 إلى 1965. من 1966 إلى 1972 كان عضوا بمجلس الثّورة برئاسة هواري بومدين الذي كان يستشيره نظرا لحكمته وخبرته وقدرته على مواجهة المشاكل التي كانت تحيط بالوطن

توفي سي محند أولحاج في 2 ديسمبر 1972 بفرنسا عن عمر يناهز 61 عاما. ونزولا عند رغبته دفن في وسط أهله بمسقط رأسه ببوزگن ولايّة تيزي وزو، في زاويّة أجداده، زاويّة سيدي عمر ولحاج.

وتخليدا لاسمه سُميت جامعة البويرة باسمه تكريماً له.

رابح دوب

المصادر:

– عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

مليكة گايد
(1351هـ - 1933م/1376هـ - 1957م)

الشّهيدة البطلة (مليكة قايد)؛ وُلدت سنة: (1352هـ/ 1933م)، في حي (بلكور) بالجزائر العاصمة؛ تنتمي إلى أسرة ثوريّة ترجع أصولها إلى قريّة (تيمنقاش) بمنطقة (قنزات) التابعة إلى ولايّة (سطيف)، انتقلت مع أسرتها إلى مدينة (سطيف)، وزاولت دراستها بها سنة: (1358هـ/ 1939م)، وتذكر بعض المصادر بأنها قد درست في مدينة (برج بوعريريج)، سنة: (1361هـ/ 1942م)، وقد حصلت على الشّهادة الابتدائيّة عام: (1358هـ/ 1947م)، وقد لعبت المجازر الفظيعة التي ارتكبت يوم: (26جمادى الأولى1364هـ) ؛ المُوافق لـ (8ماي1945م)، دوراً كبيراً في بث الوعي، وتنميّة الروح الوطنيّة لدى (مليكة قايد)، وتذكر المُجاهدة (لصفر خيار خديجة) أنها زاولت جميع مرحل تعليمها (الابتدائي والمتوسط والثّانوي) في مدينة (سطيف)، ثم التحقت بمدرسة المُمرضات بسطيف؛ وتخرجت منها بشهادة في مهنة التمريض، وتحدد بعض المصادر التاريخيّة تاريخ حصولها، على دبلوم في التمريض بسنة: (1372هـ/ 1953م)، وبعد نيّلها لهذه الشّهادة؛ انضمت إلى العمل في مستشفى مدينة (خراطة)، وعملت به ثلاث سنوات، ومع اندلاع الثّورة الجزائريّة المظفرة عام: (1373هـ/ 1954م)، كثفت جهودها وانضمت



إلى ثورة التحرير المظفرة للعمل في المجال الإنساني، والطبي، وتشير بعض المصادر أن الشّهيد البطل العقيد (عميروش) قد اتصل بها للالتحاق بثورة التحرير الجزائريّة فلبت النداء، وهبت الشّهيدة البطلة (مليكة قايد) للمشاركة بحماس كبير، وقد انطلقت في جهادها ونشاطها -كما تذكر المُجاهدة (لصفر خيار خديجة) داخل مستشفى (خراطة) ؛ وكانت تنهض بمهمة تقديم الأدويّة اللازمة للمُجاهدين في الجبال، وتقوم بمُعالجة الجرحى، وكانت تصعد إلى الجبل من مرحلة إلى أخرى لتتولى بنفسها رصد وتقييم الأوضاع الصحيّة لجنود جيش التحرير الجزائري، وكانت تزور المُستشفيات، وتنهض بإجراء العمليات الجراحيّة المُستعجلة للجنود المصابين برصاص العدو، وتداوي الجرحى، وتواسي المعطوبين، ويذكر مجموعة من المجاهدين والمجاهدات أن البطلة الشّهيدة (مليكة قايد) كان لها مجهودات ضخمة في انفجارات الجزائر العاصمة، التي وقعت عام: (1376هـ/ 1956م)، كما ذاع صيتها أثناء التفجيرات التي وقعت في (5ديسمبر) بحي القصبة في الجزائر العاصمة؛ وقد نشطت بشكل بارز في زراعة القنابل، ونقل الأخبار، وتنظيم مجموعة من الخطط، ولم يقل نشاطها في تسيير الخطط عن جهودها في مجال الأعمال الإنسانيّة، وقد عرف الاستعمار الفرنسي مدى قدراتها الهائلة، وأدرك أعمالها المتميزة الداعمة لثورة التحرير المظفرة، فأضحت مطلوبة بدرجة قصوى لدى السّلطات الاستعماريّة، ففي سنة:

(1376هـ/ 1957م)، وُضعت على رأس قائمة المجاهدات المطلوبات لدى القوات الفرنسيّة الاستعماريّة، وتنبه المُجاهدة (لصفر خيار خديجة) إلى أن مُراقبة الاستعمار الفرنسي الدائم لأنشطتها وجُهودها في النضال الثّوري، وتجسسه المستمر على أخبارها وأعمالها؛ دفعها إلى صعود الجبل، والالتحاق بالمجاهدين في الولايّة الثّالثة، وعدم العودة إلى المدينة،

ولاسيما بعد أن أرسلت لها الشّرطة الفرنسيّة رسالة استدعاء عاجلة، ردت عليها برسالة سخريّة مُطولة أرسلتها إلى مقر الشّرطة الفرنسيّة، ومن بين ما جاء فيها قولها: "نعم أنا هنا حاضرة، ومستعدة للاستجابة لدعوتكم بكل فرح وسرور؛ ولكن بشرط أن تُرسلوا لي طائرة (هيلوكبتر) إلى المُستشفى؛ لتتقلني جواً إليكم، كما أنني أنصحكم بعدم تضييع الوقت، وإلى اللقاء وبوساطة الطائرة طبعاً... ".

وقد حضرت مؤتمر الصومام، يوم: (14محرم1376هـ) المُوافق لـ (20أغسطس-أوت1956م)، وكان اسمها الثّوري (نوارة)، وقد حاولت السّلطات الاستعماريّة القبض عليها؛ بعد أن وصلتها معلومات بأنها تناضل مع المجاهدين في ناحيّة (ايواقوران)، وقد استشهدت يوم: (1 من ذي الحجة1376هـ) ؛ المُوافق لـ (28جوان1957م) في معركة دارت بجبل (ايواقوران) في الولايّة الثّالثّة، كما تذكر المُجاهدة (لصفر خيار خديجة) ؛ التي شاركت في هذه المعركة، ووثقت استشهاد المناضلة الفذة (مليكة قايد) ؛ التي كانت رفيقتها، وتحمل السّلاح بجانبها في هذه المعركة، وقد كانت المعركة تحت قيادة الشّهيد البطل (عميروش)، و(ايواقوران) نسبة إلى قريّة جبليّة تقع في منطقة (امشدالة) بولايّة (البويرة) .

تصف المجاهدة (لصفر خيار خديجة) معركة (ايواقوران) التي وقعت يوم: (01 من ذي الحجة1376هـ) ؛ المُوافق لـ (28جوان1957م)، واستشهدت فيها البطلة (مليكة قايد)، وأدت إلى اعتقال المجاهدة البطلة (لصفر خيار خديجة)، بالقول:"استشهدت في هذه المعركة الخالدة الأخت: مليكة قايد (نوارة) رحمها الله، وسي شريف أنتازملت، وسي مولود أواقور (عمروش) رحمهما الله، وعدد كبير من المسبلين والفدائيين رحمهم الله؛ الذين ضحوا بأنفسهم، وأرواحهم في سبيل الوطن، والحريّة، والاستقلال، واحتفظت بنا القوات الاستعماريّة الغادرة، بعد الجهود المبذولة، وبعد توديع أختنا (مليكة قايد)، وإخواننا الشّهداء الأبطال، وبعد المُشادات العنيفة بيننا، وبين القوات الطاغيّة المتجبرة... احتفظت بنا القوات الاستعماريّة الغادرة لتنتقم منا بالعصا، وبالأسلاك الكهربائيّة، وبالنار الحارقة، وباللكمات العنيفة، وبالأقوال الفاحشة، وبالكلاب الجائعة، وبالتنديد والتهديد والوعيد، بأشياء كثيرة لا أقوى على ذكرها، أو نشرها... وأخيراً بالسّجون المظلمة الرهيبة، والمُعاملة الوحشيّة الدنيئة... ".

إن الشّهيدة البطلة (مليكة قايد) تُمثل نموذجاً مُشرقاً للمرأة الجزائريّة المُناضلة، والمكافحة، والمجاهدة في صفوف جيش التحرير الوطني، بالسّلاح، وبالعمل الإنساني، تعدّ رمزاً من رموز الثّورة الجزائريّة المظفرة، وهي واحدة من البطلات الخالدات، شبت منذ صغرها على حب وطنها الجزائر، وعلى أصالتها العربيّة الإسلاميّة، فانخرطت هي وعائلتها في صفوف المجاهدين.

تلقت (مليكة قايد) في مختلف محطات حياتها ضربات موجعة ومؤلمة جداً، وفي كل مرة كانت تنهض أكثر قوة، وتكتسب مناعة جديدة لمقاومة الاستدمار الفرنسي، وهي عبرة لفتيات الأمة الجزائريّة والعربيّة في وطنيتها، وجهادها، وصمودها أمام الشّدائد، والمحن، وأنواع التعذيب، لأنها اختارت طريق الكرامة، والعزة، والشّرف، كنموذج للمرأة العربيّة المسلمة في سبيل الله، والوطن.

والجدير بالذكر أن المرأة الجزائريّة لعبت دوراً متميزاً جداً أثناء ثورة التحرير، وهناك عدة مراجع أشارت إلى بطولات، ونضال المرأة الجزائريّة أثناء ثورة التحرير المظفرة، وتطرقت إلى كفاحها، وتضحياتها ضد الاستدمار الفرنسي، ومن أوائل هذه الكتب كتاب الباحثة المجاهدة (أنيسة بركات درّار)، الموسوم:"نضال المرأة الجزائريّة خلال الثّورة التحريريّة"، والذي أكدت فيه على الدور الرائد الذي أدته المرأة الجزائريّة في سبيل تحرير وطنها، وأبرزت مواقفها الاستبساليّة، وألفته "تقديراً لجهاد المرأة الجزائريّة بكل تفان وتجرد وإخلاص واعترافاً ببطولاتها وتحديها لقوات العدو ولكل أنواع وسائل التعذيب والاضطهاد"، وذهبت من خلاله إلى أن مشاركة المرأة الجزائريّة في ميدان الكفاح المسلح جنباً إلى جنب مع الرجل قد أحدث انقلاباً جذرياً في المفاهيم والأفكار، فجيش التحرير الوطني استقبل"المرأة المجاهدة بفخر واعتزاز ونظر المجاهد إليها نظرة الأخ لأخته وعاملها باحترام وتقدير، لأن هذه المجاهدة أتت مثله لتحمل مشعل الثّورة، والمجد، وكل واحد منهما وهب نفسه في سبيل تحرير الوطن من براثن الاستعمار وتحقيق نفس الأهداف السّاميّة. نلاحظ أن كلمة امرأة أو فتاة لم تبق مستعملة إذ حلّت محلها كلمات أخ وأخت ومجاهدة ومناضلة، وكلها تتضمن معاني الإخاء، والصداقة الثّوريّة المخلصة، وتعتبر المجاهدة بنت الجبهة والجيش وبنت الجزائر الثّائرة، ذلك عنوان تضحيتها وبروز شخصيتها... ". وفي ذلك يقول ميثاق مؤتمر الصومام، الذي شاركت فيه الشّهيدة البطلة (مليكة قايد): " توجد في الحركة النسائيّة إمكانيات واسعة تزداد وتكثر وإنا لنحيي بإعجاب وتقدير ذلك المثل الباهر الذي ضربته في الشّجاعة الثّوريّة الفتيات والنساء والزوجات والأمهات، ذلك المثل الذي تضربه جميع أخواتنا المجاهدات اللائي يُشاركن بنشاط كبير وبالسّلاح أحياناً في الكفاح المقدس من أجل تحرير الوطن، ولا يخفى أن الجزائريات قد ساهمن مُساهمة إيجابيّة فعالة في الثّورات الكثيرة التي توالت وتجددت في بلاد الجزائر منذ سنة: 1830 م، ضد الاحتلال الفرنسي ... ".

إن المرأة الجزائريّة على اختلاف مستوياتها وطبقاتها الاجتماعيّة سواء كانت في المدينة أو في الريف "تمكنت

من التغلب على العراقيل والعقبات والضغوط الاجتماعيّة القاسيّة التي تجابهها وساهمت مساهمة فعالة وإيجابيّة في الكفاح. ولما كان للمرأة من مواقف شريفة ومن بذل سخي من مال وحلي ولباس وأغلى من كل ذلك. من ولد أو زوج، فكانت الثّورة دائماً في صالح المرأة وتقديراً لمواقفها النبيلة فتحت مجالاً فسيحاً للفتيات والزوجات والأمهات واستقبلتهن بالترحيب والتبجيل في ساحات الوغى وألقت عليهن أعباء مختلفة ومسؤوليات مقدسة".

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- لصفر خيار خديجة:النداء الخالد: مذكرات مُجاهدة (أحداث معركة ايواقورن واستشهاد مليكة قايد)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2012م.
- الشّهيدة مليكة قايد، سلسلة من أمجاد الجزائر (1830–1962م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2009م.
- أنيسة بركات درّار: نضال المرأة الجزائريّة خلال الثّورة التحريريّة، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985م.

د. محمّد قنطاري:من بطولات المرأة الجزائريّة في الثّورة وجرائم الاستعمار الفرنسي، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2009م.

منصور بن علي بن عبد الله الزواوي (أبو علي)
(710 هـ – 770هـ/1311م - 1368م)

أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي البجائي التلمساني، نسبة إلى إحدى قرى زواوة بناحية بجاية التي ولد بها حوالي سنة 710هـ. ويذكر مترجموه أنّه توفّي بعد عودته من أداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة في سنة 770هـ بقليل في مدينة تلمسان ودفن بها–رحمه الله رحمة واسعة.

أخذ عن والده وأوّل أساتذته علي بن عبد الله، فحفظ على يديه القرآن الكريم، وعلّمه ما كان ملمًّا به من العلوم الدّينيّة والآداب العربية.

رحل إلى الأندلس سنة 753هـ واستُقبل بها استقبالًا حسنًا، واستقر بغرناطة مدرِّسًا في مدرستها، وألقى بها دروسا في الفقه والتفسير، ليخرج منها بعد المحنة التي ألمّت به بعد الفتوى في الرجل الذي سبّ الرسول ﷺ بما لم يُعجب بعض منتقديه ليضطر للخروج من الأندلس سنة 756هـ/ 1365م، ليرحل إلى تلمسان، فنزل بها ودرس هناك مختلف العلوم العقلية والنقلية.

أشهر الشيوخ الذين أخذ عنهم:

- أبو علي ناصر الدين بن أحمد المشدالي (731ه)،
- أبو عبد الله محمد بن يحي الباهلي (743هـ)،
- أبو علي بن الحسين البجائي (754هـ)،
- محمد بن يعقوب بن يوسف –أبو عبد الله المنجلاتي الزواوي البجائي (730هـ)،
- أبو العباس أحمد بن عمران الساوي اليانيوي،
- أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي (747هـ)،
- أبو عبد الله بن الفخار البيري (754 هـ).

تخرج على يده فحول العلماء، وممن أخذ عنه:

- محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي (ت 853هـ)،
- الامام أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ)،
- أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي (862هـ)،
- لسان الدين الخطيب (776هـ)،
- يحي بن خلدون (780هـ)،

إن أهم حدث صادمه في حياته أثناء تأديته لرسالة التعليم ونشر المعرفة بالجامعة النصرية بغرناطة في عهد ملوك بني الأحمر، هو تكالب مجموعة من الحساد عليه، وهم من الطامعين في المناصب لأغراض دنيوية، حيث أنّه أفتى في رجل سبّ الرسول ﷺ بفتوى لم تعجب هؤلاء المتربصين المغرضين، فألبوا عليه السلطان والعامة، فلم يغير من فتواه واستمسك برأيه ولم يتنازل قيد أنملة عمّا رآه الحقّ، فتقرر نفيه بعد قضائه لاثني عشرة سنة في التدريس والفتيا معززا مكرمًا، ظلّ يؤدّي فيها رسالته العلمية وينشر الدعوة، ويقوم بالوعظ والإرشاد، وكان ذلك سنة 765هـ، فعاد إلى موطنه الجزائر ليختار الإقامة في تلمسان، مواصلا مسيرة التعليم ونشر المعرفة حتى وفاته رحمه الله.

وقد ذكر هذه المحنة بالتفصيل صديقه ابن الخطيب في الإحاطة، مع العلم أن هذا الأخير ذكر أنّه ظلم في هذه المحنة، وقد شهد أنّه على الحق، كما اعترف بأنّه استفاد منه ومن علمه كثيرا، وأنّه طلب منه أن يجيزه بما لديه من مرويات وكتب، فكتب له منصور الزواوي إجازة جاء في آخرها: "... في رابطة العقاب في [كذا]، أجزت صاحبنا الفقيه المعظم، أبا عبد الله بن الخطيب وأولاده الثلاثة عبد الله، ومحمدًا، وعليًّا، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي وعنّي روايته، وكُتب الشيخ الأستاذ أبو علي منصور بن علي الزواوي".

مما لا شك فيه أنّ للإمام أبي علي منصور الزواوي مكانة خاصة بين علماء عصره، حيث يقول عنه ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة: "هذا الرّجل طرف في الخير

والسلامة، وحسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع، مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مشتغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصف في المذاكرة، موجب لحق الخصم، حريص على الإفادة والاستفادة، مثار على تعلم العلم وتعليمه غير أنف عن حمله عمن دونهن جملة من جمل السّذاجة والرّجولة وحسن المعاملة، صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاع تقييد، ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة والسداد. قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقي رحبا، وعرف قدره. تقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة، وحلق للناس متكلما على الفروع الفقهية والتفسير. وتصدر للفتيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جربت وصحبته، فبلوت منه دينا ونصفه، وحسن عشرة".

ويقول عنه ابن مريم في كتابه البستان: "شيخنا الشيخ الفقيه الأستاذ الجليل المقرئ المدرس الأصولي النحوي، أبو علي منصور، كان شيخا فاضلا فقيها نظارًا معدودًا في أهل الشورى، له مشاركة في كثير من العلوم العقلية والنّقلية واطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام، حريصًا على الإفادة والاستفادة مثابرًا على تعلم العلم وتعليمه. "

مع الأسف الشديد؛ لم تذكر كتب التراجم مؤلفات له، واكتفت فقط بأن له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق والكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات، كما أن بعض كتب التراجم قد احتفظت لنا بنماذج من نثره وشعره، وهي تبين عن مدى تمكنه في علوم اللغة وبيانها، وبلاغته وفصاحته، ومنها البيان الذي نقله لنا لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة.

خيرة سياب
توفيق معمري

المصادر:

- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم محمد بن محمد.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب.
- الإفادات والإشادات، الشاطبي أبو إسحاق.
- بغية الروّاد في ذكر ملوك من أبي عبد الواد، ابن خلدون أبو زكريا يحي.

■ منصور عبروس
(1375هـ-1956م / 1441هـ-2019م)

منصور عبروس المولود سنة هجريّة 1375هـ، الموافق لسنة 1956م ميلاديّة بقريّة من قرى ولايّة تيزي وزو الواقعة شرق الجزائر العاصمة، حيث تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه، ثم أقبل على تلقي المعارف ليتحصل على شهادات كثيرة أهلته فيما بعد أن يعتلي مناصب عاليّة في الجزائر وخارج الوطن، وبالتّحديد في فرنسا، ويعدّ منصور عبروس من الأكاديميين الجزائريين الذين سخّروا أقلامهم للاعتناء بالموروث الثّقافي الجزائري وأعلامه المغمورين، وقد كان له تواصل كبير بمجموعة من المثقفين الذين عاصرهم الكاتب منصور عبروس واستفاد منهم في ذات المجال، وبعد حصوله على المؤهلات العلميّة اشتغل أستاذا بالمدرسة العليا للفنون الجميلة بالجزائر العاصمة، وبعدها أتمّ دراساته العليا بفرنسا ليتحصل على شهادات عليا في كل من جامعات باريس نانتير وباريس سوربون بفرنسا، ليشغل بعد ذلك منصب مكلف بمهمة



الثّقافة والاتصال على مستوى مدينة باريس صدر للكاتب منصور عبروس عدة مؤلفات في الفنون البصريّة نذكر من بينها:

الفنانون الجزائريون، معجم بيوغرافيا، 1917-1999 صدر سنة 2002 عن دار النّشر القصبة بالجزائر)؛

ثم يليه كتابه المعنون كالآتي (الفنّ في الجزائر، دليل بيبلوغرافيا 1844-2008، مساعدة الكاتب سعديّة صباح، صدر سنة 2009 عن دار النّشر القصبة بالجزائر)، وكتاب آخر بعنوان (الجزائر، الفنون البصريّة: معجم بيوگرافيا 1900-2010، صدر سنة 2011 عن دار النّشر لارماتون بفرنسا)؛

بالإضافة إلى قائمة كتبه الطّويلة هي متعدّدة وغنيّة من حيث الأخبار والسّير الذّاتيّة للعديد من الفنّانين الجزائريين المتخصّصين في الفنون البصريّة؛ وكان آخر أعماله من الفنيّة في نفس التّوجه الخاصّ بسير الفنانين الجزائريين، وهذا في الفنون البصريّة (قاموس بيوگرافيا الفنانين الجزائريين 1896-2013، صدر سنة 2014 عن دار النّشر لارماتون بفرنسا)؛ كما أن كتابه الصّادر سنة (2011) بپاريس عن دار النّشر الفرنسيّة لارماتون، كتابه هذا قد تمّ

التّطرق إليه من خلال إحدى المقالات الصّحفيّة الصّادرة باللغة الفرنسيّة وهذا من خلال صفحات جريدة الوطن الجزائريّة، إذ عنوت صاحبة المقال الصّحفيّة (نوال بوساحة) مادتها الإعلاميّة باللغة الفرنسيّة [Mansour Abrous se lit bien dans les bibliothèques anglo-saxonnes]، حيث ذكرت أن مؤلفات الفنون البصريّة الجزائريّة لصاحبها منصور عبروس، هي موجودة في إحدى أشهر المكتبات، وهذا بالولايات المتحدة الأمريكيّة وبالتحديد بالمكتبة العموميّة بمدينة نيويورك، كما قد دعمت إحدى الصّحف الجزائريّة الصّادرة باللغة الفرنسيّة لسنة (2014)؛

وعن آخر كتاب منصور عبروس الصّادر، كما ذكرت آنفا سنة 2014م عن دار النّشر الفرنسيّة (لارماتون) بباريس، معجمه الأخير هذا يزيد عدد صفحاته عن (700 صفحة، يشمل على 4500 بيوغرافيا للفنانين، رسام الكاريكاتير، خطاط، السّيراميك، الدّيكور، مصمّم، جرافيك، المنمنمات، رسام، مصوّر، نحات ومصور فيديو)، كما وقد روج له من خلال قيام الدّكتور منصور عبروس في النّصف الثّاني من شهر جانفي 2020، بجولة ماراطونيّة هنا في الجزائر وهذا بتقديمه لمحاضرات في المعاهد الفرنسيّة لكل من الجزائر العاصمة، وهران، تلمسان، سيدي بلعباس، وعنابة، كما وقد شمل برنامج جولاته التي ساقته إلى كل من مدارس الفنون الجميلة لكل من مدينتي سيدي بلعباس، ووهران، أقول وهذا بدعوة منها، ومن دواعي التذكير أن كتبه الصّادرة من قبل والتي تحمل اسم صاحبها الكاتب منصور عبروس حاليا موجودة في العديد من المكتبات العالميّة، أو تلك التي هي تابعة للجامعات أو للمراكز الثّقافيّة أو حتى المكتبات التي تخص المتاحف وهذا في العديد من الدّول الأجنبيّة عبر نطاق واسع لتلك الفضاءات العلميّة، الثّقافيّة، الفنيّة، الإبداعيّة والتي هي موجودة عبر القارات الخمس، وفي عجالة من ذلك أذكر بعض تلك المكتبات الوطنيّة، التي يتواجد بها مؤلفات الفنون البصريّة الجزائريّة للكاتب الدّكتور منصور عبروس، كعينة عن ذلك، المكتبة الوطنيّة بالصّين، المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة، المكتبة الوطنيّة الألمانيّة، المكتبة والمحفوظات كندا، المكتبة الوطنيّة للفن بالمملكة المتحدة ببريطانيا، المكتبة الوطنيّة بجمهوريّة التّشيك، المكتبة الوطنيّة للفن بمملكة الدّنمارك، المكتبة الوطنيّة الأستراليّة، هذه الأخيرة تُعد بمثابة تراث وطني تفتخر به أستراليا، وتحتوي على العديد من الوثائق والمطبوعات حتى الصّور الفوتوغرافيّة المهمة والقديمة، وباختصار هي من أهم وأشهر المكتبات في المنطقة وعلى النّحو الدّولي، وإلى حد هذه الأسطر لا تزال مؤلفات الفنون البصريّة للكاتب منصور عبروس تقتنى من طرف كبريات المؤسّسات الفنيّة والثّقافيّة وحتى تلك العلميّة كالجامعات عبر أزيد من أربع عشرة دولة تشمل الخمس قارات.

بعض الأقوال التي قيلت فيه:

الصّحفيّة سهام بونبي: من خلال مقالة صحفيّة من توقيع الصّحفيّة (سهام بونبي) المختصة في الشّأن الثّقافي والفني، الإبداعي والتي تشتغل لدى صحيفة لاتريبون، الجزائريّة، كتبت تقول في مقالها الذي نشر بتاريخ يوم الأربعاء 15 جانفي 2014م،

"مؤلفات هذا الشّغوف بالثّقافة الجزائريّة لا سيما عرفت تكريس لدى القراء الأنجلو-سكسون بما أن المكتبات المرموقة العموميّة لمدينة نيويورك مكتبة جامعة كامبريدج التي اقتنت العديد من إصداراته والتي تسهم لترقيّة، وبالتالي قيامه بتعريف الثّروة وخصوبة الفنون الجزائريّة".

الپروفسور عمر كارلي: من جملة أبحاث الپروفسور عمر كارلي، والتي دونها على صفحات هذا الإصدار، بحيث تطرق من خلالها إلى مؤلفات الفنون البصريّة الجزائريّة للدكتور منصور عبروس واستشهد بها، آخذا بعين الاعتبار ما جاء فيها من أخبار الفنانين الجزائريين الذين أبدعوا في الفنون البصريّة.

وفي الأخير يبقى هذا الكاتب الفذ مغمورا، وتبقى كتبه القيمة بعيدة عن مكتباتنا الوطنيّة، وما على المكتبة الوطنيّة الجزائريّة وباقي المؤسّسات الثّقافيّة والجامعات العلميّة، إلا الإسراع في اقتناء الكتب الخاصّة بالكاتب منصور عبروس لأنها ذات فائدة كبيرة حتى يكون بإمكانها رفع التّحدي في مثل هذه التّخصّصات (الفنون البصريّة في الجزائر) ومواكبة الجديد في هذا الشّأن والتّعرف على كل كبيرة وصغيرة وهذا ما قد يعزز مكانتها في المجال الفني ويسمع صوتها ويعطيها صورة مشرفة من خلال تلك النّخبة من الفنانين سواء كان ذلك على المستوى الوطني أو الإقليمي، أو حتى القاري... لما لا على المستوى الدّولي كهاته العينات التي ذكرتها، كتب الفنون البصريّة لصاحبها منصور عبروس خير دليل على ذلك، توفي المرحوم منصور عبروس يوم 30 جانفي 2019م.

ناصر بعداش

المصادر:

- محمّد بونيل: الفن البصري الجزائري في المكتبة الوطنيّة الاستراليّة، جريدة المنال، 2014.
- نوال بوساحة: Mansour Abrous se lit bien dans les bibliothèques anglo-saxonnes، جريدة الوطن الجزائريّة، 2012.
- محمّد بونيل: الاكاديمي والكاتب عبروس على خطى مؤلفات الفنون البصريّة الجزائريّة، المجلة الثّقافيّة الجزائريّة، 2014م.

موسى الأحمدي النّويوات
(1317هـ - 1900م/ 1419هـ - 1999م)

موسى بن محمّد بن المليانى بن النّوي بن عبد الله بن عمر بن أحمد الأحمدي بن محمّد بن سعيد بن حمادة بن إبراهيم بن عيسى بن يحيى بن لخضر بن صلة النّويوات، مواليد 14 رمضان 1317 هـ الموافق 15 يناير 1900م بمشتّى الحمائد بالطّبوشة، شرق المسيلة (أوّلاد عدي لقبالة). درس في قريته المبادئ الأوّلى لعلوم اللغة العربيّة، وانتقل إلى سيدي عقبة ثمّ إلى برج الغدير، وإلى زاويّة آل الأطرش فالجامع الأخضر بقسنطينة لمجاورة دروس (عبد الحميد بن باديس) ولما رأى «الشّيخ عبد الحميد بن باديس من ألمعيّة الطّالب الأحمدي، وذكائه الوقّاد، وبديهته الحاضرة، وذاكرته المسعفة ما يجعله قميناً بمواصلة الدّرس، ومتابعة التّحصيل، وجّهه إلى تونس للدراسة في جامع الزّيتونة، وزوّده بكتاب إلى صديقه الشّيخ معاويّة التّميمي، فلقيه بالبشر والحفاوة، ورعاه في دراسته، وأشرف عليه إشرافاً علمياً وأدبياً» وفي الزّيتونة انتظم إلى حلقات علماء عصره أمثال: (المختار بن محمود)، (عثمان بن الخوجة) (الطّيب سيالة) (عثمان الكعاك) (عثمان بن المكّي التّوزري) وأجيز من هذا الأخير. وعاد من تونس سنة 1930م حاملاً زاداً من العلم. وإثرها باشر التّعليم، فعلّم الصّبيّة في كلّ من دشرة أوّلاد لعياضي، ومدرسة التّهذيب في برج بوعريرج، إلى جانب قيامه بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المساجد بصحبة البشير الإبراهيمي؛ حيث حارب البدع، كما ناضل في صفوف جمعيّة المسلمين بنشر الفقه الصّحيح، فنشر سلسلة من المقالات في الشّهاب والبصائر، وقرض الشّعر الفصيح والملحون، وتصدّى لمحاربة المشاكل الاجتماعيّة المختلفة.

لقد كان الأحمدي من خَزَنَة الكتب، وأعيان الفضل وأنجُمِ العلم، نسي في خدمة اللغة العربيّة شهواتِه يجوب البلدان وينادم الباحثين في اقتناء الدّفاتر، ويسامر القماطر والمحابر، ويكدّ في حصر اللغات، ويسهر في تقييد الشّوارد. وهكذا فمن خلال هذا الجهد المتميّز كان يعطي الاهتمام لتعلّم العربيّة التي يربطها بالدّين، فيبيّن بالحجّة مزاياها وضرورة تعلّمها، وكأنّي به ابن تيميّة عصره الذي قال: ما لا يتمّ به الواجب فهو واجب، أو بيرم التّونسي الذي يرى بأنّ اللغة العربيّة أسّ الدّيانة، وبذلك وجَبت الإحاطةُ بجميع مزاياها كي تُدرك الأحكام المأخوذة منها على الوجه الصّحيح. اضطرّ كغيره من رجال الإصلاح إلى استعمال بعض المفردات الدّخيلة التي فرضها منطق الاستعمال، فكان يوظّف منهج الأخذ بما تدعو إليه الحاجة الآنيّة، فله أطراف كبيرة في تنميّة هذه اللغة، في الوقت الذي عزّ فيه الطّالب والمطلوب، رغم ما كان يبديه من تذمّر من تلك الألفاظ التي تغزو العربيّة، ويرى إنّها آفة كبرى يجب محاربتها، أمثال: الطّوموبيل والكروسة والشّانطي والشّامبيط... ويعطي البدائل العربيّة التي هي من صميم اللغة، ويعتبر محاربة الدّخيل مثل محاربة الغازي للبلد، فمن الواجب التّصدّي له، ويعدّ الدّخيل سرطاناً يقضي على مقوّمات الأمّة، واللغة أحد مقوّمات هويّة الأمّة.

ولقد كان الأحمدي مرجعاً كبيراً تنهل منه المعارف، وواعظاً ومرشداً دينياً وشاعراً يجيد ملحونه وفصيحه وصاحب مدرسة أصيلة معاصرة، أدرك العلمَ بتطبيقاته الكبرى وفي تحوّله السّريع، وبذلك صعدت به مدارجُ الرّقيّ وهو أهل لها وحفلت حياتُه العلميّة بكثير من الإنجازات اللغويّة والأدبيّة والتّربويّة، وتخرّجت على يده كوكبة من المتنوّرين أمثال: (عبد الكريم العگون) الشّاعر الشّهيد (محمّد بن بالي خبابة) فقيه (عيسى معتوقي) أديب، والقائمة طويلة جداً.

إنّ شيخنا العالم موسوعة متنقّلة، أثرى المكتبة العربيّة بمجموعة من المؤلّفات ذات القيمة العلميّة، وترك زاداً كثيراً، وما وصلني منها أصنّفه كما يلي:

في اللغة: معجم الأفعال المتعدّيّة بحرف. طبع في دار العلم للملايين سنة 1979م.

- في الدّين والفرائض: شرح الأسئلة الرّمضانيّة/ كشف النّقاب عن تمارين اللباب في الفرائض والحساب.
- في البلاغة: المتوسّط الكافيّ في علميْ العروض والقوافي، طبع ثلاث طبعات: 1947-1969-1994م.
- في التّربيّة: المحادثة العربيّة الجزائريّة/ القراءة العربيّة للمدارس الجزائريّة صدر سنة 1965.
- في قصص الأطفال: ونذكر منها:
- العكرّك-البغلة الحمراء-بقرة اليتامى-محمّد بن السّلطان-سعد وسعيد-الأخ المحتال.
- قصائد للأطفال.
- في المسرح: تأليف مسرحيات بمشاركة الكشافة الإسلاميّة.
- قصائد الملحون: ديوان يحوي 140 قصيدة.
- ديوان شعر بالفصحى.
- قصص للأطفال نقلت من العاميّة إلى الفصحى.
- في الطّرائف: طرائف وملح.
- المستطاب في جني الثّمار اللباب.

كما ترك آثاراً مخطوطة هامة، وهي:

- كتاب الألغاز.
- ديوان وطنيات.
- كشف النّقاب عن تمارين اللباب.
- المطالعة العربيّة للمدارس الابتدائيّة.
- ديوان شعر من الفصيح.
- ديوان من الشّعر الشّعبي.

إنّها جهود علميّة كثيرة ونيّرة أعطت أُكلَها في ميادينها، وخاصّة في الأصول، فقدّم من خلالها منهجاً متميّزاً في المحافظة على اللغة العربيّة وإثرائها، وجعلها وافيّة بمستحدثات الفصاحة، وقادرةً على أداء رسالتّها. لقد كان الشّيخ الأحمدي يصرّ على المعرفة بالنّماذج القديمة التي تُكسب المتنَ اللغويّ الصّحيح، لا العربيّة التي يغلب عليها السّجعُ وانتقاءُ الألفاظ، فلا يُلزم امتلاكَ معرفة مستفيضة بالتّفصيلات المعقّدة للنّحو العربيّ؛ لإنّه لا ينظر إلى النّحو على إنّه الإعراب والتّفيهق، بل الأساس فيه هو التّمسّك بآليات الإعراب الذي يجلي المعاني، وبهذا غرس الاتّجاه العقليّ في اللغة بعد تنقيح النّقل، وظلّ

قواماً على عمله في الرّبط بين الدّراسات العربيّة القديمة والحديثة، وحأوّل أن يبيّن أنّ التّراث اللغويّ الأصيل ممّا أبدعه الأوّلون ثريٌّ بالأفكار الأصيلة وبالمناهج النّافعة والتّحليلات العميقة، وفي كلّ ذلك يؤكّد أصالة الدّراسات اللغويّة في المقام الأوّل، وما هو مجمع على صلاحيته، بتسليط الضوء على اللغة في مفاهيمها وتولّد معانيها.

مات الأحمدي ومؤلّفاته تشهد على شموخه في ميدان اللغة والبلاغة والتّربيّة، فكان لزاماً على مريديه أن يكتبوا عنه ويعقدوا حلقاتٍ وأياماً دراسيّة من أجل دراسة المنتوج الوافر الذي أثرى به المكتبة العربيّة. وعهدي أنّ مؤلّفات ظهرت في جهد الشّيخ، ورسائل جامعيّة سُجّلت لدراسة آثاره المتنوّعة.

ما يعرف عن الشّيخ الأحمدي إنّه كان اجتماعي الطّبع، يمتاز بالموسوعيّة وحبّ الفكاهة وقوة الذاكرة والبديهة، شغل منصب رئيس المجلس العلمي للفتوة، كما أشرف على التّكوين المستمر للأئمة من خلال مادتي الفرائض والنّحو، فكان مربياً وموجّهاً وشاعراً يكتب القصيدة العموديّة، ويتغنّى بقصيدة الملحون التي أحبّها كثيراً، وكتب بها قصائد مدح وهجاء.

مات الشّيخ ذات يوم في جهة من جهات الوطن، وفي 17 فيفري من سنة 1999م، وفي قلعة العلم التي أنجبت عظاماً؛ فإذا ذكرنا علماء منطقة الهضاب العليا عامّة فإنّ القائمة تطول، ويمكن الإشارة إلى بعض الذين تحضرني أسماؤهم: فهذا الشّيخ (الحدّاد) الزّعيم الرّوحي للمقراني الذي قاد حركة مقاومة سنة 1871م ضد الاستعمّار، وهذا الشّيخ (الفضيل الورثلاني) إلى (محمّد العاصمي) مفتي الحنفيّة بالعاصمة في الثّلاثينيات، و(أحمد بن أبي جمعة) الفقيه، وسيدي (يحيى العيدلي) الصّوفي أستاذ (أحمد رزوق البرنوسي) دفين مصراتة، وسيدي (ابن عبد الرّحمن بن محمّد الثّعالبي) والشّيخ (البشير الإبراهيمي) و(ابن هدوقة) وغيرهم كثيرون، وتبقى الجهة تنجب كباراً لإنّها كبيرة كِبَر هذا الوطن المعطاء برجاله، والمنطقة ولود برجال ونساء كان لهم مجد كبير وبآخرين أحياء سيماهم النّجبة والتّواضع والحكمة.

صالح بلعيد

المصادر:

- نقلنا هذه المعلومات من ابنه (مختار نويوات) الذي يركّز على العديد من المؤلّفات ويقول: «فإذا أضفنا إلى ما تقدّم كتاب (طرائف ومُلح) الذي نشر سنة 1409هـ1989- بدار العلم للملايين، وبعض المخطوطات وستّ قصص للأطفال أتينا على مجموع مؤلّفاته وهي سبعة وعشرون (27) مؤلفاً» ع/ جهود العلّامة موسى الأحمدي في خدمة العربيّة. مطبوعة لم تنشر.

موسى الدّرقاوي
(ت: 1265هـ - 1849م)

موسى بن الحسن، عرف بالدّرقاوي نسبة للطريقة الصّوفيّة الدّرقاوية المنتشرة في المغرب والجزائر، ولقب بصاحب الجمجمة 5942، ضمن الجماجم البشريّة التي حفظت في متحف الانسان بباريس. ولد موسى بن الحسن بضواحي مدينة دمياط المصرية التي تقع إلى الشّمال من القاهرة مع أواخر القرن الثّامن عشر وبدايات القرن التّاسع عشر، فهو مصري الميلاد والنّسب. توفي والدّه وهو طفل صغير فكفله جده. تلقى تعليمه بمدينة دمياط على يدّ الشّيخ محمد بن حمزة ظافر. أصيب في شبابه بمرض في رأسه في حدود سنة 1822م فانتقل إلى دمشق لتلقي العلاج. وبعد شفائه من مرضه انتقل إلى القسطنطينية وهي إسطنبول اليوم، وكانت تركيا ما تزال تحت الخلافة العثمانيّة. ومن تركيا توجه إلى الجزائر كجندي ضمن الفرق العسكرية التّركية بمنطقة غرب الجزائر، وخلال إقامته كجندي بالمنطقة تعرف على الجزائر، لكن لم يطُل به



المقام ضمن الفرق العسكرية التّركية، فغادر الجزائر إلى تونس ومنها توجه إلى طرابلس التي وصلها سنة 1826، وهناك انتسب إلى زاوية تابعة للطريقة المدنية ليواصل تعليمه بها، وتشير بعض الرّوايات إلى أنه من ليبيا التّحق بالمغرب لبعض الوقت حيث أخذ الطّريقة الدّرقاوية التي ينتسب إليها.

ذكر حفيده محمّد بن أحمّد أمين في شهادة له قدمها بمناسبة استعادة رفات جده أن الشّيخ موسى انتقل إلى الجزائر حوالي سنة 1829م واستقر بمدينة الأغواط حيث حظي بعناية فائقة من أهلها خاصتهم وعامتهم. فأقاموا له زاوية يدرّس بها وابتنوا له سكنا يقيم فيه، فذاع صيته بين السّكان والحواضر المجاورة للأغواط كسيدي مخلوف ومسعد والادريسيّة والشّارف وحتى قصر البخاري والمدية. فاكتسب شعبية نظرا لعلمه وسعة معارفه، وتكاثر حوله المريدون وجاؤوا إليه من كل حدب وصوب. وفي هذه الفترة عرف بالحاج موسى الأغواطي نسبة لهذه المدينة التي استقر بها. ولم يقتصر نشاط الشّيخ موسى الدّرقاوي على التّدريس والوعظ والإرشاد لكنه بعد احتلال الجزائر سنة 1830م بدأ يدعو لمقاومة الغزو الفرنسي، وظل ضمن المقاومين حتى استشهاده سنة 1849م بالزّعاطشة. لكن يبدو أن خلفيته الصّوفيّة جعلته يناوئ الأمير عبد القادر خلال مقاومته للاستعمار. ويصفه المؤرّخ يحيى بوعزيز بـ (الدّ أعداء الأمير عبد القادر)، وإن كانت بعض الرّوايات المتأخرة ترجع سبب ذلك الخلاف مع الأمير لتوقيع الأمير على

المعاهدة المعروفة بـ(معاهدة دي ميشال)، مع الفرنسيين سنة 1834 م. إلا أن المؤرّخ يحيى بوعزيز يرى في كتابه (ثورات الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين) أن بعض المنافسين له استغلوا الصّلح الذي عقده الأمير مع الفرنسيين وأخذوا ينشرون ضده حملات دعائية لتنفير النّاس منه خاصّة بعد أن تشدد في تحصيل الزّكاة والضرائب لدعم جهود المقاومة. ومن هؤلاء المناوئين له دُعاة النّزعة المهدوية كمحمد بن عودة زعيم أولاد مختار بمنطقة قصر البخاري وما جارها جنوبا والذي دعا لنبذ طاعة الأمير وعصيانه، وامتناع أهل الأغواط وأحوازها عن دفع الزّكاة ومقاومة الزّاوية التّيجانيّة له بمنطقة عين ماضي. وقد تصدى الأمير لتلك الحركات المناوئة ووحد صف الجزائريين في تلك المرحلة الحرجة في تاريخ المقاومة للمشروع الاستعماري.

بعد اندلاع ثورة واحة الزّعاطشة قرب طولقة سنة 1849م ظهر الشّيخ موسى الدّرقاوي كأحد المقاومين المقربين من الشّيخ بوزيان قائد ثورة الزّعاطشة رفقة العديد من أتباعه. كان الشّيخ بوزيان هو مقدم الطّريقة الدّرقاوية بمنطقة بسكرة، وعُرف عنه أنه من بين قادة الجهاد تحت لواء الأمير عبد القادر. دامت ثورة الزّعاطشة قرابة نصف عامّ. فقد انطلقت في منتصف شهر جويلية 1849 وانتهت مع أواخر شهر نوفمبر من نفس السّنة بمقتل قادتها وتدمير الواحة تدميرا كاملا وحرق مزارعها وشنق ما تبقى حيا من سكانها. كان سكان الزّعاطشة يقدرون في تلك الفترة بحوالي 13 ألف نسمة تمت إبادتهم عن آخرهم وتهجير من تبقى منهم على قلتهم. كان الشّيخ موسى الدّرقاوي من بين من استشهدوا في ذلك اليوم، ومن هنا أخذت فرنسا جمجمته مع بقية قادة الثورة ووضعتها في متحف بباريس الذّي عرف بمتحف الانسان أو متحف التاريخ الطّبيعي. فقد أخذ الجيش الفرنسي رؤوس كل من الشّيخ بوزيان وابنه الحسن والشّيخ موسى وعلقتهم على أعمدة بمدينة بسكرة لإرهاب السّكان من الثّورة مجددا، بعد أن تم التّمثيل بتلك الجثث في معسكر الجنود الفرنسيين. وتم نقل تلك الجماجم لاحقا إلى فرنسا لتوضع في المتحف المذكور.

توفي الشّيخ موسى الدّرقاوي يوم 26 نوفمبر 1849 م بقرية الزّعاطشة ويصادف ذلك التّاريخ، اليوم الذي أبادت فيه فرنسا سكان الواحة وسوت معالمها بالأرض. فقد كانت مقاومة الثوار ومن خلفهم كل سكان الواحة بطولية، كبدت فرنسا خسائر معتبرة وكان رد المستعمرين قاسيا على خسائرهم. وبمناسبة الذّكرى السّادسة والسّتين لاسترجاع سيادة الجزائر والتي تصادف يوم 5 جويلية 2020، تم استعادة رفات جماجم شهداء الجزائر، وكان عددهم 24 جمجمة ومن بين تلك الرفات كانت جمجمة الشّيخ موسى الدّرقاوي وذلك تخليدا لذكراه واعترافا بفضله في الجهاد ضد الاستعمار.

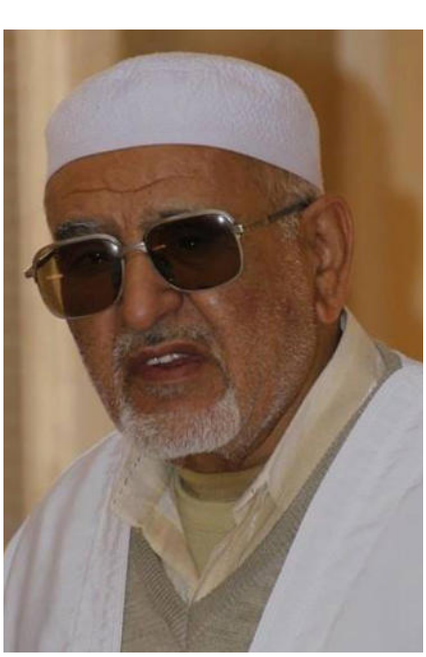
عامر بغدادي

المصـــادر

- ثورات الجزائر في القرنين 19/ 20، يحي بوعزيز، دار البعث قسنطينة، 1980م؛
صاحب الجمجمة 5942 العائدة للجزائر، حفيده المصري يروي، قناة (العربية).

موسى بن إبراهيم حريزي
(1316هـ - 1942م /1436هـ - 2015م)

هو موسى بن إبراهيم بن عمر حريزي من عشيرة آل كاسي بن الناصر بالگرارة، أمّه السيدة عائشة بنت الحاج موسى الحاج عشور، ولد بالگرارة يوم 29 نوفمبر 1942من درس المرحلة الابتدائية بمدرسة الحياة الابتدائية، استظهر القرآن الكريم سنة 1958م، ثمّ انضمّ إلى معهد الحياة الثانوي، وتحصّل منه على شهادة التخرّج سنة 1965م (وكانت شهادة معترف بها في جامعات مصر والعراق وسوريا)، في هذه المرحلة كان مشاركا في بعض الجمعيات الثّقافية المحلّية، وفي شبيبة جبهة التحرير الوطني، والكشّافة الإسلاميّة الجزائريّة (أفواج الحياة بالگرارة)، درّس بمدرسة الحياة الابتدائيّة بالگرارة لأربع سنوات.



– ـ 1969م تحصّل على منحة دراسيّة في بعثة علميّة رسميّة لدراسة المرحلة الجامعيّة بالخارج في الجمهوريّة العراقيّة، في بعثة من 16 طالبا، وفي جامعة بغداد تخصّص في التّربية وعلم النفس.

– ـ 1973م تخرّج من كلية الآداب وعلم النفس بدرجة جيّد جدّا.

– ـ 1973م عيّن أستاذا للتّربيّة وعلم النّفس بالمعهد التّكنولوجي للتّربيّة بمدينة عنابة.

– 1975م انتقل إلى المعهد التّكنولوجي التّربويّ لتخريج المعلّمين بمدينة تيزي وزّو.

– ـ انخرط في هذه الفترة في حزب جبهة التّحرير الوطني، وشارك في عدّة ملتقيات وطنية، وفي تحرير بعض مجلّاتها، وله عدّة مقالات فيها.

شارك في لجنة إعداد المناهج التربوية للمعاهد التكنولوجية، كما اهتمّ بتأليف بعض الكتب خلال ذلك.

وفي عمره 48 سنة شارك في مسابقتين للدراسات العليا ما بعد التدرّج؛ للدراسة في معهد اللغة الأمازيغية بجامعة تيزي وزّو، وللدّراسة في معهد علم النّفس وعلوم التّربية بجامعة الجزائر، فنجح في المسابقتين فاختار متابعة التخصّص بالجزائر وذلك سنة 1990م، وفي 1994م تحصّل على شهادة الماجستير بدرجة مشرّف جدّا، وكان موضوع رسالته (تقويم أسئلة الامتحانات بناء على تصنيف معيار بلوم للأهداف التربوية والتعليمية)، وفي 1995م التحق بجامعة ورقلة/ ورگلة أستاذا، وسجّل في مرحلة الدكتوراه لنيل شهادة دكتوراه دولة، فكان موضوع رسالته (طرائق حفظ وتحفيظ القرآن الكريم ورسوخه في الذاكرة طويلة المدى)، وتحصّل عليها بدرجة مشرّف جدّا بتاريخ 25 ماي 2003م بجامعة بوزرّيعة، وقد طبع أطروحته بعنوان «العقل والقرآن الكريم» في مجلّدين.

ـ من مهامّه بجامعة ورقلة/ ورگلة:

– رئيس دائرة علم النّفس.

– رئيس المجلس العلمي للكلّية.

– عضو المجلس العلمي للجامعة لسنوات عديدة.

– تحصّل على رتبة بروفيسور أستاذ التعليم العالي سنة 2008م بجامعة ورقلة/ ورگلة.

– أشرف على أكثر من 70 مذكرة تخرج ليسانس وماجستير ـ ورسائل الدكتوراه.

– رئيس لثلاثة مشاريع بحث علمية متتالية في نفس الجامعة.

واعترافا بما قدّمه من خدمات في نشاط (مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية) بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة قاصدي مرباح ورقلة/ ورگلة فقد تمّ تكريم الأستاذ الدكتور عند افتتاح الملتقى الدولي الثاني حول أهمّية ودور العلاقات الإنسانية والصحة النفسية في تطوير المؤسّسات، الذي أقيم بالجامعة يوم 13 ـ 14 جانفي 2015م بجامعة ورقلة/ ورگلة.

ـ 2005م زار البقاع المقدسة حاجاً لبيت الله الحرام.

زار عدة بلدان في إطار البحث الجامعي منها سوريا 2007م، المغرب 2010م، عمان 2012م.

دخل مستشفى محمد بوضياف بورقلة/ ورگلة للعلاج من مضاعفات زيادة السكر في الدم يوم الأحد 25 جانفي 2015م، ودخل إثرها في غرفة الإنعاش، وبعد غيبوبة دامت 5 أيام انتقل إلى جوار ربّه يوم الثلاثاء 3 فيفري 2015م على الساعة الواحدة والنصف صباحا، شيّعت جنازته في موكب مهيب بمسقط رأسه الگرارة في مقبرة الشّيخ بابهون حضرها جمع غفير وطلبة وجامعيون وإطارات من ورقلة/ ورگلة وغرداية مساء يوم الإربعاء 4 فيفري 2015م/ 14 ربيع الثاني 1436ه.

من آثاره العلمية المطبوعة:

– مشكلة النسيان والخوف من الامتحان.

– أسرار السعادة النفسية.

– كيف تُسعد نفسك (طبع وزارة التراث العمانية).

– أسرار الذّاكرة في حفظ القرآن الكريم (طبع جمعية التراث ضمن سلسلة البحوث رقم5).

– الإمام عبد الله بن إباض الحيادي (نشر جمعية التراث 2010م).

– الحرب النفسية ضدّ الاستعمار في شعر الشّاعرين مفدي زكرياء ومحمد العيد آل خليفة (المطبعة الجامعية ورقلة/ ورگلة

–

– 2014م).

– بيضة الدّيك الرسالة الموضوعة والدّعيّة زورا للإمام عبد الله بن إباض الحيادي، نشر (العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2010م).

– يقول في آخر مقدمته الطويلة بعد الحديث عن سبب التأليف: «أملي أن يكون هذا التحليل البكر مفتاحاً ومدخلاً للإثراء الثقافي والتاريخي، ومراجعة لبعض الأغاليط والمغالطات التاريخية المتوارثة جيلاً عن جيل بفعل التعصب الفكري، أو العرقي أو المذهبي أو السياسية... أو غير ذلك مما لا يليق بالمفكر الحصيف. «.

من كتبه المخطوطة والمرقونة:

– تحليل مضمون الرسالة الدعية الموضوعة والمنسوبة إلى عبد الله بن إباض، (مخ).

– أصول التربية والتعليم في حلقات، (مخ).

– فصول في الفصل بين عبد الله بن إباض الحيادي والفرق الضالة في عهده، (مخ).

– تقويم أهداف التربية والتعليم بناء على تصنيف بلوم، (مخ).

– الصحّة النفسية، (مخ).

– الزواج والجنس عبر التاريخ، (مخ).

– المراهقة والانحرافات في الشّخصية، (مخ).

– حفظ القرآن ومدارس المستقبل، (مخ).

– وغيرها من البحوث والمحاضرات والمخطوطات الجاهزة.

– بحوثه المنشورة في مجلّة الحياة:

– العطل المدرسية في الجزائر عدد1، ص 95.

– أبو اليقظان العبقرية والفكر الحضاري عدد2، ص35.

– أين عقلك؟ بحث في موقع العقل عدد4، ص 167.

– الحاسّة السادسة في شعر أبي اليقظان (قصيدة لعميّد نموذجا) عدد6، ص243.

– نظام العشائر في المجتمع المزابي نموذج مثالي لإصلاح المجتمعات عدد7، ص129.

كما نشر عدّة بحوث في دوريات محلية ووطنية وعالمية في التخصّص، لم تجمع بعدُ، وعُرف الفقيد بجودة الخطّ.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

موسى بن صموئيل بن يهودا المالَقي الأندلسي

موسى بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي الذي عرف بابن الأشقر. لا يعرف يوم مولده بالتّحديد ولكن الرّحالة عبد الباسط بن خليل بن شاهين المعروف بالظاهري والذي عاش في القرن الرّابع عشر، قال إنّه التقى به في تلمسان وأن مولده كان بمالقة قبيل سنة 820 للهجرة أي حوالي سنة 1420 بالتّقويم الميلادي. ويبدو من ذلك، أن موسى بن صموئيل عاش خلال القرن الرّابع عشر. ينحدر من عائلة توارثت مهنة الطّب أباً عن جد. نبغ في علوم كثيرة، وفق المعارف التي سادت في زمانه، واختص منها بمهنة الطّب فبرع فيها وصار معلّما لها، يأخذ عنه المهتمون بها، وممارساً لها حتى انتهت إليه رئاسة الممارسين لهذه المهنة في عصره بمدينة تلمسان، عاصمة بني زيّان وحاضرة المغرب الأوسط في تلك الفترة.

يُعَد صموئيل بن موسى المالقي من ألْمع الأندلسيين المنحدرين من أصول يهوديّة، الذين استقرّوا في تلمسان في عهد دولة بني زيّان. قال عنه الرّحالة عبد الباسط بن خليل الظاهري في كتابه «الرّوض الباسم في حوادث العمر والتّراجم، إنّه لقي موسى بن صموئيل بتلمسان سنة 869 هـ أي حوالي 1469م، وكان الهدف من اللقاء هو دراسة الطّب على يديه، وقد أجازه في ذلك. وقال بشأن ذلك اللقاء «لازمت في الطّب الرّئيس، الفاضل، الماهر، الأدربي، الأقدري، موسى بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي، المالقي، الأندلسي، المتطبب المعروف بأبيه (هداه الله تعالى للإسلام)، لم أسمع بذميّ ولا رأيت كمثله في مهارته في العلم، وفي علم الوفْق والميقات وبعض العلوم القديمة، مع التّعبد الزّائد في دينه على ما يعتقده. وهو في الأصل من يهود الأندلس. ولد بمالقة قبل العشرين وثمانمائة، وأخذ عن أبيه وغيره، ومهر في صناعة الطّب، وانتقل إلى تلمسان فقطنها، وقصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، ولازمته مدة وأخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطّب وغيره، وبلغني عنه في هذه الأيام بإنّه انتهت إليه الرّئاسة في الطّب بتلمسان، وهو مقرب ومختص بصاحبها من غير أن يداخله فيما يتعلّق بالمملكة لعقله ورأيه». تلك هي المكانة التي كان يحتلها موسى بن صموئيل لدى الزيّانيين، وكان حينها يبلغ من العمر حوالي خمسين سنة. ويبدو جليّاً من شهادة الظاهري أن موسى بن صموئيل كان وقتها في عز نشاطه وفي قمة عطائه، حيث حظي بمكانة مُمَيزة لدى بني زيّان، ونال شهرة واسعة بين معاصريه.

وتؤكّد المصادر التّاريخيّة أن وجود اليهود الأندلسيين في تلمسان على عهد حكم بني زيّان يعود إلى الفترة الواقعة بين 1307 وحتى 1492، تاريخ سقوط غرناطة، وهي الفترة التي عرفت حركة هجرة اليهود من شبه جزيرة أيبيريا تصاعدا، ونتج عنها استقرّار عدد معتبر من اليهود الفارين بتلمسان وما جاورها. وتواصلت حركة النّزوح من أواخر القرن الخامس عشر حتى بدايات القرن السّابع عشر أي إلى سنة 1609.

في عهد مؤسّس الدّولة الزيّانيّة يغمراسن بن زيّان بن ثابت، خلال القرن الثّالثّ عشر، تم إصدار مرسوم ملكي يرسّم عمليّة إدماج كل الأندلسيين تضامنا معهم، فنالوا العنايّة الكاملة من بني زيّان. كانت تلك المجموعات المتلاحقة من الأندلسيين الفارين قد توافدت تباعاً على الجزائر ومنها تلمسان كلما تزايدت الضغوط على المسلمين واليهود الذين كانوا يوصفون من طرف الكاثوليك بالمهرطقين ولذلك كانوا يُحرَقون أحياء من طرف محاكم التّفتيش لا فرق بينهم وبين المسلمين في ذلك.

من بين أوّلئك الأندلسيين الذين استقرّوا في تلمسان من وصل إلى أرقى المناصب كالحجابة والوزارة. وكان منهم أربعة مسؤولين ينحدرون من أسرة آل الملاح أو آيت الملاح، وهم محمّد بن ميمون نايت الملاح ونجله الأصغر محمّد نايت الملاح ثم ابنه إبراهيم وعمه علي بن عبد الله. إلى جانب بروز العديد من المثقفين والكتاب من بينهم يحي بن خلدون الإشبيلي الشّقيق الأصغر للمؤرّخ الكبير عبد الرّحمن بن خلدون الحضرمي ومحمّد بن يوسف القبسي. وكما كان لتلمسان مثقفوها، تميزت كذلك باحتضان رجال الدّين الأندلسيين من المتصوّفة والصّالحين. وكان أشهرهم والأكثر شعبيّة فيهم على مر القرون سيدي بومدين شعيب الإشبيلي أشهر رموز الصّوفيّة في العالم الإسلامي وكذلك العالم الزّاهد الشّيخ الأكبر محي الدّين بن عربي دفين دمشق، وسيدي الحَلْوي الشّوذي الإشبيلي وغيرهم. وفي عهد هؤلاء الأندلسيين الذين استمرّوا في النّزوح إلى بدايات القرن السّابع عشر الميلادي، اكتسبت تلمسان وأحوازها هويّة ثقافيّة غرناطيّة ما تزال تتميز بها حتى اليوم في الطّرب الغرناطي وفي اللباس وحتى في اللهجة العاميّة الخاصّة بها وبأحوازها كندرومة وغيرها.

ضمن هذا الجو العام الذي فتحت فيه تلمسان الزيّانيّة أبوابها للأندلسيين الفارين بحياتهم ودينهم من الطّرد ومحاكم التّفتيش، استقرت الكثير من الأسر المنحدرة من أصول يهوديّة فيها، فلم يقتصر الوجود الأندلسي في تلمسان على المسلمين، بل توسع ليشمل يهود الأندلس المعروفين بالسّفارديم أو السّفارديين وذلك على غرار العديد من المدن الجزائريّة. ومن المعروف أن اليهود عاشوا عصرهم الذهبي في الأندلس زمن الحكم الإسلامي، فهناك برزت مواهبهم الفكريّة، وهو ما نقلوه معهم إلى سائر مدن الجزائر والبلدان التي التّحقوا بها.

من هؤلاء اليهود، برز مثقفون لامعون وتجار كبار وحرفيون مَهرة. وقد اندمجوا اندماجا تاما في المجتمع الجزائري في تلك المرحلة، وساهموا في مختلف نشاطات الحياة. ونظرا للخبرة التي كانوا يحملونها معهم من

الأندلس قرر بنو زيّان تقليص مقدار الجزيّة التي كانوا يقدمونها إلى النّصف تشجيعاً لهم. كما تم تسهيل العمليات التّجاريّة مع موانئ إيطاليا لإنعاش الاقتصاد لأنّ غالبيّة النّاشطين بالعمل في تلك الموانئ كانوا من اليهود خاصّة في مدينة ليفورن.

لقد حظي يهود الأندلس في عصر بني زيّان بمكانة اجتماعيّة مميزة كباقي الحواضر الجزائريّة، وخصصت لهم حارة معينة عرفت بحارة اليهود او درب اليهود، عاشوا فيها عصر التّسامح والمعاملة الحسنة وتمكنوا من الاندماج في المجتمع وصاروا مع الوقت جزءا أصيلا منه. واستخدمهم ملوك بني زيّان في مراكز مهمّة كالسّفراء والمبعوثين. كما اشتهروا كذلك بالحرف اليدويّة وصناعة المعادن الثّمينة كالذهب والفضة مما أفاد الخزينة العموميّة للدولة الزيّانيّة ومكافأة لهم على ذلك تم تخفيض الجزيّة المفروضة عليهم كما هو الحال بالنّسبة لأهل الذمة في الإسلام إلى النّصف، كما ذكرنا ذلك أعلاه، وذلك تشجيعاً لهم على ما يقدمونه من خدمات تميزوا بها في ذلك العصر.

عامر بغدادي

المصادر:

- الشّتات الأندلسي في الجزائر، ج 2. فوزي سعد الله، دار قرطبة للنشر والتّوزيع.
- يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود. عيسى شنوف. دار المعرفة.
- الأندلسيون المواركة. عادل سعيد بشتاوي. مطابع انترناشيونال برس. القاهرة.

■ موسى حداد
(1356هـ - 1937م/1441هـ - 2019م)

ولد المخرج السّينمائي موسى حداد سنة 1937، بالعاصمة الجزائر، حيث أمضى سنوات شبابه في صناعة الأفلام، عمل في بدايته مخرجا مساعدا في التلفزيون الفرنسي (أورفت) وبعد عودته إلى الجزائر، عمل لحساب شركة القصبة لإنتاج الأفلام.

ارتبط حداد بفنّ الصورة من خلال عمله كمساعد مخرج في (معركة الجزائر) سنة (1967) إلى جانب المخرج الإيطالي (جيلو بونتيكورفو/ Gillo Pontecorvo) وهو العمل الذي منحه شهادة ميلاده كمخرج سينمائي، سينطلق محلقا في سماء الإبداع بأعمال تبقى راسخة في ذاكرة الجزائر، حيث قدم سنة 1972 رائعته (عطلة المفتش الطاهر) والذي أصبح من أبرز كلاسيكيات السّينما الجزائرية، وأحد الأفلام المرجعيّة في السينما الجزائريّة، وبقي تجربة غير قابلة للتّكرار من خلال شخصية الثّنائي (حاج عبد الرحمان) و(يحي بن مبروك)، فقد تجسدت عبقرية موسى حداد في هذا العمل الذي جمع بين الفكاهة والدراما



البوليسية، فحقق صدى واسعا في قاعات السينما مطلع السبعينات وأصبح عملا مرجعيا، وكان قبله قد قدم (المفتش الطاهر) سنة (1967) ولقي العمل نجاحا كبيرا بقي متواصلا إلى اليوم، ويبقى فيلمه (أولاد نوفمبر) الذي قدمه سنة (1975) من أبرز أعماله؛ حيث نجح حداد في تصوير تضحيات الشّعب الجزائري بكل فئاته من أجل الاستقلال، وفي نفس خطّ تكريم الذّاكرة الثّورية قدم الراحل (حسان طيرو) في سنة (1978 و(تحرير) سنة1982.

لم يكن موسى حداد يؤمن بالمجايلة أو بالسينما الايدولوجية، لهذا تمكن من التعامل ومخاطبة وإقناع أجيال مختلفة من الجيل الذي قدم له (معركة الجزائر) إلى الجيل الذي تفاعل مع (ماد ان) في سنة (1999) الذي أنتج في فترة حرجة واقترح نموذجا مختلفا يمزج بين الحركة والحلم وحظي باهتمام الجمهور، واصل موسى حداد عطاءه لينتج ويخرج فيلمه (حراقة بلوز) سنة (2012) وهو فيلم جارى الواقع الجزائري واقترب منه أكثر، حيث تناول موضوع الهجرة غير الشرعية (الحرقة) ليثبت ارتباطه بالمجتمع وقراءته الواعية لقضاياه.

توفي موسى حداد يوم الثلاثاء يوم 17 سبتمبر 2019، بالجزائر العاصمة عن عمر ناهز 81 سنة بعد مسار طويل في عالم السينما جعل منه أحد أبرز الاسماء السينمائية في الجزائر.

وترك الكثير من الاعمال شاهدة على ذكائه السينمائي ورؤيته المختلفة للعالم، وارتباطه الوثيق بلغة الصّورة التي بدأ يتعامل بها قبل استقلال الجزائر.

سناء رمضاني

مُوسى لقبال
(1353هـ - 1934م/1430هـ - 2009م)

وُلد موسى بن علاوة لقبال سنة: (1353هـ/ 1934م)، بمدينة (بريكة)، ونشأ في أسرة بسيطة ومتواضعة، وترعرع في كُتاب قريته؛ فحفظ قسطاً من القرآن الكريم بها، ثم إنّهى حفظه بقريّة (مشونش) بالأوراس؛ وتعلّم بمدرسة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وقد كان أحد التّلاميذ المتفوقين في دراستهم؛ سواء بمدرسة جمعيّة العلماء في (بريكة)، وفي (مشونش) كذلك، وقد أكمل دراسته في (الزّاويّة الرّحمنيّة) بطولقة؛ التي درس فيها العلوم اللُّغويّة والشّرعيّة؛ كما درس كذلك في (زاويّة بلحملاوي) بالتّلاغمة، ومنذ شبابه انطلق في تعليم القرآن الكريم، بمدينة (عين عبيد)؛ ثم درّس في (تاملوكة)، وفي عام: (1370هـ/ 1951م)، سافر إلى مدينة (نفطة)بالجريد التّونسي، ونال الشّهادة الأهليّة بتفوق خلال السّنة التّعليميّة: (1953/ 1954م)، وبعدها واصل دراسته بجامع الزّيتونة؛ وقد عُرف خلال مرحلة دراسته بالعاصمة (تونس) بنشاطه الغزير والمكثف في جمعيّة الطّلبة الجزائريين؛ التي كانت تابعة لجبهة التّحرير الوطني، ونال سنة: (1376هـ/ 1957م) شهادة التّحصيل بتقدير امتياز، كما حصل في السّنة نفسها على (جائزة الرّئيس الحبيب بورقيبة)، وبعد تميّزه في مشواره العلمي بتونس، انتقل إلى مصر، وسجّل في قسم التّاريخ بكليّة الآداب في جامعة القاهرة، وحصل فيها على شهادة الإجازة بتفوق سنة: (1381هـ/ 1961م)، وخلال فترة دراسته بمصر؛ كان أحد أنشط أعضاء الاتحاد العام للطلبة الجزائريين بالقاهرة، وكان يُعرّف بالقضيّة الجزائريّة في إذاعة (صوت العرب)، وكان يكتب مقالات تاريخيّة متميزة ينشرها في الجرائد الحائطيّة، وبعد استقلال الجزائر، انضم الباحث (موسى لقبال) إلى أسرة التّربيّة والتّعليم ببلاده؛ فعمل في (ثانويّة عمّارة رشيد)بالجزائر العاصمة؛ بصفته أستاذاً لمادّة التّاريخ، من سنة: (1962م)، وإلى غايّة عام: (1966م)، وفي هذه السّنة عُيّن أستاذاً بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة (قسنطينة)، بعد نيّله دبلوم الدّراسات العليا في التّاريخ من جامعة الجزائر المركزيّة بتفوق ؛ وقد نال هذه الشّهادة بعد تقديمه لبحث علمي متميز، وسمه ب: (الوضعيّة السّياسيّة والإداريّة للمغرب الإسلامي في الفترة ما بين:45 و122هـ)، وبعد سنة رجع إلى (الجزائر العاصمة)، وعمل بقسم التّاريخ، وفي سنة: (1968م) تحصل على شهادة الماجستير في التّاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس بمصر؛ كما نال شهادة دكتوراه الدّولة سنة: (1972م)من جمهوريّة مصر العربيّة.

ولا يُمكن لكل من يتحدث عن الباحث والمؤرّخ (موسى لقبال)، أن يُغفل الحديث عن أنشطته الثّقافيّة والتّاريخيّة المُتنوعة والغزيرة، إلى درجة يصعب الإلمام بها؛ فهو نائب رئيس الجمعيّة التّاريخيّة الجزائريّة خلال سنوات السّتينيات من القرن المنصرم، وعضو مؤسّس لاتحاد الكُتّاب الجزائريين، وعضو مؤسّس لرابطة المؤرّخين الجزائريين، وعضو في اللجنة الوطنيّة للتعريب، وعضو مؤسّس لاتحاد المؤرّخين العرب، وعضو المكتب الدّائم لاتحاد المؤرّخين العرب على مدى أكثر من عقد من الزّمن، وقد انتخب نائباً في المجلس الشّعبي الوطني عن دائرة (بريكة)، ما بين سنوات: (1977-1982م)، وتولى عدّة مسؤوليات إداريّة وعلميّة في مختلف الجامعات التي عمل بها، من بينها: رئيس قسم التّاريخ بجامعة الجزائر، خلال الفترة الممتدة من (1973-1976م)، وكان مسؤولاً للبحث العلمي في دائرة العلوم الاجتماعيّة، ما بين: (1973-1976م)، في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة الجزائر، وانتخب رئيساً للمجلس العلمي لمعهد التّاريخ ما بين: (1988-1992م)، كما كان مُنسقاً للدراسات العليا في التّاريخ الإسلامي، انطلاقاً من السّنة الجامعيّة: (2003-2004م)؛ وشارك في عشرات الملتقيات العلميّة الوطنيّة والدّوليّة داخل الوطن، وخارجه، وقد كرمته عدّة مؤسّسات علميّة مرموقة جملة مرات؛ تقديراً لجهوده العلميّة المتميزة جداً في مجال البحث التّاريخي والأكاديمي؛ ونال وسام المؤرّخ العربي، وكرمته (جامعة قسنطينة) بتدارس أعماله في ندوة علميّة مرموقة، وقد صدرت أعمال هذه النّدوة عن منشورات مؤسّسة دار بهاء الدّين للطباعة والنّشر والتّوزيع في (قسنطينة)، سنة: (2008م)، بعنوان: (دراسات وبحوث مغربيّة:أعمال مهداة إلى الأستاذ الدّكتور موسى لقبال)، وقد توفّي يوم الثّلاثاء: (23محرّم1430هـ)، الموافق(20يناير-جانفي2009م).

من أبرز الشّيوخ الذين تأثّر بهم في حياته العلميّة: الشّيخ (أبو بكر العقبي)، والشّيخ (عيسى يحياوي)، والشّيخ (محمّد الدّراجي)، والشّيخ (ابن أحمد)، والشّيخ (التّابعي بلوادي). وقد أشرف على عدد كبير من الطّلبة في مرحلة الدّراسات العليا.

إن جهود الباحث والمؤرّخ (موسى لقبال) بارزة في مجال التّأليف العلمي؛ والبحث التّاريخي الدّقيق والعميق، والحق أن إنجازاته العلميّة هي أرحب، وأوسع من أن تحيط بها قراءة، أو بحث، مهما بُذل فيه من جهد؛ فقد أصدر مجموعة من الكتب والمؤلّفات الثّمينة، ومن أهمها: (المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج-سياسة ونظم-)، والذي صدر في طبعته الأوّلى سنة: (1969م)، عن منشورات مطبعة البعث بقسنطينة، وورد في الإهداء الذي دبجه الأستاذ (موسى لقبال) بيراعه، ما يلي: «إلى روح من تلقيت عنه أوّل درس في العلم والأخلاق... إلى أستاذي ورائدي، ومرشدي: عيسى يحياوي... وإلى كل الشّهداء والمؤمنين مثله، بقضيّة العربيّة وبأمجادها، وبمفاخر الإسلام، ورجاله في هذه البلاد... إليهم أقدم اليوم باكورة أعمالي اعترافاً بجميل سابق، وتقديراً لدور رائع أصيل».

والجدير بالذكر أن الأستاذ (موسى لقبال) تحصل بهذا البحث على ديبلوم الدّراسات المُعمقة من جامعة الجزائر، وقد وصف كتابه هذا في مقدمته بالقول: «عالجت في كتابي هذا الجهود السّياسيّة والعسكريّة التي قام بها المسلمون ليدخلوا منطقة المغرب، دائرة الدّولة

العربيّة، وتحت تأثير الحضارة الإسلاميّة، ثم تتبعت بذور التّنظيمات الإداريّة، ومظاهرها منذ أن أصبح للمسلمين مصر جامع، وحقوق سياسيّة ثابتة إلى ما بعد منتصف القرن الثّاني للهجرة، وألاحظ أن العمل العربي في هذه البلاد يعد حاسماً لأسباب أهمها:

إنّه قرر مصيراً نهائياً لهذه المنطقة وسكإنّها في إطار الدّولة العربيّة، وضمن المجموعة الإسلاميّة.

وساعد على كسب جماعات كبرى-لها ماضيها المجيد، في الفروسيّة، وفي النّضال ضد من هو أجنبي دخيل-تحملت إلى جانب المسلمين مسؤوليّة إتمام الفتح بوجهيه الثّقافي والسّياسي سواء في منطقة المغرب، أو في أرض الأندلس، وجزر البحر الأبيض المتوسّط في الحوض الغربي».

ويصف الدّكتور (مسعود كواتي) هذا السّفر النّفيس بإنّه «يدخل في إعادة كتابة تاريخ المغرب بروح جديدة تختلف اختلافاً كليّا عن الكتابات السّابقة الموروثة عن العهد الاستعمّاري؛ فالكتاب قراءة جديدة للفتوح الإسلاميّة لبلاد المغرب، إضافة إلى ذلك فإنّ الأستاذ لقبال في هذا الكتاب اعتمد على مصادر لم تُستعمل من قبل في موضوع مثل هذا، وهي المصادر الإباضيّة، إضافة إلى المصادر الكلاسيكيّة الأخرى التي لم تستثمر استثماراً عميقاً مثلما فعل صاحب هذا الكتاب».

ومن مؤلّفاته العلميّة المتميزة:

«الحسبة المذهبيّة في بلد المغرب العربي:نشأتها وتطورها»، وقد صدر عن الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع بالجزائر في طبعته الأوّلى، خلال شهر (ديسمبر 1971م).

و« دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطميّة منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)»؛ طُبع ضمن منشورات الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع سنة: (1979م)،

و «شخصيات لها تاريخ:عقبة بن نافع»، صدر في المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، سنة: (1989م)،

و «ملحمة أبي الفضل جعفر بن أبي مرزوق»؛ طُبع في المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، سنة: (1990م).

و« ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبيّة وتوحيد)»، طُبع في المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، سنة: (1990م).

يقول عنه الباحث (أسامة الطّيب جعيل): «الأستاذ الدّكتور موسى لقبال أحد الأعمدة الرّئيسة لتاريخ المغرب الوسيط والتّاريخ الإسلامي عموماً ؛ فهو من الجيل المؤسّس للمدرسة التّاريخيّة الجزائريّة بعد الاستقلال رفقة ثلة من زملائه، خلف الأستاذ الدّكتور موسى لقبال من خلفه الكثير من الطّلبة والإطارات العلميّة والكفاءات التي تشهد لها الجزائر والعالم الإسلامي اليوم في مجال الأبحاث التّاريخيّة؛ كما خلف لنا موروثاً تاريخياً زاخراً ومُهماً في كتابة وتوثيق تاريخ الجزائر وبلاد المغرب خلال العصر الوسيط ... إن الباحث موسى لقبال باحث جاد منذ أن كان طالباً جامعياً إلى غايّة تقاعده من مهنة التّعليم، وله الفضل الكبير في كتابة تاريخ الجزائر والعالم الإسلامي برمته مزوداً مكتباته بأبحاث كانت المنطلق الرّئيسي لكل باحث ودارس... إنّه أحد رواد الثّقافة العربيّة الإسلاميّة؛ فهو الباحث القدير في التّراث التّاريخي الوطني والإسلامي، وتشهد له أبحاثه إنّه أعطى منحى مغايراً في البحث التّاريخي الموروث منذ العهد الاستعمّاري... ، وقد نالتّ بلاد المغرب الحظ الأكبر من دراساته... ".

ومما جاء في شهادة أستاذه الدّكتور (سعيد عبد الفتاح عاشور): «ومن هؤلاء... الدّكتور لقبال موسى بن علاوة، الذي تتلمذ على أيدينا بقسم التّاريخ بكليّة الآداب بجامعة القاهرة، وطوال هذه السّنوات التي عرفنا فيها السّيد موسى لقبال عهدناه رجلاً ناضجاً بكل معاني الكلمة، في فكره وخلقه وسلوكه. والحق إنّه كان دائماً أبداً يمثل الثّمرة اليانعة من شباب الثّورة الجزائريّة، ويُعطي صورة صادقة للرجل الجزائري الشّديد الإيمان بالله وبوطنه وبعروبته، وهذه كلها صفات جعلته موضع حبّ وتقدير كلّ من عرفه واتصل به من قريب» .

ويقول الدّكتور (إسماعيل سامعي) في كلمة له؛ كتبها عن المؤرّخ (موسى لقبال) سنة:2009م، بعد سماعه خبر رحيله: «... وكان طلب العلم دينه، والرّحلة إليه مبتغاه، فخرج من بريكة ليطوف في بعض بلاد الجزائر طالب علم ومعلماً، ونزل الزّيتونة تونس والقاهرة المعزيّة، وعاد مع فجر استرجاع السّيادة الوطنيّة ليحط بسيرتا العمق والتّاريخ، وقسنطينة العلم والثّقافة، ومنها إلى مدينة الجزائر ليقضي بها بقيّة عمره، إنّها رحلة حرث طويل أينعت وأثمرت إنتاجاً علمياً تاريخياً متميزاً أصبحت مرجعيّة هامة لا يستغني عنها أي طالب علم في ميدان العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وبخاصّة فن وعلم التّاريخ. كما خدم وطنه وبلده بريكة عندما اختاره سكإنّها نائباً عنهم في المجلس الشّعبي الوطني خلال السّبعينيات، وقد كان أمله كبيراً أن ينجز مشروع سكة الحديد العابرة للهضاب والتي تمر ببريكة، وهو المشروع الذي دافع عنه لتصبح بريكة ولايّة لخدمة التّنميّة، ولعلاج مشاكل البطالة...».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- د. موسى لقبال:المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج: سياسة ونظم، منشورات مطبعة البعث بقسنطينة، الجزائر، 1969م؛
- د. موسى لقبال:ملحمة أبي الفضل جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق، منشورات المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1990م؛

د. مسعود كواتي:شخصيات جزائريّة مواقف وآثار ونصوص، منشورات دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

مولاي أحمد الطّاهري
(1325هـ - 1907م/1399هـ - 1979م)

الشّيخ العلامة الفقيه المحدث المفسر مولاي أحمد الطّاهر بن عبد المعطي المراكشي السّباعي الإدريسي الحسني. ولد بقريّة أولاد عبد المولى بإقليم شيشاوة بالمغرب الأقصى سنة 1325ه الموافق لـ 1907م. ونشأ بمسقط رأسه وحفظ فيه القرآن الكريم على يد أخيه «مولاي عبد الله» وأجاد حفظه وأتقن جملة من فنون العلم كالشّاطبيّة والجزريّة في القراءات، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل في الفقه المالكي، وتحفة ابن عاصم في الأقضيّة والأحكام، وملحة الإعراب والآجروميّة وألفيّة ابن مالك في العربيّة، ومراقي السّعود في أصول الفقه، والسّلم المرونق في علم المنطق، وبعضا من ألفيّة العراقي في مصطلح الحديث، وسمع عليه الكتب السّتة، وأخذ عنه ميثاق الطّريقة القادريّة في السّلوك والأخلاق، كل هذا وهو دون الرابعة عشر من عمره.

وغادر بلاده إلى شنقيط ليعلم بها خلال 1923م واستقر له المقام بشنقيط سنين، فَعَلَّم فيها وأفاد من العديد منهم، وغادر شنقيط خلال 1934م إلى مالي حيث حل بتنبكتو وأقام فيها مدة يسيرة وذلك خلال 1937م، فتأهل فيها، ثم غادرها إلى أرض توات. التي دخلها مُعَلِّمًا ومُدَرِّسًا، أقام أياما في تاوريت وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة (1359هـ-1940م). ثم انتقل إلى منطقة سالي بأدرار في السّنة ذاتها، وبدأ يُعَلِّمُ بها بجد واجتهاد. وأسّس مدرسته الدينيّة (الطّاهريّة) بسالي سنة (1362هـ-1943م).

ومكث بها زهاء ستة عشرة عاما، وقد تخرج على يديه علماء أفذاذ؛ من قائمة العلامة الشّيخ باي بلعالم، والشّيخ مولاي الحبيب بن عبد الرحمن خليفته الثاني، صاحب الزّاويّة القرآنيّة بتسفاوت.

كان للشيخ دور جهادي ضد المحتل الغاشم، فقد شارك في الجهاد ضد العدو الكافر، وصبر على التعرض للإهانة من أجل الدفاع عن معاقل الإسلام، علاوة على حكمته وذكائه في مخادعة العدو، وتجنبه التهور



الذي كلف البلاد آنذاك أتعابا كبيرة، أخّرت الاستقلال الوطني مدة طويلة، علما بأن العدو الفرنسي لما تحفظ في شأن قتله رحمه الله لم يكن حبا فيه، ولا رحمة به، ولكنه يعلم أن قتله سيكلفه ردا عنيفا من أهالي المنطقة الأشاوس.

لقد غادر الشّيخ السّباعي مدينة سالي عائدا إلى مسقط رأسه مراك أين استأنف مسيرته التعليميّة مع أخيه مولاي عبد الله سنة (1379هـ-1959م) وطلب منه أن يساهم في التدريس بجامعة بن يوسف بمراكش فأجاب إلى ذلك فكان محاضرا بها قرابة أحد عشر عاما بدايّة من سنة1380م-1960م). ليعود بعد ذلك إلى مدرسته الطّاهريّة بسالي سنة (1391هـ - 1971م، بقصد الإقامة فيها والتفرغ للتدريس، لكن شاء الله أن لا تطول مدته أكثر من شهرين بها، حيث عاد إلى مراكش بعد أن وصله خبر وفاة أخيه ومكث بمسقط رأسه مواصلا تدريسه ونشر رسالته التعليميّة .

لكنه وبعد سنوات عاد زائر إقليم توات فطاف القصور والزّوايا، ثم امتدت زيارته إلى إقليم الهقار بتمنراست ثم إقليم التّاسيلي بإليزي فورقلة وغرداية ثم إلى بشار فوهران التي كانت محطة وداع للجزائر سنة (1395هـ-1975م) ولم يعد بعدها أبدا.

ترك الشّيخ رصيدا معتبرا من المؤلفات في مختلف العلوم المفيدة، ومن مؤلفاته:

- فتوحات الإله المالك، على نظم أسهل المسالك، في فقه الإمام مالك.
- العقد الجوهري، على منظومة العبقري، في أحكام السّهو في الصلاة.
- الدر المنظوم، على مقدمة ابن آجروم في النّحو.
- عقد الجواهر اللآلئ، على منظومة أبي العباس أحمد الهلالي
- نسيم النّفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات: يقول في تقريظ هذا الكتاب الشّيخ عبد السّلام الأسمر بن محمّد عبد الله بلعالم (إمام أستاذ بالمسجد الكبير بني ثور ورقلة) :» وإنني لأرى في هذا الكتاب القيم بعد تصفحه صورة عظيمة تتجلى في خلق كريم، وهو خلق الوفاء، فمولاي أحمد الطّاهر الإدريسي قدم توات واستقر فيها بضع عشرة سنة، وطاب له فيها المقام، وكان له فيها تلامذة ومحبون وأتباع، ثم أجبرته ظروف قاهرة على مغادرتها ولكن ظل حنينه حنينا يربطه بتلك الديار وأهلها، فمن وفائه قام يتحدث بما أنعم الله به عليه من الحلول في توات، فأفرد مؤلفا وصف فيه تلك الربوع الواسعة من هذا الوطن وشخصياتها وعلماءها وأحداثها وعاداتها، فكان هذا الكتاب تحدثا واعترافا بنعمة الله، ووفاء بحق أولئك الذين ارتبط بهم ارتباطا وثيقا ملؤه المحبة والاحترام، وهذا حال الكريم، وحال أهل النّبل والفضل والوفاء.

«وله رسائل متنوعة عديدة منها :

- رفع الحرج والملام، في أكل المال المشكوك بالحرام.
- النّحلة والتحليّة، في ما قيل في اللحيّة.
- رسالة في الرد على ابن الهادي سماها (مورد الظمآن الصادي، في الرد على ابن الهادي).
- رسالة في طرق حديث عبد الرزاق عن جابر.
- فتاوى عديدة، في نوازل سعيدة.

كما له نصائح وكتابات عديدة، كلها تحمل علما وافرا، وتربيّة كبيرة، وخيرا كثيرة، كما أن كلامه كله مفيد نطقا وله قصائد شعريّة في مختلف الأغراض الشّعريّة والفنون العلميّة منها:

- ألغاز في مسائل فقهيّة قال في مطلعها:

ألا حي دورا بالعلوشي للمهدي
عفتها روايا الدلو بعـــدك والسّعد
فأصبحن لا يعـــــرفن إلا توهما
وصفو الليالي عهده أكذب العهد

- قصيدة في آداب طالب العلم وهي رسالة لابنه عبد الله مطلعها:

عليك سلام مثل ما هب من نجدِ
سلامٌ ذكًا من نفحة البَانِ والرَّنْدِ

وافته المنيّة بمراكش يوم الأربعاء (19) من ذي القعدة1399هـ الموافق ل 10 أكتوبر 1979م.

رابح دوب

المصادر:

- نسيم النّفحات من أخبار توات ومن الصالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطّاهري الإدريسي الحسني، مداد للطباعة والنّشر، غردايّةالجزائر، ط2، 2011م؛
- أبو محمّد سعيد هرماس، طبقات المالكيّة الجزائريين خلال المئة الهجريّة الأخيرة، دار صبحي للطباعة والنّشر، غارداياّةالجزائر، الطّبعة الأولى، 2013م.

مُـولاي بلحميـسي
(1348هـ - 1930م/1430هـ2009م)

ولـد (مـولاي بلحميسـي) بتاريـخ: (20صفر1349هـ)، المُوافـق لـ (16جويليّـة 1930م) بمدينـة (مازونـة) ؛ التابعـة لولايّـة (غليزان) ؛ التي تقع غـرب العاصمة الجزائريّة، وهـي مدينـة سـياحيّة وتاريخيّـة عريقـة، حفظ القرآن الكريم في الكتاب، ثم التحق بالمدرسـة الابتدائيّـة في عـام: (1355هـ)، الموافق لسـنة: (1936م)، وواصل دراسـته في التعليم الابتدائي إلى غايّة عام: (1362هـ)، الموافق لـ (1943م)، وبعد نيله لشـهادة التعليـم الابتدائي التحضيريّة بتفـوق، انتقـل إلـى مرحلـة التعليـم الثانـوي، فسـافر إلـى مدينة (تلمسـان) ؛ التـي درس فيها فـي الثانويّـة (الفرنكو-إسـلاميّة)، وأمضى بها سـت سـنوات متتاليّة مـن عـام: (1946م) حتى سـنة: (1952م)، وقد نال خـلال هذا العام دبلوم المـدارس، مما مكنه مـن الالتحـاق بالجامعة، فنال دبلـوم معهد الدراسـات العليا الإسـلاميّة بالجزائـر فـي سـنة: (1954م)، ثـم نـال شـهادة الإجـازة في الآداب من جامعـة الجزائر، خلال عام: (1958م)، ثم سـافر إلى (فرنسـا)، وواصل دراسـته بها، ونال شـهادة الدراسـات العليا من جامعـة (إيكـس أونبروفانس) سـنة: (1963م)، بعد أن قدم دراسـة علميّة موسومة ب: «الشّعر السّياسـي عنـد الخوارج على عهد بنـي أميّة »، وواصـل دراسـاته العليـا، وحصل على شـهادة دكتـوراه درجـة ثالثـة مـن الجامعـة نفسـها في عـام: (1972م)، ونـال شـهادة دكتـوراه الدولـة في التاريـخ الحديث عـام: (1986م) من جامعة (بوردو3) بفرنسـا، بعد أن قـدم أطروحة معنونة ب: «بحريّة وبحارة الجزائر في الفترة العثمانيّة مابين:1815و1830م».

عمل الأسـتاذ الدكتور (مولاي بلحميسـي) فـي مختلـف المراحـل التعليميّة، حيـث افتتح حياتـه المهنيّة بالتدريـس في التعليـم الابتدائي مـا بين: (19531954م) في مدرسـة إبراهيم فاتح في حـي القصبة العتيـق بالجزائـر العاصمة، ثم عمل فـي التعليـم الابتدائي مرة أخـرى ما بين سـنوات: (1955-1957م)، ثـم انتقـل للتدريس فـي المراحـل الثانويّة التـي عمل فيها إلـى غايّة عـام: (1969م)، ثـم انتقل للتدريـس في جامعة الجزائر، ومـن أهم المناصب التـي تقلدها إبان عمله فـي الجامعة: «مدير المركـز التحضيري للدراسـات العليا بجامعـة الجزائـر»، و«مدير معهـد التاريخ بخروبـة»، و«رئيس معهد الآثار بملحقة بني مسـوس التابعـة لجامعة الجزائر»، و«رئيس جامعة المغرب العربي بطرابلس»في ليبيا، و«نائب رئيس الجمعيّة الدوليّة للمؤرخين المتوسـطيين»ومقرها فـي العاصمـة (روما) بإيطاليـا، و«رئيس الاتحـاد الوطنـي للزوايا»، وكان عضواً شـرفياً في«معهـد أتاتورك للتاريخ بأنقرة»، وعمل في«المركز الوطني للدراسات التاريخيّة »، وقد توفي سنة: (1430هـ/ 2009م).

مـن أهم الأسـاتذة الذين درسـوه في جامعة الجزائر: (ماريوس كانار)، و(روجيه لوتورنو) .

ومـن أبـرز طلابه في معهـد التاريـخ، الذين أشـرف علـى رسـائلهم الجامعيّـة فـي جامعـة الجزائر: (عائشـة غطاس)، و(مختار حساني)، و(إبراهيم مياسي)، و(فتيحة الوليش).

مـن مؤلفات الدكتـور (مولاي بلحميسـي) المتميـزة، كتاب: «الجزائـر من خلال رحلات المغاربـة في العهـد العثماني»، وقـد صدر عن منشـورات الشّـركة الوطنيّـة للنشـر والتوزيـع، عـام: (1979م)، ومما جـاء فـي مقدمـة هـذا الكتـاب: «ما أكثر مـا زعم الغربيـون أن تاريخ الجزائـر فـي العهـد العثمانـي يجـب أن يعتمد إطلاقاً على المصادر الأوروبيّة، وخلافاً لتاريخ العصر الوسـيط المغربي يجب أن يدرس بصفة أساسيّة من خلال ما رواه الملاحظون الأجانب، ومـا كتبـه القناصـل والأسـرى والتجـار الذين أقامـوا بالجزائر آنذاك، نعم لقـد مكنت التجارة والدبلوماسـيّة والجوسسـة والظـروف أحيانـاً بعـض الأوروبيين مـن التعرف على هـذا البلد، وأتاحت لهم الفرص العديدة للتأليف في شـتى المواضيـع التـي تتعلـق بحياتنـا أو تاريخنا، إلا أننـا نلاحظ على هـذا الإنتاج الضخـم اقتصاره على بعض الجوانب دون الأخرى، فلقد ملأت الكتـب الأوروبيّة الدنيـا بالحديث عن القرصنة وحياة الأسـرى النصارى، ومفـاداة الجماعات منهم، والدعوة إلى مواصلة الحروب الصليبيّة، وتدمير الجزائر، واحتلال أجزاء من ترابها ساكتة عن القرصنة المسيحيّة، وعن آلام المسلمين في سجون ليفورن، أو برسـلون، وناسيّة ما هو أهم من الحديث عن الغزو وتعسفات الحكم آنذاك، فـأرخ جمهـور المؤرخيـن للجزائـر العاصمـة أكثـر مما أرخـوا للبـلاد، تكلمـوا عـن الأتراك وحكمهم، أكثر مما تحدثوا عن الأهالي والمدن والقبائل، والدين، والوضع الاجتماعي، والحياة

الثقافيّة . ولذا، فالمصادر الاسبانيّة والفرنسيّة والايطاليّة -مهما كانت كثرتها ومهما كان ثناء الكثير عليها- ظهرت في الواقع غير كافيّة للاطلاع على أحوال البلاد وكتابة تاريخها في العصور الحديثة... ».

ويدعو الدكتور (مولاي بلحميسي) إلى ضرورة تركيز الاهتمام على المصادر العربيّة، فيقول: «فلا بد من الالتفاف إلى المصادر العربيّة، والبحث عنها أينما كانت، والتخلي عن نظرة الغربيين إليها، واستخداما استخداماً موضوعياً يعتبر من أولويات الباحثين، وعملنا هذا محاولة تندرج في هذا الإطار، فالرحلات من المصادر المساعدة للتاريخ، وهي أحياناً بمثابة الشّريط السّينمائي يُصور منظراً، أو يلتقط حدثاً... وطريقتنا في هذا العمل أننا بدأنا بجمع النصوص واستخراج ما يهم الجزائر، وبما أن الطبعات الحجريّة أو العصريّة مملوءة بالأغلاط كان التصحيح ضرورياً، وبما أن الرحلات في شكلها الأول عبارة عن جملة طويلة كان من المفيد تجزئة النص إلى فقرات أعطيناها عنواناً يُسهّل القراءة والفهم... ».

ومن أهم مؤلفات الدكتور (مولاي بلحميسي)، كتاب: «البحر والعرب في التاريخ والأدب»، وقد صدر عن منشورات الوكالة الوطنيّة للنشر والإشهار عام: (2005م)، وهذا الموضوع الذي درسه يكتسي أهميّة كبيرة؛ فلعل أحداً لا يحتاج إلى كبير عناء لكي يدرك تلك العلاقة الوشيجة التي نشأت بين العرب والبحر، منذ العصور التليدة، فقد تأقلم العرب مع البحر بسرعة عجيبة، فشقوا عُبابه، وذللوا أمواجه، واستغلوا كنوزه، وذلك منذ العصر الجاهلي، وبعد ظهور الإسلام ازداد الحماس بغرض نشر الإسلام في مختلف الكور والأصقاع، وفتح مناطق جديدة، فازداد النشاط البحري الإسلامي لمختلف الجهات، وعلى الرغم من المنزلة الكبيرة التي يحتلها البحر عند العرب، إلا أن هذا الموضوع لم ينل حظاً وافياً من الدرس والتحليل، والعنايّة به لم تكن بالقدر الذي يكشف عن تلك المنزلة الكبيرة التي اتسمت بها علاقة العرب بالبحر، فهناك الكثير من الجوانب المهمة لم تُسلط عليها الأضواء، ولم تحظ باهتمام كبير من قبل الدارسين، وقد ظل هذا الموضوع مُغيباً، وبعيداً عن التناول لفترة طويلة، ويجيء كتاب المؤرخ الجزائري الراحل الدكتور (مولاي بلحميسي) الموسوم ب:«البحر والعرب في التاريخ والأدب»، ليقدم لنا دراسة جادة، ينفض من خلالها الغبار عن علاقة العرب بالبحر عبر التاريخ، ويبرز لنا تجسيده في مآثرهم الأدبيّة . فالهدف الرئيس الذي يهدف إليه الكتاب-كما جاء في مقدمتهو الرد على مزاعم البعض الذين رأوا أن العرب مشارقة ومغاربة يشمئزون من هذا المتسع حتى نفروا التعامل معه وهابوه، ولا يركبونه إلا مُكرهين، وقد أرخ الدكتور (مولاي بلحميسي) في هذا الكتاب للأحداث المهمة التي عرفتها البحريّة العربيّة منذ الفتح الإسلامي إلى غايّة سقوط الأندلس سنة: (1492م)، وما يتميز به المؤلف هو أنه يؤرخ، ويضع بعض التحاليل الثاقبة، وذلك بطريقة سرديّة حكائيّة، وكأنه يكتب لنا قصة تاريخيّة، وهذا ما أضفى على الكتاب ميزة خاصة، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسة، جاءت متسلسلة تسلسلاً منطقياً، ومرتبطة مع بعضها، من حيث التكامل المعرفي، والتدرج المنهجي، فالمحور الأول خصصه للحديث عن مكانة البحر في الثقافة العربيّة والإسلاميّة، كما عرض بإسهاب للكثير من الشّهادات والكتابات التي دونها المؤرخون والرحالة، والتجار، بالإضافة إلى ما جادت به قرائح الشّعراء، ومن خلال المحور الثاني ألقى المؤلف الضوء على الفتوحات البحريّة الإسلاميّة، وتعرض لصناعة وبناء السّفن المقاتلة، وتدريب البحارة، وتكوينهم بغرض توسعة الانتشار الإسلامي، وقد دعم الدكتور (مولاي بلحميسي) هذا القسم بالكثير من الأحاديث النبويّة الشّريفة التي تحث على ركوب البحر، وعُنون المحور الأخير من الكتاب ب:«بدايّة النهايّة »، ومن خلال هذا الجزء، تعرض المؤلف للحملات الصليبيّة التي سعت بشكل رئيس للاستيلاء على الممالك الإسلاميّة، وتشتيتها، وألقى الضوء على الهجمات الشّرسة التي تعرضت لها البحريّة الإسلاميّة، ولم يكتف المؤلف بالتأريخ للوقائع، بل إنه يقدم للقارئ جملة من التحاليل، والرؤى، والأفكار المعمقة عن الأسباب التي أدت إلى تراجع البحريّة الإسلاميّة، وانطفاء شعلتها، وسيطرة الصليبيين وتأخر المسلمين، على الرغم من كثير من المحاولات التي سعت إلى استرجاع الأيام المشرقة للبحريّة الإسلاميّة.

إن كتاب: «البحر والعرب في التاريخ والأدب» للدكتور (مولاي بلحميسي) يمكن أن ندرجه ضمن واحد من الدراسات المهمة التي أرخت لعلاقة العرب بالبحر، وتتبعت تحولات البحريّة الإسلاميّة، منذ توطد هذه العلاقة، إلى غايّة سقوط الأندلس، وتراجع مكانة البحريّة الإسلاميّة، وقد أرخ المؤلف لهذه الحقبة الواسعة بطريقة سرديّة حكائيّة، مما أضفى على الكتاب ميزة خاصة، بالإضافة إلى أن الباحث يُقدم عدة تحليلات ثاقبة.

ومن بين مؤلفات الدكتور (مولاي بلحميسي) المتميزة: «تاريخ مازونة»، و«مدينة الجزائر من خلال مياهها من القرن السّادس إلى القرن التاسع»، و«غزوات عروج وخير الدين-تحقيق-».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- د. مولاي بلحميسي:الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، منشورات الشّركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- د. مولاي بحميسي: البحر والعرب في التاريخ والأدب، منشورات الوكالة الوطنيّة للنشر والإشهار، الجزائر، 2005م.
- د. مسعود كواتي:شخصيات جزائريّة مواقف وآثار ونصوص، منشورات دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

مولاي بن شريف
(1300هـ - 1883م/1378هـ - 1959م)

الشّيخ مولاي بن المكي بن أحمد بن عبد القادر بن شريف. ولد سنة 1883 بمدينة فرندة من ولايّة تيارت. وكانت وفاته في مدينة سيدي علي بولايّة مستغانم ولذلك ينسب كذلك إلى مستغانم. نشأ وسط عائلة كان يعرف عنها أنها تقود المعارضة للحكم في العهد التركي، لأنها كانت من أتباع الطريقة الدرقاويّة التي كثيرا ما انتفض أتباعها في فترة الحكم التركي ضدّ بايات الغرب. كان والده المكي بن أحمد بن عبد القادر من بين من نظموا الأفواج الأولى المناهضة للاحتلال الفرنسي في منطقة حجاج، فاعتقلته القوات الفرنسيّة سنة 1873 وأودعته سجن معسكر ثم أطلقت سراحه وفرضت عليه البقاء ضمن الإقامة الجبريّة. تشير بعض المصادر إلى أن والده كان رفيق الشّيخ سيدي لزرق أحد أقطاب الطريقة الدرقاويّة بمنطقة غليزان والذي قاد انتفاضة 1864 التي انتشرت في تُلول منداس وحوض مينا وسهل الشّلف ومنطقة غليزان، وتوفي الشّيخ لزرق في تلك الانتفاضة.

أما جده مولاي أحمد بن عبد القادر الذي تتلمذ على يدّ الحاج محي الدين والد الأمير عبد القادر، فكان من بين الذين أسهموا في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي خلال سنتيْ 1839 و1840 وتم اعتقاله ونفيه إلى فرنسا حيث سجن هناك مدة ثلاث سنوات. ولما أطلق سراحه رجع إلى الجزائر، وكان محل وشايّة من أحد أعوان فرنسا فتم اعتقاله والتمثيل بجثته ليكون عبرة لغيره.

وهكذا نشأ الشّيخ مولاي بن شريف وسط بيئة عائليّة تتبنى مواقف معارضة من الحكام في العهد التركي وقاومت الاحتلال الفرنسي، وتنتهج التصوف وفق الطريقة الدرقاويّة فأكسبه ذلك نهجاً استقرّ عليه طوال حياته. وتتلمذ على يد المربي الحاج مولاي العربي من علماء مدينة فاس بالمغرب. وخلال دراسته بفاس تمكن من تعميق معارفه بالعلوم الشّرعيّة كما أقام علاقات مع شيوخ الطريقة الدرقاويّة الذين رعوْه وقدموا له يد الدعم والمساعدة. ثم عاد إلى الجزائر ومنها انتقل إلى القاهرة سنة 1908، كمعظم طلاب العلم في عصره، وانتظم في الدراسة بالجامع الأزهر حيث تزود منه بمعارف عصره ورسخ قدمه في علوم الدين. وبعدما أنه دراسته، استقر بمصر حوالي خمسة عشر عاما، تعرف خلالها على العديد من الجزائريين الذين كانوا يدرسون بالقاهرة ومن بينهم الشّيخ العربي التبسي الذي التقاه سنة 1922. وكانت تلك العلاقة التي جمعت بين الرجليْن سبباً في دعوة الشّيخ مولاي بن شريف لحضور الاجتماع التأسيسي لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931. كانت الجمعيّة تضم في وقتها الجيل الجديد من علماء الجزائر المتشبع بثقافة العصر والمرتبط بقضايا شعبه، ولذلك رفعت شعار الإصلاح. وكان تأسيس الجمعيّة في حقيقته ردّاً مباشرا على إحياء الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة للذكرى المئويّة لاحتلال الجزائر، أو ما تسميه فرنسا في التاريخ السّياسي بـ»لسانتنير" أي المئويّة.

عند عودته من مصر إلى الجزائر استقر الشّيخ مولاي بن شريف بمدينة غليزان لمدة سنتيْن، ثم غادرها سنة 1924 متوجها إلى المغرب في زيارة قصيرة، وكان من بين من التقى بهم خلال تلك الزيارة المناضل المغربي المعروف الشّيخ عبد الكريم الخطابي. كما زار المقر الرئيسي للطريقة الدرقاويّة حيث نال التزكيّة من شيوخها في ذلك العهد.

وعند رجوعه من المغرب توجه إلى مدينة سيدي علي بولايّة مستغانم حيث استقر بصورة دائمة وابتنى بها سنة 1927 زاويّة بمساعدة سكانها وانقطع للتدريس. وصارت تلك الزاويّة في عهده، على غرار العديد من الزوايا الجزائريّة، منبرا للعلم والوعظ والإرشاد، ومكانا لتخرج آلاف الطلبة من حاملي القرآن الكريم ومختلف المعارف التي تقدم في ذلك الوقت للطلاب.

عرف عن الطريقة الدرقاويّة التي انتسبت إليها عائلة الشّيخ مولاي بن شريف وكانوا أقطابا فيها، أنها تأسست بالمغرب على يد العربي الدرقاوي الملقب لدى أتباعه بقطب الدائرة، وتوفي سنة 1239 هـ الموافق لـ 1823 م. وتنسب الطريقة إلى أحد أسلافه أبي عبد الله محمّد بن يوسف المكنّى بأبي درقة، والدرقة هي الدرع الذي يحتمي به الفارس زمن الحرب. وتعتبر الدرقاويّة فرعا من فروع الطريقة الشّاذليّة بوصفها الطريقة الأم، والتي أسسها أبي الحسن الشّاذلي في المغرب. انتشرت الطريقة الدرقاويّة فيما بعد إلى الغرب الجزائري حيث أصبحت من الطرق الصوفيّة الأساسيّة فيه. وتفرعت عنها طرق أخرى هي الهبريّة والعلويّة والبوعبدليّة والبوداليّة والمَدنيّة. ويبدو أن انتشار الطريقة الدرقاويّة في غرب الجزائر يعود إلى اعتمادها على الريف لكسب أنصار لها وسط العامة. ويرى أتباعها أن سر انتشارها يعود إلى أنها جددت الطريقة الشّاذليّة، عبر التشدد في التقشف والابتعاد عن الأمور الدنيويّة، لكن قيادتها بصورة دائمة لانتفاضات شعبيّة ضد الحكم يجعلها تنغمس في الحياة الدنيويّة بصورة فاعلة. وكانت أكبر انتفاضتيْن شعبيتيْن شهدتهما الجزائر خلال القرن التاسع عشر، أثناء الحكم التركي، قادتهما الطريقة الدرقاويّة إحداهما في الناحيّة الغربيّة قادها عبد القادر بن الشّريف الدرقاوي والثانيّة في الشّرق قادها محمّد بن عبد الله الملقب بابن الأحرش.

ولما تأسست جمعيّة العلماء الجزائريين سنة 1931، انتسب إليها الشّيخ مولاي شريف وعين عضوا في الهيئة الاستشاريّة لها، مما دفعه للتردد على العاصمة، وهو ما تسبب له في مضايقات من الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة ووضعه تحت مراقبة أجهزتها، وقامت بتهديده بدفعه إلى العيش في المنفى ببشار بعيدا عن زاويته. إلا أن هناك من يرى أن الشّيخ مولاي بن شريف لم ينل حظه كاملا في جمعيّة العلماء، لأن الهيئة الاستشاريّة أو هيئة المستشارين التي عُيّن فيها كان لها دور رمزي في هياكل الجمعيّة. لكن الظاهر أن المضايقات الاستعماريّة للشيخ مولاي بن شريف أفقدته القدرة على المساهمة

الفاعلة في نشاط جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين. كما أن المجال الصوفي هو الذي كرس له الشّيخ معظم حياته، وهذا ما أثر على الأرجح، على تعاطيه مع نشاطات جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين. وفي كل الأحوال يظل الشّيخ مولاي بن شريف رمزا من رموز العلم والإصلاح في الجزائر.

شهد الشّيخ مولاي بن شريف مرحلة الثورة التحريريّة في أواخر حياته، وقد تقدمت به السّن، وتعرف على بعض قادتها بمنطقة الغرب الجزائري كالشّهيد بن عبد المالك رمضان. وتوفي بمدينة سيدي علي بعد مرض ألم به وذلك يوم 24 فبراير 1959. وتم تخليد ذكراه بتسميّة بعض المؤسسات التعليميّة على اسمه اعترافا من الجزائر المستقلة برجالها الذين أثروا حياتها الدينيّة والثقافيّة خلال العهد الاستعماري فحفظوا الموروث الثقافي والديني للمجتمع الجزائري من الاندثار.

عامر بغدادي

المصـــادر

- ثورات رجال الزوايا والطرقيّة في الجزائر. محمّد مكحلي. دار آفاق كوم للنشر.
- من تاريخ الطريقة الشّاذليّة. محمّد مفلاح. دار القدس العربي.
- مولاي بن شريف، فرصة الجمعيّة الضائعة. محمّد بغداد. جريدة الحوار.

مولاي عبد القادر بن مولاي المهدي بن خويا
(1342هـ - 1924م/1419هـ - 1999م)

ترجع الخزانة لصاحبها المرحوم جدنا من أبينا المستمد أوراده من طريقة الشّيخ سيد أحمد بن موسى المالكي الأشعري الفقيه سيدي مولاي عبد القادر بن خويا المُلقّب بـ (سيدي خويا)، المولود خلال سنة 1924م بقصر أولاد أوشن أدرار، من والده المرحوم الفقيه مولاي المهدي بن مولاي عبد الرّحمن، ووالدته المرحومة السّيدة مبروكة باعلي؛ حيث يعدّ الابن الثالث من ستة أبناء، هم: مولاي محمّد، ومولاي عبد الرّحمن، ومولاي عبد العالي، ومولاي البركة، ومولاي امحمّد، هو من أحفاد الولي الصالح الإدريسي سيدي مولاي سليمان بن علي دفين قصر أولاد أوشن الذي يرجع نسبه إلى سيدنا رسول الله ﷺ.

لقد تمكن من حفظ القرآن الكريم كاملا وعمره لا يتجاوز 11 سنة على يدّ والده المرحوم مولاي المهدي، ثمّ انتقل بعد ذلك رفقة ابن عمه المرحوم مولاي الشّريف عزيزي لمواصلة دراسته وهو في عمر 17 سنة إلى المدرسة الدّينيّة بتمنطيط على يدّ المرحوم الشّيخ سيدي أحمد ديدي، طيب الله ثراه، إلى أن تخرّج منها بعد أربع سنوات (4) تقريبا ليساعد والده في مهنة تعليم القرآن الكريم بقصر أولاد أوشن، وظلّ على هذا المنوال إلى غايّة وفاة والده، ليحمل مشعل الإشراف الشّخصي على تعليم التّلاميذ القرآن الكريم وقضايا الفقه، وقد تخرج على يديه العديد من الطلبة هم الآن في مناصب ووظائف مختلفة.

وبينما هو منشغل بمساعدة والده في التدريس، كان يتردّد على الشّيخ سيدي محمّد بلكبير في أربعينيات القرن الماضي ليزاول دراسته في أمور فقهيّة ولغويّة، بل كانت له ما يسمى عندنا بالوقفة؛ وذلك في البلاغة العربيّة، وشرح رسالة أبي زيد القيرواني، وشرح صحيح البخاري، حيث كان يأخذ اللوح للقراءة عند الشّيخ سيدي محمّد بلكبير سالكا طريق قصر أولاد أونقال صباحا بعد الفجر مباشرة، ليعود وقت الضّحى إلى مساعدة والده عبر الطّريق نفسه، فهو يُعد من الطّلبة الأوائل الذين تتلمذوا على يد الشّيخ سيدي محمّد بلكبير، بل كان يكلفه الشّيخ سيدي محمّد بلكبير شخصياً بخلافته في إمامة المصلين عند ذهابه لقصر لغمارة ببودة، أو لذهابه لقضاء حاجة ما خارج المدرسة القرآنيّة، ولمّا رأى فيه الشّيخ ما رأى اتصل بوالده شخصيا طالبا إيّاه منحه ابنه ليعينه على التدريس بالمدرسة، إلاّ أن والده رفض الطلب بنيّة تولي الابن مسؤوليّة التعليم بالقصر خلفاً له.

ومما يُعرف عن المدرسة القرآنيّة التي كانت بإشراف والده، التي تعدّ أوّل مدرسة أساسيّة بقصر أولاد أوشن، أنها تتبع منهجا يعرف ما يسمى بالتّعليم الإقامي؛ حيث يوجد بها بعض الطّلبة المقيمين كانوا مستفيدين من الإعاشة والإقامة، إضافة إلى الطّلبة الخارجيين حسب المعتاد، وهي مدرسة قرآنيّة مشهود لها بإقليم تيمي بالتميّز؛ فكان الأولياء من داخل قصر أولاد أوشن وخارجه يعمدون إلى توجيه أبنائهم للمدرسة للاستفادة من منهج التّعليم الذي كان سائدا آنذاك في حفظ القرآن الكريم والمتون، وقراءة الأذكار والأدعيّة، ناهيك عن تعليم القضايا الفقهيّة، فتخرّج منها العديد من التّلاميذ منهم على سبيل الذكر لا الحصر: الحاج عبد الرّحمن بقادير بقصر أولاد بوحفص، والمسمى (بوجمعة) من قصر مكيد؛ وهما من المقيمين بالمدرسة، إضافة إلى وجود الطلبة الخارجيين من داخل القصر، ومن خارجه مثل طلبة قصر أولاد علي.

وبعد عودة المرحوم مولاي عبد القادر من تمنطيط، وبينما هو منشغل بمساعدة والده بأمور التّدريس أخذ على عاتقه تعليم الكبار في إطار ما يُعرف عندنا اليوم بـ (محو الأميّة) حيث كان يشرف على تعليم الكبار في بيت والده ليلاً، وأنه من الذين تتلمذوا على يديه في هذا الإطار نجد: الحاج فاتح بوجمعة، وبيقة حمادي، وموساوي محمّد، ولالو الحاج محمّد، والرّحوي.

وبعد وفاة والده خلال 1961 أخذ على عاتقه الإشراف على المدرسة ومواصلة

تدريس التّلاميذ الذين كانوا تحت وصايّة والده، ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر أبناؤه، إضافة إلى أخيه مولاي عبد العالي وأبناء أخيه وغيرهم؛ فكان يحزن عند انقطاع التلاميذ النّجباء وغيابهم عن المدرسة، بل كان يتنقل إلى عائلاتهم للسّؤال عنهم، وذلك دأبه دائما مع تلامذته النّجباء، وكان منضبطا في عمله، ولا يتغيب عن التّدريس إلاّ للضرورة القصوى، بل كان يُكلّف أخاه مولاي عبد العالي بأنّ ينوب عنه في تدريس التلاميذ وتسيّير شؤون المسجد في حالة خروجه الاضطراري لقضاء غرض ما، وهي شهادة أُؤكدها شخصيا من خلال ما رأيته في فترة تتلمذي على يديه خلال الفترة الممتدة من 1986 إلى غايّة 1998.

وأثناء فترة الاستقلال وبعدها زاد التحاق طلبة جدّد بالمدرسة، التي كان لها نظام تعليمي منضبطا؛ حيث يلّتحق التّلاميذ المعنيون بالمدارس التّعليميّة بالمدرسة القرآنيّة وقت الفجر، كما أنه يلتحق التّلاميذ غير المعنيين بالمدارس التّعليميّة بالمدرسة وقت الضحى، على أن يلتحقوا جميعا بالمدرسة القرآنيّة مساءً وليلاً وفق منهج تعليمي رسمته المدرسة لتعليم التّلاميذ القائم على حفظ القرآن الكريم، وقراءة البردة والهمزيّة، والأدعيّة والأذكار، وتعلم القضايا الفقهيّة المستمدة من خلال شرح متن ابن عاشر مثلاً.

كان نظامه في استقبال التّلميذ الوافد الجديد بالمدرسة بأن يجلسه على جهته اليمنى، ثم يكتب له في كفه الأيمن بعد مسحها (بسم الله وبالله التوفيق، يا رب علّمني وزدني فهماً وعقلاً)، ويطلب منه في الأخير أنّ يلّعقها كاملة، فكان يكتب للتلميذ بقلم الرّصاص (الرّشم) على اللوح، ليعيد عليها التّلميذ الكتابة، وبذلك يتعلم الكتابة شيئا فشيئا إلى أنّ يصلّ إلى مرحلة الاتكال على نفسه في رسم وكتابة آي القرآن الكريم كتابة سليمة خاليّة من الأخطاء، سهلة القراءة.

وأما بخصوص تحويل تلميذ من مدرسة أخرى إلى مدرسته فكان المرحوم يحافظ على استمراريّة التلميذ في السّورة التي توقف عندها في مدرسته السّابقة، باعتبارها مكتسبا سابقا تم تحقيقه في مرحلته التعليميّة يضاف إلى رصيده اللاحق.

وبعد مدّة من التّدريس المجاني، تدخلت وزارة الأوقاف، وأخذت على عاتقها التكفل بمنحه منحة شهريّة قدرها 100 دج خلال السّتينيات من القرن الماضي، وظل على هذه الحال إلى أن ذاع للمدرسة صيتها، وازداد توافد التلاميذ عليها. وهو ما قام به الشّيخ سيدي محمّد بلكبير أثناء فترة ترميم مدرسته بإرسال بعض التلاميذ إليه ليتولى تدريسهم ومتابعتهم بالمدرسة بقصر أولاد أوشن، ومنهم على سبيل الذكر الحاج سالم زوبيري، ومولاي علي باعتو، وبقي يزاول مهنة التّدريس بالمدرسة إلى غايّة 1978، حيث تخلى عن التّدريس بها نظير مشاكل اجتماعيّة اعترضته بقصر أولاد أوشن، مما اضطر للانتقال مباشرة إلى فتح مدرسة قرآنيّة بمقر سكناه لمواصلة تدريس التّلاميذ، وبقي على هذه الحال إلى غايّة 1979؛ أي مدّة سنة تقريبا.

ونظير صيته الذي ذاع بالقصر وفي القصور المجاورة، طلب منه المرحوم محجوبي الحاج محمّد (الممرض) تولي الإشراف على مسجد سيدي أحمد بن يوسف بقصر أولاد أونقال، إلاّ أن المرحوم مولاي عبد القادر قبل رده اتصل بالشّيخ سيدي محمّد بلكبير لاستشارته والأخذ برأيه، إلاّ أن الشّيخ رد عليه بقبول الطلب، بل إنه سيتولى شخصيا منحه مبلغا ماليا زيادة على ما سيقدمه له الحاج محمّد محجوبي.

وبعدما أقام بتعديل على تاريخ ميلاده بحكم قضائي سنة 1979، تم تعيينه رسمياً في السّلك الديني سنة 1980 كإمام بمسجد سيدي أحمد بن يوسف، الذي مكث فيه مدة زاوج فيها بين الإمامة وتدريس القرآن الكريم إلى غايّة 1983، وكان يشرف على تدريس الذكور والإناث بأولاد أونقال، ومنهم: أبناء عائلة محجوبي، وغيرهم من أبناء العائلات المجاورة للمسجد؛ حيث كان منهجه بالمدرسة قائماً على تحفيظ القرآن الكريم، والمواظبة على الحزب الراتب، والأدعيّة والأذكار، وإمامة المصلين، وقراءة وحفظ المتون؛ حيث كان مدرساً بقصر أولاد أوشن، ومعلماً وإماماً بقصر أولاد أونقال.

وبعدما أصابه العجز وصعوبة التنقل إلى قصر أولاد أونقال، طلب من النّاظر الشّيخ سالم بن إبراهيم تعيينه بالمسجد الكائن بشارع عبد القادر بن سليمان، على الرغم من إصرار الشّيخ سالم بن إبراهيم بعدم موافقته نظراً لعدم جاهزيّة وقابليّة المسجد للتدريس بوجوده في حالة غير لائقة، بل أجابه إن هذه المسجد في حالة يرثى لها ولا يليق بمقامك، بل سيتم تعيينك بمسجد الشّيخ مولاي سليمان بن علي بالقصر، ولك حريّة البقاء في أيّ مسجد تشاء، إلاّ أنه رفض وأصرّ على التدريس فيه، وبقي فيه مدّة ليست بالقليلة، إلى أن تدخل جيران المسجد ومدوا يدّ المساعدة لإعادة بنائه من جديد، وازداد توافد التلاميذ عليه، وبقي فيه مدرساً وإماماً إلى غايّة وفاته، فخلفه بعده في التدريس ابنه مولاي رشيد، الذي استعان وللحاجة المُلحة بعمه مولاي عبد العالي الذي كان مدرساً وإماماً بقصر أولاد أوشن، واستمر معه إلى غايّة تقاعده سنة 2012، إلى أن بقي المسجد حاليا تحت مسؤوليّة الحاج عبد القادر محجوبي مدرساً، وبقيت الإمامة تحت مظلة المتطوعين إلى غايّة يومنا هذا.

تزوج المرحوم مولاي عبد القادر من زوجتين اثنتين من أبناء عمومته؛ الأولى المرحومة لالة مريم بهوطي بنت سيدي المحفوظ، والثّانيّة لالة فاطمة الزهراء بهوطي بنت سيدي عبد الحق، حيث خلّف من الأولى ثلاثة ذكور وبنتين؛ مولاي محمّد؛ وهو والدنا، ومولاي المهدي، ومولاي رشيد، ولالة عائشة، ولالة شريفة، ومن الثّانيّة مولاي يوسف، ومولاي خليل، ومولاي محفوظ؛ أطال الله عمرهم جميعاً وأمدهم بالصحة والعافيّة.

إن الفقيه المرحوم مولاي عبد القادر هو من أعيان البلدة (القصر) آنذاك، كان حاضرا في كلّ صغيرة وكبيرة؛ فهو إلى جانب مهمة التدريس باشر الإشراف على توثيق عقود البيع والشّراء والقروض، دون أن نغفل تكليفه من طرف أهالي القصر

بإبرام عقود الزواج، وهذا راجع للمكانة الاجتماعيّة والعلميّة التي كان يتصف بهما، وكان شديد الحرص على التّنقل بين بساتينه بالقصر وبمساعدة تلامذته على متابعة ماله صلة بالحرث والزّرع، إضافة إلى ذلك كله، مباشرته العمل مع ابن عمه المرحوم مولاي الشّريف عزيزي بإعداد السّجلات الخاصة بالفقاقير، والإشراف الشّخصي فيما يخص الكيل لمياه الفقارات، والزمامات وغيرها، وهذا في ما يخص الجانب الاجتماعي. (وأما الجانب الفقهي للمرحوم فكان يخاف من إفتاء المستفتي من عامة النّاس، إلاّ في مسائل الطهارة والصلاة، بل كان ينصح المستفتي بالتوجه مباشرة إلى الشّيخ سيدي محمّد بلكبير. أو الحاج سالم بن إبراهيم أو الحاج عبد الكريم مخلوفي. لطلب الفتوى. وكان يُشرف على قراءة افتتاح وختم السّلكة على روح الولي الصّالح سيدي مولاي سليمان بن علي فترة الزيارة السّنويّة للولي، لما يُعرف عنه بالحافظ لكتاب الله عن ظهر قلب حفظاً كاملاً، مع تكليف تلميذه السّيد زوبيري الحاج سالم بخلافته في الإشراف على السّلكة عند خروجه الاضطراري لقضاء حاجة ما، وهذا نظير معرفته له بتمكنه من حفظ القرآن الكريم، كيف لا وقد أخذه شخصيا لمواصلة دراسته على يد الشّيخ سيدي محمّد بلكبير، فما كان له إلاّ أن يطيعه في هذا الأمر.

كان محباً لزيارة المشايخ وأحبابه، وكان كثير السّؤال والاطمئنان على حالهم، حيث كان يزور الشّيخ سيدي محمّد بلكبير كل يوم خميس وقت الضحى، وكذا زيارته للشيخ الحاج سالم بن إبراهيم أطال الله عمره ومتعه بموفور الصّحة والعافيّة، إضافة إلى بعض المشايخ والعلماء.

لم يشغله الجانب التّعليمي عن النّضال السّياسي، فهو إلى جانب مساعدة والده في التّدريس كان له نشاط سياسي وقت الثّورة يهتم بجمع التّبرعات لمساعدة ودعم المجاهدين، وبمساعدة ابن خاله الحاج مبروك باعلي، إلى أن استمر على هذه الحال إلى غايّة وفاة والده سنة 1961، وعند بزوغ شمس الاستقلال انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني ليصبح مناضلاً رسمياً في صفوفه منذ ذلك الحين إلى غايّة وفاته، بل قام عند الاستقلال بالتحديد بإعداد لباس خاص ليسنه في ذلك اليوم لتلامذته؛ وهو سروال أبيض وقميص أحمر، وقبعة خضراء وبيضاء، بها نجمة وهلال أحمر، وكأنه على صورة علم وطني يمشي على الأرض، وتلامذته ينشدون جميعاً (جزائرنا يا بلاد الجدود...) وأصبحوا يرددونه طوال ذلك اليوم، مما يوحي أن الرجل كان مناضلا ووطنيا.

زار المرحوم البقاع المقدسة، لمرتين الأولى لأداء العمرة سنة 1987، والثانيّة لأدائه فريضة الحج سنة 1989 براً؛ ومما يعرف عنه في زيارته للبقاع المقدسة؛ عمرة وحجاً، أنه أنفق كل ماله في شراء الكتب الدينيّة، وهو ما يعكس حقيقة اطلاعه الواسع، مما زاده -بلا شكثقافة دينيّة فقهيّة واسعة.

توفي يوم الأحد 18 جويليّة 1999م بمسقط رأسه بقصر أولاد أوشن، وهو على سجادته أثناء تهيئه لأداء صلاة العصر، وصلى عليه ابن عمه ورفيق دربه في الدراسة بتمنطيط المرحوم مولاي الشّريف عزيزي، ودُفن في يومه ليلاً بمقبرة أولاد أوشن.

إدريس بن خويا

المصادر:

- ابن عبد الله أحمد بن محمّد التلمساني المقري، 1349هـ، زهرة الأخبار في تعريف أنساب آل بيت النّبي المختار، فاس، المغرب، المطبعة الجديدة، ط1،
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، 1421هـ، صحيح مسلم، المملكة العربيّة السّعوديّة، دار السّلام للنشر والتوزيع، ط2.

مولاي مرباح
(1331هـ - 1913م/1417هـ - 1997م)

ولد مولاي مرباح في 23 أوت من سنة 1913 بدوار سرغين بقصر الشّلالة من ولايّة تيارت والتي كانت تعرف باسم ريبال في العهد الاستعماري. وبعد أن أخذ قسطا وافيا من التعليم، التحق في بدايات حياته بسلك العدالة حيث عمل كـ (وكيل) ومحامي للدفاع عن قضايا المسلمين، وهم الجزائريون حسب القوانين الاستعماريّة الفرنسيّة في تلك الفترة. انخرط مبكراً، كمعظم أبناء جيله، في النشاط السّياسي الذي كانت تخوضه الحركة الوطنيّة وانتسب لحزب الشّعب الجزائري. وفي سنة 1944 تم تكليفه من طرف الحزب بمهام نائب رئيس الفرع المحلي للحزب بمدينة تيسمسيلت.

ونظرا لنشاطه السّياسي تمّ اعتقاله في نوفمبر 1944. وفي سنة 1945 تم إبعاده عن مسقط رأسه ووضع تحت الإقامة الجبريّة بمنطقة وهران بعد أحداث 18 أبريل 1945 بقصر الشّلالة. وتم ذلك ساريا عليه حتى إعلان عفو عام في صيف 1946. ووقعت أحداث قصر الشّلالة إثر انعقاد مؤتمر حركة أحباب البيان والحريّة يومي 2 و3 مارس 1945، والذي سعى سعد دحلب وهو من قصر الشّلالة إلى تبليغ قراراته إلى المناضلين وعامة السّكان بالبلدة، وهو أمر منعته السّلطات الاستعماريّة. فانفجر الوضع في 18 أبريل 1945، حيث أفلتت الأمور من أيدي الإدارة الفرنسيّة المحليّة بعد أن استولى السّكان على زمام الأمور واحتلوا الميدان.

وتعود تلك الأحداث إلى القوة الفعليّة التي أصبحت تمتلكها حركة أحباب البيان والحريّة والتي سيطر حزب الشّعب على

قواعدها وأصبح عبرها يمرر بياناته ويعلن عن مواقفه. وكانت الحركة تضم حوالي نصف مليون منخرط موزعين عبر كافة التراب الوطني. كانت حركة «أحباب البيان والحريّة» قد ظهرت إلى الوجود كتجمع للقوى الوطنيّة وضمت في صفوفها حزب الشّعب وجماعة فرحات عباس وجمعيّة العلماء والنواب، وذلك في شهر أبريل 1944، على إثر إصدار ذلك «البيان» الموجه إلى الشّعب الجزائري والذي تحمل الحركة اسمه.

في شهر نوفمبر 1946 تم الإعلان رسميا عن ميلاد الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطيّة كغطاء سياسي لحزب الشّعب الجزائري الذي كان بموجب القانون الفرنسي قد تم حلّه منذ 1939، نظراً لأن الإدارة الاستعماريّة كانت ترفض القائمة المقدمة باسم حزب الشّعب باعتبارها قائمة غير قانونيّة. وبصفته عضوا نشطًا في الحركة، شارك مولاي مرباح في انتخابات المجلس الجزائري التي جرت في شهر أبريل 1948 كممثل للحركة إلا أنه تم إقصاؤه عبر عمليات التزوير التي طالت تلك الانتخابات. وفي 22 أبريل من نفس السّنة، تم الحكم عليه بعام حبسا بمدينة معسكر مع غرامة ماليّة وذلك بتهمة الدعايّة المضادة لفرنسا، إلا أن الحكم لم يتم تنفيذه. وفي 15 ديسمبر 1948 تم توقيفه بصورة نهائيّة عن ممارسة مهامه كوكيل ومحام.

في شهر مايو 1951، تم انتخاب مولاي مرباح عضوا في اللجنة المركزيّة لحركة الانتصارات من أجل الحريات الديمقراطيّة، وظل في منصبه هذا في الدورات اللاحقة. وفي 17 جوان سنة 1951 تم تزكيته من طرف الحركة للمشاركة في الانتخابات النيابيّة التي جرت في تلك السّنة، لكنه لم يفز بمقعده. وفي 28 مارس 1953 تم الحكم عليه بأربعة أشهر سجنا نافذا وغرامة ماليّة من طرف المحكمة الابتدائيّة بالعاصمة بتهمة المس بالأمن الخارجي للدولة، إثر صدور بيانات لها علاقة بحقوق الانسان في صحيفة (الجزائر الحرة) الناطقة بالفرنسيّة.

بيانا باسمه أمام المؤتمرين، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الناطق باسم الجناح الذي يناصر مصالح الحاج في حركة الانتصار، بعد إن انشقت قيادة الحركة إلى مركزيين ومصاليين أي مناصري مصالي الحاج. وقد ظهر المناصرون لخط مصالي الحاج كأقليّة بالرغم من إعادة انتخابه، وهو غائب، رئيسا للحزب.

في جو تلك الانقسامات التي كانت تنخر جسد حزب الشّعب ـ حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطيّة، قبيل اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، قام مولاي مرباح تحت قيادة مصالي الحاج وبالتنسيق مع عبد الله فيلالي، بتنظيم ما عرف حينها بالندوة الاتحاديّة في 27 ديسمبر 1953 لتوضيح مواقف جناح المصاليين من تلك الخلافات.

وكنتيجة لتلك الانقسامات، قدم استقالته من منصبه في اللجنة المركزيّة بحركة الانتصار في 27 فبراير 1954 ليصبح المنسق المؤقت لجناح المصاليين في مواجهة جناح المركزيين في الحركة. وفي ظل هذه الظروف المتأزمة، دعا مصالي الحاج لانعقاد مؤتمر في بلجيكا بمدينة هورنو والذي انتخب فيه مرباح عضوا في مكتبه السّياسي. وقد كرس ذلك المؤتمر الانشقاق الحاصل في حزب الشّعب ـ حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطيّة. ورداً على مؤتمر هورنو، عقدت اللجنة المركزيّة للحركة مؤتمرا في شهر أوت 1954، قرر خلاله المجتمعون إسقاط عضويّة كل من مصالي الحاج وأحمد مزغنة ومولاي مرباح من الحركة.

في الواقع كانت تلك الخلافات العقيمة قد تجاوزها الزمن لأن قادة ثورة أول نوفمبر 1954 كانوا قد وضعوا أسس الثورة في 24 جوان 1954 في اجتماع لجنة الـ 22 بحي المدنيّة. لقد عكست تلك التطورات، أي التصدعات السّياسيّة ومؤتمرات الانفصال، بشكل حاد عدم قدرة حزب الشّعب ـ حركة الانتصار على تصور الحل الاستراتيجي الذي فرضته تلك المرحلة من الكفاح الوطني.

في أكتوبر 1954، تم اعتقال مولاي مرباح من قبل السّلطات الفرنسيّة لنشاطاته السّياسيّة، وفي 14 جوان 1955 تم الحكم عليه بستة أشهر حبسا نافذا إلا أنه تم إطلاق سراحه في صيف ذلك العام، فغادر إلى فرنسا. وهناك أصبح ينشط ضمن «الحركة الوطنيّة الجزائريّة» التي أسسها المصاليون في أواخر سنة 1954، وصار المتحدث باسمها على الصعيد الخارجي. وبهذه الصفة، قام سنة 1957 بجولة في المشرق العربي، وفي نفس الإطار وجه مذكرة إلى منظمة الأمم المتحدة تحمل وجهة نظر «ح. و. ج» في مسعى كان الهدف منه وضع «ح. و. ج» في نفس كفة جبهة التحرير الوطني، وهو مسعى لم يكن فقط بعيداً عن أي نظرة واقعيّة ولكنه لم يكن يحمل في جوهره بعداً وطنياً لأن الجزائريين كانوا قد التفوا حول الثورة تحت رايّة جبهة التحرير الوطني/ جيش التحرير الوطني وصمموا على أن هدفهم هو تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي ولم يعد هناك مجال للمناورة خارج الاجماع الوطني.

بعد الاستقلال، عاد مولاي مرباح إلى الجزائر واشتغل بعد عودته محاميا في المديّة ثم في الشّلف حيث توفي سنة 1997.

عامر بغدادي

المصـــادر

- جذور أوّل نوفمبر 1954. بن يوسف بن خدة. الشّاطبيّة للنشر والتوزيع.
- الحركة الوطنيّة الثوريّة في الجزائر. أحمد مهساس. منشورات الذكرى 40 للثورة.

■ مولود فرعون
(1331هـ 1913م/1382هـ 1962م)

أديب جزائري، لقب الفتى الأمازيغي، وهو من شهداء الثّورة الجزائريّة، ولد في قريّة تيزي هيبل بولايّة تيزي-وزو بالجزائر يوم 18 مارس 1913 ميلادي من عائلة فقيرة اضطر فقرها أباه إلى الهجرة مرات عديدة بحثاً عن العمل، لكن هذا الفقر لم يصرف الطّفل ولا أسرته عن تعليمه، فالتّحق بالمدرسة الابتدائيّة في قريّة تاوريرت موسى المجاورة، فكان يقطع مسافة طويلة يومياً بين منزله مدرسته سعياً على قدميه في ظروف صعبة، فتحدى «مولود فرعون» ظروفه القاسيّة والمصاعب المختلفة بمثابرته واجتهاده وصراعه مع واقعه القاتم الرّازح تحت نير الاستعمّار الفرنسي، وبهذا الصّراع استطاع التّغلب على كل المثبطات والحواجز مما أهله للظفر بمنحة دراسيّة للثانوي بتيزي وزو أوّلا وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة بعد ذلك، ورغم وضعه البائس تمكن من التّخرج من مدرسة المعلمين واندفع للعمل بعد تخرجه، فاشتغل بالتّعليم حيث عاد إلى قريته تيزي هيبل التي عين فيها مدرساً سنة 1935 ميلادي في الوقت الذي بدأ يتسع فيه عالمه الفكري وأخذت القضايا الوطنيّة تشغل اهتمامه.

وكما أعطى من علمه لأطفال قريته أعطى مثيلا له في القريّة التي احتضنته تلميذا قرب مسقط رأسه بأقل من ثلاثة كيلومترات، وهي قريّة تاوريرت موسى التي التّحق بها معلما سنة 1946 في المدرسة نفسها التي استقبلته تلميذاً، وعين بعد ذلك سنة 1952 ميلادي في إطار العمل الإداري التّربوي بالأربعاء ناث ايراثن أما في سنة 1957 ميلادي فقد التّحق بالجزائر مديراً لمدرسة (نادور) (في المدنيّة حالياً) كما عين في 1960 ميلاديّة مفتشاً لمراكز اجتماعيّة كان قد أسسها أحد الفرنسيين في 1955 ميلاديّة وهي الوظيفة الأخيرة التي اشتغل فيها قبل أن يسقط برصاص الغدر والحقد الاستعمّاري في 15 مارس 1962، حيث كان في مقر عمله، مهموماً بقضايا العمل وبواقع وطنه خاصّة في المدن الكبرى في تلك الفترة الانتقاليّة حين أصبحت عصابة منظمة الجيش السّري الفرنسيّة المعروفة ب (أويس) تمارس جرائم الاختطاف والقتل ليلا ونهاراً، حيث اقتحمت مجموعة منها على «مولود فرعون» وبعض زملائه في مقر عملهم، فيسقط برصاص العصابة ويكون واحداً من ضحاياها الذين يعدون بالألوف، فتفقد الجزائر بذلك مناضلاً بفكره وقلمه.

عُرِف بمقولته:

أكتب بالفرنسيّة، وأتكلم بالفرنسيّة، لأقول للفرنسيين، أني لست فرنسياً

نشأ وسط عائلة فقيرة تمارس الفلاحة، لذلك بدأ راع للغنم قبل أن يتحصل على منحة دراسيّة في معهد تيزي وزو ليصبح عام 1935م مدرسا في مسقط رأسه تيزي هيبل ثم مدير لمدرسة عام، 1952 ثم مفتشا ابتداء من عام 1960م لمراكز التّأمين الاجتماعي بحي الأبيار. كان صديق لـ: Camus، Robles و Germaine Tillion.

قتل بوحشيّة على أيدي المنظمة السّريّة للجيش الفرنسي المناهضة لاستقلال الجزائر قرب مقر عمله بالعاصمة عام 1962، يعده النّقاد أوّل كاتب قصة بالفرنسيّة في شمال إفريقيا بلا منازع، سيّما بالفرنسيّة إلى مستوى الأدب العالمي، محطما العقبات العرقيّة، ومتجاوزا الأظغان الاجتماعيّة والنّزعات القبليّة.

عالج في نصوصه القصصيّة والرّوائيّة كبرياء وآلم المجتمع القبائلي، من خلال تشريحه لظاهرة السّلطة التي كان يمارسها المعمرون على الفلاحين الجزائريين في بلاد القبائل.

من أهم أعماله الرّوائيّة والقصصيّة:

– (ابن الفقير/ Fils du pauvre) وقد نشرت أوّلا عام 1950 ثم أعيد طبعها بدار le seuil بباريس عام 1954.



– (الأرض والدّم/ La terre et le sang) طبعها بدار le seuil، باريس 1953

– (الدّروب الصّاعدّة/ Les chemins qui montent) طبعها بدار le seuil، باريس 1957.

– قصائد الشّاعر سي محند عام 1960.

– عيد الميلاد نشر بعد وفاته عام 1972.

الدّراسات التي تناولت أعماله:

– أحمد منور/ روايّة السّيرة في الأدب الجزائري المعاصر (ابن الفقير نموذجا)، مجلّة المساءلة، العدد الأوّل، اتحاد الكتاب الجزائريين . 1991. من ص 185 إلى 193.

– سعاد محمّد خضر / الأدب الجزائري المعاصر ... من ص 184 إلى 189.

– محمّد بوشحيط/ الكتابة لحظة وعي ... ضمن فصل» قراءات انطباعيّة في الرّوايّة الجزائريّة الحديثة، من ص 75 إلى 93.

– jean dejeux / littèrature maghrèbine de langue française ;... paris 1973.

– Bonefoy Claude, Cartano Tony, .. Dictionnaire de littérature contemporaine, paris, jean pierre delange, 1977.

– Djougachvilli G. y/la valeurs artistique du roman algérien, Moscou, Inst M. Gorky de la littérature mondiale, Académie des sciences de l'URSS ;1970.

– Charles Bonn / problématiques spatiales du roman Algérien; EnaL ;Alger 1986. p19; 45; 46; 47; 48.

باديس فوغالي

المصادر:

– مولود فرعون / www. marefa. org.

– موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. . ص 232.

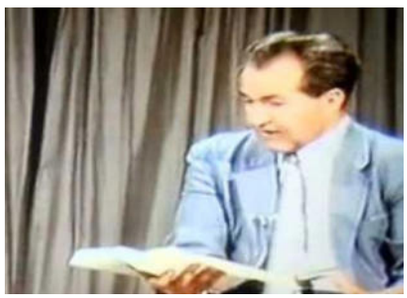
– موسوعة ميكروفيست، أونكارتا 2002.

مولود قاسم ناث بلقاسم
(1346هـ - 1927م/1413هـ - 1992م)

مولـود بن محمّد وسـعيد (قاسـم) نايت بلقاسـم/ نـاث بلقاسـم علـم مـن أعـلام الجزائـر، وعبقريّ موسـوعيّ كبيـر، ولد في 06 يناير (جانفي) 1927 في قريّـة بلعيـال، فيهـا درس القرآن الكريـم، وانتقل بعد ذلك إلـى أيت عبّاس وإلى القلعـة العلميّة المنيعة في بلديّة إيغيل أعلـي ولايّة بجايّة (الجزائر) لإكمال دراسة مختلف العلوم. ولما لم يجد الثّقافة التي حُرم منهـا في بلاده، قصد جامع الزّيتونة سرّاً وبرّاً وعلى الأقدام لأخذ العلم، وهنـاك درس مختلـف العلـوم، وانضم إلى صفوف اتّحاد الطّلبـة الجزائريين ويعود إلى قريتـه ويحاوّل بـثّ أفكار ثوريّـة ضد الوهن والشّلل الذي ألمّت به قريته نتيجة عدم

استطاعتها فعل ما تحارب به المستدمر، فيعمل من أجـل اليقظة الرّوحيّة، ويزگن، ثمّ يفرج عنه، وهناك يرى أنّ الجوّ غير مناسـب للاسـتقرّار، فيقصـد فرنسـا للدّراسـة ولـم يمكـث بهـا كثيراً نظـراً للعوائق التـي حالتّ دون مواصلتـه للدّراسـة، فيعـود ثانيّـة إلـى تونـس. ومنهـا ينتقل إلـى القاهـرة، ويدخل جامعـة فـؤاد الأوّل (القاهـرة) التـي حصـل فيها على الليسـانس في الفلسـفة سنة 1954، ويغادرهـا إلى براغ وألمانيـا، وفي المدينتين صـارع معركـة فـرض وجـود؛ حيـث كان يدرس في النّهـار، ويناضل في الليل لصالح جبهة التّحرير الوطنيّ، وأكسبه ذلك التّحكّم في اللغات: الفرنسـيّة والألمانيّة والسّـويديّة والإنگليزيّة.

لقـد امتـاز هـذا الرّجـل بمواقف مُشْـرِقة سُـجّلت لصالحـه، حيـث كان يحمل هموم الأمّـة؛ فـكان يتحمّـس كثيـراً للإسـلام والوطنيّـة وكرامـة العـرب والعالـم الثّالثّ. فهـذه الجوانـب المضيئة والخصبـة جعلت منـه مدرسـة نموذجيّة فـي الوطنيّـة والدّفاع عن الأمّة الإسـلاميّة، كان أصيلاً في مذهبه، وسـطياً فـي طروحاتـه، متفانيـاً فـي إنجـاز المهـام وخدمة القضايـا المصيريّة؛ بناء على الشّـجاعة والإقدام وقوّة ذاكرتـه التي تجعله يقيـم الحجّـة، ويدحـض الآراء المخالفـة، أضـف إلـى ذلـك صراحتـه وشـجاعته فـي



الدّفاع عـن قضايا الوطن الكبيـر. وأمام هذه الأمـور جميعهـا كان ثائـراً علـى السّـكون والرّتابة، وعلى الأمراض والعلل والمصائب والنّوائب التي ترزح تحتها الأمّة الإسـلاميّة، ومن خلال هذا يمكننا تصنيف مواقفه إلى ما يلي:

– الدّعـوة إلـى محاربـة الفشـل والوهـن والتّراخي والإنّهزام الذي لحق الأمّة العربيّة والإسلاميّة:

وهـي مـن نتائـج المسـتدمر الذي يشـلّ عقولنـا عـن التّفكير. وهنـا يلتقي مـع أفكار جمـال الدّين الأفغاني ومحمّـد عبده اللذين أعجـب بأفكارهمـا، وكان يدعـو فـي كل خطبه إلى تجسـيد الأفكار النّيّـرة التي تعفينا من التّخلّف الذي نعيشه. ويلتقي مرّة أخرى مـع (مالـك بـن نبـي) الـذي يقـول: إنّ هذه النّومة في الضّحـوة عامل من عوامل القابليّة للاسـتعمّار، ومولـد قاسـم كان يعبـر عنهـا بالمركوبيّـة والانبطاحيّة، وكان يرى أنّ النّوم في الضّحوة في أميمات ودويلات إسـلاميّة رخوة، لابدّ لها من رجّة قويّة تهزّ الأخشـاب المسندة، وتعيد للأمّة روحها الحقيقيّة. وفي هـذا المجال كان يدعو إلى صحوة إسـلاميّة جديـدة تعيـد للمسـلمين اعتبارهـم كأناس لهـم حـقّ الوجود، فـكان لا بـدّ مـن العمل المنهجـيّ الهادف على أسـس أصيلة تليدة، وهـي نفـس الأفكار التـي دعا إليهـا (محمّد بن عبـد الوهّاب) فـي الحجاز، وسياسـيون مسلمون وعرب في مختلف الأقطار العربيّة والإسـلاميّة، فـلا مداهنة للمسـتمدر إلى أن ينال كل ذي حق حقه. وكان يكره المستعمر ولا يصافـح من يصافحه، وهـو الذي يقول: لمَ الخوف من الأجنبي، مـا هو الإنگليزي؟ صـوتٌ عالٍ وشـبحٌ بـالٍ. وفـي هـذه النّقطة يرى أنّ المخرج هو أن يتسلّح المسلم بروح الغلبـة والعـزّة والحميّـة الإسـلاميّة والغيرة المليّـة والعقيدة الدّينيّة الحقّة. وإنّ المسـلم يجب أن يكون عالماً صناعيّاً ماهراً، يكسـب عيشـه بعرقـه، وذلك مـا يخرجه مـن دياجير الغفلات وظلمات الجهل.

– **التّعليم الأصليّ:**

كان مولود قاسم وزيراً للشّـؤون الدّينيّة، وفي وقته حاوّل أن يجسّـد شخصيّة الإسلام الحقيقيّـة فـي تلـك المـدارس التي أسّسـها معاهـد للتّنوير، فتحمّس لها كثيـراً وأقام لها برامـج عصريّة، تحارب كلّ أشـكال الطّرقيّة والتّخلّـف الـذي جسّـدته بعض المـزارات التـي كانت راضيّـة بمـآل الحال، وتـرى أنّ هـذا الوضع هـو وليد الأعمـال السّـيّئة التي نمارسـها فلابـدّ مـن الرّضـوخ لهـا إلـى أن يأتـي الفـرج. وهكذا حـارب العالـم الوزير تلـك الأفـكار باسـتقدامه لأفـذاذ العلمـاء، ووضـع المناهج الحديثـة والعنايّـة الخاصّة بهـا. وبتلك الجهود اسـتطاع أن يبعث روحاً جديـدة إلى أن بلغـت قمة النّجـاح وبرهنت علـى عظمة القرآن وقـدرة رجاله، حتى أتت نكسـة إدمـاج التّعليـم الأصلـيّ فـي التّعليم العـامّ، وهنـاك أصيـب بخيبـة كبيـرة. ومـع ذلك قصد جبهـة أخرى موازيّـة وهو العمل الكبير فـي ترتيب ملتقيات الفكر الإسـلاميّ السّـنويّة، فـكان يرعاهـا ويضبـط مواعيدها ويعمل على نجاحها حتى أصبحت منتديات علميّـة تجمـع علماء الإسـلام مـن مختلف الأقطـار، وقد ناقشـت مختلـف قضايا الأمّة العربيّة والإسـلاميّة، وفي نفـس الوقت كان يعمل على إصدار مجلّة الأصالة.

– **وسائل الحمايّة:**

كان يبحـث عن تلـك الوسـائل التي تقي المسـلم من كلّ غـزو أجنبي، ومـن هنا كان يدعو إلى التّفتّح على الغير، شرط الاحتفاظ بالهويّـة التي يعنـي بها الأصالـة والإنيّة؛ أي الاحتفـاظ بالمكوّنـات الخصوصيّـة التـي تجعـل المسـلم والعربيّ يمتاز عـن الأغيار.

وفي هذه النّقطة يرى إنّه من الأفضل أن نفتح نوافذنا على استقبال الثّقافات، ونفتح أجزاء من أبوابنا لكن لا نقلع السّقوف، فهي وقايات لنا من صدامات غيرنا. وفي هذه النّقطة كان يضرب المثل برجال الأمّة الإسلاميّة المتنوّرين أمثال (ابن رشد) و(ابن سينا) و(الفارابي) و(الرّازي) و(البيروني) و(ابن طفيل) ... الذين أناروا العالم برؤاهم الفكريّة، وما انسلخوا عن هُوياتهم الإسلاميّة، وما كانت لغاتهم الأمّ عائقاً في خدمة اللغة العربيّة.

- اللغة العربيّة:

لقد كان مولعاً وشغوفاً بجمال العربيّة التي كان يفضلها على اللغات الأخرى، لعدّة اعتبارات، ومن ذلك كان يوفيها حقّها في الاستعمال والبحث، وكان يسعى أن تستعيد مكانتها الحقيقيّة التي كانت لها قبل أن يزيحها المستدمر من مكانّها في البلدان العربيّة. ولذا كان يعمل على عدّة جبهات؛ فيبحث عن عمق المشكل، وجديّة الأمور، وفداحة الخطر في التّخلّف الذي تعيشه هذه اللغة، ويعيدنا إلى أنّ اللغة ليست متخلّفة بقدر ما نجد أهلها والمسلمين متخلّفين، فالدّاء في أهلها لا في اللغة التي اختارها الله لقرإنّه. ومن هنا يقول: إنّ العربيّ المسلم يجب أن ينفتح على مختلف الثّقافات التي تخدم لغته، وهذا عن طريق اكتساب اللغات والعمل بالعربيّة التي هي الرّابطة الرّوحيّة والعضويّة بين أبناء الوطن الواحد، وبين الأمّة الإسلاميّة، فهي ليست أداة تواصل فقط، بقدر ما هي مكوّن أساس من مكوّنات الهُويّة.

كان (مولود قاسم) يحترق من أجل العروبة والعربيّة والإسلام، وتلك الحرقة كانت السّبب التي حمل على إثرها إلى المستشفى؛ حيث لفظ أنفاسه وهو يرى التّماطل في تطبيق القرارات السّياسيّة الخاصّة بعمليّة تعميم استعمال اللغة العربيّة، والتّراخي في تجسيد المجمع اللغويّ الجزائريّ، وكان ذلك في 29 أوت 1992م. مات سي مولد كما يلقب تاركاً المؤلّفات التّاليّة:

- الجزائر: Algerien. Arabische liga. Bonn. B R D 1957
- إنيّة وأصالة. ط 1975.
- أصالة أم انفصاليّة (جزآن) ط 1980.
- مآثر فاتح نوفمبر، ط 1983.
- شخصيّة الجزائر الدّوليّة وهيبتها العالميّة قبل سنة 1830. جزآن ط 1985. إلى جانب العديد من المقالات العلميّة المتخصّصة التي تتناوّل مختلف قضايا مستعجلة تخصّ رقيّ الأمّة العربيّة والإسلاميّة.

صالح بلعيد

■ مولود قايد
(1334هـ-1916م/ 1420هـ-2000م)

مولود قايد هو كاتب ومناضل نقابي، كما أنه مربي ومؤرخ معروف. ولد في 20 يناير من سنة 1916 ببلدة تيمنْقاش بمنطقة قنزات التي تعد إحدى دوائر ولاية سطيف. ينحدر من أسرة ثورية، فأخته هي الشهيدة مليكة قايد التي استشهدت في أواخر عقد الخمسينات، وشقيقه هو الطاهر قايد النقابي والدبلوماسي والباحث في التراث الإسلامي. بدأ تعليمه بمسقط رأسه ثم التحق بوالده في العاصمة حيث أكمل تعليمه، وكان من أوائل الجزائريين الذين تخرجوا من دار المعلمين في ثلاثينات القرن العشرين. كانت دار المعلمين هي المؤسسة التربوية الرسمية المشرفة على تكوين المعلمين والمدرسين خلال العهد الاستعماري. كما اندمج مبكراً في الحركة النقابية وأصبح من بين العناصر النشطة في الميدان النقابي ببرج بوعريريج خلال النصف الثاني من الأربعينات. وابتداء من سنة 1945 م انخرط في كتلة أصدقاء البيان والحرية وأصبح رئيس الفرع المحلي لهذه الحركة بمدينة برج بوعريريج. وأصدقاء البيان والحرية أو «أحباب البيان والحرية» هي كتلة وطنية تم تأسيسها في 14 مارس 1944م عبر تحالف الأحزاب السياسية والجمعيات الناشطة ضمن الحركة الوطنية المدافعة عن استقلال الجزائر. وتكونت هذه الكتلة من حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والحزب الشيوعي الجزائري وأنصار فرحات عباس. وحسب التقديرات التي وضعت في تلك الفترة فإن هذه الكتلة كانت تضم حوالي نصف مليون مناضل جزائري. وفي سنة 1946 انضم مولود قايد إلى حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي أسسه فرحات عباس، وأصبح عضوا في لجنته المركزية.

وخلال النصف الأول من عقد الخمسينات أصبح مولود قايد مدرسا بقنزات، بعدها تم نقله إلى سطيف حيث درّس بمركز للتكوين المهني. وابتداء من منتصف الخمسينات، انضم إلى جبهة التحرير الوطني ضمن التوجه الذي تبنّاه أنصار فرحات عباس للالتحاق بالجبهة. وكان في الوقت نفسه من المساهمين في تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين خلال شهر فبراير من سنة 1956 م. ثم أصبح ممثلا لهذه الهيئة النقابية الوطنية لدى الاتحاد التونسي للشغل ابتداء من سنة 1958 وحتى 1962. وضمن هذا الإطار، كُلّف مولود قايد من طرف القيادة المركزية بتقديم ترشيح الاتحاد العام للعمال الجزائريين لعضوية الكنفدرالية الدولية للنقابات الحرة في مؤتمرها الذي عقدته ببروكسل في بلجيكا. وصار منذ تلك الفترة ممثلا لاتحاد العمال

لـدى قيـادة الثـورة وجبهـة التحريـر الوطني بتونس. وخلال تلك المرحلة قام بالعديد من المهام الخارجية ممثلا للاتحاد العام للعمال الجزائريين. بعد الاستقلال، عاد إلى الجزائر حيث تم ترشيحه مـن طرف جبهـة التحرير الوطنـي لعضويـة المجلس التأسيسـي الذي أصبح عضوا فيه. ويعتبر المجلس التأسيسي الـذي تـم انتخابه في 20 سـبتمبر 1962 م أول هيئـة تشـريعية منتخبـة بعد الاسـتقلال. كان عدد أعضائه 196 نائبـا يمثلون مناطق الوطن ويشمل مختلف الحساسيات. وكانت معظم قيـادات الثـورة التـي بقيـت على قيـد الحياة ممثلـة فيه كأحمد بـن بلة ومحمـد بوضياف ومحمـد خيضـر وكريـم بلقاسـم وفرحـات عبـاس وغيرهم، إلى جانب كفـاءات نضالية رشـحها المكتـب السياسـي لجبهـة التحرير الوطني. وفي 25 سبتمبر 1962 عقد المجلس التأسيسـي أول اجتماع لـه وانتخب فرحات عبـاس، أول رئيـس للحكومـة الجزائريـة المؤقتة، رئيسًـا لـه. وبعد انتهـاء عضويته في المجلـس التأسيسـي سـنة 1964م تـم تعيينه مديـراً تجاريـا بشـركة الخطـوط الجوية الجزائريـة، لكنـه ما لبـث أن عاد إلـى ميدان التعليـم ابتـداء مـن سـنة 1968 م، وظـل فيـه حوالـي عشـر سـنوات حيـث كان مفتشـا للتعليم الابتدائي والمتوسط. وفي سنة 1978 أحيـل على التقاعـد ليتفرغ للكتابـة والبحث والتأليـف، وكان هاجسـه الحفاظ على البعد الأمازيغـي في الهويـة الوطنيـة. وضمن هذا المنظور ألف كتابه الضخم المكون من سبعة أجزاء والذي خصصه لـ «البربر في التاريخ» تحـت عنـوان les Berbères dans l›histoire. وعنـد تأسـيس المحافظة السـامة للأمازيغية سـنة 1995 م التحق بها وكان من بين العناصر الفاعلـة فـي مجـال عملهـا. يتضمـن كتابـه حـول « البربـر فـي التاريـخ» سـبعة أجزاء، خصـص الجـزء الأول لتاريـخ الجزائـر منذ ما قبل التاريخ حتـى الكاهنة، ويتناول الجزء الثانـي المرحلة التاريخية الواقعة بين الكاهنة وبدايـات الوجـود التركـي فـي الجزائر، في حين خصص الجـزء الثالث للمقاومات ضد الاسـتعمار والجزء الرابع لإسبانيا الإسلامية (الأندلـس) والجـزء الخامـس عنونـه مـن «زيـري إلـى حمّـاد»، بينما خصـص الجزء السـادس للإباضيين والجزء السابع والأخير «من مرابطي الأمس إلى مرابطي اليوم».

ضمـن أبحاثه فـي التاريـخ دائمـا، كانت لـه العديد مـن المؤلفات تنـاول فيهـا تاريخ الجزائر والوجـود العثماني وثـورة المقراني والتأريخ لمدينة بجاية ومـا حولها. فقد ألف كتابا حول «تاريخ الجزائر منذ ما قبل التاريخ حتـى العصور الحديثة»، طبعه ونشـره سـنة 1967. كمـا ألـف كتابا آخر حـول « الجزائر تحـت حكم الأتراك» نشـره سـنة 1975. وله كتـاب كذلك حـول «ملـوك البربـر وحكام الرومان» نشره سنة 1985، وكتاب «حوليات بايات قسـنطينة» نشره سنة 1978، إلى جانب كتابه المعروف عن «تاريخ بجاية ومنطقتها» والـذي نشـره سـنة 1976. كمـا ألـف كتابـا خصصـه للحديث عـن «بني يعلـى»، وهو مؤلف يتحدث فيه عن منطقة بني يعلى وثورة المقراني التي وقعت أحداثها سنة 1871. وقد نشره سنة 1993.

من أقواله المعروفة:

" كتابـة وتدريـس التاريـخ فـي إطـار الاحتـرام التـام للحقيقـة، هـو ضمـان واجـب الذاكـرة تجـاه أسـلافنا والأجيـال الصاعـدة» .

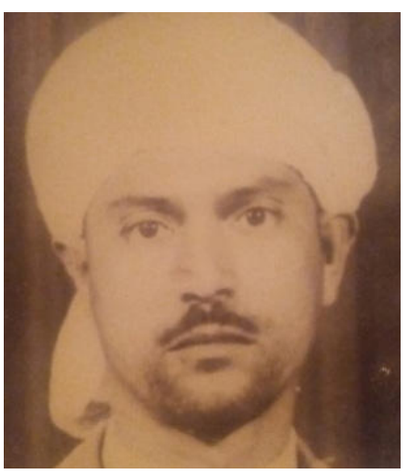
وقـد خصصـت لـه المخرجـة الجزائرية رزيقـة مقرانـي فيلمـا وثائقيـا تحـت اسـم «مولـود قايـد، ليـل الاسـتعمار» أو Mouloud Gaid la nuit coloniale . توفـي مولـود قايـد فـي 5 ديسـمبر سـنة 2000 بالجزائـر العاصمـة ودفـن بهـا.

عامر بغدادي

المصـادر:

- التاريخ السياسي للجزائر، د. عمار بوحوش، دار الغرب الإسلامي، 2000
- Gaid Mouloud, Dictionnaire Algérie, René Gallissot –

■ مولود مطمر
(1336هـ - 1918م/1426هـ - 2006م)



ولـد الشّـيخ مولـود مطـر سـنة 1918م، أمـه جمعـة بنت عمـر بوسـجادة، وهـو ثاني إخوته: عبـد القادر، ومحمّـد الصّغير، ينتمي الشّـيخ إلـى عـرش الشّـرفاء، نشـأ مـع أبنـاء عمومتـه، منهـم: بلقاسـم مطمـر (مجاهـد) وخؤولتـه منهم: معمـر بوسـجادة (مجاهد) وترعـرع فـي كنـف عائلتـه مـع أخيـه محمّد الصغيـر (شـهيد) حفـظ القـرآن الكريم على يـدّ مشـايخ زاويّـة سـيدي فتـح اللـه، الذيـن نذكـر منهـم: سـيدي الصغيـر بـن عثمـان دكاكـن، سـيدي علـي بـن حمـادو غـزران، سـيدي حني البشـير ورتال (شـهيد) الشّـيخ أحمـد بـن المسـعود شـرفي.

احتضنـت جمعيّـة العلمـاء المسـلمين الجزائريـين الفتـى منذ صغـره، حيث درس فـي مدرسـة الجمعيّـة بـ(تغليسـيّة كيمل)، التـي كان يتولاهـا الشّـيخ أحمـد تيمقليـن السّـرحاني، وبعـد اضطهـاده مـن السّـلطة الاسـتعماريّة الفرنسـيّة، انتقـل الشّـيخ إلـى مشـونش، وتبعـه تلاميذتـه مـن دوار كيمـل وحوز آريـس، ليواصـل مهنته النّبيلـة معلما بمدرسـة الجمعيّـة، التـي يديرهـا الشّـيخ

عيسى يحياوي الدّراجي بنيابة الشّيخ زكرياء حمودة، وفي هذه المرحلة الحرجة، وصلت رسالة إلى الشّاب مولود مطمر من الشّيخ أحمد السّرحاني، يدعوه فيها بالقدوم إلى مشونش، فاستجاب له، وقد رحب أعيان البلدة بالقادمين منهم: عمّار أو عمروس، ومحمّد علي أمزيان جيماوي، الذي تولى أمر إسكان العائلة، لدى محمود بوراس بحي (البليدة) وتقديم الوافد مولود للمقيم والمعلم بزاويّة سيدي حمودة الرحمانيّة، الشّيخ زكرياء حمودة، الذي استقبله استقبالا حسنا، وجعله مساعدا له، وبعد فترة، سلمه أمر مواصلة تعليم القرآن الكريم بالزاويّة.

بعد اندلاع الثورة التّحريريّة في الأول من نوفمبر 1954م صار الوضع محرجا جدا بزاويّة سيدي حمودة، لأن الفيلق الفرنسي، اتخذ مركزه مقابلا لها، ويصعب التّحرك إليها، أو الإقبال عليها، خاصّة وأن الأجهزة الاستعماريّة، علمت أن أحد أبنائها، صار ثائرا ومجاهدا ومسؤولا في الثورة التّحريريّة، وهو أحمد بن عبد الرزاق حمودة (العقيد سي الحواس) وفي خريف 1956م نفي الشّيخ أحمد السّرحاني إلى الصحراء، وتحولت مدرسة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين إلى ثكنة عسكريّة بحي الرمل، وواصل الشّيخ مولود تعليمه القرآن الكريم في جامع سيدي بركات بحي (الگرارة) وجامع (آلماس) بـ (البليدة) مع الشّيخ محمود بن عمر بإشراف جيش وجبهة التّحرير الوطني بمسؤوليّة الضابطين: علي مزياني بن بعلة ومحمّد عمايري (أطال الله عمره) في نفس الوقت، تولى الشّيخ إمامة الجامع العتيق مع المؤذن أحمد بورمل، حتى إعلان الاستقلال في يوم 5 جويليّة 1962م.

نذكر بعض طلبة الشّيخ مولود بمشونش: محمود ملاوي (عقيد) محمّد شاهدي (دكتور) شعبان حمودة (دكتور) نجل العقيد سي الحواسعمار بصوفي (مسؤول بوزارة المجاهدين ومدير المجاهدين) الحسين نباري(إمام) محمّد العيد قديدة (إمام) محمّد بن محمود بوراس (معلم) ورمضان دلولي (معلم) والآخرين.

في أواخر سنة 1964م عين الشّيخ مولود إماما بدوار (طامزة) دائرة خنشلة، استقبله أعيان أولاد يعقوب بمشتة (شاندقومة) بالحفاوة والتّكريم، نذكر منهم: عبد الله خلاف، متعلم بزاويّة سيدي حمودة بمشونش محمّد بن علي درناني، إبراهيم بن محمّد الشّريف جريدي والمجاهد علي خلاف.

أشرف الشّيخ مولود بـ (شاندقومة) على تأسيس مدرسة قرآنيّة ومصلّى (صار مسجدا) تولّى تكملته الإخوة: الدّكتور عبد الحميد والطاهر ونور اليمين شرفي.

وفي سنة 1967م عين الشّيخ مولود، إماما بـ (ثنيّة العابد)، دائرة (آريس) من قبل الشّيخ الأمير صالحي، مدير الشّؤون الدينيّة والأوقاف بطلب من الشّيخ عمر دردور مدير المعهد الإسلامي بباتنة، واصلت لجنة مسجد ثنيّة العابد، أعمالها، خدمة لبيت الله وتعميرها، نذكر منهم: عمار خليف، عيسى رابحي، علي واضح، تولى الشّيخ مولود، تقديم الدروس والصلوات الخمس والجمعة وإصلاح ذات البين.

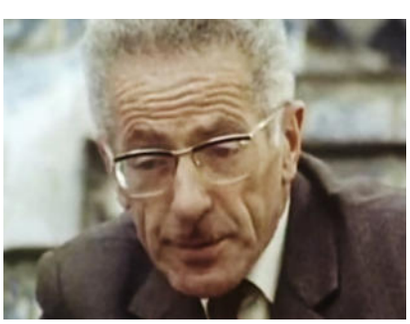
وفي سنة 1983م عين الشّيخ مولود إماما بمسجد صلاح الدين الأيوبي بباتنة، وقد استقبلته لجنة المسجد بالحفاوة والتّكريم، والتي تتكون من: محمّد جرادي، صحراوي بن الشّريف، مبروك الشّايب وعمار مزياني، استمر الشّيخ في الإمامة، لغايّة ما تحصل على التّقاعد في عام 1990م، تمّ تكريم الشّيخ مولود بـ (شهادة تقدير) بباتنة في 26 رمضان 1413هـ الموافق لـ 20 مارس 1991م بالرتبة إمام خطيب، قضى الشّيخ مولود بقيّة حياته، بمسكنه بحي بوعقال بباتنة، مع أبنائه محمّد العيد، عمار وعبد الحميد، وأخواتهم وأحفاده وأحبائه معزّزا مكرما، قرب مسجد عقبة بن نافع الفهري، إلى أنّ وافاه أجله في يوم 29 ماي 2006م شيعه جمع غفير من المواطنين إلى مقبرة بوزوران، حيث وري جثمانه الطاهر، فرحمه الله، وأسكنه فسيح جنانه، وإني أترحم على كلّ من رافق والدي في مسيرة حياته، وأترحم على الذين جالسّتهم، ولم يتكرّر اللقاء معهم في موعد آخر]إنا لله وإنا إليه راجعون[.

م حمّد العيد مطمر

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

■ مولود معمري
(1335هـ - 1917م/1409هـ - 1989م)

كاتب وباحث في اللسانيات، ولد في (14ربيع الأوّل1336ه الموافق لـ 28 ديسمبر 1917م) بتاوريرث ميمون، 1979. أسّس عام 1982 مركز الدراسات والبحوث الأمازيغيّة بباريس ومجلة «أوال» (الكلمة) التي تعنى بالقضايا الثّقافيّة الأمازيغيّة، ويعتبر مؤسّس قواعد اللغة الأمازيغيّة.



بدأ دراسته القاعديّة في مسقط رأسه قريّة (تاويرت ميمون) أو الهضبة المنسيّة إلى سن الحاديّة عشر (11) قبل أن يذهب إلى المغرب عند أحد أقاربه، ليعود إلى الجزائر بعد أربع سنوات، ويلتحق بثانويّة (بيجو) سابقا «الأمير عبد القادر حاليا بالعاصمة، ومنها سافر إلى باريس حيث زاول دراساته

في المدرسة العليا للأستاذة (لوي لوغران)، وتعليمه الثّانوي قبل ذلك في ثانويّة Louis le grand))، ثم تحرج من مدرسة الضباط بشرشال عام 1939م ليشارك في الحملة الإيطاليّة الفرنسيّة، بعد نهايّة الحرب العالميّة الثّانيّة اشتغل كأستاذ بجامعة المديّة ثم أستاذا بجامعة الجزائر العاصمة عام 1962م.

في عام 1940 عاد إلى الجزائر مجددا والتحق بكليّة الآداب بجامعة الجزائر، وهي الفترة التي نشر فيها سلسلة مقالات بمجلة (أكدال) المغربيّة حول المجتمعات الأمازيغيّة من خلال تناولها ببعد أنثر وبولوجي ساهم في تطوير اللغة والثّقافة الأمازيغيتين، وبسبب نشاطه اللافت، تعرض لملاحقات ومضايقات من طرف الاستعمار الفرنسي، ما دفعه إلى مغادرة الجزائر والاتجاه مجددا إلى مدينة الرباط المغربيّة عام 1957،

وهي المحطة التي سمحت له بالتعرف بكتاب مغاربة أمازيغ، وإثراء مداركه في علم اللسانيات الأمازيغيّة حيث قام بمحاولات لتأسيس قاموس أمازيغي موحد بين دول المغرب الكبير.

بدأ معمري مساره المهني مدرسا في مدينة المديّة الجزائريّة، وأصبح عام 1963 أوّل رئيس لاتحاد الكتاب الجزائريين، قبل أن يغادر الاتحاد لخلافات إيديولوجيّة وفكريّة بينه وبين أعضائه.

أشرف في الفترة ما بين 1965 و1972 على تدريس اللغة الأمازيغيّة بالجامعة، غير أنه منع من إلقاء محاضرات باللغة الأمازيغيّة في خليّة الأنثروبولوجيا التي كان يشرف عليها في الجامعة.

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1969 و1980، تولى معمري رئاسة المركز الوطني للأبحاث الأنثروبولوجيّة ودراسات ما قبل التاريخ، وفيها أصدر مجلة علميّة متخصصة تحمل عنوان (ليبيكا)، اشتهر معمري بمؤلفاته المكتوبة باللغة الفرنسيّة، وكتب العديد من الروايات، منها روايته الأولى (الهضبة المنسيّة) أو (الربوة المنسيّة) الصادرة عام 1952، ولقيت اهتماما بالغا من طرف النقاد والأدباء، وكتب عن تلك الروايّة عميد الأدب العربي طه حسين في دراسة نقديّة ضمن كتابه نقد وإصلاح، جاء فيها «كتاب الربوة المنسيّة دراسة اجتماعيّة عميقة دقيقة تصور أهل هذه الربوة في عزلتهم، وقد فرغوا لأنفسهم واعتمدوا عليها، فلم يكادوا يذكرون أحدا غيرهم من الناس، وهم يجهلون ما وراء الجبال التي تقوم دونهم، لا يعرفون إلا حين يضطرون إلى ذلك اضطرارا وما أقل ما يضطرون إليه، وهم لا يشعرون بالحكومة إلا حين تجبي منهم الضرائب على ما تثمر لهم الأرض وما يكسبون من المال».

وإلى جانب «الربوة المنسيّة»، كتب معمري «غفوة العادل» (1955) و»الأفيون والعصا» (1965)، "العبور" (1982)، وفي عام 1965 جمع ونشر مجموعة قصائد الشّاعر القبائلي «سي محند أومحند"، وفي عام 1973 نشر مجموعة قصصيّة تحت عنوان «موظفة البنك».

أصدر معمري عام 1980 ديوان شعري بعنوان «أشعار القبيلة»، وفي عام 1982 أسّس مجلة)أوال / الكلمة) التي تعنى بالقضايا الثّقافيّة الأمازيغيّة، وأنجز عملا غير مسبوق في النحو الأمازيغي أسماه (تاجرومت) أي القواعد.

وله مقالات أنثروبولوجيا منشورة تهتم بالمسألة الأمازيغيّة، وقد حوّلت بعض أعماله إلى أفلام خالدة في تاريخ السّينما الجزائريّة أشهرها فيلم «الهضبة المنسيّة» و»الأفيون والعصا» للمخرج الجزائري المعروف أحمد راشدي.

حصل معمري على جوائز عدة تقديرا لجودة أعماله الروائيّة والأكاديميّة، منها جائزة الدكتور هونور. وفي عام 1988 كرم بالدكتوراه الفخريّة من طرف جامعة السّوربون بفرنسا نظير ما قدمه من أعمال أدبيّة إنسانيّة خالدة.

تصور روايته أهم المحطات في تاريخ الجزائر، وقد كتب أيضا في المسرح وترجم العديد من الأشعار القبائليّة التي كانت تروى وتنتقل شفويا من جيل إلى جيل.

توفي قرب سيدي الأخضر بعين الدفلى بعد عودته من ملتقى بوجدة المغربيّة، في(20 رجب 1409ه الموافق لـ 26 فبراير1989م) إثر حادث سيارة ودفن بقريّة تاوريرث ميمون – مسقط رأسهوسط حضور مهيب.

من أعماله:

– نوم العادل: Le sommeil du juste باريس، Plon، ـ 1955 .

– الأفيون والعصا L'opion et le batôn باريس، 1965، Plon .

– الهضبة المنسيّة: La colline oubliée باريس، 1952، Plonم.

– العبور La traversée باريس، 1982، Plon.

– كتاب حول القواعد الأمازيغيّة « تاجارومت آنتمازيغت»، باريس، طبعة ماسبيرو، 1976.

– قصص قبائليّة قديمة « ماشاهو تلماشاهو» باريس، طبعة بورداس، 1980.

– مسرحيّة « فونة» رياح ساخنة وجافة.

– أشعار قبائليّة قديمة، باريس، طبعة ماسبيرو، 1980.

– محطات (مجموعة قصص).

الأبحاث المنشورة في المجلات بالفرنسيّة:

– لو يعود ابن خلدون بيننا، مجلة الثّورة الإفريقيّة، العدد04، 05، 14، 63.

– شاعر جزائري : سي محند أو محند، مجلة روفلي، العدد الأول، جانفي 1968.

– الأدب لفرانكفوني الإفريقي، مارس 1968.

– الأدب البربري الشّفوي، مجلة الأزمنة العصريّة، العدد375 مكرر، أكتوبر 1977... وغيرها.

ترجمته:

– الجزيرة، صحيفة يوميّة تصدرها مؤسسة الجزيرة للطباعة والنشر العدد 10584تحت عنوان (أدباء عرب يكتبون عالميّة).

– أهم الدراسات التي تناولت بعض أعماله:

– سعاد محمد خضر / الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1967. من ص 171 إلى 183.

ومن الدراسات بالفرنسيّة نذكر:
- jean dejeux / littérature maghrébine de langue française ;…paris 1973.
- Bonefoy Claude, Cartano Tony, . . Dictionnaire de littérature contemporaine, paris, jean pierre delange, 1977.
- Djougachvilli G. y/la valeurs artistique du roman algérien, Moscou, Inst M. Gorky de la littérature mondiale, Académie des sciences de l' URSS ;1970.
- Dembri Mohamed–saleh / querelles autour de la colline de Mouloud Mammeri ; Revue algérienne des lettres et sciences humaines, n°1, 1969.
- Dembri Mohamed–saleh/essai sur le héros dans l'œuvre
- Romanesque de Mouloud Mammeri, an
- nasr, 2702/24 ,10 ,/01/. et, 09, 231968/03/.
- Jeanne Adam / La Kabyliedans Le Roman Algérien d'expression française,
- bordeaux111. 1975. c. e. L. m. a. . thèse.
- Charles Bonn / problématiques spatiales du roman Algérien; EnaL
- ;Alger 1986. p 19.

باديس فوغالي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

■ مولود مهري
(1325هـ 1908م/1414هـ 1994م)

الشّيخ المولود مهري بن الشّيخ عمار بن أحمد العطوي، المولود ببلدة الحروش ولاية سكيكدة، والمتوفى في مدينة قسنطينة فهو ابن الشّاعر عمّار مهري الذي سبقت ترجمته في الموسوعة، وهو الأخ الأكبر للأستاذ عبد الحميد مهري الأمين العام السّابق لحزب جبهة التّحرير الوطني.

قضى حياته في وطنه الجزائر وفي فرنسا.

وقبيل الحرب العالمية الأولى انتقل مع أسرته إلى بلدة الخروب حيث عيّن والدّه الشّيخ عمار إماماً خطيباً بمسجد البلدة. ولما بلغ من العمر ست سنوات شرع في قراءة القرآن الكريم وتمكن من حفظه وهو ابن اثني عشر عاماً، ثمّ تفرّغ لحفظ المتون مثل: ألفية ابن مالك والجوهر المكنون والجوهرة للقاني وغيرها... وقد كان يتلقى العلوم على يد والدّه، الذي قام بتدريسه العلوم الشّرعية واللغوية بمسجد بلدة الخروب. وفي صيف عام 1926 انتقل مع والدّه إلى بلدة وادي الزّناتي ولاية قالمة، حيث واصل تلقي العلم على والدّه الشّيخ عمار الذي قام بحركة علمية واسعة في تلك البلدة، وكان طلاب العلم يفدون عليه من جميع جهات عمالة قسنطينة –آنذاكالشّرق الجزائري حالياً.

كان برنامج التّعليم مطابقاً لبرنامج جامع الزّيتونة بتونس في جميع المواد، واستمرت هذه الحركة العلمية إلى غاية وفاة والدّه الشّيخ عمار في 19 أفريل 1933. وتحت إصدار وإلحاح سكان بلدة وادي الزّناتي وضواحيها عيّن خلفاً لوالدّه في الإمامة والتّدريس وهو في الخامسة والعشرين من عمره. وقد اضطلع المولود بهذه المهمّة النّبيلة أحسن اضطلاع، مما جعله يحظى باحترام السّكان الذين كانوا يقدرون فيه السّلوك الحسن والتّفاني في خدمة المواطنين والسّهر على مصالحهم.

وفي عام 1939 أسس مدرسة التّهذيب وفروعها بالتّعاون مع بعض أعيان البلدة. وقد تولّى رئاسة جمعيتها منذ تأسيسها حتى استقلال الجزائر، وأشرف على إدارة هذه المدرسة صديقه الحميم الشّاعر عبد الرّحمن بن العقون –الذي ترجمنا له في هذه الموسوعةبالإضافة إلى هذا فقد ساهم في تأسيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم عام 1941، كما ساهم في تأسيس الجمعية الخيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين.

وإلى جانب قيامه بالإمامة والتّدريس بمسجد البلدة فقد قام بالفتوى والإصلاح بين النّاس، الأمر الذي قلّص نشاط القضاء الاستعماري في المنطقة. وقد كان المولود مهري على اتصال وثيق بالعلامة الطّاهر بن عاشور شيخ جامع الزّيتون الذي ثمّن مواهبه العلمية وأجازه في علوم الشّريعة واللغة العربية كما أجازه العلامة الشّيخ العربي التّبانى الجزائري المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة في الحديث النّبوي الشّريف.

لقد كان للشيخ المولود نشاط سياسي مكثف، إذ كان عضواً في حزب الشّعب الجزائري، وكان من المشرفين على تنظيم مظاهرات 8 ماي 1945 ببلدة وادي الزّناتي. وفي أثناء الثّورة التّحريرية الكبرى كانت له نشاطات مكثفة في جمع المال للمجاهدين والإفتاء. وعند وقف إطلاق النّار في 19 مارس 1962، وفي الفترة الانتقالية، ترأس اللجنة الشّرعية، كما كان عضواً في اللجنة المحلية ببلدة وادي الزّناتي بعد الاستقلال بقي وفياً في عطائه للشعب والوطن، وفي بداية السّبعينيات من القرن العشرين، استقرّ بصفة دائمة بمدينة قسنطينة، دون أن

تنقطع صلته ببلدة وادي الزّناتي وسكانها، وواصل الشّيخ نشاطه الدّيني بمدينة قسنطينة، وشمل هذا النّشاط مساجد عديدة.

واللافت للنظر أنَّ المولود مهري تعلّم اللغة الفرنسية وأتقنها لأنه أقام مدَّة في فرنسا، كما اشتغل في حق التّرجمة والإذاعة والصّحافة. وبعد استقلال الجزائر عاد إلى التّعليم الرّسمي إلى أن أحيل على التّقاعد عام 1973.

ما يمكن أن نشير إليه في الأخير أنّ هذا الشّاعر قد ترجم له أصحاب «موسوعة الشّعر الجزائري» باسم (شغيب محمّد المهدي) دون إثبات تاريخ الوفاة وهذا الاسم غير صحيح، وقد وقع «معجم البابطين لشعراء العربية» في التّحريف نفسه.

نتاجه الفكري والأدبي:

كانت للشيخ المولود مهري مشاركة متميزة في المجال الفكري والأدبي تمثلت في مقالات كان ينشرها في الصّحافة، وأشعار تناولت أوضاع المجتمع من وجهة نظر العالم الدّيني المدرك مسؤولياته. كما أنَّ له قصائد في المواضيع الدّينية التّي ينزع فيها نزعة صوفية وأخرى سياسية يعالج فيها أحوال الشّعب الجزائري الذي يعاني الظّلم والجهل والفقر بسبب تسلط الاستعمار الفرنسي على وطنه ونهب خيراته. وكان ينشر بعض قصائده في جريدة «الفاروق» باسم مستعار «محمّد الحسيني». والمتاح من شعره قليل، ولسنا ندري لماذا طمست آثاره ولم يهتم بها الدّارسون، على الرّغم من سكنه في قلب مدينة قسنطينة بحي «السّيلوك» قرب جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وأنَّ المتاح من شعره جيد يكشف عن مقدرة كبيرة وتحكم بالغ في فنيات الشّعر لغة وتركيباً وإيقاعاً. فقصائده التّي بين أيدينا تبرز لنا بوضوح شاعرية فذّة، تقول الشّعر عن سجية وطبع لا عن صنعة وتكلف فقد جاءت ألفاظه قوية وأسلوبه محكماً، وصوره الشّعرية فيها إيحاءات دلالية مكثفة.

نماذج من شعره:

كان أحد رجال الدّين المسيحي خورياً بكنيسة وادي الزّناتي وكان مستشرقاً يتقن اللغة العربية. فكاتبه الشّيخ المولود مهري وصديقه عبد الرّحمن بن العقون، يطلبان منه إعانة للجمعية الخيرية المحلية. فردّ عليهما برسالة مرفقة بإعانة. وفي الرّسالة بيتان من الشّعر:

وما أهل الحياة لنا بأهل
وما دار الفناء لنا بدار
وما أموالنّا إلا عوار
سيأخذها المعير من المعار

فردّ عليه المولود المهري بهذا التّشطير من البحر نفسه والقافية نفسها:

(وما أهل الحياة لنا بأهل)
ولكن ينبغي حسن الجوار
وما زهْرةُ هذا الكون قصدي
(ولا دار الفناء لنا بدار)
(وما أموالنّا إلا عوار)
فلا نكسبْ بها غير الفخار
وما نِعَمُ الحياة بخالدّاتٍ
(سيأخذها المعير من المعار)

عيد سعيد

بحلول العيد زفت
لكمُ أغلى الأماني
فلذا «المولود» يهدي
لكمُ أسمى التّهاني
من جمان الود صيغت
رافلات في البيان
فلتدوموا للمعالي
في سرور وأماني

نبي الهدى ﷺ

بمناسبة سفر عوض بن السّيد بومدين محمّد وزوجته وبعض أفراد العائلة لأداء نسك العمرة تقبل الله عملهم أنشأت القصيدة الآتية وطلبت منه قراءتها في الرّوضة الشّريفة أو المسجد النّبوي الشّريف على صاحبه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم وها هي القصيدة:

لنبي الهدى ونور الوجود
وشفيع الورى بدار الخلود
فعليكم خير الأنام صلاة
مع سلام تفوق عطر الورود
وعلى آلك الكرام وصحب
بهم المجد دائماً في صعود
وبهم أضحت البرية تسعى
للمعالي وكل أمر رشيد
بعدما كانت في ضلال مبين
باتباع الهوى وزيغ شديد
سيد الكائنات أرجو رضاكم
من ينله يفز بخير العهود
وبلوغ المنى وفضل عظيم
يرضى مولانا الغني الحميد
سيد الكائنات إن ذنوبي
أوبقتني فكن لي يوم الشّهود
فعسى الله أن يمن بلطف
وبعفو أكرم به من ودود
وعلى عبدك «المولود» تفضل
يا إلهي بكل شيء مفيد
وبحسن الختام جد يا كريم
بالنّعيم السّني بدار الخلود

رابح دوب

المصادر:

- ترجمة خاصَّة أعدّها وحرّرها نجله محمّد العربي مهري (قسنطينة يوم 05 جويلية 1997)؛
- الرّبعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشّعر الجزائري. دار الهدى عين مليلة الجزائر 2009؛

رابح دوب: موسوعة شعراء عصر النّهضة في المغرب العربي، الجزء الرّابع، دار بهاء الدّين، قسنطينة، الجزائر، 2014.

ن

ناصر الدّين (إيتيان) دينيّ (1278هـ - 1861م/1348هـ - 1929م)

(Alphonse–Étienne Dinet/ ألفونس إتيان دينيه) الذي أصبح اسمه بعد اعتناقه الإسلام (ناصر الدين)، رسّام وكاتب ذو شهرة عالميّة ولد بپاريس في 28 مارس 1861، من عائلة بورجوازيّة، درس في ثانويّة (Henri/ هنري) نال بعدها شهادة البكالوريا، ثم التّحق بمدرسة الفنون الجميلة ثم بورشة (Galland/ گالون) 1880، قضى أربع سنوات في أكاديميّة (Julian/ جوليان) حيث تتلمذ على يدّ (William Bouguereau/ وليام بوقور) و(Tony Robert–Fleury/ تـوني روبير فلوري) (1881–1885)، كان قرار دخوله لمدرسة الفنون الجميلة قرار صعب لأنه مخيب لآمال والده، ويتعارض مع تقاليد العائلة المتشبثة بدراسة القانون لتوارث مهنة المحاماة.

زار الجزائر في أوّل رحلة له سنة 1884. وقصد الواحات. وتكررت زيارات (ديني) للجزائر بعد ذلك التّاريخ، وفي سنة 1892، قرّر البقاء فيها رغم أنه ظل يتردّد على (پاريس). وفي إحدى زياراته لها سجل نفسه في مدرسة اللّغات الشّرقيّة. وقد شارك بقوة في معرض الفن الإسلامي الذي أقيم سنة 1903. تعرف في (بوسعادة) على إحدى العائلات، وهي عائلة (الحاج سليمان بن إبراهيم) الذي أصبح صديقا له وملازما. وعن طريق ابن إبراهيم اكتشف الحياة والمشاعر العربيّة، وظهر ذلك في لوحاته التي سنشير إليها. وتعلم منه اللغة العربيّة وآدابها، وتاريخ الإسلام وتعاليمه. وقاده تعمقه في فهم الحياة العربيّة وحياة المسلمين ومبادئ الإسلام إلى إظهار اعتناقه هذا الدين سنة 1927. ولا ندري هل آمن ديني بالإسلام



قبل ذلك ولم يعلنه إلا في 3 نوفمبر من العام المذكور (1927)، بعد أن تقدمت به السّن، خوفا أو حرجا من قومه الفرنسيّين، أو أنه لم يكتشف الإسلام إلا في هذه السّنة، ومهما كان الأمر، فإن سنة 1927 تمثل رمزا هاما، فهي تمثل مرور مائة سنة على ضرب الحصار الفرنسي على الجزائر، وهو الحصار الذي انتهى بالاحتلال. كما أنها هي السّنة التي بدأت فيها السّلطات الفرنسيّة الاستعداد للاحتفال المئوي. وتعتبر سنة 1927 رمزا آخر لنهضة الجزائر أيضا، فهي السّنة التي ولد فيها نادي التّرقي بالعاصمة، وأعلن فيها زعماء نجم شمال افريقيّة عن مطلب استقلال الجزائر. وظهر بعدها الحديث عن تأسيس جمعيّة للمصلحين، وهي الجمعيّة التي ستظهر بعد أربع سنوات في صورة (جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين).

أمام حفل جرى في الجامع الجديد بالعاصمة تحت إشراف المفتي الحنفي الشّيخ (محمّد بوقندورة) أعلن (ديني) إسلامه وتسمى (ناصر الدين) وقد احتفل المسلمون بهذا الحدث وأقاموا له حفلا على شرفه في نادي التّرقي. وفي سنة 1929 أدى فريضة الحج برفقة صديقه (الحاج سليمان بن إبراهيم) ويبدو أن الحج لم يكن متيسرا له، وخشي الشّك في أمره من الحجاج وسلطات الحجاز، فتدخل له الأمير (شكيب أرسلان)، ربما بواسطة (أحمد توفيق المدني)، لدى السّلطات المصريّة والحجازيّة، وأتم حجه، ورجع إلى (بوسعادة) التي اتخذها مقرا له في سبتمبر 1929. ولم تطل به الحياة بعد ذلك. فقد سافر إلى (پاريس) فأصابته هناك نوبة قلبيّة فتوفى على إثرها في 24 ديسمبر 1929، وأوصى أن ينقل جثمانه ويدفن في (بوسعادة)، ووقع ذلك بالفعل في 21 يناير 1930. وحضر جنازته هناك بعض أعيان الجزائر، ومنهم الشّيخ (الطيب العقبي) والشّيخ (أحمد توفيق المدني) وقد تركا لنا وصفا بالصور للتأبين والحضور، نشرته مجلة الشّهاب. ويبدو أن معظم المسلمين في الجزائر اعتبروا اعتناق (ديني) الإسلام انتصارا لهم، وربما كان لاهتمامه بالحياة العربيّة مما قربه إلى نفوسهم.

ترك (ناصر الدين ديني) وراءه ثروة فنيّة تمثلت في لوحات استشراقيّه؛ تمثل اغلبها جميع جوانب الحياة في مدينة (بوسعادة) بيئتها لاسيّما الدينيّة منها. فلوحات الحاج (ناصر الدين) خلّدت هذه المدينة بأهلها ومائها وصحرائها وطقوسها الدينيّة. وكانت هذه اللوحات بدايّة فنيّة للحركة التّشكيليّة في الجزائر، حيث فتحت الطريق للفنانين للتعبير الفنيّ وفق منهج الحاج (ناصر الدين) في صدق تعبيره الفنيّ وسحر تجسيده لحياة الانسان في الصحراء؛ وقدرته الكبيرة في التّعامل مع اللون، والضّوء، والظلال.

وليس أدل على ذلك من لوحاته التي ساند بها القضيّة الجزائريّة مثل لوحات (العمياء) و(عهود الفقر) و(الأهالي المحتقرون). التي تصور ظلم الاستعمار الفرنسي وتصرخ فيها الخطوط والألوان في وجه الممارسات الاستعماريّة. ومن رأى لوحات الفنان (ناصر الدين) الاسلاميّة يكتشف شغفه الكبير في تجسيد مظاهر الاسلام مخلدا اياها في لوحات فنيّة رائعة مثل: (العرب أثناء الصلاة)، وهي تمثل صورة ثلاثة من الرجال في حالة التّأهب للتكبير وهم بلباسهم الإسلامي الأبيض، ولكنه أضفى على الصورة ألوانه الخاصة، وجعل حركات أيديهم ولمعان عيونهم كأنها ناطقة. ومنها (أطفال العرب أثناء كتابة الألواح) في المدرسة القرآنيّة التّقليديّة، وهي أيضا لوحة نابضة بالحياة، وله لوحات أخرى اجتماعيّة وغراميّة، أو معبرة عن أنشطة خاصة مثل صورة (المداح) وهو ينشد وحوله المستمعون في حالة انسجام واستغراق. وصورة (الكمين) الذي نصبه ثلاثة من العرب، وهم يتأهبون لإطلاق النار على عدوهم... ويقال إن ديني ترك حوالي مائة وخمسين (150) لوحة. وقد لخص باحث فرنسي إنجازات (ناصر الدين ديني) فقال إنها تعمقت في الحياة بتصوير الكثبان الرمليّة والجبال والخيل والأطفال والرجال والنساء، والفوارس والراقصات، والفتيات الجميلات، والرجال وهم في حالة الصلاة، كما صور حالة اقتراب الموت، ونبض الحياة في الواحات، ولا سيّما مدينة بوسعادة.

لوحة (المتآمرين بالليل) لوحة فنيّة للفنان (ناصر الدين دينيه) رسمها بمدينة (بوسعادة)، تظهر لنا هذه اللوحة مشهدا ليليا لخمسة



لوحة المتآمرين بالليل (ناصر الدين دينيه)

أشخاص غامضين يحملون بنادق ويرتدون زيا تقليديا موحدا؛ تبدو ملامحهم وكأنهم يخططون لفعل أمر مهم، مع الاستماع بحرص الى توجيهات زعيمهم الذي يبدو من الجهة اليسرى من اللوحة. وهذه اللوحة تمثل اسلوب الفنان الخاص في تمثيل نمط الحياة في الصحراء من خلال التّباين بين النور، والضّوء، والظل مع تقنيات الرسم الكلاسيكي، و بهذا فان الفنان درس و خطط بدقة تعابير الأشخاص التي تظهر ملامحهم مقربة بشكل اوضح .و هذا ما يبرز لنا واقعيّة هذا العمل الفني.

لم يقتصر ناصر الدين ديني على ميدان الرسم فقط؛ فقد كان مولعا بالبحث عن الحقيقة والمطالعة؛ وهكذا أنتج عددا من المؤلفات ذات الصبغة الأدبيّة والتّاريخيّة والدينيّة. ان الكتابات الأدبيّة التي نشرها وحده أو مع صاحبه (سليمان ابن إبراهيم) تشهد على رغبته في تصحيح آراء معاصريه. فيما يتصل بنظرتهم الخاطئة للإسلام؛ وعظمته وسعة افق علمائه. ومن بعض مؤلفاته:

- عنتره (1898)؛
- ربيع القلوب (1902)؛
- الفيافي والقفار (1911)؛
- حياة محمّد رسول الله (1922)، الذي ترجمه شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود في مارس 1956؛
- الحج إلى بيت الله (1930).

سناء رمضاني

المصادر:

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي.

ناصر الدّين المشدالي

أنجبت منطقة الزّواوة (من أمشدالة إلى بجايّة) نخبة من العلماء، وقد لمع من بينهم: عبد الرّحمن اليراتني الزّواوي، ويحيى بن معط الزّواوي، وأبو العبّاس أحمد بن محمّد الزّواوي وأبو العبّاس بن إدريس... وهذه الأسماء تشهد على دور المنطقة وإسهامها في الميدان الحضاري للأمة العربيّة الإسلاميّة. وأما منطقة أمشدالة فهي جزء من زواوة الكبرى التي يؤمن أهلها بأنّ طلب العلم فريضة وضروريّة ولو في أقاصي البلاد. ومن هذا المنطلق نجد كثيراً من الآباء يبيعون أملاكهم من أجل إرسال أوّلادهم خارج قراهم بغيّة التّحصيل العلميّ وخاصّة تحصيل اللغة العربيّة. وبكلّ ذلك الإيمان العلميّ استطاعت المنطقة أن تنجب علماء كباراً، وسوف نُورد ترجمة لعالم فذّ كان له الصّدى العلمي في التّراجم:

ناصر الدّين المشدّالي: هو أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحقّ المشدّالي الزّواوي

الملقّب بناصر الدّين المشدّالي، ولد بأمشدالة ولايّة البويرة حالياً (الجزائر) سنة 631 هـ، تلقّى عن والده القرآن وبعض أصول اللغة العربيّة. ولما لم يجد أبوه الجوّ العلميّ المناسب الذي يعلم فيها ابنه، باع أملاكه جميعها، وأخذه إلى بجايّة التي كانت آنذاك قلعة العلماء، وفيها أدخله المدرسة ليستكمل دراسته الفكريّة والنّقديّة والمنطقيّة، ويلتقي بعلماء وفدوا من المشرق، ويأخذ عنهم العلم الكثير. ولما أخذ الإجازة تولّى التّدريس والإمامة في نفس المدينة. وأمام النّشاط النّيّر والمتميّز الذي أبداه في الحفظ والرّأيّ السّديد والحجّة المقنعة، إنّهال عليه الطّلاب للتزوّد من علمه. ويقول صاحب نفح الطّيب ج 5/ 495 «وحدث الشّيخ أبو البركات قال: كنت ببجايّة بمجلس ناصر الدّين المشدّالي أيام قراءتي عليه، وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه: هل الملائكة أفضل أم الأنبياء؟ فقلت: الدّليل لأنّ الملائكة أفضل أنّ الله أقرّهم بالسّجود لآدم، قال: فجعل الطّلبة ينظر بعضهم إلى بعض، حتى قال لي بعضهم استند يا سيدنا، كأنه يقول: استند إلى حائط ليزول هوس رأسك، وكانت عبارتهم في ذلك وكلّ منهم يقول لي نحو ذلك ازراءً، وقال لي الإمام ناصر الدّين: أَبْصِرْ فإنّهم يقولون لك الحقّ، وكانت لغته أن يقول: أبصر، قال: فقلت: أتقولون إنّ أمر الله للملائكة بالسّجود لآدم أمر ابتلاء واختيار؟ قالوا: نعم، قلت: أفيختبر العبد بتقبيل يدّ سيده ليرى تواضعه؟ قالوا لا فإنّ ذلك من شأن العبد دون أن يؤمر، بل السّيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسّجود للعبد فقلت: فكذا الملائكة، ولو أمرت بالسّجود لأفضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسّجود لسيّده قال فكأنّما ألفتهم حجراً». وأمام هذه الحجّة التي غرسها الشّيخ في طلابه، كان مجلسه عامراً حتى بالعلماء الذين يقصدونه من أجل تبادل المعارف.

ولم يدم به الحال في مدينة بجايّة التي نال فيها الحظوة، ولكنّ الحصار الذي بدأ يفرض عليها جعله يغادرها إلى تلمسان. وهناك يطيل المقام، ويتزوّج ابنة أبي عبد الله محمّد بن منصور بن علي المعروف بـ (ابن هديّة) وهو تلمساني قرشيّ من ذريّة عقبة بن نافع وقاضي الجماعة في تلمسان. وتمرّ الأيام والسّنون فيلتقي الشّاب المتنوّر أبا موسى عمران ابن موسى بن يوسف المشدّالي، والعالم المصلح، ويعجب به فيزوّجه ابنته. ولكن طيب المقام لم ينسه التّرحال، حيث يشدّ الرّحال إلى القاهرة التي سبق اسمه جسده، وما إن وصلها حتى قصده العلماء ملتمسين منه إلقاء الدّروس في الجامع الأزهر. وفي ذات المسجد يتولّى مهمّة القضاء والإفتاء، ويغادرها إلى دمشق. وفي المسجد الأمويّ يتولّى التّدريس مستعملاً طريقة حديثة؛ حيث يتناول الأصول، ويقدّم مختلف الشّروح؛ متعرضاً لها بالنّقد والتّنقيح والتّشذيب مستعملاً العقل في النّقل. وكانت تلك الطّريقة المنهج السّليم الذي ارتضاه طلابه، مما جعل حلقته تتّسع يومياً. وهذه الطّريقة علّق عليها ابن خلدون بأنّها: طريقة فكريّة جديدة في الأساليب التّعليميّة وطرائق التّدريس، إذ يعتمدها في التّدريس على الحوار والمناقشة والتّعمّق في البحث والتّعليم. ونستخلص مقوّمات هذه الطّريقة القائمة على:

الحوار في التّدريس: أي لا يوجد هناك إلقاء، بل إثارة المشكلات التي تشخّص العلل. وهذه سمة المنهج الحديث الدّاعي إلى تشخيص العلل.

التّعمّق في البحث: وهذه من سمات البحث العلميّ المتميّز الذي يستدعي الإلمام بكلّ أطراف المشكلة؛ أي تحديد الفرضيات التي تعمل على إيجاد الحلّ.

توظيف العقل في النّقل: وهي نتيجة من نتائج عدم قبول كلّ الأمور على عواهنها قبل تشخيصها وعرضها على العقل، أي لا بدّ من توظيف الجانب العلميّ العقليّ المنطقيّ في كلّ القضايا.

وإنّ نصر الدّين المشدّالي لم يكن مبدعاً في مزايا الطّرائق التّعليميّة فقط، بقدر ما هو عالم بأمور المسلمين وذواتهم، فكان يرمي من منهجه اللغوي توظيفه في الدّين الإسلاميّ الذي كان ينظر إلى الأمور من منظور العقل أوّلاً، ثمّ ينظر إلى التّفاسير من باب النّتيجة، وقد تكون النّتيجة متعارضة مع منطقه هذا. ومع ذلك فإنّه وسّع باب الاجتهاد في الدّين، ودعا في إلى أمور أشمل وأعمّ فامتاز منهجه بالخصال الثّلاث:

الدّعوة إلى صلة المغرب بالمشرق، وهذه تعتمد على الدّين الإسلاميّ الذي عمل على التّوحيد بين شعوب هذه المناطق. وفي هذه النّقطة كان يدعو إلى الرّابطة الإسلاميّة بين الشّعوب الإسلاميّة، وبث الأفكار النّيّرة لدعوة النّاس للإسلام، وهنا يمكن اعتباره إنّه يتقمّص صورة القائد السّلفيّ الواعظ في المسجد، وصورة الإمام المعطاء لأشهى المعارف في الزّاويّة. ويذكر كتاب نفح الطّيب ج 5، 259 أنّ أبا الحسن علي بن موسى البحيري كتب إلى أبي علي منصور ابن شيخ عصره وفريد دهره ناصر الدّين المشدّالي الشّيخ الخاشع لما كان يبلغه عنه حتى قدر باجتماعهما بوهران أيام قضاء البحيري بها، ويقول:

أوحشتني ولو اطّلعت على الذي
لك في فؤادي لم تكن بي موحشاَ
يا محرقاً بالنّار قلب محبه
أنسيت أنّك مستكن في الحشا

وانظر إلى هذه المنزلة التي نالها جرّاء تواضعه وخدمته للعلم، والذي أكسبه المكانة الخاصّة لا عند العوام، بل عند خاصّة الخاصّة.

– اللغة العربيّة التي يجب أن تحظى بعنايّة خاصّة، فهي ليست مثل اللغات الأخرى وواجبنا جميعاً تعلّمها والعمل على نشرها.

– تهدئة الأوضاع السّياسيّة، والعمل على الوحدة الإسلاميّة التي لا تفصل الحدود بين المسلمين، وأنّ بلاد المسلمين لا يجب أن تقوم بينها الحروب.

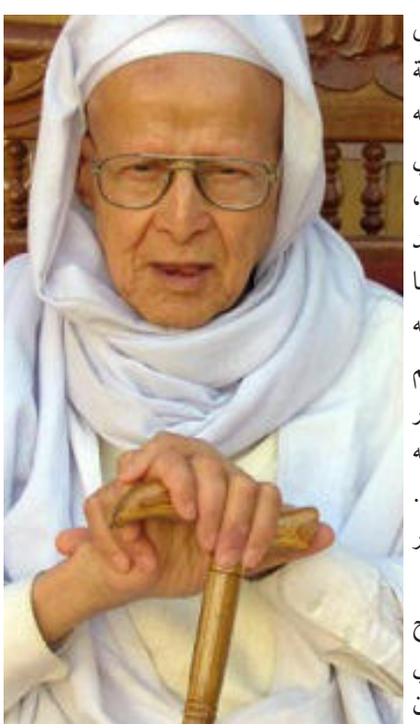
والحقيقة تقتضي منّا الوقوف عند هذه الشّخصيّة التي عمّرت كثيراً، وكان ذا فكر نقّاد وخلاق، ولذلك وجد مقاومة من خصومه، الذين عملوا على الإيقاع به والنّيل منه في تلمسان وكذا في القاهرة ودمشق، ولكنّه مضى في سدّ الثّغرات، وإصلاح الذات، ودعوة المسلمين إلى طهارة الأخلاق؛ حيث اتّخذ الوعظ وسيلة للتّأثير في المجتمع، وذلك ما أكسبه حبّ النّاس والدّعوة إلى طريقته وأفكاره.

وفي خاتمة هذه التّرجمة أودّ الإشارة إلى أنّ منطقة مشدالة أنجبت علماء آخرين مذكورين في ترجمات الأعلام، ولم يكن لهم إسهام كبير مثل ناصر الدّين، ومنهم:

- أبو عبد الله محمّد بن أبي القاسم المشدّالي (ولد في 824هـ).
- سالم بن إبراهيم بن عيسى الصّنهاجي (1375م - 1468م).
- محمّد بن محمّد بن أبي القاسم (1477م - 1461م).
- محمّد الصّالح الرّحموني المشدّالي (1739م- 1826م).

صالح بلعيد

ناصر بن محمد بن الحاج عمر مرموري (1335هـ-1927م/1432هـ-2011م)



ناصر بن محمّد بن الحاج عمر مرموري من عشيرة آت جهلان بالگرارة ولاّية غرداية عالم وداعيّة جليل من الگرارة بميزاب، أمه المرأة الصّالحة أبسيس عائشة بنت محمّد التي كانت تساعد زوجها بصناعة النّسيج التّقليدي، ووالده كان تاجرا في تونس الشّقيقة. وقد كف بصره بعد رجوعه إلى الگرارة وعندما سأله الشّيخ بيوض عن رأيه في إرسال ابنه إلى مصر قال له «إننا سبلنا ابننا النّاصر للعلم فكلفوه بالعمل أينما تريدون» وجده حاج عمر المرموري كان يرعى الأسرة بما يجود به بستإنّه وبما يرسله إليه ابنه من أجرته الزّهيدة بتونس. وكان يمارس الطّب التّقليدي من جبر الكسور وغيره.

نشأ الشّيخ النّاصر في منزل جده الحاج عمر المرموري وفيه تربى تربيّة صالحة في ظلّ شظف العيش وقلة ذات اليدّ لأن أباه كان غائبا في تونس ويسكن مع والده الحاج عمر، وفي سنة 1938م/ 1358هـ توفّي جده وورث الوالدّ ما ورثه من جده فتحسنت بعض ظروفه الماديّة. ثم تحولت بهم الظروف للسكنى في منزل ورثته أمه.

في سنة 1350هـ/ 1931م أدخله أبوه كتاب المحضرة التّابعة للمسجد الكبير بالگرارة يحفظ القرآن الكريم ويتعلم مبادئ اللغة العربيّة والدّين، وفي سنة 1354هـ/ 1935م تنقل إلى مدينة غرداية ونزل في ضيافة أحد أخواله وهو يتلقى العلم ويحفظ القرآن الكريم عند بعض شيوخ غرداية مدّة عام كامل.

في سنة 1936م دخل المدرسة الابتدائيّة الفرنسيّة ليتحصل في سنة 1940م تحصل على شهادة التّعليم الابتدائي ثم زاد عاما واحدا لإنّهاء هذه المرحلة.

في سنة 1942م أتم حفظ القرآن الكريم واستظهره بتفوق وامتياز وانضم إلى حلقة إروان في المسجد الكبير بالگرارة.

في سنة 1362هـ/ 1941م واصل دراساته في مرحلة المتوسّط في منزل الشّيخ بيوض ثم انتقل في مرحلة الثّانويّة إلى معهد الحياة في المسجد الكبير بالگرارة، وكان متفوقا في دراساته شغوفا بالمطالعة في أوقات إضافيّة عند بعض مشايخه.

لم يدرس الشّيخ في جامع الزّيتونة مثل غيره من رفاقه في البعثات العلميّة آنذاك. لأن مشايخه شاهدوا فيه النّبوغ والتّفوّق فاختاروه أن يكون أستاذاً معهم في معهد الحياة؛ وإنما حظي بحضور دروس بعض علماء جامع الأزهر في مصر عندما كان يشرف على طلبة البعثة العُمانيّة بالأزهر الشّريف منهم: الشّيخ محمّد أبو زهرة والشّيخ أحمد الشّرباصي، والسّيد سابق، والشّيخ محمّد الغزالي، والشّيخ فتح الله بدران، والشّيخ محمّد حسن ربيع، ويحضر محاضراتهم في مركز المؤتمر الإسلامي كل يوم ثلاثاء.

وأما أمسيّة الجمعة فإنّه كان يخصصها لتحقيق مسائل الفقه والتّاريخ مع العلاّمة الجزائري الشّيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد أطفيّش في منزله بحي المطريّة بالقاهرة قبل وفاته في سنة 1385هـ/ 1965م.

واصل لقاءات المطالعة مع الشّيخ أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى في أمسيّة كل جمعة، والتي بدأها منذ عصر التّلمذة إلى حين وفاته الشّيخ أبي اليقظان سنة 1973م في الفقه والتّاريخ، كما كانت له لقاءات عديدة مع الشّيخ البشير الإبراهيمي في مناسبات عديدة، لقد ملأ الشّيخ النّاصر الدّنيا وشغل النّاس فاستفادوا منه علما غزيرا ودينا قيما وأدبا جمّا لما قدمه من جهود فاعلة في ميدان التّربيّة والتّعليم والدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في حلّه وترحاله.

- **التّدريس**: في سنة 1947م عين أستاذاً للشريعة والأدب في معهد الحياة إلى آخر حياته.

- **الإشراف التّربوي**: في سنة 1962م اضطلع بمهمّة الإشراف على البعثة العلميّة العُمانيّة بمصر لمدة ثلاث سنوات، كما أرسل عدّة بعثات علميّة إلى معهد العلوم الشّرعيّة بسلطنة عُمان والجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة.

- وفي سنة 1996م اضطلع بمهمّة الإشراف على البعثة العلميّة الزّنجباريّة بالجزائر إلى حين وفاته.

- **الوعظ والإرشاد**: حوالي سنة 1950 بدأ مهمّة الوعظ والإرشاد للمجتمع النّسوي في دار الشّيخ بلحاج بالگرارة، ثم صار يتنقل لنفس المهمّة عبر مدن وقرى وادي ميزاب.
- وفي سنة 1979م كلفه الشّيخ بيوض بخلافته في منبر الوعظ بالمسجد إلى حين وفاته.
- فهو لا يزال يداوم على هذه المهمّة النّبيلة في كل زمان ومكان سواء كان داخل الوطن أو خارجه لما له من تأثير بالغ وأسلوب حكيم في الوعظ والإرشاد.
- **الخطّابة**: صار الشّيخ النّاصر إماماً وخطيباً للجمعة بالمسجد الكبير بالگرارة منذ 1971م.
- **الفتوى**: بسبب تمكنه الفقهي وتأثيره البليغ في نفوس السّامعين أصبح الشّيخ النّاصر المرموري مرجع النّاس في أسئلتهم الشّرعيّة في الجزائر وفي مواسم الحج والعمرة وغيرها من تحركاته العديدة داخل الوطن وخارجه..
- **كتابة الوصايا**: لقد تفرغ الشّيخ النّاصر المرموري لكتابة الوصايا في مجتمع الرّجال والنّساء.
- **توجيه الحجاج**: قبل الذهاب إلى الحج يرشد وفد الحجاج في المسجد وفي لقاءات خاصّة وأثناء وجوده في البقاع المقدسة كان يرشد الحجاج ويحل إشكالاتهم الدّينيّة ضمن البعثة الجزائريّة للحُجاج منذ أكثر من 40 سنة.
- **إصلاح ذات البين**: لقد حبا الله شيخنا بسعة الصّدر وكرم المعشر والتّواضع والحياء والمهابة والذكاء والفطنة وكرم الضيافة فرشحه كل ذلك للقيام بأصعب مهمّة في المجتمع وهو إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في الحياة الزّوجيّة أو الحياة الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة.. فكان في كثير من الأحيان يوفق إلى رأي الصّدع بينهم.

مراتبه الاجتماعيّة والعلميّة:

- في سنة 1971م اختاره الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض عضواً ضمن حلقة العزابة بالمسجد الكبير بالگرارة.
- في سنة 2004م عيّن شيخاً للگرارة ورئيس حلقة العزابة فيها.
- في سنة 1986 خلف الشّيخ عبد الرّحمن البكري في رئاسة النّدوة الفقهيّة ببريان.
- الرّئيس الشّرفي لمجلس عمي سعيد منذ سنة 2004 خلفاً لرئيسه الأسبق الشّيخ شريفي سعيد بن بلحاج.
- رئيس عشيرة آت جهلان بالگرارة.
- تحصل على إجازة في الحديث من إحدى حلقات المسجد النّبوي بالمدينة المنوّرة.
- اقتفى الشّيخ النّاصر المرموري سيرة بعض الأسلاف فلم يؤلف كتباً كثيرة وإنما ألف القلوب والرّجال، ومع ذلك لم يعدم كتابات مفيدة منها:
- مختصر في رحاب القرآن للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض.
- كتاب في رحاب السّنة شرح مسند الرّبيع بن حبيب.
- أناشيد شعريّة في كتاب الأناشيد للحفلات والأفراح.
- مقالات وقصائد في جريدة الشّباب بمعهد الحياة.
- محاضرات عن الرّبيع بن حبيب وأصول الشّريعة الإسلاميّة والشّيخ السّالمي.
- فتاوى ورسائل للرد على أسئلة النّاس وفتياهم في الدّين والحياة.
- أقراص مدمجة ودروس مختلفة في مجالات فقهيّة وتاريخيّة واجتماعيّة عديدة.
- حاشيّة وتعاليق على كتاب الوضع لأبي زكرياء الجناوني.
- كان الشّيخ ناصر المرموري متحركاً لا يعرف الاستگرار داعيا إلى الله يحبّ لقاء المسلمين، وقد زار دولاً كثيرة منها: تونس - وليبيا - والعراق - والكويت - والسّعوديّة - ومصر - وسلطنة عمان - وتانزانيا - ومعظم ولايات الجزائر.

ومن بين العلماء الذين كانت لهم به صلة في هذه الرّحلات: الشّيخ ناصر الدّين الألباني بالسّعوديّة، والشّيخ مصطفى الزّرقاء بالكويت، والشّيخ الحاج محمّد باي بلعالم مدرس بأوّلف بأدرار وغيرهم.

بعد هذا الجهد الجهيد والإخلاص العظيم في الدّعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وافته المنيّة قبل العصر من يوم الأحد 12 جمادى (15/ 1432 ماي 2011م. ودفن في مسقط رأسه في مقبرة الشّيخ الحاج محمّد المؤذن بالگرارة مساء يوم الاثنين في جنازة عظيمة رهيبة حضرها العلماء من جميع الوطن الجزائري وخارجه. رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- كروم ج أحمد، محاضرة بعنوان التّربيّة الرّوحيّة عند الشّيخ النّاصر المرموري وأثرها في بناء المجتمع الصّالح، قدمت في فعاليات الأسبوع الوطني التّاسع عشر للقرآن الكريم، التّربيّة الرّوحيّة في القرآن الكريم، عنابة من 18 إلى 20 ديسمبر 2017م؛
- استمارات معجم أعلام الإباضيّة مرقونة، جمعيّة التّراث، الگرارة - غرداية، 4صفحات.

ناصر بن يوسف بن مزني
(781هـ - 1379م/823هـ - 1420م)

ناصر بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن مزني البسكري، ويكنى بأبي زيان، كان والده يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن مزني واليا من قبل الحفصيين على الزّاب وقاعدته بسكرة. ومزنة كما يقول المؤرّخون بطن من بطون قبائل الأثبج الهلاليّة. وهو عالم مُقرئ ومؤرّخ وفقيه ولد بمدينة بسكرة في شهر المحرم من سنة 781 للهجرة الموافق لشهر أبريل سنة 1379 حسب التّقويم الميلادي. يقول الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي عن أبي زيان، وهو من الذين ترجموا له، إنّه ينحدر من أسرة كريمة هي منتهى رئاسة الزّاب وأرض الحضنة

منذ تولاها جده الفضل بن علي بن مزني. أخذ مبادئ العربيّة والعلوم الشّرعيّة بمسقط رأسه كما توسع في علوم العصر ومعارفه على يدّ مجموعة من المشايخ. فأخذ علم القراءات على يدّ الشّيخ أبي الحسن علي بن عبد الرّحمن التّوزري، وأخذ الفقه عن كل من الإمام أبي عبد الله محمّد بن عرفة والشّيخ أبي فارس عبد العزيز بن يحيى الغساني البرجي والشّيخ محمّد بن علي إبراهيم الخطيب. وأخذ الحديث عن الشّيخ عيسى بن أحمد الغبريني.

ولما شب انتقل إلى الدّيار المصريّة، طلبا للعلم، وذلك سنة 803هـ الموافق لـ 1400 وخلال تلك السّنة توجه للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج رفقة ركب حجاج بلاد المغرب، وكان ذلك الرّكب عادة ما يقيم لفترة في القاهرة قبل انتقاله إلى الحجاز. وخلال تلك الرّحلة نكب أبوزيان في ماله وفي كتبه التي كان يحملها معه بعد أن تعرض الرّكب الذي كان فيه إلى عمليّة نهب وسلب. وفي الوقت نفسه، تعرضت أسرة بني مزني، وكانوا أمراء بسكرة، إلى نكبة؛ حيث تم عزل والده يوسف عن الإمارة وصارت عائلة بيت أبي مزني محل حجر وتضييق من طرف الحفصيين، وهو ما دفع أبو زيان للاستقرار في مصر لدى عودته من الحج، وكان بها يومئذ المؤرّخ الكبير عبد الرّحمن بن خلدون فمد له يدّ المساعدة وسعى له لدى الدّوائر الحكوميّة ليؤمن له الاقامة بالقاهرة. وسبق لابن خلدون أنّه لما كان في الجزائر ارتبط بصداقات مع أسرة بني مزني وكان كثيرا ما يتردد عليهم ويقيم عندهم. وخلال إقامة الشّيخ ناصر بن يوسف بن مزني بمصر التقى بعدد من العلماء والشّيوخ كالشّيخ تقي الدين الدِّجْوي الذي سمع عنه الحديث وكذا العالم المعروف ابن حجر العسقلاني الذي لازمه مدة من الزمن فأخذ عنه.

كان لأبي زيان ناصر بن يوسف بن مزني اهتمام كبير بتسجيل وقائع التّاريخ وأحداثه فبعد النّكبة التي ألمت بعائلته في الجزائر على يدّ بني حفص آثر عدم العودة إلى بسكرة واستقر في القاهرة. فشرع حينها في تأليف كتاب في التّاريخ وتوصل إلى جمع مادة مستفيضة في هذا المجال حتى أنّه كان يُصنف ما كتبه بالمجلدات، لكنه لم يتمكن من تبييضه بعد أن أصيب سنة 822 هـ الموافق لـ 1419 بعلة في بصره ولازمته حتى وفاه الأجل في السّنة الموالية وهو ما يزال ضريرا. ويبدو أن مسودات ذلك الكتاب تفرقت وضاعت فيما بعد. ويقول المؤرّخ عبد الرّحمن الجيلالي بشأنها « ولعل أكثرها عمل بطائن مجلدات»، ويصفه بالعالم المقرئ والمؤرّخ والفقيه، له اهتمام كبير بالتّاريخ وأخبار الرّواة. وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو من العلماء الذين عرفوا الشّيخ ناصر بن يوسف عن قرب، إنّه لو أتم أبو زيان كتابه في التّاريخ لكان مائة مجلد، لأنّه «جمع في مسوداته ما لا يعد ولا يدخل تحت الحد». كما تكلم عنه المؤرّخ المصري المعروف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي وذكر أنه كان كثير التّردد عليه، ومعروف عن المقريزي أنّه من كبار مؤرّخي مصر في العصر الوسيط.

وقدّ توفي الشّيخ ناصر بن يوسف بن مزني بالقاهرة في 20 شعبان من سنة 823 هـ الموافق لـ 30 أوت 1420 م.

عامر بغدادي

المصادر:

- تاريخ الجزائر العامّ، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 2، دار الثّقافة، بيروت.

■ نادية گندوز
(1531هـ-2391م/4141هـ- -3991م)

نادية گندوز، أديبة ومجاهدة وشاعرة جزائرية باللسان الفرنسي، ولدت سنة 1932 في القصبة بمدينة الجزائر.

عاشت طفولتها تحت الظروف القاسية التي سلطها الاستعمار على أبناء القصبة، تخلت عن الدراسة وهي صغيرة السّن نتيجة لأوضاع اجتماعية خاصة، ولعل من الأسباب التي ساهمت في ابتعادها عن الدراسة هو المرض الذّي ألم بها مبكرا، أدخلت المستشفى في شبابها بسبب مرض عضال، وهناك انكبت على المطالعة ثم تابعت دراستها عن طريق المراسلة كممرضة، على الرّغم من بعد التمريض عن الأدب والشّعر، فإن نادية گندوز لم تتوقف عن مطالعتها لمختلف الكتب، فكانت مداومة لمكتبة «عبعوب» وهي مكتبة من تنشيط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكانت استفادتها الأدبية منها هامة جدا، انتقلت في سنة 1954 إلى فرنسا للعلاج من مرضها بإحدى المستشفيات الفرنسية، وهناك كان احتكاكها بمجاهدي الثّورة التحريرية فانخرطت في فيديرالية جبهة التحرير الوطني هناك، ونتيجة لنشاطاتها الثّورية تم سجنها بإحدى السّجون الفرنسية، بعد الاستقلال انخرطت في الاتحاد العام للعمال الجزائريين وتبنت الدفاع عن ترقية عمل النّساء في الجزائر، بدأت في نهاية السّتينات في نشر بعض أشعارها حول حالة الجزائر والإنسان، شاركت في الكتب المدرسية باللغة الفرنسية بعدد من الأشعار، وكعضو بارز في اتحاد الكتاب الجزائريين، كانت لها عدة نشاطات فكرية، إذ شاركت في عدة ملتقيات ومهرجانات ثقافية داخل وخارج الوطن، وأثناء أزمة الجزائر كان زملاؤها يحذرونها من خطورة تلك النّشاطات على حياتها، فكانت تقول: «يشرفني جدا أن أعتقل بسبب هم ثقافتي ووطني ...»

من أقوالها: «اخترت في حياتي أن أكون سجينة في وطني، على أن أبدل سجني هذا بحريات لاجئ أو غريب عن وطنه في أوطان أخرى»، ولم تغادر «نادية گندوز» الجزائر على الرّغم من مشاهدتها العديد من زملائها يغادرون البلاد هروبا من الموت، بالإضافة إلى كون «نادية گندوز» شاعرة ومجاهدة، فإنها كانت أيضا سياسية متحمسة، وكانت من بين أنشط الأقطاب المنادية بالديمقراطية في الجزائر، وهو الأمر الذّي عرضها للاعتقال في

29 تشـرين الأول-أكتوبـر 1988م إثر الفوضى السّياسـية التي تعرضـت لها الجزائـر في تلك الفتـرة. ولـم تتوقـف عن نشـاطها السّياسـي، بـل كان اعتقالهـا حافـزا لهـا للكتابة عـن أزمة الجزائر، فكان آخر عمل شعري لها هو «حالة حصار»، و»صيف تحت الدبابات».

عملت مع العديد من المثقفين الجزائريين علـى تأسـيس تجمع يحفـظ كرامـة المثقف والفنـان في الجزائر باسـم – تجمـع الفنانين والمثقفين والعلميين «Rassemblement des Artistes Intellectuels et Scientifiques» .

كان بيتهـا مركـزا لاجتمـاع أعضـاء هـذا التجمـع، علـى الرّغـم ممـا كان يحيـط بالنّشاطات الجمعوية من شكوك ومخاطر في تلك الفترة.

بقيت تكافح من أجل الثّقافة والديمقراطية إلى أن انتصر عليها المرض، وتوفيت في شهر نيسان- أفريل من سنة 1993م

- نتاجها الفكري والأدبي:

تركت نادية قندوز عدة أعمال منها:

1. آمال، طبع سنة 1968م.
2. الحبل، طبع سنة 1974م.
3. حالة حصار.
4. صيف تحت الدبابات.

نماذج من شعرها:

وهي بعض القصائد التي ترجمها (جروة علاوة وهبي) من ديوانها (آمال)

طفلة احسست بالجوع
طفلة أحسست بالجوع
بكيت
من أجل قطعة خبز
إنها القسوة
في المدرسة انظر
الأخرين يتذوقون
ويرمون أحيانا
ما أحتاجه
إنها القسوة
لكن لاشيء
مقابل الخجل الذّي غمرني
حين المعلمة في الفصل
تشتري الخبز
ارفعن ايديكن
اللواتي يشعرن بالجوع
أصابعي تتوقى
وتبقى يدعى ساكنة
تلمع عيناي بالدموع المنهمرة
المعلمة تعرف
وبهدوء عند الخروج
تعطيني خفية قطعة خبز
قطعة خبز
لم أعد جائعة
الخارجون عن القانون
أنت مختبئ جيدا يا قلبي
هنا في ركنك
طبعا أنت تخفق
لكن هنا لن يصلوا إليك
قل يا قلبي، قل لي
الرّعب
القبعات
الدبابات
كل هذا لايصل إليك
طبعا هناك الرّصاص
لكن ياقلبي
أتؤمن
أتؤمن بالخارجين عن القانون؟
دمهم يجري فيك
إنه يحترق، إنه يحترق
مثل نيران اللهب
ودموعك يا قلبي
غير جديرة بك
يجب أن تثبت
تحتج
تصرخ
عوض أن تبكي
لأجل اليوم الذّي فيه شمسنا
تشرق على الانتصار
انتصار الخارجون عن القانون
نوّال
نار الحقد
نار الأسلحة
تلتهب وتحرق
تحرق القلوب
تحرق الدموع
النّار شعلة
الشّعلة التي تصرخ
الشّعلة التي تزفر
الشّعلة التي تنطفئ
في الحلق
خشبة تتحطم
مات رجل
أنه نوّال 1957
نار الحطب
اللعب
قطع الشّكولاطة
أنا كذلك أحب هذا
لي لا توجد
لا توجد
لأنني لم يعد عندي أب
أمي قالت لي
هذا العيد ليس لك
أمي – الأب- نوّال
هل يعيد لي أبي؟
حوار
أحب وطني
من يمنعني أن احبه
أحب الحرية
لذلك أ ريده حرا
ما تحبه لنفسك
أريده لنفسي
لأنك في المدرسة
علمتني
أريده أن أطبق
لماذا تلومني
أندمت على الدروس
ماذا أفهم؟
أنت الذّي في ال 40
قاومت وصمدت
عشت المقاومة
أترفض مقاومتي؟
تسمى التمرد
حربا – ثورة
أنت كذلك قتلت
معي إلى جنبك
لأساعدك
أنت كذلك ترصدت
أنت كذلك في ظلمة الأقبية
عملت
ماهو بالنّسبة لك

بطولة
بالنّسبة لي
هو لصوصية
اغتيال
لا!
أتدري
أنت لا تفهمني
لذلك صدك
أحارب
آمال الرّبيع
بكيت
الجزائر

قبل الحرب
حزن قلبي
كان كبيرا
بإفراط كبير
كنت وحدي احتمله
وحدي أحبه
بكيت
على شعبي
الّذي رفضني
أردت أن أناضل
قالوا ليس بعد
جهرت بارادتي في المساعدة

قيل لي فات الأوان
اذن كسرت كل شيء، حطمت
وهربت
لأنطوي أكثر
ليست أمي
الآن حين أبكي
فمن حنق الفرح
والرّبيع ليلا
إنه الليل
لكنه الفجر والشّفق
لربيع 1961

رابح دوب

المصادر:

- عاشور شرفي: الكتّاب الجزائريون قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015؛
- قصائد لنادية قندوز، تر: جروة علاوة وهبي، جريدة النّصر، يوم 05/ 08/ 2013.

■ نجيّة عبير
(1368هـ - 1948م/ 1426هـ - 2005م)

الكتابة عن الروائيّة والشاعرة القسنطينيّة نجيّة عبير،، بحاجة في اعتقادي إلى ما يشبه (الخلوة) كي نقدر على لملمة شتات التفاصيل الحميمة حولها من خزان الذاكرة المشوشة باليومي والعابر، هي امرأة غير عاديّة بالمطلق، يمكن أن تختزل حياتها في لوحة إغريقيّة تراجيديّة الأبعاد والمضامين، أكثر من نصف قرن من الأعوام الزخمة والمتفردة، قضتها نجيّة في مواجهة رياح التحدي العائليّة وتقاليد المجتمع القسنطيني المحافظ، ناهيك عن رغبة داخليّة جامحة في اقتحام عوالم الإبداع، مدججة بعواطف جارفة ورؤى نوستالجيّة وجراح لا تندمل.

أول ارتباطي بكتابات نجيّة عبير كان منذ عشر سنوات خلت، وقبل شهور من رحيلها الصاعق والمفاجئ عام 2005 في سن 57 عاما إثر سكتة قلبيّة مفاجئة، في يوم من أيام الله كان الجو عبوسا وشمسه خجولة، زارت الروائيّة نجيّة عبير (اسمها الحقيقي نجيّة بن زقوطة) مدينتها ومسقط رأسها قسنطينة، كانت وهي تخطو بين أزقة المدينة القديمة (السويقة) موطن طفولتها ومهد براءتها وشقاوتها، وكأنها تزورها لأول مرة، بعد غربة دامت سنوات طويلة أمضتها في الخارج، متلهفة تسير من درب إلى آخر، شاردة الوجدان، تحدق في الدكاكين و الناس والجدران المهترئة والقرميد المؤثث بأعشاش السنونوات واليمام العاشق، عيناها تشعان مثل الزمرد، مسكونة بحنين حارق ولهفة صوفي حيران، كنت في مقهى عمي زيدان في حي البطحاء، أقف عند عتبة الباب، أرتشف الشاي بنعناع معطر، ومرت نجيّة رفقة حفيد ابن العلامة الشيخ ابن باديس، كانا يتبادلان أطراف الحديث في حماس فياض حول شؤون الحياة، وكان الحديث فيما يبدو لي مستعجلا لم تلتقط منه أذناي شيئا ذا بال، ياريت لو أنني تجاسرت حينها وطلبت مقابلتها وإجراء حوار صحفي مطول معها يليق بمقامها البهي قبل أن تقفل عائدة إلى العاصمة مقر سكنها، حيث تقيم مع عائلتها الصغيرة منذ سنوات، كنت أعتقد أنها ستطيل المكوث بمدينتها التي ولدت بها ذات يوم وتحديدا في يوم (16) من شهر سبتمبر عام 1948 وكتبت عنها روايتين لم تكتمل ثلاثيتها المنتظرة بعد أن خطفها القدر في لحظة سهو من الجميع يوم21 أكتوبر 2005، لقد قرأت روايتها الأولى (قسنطينة) الصادرة عن دار النشر البرزخ باللغة الفرنسيّة، بشغف لا يوصف، كونها تتحدث عن نفس أجواء الطفولة وعن المكان نفسه الذي ولدت وعشت به مدة نصف قرن تقريبا، أقصد المدينة القديمة (السويقة)، إنها روايّة سيرة ذاتيّة بأبعاد رومانسيّة مرهفة و موشحة بشجن غريب، سردت فيها بنسوج شاعريّة بسيطة وشفافة وتلقائيّة، محطات من حياتها التي ضجت بالتحولات والمغامرات التي لا تنتهي، بدءا من زنقة المسك، المكان الذي تتقاطع وتتلاحم فيه المنازل القديمة مثل أضلاع الصدر أو أنامل حرفي ماهر من قامة إدريس أمين خوجة الذي زارته خلال تجوالها بدكانه حيث صناعة النحاس تأخذ أبعادا فنيّة تسحر العين، وها هو المكان نفسه يتحول بفضاءاته المسكونة بكل همسات و أوجاع وضحكات وأحلام وأمان وحب وأشواق وحنين وأنين، إلى (تميمة) تعلقها الروائيّة -كما تقول- على صدرها أينما

حلت وارتحلت، تحدثت في روايتها عن أحياء سيدي بوعنابة والسيدة والبطحاء والسويقة السفلى وكل ما له علاقة بالمدينة القديمة، كانت تحاول تأبيد لحظات سرقها الزمن وتجتهد في بعثها للوجود مجددا وكأنها تريد أن تجعل من الذاكرة بيتها الأبدي وموطن مشاعرها الصادقة، البعيدة عن اللحظة الراهنة التي تكابد الأمرين لكي تتناساها بكل ما تحمله من جديد مصطنع ومزيف ومركب، هذا الواقع الذي هشمت تماثيله و مزقت أقنعته المنافقة في روايتها الثانيّة الموسومة بـ (باب القنطرة) والصادرة عن دار apic)) عام2005 أي قبل رحيلها بمدة زمنيّة قصيرة، وهذه الروايّة أيضا تتضمن فصولا أخرى عن سيرتها الذاتيّة، إبان طفولتها ومراهقتها مع التذكير أن روايّة (باب القنطرة) صدرت قبلها روايّة أخرى عام 2004 بعنوان (ألباتروس) عن دار نشر (Marsa) وهي روايّة موازيّة لروايتيها الذاتيتين السابقتين، حيث يتضمن نصها الأخير نقدا اجتماعيا وسياسيا لاذعا، والمثير غي الأمر أن بطلتها حملت اسم (نجمة)، لكأن هذا الاسم الروائي المميز و الجميل صار (أيقونة) أمل وعنوان نضال ضد كل أشكال التعسف والظلم والعنصريّة الاجتماعيّة والتمييز بين الجنسيين والتقاليد أن نجيّة عبير بما ملكته من نفس طويل في الكتابة و إتقان مرفق بإطلاع ممتاز على أداب اللغات الأجنبيّة، على غرار الفرنسيّة التي درستها في الأردن، والإنجليزيّة التي درستها في الولايات المتحدة الأمريكيّة ودرستها فيما بعد بالمدرسة العليا للأساتذة بالعاصمة، وبثانويّة في الرويبة، كل هذا مهد لها السبيل لاقتحام عالم الكتابة بألمعيّة واقتدار كبير، فضلا عن موهبتها التي لا تخطئها العين في تدبيج الشعر والقصة القصيرة، حيث أصدرت في هذا الصدد أيضا مجموعتين هما (السنونو

رشيد فيلالي

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

نصر الزَّواوي التِّلمْسانِيّ
(ت: 826هـ - 1422م)

أَبُو نَصْرُ الزّوَاوِي التّلمساني عالمٌ وفقيهٌ ومحقّقٌ، ومن الصّلحاءِ الزّهّادِ والعبّادِ، يقول أبو عبد الله الملاّلي التّلمساني: «كان هذا الشّيخ عالماً محقّقاً، زاهداً عابداً، ولياً صالحاً، ورعاً ناصحاً» (البستان، ص295). وفي ذلك إشارة واضحة إلى القيمة المرموقة لشخصيّة هذا العلاّمة، فهي ذات أخلاق رفيعة، وآداب راقيّة، تكشف عن علميّة سيدي نصر وصلاحه وزهده وطاعته لله عز وجلّ.

ولفظة (الزّواوي) في العُرف الجزائري نسبة إلى (الزّواوة)؛ وهي تسميّة معربة لمجموعة من الأعراش الأمازيغيّة التي تقطن في الشّمال الشّرقي الجزائري، أما أمازيغ الشّمال الأوسط والغربي فيُعرفون لدى العامّة بتسميّة (القبائل)، ولذا فإذا قيل (زواوي) في الغرب الجزائري فهذا يعني أنّ هذا الشّخص من منطقة القبائل الكبرى في شرق الجزائر العاصمة.

أما عصره فهو عصر انبعاث دولة بني عبد الواد (الزّيانيّة) وإعلان قيامها من جديد في عاصمتها التّقليديّة (تلمسان) سنة (760هـ 1358-) على يدّ السّلطان أبي حمو موسى الثّاني الذي حكم إلى سنة (791هـ - 1389م) ثم خلفه أوّلاده، وقد بذل جهدا كبيرا كي يجعل حاضرة تلمسان من جديد منارةً للعلم والأدب والفنّ، تسطع بشعاعها على المغرب الإسلامي كلّه، فنبغ علماء وفطاحل وأدباء كبار في مختلف العلوم والمعارف.

لم تُشر كتب التّراجم إلى مولد الشّيخ نصر الزّواوي التّلمساني، ومن المرجّح أن يكون بعد النّصف الثّاني من القرن الثّامن الهجري؛ أي بعد (750هـ1349-م)، ويُرجّح أيضا أن يكون قد وُلِد بمنطقة القبائل الكبرى، وهذا ما نستنتجه من خلال ما يورده تلميذه الولي الصّالح الشّيخ الحسن الرّاشدي أبركان المزيلي الرّاشدي (ت868هـ1464-م) حينما يقول: «وَكَان شيخُنا سيدي نصر لم يأت لتلمسان حتّى أتقن علم العربيّة ببجايّة على مشايخها، وقرأ على العصّوني شارح أرجوزة التّلمساني في الفرائض». (البستان، ص183). وفي ذلك إشارة إلى أنّ الشّيخ نصر الزّواوي قد تعلّم علم العربيّة ببجايّة، باعتبارها الحاضرة التي كانت تضم كبار العلماء المتخصصين في الفقه والأصول والتّفسير والعلوم اللغويّة والأدبيّة، ويتم التّدريس فيها وفق مناهج تعليميّة خاصّة قائمة على تعليم المتون والأراجيز الفقهيّة واللغويّة المتخصّصة.

وقد تعلّم الشّيخ نصر الزّواوي أيضا على يدّ مشايخ حاضرة تلمسان المشهورين آنذاك، ومنهم على وجه الخصوص العلاّمة محمّد بن مَرْزُوق أبو عبد الله العجيسي التّلمساني المالكي، المعروف بحفيد ابن مرزوق (ت842هـ - 1438م)، صاحب الشّروح والمتون والمختصرات والمنظومات والمباحث في الحديث والفقه والنّحو والعروض والقوافي وغيرها. فقد أخذ سيدي نصر الزّواوي عن ابن مرزوق إلى جانب علماء كبار؛ أمثال عبد الرّحمن الثّعالبي، والقاضي عمر القاشاني، وأبي البركات الغماري وغيرهم كثير.

وقد أغنت هذه المعارف حافظة الشّيخ نصر الزّواوي، فأضحى عالماً بالعربيّة واللغة وعلومها والقراءات، بارعاً في ذلك، جامعاً بين الرّوايّة والدّرايّة، نحوياً عالماً بالتّفسير والفقه، عارفاً بعلم الكلام والأصول، غزيرَ العلم، نبيهاً ذكياً صاحبَ استنباطات، مكّنته من أن يتصدّر للإقراء والتّدريس، فبَعُدَ

صيتُهُ، حتى أثنى عليه المقري، ووصفه بالعلّامة. وأشاد العيني بصلاحه وورعه، فوصفه بالعلم والفضل والزّهد.

وقد أخذ عن الشّيخ نصر الزّواوي التّلمساني مجموعة من التّلاميذ؛ منهم على وجه الخصوص الفقيه العلّامة سيدي محمّد بن يوسف بن عمر بن شعيب الإمام السّنوسي (ت895هـ – 1490م)، أخذ عنه كثيراً من العربيّة، ولازمه كثيراً، وحدّث عنه إنّه كثيراً ما ينهي عن إعطاء العلم لغير أهله، وقال «يجيء المتعنّت كثيرا إلى العالم يسأله عن مسألة على وجه يرى من نفسه إنّه عارفٌ بها، ويقصد سرقة الجواب، فإذا أجابه العالم أنكر الجواب، وربما يقول له: إنّه غير صحيح، أو ضعيف، ثم إذا سئل هذا المتعنّت عنها أجاب بعين ما أنكره على العالم، فيحرم إجابة المتعنّت لئلا يعطي الحكمة غير أهلها». وهي روايّة تترجم سمات النّبوغ والذكاء والفطنة التي كان يتمتّع بها سيدي نصر الزّواوي، وقدرته على تمييز العالم المتأدّب من المتحذلق المتعنّت الذي يدّعي ما ليس فيه، لذا حرص على إمداد العلم لمن يستحقه.

ويذكر القاضي ابن الأزرق ضمن هذه الأخلاق والسّجايا أيضا أنّ سيدي نصر الزّواوي كان ينهانا عن كتابة القرآن العزيز في الحروز التي تساق إلينا، قال: «مررت يوماً بمزبلة فإذا بكاغد مطوي ملقى عليها، فرفعته فإذا هو خطي فيه آيات من القرآن، فجعلته في جيبي، وعاهدت الله أن لا أكتب قرآنا في حجاب». و(الحرز) أو (التّميمة) أو (التّعويذة)، في العُرف الشّعبي المغاربي بصفة عامّة، يُطلق على ما يُكتب فيه من آيات قرآنيّة أو دعوات مأثورة في أوراق أو وريقات، يُحرّرها الطّلبة أو الفقهاء بصفة عامّة، وقد يكتبها الدّجّالون والسّحرّة ضمن طلاسم ما، تُطوى وتُحمل غالبا في ما يسترها ويحفظها في خرقة، أو جلد في مربعات صغيرة، تُكتب لدفع أذى، أو جلب مبتغى ما، قد تُعلّق في العنق أو اليد أو العضد أو البطن باستعمال خيط أو غير ذلك. وقد أبطلها الإسلام، ورفضها العلماء الصّادقون؛ لأنها نوع من الممارسات المنحرفة على الدّين. وقد حارب سيدي نصر الزّواوي التّلمساني هذه الظاهرة؛ لأنها قد تطمس في جوهرها العقيدة الإسلاميّة الصّحيحة والسّليمة.

ذكر شمس الدّين السّخاوي أنّ الشّيخ نصر الزّواوي المالكي بعدما أن قَدم من بلاده، نزل بيت المقدس، فأقام به قريبا من عشرين سنة على قدم التّجرّد والاشتغال بالعلوم والعبادة ليلا ونهارا، قانعا باليسير، إلى أن توفّي، ودُفن بها سنة (826هـ– 1422م). ومن آثاره أنّ له شرح على كتاب المختصر ابن الحاجب.

وردت ترجمة سيدي نصر الزّوَاوي التّلمساني في: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، لابن مريم، والضوء اللامع لأهل القرن التّاسع لشمس الدّين السّخاوي، ونيل الابتهاج بتطريز الدّيباج للتنبكتي، ومعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، ومعجم أعلام تلمسان للتيجيني بن عيسى.

عبد الحليم بن عيسى

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

■ نعيم النّعيمي
(1327هـ - 1909م/1393هـ - 1973م)

الشّيخ العلّامة النّسابة المحدث الفقيه اللغوي المدرس المصلح نعيم النّعيمي بن أحمد بن علي بن صالح.ولد سنة (1909م، 1327ه) في قريّة سيدي خالدّ (غرب ولايّة بسكرة على الحدود مع ولايّة الجلفة– الجزائر) وهو سابع إخوته الثّمانيّة، بمكان يسمى (الخماري) وهو من قبيلة أوّلاد حركات التي تعرف بتلك المنطقة؛ وهي قبيلة عربيّة اتصفت بالعلم والعمل والكرم.

نشأ نعيم النّعيمي على تعلم القرآن. وحفظه على يد خاله الشّيخ مصطفى بن صحراوي في بلدة سيدي خالدّ، وهو ابن تسع سنوات. وتلقى المبادئ الأوّليّة من القرآن الكريم عن الشّيخ محمّد بقيرة في الزّاويّة المختاريّة بأوّلاد جلال، ثم انكب على حفظ متون اللغة العربيّة ورسائل البلغاء قديما وحديثا، وتعلم الفقه المالكي والتّفسير والأصول والبلاغة والعروض وعلم المنطق على عدد من شيوخ عصره، حيث مكث في هذه الزّاويّة أربع سنوات.

قصد تونس سنة (1924م) لمزأوّلة دراسته بجامعة الزّيتونة، ولكنّه لم يلبث أن مكث فيها بسبب ظروف ماديّة كان يمرّ بها، ثم عاد ليتنقل في الغرب الجزائري. واتصل بشيوخ جمعيّة العلماء الجزائريين في كل من الجلفة ومستغانم وتيارت ومعسكر والشّلف، إلا أن مكوثه طال في مدينة الشّلف باحثًا ومنقبًا عن الكتب والمخطوطات ومجالسّة العلماء.

من شيوخه في الزّاويّة المختاريّة بأوّلاد جلال نذكر:

– الشّيخ العالم الأديب والشّاعر العابد بن عبد الله (هو ابن الشّيخ محمّد بن العابد الأديب الشّهير).

– الشّيخ مصطفى بن قويدر الضرير العالم الأديب الشّاعر.

– الشّيخ العوامر إبراهيم صاحب الكتاب التّاريخي (الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف).

وكان – حتى في آخر أيامه– يتحدث عن شيوخه في الزّاويّة المختاريّة بشيء من الإجلال والتّعظيم ويعترف لهم بالفضل الجزيل وكان يصفهم بغزارة المعرفة والتّمكن البالغ من المعارف الدّينيّة واللغويّة والورع الشّديد والتّعبد الدّائم، وتخرج من هذه الزّاويّة سنة

(1342 هـ – 1923م) بعد أن وعى واستوعب ما فيها.

أما في تونس فقد قرأ وحفظ القراءات عن الشّيخ عثمان والشّيخ إبراهيم عوض. وتوجه إلى الإسكندريّة واتصل بالشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن وناوله ألفيته في القراءات، وبعامّة فقد اتصل بعلماء كثيرين في البلاد العربيّة وأخذ عنهم الأحاديث النّبويّة روايّة ودرايّة وقد أجمع عارفوه إنّه ذو نفس عصاميّة وعزم شديد. سهلت عليه الضرب والسّير في البلاد بعيدا عن مضارب أهله. ودام ذلك عددا من السّنين، احتك فيها بأهل العلم واستفاد منهم، وهذا ما جعل الشّيخ البشير الإبراهيمي يدلي فيه كلمة حقّ وشهادة هذا نصها: «وأما الشّيخ نعيم النّعيمي فهو عصامي في العلم. حجة على أن الذكاء والاستعداد يأتيان مع قليل من التّعليم بالعجائب. والرّجل مجموعة مواهب. لو نظمت في الصّغر ووجهت" لجاءت شهادة على أن لا مبالغة في كل ما يروى عن أفذاذ المتقدمين، فهو يحفظ الأحاديث بأسانيدها لا على طريقة عبد الحي. ويحفظ عدّة ألفيات في السّير وعلوم الأثر والنّحو وغيرها. ويحفظ كثيرا من متون العلم. ويجد فهمها وتفهيمها ويحفظ جزءا غير قليل من اللغة مع الثّقة في التّراكيب. ويحفظ أكثر مما يلزم الأديب حفظه من أشعار العرب قديمها وحديثها. ومن رسائل البلغاء، وينظم قطعا من الشّعر كقطع الرّوض نقاء لغة. وصفاء وديباجة وحلاوة صيغة. وقد أسس له الرّجز قيادة. فهو يأتي منه بالمطولات لزوميّة منسجمة سائغة في رويّة تشبه الارتجال. وهو ثاني اثنين من رجاز العرب في عصرنا هذا. ولو شئت لذكرت الأوّل... وإنما أثرت نعيما بهذه الكلمات لانه ليست له شهادة فجئته بهذه الشّهادة فقد كان موسوعي ويأخذ من كل علم بطرف وبقوة، كأن ما يتوافر عليه الشّيخ النّعيم يمن علم غزير، هو الذي جعل الإمام الإبراهيمي يصطفيه للتدريس بمعهد ابن باديس رغم إنّه لا يحمل شهادة علميّة، واعتبر الإمام ما قاله في الشّيخ النّعيمي (شهادة) وما أعظم هذه الشّهادة في حقه، كما قال فيه الشّيخ أبويعلى الزّواوي بأنه (الزّمخشري ذات وصفة وفصاحة ولغة).

سنفصل الحديث أكثر على انتسابه إلى جمعيّة العلماء المسلمين: فلم يكن نعيم النّعيمي يقف بعيدا عن جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين. بل سرعان ما اشترك في اجتماعها التّأسيسي عام 1931م، بصفته عضوا عاملا. وتقرب من الشّيخ ابن باديس الذي أعجب بشخصيته وعلمه، فصار من دعاة الجمعيّة وأعضائها البارزين في المغرب الجزائري ثم في بسكرة، وعين أستاذًا في معهد ابن باديس منذ تأسيسه (1947)، وعمل مدرسًا في عدد من المدن الجزائريّة، منها الشّلف (الأصنام)، وطولقة، وبسكرة

كما شارك في ثورة التّحرير منذ سنواتها الأوّلى، وأصبح بعد الاستقلال من كبار موظفي الشّؤون الدّينيّة، ومفتشًا في ولايّة قسنطينة. كان أحد أعضاء وفد جمعيّة العلماء المسلمين المشارك في المؤتمر الثّقافي الإسلامي (تونس 1949)، كما مثّل بلاده في المؤتمر الإسلامي في تونس (1963 (وكان عضوًا في مجلس البحوث الإسلاميّة، ومثّل بلاده في عدد كبير من المؤتمرات الإسلاميّة منها مؤتمر تونس 1963م حول الشّهور القمريّة، ومؤتمر ماليزيا 1969م حول الصّوم وعيد الفطر. شغل منصب رئيس لجنة الإفتاء في المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر.

الإنتاج الشّعري:

– له قصائد نشرت في مجلّة الأصالة – العدد 16 – 1973، وقصائد ومقطوعات (مخطوطة).

– له نظم (قطر النّدى وبلّ الصّدى) في النّحو وهو موضوع البحث، وله محاضرات حول تاريخ الحركة الإصلاحيّة في العالم الإسلامي والجزائر، ودروس في التّفسير ألقاها على طلبة كليّة الآداب بجامعة قسنطينة.

شعره ذو طابع تقليدي، اتسمت قصائده بالقصر، وغلب عليها المناسبات والمجاملات والإخوانيات والوصف، واعتمدت كثيرًا على الرّجز، وسرت فيها خيوط من الدّعابة وحسّ السّخريّة، وحافظت على العروض الخليلي والقافيّة الموحدة، وله محاضرات حول التّاريخ الجزائري وبعض الدّروس التي ألقاها على طلبة كليّة الآداب بجامعة قسنطينة.

كانت وفاته في 16 جمادى الأوّلى 1393 ه الموافق لـ 17 جوان 1973م بقسنطينة ودفن بها. وقد حقّ فيه قول الإمام البشير الإبراهيمي: «يموت العظماء فلا يندثر فيهم إلا العنصر التّرابي الذي يرجع إلى أصله وتبقى معانيهم الحيّة في الأرض. قوة تحرك. ورابطة تجمع. ونورا يهدي. وعطرا ينعش وهذا معنى العظمة. وهذا معنى كون العظمة خلودا».

بن الدّين بخولة

المصادر:

– سليمان الصّيد المحامي، صفحات من تاريخ الزّيبان الثّقافي، الشّيخ نعيم النّعيمي أنموذجا، المجلّة الخلدونيّة، ع 2، 2003م.

– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج2.

– الشّروق الصّادر بتاريخ: 29 أكتوبر 2015، من الموقع الالكتروني: www.echoroukonline.com.

■ نفيسة حمود
(1343هـ - 1924م/1423هـ - 2002م)

ولدت نفيسة حمود في الجزائر العاصمة 1924، في عائلة دينيّة من البرجوازيّة التّجاريّة، كان والدها حمدان حمود مفتيًا كبيرًا في الجزائر، وكان عمها بوعلام صناعيًا محترمًا، وهو الآن جزء من التّراث الوطني (مشروبات حمود بوعلام)، هذا الأخير من أوائل الأعيان الجزائريين الذين موّلوا جبهة التّحرير الوطني، وكان لها شرف أن تكون أوّل امرأة طبيبة انضمت الى الكفاح المسلح في الجبال عقب اندلاع ثورة التّحرير المباركة وممارسة الطّب في معاقل الثّورة.

نشأت نفيسة في راحة ورفاهيّة، واصلت دراستها المكللة بالنّجاح، ببراعة وأصبحت ثاني طبيبة جزائريّة في ظل الدّولة الاستعمّاريّة الفرنسيّة وكانت من بين أوائل دفعات تخصص الطّب، في سنة 1944 كانت ضمن أوّل خليّة لطلبة الطّب الجزائريين.

احتلم عقلها على مظالم الاستعمّار وسياساته العنصريّة، فحملت على عاتقها هم بلادها، وأمضت عقد الالتّزام بالنّضال، حيث شاركت في مظاهرات أوّل ماي 1945، بمدينة الجزائر، وباشرت نشاطها النّضالي في جمعيّة الطّلبة المسلمين لشمال أفريقيا، التي تقلّدت منصب النّائبة فيها سنة 1947، قبل أن تنتخب أمينة عامّة لجمعيّة النّساء المسلمات الجزائريات، وبعدها انخرطت في حزب انتصار الحريات الدّيمقراطيّة، كعضو الخلايا السّريّة الأوّلى.

وإلى جانب مهنة الطّب، كانت تستغل فرصة كل تجمع نسائي كحفلات الزّفاف والختان، لنشر الوعي القومي وتعرف النّساء بما يستطعن تقديمه في سبيل تحرير الوطن، رفقة مناضلات أخريات على غرار عزة بوزكري، زبيدة وفريدة ساكر، زبيدة سفير وبايّة لارات، بالإضافة إلى الاهتمام بمشاغلهن ومحاولة تفعيل دور المرأة الجزائريّة في المجتمع، حيث اتصلت



بالفدراليّة العالميّة للنساء سنة 1950، لإحياء احتفاليّة الثّامن (8) مارس لأوّل مرة بالجزائر.

عقب اندلاع ثورة التّحرير المجيدة في سنة 1954 سارعت الى الانضمام الى صفوف جبهة التّحرير الوطني وتقلّدت رتبة ضابط في جيش التّحرير الوطني، حيث كانت تمارس مهنة الطّب في الجبال لفائدة المواطنين العاديين والثّوار على حد سواء، تعرفت خلال نضالها على الدّكتور مصطفى لاليام بطل حرب الاستقلال وأوّل طبيب للحرب الجزائريّة، الذي أصبح فيما بعد شريك حياتها، منذ سنة 1961.

وفي نوفمبر 1957، تم القاء القبض عليها وهي في طريقها ومجموعة من رفقاء النّضال، نحو تونس بعد اشتباك مع جيش الاحتلال الفرنسي، توفّيت خلاله المناضلة الفرنسيّة الشّهيرة والمناصرة للقضيّة الجزائريّة/ Raymonde Peschard) ريمورد بيشار) تمّ إدخالها السّجن ثم نقلها لفرنسا إلى دير بالقرب من(Nantes / نانت)، تم تبادل نفيسة حمود من خلال الصّليب الأحمر الدّولي والهلال الأحمر الجزائري مع سجين فرنسي. بعد مغامرات متعددة، تمكنت من الوصول إلى سويسرا والمشاركة أيضًا في هذه المعركة من الخارج، كما استأنفت دراستها الجامعيّة في جنيف.

بعد الاستقلال بدأت حياتها المهنيّة في المستشفى الجامعي وتعد المجاهدة نفيسة حمود من النّساء القلائل جدا في ميدان الطّب غداة استعادة السّيادة الوطنيّة، حيث واصلت نضالها في المستشفيات خدمة للمرأة بعد أن فضلت التّخصّص في كل ما يتعلق بطب النّساء والأطفال، وفي الوقت نفسه، ساعدت في تأسيس أوّل مركز وطني لتحديد النّسل في مستشفى (مصطفى باشا)، حيث كانت رئيسة الاتحاد الوطني الجزائري للمرأة (UNFA) حشد هذا المركز العديد من طاقات النّساء القابلات والأخصائيين الاجتماعيين والممرضات وأغلبيّة السّكان، تصبح الجزائر أوّل دولة عربيّة، من خلال عملها، تقبل (malthusianisme/ المالتّوسيّة (كان يجب أن تتبعها عدّة مشاريع أخرى حول الخطة الاجتماعيّة والسّماح بتنفيذ البرامج الوطنيّة التي تستحق دراسة أكثر تعمقا في تاريخ الطّب الجزائري، والتي ستظل واحدة من الأعضاء المؤسّسين. وكانت من بين أبرز مؤسّسي المركز الوطني لتنظيم الولادات ثم رئاسة الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات.

تعد البروفيسور نفيسة حمود من بين أبرز مؤسّسي الطّب في الجزائر تقلّدت منصب وزير الصّحة في عهد حكومة السّيد سيد أحمد غزالي في 18 جوان1991، كوزيرة للصحة وأصبحت أوّل امرأة جزائريّة تشغل هذا المنصب من المسؤوليّة، لتغادرها بعد أربعة أشهر فقط مفضلة مواصلة نضالها في المستشفيات.

وبعد نضال ثوري وسياسي في مجال تخصصها (الطّب)، توفّيت في 10 ديسمبر سنة 2002 عن عمر ناهز 78 سنة، وتكريما لعطائها الطّويل، المتعدد الأشكال، تمّ حمل اسمها لمستشفى (/ Parnet بارني) بحسين داي، بمدينة الجزائر، في مارس 2003.

سناء رمضاني

نور الدّين الأتاسي
(1348هـ - 1929م/1413هـ - 1992م)

نـور الدّيـن محمّـد علـي فؤاد الأتاسـي، ولـد بحمـص فـي سـوريا فـي 11جانفي 1929. ويعـود نسـب عائلتـه إلـى الأشـراف الحُسينيين. توفّي والده محمّد علي الأتاسي وهو طفل فتربى في كنف جده فؤاد الأتاسي وكان قاضيا وشـاعرا، وهو مـا جعله يحضر المجالـسّ الاجتماعيّة التي كان جده ينظمها لوجهـاء حمـص ونخبتها المثقفة فتوسـعت مداركه فـي وقت مبكـر من حياته، وشـارك وهـو صغيـر فـي التّظاهـرات التـي كانـت تشـهدها مدينتـه ضد الوجـود الفرنسـي في سـوريا مما تسـبب في اعتقالـه وهو في تلك السّن المبكّرة من حياته.

درس فـي صغـره بمـدارس محافظـة حمـص، ولمـا تخـرج مـن التّعليـم الثّانوي التّحق سـنة 1948 بالجامعة في دمشـق حيث درس الطّب وتخرج منها سـنة 1955. انتسب إلـى حـزب البعـث العربـي الاشـتراكي في الأربعينـات، وخـلال وجـود فـي الجامعـة بدمشق توطدت علاقاته بقادة البعث في تلك المرحلـة كميشـيل عفلـق وأكـرم الحوراني وغيرهـم وهـو مـا مكّنه مـن الاشـراف على التّنظيم الطّلابي للحزب في الجامعة، وصار مـن قيادات الصّف الأوّل. خلال تلك الفترة المبكّرة من حياته، شارك الأتاسي في العديد من الحركات الطّلابيّة المناهضة لنظام أديب الشّيشكلي مما أدى لاعتقاله.

بعـد منتصـف الخمسـينات مـن القـرن العشـرين، التّحـق الدّكتـور نـور الدّيـن الأتاسـي رفقـة عدد من الشّـباب السّـوريين بالثّـورة الجزائريّـة بعـد اندلاعهـا فـي أوّل نوفمبـر 1954، وسـاهم كطبيـب فـي مرافقة المجاهديـن ومعالجة الجرحـى والمصابين واللاجئيـن الجزائرييـن فـي تونـس بعـد أن اسـتقرّ فـي المنطقـة الواقعـة علـى الحـدود الجزائريّـة التّونسـيّة لتقديم خدماتـه للثورة. ارتبـط العـرب حينهـا بالثّـورة الجزائريّـة واعتبروها ثورة لكل العرب ضد الاسـتعمّار والظلـم والطّغيان. ولم تنل ثورة في المنطقة تعاطفـا والتّفافـا حولها من طرف الشّـعوب والحكومـات مثـل الثّـورة الجزائريّـة،



فدعموها بالإعلام والمال والسّلاح وشارك البعـض منهـم فـي تقديـم الدّعـم الميدانـي للمجاهدين. ومـن موقع عمله على الحدود الجزائريّة التّونسيّة، التّقى الدّكتور نور الدّين الأتاسـي بطبيبيْن سـورييْن آخريْن متطوعيْن همـا الدّكتـور إبراهيـم ماخـوس والدّكتـور يوسـف زُعيّـن. وقضـى الثّلاثـة فتـرة مهمّة من شـبابهم في أواخـر الخمسـينات كأطباء متطوعين مع الثّوار الجزائريين.

رجـع المتطوعون الثّلاثـة إلى بلدهم بعد الإعلان عن تأسـيس اتحاد إقليمي بين مصر وسـوريا سـنة 1958 تحـت اسـم الجمهوريّة العربيّة المتحدة وهو الاسـم الذي احتفظت به مصر بعد الانفصال السّـوري سـنة 1961، إلى بدايّة السّـبعينات عقب وفـاة جمال عبد النّاصر. وتدرج الثّلاثة في المناصب القياديّة بحزب البعث. ولما وصل البعث إلى السّلطة في سوريا في 8 مارس 1963، عين الثّلاثة في مناصـب وزاريّة. فشـغل الدّكتور نـور الدّين الأتاسـي منصـب وزيـر الدّاخليّـة وبعدهـا رُقّـي إلـى منصـب نائب رئيـس الـوزراء ثم عضوا في مجلس رئاسـة الدّولـة بقيادة أمين الحافـظ. وفـي 23 فبراير 1966 نفـذوا انقلابا داخل الحزب ضد اللواء أمين الحافظ رئيس مجلـس الرّئاسـة، وعـرف ذلـك الانقـلاب بحركـة 23 شـباط. تـم علـى إثرهـا تنصيب نور الدّين الأتاسـي رئيسا لسوريا وأمينا عاما لحزب البعث بينما أصبح صلاح جْديد أمينا عاما مسـاعداً ويوسـف زُعيّن رئيسا للوزراء وإبراهيـم ماخـوس وزيـرا للخارجيّـة. كان ذلك الانقـلاب نتيجة صراعـات داخليّة في قيادة حـزب البعث حول توجهـات الحزب فـي تلـك المرحلـة. وانقسـم البعـث بعدها إلـى جناحين، الجنـاح الذي يقوده الشّـباب اليسـاري المتأثّـر بالفكر الماركسـي ومنهم نور الدّين الأتاسـي ويوسف زُعيّن وإبراهيم ماخوس مدعومين بقيادات عسـكريّة حزبيّة كصـلاح جْديـد وحافـظ الأسـد، وجنـاح القيـادة التّاريخيّة المناهض لتلك التّوجهات وكان علـى رأسـها ميشـيل عفلـق وصـلاح البيطـار والتي انتقلـت فيما بعد إلـى العراق خلال حكم حزب البعث.

كان تأثّـر الدّكتـور نـور الدّيـن الأتاسـي ورفاقـه بالفكـر الماركسـي كبعـض أبنـاء جيلهم، من بين الأسـباب التي سـاهمت في ذلـك الانقلاب. كمـا كان لتلـك التّوجهات الفكريّة القريبة من الخط السّوفياتي في تلك المرحلة أثر بارز في دعم الاتحاد السّوفياتي لسـوريا خلال فترة حكمه. وفـي عهد حكم الأتاسـي، وقعت الحرب العربيّة الإسرائيليّة الثّانيّة سـنة 1967، وتم خلالها احتلال هضبة الجـولان السّـوريّة، وكان حافـظ الأسـد وزيـرا للدفـاع. أثـرت الهزيمة التـي لحقت بالقـوّات السّـوريّة في تلك الحـرب وكذا ما عـرف حينهـا بأحـداث أيلول الأسـود سـنة 1970 على موقع الأتاسـي في السّلطة، وهي الأحداث التـي وقعت بين الجيـش الأردني فـي عهـد الملـك حسـين ومنظمـة التّحرير الفلسطينيّة بقيادة ياسر عرفات، وقام خلالها الجيـش الأردنـي بعمليـات عسـكريّة ضـد مخيمـات الفلسـطينيين وكل مظاهر الوجود الفلسـطيني المسـلح فـي الأردن. أدت تلك الأحـداث الدّاميّـة التـي جـرت بيـن جيـش نظامي عربـي مدعوم من باكسـتان وفدائيين فلسـطينيين ولاجئيـن إلـى إخـراج منظمـة التّحريـر الفلسـطينيّة مـن الأردن إلـى لبنـان وإبعاد الوجود الفدائي المسـلح بالتّماس مع حدود إسـرائيل. كما كانت من بين الأسباب التي أدت إلى وفاة الرّئيس المصري الأسـبق جمال عبد النّاصر في 28 سـبتمبر 1970 وكذا اعتزال الدّكتور نور الدّين الأتاسي الحكم في شـهر أكتوبر 1970 بعد أن دخل في خلافات عميقة مـع وزيـر الدّفاع حافظ الأسـد حول إرسـال قوّات سـوريّة إلى الأردن لمسـاعدّة الفلسـطينيين. وانتهـت تلـك الخلافات بين

أركان النّظام السّوري، في تلك المرحلة، إلى الإطاحة بالدّكتور الأتاسي في انقلاب قاده ضده وزير دفاعه في 18 أكتوبر 1970 والذي عرف بالحركة التّصحيحيّة. وامتد حكم حافظ الأسد لسوريا طيلة ثلاثين سنة وخلفه في السّلطة ابنه بشار الأسد.

بعد ذلك الانقلاب، وضع الدّكتور نور الدّين الأتاسي في السّجن لمدة 22 سنة، ولم يطلق سراحه إلا مع بدايّة التّسعينات بعد أن تقدمت به السّن وعامل المرض فغادر سوريا إلى فرنسا لفترة محدودة للعلاج لكنّه توفّي بباريس في 2 ديسمبر 1992 وأعيد جثمانه إلى مسقط رأسه بحمص حيث دفن.

أما الدّكتور إبراهيم ماخوس فقد احتضنته الجزائر بعد خروجه من سوريا إثر الانقلاب ومارس عمله كطبيب في قطاع الصّحة، وظل مقيما بالجزائر إلى أن توفّي في 10 سبتمبر 2013 ودفن بها وأقيمت له جنازة مهيبة حضرتها شخصيات جزائريّة، بينما بقي الدّكتور يوسف زعيّن معتقلا في السّجن بسوريا لأكثر من عشر سنوات وأفرج عنه سنة 1981 وبعدها غادر إلى الخارج وتوفّي بستوكهولم في السّويد سنة 2016.

عامر بغدادي

المصادر

- مَدى بُوست، موقع إلكتروني
- إبراهيم ماخوس، صحيفة رأي اليوم، د. محي الدّين عميمور

نورالدّين عبد القادر
(1308هـ -1890م/1401هـ - 1981م)

نورالدّين عبد القادر حميدي بن إبراهيم بن الصّغير بن أحمد، ينتسب إلى عائلة الحمايد ببسكرة، مدرس، نحوي، مؤرّخ ومترجم، درس على يدّ الشيخ العلّامة عبد الحليم بن سمايّة، والشّيخ العلّامة محمّد بن شنب، ولد عام 1890 في القصبة بالجزائر العاصمة، درس بالمدرسة الثّعالبيّة، ثم اشتغل مدرسا في كل من شرشار، والبليدة والجامع الجديد بالجزائر العاصمة ثم أستاذا بمدرسة تلمسان، ليعود إلى العاصمة ويشتغل أستاذا للتعليم الثّانوي، ثم مساعدا في الجامعة، نشر مقالات عديدة في مجلّة هنا الجزائر، له إنجازات في العلوم العربيّة نحوا وصرفا وفي النّصوص الأدبيّة، وإلى جابن نشاط التّدريس في الجامعة والنّشر في الصّحافة كان يقدم دروس بشكل منتظم في الجامع الجديد بساحة الشّهداء، كما قدم العديد من الحصص للإذاعة الوطنيّة وافاه الأجل بعد عمل متواصل وجهد كبيرا خدمة للعلم والمعرفة والتّدريس والوعظ في 12 أفريل 1981 بالعاصمة.

من مؤلّفاته:

غزوات عروج وخير الدّين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، تاريخ مدينة قسنطينة للحاج أحمد بن مبارك، ورقات في تارلايخ الجزائر، الأجروميّة على طريقة السّؤال والجواب، قاموس فرنسي عربي، القراءة المشروحة، كتاب الوسيلة لعلم العربيّة نحو وصرف، الرّسالة الصّرفيّة بالشّكل التّام، المطالعة العصريّة، الإنشاء العربي، كتاب مختصر العبادات القصيدة الطّرديّة لابن عبد الجبار الفيجيجي، الدّيوان الفلسفي المنسوب لابن سينا، النّص العربي بالشّكل التّامفي علم الطّب، كتاب الجنين لعريب بن سعد، النّص العربي والتّرجمة والشّروح، أطباء إفريقيا والأندلس، منكتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، الرّسالة الصّوفيّة، الآجروميّة على طريقة السّؤال والجواب مع إعراب الأمثلة وشرحها، كتاب أساس العربيّة لتعليم الحروف الهجائيّة، إعراب الجمل مع مقدمات وتمرينات معربة ومشروحة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، متن لاميّة الأفعال مع مقدمة وتعليق انتقادي، الوسيلة لتعليم العربيّة، كتاب آخر عن ابن أبي أصيبعة، خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين، القول المأثور من كلام الشّيخ عبد الرّحمن المجدوب، منتخب الحكايات المثليّة، روضة السّلوان أو قصيدة الصّيد المنتخب من أشعار العرب، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، أرجوزة ابن سينا في الطّب وغيرها.

في إطار سعيه، وعمله الجاد والدّؤوب للملمة شتات الذاكرة الوطنيّة الجزائريّة، يُقدم لنا العلّامة الكبير الدّكتور أبو القاسم سعد الله؛شيخ المؤرّخين الجزائريين، بحثاً وافياً عن واحد من الباحثين المغمورين، الذين أغمط حقهم من الظهور، والإشادة، والتّنويه، وهو الباحث«نور الدّين عبد القادر1890–1981م».

وتتجلى أهميّة كتاب شيخ المؤرّخين الجزائريين، والمعنون ب: «باحث مغمور، نور الدّين عبد القادر1890–1981م، أستاذاً وكاتباً ومُترجماً»، والذي صدر عن منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، من حيث إنّه يُسلط الضوء عن باحث مغمور لم يحظ بالعنايّة الكافيّة من لدن الباحثين، على الرّغم من إسهاماته الكبيرة، وإنتاجه الغزير والمتنوع، فلم يُسبق أن كُشف النّقاب عن جهوده، وآثاره، وخدماته، فقد أضحت مساهماته على الرّغم من غزارتها، وتنوعها مجهولة تقريباً، إلا عند البعض من تلاميذه، وزملائه، ومن هنا تأتي أهميّة كتاب الدّكتور أبو القاسم سعد الله فهو أوّل كتاب يصدر عن الباحث نور الدّين عبد القادر.

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة. في مقدمة الكتاب يتحدث الدّكتور أبو القاسم سعد الله عن قصته مع إنجاز هذا البحث عن نور الدّين عبد القادر، فيشير إلى أن الفكرة قد نبعت عندما كان يبحث عن موضوع يشارك به في إحدى دورات مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، فرغب في تنأوّل شخصيّة عاشت في العهد الفرنسي،

وأسهمت في الحفاظ على اللغة العربيّة، وترقيّة التّأليف، والتّدريس بها، ونظراً لرغبته في عدم تنأوّل موضوع مطروق، وشخصيّة تحدث عنها الكُتّاب، فقد وقع اختياره على عبد القادر الحميدي، أو نور الدّين عبد القادر كما أصبح معروفاً فيما بعد.

كما يتحدث الدّكتور سعد الله في مقدمته عن الجهود الكبيرة التي بذلها في سبيل العثور عن معلومات عنه، والنّهوض بهذا البحث، ويذكر بإنّه وفي كل مرة يسأل فيها عنه مع بعض من بقي على قيد الحياة من أبناء جيله يرجع فيها خائباً، حيث يقول عن هذا الأمر: « بدأت أبحث عن حياته وآثاره، وأسأل عنه من بقي على قيد الحياة من جيله. ولكن المعلومات كانت شحيحة، وفي كل مرة كنت أرجع من بحثي خائباً. وكان يبدو لي أن نور الدّين هذا قد عاش في عصر آخر».

وبعد الجهود الكثيرة التي بذلها الدّكتور أبو القاسم سعد الله، وذهابه إلى الحي الذي رأى فيه نور الدّين عبد القادر سنة:1972م، ومحاولته استقصاء معلومات عن حياته مع عائلته، وتلاميذه، خلص إلى أن المصدر الحقيقي لحياة نور الدّين عبد القادر هي تآليفه، ومقالاته، فمن خلال اختياره لمواضيعها، وعناوينها، وتنوعها، وأسلوبه في كتابتها يمكن معرفة صاحبها، وإدراك مدى علمه، ومعارفه، وتوجهاته، حيث يذكر أن مقالاته الصّحفيّة، وبحوثه في فنون المعرفة المستمدة من كتب التّراث، هي مصدر لمعرفة حياة نور الدّين، «أما المصدر الأخير فيتمثل في علاقته ببعض المستعربين والمستشرقين الفرنسيين، فقد كان يتعاون مع هؤلاء لترجمة النّصوص، ونماذج من الحضارة العربيّة الإسلاميّة. ومن أبرز الذين تعاون معهم هنري جائي (جاهيه) الذي ترجم ونشر معه بعض آثار ابن سينا، وقصيدة الصّيد، وربما قدم خدمات علميّة لهنري بيريز الذي يسميه (أستاذنا). وقد ترجم لبعضهم في مقالاته مثل إدمون فانيان المتخصص في المخطوطات العربيّة».

يتطرق الدّكتور أبو القاسم سعد الله في الفصل الأوّل من الكتاب لحياة وعائلة نور الدّين عبد القادر، وفي تمهيده لهذا الفصل قدم لمحة موجزة عنه، حيث أشار إلى أن نور الدّين عبد القادر هو واحد من المثقفين المغمورين الذين خدموا اللغة العربيّة، والتّراث الإسلامي ببلاده الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وقد عاش حياته كاتباً، ومُدرساً، ومُترجماً كما تخرج«على يديه عدد من الطّلبة الذين أصبحوا في مناصب عليا لثقافتهم المزدوجة بعد استقلال بلادهم، كما تعاون مع بعض المستعربين الفرنسيين في ترجمة نصوص ذات قيمة من التّراث العربي الإسلامي مثل:أرجوزة ابن سينا في الطّب، وقصيدة الفجيجي في الصّيد، وسلط الأضواء على عدد من أعلام التّراث أمثال: ابن رشد، وابن خلدون، وابن أبي أصيبعة، وابن حمادوش، أو الذين خدموا التّراث من المستعربين أمثال إدمون فانيون، وإتيان كاترمير، وسلفستر دي صاصي، والبارون دي سلان. وقد حقق ونشر مجموعة من الكتب في شتّى أنواع المعرفة، وكلها تصب في خدمة التّراث واللغة العربيّة».

ويذكر المؤلف في مبحثه عن أوّلياته بأن عبد القادر بن إبراهيم الحميدي، ولد بمدينة الجزائر سنة:1890م، وقد نشأ في بيئة شعبيّة محافظة على التّقاليد العربيّة الإسلاميّة، وبالنّسبة لتعلمه للغة العربيّة، وحفظه للقرآن الكريم فالدّكتور سعد الله يرى أن رصيده الدّيني واللغوي الذي ظهر في تآليفه، وسلوكه يبرهن على إنّه كان قد حفظ على الأقل نصيباً من القرآن، وإنّه كان متمرساً على اللغة العربيّة منذ نعومة أظافره. أما تعلمه للغة الفرنسيّة وعلومها فالظاهر إنّه أخذها في مدرسة فرنسيّة متخصصة للأهالي (الجزائريين) وهي مدرسة تعلمهم مبادئ اللغة الفرنسيّة التي تؤهلهم للعمل عند الفرنسيين، وتسلبهم انتماءهم الحضاري بالتّركيز على تاريخ وجغرافيّة فرنسا، وعلى أجدادهم هم (الجولوا) أو سكان فرنسا القدماء. على أن هناك من ذهب إلى أن عبد القادر قد تعلم الفرنسيّة عند الآباء البيض، أو جمعيّة المبشرين التي كانت نشطة في عهد طفولته، وهناك من قال إنّه قضى عندهم حوالي عشرة أعوام.

وقد كانت وفاة نور الدّين عبد القادر يوم: 12نيسان-أفريل1981م.

وبالنّسبة إلى لقبه الذي استبدله من عبد القادر الحميدي إلى نور الدّين عبد القادر، فالدّكتور سعد الله يذكر أن اختياره للقب مستقل عن أهله هو أمر غير معروف، وقد تساءل هل كان ذلك بدافع نزوة شبابيّة؟ أم لخلاف عائلي؟ أو لسبب سياسي أو اجتماعي؟

وعندما سأل الدّكتور أبو القاسم سعد الله الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي الذي يعرف نور الدّين عبد القادر شخصياً، أجابه بأن عبد القادر الحميدي قد غير لقبه إلى نور الدّين «دفعاً للشبهة».

الفصل الثّاني من الكتاب، موسوم بـ: (الدّراسة والتّدريس)، وقد تطرق فيه شيخ المؤرّخين الجزائريين إلى رحلة نور الدّين عبد القادر مع الدّراسة، والتّدريس، حيث يذكر أن دخوله إلى المدرسة الثّعالبيّة كان في حوالي سنة:1908م، وقد بقي بها حوالي سبع سنوات، وقد درس فيها العلوم العربيّة من توحيد، وفقه، وأصول، وعروض، وأدب، كما درس كذلك العلوم الفرنسيّة من لغة، وتاريخ، وجغرافيّة، وحساب، وبعد أن تولى وظيفة عدل تفرغ للتعليم، وُعين في سنة:1916م، مدرساً في مسجد شرشال، وبعد ذلك أصبح مُدرساً في مدرسة تلمسان الرّسميّة، والتي قضى فيها مدة طويلة، وبعد تلمسان اقترب من العاصمة، ودرّس في مساجد المديّة، ويذكر المؤلف أن نور الدّين عبد القادر فيما يظهر كان «يملك مكتبة تتيح له التّفرغ للبحث والتّدريس، وكان يتابع حركة التّأليف في المشرق بحيث لا تكاد تفوته أحدث الكتب المطبوعة. وربما كان له امتياز خاص في دخول المكتبة العموميّة أيضاً. ومن ثمة اطلاعه على أحدث ما نُشر في لندن، وباريس، وبرلين، وما تنشره المجلات المتخصصة، مثل: المجلّة الآسيويّة، ومجلّة المستشرقين الفرنسيين. وظل نور الدّين يمتهن التّدريس في العاصمة أيضاً بعد تحوله إليها. فعلم في مساجدها ومدارسها. ويقول الشّيخ الجيلالي المعاصر له إنّه كان يتردد على المكاتب

(المدارس) للتدريس بها، ومنها مدرسة الشّبيبة، وبعض المساجد كالجامع الجديد. وقد أشار نور الدّين نفسه عدّة مرات على أغلفة الكتب التي ألفها أو ترجمها إلى إنّه أستاذ بالثّانويّة الفرنسيّة الإسلاميّة، أو إنّه مدرس في معهد الدّراسات العربيّة التّابع أيضاً لنفس الجامعة، والذي كان يُشرف عليه المستعرب هنري بيريز».

كما يؤكّد الدّكتور أبو القاسم سعد الله على إنّه قد تعاطى التّدريس أيضاً في الثّعالبيّة، وربما إنّه قد عمل معاوناً لبعض الأساتذة في جامعة الجزائر، وقد كان متخصصاً في النّحو، والصّرف، وقواعد اللغة العربيّة، وقد درّس في الثّعالبيّة التّاريخ، والجغرافيا، ومقدمة ابن خلدون، ومجموعة من الكتب ذات الطّابع الفلسفي والاجتماعي.

الباحث علي مراد، والفقيه محمّد شارف، والعالم الشّريفي بلحاج، والوزير عبد الرّحمن بن حميدة، والوزير الدّبلوماسي الأخضر الإبراهيمي.

كما تطرّق الدّكتور أبو القاسم سعد الله في هذا الفصل إلى قضيّة تعد غايّة في الأهميّة، وهي قضيّة موقفه من واقع بلاده، حيث يقول عن هذا الموضوع: «لم يدخل نور الدّين معترك الحياة الوطنيّة في أي شكل من أشكاله، ولكننا في نفس الوقت لم نعرف عنه إنّه تبنى رأياً أو انضم إلى هيئة مناوئة للحركة الوطنيّة. ولم نقرأ له كلاماً يقدح أو يمدح أي زعيم سياسي أو إصلاحي. بل لم نعرف عنه إنّه انضم حتى إلى الجمعيّة الخيريّة التي كان يرأسها الشّيخ الطّيب العقبي، والتي لم يكن لها في ظاهر الأمر مواقف سياسيّة...، ومن الملاحظ أن نور الدّين لم يكتب فيما اطلعنا عليه، إلا عن المتقدمين من العرب والمسلمين، ولكنّه نوه ببعض المعاصرين من الفرنسيين (ميرانتMirante.j، بيريز، فانيان...)، وقد عرفنا إنّه تعاون مع المستعرب هنري جاهيه في نشر بعض كتب التّراث العلمي. وحدثت في وقته نكبة فلسطين والثّورة التّحريريّة الجزائريّة، وأحداث عربيّة وإسلاميّة أخرى، ولكنّه اعتصم بالصّمت إزاءها».

وكذلك فاسمه لم يذكر في أنشطة الجمعيات، والحركة الوطنيّة، كما أن الكثير من الأحداث الهامة التي وقعت في الجزائر، مثل: الاحتفال المئوي باحتلال الجزائر سنة:1930م، وظهور مجموعة من التّنظيمات السّياسيّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة الوطنيّة، بزعامّة مجموعة من الرّواد مثل: العلّامة عبد الحميد بن باديس، والأمير خالدّ، ومصالي الحاج، والشّيخ البشير الإبراهيمي، كما إنّه كان شاهداً على حربين عالميتين أثرتا على بلاده، وعلى محيطه العربي الإسلامي، ومع ذلك فجميع هذه الأحداث لا تظهر انعكاساتها على كتاباته، ومواقفه، وآرائه، وقد ختم الدّكتور سعد الله هذا الفصل بقوله: « لماذا عزف نور الدّين عن المشاركة في الحياة العامّة بينما كان كثير من المصلحين والأدباء والشّعراء والصّحافيين المنحدرين من بسكرة ونواحيها ينشطون على مستوى العاصمة بل على مستوى القطر كله؟ لقد قيل إنّه ألح على صهره الشّيخ الطّيب العقبي ألا يحاول الزّج به في السّياسة. هل هناك أسباب عائليّة أو شخصيّة حالتّ بينه وبين هذه المشاركة؟ إن حياته على هذا النّحو تذكرنا بحياة شيخه محمّد بن أبي شنب الذي كان عالماً مُتفرغاً للبحث والتّدريس دون المشاركة أيضاً في الحياة العامّة، وكذلك الشّيخ عبد القادر المجاوي».

وفي الفصل الثّالثّ من الكتاب سلط الدّكتور أبو القاسم سعد الله الضوء على مؤلّفاته، وقد قام بتصنيفها إلى أربعة أصناف: في اللغة العربيّة، وفي التّاريخ والتّراجم، وفي الطّب والفلسفة، وفي الأدب والتّراث عموماً.

وأغلب كتبه التي تعرض فيها للغة العربيّة هي كتب تعليميّة موجهة إلى المدرسين، والتّلاميذ، والطّلاب في مختلف المستويات، وهي: الرّسالة الصّرفيّة، والآجروميّة على طريقة السّؤال والجواب مع إعراب الأمثلة وشرحها، وكتاب: أساس العربيّة لتعليم الحروف الهجائيّة، وإعراب الجمل مع مقدّمات وتمرينات معربة ومشروحة، ومتن لاميّة الأفعال مع مقدمة وتعليق انتقادي، وكتاب الوسيلة لتعليم العربيّة، وقاموس فرنسي-عربي بالدّارجة، وشرح على المجرادي .وفي التّاريخ والتّرجمة ترك ثلاثة كتب هي: غزوات عروج وخير الدّين، وقد اعتنى بتصحيح هذا الكتاب، والتّعليق على حواشيه، وهو كتاب مكتوب بالتّركيّة، وقد تُرجم إلى العربيّة، وينسب لسنان باشا. والكتاب الثّاني هو: «صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التّركي»، وقد وصف الدّكتور أبو القاسم سعد الله هذا الكتاب بقوله: «من منشورات كليّة الآداب، جامعة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965م، 194صفحة. وهو كتاب كما يظهر من عنوانّه في خصوصاً العهد العثماني الذي انتهى عند نهايته، ولم يتحدث عن مدينة الجزائر، وهي تحت الاحتلال ربما لأن ذلك قد يعرضه لإدانة الاستعمّار الذي فعل بها الأفاعيل سنة:1830م، وما بعدها من هدم، واستيلاء، وتغيير لا تحتمله الآثار الوطنيّة والعالميّة. ومن أهم ما ساقه نور الدّين من معارف بهذا الصّدد هو ما ساقه من تقييد (أو تذكرة) ابن المفتي المفقود حول علماء الجزائر في العهد العثماني.

والكتاب الثّالثّ هو كتاب: تاريخ حاضرة قسنطينة، وقد ألفه بالعربيّة الشّيخ أحمد بن المبارك المعروف بالعطار، وكتب له نور الدّين عبد القادر مقدمة بالعربيّة، وأخرى بالفرنسيّة.

ومن أهم إسهاماته في الطّب والفلسفة ضبطه، وترجمته إلى الفرنسيّة لديوان ابن سينا، وتعليقه عليه مع الحكيم هنري جاهيه الأستاذ بكليّة الطّب بالجزائر، كما اعتنى كذلك بنشر أرجوزته في الطّب، ونقلها إلى اللغة الفرنسيّة مع الدّكتور جان جايي، كما اعتنى كذلك بنشر، وترجمة كتاب: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة بالاشتراك مع الحكيم هنري جاهيه. وكذلك قام بتصحيح وترجمة كتاب: «خلق الجنين وتدبير

الحبالى والمولدين» لعريب بن سعيد القرطبي، وتولى التّعليق عليه.

أما مؤلّفاته في الأدب والتّراث فمن أهمها كتاب: القول المأثور من كلام الشّيخ عبد الرّحمن المجذوب، وكتاب: منتخب الحكايات المثليّة، كما اعتنى بنشر، وترجمة، والتّعليق على شعر أبي إسحاق إبراهيم ابن عبد الجبار الفجيجي من خلال كتاب: روضة السّلوان أو قصيدة الصّيد، وكذلك فقد ألف كتاب: المنتخب من أشعار العرب، وقد حوى الكثير من الأشعار مع شرحها، وتقديم نبذة عن حياة صاحبها، والمصدر الذي أُخذت منه.

في الفصل الأخير من الكتاب توقف الدّكتور أبو القاسم سعد الله مع مساهمته في ميدان الإعلام، حيث يذكر أن اسمه قد بدأ يظهر في مجال الإعلام ابتداءً من إنشاء مجلّة: هنا الجزائر سنة:1952م، أما قبل هذا التّاريخ فلم تظهر له مقالات صحفيّة، عدا ما ورد في الكتب التي قام بتحقيقها أو تأليفها، كما كان يُلقي مساء كل يوم جمعة حديثاً في الإذاعة تحت عنوان: في الأدب والتّاريخ.

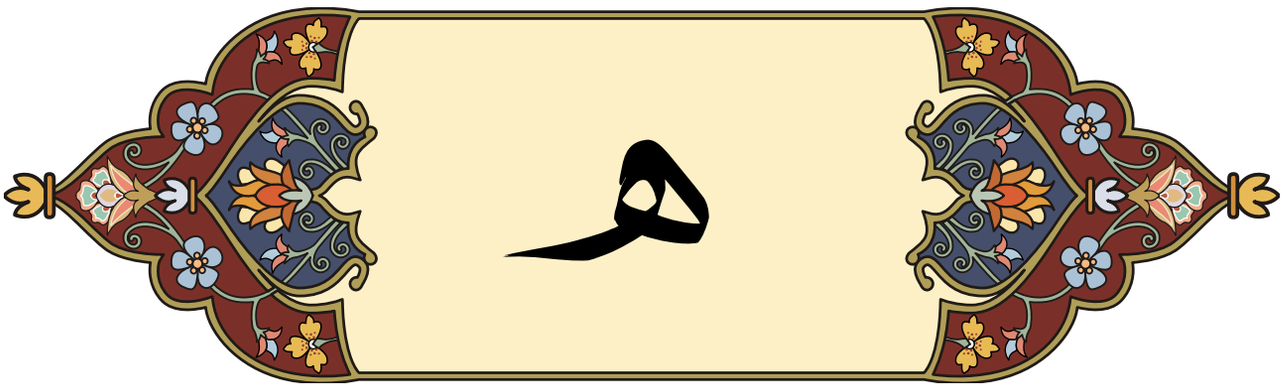
وقد قدم الدّكتور أبو القاسم سعد الله عدّة ملاحظات هامة عن مقالاته، وأسلوبه في الكتابة، حيث يرى بإنّه صاحب أسلوب «واضح وطليق في مقالاته مما يدل على ممارسته لفن التّحرير مدة طويلة، خلافاً لبعض زملائه الذين قد يحسنون التّدريس، ولكنّهم لا يتقنون الإنشاء والتّحرير. كما أن الطّابع العلمي الجاد يظهر على مقالاته، فهو يتبع المعنى، ولا يتصيد الألفاظ والمحفوظات. ويخاطب القارئ بجمل بسيطة وقصيرة متأثّراً فيما يبدو بأسلوب القدماء الموجز المبني على ما قل ودل، وأسلوب اللغة الفرنسيّة المباشر. وهو يهتم بإفادة القارئ، وليس تسليته بعبارات متأنقة. ونحن نظلمه إذا قلنا إنّه كان مجرد ناقل من كتب التّراجم بالنّسبة لمن يترجم لهم في مقالاته. فإن طريقته هي أن يذكر المصادر، وأن يعرض المعلومات، وأن يتدخل بالتّفسير والتّحليل والتّرجيح، وبذلك تبدو مقالاته ليست تكراراً لما تحفل به كتب التّراجم عن أشخاصه المختارين. وكثيراً ما يكتشف وثائق جديدة عمن يترجم له فتكون دراسته نموذجاً يحتفظ بقيمته العلميّة والتّاريخيّة».

وبعد أن قدم الدّكتور أبو القاسم سعد الله قائمة تكشف مقالاته التي نشرت في مجلّة هنا الجزائر (1952-1960م)، ختم بحثه بإثارة جملة من الأسئلة، حيث يقول: «أين نضع نور الدّين إذا كتبنا عن أعلام العصر في القرن العشرين؟ هل كان مجرد ناقل للمعرفة أو كان مُجدداً في طريقة نقلها؟ هل كانت له رسالة قام بها في صمت ودأب وهي هذه الكتب التّعليميّة المحافظة على العادات والأخلاق والعقائد التي كان يذكرها صراحة أو يلمح إليها في كتبه؟ هل كان إنساناً متعلماً عادياً سرعان ما طواه الزّمن وخلفته قافلة النّوابغ والمبدعين السّائرة دوماً إلى الأمام؟ ألا يكفيه إنّه خدم-على طريقته- اللغة العربيّة بنحوها وصرفها وأدبها وتراثها في وطن عاهد محتلوه أنفسهم على القضاء على هويته الوطنيّة؟ أسئلة ما نظن أن ما اطلعنا عليه حتى الآن من سيرة وآثار نور الدّين يعطينا الحق في الجواب عنها بسرعة وسهولة».

باديس فوغالي

المصادر:

د.أبو القاسم سعد الله:ب احث مغمور، نور الدّين عبد القادر (1890-1981م) أستاذاً وكاتباً ومُترجماً، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.



هدارة بن النّعام

هـدّارة بـن النّعام طفـل تاه فـي الصّحراء وعمـره سـنتان. وتختلـف الرّوايـات بشـأن ضياعـه فبعضهـا يعيـد ذلـك إلـى تعـرض قبيلتـه إلـى هجـوم مـن طـرف خصومهـم، فوجد نفسـه فـي البـراري وحيـدا، فتربى مع طيـور النّعـام لمدة عشـر سـنوات. والبعض الآخـر يعيـد سـبب ضياعـه إلـى عاصفـة رمليّـة. لكنّه فـي الحالتّين عـاش بعد ضياعه مـع سـرب مـن النّعـام قبـل العثـور عليـه وإعادتـه إلـى العيـش وسـط البشـر. ولمـا عثـر عليـه أهله بعـد طـول بحـث كان عمره اثنـى عشـر عامـا وكان لا يعـرف الـكلام، فأخـذه أهلـه إلـى السّـاقيّة الحمـراء لـدى زاويّـة الشّـيخ مـاء العينيـن بمنطقة السّـمارة والـذي كان عالمـا وصاحب حكمة فمسـح على رأسـه وابتسـم له وقـال لأهلـه: اربطوه مـن قدميْـه بحبـل وادلـوا بـه معكوسـا فـي بئـر. فلمـا فعلـوا ذلـك صـرخ هـدارة مـن الخـوف، ومـن ثم تعلـم الـكلام فاندمج مع المجتمـع مجددا وصـار يحكي مـا جرى له مـع وحـوش الصّحـراء وكيـف حفظـه اللـه فصـار آيّـة مـن آياتـه. ومـن الأمـور العجيبة التـي كانـت تحصـل لهـدارة بـن النّعـام إنّـه إذا كسـر الزّجاج يأكله ولا يحدث له شـيء، وكان يـأكل الحنظـل وشـوك شـجر الطّلـح ولا يؤذيـه ذلـك. وحـج حافي القدميـن كمـا تظهره الصّـور ماشـيا دون اللجـوء إلى الرّكـوب.

إنّـه شـاب مـن أعمـاق الصّحـراء يشـبه تقريبـا قصـة حـي بـن يقضـان لابـن طفيـل فـي المـوروث الشّـعبي العربـي، وقصتـه يمكنهـا أن تكـون مـادة خصبـة للأدبـاء والفلاسـفة والمفكّريـن والفنّانيـن، فهـي ليسـت أسـطورة مـن نسـج الخيال بـل قصة واقعيّـة لا يـزال سـكان الصّحـراء بـكل مـن تنـدوف فـي الجزائـر والصّحـراء الغربيّـة وموريتانيـا يتداولونهـا تبـركا بشـخصيّة هذا الرّجـل الـذي عـاش ذات يـوم مـع النّعـام لمـدة تقـارب العشـر سـنوات، ويعتبرونـه بذلـك رجـلا صالحـا. ومـا يـزال الكثير من القصص الشّـفوي الشّـعبي ينتظر مـن يدونه والتّأريـخ لـه وحفظـه.

قصـة هـدارة بـن النّعـام خلدتهـا الرّوائيّة السّـويديّة مونيـكا زاك فـي روايّـة سـمتها «ابـن النّعـام» بعـد أن سـمعتها مـن ابنـه أحمـدو الـذي التّقـت بـه سـنة 1993م بمخيمـات تنـدوف، ونشـرتها دار القصبـة فـي طبعـة عربيّـة صـدرت فـي 2007م فـي إطـار فعاليـات «الجزائـر عاصمـة الثّقافـة العربيّـة». فقـد تعرفـت خـلال زيارتهـا إلـى نواحـي تنـدوف بمخيمـات اللاجئيـن الصّحراويـين علـى أحمـدو هـدارة ابـن هـدارة بـن النّعـام. كانـت مونيـكا صحافيّـة تعمـل كمراسـلة مـن الجزائـر لصالـح جريـدة «غلـوب» السّـويديّة. وكانـت تهتم بمتابعـة الحكايـات الشّـعبيّة، انطلاقـا مـن عملهـا كمستشـرقة وباحثـة فيمـا يـروج من أسـاطير وقصـص شـعبي. كمـا كتـب قصته الطّالـب سـالم بـن إبراهيـم تلميـذ سـيدي محمّـد بلكبيـر شـيخ زاويّـة أدرار. وقـد قام التّلفزيـون الجزائـري بإعداد شـريط وثائقي عـن قصـة هـدارة.

ونقلـت الصّحافيّـة السّـويديّة وقائـع القصـة كمـا رواهـا ابـن هـدارة الـذي كان مقربـا مـن والـده واطلـع على كل مـا حدث لـه. وسـردت فصـول صراعـه مـن أجـل البقـاء فـي بيئـة قاسـيّة وسـط الوحـوش والأحـراش والرّمـال والتـي يمثـل فيهـا العطـش أكبـر المخاطـر التـي تواجـه طفـلا دون مسـاعدّة من أحـد وتتهـدد حياته لحظة بلحظـة. وتقـول الرّوايّـة أن الشّـاب بعـد أن كبـر بـدأ يعـي ذاتـه بإنّـه يختلف عن سـرب النّعـام. وهـي قصـة واقعيّة عاشـها طفل من الصّحـراء وسـرد تفاصيلهـا بعـد ان اسـترده أهلـه، وحكـى لهـم الظـروف القاسـيّة التي مر بهـا. وتقول القصـة كما روتهـا الصّحفيّة السّـويديّة أن الطّفـل كان مـع والدّتـه علـى ظهـر ناقـة خـلال رحلـة للقبيلـة بحثـا عـن العشـب والمـاء، لكـن الأم وجـدت فـي طريقهـا عشـا لطائـر النّعـام فتوقفـت عنـده للحظـات وأنزلـت طفلها، ولم تكـن تعرف أن النّاقـة سـتضيع بعـد أن داهمتهـا عاصفـة رمليّـة. فذهبـت تبحـث عـن النّاقة الشّـاردة ففقـدت مـكان ابنهـا. ولمـا زالـتّ العاصفة وعـاد النّعـام إلـى عشـه أخـذ الطّفـل معـه بعيـدا وبذلك ضـاع الطّفل مـن والدّيه، لكن أمـه ظلـت تنتظـر عودتـه يومـا مـا حسـبما أخبرهـا بذلـك شـيخ القبيلـة.

وقـد أثبتـت الصّحفيّـة السّـويديّة قـدرة فائقـة فـي تقصـي حقيقـة ما حـدث لهـدارة وسـجلت مسلسـل تلـك الأحـداث كمـا رواهـا ابنـه، وكمـا تتناقلهـا قبائـل الصّحراء الغربيّـة. وقدّمـت بذلـك عملا إبداعيـا راقيا نقلـت فيه بـكل صدق وبصـورة فنيّـة جذابة تلـك الدّراما التي عاشـها طفل أعزل وسـط الحيوانـات. وتقـول الرّوايّـة أن هـدارة كان

يركض مثل النّعام ويرقص رقصته وعاش على النّبات وأوراق الأشجار ولم يعرف أكل اللحم طوال حياته، وتحبه غزلان البر وحيوانات الصّحراء. وكان يمنع النّاس من صيد النّعام أو أكل بيضه. وتقول القصة أن هدارة وبعد أن عاد إلى أهله تعرف على فتاة اسمها خروبة فتزوجها وأنجبا أربعة أبناء ثلاثة صبيان وبنت وعلمهم الرّكض في الصّحراء ورقص النّعام، ووصّاهم بحب طائر النّعام.

وحسب الرّوايات الشّعبيّة المتداولة فإن قبر هدارة بن النّعام يوجد بنواحي تندوف تحت شجرة من الطّلح وهو نبات صحراوي، وقصته ما تزال متداولة شعبيا في نواحي تندوف وبالصّحراء الغربية وشمال موريتانيا.

عامر بغدادي

المصادر:

- قصة هدارة الولد الذي عاش مع النّعام تصدر في طبعتها العربيّة. جريدة القدس العربي، عدد 23 مارس 2007.
- سيدي هدارة. قصة ولي صالح عاش مع النّعام في الصّحراء، جريدة الشّروق، عدد 14/ 08/ 2014.

■ هنري كريعة
(1352هـ - 1933م/1421هـ - 2000م)

هنري كريعة، كاتب ومسرحي وأديب جزائري، ولد هنري كريعة يوم السّادس من نوفمبر سنة 1933 بالجزائر، حيث كان ثمرة زواج مختلط بين أب فرنسي يدعى (تشارلز كاشين) وأم جزائريّة من ولايّة البليدة لا يُعرف اسمها. وكان هذا الزّواج بينهما عندما جاء «تشارلز» إلى الجزائر العاصمة لأداء الخدمة العسكريّة، لكنه ترك ابنه هناك وعاد إلى فرنسا ليكمل دراساته الطّبيّة وفي عام 1937 أصبح جراحًا. تزوج ثانيّة في باريس من (جينيت سيناك) ابنة الرسام الانطباعي (بول سينياك) وأنجبا من هذا الزّواج (فرانسواز كاتشين) التي أصبحت مؤرخة فنيّة ومديرة للمتاحف، وجدير بالذكر أن والدّ (تشارلز أي جد هنري) هو (مارسيل كاشين" السّياسي والصّحفي الفرنسي المعروف، وقد كان يلقّب بـ(جد الحزب الشّيوعي)، فهو أحد مؤسسي الحزب الشّيوعي الفرنسي، وعضو الجمعيّة الوطنيّة الفرنسيّة، ورئيس تحرير جريدة لومانيتي من 1918 إلى 1958. كان أول أجنبي يحصل على وسام لينين، وهو أحد الأوسمة التي كانت تمنحها حكومة الاتحاد السّوفييتي، لم يستعمل «هنري» لقب أبيه، ولعل ذلك بسبب تخليه عنه، ولأنه لم تجمعه بأبيه أي علاقة تقريبا، فكان يستعمل لقبا مستعارا هو «كريعة» KREA نسبة إلى المنطقة التي تنحدر منها والدّته وهي «شريعة» Chréa، والشّريعة حاليا هي إحدى بلديات ولايّة البليدة التابعة لـ دائرة أولاد يعيش. فكان يؤكد انتسابه إلى أمه التي عاش معها ونشأ في أحضانها بانتسابه إلى الشّريعة مسقط رأسها، وبانتسابه إلى الشّريعة يؤكّد في الحقيقة انتسابه إلى الجزائر.

عاش «هنري» طفولته في الجزائر العاصمة، وفيها تلقى تعليمه، وإن كانت المصادر لا تذكر دراساته في المراحل الأولى، لكنّها تذكر أنّ دراسته الثّانويّة كانت في الجزائر العاصمة أيضا، ثم انتقل إلى فرنسا أين درس في مدرسة هنري الرابع في باريس، و هي مؤسسة تربويّة فرنسيّة للتعليم الثّانوي والعالي، واسمها يأتي من اسم الملك هنري الرابع ملك فرنسا. تعتبر هذه المدرسة من المدارس المرموقة في فرنسا ومنها تخرج عليّة القوم، وهناك في العاصمة الفرنسيّة باريس حاول بدء مسيرته الفنيّة، فكان له اهتمام شديد بالمسرح، وكان في الوقت ذاته مكرّسا نفسه للشعر، حيث بدأ يضع خطواته الأولى في نظم الشّعر، وكان ذلك في سنوات 1955 إلى 1962، حيث كان يحاول الحصول على موطئ قدم في عالم الأدب والمسرح الطّليعي في باريس. فبدأ يقترب من المجموعة السّرياليّة وخاصّة (أندريه بريتون/ André Robert Breton) الذي كان أحد مؤسسي السّرياليّة وقائدها ومنظّرها الرئيسي وكبير المدافعين عنها. كما كان يتردد على مالك حداد، وكاتب ياسين، وعبد الله بن عنتر، والفنانين الجزائريين المقيمين في فرنسا. وكان كثير من هؤلاء قد شقوا طريقهم في وسط المشهد الأدبي الفرنسي و وجدوا مكانهم داخله، وأصبحت لهم مكانة مرموقة فيه، ومن هؤلاء الأديب (كاتب ياسين) الذي أسس مع ألبير كامو جريدة (الجزائر الجمهوريّة) (Algérie républicaine) سنة 1948، كما أن صيته كان قد ذاع بعد كتابته روايّة «نجمة» سنة 1956 التي ترجمت إلى عدّة لغات. فالاحتكاك بهذه النّماذج الملهمة جعلها تصقل قريحته الأدبيّة، وتنمي تجربته الفكريّة، كما كونت شخصيّته السّياسيّة، وجعلته أكثر موضوعيّة في معالجة قضايا مجتمعه، فقد انضم في تلك الفترة إلى «الحزب الشّيوعي الجزائري» وكان من أعضائه كتاب وأدباء كبار من أمثال: كاتب ياسين، ومحمّد ديب، والبشير حاج علي، وعمار أوزقان، والصّادق هجرس، وروبرت دلوش، وعبد الحميد بن الزّين.

ومنذ ذلك الزّمن ظلّ (ريعة) مثابرا في نشاطه الأدبي، منغمسا في ذلك الوسط الفنيّ، مواصلا عمله الإبداعي حتى اشتهر في هذا الحقل، وكوّن فيه اسمه بحروف من جمال، فأصبح أحد أكبر الشّعراء الجزائريين. حيث نشرت له سلسلة من النّصوص الأدبيّة وعدة مقالات ببعض المجلات والجرائد الجزائريّة والفرنسيّة، كما كتب عدة مسرحيات، ووجد ناشرين ينشرون له كتبه ومؤلّفاته.

كان (هنري) ملتزمًا التزاما تاما باستقلال الجزائر، فقد كتب في عام 1957 بيانًا قصيرًا يعلن فيه مساندته للثورة بعنوان: (الثّورة

والشّعر شيء واحد/ La Révolution et la poésie sont une seule et même chose).

وفي عام 1958 نشر قطعة مسرحيّة بعنوان (الزّلزال/ Le Séisme)، وكانت تعتبر سلاحًا للنضال الثّوري. وأثناء إقامته في فلورنسا، كان على اتصال بممثل جبهة التّحرير الوطني الطّيب بولحروف، وعند عودته إلى باريس، كان يتردد على المجموعة التي كتبت البيان 121 الشّهير، والذي كان "كريعة" أحد الموقعين عليه. وكان هذا البيان منددا بالحرب في الجزائر، وكان ملهمه هو جون بول سارتر، الذي انضمت إليه مجموعة من المثقفين والأدباء والفنانين بلغ عددهم 121، من أشهرهم: أرتور أداموف، سيمون دي بوفوار، أندريه برتون، مارغريت دوراس، بيار بوليز، رينيه دومون، فرانسوا شاتليه.

بعد الاستقلال، عاش بشكل رئيسي في فرنسا، حيث واصل عمله ككاتب، سيطر المسرح والشّعر على إنتاجه، كما كان يعمل صحفيا في France–Soir وفي أسبوعيّة Télé 7 jours.

توفي «هنري كريعة» في باريس في 06 ديسمبر من سنة 2000.

نتاجه الفكري والأدبي:

– الزّمن البعيد «Longue durée» طبع بباريس P.J. Oswald سنة 1955.

– اليوم الأكبر «Grand Jour» طبع بفلورونس Florence سنة 1955.

– الحريّة الأولى «Liberte Premiere» طبع بباريس P.J. Oswald سنة 1957 من خمسين صفحة.

– الثّورة والشّعر شيء واحد La révolution et la poésie sont un seul et même chose طبع بباريس وP.J. Oswald من سنة 1957 إلى 1960.

– درس الظلام «Leçon des ténèbres» طبع بـ Florence وVallechi سنة 1958.

– الموضوع «Thèmes» طبع بباريس P.J. Oswald سنة 1958.

– تجميع المتساويين(La Compilation d'égaux).

– حضور إفريقي (Présence Africaine) طبع بباريس سنة 1964م.

– ضريح يوغرطة (Tombeau du Jugurda) طبع بالشّركة الوطنيّة للنشر والتوزيع: 1968م.

رابح دوب

المصادر:

– عاشور شرفي: الكتّاب الجزائريون قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر؛

– عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015؛

– René Gallissot :KREA Henri nom de plume de CACHIN Henri maitron.fr.

■ هواري بومدين
(1343هـ - 1925م/1398هـ - 1978م)

عسكري، وسياسي، ورجل دولة، ومناضل جزائري، اسمه الحقيقي محمّد بن إبراهيم بوخروبة، لكنّه اتخذ اسمه الحركي هواري بومدين بعد الالتّحاق بالثّورة على غرار كل القيادات الثّوريّة الجزائريّة في تلك المرحلة، وعلّق به منذئذ حتى صار سمه الوحيد، الذي يوقع به رسائله وعقوده ومراسمه، ويخاطبه به غيره حتى وفاته.

ولد في قريّة بني عدي بهليوبوليس بالقرب من مدينة گالمة في 23 أوت 1930، ينحدر من أسرة فقيرة تمارس الفلاحة، لما بلغ سنّ التّمدرس التّحق بمدرسة ابتدائيّة فرنسيّة إلى جانب كتاب قرآني في گالمة، وأبدى نجابته منذ نعومة أظافره، ثم انتقل إلى المدرسة الكتانيّة التّابعة للزاويّة الحملاويّة بقسنطينة لمتابعة دراسته بالعربيّة. انخرط في حركة انتصار الحريات الدّيمقراطيّة سليلة حزب الشّعب الجزائري، وحزب



النّجم الجزائريين، اللذين كانا أوّل من طلب باستقلال الجزائر باسم حزب نجم شمال إفريقيا.

لما بلغ سن التّاسع عشرة غادر الجزائر إلى تونس بهدف توسيع مداركه العلميّة والمعرفيّة والفرار من الخدمة العسكريّة الإجباريّة.

انتظم أوّلا في سلك التّعليم بجامعة الزّيتونة بتونس، وأخذ بها لنيل شهادة التّحصيل، ثم بدا له أن يواصل رحلته إلى أحد الشّبان الجزائريين الذين قام الجيش المصري بتدريبهم في معسكر أنجاص الواقع في شرق القاهرة.

التّحق عام 1955 بالمغرب الأقصى قادما إليه بحرا على ظهر قارب وضعته الملكة دينا الزّوجة الأوّلى للملك حسين بالأردن تحت تصرف الثّورة الجزائريّة، وبعد إقامة قصيرة به اتصل بالمجاهدين في ولايّة وهران بعدما انتحل اسم هواري بومدين.

لكن ما كاد يباشر عمله الثّوري حتى لفت إليه أنظار القادة لما أظهره من المهارة

والاقتدار على تهريب السّلاح إلى الثّورة من المغرب الأقصى وتنظيم كتائب فصائل الجيش وكتائبه، بجانب عبد الحفيظ بوالصّوف قائد الولايّة الخامسة ولايّة وهران خلفا للعربي بن مهيدي على رأسها بعد استشهاده، والذي كان يخطّط للعمليات ويديرها من مدينة وجدّة المغربيّة.

بعد ثلاث سنوات أي من 1955 إلى عام 1958 خلف عبد الحفيظ بوالصّوف على رأس الولايّة الخامسة وأصبح رئيساً لأركان جيش التّحرير الوطني عام 1960، ثم وزيراً للدفاع عام 1962، ثم نائباً لرئيس الوزراء في 15 سبتمبر عام 1963، وبعد حركة التصحيح الثوري في 19 جوان عام 1965، أصبح أوّل رئيس لمجلس التصحيح الثوري وألّف مجلساً لقيادة الثّورة برئاسته، كما ترأس الوزراء واحتفظ بمنصب وزير الدّفاع لنفسه، انتخب رئيساً للجمهوريّة في جانفي عام 1966، وثّق علاقات بلاده بالاتّحاد السّوفييتي وعقد معه اتفاقاً استراتيجياً، كما وثّق العلاقات مع يوغسلافيا وعموم الكتلة الشّرقيّة، وقطع العلاقات مع بريطانيا في 18 ديسمبر عام 1965، تنفيذاً لقرار منظمة الوحدة الافريقيّة الخاص بروديسيا، كما قطع العلاقات مع ألمانيا الغربيّة، تنفيذاً لقرار الجامعة العربيّة، أمم المناجم وصناعات التّعدين وشركات التّأمين في البلاد، وطبق المبادئ الاشتراكيّة، وقام بتسويّة الحدود مع المغرب، وعزّز دور الجزائر في حركة عدم الانحياز، واستعاد من فرنسا ميناء المرسى الكبير في 31 جانفي عام 1969، ووقف مواقف قوميّة مشرفة من القضيّة الفلسطينيّة، وساهم بحرب أكتوبر عام 1973، بإرسال قوّات عسكريّة للجبهة المصريّة، ومساعدات ماديّة سخيّة لدول المواجهة، واحتضنت الجزائر مؤتمر القمة العربيّة في أعقاب تلك الحرب، وساهم بفعاليّة في تشكيل جبهة الصّمود والتّصدي مع الرّئيس المرحوم حافظ الأسد بعد زيارة السّادات المشؤومة إلى تل أبيب عام 1977.

تميّز حكمه بتحقيق جملة من المشاريع التي وقف على تنفيذها ميدانيا، وهي:

– الثّورات الثّلاث الصّناعيّة، والزّراعيّة، والثّقافيّة.

– مخطط بناء ألف قريّة نموذجيّة في الرّيف الجزائري.ـ العلاج المجاني لكل المواطنين.

– سياسة التّقشف والتّقليل من المواد الاستهلاكيّة التّرفيهيّة.ـ استقدام الآلاف من الخبرات الأجنبيّة العاليّة المستوى في جميع القطاعات، وبالأخص قطاع التّعليم العالي والبحث العلمي.

أصابه مرض عضال أدى إلى وفاته في 27 ديسمبر عام 1978، بعد أن حضر أشهر أطباء العالم لعلاجه، وشيعت جنازته بموكب جنائزي رسمي مهيب يوم الجمعة 29 من الشّهر ذاته، فخسرت الأمّة العربيّة أحد أبطالها ومناضليها، لكن ذكراه ستبقى حيّة في الأذهان لما قدمه لبلده وأمته، سيبقى بطل الجزائر الشّامخ.

باديس فوغالي

هود بن محكم الهواري

هود بن محكم الهواري نسبة إلى قبيلة هوّارة. ومواطن قبيلة هوارة هي ليبيا بمنطقة الجبل الغربي جنوب غرب طرابلس، انتقل فرع منها إلى الغرب واستقرّ بنواحي الأوراس وما جاورها ومن هذا الفرع ينحدر هود بن محكم، وأهل الجبل الغربي بليبيا على مذهب الإمام عبد الله بن إباض التّميمي. وقع اختلافُ متأخّر حول ضبط اسم والده، فعند القدماء كان الاسم يلفظ بإسكان الحاء وتخفيف حركة الكاف، وهو في هذه الحالة يكون مأخوذا من عبارة (مُحْكم التّنزيل) ولكن بعض المعاصرين ذهبوا إلى تشديد الكاف وربما يستندون في ذلك إلى الوظيفة التي كان يقوم بها وهي القضاء أي التّحكيم بين النّاس، ويصحّ اللفظ في الحالتّين. لم تتحدث مختلف المصادر التي تعرضت لسيرة الشّيخ هود بن محكم عن تحديد تاريخ ميلاده ولا ذكر يوم وفاته، ولكن كُتاب السّير يضعونه ضمن علماء الطّبقة السّادسة وهو ما يعني الفترة الواقعة بين 250 و300 للهجرة أي النّصف الثّاني من القرن الهجري الثّالثّ وهو ما يوافق النّصف الثّاني من القرن التّاسع للميلاد. وبالتّالي يكون قد عاش في أواخر عهد الدّولة الرّستميّة لأن والده كان قاضيا في ذلك العهد. ومعروف أن الدّولة الرّستميّة حكمت في الفترة الواقع بين 776 و909م. وخلال هذه الفترة تواجدت على مسرح الأحداث في بلاد المغرب ثلاث كيانات هي الأغالبة في المغرب الأدنى وكانت عاصمتهم القيروان والرّستميون في المغرب الأوسط وكانت عاصمتهم تيهرت أي تيارت اليوم والأدارسة في المغرب الأقصى وكانت عاصمتهم فاس.

وعليه فإن المعلومات التي تُستخلص عن الشّيخ هود بن محكم هي نسبه إلى قبيلة هوارة وإنّه من علماء الطّبقة السّادسة ثم إن والده كان قاضيا في عهد الدّولة الرّستميّة، وهو ما يعني أن الوالدّ بالنّسبة له كان هو شيخه الأوّل الذي أخذ على يديه مبادئ المعارف التي كانت شائعة في عصره كحفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة والفقه والتّفسير، ثم انتسب إلى حلقات الدّرس التي تنظم في المساجد وكانت متّبعة كمنهج للتعليم. ونظرا لأن القيروان وتيهرت كانتا من أبرز حواضر بلاد المغرب في ذلك العصر فلا شكّ إنّه انتقل إلى إحداهما أو كلاهما لمواصلة دراسته وتحصيله العلمي، ويبدو ذلك واضحا من تحكمه التّامّ في معارف عصره من لغة وفقه وتفسير وحديث.

اشتهر الشّيخ هود بن محكم الهواري بتفسيره للقرآن الكريم والذي أنجزه تحت عنوان: «تفسير كتاب الله العزيز». وهو تفسير مختصر لتفسير آخر سبقه وهو تفسير

ابن سلام البصري، الذي انتقل إلى القيروان وأقام بها، نظرا لكثرة التّرابط بين التّفسيرين كما ذهب لذلك الأستاذ بلحاج بن سعيد شريفي. ويحيى بن سلام هو عَلَم من أعلام مذهب أهل السّنة، وكان تفسيره معروفا لدى فقهاء المالكيّة في بلاد المغرب والاندلس وتداوله كان شائعا في القيروان وغيرها من الحواضر بحكم إقامته في هذه المدينة.

ويعتبر تفسير هود للقرآن الكريم من بين التّفاسير الأوّلى التي وضعها علماء ينحدرون من المغرب الأوسط. ويعد في الوقت نفسه أحد المراجع الهامة في علم التّفسير لدى الإباضيّة، ويدل على المنزلة الرّفيعة التي يحظى بها الشّيخ هود بين علماء فقه اللغة العربيّة لأنه لا يمكن تفسير القرآن دون التّبحر في علوم العربيّة وآدابها والتّحكم فيها. كما يبرز المكانة التي كان الشّيخ هود يتمتع بها بين معاصريه. ويتضح من منهجه في تفسير القرآن الكريم، إنّه يستشهد بأقوال الصّحابة والتّابعين، فمثلا في تفسيره لقول الله تعالى في سورة البقرة: «قال إنّها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث»، قال: ذكروا عن ابن عبّاس « لا ذلول أي لا يحرث عليها. و «لا تسقي الحرث» أي لا يسقى عليها. ولكن مما يأخذه عليه البعض إنّه كان يكثر النّقل عن الكلبي والسّدي. فأما ابن الكلبي فهو مؤرّخ وعالم بالأنساب وأما السّدي فهو مفسر قدير لكنّه اتهم بالتّشيّع. ولعل الشّيخ هود كان يهدف من وراء ذلك إلى عرض مختلف المعلومات المتداولة عن المسألة الواحدة.

اهتم الكثير من الباحثين المعاصرين المختصين في علوم القرآن والتّفسير في الجزائر والعديد من الجامعات العربيّة بـ»تفسير كتاب الله العزيز». فقد حظي كتاب الشّيخ هود بالدّراسة والتّحقيق من طرف الأستاذ بالحاج بن سعيد شريفي والذي طبعه في أربع مجلدات ضخمة لدى دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1990م، في طبعة أنيقة منقحة ومصححة، وحسب المحقق فإن أقرب نسخة مخطوطة من تفسير الشّيخ هود تعود إلى القرن الهجري الحادي عشر أي القرن الميلادي السّابع عشر. كما خصصت له الباحثة زغيشي سعاد من جامعة باتنة أطروحة جامعيّة لنيل شهادة الدّكتوراه تحت عنوان «منهج هود بن محكم الهواري في التّفسير» والتي أنجزتها سنة 2007م.

أما من الدّراسات الجامعيّة الصّادرة عن الجامعات العربيّة فنذكر الدّراسة التي أعدتها الباحثة السّودانيّة عائشة علي محمّد عبد الله للحصول على شهادة الدّكتوراه من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة بأم درمان، وعنوانها «هود بن محكم الهواري ومنهجه في التّفسير»، وذلك خلال سنة 2001م، والدّراسة التي أعدها الباحث المصري عبد السّلام بركات الذهبي تحت عنوان «الشّيخ هود بن محكم الهواري ومنهجه في التّفسير» وهي رسالة ماجستير صدرت عن جامعة المنوفيّة بمصر سنة 2001م، وتلك الدّراسة التي أعدها الباحث الفلسطيني سامي محمود أحمد لنيل شهادة الماجستير من الجامعة الإسلاميّة بغزة في فلسطين تحت عنوان (منهج الشّيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، دراسة ونقد)، وصدرت سنة 2002م، وكذلك الدّراسة التي أنجزها الباحث المصري عايد منصور عايد للحصول على شهادة الماجستير من جامعة آسيوط بمصر تحت عنوان «المسائل العقديّة في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري الإباضي، دراسة ونقد»، وصدرت عام 2009م.

يعتبر الشّيخ هود بن محكم الهواري عَلَم من أعلام الإباضيّة، وعالِم تفسير متمكن، قال عنه الشّيخ أبو ساكن عامر الشّماخي، وهو من علماء ليبيا: «هود بن محكم الهواري، عالم متفنن غائص، وصاحب التّفسير المعروف، وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله». ويقول عنه الشّيخ بالحاج بن سعيد شريفي: «يعد تفسيره بحق أوّل مختصر لتفسير ابن سلام البصري، ولو لم يكن له من ميزة إلا حفظ تفسير ابن سلام في صورته الكاملة أو القريبة من الكمال لكفاه ذلك فخرا وفضلا».

عامر بغدادي

المصادر:
- منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، سامي محمود أحمد.
- الشيخ العلامة محكم بن هود الهواري، موقع تادارت.
- هود بن محكم الهواري، مهنا بن راشد السعدي، موقع أشعة الالكتروني.

و

واضح بن عاصم الشّلفي
(ق VII هـ)

هو واضح بن عاصم، الملقب بالمكناسي، ويكنى بسيدي واضح الشّلفي. صوفي وزاهد يعتبر من كبار مُتصّوفة الطريقة الشّاذليّة التي أسسها أبو الحسن الشّاذلي. لم يعرف تاريخ ميلاده ولكنه عاش في أواسط القرن السّابع الهجري، الثالث عشر الميلادي حيث توفي في أواخر هذا القرن. وبذلك، فإنه كان من معاصري الشّيخ أبي الحسن الشّاذلي. ظلت سيرة هذا الصوفي الزاهد متداولة شفويا بين عامة الناس لأنه لم يكن له تلاميذ يكتبون سيرته وإنما كان له أتباع منجذبون إلى طريقته في الزهد والتصوف. فلم ينل الشّيخ واضح حقه من التعريف به والكتابة عنه، وبقي مجهولا لدى العامة والخاصة، ولم يعد معروفا في القرون المتأخرة، وهو ما دفع بالمؤرخ أبي القاسم سعد الله ليصنفه ضمن ما يعرف بالمتصوفة الخاملين «الذين لا يعرف عنهم غير الأسماء».

لكن من كتب عنه من المعاصرين يرى أن معظم رجال التصوف في منطقة الظهرة والشّلف وغليزان وما جاورها كانوا من أتباع الشّيخ واضح بن عاصم ومنهم سيدي عثمان بن عيسى وسيدي مُحمد المداح وسيدي محمد بن عيسى وسيدي علي وسيدي العربي وغيرهم. وعرف عن منطقة مازونة وغليزان والشّلف وفليتة أنه برز فيها قبل العهد العثماني ثلاثة رجال في عالم التصوف هم الشّيخ واضح بن عاصم المكناسي والشّيخ محمد بن عمر الهواري إمام مدينة وهران وشيخ صلاحها والشّيخ راشد بن فرقان الذي أخذ عنه علماء وشيوخ فليتة والقلعة وحوض الشّلف.

وقد تأسست الطريقة الشّاذليّة التي ينتسب إليها الشّيخ واضح في منتصف القرن السّابع الهجري، الثالث عشر الميلادي. وتعتبر من أكبر الطرق الصوفيّة في العالم الإسلامي. وتفرع عنها الكثير من الطرق التي حملت أسماء شيوخها ومقاديمها في كل قطر. ومن أشهر الزوايا المتفرعة عنها: الهبريّة والدرقاويّة والعلويّة نسبة إلى سيدي عليوة. وما يميز الشّاذليّة عن غيرها هي أنها طريقة تأسست في بلاد المغرب وانتشرت في المشرق، عكس ما كان شائعا حيث أن معظم الطرق الصوفيّة تأسست من المشرق وانتشرت في منطقة المغرب. ومؤسسها هو أبو الحسن الشّاذلي الذي عاش في القرن السّابع الهجري أي الثالث عشر الميلادي، وكانت وفاته سنة 656 هـ.

ابتنى الشّيخ واضح زاويّة له في دوار الوضحة الواقع بمحاذاة وادي رْهيو ضمن دائرة عمي موسى من ولايّة الشّلف. وما تزال الخلوة التي كان يتعبد فيها، وتدل على زهده وتفرغه للعبادة داخل ضريحه أو قبته حسب التعبير المتداول.

ومما يُروى عنه أن السّلطان يغمراسن بن زيان بن ثابت مؤسس الدولة الزيانيّة زاره في خلوته لطلب دعمه، لكن الشّيخ تركه ينتظر تحت حر الشّمس مدة طويلة حتى أحرقه لهيبها. ولما أذن له بالدخول أخبره بأنه تعمد ذلك لكي يدفعه إلى الاحساس بمدى المعاناة التي يلاقيها الناس على يدي الحجاب لكي يصلوا إليه طلبا لرفع المظالم ورد الحقوق. ودعاه للعنايّة بالرعيّة وزكى ابنه عثمان ليكون خليفة له. وقد أورد الآغا المزاري تلك الواقعة في كتابه سعد السّعود نقلا عن أبي راس الناصر كما نقلها عنه الشّيخ أبي القاسم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السّلف وقال عنها: «وخضع لأمره بعد الامتحان، أبو يحيى يغمراسن بن زيان لما نزل عليه بجيوشه ومحلاته بأعلى خنق رْهيو بالموضع المعروف اليوم بوزاني». كما أورد هذه الحادثة محمد غالم محقق كتاب عجائب الأسفار لأبي راس الناصر وقال عن الشّيخ واضح: «ساند يغمراسن وأشار عليه بتعيين ابنه عثمان خليفة له ودعاه إلى الرفق بالرعيّة."

ويقول عنه محمد مفلاح الذي أرخ للطرق الصوفيّة في منطقة غليزان وما جاورها: «سيدي عاصم بن واضح من فئة المتصوفة الكبار الذين أثروا كثيرا في مشايخ عصرهم، وكان تأثيره قويا جدا في منطقة الشّلف والونشريس والظهرة وفليتة". ووصفه المؤرخ محمد بوراس الناصر المعسكري في كتابه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار بـ «ولي الله سيدي واضح بن عاصم المكناسي". ويصفه الآغا بن عودة المزاري بـ "أبي اليمان القطب الشّيخ واضح بن عاصم المكناسي". ويقول عنه الشّيخ موسى بن عيسى المازوني في كتابه «ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار: «كان الشّيخ سيدي أبو البيان واضح فيما حدث عنه الثقات، قاهرا لأحواله، مجتهدا في العبادة،

دائم التوجه إلى الله. عاملا صواما قواما حتى نضب لحمه ورق عظمه وضعفت قواه».

ورغم قلة من اعتنوا بسيرة الشّيخ واضح بن عاصم الشّلفي سواء ممن عاصروه أو من جاؤوا بعدهم إلا أن عددا من الكتاب المعاصرين تناولوا سيرته كالمؤرخ أبي القاسم سعد الله في كتابه «تاريخ الجزائر الثقافي»، والشّيخ أبي القاسم محمد الحفناوي في كتابه «تعريف الخلف برجال السّلف»، ومحمد مفلاح في كتابه « من تاريخ الشّاذليّة في منطقة غليزان وضواحيها»، وموسى بن عيسى في كتابه «ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار»، والآغا بن عودة الزاري في كتابه «طلوع سعد السّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا».

لم يعرف بالتحديد تاريخ وفاة الشّيخ واضح بن عاصم لكن بعض الروايات المعاصرة تفيد بأنه توفي في الفترة الواقعة بين 1280 و1288 م أي في أواخر القرن الثالث عشر من التقويم الميلادي، ودفن بدوار الوَضْحة الواقع بمحاذاة وادي زْهيو ضمن دائرة عمي موسى، وضريحه موجود بجبل الصفاح ولا يزال يزار، وبجواره يقع ضريح سيدي بويكني.

عامر بغدادي

المصادر

- من تاريخ الطريقة الشّاذل، محمد مفلاح، دار القدس العربي.
- طلوع سعد السّعود، الأغا بن عودة المزاري، تحقيق يحي بوعزيز.
- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، أبوراس الناصر، تحقيق محمد غالم.

■ وردة الجزائريّة
(1358هـ - 1939م/1434هـ 2012م)

وُلدت المُطربة والمُمثّلة الجزائريّة المُلقّبة (أميرة الطّرب العربيّ) في 22 جوان 1939، واسمها (وردة فتوكي) في فرنسا من أبٍ جزائريّ، وأمّ لبنانيّة، وكبُرت في جوّ فرنسيّ بالحيّ اللاتيني، وكانت لها ميولٌ للمهاجرين الجزائريين الذين كانت تغني لهم لما لها من صوت جميل، وهذا في نادي أبيها. وتربّت على ألحان المغني التّونسيّ (الصّادق ثريا). ومن نادي أبيها تُظهر موهبتها الغنائيّة بما كانت تُمارسه من تسجيلات وأغانٍ تغنيها للمهاجرين العطشى لصوت الجزائر. وفي سنة 1949م، وهي طفلة صغيرة تقف على مسرح فرنسيّ تؤدّي أغنيّة لـ ((أسمهان) وتنال التّشجيع المتميّز، وتثق من نفسها، وتنطلق فنّانة تشقّ الطّريق إلى التألّق. ونظراً لتلك للخبرة الأولى في الغناء تُستدعى من دول عربيّة على غرار دمشق وبيروت للغناء، وكان ذلك سنوات 1959 –1960. وفي تلك البلاد عرفت كيف تعمل على تمتين العلاقة مع الجماهير، وبدأت بتأديّة الأغاني الرّومانسيّة، وبخاصّة عند نزولها بلد (أمّ الدّنيا) وازداد حبّ الجماهير لها، وأصبحت محطّ أنظار العديد من الملحنين الأكثر شهرة مثل (رياض السّنباطي) الذي لحن لها (بلاش تفارق) و(يا حبيبي لا تقولي) وتطوّرت بينهما صداقة وثيقة



وسمّت ابنها على اسمه. وفي القاهرة تبدأ في تقليد أمّ كلثوم وأسمهان وعبد الحليم حافظ... ومن ثمّ تغنّي أغانيها، وأدّت الأغاني الأولى بجدارة باعتبارها تعمل على التّقليد المضيف. ويبدأ نجمُها يسطع، بلقائها بكبار الفنّانين والممثّلين ورجال المايسترو، وتجّار الدّسيك. وفي سنة 1962م بعد استقلال الجزائر، تدخل إلى بلدها، وتتزوّج وتعتزل الغناء والتّمثيل. ولكن بعد سنوات عاودها حنين الفنّ فلم ترضَ بالضّيق الذي مورس عليها في ترك الغناء، وتُطلّق، وتعود إلى مصر، وتلتقي عائلة الفنانين من أمثال: فريد الأطرش+ محمّد عبد الوهّاب+ عمّار الشّريعي+ بليغ حمدي+ كمال الطّويل+ محمّد القصبجي+ حلمي بك... وتبقى طيلة السّتينيات لم تغنِ بتاتاً، حتى سنة 1972م، تعود إلى الجزائر، وتغنّي بمناسبة الذّكرى العاشرة للاستقلال (عُدنا إليك يا جزائرنا الحبيبة) من كلمات الشّاعر (صالح خرفي) وألحان (بليغ حمدي) هذا الأخير الذي أصبح زوجها؛ وقد دفع بها إلى النّجوميّة، ولحنّ لها أبرز أغانيها من مثل: معندكش فكرة+ يا أهل الهوى... وكان «موسيقياً فنّاناً عبقرياً بالفِعْل، ولكنّه فاشل زوجاً» كما قالت وردة.

المسيرة الفنيّة لوردة:

يقول المتتبّعون لأغانيها بإنّ (وردة) كان ميلادها الفنّي في أغنيّة (أوقاتي بِتَحْلو) التي أطلقتها سنة1979 م في حفل فنّي مُباشر من ألحان (سيد مكاوي) وكانت (أمّ كلثوم تنوي تقديمها سنة1975 لكنّها ماتت. لتبقى الأغنيّة سنوات طويلةً لدى (سيّد مكاوي) حتى غنّتها (وردة) كما تعاونت وردة مع الملحن (ريّاض السّنباطي) و(محمد عبد الوهاب) وقدّمت مع الملحن (صلاح الشّرنوبي) العمل الشّهير (بِتَوَنَّسْ بِيكْ). وخلال تلك المسيرة أدّت الكثير من الأغاني الذّهبيّة من حنجرة ذهبيّة وصوت مسماع من مثل: في يوم وليلة، أكذب عليك، شعوري ناحيتك

العيون السّود، اسمعوني، بلاشْ تِفارقْ، لولا الملامة، سلام الحبايب، اشتروني، ليالينا، لو سألوك با ودّعك، من غير عِتاب، وَخَشْتُوني، يا ليل، أيام... وفي كلّ ذلك تُخلد بسلسلة من الأفلام والمسلسلات:

- ألمظ وعبده الحامولي، مع عادل مأمون؛
- أميرة العرب، مع رشدي أباظة وفؤاد المهندس؛
- صوت الحبّ، معت حسن يوسف عماد حمدي؛
- حكايتي مع الزّمان، مع رشدي أباظة؛
- يا ليل يا زمن، مع رشدي أباظة، يوسف شعبان؛
- ليه يا دنيا، مع محمود ياسين، صلاح السّعدني.

كما قدّمت مسلسل (أوراق الورد) مع (عمر الحريري) و(الوادي الكبير) ومسلسل (آن الأوان) من تأليف يوسف معاطي، وإخراج أحمد صقر، وجسّدت فيه شخصيّة سيّدة تملك شركة إنتاج كاسيت؛ تقف بجوار الأصوات الجيّدة، وهو قريب من سيرتها الذّاتيّة. وكان آخر عمل مصوّر لها أغنيّة (ما زال واقفين) بمناسبة احتفال الجزائر بالذّكرى الخمسين للاستقلال، وآخر ألبوم غنائي لها هو (اللي ضاع من عمري) وكان ذلك سنة 2011م.

وردة أيقونة الجزائر:

لقد حصلت على مجموعة من الأوسمة والجوائز خلال مشوارها الفنّي؛ منها جائزة المجمع العربيّ للموسيقى، وجائزة تقديريّة من السّلطات الجزائريّة، إضافة إلى جائزة وزارة الثّقافة الجزائريّة. إنّها وردة المتألّقة بصوتها الشّجي التي لعبت دوراً في العمل الأوبري وفي الإذاعات العربيّة، وكانت تؤدّي أغاني جزائريّة، ولا تفرّق بين البلاد العربيّة، وهي التي تقول: «لم يكن لديَ تفريق بين المغرب والمشرق العربيّ، أو بين الشّرق والغرب بحدّ ذاته... لبنان في دمي ومصر حيث الثّورة، وباريس في طفولتي... علّمني أبي أن أحبّ بلدي خلال الفترة التي عشت فيها في باريس». وعودة إلى قول أبيها كانت تصدح في (باريس) للمقاومة الجزائريّة؛ فغنّت للجزائر وللمناضلات الجزائريات (جميلة كلّنا جميلات+ نداء الضّمير+ يا مروحْ لبلادْ سلمْ لي عليهم...) وكانت تلك الأغنيات محفّزة للثّوار، فحكم عليها الفرنسيون بالإعدام، تقول وردة: «هربتُ من فرنسا إلى بيروت بلد والدتي، وهناك التقيتُ بالموسيقار (محمد عبد الوهاب) استمع لي ودعاني إلى القاهرة». وكانت تعود مراراً إلى الجزائر، وتُسهم بأغنيها في المناسبات الوطنيّة، ووقفت على مسارح بلدها في أداء أغانيها البارزة من مثل: نداء الضّمير+ عيد الكرامة، ضمن رصيدها الغنائيّ الضّخم والمتعدّد من ألحان الموسيقار (رياض السّنباطي) وكانت تُلهب حماس الجماهير في المناسبات الوطنيّة، وفي كلّ مرّة كانت تُعرب عن حماسها وافتخارها في مشاركة بلدها الاحتفالات الوطنيّة وكما تفتخر بأطول حرب تحريريّة جزائريّة في شمال القارة السّوداء، وتستشهد ببسالة نضال الشّعب الجزائريّ من مثل (جميلة بوحيرد). ولكن ما كان يحزّ في نفسها ذلك الهدوء الذي انقلب إلى التّدمير الحاصل في التّسعينيات، وما وقع فيه بعض الشّباب الذين غُرر بهم، فذهبوا مذهب العنف الذي أتى على الأخضر في الجزائر. ومع كلّ ما عاشته من أيام سوداء من مُعاناة الجزائر، فإنّ عودة الوعي والهدوء رجع بها إلى زمن الفنّ وتآلف المشاعر، وازدادت غناء وغنوة، وأثبتت من وراء ذلك أنّها أيقونة وطنيّة تحمل الفنّ الرّاقي الأصيل والمُبدع؛ وهو الذي يبقى في الوُجدان ويحمل رسالة الذّاكرة الجمعيّة التي تحيا بها القلوب. وقبل وفاتها كانت تُمنّي نفسها بالعودة إلى (الجزائر) وبالفِعل يأتي يوم 17 ماي 2012م، ويسكت قلبها عن النّبض، وتموت في القاهرة وتُدفن في مقبرة العالية بالجزائر.

صالح بلعيد

وردية بوشملال (لالة شريفة)
(1345هـ-1926م/1435هـ-2014م)

تُعدُّ (لالة شريفة القبائليّة) أو(نّا شريفة الزّواويّة) واسمها الحقيقي (وردية بوشملال) واحدة من مغنيات الأغنيّة القبائليّة في الزّمن الجميل، عُرفت أغانيها بإنّها تميل إلى طابع (أشويق) أو (أشيويق)، أو الاستخبار، الذي يُعتَبر طابعا خاصًا بمطربات الأغنيّة الأمازيغيّة التّقليديّة؛ الذي يمتاز بارتباطه بالحياة اليوميّة من جهة، وتخصيصه بالمناسبات الجماعيّة كالأفراح والجنائز، من جهة أخرى، كما إنّه يرتبط



بفترة جني الزّيتون أو أي عمل جماعي في الحقول وتؤدّيه النّساء المسنّات خاصّة.

وُلدت (ورديّة بوشملال) يوم 9 جانفي 1926 بقريّة (آيت حالة)، بلديّة (الماين)، دائرة (الجعافرة) ولايّة (برج بوعريريج)، شرق (الجزائر العاصمة)، نشأت يتيمة الأبوين ليكفلها خالها، الذي ما لبث أن طردها من المنزل وهي ابنة (17) سنة؛ عندما علم بأنها تشدو بترديد الأناشيد والأغاني في حقول الزّيتون، وفي خَلواتها، وهو الأمر الذي كان يعدّ من المحظورات في ذلك الوقت بالنّسبة

للرجال، فما بالنّا النّساء. وهذا ما أكدته (لالة شريفة) متحدّثة عن بداياتها الأولى في الغناء قائلة:)لقد بدأت الغناء وعمري سبع عشرة سنة، ولأني نشأت يتيمة، ربَّاني أخوالي، ولا يمكن أن أصف لك الرّوبعة التي أقاموها حين علموا بالأمر، لقد كادوا يقتلونني لولا ستر الله، فالميدان الفنّي وقتها كان محرّما على الرّجال، فما بالك بالنّساء! لكن، رغم الاعتراضات صمّمت على دخول هذا العالم، وعمِلت باحترام، وبقيت محترمة(.

غادرت (لالة شريفة) مسقط رأسها (جعافرة)، إلى منطقة (أقبو) المتاخمة لولايّة (برج بوعريريج)، والتّابعة إقليميا لولايّة (بجايّة)، لتستقلّ القطار بعدها متّجهة نحو الجزائر العاصمة؛ حيث بدأت مشوارها الفنّي هناك، مصدرةً أولى أغانيها سنة (1942)، والتي كان عنوانها (أبقا على خير أياقبو) أو (وداعا أقبو).لتبدأ حياة جديدة، كابدت خلالها عناء المبتدئين من الصّعاب والمضايقات الاجتماعيّة في مدينة الجزائر العاصمة، لتنطلق مسيرتها عبر أثير الإذاعة في برنامج إذاعيٍّ، خاصٍ بالأغنيّة القبائليّة؛ حيث شاركت مع فرقة (أورار الخالات) والتي كانت تُعرف كذلك باسم (نوبة الخالات)، وتقول عنها لالة شريفة: (كانت تجربة جدٌّ جميلةٍ، مشحونة بذكريات حلوة، مع زميلات المهنة، وكانت عبارةً عن جلسة فرح نسويّة فيها الطّرب والغناء، فبواسطة الدّفٍّ أو البندير والطّار والدّربوكة، كنا نقيم أعراسا عبر الأثير تتميَّز بنكهة خاصّة، فنوبة الخالات جعلتنا أكثر قربا من جمهورنا الذي شجّعنا، وشجّع هذه الحصّة التي لا يزال يطالب بها إلى يومنا هذا).

تألقت (النّا شريفة)، التي كانت تؤلِّف كلمات أغانيها بمفردها، كما تقوم بتلحينها رغم إنّها كانت أمّيّة، لم تتعلم حرفا واحدا؛ فكل أغانيها هي من بنات أفكارها، ولكنّها تمكَّنت من أن تغنِّي للوطن والغربة والفرح والألم، كما غنّت للثورة الجزائريّة، بعصاميّة، جعلتها تتربّع على عرش سيّدات الأغنيّة القبائليّة التّقليديّة، نظرا لتمسّكها بالتّقاليد، واحترامها أعراف المجتمع القبائلي من جهة، والتزامها بقضايا وطنها الجزائر من جهة أخرى، تقول في إحدى حواراتها عن أغانيها: (إنّها الموهبة الرّبّانيّة التي منحتني القدرة على التّأليف والتّلحين، فكل الأغاني التي أؤديها هي من باكورة فكري وإبداعي المستمد من التّراث)، وهو ما ميّزها وجعل أغانيها تسافر خارج الوطن، لتعبّر عن عاداته وتقاليده وألحانه المتفرِّدة بذاتها.

عُدَّت سيدة)الغناء القبائلي(، من النّساء الأوائل، اللواتي تمكنَّ من اجتياح)التّلفزيون الجزائري(، حيث ظهرت في باقات متنوّعة من أغاني الأفراح؛ التي كانت تلبّي ذوق الأسرة الجزائريّة المحافظة على أخلاقها، والمتمسّكة بالعادات والتّقاليد التي دأب الأجداد على تأديتها أثناء هاته المناسبات؛ بما فيها، ذلك التّراث المعنوي من الأغاني القديمة والأناشيد الدّينيّة، وأغاني الأفراح وقد ذكرت هذا النّوع من الغناء بقولها: (وأنا بطبعي أحب الفرح وأحب مشاركة الأسرة الجزائريّة مسراتها، لذا أركز على إنتاج هذه النّوعيّة بالذات. والله يقوى الأفراح في بلادي).

تميَّزت الفنّانة (لالة شريفة)، بأناشيدها الصّوفيّة، وبكلماتها ذات البعد الرّوحي؛ التي بقيت راسخة في الذاكرة الجزائريّة، حيث غنت (أيا زرزور)، و(أزواو)، التي أعاد غناءها المطرب القبائلي الرّاحل (إيدير)، وأغنيّة (سنيوا ديفنجالنّ) واشتهرت بأغنيّة (الله الله أنزور الوالي)، التي ما يزال يتردَّد صداها إلى اليوم، والتي تندرج ضمن طابع (أشويق) الأمازيغي؛ لتؤكِّد ما ذهب إليه بعض النّقاد حين ربطوا بين طابع (أشويق)، وبين (المدائح الدّينيّة) التي كان يردّدها مريدي الطّريقة الرّحمنيّة بمنطقة القبائل.

تخطَّت شهرة (لالة شريفة) حدود الوطن الأم، لتسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة قبل أن تنتقل إلى (فرنسا) مطلع التّسعينات، حيث غنَّت بمسرح (الأوّلومبيا) سنة (1993) و (الأوبرا باستي) سنة)1994) وفي قاعة (زينيت) بباريس سنة 2006، وتقول واصفة حفاوة الاستقبال الذي خصَّتها به الجاليّة الجزائريّة خارج الوطن: (بحب كبير وتهافت منقطع النّظير واحترام شديد، وأنا بدوري أبادلها الحبَّ والاحترام، ولا أتوانى أبدا في تلبيّة ندائها، فإحياء الحفلات يخفّف هم الغربة عنها؛ وللعلم لدي الكثير من الأغاني التي تصف حالة المغترب وشدَّة اشتياقه للأهل وحنينه إلى الوطن) لتعبر عن وطنيتها الفذَّة، والتزامها الشّديد تجاه أبناء جلدتها، الذين تقاسمهم آلام الغربة والبعد عن الوطن بكلمات أغانيها الضاربة في الأصالة، والتّعلق بالأرض.

غادرت (لالة شريفة) الحياة الدّنيا ليلة الخميس إلى الجمعة، 14 مارس 2014، عن عمر ناهز 86 عام، ووُريت الثّرى بمقبرة (آيت حالة) ببرج بوعريريج، مخلّفة وراءها قرابة (800) أغنيّة من التّراث القبائلي الجزائري، فضلا عن تربّعها على عرش الأغنيّة القبائليّة النّسويّة لسنوات طويلة، فكانت علما من أعلام الفنّ الجزائري.

لعلاونة محمد الأمين

المصادر:

- نادية شنيوني، حوار مع المطربة القبائلية (لالة شريفة)، منشور بجريدة المساء يوم: 2 فيفري 2008.
- يومية الشعب: (نا شريفة..) بساطتها جعلتها سيدة الغناء القبائلي دون منازع، منشور بتاريخ: الثلاثاء 09 جويلية 2019.

ولد عبد الرّحمن كاكي
(1352هـ -1934م/1415هـ -1995م)

وُلد عبد القادر ولد عبد الرّحمن المعروف باسم (ولد عبد الرّحمن كاكي) في 18 فيفري 1934 بحي تيجديت الشّعبي التّابع لمدينة مستغانم غرب الجزائر.



شبّ كاكي منذ نعومة أظافره على حبّ المسرح والتّقاليد البدوية، وانضمّ في صغره إلى إحدى الفرق الكشفية، ثم انخرط في فرقة مصطفى بن عبد الله عام 1950، وعمل كاكي منذ شبابه الأول على تأصيل المسرح في التّراث الشّفوي الجزائري من خلال تأسيسه لفرقة الگراگوز سنة 1958، التي اتخذ فيها أسلوبا جديدا اختلف عما كانت تقدمه الفرق المسرحية آنذاك، وذلك من خلال دمجه المسرح بالواقع الثّقافي والاجتماعي المستنبط من أصالة وجذور المجتمع الجزائري.

كاكي الذي تعرّض إلى حادث سير خطير سنة 1969، كان متذوقا مميّزا لأعمال رواد المسرح على غرار: ستانيسلافسكي، كرايغ، ميرخولد، بيسكاتور وبريشت، كما كان مهتما باللغة والتّمثيل والدّيكور والإضاءة والموسيقى والإيقاع، ما مكنّه من امتلاك رصيد ركحي ثري سمح له باستلهام وتطوير نموذج الحلقة وشخصية المدّاح/ الرّاوي، وهي تطبيقات بدت متفرّدة في مسرحيته القراب والصالحين سنة 1966، فضلا عن عمله النّقدي اللاذع (كل واحد وحكمو)، والتي نالتّ استحسان أهل الشّام لدى عرضها بدمشق سنة 1967.

ووظّف كاكي عنصر التّراث بامتياز في عموم كتاباته، وعبر أنموذج القوّال، أمدّ المسرح الجزائري والمغاربي بأوّل نقلة وأوصلها العملاق الجزائري الرّاحل عبد القادر علولة إلى درجة عالية من الجمالية في ثلاثيته الشّهيرة القوال والأجواد واللثام.

ونظرا لتأثره بالمسرحي الألماني برتولد بريشت، اهتم كاكي في أعماله بالمسرح الملحمي ومسألة التّغريب أو مايُعرف بتحطيم الجدار الرّابع، وهو ما ظهر جليا في مسرحيته ما قبل التّاريخ والقرّاب والصالحين.

واتكأ كاكي كثيرا على التّراث الشّعبي الذي وظفه داخل أنماط مسرحية عالمية، بحكم نشوئه وسط حي شعبي وتشبعه بالتّراث المحلي، إضافة إلى تشربه من ينابيع الحداثة.

وعرف كاكي كيف يوسّع إبداعاته وابتكاراته في أعماله المسرحية لاهتمامه بكل طقوس شعوب البحر المتوسط، ومن أشهر أعماله: 132 سنة، ديوان الگراگوز، القراب والصالحين، شعب الليل، بني كلبون، كل واحد وحكمه، دار ربي وغيرها من الابداعات الأخرى التي ناغم فيها بين التّأليف والإخراج.

وحُظي كاكي بالتّقدير والاحترام في مختلف العواصم العربية والأوروبية، ونال عدة جوائز وتكريمات أبرزها تتويجه بالجائزة الكبرى بالمهرجان المغاربي الأول عام 1963 بمدينة صفاقس بتونس، فضلا عن الميدالية الذهبية بالمهرجان العربي الإفريقي بتونس 1987، وذهبية مهرجان المسرح التّجريبي القاهرة عام 1989 مناصفة مع المسرحي العالمي بيتر بروك.

توفي كاكي في 14 فيفري 1995 بمدينة وهران، وتبقى بصماته جلية، ويتناقلها المبدعون على نحو لا يزال معه كاكي حيا بيننا، كما يظلّ علامة مضيئة في سماء الفن الرّابع الجزائري وأحد أعمدته الكبار عبر مسيرة ضخمة تألق فيها كتابة وإخراجا.

سناء رمضاني

المصادر:
- موقع المسرح الوطني الجزائري tna.dz.



يحي العيدلي
(769هـ - 1367م/881هـ - 1476م)

أبو زكريا يحي بن أحمد بن موسى بن مغيث بن نوح بن عجيس بن عبد الرّحمن بن سعيد بن مالك بن إدريس الأصغر الأكبر بن جعفر الصّادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجه وابن فاطمة الزّهراء رضي الله تعالى عنها بنت رسول الله ﷺ هذا النّسب مسموع بالتّواتر إلى جانب روايات الشّيخ الحسين الورتلاني في كتاب الرّحلة آخرون، وأمه ربيحة.

خرج والده من المغرب قاصد آداء مناسك الحج بمعيّة زوجته السّيدة ربيحة التي كانت حاملا بابنها يحي فجاءها المخاض في قريّة ثقرابث التّابعة لبلديّة آيت أرزين دائرة ايغيل على ولايّة بجايّة فانزلهما الأمير عبد الرّحمن جد المقراني.

وللمنزل الذي ولد فيه مترجمنا حرمه كحرمه المولود الذي ولد فيه في الوسط الاجتماعي ولذلك فهو دائم الرّعايّة ويحظى بالتّرميم والإصلاح من جراء العوامل الطّبيعيّة التي تلحق الضّرر لكلّ البيوت. وهذا ما لاحظته حين زيارتي إليه بدعوة كريمة من سكان قريّة ثقرابث الذين استمرّت علاقتهم بأحفاد يحي العدلي الحاليين في تمقرة.

وما هو متواتر في الذاكرة الشّعبيّة أصدق إلى الواقع منه مما هو مدون في الكتب في بعض الأحيان التي تتدخل فيها الأمور العنصريّة والسّياسيّة.

وعن والدّ المترجم له نجد الورتلاني يقول عنه بإنّه عالم فاضل وولي من أوّلياء الله وتنقطع الأخبار عن هذا الوالدّ وليس كأمه التي تتردد أخبارها في بعض المصادر وعلى لسان ولدها يحي العدلي.

تلقى يحي العدلي مبادئ القراءة والكتابة في القريّة التي ولد فيها تقرابث ولما شب انتقلت به أمّه ربيحة على قريّة وانعلي التي كانت فيها زاويّة عامرة بالطّلبة يبلغ عددهم أحيانا إلى أربعا مائة طالب. ولازالتّ آثار العمّارة وأطلال محراب المسجد شاهدة على حقول الزّيتون التي تملؤ المكان حاليا قد كانت في وقت سابق قريّة آهله بالسّكان والدّليل على ذلك من عظام الموتى التي تكشفها حرافة البلديّة حين شقها للطريق الفلاحي.

وفي هذه الزّاويّة بوانعلي وغير بعيد عن تمقرة تلقى يحي العلم على الشّيخ المسعود والحاج وهو فقيه قدم من عرش بني زيكي بجبال جرجرة ولما أتمّ حفظ القرآن الكريم واطلع على مبادئ العلوم الدّينيّة واللّغويّة تاقت نفسه إلى المزيد من العلم والمعرفة فكانت وجهته مدينة العلم والنّور والعلماء والفقهاء والمفاتي الذين بلغت شهرتهم المشارق والمغارب فاختار ما شاء من مجالسّ العلم في المختلف مساجد ومعاهد بجايّة حتى وصل إلى الشّيخ العالم الزّاهد الفقيه أبي العبّاس أحمد بن إبراهيم البجائي وهو من أكابر فقهاء المالكيّة في عصره من أهل بجايّة وعالمها ت 840 هـ – 1436م.

وفي سياق الحديث عن شيوخ يحي العدلي يأتي أبو الحسن على بن محمّد القرشي الاسكندري الأصل الشّاذلي العالم المتصوف، أخذ عنه الشّيخ يحي العدلي التّصوف كما جاء في سد الطّريقة العلويّة.

أما أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشّهير بزروق فقد أخذ عنه الشّيخ يحي علوم الظاهر وأخذ زروق عن العدلي علوم الباطن يقول الورثلاني: ومنها ما سمعناه أن الشّيخ زروق كان معه في تمقرة فأخذ عنه علم الباطن والشّيخ أحمد يأخذ عنه علم الظاهر ويلي هؤلاء الشّيوخ الشّيخ سيدي على بن موسى البجاوي.

وآخرون وردت أسماؤهم في شبكة الأنترنيت.

ومن زملاء الدّراسة لشيخ يحي في بجايّة، الشّيخ سيدي عبد الرّحمن الثّعالبي كما أورد ذلك الشّيخ الحسين الورثلاني في مناقب الشّيخ عن العدلي الذي بعث برسالة يستشيره في بعض أموره فأجابه برسالة ضمنها إضافة إلى ما طلبه منه التّعظيم والتّقدير.

وإضافة إلى ما كان بين الشّيخ يحي والشّيخ زروق من إخاء وتعاون فإن الشّيخ زروق يذكر بأن الشّيخ يحي ملكه بعض ما كان مالكا.

بما إنّه لا يمكن ذكرهم كلّهم فلا غرو من ذكر بعضهم

أحدهم الشّيخ عبد الرّحمن الصّباغ:

دفين مقبرة بجايّة، ويصفه أهل السّير بأنّه عالم وأديب وذو تصانيف متعددة مفيدة فتأليفه تنبئ عنه، وكلامه يدل عليه، فمن تآليفه (شرح الوغليسيّة) في الفقه لما لكي لخصه من شرح أكبر بأمر من أستاذه الشّيخ

يحي العدلي وذلك الشّرح الكبير الواسع للشيخ عبد الكريم الزّواوي، ومن تآليفه كذلك شرح بردة البصيري لخصه من شرح الإمام ابن مرزوق التّلمساني الذي يذكر في مقدمته أنّ أستاذه سيدي يحي العدلي هو الذي حمله على تأليفه. ويوجد هذان الكتابان مخطوطين بالمكتبة الوطنيّة. وعند وفاة الشّيخ يحي رثاه بقصيدة عظيمة تبلغ عدد أبياتها أزيد من 90 تسعين بيتا ومطلعها:

ألا إنّما الدّنيا كيوم وليلة
وسكإنّها فيها كركب بأيكة
إذا نزل الرّكب العجول بمنزل
ترحل عنه عن قريب بسرعة
وآفاتها يسر بعسر قد اتبعا
ولذتها دأبا تشاب بحسرة

– والشّيخ أحمد بن عبد الرّحمن جد أوّلاد مقران.

وكانت هذه العائلة عائلة علم وولايّة، وأصبحت مع ما ذكر عائلة حكم وإدارة.

– والشّيخ يذير بن صالح الجمهوري.

– والشّيخ إبراهيم بن عمّار.

– ومنهم الشّيخ بهلول بن عاصم تلميذ الشّيخ يحي وزوج ابنته.

– ومنهم الشّيخ يحي بن موسى:

الذي ذهب إلى الشّيخ يحي ليسرقه فلما ضبطه قال له أنت لست من السّارقين المعندين وإنّما هيئت لتكون من العلماء والأوّلياء الصّالحين فالتّحق بمعهده يدرس فيه حتى تخرج عالما جليلا ومربيا حكيما، وأسس في قريته فريحة معهدا لقراءة القرآن الكريم والعلوم.

– ومنهم الشّيخ أحمد بن يوسف الرّاشدي دفين مليانة.

– ومنهم الشّيخ الخروبي الجد:

وقد كان الشّيخ أحمد بن يوسف يطغى عليه الجانب الصّوفي ويطغى على الشّيخ الخروبي الجانب الفقهي فكثيرا ما يقع بينهما صراع حاد كما يقع بين أمثالهما ولكنّها يجدان عند أستاذهما الشّيخ يحي العدلي حكما يرضون به،

وقد تحدث عن هذا الصّراع المؤرّخان الجزائريان أنّ المرحوم الشّيخ المهدي البوعبدلي والدّكتور سعيدوني في كتابهما الجزائري في التّاريخ ص 179.

لقد كان كثير السّعي في قضاء حاجات النّاس أو توسطه لدى حكام بجايّة لأجل رفع أورد المظالم فيستجيبون له عن طيب خاطر بفضل ما مكنه الله من منزله رفيعة في المجتمع فلا يردون له طلبا فلقد كان الشّيخ متفتحا ومطلعا على مجريات الأمور فيما حوله ولقد ذكر الشّيخ الورتلاني الكثير من الأمثلة عن ذلك وكان إلى جانب هذا وذاك يفصل في منازعات النّاس ويولي لهم النّصح والإرشاد والاطعام والعون للضعفاء.

والشّيخ يحي وظيفة مشهورة شرحها الشّيخ الخروبي الحفيد والشّيخ الحسين الورتلاني وهي أدعيّة مأخوذة من الكتاب والسّنة فاحتوت أذكارها ما بين تهليل وتكبير وتحميد وتسبيح وتمجيد واستغفار واستعادة وقرآن وصلاة على النّبي ﷺ مختومة بمناجيات من وضع أحد تلاميذه لترديد الوظيفة جماعيا بع صلاة الصّبح وقع مؤثر على الوجدان يشعر فيه السّامع والمردد معا بجو روحي وكإنّه في رحلة روحيّة سماويّة قريب إلى الله.

ومما قاله العلماء في حقه:

– الشّيخ سيدي التّواتي في مراسلته إلى الشّيح يحي قوله:

(إنّك أحييت أمورا درست وطرقا ذهبت، وأنت المحقّق الفاضل صاحب الوقت)).

– وفي رثاء الشّيخ عبد الرّحمن الصّباح لشيخه يحي العدلي قوله:

أتى بعد ما غلب الضلال على الورى
وأصبحت الدّنيا دجى في دجته
وبعد فساد الدّين والنّاس في عمى
حيارى فلا يرجى لهم برء علة
اتاكم غياث جامع لشتاتكم
يقيم الهدى حق ومحي الشّريعة
ويمحو ضلالة الجهالة والعمى
وينفي ولاة الجور في كلّ فجوة
هو العالم السّامي به النّاس تهتدي
إلى الحق بعد التّبه في غير غفلة
هو السّيد المشهور بالدّين والتّقي
وبالعلم علم الشّرع علم الحقيقة
هو الغيث جود كالعريم انسجامه
هو البحر علما والعزائم جلة
فأنت امام الأوّلياء وقطبهم
وسلطان أرض الغرب بحر المكارم
مفاخركم شاعت وذاعت بغربنا
وأربت على التّعداد يا خير حازم

وأورد الباحث بلقاسم بن سديرة قصيدة تراثيّة باللّهجة القبائليّة جاء فيها الثّناء على سيّدي يحي العيدلي وذكر كراماته ومناقبه.

وتوفّي الشّيخ يحي سنة 881 هـ – 1476م ودفن بحوار معمرته بمقره.

محمّد الصّالح آيت علجت

يحي آيت حمودي
(1300هـ - 1883م/1391هـ - 1972م)

«يحي آيت حمودي»، إمام ومدرس ومصلح جزائري، واكب النّهضة الوطنيّة خلال الاحتلال وفي عهد الاستقلال.

ولد «يحي بن عبد الله بن يحي أوحمودي»، الذي يرجع نسبه للجد الأعلى «حمود»، لقبه العائلي آيت حمودي في قريّة «أولموثن» سنة 1883. تعد عائلة «آيت حمودي» من أعرق الأسر العلميّة، التي استقرت في قريّة «أولموثن» الواقعة خلف

جبل «آزرونعلان» الجبل المثقوب والذي يعد معلما من المعالم التّاريخيّة والسّياحيّة في «آيت ورتلان».

منذ العصر الإسلامي أنجبت هذه الأسرة عشرات العلماء الإعلام أمثال: «أحمد آيت حمودي» المعاصر للرحالة «الحسين الورتلاني» في القرن الثّامن عشر الميلادي و«يحي أو حمودي» الجد، «وعبد الله» و«الطّاهر» ثم مترجمنا «يحي» الحفيد. لقد توارثت الأسرة تلقين العلوم وتربيّة الأجيال وإصلاح المجتمع أبا عن جد مدة تزيد عن ثمانيّة قرون حتى أصبحت أولموثن مركزا للإشعاع الثّقافي في المنطقة. تتلمذ «يحي» على يد والدّه الشّيخ «عبد الله» وعمه «الطّاهر». حفظ القرآن الكريم، ونبغ في حفظ المتون والمصنفات.

حافظ الشّيخ «يحي» على الوظيفة الحرة التي توارثها أبناء الأسرة وهي التّربيّة والتّعليم الدّيني، فكان يلقي دروسا منتظمة في التّفسير القرآن الكريم والعقيدة والفقه والنّحو والحساب وعلم الفلك.

تخرج على يده عشرات الطّلبة والأساتذة مثل: «سليمان قوقام» و«محمّد أمقران» بن «مالك» وغيرهم، وقد ساهم هؤلاء الطّلبة والأساتذة في بعث حركة التّربيّة والتّعليم الحر في المنطقة بواسطة الأقسام والمدارس التي أسسوها بالتّنسيق مع جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، في كل من «إيث عشاش»، «إغيل»، «نيث مالك»، «لقاع وزرو»، «مزين»، «أقمون»، «نيث خيار»... إلخ.

شارك «يحي آيت حمودي» في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931.

عين عضوا مستشارا في مجلسها الإداري وشارك في اجتماعها الأول حيث عين خلاله رئيسا لشعبة جمعيّة العلماء في إقليم «وقاعة» وملحقاتها، ثم توالت مشاركته في معظم الاجتماعات السّنويّة للمجلس الإداري بالعاصمة رغم بعده عنها. وإثر انتهاء أشغال اجتماع المجلس لسنة 1935 أقام نادي التّرقي مأدبة على شرف المشاركين، ألقى خلالها الشّيخ «يحي» خطابا بالامازيغيّة دعا خلاله إلى الاتحاد والتّعاون والأخوة بين الجزائريين، ترك هذا الخطاب أثرا طيبا وسط الحاضرين، فكتب العلامة «عبد الحميد بن باديس» مقالا في الشّهاب، وبإمضاء «الصّنهاجي» وتحت عنوان «ماجمعته يد الله لا تفرقه يد الشّيطان» مستحسنا ماذكره الشّيخ «يحي». وقد احتفظت الشّهاب بالتّقاريض والرّدود بين المفتي الشّيخ «يحي» والفتى «الزّواوي باعزيز بن عمر».

عين المجلس الإداري للجمعيّة سنة 1936 الشّيخ «يحي» عضو ضمن الوفد المكلف بمهمة الإرشاد والوعظ في مناطق مختلفة من ولايّة «تيزي وزو».

انتقل الشّيخ «يحي» إلى وادي أميزور سنة 1925 حيث شغل منصب إمام بالمسجد المركزي حتى سنة 1956 تقريبا حيث انتصب للتدريس والاقتناء والقضاء فضلا عن الإمامة. كانت الرّسائل ترد عليه باستمرار، حيث عثر على رسالة من الأستاذ «علي بن حالة» وهو تلميذ الشّيخ «الحافظي» من «الماين» طالبا منه إيجاد حل لقضيّة مستعصبة حول الميراث بقوله: «...سيدي بما لنا من جميل الظّن فيكم وبما لنا من الاعتقاد الجازم في إنصافكم بالعدالة التّامة نكتب إليكم...».

ويبدو أن السّلطات الاستعماريّة كانت تقدر مكانة الشّيخ «يحي»، بدليل أنها وجهت له دعوة رسميّة من قبل رئيس البلديّة للحضور ضمن الوفد الذي يستقبل رئيس الدّائرة الجديد إثر زيارة للمدينة يوم 02 شباط- فيفري سنة 1955.

انتقل مترجمنا مرة أخرى من «وادي أميزور» إلى «المدينة» بالعاصمة سنة 1956 في ظروف صعبة ولم ينقل معه حتى أمتعته الخاصة، واستقر مع أبيه وأصبح مدرسا في جمعيّة الصّادقيّة لتعليم اللغة العربيّة، وهذه الجمعيّة التّابعة رسميا لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين.

شغل الشّيخ «يحي» منصب إمام المسجد العتيق منذ سنة 1956، وكان ينوب عن معلمي المدرسة في حالة تغيبهم ويعمد إلى تغيير أساليب التّدريس حتى تتناسب مع الطّرق الحديثة المتبعة في مدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وكان من بين زملائه في التّدريس «محمّد البوسعادي»، «عبد اللطيف سلطاني» «أحمد صدقاوي»، و«محمّد طالب» وغيرهم. استمر الشّيخ يحي إماما في المسجد العتيق بالمدينة حتى بعد الاستقلال، حيث قام خلال هذه الفترة بتبليغ النّشرة التّوجيهيّة التي أصدرتها وزارة الأوقاف وإعطاء الدّروس اليوميّة بانتظام، والقيام بحملة لمحاربة الأميّة في المساجد.

وعلى الرّغم من تقدمه في السّن (ثمانين سنة) واصل عمله في اقتناء الكتب ومراجعتها وإفادة تلاميذته، ومحتفظا بمكانته بين كبار علماء الجزائر، يحضر اجتماعاتهم التّربويّة والعلميّة داخل العاصمة وخارجها، ووضع الحلول الخاصة لتعميم التّوجيه الدّيني.

نتاجه الفكري:

رحل مترجمنا عن الحياة عن عمر يناهز تسعا وثمانين (89) سنة، قضاها في نشر العلم وتبليغ رسالة الإصلاح وتربيّة النّشء الصّاعد المتشبع بالأخلاق الحميدة والمعرفة والتّعاون والصّدق، وقد ورث عن أجداده وآبائه آلاف المصنفات والمخطوطات والكتب وكل أنواع المنشورات والمطبوعات، حتى صارت مكتبته يضرب بها المثل من حيث كنوزها النّادرة إلا أن تواجدها في منطقة ريفيّة معزولة بعيدة عن مراكز العلم الكبرى في المدن والحواضر، جعل الاستفادة منها محدودة والاعتناء بها قليلا.

الحقيقة أن العلماء الأعلام من سكان الأرياف المعزولة لم يكونوا مثل زملائهم من حيث التّعريف بهم مثلما كان لعلماء المدن والحواضر، رغم أن هذا الصّنف الأول قد كابد أنواع المشاق وواجه الطّبيعة القاسيّة بتضاريسها الوعرة ومناخها القاسي، إلى جانب العقول

المتحجرة والقلوب القاسيّة، والتّقاليد الباليّة، والسّياسيّة الاستعماريّة الغاشمة، التي كانت منتشرة بين سكان الأرياف مع قلة الوسائل أو انعدامها أحيانا أخرى، لكن لسوء الحظ أصبحت آثارهم نسيا منسيا وأسماؤهم مجهولة تماما رغم مكانتهم كأعلام الجزائريين ساهموا في التّعليم والإصلاح، بينما حظي الصّنف الثّاني «أعلام المدينة» بالدّرس والبحث والشّهرة والتّفصيل فأصبحت آثارهم تدرس في المدارس وتحرر في الكتب وأسماؤهم تطلق على الهياكل والمنشآت والشّوارع.

رابح دوب

المصادر:

عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015.

يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارگلاني (أبو زكرياء) (ت: 471 أو بعد 474هـ / 1078 أو بعد 1081م)

أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارگلاني، ولد في وارگلان بالجزائر، هكذا عُرف عند المهتمّين بالتّراث الإباضيّ، إلاّ أنّ جمعيّة التّراث، بعد التّحقيق والتّدقيق وجدت الوسياني ينسب أخاه أبا يحيى زكرياء بن أبي بكر إلى بني يهراسن، ويذكر جدَّه بسعيد، فهو إذن)يحيى بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارگلاني(. أشهر من نار على علم، وهو صاحب كتاب (السّيرة وأخبار الأيمة(، عليه اعتمد كلُّ أصحاب السّير والطّبقات الإباضيّة، مثل: الوسياني، والبغطوري، والدّرجيني، والشّمّاخي، ومن جاء بعدهم... إلى يومنا هذا، وعن كتابه يقول الوسياني: «له فضل السّبق في هذا، لم يألُ خيرًا برأفته وهمّته وفراسته». تلقّى العلم في وادي أريغ عند الشّيخ أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي. روى عنه أبو عمرو عثمان بن خليفة السّوفي، وكانت له حلقة علم، ربما كانت تعقد في المحضرة القديمة بآجلو بوادي أريغ. قال عنه الدّرجيني في طبقات المشايخ بالمغرب وعن أخيه المذكور: «كانا من الأفاضل، المقتفين آثار الأوائل (...) بأدلّة ذات إقناع، وحجج تملأ القلوب والأسماع، تغني عند المحاضرة ما تغني المشرفيّة عند القراع، فكانا مراد الفارين، على تباعد الدّارين».

كان الوارجلانيُّ يشتغل بالزراعة للاسترزاق، وكان كريمًا سخيا، يزور أهل وارجلان ليؤنسهم، وطلبوا منه مَرَّة الإقامة ليستأنسوا به، فقال لهم: «قولوا: أقم عندنا قليلاً يمت قلبك، لِما اطّلع عليه من سوء طريقتهم، ورداءة أحوالهم».

يذكر المؤرِّخون له أجوبة وفتاوي في علم الكلام، ورسائل في الفقه، يبدو أنها فقدت. إلاّ أننا نجد بعض العلماء يستشهدون بأقواله وآرائه الكلاميّة، منها ما ذكره أبو سهل يحيى بن إبراهيم في بدايّة كتابه في العقيدة.

وكتابه (السّيرة وأخبار الأيمة) يهتمُّ بسير المشايخ من أهل المغرب بخاصَّة، وتاريخ الرّستميّين ومن تولّى مسؤوليّة الإباضيّة بعدهم؛ وأسلوب الكتاب غير محكم النّسج، مِمَّا يوحي بأنه من جمع تلامذته –وهي طريقة في التّأليف شاعت آنذاك –، مِما دفع أبا العَبّاس أحمد الدّرجيني بعد ذلك إلى إعادة صياغته، فألّف الجزء الأوّل من كتابه (طبقات المشايخ بالمغرب). وظلّ كتاب أبي زكرياء متداولا لدى الإباضيّة، ثُمَّ ترجم الجزء الأوّل وحقّقه المستشرق الفرنسيّ (إميل ماسكراي/ Masqueray.E)، ونشره باللغتين الفرنسيّة والعربيّة عام 1878م؛ ثمَّ ترجمه «LeTourneau» كاملا، ترجمة أدقّ وأشمل؛ ومن هنا كانت شهرته؛ ثمَّ حظي بتحقيقين وأربع طبعات:

– تحقيق إسماعيل العربي وطبعاته بعنوان: (سير الأيمة وأخبارهم)، اثنتان في الجزائر، وثالثة في بيروت. إلاّ أنَّ المحقِّق لم يبذل فيه جهدًا كبيرًا فجاء تحقيقه مخلاً بالشّروط العلميّة، ناقصا، لأنّه أهمل الجزء الثّاني من الكتاب ظنًّا منه أنه للوسياني وليس لأبي زكرياء.

– تحقيق عبد الرحمن أيّوب، بعنوان: (السّيرة وأخبار الأيمة)، في رسالة أكاديميّة، نشر بتونس، وقد بذل فيه جهدًا مشكورًا.

يحيى بن بهون حاج أمحمد

المصادر:

- أبو زكرياء: السّيرة (ط.ت) 1/ 14–15؛ 2/ 367، 371 (ط.ج) 23–25؛
- الوسياني: سير مشايخ المغرب (منسوب) 74، 77؛
- الوسياني: سير (مخ) 1/ 2–3، 21، 92، 108؛ 2/ 131، 250؛
- الدّرجيني: طبقات، 1/ ي، م؛ 2/ 352، 427، 448–451؛
- البرادي: رسالة في تقييد كتب (ملحق بآراء الخوارج الكلاميّة) 2/ 292؛
- الشّمّاخي: السّير، 2/ 92–93 بروكلمان: تاريخ الأدب العربي؛
- معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التّراث، المطبعة العربيّة –غرداية، ط1، 1999، ج4، ص948.

يحي بن أبي محمد عبد الواحد بن يحي الهنتاتي (أبو زكرياء الأول) (599 هـ - 1202م/647 هـ - 1249)

أبو زكرياء الأول يحي ابن أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، ولد بمراكش سنة (599 ه- 1202، 1203م) وتوفي ببونة ليلة الجمعة 29 جمادى الآخرة 09 أكتوبر 1249 وهو ابن 49 سنة.

انتقل بعد مولده بمراكش إلى القيروان بتونس بعد أن أقام الدّولة الحفصيّة وينتسب إلى قبيلة هنتاتة وكان ولاؤه للسنة الموحدّة، عرف عنه نضجه السّياسي المبكر وتبوء مكانة مرموقة في تاريخ المغرب الإسلامي، عاش عصر الدولة الحفصيّة التي أسسها وقد امتازت هذه الفترة بتزاحم التيارات الثقافيّة الواردة مشرقا ومغربا وكان ممن شجع هجرة الأندلسيين إلى المغرب بعد توالي سقوط الإمارات الأندلسيّة.

من شيوخه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي (633هـ - 1256م)، كما قال في رحلته: «قرأت على الشّيخ الرعيني السّويسي» وختم عليه كتاب المستصفى للغزالي وغيره وله قراءات على ابن الصفار، وابن هشام، وناظر في النحو ابن عصفور، وابن الحاج.

كان فقيها أديبا، له وصيّة بليغة وله قصيدة في مدح النبي، وكان معدودا من العلماء ومن الشّعراء، وقيل بأنه ترك من كتب العلم ستة وثلاثين ألف سفر. وله شعر بليغ من شعره في الوافر:

بعثت بها إليك بنات أيك
غذاها في الثرى در القطار
له لونان مخضر عظيم
وآخر قانيء كالجلنار
ولم تنظر أبا العباس حسنا
يروقك كاخضرار في احمرار
كمثل الخد أحجمه التلاقي
فصرنا ورده أسد الغطار

كان أبو زكرياء صاحب تأثير واسع وصل صيته إلى ما وراء البحر في بلاد الأندلس التي كانت تعاني الضعف والوهن واستصرخ بقصيدة بديعة يقول فيها ابن الأبار:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا
إن السّبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست
فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وقد وصلته حينها بيعة زيان بن مردنيش بعد أن تعرض لحصار شديد من ملك أرجونة خايم الأول وانقادت له بعض بلاد المغرب طواعيّة مثل طنجة وسبتة.

حول مركز الشّرعيّة الموحديّة إلى مدينة تونس وجعل منها عاصمة جديرة بالدولة التي قام بإحداثها - أسس الدولة الحفصيّة واستقل بالملك سنة 634هـ - 1237/ 1236م -زحف على قسنطينة وبجايّة سنة 628هـ - 1230م، وافتتح تلمسان سنة 639هـ - 1241/ 1242م أعاد بناء القصبة التي تمثل معقل ومقر إقامة العائلة المالكة وبنى مصلى العيدين ومدرسة الشّماعين- وسوق العطارين، وحصن تونس وجدد رسوم القصبة وذكر أنه ترك سبعة عشر بيتا من المال -كما جمعت دولته رؤساء العلماء وفحول الشّعراء وأهل البيوتات من الموحدين ما لم يجتمع لغيره.

وعرف عنه تواضعه فكان مختصرا في ثيابه ومركوبه، وفي شأنه كله، وكان كثيرا ما يلبس جبة صوف وحزام صوف وكان رحمه الله إذا خطا على مكتب في الطريق يأمر معلم الأولاد أن يسرح أطفال المكتب ليدخل عليهم السّرور.

ومما قاله أبي عمرو عثمان بن عتيق المهدوي المعروف بابن عربيّة في رثائه:

يلذ زمان للفتى ثم يوقع
ويضر هذا الدهر ثمة ينفع
بابن طوائد الإمامة مغرب
فلقد جلا شمس الخلافة مطلع
فأضاء بالمرحوم ذلكم الثرى
وأنار بالمنصور ذلك المرتع

فائزة بن عمور

المصادر:

- روبار برنشفيك تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهايّة القرن15، تر: حمادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي 1988.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن السّماع، الأدلة البينة النورانيّة في مفاخر الدولة الحفصيّة، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربيّة للكتاب1984.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المكتبة الشّاملة الحديثة.

يحي بن تميم الصنهاجي (ت: 509 هـ - 1115م)

أبو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميري الصّنهاجي صاحب إفريقيّة وما والاها، وكانت ولاية الأمير يحيى بالمهديّة خلافةً عن أبيه تميم يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين وأربعمائة، ثم استقل بالأمر يوم وفاة والده.

وكان عمر الأمير يحيى يوم الاستقلال ثلاثاً وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوماً، وركب على العادة، وأهل دولته محتفون به، ورجع إلى قصره فغيّر لباس أهل الدّولة من الخواص والجند بخلع سنيّة، وكانوا قد غيّروا لباسهم لموت أبيه، ووهب للأجناد والعبيد أموالاً كثيرة، ووعدهم مواعد سارة.

و ذُكر في كتاب « الجمع والبيان في أخبار القيروان « الذي ألّفه ولد أخيه عز الدّين أبو محمّد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن بادي، أن الأمير تميماً قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحيى، وكان في دار الإمارة مع خاصته وجلسائه، فمضى يحيى ومن معه إليه، فوجدوا تميماً في بيت المال، فأمرهم بالجلوس ثم قال لأحدهم: قم فادخل ذلك البيت وخذ منه الكتاب الذي صفته كذا في مكان كذا، فقام وأتى به، فإذا هو كتاب ملحمة، فقال له عد من أوّله كذا وكذا ورقة، واقرأ الصّفحة التي تنتهي إليها، فقرأها وإذا فيها (الملك المغدور، وهو الطّويل القامة الذي على ورطه الأيمن خال وفي جنبه الأيسر شامة) فقال الأمير تميم: أطبق الكتاب وارده إلى موضعه، ففعل، ثم قال تميم: أما العلامتان فقد رأيتهما، وبقيت علي الثّالثة، قم أنت يا شريف وأنت يا فلان حتى تحققا عندي خبر العلّامة الثّالثة، فقاموا وقام يحيى معهم إلى موضع مستور عن تميم، فكشف لهم عن جسمه، فرأوا شامة على جنبه الأيسر هلاليّة الشّكل، فأتوا تميماً فعرفوه، فقال: لم أعطه أنا شيئاً، الله تعالى الذي أعطاه، ثم قال: إني أخبركم بحديث عجيب، وذلك إنّه عرض علي النّخاس والدّته، فاستحسنتها ومالتّ نفس إليها فاشتريتها، وسلمتها إلى خدام القصر، وأمرت النّخاس أن يرجع إلى قبض الثّمن، ثم دبرت في مال طيب حلال أخرج ثمنها منه، فبينما أنا مفكّر في ذلك إذ سمعت السّائل يصيح ويرفع صوته في الإذن على مطلعتي، فأخرجت رأسي من الطّاق وقلت له: ما شأنك فقال: كنت السّاعة أحفر في قصر المهدي إذ وجدت صندوقاً عليه قفل، فتركته على حاله وجئت مطالعاً بأمره، فأنفذت معه من أثق به، فإذا فيه أثواب مذهبات الأعلام قد أفناها الدّهر، فأمرت بسبك أعلامها، فلم تزد ولم تنقص عن ثمن الجاريّة، فتعجب الحاضرون من ذلك ودعوا له، ثم أمر لهم بدنانير وكساء وانصرفوا. قال عبد العزيز المذكور: وقد أدركت هذا الكتاب المشار إليه عند السّلطان الحسن، رحمه الله تعالى، يعني الحسن بن علي بن يحيى المذكور، وحكى عن الكتاب أموراً وقضايا ذكر إنّها ستكون، وكانت كما ذكر.

رجعنا إلى حديث يحيى: ولما جلس الملك قام بالأمر وعدل في الرّعيّة وفتح قلاعاً لم يتمكن أبوه من فتحها، قال عبد العزيز المذكور في تاريخه: وفي أيامه – يعني يحيى– وصل إلى المهديّة محمّد بن تومرت قادماً من الحج، فنزل بمسجد قبلي مسجد السّبت، فاجتمع إليه جماعة من أهل المهديّة وقرأوا عليه كتباً في علم أصول الدّين، وشرع في تغيير المنكر، فرفع أمره إلى يحيى فأحضره وجماعة من الفقهاء، فرأى ما هو عليه من الخشوع والتّقشف والعلم، فسأله الدّعاء فقال له: أصلحك الله لرعيتك، ونفع بها ذريتك، وأقام مدة يسيرة بالمهديّة ثم انتقل إلى المنستير فأقام بها مدة، ثم انتقل إلى بجايّة.

ثم قال عبد العزيز: وفي سنة سبع وخمسمائة أتى إلى المهديّة قوم غرباء، فقصدوا يحيى بمطالعة زعموا فيها إنّهم من أهل الصّناعة الكبيرة من الواصلين إلى نهايتها، فأذن لهم بالدّخول عليه، فلما مثلوا بين يديه طالبهم بأن يظهروا له من الصّناعة ما يقف عليه فقالوا: نحن نزيل من القصدير التّدخين والصّرير حتى يرجع لا فرق بينه وبين الفضة، لمولانا من السّروج والقصب والبنود والأواني قناطير من الفضة يجعل عوضاً منها ما يريده ويستعمل جميع ذلك في مهماته، وسألوه أن يكون ذلك في خلوة، فأجابهم وأحضرهم للعمل، ولم يكن عند الأمير يحيى سوى الشّريف أبي الحسن علي والقائد إبراهيم قائد الأعنة، وكانوا هم ثلاثة، وكانت بينهم أمارة، فأمكنتهم الفرصة، فقال أحدهم: دارت البوتقة، فتواثبوا وقصد كل واحد منهم واحداً بسكاكينهم، فأما الذي قصد الأمير يحيى فقال: أنا سراج، وكان يحيى جالساً على مصطبة، فضربه فجاءت على أم رأسه، فقطعت طاقات في العمامة، ولم تؤثر في رأسه، واسترخت يده بالسّكين على صدره فخدشته، وضربه يحيى برجله، فألقاه على ظهره، فسمع الخدم الجلبة ففتحوا باب القصر من عندهم، فدخل يحيى وأغلق الباب دونهم، وأما الشّريف فلم يزل به الذي قصده حتى قتله، وأما القائد إبراهيم فإنّه شهر سيفه، ولم يزل يقاتل الثّلاثة، وكسر الجند الباب الذي كان بينهم، ودخلوا فقتلوهم، وكان زيهم زي أهل الأندلس، فقتل في البلد جماعة ممن يلبس ذلك الزّي، وخرج الأمير يحيى في الحال ومشى في البلد وسكّن الفتنة.

كان يحيى عادلاً في دولته ضابطاً لأمور رعيته عارفاً بخرجه ودخله، مدبراً في جميع ذلك على ما يوجبه النّظر العقلي ويقتضيه الرّأي الحكمي، ونعته في الملاحم « الملك المغدور « وتحقق له هذا النّعت بتلك الواقعة. وكان كثير المطالعة لكتب الأخبار والسّير عارفاً بها، رحيماً للضعفاء شفيقاً على الفقراء، يطعمهم في الشّدائد فيرفق بهم، ويقرب أهل العلم والفضل من نفسه، وساس العرب في بلاده فهابوه وانكفت أطماعهم، وكان له نظر حسن في صناعة النّجوم والأحكام، وكان حسن الوجه على حاجبه شامة، أشهل العينين مائلاً في قده إلى الطّول دقيق السّاقين، وكان عنده جماعة من الشّعراء قصدوه ومدحوه، وخلّدوا مديحه في دواوينهم، ومن جملة شعرائه أبو الصّلت أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الشّاعر – المقدم ذكره – أقام تحت كنفه بعد أن جاب الأرض، وتقاذفت به البلدان، وله صنف الرّسالة المشهورة التي وصف فيها مصر وعجائبها وشعراءها وغير ذلك، وله فيه مدائح كثيرة أجاد فيها وأحسن، وله أيضاً مدائح في ولده أبي الحسن علي وولد ولده الحسن بن علي، ومن جملة قوله من مديحه قصيدة:

وارغب بنفسك إلا عن ندىً وغنىً
فالمجد أجمع بين البأس والجود
كدأب يحيى الذي أحيت مواهبه
ميت الرّجاء بإنجاز المواعيد
معطي الصّوارم والهيف النّواعم وال
جرد الصّلادم والبزل الجلاعيد
أشم أشوس مضروب سرادقه
على أشم بفرع النّجم معقود
إذا بدا بسرير الملك محتبياً
رأيت يوسف في محراب داوود

من أسرةٍ تخذوا الماذي لبسهم
واستوطنوا صهوات الضمر القود
محسدون على أن لا نظير لهم
وهل رأيت عظيماً غير محسود
وإن تكن جمعتكم أسرة كرمت
فليس في كل عود نفحة العود
أقول للراكب المزجي مطيته
يطوي به الأرض من بيد إلى بيد
لا تترك الماء عداً في مشارعه
وتطلب الرّي من صم الجلاميد
هذي موارد يحيى غير ناضبة
وذا الطّريق إليها غير مسدود
حكم سيوفك فيما أنت طالبه
فللسيوف قضاء غير مردود
وله فيه غير ذلك.

لمّا كان يوم الأربعاء، وهو عيد النّحر سنة تسع وخمسمائة، توفّي يحيى فجأة، وذلك أن منجمه قال يوماً له: إن تسيير مولدك في هذا النّهار عليك عكساً فلا تركب، فامتنع عن الرّكوب، وخرج أوّلاده ورجال دولته إلى المصلى، فلما انقضت الصّلاة حضر رجال الدّولة على ما جرت به العادة للسلام، وقرأ القرآن وأنشد الشّعراء، وانصرفوا إلى الإيوان فأكل النّاس، وقام يحيى إلى مجلس الطّعام، فلما وصل إلى باب المجلس أشار إلى جاريّة من حظاياه فاتكأ عليها، فما خطا من باب البيت سوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتاً.

وكان ولده علي نائبه على سفاقس، وهي بلدة من أعمال إفريقيّة، "و للشعراء فيها شعر فمن ذلك قول بعضهم وهو علي بن حبيب يصف بحرها في مده وجزره:

سقياً لأرض سفاقس
ذات المصانع والمصلى
بلد يكاد يقول حين
وروده أهلاً وسهلا
وكأنّ ماء البئر حين
تراه ينضب ثم يملا
صب يريد زيارة
فإذا رأى الرّقباء ولى

فأحضر وعقدت له الولايّة، ودفن يحيى في القصر على ما جرت به العادة، ثم نقل بعد سنة إلى قصر السّيدة بالمنستير – وهي بلدة إفريقيّة أيضاً – وخلف ثلاثين ولداً ذكوراً.

إسمهان ميزاب

المصادر:
وفيات الأعيان لابن خلكان

يحي بن خلدون
(734 هـ - 1332م/ 780 هـ - 1379م)

هو يحي بن محمد بن خلدون الحضرمي، نسبة إلى منطقة حضرموت باليمن، ويكنى بأبي زكرياء. ولد بتونس سنة 734هـ الموافق لـ1332م والتي انتقلت إليها أسرته بعد أن نزحت من إشبيليّة بالأندلس حيث أقام جده خلدون وكان ضمن جنْد اليمن. وعرف عن هذه الأسرة أنها كانت تتمتع بالمال والجاه وتعيش في جو العلم وتقلد بعض أفرادها الحجابة. فنشأ يحي، وهو الشّقيق الأصغر للمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون، بتونس ودرس على علمائها، وكان يُدرّس بها لفيف من كبار العلماء والشّيوخ على غرار بقيّة أمصار العالم الإسلامي في ذلك العصر.

ولما اكتسب المعارف الأساسيّة من لغة ونحو وأدب وبلاغة، وتشبّع بمبادئ العلوم الإسلاميّة، وتمكن من الالمام بوقائع التاريخ وأحداث زمانه، انخرط في عالم السّياسة كما يقال بمفهوم عصرنا. فلم يتوجه للتصوف أو الاشتغال بالتدريس أو العمل بالقضاء والافتاء كما جرت العادة في ذلك الزمان، إلا أنه عرف عنه ميله للشعر والأدب وهو ما أكسبه ميزة تولي مناصب الكتابة في دواوين حكام ذلك العصر والتي يبدو أنه نجح فيها خاصة في بلاط بني زيان، لكن نجاحه كان له ثمن غال وهو حياته.

فقد اشتغل ببلاط الحفصيين في تونس، ثم ارتحل إلى المغرب وانتظم في خدمة السّلطان عبد العزيز المريني لبعض الوقت. وفي سنة 761 هـ رافق الأمير الحفصي أبا عبد الله الذي كان لاجئا في فاس، وتوجه معه إلى الجزائر لاسترجاع إمارة مدينة بجايّة. ولما تمكن هذا الأمير من الوصول لغرضه سنة 765هـ، عين يحي في منصب الحجابة. وفي السّنة الموالية أي 766 هـ أسند هذا المنصب لشقيقه عبد الرحمن الذي وصل إلى بجايّة قادما من الاندلس بدعوة من أبي عبد الله. ومكث يحي في بجايّة إلى أن استولى عليها الأمير الحفصي أبو العباس سنة 767هـ، فأمر باعتقاله في عنابة نكايّةً في شقيقه عبد الرحمن الذي آثر عدم العمل معه، لكن يحي فر من محبسه وتوجه إلى بسكرة ليلتحق بشقيقه الذي كان يقيم عند أسرة بني مزني. وهي أسرة من عرب الأثبج كانت تتولى حكم إمارة بسكرة تحت نفوذ الحفصيين. ومن بسكرة انتقل يحي سنة 769هـ إلى تلمسان للعمل في بلاط الزيانيين، بناء على توجيه من أخيه عبد الرحمن الذي كان السّلطان أبو حمو موسى الثاني قد استدعاه للعمل معه. فرحب السّلطان به وعينه كاتبا لديه. ومعروف عن أبي حمو موسى الثاني أن بلاطه كان ملتقى للعلماء والأدباء. وظل يحي في منصبه هذا إلى سنة 772هـ، بعدها انتقل إلى المغرب للعمل مع السّلطان أبي عبد العزيز المريني ثم عاد مجددا سنة 776هـ إلى تلمسان للعمل ككاتب لدى السّلطان الزياني أبي حمو موسى، وظل في ديوانه من سنة 776هـ إلى 780هـ حيث تم قتله غدراً بوشايّة من حسّاده.

عاش يحي بن خلدون خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي في عصر الدولة الزيانيّة، في وقت كانت تتجاذب فيه

المنطقة ثلاث قوى سياسيّة متصارعة بعد انهيار الدولة الموحديّة. ولذلك نجد أن يحي اشتغل في بلاط بني حفص بتونس وانتقل إلى العمل مع السّلطان عبد العزيز المريني في مراكش. وفي الوقت نفسه اشتغل في بلاط الزيانيين بتلمسان واحتل مكانة مرموقة لديهم حيث صار مؤرخ بني زيان، وهذا ما جلب عليه سخط المناوئين له. فقد كان كتابه القيم «بغيّة الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وأيام أبي حمو الشّامخة الأطواد» سجلا حافلا بوقائع ذلك القرن وخاصة تاريخ دولة بني زيان منذ تأسيسها على يد يغمراسن بن زيان بن ثابت سنة 633 هـ أي 1236م إلى غايّة عهد حكم أبي حمو موسى الثاني. ويعتبر هذا الكتاب بحق مرآة عصره، فهو يتضمن تاريخ بني زيان منذ تأسيس الدولة حتى عصر السّلطان أبي حمو موسى الثاني مع تركيز واضح على عهد هذا السّلطان الذي تميز بطول فترة حكمه والذي كان يحي كاتبا لديه. وتناول فيه كذلك مختلف قصائد شعراء بلاط بني عبد الواد المعاصرين له، كما سجل فيه معلومات وافيّة عن علماء تلك الفترة. ويقول عنه عبد الحميد حاجيات وهو من قام بتحقيق كتابه بغيّة الرواد: « يحي بن خلدون من طبقة الكتاب المبرزين، يمتاز بثقافة أدبيّة واسعة وأسلوب يزخر بالمحسنات البديعيّة والسّجع المستظرف مما كان يعجب أدباء عصره، بالإضافة إلى نبوغه في الشّعر واهتمامه بالتاريخ.» بينما يقول محمد غالم محقق كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصر عن بغيّة الرواد: « إن الكتاب لمحة صادقة عن الحياة الفكريّة في تلمسان خلال القرن الرابع عشر».

لم يستقر الحال بيحي بن خلدون في بلاط بني زيان طويلا، وتعرض للعديد من الوشايات التي عكرت صفو حياته وكثُر خلالها المناوئون له، والذين لم يكونوا راضين عن تعيينه كمؤرخ للدولة الزيانيّة. فقتل مغدورا بتحريض من أبي تاشفين نجل السّلطان أبي حمو موسى الثاني، وذلك في شهر رمضان من سنة 780 هـ الموافق لـ 1379 م. وتوفى وهو ما يزال في بدايّة كهولته وقمة عطائه. ولعل وفاة أخيه مغدورا بفعل الوشايات، هي التي دفعت بشقيقه الأكبر عبد الرحمن، والذي لم يسلم منها هو الآخر، إلى الابتعاد عن العمل بالسّياسة والتوجه للكتابة والتأليف ثم المغادرة إلى مصر للإقامة بها.

عامر بغدادي

المصادر:

- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، م. أبوراس الناصر، ج 2، تحقيق محمد غالم.
- مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربيّة الإسلاميّة، عبد الحميد حاجيات، مجلة الثقافة، عدد 81، 1984.

يحي بن عبد الرحمن (ابن صفية) (935هـ - 1529م/1019هـ - 1610م)

ولد الشّيخ سيدي يحي بن عبد الرّحمن المكنّى بابن صفيّة سنة 935هـ الموافق لـ 1529م، وتوفّي سنة 1018هـ الموافق لـ 1610م، ودفن سيدي يحي في وادي بوغَدو في جبل سيدي محمّد السّنوسي على بعد أربعة عشرة ميلا (أي حوالي 15 كلم) من سبدو، وعليه قبة عظيمة يقصدها النّاس للزيارة والتّبرك.

رجل دين وتصوف نشأ في بيئة دينيّة حيث درس في زاويّة جده لأمه الشّيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة اللغة والعلوم الإسلاميّة والتّصوف، ثم واصل دراسته بوادي غير في زاويّة مولى السّهول بالقرب من مدينة بوذليب التي تقع إلى الشّرق من مدينة الرّشيديّة بالمغرب الأقصى، وتخرج على يد رئيسها الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي، وتبعا لتوجيهات شيخه توجه نحو الشّمال لنشر العلوم التي درسها ولترسيخ الطّريقة التي تبعها، فاستقرّ بجبال تلمسان (جبال بني سنوس).

أخذ العلوم عن بعض الشّيوخ والأقطاب ومن بينهم سيدي عبد الرّحمن السّهلي، وجده سيدي سليمان بن سماحة.

هم مجموعة فرق، وهي التّاليّة: العمور، وأوّلاد المالح، وأوّلاد علي بن الحاج، وأوّلاد عبد السّلام، وعياض والمقاطيط، وأوّلاد عمّارة، وأوّلاد براهيم، وأقليات أخرى . وأما الذين رجعوا إلى أوطانهم فكثيرون نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر الولي سيدي خليفة الشّريف بن محمّد الدّفين بقريّة خيثر، والفراطسيّة وهي فرقة انتقلت إلى نواحي سعيدة . ومن الذين وفدوا عليه أيضا سيدي محمّد الشّريف.

اتّخذ سيدي يحيى من منطقة سبدو مكانا لإنشاء زاويته ومن خلالها القبيلة التي بدأت تتشكل من حول هذا الولي خلال القرن 16م. وقد أخذت سمعته تتنامى بسرعة حيث كثر تلاميذه ومريدوه وأتباعه، فأصبحت زاويته مزدهرة وعامرة، وبلغت شأوا كبيرا ذلك أن الرّباطان والزّوايا الصّوفيّة كان لها إشعاعها الخاص والمتميز في عدّة أوساط اجتماعيّة، ليس لطابعها الدّيني والتّعبدي فحسب بل للعلاقات الإنسانيّة والمنفعيّة التي كانت تنسجها بين روادها ومريديها.

يعدّ سيدي يحيى من أبرز رجال التّصوف في الجزائر، حيث كانت أفكاره دينيّة تخدم الدّين والمجتمع.

كان الشّيخ صاحب زاويّة، وقد قامت بدور سياسي سواء مع أو ضد السّلطة، ففي نظر واعتقاد من كان يلتزم بأيّة طريقة صوفيّة فإن موقع الزّاويّة حيث يوجد شيخ الطّريقة كان له حرمة فائقة وقدسيّة عظمى حتى بعد وفاة أصحابها. فكانت مأوى الزّوار والمسافرين وملجأ الضعفاء والمحتاجين

وقبلة المرضى والمصابين، وكانت أيضا مأمن العصاة والخائفين ووجهة المتحاربين والمتخاصمين، ولكل هذه الخصائص كانت تدفع لها الصّدقات والقربان والهبات جلبا للمنفعة الآجلة والعاجلة وتوطيدا لوشائج التّضامن والتّكافل مع الآخرين.

كانت رحلته بين المغرب الأقصى والجزائر.

قبل وفاة سيدي يحي بن صفيّة بخمسة أيام ولد له ولد سماه يحي، ولما أتوه به وهو على فراش المرض دعا له ونادى بعد ذلك على أخيه أبي الطّيب وقال له: (أنت الوصي على أخيك هذا وأنت كافله من بعدي وأنت خليفتي فيه، خذ أخاك وأمك وتوجه بهما نحو بلاد (ملويّة) ولا تستقر حتى تصل إلى بلاد (تاقنطاشت) بالمغرب الأقصى، فإنّها بلاد مباركة ...) فأخذ أبو الطّيب أخاه وأمه، وذهب بهما حيث أشار عليهما والدهما بالمغرب الأقصى وذريتهما ما تزال منتشرة في منطقة تاقنطاشت وميسور وضواحي فاس وغيرهما من الجهات بالمغرب الأقصى.

تزوّج سيدي عبد الرّحمن الطّالب الشّاب من لالا صفيّة بنت سيدي سليمان بن أبي سماحة البوبكري الصّديقي، وكان ذلك حوالي سنة 1527م، وكان من نتائج هذا الزّواج ميلاد سيدي يحي سنة 935هـ/ 1529م وبعده أخويه أحمد وموسى، ونكتفي بأوّلهم – سيدي يحي–، عاش يتيم الأب منذ سن العشر سنوات، وهو الشّيء الذي حتم عليه وأخويه وأمه للعيش مع أخوالهم لمدة طويلة من الزّمن، هذا الذي عزاه بعض من الباحثيين في تكنيّة أوّلاد سيدي عبد الرّحمن باسم أمهم لالا صفيّة بدل اسم أبيهم يقول في ذلك الباحث خليفة بن عمّارة: «إننا أمام حالة نادرة لإلحاق سلالة امرأة، بالرّغم من كونها متزوجة من رجل شريف، وكرد فعلي وعكسي بقبيلة البوبكريّة". وفي مقابل هذه التّسميّة الكنيّة بأبناء صفيّة، برزت وانبعث من جديد الاستعمال المتزايد لعبارة أوّلاد نهار، عبارة عمرها آنذاك أكثر من قرنين (زمن زيد بن محمّد بن أبي العطاء) أعادها المعنيون للواجهة، مع كثير من الدّعايّة لإبراز اختلافهم عن البوبكريّة". وقد اتخذ سيدي يحي من منطقة سبدو مكانا لإنشاء زاويته ومن خلالها القبيلة التي بدأت تتشكل من حول هذا الولي خلال القرن 16م.

تقام باسم هذا الولي الصّالح ما يسمى بالوعدة كل سنة التي تعدُّ موروثا ثقافيا وسياحيا.

عزاز حسنية

المصادر:

- https://www.vitaminedz.com/%D8%B4%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%
- /19814/https://www.alukah.net/culture/0
- وعدة الولي سيدي يحي بن صفية في منطقة أولاد نهار بتلمسان مقاربة تاريخية وسوسيولوجية ص 135 قويدر قيداري مجلة العلوم الاجتماعية (هي مجلة دولية محكّمة تصدر من ألمانيا –برلين عن "المركز الديمقراطي العربي"تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .ISSN 2568-673) Nationales ISSN-Zentrum für DeutschlandISSN 2568 العدد السابع ديسمبر 2018 م.

يحي بن معطي الزّواويّ
(564هـ - 1169م/628هـ - 1231م)

وُلد يحيى بن عبد المعطي عبد النّور، زين الدّين المُكنى بأبي الحسن/ أبي زكرياء الزّواوي في مناطق بجاية سنة 564 هـ، على قول. ونجد من يقول إنّه من مواليد (فاس) وبخاصّة (معلمة المغرب) الذي تُصنّفه من أعلام المغرب. ويمكن أن يقع التّعليل في هذا أنّه وُلِدَ في عصر الدّولة الموحديّة التي لها امتدادات مغاربيّة، ولم تكن الحدود قائمة في ما يسمّى بالمغرب الإسلاميّ الذي عرف حركة تنقّلات كبيرة للعلماء؛ ولذا يقولون «وُلد في فاس بالمغرب» ولكن ما يُعوّل عليه هو المحيط العلميّ الذي شهده في تكوينه الأوّلي، فبين (السّهيلي والجزولي) قول يميل إلى فاس، وبين (ابن عصفور) قول يميل إلى بجاية؛ لأنّ (ابن عصفور) جاء من الشّرق إلى الأندلس، ومن الأندلس إلى بجاية، وأسّس في بجاية مدرسة في الصّرف، ولم يدخل (فاس). ويبقى الرّأي الأرجح أنّه من بجاية؛ حيث انطلاق الدّولة الموحديّة التي عمّ فيها النّشاط العلميّ، وأتاها كبار العلماء للتّدريس، هذا من جهة، ومن جهة ثانيّة أنّ قيام الدّولة الفاطميّة التي شجّعت العلم كان منطلقها من بجاية التي احتفت بالعلماء وقرّبتنهم، فكان العلماء يقصدون بجاية أفواجاً، وكذلك ما يعجّ به المغرب الوسيط من العلماء الكبار مثل: الإمام المحدث الفقيه الأديب أبو محمّد عبد الله الأشيري، والعلاّمة المحدث محمّد بن عبد الرّحمن بن علي بن محمّد بن سليمان التّجيبي التّلمساني... كما وقع خلاف في كتابة اسمه بين (ابن معطٍ/ ابن معطي) دون مبرّر علميّ أو خلاف لغويّ.

يُعدّ (ابن معطٍ) أوّل نحويّ من نحاة بلاد المغارب الذين ألفوا في المنظومات النّحويّة باسم (الدّرّة الألفيّة) واختُصرت في الاستعمال (الألفيّة). ونسج (ابن مالك) ألفيته على منواله، ويقرّ بفضل السّبق قائلاً:

وتقتضي رضىً بغيرِ سُخْطِ
فائقةً ألفيةَ ابن مُعطٍ
وهو بِسَبْقٍ حائزٌ تفضيلا
مُستوجبٌ ثنائيَ الجميلا

درس (ابن معطٍ) مرحلة القاعدة عند كُتّاب قريته، فحفظ القرآن ومبادئ العربيّة في محيط ناطق باللغة المحليّة، ولكن هناك لغة الإسلام العلميّة التي ازدهرت بها منطقته التي تعجّ بالعلماء والقضاة والفقهاء، فاستفاد من تلك الحركة النّشيطة، وجلس مستمعاً وطالباً للإمام عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت بن عيسى أبو موسى الجزولي وغيره من علماء بجاية. ولما أراد المزيد توجّه إلى الشّام، وانتظم إلى حلقة (ابن عساكر) ليتدبّر الحديث الشّريف، وحلقة (الكندي) العالم النّحويّ، وعيسى بن محمّد الأيوبي الفقيه، ولما استوى علماً جلس على كرسي نَقْل العلم لِمُريد يه؛ يقرئهم النّحو والأدب. كما تصدّر للإقراء في الجامع الكبير في دمشق، وجلس محاضراً ومقرئاً في مجالسّ الحكّام والأمراء، واستفاد من علمه وأدبه جمع غفير من النّاس، وخلق منهم مدرسة في النّحو. وترك الكثير من طلابه من مثل: الإمام رضي الدّين القسنطينيّ النّحويّ المتوفّي سنة 695هـ إبراهيم بن محمّد بن طرخان الحكيم عزّ الدّين أبو إسحاق الأنصاري، الشّهير بالسّويد الحكيم المتوفّى سنة 695هـ ابن العطّار المتوفّى سنة 649هـ تاج الدّين الصّرخدي المتوفّى (توفي سنة 674هـ). وأجاز هذا الأخير بإجازة بخطّ يده كما تقول الرّوايات، وهي «استخرتُ الله تعالى وأذنت لسيدنا الفقيه العالم تاج الدّين أبي محمّد محمود ابن عابدين بن حسين التّميمي الصّرخدي، أمدّه الله وسدّده أن يقرأ هذا القسم الملقّب بالمشترك من كتاب (المفصّل) لأبي القاسم محمود فخر خوارزم، ثقة منّي بعلمه وتنقيبه عن التحقيق ونهج الصّواب حسب ما سمعه منّي وقت قراءته إياه على، مستسرحاً وباحثاً عن النّكت التّصريفيّة واللطائف الموزّعة فيه، والجوالة في تحرّي الصّواب على ذهنه الثّاقب ورأيه الصّائب، إن شاء الله تعالى».

لم تطُل إقامته، فغادر دمشق إلى مصر، وهناك وجد أنداده من العلماء الذين تبادل معهم الأفكار، ونال الحظوة بينهم معلّماً لغوياً؛ يعلّم النّحو بطريقة الشّعر؛ لما رأى عزوف المتعلّمين تعلّم النّحو الطّي غالى فيه بعض النّحويين، ورأى ضرورة تسهيله بطريقة الحفظ التي كانت عمدة التّعليم آنذاك. ويشهد له العلماء بأنّه موسوعة بما يحمله من عمق الفكر، وقال فيه الإمام (الذّهبي) «العلاّمة شيخ النّحو زين الدّين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النّور الزّواوي المغربيّ النّحويّ الفقيه الحنفيّ، مولده سنة أربع وستين وخمس مئة، وسمع من القاسم بن عساكر وصنّف الألفيّة والفصول، وله النّظم والنّثر، وتخرّج به أئمة بمصر وبدمشق». وتوفّى في القاهرة سنة 628 هـ، ودُفن بالقرافة قرب ضريح الشّافعي تبرُّكاً بعلمه. وتنصّ الرّوايات على أنّه تفتّقت ثقافته أكثر في القاهرة؛ نظراً لوجود علماء كانوا على غير توافق معه في ارتكازه على الشّواذ في اللغة، أكثر ممّا يجري عليه الكلام، وهذا مخالف لقول (سيبويه) الذي يركّز على مجاري الكلام في المستعمل ولا يبني على القليل الدّوران، ولا يحتجّ به إلاّ من باب التّأريخ اللغويّ.

الإبداع اللغويّ في الألفيّة:

ترك مؤلّفات كثيرات، ولكنّه اشتُهر بمنجزٍ لغويٍّ لا يزال منارة في علوم الله بمُسمّى (الألفيّة) التي كتبت حولها دراسات وحواشي ومختصرات وشروح كثيرات لما لها من قيمة علميّة في الماضي والحاضر؛ حيث تُلخّص النّحو العربيّ في صورة شعريّة أسهل ما يعلق بالذّهن. وهذه الدّرّة لها الإبداع في سبقها لنسج قواعد اللغة وفق نظم الشّعر. ومع ما لها من نقائص، تبقى ألفيّة ابن معطٍ منارة في احتذائها من قبل: ابن مالك، الآثاري، السّيوطي... وقيمتها الإبداعيّة تكمن في سبقها الإبداعيّ، فلا يمكن أن ننظر إليها من منظور ما جاء بعدها، ولا تجوز المقارنة إلاّ بين إبداع وإبداع في ذات التّاريخ. ومع ذلك لها مقام علميّ بين العلماء، فيقول المقرّي على ألفيّة (ابن مالك) «تبع فيها ابنَ معطي قالوا: ونظمُه أجمعُ وأوعبُ، ونظمُ ابن معطي أسلسُ وأعذبُ». ألا ترى تلك القيمة العلميّة المتواضعة لافتتاحيّتها:

يقول ابن مُعطي قلتُ لا مُتعاطيا
مَقالة من يرجو الرّضى والتّعاطيا
بدأت بحمد الله نظمِي مُسلما
على أحمّد الهادي إلى الله داعيا
وبعد فإنّي ذاكر لمَن ارتضي
بنظمِي العروض المُجتلي والقوافيا
أتيت بأبيات البديع شواهدا
أضمّ إليها في نظمِي الأسامِيا

مؤلّفاته وآثاره:

كثيرة جداً، وألّف في كثير من العلوم، ويكفي أن نشير إلى بعضٍ من مؤلّفاته في علوم اللغة:

- الدّرة الألفيّة.
- كتاب الفصول: أبواب وتعليقات على أبواب الجزوليّة.
- شرح المقدّمة الجزوليّة.
- شرح الجمل في النّحو للزّجاجي.
- حواشي على أصول ابن السّراج في النّحو.
- نظم كتاب الجمهرة لابن دريد .
- شرح أبيات سيبويْه.

صالح بلعيد

المصادر:
- الإمام الذّهبي، سيَر أعلام النّبلاء، ج 22 ص 324؛
- المقرّي، نفْح الطّيب من غصْن الأندلس الرّطيب، ج1، ص 432.

يحي بوعزيز
(1346هـ - 1927م/1428هـ - 2007م)

الدّكتور يحي بوعزيز مؤرّخ جزائري مخضرم إن جاز التّعبير. فهو ينتمي إلى ذلك الجيل من المؤرّخين الذين عايشوا الحركة الوطنيّة وحرب التّحرير، ثم، عهد الاستقلال. وقد ولد عام 1927 بدوار (الجعافرة)، بولايّة برج بوعريرج.

نشأ نشأة دينيّة على غرار أبناء جيله الذين كان لهم حظ التّمكن من اللغة العربيّة في القرى والمداشر وبعض المدن الجزائريّة، وحفظ القرآن الكريم على يدي والده في قريته. وقد أدرك علو اللغة العربيّة، وتمكّن منها. غير أنّ معاناته أيام الاستعمّار الفرنسي كغيره من جميع أبناء الجزائر، شحذت وعيه العميق بأصوله وبانتمائه الجغرافي والحضاري، فكان أن انتقل إلى تونس لكي يزداد قربا من المنابع الصّافيّة الأصيلة. وكان من الطّبيعي أن ينظر صوب تاريخ شعبه الذي يخوض معركة البقاء أو الفنّاء في مواجهة الاستدمار الفرنسي. وبالفعل، فلقد أدرك أن الوقوف وقفة راسخة في الزّمن الحديث لا يمكن أن تتحقق إلا بالاستحواذ على جميع أسباب الأصالة الحضاريّة. ولذلك تعمق في البحث عن جميع التّفاصيل ذوات العلاقة بتاريخ الشّعب الجزائري، وخاصّة منذ أن ابتلي هذا الشّعب بجحافل الاستعمّار الفرنسي التي فعلت أفاعيلها فيه، وكادت تقضي على وجوده، وتزيله من خريطة الحياة.

وعليه، راح الدّكتور يحي بوعزيز يتابع الحركة الوطنيّة بجميع نزعاتها قبل اندلاع الثّورة الجزائريّة في غرة نوفمبر 1954، ويغرف من معين العلم أنى وجد ضالتّه. وبذلك صار من أكبر الاختصاصيين في تاريخ الجزائر وفي نضال شعبها من أجل التّحرر والانعتاق.

وقد توجه يحي بوعزيز إلى أرض مصر لكي يواصل تحصيله العلمي في مجال التّاريخ بجامعة القاهرة، ونال منها شهادة الإجازة وعاد إلى أرض وطنه بعد أن افتك الشّعب الجزائري استقلاله افتكاكا. وكرس جهوده العلميّة كلها لجانبين اثنين لهما غايّة الأهميّة في حياته كلها، وهما التّدريس والتّنقيب عن جوانب التّاريخ حيثما تسنى له ذلك. وكان أن توالتّ مقالاته في مواضيع التّاريخ الجزائري، وهي المقالات التي نشرها في الكثير من الصّحف والمجلات الوطنيّة حتى أمكن القول عنه بإنّه تحول إلى موسوعة في هذا الشّأن. وكثيرا ما شارك بمحاضراته في ملتقيات التّعريف بالفكر الإسلامي فكان خير من يتحدث في موضوع التّاريخ الجزائري خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين.

الدّكتور يحي بوعزيز من جيل أوّلئك المؤرّخين المخضرمين الذين كان لهم تأثير واسع في نفوس القراء والطّلبة الجامعيين بفضل ما أنجزوه جميعا في مضمار الكتابة التّاريخيّة الدّقيقة، ونعني بهم محفوظ قداش، وجمال قنان، وأبو القاسم سعد الله وغيرهم.

ويمكن القول عن الدّكتور يحي بوعزيز إنّه من مؤسّسي المدرسة التّاريخيّة الجزائريّة، وهي المدرسة التي تتميز أساسا خلال عهد الثّورة المباركة وعهد الاستقلال بطابع الوطنيّة. وهي أيضا المدرسة التي لها اليدّ الطّولى في ترسيخ المعرفة بتاريخ الجزائر أساسا. لقد رد ممثلو تلك المدرسة على محاولات التّشويه والتّغريب التي عمد إليها مؤرّخو الاستدمار الفرنسي وسدنته، وصححوا الكثير من الأخطاء المتعمدة في كتابات المؤرّخين الفرنسيين خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين. وكانت كتاباتهم ودراساتهم مصابيح يسترشد على ضوئها كل من أحب أن يدرك هويته الحقيقيّة في جانبها التّاريخي والثّقافي والسّياسي والاجتماعي.

في عام 1971، نال يحي بوعزيز شهادة الدّكتوراه من جامعة الجزائر في موضوع الحركة الوطنيّة الجزائريّة. وجعل يدرس التّاريخ في جامعة وهران إلى أن وافته المنيّة.

ومن المشهود له أن الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم كان يدعوه في كل مرة للمشاركة في ملتقيات التّعريف بالفكر الإسلامي لأنه يعرف عنه تبحره في تاريخ الجزائر ونضالها وفي الشّؤون الدّينيّة والعربيّة والاسلاميّة. وكان يدهش المنصتين إليه بسعة اطلاعه على كل صغيرة وكبيرة من تاريخ الجزائر.

ومن الواجب اليوم أن تنقل كتب الدّكتور يحي بوعزيز إلى اللغة الفرنسيّة واللغات العالميّة الأخرى لكي يستفيد منها كل من أراد الاطلاع على تاريخ الجزائر وكفاح شعبها، وتكوين رؤيّة صحيحة مغايرة لتلك التي عمل الاستدمار الفرني على إشاعتها في مختلف الأوساط من أجل تبرير سلوكه الأرعن حيال الشّعب الجزائري كله.

أما مؤلّفات الدّكتور يحي بوعزيز فهي تربو على العشرين وتعالج أساسا المواضيع التّاليّة:

- مدينة وهران عبر التّاريخ؛
- ثورات الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين؛
- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب؛
- الثّورة في الولايّة الثّالثّة التّاريخيّة: أوّل نوفمبر -1954 19 مارس 1962؛
- سياسة التّسلط الاستعمّاريّة والحركة الوطنيّة الجزائريّة؛
- تاريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة من القرن السّادس عشر إلى مطلع القرن العشرين؛
- المرأة الجزائريّة وحركة الإصلاح النّسويّة العربيّة؛
- الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزيّة وجبهة التّحرير الوطني؛
- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنيّة والدّوليّة.

بالإضافة إلى العديد من البحوث التّحليليّة في تاريخ الجزائر، وهي بحوث نشرها في الصّحف والمجلات الوطنيّة لأن الدّكتور يحي بوعزيز كان على اتصال وثيق بما ينشر في تلك المطبوعات التي يسهل اقتناؤها من قبل القراء، ولأنّه كان يدرك مدى تأثيرها في قرائه من مختلف الأعمّار. وقد كان صحفيا أيضا لا يتردد في إبداء رأيه

في هـذا الموضوع أو ذاك علـى أعمدة تلك الصّحف كلها.

ولو قيـل عـن الدّكتور يحـي بوعزيـز إنّه كان عبـارة عن آلة تاريخيّة لا تتوقف حركتها لمـا كان في هذا القول أي مغالاة. وقد انتقل هـذا الباحث المجتهد المخلـص إلى رحمة اللـه في شـهر نوفمبر مـن عـام 2007 بمدينة وهران ودفن بها تاركا فراغا كبيرا في الوسط الجامعـي وبيـن المهتميـن بتاريـخ الجزائـر واللغة العربيّة والشّؤون الاسلاميّة.

مرزاق بقطاش

■ يحي قيدوم
(1359هـ - 1940م/ 1441هـ - 2020م)

طبيـب برتبـة بروفيسـور وسياسـي جزائري ولد بمدينة وادي سـقان في الشـرق الجزائـري يـوم 10 جويليّـة 1940م سـنة، درس المرحلـة الابتدائيّـة بمدينـة العلمـة ثـم المرحلـة الثانويّـة بثانويّة محمـد قرواني (ألبرتينـي/ Albertini (إلـى غايّة سـنة 1958 انتقـل رفقة أفـراد عائلته إلى مدينة قسـنطينة قبـل الاسـتقلال لتسـتقر هناك، كان الشـاب يحـي قيـدوم فطنـا ذكيـا وحيويـا وسـخيا، وقـد عـرف بحسـه الوطنـي وهو فـي ريعان عمره وشـارك سـنة 1956 في إضراب الطلبة الجزائرييـن بالثانويّة المذكـورة، وعرف عنه تفوقه في كل الامتحانـات وبروز موهبته في العلـوم الدقيقـة، وهو شـقيق عبـد الرحمان وعائشـة وبيبيـا وفوزيّـة كلهـم ينتمـون إلـى قطاع الصحة ويشتغلون أطباء باستثناء فوزيّة الصيدلانيّـة، حـاز علـى شـهادة البكالوريـا عن جـدارة واسـتحقاق سـنة 1958م ليلتحق بكليّـة الطـب فـي الجزائـر العاصمـة، التـي نـال منها الدبلـوم العالي في الطب ويشـارك في المسـابقة الخارجيّة موسـم 1965/ 1964 ثـم مسـابقة التدريـب الأكثـر شـهرة خـلال الموسـم الدراسـي 1965/ 1966م، وفي سنة 1966 أحتـل المرتبـة الأولـى ضمـن الأطباء الداخلييـن وبطلـب منـه فضـل الالتحـاق بالمستشـفى الجامعـي بقسـنطينة بـدلا مـن البقاء في العاصمة، وشغل لسنتين في ميدان الجراحة العامة، أين باشر إجراء أول عملياته فـي جراحـة العظـام والكسـور التخصـص ذاتـه الذي قـرر أن يتمـرس فيـه ويتعمق في دراسـته، وبالمـوازاة مـع ذلـك كان مدرسـا فـي طـب التشـريح بقسـنطينة ، ليعـود بعـد



ذلـك إلـى الجزائـر العاصمة لإنهـاء ما تبقى له مـن تربـص إجبـاري تخصـص الجراحة الباطنيّـة والمسـالك البوليّـة(Chirurgie Vscérale,Urologique) ليلتحـق سـنة 1970 بمصلحـة طب العظـام بمستشـفى مصطفى باشا مركز الامتياز آنذاك، أين تكوّن وتخرج خيرة الأطبـاء الجزائريين في هذا التخصص ونـال الاعتـراف بأطروحتـه الموسـومة بـ (جراحـة الملـح للخلع الخلقـي للورك عند الرضع والأطفـال/ L'opération de Salter dans la luxation congénitale de la hanche chez le nourrisson et l'enfant

وهـو عمـل وصـف بالصعـب والمعمق يتطلـب مهـارات ومجهودات كبيرة حسـب الاسـتاذ المشـرف على هـذا الانجـاز. وفي سـنة 1972 شارك في مسابقة أستاذ مساعد ما فتح له المجال لتحقيـق طموحاته في العمل بالمستشـفى الجامعي ليختار ضمن التكوين بالخـارج والتحـق بمستشـفى (كوشـان/ Cochin) بباريـس أشـهر المستشـفيات فـي جراحـة العظام، حيـث ذاع صيتـه وبرز بقوة بأبحاثه ومشـاركاته العلميّـة وقدراته التقنيّة، مـا جعـل القائميـن علـى هـذا المستشـفى يترجونه للبقاء هناك، إلا أنه فضل العودة إلى بلده الجزائر وتحديا إلى مستشفى باشا الذي لم يبق به طويلا، لينزل مرة أخرى بقسـنطينة سـنة 1973 لتحقيـق حلمـه ويرفـع التحـدي برئاسته لمصلحة طب العظام وينظم أمورها رفقـة عـدد مـن الشـبان ويؤسـس مدرسـة قسـنطينة لطب العظام قبل أن يشغل مناصب عديدة بالمستشـفى أبرزها نائـب عميد كليّة الطـب، ورئيـس لجنـة أخلاقيـات المهنـة، ورئيـس المجلـس العلمـي، وكان معروفـا بصرامتـه وبحبـه للمهنـة ومتابعـة المرضـى ليل نهـار، وحتى بعد تقاعـده عمل كمتطوع لخدمة تخصصه الذي لا يوجد راحته إلا في أحضانه كما كان يقول .

شـغل يحي قيدوم منصب وزيـر للصحة والسـكان فـي الفتـرة الممتدة مـن 1994 إلى غايّـة 1999، وكان معروفا بخرجاته الميدانيّة في فتـرة جد صعبة مـرت بهـا الجزائر وفتح عـدة ورشـات ورافع مـن أجل التنسـيق بين القطـاع العام والخـاصّ، كما شـغل منصب وزير الشـباب والرياضة من 2005 إلى 2006، وهـي السـنة التـي تـم التضحيّـة بـه بعـد أن هددت الفيفا بمعاقبة الجزائر بسبب الحرب التـي أعلنهـا قيـدوم علـى رورارة رئيـس الفدراليّـة الجزائريّة لكرة القدم واسـتمر في مزاولة عمله كجراح للعظام حتى أثناء شغله لمنصب وزير.

في المجال السياسـي التحق البروفيسور يحي قيـدوم بالتجمـع الوطنـي الديمقراطي وكان من أبرز شـخصياته منذ تأسيسه يوم 21 فيفري 1997، طبقا لأحكام الدستور وقوانين الجمهوريّـة، وكان قيـدوم مـن بين رجالات الحـزب المؤثـرة، بالنظـر لوزنـه العلمـي ومكانته في السـاحة الوطنيّة، وقد تم انتخابه

نائبا في البرلمان عن حزب التجمع الوطني الديمقراطي سنة 2007 .

وهو أيضا من الشخصيات الوزاريّة التي تركت أثرا إيجابيا في نفوس الجزائريين بشكل عام، وحتى في قطاع الرياضة، وهو المعروف بمعايناته الميدانيّة المفاجئة، حيث كثيرا ما صدرت منه عبارة "راك موقف" التي يوجهها لكل مسؤول فاشل في مهمته.

وبعيدا عن السياسة والطب، فإن يحي قيدوم معروف بولعه بالرياضة وكرة القدم، حيث أنه من محبي ومناصري مولوديّة قسنطينة التي خدمها من الناحيّة التسييريّة، خلال النصف الثاني من الثمانينيات، وهي الفترة التي عرفت بروزا لافتا للموك التي عرفت حينها كيف تعود إلى حظيرة الكبار، بعدما لعبت لعدة مواسم في القسم الثاني.

البروفيسور يحي قيدوم عرف أيضا بأخلاقه وتفانيه في العمل وصرامته مع الطاقم الطبي والشبه طبي من العاملين في مصلحة أمراض العظام. ويشهد له بكفاءته وبإخلاصه وحبه لمهنته، ويكفي أنه كان يترك الوزارة كل أربعاء ويلتحق بالمصلحة ليشرف على العمليات الجراحيّة ومتابعة المرضى .

وبرحيله يوم الثلاثاء 3 مارس 2020 بعد مرض بمنزله في العاصمة فقدت الجزائر طبيبا وجراحا كبيرا وسياسيا محنكا خدم بلده بإخلاص، وهو واحد من الشخصيات التي تركت أثرا في قطاع الصحة والرياضة والسياسة يعرفه الجميع في مجال الطب والسياسة، من خلال تقلده مناصب عليا، كما سبق ذكره، وأراد تفكيك ألغام وزارة الشباب والرياضة وخاصة كرة القدم تزامنا مع وفائه لعمله كجراح للعظام. رحل وترك وراءه رصيدا كبيرا كطبيب جراح متميز وسياسي محنك، كما ترك بنت واحدة تطمح لأن تشرفه وتواصل مشواره.

يزيد سلطان

المصادر:

- البروفيسور الجراح والوزير السابق للصحة زيتوني صديق يحي قيدوم.
- عائلة يحي قيدوم

يحيى النايلي الشاوي
(1030هـ - 1621م/ 1096هـ - 1685م)

يحيى بن الفقيه الصّالح محمّد بن محمّد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا النّايلي الشّاوي الملباني الجزائري المالكي، هو الأستاذ الذي ختمت بعصره أعصر الأعلام، وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام المقرر براهين التّطبيق بتوحيده فلا تمانع فيه إلّا من معاند علم مرجعه عن الحق، ومحيده آيّة الله تعالى الباهرة في التّفسير والمعجزة الظاهرة في التّقرير والتّحرير من روى حديث الفخار مرسلاً ونقل خبر الفخار مرتّلاً وهو في الفقه إمامه، ومن فمه تؤخذ أحكامه، وأمّا الأصول فهو فرع من علومه والمنطق مقدمة من مقدمات مفهومه، وإن أردت النّحو فلا كلام فيه لأحد سواه وإن اقترحت المعاني والبيان فهماً أنموذج مزاياه، إذا استخدم القلم أبدى سحر العقول، وإن جرت الحروف على وفق لسانه وفّق بين المعقول والمنقول، وإذا ناظر عطّل من مجاريه مجاري الأنفاس، واستنبط من بيان منطقه علم الجدل والقياس، وبالجملة فتقصر همم الأفكار عن بلوغ أدنى فضائله وتعجز سوابق البيان عن الوصول إلى أوائل فواضله ولد بمدينة ملبانة سنة 1030 هـ ونشأ بمدينة الجزائر من أرض المغرب وقرأ بها وبملبانة- بلده- على شيوخ أجلاء صالحين.

نشأ في أسرة اشتهرت بتحمّل العلم والعمل به، فكان لهذه البيئة أثرها به، فبكّر بطلب العلم والأخذ عن الشّيوخ، فقرأ صغيراً على والده وعلماء محلته، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين، وتعلم مبادئ العربيّة وعلومها وأخذ الحديث والفقه والأصول وغيرها عن شيوخ بلدته، ثم تابع تحصيله العلمي، فقرأ في مختلف العلوم ومنها التّفسير والحديث روايّة درايّة على مشايخ كثيرين، منهم علماء الجزائر التي انتقل إليها بعد أن اشتدّ عوده، ونذكر بعضهم:

- أبو محمّد سعيد قدورة
- العلّامة الأنصاري أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمّد بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى الأنصاري أبو الحسن السّجلماسي الجزائري المالكي.
- الشّيخ عيسى بن محمّد الثّعالبي، أبو مكتوم
- محمّد بن على أبهلول الزّواوي السّعدي.
- أبو مهدي عيسى بن محمّد الثّعالبي.

كل هؤلاء الشّيوخ أجازوه بما لديهم من مرويات وأسانيد، ولمّا أحسّ بنفسه القدرة والتّمكن عقد مجالسّ للتدريس والتّحديث تصدّر للإفادة ببلده وكانت حافظته مما يقضى منها بالعجب. وغيرهم من علماء الجزائر الذين تلقى عنهم، وأجازوه، وشهدوا له بالبراعة في التّفسير والحديث روايّة ودرايّة، شرحا وإسنادا، والأصول والعربيّة والمعاني والبيان والفقه، ولما ظهر لهم من قدراته العلميّة وتمكنه من العلوم الشّرعيّة، قدّموه للتدريس فعقد مجالسّ التّحديث والإقراء، فكان يدرّس ويشرح الكتب السّتة، كما اشتهر بروايّة الموطأ وشرحه، وانتفع به الطّلبة وتفقّه به جماعة من الطّلبة والأعيان، وكان يبتدئ مجلس الدّرس بالفاتحة وآيّة الكرسي والإخلاص والمعوذتين والصّلاة على النّبي ﷺ والدّعاء، ثم يبدأ في سرد الأحاديث من حفظه بإسنادها وقد اتسعت حلقة درسه مثل شيوخه، واشتهر ذكره وانتظم في عداد العلماء، لكنّ حبه للإسناد العالي وشغفه بطلب العلم جعلاه يغادر أرض الجزائر، فقد كثرت أسفاره ورحلاته

فـزار مصـر، والحجـاز، ودمشـق، وبغـداد، والـرّوم (تركيـا) وغيرهـا من البلدان، سـافر الشّـيخ النّايلـي إلـى الحجـاز لأداء فريضـة الحـج سـنة 1073هـ، وقـد اسـتغل هـذه الرّحلـة فأخذ عـن علمـاء وشـيوخ الحجاز وأجـازوه بعـد أن حضر مجالسّ سـماعهم، وأخـذ عنهـم، عـاد مـن الأراضي المقدسـة قاصـدا مصر سـنة 1074هـ، بهدف الدّراسـة والأخذ عـن علمائها وشـيوخها، وقد طاب له المقام فاسـتقرّ بها معلّما ومدرّسـا، وممن درس عليـه وأجـازه مـن العلماء فـي مصر: أبو الحسـن علـي الشّبراملسـي الضرير إمام مسـجد المغاربة بالقاهرة وسلطان المزاحي شيخ القرّاء بالقاهرة على الإطلاق في زمانه، ومرجـع الفقهـاء بالاتفـاق (ت 1075 هـ)، والشّـمس البابلي العلّامة المقرئ، المفسـر (ت 1077هـ)

بعد أن أجـاز هؤلاء الأئمة الأعلام وأثنوا عليه، وشـاهدوا بأنفسهم سـعة علمه، وحدّة ذكائـه، وحسـن حفظـه، قدّمـوه للتدريـس بالأزهـر الشّـريف، ثـم تصـدّر للإقـراء بالأزهر واشـتهر بالفضل وحظي عند أكابر الدّولـة واسـتمرّ علـى القـراءة مدّة قـرأ فيها مختصـر خليـل وشـرح الألفيّـة للمـرادي وعقائد السّنوسي وشـروحها وشرح الجمل للخونجـي لابن عرفة فـي المنطق، ثم رحل إلى الرّوم، فمرّ في طريقه على دمشـق وعقد بجامع بني أميّة مجلسـاً اجتمـع فيه علماؤها وشـهدوا له بالفضل التّـام، وتلقوه بما يجب له، ومدحه شعراؤها واسـتجاز منه نبلاؤها، ثم توجّه إلى الرّوم، فاجتمع به أكابر الموالي وبالـغ فـي إكرامـه شـيخ الإسـلام يحيـى المنقـاري والصّدر الأعظم الفاضل، وحضر الـدّرس الـذي تجتمع فيـه العلمـاء للبحث بحضـرة السّـلطان، فبحـث معهـم واشـتهر بالعلـم، ثـم رجـع إلى مصـر مجلـلاً معظماً مهابـاً موقّراً وقـد ولّي بها تدريس الأشـرفيّة والسّـليمانيّة والصّرغتمشـيّة وغيرهـا، وأقام بمصر مدة ثم رجع إلى الرّوم فأنزله مصطفى باشا مصاحب السّلطان في داره.

مثل هـذا العالـم الذي اشـتهر بمجالسّـه العلميّـة ودروسـه الحديثيّة، وكثـرة تلاميذه وطلبتـه، يجـد الوقـت الكافـي للتأليـف والكتابـة، فيتـرك لنا ثـروة تراثيّة هامـة منها: حاشـيّة علـى شـرح السّنوسـيّة فـي العقائد، حاشـيّة على شـرح الألفيّة للمـرادي، توكيد العقـد فيما أخذ الله علينا من العهد، حاشـيّة علـى شـرح أم البراهيـن للسنوسـي توجـد منهـا ثـلاث مخطوطـات بقلمه فـي المكتبة الأزهريّة، رسالة في « أصول النّحو « جعله على أسلوب الاقتراح للسيوطي أتى فيه بكل غريبـة وجعله باسـم السّـلطان محمّد وقرظ له عليه علماء الرّوم منهـم العلّامة المنقاري قال فيـه لا يخفى على النّاقـد البصير إن هذا التّحرير كنسـج الحرير ما نسـج علـى منواله في هذه العصور تنشرح بمطالعته الصّدور»، شـرح التّسـهيل لابن مالـك. – المحاكمات بيـن أبـي حيـان والزّمخشـري، ونظـم لاميّة فـي إعـراب الجلالـة «[شـرح منظومـة لا إله إلاّ اللـه مخطوطة في المكتبـة الأزهريّة] جمع فيها أقاويل النّحويين وشـرحها شرحاً حسناً أحسـن فيه كل الإحسـان، وقرة العين فـي جمع البيـن من علـم التّوحيـد – والنّيل الرّقيق في حلقوم أنسـاب الزّنديـق، وارتقاء السّادة لحضرة شاه زاده (ألّفه باسم السّلطان محمّد بن السّـلطان إبراهيم خـان العثماني، ونتائج أفـكار ذوى المجد في تحرير أبحاث أمّا بعد) فريدة في نوعها، لم يؤلف مثلها أتى فيه بكل غريبة عجيبة.و غيرها

تتلمـذ علـى يديه خلـق كثير حيـث انتفع بعلمه شـيوخ وعلماء قدّمـوا خدمات جليلة بقيـت آثارها فـي مؤلّفاتهم، منهـم: المفتي، القاضـي، المؤرّخ، الأديـب، محمّد أمين بن فضل الله بن محـب الله بن محمّد المحبي، الحمـوي، والعالـم المحـدّث أبـو العبّـاس أحمد بن قاسـم بن محمّد بن ساسـي البوني والشّـهاب النّخلـي المكّـي الإمـام العلّامـة المحدّث، والشّـيخ الإمام خاتمة المحدّثين الشّـيخ عبد الله بن سالم بن عيسى البصري، والإمـام المحـدّث العلّامـة والبحـر الفهامة الشّـيخ إبراهيم بن موسـى الفيومي المالكي شـيخ الجامـع الأزهـر، والإمـام الفقيـه المحـدّث شـيخ الشّـيوخ المتقـن المتفنـن الشّـيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الزّبيري المالكـي الإسـكندري، والشّـيخ الجليـل الفهّامة عبد السّلام الكامدي، والإمام العالم العامـل المعمّر عبد الرّحمـن المجلد محيي الدّين السّـليمي الحنفي المعـروف بالمجلد الدّمشـقي، والإمـام المسـند العجيمـي أبـو الإسـرار حسـن بن علـي بن محمّـد بن عمر العجيمـي المكّـي الـدّار مسـند الحجـاز علـى الحقيقـة لا المجـاز الفقيـه الصّوفـي المحـدّث العـارف، أخذ عن يحي الشّـاوي أثباتـه وإجازاتـه كثيـرة، والإمـام العلّامة أبو المواهـب محمّد بن الشّـيخ تقـي الدّين عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي الدّمشقي مفتي الحنابلة بدمشق ومحدّث البلاد الشّاميّة.

سافر قاصدا بيت الله الحرام لأداء فريضة الحـج فـي البحـر فمـات وهو فـي السّـفينة علـى ظهر البحر، يوم الثّلاثاء عشـرين شـهر رمضـان سـنة سـت وتسـعين وألـف (1096 هـ/ 1685م)، ويذكر تلميـذاه أبو المواهب الحنبلي والمحبي أنّ الملاحين أرادوا إلقاءه في البحر؛ لبعد البر عنهم فقامت ريح شديدة قطّعت شـراع السّـفينة، فقصدوا البرّ وأرسوا بمكان يقال له رأس أبي محمّد فدفنوه به، ثم نقله ولده الشّـيخ عيسى بعد بلوغه خبره إلى مصر ودفنه بها بالقرافة الكبرى بتربة السّـادة المالكيّة ووصل إلى مصر ولم يتغير جسده

إسمهان ميزاب

المصادر:
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي.

يحيى بن صالح بن يحيى الأفضلي (أبو زكرياء) (1126هـ - 1714م / 1202هـ - 1788م)

علم من أعلام بني يسجن/ يزگن، بميزاب، يعد من العلماء الأعلام، ومن كبار المشايخ المصلحين في وادي ميزاب إبان النهضة الحديثة، بل هو باعثها الأوَّل، سليل بيت العلم والعلماء، من أحفاد الشيخ موسى بن الفضل المعروف بـ (باسَّه وافضل) (ت: 828هـ/ 1425م)، تلقَّى مبادئ العلوم في مسقط رأسه ببني يسجن، ثمَّ قصد جربة في آخر النصف الأوَّل من القرن 12هـ/ 18م؛ فأخذ في البداية من مجموع مشايخها، ثمَّ انقطع للشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي (ت: 1188هـ/ 1774م) نزيل جربة، ويذكر أنّه بدأ غير مجتهد في تحصيله، فشجَّعه على الاجتهاد والكدِّ نملة أبت إلاَّ أن ترفع نواة بإصرار، فمكث في التعليم بجربة اثنتي عشرة سنة متَّصلة، تفرَّغ فيها كلِّيَّة للعلم لا يلتفت لشيء غيره، وكانت رسائل أهله إذا وصلته لا يقرأها، بل يضعها في كوَّة عميقة في حُجرته، ثمَّ يسدُّ فتحة الكوَّة لكي لا يراها فتُحدِّثه نفسه بقراءتها، ولمَّا أتمَّ دراسته واستعدَّ للرحيل فتح الكوة واستخرج ما فيها من الرسائل فقرأها فإذا من أخبارها أنّ جُلَّ أسرته قد ماتوا، ووجد في الرسائل من الأخبار المزعجة ما لو قرأه لقطعه عن العلم.

ثمَّ رحل إلى مصر فلازم دروس المدرسة الإباضية بوكالة الجاموس العامرة، ودروس جامع الأزهر الزاهر، وكان إلى جانب التعلُّم يعنى بنسخ نفائس الكتب التي تحويها خزانة مخطوطات آل افضل حاليا، وفي هذه المرحلة رافق العالم الشيخ أبا حفص عمرو بن رمضان التلاتي الجربي، وقد مدحه هذا الأخير في قصيدة توجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة القطب أطفيَّش ضمن ديوانه، ثمَّ عاد إلى وطنه ميزاب حوالي سنة 1157هـ/ 1744م، بعد إلمامه بعلوم كثيرة، شرع في وضع أسس حركة إصلاحية شاملة، فعلَّم وأرشد، ووجَّه وسدَّد، وشمَّر عن ساعد الجدِّ في الإصلاح والتعليم والوعظ والإرشاد بدار للتلاميذ، وهي في الأصل جزء من مسكنه، تحوَّلت إلى مدرسة بمثابة قسم للدراسات العليا.

فتخرَّجت على يديه جحافل الطلبة الذين قادوا الحركة الإصلاحية في مواطنهم وفي مدن ميزاب ووارجلان ووادي أريغ، منهم: ابنه موسى، والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، والشيخ إبراهيم بن بيحمان الثميني، والشيخ حمُّو والحاج اليزگني، وأبو يعقوب يوسف بن عدُّون، والشيخ بابه بن امحمد الغرداوي... وغيرهم، وفي بداية مقامه بميزاب انتظم في حلقة العزابة ببلدته، وقد صدرت في عهده تقنينات (اتفاقيات العزابة) والتي تهدف إلى تنظيم المجتمع المزابي في مختلف مناحي حياته، بالإضافة إلى هذه الكوكبة من التلاميذ العلماء، يمكن أن نحصي له إنجازات فكرية عديدة.

من آثاره الفكرية:

- ترك ما لا يقلُّ عن عشرين نصاً بين رسالة وحاشية (منسوخات مخطوطة).
- «شرح قصائد ابن زياد العماني في الأحكام والعيوب والشفعة وغيرها» (مخ).
- «له شرح على قصائد الصوم والحج والزكاة وكفارة الأيمان من دعائم ابن النظر العماني» (مخ) منه نسخة بمكتبة آل أفضل.
- «تعليقات على حاشية أبي ستة على كتاب البيوع من الإيضاح للشماخي» (مخ).
- ترك مكتبة ثرية يتوارثها ذووه أبا عن جدٍّ، عملت جمعية التراث على إحصاء مدَّخراتها وتسجيلها، في إطار مشروعها الكبير: (دليل مخطوطات وادي ميزاب)

ويعدّ شرحه لقصائد ابن زياد العُماني في الأحكام والعيوب والشفعة واحداً من تآليف الشيخ يحيى بن صالح الأفضلي المهمة والنادرة، توجد نسخة منه في خزانة آت فضل ببني يزجن، وهي بخط يده، حاول فيه أن يستكمل سلسلة الجهود السابقة في هذا المضمار، إذ يقول في الافتتاحية: «لما وقع بأيدينا قصائد ابن زياد، شارح رائية أبي نصر في الصلاة، ذيل بها كتاب الدعائم [لابن النظر العماني]، لما لم يذكر فيه -تتميما للفائدة- من مسائل الأحكام ... وغير ذلك، تخفيفا للطلبة. ولما لم يكن عليها شرح يحل الباطن ويفك رموزها ويبين مسائلها -فيما علمت- رأيت أن أضع عليها شرحا لطيفا، قريب المسلك من غير أن أذكر فيه مسائل التصريف والنحو والبيان والعروض وتطويل مسائل الفقه مما جعلت فيه إلا قليلا بالإشارة خوفا للتطويل وإثارا للاختصار والإيجاز...».

وكان الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي مدرساً لعلم الكلام من كتاب شرح الجهالات لأبي عمار عبد الكافي، إذ أشار الناسخ تلميذه باب بن محمد بن أبي القاسم على النسخة التي شارك فيها أستاذه نسخها، إلى بعض تقريراته، وأخرى نسبها إلى شيخ شيخه يوسف بن محمد المصعبي، والذي حتماً كان مدرساً به في جوامع جربة.

واختصّ الشّيخ يحي بن صالح طلبته المتقدّمين في التّحصيل بدراسة كتاب العدل والانصاف للشّيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني مع شرح أبي القاسم بن ابراهيم البرادي عليه، وفي نسخة تلميذه باب بن محمّد بن أبي القاسم الغرداوي حواشٍ بخطّ أستاذه وتتمّة لبعض الورقات

وافاه أجله وعمره 76 سنة، بعد أن لازم الفراش مدَّة ثلاث سنوات بسبب مرض مزمن، ودفن في مقبرة باسة وافضل.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- إبراهيم بن بيحمان: قصيدة في رثاء الأفضلي حين وفاته (1202هـ/ 1788م)
- بابه بن محمَّد: قصيدة في مدح شيخه أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي (مخ) 40 بيتا.
- أبو اليقظان: الثميني كما أعرفه (مخ) 16-20 أبو اليقظان: الشيخ أبو زكرياء يحيى ابن صالح.
- Smogorzewski: Etude sur le waqf, 3 Louis: Les mechaikh.

يحيى بن محمد بن يحيى (بكُّوش)
(1351هـ - 1932م / 1435هـ - 2014م)

من رجالات قصر غرداية وأعيانها بميزاب، أحد أعلام الجزائر المعاصرين بالنّظر إلى المهام التي تولّاها، والوظائف التي تقلّدها، أخذ العلم في مسقط رأسه في مدرسة الإصلاح والمدارس الفرنسيّة، ثمّ انتقل إلى الگرارة وحفظ القرآن الكريم، التحق في شبابه الأوّل بجبهة التحرير الوطني بقسنطينة حيث وجّه إلى تونس لمتابعة دراسته بالعبثة العلمية المزاية بالخضراء ليتحصّل على الشّهادة العالميّة في الشّريعة الإسلاميّة من جامع الزّيتونة، ثمّ انتقل إلى العراق حيث نال شهادة البكالوريوس (ليسانس) في الحقوق من كلّية الحقوق بجامعة بغداد عام 1962م، ومع استقلال الجزائر عام 1962م تولّى منصب قاض بمحكمة البلدية، ثم نائبا مساعدا بمجلس قضاء ورقلة سنة 1966م، في سنة 1969م عيّن مستشارا بمجلس قضاء قسنطينة ومنتدبا بالمحكمة العليا ورئيس لعدّة أقسام بالمحكمة العليا بالجزائر.

وفي سنة 1986م رقّي نائبا عامّا بالمحكمة العليا، فاستقال منه ليشتغل بالمحاماة بغرداية رافضا منصب وزير العدل في فترة التّسعينات من القرن العشرين، ومن مهامه العليا أنّه عيّن رئيسا للجنة الوطنيّة للتّعريب، وأستاذا مساعدا في كلّية الحقوق وفي المدرسة الوطنيّة للإدارة، وفي معهد تكوين القضاة ومعهد تكوين الكتّاب القضائيّين، وتخرّج على يده خلق كثير، وكان أحد المشرفين على لجنة صياغة قانون الأسرة في الجزائر، استطاع حينها أن يطعّم ذلك القانون ببعض الاجتهادات الإباضيّة خاصة في شأن تعدّد الزّوجات، وفي أخريات عمره انتقل إلى سلطنة عُمان حيث أسهم في تطوير جهازها القضائي وتحديثه، ترك الأستاذ يحي بكّوش العديد من المؤلّفات المهمّة في اختصاص القضاء والتّاريخ، نذكر منها:

- أدلة الإثبات في القانون المدني الجزائري مقارنة بالفقه الإسلامي، وهو من أهمّ المراجع في القانون.



- صياغة الأحكام القضائيّة ونظريّة البطلان في قانون الإجراءات المدنيّة الجزائريّة.
- فقه الإمام جابر بن زيد، وهو مرجع فقهي تاريخي مهم في التّراث الإباضي.
- ألقى العديد من المحاضرات في القانون والفقه الإسلامي، وقدّم الكثير من البحوث في التاريخ والشّريعة الإسلاميّة، تحتاج إلى الباحثين لإخراجها.

منها محاضرة تاريخية بعنوان: الوجود الإباضي بالأندلس، ألقاها في دار العلم بواحة غرداية يوم 3 جويلية 1984، فاستنسخت ووزعت من قبل جمعية الإصلاح بغرداية، وقد لاقت أثراً طيباً في نفوس الشباب وعزما على البحث وقراءة التاريخ الماجد للمسلين في بلاد الأندلس، حيث عرفت دولتي "بني برزال" و"بني دمّر"، وشخصيات علمية كالشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، الذي درس في قُرطبة وبرع في علم المنطق والكلام، حتى لقب بجاحظ الأندلس...، ثم ما تميزت به أجواء تلك الدولتين في حاضرة الأندلس من تسامح مذهبي وتعاون علمي وثقافي بين أفراد الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها، وهو ما يدعو للتأمل في عصرنا الحاضر.

يقول عنه الدكتور محمد باباعمي مدير مؤسسة وسام العالم الجزائري: الأستاذ الدكتور يحي بكوش فقيهًا نادر المثال، بحثا عن تراثه، تأملت كثيرا كتاب «فقه الإمام جابر»، ولقد قرأته من قبلُ مرات؛ فوجدت أنه كنزٌ فيما روي عن الإمام جابر بن زيد من: تفسير، ومن أحكام فقهية، وأصولية، وفتاوى، ونوازل؛ بذل الأستاذ رحمه الله جهدا كبيرا في جمعها وترتيبها، ثم واصل الأخ الباحث إبراهيم بولرواح عمله، في موسوعة آثار الإمام جابر، الذي أريد أن أشير إليه، أن فقه الأستاذ يحي بكوش مودعٌ في «فقه الإمام جابر» فهو يقارن بين الأدلة، ويرجح، ولكنه لا يصرح، وإنما الغالب عليه أنه بعد المقارنة بين الأقوال، وعرض الأدلة، ينهي المسألة بالقول الراجح عنده؛ وهذا في أغلب ما جاء في الكتاب، وقلما تخلفت هذه القاعدة... وهو في ذلك يبدي ملكة أصولية وفقهية، في حاجة إلى بحوث ودراسات معمقة.

لكن، للأسف، قلة هم الذين يعرفون قدر الرجل، وأقل منهم من يعرف مبلغ علمه واجتهاده، بخاصة فيما كان بين القضاء والفقه؛ ذلك أنه شغل عدة مناصب قضائية، لعل أهمها الإشراف على «لجنة صياغة قانون الأسرة في الجزائر» وله الفضل في كون كثير من القوانين مصدرها التشريع الإسلامي الصحيح، له كتاب (أدلة الإثبات في القانون المدني الجزائري مقارنة بالفقه الإسلامي) و(صياغة الأحكام القضائية ونظرية البطلان في قانون الإجراءات المدنية الجزائرية) إضافة إلى (فقه الإمام جابر). وقد حاضر في العديد من الملتقيات الوطنية والعالمية، وإني أعتقد أن له تراثا مخطوطا، ومسموعا، لمَّا يرى النور بعد؛ ويبقى الرجل بعد وفاته رحمه الله شهر فيفري 2014، قامة وعلامة، وشاهدا على جهلنا بقدر الرجال؛ ومن واجبنا أن نذكِّر به، وبعلمه، ونجمع ما تناثر من فقهه، وفكره... ولن أنسى أبدا تلك المحاضرة التي سمعتها فيها، وأنا طفل يافع، ألقاها في دار آل يدر ببني يسجن.

والمحقق عقلا وشرعا أنَّ العلماء هم الشهداء في أمتهم، وهم الشهداء على أمتهم... قال تعالى: "كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء»

ترك مكتبة غنية بنفائس الكتب جمعها طيلة مشواره العلمي منذ الصبا

إلى شيخوخته، يغديها بذخائر العلم والمعرفة، وقد أنفق عليها ثروة هائلة، تعرضت لنكبة فضيان وادي مزاب في الفاتح من أكتوبر 2008، وكانت تلك النكبة سبباً في إثابته بالأرق والتعب فأمضى السنوات الأخيرة من عمره متعباً منزوياً يحاول ترميم بعض كتبها التّالفة بالماء.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

يعقوب بن يوسف المنجلاتي (المنگلاتي الزواوي)
(ت: 690هـ/1622م)

إن بجايّة كانت طوال عهودها الزّاهرة، الحماديي، والموحدي، والحفصي، قطبا جامعيا، تحيط به المراكز العلميّة والمعاهد، إحاطة السّوار بالمعصم، منتشرة في مختلف مناطق زواوة، في السّفحين، الشّرقي، والغربي، لجبل جرجرة، أو (جرجر) كما يُسمى عند سكان المنطقة، وفي ضفتيْ وادي بجايّة الشّرقيّة والغربيّة، وكانت هذه المراكز، تمد بجايّة بعشرات بل بالمآت من الطّلبة، والدّارسين، ومن أهم تلك المراكز، إلى جانب مشدالة، وآيث غبري، وآيث وغليس...الخ، آيث منجلات بضواحي مدينة (عين الحمام)، في أعالي جرجرة، بولايّة تيزي وزو، هذه المنطقة الجبليّة الصّعبة، يقطنها صناديد من الأمازيغ، الذين آمنوا بالإسلام، إيمانا عميقا، فأحبوه وأخلصوا له، وتفانوا فيه وعملوا على نشره، وعشقوا لغة القرآن فاتخذوها لغة لهم، فأتقنوها وحفظوها وحافظوا عليها.

آيث منگلات هذه أنجبت العديد من العلماء الأعلام الذين ساهموا بقسط وافر في بناء صرح الحضارة العربيّة الإسلاميّة أشير إلى إثنين فقط

– أوّلهما العلّامة الموسوعي، عيسى بن مسعود، القاضي أبو الرّوح المنگلاتي، والذي يعرف في كتب التّراجم والطّبقات باسم القاضي الشّرَفْ الزّواوي، المتوفّي سنة 743 ه.

– ثانيهما علي ابن عثمان المنگلاتي البجائي، في بدايّة القرن التّاسع، شيخ بجايّة ومفتيها، بعد شيخه عبد الرّحمن الوغليسي، وهو أحد أساتذة الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي، «الذي يقول عنه شيخنا الإمام الحافظ، وعليه كانت عمدة قراءتي ببجايّة».

– نصل الآن بعد هذه المقدمة، التي رأيتها ضروريّة، للتعريف بأيث منجلات والمنگلاتيين، إلى العلّامة يوسف بن يعقوب المنگلاتي الزّواوي.

إنّه الشّيخ العلّامة، أبو يوسف يعقوب بن يوسف، المنگلاتي الزّواوي، أحد أعلام بجايّة، بل زواوة كلها، في القرن السّابع الهجري، وكان النّمو الفكري، والعلمي، والعقلي، قد بلغ اوجه في هذا القرن، بفضل علماء كبار تركوا بصماتهم واضحة، بينة، في الصّرح الفكري العربي الإسلامي، وقد عد الغبريني العشرات منهم، في كتابه (عنوان الدّرايّة) ومن ضمنهم الغبريني نفسه، وناصر الدّين المشدّالي، وأبو محمّد عبد العزيز بن مخلوف، وعلي بن محمّد الزّواوي...الخ .

وكان هذا الشّيخ الجليل، أوّل المنگلاتيين، وَرَدَ ذكْرُه في كتب التّراجم والطّبقات، ثم تبعته سلسلة من العلماء تترى، وكان أوّلهم ابنه (محمّد)، الملقب بأبي عبد الله الزّواوي وقد بلغ مرتبة الاجتهاد في المذهب المالكي واورد له ابن عرفة في تفسيره آراء واقوال كثيرة.

يقول عنه أحمد أبو العبّاس الغبريني، في كتابه (عنوان الدّرايّة) فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة في بجايّة:

الشّيخ الفقيه العالم المتعبد الوجيه المبارك، من أصحابنا، الذين جمعنا بهم عصر واحد، له معرفة بالفقه وأصول الفقه، وله مشاركة في علم العقائد]، هذه الأوصاف التي وصف بها الغبريني زميله في حلقات جوامع بجايّة، مع أننا نعرف ما يكون عادة بين المعاصرين من تنافس، وحساسيّة، بل وفي بعض الأحيان من الغيرة، فإنّه يؤكّد، بأنّنا أمام شخصيّة علميّة بارزة بل متكاملة، فهو فقيه، وهو عالم، أي أوسع من فقيه وأشمل، كما إنّه قرن العلم بالعمل فهو متعبد وليس كل العلماء كذلك، وهو وجيه، لدى الأمّة والملوك كما سيأتي.

لا ندري كيف بدأ مشواره العلمي، ولكن بالتّأكيد كان كغيره من علماء منطقة (زواوة)، يبدأ بحفظ القرآن، وإتقان القراءات، ثم تتسع دائرة أُفْقه التّعليمي شيئا فشيئا، إلى أن يصبح أهلا بالانضمام إلى حلقات كبار شيوخ بجايّة، وهذا ما سجله الغبريني فقال: "قرأ ببجايّة".

ومن هم شيوخه في بجايّة؟ أيضا لا ندري، لأن الغبريني لم يذكر إلاّ واحدا منهم، فقال: «وحضر مجلس شيخنا، محمّد بن عبد العزيز رحمه الله»، ولكن لن نكون بعيدين عن الحقيقة، إذَا قلنا إنّه قرأ على المشايخ، الذين قرأ عليهم الغبريني نفسه، لأنّه جمعهم عصر واحد، ومن هؤلاء، أبو الفضل ابن محشرة، وعبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي، وابو عبد الله محمّد بن عبد الحق القلعي...الخ.

لقد كان طموح شيخنا يعقوب بن يوسف أكبر، وأُفْقُهُ أوسع، وربما كان حب الحل والتّرحال، وروح المغامرة، تجري في عروقه فقرر الالتّحاق بحاضرة افريقيّة (تونس)، عاصمة الحفصيين، الذين ملكوا بجايّة، ولقيَ علماءها، كما يقول الغبريني، فلازم الشّيخ ابا عبد الله بن شعيب، كما لازم

الفقيه أبا العبّاس بن عجلان، ولكن شيخنا لم يطب له المقام في تونس، ولم يستقر بها كما فعل من بعده الغبرينيان: الفقيه ابو القاسم بن أحمد، والإمام أبو مهدي عيسى، إمام جامع الزّيتونة وشيخ تونس بعد ابن عرفة، والمتوفّي سنة 815 هـ، وكذلك العالم والمفسر إبراهيم بن فايد الزّواوي المتوفّي سنة857 هـ.

فبعد أن جالسّ علماءها وأخذ من بعضهم، قفل عائدا إلى بجايّة، فتصدى للإقراء والدّرس، فَعُرفَ أمره وظهر، وفاضت شهرته، وأصبح على كل لسان، وصارت حلقاته مقصد الطّلبة والدّارسين، وتظهر قيمته العلميّة، كمدرس وكفقيه وكمفتي، على حقيقتها، عندما نعرف إنّه كان معاصرا للعلامة ناصر الدّين المشدّالي، صاحب المدرسة الجديدة في الإقراء، كما يقول ابن خلدون، والذي أحدث ثورة ثقافيّة، وجدد في الفقه، كما يقول الشّيخ المهدي بو عبدلي رحمه الله وابو العبّاس الغبريني يؤكّد بأن «مجالسّه، أي حلقاته العلميّة، من المجالسّ المعتبرة، وإنّه كان أحد المفتيين والمشاورين في وقته، وإنّه كانت تقرأ عليه الكتب المذهبيّة، وإنّه كان يقوم عليها قياما حسنا» والقول مثل هذا، عندما يصدر من معاصر، يؤكّد بأنّه ربما يكون أكبر وأعظم مما قيل فيه، وعندما نحلل ما قاله الغبريني بأنّه (كانت تقرأ عليه الكتب المذهبيّة ..الخ) فمعناه إنّه كان أستاذا للأساتذة، أو شيخا للشيوخ، يأتون إليه، فيعرضون عليه الكتب المذهبيّة وهي في ذلك الوقت (المدونة) للإمام سحنون و(الواضحة) لعبد الملك بن حبيب تلميذ ابن القاسم، فيقوم عليها قياما حسنا، فيوجههم، ويبين لهم خفاياها، ويشرح لهم ما أغلق فهمه عليهم، ويعترف له الغبريني بذلك إذ يقول «كان نظره في التّهذيب نظرا جيدا «والتّهذيب المشار إليه هو «التّهذيب في اختصار المدونة»، لخلف ابن أبي القاسم البرادعي. وقد تخرج عليه عديد من العلماء لعل من أبرزهم: العلّامة الموسوعي عيسى بن مسعود المنگلاتي إذ سجل الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه «الدّرر الكامنة» إنّه قرأ عليه في التّهذيب، والموطأ، والبرهان في الأصول، وكذلك ابنه محمّد أبو عبد الله، وآخرون.

لقد كان شيخنا معظما، ومكرما، ومشرفا، عند الجميع، وقد كانت له مكانة ممتازة لدى ذوي السّلطان، لم يحظ بها إلا القليل، إذ سجل المترجمون له، زيارة بعض ملوك زمانه له، في بيته، مما يدل على علو قدره ورفعة منزلته، عند الجميع حكاما ومحكومين، وعندما تقدم سنه وضعفت صحته، ووَهُن عظمه، انزوى عن النّاس وانقطع عنهم انقطاعا كاملا، ولما أحس بدنو أجله، عاد إلى مسقط رأسه أيث منجلات، حيث جاءه المنون في ليلة السّبت 11 من جمادي الأوّلى سنة 690هـ الموافق لـ 1291 م.

وتحمل اليوم بلديّة مسقط رأسه اسم بلديّة ابي يوسف رحمه الله.

محمّد الصّغير بن لعلام

المصادر ويكيبيديا الموسوعة الحرة 2020

يغمراسن بن زيّان
(603هـ - 1206م /680هـ - 1283م)

وُلِد يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمّد في مليانة من قبيلة العبد الواد، ذات الأصول المازيغيّة التي سكنت بلاد المغرب، وأنّ أصل التّسميّة تعود إلى جدّهم عبد الواد. وهذه القبيلة كانت قليلة العدد بشراً، تجوب الصّحراء بحثاً عن المراعي، وساندت فتوحات (عقبة بن نافع) ولما جاء الهلاليّون خرجت القبيلة من الصّحراء إلى منطقة وهران، وهناك بدأت حالة التّأهّب للولايّة. وأصبح عددهم كبيراً، وبدؤوا يميلون إلى الموحّدين، وكان عليهم أن يقتربوا إلى ولُاة تلمسان، فانتشر نفوذهم وقويَ في دواليب الحكم، وبخاصّة لما كان الخليفة الموحّدي (عبد الواحد الرّشيد بن المأمون) صاحب الكلمة والحُكم، واقتربوا وأثّروا فيه لدرجة أنْ كتبَ لزعيمهم (يغمراسن) وثيقة حُكْم على ولايّة المغرب الأوسط بعد وفاة أخيه أبو عزّة زيدان بن زيّان.

يُعتبر (يغمراسن) المؤسّس الحقيقيّ للدّولة الزيّانيّة لما له من شخصيّة مؤثّرة، وبمواقفه الحربيّة الكثيرة، خاصّة ضدّ قبائل بني توجين ومغراوة، حيث خرّب مواطنهم في محاولة منه لإخضاعهم وضمّهم إلى سلطته، كما كانت له مع (بني مرين) بالمغرب الأقصى عدّة حروب، وكذلك مع (بني حفص) شرقاً»... ورغم هزائمه أمامهم كان يدافع عن مملكته محاولاً حمايتها من الأخطار التي كانت تتهدّدها شرقاً وغرباً، وبدأ في توسيع حدودها على حساب أقاليم الدّولة الموحديّة التي كانت تتداعى إلى السّقوط، ثمّ قام بإلغاء سلطة الموحدين على تلمسان، واستقلّ بها مع إبقائه على الدّعاء والخطبة للخليفة الموحّدي وذكر اسمه في السّكة، ونازعه بنو مطهر وبنو راشد لكنّه هزمهم، وأقام الدّولة على قواعد متينة، فاتّخذ الوزراء والكُتّاب والقضاة، واستمرّ عهده حتّى سنة 681هـ/ 1282م ما مكّنه من توطيد ملكه وتأسيس نظم دولة جديدة بالمغرب الأوسط".

رجل عسكريّ حنّكته التّجارب بأن يقيم الدّولة في ظلّ الصّراعات بين حكّام بلاد المغارب الثّلاث، ومع ذلك عمل بحكمة وذكاء على تحقيق الدّولة الزيّانيّة على أسس الدّولة الحديثة آنذاك بمواقفه التّاليّة:

كان رجلاً قوياً يهابه الجميع، يجمع بين العلم والتّدبير والعسكرة، ويقول عنه (ابن خلدون) «من أشدّ هذا الحي بأساً وأعظمهم في النّفوس مهابةً وجلالةً وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلاً على حمل الملك واضطلاعاً بالتّدبير والرّياسة، كان مرموقاً بعين التّجلة مؤملاً للأمر عند المشيخة وتعظم من أمره عند الخاصّة، ويفزع إليه في نوائبه العامّة».

تأسيسه لدولة من العدم، فقد كانت تلمسان تعيش المدّ والجزر وفي الصّراعات، فأحياناً تمتدّ حدودها، وأحياناً لا تتعدّى أسوار المدينة. واستطاع (يغمراسن) وأتباعه أن يجعل حدود مملكته تتوسّع، وتنال مواقع إلى بجايّة والزّاب، وتمتدّ إلى إقليم (فجيج) في الجنوب الغربي من المغرب الأقصى.

هو الملك ورجل الدّولة والسّلطان الذي بايعه شيوخ زناتة وسكان تلمسان ملكاً عليهم سنة 633ه، فأعلن استقلال المغرب الأوسط عن الدّولة الموحّديّة متّخذاً تلمسان عاصمة لمملكته.

تأسيس علاقات وديّة مع أنصار الموحّدين، والمرينيين في المغرب، والحفصيين في تونس، وتهدئة الغليان السّياسيّ من أجل العمران وبناء جسور التّلاقي مع الجيران لتبادل المصالح التّجاريّة.

بلغت تلمسان في عهده أوّج مجدها وغايّة عزها فكثر عمرانها وامتدّت أرجاؤها وازداد عدد سكانها، كما شيّد قصر المَشْوَر، واتّخذه مقرّاً لملكه وحاشيته، وأسكن رؤساء القبائل والعشائر من باب التّشريف، ولكنّهم كانوا بمثابة الرّهائن لديه حتى يضمن طاعة وولاء أتباعهم.

من إنجازاته الكبرى»... تشييد باب كشوط عام 668ه في الواجهة الغربيّة من سور المدينة وتحصين المدينة، وبناء مئذنة الجامع العتيق وهو جامع أقادير، ومئذنة الجامع الكبير وهو جامع تاقرارت، بعد أن وحّد مدينتي أقادير وتاقرارت في مدينة واحدة تمتدّ من باب العقبة شرقاً إلى باب كشوط غرباً، ومن باب الجياد جنوباً إلى باب القرمدين شمالاً».

حصّن تلمسان تحصيناً عسكرياً كبيراً لصدّ الغزوات، ونال رضا عموم النّاس بما قدّمه من إنجازات، وقضى على الكثير من الخصوم، وتوجّه إلى بناء الدّولة التي لا تزول بزواله، فقد قرّب المريدين الذين واصلوا دربه بعد حكمه الذي دام أربعاً وأربعين (44) سنة وزيادة. وفي خلال هذه المدّة اهتمّ الزيّانيون بتطوير دولتهم في الزّراعة والتّجارة والصّناعة، وفي استخراج المياه الجوفيّة، وإقامة السّدود وحفر القنوات والجدأوّل للريّ، كما اعتنوا بتنويع المنتجات الزّراعيّة والإكثار من البساتين والحدائق حول المدن ووسطها... كما وقع ازدهار كبير في الطّبّ وفي صناعة الأدويّة وفي النّشاط الفكريّ والعلميّ لدرجة أن نبغ كثير من الفقهاء والأدباء والمؤرّخين، حتى أصبحت تلمسان همزة وصْلٍ بين دول أوروبا وأقطار ما وراء الصّحراء الأفريقيّة، وملتقى طلاب العلم من مختلف الأقطار، وبخاصّة تلك العلاقات العلميّة بين حواضر بجايّة والقرويين والقيروان، وهذا بفضل تلك المدارس التي بُنيت في عهدهم من مثل: (المدرسة التّاشفينيّة) التي بناها (عبد الرّحمن أبو تاشفين) والجامع الأعظم، الذي درّس فيه كبير علماء امشدالة وهو (أبو موسى المشدّالي). وفي ذلك الجوّ العلميّ ازداد بناء المدارس الكبيرة مثل المدرسة اليعقوبيّة، وازداد الإقبال على التّعليم وبناء المساجد، والزّوايا، ومن أبرز دور العبادة مسجد سيدي أبي الحسن الذي أسّسه السّلطان أبو سعيد عثمان، تخليداً لذكرى الأمير أبي إبراهيم ابن يحيى يغمراسن بعد وفاته، ومن المساجد الزيّانيّة مسجد سيدي الحلوي.

حكمة (يغمراسن) إنّه الرّجل الذي بنى دولة لا تزول بزوال الرّجال، فقد أرسى أسس الدّولة التي يقودها الأتباع، وهذا من خلال شجاعته وعلمه وتواضعه وذكائه، وقال عنه (ابن الخطيب) "إنّه أحد أحصل زمانّه جرأةً وشهامةً ودهاءً وجزالةً وحزماً، مواقفه في الحروب شهيرة». ومع ذلك تعرّض لكثير من المؤامرات والغارات من قبل أتباع الموحّدين، ومن الحفصيين ومن المرينيين، فلم يكن الاستقرّار قويّاً في مملكته، وكاد يذهب ضحيّة الكثير منها، وكم قتل من أفراد بيته، وكم أرغم على الصّلح من أجل الاستقرّار، وكم خرج من المدينة ولا يعود إليها إلاّ بعد استتباب الأمن، وكم من مغامرة يقوم بها من أجل البقاء في الحكم. مؤامرات دبّرها المتآمرون من مرتزقة النّصارى كاد أن يكون ضحيتها، في حين قتل أخوه محمّد أثناءها. كم مرّة تعرضت تلمسان في عهده للغزو عدّة مرات، فقد غزا السّلطان الحفصيّ (أبا زكريا) مدينة تلمسان وأرغم (يغمراسن) على الخروج منها للقائه، فهزمه واحتلّ المدينة، ثمّ رجع إليها (يغمراسن) بعد أن تصالح مع الحفصيين مقابل دفع ضريبة سنويّة مقدارها ألف دينار، وذكر اسمهم على المنابر في خطب الجمع والأعياد. وكان الزّحف الموحّدي في سنة 646ه عندما قصد الخليفة الموحّدي أبو الحسن السّعيد، على رأس جيشه، مدينة تلمسان لاحتلالها والقضاء على الحلف الذي أبرمه (يغمراسن) مع سلطان تونس وكان الانتصار حليف (يغمراسن) في معركة قلعة تامزدكت... ولكن هي الأيام، ويعود من مليانة ويموت في الطّريق، ويكتُمُ ابنُه الخبرَ؛ ليكسب لنفسه مبايعة ساكنة تلمسان والأتباع. يموت (يغمراسن) المؤسّس للدّولة الزيّانيّة، وتبقى تلمسان تشهد على مقامه المتمثّل في المَشْوَر والمنصورة والمقامات العُلا التي تشهد على أنّ (يغمراسن) لم يمرّ من هنا، بل كان هنا، وبقيَت آثاره هنا.

صالح بلعيد

يمينة مشاكرة
(1365هـ - 1946م/ 1434هـ - 2013م)

جمعت بين الطبّ والأدب وأثارت إعجاب الأديب الفذّ كاتب ياسين بأسلوبها المتميّز والواعد منذ نشرت حروف روايتها الأولى (المغارة المتفجرّة(التي وّقع مقدمتها مؤكدا بأن (امرأة تكتب في جزائر تلك الفترة قيمتها بوزن البارود)، نتحدث هنا عن مختصة في الأمراض العقليّة والنفسيّة نقشت اسمها بماء الذهب في مجال الأدب النسوي الجزائري ابنة مدينة مسكيانة يمينة مشاكرة.

ولدت يمينة مشاكرة وهي الابنة الرابعة في عائلة بلقاسم عام 1946 في بيت ريفي متواضع، لكن مفعم بالأحداث المثيرة والمؤلمة في ذات الوقت، لموقعه القريب من محطة للعلاج ارتادها ثوار حرب التحرير، فرسخت في ذاكرتها صور الدم والمعاناة وصوت أنين المصابين، وفظاعة مشاهد التنكيل بجثث الثوار المقبوض عليهم من قبل جنود الاستعمار الفرنسي وكان لذلك الأثر العميق في حياتها، مما جعلها تختار القلم وسيلة للتعبير عن كل تلك المآسي في خواطر بدأت تحيك خيوطها منذ الصغر و عملت على تطويرها خلال دراستها بثانويّة الحريّة بقسنطينة و كانت حينها تعرف باسم الطبيب (ألفونس لافران) الحائز على جائزة نوبل للطب سنة 1907.

بعد حصولها على البكالوريا قرّرت يمينة السّفر إلى العاصمة لدراسة الطب واختارت عن قناعة تخصص الأمراض العقليّة والنفسيّة وهي المعروفة بشخصيتها الانطوائيّة، واعتمدته مسارا في حياتها المهنيّة التي أثرتها بتجاربها المتنوّعة من خلال تنقلها بين عديد المستشفيات عبر مختلف ولايات الوطن، دون تردّد أو تفكير، مستسلمة لرغبتها الجامحة في التخفيف من معاناة الآخرين، فكانت سباقة إلى العمل التطوّعي، حيث تطوّعت للعمل بتمنراست ثم في الأصنام بعد الزلزال المدمر الذي ضرب المدينة في أكتوبر 1980، بالإضافة إلى محطات مهمة أخرى منها البليدة



والشّلف والحراش وكذا مستشفى دريد حسين بالقبة بالجزائر العاصمة الذي عملت فيه و شاء القدر أن تخضع للعلاج فيه و تفارق الحياة بين أسواره.

لم تتوان الطبيبة المثابرة في مساعدة المرضى والمحتاجين منذ تخرجها من كليّة الطب، أين بدأت الممارسة بمهارة عاليّة في عيادتها الخاصة ببلديّة الضلعة القريبة من مسقط رأسها مسكيانة، وعرفت بتفانيها في العمل وسخاء المعاملة. وقد كانت تعالج المرضى بثمن زهيد، كما لم تكن تحتفظ من أجرتها سوى بمبلغ ضئيل تدفعه كأجرة لسائق السّيارة التي تقلها إلى بيت العائلة بحسب شهادة المقربين منها، أما باقي مالها فكانت تنفقه على الفقراء والمعوزين وشراء الأدويّة لمرضاها المحتاجين.

فرضت يمينة مشاكرة نفسها في مجال طب الأمراض العقليّة وعلم النفس، وتركت أثرا لها في حقل البحث بعد أن أجرت دراسة مهمة في علم النفس في منتصف ثمانينات القرن الماضي، وعرضتها على إحدى المستشفيات الفرنسيّة التي رفضتها، لتتفاجأ بعد مرور ثلاث سنوات باتصال من سفارة اليابان بالجزائر تطلعها بتوّصل باحثين يابانيين إلى نفس النتائج المحققة من قبلها وتعرض عليها العمل مع فريق البحث، لكن للأسف لم تكن الحالة الصحيّة ليمينة تسمح بخوض هذه التجربة المهمة التي كانت حتما ستضيف الكثير إلى مسارها المهني، لولا اشتداد حدة انطوائها على ذاتها.

أول أديبة أثرت حقل التحليل النفسي في الروايّة الجزائريّة: ولع الطبيبة بالكتابة كان نابعا عن رغبة ماسة لترجمة مشاعر وسيكولوجيّة الفرد في مجتمع عانى ويلات الاستعمار، فكان القلم رفيق أوقات فراغها وأفضل ملاذ لها بعد ساعات العمل المضني بالمصح العقلي، وإن كانت أعمال كثيرة لها لم تر النور بعد.

احتكت الكاتبة بنخبة من المثقفين والفنانين وبشكل خاص كاتب ياسين ومحمد اسياخم، كما كانت لها مشاركات في تظاهرات ثقافيّة مهمة نذكر منها الندوة الدوليّة الـ 14 حول الفكر الإسلامي التي شهدت حضور أعلام الفكر والفلسفة وعلى رأسهم مولود قاسم نايت بلقاسم و (محمد آركون) و (شارل روبير آجيرون/ Charles–Robert Ageron) و (موسى إقبال) و غيرهم و كان ذلك سنة 1978.

فيمينة التي أشاد كبار الأدباء داخل وخارج الوطن بأسلوبها المتميّز، كان لها أثر بالغ على المشهد الأدبي رغم قلة انتاجها بسبب انشغالها بمرضاها ثم مرضها، فروايتيها الوحيدتين اللتين رأتا النور والموسومتين على التوالي (المغارة المتفجرة) (1979) و(أريس) (1999) عرفتا اهتماما ملفتا من قبل الأكاديميين وكانتا محور العديد من المذكرات والأطروحات الجامعيّة بالعديد من أقسام اللغة الفرنسيّة والترجمة بمختلف الجامعات.

ومن أهم الشّهادات المسجلة عن الأدبية الراحلة ما كتبه عنها الأديب كاتب ياسين موّقع مقدمة روايتها (المغارة المتفجّرة) في ماي 1978: «طالبة متحمسة، مارست الطب الاجتماعي و النفسي، كتبت هذا الكتاب في خضم حياة صعبة ومتقلّبة...ليست روايّة، إنها شيء أحسن من ذلك بكثير: قصيدة طويلة من النثر تمكن قراءتها مثل رواية....اليوم وقد أنجبت ثورة الأوراس تحت أعيننا جزائر جديدة. تجب قراءة هذا الكتاب والحث على قراءته، لكي تكون كتب أخرى، ولكي يرفع آخرون صوتهم... في الوقت الحاضر في بلادنا امرأة تكتب هي بقيمة وزنها بارود.»

ورأى الروائي أمين الزاوي بأنه بفضل (المغارة المتفجرة) تحرّرت الروايّة الجزائريّة من البطل الخرافي، واعتبر الأديبة منقذة للروايّة من مرض تكلّس اللغة لأنها نجحت في استعادة شاعريتها وانفتاحها على المستحيل.

كما نشر الإعلامي والكاتب رشيد مختاري كتابا عن يمينة مشاكرة اختار له عنوان (مقابلات وقراءات) صدر عن دار الشّهاب سنة 2015، واقتبس الكاتب خيضر بن حسين من المغارة المتفجرة نصا مسرحيا جسده على الركح المخرج أحمد بن عيسى بمشاركة نخبة من الممثلين الشّباب منهم مليكة بلباي و علي جبارة.

اسم يمينة مشاكرة تألق كذلك في كتاب أصدره المهرجان الدولي للأدب وكتاب الشّباب في طبعته السّادسة وحمل عنوان (كتابات جزائريّة نسويّة...شظايا أصوات) الذي احتفى بعشرة أسماء لامعة في سماء الأدب الجزائري النسوي وهن على التوالي آسيا جبار، ميساء باي، زليخة السّعودي، الطاوس عمروش، زهور ونيسي، جميلة زنير، مريم بان، مليكة مقدّم وأحلام مستغانمي.

وقد تم تخليد ذكرى الأديبة التي غيّبها الموت ذات 19 ماي 2013 بعد صراع طويل مع المرض، بفضل جائزة أدبيّة تحمل اسمها أطلقتها وزارة الثقافة سنة 2018.

وهذه مقتطفات من روايتها (المغارة المتفجرة) ترجمتها الأديبة لميس سعيدي وتم نشرها في ملف ثقافي خصصته جريدة النصر للأديبة عشيّة رحيلها إلى دار الخلود يوم 20ماي 2013، «لغة معجونة في الجدائل المضفورة بنار الحب المتوهجة منذ قرون في قلب أجدادي، وفي قلبي الذي غالبا ما أمد نحوه وجهي المتجمد ونظرتي النديّة لأتمكن من التبسم. لغة معجونة في الزرابي، الكتب المفتوحة، الحاملة لبصمة نساء بلادي المتعددة الألوان، واللواتي منذ الفجر، يشرعن في كتابة نار أحشائهن لتغطيّة الطفل ليلا، حين تَسرق منه السّماءُ الشّمسَ. في خلاخيل الفضة، الهالات المتجمدة ذات الكواحل الناعمة، والموسيقى التي تطمئن وتواسي الذي ينام قرب الموقد وقد أحب قدم أمه والأرضَ التي تلوي».

مريم بحشاشي

المصادر
الموسوعة الحرة ويكيبيديا 2020

يوبا I
(85–46ق.م)

آخر ملوك نوميديا، وُلدَ بمدينة (هِبون) عنابة الحاليّة، من أبٍ يدعى (يمسال/ هيمبسال الثّاني) ومن أحفاد الملك (يوغرطة) ولعائلة (ماسينيسا) الكبرى. اعتلى عرش مملكة نوميديّة بعد وفاة أبيه، فحافظ على تدبير سياسة أبيه في استقلاليّة المملكة، وكان يعمل على تحقيق مبادئ أبيه وجدّه في توحيد شمال أفريقيا، والاعتزاز بملاحم جدّه الأكبر (يوغرطة) وإعادة وَحْدة عرش هذا الأخير التي تداعت إلى قسمين: موريطانيّة النّوميديّة التي تولاّها (بوكوس الأوّل) وموريطانيّة القيصريّة. ويكون (يوبا الأوّل) آخر (أكليذ) مستقلّ عن الحكومة الرّومانيّة، ولم يخضع لتبعيّة روما.

لقد عاش (يوبا I) في فترة حكمه الحرب الضّروس مع روما الشّرسة التي عملت ما وسعها لتطويق الممالك البربريّة بخطّ (الليمس) ليكون لها أمن ضمن أراضٍ نوميديّة يستغلّها ملوكها وأباطرتها. عاش وضعاً صعباً وكلّ سنة يزداد تأزّماً، وكان ذلك ممّا أشغل (يوبا I) في المواجهة والتّجنيد والتّجهيز، وكان حكيماً يعمل على إعداد جُنده وتهيئهم للمواجهة، كما كان يحيط نفسه بقاعدّة حمايّة من ملوك البربر الذين مال بعضهم للقادة الرّومانيين... هي حمايات لا بدّ منها، وفي ذات الوقت الاستفادة منها خوف السّقوط في فخّ الرّومان؛ بتخطيط يجعل ملكه محصّناً.

وهنا يعمل (يوبا I) على إقامة مراكز تحصينيّة في الحدود، كما يستنفر قوّاته في فيالق مدرّبة على أحدث الأسلحة الحديديّة، وبناء التّحصينات الكبرى في الأماكن المكشوفة، والقلاع العاليّة في التّلال، وتدريب الفِيَلَة على الكرّ والفرّ، وكلّ ذلك كان يتمّ بتنظيم عسكريٍّ جديد، وبآلات عسكريّة مفاجئة للقيصر، مع العمل بنظام الجواسيس الذين يراقبون في الحدود، وكلّ هذا من أجل ردّ مفاجآت القيصر الذي يترصّد بمملكته، وينتظر الفرصة الذّهبيّة لدخول العاصمة (بونة). وفي ذات الوقت يعمل القائد الذّكي بتوافقات الأحلاف لتحقيق بقاء مملكة النّوميديين مستقلّة، ولكن الظّروف التي عصفت به مع أتباعه جعلته يفشل في التّحصين لحكمه. وذهبت كلّ التّخطيطات سدىً أمام قوّتين غير متكافتين في السّلاح.

وأمام ما كان يحلم به من تجسيد توحيد شمال أفريقيا يبدأ مُلك (يوبا الأوّل) في التّضعضع وكان عليه أن يتحالف مع القائد (بومپيوس) والملك (ماسينيسا الثّاني) لمواجهة (يوليوس قيصر) الذي ينتظر فرصة الانقضاض، وتنشب معارك المدّ والجزر من جديد، فينتصر القيصر على (بومپيوس) وتتقدّم قوّاته في شواطئ تونس، ويضطّر (يوبا الأوّل) للتّراجع نحو عاصمته (بونة). وتبدأ تراجيديا الهزائم تلحق بجيشه، وفي الأخير تحتضِر مملكته، ويحصل تقسيمها إلى قسمين. ولكن يسجّل عليه التّاريخ إنّه لم يستسلم لروما، ولم يكن حليفاً لها. وينتهي حلمه بالانتحار حسب أغلب الرّوايات؛ لأنّ الزّعيم إما ينتصر أو ينتحر.

إنجازاته:

مع ما عاشه في مملكة حكمه من قلاقل ومضايقات وصراعات مع عدوّ شرس فإنّه حقّق ما يمكن أن يُعدّ إنجازاً في زمانه، وهي:

كان عدوّا شرساً للقوّات الرّومانيّة، وبقيت في ذهنه مأثورة مهمّة (أفريقيا للأفارقة) وعمل على تحقيقها بالعدوان والمقاومة، وبالصّراع الكبير الذي امتدّ لسنوات.

كان يعمل من أجل عدم إذلال وتركيع البربر من قبل الرّومان، ومن سياسة المعمّرين الذين يستغلون أراضي مملكته وهي ليست لهم. وكلّ جهده أن يكون للبربر موقع في جغرافيتهم كبشر لهم أراضيهم التي هي ملكهم أباً عن جد.

كان لا يهادن روما، ولا يتفاوض معها، ويرفض وجودها في بلاد ليس ملكها، ويصدّ كلّ تنقلاتها ودحرها في بحر الرّوم.

كان يعمل من أجل تطوير جنود المشاة والفرسان، وتنظيم العسكر بما يتوافق وقوّة العدو ووفق قواعد النّشاط الحربيّ.

كان يبني قواعد تحصينيّة عملاقة؛ مستفيداً من تخطيط العدوّ، وبناء تحصينات للمجابهة والمبارزة والهجوم.

كان يعدّ كلّ ما يتوفّر عليه من قوّة ماديّة وبشريّة لملاقاة القوّات الرّومانيّة المتغطرسة في البحر الأبيض المتوسّط (بحر الرّوم) على أنّ يوم المواجهة قادم، ولهذا الاحتياط والاستعداد للمواجهة هي الحلّ.

كان على درب سلفه الصّالح في سكّ العملة، والتّأسيس لحواضر ثقافيّة، ولحركة النّشاط التّجاريّ والصّناعيّ والفلاحيّ، وتجسّد ذاك في الازدهار الذي عاشته (بونة) في ميدان الصّيد البحريّ، وصناعة القوارب والسّفن الحربيّة.

كان يخطّط جيّداً في إقامة تحالفات مضيفة لمملكته، ولتحقيق بلاد تامزغا، بما له من غيرة من خلق مملكة بربريّة في وسط شمال أفريقيا، برايّة وشعار البرنوس الأحمر.

هي النّهايّة: بالرّغم من تلك الإنجازات الجديرة بالتّنويه، تأتي نهايّة المملكة النّوميديّة التي كانت عاصمتها بونة، وتكون النّهايّة بموت (يوبا I) منتحراً، ويخلده التّاريخ بأنّه صارع القيصر الرّوماني المتجبّر، مات الملك الدّاهيّة الذي أخضع الرّومان لسلطإنّه لفترة، ونتجت تراجيديّة إنّهزام عند البربر، بدخول القيصر مملكته، وأسْر ابنه (يوبا II) وهو فتى ويُحمل إلى روما، وينشأ في كنف الإمبراطور (أغسطس) وعلى تربيّة رومانيّة أجنبيّة، تلهيه عن مواصلة حُلم أبيه، فيصبح مثقّفاً عالماً، وباحثاً كبيراً، بعيداً عن التّسيير العسكريّ. يصبح (يوبا II) ملكاً بربرياً خاضعاً للقيصر الرّومانيّ. مات (يوبا I) ولم تكن العبرة في أنّ البربر لا يستفيدون من تشرذمهم وتشتّت أذهإنّهم التي لا تلتقي إلاّ على نفسها، وبالنّسبة لما مضى، فهو ماضٍ أبداً، ولا تُستخلص العبرة من ذلك؛ لأنّ التّنصّل من ذات الآخر القريبة هو مِنْ تنصّل الذّاتيّة التي لا تُجبَر مطلقاً، وأنّ الخيانة تُعمي القلوب التي في الصّدور.

صالح بلعيد

■ يوبا II (52–23ق.م)

ابن (يوبا I) ووريث مملكته، تربّى في كنف (يوليوس قيصر) الذي أخذه صغيراً إلى روما بعد هزيمة أبيه (يوبا I) وعلّمه الفنّون والآداب وشؤون الحكم، وخلال فترة التّعليم فُصل تربوياً عن أصوله النّوميديّة المازيغيّة، فتشبّع بثقافة رومانيّة، وصار معروفاً بالعلم والآداب وإتقإنّه للغات، فضلاً عن التّبحّر في الفلسفة والهندسة وفي مختلف الفنّون، وهو موسوعيّ ألّف الكثير من الكتب الذّخائر. ولما بلغ أشدّه أجلسه (القيصر) على مملكة عرش موريطانيا ملكاً شكلياً، وهذه المملكة تمتدّ من شرشال –التي بناها الفينيقيون تكريماً للإمبراطور الرّوماني (سيزار)– إلى المحيط الأطلسي. وعاشت مملكته الاستقرّار المقنّع بحكم روما خلال تولّيه العرش خمسين (50) سنة، وضرب النّقود باسمه واسم زوجته (سليني) ابنة (كليوباترا) ملكة مصر و (ماركوس أنطونيوس) وبدأ في تدبير سياسة العاصمة وفق تقاليد مدينة روما القيصريّة.

اتّفقت المصادر التّاريخيّة على أنّ (يوبا II) ورغم تبعيّته المطلقة لروما، كان عالماً ومثقّفاً من الطّراز الأوّل، وفي عصره ازدهرت مملكته في مختلف الفنّون، وبخاصّة في التّنافس على العلوم، وكان "(يوبا II) يمثّل الملك الفاتح المثقّف العظيم الذي شجع وناصر الفنّون والعلوم والآداب، وكان يتقن عدّة لغات، وقد ازدهرت في عهد هذا الملك الشّاب العلوم والفنّون الجميلة والعمران، فكان عصره هذا عصراً ذهبياً، ولكن يعيب عصره إنّه برزت إلى الوجود مدن نوميديّة وموريطانيّة رومانيّة المظهر». وقد حقّق مجموعة من الإنجازات يمكن تلخيصها في ما يلي:

اهتمامه بالعلوم والفنّون وبناء المكتبات والمسارح والفنّون التّشكيليّة في عاصمة حكمه «يعتبر يوبا الثّاني، إلى يومنا هذا، من كبار العلماء والمثقّفين الأمازيغ الذين عُرفوا عند اليونان والرّومان واللاتين بسعة المعرفة والتّبحّر الموسوعيّ. ألّف كثيراً من الكتب والبحوث والمصنّفات في التّاريخ والجغرافيا والرّحلات الطّبيعيّة والفنّون والآداب والعلوم الاستكشافيّة».

اهتمامه بالعلماء والأدباء والفنّانين والنّحاتين واستقطاب علماء من قرطاجنة واليونان وإيطاليا... والإغداق عليهم بالأموال والهبات؛ تشجيعاً لهم وتحفيزاً وتقديراً لمزيد من الإبداع والتّنافس.

اهتمامه بتأليف الموسوعات، فتنصّ المصادر على أنّ (يوبا الثّاني) يكون أوّل من ألّف موسوعة ضخمة سمّاها ليبيكا/

Lubyca وفيها جمع مدوّناته في العمل الكبير المخصّص لأفريقيا بصفة عامّة، وكتب في مختلف العلوم بالصّيغة الموسوعيّة. ولا تخلو كتاباته من هذه الميزة؛ حيث يشبع نهم القارئ في كلّ علم طرقه.

نقله الموضوعيّ الهادئ لشعبه من ملامح عسكريّة، وحروب دائمة خارجيّة/ بينيّة إلى انتهاج أسلوب المقاومة الثّقافيّة؛ بمستوى يليق بشعبه الملقّب بالهمجيّ إلى الشّعب المثقّف الواعي الثّائر ضد الاعتداء.

إحداث حركة إداريّة واقتصاديّة في الزّراعة والتّجارة، وتحقيق طفرة في الازدهار الاقتصاديّ وصولاً إلى بناء مسمكات على شواطئ البحار، وما يتبعها من معامل تمليح السّمك، حتى لقبت فترة حكمه بفترة الرّخاء الاقتصاديّ، والتّطوّر التّجاريّ، وحريّة نقل البضائع.

اهتمامه بالبناء الهرميّ المزاوج بين الهندسة المصريّة والبناء المازيغيّ، أو ما يسمّيه البعض بناء رومانيّ المظهر، مازيغيّ الرّوح.

استرجاع أجزاء المملكة النّوميذيّة من خصوم أبيه، وأبناء تمازغا هما: بوگود وبوكوس. وكان هذا بتخطيط الرّومان الذين قدّم لهم خدمة مجانيّة بجيش مازيغيّ ضد جيش مازيغيّ.

إنشاء عاصمتين لحكمه في: شرشال في الجزائر حالياً، وولیلي في المغرب حالياً، تجسيداً لنظام الرّومان، والفصل بين صلاحيات العاصمتين، أو العمل بصلاحيّة اللامركزيّة بالتّعبير المعاصر في الصّلاحيات التي يراها الأهالي.

العمل على توحيد القبائل المازيغيّة، وتمدين مملكته حضارياً وثقافياً وعلمياً، ثم تزيينها عمرانياً وهندسياً بالطّريقة الجماليّة اليونانيّة والرّومانيّة والقرطاجنيّة والمازيغيّة... تنصهر فيها جميع هذه الملامح الموروثة.

تحقيق معادلة التّهدئة الخارجيّة من قبل الرّومان، والتّهدئة الجزئيّة من الجوانيّة المازيغيّة التي تظهر أحياناً بعض المقاومات، وهذا لم يؤثّر عليه نظراً لإمداده بقوّات الرّومان، وبذلك يقمع بقوّة وبسرعة كلّ مقاومة، وبدون أدنى شروط.

وضع بعض الباحثين (يوبا II) في ميزان ما قدّمه للمازيغيين بين من يقول: إنّه عالم قدّم ما لم يقدّمه السّابقون، وتُسجّل عليه الكثير من المناقب من مثل ثقافته وموسوعيته وحكمته والعمل على الخروج من الحروب، وإحداث الازدهار الاجتماعيّ الذي عرفه حكمه. وعليه فقد قدّم الكثير لشعبه، رغم الضّغوطات الرّومانيّة... وهناك من يطعن فيه بأنّه كان خائناً لأبيه الرّافض لهيمنة الرّومان، فلم تكن له شخصيّة اعتباريّة خارج روما، وهو عميلها، فلم يقدّم للنّوميديين ما قدّمه للرّومان، وبقي وفياً لخدمتهم على حساب أصوله وشعبه. فهو خائن للهويّة المازيغيّة في مختلف أبعادها، وبخاصّة تلك الإسهامات العسكريّة في قمع الثّورات التي قام بها المازيغيون ضد التّواجد الرّومانيّ، وأنّ ما قام به من خدمات هي خطّة رومانيّة في إطار تدجين المازيغيين، وجعلهم يقبلون بالرّضوخ والاستسلام ببهرج ثقافيّ يقدّم لهم .

من مؤلّفاته:

ترى المصادر بأنّ شحّاً كبيراً في مجال الحديث عن الدّول البربريّة قبل الإسلام، وما وصل هي كتابات غربيّة فيها بعض الدّقة في نقل الوقائع، وفيها التّزيّد، وبناء الرّوايات حسب الأهواء، أضف إلى ذلك أنّ ما كتبه (يوبا الثّاني) شيء كثير وكبير، ولكن ما وصل هي العناوين وأنّ الأصول مُغيّبة أو لا تزال بلغات اللاتينيّة، هذا من جهة، ومن جهة يرى بعض الباحثين أنّ هذه الأضابير الكبيرة التي أنجزها (يوبا الثّاني) من خلال عناوينها جهد كبير يستدعي فرق بحث ونُسّاخ... فهل كان يحكم في مملكة شاسعة الأطراف، أم أحاط نفسه بِكَتَبَة ونُسّاخ يكتبون يومياً أقواله، ويتابعونه في مختلف المقامات والأحوال؟ وعلى العموم، فقد سجّلت عليه المنجزات التّاليّة: تاريخ بلاد العرب/ Les Arabica، آثار آشور، آثار الرّومان القديمة، تاريخ المسارح، تاريخ الرّسم والرّسامين، منابع النّيل، النّحو، النّبات، ليبيكا، موسوعة الموسيقى الضّخمة... وهذه الكتب بعضها موسوعات ضخمة جداً، دون الحديث عن بعض الرّسائل الصّغيرة في النّباتات وفي وصف الحيوانات والفيلة ومختلف أشكال الحشائش... ونلاحظ أمام الكمّ الكبير أنّ صاحبها قد بذل جهداً كبيراً في تحصيل مادتها. ومع كلّ ما قدّمه (يوبا الثّاني) وما رسّخه من أمن جزئي في عواصمه، سيتعرض للاغتيال في أواخر حياته، بعد أن عاش نصف قرن في كنف الرّومان. ومن ثم، تكون عواصمه تابعة للحكم الرّومانيّ مباشرة. وسيدخل المازيغيّون في مقاومة شرسة ضد القوّات اللاتينيّة، وتكون أوّل انتفاضة يقودها (تاكفاريناس) وتأتي مقاومات وثورات متلاحقة تعمل على طرد الرّومان وحلول الوندال والبيزنطيين محلّه، ولا يخرج الشّعب النّوميديّ من حرب إلاّ ويدخل في حرب أخرى، وهو الشّعب المحارب الذي لا يرضى بالذّل، شعب الحريّة يعشق الحريّة ويموت على الحريّة.

صالح بلعيد

يوسف اليعلاوي
(1336هـ - 1918م/ 1414هـ - 1994م)

ولد سنة 1918 بالشّريعة بلديّة حربيل دائرة قنزات ببني يعلى ونسبه من جهة الأب هو يوسف بن الخير بن عبد الرّحمن بن علي الشّريف وإلى الأخير يُنسب أفراد الأسرة، أمّا نسبه من جهة الأمّ فهو يوسف بن تسعديث سيد عثمان.

نشأ الشّيخ يوسف في بيئة جبليّة قاسية في طبيعتها ومعيشتها لكنّها غنيّة بعلمائها وفقهائها، حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز من العمر الثّالثّة عشر على يدّ الشّيخ علي وهو عمّه المُشرف على المعمرة (ثيمعمرت) كونه كبير أفراد الأسرة، في سنة 1931 التّي أتمّ فيها حفظ كتاب الله انتقل إلى المدرسة الفرنسية التّي كانت بجوار القرية حيث انتقل إليها وعلى مضض بين رفض جدّه الحاج عبد الرّحمن المتمسّك بقرار مقاطعة المرسة الفرنسيّة ، هذا القرار الذي كان سائدا في أوساط كبار سكان القرية ورضي والده الشّيخ الخير الذي يرغب في تعلّم لغات أخرى، ومع ذلك فلم تستمرّ الدّراسة هناك بحكم سوء معاملة معلم المدرسة (جاندار) التّي تدلّ على التّفرقة والإهانة والاحتقار لما هذه الكلمات من معنى، غادر تلك المدرسة مُكرهاً لكنّها منحته وعياً وطنيّاً واكتشافاً للذّات وفي الحديث شجون. انتقل إلى زاوية الشّيخ عبد الرّحمن بلحملاوي بتلاغمة لمدّة معيّنة حيث أنّ مرضا غريباً ظهر الزمه العودة إلى القرية.

وفي معهد الشّيخ عبد الحميد بن باديس بدأ طعم الحياة والشّباب والعلم والوطن كلها تتبلور بالفعل في كيانه وتنمو وتكبر وتقوى وتشتدّ. وله في ذلك المعهد حكايات يذكرها، وهناك كان لقبه (يعلاوي) نسبه إلى بني يعلى، في أواخر سنة 1939 رجع إلى القرية وكانت المنطقة غير آمنة وهي سنة اندلاع الحرب العالمية الثّانية. ولكنه هروباً من الخدمة العسكريّة الاجباريّة ضمن قوات المستعمر الفرنسي البغيض غادر القرية إلى ناحية سوق أهراس حيث عمل فيها مدّة معيّنة، ثمّ التّحق بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قرية أقمون بني خيار بمنطقة بني معوش وهي لا تبعد كثيراً عن ناحية بني يعلى وذلك



بقرار من جمعية العلماء المسلمين وقد أثّر تأثراً طيّباً وجوده في أهل تلك النّاحية، ولكنه أثار غضب الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة كثيراً حيث اتّهم بممارسة التّعليم غير المرخّص إلى جانب المنهاج العربي الإسلامي المُخالف للمنهاج الفرنسي كلّية وبلغت التّهمة بعقوبته بدفع غرامة مقدّرة ب 75000.00 فرنك فرنسي.

واضطرّت جمعيّة العلماء سنة 1952 إلى تعيينه إماماً ومعلّماً في مسجد ومدرسة عين أزال بسكيف، وفيها وجد لدى أهل تلك المنطقة الألفة وأحبّه السكّان لما لمسوا فيه من إخلاص وجدّ وحبّ للوطن. وفي نفس الوقت كلّفه نظام الثّورة في الولاية الأولى بقيادة الشّهيد مصطفى بن بولعيد بتنظيم الخلايا النّظاميّة لاندلاع الثّورة وبمهمّات أخرى لما يتميّز به من حكمة ورجاحة العقل وكان لقبه في ذلك الوقت (الشّيخ) (توقير الحكمة وورعه وتقواه وزهده وهي من الصّفات التّي اتّصف بها طوال مسار حياته في الحلّ والتّرحال وفي اليسر والعسر والبأساء والضّراء وحين الشّدّة).

ولكن مشاغبات الإدارة الفرنسيّة لحقته إلى هناك فكانت أوامر قيادة جيش التّحرير أن يلتحق بمنطقة بوطالب بالولاية الأولى تحت لواء جيش التّحرير الوطني سنة 1955. كانت منطقة بني يعلى في ذلك الوقت مسرحاً لخلافات حادّة وانشقاقات مُفجعة على إثر انقسام الحركة الوطنيّة حركة الانتصار للحريّات الدّيمقراطيّة وانقسام الحزب إلى مركزين تابعين للجنة المركزيّة وإلى مصاليين تابعين لمصالي الحاجّ وإلى مناضلين محايدين أحرار، ولما كانت قاعدة الحزب ومناضليها كبيرة جدّاً في منطقة بني يعلى فقد اشتدّ الانقسام فيها فانتشرت البلبلة والغموض في صفوف الحزب وانعدمت الثّقة إذ كلّ يدّعي أنّه يملك الحقيقة إلى أن فجّر رجال الثّورة واتّضح الطّريق الصّحيح وبرزت جبهة التّحرير الوطني إلى الوُجود فأخذت في تنظيم الجماهير وتأطيرها وتنظيم جيشها وهيكلته، إمّا أنصار مصالي الحاج فانضمّوا إلى منظمة (الحركة الوطنية الجزائرية)، وأخذوا في تكوين في تأسيس وتكوين جيش تابع للحركة الأخيرة في المنطقة واتّخذوا من جبل (تيلة) مركزاً ومقراً لهم. ولقد عاش الشّيخ يوسف عن قرب تلك الأحداث فهو ابن المنطقة وتردّد على قريته الشّريعة مراراً داعياً إلى تطويق الخلاف ونبذ التّعصّب والتّشنّج والأنانيّة ومراعاة المصلحة العليا للوطن فلم يدّخر وسعاً ولا تخلّف عن بذل جهد في رأب الصّدع والإصلاح بين الإخوان لإخماد نار الفتنة التّي بدأت تلوح في الأفق ولقد وظّف إمكانياته كلّها بمساعدة الضّابط في جيش التّحرير (سي حميمي) أحمد فضال رحمه الله للوصول إلى حلّ للأزمة ثمّ استعان باستقدام لجنة رفيعة المستوى من الأوراس بالولاية الأولى لتقوم بالمهمة فجاءت اللجنة وبذلت ما في وُسعها وخبرتها بمعيّة الشّيخ يوسف والقائد الضابط سي حميمي فباءت جميع الجهود بالفشل نتيجة التّعصّب الأعمى والتّعنّت والأنانيّة ممّ أدّى في الأخير إلى حلّ الأزمة بالعنف والعنف المضادّ فكانت النّتائج كارثيّة على المنطقة خاصّة وعلى الوطن عامّة وأزيحت تلك العراقيل المُصطنعة في طريق جبهة التّحرير الوطني بالمنطقة فانخرط النّاس تحت لوائها وانضمّوا في صفوفها يؤدّون واجبهم في الدّفاع عن الوطن وتحريره من براثين الاستعمار الغاشم.

وفي الولاية الأولى أوراس النّمامشة تولّى الشّيخ يوسف مهام عديدة وتنقّل بين نواحي تلك الولاية وكان محلّ احترام وتوقير بين رفاق السّلاح وحتّى أنّه كُلّف

بقيادة الولاية بالنّيابة عند سفر قائد الولاية العقيد المجاهد الحاج لخضر عبيد رحمه الله في مهمّة معيّنة ولمدّة معيّنة، وقد عاش أحداث تلك الولاية بجوارحه كما يذكر.

جاءه تعيين للانتقال إلى الولاية الخامسة سنة 1959، لكنه طلب الالتّحاق بالولاية الثّالثة التّي يعرف نواحيها وأدغالها جيدا ويعرف أهلها ويستطيع أن يفيد الثّورة فيها أكثر من غيرها.

وعمل في الولاية الثّالثة تحت قيادة القائد الفذ العقيد المجاهد محند أولحاج رحمه الله إلى يوم الاستقلال.

وفي عملية (جيمال) الابادية أصيب بجروح في الرّجل اليسرى كانت بليغة وذلك في ناحية أكفادو.

ولذلك كان يلقب في الولاية الأولى والثّالثة (الشّيخ).

عايش بعد الاستقلال كل التّطورات التّي كانت في البلاد منذ 1962م إلى 1994م تاريخ انتقاله إلى دار البقاء رحمه الله.

- عين نائب في المجلس الوطني الأول سنة 1963م عن ولاية سطيف؛
- عين محافظا للحزب بولاية تيزي وزو؛
- عين مراقبا للجزب إلى سنة 1973؛
- -عين مراقبا للجزب إلى سنة 1973؛
- انتخب أمينا وطنيا في المنظمة الوطنية للمجاهدين لثلاث عهدات موالية (1978م-1990م).

وقد اجتهد الشّيخ يوسف كثيرا لإنجاح ملتقيات كتابه التّاريخ الخاصّ بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر قبل وفاة صناع تلك الاحداث منذ سنة 1980م (والشّاهد على ذلك التّطور والثّراء والصدور لمجلة أول نوفمبر 1954م التّي كانت تحت مسؤوليته فأثراها واعني بها وبالمادة التّي ترد في صفحاتها وانتقاءا كفا الأقلام وتشجيعها وفتح صفحاتها في وجه المجاهدين والباحثين والاكاديميين لينورها ويشاركوا في تطويرها.

وكانت طريقته في معالجة وحل مشاكل الفتن سواء بين الافراد أو بين الجماعات وفي قضايا أخرى هي قراءة آيات من القرآن الكريم من القرآن الكريم مع الحاضرين باختيار السورة التّي تتناول موضوع الحالي وبعدها ترى الخلاف يضمحل كما يضمحل سواد الليل عند بزوغ نور الشّمس.

لم يسجل له جرما يمس بأركان الثّورة خلال حزب التّحرير ولا أركان الدّولة بعد الاستقلال.

واكثر ما كان يفرحه ويدعو اليه ومشجعه هو تعليم المجتمع والمرأة بصفة خاصة وترقية الشّباب المثقف إلى المناصب السّامية، وقد كان متشبعا بثقافة الدولة إلى جانب تربيته البادية وتربيته الثّورية حيث تخلص عنده في هذه الجملة التّي يرددها كلما ازداد اللغط في الكلام (ليس كل ما يفهم يقال إذ ليس ما يقال يفهم).

كتب الكثير من المقالات في مجلة أول نوفمبر، كما كاتب مثلاتها من جريدة البصائر ومنها التّي بعنوان: الجزائر مسلمة بدينها ولغتها وأخرى بعنوان: إلى العلم والعلا يا بني يعلى، وأخرى بعنوان: بني وعمر تشيد مدرسة وأخرى بعنوان: نهضة الجزائر وكفاحها.

الصّالح آيت علجت

المصادر
ويكيبيديا الموسوعة الحرة2020

يوسف بن إبراهيم بن مناد السَّدراتي الوارجلاني (أبو يعقوب)
(500هـ - 1105م / 570هـ - 1175م)

علم من أشهر علماء الإباضيّة بالمغرب، ترك بصمات بارزة في التّراث الإباضي خصوصا، والمكتبة الإسلاميّة عموما، ولد بسدراته، من قرى وارجلان؛ ولا تذكر المصادر سنة ميلاده بالتّحديد، فقد جعله الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ/ 1155-1203م) وذلك اعتباراً لفترة وفاته، بينما جعله البارني في الطبقة (500-550هـ/ 1106-1155م) باعتبار مولده، والتحقيق يرجّح كون ميلاده سنة 500هـ/ 1106م، نشأ في موطنه سدراته، وأخذ مبادئ العلوم على علماء وارجلان، ومن شيوخه بها: أبو سليمان أيوب بن إسماعيل (ت - :524هـ/ 1129م)، وأبو زكرياء يحيى بن أبي زكرياء؛ وتذكر بعض المراجع أنه تتلمذ أيضاً على أبي عمّار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني، والذي ترجّحه الروايات أنّه كان رفيقاً له في الدراسة لا شيخاً، وقد عاصر أبو يعقوب الشيخَ أبا عمرو عثمان بن خليفة السوفي المرغنّي، ويعتبر هؤلاء الثلاثة: أبو يعقوب، وأبو عمّار، وأبو عمرو عثمان، من أشهر علماء الإباضية الذين خلّفوا كتبا هامّة، وبرّزوا في علم الكلام على الخصوص، لمّا استوعب أبو يعقوب ثقافة وطنه تاقت نفسه إلى الاستزادة، وكان شغوفا بالعلم، فشدَّ الرحال إلى بلاد الأندلس، وأقام بقرطبة سنين عدداً، وحصل منها مختلف العلوم النقلية والعقلية، وكان بين طلاّبها مثال النبوغ النادر، والأدب الجمّ، والاطّلاع الواسع، حتّى كان الأندلسيون يلقّبونه ب«الجاحظ»، ثمَّ عاد إلى وطنه وقد أُشبع علما.

ولم يستقرَّ طويلا حتّى دفعته نفسه الطُّلعة إلى الترحال من جديد، فتوجّه إلى بلاد السودان، ودخل مجاهل إفريقيا حتّى وصل إلى قريب من خطِّ الاستواء، كما يحكي ذلك بنفسه، وهو من السابقين إلى اكتشاف هذه المناطق المجهولة، فقد دوّن ملاحظاته العلمية على تلك المناطق وأهلها، وكانت هذه الرحلة علمية تجارية، وثمَّ رحل بعد ذلك إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ، وزار عواصم المشرق، واستفاد من مراكزها العلمية وعلمائها، وأثّرت هذه الرحلات في تكوين شخصيته، فجعلت منه العالم الموسوعي، وكان كما وصفه

الدرجيني: «بحر العلم الزاخر، المسخَّر للنفع، فترى الفلك فيه مواخر، الرفيع القدر والهمَّة، الجامع لفضائل كلِّ أمَّة، المحتوي على علوم جمَّة... وهذا الشيخ له يد في علم القرآن، وعلم اللسان، وفي الحديث والأخبار، وفي رواية السير والآثار، وعلم النظر والكلام، والعلوم الشرعية عباداتها والأحكام، وعلم فرائض المواريث، ومعرفة رجال الحديث، ولم يخل من اطِّلاع علوم الأقدمين، بل حصل مع ملازمة السُّنة قطعة من علم الحكماء المنجِّمين».

ولشدَّة حرصه على العلم، مكث بداره سبع سنين، عاكفا على الكتابة تأليفا ونسخا، وتجليدا للكتب، ورأى الدرجيني بعض مؤلَّفاته في نُسخ عديدة، كلُّها بخطِّ يده.

ترك آثارا علمية في مختلف العلوم، منها ما حفظته الأيام، ومنها ما ضاع مع حوادث الزمان.

ومن مؤلَّفاته:

– (تفسير القرآن الكريم): ذكرت المصادر أنه يقع في سبعين جزءًا، رأى البرادي منه تفسير سورتي البقرة وآل عمران في حوالي سبعمائة ورقة.

– (الدليل والبرهان لأهل العقول): ومعظمه في أصول الدين وعلم الكلام، ولكنَّه في الحقيقة موسوعة مصغَّرة لمختلف الفنون: من كلام، وتاريخ، وفلسفة، ومنطق، ورياضيات، وعلوم، وأخبار... يقع في ثلاثة أجزاء، طبع أكثر من مرَّة، ثمّ حقَّقه الباحث صالح بوسعيد في رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، ولكن ما يزال مرقونا.

– (العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف): يقع أيضا في ثلاثة أجزاء، طبع بلا تحقيق، ثمَّ حقَّقه الشهيد الدكتور عمرو خليفة النامي، ولا يزال مرقونا. وقد أجرى عليه الباحث مصطفى بن صالح باجو دراسة أكاديمية في رسالة ماجستير، قارن فيها بين الوارجلاني في العدل والإنصاف والغزالي في المستصفى، وطبعت الدراسةَ وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان.

– (مرج البحرين): في علم المنطق، وهو في آخر كتاب الدليل والبرهان، شرحه الشيخ عبد العزيز الثميني في كتاب: (تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين) (مخ) منه نسخة بمكتبة الاستقامة ببني يزگن.

– (ترتيب مسند الربيع بن حبيب)، معتمد الإباضية في الحديث، طبع عدَّة مرَّات، وتولّى كثير من المشائخ شرحه للعامة في مساجد ميزاب.

– (رسالة في تراجم رجال المسند): اعتبرت مفقودة، ثمَّ عثرت جمعية التراث، في إطار مشروعها دليل مخطوطات وادي ميزاب، على قسم منها مؤخَّراً بمكتبة آل يدَّر ببني يسجن.

– (فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب): وهو مفقود، يقال إنَّ بعض أجزائه توجد في بعض خزائن ألمانيا، وذكر الشيخ أبو اليقظان عن المؤرِّخ حسن حسني عبد الوهَّاب أنّه رأى جزءاً منه في تركة المستشرق مونتسكيو، ولعلَّه موتلانسكي.

– (أجوبة فقهية): مخطوطة لو جمعت لكوَّنت مجلَّداً ضخما.

– (رسائل متنوِّعة): جمع بعضها في الجزء الأخير من الدليل والبرهان (مط).

– (شرح سير محبوب بن الرحيل في تاريخ الإباضية بالمشرق): وهو شرح مفقود.

– (ديوان شعر): ضاع ولم يبق منه إلاَّ قصيدة في رثاء شيخه أيوب بن إسماعيل، دوَّنها الدرجيني في طبقاته.

– (القصيدة الحجازية): في وصف رحلته إلى الحجِّ، ورفاقه فيها، وما لاقوه من أهوال الطريق، ومشاهد الرحلة وفوائدها، تقع في 374 بيتا من بحر الطويل، حققها ونشرها الدكتور يحيى بن بهون حاج امحمد سنة 2007.

– اتَّسم أبو يعقوب إلى غزارة العلم، بأخلاق العلماء: من الصبر، والتواضع مع سائر الناس، وتروي المصادر نماذج من تواضعه ودماثة أخلاقه، ومن أشهر تلامذته ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف، وأبو سليمان بن أيوب بن نوح.

كانت وفاته في سنة 570هـ / 1175م، ودفن بمسقط رأسه سدراته.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- أبو يعقوب الوارجلاني: جواب فقهي.
- أبو يعقوب الوارجلاني: كتاب الأسماء

Fekhar: Les Communautés Ibadites, 10, 14, 407 etc Metref Arezki: 90-Lewicki.T:Les historiens,89

p29 (1989/02/22-Isadraten Pompéi des sables, Algerie-Actualité, No (16

يوسف بن تاشفين
(400هـ - 1009م/500هـ - 1106م)

أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورفيت بن وارتقطين ... اللمتوني الصّنهاجي الملقّب (يوسف بن تاشفين) ولد في سنة 1009م. وتربّى في الصّحراء وأخذ منها عادات أهلها وتقاليدهم. كما تلقّى في طفولته العلم من أفواه المحدّثين والوعّاظ. وعرف بالتّقشّف والزّهد وأسداً هسوراً، وقال فيه (الذّهبي) «كان ابن تاشفين كثير العفو، مقرِباً للعلماء، وكان أسمر نحيفاً، خفيف اللحيّة، دقيق الصّوت، سائساً، حازماً، يخطب لخليفة العراق... ووصفه (ابن الأثير) في (الكامل) «كان حليماً كريماً؛ ديناً ودنيا، يحبّ أهل

العلم والدّين، ويحكّمهم في بلاده، ويبالغ في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم، وكان إذا وعظه أحدُهم، خشع عند استماع الموعظة، ولانَ قلبُه له، وظهر ذلك عليه، وكان يحبّ العفو والصّفح عن الذّنوب العظام...». ولم يسجّل عليه إنّه كان عالماً بأمور العلم واللغة، بل كان عسكرياً تحت امْرَة ابن عمّه الأمير (أبو بكر بن عمر اللمتوني) ومرحلة العسكريّة أهّلته لتحمّل المسؤوليّة أميراً للجيش بعد أن تنازل له ابن عمّه. وفي المرحلة الجديدة تولّى حكم الدّولة المرابطيّة، وعمل على توحيد بلاد المغارب، وضمّ الأندلس تحت مُلكه وسلطته واستطاع إنشاء إمبراطوريّة مغاربيّة تمتدّ بين مملكة بجايّة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وما بين البحر المتوسّط شمالاً حتى السّودان جنوباً. وفي ذلك المخاض العسكريّ دخل الأندلس أوّل مرّة استجابة لنداء أمير إشبيليّة (المعتمد بن عبّاد) سنة 1086م، وصاحب المقولة المشهورة (رعي الجمال عندي خيرٌ من رعي الخنازير) وخاض (ابن تاشفين) معركة مشهورة (معركة الزّلاقة) ضدّ جيوش Alfonso VI / الملك ألفونسو VI ملك قشتالة، وأنقذ الأندلس من الضّياع، وتَسَمَّى إثر ذلك (أمير المسلمين) وأرسل له الخليفة العبّاسي في بغداد (أبو العبّاس أحمد المستظهر) مرسوم الولايّة. ويعود إلى مراكش ويجعلها عاصمة لمملكته، ويعود مرّة ثانيّة إلى الأندلس ويدكّ حصونها المتبقيّة، ويضمّها إلى الأندلس الإسلاميّة سنة 1103م. ثمّ يعود مرّة أخرى لظهور ثغور ثائرة ضدّ ملوك الطّوائف، ومرّة رابعة ضدّ بقايا الدّولة الفاطميّة التي له معها بعض الخلافات في الحكم.

كثرت الرّوايات حول مساره، ونحاول الوقوف عند القضايا المجمع عليها، فقد ظهر تألّقه في الكثير من المعارك وهو جنديّ من جنود المرابطين، وخلال العسكرة كان يُظهر مهارات في التّخطيط والتّنفيذ؛ بدءاً من فتح مدينة سجلماسة الذي عيّن فيها أميراً، ثمّ غَزْوه لبلاد السّوس، ومهاجمته لأغمات النّصرانيّة، وبني يفرن، والقضاء على زناتة واستخلاص الحكم منها... وأعمل انقلابات/ فتوحات في كثير من المناطق، وسجّل انتصاراً وراء انتصار، ممّا جعل المرابطين قوّةً كبيرة في بلاد المغارب، وكان عليهم أن يتّجهوا إلى الصّحراء والشّرق. والشّيء الذي يُسجّل عليه:

- عمل جاهداً على توحيد بلاد المغارب والأندلس، وجعلهما دولة واحدة بمُسمّى الدّولة المرابطيّة؛
- اتّخذ السّواد شعاراً للمرابطين، وهو شعار الدّولة العبّاسيّة، وهذا يعني التّمسّك بالسّنة، والوَحدة وعدم شقّ جماعة المسلمين، إضافة إلى رفع رايّة الرّسول ﷺ؛
- أجرى الكثير من التّغييرات في نظام الحكم واعتبرها فتوحات، وكانت عصيّة على الفاتحين؛
- عمل على استدعاء رؤساء القبائل لتقديم البيعة والمبايعة؛ وطرد كلّ من لم يعلن ذلك على غرار قبيلة زنّاتة التي طردها إلى تلمسان، وهاجمها مراراً، وعاشا حروب كرّ وفرّ؛
- اجتهد في القضاء على الفرق الضّالة، وبخاصّة البرغواطيّة، وأرسى قواعد الإسلام الصّحيحة استمرّاراً لما قام به الأدارسة في سبيل نشر الإسلام الصّحيح في بلاد المغارب؛
- عدم اعتراف الدّولة المرابطيّة بالدّولة الفاطميّة بسبب العداء المستحكم بين الفرق الإسلاميّة: خلافة سنيّة عبّاسيّة، خلافة شيعيّة فاطميّة، واعتبروا محاربة الشّيعة جهاداً في سبيل الله، فلم تقم بين الدّولتين علاقات طيّبة، وهناك العامل السّياسيّ الذي كان يباعد بينهما، فقد كانت الخلافة الفاطميّة وهي في مصر قريبة من المرابطين وقويّة في بلاد المغارب؛
- قسّم الجيوش إلى تنظيم يتناسب والمناطق التي ضمّوها في مملكته، وجنّد مختلف الفئات الاجتماعيّة حتى أصبح كلّ النّاس جيوشاً؛
- أمر بمواصلة الجهاد، ولا تقف أمام الجيش الصّحاري والبحار، فدكّ كلّ الحصون التي لم تدخل معه، أو لم تتحالف بشكل تقبل بالدّولة المرابطيّة؛
- معاضدة ملوك الطّوائف في الأندلس في كلّ ما يستنجدون به، ويطلبون الدّعم العسكريّ، وخلع كلّ ملوك الدّولة القشتاليّة/ دولة النّصارى في طُليطلة+ غرناطة+ مالگة+ ڤالنّسيّة؛
- عمل على أن تنال دولة المرابطين أقصى اتّساعها وحقّق لها ذلك من مراكش إلى فاس وإلى تلمسان، ووهران، وتنس، والونشريس، والشّلف، ومدينة الجزائر، إلى مملكة بني حمّاد ببجايّة والعبور إلى الجزيرة الخضراء؛
- قهر الدّولة الموحّديّة في كثير من مواقعها، وتابع تحرّكاتها، وضايقها في كلّ مكان تحكمه؛
- بدأ في تنظيم أسس الدّولة بما يجعلها تقوم على السّلطات الحاكمة: الجيش+ الخدم+ الحسبة+ الشّرطة+ القضاة+ الولاة+ الوزارات+ سكّ العملة+ النّقد الشّرعيّ+ ديوان الإنشاء؛
- أمر ببناء البنيّة التّحيّة للمدن من مثل: بنيان المساجد+ الزّوايا+ المشافي+ تخطيط الحمامات+ إصلاح الأسواق+ بناء الأسوار...؛
- الاهتمام ببناء الأسطول البحريّ الذي يعتمده في تنقّلاته الحربيّة/ التّجاريّة، وبخاصّة عبوره الكثير للأندلس؛
- نجح في التّغلب على كلّ القبائل صاحبة السّلطان في كلّ من: فاس+ طنجة+ تلمسان+ مدينة الجزائر+ بجايّة، وهذا عبارة عن إجماع بيعة توحيديّة، ويكون بهذا قد أسّس دولة كبرى تمتدّ حدودها بين أفريقيّة والمحيط الأطلسي، وما بين البحر الأبيض المتوسّط، إلى حدود السّودان؛
- إطلاق سراح بعض عمّاله في التّسيير والتّوجيه على غرار زوجته الجميلة (زينب بنت إسحاق النّفزاويّة) التي لها الكلمة في كلّ قرار يتّخذه، حتى وفاتها سنة 464 ه.

في أواخر عامّ 498 هـ / 1104م مرض يوسف بن تاشفين، وأصابه الضّعف، واشتدّت به العلّة، وهني نهايّة هادئة لحاكم ليس هادئاً، يموت الملك المازيغيّ الموحّد لبلاد المغارب والفردوس المفقود، بعد أن أرسى قواعد دولة قويّة، ويموت في بدايّة سنة 1105م، ويترك وصيّة لابنه الخليفة قائلاً «ألاّ يهيج أهل جبل درن ومَنْ وراءه من المصامدة

وأهل القبلة، ، أن يُهادن بني هود وأن يتركهم حائلًا بينه وبين الرّوم، أن يقبل من أحسن من أهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم".

يموت الذي قيل فيه: «ولا شكّ في أنّ يوسف بن تاشفين يعدّ من أعاظم رجالات المغرب الإسلاميّ الذين كان لهم أثر ملموس في توجيه تاريخه، إذ قام بدور طلائعيّ في تاريخ المغرب. فقد قاد حركة واسعة لتعريب القبائل البربريّة سواء في جنوب المغرب أو في شرقه. كما أسهم بشكل فعّال في ترسيخ مبادئ الإسلام في المغرب أوّلاً، ثم في الأندلس بعد ذلك. فإليه يرجع الفضل أوّلاً وأخيراً في إنقاذ الإسلام في الأندلس، ممّا يهدّده من أخطار خاصّة خلال النّصف الثّاني من القرن الخامس الهجريّ».

"مرّ في تاريخ المسلمين عشرات الملوك وآلاف الأمراء والقادة، ربما راح أغلبهم يقطفون ثمار الملك والجاه، لكنّ البعض الآخر –وربّما يكونون الأقلّ عدداً– راحوا يقطفون ثمار المُلكِ والجاه بطريقةٍ مختلفة، فيها من الزّهد بقدر ما فيها من السّلطة، وفيها من الإيمان بقدر ما فيها من المعارك والصّراعات، أحد هؤلاء كان يوسف بن تاشفين، الذي حكم قرابة 40 عاماً، وعاش قرناً كاملاً من الزّمان».

صالح بلعيد

المصادر:

- حمد محمّد خليفة، يوسف بن تاشفين.
- الذّهبي، سير أعلام النّبلاء.

يوسف بن حمُّو بن عدُّون (أبو يعقوب) (1158هـ - 1745م / 1252هـ - 1836م)

من علماء بني يزگن، وأوائل رجال النهضة العلمية الحديثة بميزاب، ينتهي بنسبه لعائلة قاسم واعمر ببني يسجن، ولد في أواخر سنة 1158ه/ 1745م. وأخذ العلم عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي، وعن الشيخ عبد العزيز الثميني، استخلفه الشيخُ الثميني لمَّا أسنَّ بمسجد بني يسجن للتدريس والوعظ والإفتاء، سافر إلى الحجِّ سنة 1205ه/ 1791م، ولمَّا رجع أقام بالقاهرة أربع سنوات، فلقي فطاحل علماء الأزهر، وعاد إلى وطنه ليشتغل بالتنوير والتأليف والإصلاح بين الناس، وذكر أنه سافر إلى بريان عام 1229ه/ 1813م رفقة الشيخ عيسى ابن كاسي للإصلاح بين أهله في نزاع وقع بينهم، تولّى رئاسة مجلس عزّابة بني يسجن، فنظّم أوقاف المسجد، وكان قاضي المدينة.

وهو حلقة في سلسلة نسب الدين، التي تعتبر إجازة خاصَّة لدى علماء الإباضية، درَّس كتاب النيل لأستاذه الشيخ عبد العزيز الثميني؛ ومن أشهر تلاميذه: بلحاج بن كاسي الگراري، وسليمان بن يحيى، والحاج سعيد بن يوسف وينتن، ترك مؤلَّفات تشهد على سعة علمه، وكان القطب اطفيش مهتمًّا بها، إذ هو ابن عمِّ أمه، وانتقلت بعض كتبه إليه، نذكر من بينها:

- (مختصر كتاب الطهارات) (مخ)، ولعلَّ كتاب الطهارات من الديوان.
- (تقييد ما وقعت من فتنة)، (مخ)، ينسب إليه، وقد يكون لغيره.
- (بيان في بعض التواريخ)، (مخ).
- (بيان كبائر الشرك من كبائر النفاق)، (مخ).

استهلّ المؤلّف للكتاب الشيخ يوسف بن حمو بن عدون بعد الافتتاحية بإيراد المراد من مؤلّفه، والذي اتخذ كعنوان، ثم دخل مباشرة في القسم الأول بقوله: «بيان كبائر الشّرك من كبائر النّفاق، فمن كبائر الشّرك الاشراك بالله، ويتحقق في وجوه كثيرة، فمنها انكار وجود الله تعالى كشرك الدّهريّة الزاعمة أن الأشياء قديمة لا محدث لها، ومنها...»، إذ فصل بين الوجوه التي ذكرها كما فصل بين الكبائر التي عددها بلازمة منها؛ وقد ذكر من جملة الكبائر المحرمات المنصوصة قطعا، واستحلال الفرائض، ومن وصف الله تعالى بصفات من صفات خلقه، وألم بجملة من الكبائر الاعتقادية أو القلبية، وأخرى فعلية، واستشهد عليها بمختلف النّصوص من الآيات والحديث الشّريف ومأثور الأقوال، وضمن هذا القسم الشّرك الأصغر من العجب والرياء وغيره، خصّص الشيخ القسم الثاني لكبائر النفاق والتي جمع فيها من الأخلاق الذميمة، مما نص عليه القرآن أو ورد في الحديث، وكره الاتيان بها، فمما جاء فيه «ومن كبائر النفاق حب المحمدة على ما فعل إن قصد به التفاخر والخيلاء وحب المنزلة عند الناس وأن يكون معظما ومنها أيضا الرياء فإنه كبيرة مفسدة للأعمال، أي عمل كان ...».

- «ترتيب مسائل كتاب اللقط» لأبي عزيز (مخ).

رتب الشيخ يوسف بن حمو بن عدون كتاب لقط الشيخ أبي عزيز (مخ)، وهذا تلبية لطلب شيخه يحيى بن صالح الأفضلي كما جاء في افتتاحية المرتب، واللقط قد جمعها الشيخ أبو عزيز عن شيخه أبي عبد الله محمد البارونـي، سؤالا وروايـة، إذ جاءت أغلب المسائل مفتتحة بعبارات «قال شيخنا» أو «وسألته».

وزع الشيخ المرتب مسائل الكتاب على أربعين مبحثا، معتمدا طرق التبويب المعروفة، مفتتحا بمباحث الأحاديث والآثار والمناقب والأخبار، ثم التوحيد والمنطق والأخلاق، ليعرج إلى أبواب الفقه، بداية بالطهارات عند المبحث الثالث عشر، وكان آخر مبحث هو الأربعون في الضمانات مترجما على كل مسألة أو مسائل بما يليق بها!...

تتوفّر من ترتيب الشيخ يوسف بن حم لمسائل اللقط عدة نسخ، وتعد نسخة خزانة آت افضل الأقدم (1259ه)، وقد نقلت من نسخة حررت في حياة المرتب (1249هـ).

«كتاب معجزات الرسول»، (مخ).

رتب الشيخ يوسف بن حمو بن عدون عددا من المعجزات التي خص بها الله عز وجل الرسول ﷺ من حين زواج والديه إلى حين هجرته، متتبعا أطوار حياته، مستدلا بها على صحة نبوءته، وكان يفصل بين الخبر والآخر، بعبارات (ومن معجزاته)، أو (ومنها).

جمع المؤلف في هذا المصنف ما يزيد عن ستين معجزة كانت قد وقعت في حياته صلى الله عليه وسلم، ولم يلتقط منها ما كان إخبارا بما سيحصل بعده، وهذا راجع ربما إلى المقصد من ترتيب سيرته صلى الله عليه وسلم من خلال المعجزات، إذ لم يستكمل كل المعجزات الحاصلة في حياته، بتوقفه في حياته بالمدينة المنورة، رغم أن الكتاب اختتمها بعبارة «تمت المعجزات».

أجوبة وردود؛ (مخ).

قال عنه الشيخ أبو اليقظان: «وقعت له على بعض أجوبة علمية سديدة على أسئلة عديدة من بعض طلبة الگرارة».

نسخ المخطوطات؛ فقد كان مهتماً بنسخ الكتب، وتوجد مخطوطات عديدة بخطٍّ يده في بعض مكتبات بني يزگن.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- يوسف بن حمو بن عدون: بيان في تاريخه (مخ)، 2ص
- حفار: السلاسل الذهبية (مخ) 12، 37
- متياز: تاريخ مزاب (مخ) 131، 135
- أبو اليقظان: الثميني كما أعرفه (مخ) كلُّه (20 صفحة)

يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي (أبو يعقوب)
(1079هـ - 1669م / 1187هـ - 1773م)

ولد ببلدة مليكة بميزاب، من عائلة آل ويرو. ثُمَّ سافر إلى جربة مع والده سنة 1103هـ/ 1692م واستقرَّ بها بطلب من أهلها، أخذ العلم عن مشايخ الجزيرة، منهم: الشيخ يحيى بن سعيد الجادوي، والشيخ سليمان بن محمَّد الباروني، والشيخ عمر بن علي السدويكشي، وفي سنة 1112هـ/ 1701م سافر إلى تونس العاصمة ليستزيد فيها من العلم، وعرج بعدها إلى مصر حيث حضر دروسًا بالأزهر، ثمَّ عاد إلى جربة وقد ملئ علماً، وصار مفتي الجزيرة، وكبير علمائها، ورئيس مجلس الحكم فيها، وله مجالس للتدريس بمساجدها، ولكنه كان أكثر ملازمة للجامع الكبير بجربة، ولمَّا وقعت فتنة بجزيرة جربة اضطرَّته إلى الخروج منها رفقة شيخه سعيد بن يحيى إلى جادو بجبل نفوسة، مكث بها سبع سنين؛ ثمَّ رجع إلى جربة، كان مهيب الجانب، يعظِّمه الحكَّام والأمراء، جريئًا في قول الحقِّ، لا يخشى في الله لومة لائم، وكان في نظر الدولة التركية ممثِّل إباضية المغرب الإسلاميِّ وزعيمهم، قال عنه الشيخ ابن تعاريت المؤرّخ الجربي التّونسي ممّا نقله عن شيخه أبي عثمان سعيد بن عيسى الباروني: «... وولي إليه التقي الزكيّ الطّاهر شيخنا أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي رحمه الله، كان آية في العلوم له عناية ومعرفة جيدة في علم الخط وأسرار الحرف والنجوم وعلم الكيمياء وهو تحويل المعادن كتحويل الرصاص إلى الذهب حتى فاق أقرانه وعلماء عصره وكلهم يقرون له بذلك».

ترك تأليف كثيرة أغلبها حواشي ومنها رسائل مفيدة وفتاوى ذكرها ابن تعاريت الذي يقول عنه أيضا « وكان حكّام جربة يعظمونه ويخشون بأسه ويذهبون له في كل عيد ومناسبة الى داره بحومة الحشان قرب الجامع الكبير تعظيما لقدره، كان رحمه الله مقداما لا يهاب الأمراء والملوك، فقد كتب رسالة إلى علي باشا بن محمد التركي باي تونس (1153هـ -1169 م) رداً على من طعن في مذهب الإباضية فبيّن له عقيدتهم الصحيحة وذكر أئمتهم ووصف سيرتهم الحسنة.

وهو آية في العلوم، له معرفة جيدة بعلم الفلك والخطِّ والكيمياء. صنَّف تآليف مفيدة، وحواشي عديدة، كلُّها مخطوطة، منها:

- (تحفة الألباب في عذر أولي الألباب).
- (حاشية على أصول الدين) لتبغورين بن عيسى الملشوطي.
- (حاشية على تفسير الجلالين).
- (حاشية على شرح الجهالات)، لأبي عمَّار عبد الكافي، في التوحيد وعلم الكلام.
- (حاشية على شرح الويراني على النونية)، في التوحيد.
- (حاشية على شرح مختصر العدل والإنصاف)، لأبي العبّاس أحمد الشمَّاخي، في أصول الفقه، ولم يتمه.
- (حاشية على كتاب الأحكام)، لأبي زكرياء يحيى ابن الخير الجناوني.
- (حاشية على كتاب الديانات) لعامر الشمَّاخي في التوحيد.
- (حاشية على كتاب الفرائض)، للجيطالي.
- (رسالة في الوصايا والحقوق)، كتبها جوابًا إلى الشيخ شعبان الغنوشي.
- (رسالة في تنجيس أبوال الحيوانات).
- (شرح منظومة الذرائع).
- (فتاوى وأجوبة) لو جمعت لكوَّنت مجلَّدًا ضخمًا.
- وله رسالة كتبها إلى علي باشا ابن محمَّد باي تونس، لمَّا بلغه أنَّ أحد التونسيين يشتم الإباضية، ويردُّ شهادتهم، فبيّن له الشيخ حقيقة الإباضية ومذهبهم، كتبها سنة 1153ه/ 1769م.
- وله رسالة في نفس الموضوع موجَّهة إلى أحمد باشا والي طرابلس سنة 1169ه/ 1756م.

تخرَّج على يديه تلاميذ كثيرون من الإباضية والمالكية في جزيرة جربة وخارجها، يتقدّمهم أبناؤه الذين ورثوا عنه العلم وسلكوه الطريقة من بعده؛ وهم:

- ابنه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي يعقوب يوسف المصعبي.

– ابنه الشيخ أبو الحسن علي بن أبي يعقوب يوسف المصعبي.
– ابنه الشيخ الحاج مهني بن أبي يعقوب يوسف المصعبي.
– ابنه الشيخ أبو الربيع بن أبي يعقوب يوسف المصعبي.
ومنهم أيضاً:
– الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي اليزجني الذي درس عنده في جربة اثني عشرة سنة ولما عاد إلى وطنه بميزاب أحياه بالعلم فكان امتداداً له.
– الشيخ سليمان بن محمد الشماخي.
– الشيخ عيسى بن قاسم الباروني.
– الشيخ عمر بن أحمد البغطوري.
– الشيخ سعيد بن احمد البربوش.
من شعره:

نقيم على الدين الحنيف طهارة
من الوهم والإبداع أهدى طريقة
تبعنا كتاب الله أشرف منزل
وسنّة خير الخلق هادي البريئة
نوالي ذوي الإحسان والعدل والتقى
ونبرأ أهل الجور من ذي كبيرة
نساوي لدى الأحكام بين عبيدنا
والأحرار والقُربى وبادي المذلّة
ونأمر بالمعروف في كلّ محفلٍ
وعن ضدّه ننهى وكلّ خطيئة
مساجدنا للعلم والذّكر والتّقى
وانصافاً للمظلوم نبّه بنيّة

توفِّي ضحوة الأحد من صفر 1187ه، بعد وفاة المحشِّي أبي ستَّة بقرن من الزمن. ولكثرة حواشيه عُدَّ المحشِّيَ الثاني بعد أبي ستة.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:
- سعيد بن تعاريت: رسالة في تراجم علماء جربة (مخ) 100
- أبو اليقظان: ملحق السير (مخ) 1/ 52
- سالم بن يعقوب: تاريخ جربة، 123–135

يوسف دامرجي (الحكيم)
(1340هـ - 1922م/1378هـ - 1958م)

يوسف دامرجي مناضل وشهيد من شهداء الجزائر، ولد بمليانة في ولايّة عين الدّفلى، في 22 أوت 1922 من عائلة ميسورة الحال، أنهى مرحلة الدّراسة الابتدائيّة بمسقط رأسه، وفي سنة 1931 انتقل إلى الجزائر لمتابعة الدّراسة المتوسطة والثّانويّة، فالتحق بثانويّة بن عكنون عمارة رشيد حاليا، وأظهر في دراسته تفوقا ملحوظا، وبعد أربع سنوات طرد منها بسبب قيامه بكتابة عبارة يسقط مدير الثّانويّة على حائط الثّانويّة، وتمّ تحويله إلى ثانويّة بيجو (الأمير عبد القادر) حاليا بباب الواد، وعندما حصل على شهادة البكالوريا عام1941 التحق بكليّة الطّب بجامعة الجزائر، خطط أحد الأساتذة المعمرين لطرده من الكليّة لأنه جزائري، وكان له ما أراد فتسبب في طرده منها عام 1942، فعمل خضارا بسوق الخضار (اليهال)، ولم ييأس دامرجي وتمكن من التسجيل ثانيّة بكليّة الطّب من جديد في الموسم الموالي أي في العام الدّراسي 1943 – 1944، كما تابع دراسته بالمراسلة حتى تحصل على إجازة في العلوم القانونيّة، وكان يشتغل في تلك الفترة مراقبا ليليا بثانويّة ابن عكنون ليحصل على مصروف الدّراسة. وفي نهايّة 1944 انضم إلى فرقة الكشافة الإسلاميّة الجزائريّة.

غادر الجزائر بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، وتحديدا في بدايّة العام الدّراسي سنة 1946، والتحق بفرنسا لمواصلة الدّراسة والبحث عن عمل في نفس الوقت، وفي المهجر انخرط الشّهيد في الحركة الثّوريّة، حيث انضم إلى المنظمة الخاصة (OS) السّريّة التي أسسها حزب الشّعب عام 1947 لتحضير الثّورة المسلحة، في عام 1950 تزوج من طبيبة فرنسيّة تدعى "لوسات" وأنجب منها بنتين، ثم عاد إلى أرض الوطن واستقر بتيارت، وقد واصل نشاطاته السّياسيّة في حركة انتصار للحريات الدّيمقراطيّة، الأمر الذي جلب له مضايقة السّلطات الفرنسيّة، وأصبح محل مراقبة الشّرطة الفرنسيّة التي رفضت منحه رخصة لحل عيادة لنشاطه الطّبي، فمتن اتصالاته بالطّبيب الجراح "بن تامي»، الذي كان يعمل بمستشفى مليانة ويعالج سرا جرحى المجاهدين والفدائيين.

ويبيّن لنا هذا الموقف ترك الشّهيد البطل دامرجي لحياة الرفاه والاستقرار في أروبا وإيثاره حياة النّضال والجهاد، فترك فرنسا وزخرفها وعاد إلى وطنه، مدافعا عنه، وخادما لأبنائه، ومقاتلا في صفوف المجاهدين، وهذا يدل على معدن الرجل الذي يمتلئ وطنيّة وزهدا في الحياة وحبّا لأبناء بلده.

بدأ الشّهيد دامرجي عمله مع الثّورة منذ عام 1955، وكان نشاطه الثّوري متعددا، فكان يمارس نشاطا صحيا وإعلاميا وعسكريا، حيث كان يداوي الجرحى من المجاهدين بمنزل (أحمد حلوز) الذي كان مركز الثّورة بمدينة تيارت، وكان يزود الثّورة بالأدويّة، وفي شهر أكتوبر 1956 غادر المدينة والتحق بالثّورة، حيث استقبل نبأ انضمامه إلى الثّورة بارتياح كبير في أوساط المجاهدين بالمنطقة السّابعة من الولايّة الخامسة، شارك بنشاط في الميادين العسكريّة والصّحيّة والإعلاميّة، فقد خاض إلى جانب المجاهدين العديد من المعارك، منها معركة جبل المرجة يوم 15 رمضان 1957، ومعركة يوجحيح سنة 1957، ومعركة مزرعة بالسّايح في بن علوش خلال صيف 1958 بقيادة القائد زعطوط، ومعركة جبل اللبة التي استشهد فيها تسعة وعشرون 29 مجاهدا في سنة 1958 أيضا. أما الميدان الصّحي فقد مارسه أولا بالمنطقة السّابعة لفترة وجيزة ثم بالمنطقة السّادسة، وأصبح مسؤولا عن الصّحة وعن كل مراكز الصّحة

والعلاج عبر المنطقة السّادسة، كما كان ينهض بتكوين الممرضين وإجراء العمليات الجراحيّة وتفقد المراكز الصّحيّة وكذا القرى والمداشر لتقديم الخدمات الصّحيّة للسكان المحرومين، وقد كوّن بمساعدة المجاهدة زبيدة ولد قابليّة حوالي سبع عشرة 17 ممرضة، وكان تكونه لهنّ تكوينا مؤسّسا على قواعد متينة، فكان يعتمد مرجعا بيداغوجيا، ويقسم دروسه إلى دروس نظريّة وعمليّة، في الدّروس النّظريّة كانت تكتب كل متربصة الدّروس في دفترها الخاص وتحفظه عن ظهر قلب، وأما الدّروس العمليّة فتكون في الميدان بمعالجة المجاهدين. وكان التكوين يدوم ثلاثة أشهر، يشمل دراسة أعراض الأمراض المنتشرة آنذاك بكثرة، كمرض السّل وبعض الأمراض المعديّة، والتعرف على مكونات الجسم، و إعطاء المتربصة طرق تقديم الإسعافات الأوليّة و مبادئ العلاج البسيط بما فيها ضرب الحقن، ناهيك عن كيفيّة متابعة المرضى، و التركيز على الأمراض التي تصيب الأطفال، خاصة و أن هذه الدّفعة كان الهدف منها تكوين الممرضة تكوينا كممرضة و كمرشدة اجتماعيّة في نفس الوقت. فتخرج على أيديهم العديد من الممرضات اللواتي تم تكليفهن فيما بعد بإدارة مصالح الصّحة في المناطق أو العيادات، نذكر منهن: ليلى الطّيب في المنطقة الرابعة، مريم مخطاري في المنطقة السّادسة ثم في المنطقة السّابعة، و "صليحة يخو" في المنطقة السّادسة، وفي المنطقة الثّالثة "خديجة تلمساني".

وقد اعتمدت قيادة الولايّة الخامسة على الشّهيد في الميدان الإعلامي وكلفته بكتابة مناشير ورسائل وجهت إلى جنود اللفيف الأجنبي العاملين في الجيش الفرنسي، واستطاع بفضل أسلوبه وحججه الدّامغة أن يقنع الكثيرين بالفرار، والالتحاق بصفوف جيش التحرر الوطني الذي أمن مهمة إعادتهم إلى أوطانهم الأصليّة، وإدماج بعضهم في صفوفه.

استشهد في التاسع عشر أوت سنة 1958 في معركة جبل تافرنت بالمنطقة السّادسة -غرب مدينة سعيدة- إثر محاصرة قوات العدو لمكان اجتماع مسؤولي المنطقة السّادسة بقيادة زكريا المجدوب، وسقط في هذه المعركة عدد كبير من الشّهداء ومنهم الحكيم دامرجي، أحمد حلوز، ومريم مختاري المدعوة ثريا، وابن واضح بن زينب المدعو مولاي، والأخضر هشماوي المدعو مسعود، والجيلالي الصّغير المدعو اسماعيل. وتمّ على الفور نقل جثمانه من قبل قوات العدو إلى المدينة، وهكذا أدى الحكيم واجبه على أكمل وجه وانتقل إلى الرفيق الأعلى ليسجل اسمه بأحرف من ذهب في سجل البطولة.

كما خلّد اسم الشّهيد بأن سميت باسمه عدة مؤسسات، منها: المؤسسة الاستشفائيّة في ولايّة تيارت، وكثير من المؤسسات الصّحيّة والتربويّة في ربوع الوطن.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.
- جازيّة بكرادة: دور المرأة الجزائريّة في الثّورة التّحريريّة بالولايّة الخامسة، أطروحة دكتوراة، جامعة أبو بكر بلقايد، 2016/ 2017.

يوسف زيغود
(1340هـ - 1921م/1376هـ - 1956م)

ولد يوسف زيغود يوم 18 فيفري 1921 بقريّة سمندو بالشّمال القسنطيني، زيغود يوسف حاليا، من أب يدعى السّعيد، وأم تسمى آمنة بنت محمّد غيراني، توفّي والده وهو في الشّهور الأوّلى من حياته، فغمرته أمه بحنانها، ورعايتها.

استهل حياته بطلب العلم في الكتاتيب القرآنيّة، ثم دخل المدرسة الابتدائيّة الفرنسيّة في صغره إلى جانب تردُّده على الكتاتيب القرآنيّة لتعلم اللغة العربيّة وتعاليم الدّين الإسلامي، وواجه أعباء الحياة ومشاغلها منذ طفولته المبكرة، أدخل المدرسة الابتدائيّة الفرسيّة على الرّغم من وضعه أسرته الاجتماعي المتدني، فكان



يزاوّل دراسته بالتّوازي بين الكتاب والتّفقه في الدّين الإسلامي والتّعليم النّظامي الفرنسي.

برز الشّاب يوسف زيغود في دراسته بين أقرانه، وبدت عليه علامات النّجابة والذكاء، وقد عرف بحزمه وصلابة عزيمته وهو في مقاعد الدّراسة، بعد حصوله على شهادة التّعليم الابتدائي باللغة الفرنسيّة، مطلع الثّلاثينيات غادر المدرسة لأن السّلطات الفرنسيّة لم تكن تسمح لأبناء الجزائريين من تجاوز هذا المستوى.

أمام أعباء الحياة القاسيّة اضطر إلى العمل في إحدى محلات مستوطن فرنسي مقيم بالبلدة تحت شروط عمل مجحفة

وقاسيّة، إذ فرض عليه العمل بدون أجرة أثناء التّدريب، وثمن أجرة زهيد بعد التّدريب.

لكن بفضل عمله وجده أصبح بعد فترة وبعد أن جمع نصيبا من المال أن يصبح شريكا في المحل.

وأثناء ممارسته لهذه المهنة كان يلاحظ بفكره الثّاقب، ونظرته الاستيعابيّة للحياة وما يدور حوله مدى ظلم الاستدمار الفرنسي ووحشيته، واستنزافه لطاقات البلد وقى الأهالي المسلمين الجزائريين في المنطقة، وهو الدّافع الذي شحن كيانه ووجدانه بطاقة وطنيّة تفجرت بعد ذلك في نشاطه السّياسي والثّوري.

انخرط في سن الرّابعة عشر في صفوف حزب الشّعب الجزائري، ونظرا لنشاطه وفاعليته الوطنيّة واالتّعبويّة عيّن مسئولا على قريته عام 1938، وعمره لم يتجاوز السّابعة عشر.

ترشح عام 1948 ببلديّة سمندو ضمن القائمة الانتخابيّة لحركة الانتصار وفاز رغم دسائس الاستعمّار وأعوانه وانخرط في المنظمة الخاصّة وأشرف على زرع خلاياها في منطقته، وعند اكتشاف أمر المنظمة 1950 سجن مع رفاقه بسجن عنابة، لا إنّه أستطاع الفرار منه والعودة إلى قريته ليبدأ رحلة التّخفّي والسّريّة، سنة 1953 أزداد اقتناعه بالعمل المسلّح كخيار وحيد لذلك راح ينظّم المناضلين ويعدّهم ليوم الثّورة خاصّة بعد إنشاء اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل"CRUA" ..

نجح يوم 08 ماي في تنظيم مظاهرات سلميّة بعد انتصار الحلفاء، ورفع العلم الوطني الذي خاطته زوجته وإحدى جاراتها ولافتات تحمل شعارات وطنيّة. رشح نفسه في قوائم البلديّة عام 1947، وأحرز فوزا ساحقا في تلك الانتخابات.

أصبح نائبا لرئيس بلديّة السّمندو من عام 1947 إلى عام 1949. كما كلف بتنظيم الجناح العسكري للمنظمة الخاصّة في بلدته، ولما اكتشف أمر المنظمة في مدينة تبسة عام 1950 اعتقل مع بعض رفقائه، ونقل المعتقلون إلى سجن مدينة عنابة.

بعد عدّة محاولات، وجهد كبير وعمل متواصل للفرا ر تمكن بعد خمس سنوات مع رفاقه من الفرار من السّجن، والالتّحاق بمنطقة الأوراس 21 جوان 1951، ، وبعد أن مكثوا مدة من الزّمن بالأوراس عادوا إلى منطقة قسنطينة، وواصلوا عملهم النّضالي إلى أن انقسم حزب حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطيّة عام 1953، فيأس من فشل العمل السّياسي وعمل جاهدا للتحضير الجاد للثورة واستغلال الجناح العسكري السّري بناحيته، متخذا منه الخليّة الأوّلى للانطلاق في العمل ضمن اللجنة الثّوريّة للوحدة والعمل، والتي تأسست 23 مارس 1954،

كان زيغود من بين الشّخصيات 22 التي فجرت الثّورة، وكلف بعد اجتماع المدنيّة بالعاصمة نائبا لقائد منطقة الشّمال القسنطيني ديدوش مراد.

مع اندلاع الثّورة كان من بين قادتها الأوائل تحت إمرة الشّهيد ديدوش مراد الذي خاض معه معركة وادي بوكركر في 18 جانفي 1955، وبعد استشهاد ديدوش مراد في هذه المعركة خلفه زيغود على رأس المنطقة الثّانيّة (الشّمال القسنطيني) وواصل بلاءه بتفان حتى جاء صيف 1955 أين أشرف على التّنظيم والإعداد لهجومات 20 أوت 1955، التي أعتبر مهندسها الأوّل، حتى اقترنت هذه الهجوميات باسمه. وإلى جانب نشاطه العسكري عرف ببراعته السّياسيّة إذ كان من بين المنظمين الفاعلين لمؤتمر الصّومام في 20 أوت 1956.

وقد لعب دورا هاما في الإعداد للمؤتمر الذي نظم بين 14 إلى 23 عام 1956، وأصبح عضوا دائما في المجلس الوطني للثورة الجزائريّة منذ تأسيسه عام 1956، والذي انبثق عنه مؤتمر الصّومام وهو أعلى هيأة للثورة، ورقي إلى رتبة عقيد قائدا للولايّة الثّانيّة شمال قسنطينة.

وبعد نهايّة المؤتمر عاد إلى الشّمال القسنطيني ليواصل جهاده، إذ عقد سلسلة من الاجتماعات مع المناضلين في ولايته لشرح قرارات المؤتمر، وإبراز أبعادها ومضامينها، وانتهى من هذه المهمّة 22 سبتمبر 1956 ليعود إلى مقر قيادته بوادي أزهور قرب الميليّة قبل أن يرحل إلى ولايّة لأوراس لشرح قرارات المؤتمر لمجاهدي الولايّة، وقضى ليلته بمنطقة الخربة قرب سيدي مزغيش بصحبة حوالي 15 مجاهدا،

في يوم 23 سبتمبر خرجت دوريّة عسكريّة من جنود الاحتلال الفرنسي، وتصادف أن التّقى الطّرفان في مواجهة، فوقع اشتباك بينهما أبلى فيه القائد زيغود بلاء حسنا إلى أن سقط في ساحة الوغى شهيدا مع ثلاثة من رفقائه .

باستشهاد هذا البطل المغوار أسدل السّتار على سجلاته البطوليّة الرّائدة، وترك وراءه تاريخا مشرفا بالبطولات والتّضحيات، ومنذها صار اليوم الذي استشهد فيه وهو 23 سبتمبر تاريخا للعبرة والاستذكار، حيث تقام النّدوات والملتقيات لإحياء بطولاته النّادرة، وصارت البلدة التي نشأ وترعرع فيها ورضع حليب الوطنيّة والتّمرد بلدة السّمندو تحمل اسمه فصارت تسمى زيغود يوسف، كما أطلق على غرار الكثير من عظماء الجزائر اسمه على العديد من المؤسّسات التّربويّة والثّقافيّة والمؤتمرات والأحياء الكبرى وغير ذلك.

باديس فوغالي

المصادر:

- معجم أعلم الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، الجزء الثّاني ص 143، 145. 146، 147.
- موقع عيون البصائر التّعليمي، شخصيات جزائريّة تاريخيّة مشهورة. elbassair.net.

يوغرطة/ ⵢⵓⵖⵔⵟⴰ: (ت: 160ق.م)

ملك نوميديا، وُلد سنة 160 قم في سيرتا، ابن (مستنبعل) أخّ الملك النّوميدي، وحفيد الملك (ماسينيسا)، وتوفّى سنة 104 قم، وقاد أشهر الحروب ضدّ الرّومان. وأشهر ما سجّل عنه أنّ له فحولة وقوّة بدنيّة أهّلته لقيادة الجيوش، واكتسب ذلك من ممارسة الفروسيّة وحرفة الصّيد للحيوانات المفترسة، وكان يترصّدها ويتابعها ويجدّ في ملاقاتها وجهاً لوجه، وإلاّ يرميها بالنّبال. وتشير الرّوايات بأنّ (يوغرطة) له مقام بين قومه، وكانت ذلك مبعث الحسد من قبل عائلته، كما سبّب له ذلك بعض العداء، وقد أراد عمّه الاستيلاء على الحُكم، فكان يرسله محارباً للمناطق التي لا أمل في عودته، مثلما أرسله لحصار (نومانتيا) في إسپانيا سنة 134ق.م ليخوض الحروب هناك مع الجيوش الرّومانيّة، وبرهن له عن شجاعة فائقة في القتال، ويعود منتصراً ولم يمت كما كان يُتوقّع له. كما تشير الرّوايات بأنّ له حكمة في المصالح المرسلة، وحكمة في المعاملات البينيّة مع شيوخ روما، وهذه الحكمة أكسبته سمعة أخرى لدى الرّومان الذين لا يريدون التّفوّق. ولكن هذه الحكمة هي حسن القيادة التي جعلته يسيّر أحداث دولة نوميديا المنتشرة بدهاء وعقل سليم، وكلّ ذلك أدّى به إلى الخروج من الحروب الأهليّة في مملكة نوميديا، بتقاسم السّلطة مع ولدي عمّه: (حفصبعل+ وعزربعل) كما عمل بحكمته تلك على توحيد نوميديا، وأنقذها من النّفوذ الرّومانيّ. ومع ذلك يشتدّ الصّراع العائليّ على الحكم، فيخرج له (عزربعل) عدواً، ويتحالف (حفصبعل) مع الرّومان، ويستوليان على عاصمته (سيرتا) وعندما مات (مكيبسا) قام (يوغرطة) بقتل (حفصبعل) وذلك لشعوره بالإهانة عندما تحالف مع الرّومان، لكنّ أخاه (عزربعل) اشتكى (يوغرطة) لمجلس الشّيوخ الرّوماني، فتحالف معه الرّومان، فتقسّمت المملكة النّوميديّة من جديد بينهما، وأخذ (يوغرطة) الجزء الغربي من نوميديا. وأمام هذا الصّراع العائليّ حول الحكم، بدأ يحيط نفسه بجيوش قويّة، حتى استعاد الحكم في العاصمة (سيرتا) ثم أمر بقتل (عزربعل) وأتباعه في أسوار العاصمة سنة 113 ق.م، وقَتَلَ التّجار الرّومانيين، وهناك فزع الرّومان لهذا، وعرفوا بأن (يوغرطة) يتحدّاهم ويريد تأسيس مملكة نوميديّة قويّة من جديد؛ قائمة على النّفوذ الذي كسبه من المستشارين والشّيوخ.

يوغرطة بطل من أبطال المازيغيين الأوائل، وهو من الذين يُسجّل عليهم التّاريخ إنّه لم يهادن الرّومان لمدّة سبع (7) سنوات، وكان شجاعاً ينتقل بجيشه من مدينة لأخرى؛ فاتحاً أو كاسراً أو مدمّراً، وذاع صيته في مختلف الممالك، وبخاصّة ملك موريتانيا، وخضع له مقاوماً الرّومان، ولذلك تعزّزت قوّته، وقويت شوكته، وأرعب الرّومان الذين أعدّوا له خطّة عن طريق صهره (بوكوس) الذي تآمر عليه، عندما ذبحوا كلّ ساكنة الرّيف الذين يستطيعون حمل السّلاح، وهنا اشتكى السّكان من هذا الفعل، وعدّوه تقصيراً في شخص (يوغرطة). ولكن صهره الذي أظهر له الولاء، أصبح يكنّ له العداء، وأعلن عليه الحرب بمساعدّة الرّومان. ودامت الحرب مدّة ولم تضع أوزارها، وكره الأتباع استمرّاريتها الدّائمة، ممّا جعله يفشل في حرب تلو الأخرى. وأمام ذلك لم يستسلم، فهو محارب شرس، لكن (بوكوس) أغراه بمال في حال تخلّيه عن الحكم، واستدرجه إلى كمين، وقبض عليه ووضعت الأغلال في رجليه، وسلّمه للقائد الرّوماني (سولا) سنة 104 قم . يقاد القائد البطل سيراً على الأقدام إلى (روما) في موكب بُؤس، وفي الطّريق يصارع الجنود الذين يعملون فيه أبشع صور التّعذيب، وهو محاط بالأغلال، ولكنّه يأبى الاستسلام، ويؤخذ إلى السّجن عاليَ الرّأس. وما يمكن أن يكون له من وسم إنّه لم يبع نفسه لروما كفعل أبناء عمومته، وهذه صورة حيّة ترسّخت في ذهن الجزائريين أنّ (يوغرطة) بطل في ذاكرة الشّعب الجزائري، ورمز لمكافحة الاستعمّار.

صالح بلعيد

يحيى آغا
(1212هـ - 1798م، 1253 هـ - /1838م)

قائد الأسطول الجزائري يحيى آغا، والذي قضى نحبه بعد أن أصدر الداي حسين في لحظة طيش قرارا بإعدامه ثم ندم على ذلك أشد الندم، والسبب في اتخاذ الداي هذا القرار القاسي هو إقدام رجال من حاشيته على الوشايا بالقائد يحيى ودس الأكاذيب عنه لدى الداي، مما أوغروا صدره عليه رغم كونه صهره وزوج ابنته الكبرى، وخوفا من تدهور الأمور وانفلاتها قرر الداي وضع حد لحياة قائده الذي اشتهر بذكائه وحنكته في تسيير شؤون الجيش، وحتى في تسيير شؤون البلاد، مثلما يجمع مؤرخو سيرته رغم قلة ما دونوه عن هذا الرجل الفذ.

وفي الحقيقة إن مقتل القائد العسكري يحيى آغا كان مقدمة لمرحلة خطيرة ستعيشها الجزائر لفترة طويلة تزيد عن القرن وربع القرن، كما أن تصفية هذا العسكري المتميز جاءت كنتيجة حتمية لما آلت له أوضاع الحكم في الجزائر إبان الداي حسين، الذي تسارعت الأحداث وتجاوزته، الأمر الذي لم يعرف كيف يحتاط لها و يتداركها في الوقت المناسب، وزد على ذلك تحالف قوى العدو المسيحية من أجل وضع حد حاسم للأسطول الجزائري الذي عرف بقوته الجبارة طوال 300 سنة كاملة، ولم تستطع أي دولة مهما كانت عظيمة وقوية دحر هذا الأسطول ومن بين تلك القوى فرنسا التي تعد أقوى دولة ديمغرافيا في القرن التاسع عشر، وحتى اقتصاديا، وكذلك بريطانيا التي اشتهرت بأسطولها الذي احتلت به دولا وأراضي منتشرة على جميع قارات العالم، وكذلك إسبانيا التي اكتشفت أمريكا وحطمت حضارات عظمى مثل الإنكا والإزتك والبرتغال أيضا وهولندا وألمانيا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وبلدان أخرى.. كل هذه الدول مجتمعة لم تقهر الأسطول الجزائري الجبار وتفرد بانتصاراته المتتالية على جيوش تلك الأمم جميعا وهذا طبعا راجع إلى حنكة وألمعية قادته من أمثال يحيى آغا، الذي نحاول هنا التعريف بشخصيته الفريدة من نوعها.

ولد يحيى آغا بمدينة قرة دانيز إرغلي التركية Kara Deniz المطلة على البحر الأسود ولهمته ونشاطه وحزمه صار الرجل الثاني في تسيير شؤون الجزائر المحروسة بعد الداي حسين وذلك لمدة 10 سنوات وتحديدا من 1818 إلى غاية 1828م وحسب الدكتور نبيلة بن يوسف التي كتبت عن سيرته، فإن القائد يحيى آغا " ارتقى في السلك الإداري من جندي بسيط إلى يولداش بثكنة باب عزون بالجزائر العاصمة ووصل إلى منصب خزندار لعمر باشا 1815م، وبعدها أصبح قائدا لمدينة بوفاريك. وبعد تولي الداي حسين باشا ولاية الجزائر العاصمة عام 1818م ارتقى يحيى آغا إلى قيادة الجيش وإدارة دار السلطان إلى غاية 1828م، وتوطدت العلاقة بينهما لما تزوج يحيى آغا الابنة الكبرى للداي.

اكتسب سمعة شريفة لدى سكان الجزائر نسبة لعدله في التوزيع وإحسانه للضعفاء والذود عنهم ضد كل من يسيء إليهم.

شجع السكان على الزراعة والرعي وتربية الحيوانات لاسيما في الأحراش (البايلك) الذي أشرف عليهم شخصيا (موزاية والحراش، بن عمار والرغاية ويسر..) حتى أضحت مزارع نموذجية، فلقد ضم حوش الرغاية وحده ما لا يقل عن 200 حصان من السلالات الأصلية.

وبوركت هذه الأعمال حتى من طرف الأجانب منهم قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر "شالير" Shaler الذي كتب في مذكراته عام 1822م يشيد بيحيى آغا وبخصاله الحميدة".

ويقول عنه نقيب الأشراف محمد الشريف زهار المؤرخ المعروف للفترة العثمانية في الجزائر "ويحيى آغا هذا هو أحسن رجال تلك الدولة عقلا ومعرفة" أما عن الآغا الذي خلفه بعد إعدام الآغا يحيى فيقول عنه المؤرخ ذاته "والذي تولى بعده مثله مثل الحمار، لا يعرف إلا الأكل والنكاح"! ومن هنا ندرك مدى الخطأ الجسيم الذي اقترفه الداي حسين بعد تسرعه في القضاء على واحد من أحسن قادة جيشه شجاعة ومعرفة بأصول الحرب وأسرار ميادين القتال وتقنيات المواجهة مع العدو مهما كانت صفته ومنزلته.

وحسب الأستاذ محمد عباس فإن عزل ثم إعدام القائد يحيى آغا جاء في سياق القضاء على الجيش الانكشاري الذي ازدادت نزواته وتجاوزاته المتكررة وشكاوى السكان منها، مما أوجب وضع حد لهذا الجيش وإحلال جيش نظامي جزائري حديث ومتكامل، غير أن قلة خبرة هذا الجيش النظامي وتهاون الداي حسين في الاستماع إلى نصائح وتحذيرات الكثير من الأطراف ومنها الباب العالي، بوجوب التخلي عن نظام القرصنة والاسترقاق وكذا بذل المزيد من الجهود في تحصين الشواطئ الجزائرية التي صارت عرضة للعديد من المناوشات والتهديدات الجدية، خاصة من طرف الفرنسيين، كل هذا عجل بانهزام الأسطول الجزائري في معركة نافارين الشهيرة التي تحالفت فيها ضد الجزائر كل من فرنسا وروسيا وبريطانيا معا .

وبعد هذا الاستنزاف للقوى البحرية الجزائرية سارعت فرنسا لاستغلال الوضع وأرسلت جيشها لاحتلال الجزائر في مدة زمنية قصيرة، بالنظر إلى الإنهاك الذي تعرض له الأسطول الجزائري وضعف تقييم الداي لجدية العدو الفرنسي هذه المرة الذي قدم مصرا على تحقيق أهدافه الإجرامية، ورغم المقاومة والبسالة الشديدة التي أبداها المقاتلون الجزائريون في البحر وفي ميدان المعركة، إلا أن الغلبة كانت في كفة جيش العدو الذي إلى وقت قريب كان يتلقى الصفعات تلو الصفعات ولا يقوى حتى على الرد اللفظي فما بالك في ميدان المعركة.

وفي هذا الصدد يسرد الأستاذ محمد عباس تفاصيل هذا الحدث المشؤوم بالقول :" طبق العدو في هجومه الزاحف على عاصمة الإمارة نفس الخطة التي نصح بها

مما أوجب وضع حد لهذا الجيش وإحلال جيش نظامي جزائري حديث ومتكامل، غير أن قلة خبرة هذا الجيش النظامي وتهاون الداي حسين في الاستماع إلى نصائح وتحذيرات الكثير من الأطراف ومنها الباب العالي، بوجوب التخلي عن نظام القرصنة والاسترقاق وكذا بذل المزيد من الجهود في تحصين الشواطئ الجزائرية التي صارت عرضة للعديد من المناوشات والتهديدات الجدية، خاصة من طرف الفرنسيين، كل هذا عجل بانهزام الأسطول الجزائري في معركة نافارين الشهيرة التي تحالفت فيها ضد الجزائر كل من فرنسا وروسيا وبريطانيا معا .

وبعد هذا الاستنزاف للقوى البحرية الجزائرية سارعت فرنسا لاستغلال الوضع وأرسلت جيشها لاحتلال الجزائر في مدة زمنية قصيرة، بالنظر إلى الإنهاك الذي تعرض له الأسطول الجزائري وضعف تقييم الداي لجدية العدو الفرنسي هذه المرة الذي قدم مصرا على تحقيق أهدافه الإجرامية، ورغم المقاومة والبسالة الشديدة التي أبداها المقاتلون الجزائريون في البحر وفي ميدان المعركة، إلا أن الغلبة كانت في كفة جيش العدو الذي إلى وقت قريب كان يتلقى الصفعات تلو الصفعات ولا يقوى حتى على الرد اللفظي فما بالك في ميدان المعركة.

وفي هذا الصدد يسرد الأستاذ محمد عباس تفاصيل هذا الحدث المشؤوم بالقول :" طبق العدو في هجومه الزاحف على عاصمة الإمارة نفس الخطة التي نصح بها قنصل نابولي: احتلال المرتفعات، وإقامة تحصينات وخنادق بها، لصد الهجمات المضادة، والتقدم من ربوة إلى أخرى على نفس النسق.

أمام هذا الهجوم الزاحف الكاسح على العاصمة، قرر الداي على عجل تجهيز برج مولاي الحسن بأعلى القصبة.. ويخبرنا الشاهد أن حكام الجزائر يومئذ كانوا يخشون هذه القلعة، لموقعها هذا بالذات، فأهملوها تقريبا.. فرغم أهميتها لم يكن بها غير 10 مدافع صغيرة، ونحو قنطارين من البارود وقرابة 200 كرة قذيفة. لكن العدو أدرك جيدا قيمة الموقع فتقدم منه، وأقام تحصينات قبالته في مرتفع أعلى منه، وصوب نحوه أكثر من 200 مدفع، وأخذ يقصفه من آخر الليل، حتى ما بعد شروق اليوم الموالي.. إلى أن تهدم البرج، واضطر الخزناجي إلى الانسحاب منه، بعد نسف ما بقي منه.

وكان القصف من جهة البحر بمدافع السفن، ويصف الشاهد كثافة هذا القصف بقوله: "كنت أرى من برج مولاي الحسن الكور ينزل مثل المطر الغزير".

تمكن العدو في نهاية الأمر من احتلال هذه القلعة، "ومن أخذها أخذ المدينة " كما يقول الشاهد. وفي هذا الظرف العصيب، تمكن أعيان الجزائر من الاتصال سرا بقائد الحملة الجنرال دي بورمون، وعرضوا عليه تسليم المدينة.

وفي نفس الوقت أو بعده بقليل، اتصل الداي بدوره، طالبا الأمان لنفسه وأهله وماله.. قبل أن يطلب أهل البلد الأمان في نفوسهم وأموالهم، مقابل تسلم البلاد بدون قتال.. شاع هذا الخبر بسرعة البرق، فبدأ الجنود في الفرار تحت جنح ظلام نفس اليوم..

وهكذا أسقطت مدينة الجزائر في 5 يوليو 1830، وبدأ مع سقوطها ليل الاستعمار الفرنسي الطويل.. أما الداي حسين الذي أوصل البلاد إلى تلك الوضعية، فقد غادر مدينة الجزائر رفقة زهاء 120 من العسكر الأتراك.. ونزل بعض الوقت في مدينة نابولي (الإيطالية)، ثم استقر بالإسكندرية حيث وافاه الأجل سنة 1838، وهو في 72 من العمر".

ومهما يكون من أمر فإن الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها الداي حسين ومن بينها إعدامه لقائده العظيم يحيى آغا وتهاونه في تطبيق جملة من النصائح الهامة وخاصة فيما يتعلق بتحصين الثغور والمواقع الإستراتيجية، إضافة إلى توافر عوامل أخرى منها التي ذكرنا وهي استنزاف قوى البحرية الجزائرية حامية البلاد من اعتداءات الدول الأوروبية وتحرشاتها ،إضافة إلى بروز بعض الفتن الداخلية وتمرد بعض القبائل وتفكك الجيش الانكشاري كل هذا عجل بسقوط الجزائر في يد مستعمر غاشم وظالم نهب خيرات البلاد وذبح أهلها في حملات دامية ستظل وصمة عار في صفحات التاريخ الإنساني.

رشيد فيلالي

المصادر

1. ويكيبيديا الموسوعة الحرة اخر ولوج 2021

يوسف بوشوشي
(1358هـ - 1939م/1438هـ - 2017م)

هولد المخرج والمصور والكاتب السينمائي الجزائري الكبير يوسف بوشوشي بمدينة القصر، التّابعة لولاية بجاية (الناصرية) بتاريخ 25 نوفمبر 1939 درس الطفل يوسف المراحل الأولى من تعليمه الابتدائي، والمتوسط في مدينة القصر، ثم انتقل إلى الثانوية التقنية بالعاصمة وهي مازالت تحت حكم الاحتلال الفرنسي و بداية من سنة 1956 و بحكم نشاطه في الكشافة الإسلامية انضم يوسف إلى المنظمة المدنية التابعة لجبهة التّحرير الوطني، وفي مطلع عام 1961 أي عام قبل الاستقلال، التحق الشاب يوسف بمؤسسة الإذاعة و التلفزيون الفرنسي(RTF) والتي تم إنشاؤها سنة 1956م في باريس.

ومن محاسن الأقدار أن هذه المؤسّسة جمعته بكبيرين في فنّ الإخراج مصطفى بديع ومدني إسماعيل.

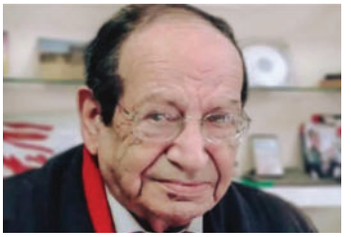
وبعد الاستقلال كان المخرج يوسف بوشوشي من أبرز المصورين الذين قاموا بتصوير الفرحة العارمة للجزائريين وهم يحتفلون بعيد الاستقلال في شهر جويلية من عام 1962م، ويجوبون الشّوارع وهم يلوحون بالرّاية الوطنية ويصرخون تحيا الجزائر مصحوبة بزغاريد النسوة وصيحات الأطفال.

وفي نهاية شهر أكتوبر وبالضبط بتاريخ 28 أكتوبر 1962، قامت الإطارات الجزائرية التي عملت لدى مؤسّسة الإذاعة و التلفزيون (RFF) الفرنسي، وذلك بالتعاون مع بعض فنيّ جيش التحرير الوطني، ببسط سيطرتهم على المؤسّسة و التي غيرت تسميتها فيما بعد إلى الإذاعة و التلفزيون الجزائري (RTA).

وبداية من سنة 1967 أصبح يوسف بوشوشي اسما لامعا في عالم الإخراج والتصوير خصوصا بعد المشاركة الفعالة التي جمعته بالمخرج الإيطالي الكبير (جيلو بونتيكورفو) وذلك في فيلمه الشهير "معركة الجزائر" الذي حصد الكثير من التكريمات والجوائز العالمية.

انطلق بعدها المخرج بوشوشي في إخراج مجموعة من الأفلام والأشرطة الوثائقية مع المؤسّسة الوطنية للصناعات السينمائية وأخرى خاصّة بالتلفزيون الجزائري، وفيما يلي نورد قائمة تضم أهم أعماله وأفلامه:

1- المناطق العالية من الثورة (Les Hauts lieux de la révolution)
2- الهجرة النبوية (El Hidjra du prophéte Mohamed)
3- سليم وسليمة (Salim et Salima)
4- صناعة الديون (L'industrie de la dette)
5- السياحة الكبرى (Le grand tourisme)
6- Labour des terrains déminés
7- المشاريع الكبرى أرزيو 1971 (Les grands projets d'Arzew)
8- لا بياض في الصفحة الأولى (Pas de blanc à la une)
9- Les retrouvailles
10- فيلم بوليسي(al17)
11- Qui est le coupable
12- المولد النبوي الشريف ، عادات و تقاليد تيميمون (El mawlid ennabawi coutumes et traditions à Timimoun.)
13- ولد الحومة (Ould el houma)



14- الجنوب الكبير حصة للتلفزيون سنة 1993 (Le grand sud)
15- فنتازيا سلسلة تلفزيونية فكاهية سنة 2000 (FANTASIA)
16- الجارة فيلم لغوتي بن ددوش. (Ghaouti bendedouche la voisine)
17- إنحراف العدالة نصوص للسيدة ليلى عسلاوي(Dérives de justice)
18- من سوف يحميكم سنة 2005 (Qui va vous protéger)
19- ثمن الحرية أعد من أجل تظاهرة سنة الجزائر عاصمة للثقافة العربية(Le prix de la liberté).

دون أن ننسى حصته الشّهيرة نادي السّينما التي كان يقدمها الأستاذ الكبير أحمد بجاوي، و قد تمّ تكريمه من طرف الرّئيس الرّاحل عبد العزيز بوتفليقة في سنة 2003 في مدينة وهران ولم ينقطع بعد وفاته إبداعه على اعتبار أن ابن الفقيد يوسف بوشوشي هو المخرج الكبير أيضا لطفي بوشوشي الذي يعتبر خير خلف لخير سلف حيث قدم هو الآخر عدّة أفلام على غرار فيلم البئر عام 2015 الذي رشح لجائزة أفضل فيلم أجنبي الأوسكار و نال في المدينة السّويديّة مالمو جائزة الفيلم العربي في طبعته السّادسة وبهذا تستمر رحلة الإبداع الفني من جيل إلى جيل، فرحم الله يوسف بوشوشي الذي غادرنا إلى دار البقاء في 29 جويلية2017م عن عمر ناهز 77 سنة.

عبد الحكيم بحري

المصادر

1. كتاب CASBAH (ACHOUR CHEURFI) Dictionnaire du Cinéma Algerien et des films étrangers sur l'algerie .EDITIONS

أرشيف السيد عبد الحكيم بحري (لقاء مع السيد عبد الغني مهداوي وحوار مع السيد فيصل الشريف).

يزيد (نورالدين) زرهوني
(1355هـ -1937م/ 1441هـ - 2020م)

اسمه الكامل والحقيقي هو نور الدين زرهوني وقد اشتهر وعرف باسم يزيد زرهوني، كما أن "يزيد" كان اسمه الثوري الذي اشتهر به خلال حرب التحرير الوطنية، وصار بعدها لصيقا به مثل اسمه الأصلي، انتمى لحزب التحرير الوطني وانخرط في العمل السياسي والعسكري مبكرا، كما شغل منصب وزير الداخلية في 14 حكومة لمدة تزيد عن 10 سنوات ثم انسحب من النشاط السياسي لأسباب صحية.

ولد يزيد زرهوني بمدينة طبرقة في تونس بتاريخ في 5 سبتمبر عام 1937 وتعود أصوله العائلية إلى مدينة ندرومة بولاية تلمسان الواقعة على الحدود الغربية للجزائر، وقد أمضى طفولته الأولى وتعليمه في مدينة فاس المغربية.

حصل من فاس على شهادة الباكالوريا وكان ذلك في عام 1955 وهي سنة نفسها التي انتسب فيها لحزب جبهة التحرير الوطني والتحق بالثورة.

وقد عرف عن يزيد زرهوني جديته وصرامته وذكاؤه الحاد، وبعد أن لاحظ عليه هذه الصفات عبد الحفيظ بوصوف ضمه في 1958، إلى وزارة التسليح والاتصالات العامة التي تم استحداثها في الحكومة الجزائرية المؤقتة إبان الثورة، أو ما يعرف بـ جهاز "المالغ"أي جهاز المخابرات بالقواعد الخلفية بالمغرب

وخلال العام نفسه، كلف بتسيير عملية إنشاء مديرية التوثيق والأبحاث بالوزارة (أعلن تشكيلها رسميا بالقاهرة في سبتمبر 1958)، ليتم تعيينه لاحقا لتسيير مصالح جهاز المخابرات الذي قضى فيه سنوات طويلة .

وفي سنة 1961، شارك ضمن الوفد الجزائري في مفاوضات إيفيان بصفته خبيرا عسكريا يومها .

وبعد الاستقلال عمل في قسم العمليات في الجهاز. وفي سنوات السبعينات شغل موقعا في قسم التحاليل والتوثيق في الجهاز نفسه. ثم غادره .

وبعدها عينه الرئيس هواري بومدين لرئاسة أجهزة المخابرات في جيش التحرير الوطني قبل أن يصبح مسؤولاً عن (الخدمات العملياتية) للأمن العسكري. ليصبح واحدا من أقرب مساعدي العقيد قاصدي مرباح مدير المخابرات يومها ، وشغل رئيس ادارة المخابرات سنة 1979 الى غاية سنة 1982

وقد تم تعويضه من طرف الرئيس الشاذلي بن جديد بالعقيد محجوب لكحل عياط عام 1982 حيث غادر زرهوني قطاع المخابرات الذي عمل على تطويره وإصلاحه وترك فيه بصماته الشخصية، ليلتحق على إثر ذلك بالعمل الدبلوماسي، حيث اشتغل في منصب سفير للجزائر في عدة عواصم في العالم من واشنطن إلى مكسيكو ثم سفيرا فوق العادة مفوضا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في طوكيو لدى إمبراطورية اليابان إلى غاية31 ديسمبر من عام 1991م.

وعند تولي عبد العزيز بوتفليقة رئاسة الجمهورية ، عهد إليه هذا الأخير بتنظيم قمة منظمة الوحدة الإفريقية التي انعقدت في الجزائر.

وفي عام 1999 م عينه وزيرا للدولة ووزيرا للداخلية والجماعات المحلية، وهو المنصب الذي شغله ضمن حكومات متعاقبة حتى عام 2010م.

خضع نور الدين يزيد زرهوني في ديسمبر 2005 ، لعملية جراحية مستعجلة على مستوى الكلى، وبسبب حدوث مضاعفات صحية أجبر على الانسحاب من المشهد السياسي، لكن بعد استرجاعه لعافيته وفي 28 ماي من سنة 2010 تحديدا عين نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، وكان أول من شغل هذا المنصب بعد التعديل الأخير للدستور عام 2008 . ومن جراء شعوره بالتعب وإحساسه بعدم القدرة على الاستمرار في العمل السياسي، سلّم بعدها منصب وزارة الداخلية إلى وزير الدولة المسؤول عن السلطات المحلية واليد الأيمن له على مدى سنوات دحو ولد قابلية، قبل أن يختفي من الساحة السياسية نهائيا، إلى أن توفاه الأجل بعد مرض عضال أقعده الفراش في 18 ديسمبر من عام 2020 م عن عمر ناهز 83 عاما، وذلك عقب نقله إلى مستشفى عين النعجة العسكري ودفن بمقبرة العاليا في الجزائر العاصمة

رشيد فيلالي

المصادر

1 .الموسوعة الحرة ويكيبيديا 2021

2 .وكالة الانباء الجزائرية الموقع الرسمي

3 .جريدة القدس العربي مقال رضا شنوف 18 ديسمبر 2020



الفهرس

دليل تشفير بعض الرموز و الاصوات المعمول بها دوليا	V
قائمة شفرة القراءة السريعة	VII
تنويه	IX

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
1	عاشور الخنگي	رابح دوب	13
2	عاشور زيّان	عمر عاشور	14
3	عائشة حدّاد	آمنة بلّعلى	16
4	عائشة عجوري (كلثوم)	سناء رمضاني	18
5	عائشة غطّاس	عبد الناصر بوعلي	18
6	عباس بن حمانة	ناصر بالحاج	20
7	عبّاس فرحات	باديس فوغالي	21
8	عباس لـغرور	نبيل دادوة	23
9	عـبد الحفيـظ الخنقي	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	24
10	عـبد الحفيـظ بوالطين	عبد الناصر بوعلي	25
11	عبد الحفيظ امقران الحسني	محمّد الصّالح آيت علجت	27
12	عبد الحفـيظ بدري	رابح دوب	29
13	عبد الحفيظ سعيد (الشّهيد الصّائم)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	30
14	عبد الحفيظ صويلح الجنّان	رابح دوب	32
15	عبد الحقّ بن ربيع بن أحمد بن عمير (الأنصاري)	عبد الحميد هيمة	33
16	عبد الحلـيم بن سمايّة	رابح دوب	34
17	عبد الحقّ بن عبد الرّحمن الاشبيلي البجائي	عامر بغدادي	36
18	عبد الرّحمن رابحي (القندسي)	عبد الرحمان بدوي	37
19	عبد الغني نوبلي	عبد الرحمان بدوي	38
20	عبد الكاظم العبودي	نورالدين السد	38

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
21	عبد الـمجيـد الشّافعي	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	40
22	عبد الحميد بن باديس	باديس فوغالي	42
23	عبد الحميد بن زين	رابح دوب	44
24	عبد الحميد بن موسى	محمد بوعزارة	45
25	عبد الحميد بوتمجت	سناء رمضاني	47
26	عبد الحميد رحمون	الطيب دبّة	48
27	عبد الحميد كرمالي	أمينـة طيبي	49
28	عبد الحمـيد معيـزة	رابح دوب	51
29	عبد الحميد مهري	باديس فغالي	52
30	عبد الرّحمن الأخضري	صالح بلعيد	53
31	عبد الرّحمن الثّعالبي	صالح بلعيد	54
32	عبد الرّحـمن الجيلالي	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	55
33	عبد الرّحـمن الحاج صالح	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	57
34	عبد الرّحمن العايب	رابح دوب	59
35	عبد الرّحمن بن العگون	رابح دوب	60
36	عبد الرّحمن بن خلدون	صالح بلعيد	61
37	عبد الرّحمن بن رستم	عامر بغدادي	63
38	عبد الرّحمن بن عبد الله الهمذاني الوهراني	عامر بغدادي	64
39	عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الرّحمن اليَعْقوبي	عبد النّاصر بوعلي	65
40	عبد الرّحمن بن عمر بن عيسى بكلّي (البِكرِي)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	67
41	عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله التّلمساني	عامر بغدادي	69
42	عبد الرّحمن بوشامة	مريم بحشاشي	70
43	عبد الرّحـمـن زناقي	مـحمد سيف الإسلام بـوفلاقـة	71
44	عبد الرّحمن شيبان	إبراهيم منڤلاتي	73
45	عبد الرّحمن طالب (الشهيد)	صالح بلعيد	75
46	عبد الرّحمن طالب	حبيب بوزوادة	76
47	عبد الرّحمن عمراني (دحمان الحرّاشي)	أمال روابح	78
48	عبد الرحمن فارس	عبد الله عثامنية	79
49	عبد الرّحمن كيوان	رابح دوب	81
50	عبد الرّحمن ميرة	إسمـاعيل ميرة	82
51	عبد الرّزاق بن تركيّة	رابح دوب	84
52	عبد الرّزاق بن حمادوش	عامر بغدادي	85

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
53	عبدالرّزاق بوحارة	رابح دوب	86
54	عبد الرّزاق شنتوف	رابح دوب	88
55	عبد الرّشيد مصطفاي	رابح دوب	89
56	عبد السّلام الـجزائري	رابح دوب	91
57	عـبد السّلام بـوشارب	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقة	93
58	عبد السّلام سلطاني	محمد مدور	94
59	عبد العالي بن بعطوش	صالح بلعيد	96
60	عبد العزيز الثّعالبي	صالح بلعيد	97
61	عبد العزيز بجاجة	سلمى بحشاشي	99
62	عبد العزيز بن إبراهيم الثميني (ضياء الدين)	يحيى بن بهون حاج امحمد	100
63	عبد العزيز بن السّعيد	سعيد النّعمي	101
64	عبد العزيز سيدي عمر	رابح دوب	102
65	عبد العزيز لعميد	عاشور توامة	103
66	عبد القادر الخالدي	حبيب بوزوادة	105
67	عبد القادر السّنوسي (سيدي دحو بن زرفة)	حبيب بوزوادة	107
68	عبد القادر القاسمي	محمد بسكر	108
69	عبد القادر المبارك	عامـر بغـدادي	109
70	عبد القادر المجاوي	سوميّة أولمان	110
71	عبد القادر المشرفي	حبيب بوزوادة	112
72	عبد القادر الياجوري	بشير خلف	114
73	عبد القادر بلعربي	كريم ولد النبيّة	115
74	عبد القادر بن إبراهيم المسعدي	عامر بغدادي	116
75	عبد القادر بن الشّريف الدّرقاوي	عامـر بغـدادي	118
76	عبد القادر بن محمّد الرّاشدي	عامـر بغـدادي	119
77	عبد القادر تومي سياف	محمد غرناوط	120
78	عبد القادر حساني	سليمة شعيب	121
79	عبد القادر دلاوي	محمد بسكر	123
80	عبد القادر علولة	صالح بلعيد	124
81	عبد القادر غفايريّة	رابح دوب	126
82	عـبـد الـقـادر نُـور	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	127
83	عبـد الكافـي بـن أبـي يعقـوب يوسـف بـن محمـد التناوتـي الوارجلانـي (أبـو عمـار)	يحيى بن بهون حاج امحمد	129

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
84	عبد الكريم العگون	عامـر بغـدادي	130
85	عبد الكريم بن محمّد الفكّون القسنطيني	رويسات محمّد	131
86	عبد الكريم بوصفصاف	باديس فوغالي	132
87	عبد الكريم دالي	سناء رمضاني	134
88	عبـد اللطيف الصّوفي	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	135
89	عبد اللطيف سُلْطاني	صالح بلعيد	137
90	عبد الله أبو عنان التّلمساني	رابح دوب	139
91	عبد الله بن إبراهيم (أبو العُلا)	يحيى بن بهون حاجّ امحمد	141
92	عبد الله بن العباس	صرهودة يوسفي	141
93	عبد الله بن سعد بن أبي سرح	عامـر بغـدادي	143
94	عبد الله بن محمَّد بن عبد الله كُنطَابْلي	يحيى بن بهون حاج امحمد	144
95	عبد الله بن محمّد بن أحمد الشريف الحسني التّلمساني	عبد الكريم حمو	145
96	عبد الله بن محمد بن عمر القلعي	البشير بوقاعدة	146
97	عبد الله بن محمّد بوراس (الكَامِلي)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	148
98	عبد الله بن يـس الجزولي	عامـر بغـدادي	150
99	عـبد الله خليفـة ركيبي	محمّد سيف الإسلام بـوفـلاقـة	151
100	عبد الله شريّط	صالح بلعيد	153
101	عبد الله بن كريو	كريم ولد النّبيّة	155
102	عبد الله محمّد بن الآبار القضاعي البلنسي	سعيد بحري	156
103	عبد المالك سوهالي	طارق ثابت	158
104	عبد المالك قيطوني	رابح دوب	159
105	عبد المجيد حبّة	التّيجاني العـگون	161
106	عبد المجيد عبد الصّمد	طارق ثابت	162
107	عبد المجيد مرداسي	يزيد سلطان	163
108	عبد المجيد مزيان	عبد النّاصر بوعلي	164
109	عبد الملك فضلاء	عبد الحميد عبد الملك فضلاء	165
110	عبد المؤمن بن علي أبو محمّد القيسي الكُومي	أحمد عزوز	167
111	عبيدي محمّد الطّاهر (الحاج لخضر)	سناء بوختاش	168
112	عبد الوهاب حمودة	محمّد الصالح آيت علجت	169
113	عتبة الجيلاني بن عبد الحكم	كريم ولدالنّبيّة	171
114	عثمان بالي	سناء رمضاني	172
115	عثمان بن حدو بوحجر (العقيد سي عثمان)	إسماعيل ميرة	174

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
116	عثمان لوصيف	رابح دوب	175
117	عدّة بن غلام الله	سناء رمضاني	177
118	عـثمان مـدور	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	178
119	عربيون ماسينيسا بن مصانسيس	كريم ولد النّبية	181
120	عزّ الدين الحسيني الجزائري	رابح دوب	182
121	عزّ الدّين عباسي	إسمهان ميزاب	183
122	عزّ الدّين مجوبي	سناء رمضاني	184
123	عطا الله كزواي	رقية بن سعد	185
124	عطيّة مسعودي	عامـر بغـدادي	186
125	عـطاء الله دهينة	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	188
126	عفيف الدّين التّلمساني	عامـر بغـدادي	189
127	عقبة بن نافع الفهري	عامر بغدادي	191
128	علي ابن حمزة بن والي	أمينة طيبي	192
129	علي البوديلمي	رابح دوب	193
130	علي الحمّامي	آمنة بلّعلى	194
131	علي الكنز	يزيد سلطان	196
132	علي النّمر	رابح دوب	197
133	علي باشا الحسيني الجزائري	رابح دوب	199
134	علي بن أحمد سُلطاني	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	200
135	علي بن الحاجّ موسى الجزائريّ	ياسمينة زمولي	201
136	علي بن الحفاف	رابح دوب	202
137	علي بن القيم الـگماري السّوفي	محمّد بن عمّار ماني	204
138	علي بن سعـد (خيران)	بشير خلف	205
139	عـلـي خلّاصي	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	206
140	علي بن صالح (أبو الحسن)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	208
141	علي بن عبد الرّحمن بن محمّد بن والي الدزيري	بن الدين بخولة	210
142	علي بن عتيق الخزرجي	تسعديت لحول	211
143	علي بن عثمان المنگلاتي الزّواوي	عامـر بغـدادي	213
144	علي بن عثمان بن علي الطّولگي	تسعديت لحول	214
145	علي بن عمران بن موسى الملياني	تسعديت لحول	215
146	علي بن عيسى التّماسيني	عامـر بغـدادي	216
147	علي بن عيسى المغربي	كريمة نعلوف/ تسعديت لحول	217

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
148	علي بن فاتح أبي نصرالي	تسعديت لحول	218
149	علي بن محمّد التّالوتي الأنصاري التّلمساني	زكيّة مهنة	219
150	علي بن محمّد الزواوي	كريمة نعلوف/ تسعديت لحول	221
151	علي بن محمّد الميلي الجمالي	عبد الكريم حمو	222
152	علي بن مصطفى أبو طالب الإغريسي	تسعديت لحول	223
153	علي بن يحي السّلكسيني أگادير التّلمساني	تسعديت لحول	224
154	عبان رمضان	نبيل دادوة	225
155	عياض البوعبدلي	عامر بغدادي	227
156	علاوة بوغريرة	محمد سيف الاسلام بوفلاقة	228
157	عبد الحميد الابراهيمي	عامر بغدادي	231
158	عبد القادر بن صالح	عامر بغدادي	232
159	عبد الحميد عبابسة	مدينة كرميش	233
160	عبد الرحمان بن محمد الصغير	أحمد أمين بوعلام الله	234
161	علي يحى عبد النور	مدينة كرميش	235
162	علي بومنجل	رابح دوب	236
163	علي خوجة	صرهودة يوسفي	238
164	علي سلّالي	حبيب زحماني فاطمة الزّهراء	239
165	علي سُوكَلي	صرهودة يوسفي	240
166	علي طبال	رابح دوب	241
167	علي طيار	طارق ثابت	243
168	علي عبد القادر	رابح دوب	244
169	علي عمّار (علي لاپوانت)	تسعديت لحول	245
170	علي عمارة البرجي	عامـــر بغـــدادي	247
171	علي كافي	سناء رمضاني	248
172	علي مدور	محمّد مدور	249
173	علي معاشي	تسعديت لحول	251
174	علي منجلي	رابح دوب	252
175	علي ناصري (كاتشو)	طارق ثابت	253
176	عمّار الأزعر	نبيل اهقيلي	254
177	عمّار العسكري	محمّد غرناوط	256
178	عمّار أمعاش	رابح دوب	257
179	عمّار أوزگان	رابح دوب	259

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
180	عمّار أوعمران	رابح دوب	260
181	عمّار بلّحسن	آمنة بلّعلى	261
182	عمّار بن مالك	محمّد غرناوط	263
183	عمّار بن محمّد قـليل	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقة	264
184	عمّار بوصبيع	رابح دوب	266
185	عمّار زعموش	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	267
186	عمّار علالوش	يزيد سلطان	269
187	عمّار مطاطلة	رابح دوب	271
188	عمّار مهري العطوي	رابح دوب	272
189	عمر أبو حفص الزّموريّ	فتيحة طكّوك	273
190	عمر آغـا	صرهودة يوسفي	275
191	عمر الحسيني الجزائري	رابح دوب	276
192	عمر الوزان	رابح دوب	278
193	عمر اليزگني	رابح دوب	279
194	عمر برناوي	رابح دوب	280
195	عمر بن إبراهيم العنق	يحيى بن بهون حاج أمحمد	282
196	عمر بن البسكري العقبي	رويسات محمّد	282
197	عـمّـار قـوقـة	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	284
198	عمر بن يحي الهنتاتي	عامـر بغـداد	286
199	عُـمـر بوشموخة	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	287
200	عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي	سعيد بحري	289
201	عمر بن داود بن أحمد (بومعقل)	يحيى بن بهون حاج امحمد	290
202	عمر بن عيسى (بلعيد)	يحيى بن بهون حاج امحمد	292
203	عمر بن عيسى بن إبراهيم (حاجّ امحمَّد)	يحيى بن بهون حاج امحمد	293
204	عمر بن عيسى بن بكير(سماوي)	رابح دوب	295
205	عمر بن محمّد الكمّاد الأنصاري (الوزّان)	رويسات محمّد	296
206	عمر بوداود	أحسن سعيد	297
207	عمر حقيقة	نسيمة لوح	299
208	عمر دردور	طارق ثابت	301
209	عمـر راسـم	آمنة بلّعلى	303
210	عمر زعموش (علي)	رابح دوب	305
211	عمران بن موسى بن يوسف المشدّالي الزّواوي	محمّد الصّغير بن لعلام	306

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
212	عميروش آيت حمودة	محمّد الصّالح آيت علحت	308
213	عيسى الجرموني	صالح بلعيد	310
214	عيسى النّوري	رابح دوب	312
215	عيسى بن أحمد بن محمّد الغُبريني	رويسات محمّد	313
216	عيسى بن إسماعيل بن موسى (أبو مهدي)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	314
217	عيسى بن الطّالب إبراهيم (خير الناس)	يحيى بن بهون حاجّ امحمّد	316
218	عيسى بن سالم	عاشور توامة	317
219	عيسى بن محمّد (حاجّ سعيد)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	318
220	عيسى بن محمّد الثّعالبي	رويسات محمّد	319
221	عيسى بن محمد بسكر	محمد بسكر	321
222	عيسى بن محمّد بن عبد الله التّلمساني	عامر بغدادي	322
223	عيسى بن مسعود المنـگلاتي	محمّد الصّغير بن لعلام	323
224	عيسى بهدي	يحيى بن بهون حاج امحمد	325
225	عيسى عليّة	رابح دوب	326
226	عيسى مسعودي	صالح بلعيد	327
227	عـــــيـــّاش يحياوي	م.بـوفلاقـ	328
228	فاطمة لوصيف (عيدة)	نجيب بن لمبارك	331
229	فايدة كامل	صالح بلعيد	332
230	فرانس فانون	بن قبليّة مختاريّة	334
231	فرحات بن الدّراجي	رابح دوب	335
232	فرحات بن سعيد بن أبو عكاز	رابح دوب	336
233	فرونطون السّيرتي	العربي عقون	338
234	فضيلة الجزائريّة	صالح بلعيد	339
235	فضـيلة مهري (ندى)	مـحمّد سيف الإسلام بـوفـــلاقــة	340
236	فضيلة سعدان	سناء بوختاش	342
237	فيرموس	فاطمة الزهراء حبيب زحماني	344
238	قاسم بن سعيد العُقباني	عامر بغدادي	347
239	قدور بن محمّد المستغانمي	لعلاونة محمّد الأمين	348
240	قدور بن محمّد بن رويلة	كريمة زيتوني	349
241	قدور درسوني	محمد غرناوط	350
242	قرقر الطّرابلسي	رابح دوب	352
243	قليان حسين باي (بوكميّة)	مريم بحشاش	353

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
244	كاتب ياسين	باديس فوغالي	355
245	كريبع النّبهاني	آمنة بلعلى	356
246	كريم بلقاسم	لعلاونة محمّد الأمين	358
247	كلودين شولي	نسيمة لوح	360
248	كسيلة بن لمزم الأوْرَبي	عـامر بغـدادي	361
249	كمال مسعودي	لعلاونة محمّد الأمين	362
250	كور عبـدي	صرهودة يوسفي	363
251	لالّة فاطمة نسومر	آمنة بلّعلى	365
252	لخضر بن خلوف	شهرزاد غول	366
253	لخضر بن طوبال	باديس فوغالي	368
254	لخضر رباح	رابح دوب	369
255	لوليوس أوربيكوس	مريم بحشاشي	370
256	مالك بن نبي	نورالدّين السّد	373
257	مالك بوذيبة	رابح دوب	374
258	مالك حداد	مرزاق بقطاش	376
259	مالك شبل	رشيد رايس	377
260	مامة بنت سليمان ابن إبراهيم، بَابَّاز	يحيى بن بهون حاج امحمد	379
261	مبارك الجيلاني	رابح دوب	379
262	مبارك الميلي	باديس فوغالي	381
263	مبارك جلواح	ليلى نوي	382
264	مبروك عوادي	رابح دوب	384
265	محفوظ بن محمد نحناح	باديس فوغالي	385
266	محفوظ قداش	مرزاق بقطاش	386
267	محمّد (حمودة) بن ساعي	محمّد بن ساعو	388
268	محمد ابن محرز الوهراني	عبد الحليم بن عيسى	389
269	محمّد أبو راس بن أحمد بن ناصر المعسكري الجزائريّ	صالح بلعيد	391
270	محمّد أركون	صالح بلعيد	393
271	محمّد اسطنبولي	رابح دوب	395
272	محمّد إسياخم	سناء رمضاني	396
273	محمّد أطفيش	رابح دوب	397
274	محمّد أقربوشن	حكيمة بوقرومة	399
275	محمد الآبلي	صالح بلعيد	400

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
276	محمّد الأخضر السّائحي	رابح دوب	401
277	محمّد الأكحل شرفاء	كريمة نعلوف – لحول تسعديت	403
278	محمّد الأمين العمودي	صالح بلعيد	404
279	محمّد الأمـيـن دباغين	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة	406
280	محمّد البشير الإبراهيمي	باديس فوغالي	408
281	محمّد البشير التّيجاني	رابح دوب	410
282	محمّد الخضر حسين	صالح بلعيد	411
283	محمّد الخوجة الجزائري	رابح دوب	413
284	محمّد الرّيغي شبيرة	عبد الرّشيد الرّيغي شبيرة	414
285	محمّد الزّجّاي	عبد الكريم حمو	415
286	محمّد السّايح حقي التجاني	كاملية بوجلطي	416
287	محمّد السعيد الزاهري	باديس فوغالي	417
288	محمّدالسّعيد بن زكري الجنادي الزّواوي	ياسمينة زمولي	418
289	محمّد السّعيد بن علي الشّريف	رابح دوب	419
290	محمّد السّعيد معزوزي	رابح دوب	421
291	محمّد الشّاذلي القسنطيني	رابح دوب	422
292	محمّد الشّريف بن الشّيخ	محمّد الصالح آيت علجت	423
293	محمّد الشّريف بن عبد الله	رابح دوب	425
294	محمّد الشّريف بن محمّد الطيب (قاهر)	محمّد الصالح آيت علجت	426
295	محمد الشّريف ساحلي	عامـــر بغـــدادي	428
296	محمّد الشّريف مساعديّة	محمّد بوعزارة	429
297	محمّد الصّادق مراوي	رابح دوب	431
398	محمّد الصّالح العنتري	رابح دوب	432
399	محمّد الصالح باوية	رابح دوب	433
300	محمّد الصالح باوية	باديس فوغالي	434
301	محمّد الصّالح بن جلول	باديس فوغالي	436
302	محمّد الصالـح بـن عـتيـق	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة	438
303	محمّد الصّالح خبشاش	رابح دوب	439
304	محمّد الصّالـح رمضان	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة	441
305	محمّد الصّديق بنُ حمادوش	علاوة كوسة	443
306	محمّد الصّديق بن يحي	رابح دوب	444
307	محمد الطّاهر التليلي	بشير خلف	445

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
308	محمّد الطّاهر رگاني (الفرگاني)	محمّد غرناوط	447
309	محمّد الطّاهر عزوي	طارق ثابت	448
310	محمّد الطّاهر فضلاء	رابح دوب	449
311	محمّد العدواني	التّجاني العقون	451
312	محمّد العربي بن مهيدي	رابح دوب	452
313	محمّد العربي دماغ العتروس	سناء رمضاني	453
314	محمّد العزوزي حوحو	باديس فوغالي	454
315	محمّد العربي التّبّاني	شريف عبد الحفيظ	456
316	محمّد العربي تمنطيط	عبد الرّحمان بداوي	457
317	محمّد العنقى	سناء رمضاني	458
318	محمّد العيد آل خليفة	باديس فوغالي	459
319	محمّد العيد غوري (الغوّار)	بشير خلف	461
320	محمّد اللقاني بن السّايح	التيجاني العقون	462
321	محمّد المبارك	صالح بلعيد	463
322	محمّد المصطفى (الدّحاوي)	حبيب بوزوادة	465
323	محمّد المصطفى بن باديس	رابح دوب	466
324	محمّد المكي البوطالبي	رابح دوب	467
325	محمّد الميلي	رابح دوب	469
326	محمّد النّجار الحركاتي	رابح دوب	470
327	محمّد الهادي السّنوسي الزّاهري	جميلة غريب	471
328	محمّد الهاشمي النّهاري التّلمساني	قويدر قيداري	473
329	محمّد الوردي قصبايّة (الوردي سُليماني)	سميحة كلفالي	477
330	محمّد بايْ بَلْعالَمْ	صالح بلعيد	478
331	محمّد بلقاسم بهلول	محمّد الصالح آيت علجت	480
332	محمد بلقاسم زيناي البيضاوي	الغزالي بوحجر	481
333	محمّد بلقايد الهبري	صالح بلعيد	483
334	محمّد بلكبير	صالح بلعيد	485
335	محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الفهري (البجائي)	محمّد الصّغير بن لعلام	486
336	محمّد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن (ابن الامام أبو الفضل التّلمساني	نسيمـة لوح	488
337	محمّد بن أبي القاسم البوجليلي	محمد الصالح آيت علجت	489
338	محمّد بن أبي القاسم الهاملي	باديس فوغالي	490
339	محمّد بن أبي جمعة الوهراني	بن الدّين بخولة	491

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
340	محمّد بن أبي شنب	صالح بلعيد	493
341	محمّد بن أبي يعقوب يوسف بن شعيب الحسني التّلمسانيّ السّنوسيّ	حبيب بوزوادة	494
342	محمّد بن أحمد أبو عبد الله بن صعد الأنصاري التّلمساني	الطاهر منزل	495
343	مُحَمّد بنُ أحمَد الهاشِميّ	بوعلي عبد الناصر	497
344	محمّد بن أحمد بسكر	محمّد بسكر	498
345	محمّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني	عبدالنّاصر بوعلي	499
346	محمّد بن أحمد بن محمّد الحرشوي النّدرومي	نسيمة لوح	500
347	محمّد بن أحمد بن مرزوق (الحفيد)	أمينة طيبي	502
348	محمّد بن أحمد بن يحيى التّلمساني (الحبّاك)	الطّاهر منزل	504
349	محمّد بن أعمارة الوزلاجي	ولحول تسعديت	504
350	محمد بن الحاج أبي القاسم بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي (حمُّو والحاج)	حيى بن بهون حاج امحمد	507
351	محمّد بن الحاجّ حمو	رابح دوب	508
352	محمد بن العابد بن السماتي الجَلالي	عامر بغدادي	509
353	محمّد بن العبّاس التّلمساني	عامر بغدادي	510
354	محمّد بن العربي	رابح دوب	511
355	محمّد بن العنابي	رابح دوب	513
356	محمّد بن المحبوب	رابح دوب	514
357	محمّد بن أمحمّد بن أحميد الأنصاري الزجلاوي (أبو عبد الله)	عبد الكريم حمو	516
358	محمّد بن التّومي بوشوشة (الشّريف)	عامر بغدادي	517
359	محمّد بن بادي الكنتي (بادي)	مصطفى حاج قويدر	518
360	محمّد بن باسعيد (عيسى)	يحيى بن بهون حاجّ امحمد	519
361	محمّد بن بكر بن يوسف الفرسطائي (أبو عبد الله)	يحيى بن بهون حاج امحمد	520
362	محمّد بن بكير (ابن أيوب)	يحيى بن بهون حاج امحمد	522
363	محمّد بن بكير بن محمّد أرشوم	يحيى بن بهون حاج امحمد	523
364	محمّد بن حفري	رابح دوب	525
365	محمّد بن حواء المستغانمي	حبيب بوزوادة	526
366	محمّد بن راس العين	عامر بغدادي	527
367	محمّد بن رحال	نسيمة لوح	528
368	محمّد بن رمضان شاوش التّلمساني	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	530

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
379	محمّد بن زعموم	رابح دوب	532
370	محمّد بن سليمان التّلمساني (ابن الصّائم)	نسيمة لوح	534
371	محمّد بن سليمان المطهري المليكي	يحيى بن بهون حاج امحمد	535
372	محمّد بن سليمان بن صالح اليزگني الميزابي (ابن ادريسو)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	537
373	محمّد بن سليمان بن عبد الله الكامل	عامر بغدادي	538
374	محمّد بن سي أحمد بن شريف	آمنة بلّعلى	539
375	محمّد بن صالح بن يحيى بن عيسى (الثّميني)	يحيى بن بهون حاج امحمد	541
376	محمّد بن عبد الجبار الفجيجي(الثجيجي)	نسيمة لوح	542
377	محمّد بن عبد الجليل أبو عبد الله التّنسي التّلمساني	نسيمة لوح	542
378	محمّد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري التّلمساني	نسيمة لوح	544
379	محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي التّلمساني	نسيمة لوح	545
380	محمّد بن عبد الرحمن الدّيسي	صالح بلعيد	547
381	محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي زيان القندوسي (القنادسي بوزيان)	نسيمة لوح	548
382	محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر التّنلاني	بن الدين بخولة	549
383	محمّد بن عبد القادر الحسيني الجزائري	رابح دوب	550
384	محمّد بن عبد الكريم البكري	باديس فوغالي	552
385	محمّد بن عبد الكريم الزّموري الجزائريّ	بوبكر الصّديق صابري	554
386	محمّد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائريّ	نسيمة لوح	556
387	محمّد بن عبد الله بن أيوب أبو عبد الله (المنور التّلمساني)	نسيمة لوح	557
388	محمّد بن علي بن شبيرة	محمّد بسكر	559
389	محمّد بن علي دبـُّوز	يحيى بن بهون حاج امحمد	560
390	محمّد بن عمر الهواري	بن عيسى عبد الحليم	561
391	محمّد بن عمر بن خميس الحميري الحجري الرَّعِيني	أحمد عزوز	563
392	محمّد بن عمر لعساكر	يحيى بن بهون حاج أمحمّد	565
393	محمّد بن عيسى (عيسى وموسى)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	566
394	محمّد بن عيسى البركاني	رابح دوب	568
395	محمّد بن فيّالة	صالح بلعيد	569
396	محمّد بن محمّد أبو عبد الله الكوميّ النّدروميّ (التّلمسانيّ)	نسيمة لوح	570
397	محمّد بن محمّد السّنباوي المازوني	عبد الكريم حمو	571
398	محمّد بن محمّد القبّاطي	عبد النّاصر بوعلي	573
399	محمّد بن محمّد بن العباس (الأقوجيلي)	حبيب بوزوادة	574

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
400	محمّد بن محمّد بن عبد الصمد (أبو الفضل المشدالي)	محمّد الصغير بن لعلام.	575
401	محمّد بن مسعود خطّاب (الفرقاني)	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	577
402	محمد بن يوسف الثّغري القيسي	أحمد موساوي	579
403	محمّد بن يوسف المصعبي المليكي الجربي (أبو عبد الله)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	580
404	محمّد بنعزوز الحسني القاسمي	حبيب بوزوادة	581
405	محمّد بوبغلة	باديس فوغالي	582
406	محمّد بوختتاش	عامر بغدادي	584
407	محمّد بوراس	صالح بلعيد	585
408	محمّد بوسليماني	حبيب بوزوادة	587
409	محمّد بوضياف	حبيب بوزوادة	588
410	محمّد بوعمامة	رابح دوب	589
411	محمد بوديّة	سناء رمضاني	591
412	محمّد بوشحيط	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	592
413	محمّد جريدي	رابح دوب	594
414	محمّد حاج عيسى (الطّالب عمر)	إلياس حاج عيسى	595
415	محمّد خدّة	حبيب بوزوادة	596
416	محمّد خزار	طارق ثابت	598
417	محمد خوجة (بكداش)	صرهودة يوسفي	599
418	محمّد خير الدّين	عامـــر بغـــــدادي	600
419	محمد دماغ	طارق ثابت	601
420	محمّد ديب	باديس فوغالي	602
421	محمّد راسم	سناء رمضاني	604
422	محمّد سعيد الحسيني الجزائري	رابح دوب	605
423	محمّد سي فضيل	نذير بولقرون	606
424	محمّد شارف	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	608
425	محمّد شعباني	عامر بغدادي	610
426	محمّد صوالح	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	611
427	محمّد صالـح الجابري	محمّد بسكر	612
428	محمّد عبد الرّحمن السّكوتي	نسيمة لوح	615
429	محمّد عبد الكبير البكري	عبد الرّحمان بداوي	616
430	محمّد عبدلي (محمّد الاوراسي)	نجيب بن لمبارك	617
431	محمّد عبدون	رابح دوب	618

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
432	محمّد عوشيش	مريم بحشاشي	619
433	محمّد قنطاري	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة	621
434	محمّد ليتيم (بتي)	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة	623
435	محمّد فارح	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	625
436	محمّد كتو	محمّد طيب	626
437	مـحـمـود الشّريف	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـــــة	627
438	معـمَّر أبو العالية البَكْرِي الصدِّيقي	عبد الحليم بن عيسى	629
439	محمّد مرزوقي	نبيل دادوة	630
440	محمّد مساس الإبراهيمي	محمّد بن ساعو	632
441	محمّد مشاطي	نبيل داودة	633
442	محمّد مصايف	صالح بلعيد.	635
443	محمّد منصوري العُقْبي	رابح دوب	636
444	محمّد مهري	محمّد مدور	637
445	محمّد ولد الكرد	نوار عبيدي	639
446	محمّد يحياتن	حبيب بوزوادة	640
447	محمد يكن الغسيري	طارق ثابت	642
448	محمود آغا بوعيّاد	أمال روابح	643
449	محمود بن حمودة	رابح دوب	644
450	محمود بن دويدة	رابح دوب	645
451	محي الدّين الحسيني الجزائري	رابح دوب	647
452	محي الدّين باش تارزي	فاطمة الزهراء حبيب زحماني	648
453	مختار باجي	رابح دوب	650
454	مختار فيلالي	طارق ثابت	651
455	مدني القريشي	محمد الأمين لعلاونة	652
456	مراد ديدوش	نبيل دادوة	653
457	مرزاق بقطاش	نورالدين السّد	656
458	مريم بن	رابح دوب	658
459	مريم بنت عبد العزيز (عبد العزيز)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	659
460	مريم بوعتورة	رابح دوب	661
461	مريم سعدان	رابح دوب	662
462	مسعود العيد	رابح دوب	663
463	مسعود بوجريو (سي مسعود)	رابح دوب	665

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
464	مسعود بوقادوم (سي الحواس)	رابح دوب	666
465	مسعود زقار (زگار)	باديس فوغالي	668
466	مسعودة مريم باج	رابح دوب	670
467	مصطفى الأشرف	صالح بلعيد	671
468	مصطفى الرّماصي	الطّيب دبّة	672
469	مصطفي الوزناجي	صرهودة يوسفي	673
470	مصطفى بن إبراهيم	أمينة طيبي	674
471	مصطفى بن أحمد (ابن التّهامي)	حبيب بوزوادة	675
472	مصطفى بن الكبابطي	رابح دوب	677
473	مصطفى بن المختار الغريسي	عامر بغدادي	678
474	مصطفى بن بولعيد	باديس فوغالي	679
475	مصطفى بن صالح بن يحيى (الشّيخ)	يحيى بن بهون حاج امحمد	681
476	مصطفى بن عزوز	توفيق جعمات	682
477	مصطفى بن عودة	عامر بغدادي	683
478	مصطفى بن قارة المستغانمي	عامر بغدادي	684
479	مصطفى بن محمّد القاسمي	عامر بغدادي	685
480	مصطفى بن محمّد بن عزوز البرجي	عامر بغدادي	687
481	مصطفى بوشلاغم	عامر بغدادي	688
482	مصطفى بوغابة	رابح دوب	689
483	مصطفى شريط الزّريبي	عامر بغدادي	690
484	مصطفى عواطي	رابح دوب	691
485	مصطفى فخار	رابح دوب	692
486	مصطفى كاتب	سناء رمضاني	694
487	مصطفى مبروكي	عبد الكريم قذيفة	695
488	مصطفى نطور	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	697
489	مطوس	محمّد اسلام بوفلاقة	698
490	مفتاح بشير	عبد الكريم قذيفة	700
491	مفدي زكريا	يحيى بن بهون حاج امحمّد	701
492	مقران أكلي (العقيد أولحاج)	رابح دوب	703
493	مليكة گايد	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	704
494	منصور بن علي بن عبد الله الزواوي (أبو علي)	خيرة سياب- توفيق معمري	706
495	منصور عبروس	ناصر بعداش	707

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
496	موسى الأحمدي النّويوات	صالح بلعيد	709
497	موسى الدّرقاوي	عامر بغدادي	710
498	موسى بن إبراهيم حريزي	يحيى بن بهون حاج امحمد	711
499	موسى بن صموئيل بن يهودا المالَقي الأندلسي	عامر بغدادي	713
500	موسى حداد	سناء رمضاني	714
501	مُوسى لقبال	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	715
502	مولاي أحمد الطّاهري	رابح دوب	717
503	مُولاي بلحميسي	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	718
504	مولاي بن شريف	عامر بغدادي	720
505	مولاي عبد القادر بن مولاي المهدي بن خويا	إدريس بن خويا	721
506	مولاي مرباح	عامر بغدادي	723
507	مولود فرعون	باديس فوغالي	725
508	مولود قاسم ناث بلقاسم	صالح بلعيد	726
509	مولود قايد	عامر بغدادي	727
510	مولود مطمر	محمّد العيد مطمر	728
511	مولود معمري	باديس فوغالي	729
512	مولود مهري	رابح دوب	731
513	ناصر الدّين (إيتيان) دينيّ	سناء رمضاني	733
514	ناصر الدّين المشدالي	صالح بلعيد	734
515	ناصر بن محمد بن الحاج عمر مرموري	يحيى بن بهون حاج امحمّد	736
516	ناصر بن يوسف بن مزني	عامر بغدادي	737
517	نادية گندوز	رابح دوب	738
518	نجيّة عبير	رشيد فيلالي	740
519	نصر الزَّواوي التِّلمْسانِيّ	عبد الحليم بن عيسى	741
520	نعيم النّعيمي	بن الدّين بخولة	742
521	نفيسة حمود	سناء رمضاني	744
522	نور الدّين الأتاسي	عامر بغدادي	745
523	نورالدّين عبد القادر	باديس فوغالي	746
524	هدارة بن النّعام	عامر بغدادي	751
525	هنري كريعة	رابح دوب	752
526	هواري بومدين	باديس فوغالي	753
527	هود بن محكم الهواري	عامر بغدادي	754
528	واضح بن عاصم الشّلفي	عامر بغدادي	757

الرقم	العلم	المكتتب	الصفحة
529	وردة الجزائريّة	صالح بلعيد	758
530	وردية بوشملال (لالة شريفة)	لعلاونة محمد الأمين	759
531	ولد عبد الرّحمن كاكي	سناء رمضاني	761
532	يحي العيدلي	محمّد الصّالح آيت علجت	763
533	يحي آيت حمودي	رابح دوب	764
534	يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارگلاني (أبو زكرياء)	يحيى بن بهون حاج أمحمد	766
535	يحي بن أبي محمد عبد الواحد بن يحي الهنتاتي (أبو زكرياء الأول)	فائزة بن عمور	767
536	يحي بن تميم الصنهاجي	إسمهان ميزاب	767
537	يحي بن خلدون	عامر بغدادي	769
538	يحي بن عبد الرحمن (ابن صفية)	عزاز حسنية	770
539	يحي بن معطي الزّواويّ	صالح بلعيد	771
540	يحي بوعزيز	مرزاق بقطاش	773
541	يحي قيدوم	يزيد سلطان	774
542	يحيى النايلي الشاوي	إسمهان ميزاب	775
543	يحيى بن صالح بن يحيى الأفضلي (أبو زكرياء)	يحيى بن بهون حاج امحمد	777
544	يحيى بن محمد بن يحيى (بكّوش)	يحيى بن بهون حاج امحمد	778
545	يعقوب بن يوسف المنجلاتي (المنگلاتي الزواوي)	محمّد الصّغير بن لعلام	779
546	يغمراسن بن زيّان	صالح بلعيد	780
547	يمينة مشاكرة	مريم بحشاشي	782
548	يوبا I	صالح بلعيد	783
549	يوبا2	صالح بلعيد	784
550	يوسف اليعلاوي	الصّالح آيت علجت	786
551	يوسف بن إبراهيم بن مناد السَّدراتي الوارجلاني (أبو يعقوب)	يحيى بن بهون حاج امحمد	787
552	يوسف بن تاشفين	صالح بلعيد	788
553	يوسف بن حمُّو بن عدُّون (أبو يعقوب)	يحيى بن بهون حاج امحمد	790
554	يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي (أبو يعقوب)	يحيى بن بهون حاج امحمد	791
555	يوسف دامرجي (الحكيم)	رابح دوب	792
556	يوسف زيغود	باديس فوغالي	793
557	يوغرطة/ :ⵢⵓⵖⵔⵟⴰ	صالح بلعيد	795
558	يحيى آغا القائد الجزائري المظلوم	رشيد فلالي	796
559	يوسف بوشوشي	عبد الحكيم بحري	798
560	يزيد (نورالدين) زرهوني	رشيد فلالي	799

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثاني